



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عيد ميلاد  
عمران

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir



١٣٩١

مجلس خبرگان

الاستفتاء الإسلامي

والتشريع في جمهورية إيران الإسلامية

# مبدا المرشد

دراسة تحليلية شاملة للخضيرة والسيرة المحمدية  
في خلق أبعادها الاجتماعية والريالية والسياسية والعسكرية

بقلم

جعفر الهادي

الجزء ٢-١

مركز الدراسات والبحوث الإسلامية  
التي تأسست في طهران في سنة ١٣٥٧ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# سید المرسلین صلی اللہ علیہ و آلہ

کاتب:

جعفر سبحانی

نشرت فی الطباعة:

جامعه مدرسین حوزہ علمیه قم، دفتر انتشارات اسلامی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة



## الفهرس

|    |                                   |
|----|-----------------------------------|
| ٥  | الفهرس                            |
| ٤٤ | سيدالمرسلين صلى الله عليه و آله   |
| ٤٤ | اشارة                             |
| ٤٤ | الجزء الاول                       |
| ٤٤ | [المقدمات]                        |
| ٤٤ | [مقدمة الناشر]                    |
| ٤٥ | [مقدمة المترجم]                   |
| ٤٥ | السيرة المحمديه مدرسة الأجيال     |
| ٤٦ | مقدمه المحاضر                     |
| ٤٦ | التاريخ فى أعظم حماساته           |
| ٥٠ | مزايا هذا الكتاب:                 |
| ٥١ | سيد المرسلين فى ضوء القرآن الكريم |
| ٥١ | اشارة                             |
| ٥٦ | ١ شبه الجزيرة العربية             |
| ٥٧ | اشارة                             |
| ٥٨ | مكة المعظمة:                      |
| ٥٨ | اشارة                             |
| ٥٨ | تاريخ مكة:                        |
| ٥٨ | المدينة المنورة:                  |
| ٦١ | ٢ العرب قبل الإسلام               |
| ٦١ | اشارة                             |
| ٦٢ | أخلاق العرب و تقاليدهم العامة:    |
| ٦٣ | هل كان للعرب حضارة قبل الإسلام؟   |

- ٦٤ ..... ملامح المجتمع الجاهلى العربى فى منظور القرآن: .....
- ٦٤ ..... اشارة .....
- ٦٥ ..... ١- الشرك فى العبادة: .....
- ٦٥ ..... ٢- إنكار المعاد: .....
- ٦٦ ..... ٣- هيمنة الخرافات: .....
- ٦٧ ..... ٤- الفساد الاخلاقى: .....
- ٦٧ ..... ٥- وأد البنات و إقبارهن: .....
- ٦٨ ..... ٦- تصوراتهم الخرافية حول الملائكة: .....
- ٦٨ ..... ٧- كيفية الانتفاع من الانعام: .....
- ٦٩ ..... ٨- الاستقسام بالازلام: .....
- ٦٩ ..... ٩- النسيء: .....
- ٧٠ ..... ١٠- الربا: .....
- ٧٠ ..... صور من الوضع الجاهلى .....
- ٧١ ..... العقيدة و الدين فى الجزيرة العربية: .....
- ٧٣ ..... عقيدة العرب حول حالة الإنسان بعد الموت: .....
- ٧٤ ..... الآداب مرآة آداب الشعوب و نفسياتها: .....
- ٧٥ ..... مكانة المرأة عند العرب الجاهلية: .....
- ٧٦ ..... المرأة و مكانتها الاجتماعية عند العرب: .....
- ٧٨ ..... مقارنة بسيطة: .....
- ٧٨ ..... العرب و الروح القتالية: .....
- ٨٠ ..... الاخلاق العامة فى المجتمع الجاهلى العربى: .....
- ٨١ ..... النزوع الى الخرافة و الاساطير فى المجتمع الجاهلى: .....
- ٨٢ ..... الخرافات فى عقائد العرب الجاهلية: .....
- ٨٣ ..... نماذج من الخرافات فى المجتمع الجاهلى: .....

- اشارة ..... ٨٣
- ١- الاستسقاء باشعال النيران: ..... ٨٣
- ٢- ضرب الثور اذا عافت البقر: ..... ٨٤
- ٣- كتي صحيح الإبل ليبراً السقيم: ..... ٨٤
- ٤- حبس ناقة عند القبر اذا مات كريم: ..... ٨٤
- ٥- عقر الإبل على القبور: ..... ٨٥
- ٦- نهيق الرجل إذا اراد دخول القرية (التعشير): ..... ٨٥
- ٧- تصفيق الضال في الصحراء ليهتدى: ..... ٨٥
- ٨- الرتم: ..... ٨٦
- ٩- وطى المرأة القتل الشريف لبقاء ولدها: ..... ٨٦
- ١٠- طرح السن نحو الشمس اذا سقطت: ..... ٨٦
- ١١- تعليق النجاسة على الرجل وقاية من الجنون: ..... ٨٦
- ١٢- دم الرئيس يشفى: ..... ٨٧
- ١٣- شق البرقع و الرداء يوجب الحب المتقابل: ..... ٨٧
- ١٤- معالجة المرضى بالامور العجيبة: ..... ٨٧
- ١٥- خرافات في مجال الغائب: ..... ٨٨
- ١٦- عقائدهم العجيبة في الجن و تأثيره: ..... ٨٨
- ١٧- تشاءمهم بالحيوانات و الطيور و الاشياء: ..... ٨٩
- مكافحة الإسلام لهذه الخرافات: ..... ٨٩
- أوضاع العرب الاجتماعية قبيل ظهور الإسلام: ..... ٩١
- دول الحيرة و غشان: ..... ٩٣
- الدين في أرض الحجاز: ..... ٩٤
- العلم و الثقافة في الحجاز: ..... ٩٦
- الإمام علي يصف العهد الجاهلي: ..... ٩٦

- ٩٩ ..... فاطمة الزهراء تصف الوضع الجاهلي: .....
- ١٠٠ ..... جعفر بن ابى طالب يصف العهد الجاهلي: .....
- ١٠٠ ..... ٣ إمبراطوريتا الروم و إيران إبان عهد الرسالة .....
- ١٠٠ ..... اشارة .....
- ١٠١ ..... أوضاع الروم ابان عهد الرسالة: .....
- ١٠١ ..... اشارة .....
- ١٠١ ..... ظاهرة الجدل العقيم فى المجتمع الرومى: .....
- ١٠٣ ..... أوضاع إيران إبان عهد الرسالة: .....
- ١٠٣ ..... اشارة .....
- ١٠٣ ..... البذخ و الترف فى البلاط الساسانى: .....
- ١٠٤ ..... الوضع الاجتماعى فى ايران: .....
- ١٠٥ ..... حقّ التعلّم خاص بالطبقات الممتازة!!: .....
- ١٠٧ ..... صفحة سوداء من جرائم خسرو برويز: .....
- ١٠٨ ..... حكم التاريخ فى الملوك الساسانيين: .....
- ١٠٩ ..... الفوضى فى الحكومه الساسانية: .....
- ١١٠ ..... الفوضى الدينية فى ايران الساسانيين: .....
- ١١٢ ..... الحروب الإيرانية الرومية: .....
- ١١٣ ..... ٤ أسلاف رسول الإسلام (ص) .....
- ١١٣ ..... اشارة .....
- ١١٣ ..... ١- بطل التوحيد: إبراهيم الخليل عليه السلام .....
- ١١٣ ..... اشارة .....
- ١١٤ ..... مولد إبراهيم: .....
- ١١٦ ..... إبراهيم و مكافحته للوثنية: .....
- ١١٧ ..... حوار الخليل مع عبدة الكواكب: .....

- ١١٩ ..... طريقة الأنبياء في الحوار و الجدال:
- ١٢٠ ..... هل كان أزر والد إبراهيم؟
- ١٢١ ..... القرآن ينفي ابوة «أزر» لإبراهيم:
- ١٢٢ ..... إبراهيم محطّم الأصنام:
- ١٢٤ ..... العبر القيامة في هذه القصة:
- ١٢٦ ..... هجرة الخليل عليه السلام:
- ١٢٧ ..... عين زمزم كيف ظهرت؟
- ١٢٨ ..... تجديد اللقاء:
- ١٢٩ ..... ٢- قصي بن كلاب:
- ١٣٠ ..... ٣- عبد مناف:
- ١٣١ ..... ٤- هاشم:
- ١٣١ ..... اشارة
- ١٣٢ ..... امية بن عبد شمس يحسد هاشما:
- ١٣٣ ..... هاشم يتزوج ...
- ١٣٤ ..... ٥- عبد المطلب:
- ١٣٤ ..... اشارة
- ١٣٥ ..... حفر زمزم:
- ١٣٦ ..... التفاني في سبيل الوفاء بالعهد و النذر:
- ١٣٧ ..... حادثه عام الفيل:
- ١٣٧ ..... اشارة
- ١٣٨ ..... ما هي عوامل هذه الحادثة؟
- ١٤٠ ..... عبد المطلب يذهب الى معسكر أبرهه:
- ١٤٠ ..... انتظار قريش:
- ١٤١ ..... كلمة حول المعجزة:

- ١٤٣ ..... نقاط تقتضى التأمل فى التفسير المذكور:
- ١٤٤ ..... نقطتان هامتان: .....
- ١٤٥ ..... بحث علمى حول المعجزة فى خمس نقاط: .....
- ١٤٥ ..... اشارة .....
- ١٤٦ ..... ١- ما هى المعجزة و ما هو تعريفها؟ .....
- ١٤٧ ..... ٢- هل الاعجاز يهدم القوانين العقلية المسلمة؟ .....
- ١٤٧ ..... اشارة .....
- ١٤٧ ..... أ- العلة الطبيعية العادية .....
- ١٤٧ ..... ب- العلة الطبيعية غير العادية و غير المعروفة .....
- ١٤٨ ..... ج- تأثير النفوس و الارواح: .....
- ١٤٨ ..... د- العلل المجردة عن المادة: .....
- ١٤٩ ..... ٣- هل المعجزة تصدر عن علل مادية غير معروفة فقط؟ .....
- ١٤٩ ..... ٤- كيف تدل المعجزة على صحة ادعاء النبوة؟ .....
- ١٥٠ ..... ٥- بما ذا نميز المعاجز عن غيرها من الخوارق؟ .....
- ١٥٤ ..... أوهام قريش تتفاقم!! .....
- ١٥٥ ..... عبد الله والد النبى: .....
- ١٥٥ ..... اشارة .....
- ١٥٦ ..... دور الأيادى المشبوهة فى تاريخ الإسلام: .....
- ١٥٧ ..... قصة فاطمة الخثعمية: .....
- ١٥٧ ..... اشارة .....
- ١٥٧ ..... علائم الاختلاق فى هذه القصة! .....
- ١٥٨ ..... طهارة النبى من دنس الآباء و عهر الامهات: .....
- ١٥٩ ..... وفاة عبد الله فى «يثرب»: .....
- ١٦٠ ..... ٥ مولد رسول الله صلى الله عليه و آله .....

- ١٦٠ ..... اشارة
- ١٦١ ..... فترة الطفولة في حياة العظماء: .....
- ١٦٣ ..... في أى يوم ولد رسول الله صلى الله عليه و آله؟ .....
- ١٦٣ ..... أى هذين القولين هو الصحيح؟ .....
- ١٦٤ ..... فترة الحمل: .....
- ١٦٥ ..... مؤاخذات و إشكالات على هذا البيان: .....
- ١٦٦ ..... الاحتفال بذكرى المولد النبوى: .....
- ١٦٧ ..... مراسم تسمية النبى صلى الله عليه و آله: .....
- ١٦٨ ..... خطأ المستشرقين: .....
- ١٦٩ ..... «أحمد» كان من أسماء النبى المشهورة: .....
- ١٧٠ ..... فترة الرضاع في حياة النبى صلى الله عليه و آله: .....
- ١٧٢ ..... نظرة الإسلام في تأثير الرضاع: .....
- ١٧٢ ..... ٦ فترة الطفولة في حياة النبى صلى الله عليه و آله .....
- ١٧٢ ..... اشارة .....
- ١٧٣ ..... ١- الماديون، و جماعة من المستشرقين: .....
- ١٧٥ ..... خمسة أعوام في الصحراء: .....
- ١٧٦ ..... ٧ العودة إلى أحضان العائلة .....
- ١٧٦ ..... اشارة .....
- ١٧٧ ..... سفرة إلى يثرب: .....
- ١٧٨ ..... وفاة عبد المطلب: .....
- ١٧٨ ..... كفالة أبى طالب للنبى صلى الله عليه و آله: .....
- ١٧٩ ..... سفرة إلى الشام: .....
- ١٨٠ ..... اكذوبة المستشرقين: .....
- ١٨٢ ..... نظرة إجمالية إلى التوراة الحاضرة: .....

- ١٨٢ ..... اشارة
- ١٨٣ ..... ١- داود عليه السلام:
- ١٨٣ ..... ٢- النبي سليمان عليه السلام:
- ١٨٤ ..... ٣- يعقوب عليه السلام:
- ١٨٤ ..... ٤- ابراهيم عليه السلام:
- ١٨٥ ..... ٥- المسيح عليه السلام:
- ١٨٦ ..... ٨ فترة الشباب في حياة النبي الاكرم
- ١٨٧ ..... اشارة
- ١٨٧ ..... رسول الله و قدرته الروحانية:
- ١٨٧ ..... حروب الفجار:
- ١٨٧ ..... اشارة
- ١٨٨ ..... الفجار الأول:
- ١٨٩ ..... الفجار الثاني:
- ١٨٩ ..... الفجار الثالث:
- ١٨٩ ..... الفجار الرابع:
- ١٩٠ ..... حلف الفضول:
- ١٩٢ ..... ٩ من فترة الشباب الى مزاولة التجارة
- ١٩٢ ..... اشارة
- ١٩٣ ..... سبب آخر لرعى الغنم:
- ١٩٣ ..... سبب ثالث:
- ١٩٤ ..... اقتراح ابي طالب:
- ١٩٤ ..... هل عمل النبي اجيرا لخديجة؟
- ١٩٤ ..... خديجة زوجة الرسول الاولى:
- ١٩٤ ..... اشارة



- ١٩٧ ..... خديجة في أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله: .....
- ٢٠٢ ..... افتخار اهل البيت بخديجة عليها السلام: .....
- ٢٠٣ ..... العلل الظاهرية و الحقيقية وراء زواج خديجة بالنبي صلى الله عليه و آله: .....
- ٢٠٥ ..... كيف تمت خطبة خديجة؟ .....
- ٢٠٦ ..... عمر خديجة عند زواجها بالنبي صلى الله عليه و آله: .....
- ٢٠٦ ..... ١٠ من الزواج الى البعثة .....
- ٢٠٦ ..... اشارة .....
- ٢٠٧ ..... فترة الشباب في حياة رسول الله صلى الله عليه و آله: .....
- ٢٠٧ ..... احساسه و مشاعره الإنسانية في فترة الشباب: .....
- ٢٠٨ ..... أولاد خديجة: .....
- ٢٠٨ ..... حدس لا أساس له من الواقع!! .....
- ٢٠٩ ..... دعى رسول الله: زيد بن حارثة: .....
- ٢٠٩ ..... بداية الخلاف بين الوثنيين: .....
- ٢١٠ ..... أعمدة الوثنية تهتز: .....
- ٢١١ ..... نموذج آخر عن ضعف قريش: .....
- ٢١٣ ..... أمين قريش يكفل عليا: .....
- ٢١٣ ..... ايمان النبي و آبائه و كفلائه قبل الإسلام: .....
- ٢١٤ ..... ايمان جده عبد المطلب: .....
- ٢١٦ ..... ايمان كفيله و عمه أبى طالب: .....
- ٢١٦ ..... ايمان والدى النبي الاكرم: .....
- ٢١٧ ..... ايمان النبي بالله و توحيدته قبل البعثة: .....
- ٢٢٠ ..... الآية الاولى: الهداية بعد الضلالة .....
- ٢٢٢ ..... الآية الثانية: الأمر بهجر الرجز .....
- ٢٢٣ ..... الآية الرابعة: عدم رجائه إلقاء الكتاب إليه .....

- ٢٢٥ ..... الآية الخامسة: لو لم يشأ ما تلوته
- ٢٢٦ ..... ١١ بدء الوحي
- ٢٢٦ ..... اشارة
- ٢٢٨ ..... دور الأنبياء في اصلاح المجتمع:
- ٢٢٨ ..... مثال واضح في المقام:
- ٢٣٠ ..... أمين قريش في غار حراء:
- ٢٣٠ ..... بدء الوحي:
- ٢٣١ ..... ظاهرة القضايا الغيبية في منظار الماديين:
- ٢٣٢ ..... الروح المجردة:
- ٢٣٣ ..... ظاهرة الوحي عند الماديين:
- ٢٣٣ ..... أبرز النظريات المادية لظاهرة الوحي:
- ٢٣٧ ..... ظاهرة الوحي في منظار العقل و الدين:
- ٢٣٨ ..... قنوات المعرفة الثلاث:
- ٢٣٩ ..... أنواع الوحي و اصنافه:
- ٢٣٩ ..... أساطير مختلفة:
- ٢٤٠ ..... اشارة
- ٢٤٠ ..... بقية حادثة نزول الوحي:
- ٢٤١ ..... خديجة تذهب إلى ورقة بن نوفل:
- ٢٤٢ ..... بطلان هذه المزاعم:
- ٢٤٣ ..... ١٢ متى نزل الوحي أولاً؟
- ٢٤٣ ..... اشارة
- ٢٤٤ ..... [الرأى المشهور بين علماء السنة و استدلالهم]
- ٢٤٤ ..... ما أجاب به علماء الشيعة:
- ٢٤٤ ..... اشارة

- ٢٤٤ ..... الجواب الأول:
- ٢٤٥ ..... الجواب الثاني:
- ٢٤٦ ..... الجواب الثالث: التفكيك بين نزول القرآن و البعث
- ٢٤٧ ..... الأنبياء و البشارة برسول الله:
- ٢٤٨ ..... محمّد خاتم الأنبياء:
- ٢٤٩ ..... ١٣ ما سبقنى أحد
- ٢٤٩ ..... أول من آمن بالنبى من الرجال و النساء:
- ٢٤٩ ..... اشارة
- ٢٥٠ ..... من النساء: «خديجة»
- ٢٥٠ ..... أقدم الرجال اسلاما: «على»
- ٢٥٠ ..... اشارة
- ٢٥٠ ..... [الدلائل التاريخية و النصوص الدالة على أسبقية الإمام على]
- ٢٥٠ ..... اشارة
- ٢٥١ ..... ١- على تربي في حجر النبى
- ٢٥٢ ..... ٢- على و خديجة يقيمان الصلاة مع النبى:
- ٢٥٢ ..... ٣- أنا الصديق الأكبر:
- ٢٥٣ ..... ٤- أولكم إسلاما: على
- ٢٥٣ ..... النصوص النبوية:
- ٢٥٤ ..... كلمات امير المؤمنين عليه السلام:
- ٢٥٦ ..... كلمة الإمام السبط الحسن عليه السلام:
- ٢٥٦ ..... رأى الصحابة و التابعين فى أول من أسلم
- ٢٦٤ ..... مناظرة بين المأمون و اسحاق [فى إسلام على ع]:
- ٢٦٥ ..... قضية «انقطاع الوحي»:
- ٢٦٥ ..... اشارة

- ٢٦٦ ..... اسطورة و ليس تاريخا!
- ٢٦٧ ..... إختلاف المؤرخين فى مسألة «انقطاع الوحي»:
- ٢٦٧ ..... اشارة
- ٢٦٩ ..... الاختلاف فى مدة انقطاع الوحي:
- ٢٧٠ ..... ١٤ الدعوة السريّة و دعوة الأقرين
- ٢٧٠ ..... اشارة
- ٢٧١ ..... دعوة الأقرين:
- ٢٧١ ..... اشارة
- ٢٧٣ ..... كيفية دعوة الأقرين:
- ٢٧٤ ..... خيانة تاريخية و جناية أدبية!!
- ٢٧٤ ..... النبوة و الإمامة توأمان:
- ٢٧٧ ..... ١٥ الدعوة العامة
- ٢٧٧ ..... اشارة
- ٢٧٧ ..... الثبات و الاستقامة على طريق الهدف:
- ٢٧٨ ..... ثبات النبى صلى الله عليه و آله و صبره:
- ٢٨٠ ..... قريش تمشى إلى أبى طالب للمرة الثالثة:
- ٢٨٠ ..... قريش تحاول تطميع رسول الله:
- ٢٨١ ..... نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين:
- ٢٨٤ ..... أبو جهل يكمن لرسول الله:
- ٢٨٤ ..... ابو لهب يؤذى رسول الله:
- ٢٨٥ ..... صبر النبى صلى الله عليه و آله و استقامته:
- ٢٨٥ ..... إيذاء المسلمين و تعذيبهم!
- ٢٨٥ ..... اشارة
- ٢٨٥ ..... ١- بلال الحبشى:

- ٢- آل ياسر رمز الصمود و المقاومة!----- ٢٨٦
- ٣- عبد الله بن مسعود:----- ٢٨٧
- ٤- أبو ذر: أول المجاهدين بالإسلام----- ٢٨٨
- قبيلة غفار تعتنق الإسلام:----- ٢٨٩
- أعداء النبي الألداء:----- ٢٩٠
- عمر بن الخطاب يعتنق الإسلام:----- ٢٩١
- ١٦ رأى قريش في القرآن----- ٢٩٣
- اشارة----- ٢٩٣
- حكم الوليد في القرآن:----- ٢٩٤
- نموذج آخر [من حكم البلغاء في شأن القرآن]:----- ٢٩٥
- تحججات قريش العجيبة:----- ٢٩٦
- الدوافع وراء معاداة قريش و عنادهم:----- ٢٩٩
- اشارة----- ٢٩٩
- ١- حسدهم للنبي صلى الله عليه و آله و سلم:----- ٣٠٠
- ٢- معارضة الدعوة الإسلامية لشهواتهم:----- ٣٠٠
- ٣- الخوف من عقوبات اليوم الآخر:----- ٣٠١
- ٤- الخوف من القبائل العربية المشركة:----- ٣٠١
- طائفة من اعتراضات المشركين:----- ٣٠٢
- القرآن و النزول التدريجي:----- ٣٠٢
- الأسرار المنطقية للنزول التدريجي للقرآن:----- ٣٠٤
- اشارة----- ٣٠٤
- أسرار اخرى لنزول القرآن تدريجا:----- ٣٠٥
- ١٧ الى الحبشة----- ٣٠٧
- الهجرة الاولى----- ٣٠٧

- ٣٠٩ ..... الهجرة الثانية الى الحبشة:
- ٣٠٩ ..... قريش توفد رجالا لاسترداد المسلمين:
- ٣١٢ ..... العودة من الحبشة:
- ٣١٤ ..... وفد مسيحي لتقضى الحقائق يدخل مكة:
- ٣١٤ ..... قريش توفد إلى يهود يثرب للتحقيق:
- ٣١٥ ..... ١٨ الأسلحة الصديئة و الاساليب الفاشلة:
- ٣١٥ ..... اشارة
- ٣١٦ ..... ١- الاتهامات الباطلة:
- ٣١٦ ..... اشارة
- ٣١٨ ..... الإصرار فى نسبة الجنون إليه صلى الله عليه و آله و سلم:
- ٣١٩ ..... ٢- القرآن يرد على جميع الاتهامات:
- ٣١٩ ..... اشارة
- ٣٢١ ..... فكرة معارضة القرآن:
- ٣٢١ ..... تحججات صبيانية و جاهلية:
- ٣٢٣ ..... مقترحات عجيبة و مطالب غريبة:
- ٣٢٤ ..... صبر النبي و استقامته و ثباته:
- ٣٢٤ ..... معاجز النبي لم تنحصر فى القرآن:
- ٣٢٤ ..... اشارة
- ٣٢٥ ..... ١- شق القمر:
- ٣٢٥ ..... ٢- المعراج:
- ٣٢٥ ..... ٣- مباهلة أهل الباطل:
- ٣٢٥ ..... ٤- الاخبار بالمغيبات:
- ٣٢٦ ..... اصرار النبي على هداية قريش:
- ٣٢٧ ..... ٣- تحريم استماع القرآن:

- ٣٢٧ ..... اشارة
- ٣٢٨ ..... واضعوا القرار ينقضون قرارهم!!
- ٣٢٨ ..... ٤- منع الاشخاص من الايمان برسول الله
- ٣٢٨ ..... اشارة
- ٣٢٩ ..... ١- «الاعشى»:
- ٣٢٩ ..... ٢- الطفيل بن عمرو الدوسى:
- ٣٣٠ ..... ١٩ اسطورة الغرائيق
- ٣٣٠ ..... اشارة
- ٣٣١ ..... ما هى اسطورة الغرائيق!؟
- ٣٣٢ ..... محاسبة بسيطة لهذه الاسطورة
- ٣٣٢ ..... رأى العقل فى هذه القصة:
- ٣٣٣ ..... تكذيب القصة من طريق آخر
- ٣٣٤ ..... دليل لغوى على تفنيد هذه الاسطورة
- ٣٣٤ ..... اشارة
- ٣٣٤ ..... ١- ما هو المقصود من تمنى الأنبياء و الرسل
- ٣٣٤ ..... ٢- ما هو المقصود من تدخّل الشيطان؟
- ٣٣٧ ..... ٣- ما هو المقصود من محو آثار التدخل؟
- ٣٣٨ ..... ٢٠ الحصار الاقتصادى و الاجتماعى
- ٣٣٨ ..... اشارة
- ٣٣٩ ..... قريش تحاصر النبى و المسلمين اقتصاديا و اجتماعيا
- ٣٣٩ ..... اشارة
- ٣٣٩ ..... [قريش و الصحيفة القاطعة]
- ٣٤٠ ..... وضع بنى هاشم الأساسى فى الشعب
- ٣٤٤ ..... ٢١ وفاة أبى طالب و خديجة الكبرى

- ٣٤٤ ..... اشارة
- ٣٤٤ ..... نماذج من مشاعر أبي طالب
- ٣٤٤ ..... اشارة
- ٣٤٨ ..... التغيير في برنامج السفر
- ٣٤٩ ..... الدفاع عن حوزة العقيدة و الايمان
- ٣٥٠ ..... تصوّر باطل [عن مشاعر أبي طالب تجاه النبي ص]
- ٣٥٠ ..... الدافع الحقيقي لأبي طالب
- ٣٥١ ..... لمحات من تضحيات أبي طالب
- ٣٥٢ ..... قضية ذات بواعث سياسية:
- ٣٥٣ ..... الأدلة على إيمان أبي طالب
- ٣٥٣ ..... اشارة
- ٣٥٣ ..... ١- آثار أبي طالب العلميّة و الأدبيّة
- ٣٥٤ ..... الطريق الثاني لا ثبات إيمان أبي طالب
- ٣٥٥ ..... وصية أبي طالب عند وفاته
- ٣٥٤ ..... [٣- شهادات أقرباء أبي طالب من أهل البيت]
- ٣٥٤ ..... رأى علماء الشيعة فى أبي طالب
- ٣٥٧ ..... نظرة إلى حديث «الضحاح»
- ٣٥٧ ..... اشارة
- ٣٥٧ ..... ١- ضعف أسناد هذه الرواية
- ٣٥٧ ..... اشارة
- ٣٥٧ ..... الف: سفيان بن سعيد الثورى
- ٣٥٨ ..... باء: عبد الملك بن عمير
- ٣٥٨ ..... جيم: عبد العزيز بن محمد الدراوردى
- ٣٥٨ ..... ٢- نص حديث الضحاح يخالف الكتاب و السنة



- ٣٥٨ ..... اشارة
- ٣٥٩ ..... الف: القرآن الكريم
- ٣٥٩ ..... ب: السنة النبوية
- ٣٥٩ ..... ٢٢- المعراج فى نظر القرآن و السنة و التاريخ
- ٣٥٩ ..... اشارة
- ٣٦١ ..... هل للمعراج جذور قرآنية؟
- ٣٦٢ ..... أحاديث المعراج:
- ٣٦٣ ..... متى وقعت هذه الحادثة؟
- ٣٦٤ ..... هل كان المعراج جسمانيا؟
- ٣٦٥ ..... ما هو المراد من المعراج الروحاني؟
- ٣٦٥ ..... اشارة
- ٣٦٦ ..... الجواب:
- ٣٦٦ ..... نعمة شاذة:
- ٣٦٧ ..... المعراج و قوانين العلم الحديث:
- ٣٦٧ ..... اشارة
- ٣٦٨ ..... جوابنا:
- ٣٧٠ ..... الهدف من المعراج:
- ٣٧١ ..... ٢٣ سفره إلى الطائف
- ٣٧١ ..... اشارة
- ٣٧٣ ..... النبي صلى الله عليه و آله يعود إلى مكة:
- ٣٧٥ ..... نقطة هامة:
- ٣٧٥ ..... الدعوة فى أسواق العرب:
- ٣٧٦ ..... دعوة رؤساء القبائل فى مواسم الحج:
- ٣٧٧ ..... ٢٤ بيعة العقبة

- ٣٧٧ ..... اشارة
- ٣٧٨ ..... وقعة بعثت:
- ٣٧٨ ..... اشارة
- ٣٧٩ ..... تفصيل الحادث:
- ٣٧٩ ..... بيعه العقبة الاولى:
- ٣٨٠ ..... بيعه العقبة الثانية:
- ٣٨١ ..... أوضاع المسلمين بعد بيعه العقبة:
- ٣٨٣ ..... ردود فعل قريش تجاه بيعه العقبة:
- ٣٨٤ ..... تأثير الاسلام و نفوذه المعنوى:
- ٣٨٦ ..... مخاوف قريش المتزايدة:
- ٣٨٧ ..... ٢٥ قضة الهجرة
- ٣٨٧ ..... حوادث السنة الاولى من الهجرة
- ٣٨٧ ..... اشارة
- ٣٨٨ ..... الإمدادات الغيبية و العنايات الالهية:
- ٣٨٩ ..... ملك الوحي يخبر رسول الله:
- ٣٩١ ..... اقتحام الاعداء لبيت الوحي:
- ٣٩٢ ..... النبي في غار ثور:
- ٣٩٢ ..... قريش تفتش عن النبي:
- ٣٩٣ ..... التفانى في سبيل الحق:
- ٣٩٥ ..... كلام من ابن تيمية:
- ٣٩٥ ..... اشارة
- ٣٩٦ ..... الجواب:
- ٣٩٦ ..... الجواب التفصيلي:
- ٣٩٨ ..... الخطيب و قضية المبيت:

- ٣٩٨ ..... بقية قصة هجرة النبي: .....
- ٤٠٠ ..... الخروج من الغار: .....
- ٤٠٠ ..... صفحة التاريخ الاولى: .....
- ٤٠١ ..... لما ذا أصبح العام الهجرى مبدأ للتاريخ: .....
- ٤٠١ ..... من الذى جعل الهجرة مبدأ للتاريخ؟ .....
- ٤٠٢ ..... نماذج من رسائل النبي المؤرخة: .....
- ٤٠٢ ..... اشارة .....
- ٤٠٤ ..... سؤال: .....
- ٤٠٤ ..... الجواب: .....
- ٤٠٥ ..... التذكير بنقطتين: .....
- ٤٠٥ ..... مؤامرة الطاغوت: .....
- ٤٠٦ ..... برنامج الرحلة فى حادث الهجرة: .....
- ٤٠٧ ..... النزول فى قرية قباء: .....
- ٤٠٨ ..... المدينة تهت لقدوم النبي: .....
- ٤١٠ ..... النبي يدخل المدينة: .....
- ٤١١ ..... أصل النفاق و منشؤه: .....
- ٤١١ ..... الفهارس .....
- ٤١٢ ..... اشارة .....
- ٤١٢ ..... (١) فهرس الآيات القرآنية .....
- ٤١٧ ..... (٢) فهرس الأحاديث الشريفة .....
- ٤٢٠ ..... (٣) فهرس الأشعار .....
- ٤٢٣ ..... (٤) فهرس الأعلام .....
- ٤٣٤ ..... (٥) فهرس القبائل و الامم .....
- ٤٣٨ ..... (٦) الكنى و الألقاب .....

- ٤٤١ ..... (٧) فهرس الوقائع و الأيام
- ٤٤٢ ..... (٨) فهرس الأماكن و البلدان
- ٤٤٤ ..... (٩) المذاهب و الأديان و نظم الحكم
- ٤٤٤ ..... (١٠) فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا
- ٤٤٧ ..... ١١ - فهرس المواضيع
- ٤٥٨ ..... الجزء الثاني
- ٤٥٨ ..... اشارة
- ٤٥٨ ..... [المقدمة]
- ٤٥٨ ..... مميزات النهضة الالهية و خصائصها خصيصه «الخلود» و العمق فى شخصية رسول الاسلام
- ٤٥٨ ..... المصادر الاولى و الاصلية للكتابة عن سيرة النبي:
- ٤٤٠ ..... أئمة السيرة:
- ٤٤١ ..... حوادث السنة الأولى من الهجرة «١»
- ٤٤١ ..... اشارة
- ٤٤١ ..... أول عمل ايجابى للنبي فى المدينة عقد ميثاق تعايش بين المسلمين و غيرهم:
- ٤٤٣ ..... مع عمار بن ياسر فى بناء المسجد النبوى:
- ٤٤٤ ..... ضرر أراف من والده!!
- ٤٤٧ ..... التأخى؛ أو أعظم معطيات الايمان:
- ٤٤٧ ..... منقبتان عظيمتان:
- ٤٤٨ ..... منقبة أخرى لعلى عليه السلام:
- ٤٤٩ ..... معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين و يهود يثرب:
- ٤٤٩ ..... أعظم معاهدة تاريخية:
- ٤٤٩ ..... اشارة
- ٤٤٩ ..... «البند الاول»
- ٤٧١ ..... «البند الثانى»

- ٤٧١ ..... «البند الثالث»
- ٤٧٢ ..... «البند الرابع»
- ٤٧٣ ..... ممارسات اليهود الإجهاضية:
- ٤٧٣ ..... اسلام عبد الله بن سلام:
- ٤٧٤ ..... خطة أخرى للقضاء على الحكومة الإسلامية:
- ٤٧٥ ..... حوادث السنة الثانية من الهجرة
- ٤٧٥ ..... اشارة
- ٤٧٤ ..... مناورات عسكرية و استعراضات حربية
- ٤٧٤ ..... اشارة
- ٤٧٤ ..... تهديد خطوط قريش التجارية
- ٤٧٤ ..... غزوة بدر:
- ٤٧٨ ..... النبي صلى الله عليه و آله يلاحق قريشا بنفسه:
- ٤٨٠ ..... ما ذا كان الهدف من المناورات العسكرية؟
- ٤٨١ ..... نظرية المستشرقين:
- ٤٨٣ ..... ٢٨ تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة
- ٤٨٤ ..... كرامة علمية لرسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٤٨٧ ..... ٢٩ معركة بدر
- ٤٨٧ ..... اشارة
- ٤٨٨ ..... النبي يتوجه الى منطقة ذفران «٢»:
- ٤٩٠ ..... المشكلة التي كانت تواجهها قريش:
- ٤٩١ ..... النبي يعقد شورى عسكرية:
- ٤٩١ ..... إخفاء الحقائق و كتمانها:
- ٤٩٢ ..... قرار الشورى الحاسم أو رأى زعيم الأنصار:
- ٤٩٣ ..... تحصيل المعلومات حول العدو:

- ٤٩٥ ..... كيف هرب أبو سفيان؟
- ٤٩٥ ..... علم المسلمين بإفلات قافلة قريش:
- ٤٩٥ ..... إختلاف قريش فى القتال:
- ٤٩٧ ..... «العريش» أو عرفه القيادة:
- ٤٩٧ ..... اشارة
- ٤٩٧ ..... نظرة الى مسألة «العريش»:
- ٤٩٨ ..... تحرك قريش باتجاه بدر:
- ٤٩٨ ..... قريش تتشاور فى القتال:
- ٤٩٩ ..... اختلف قادة قريش فى امر القتال:
- ٥٠٠ ..... ما الذى حتم القتال؟
- ٥٠١ ..... المبارزات الفردية أولا:
- ٥٠٢ ..... فأى القولين هو الأصح؟
- ٥٠٢ ..... الهجوم العام:
- ٥٠٣ ..... رعاية الحقوق:
- ٥٠٤ ..... مصرع أمية بن خلف:
- ٥٠٤ ..... خسائر بدر فى الأرواح و الاموال:
- ٥٠٥ ..... ما أنتم باسمع منهم:
- ٥٠٥ ..... الشعر يخلد هذه القصة:
- ٥٠٧ ..... بعد معركة بدر:
- ٥٠٨ ..... قتل أسيرين فى اثناء الطريق:
- ٥٠٨ ..... بشارت النبى الى المدينة:
- ٥٠٩ ..... المكثون يعرفون بمقتل أسيادهم:
- ٥٠٩ ..... اشتراك العباس عم النبى فى بدر:
- ٥١٠ ..... المنع من النوح و البكاء فى مكة:

- ٥١١ ..... القرار الأخير حول مصير الاسارى: .....
- ٥١٢ ..... رسول الاسلام و مكافحة الامية: .....
- ٥١٢ ..... كلام لابن أبى الحديد فى المقام: .....
- ٥١٣ ..... القرآن يتحدث عن بدر: .....
- ٥١٥ ..... ٣٠ زواج سيده النساء فاطمة بنت رسول الله «١» .....
- ٥١٥ ..... اشارة .....
- ٥١٦ ..... مشاكل الزواج فى العصر الحاضر: .....
- ٥١٧ ..... رسول الاسلام يكافح هذه المشاكل عمليا: .....
- ٥١٧ ..... اشارة .....
- ٥١٩ ..... جهاز فاطمة: .....
- ٥٢٠ ..... مراسم الزواج تقام ببساطة: .....
- ٥٢٨ ..... ٣١ جرائم «بنى قينقاع» .....
- ٥٢٨ ..... اشارة .....
- ٥٣٠ ..... لهيب الحرب يبدأ من شرارة: .....
- ٥٣٢ ..... تقارير جديدة تصل الى المدينة: .....
- ٥٣٢ ..... ١- غزوة قرقرة الكدر «١»: .....
- ٥٣٣ ..... ٢- غزوة السويق: .....
- ٥٣٣ ..... ٣- غزوة ذى أمر: .....
- ٥٣٤ ..... قريش تغير مسير تجارتها: .....
- ٥٣٥ ..... حوادث السنة الثالثة من الهجرة ٣٢ الدفاع عن الحية .....
- ٥٣٥ ..... اشارة .....
- ٥٣٥ ..... غزوة احد أو الدفاع عن الحية عند جبل احد: .....
- ٥٣٥ ..... اشارة .....
- ٥٣٥ ..... ١- سرية محمد بن مسلمة: .....

- ٥٣٧ ..... اغتيال مفسد آخر: .....
- ٥٣٧ ..... قريش تتكفل نفقات الحرب: .....
- ٥٣٩ ..... الاستخبارات ترفع تقريراً الى النبي: .....
- ٥٣٩ ..... جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة: .....
- ٥٤٠ ..... منطقة «أحد»: .....
- ٥٤٠ ..... المشاورة في كيفية الدفاع: .....
- ٥٤١ ..... المشاورات العسكرية: .....
- ٥٤٢ ..... الاقتراع من أجل الشهادة!!: .....
- ٥٤٣ ..... حصيلة الشورى: .....
- ٥٤٣ ..... النبي يلبس لامة الحرب: .....
- ٥٤٤ ..... النبي يخرج من المدينة: .....
- ٥٤٤ ..... جنديان فدائيان: .....
- ٥٤٧ ..... العسكران يصطفان: .....
- ٥٤٧ ..... رفع معنويات الجنود و تقوية عزائمهم: .....
- ٥٤٨ ..... العدو ينظم صفوفه: .....
- ٥٤٨ ..... الإثارة النفسية و إلهاب الحماس: .....
- ٥٤٩ ..... القتال يبدأ: .....
- ٥٥١ ..... المقاتلون بدافع الشهوة!!: .....
- ٥٥١ ..... الهزيمة بعد الانتصار: .....
- ٥٥٣ ..... شائعة مقتل النبي: .....
- ٥٥٣ ..... هل يمكن أن ينكر أحد فرار البعض؟ .....
- ٥٥٤ ..... القرآن يكشف عن بعض الحقائق: .....
- ٥٥٥ ..... التجارب المرة: .....
- ٥٥٦ ..... خمسة يتحالفون على قتل النبي: .....



- ٥٥٨ ..... الدفاع الموفق أو النصر المجدد: .....
- ٥٦٢ ..... ٤- أمّ عمارة: .....
- ٥٦٤ ..... بقيّة واقعة «احد»: .....
- ٥٦٥ ..... العدوّ يحاول استغلال الفرصة: .....
- ٥٦٦ ..... نهاية المعركة: .....
- ٥٦٧ ..... آخر ما نطق به سعد بن الربيع: .....
- ٥٦٨ ..... النبيّ يعود الى المدينة: .....
- ٥٦٩ ..... ذكريات مثيرة عن امرأة مؤمنة: .....
- ٥٦٩ ..... نموذج آخر من النسوة المجاهدات: .....
- ٥٧١ ..... لا بدّ من ملاحقة العدو: .....
- ٥٧٢ ..... حمراء الأسد «٣»: .....
- ٥٧٣ ..... لا يخدع مؤمن مرتين: .....
- ٥٧٤ ..... ميلاد الامام الحسن السبط: .....
- ٥٧٤ ..... حوادث السنة الرابعة من الهجرة ٣٣ ..... حوادث السنة الرابعة من الهجرة ٣٣
- ٥٧٤ ..... فاجعة فريق المبلّغين «١» ..... فاجعة فريق المبلّغين «١»
- ٥٧٤ ..... اشارة ..... اشارة
- ٥٧٥ ..... خطبة ما كره للفتك بالمبلّغين: ..... خطبة ما كره للفتك بالمبلّغين:
- ٥٧٦ ..... الغدر بالدعاة الى الإسلام و قتلهم: ..... الغدر بالدعاة الى الإسلام و قتلهم:
- ٥٧٨ ..... جريمة بئر معونة: ..... جريمة بئر معونة:
- ٥٧٩ ..... كيد المستشرقين و جفاؤهم: ..... كيد المستشرقين و جفاؤهم:
- ٥٨٠ ..... المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين: ..... المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين:
- ٥٨١ ..... ٣٤ غزوة «بنى النضير» ..... ٣٤ غزوة «بنى النضير»
- ٥٨١ ..... اشارة ..... اشارة
- ٥٨٢ ..... بما ذا يجب أن تقابل هذه الجريمة؟ ..... بما ذا يجب أن تقابل هذه الجريمة؟

- ٥٨٣ ..... المستشرقون و دموع التماسيح:
- ٥٨٣ ..... دور حزب النفاق أيضا:
- ٥٨٥ ..... مزارع بنى النضير تقسم بين المهاجرين فقط:
- ٥٨٦ ..... ٣٥ تحريم الخمر ذات الرقاع، بدر الصغرى
- ٥٨٦ ..... ١- تحريم الخمر:
- ٥٨٦ ..... اشارة
- ٥٨٩ ..... وقفه عند «البيان الشافى»:
- ٥٩٠ ..... رواية مختلفة:
- ٥٩٢ ..... غزوة ذات الرقاع:
- ٥٩٢ ..... اشارة
- ٥٩٣ ..... مواقف خالدة فى هذه الغزوة:
- ٥٩٣ ..... اشارة
- ٥٩٣ ..... الحراس الصامدون:
- ٥٩٤ ..... بدر الثانية:
- ٥٩٤ ..... اشارة
- ٥٩٥ ..... ولادة السبط الأصغر لرسول الله:
- ٥٩٥ ..... حوادث السنة الخامسة من الهجرة «١»:
- ٥٩٥ ..... ٣٦ من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة
- ٥٩٥ ..... اشارة
- ٥٩٦ ..... من هو زيد بن حارثة؟
- ٥٩٦ ..... زيد يتزوج بابنة عمه النبى:
- ٥٩٧ ..... زيد يطلق زوجته:
- ٥٩٨ ..... زواج النبى بمطلقة متبناه لابطال سنة جاهلية اخرى:
- ٥٩٨ ..... اشارة

- ٥٩٩ ..... المستشرقون و قضية تزوج النبي بزيب:
- ٥٩٩ ..... اشارة
- ٦٠١ ..... و إليك أدلتنا:
- ٦٠٢ ..... توضيح عبارتين:
- ٦٠٥ ..... ٢- غزوة الخندق (الأحزاب):
- ٦٠٥ ..... اشارة
- ٦٠٧ ..... استخبارات المسلمين ترفع تقريراً للقيادة:
- ٦٠٨ ..... القولة النبوية الخالدة في شأن سلمان:
- ٦٠٩ ..... مقاتلوا العرب و اليهود يحاصرون المدينة:
- ٦٠٩ ..... العدد الدقيق لقوات الطرفين:
- ٦١٠ ..... خطر البرد، و تناقص الغذاء و العلف:
- ٦١٠ ..... حبي بن أخطب يدخل حصن بني قريظة:
- ٦١١ ..... النبي يعرف بنقض بني قريظة للعهد:
- ٦١٢ ..... تجاوزات بني قريظة الاولية:
- ٦١٣ ..... الإيمان في مواجهة الكفر:
- ٦١٤ ..... أبطال من العرب يعبرون الخندق:
- ٦١٦ ..... تصاول البطالين:
- ٦١٧ ..... قيمة هذه الضربة:
- ٦١٧ ..... لما ذا التنكر لهذا الموقف؟
- ٦١٨ ..... مروءة علي عليه السلام و شهامته:
- ٦١٩ ..... جيش العرب يتفرق في موقفه:
- ٦٢٠ ..... العوامل التي فرقت كلمة «الاحزاب»:
- ٦٢١ ..... مبعوثو قريش يمشون إلى بني قريظة:
- ٦٢٢ ..... آخر العوامل لهزيمة الكفار:

- ٦٢٢ ..... القرآن الكريم و معركة الاحزاب
- ٦٢٤ ..... ٣٨ سقوط آخر أوكار الفساد و المؤامرة
- ٦٢٥ ..... اشارة
- ٦٢٥ ..... قوات الاسلام تحاصر بنى قريظة:
- ٦٢٦ ..... اليهود يتشاورون حول الموقف:
- ٦٢٧ ..... خيانة أبى لبابة:
- ٦٢٩ ..... إلى أى مدى ذهب الطابور الخامس فى مشاغبته؟
- ٦٣٠ ..... تقييم ما استند إليه سعد فى حكمه:
- ٦٣٢ ..... حوادث السنة السادسة من الهجرة
- ٦٣٢ ..... ٣٩ أعداء الاسلام تحت المراقبة المشددة «١»
- ٦٣٣ ..... اشارة
- ٦٣٤ ..... أهل الرأى من قريش يهاجرون الى الحبشة:
- ٦٣٤ ..... الوقاية من تكرار التجارب المرة:
- ٦٣٦ ..... النذر غير المشروع
- ٦٣٦ ..... ٤٠ تمرد بنى المصطلق
- ٦٣٦ ..... اشارة
- ٦٣٧ ..... غزوة بنى المصطلق:
- ٦٣٨ ..... منافق حاول إشعال الموقف:
- ٦٤٠ ..... صراع بين الايمان و العاطفة:
- ٦٤١ ..... الزواج المبارك:
- ٦٤٢ ..... الفاسق يفتضح:
- ٦٤٢ ..... ٤١ قصة الإفك
- ٦٤٢ ..... اشارة
- ٦٤٣ ..... المنافقون يتهمون شخصا نقي الجيب:

- ٦٤٣ ..... اشارة
- ٦٤٤ ..... دراسة القول الأول: .....
- ٦٤٥ ..... أبرز النقاط فى آيات «الإفك»:
- ٦٤٥ ..... الزوائد فى هذه القصة: .....
- ٦٤٥ ..... اشارة
- ٦٤٥ ..... ١- منافاتها لمقام النبوة و العصمة صلى الله عليه و آله: .....
- ٦٤٦ ..... ٢- سعد بن معاذ توفى قبل حادثه «الإفك»: .....
- ٦٤٨ ..... الرواية الاخرى فى سبب النزول: .....
- ٦٤٨ ..... ٤٢ رحلة سياسيه دينيه [قصة الحديدية] .....
- ٦٤٩ ..... اشارة
- ٦٥١ ..... مندوبو قريش عند النبي صلى الله عليه و آله: .....
- ٦٥٢ ..... رسول الله يبعث مندوبا الى قريش: .....
- ٦٥٣ ..... النبي يبعث سفيرا آخر الى قريش: .....
- ٦٥٤ ..... بيعه الرضوان: .....
- ٦٥٥ ..... سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله: .....
- ٦٥٦ ..... التاريخ يعيد نفسه: .....
- ٦٥٧ ..... نص صلح الحديدية: .....
- ٦٥٨ ..... نشيد الحرية: .....
- ٦٥٩ ..... آخر الجهود للحفاظ على عمليه الصلح: .....
- ٦٥٩ ..... و القصة التالية تشهد بما نقول: .....
- ٦٦٠ ..... تقييم عاجل لصلح الحديدية: .....
- ٦٦٢ ..... قريش تصرّ على إلغاء أحد بنود المعاهدة: .....
- ٦٦٤ ..... النساء المسلمات لا يسلمن إلى قريش: .....
- ٦٦٤ ..... حوادث السنة السابعة من الهجرة .....

- ٤٣ النبي يعلن عن رسالته العالمية ..... ٦٦٤
- اشارة ..... ٦٦٤
- الرسالة المحمدية كانت عالمية: «١» ..... ٦٦٥
- اشارة ..... ٦٦٥
- آيات تدل على عالمية الرسالة المحمدية: ..... ٦٦٦
- رسل الاسلام الى المناطق النائية: ..... ٦٦٧
- اشارة ..... ٦٦٧
- أوضاع العالم أيام إبلاغ الرسالة العالمية: ..... ٦٦٨
- رسول النبي صلى الله عليه و آله في أرض الروم: ..... ٦٦٨
- اشارة ..... ٦٦٨
- قيصر يحقّق حول النبي: ..... ٦٦٩
- أثر رسالة النبي إلى قيصر: ..... ٦٧١
- سفير النبي في البلاط الإيراني: ..... ٦٧٢
- اشارة ..... ٦٧٢
- نظرية اليعقوبي: ..... ٦٧٣
- أوامر «خسرو» إلى واليه على اليمن: ..... ٦٧٣
- سفير النبي في أرض مصر: ..... ٦٧٥
- اشارة ..... ٦٧٥
- المقوقس يكتب كتابا الى النبي: ..... ٦٧٧
- المغيرة بن شعبه في البلاط المصري: ..... ٦٧٧
- سفير النبي صلى الله عليه و آله في أرض الذكريات «الحبشة»: ..... ٦٧٨
- اشارة ..... ٦٧٨
- محاورة سفير النبي و حاكم الحبشة: ..... ٦٨٠
- رسالة النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه و آله: ..... ٦٨٠

- ٦٨١ ..... تقييم سريع لمراسلة النبي صلى الله عليه و آله قادة العالم:
- ٦٨٢ ..... كتاب رسول الله الى أمير الغساسنة (بالشام):
- ٦٨٣ ..... سادس السفراء في أرض اليمن:
- ٦٨٤ ..... رسائل اخرى لرسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٦٨٥ ..... ٤٤ قلعة خيبر أو بؤرة الخطر [غزوة خيبر]
- ٦٨٥ ..... اشاره
- ٦٨٧ ..... احتلال النقاط و الطرق الحساسه ليلا:
- ٦٨٨ ..... متاريس اليهود تتهاوى:
- ٦٨٩ ..... التقوى في ظروف المخمصة الشديدة:
- ٦٩١ ..... فتح الحصون الواحد تلو الآخر:
- ٦٩٢ ..... الانتصار الكبير في خيبر:
- ٦٩٤ ..... تحريف الحقائق:
- ٦٩٥ ..... ثلاث نقاط مشرقة في حياة على عليه السلام:
- ٦٩٦ ..... عوامل الانتصار:
- ٦٩٦ ..... اشارة
- ٦٩٧ ..... ١- التخطيط و التكتيك العسكري الدقيق:
- ٦٩٧ ..... ٢- تحصيل المعلومات حول العدو:
- ٦٩٨ ..... ٣- تفاني امير المؤمنين:
- ٦٩٩ ..... الرحمة في ساحة القتال:
- ٦٩٩ ..... مصرع كنانة بن الربيع:
- ٦٩٩ ..... تقسيم غنائم الحرب:
- ٧٠٠ ..... قافلة من أرض الذكريات:
- ٧٠١ ..... حجم الخسائر و عدد القتلى:
- ٧٠١ ..... العفو بعد الانتصار:

- ٧٠٣ ..... سلوك اليهود المتعجرف:
- ٧٠٥ ..... حيلة مجازة:
- ٧٠٦ ..... ٤٥ قصة فذك
- ٧٠٦ ..... اشارة
- ٧٠٦ ..... حكم الاراضى المفتوحة بلا قتال:
- ٧٠٨ ..... قصة فذك بعد رسول الله صلى الله عليه و آله:
- ٧١٠ ..... فذك فى محكمة التاريخ:
- ٧١٠ ..... السيطرة على وادى القرى:
- ٧١١ ..... ٤٦ عمرة القضاء «١»
- ٧١١ ..... اشارة
- ٧١٢ ..... النبى يدخل مكة:
- ٧١٤ ..... النبى يغادر مكة:
- ٧١٥ ..... احداث السنة الثامنة من الهجرة
- ٧١٥ ..... ٤٧ معركة مؤتة
- ٧١٥ ..... اشارة
- ٧١٦ ..... حادثه أفجع من السابقة:
- ٧١٧ ..... خلاف حول من هو الامير الاول؟
- ٧١٩ ..... جيشا الروم و الاسلام يتواجهان:
- ٧٢٠ ..... حيرة المقاتلين المسلمين بعد مقتل القادة:
- ٧٢١ ..... الجنود يعودون الى المدينة:
- ٧٢٢ ..... اسطورة بدل التاريخ الصحيح:
- ٧٢٢ ..... النبى يبكى بشدة لمقتل جعفر:
- ٧٢٣ ..... ٤٨ غزوة ذات السلاسل
- ٧٢٣ ..... اشارة



- ٧٢٤ ..... تفاصيل هذه الغزوة: .....
- ٧٢٦ ..... الامام على ينتدب لقيادة العملية: .....
- ٧٢٦ ..... اشارة .....
- ٧٢٦ ..... عوامل انتصار الامام على في هذه الموقعة: .....
- ٧٢٧ ..... اعتراض و جواب .....
- ٧٢٨ ..... ٤٩ فتح مكة .....
- ٧٢٨ ..... اشارة .....
- ٧٢٩ ..... تفاصيل فتح مكة: .....
- ٧٣١ ..... قريش تتوجس خيفة من رد النبي: .....
- ٧٣٢ ..... جاسوس يكتشف! .....
- ٧٣٦ ..... النبي يتحرك باتجاه مكة: .....
- ٧٣٧ ..... العفو عند المقدرة: .....
- ٧٣٩ ..... تكتيك رائع لجيش الاسلام: .....
- ٧٤٠ ..... العباس يصطحب ابا سفيان إلى خيمة النبي: .....
- ٧٤٠ ..... أبو سفيان بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله: .....
- ٧٤١ ..... مكة تستسلم من دون إرافة دماء: .....
- ٧٤٣ ..... أبو سفيان يرجع إلى مكة: .....
- ٧٤٤ ..... القوات الاسلامية تدخل مكة: .....
- ٧٤٥ ..... كسر الاصنام و غسل الكعبة: .....
- ٧٤٧ ..... على عليه السلام على كتف النبي: .....
- ٧٤٨ ..... النبي يعلن عن العفو العام: .....
- ٧٤٩ ..... بلال يرفع الأذان على سطح الكعبة: .....
- ٧٤٩ ..... النبي يتحدث إلى أقاربه: .....
- ٧٥٠ ..... خطاب النبي التاريخي في المسجد الحرام: .....

- ٧٥٠ ..... اشارة
- ٧٥١ ..... ١- التفاخر بالنسب:
- ٧٥١ ..... ٢- التفاضل بالقومية العربية:
- ٧٥٢ ..... ٣- لجميع أبناء البشر لا لبعض دون بعض:
- ٧٥٢ ..... ٤- الحروب الطويلة و الاحقاد القديمة:
- ٧٥٢ ..... ٥- الاخوة الاسلامية:
- ٧٥٣ ..... معاقبة المجرمين:
- ٧٥٣ ..... اشارة
- ٧٥٣ ..... قصة عكرمة و صفوان:
- ٧٥٤ ..... ١- مبايعة النبي نساء مكة:
- ٧٥٤ ..... هدم بيوت الاصنام بمكة و ما حولها:
- ٧٥٧ ..... جرائم اخرى لخالد:
- ٧٥٨ ..... ٥٠ معركة حنين
- ٧٥٨ ..... اشارة
- ٧٥٨ ..... جيش قليل النظير:
- ٧٥٩ ..... تحصيل المعلومات العسكرية:
- ٧٦٠ ..... تجهيزات المسلمين:
- ٧٦١ ..... استقامة النبي و من ثبت من أصحابه:
- ٧٦٢ ..... غنائم الحرب:
- ٧٦٢ ..... لقطتان من الخلق النبوى العظيم:
- ٧٦٣ ..... ٥١ غزوة الطائف
- ٧٦٣ ..... اشارة
- ٧٦٤ ..... شذخ جدار الحصن بالمنجنيق:
- ٧٦٥ ..... ضغوط اقتصادية و نفسية:

- ٧٦٥ ..... آخر محاولة لفتح حصن الطائف:
- ٧٦٦ ..... جيش الاسلام يعود الى المدينة:
- ٧٦٧ ..... حوادث ما بعد الحرب:
- ٧٦٧ ..... اشارة
- ٧٦٩ ..... ٢- اسلام مالك بن عوف:
- ٧٧٠ ..... ٣- تقسيم الغنائم:
- ٧٧٢ ..... رسول الله يعتمر:
- ٧٧٢ ..... ٥٢ لامية كعب بن زهير المعروفة «بانة سعاد ...»
- ٧٧٢ ..... اشارة
- ٧٧٣ ..... قصة كعب بن زهير بن أبي سلمى:
- ٧٧٥ ..... حزن قارن فرحا:
- ٧٧٥ ..... حوادث السنة التاسعة من الهجرة
- ٧٧٥ ..... ٥٣ على بن أبي طالب في أرض طي (٢) إسلام عدى بن حاتم:
- ٧٧٥ ..... اشارة
- ٧٧٧ ..... هدم بيوت الاصنام:
- ٧٧٨ ..... على في أرض طي:
- ٧٨٠ ..... ٥٤ غزوة تبوك
- ٧٨٠ ..... اشارة
- ٧٨١ ..... تعبئة المقاتلين و تهيئة نفقات الحرب:
- ٧٨١ ..... المتخلفون عن القتال:
- ٧٨٢ ..... اكتشاف شبكة جاسوسية في المدينة:
- ٧٨٣ ..... عدم مشاركة «علي» في غزوة تبوك:
- ٧٨٤ ..... جيش الاسلام يتحرك نحو تبوك:
- ٧٨٥ ..... النبي صلى الله عليه و آله يستعرض جيشه:

- ٧٨٥ ..... قصة مالك بن قيس:
- ٧٨٦ ..... مصاعب الطريق:
- ٧٨٧ ..... تعليمات احتياطية:
- ٧٨٧ ..... علم رسول الله بالمغيبات:
- ٧٨٨ ..... إخباره بمغيب آخر:
- ٧٨٩ ..... جيش الإسلام في أرض تبوك:
- ٧٩١ ..... بعث خالد إلى دومة الجندل:
- ٧٩٢ ..... تقييم إجمالي لغزوة تبوك:
- ٧٩٢ ..... المنافقون يخططون لاغتيال النبي:
- ٧٩٣ ..... النية تقوم مقام العمل:
- ٧٩٤ ..... أخذ المتخلفين بالعقاب النفس:
- ٧٩٥ ..... قصة مسجد الضرار:
- ٧٩٧ ..... ٥٥ وفد ثقيف في المدينة:
- ٧٩٧ ..... اشارة:
- ٧٩٧ ..... وقوع الفرقة و الاختلاف في قبيلة ثقيف:
- ٧٩٨ ..... وفد ثقيف:
- ٧٩٩ ..... شروط وفد ثقيف:
- ٨٠٠ ..... ٥٦ إعلان البراءة من المشركين في منى:
- ٨٠٠ ..... اشارة:
- ٨٠٣ ..... تعصب بغيض في تحليل هذا الحدث:
- ٨٠٤ ..... حوادث السنة العاشرة من الهجرة:
- ٨٠٤ ..... ٥٧ في رثاء الولد العزيز:
- ٨٠٤ ..... اشارة:
- ٨٠٦ ..... اعتراض غير وجيه:

- ٨٠٦ ..... مكافحة الخرافات:
- ٨٠٧ ..... ٥٨ وفد نجران فى المدينة
- ٨٠٧ ..... اشارة
- ٨٠٩ ..... مفاوضات وفد نجران مع النبى:
- ٨١٠ ..... خروج النبى للمباهلة:
- ٨١١ ..... انصراف وفد نجران عن المباهلة:
- ٨١١ ..... صورة العهد النبوى لأهل نجران:
- ٨١٢ ..... اكبر فضيلة:
- ٨١٣ ..... ٥٩ تاريخ المباهلة عاما و شهرا و يوما
- ٨١٣ ..... اشارة
- ٨١٣ ..... عام المباهلة حسب المشهور:
- ٨١٣ ..... الشهر و اليوم الذى وقعت فيه المباهلة:
- ٨١٤ ..... رأينا حول عام المباهلة:
- ٨١٥ ..... زمن المباهلة يوما و شهرا:
- ٨١٨ ..... هل كانت قضية المباهلة فى السنة التاسعة؟
- ٨١٩ ..... ٦٠ ١- تقييم البراءة من المشركين ٢- وفود القبائل فى المدينة
- ٨١٩ ..... اشارة
- ٨٢٠ ..... محاولة اغتيال النبى:
- ٨٢١ ..... أمير المؤمنين فى ربوع اليمن:
- ٨٢٢ ..... ٦١ حجة الوداع
- ٨٢٢ ..... اشارة
- ٨٢٤ ..... الامام على يعود من اليمن:
- ٨٢٥ ..... مراسم الحج تبدأ:
- ٨٢٦ ..... خطاب النبى التاريخى فى حجة الوداع:

- ٨٢٨ ..... ٦٢ إكمال الدين الإسلامى بتعيين الخليفة
- ٨٢٨ ..... اشارة
- ٨٢٩ ..... اقتضاء المحاسبات الاجتماعية فى مسألة الخلافة:
- ٨٣٠ ..... اشارة
- ٨٣٢ ..... ١- النبوة و الامامة توأمان:
- ٨٣٢ ..... ٢- قصة الغدير:
- ٨٣٢ ..... اشارة
- ٨٣٤ ..... واقعة الغدير خالدة الى الأبد:
- ٨٣٥ ..... الدلائل الاخرى على أبدية الغدير:
- ٨٣٧ ..... ٦٣ (١) ١- المتنبئون كذبا «١» [أدعاء النبوة] ٢- التفكير فى أمر الروم
- ٨٣٧ ..... اشارة
- ٨٣٩ ..... لمحمة عابرة عن هوية مسيلمة:
- ٨٣٩ ..... التفكير فى أمر الروم:
- ٨٤٢ ..... الاعذار غير المقبولة:
- ٨٤٣ ..... الاستغفار لأهل البقيع:
- ٨٤٤ ..... حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة
- ٨٤٤ ..... ٦٤ الكتاب الذى لم يكتب
- ٨٤٤ ..... اشارة
- ٨٤٥ ..... ايتونى بقلم و قرطاس:
- ٨٤٧ ..... ما ذا كان الهدف من الكتاب؟
- ٨٤٨ ..... لما ذا لم يصّر النبى فى كتابة الكتاب؟
- ٨٤٨ ..... ملافاء الأمر و تداركه:
- ٨٤٩ ..... تقسيم الدنانير:
- ٨٥٠ ..... غضب النبى من الدواء الذى سقى:

- ٨٥٠ ..... وداع النبي مع أهله:
- ٨٥١ ..... ٦٥ اللحظات الأخيرة
- ٨٥١ ..... اشارة
- ٨٥٢ ..... النبي يتحدث مع ابنته الزهراء:
- ٨٥٣ ..... مسواك النبي قبيل وفاته:
- ٨٥٣ ..... وصايا النبي صلى الله عليه و آله قبيل رحيله:
- ٨٥٤ ..... يوم الوفاء:
- ٨٥٥ ..... الفهارس
- ٨٥٦ ..... اشارة
- ٨٥٦ ..... (١) فهرس الآيات القرآنية
- ٨٦٠ ..... (٢) فهرس الأحاديث الشريفة
- ٨٦٨ ..... (٣) فهرس الأشعار
- ٨٦٩ ..... (٤) فهرس الأعلام
- ٨٨٣ ..... (٥) فهرس القبائل و الامم
- ٨٨٦ ..... (٦) الكنى و الألقاب
- ٨٨٩ ..... (٧) فهرس الوقائع و الايام
- ٨٩٠ ..... (٨) فهرس الأماكن و البلدان
- ٨٩٤ ..... (٩) فهرس المذاهب و الأدبان و نظم الحكم
- ٨٩٥ ..... (١٠) فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا
- ٨٩٦ ..... (١١) فهرس المصادر
- ٩٠٢ ..... (١٢) فهرس المواضيع
- ٩١٢ ..... تعريف مركز القائمية باصفهان للتمريات الكمبيوترية

## سيد المرسلين صلى الله عليه وآله

## إشارة

- سرشناسه : سبحانى تبريزى، جعفر، ١٣٠٨ -  
 عنوان و نام پديد آور : سيد المرسلين صلى الله عليه وآله / تاليف جعفر سبحانى.  
 مشخصات نشر : [قم]: الجماعه المدرسين فى الحوزه العلميه بقم، موسسه النشر الاسلامى، ١٤١٢ق = ١٣٧٠ -  
 فروست : موسسه النشر الاسلامى التابعه لجماعه المدرسين بقم المشرفه؛ ٣٩٠، ٣٩١.  
 شابك : دوره ٠-٣٩٦-٤٧٠-٩٦٤ ؛ ٢٨٠٠٠ ريال. ج. ٨١-٧١٦-٤٧٠-٩٦٤ ؛ ٤٥٠٠٠ ريال (ج. ١، چاپ دوم)  
 وضعيت فهرست نويسى : فيبا  
 يادداشت : ج. ١ (چاپ دوم: ١٤٢٧ق. = ١٣٨٥).  
 يادداشت : كتابنامه.  
 شناسه افزوده : جامعه مدرسین حوزه علمیه قم. دفتر انتشارات اسلامی  
 رده بندى كنكره : BP٢٢/٩/س٢س ٩ ١٣٧٠  
 رده بندى ديويى : ٢٩٧/٩٣  
 شماره كتابشناسى ملى : م ٧١-١١٤٦

## الجزء الاول

## [المقدمات]

## [مقدمة الناشر]

بسم الله الرحمن الرحيم لم تزل السيرة المحمدية العطرة في جميع أبعادها موضع اهتمام الامة الاسلامية من لدن بزوغ فجر الاسلام العظيم، و منذ الأيام الأولى من البعث النبوية الشريفه.  
 و لا- غرو فقد كان الرسول الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله يجسد بسيرته المثلى قيم الدين و يمثل بأخلاقه السامية أخلاق القرآن، و يعكس بمواقفه الرشيدة و بإدارته الحكيمه لشؤون الامه طريقتة الاسلام فى إداره دفه الحياة.  
 هذا مضافا إلى أنه كان القدوة التى أمر الله تعالى المسلمين بالاعتداء بها، و اقتفاء أثرها، كما أنه كان الظاهرة الفريدة الباهرة فى الأدب الرفيع و الانسانية الشفافة و العاطفة الصادقة و الرحمة و اللطف، و غيرها ممّا كانت تفتقر بيئته ظهور الاسلام الاولى إليه و تتعطش إلى مثله.  
 من هنا أخذ المسلمون يهتمون بكل حركات الرسول صلى الله عليه وآله و سكناته، و يتأملون فى جميع أعماله و تصرفاته فاذا رأوا منه خلقا بادروا إلى تكراره فى سلوكهم، و اذا شاهدوا منه عملا أسرعوا إلى فعله فى حياتهم، و عمدوا فى المال إلى تسجيل كل صغيرة و كبيرة فى هذا المجال، و ضبط كل دقيقة و جليلة فى هذا الصعيد.  
 و فعلا كانت هذه السيرة الطيبة العطرة المقدسة هى المنهج العملى للمسلمين، و هى سرّ تقدّمهم، و هى رمز عظمتهم و سموهم، و علوّ شأنهم و شأوهم.



ولا تزال هذه السيرة المشرفة اليوم قادرة على أن تكون ضوء المسيرة، و مشعل الطريق، و منهج العمل و مفتاح الانتصار في معرقتنا ضد قوى الشرّ و الطغيان.

و حيث إن امورا أفحمت في هذه السيرة، كما أن تطور الزمن و كيفية الدراسات اقتضيا إخراج دراسات في مجال السيرة تتناول البعد الذاتى و الرسالى و السياسى و القيادى و العسكرى لسيد المرسلين صلى الله عليه و آله بالتحقيق و التحليل، و تتناسب مع حاجة العصر و لغته، لهذا رأت مؤسسة النشر الإسلامى أن تقدّم للجيل الحاضر خاصة و للمسلمين عامة هذه الدراسة القيامة في سيرة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و آله لا تسأمها بكثير من هذه المواصفات.

و الدراسة هي مجموعة محاضرات للاستاذ المحقق الشيخ جعفر السبحانى الذى عرف في الأوساط الاسلاميه بتحقيقاته العميقة في الكتاب و السنّة و العقيدة و التاريخ.

و في الوقت الذى تقوم به المؤسسة- و لله الحمد- بطبع هذه الدراسة القيامة و نشرها بعد مقابلتها تقدّم جزيل شكرها و امتنانها لسماحة الاستاذ الألمعى الشيخ جعفر الهادى لما بذله من جهود و افره من تعريبها و استخراج النصوص من مصادرها سائله الله سبحانه له و لسماحة الشيخ المحاضر و لها المزيد من التوفيق، كما و تدعو المولى عزّ و علا أن يتقبّل منا جميعا و أن تشملنا شفاعه الرسول الأعظم و آله الأطهار عليهم السلام في يوم الحشر إنه خير موقّق و معين.

مؤسسة النشر الاسلامى

التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥

### [مقدمة المترجم]

## السيرة المحمدية مدرسة الأجيال

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» القرآن الكريم

النبي الأكرم «محمد» صلى الله عليه و آله اسوة للمسلمين ... اسوة يقتدون بها في جميع مناحى حياتهم: الفردية و الاجتماعية، و السياسية ... اسوة إلى الأبد ... في كل زمان و مكان، في كل عصر و مصر، لجميع المسلمين من كل لون و لغة.

و لكن كيف يتأسى المسلمون- في مختلف الأجيال و الأدوار- برسول الله صلى الله عليه و آله، و كيف يقتدون بسيرته المثلى، و يهتدون بهديه العظيم؟

إنّ هذا لا يتسنّى إلّا إذا كانت حياة رسول الإسلام بجميع خصوصياتها، و تفاصيلها، و في جميع مجالاتها و نواحيها، مدوّنة مسجلة، بل و محلّلة تحليلا دقيقا و عميقا.

من هنا فان الضرورة تقضى بوجود تاريخ مدوّن، مشفوع بالتحليل الدقيق، و الدراسة الموضوعية لشخصية و سيرة سيد المرسلين صلى الله عليه و آله في كافة مجالاتها الشخصية و الرسالية و السياسية و العسكrière.

حقا إن في حياة رسول الإسلام العظيم «محمد بن عبد الله» صلى الله عليه و آله- كما هو واضح لمن تتبع و تصفح- امورا دقيقة، و لكن بالغة العظمة في مداليلها و معانيها، بالغة الأهمية في معطياتها و دروسها.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦

فرسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سلم هو خاتم الأنبياء، و رسالته و شريعته خاتمة الرسالات و الشرائع و نهضته هي النهضة الكبرى التى مهّد لها الأنبياء السابقون، و قد فتحت هذه النهضة الالهية صفحة جديدة في حياة البشرية، و غيرت مسار التاريخ الإنسانى

تغييرا جذريا، وأسست حضارة كبرى لا تزال أواجهها- رغم مرور أربعة عشر قرنا- حية نابضة، فاعله، تهز الضمائر، و تتفاعل مع العقول.

ولهذا فإن السيرة المحمدية مشحونة بالمناهج و الدروس، زاخرة بالبصائر و العبر، بقدر ما هي مليئة بالدقائق و الحقائق، و اللطائف و الاسرار.

حقا إن حياة النبي صلى الله عليه وآله بحاجة إلى تعمق جديد كلما تجدد الزمن، و كلما تقدمت العلوم و المعارف، و تطورات الحياة، و انفتحت أمام البشرية آفاق جديدة في شتى الأصعدة و المجالات.

و لا شك أن هذه المهمة ليست عملا بسيطا و مهمة سهلة، و خاصة مع ما عليه الكثير من المصادر التاريخية الأولى من تصحيف او تحريف او تشويه للحقائق، او تغيير للامور.

فان هذه المهمة تحتاج- في ما تحتاج إليه- إلى ثلاثة أشياء أساسية:

١- عقلية متفتحة، متدبرة، نافذة متأنية.

٢- جهود كبيرة، و تتبع واسع، و تمييز للصحيح عن السقيم، و الدخيل عن الاصيل.

٣- معرفة بجوانب تتصل بالسيرة المحمدية اتصالا وثيقا كالمعرفة بمكانه سيد المرسلين صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم. فمع توفر هذه الشروط يمكن الحصول على صورة نقيّة، و مفيدة للسيرة المحمدية المباركة، صورة تتفق مع روح القرآن، و تلتقى مع الواقع، و تصلح للاتساء، و الاقتداء، و الاهتداء و الاقتفاء.

و لقد توفرت هذه الشروط- و لله الحمد- في استاذنا العلامة الحجة المحقق سماحة الشيخ جعفر السبحاني، حفظه الله.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٧

فهو المعروف بسلسلته القرآنية «مفاهيم القرآن» التي تكشف عن إحاطة كبيرة بكتاب الله العزيز، و إمام قليل النظر بمفاهيمه.

كما عرف بأعماله الفكرية الناضجة المتنوعة الكاشفة عن عقلية متفتحة، و اعية و معاصرة.

ولهذا كان خير من قام في عصرنا الحاضر بدراسة السيرة المحمدية الطاهرة العبقية، فكان هذا العمل التاريخي المبارك الذي توفرت فيه المستلزمات الثلاثة الأنفة الذكر: العقلية المتفتحة، و المعرفة الواسعة بالقرآن الكريم و خاصة في ما يتصل بالرسول الأكرم، إلى جانب التتبع الواسع و الاستقصاء الكبير لمواقع العبرة و الاسوة في حياة خاتم الأنبياء و سيد المرسلين.

و لا أجدني- في هذا التقديم العابر- بحاجة إلى ذكر نقاط القوة الكثيرة في هذه الدراسة المستوعبة لشخصية و حياة رسول الإسلام، بل أرى أن يحاول القارئ الكريم بنفسه الاطلاع على ذلك حتى لا يفوته شيء مما لا يفوت، و سيقف بنفسه أيضا على جسامه ما بذل في هذه الدراسة من جهد، و روعة ما ضمنت من تحليل، و أهمية ما احتوته من حقائق.

و في الختام أسأل الله العلي القدير ان يتقبل منا جميعا هذا الجهد، و يجعله ذخرا ليوم لا ينفع فيه مال و لا بنون، انه خير معين.

قم جعفر الهادي ٣٠ شعبان ١٤٠٩ هجرية

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٩

## مقدمة المحاضر

## التاريخ في أعظم حماساته

\* مختبر «الحياة» العظيم.

\* «لقد عمّرت مع أولهم الى آخرهم!».

\* حياة العظماء، و الخالدين.

\* عند ما يلتقى العالم الحاضر بالعالم الغابر.

\* التاريخ بين التسجيل

\* أخطاء المستشرقين العجيبة.

(١) يحاول الإنسان دائما أن ينظر إلى كل قضيه من القضايا من نافذة الحس، و إن يدرسها من خلال المنظار الحسى المادى، لأنّ أوثق المعلومات لديه هى تلك التى تتألف من هذه «المعلومات الحسية» و لهذا فإن المسائل التى تحظى بأدلة حسيّة أكثر تكسب فى العادة قسطا أكبر من ثقة الانسان، و تصديقه.

و على هذا الاساس عمد العالم اليوم الى تأسيس آلاف المختبرات الضخمة للتحقيق فى شتى القضايا العلمية، و يعكف العلماء فى هذه المختبرات على دراسه و تحليل الامور المتنوعه بأسلوب خاص و طريقه معينه.

و لكن هل يمكن - ترى - أن تدخل المسائل و القضايا الاجتماعيه فى نطاق التجربة المختبريه، و تخضع للمجهر و الميكروسكوب، ليتمكن الحكم فى هذه المجالات من خلال ذلك؟!!

فمثلا؛ هل يمكن أن نعرف عن طريق التجارب المختبريه ما يؤدى إليه

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٠

الاختلاف و التشرذم فى المجتمع الواحد، و ما يصيب شعبا من الشعوب أو أمه من الامم من هذا الطريق؟

أم هل يمكن تقييم ما تنتهى إليه جهود المستعمرين، أو ما يؤول إليه الظلم و الحيف، من خلال تجربه حسيه؟

أم هل يمكن الوقوف على نتائج «الاختلاف الطبقي»، و «التمييز العنصرى» فى المجتمع عن طريق التجربة المختبريه؟

(١) فى الاجابه على كل هذه الاسئلة يجب أن نقول: كلا مع الاسف.

و ذلك لأنه لا توجد للقضايا الاجتماعيه - رغم أهميتها القصى - مثل هذه المختبرات، و حتى لو أمكن توفير مثل هذه المختبرات المناسبه لتحليل و تقييم و دراسه القضايا الاجتماعيه، فان إنشاءها و إيجادها يكلف نفقات باهضه، و تستدعى جهودا عظيمه.

و لكن الأمر الذى فى مقدوره أن يقلل من حجم هذا النقص إلى حد كبير هو أننا نملك اليوم شيئا يسمى ب: «تاريخ الماضين» و الذى يشرح لنا ما كان عليه البشر - أفرادا و جماعات - طوال آلاف السنين من الحياه على هذه الارض، كما و يعكس مختلف الذكريات و الخواطر عنهم، من انتصارات و هزائم.

و نجاحات و انتكاسات، و يوقفنا بالتالى على كل ما وقع فى حياه الامم و الشعوب من حوادث مره او حلوه.

إنّ التاريخ يذكر لنا: كيف وجدت الحضارات المشرقه و المدنات العظمى فى العالم، و كيف سلكت - بعد مده - طريق السقوط و الانقراض، حتى أنها قد محيت عن صفحه الوجود بالمره، و اصبحت خيرا بعد أثر، و بالتالى ما هى العوامل التى كانت وراء سياده الشعوب ثم اندحارها.

إنّ حياه الماضين و تاريخهم يحتفظ لنا فى صفحاته بقسط كبير و مهمّ جدا من هذه الحوادث، و لهذا صح أن يقال: «التاريخ مختبر الحياه العظيم»، فبمعونه التاريخ يمكن تقييم مختلف القضايا الاجتماعيه، و دراستها و استخلاص النتائج و العبر المفيده منها.

سيد المرسلين، ج١، ص: ١١

(١) و إنّ من حسن الحظ أننا لم نكن أول من حطّ قدمه على هذا الكوكب، فهذه الارض بسهولها و شعابها العريضه، و تلك السماء بنجومها و كواكبها الساهره شهدتا ملايين الملايين من البشر الذين سكنوا الارض من قبلنا، و شهدتا افراحهم و اتراحهم، همومهم و غمومهم، حروبهم، و مصالحتهم، و كل ما رافق و اكتنف حياتهم من حبّ و بغض و ظلمات و أنوار، و ارتقاء و هبوط، إلى غير

ذلك من شئون و شجون الحياة البشرية التي يزخر بها تاريخ الشعوب و الاقوام و الامم.

صحيح أنهم قد اختلفوا مع الكثير من أسرار حياتهم، و غابوا جميعا- أشخاصا و أسراراً- في بحر من النسيان و انسدل عليهم الستار، إلّا أن قسما ملفتا للنظر و جملة يعتد بها من تلك الامور إما أنها قد دوّنت بأيدي أصحابها، أولا تزال طبقات الارض و بطون التلال تحتفظ بها في ثناياها و طياتها، كما و لا- تزال ذات الاطلال الصامتة- في ظاهرها- تشكل أضخم متحف، و اغنى معرض، و اكبر مختبر، يعيد لنا شريط التاريخ و يحكى وقائعه و أحداثه، و يشرح رموزه و أسراره.

إنّ مطالعة تلكم الصفحات من تاريخ الامم الغابرة في الكتب، او في الاطلال العظيمة، أو في ما يعثر عليه المنقبون في بطون التلال، و ثنايا الارض تعلّمنا امورا كثيرة، و تضيف إلى عمرنا عمرا جديدا و زمنا اضافيا، لا يستهان به و ذلك بما تقدم لنا من الخبرة و العبرة، و الهدى و البصيرة.

أليست حصيلة العمر ما هي إلّا ما استفاده المرء من تجارب؟ ألا يجعل التاريخ خلاصة أفضل التجارب تحت تصرفنا؟

(٢) و لقد اشار الإمام امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام في وصية لولده الى هذه الحقيقة حيث قال:

«أى بنى! إنى و إن لم اكن عمّرت عمر من كان قبلى، فقد نظرت في أعمالهم و فكّرت في أخبارهم و سرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم بل كآتى بما انتهى إلى من امورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم» (١).

(١). نهج البلاغة، قسم الرسائل. رقم ٣١.

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٢

(١) و لكنّ المؤسف أن كتب التاريخ الموجودة الآن تعاني من نقص كبير من حيث الاشارة الى العبر و الدروس الاجتماعية المفيدة، لأن هذه المصنفات لم تدوّن لأجل هذا الغرض، و لهذا اغفل فيها- فى الاغلب- كل ما هو مؤثر فى كشف الحقائق التاريخية، و إبراز العلل الكامنة وراء الحوادث المتنوعة و الوقائع المختلفة، و بالتالى فقد تجاهلت تلك الكتب و الدراسات ما هو المفتاح الطبيعى لحلّ الرموز الكبرى فى مسيرة التاريخ البشرى، و اعتنت- بدلا عن ذلك- بالقضايا التافهة.

لقد تصدّى كثير من المؤرّخين لتدوين و تسجيل القضايا التاريخية، تارة بهدف التسلية و اخرى بدافع إبراز الفضل لأقوامهم او طوائفهم، و اظهار تفوقها على الاقوام و الطوائف الاخرى، و ثالثة بدافع الحب و البغض، او التعصب لهذا أو ذاك و لهذا عجزت هذه المؤلفات و الكتب عن حل أية مشكله، و تبديد أية حيرة، بل هى تزيد المرء ضلالا إلى ضلال، و حيرة الى حيرة!

و لكن رغم كل هذا يستطيع اولو النباهة و البصيرة، و اصحاب الفهم و التحقيق ان يتوصلوا- من خلال مطالعة هذه المؤلفات التاريخية على ما فيها من عيوب و نقائص، و مع ما فيها من أساطير عن الشعوب المختلفة- إلى ما يساعدهم على كشف الكثير من اسرار و خلفيات القضايا و الامور المتعلقة بالشعوب الماضية، تماما كما يفعل الطبيب الحاذق، او القاضى البار الذى يمكنهما من خلال الوقوف على القرائن الجزئية المتفرقة، التوصل إلى اكتشاف نوع «المرض» أو حالة «المتهم» الحقيقية، و ما يعانى منه فى واقعه النفسى.

(٢) إنّ أعظم صفحات التاريخ قيمة هى تلك التى تعكس لنا حياة العظماء و سيرة الرجال الخالدين، و تبحث عنها بصدق و امانة و موضوعية.

إنّ لحياتهم أمواجا خاصة، كما أنها زاخرة بانواع الحوادث.

لقد كانوا عظماء حقا، و كذلك كان كل ما يرتبط بهم، و من ذلك تاريخهم، إنه شىء عظيم يستحق التأمل و التدبر، فهو يتسم بلمعان يلفت الأنظار، و يخلب

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٣

الالباب و إنّه غنى بالعظات و العبر، زاخر بالبصائر و الدروس و الى درجة لا توصف.

إنهم معجزة الخليفة بلا-ريب، وإن حياتهم لهدى - في الحقيقة - ملحمة التاريخ الكبرى، و ساحة البطولات الخالدة، و مسرح الحماسات العظمى، الحية النابضة على مر العصور، و الايام.

لقد كان اولئك العظماء يعيشون في الاغلب على خط الثورات و التغييرات الاجتماعية الاول (و بعبارة أصح) كانت الثورات و التحولات الاجتماعية تجد مصداقيتها في حياتهم و تتجسد في مواقفهم، و لهذا كانوا يشكلون - في واقع الأمر - حلقة الاتصال بين الدنياوات المختلفة المتناقضة، و كانت حياتهم الحافلة بالاحداث شاهدة للألوان المختلفة و المشاهد المثيرة المتنوعة.

(١) و على رأس اولئك الرجال التاريخيين و العظماء الخالدين رسول الإسلام العظيم محمد صلى الله عليه و آله و سلم فانه لم تتسم حياة أحد - من حيث و فرة الاحداث، و عظمة الأمواج، كما اتسمت به حياته صلى الله عليه و آله و لا اتصفت شخصية بمثل ما اتصف به ذلك النبي العظيم.

فلم يستطع احد سواه أن يؤثر في بيئته، ثم في جميع العالم، و ينفذ إلى أعماق الاعماق بمثل السرعة و السعة التي حصلت له صلى الله عليه و آله.

و لم يوجد أى واحد منهم قط من مجتمعة المنحط المتخلف، حضارة بتلك العظمة و الشموخ، كما فعله رسول الإسلام صلى الله عليه و آله - و تلك حقيقة يقربها كل مؤرخى الشرق و الغرب.

إن مطالعة عميقة لسيرة و حياة هذا الإنسان العظيم، قادرة على أن تعلمنا الكثير الكثير، و أن توقفنا على مشاهد متنوعة في غاية النفع و منتهى الفائدة.

إن مشاهد عجيبة مثل الأيام الاولى من بناء الكعبة المعظمة، و استيطان اسلاف النبي الكريم «مكة» و هجوم عسكر الفيل الفاشل لهدم بيت الله المعظم، و الاحداث و الملابسات المرافقة لمولد النبي صلى الله عليه و آله.

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٤

كما و إن مشاهد محزنة مثل وفاة «عبد الله» و «آمنة» و لدى رسول الله صلى الله عليه و آله في مطلع حياته الشريفة بتلك الكيفية المؤلمة.

و مشاهد عظيمة و مهيبة و حافلة بالاسرار مثل الايام الاولى من نزول الوحي، و ما جرى في جبل «حراء» و ما تبعه من مواقف الاستقامة و المقاومة التي ابدتها و اتخذها رسول الله و اصحابه المعدودون طيلة ثلاثة عشر عاما، في سبيل نشر الدين الاسلامى في مكة، و مكافحة الوثنية و الجاهلية.

و كذا مشاهد مثيرة و ساخنة و حماسية مثل وقائع السنة الاولى من الهجرة المباركة و ما عقبها من حوادث و مواقف.

(١) و لقد ألقت حول حياة رسول الإسلام أعظم قادة البشرية على الاطلاق كتب و رسائل و دراسات كثيرة بحيث لو أتيت لنا أن نجتمعها في مكان واحد لشكلت مكتبة عظيمة و ضخمة.

و يمكن القول - بشكل قاطع - بأنه ليس ثمة من عظيم استقطب اهتمام التاريخ و المؤرخين و المفكرين العالميين الكبار، كما ليس ثمة شخصية من شخصيات العالم كتب حولها المؤلفون و الباحثون هذا القدر الهائل من المؤلفات و المصنفات، و الرسائل و الكتب، كما حصل لرسول الإسلام محمد صلى الله عليه و آله و سلم.

(٢) إلما أن أكثر هذه الكتب و المؤلفات تعانى من أحد إشكاليين: إما أن الكتاب جاء على نسق التسجيل المجرى للحوادث، أو النصوص التاريخية، من دون أن يتصدى فيه مؤلفه لتحليلها، و دراسة خلفياتها و نتائجها، و إصدار الحكم اللازم فيها، بل إن البعض قد تجنب عن بيان علل الوقائع الإسلامية و اسبابها، و ثمارها و معطياتها كذلك.

أو أن المؤلف - في بعضها الآخر - عمد إلى طائفة من الآراء الحدسية، و الاجتهادات الباطلة، العارية عن الدليل و اثبتها في مؤلفه على أنها الحكم الحق،

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥

و خلط هذه الاحكام مع بيان الحوادث، و من ثم اخرج كتابه ذاك الى الجمهور المتعطش الى تاريخ الإسلام، على أنه التاريخ المحقق، الممخّص.

(١) إن الإشكال الذى يرد على الطائفة الأولى هو: أن الهدف من التاريخ ليس هو مجرد تسجيل الحوادث التاريخية و ضبطها و تدوينها، إنما هو كتابة صفحات التاريخ، و قضاياها و أحداثها من المصادر الصحيحة الموثوق بها، و إبراز عللها و اسبابها، و ثمارها و نتائجها، و التاريخ بهذا الشكل أعظم كنز تركه الأقدمون لنا، و مثل هذا النوع من الدراسة التاريخية لم تدوّن - أو أنه قلما دوّنت - حول أعظم قادة البشر، محمد صلى الله عليه و آله فقد تجنب أكثر كتاب السيرة النبوية عن اظهار الرأى فى الحوادث، او القيام باى تحليل للوقائع، بحجة الحفاظ على اصول الحوادث و نصوصها.

(٢) فى حين أنّ هذا العذر، و هذه الحجة غير كافية لتبرير هذا الموقف، لأنه كان فى مقدور اولئك المؤرخين - للحفاظ على ما ذكروه - أن يؤلفوا نوعين من الكتب، نوعا يختص بسرد الوقائع و النصوص التاريخية على ما هى عليه من دون ابداء رأى، او تحليل و دراسة، و نوعا آخر يعنى بذكر الحوادث و القضايا التاريخية مع تحليلها و دراستها بصورة موضوعية صحيحة أو ان يتم كلا الأمرين فى كتاب واحد بأن تفرز الحوادث التاريخية عن التحليل و الرأى.

(٣) على كل حال قلما نجد بين قداماء الكتاب المسلمين من تصدى للسيرة النبوية المحمدية الطاهرة بهذه الصورة، و قلما يوجد هناك كتاب يتناول حياة خاتم الأنبياء و سيد المرسلين بالتحليل المذكور.

بل لا بدّ من القول بان السيرة النبوية الطاهرة ليست هى وحدها التى حرمت من مثل هذا النمط من التأليف و الكتابة، بل شمل هذا الحرمان أكثر الحوادث التاريخية التى وقعت على مر العصور الإسلامية فهى إدراجات فى الكتب من دون دراسة موضوعية و تقييم دقيق.

(٤) نعم إن أول من فتح هذا الطريق على وجه عامة المؤلفين و الكتاب هو:

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦

العلامة المغربى «ابن خالدون» «١» فقد أسس فى مقدمته المعروفة باسم مقدمة ابن خالدون نمط التاريخ التحليلى بنحو من الانحاء. (١) و أما الطائفة الثانية من تلك الكتب فهى و إن الفت على نمط التاريخ التحليلى و اتسمت بصفة التحقيق و الدراسة و لكن حيث ان بعضهم لم يتجشم عناء التتبع و الاستقصاء، أو أنه اعتمد فى تحليله للحوادث على المصادر غير المتقنة و غير الصحيحة، فقد تورط فى أخطاء فضيعة محيرة، و أكثر مؤلفات المستشرقين - التى لم تكتب فى الأغلب بهدف التوصل الى الحقيقة - من هذا النمط، و من هذه القماشه.

و لقد دأب فى هذه الدراسة - بعد ملاحظة هذه الاشكالات - على ان يقدم إلى القراء جهد امكانه كتابا يخلو عن عيوب و نقائص كتلا الطائفتين.

(٢)

### مزاي هذا الكتاب:

قد لا- يكون من الضرورى بيان مزاي هذا الكتاب، و استعراض امتيازاته فى مقدمته، فذلك أمر ينبغى أن يقف عليه القارئ الكريم بنفسه ضمن مطالعته لهذه الدراسة، إلّا انه إلفاتا لنظر القارئ نشير الى مزيتين هامتين هما:

(٣) أولاه: أننا عمدنا فى هذا الكتاب الى تناول و بيان الحوادث و الوقائع المهمة التى تنطوى على قدر، اكبر من الفائدة، و العبرة، و

أعرضنا صفحا عن ذكر الاحداث الجزئية، و الوقائع الصغيرة مثل الكثير من السرايا. ثم إننا أخذنا الحوادث التاريخية هذه من المصادر الأصيله، و الأولى، التي دوّنت في القرون الإسلامية المشرقة الاولى، فقد استخلصنا الحادثة من مجموعة تلك المصادر، ثم أشرنا إلى مصدر أو مصدرين من المصادر التي ذكرت الحادثة

(١) هو القاضي عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المالكي المتوفى عام ٨٠٨ هج، و مقدمته و تاريخه - على ما فيهما من أخطاء فضيعة في التحليل معدود ان من الكتب الجيدة المفيدة، و هما مبتكران في نوعهما. سيد المرسلين، ج١، ص: ١٧ بصورة اكثر تفصيلا و دقة.

و ربما يظن بعض القراء الكرام أننا اكتفينا في نقل الحوادث و الوقائع بمراجعة مصدر أو مصدرين مما ذكرناه في أقصى الصفحة (أى الهامش) في حين أن الواقع هو غير هذا، فنحن قد راجعنا حتى في نقل الحوادث الصغيرة مهما صغرت، اكثر المصادر الأصيله المعروفة، و بعد التحقق و التثبت منها لخصناها و ذكرناها في هذا الكتاب. و لو أننا أشرنا- في جميع الحوادث و الوقائع- الى جميع المصادر التي مررنا بها لاستأثر جدول المصادر بقسم كبير من صفحات هذا الكتاب، و هو أمر من شأنه أن يبعث على الملل عند القراء، فلكى لا يحسّ القراء بأى تعب أو ملل من جانب، و لأجل أن نحافظ على واثقية الكتاب و أصالة أبحاثه و إتقانها من طرف آخر اكتفينا بذكر القدر اللازم من المصادر و تجنبنا تحشيدنا بتلك الصورة المملّة.

(١) و أما المزية الثانية: فإننا أشرنا- ضمن الدراسات اللازمة- إلى الاعتراضات و الاشكالات، بل و أحيانا إلى مواطن الاساءة التي قام بها المستشرقون المغرضون و أجبنا على جميع الانتقادات و الاعتراضات غير المبرّرة و غير الصحيحة بأجوبة مقنعة و قاطعة و صحيحة، و جرّدناهم من الاسلحة التي شهروها في وجه الإسلام و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم - كما يقول المثل، و تلك حقيقة يقف عليها القارئ الكريم بنحو أجلى في محلّها.

و على هذا الاساس عمدنا إلى ذكر رأى المؤلفين الشيعة (في المسائل المختلف فيها بين المؤرخين الشيعة و المؤرخين السنة) مع ذكر المصادر و الشواهد التاريخية الواضحة و المبرهنة عليه، و أزحنا كل ما يدور حول ذلك الرأى من شبهة أو إشكال، و يستهدف إنكار صحته و حقانيته.

إننا إذ نقدّم هذه الدراسة التحليلية لشخصية و حياة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و آله إلى القراء الكرام نأمل أن يهتم بها عامّة المسلمين و خاصة المثقفين و الشباب منهم بوجه خاصّ، و يتناولوا هذه السيرة العطرة بالمطالعة المتأنية و التأمل سيد المرسلين، ج١، ص: ١٨

و التدبر، و نأمل أن يستطيع شبابنا المؤمن المتحمّس من أن يرسم خريطة حياته و حياة مجتمعه في ضوء ما يستلهمه و يستوحيه من سيرة و حياة رسول الاسلام صلى الله عليه و آله، في هذه الحقبة البالغة الخطورة. و الله وليّ التوفيق.

جعفر السبحاني ٢٦ / جمادى الآخرة / ١٣٩٢

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٩

**سيد المرسلين في ضوء القرآن الكريم**



لقد سلط القرآن الكريم الضوء على رسول الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله في آيات كثيرة تناولت بيان أسمائه ونشأته وصفاته وخصاله، وبشارات الأنبياء السابقين به وعصمته واميته ورسالته وخاتمته وجهوده العظيمة التي بذلها في سبيل ابلاغ مهمته، والخطابات الخاصة الالهية الموجهة إليه وما يتوجب على المؤمنين تجاهه في حياته وبعد وفاته، وما يتوجب عليهم تجاه أهل بيته وعترته، ولكي تكون هذه الرؤية القرآنية الشاملة الدقيقة هي القاعدة الاساسية في دراسة الشخصية و السيرة المحمدية العظيمة

آثرنا ادراج طائفة منها

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠

في مقدمه هذا الكتاب.

\* وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ. (آل عمران / ١٤٤).

\* مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ. (الفتح / ٢٩).

\* وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ. (الصف / ٦).

\* مَا وَدَّعَيْكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ وَوَدَّعَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ. (الضحى / ٨ / ٤).

\* أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ.

(الانشراح / ١ - ٤).

\* وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. (آل عمران / ٨١).

\* الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ. (الأعراف / ١٥٧).

\* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ. (البقرة / ١٤٦).

\* الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ. (الأنعام / ٢٠).

\* فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيُّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.

(الأعراف / ١٥٨).

\* هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَ آخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ. (الجمعة / ٢).

\* وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا. (النساء / ١١٣).

\* وَ مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآرْتَابِ الْمُبِطُلُونَ.

(العنكبوت / ٤٨).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١

\* أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. (العلق / ١ - ٥).

\* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ أَفَتِمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَىٰ عِنْدَ

سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ. (النجم / ٢ - ١٧).



- \* وَ لَوْ تَقَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ. (الحاقة / ٤٤-٤٧).
- \* وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَ مَا يَتَّبِعِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ. (يس / ٦٩).
- \* وَ يَقُولُونَ أِنَّا لَنَارِكُوا آلَهُتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلِينَ. (الصفات / ٣٦-٣٧).
- \* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ. (الحاقة / ٤٠).
- \* وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ. (التكوير / ٢٤).
- \* سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى. (الاعلى / ٦).
- \* فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (البقرة / ١٣٧).
- \* وَ اللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. (المائدة / ٦٧).
- \* وَ هَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا. (التوبة / ٧٤).
- \* إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ. (الحجر / ٩٥).
- \* وَ إِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَ إِذَا لَاتَتْخَذُوكَ خَلِيلًا وَ لَوْ لَا أَنْ تَبْتُنَّاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا. (الاسراء / ٧٣-٧٤).
- \* أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَ يَخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ. (الزمر / ٣٦).
- \* وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا. (الطور / ٤٨).
- \* تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (آل عمران / ١٠٨).
- \* أَثَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ. (العنكبوت / ٤٥).
- \* وَ اتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ. (الاحزاب / ٢).
- \* وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. (الشعراء / ٢١٤).
- سيد المرسلين ، ج ١ ، ص ٢٢
- \* فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ. (الحجر / ٩٤).
- \* قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. (الحج / ٤٩).
- \* وَ إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. (المؤمنون / ٧٣).
- \* تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا. (الفرقان / ١).
- \* وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا. (الفرقان / ٥٦).
- \* وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ. (الأنفال / ٣٣).
- \* لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ. (التوبة / ١٢٨).
- \* بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ. (التوبة / ١٢٨).
- \* وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ. (الأنبياء / ١٠٧).
- \* إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ. (الحج / ٦٧).
- \* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. (الشعراء / ١٩٣).
- \* إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ. (البقرة / ١١٩).
- \* كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يَزَكِّيكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ. (البقرة / ١٢٨).

(١٥١).

\* لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. (آل عمران / ١٦٤).

\* هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. (الفتح / ٢٨ - ٢٩).

\* يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.

(الاحزاب / ٤٦).

\* وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا. (سبأ / ٢٨).

\* قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. (سبأ / ٤٦).

\* فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ. (الذاريات / ٥٠).

\* وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا. (النساء / ٧٨).

\* وَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا. (النساء / ١١٣).

سيد المرسلين، ج ١، ص ٢٣:

\* إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ. (النساء / ١٦٣).

\* لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا.

(النساء / ١٦٦).

\* مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ. (الاحزاب / ٤٠).

\* قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا. (الاعراف / ١٥٨).

\* وَ لَا يَخْزِنَكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (يونس / ٦٥).

\* فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صِدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ. (هود / ١٢).

\* وَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ. (هود / ١٢٠).

\* وَ لَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُمْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ.

(الرعد / ٣٢).

\* لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ. (الحجر / ٨٨).

\* وَ لَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صِدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ. (الحجر / -).

(٩٩).

\* وَ اضْمِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ.

(النحل / - / ١٢٨).

\* فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا. (الكهف / ٦).

\* فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ. (طه / ١٣٠).

\* وَ إِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادٌ وَ ثَمُودٌ وَ قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَ قَوْمُ لُوطٍ وَ أَصْحَابُ مَدْيَنَ وَ كَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ

لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ.

(الحج / ٤٢ - ٤٤).

\* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا. (الفرقان / ٣١).

\* لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ. (الشعراء / ٣).

\* وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ. (النحل / ١٢٧).

\* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ. (الروم / ٦٠).

\* وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ. (لقمان / ٢٣).

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص ٢٤

\* وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ. (فاطر / ٤).

\* سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. (الأسراء / ١).

\* فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. (فاطر / ٨).

\* وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ. (فاطر / ٢٥).

\* فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ. (يس / ٧٦).

\* وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. (الصافات / ١٧١ - ١٧٢).

\* وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصُرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ.

(الصافات / ١٧٣ - ١٧٥).

\* وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ وَأَبْصُرْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ. (الصافات / ١٧٨ - ١٧٩).

\* فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ. (ص / ١٧).

\* أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ. (الزمر / ٣٦).

\* فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ. (المؤمن / ٥٥).

\* وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدَاهِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ. (الانعام / ٥٢).

\* وَاصْبِرْ نَفْسُكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدَاهِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا.

(الكهف / ٢٨).

\* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. (النور / ٦٢ - ٦٣).

\* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرِ نَظِيرِهَا إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص ٢٥

حِجَابٍ. ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ

عَظِيمًا. (الاحزاب / ٥٣).

\* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(الحجرات / ١-٥).

\* وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ.

(الحجرات / ٧).

\* وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ. (القلم / ٤).

\* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ. (الحجر / ٨٨).

\* وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. (الشعراء / ٢١٥).

\* لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ.

(التوبة / ١٢٩).

\* فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ.

(آل عمران / ١٥٩).

\* لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا.

(الاحزاب / ٢١).

\* قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ.

(آل عمران / ٣١).

\* فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. (النساء / ٦٥).

\* إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا.

(الاحزاب / ٥٦).

\* إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ. (الكوثر / ١-٢).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٦

\* إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا. (الاحزاب / ٣٣). «١»

(١) ولقد بحث سماحة الاستاذ العلامة المحقق الشيخ جعفر السبحاني صاحب هذه المحاضرات حول جميع هذه الآيات و نظائرها في دراسة عميقة و شاملة في الجزء السابع من موسوعته «مفاهيم القرآن».

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧

(١)

## إشارة

أو مهد الحضارة الإسلامية الجزيرة العربية هي في الحقيقة شبه جزيرة كبيرة و تقع في الجنوب الغربي من آسيا، و تبلغ مساحتها ثلاثة ملايين كيلومتر مربع، أى ضعف مساحة إيران، و ستة أضعاف فرنسا، و عشرة أضعاف إيطاليا، و ثمانين ضعف سويسرة. و يحد شبه الجزيرة- هذا الذى هو اشبه ما يكون بمستطيل غير متوازى الاضلاع- من الشمال فلسطين و صحراء الشام، و من المشرق الحيرة و دجلة و الفرات و الخليج الفارسى، و من الجنوب المحيط الهندى و خليج عمان، و من المغرب البحر الأحمر. و على هذا يحاصر هذه الجزيرة من المغرب و الجنوب البحر، و من الشمال و الشرق الصحراء، و الخليج.

(٢) و قد جرت العادة بتقسيم هذه المنطقة من القديم إلى ثلاثة اقسام:

١- القسم الشمالى و الغربى و يسمى بالحجاز.

٢- القسم المركزى و الشرقى و يسمى بصحراء العرب.

٣- القسم الجنوبى و يسمى باليمن.

و تشكل داخل شبه الجزيرة هذا صحارى كبيرة، و مناطق شاسعة رملية حارة، و غير قابلة للسكنى تقريبا، و من جملة هذه الصحارى صحراء «بادية»

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨

سماوة» التى تسمى اليوم بصحراء «النفوذ» و صحراء اخرى واسعة الاطراف تمتد إلى الخليج الفارسى يطلق عليها اليوم اسم «الربع الخالى» و قد كان يسمى قسم من هذا الصحارى سابقا بالأحقاف، و يسمى القسم الآخر بالدنهان.

(١) و على أثر هذه الصحارى تشكل ثلث مساحة شبه الجزيرة هذا أراضى خالية من الماء و العشب و غير قابلة للسكنى، اللهم إلا بعض ما يحصل من المياه، بسبب تساقط الامطار، فى قلب الصحارى فيتجمع حولها بعض القبائل العربية بعض الوقت، و يرعون فيها ابلهم و انعامهم ردحا قليلا من الزمن.

و أما حالة المناخ فى شبه الجزيرة العربية، فالهواء فى الصحارى و الأراضى المركزية (الوسطى) حار و جاف جدا، و فى السواحل مرطوب، و فى بعض النقاط معتدل، و بسبب رداءة الطقس هذه لا يتجاوز عدد سكانه خمسة عشر مليون نسمة.

(٢) و توجد فى هذه الجزيرة سلسلة جبال تمتد من الجنوب الى الشمال، و يقارب ارتفاع أعلى قممها ٢٤٧٠ مترا.

و قد كانت معادن الذهب و الفضة و الاحجار الكريمة تشكل مصادر الثروة فى شبه الجزيرة هذا منذ القديم، و كان سكانها يعتنون-

من بين الأنعام و الحيوانات- بتربية الابل و الفرس اكثر من غيرهما، و من بين الطيور بالحمام و النعامه اكثر من الطيور الاخرى.

يد أن اكبر مصدر للثروة فى الجزيرة العربية اليوم يأتى عن طريق استخراج النفط.

و تعتبر مدينة «الظهران» الذى يسميه الاوربيون بالدهران المركز النفطى الرئيسى فى هذه الجزيرة، و يقع هذا البلد فى ناحية الاحساء التى تقع فى المنطقة الشرقىة من الجزيرة العربية على حدود الخليج الفارسى.

(٣) و لكى يتعرف القارئ الكريم على الأوضاع فى شبه الجزيرة العربية هذا بنحو اكثر تفصيلا فاننا نعمد إلى شرح الاقسام الثلاثة المذكورة:

(٤) ١- «الحجاز» و هى المنطقة التى تشكل القسم الشمالى و الغربى من الجزيرة

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩

العربية و تمتد أراضيها على ساحل البحر الاحمر ابتداء من فلسطين و حتى حدود اليمن.

و الحجاز بعد هذا منطقة جبلية، و ذات صحار قاحلة، و اراض حجرية، و صخرية، يكثر فيها الحصى.

و لقد كانت هذه المنطقة- في التاريخ- أكثر شهرة من غيرها، و من المعلوم أن هذه الشهرة جاءت بسبب جملة من العوامل المعنوية و الدينية، فهي الآن تضم بين جوانحها بيت الله الحرام «الكعبة المعظمة»، قبله ملايين المسلمين، و مهوى افئدتهم. و قد كانت البقعة التي تقوم عليها بنية «الكعبة المعظمة» تحظى منذ سنوات مديدة قبل بزوغ الإسلام باحترام العرب و غيرهم، و لهذا حرّموا القتال حول الكعبة تعظيماً لها، حتى إذا جاء الإسلام أقرّ للكعبة و لما حولها، مثل ذلك الاحترام، و التعظيم أيضاً. و من أهمّ مدن الحجاز: «مكة» و «المدينة» و «الطائف»، و كان للحجاز منذ القديم ميناءان هما: ميناء «جدة» الذي يستخدمه أهل مكة، و ميناء «ينبع» الذي يستخدمه أهل المدينة، في سدّ الكثير من احتياجاتهم و يقع هذان الميناءان على ساحل «البحر الاحمر».

(١)

### مكة المعظمة:

#### إشارة

و هي من أشهر مدن العالم و أكثر المدن الحجازية سكاناً، و ترتفع عن سطح البحر بما يقارب ٣٠٠ متراً. و اذ تقع مدينة «مكة» بين سلسلتين من الجبال لذلك فانها لا ترى من بعيد، و يقطنها اليوم حوالي (١٥٠) ألفاً من السكان.

(٢)

#### تاريخ مكة:

يبدأ تاريخ «مكة المكرمة» من زمن النبي إبراهيم الخليل عليه السلام، فقد سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٠

أسكن هذا النبي ولده «اسماعيل» مع أمه «هاجر» في ارض مكة، فنشأ اسماعيل هناك، و تزوج من القبائل التي سكنت على مقربة من تلك المنطقة.

ثم إن إبراهيم عليه السلام بنى و بأمر من الله تعالى البيت الحرام «الكعبة».

و تقول بعض الروايات الصحيحة إن الكعبة بنيت على يد النبي نوح عليه السلام و أن إبراهيم عليه السلام جدّد بناءها. و هكذا نشأت و بعد هذا تأسست مدينة مكة.

و تتكون نواحي «مكة» من أراضٍ سبخة شديدة الملوحة بحيث لا تكون قابلة للزراعة اصلاً، حتى أن بعض المستشرقين يذهب إلى أنه لا يوجد أية منطقة في العالم في رداءة أوضاعها الجغرافية و المحيطية و الطبيعية مثل هذه المنطقة.

(١)

#### المدينة المنورة:

و هي مدينة تقع في شمال مكة و تبعد عنها ب: ٩٠ فرسخاً تقريباً، و تحيط بها بساتين و مزارع و نخيل و افره، و أرضها أكثر صلاحية لغرس الاشجار و الزرع.

و كانت المدينة المنورة تسمى قبل الإسلام ب «يثرب»، و بعد أن هاجر إليها رسول الإسلام صلى الله عليه وآله سُمّيت بمدينة

الرسول، ثم اطلقت عليها لفظه «المدينة» مجردة تخفيفاً.

و يحدثنا التاريخ أن العمالقة كانوا أول من سكن هذه الديار، ثم خلف العمالقة طائفة اليهود، و الأوس و الخزرج الذين سُمى المسلمون منهم بالأنصار في ما بعد.

(٢) هذا و قد سلمت الحجاز- على عكس سائر المناطق- من طمع الطامعين و غزو الغزاة و الفاتحين، و لم نشاهد فيها أى شىء من آثار حضارة الامبراطوريتين العظيمتين آنذاك قبل الإسلام: الروم و الفرس، و ذلك لأنها إذ كانت تتألف من أراض قاحلة مجدبة غير قابلة للسكنى و العيش لم تحظ باهتمام أحد من اولئك الفاتحين حتى يفكر فى تسيير العساكر، و تحييش الجيوش لفتحها ليعود بعد تحمّل آلاف المشاكل التى تستلزمها عملية الاستيلاء على أراضى تلك المنطقة

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١

خالى الوفاض صفر اليدى.

(١) و للوقوف على هذه الحقيقة اقرأ القصة التالية التى نقلها «ديودرس».

عند ما دخل ديمتريوس القائد اليونانى الكبير «بطرا» (و هى مدينة قديمة من مدن الحجاز) بهدف فتح جزيرة العرب خاطبه سكان تلك المدينة قائلين:

لما ذا تحاربنا أيها الملك ديمتريوس و نحن من سكان الصحارى التى لا تسدّ فيها خلّة، ترانا نقطن فى هذه البقاع القاحلة فرارا من العبودية. اقبل هدايانا، و ارجع الى حيث كنت، سنكون من أوفى الاصدقاء لك، و لكنك اذا رغبت فى حصرنا حرمت كل هناة، و رأيت عجزك عن اكرهنا على تبديل طرق حياتنا التى تعوّدنا منذ نعومة أظفارنا، و إذا قدرت على أسر بعضنا أيقنت أنك لن تجد واحدا ممن أسرت يستطيع أن يألف حياة غير التى ألفناها.

هنا لك رأى ديمتريوس أن يقبل هديتهم و ان يرضى بالمآب «١».

(٢) ٢- المنطقة الوسطى و الشرقية، التى تسمى ب «صحراء العرب» و منطقة «نجد» التى هى جزء من هذه المنطقة أرض مرتفعة يقوم فيها بضع قرى صغيرة معدودة.

و لقد أصبحت الرياض التى اتخذها السعوديون عاصمة لهم بعد استيلائهم من المراكز المهمة فى هذه الناحية من الجزيرة.

(٣) ٣- المنطقة الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، و التى تسمى ب «اليمن» و تمتد طولاً- من الشمال الى الجنوب حوالى (٧٥٠) كيلومترا و من الغرب الى الشرق حوالى (٤٠٠) كيلومترا.

و تقدر مساحة هذا البلد بستين الف ميل مربع تقريبا، و لكنها كانت- قبل ذلك- أوسع من هذا القدر، و قد كان قسم منها (و هو عدن) خلال النصف الاول من القرن الأخير تحت الانتداب البريطانى، و من هنا ينتهى شمالاً الى نجد، و جنوباً الى عدن، و غرباً الى البحر الأحمر و شرقاً الى صحراء الربع

(١) حضارة العرب: تأليف غوستاف لوبون ص ٩١- ٩٢ ترجمة عادل و عبتر.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٢

الخالى «١».

(١) و من مدن اليمن المعروفة مدينة «صنعا» التاريخية العريقة، و من موانئها المشهورة ميناء «الحديدة» التى تقع على البحر الأحمر. و منطقة اليمن من اكثر مناطق الجزيرة العربية خصوبة و بركة، و لها تاريخ مشرق و عريق فى المدنية و الحضارة، فقد كانت اليمن مقرا لملوك تبع، الذين حكموا اليمن سنينا مديدة و كانت اليمن قبل الإسلام مركزا تجاريا مهما، و كانت فى الحقيقة ملتقى طرق الحجاز، اشتهرت فى العصور القديمة بمعادن الذهب، و الفضة، و الحديد، و النحاس، و كانت تصدر الى خارج البلاد.



(٢) ولا تزال اثار الحضارة اليمينية القديمة باقية الى الآن.

و لقد قام أهل اليمن الاذكياء باقامة ابنىة و عمارات عالية و جميلة بهمهمهم العالية في عصور كان البشر يفقد فيها الوسائل الثقيلة، و الاجهزة المعقدة.

كان ملوك اليمن يحكمون البلاد دون أى منازع، إلا أنهم رغم ذلك لم يكونوا يمتنعون عن تنفيذ ما رسمه حكماء اليمن و رجالهم من انظمة و قوانين للحكم و ادارة البلاد آنذاك.

و لقد سبقوا الآخرين في الزراعة و الفلاحة، و قد نظموا لإحياء الأراضى و زراعتها، نظاما دقيقا للرعى طبقوا بنوده بدقة، و لهذا كانت بلادهم تعدّ - آنذاك - من البلدان الراقية المتقدمة من هذه الناحية.

(٣) فها هو «غوستاف لوبون» المؤرخ الفرنسى المعروف يكتب حول اليمن قائلا:

إن بلاد العرب السعيدة من أغنى بقاع العالم «٢».

(٤) و يكتب الادريسيّ المؤرخ المعروف الذى كان يعيش في القرن الثانى عشر حول «صنعاء» قائلا: كانت صنعاء مقر ملوك اليمن، و عاصمته جزيرة العرب، و انه كان لملوكها قصر متين شهير و كانت تشتمل على بيوت مصنوعة من الحجارة

(١) لقد انقسمت اليمن مؤخرا الى يمن شمالية و اخرى جنوبية لكل واحد منها نظام حكم خاص و حكومة خاصة.

(٢) حضارة العرب: ص ٩٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٣.

المنحوتة «١».

(١) هذه الآثار العجيبة التى عثر عليها المستشرقون و علماء الآثار فى تنقيباتهم الأخيرة تثبت حضارة عجيبة لليمن فى عصورها القديمة و ذلك فى مختلف نواحيها مثل «مأرب» و «صنعاء» و «بلقيس».

ففى مدينة مأرب (و هى مدينة سبأ المعروفة) كانت تقوم قصور ضخمة و صروح عالية ذوات أبواب و سقوف مزينة بالذهب، و كانت تحتوى على أوان و صحون من الذهب و الفضة، و أسرة كثيرة مصنوعة من المعدن و الفلز «٢».

و من آثار «مأرب» التاريخية السدّ المعروف باسم ذلك البلد و الذى لا تزال اطلاله باقية، و هو السدّ الذى تهدم بسبب السيل الذى وصفه القرآن الكريم بالكرم.

فقد جاء فى سورة سبأ الآية ١٥ - ١٩ قوله تعالى:

«لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَ اشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبُّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَ بَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَ أَثَلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ. ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ. وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيَّرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّامًا آمِنِينَ. فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَ مَرَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمْرَقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» «٣».

(١) نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق على ما فى حضارة العرب، ص ٥٥.

(٢) حضارة العرب: ص ٩٤.

(٣) للوقوف على المزيد من المعلومات عن اليمن قديما و حديثا، راجع الكتب المؤلفة حول جغرافية العالم الإسلامى.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٥.

(١)



## ٢ العرب قبل الإسلام

## إشارة

لمعرفة أوضاع العرب قبل الإسلام يمكن الرجوع الى المصادر التالية:

- ١- التوراة على ما فيها من تحريفات.
- ٢- كتابات اليونانيين و الروميين فى القرون الوسطى.
- ٣- الكتابات التاريخية التى كتبها علماء الإسلام و مؤلفوه.
- ٤- الآثار القديمة التى عثر عليها المستشرقون فى تنقيباتهم و التى استطاعت عن أن تكشف النقاب عن طائفة لا- يستهان بها من الحقائق فى هذا الصعيد.

إلا انه مع وجود كل هذه المصادر و المراجع لا تزال هناك نقاط كثيرة عن تاريخ العرب فى القرون البعيدة تعاني من الغموض. و لكن حيث أن دراسة أوضاع العرب قبل الإسلام هى من باب المقدمة فى هذا الكتاب، و الهدف الاساسى إنما هو دراسة السيرة النبوية الطاهرة، من هنا نكتفى فى هذا الفصل باستعراض النقاط الخاصة و الواضحة من حياة العرب قبيل الإسلام على اننا يمكننا أن نقف على وصف دقيق لحالة العرب خاصة قبيل بزوغ الإسلام من خلال مصدرين اسلاميين اساسيين هما:

- ١- القرآن الكريم.
  - ٢- ما ورد عن الإمام على عليه السلام فى نهج البلاغة.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦
- فقد وردت فى هذين المصدرين تصريحات و نصوص صريحة تكشف عن ما كان عليه العرب فى الجاهلية من سوء الأحوال و الاوضاع و الاخلاق فى جميع الاصعدة و الابعاد، و سنشير إلى أبرز هذه النصوص و نقف عندها بعض الشئ، و لكننا نستعرض قبل ذلك شيئاً من تاريخ العرب فى القرون البعيدة فنقول:
- (١) إن من المسلم أن شبه الجزيرة العربية كان منذ أقدم العصور موطناً لقبائل كثيرة انقرض بعضها بمرور الايام، و فى ثنايا الاحداث، بيد ان هناك ثلاث قبائل قد تشعبت عنها أفخاذ و فروع تحظى بشهرة أكثر من بين من سكنوا هذه المنطقة.
- و هذه القبائل الام هي:

(٢) ١- العرب البائدة: و إنما سميت بالبائدة لأنها أبيدت بالعذاب الالهى السماوى أو الأرضى بسبب عصيانها و تمردها، و هلكت شيئاً فشيئاً، و لم يبق على وجه الارض من نسلهم أحد!

و لعلهم كانوا هم المعينون بقوم «عاد» و «ثمود» الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم مرارا.

(٣) ٢- القحطانيون: و هم أبناء يعرب بن قحطان الذين كانوا يقطنون فى «اليمن» و سائر المناطق الجنوبية من الجزيرة العربية و يسمون بالعرب الاصلاء، و هم اليمنيون اليوم، و منهم قبائل الأوس و الخزرج و هما قبيلتان كبيرتان كانتا تقطنان المدينة المنورة إبان ظهور الإسلام.

و قد كان للقحطانيين حكومات كثيرة، كما كانت لهم جهود كبرى فى تعمير أرض اليمن و احيائها، و قد تركوا من ورائهم حضارات و مدنيات لا يستهان بها.

و توجد الآن كتابات تقرأ بصورة علمية توضح إلى حد كبير تاريخ القحطانيين و كل ما يقال عن مدنيّة العرب و حضارتهم قبل الإسلام تعود فى الحقيقة إلى هذه الطائفة و خاصة من سكن منهم ارض اليمن.

(٤) ٣- العدنانيون: و هم أبناء اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليه السلام،

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٧

و سوف يأتي ذكر جذور هذه الطبقة في الابحاث القادمة. و خلاصة ذلك: أن إبراهيم الخليل عليه السلام يسكن ولده الرضيع اسماعيل مع زوجته «هاجر» أم اسماعيل في ارض مكة، فخرج بهما إبراهيم عليه السلام من «فلسطين» و هبط بهما في ذلك الوادى العميق الخالى عن الماء و العشب «مكة» ثم ان يد العناية الالهية امتدت إلى تلك العائلة المهاجرة، و جادت عليها بعين «زمزم» الذى جلب الرواء و الحياة الى تلك المنطقة القاحلة الضامئة.

ثم تزوج اسماعيل من قبيلة «جرهم» التى خيتمت بالقرب من مكة، و اصاب من هذا الزواج عددا كبيرا من الابناء، و الاحفاد، و أحفاد الاحفاد كان من جملتهم «عدنان» الذى ينتهى نسه الى النبی اسماعيل عبر عدد من الآباء و الجدود.

ثم تشعبت ذرية اسماعيل الى بطون و أفخاذ، و عشائر و قبائل عديدة، كان من بينها قبيلة قريش التى حظيت بشهرة اكبر، و منها عشيرة بنى هاشم التى انحدر منها رسول الله صلى الله عليه وآله كما ستعرف ذلك بالتفصيل، عما قريب.

(١)

### أخلاق العرب و تقاليدهم العامة:

و المراد منها هو الأخلاق و الآداب الاجتماعية التى كانت سائدة فى ذلك.

المجتمع، و قد سادت بعض هذه الاخلاق و العادات و التقاليد فى المجتمع العربى عامة.

و يمكن تلخيص ما كان العرب يتمتعون به من أخلاق و صفات حسنة عامة فى ما يلى:

لقد كان العرب زمن الجاهلية و بخاصة ولد «عدنان» أسخياء بالطبع، يكرمون الضيف، و قلما يخونون فى الامانة، لا يغتفرون نقض العهود، و لا- يتهاونون مع من يتنكر للمواثيق، يضحون فى سبيل المعتقد، و يتحلون بالصراحة الكاملة، و ربما وجد فيهم من تمتع بذكاء لامع، و ذاكرة خارقة يحفظ بها الأشعار و القصائد الطوال، و الخطب المفصلة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٨

هذا الى جانب براعتهم فى فن الشعر و الخطابة بحيث لم يسبقهم فى ذلك غيرهم و الى جانب انهم كانوا مضرب المثل فى الشجاعة و الجرأة، و المهارة فى الفروسية و الرمي.

يرون الفرار و الادبار فى الحرب عارا لازما، و صفة ذميمة يلام صاحبها بسببها اشد اللوم.

(١) و لكن فى مقابل ذلك كله كانوا يعانون من مفاسد أخلاقية تغطى على كل كمال عندهم، و تنسى كل فضيلة.

و لو لا تلك الكوة المباركة التى فتحت عليهم من عالم الغيب، لطويت صفحة حياتهم الإنسانية على القطع و اليقين.

يعنى لو لم تبرز شمس الإسلام فى أواسط القرن السادس الميلادى، و لم تسطع أشعتها الباعثة على الحياة، على عقولهم و قلوبهم لما رأيت اليوم من العرب العدنانيين أى أثر، و لتكررت مقولة العرب البائدة مرة أخرى!

(٢) لقد حوّل فقدان القيادة الرشيدة، و غياب الثقافة الصحيحة حياة العرب، من جانب، و انتشار الفساد و الفحشاء من جانب آخر إلى حياة حيوانية مزريه حتى أن صفحات التاريخ تروى لنا أخبارا و قصصا مفصلة عن حروب دام بعضها خمسين عاما، و بعضها الآخر مائة عام قد نشبت بين الاطراف العربية لأسباب طفيفة و دوافع تافهة جدا.

لقد أدى عدم سيادة النظام و القانون على الحياة العربية، و عدم وجود حكومة قوية مسيطرة على الاوضاع، توقف البغاء و المتمردين عند حدودهم، إلى أن يعيش العرب- آنذاك- فى صورة القبائل الرحل، و يرحلوا فى كل سنة الى منطقة معينة من الصحراء التماسا للعشب و الماء لانفسهم و لا- نعمامهم، فاذا عثروا على ماء و عشب أو شىء من آثار الحياة نزلوا عنده، و أنزلوا رحالهم بجواره، فاذا سمعوا عن وجود مكان افضل استأنفوا رحلتهم الصحراوية التماسا لحياة اكثر بركة، و عطاء، و أوفر خصبا و أمنا.

(٣) هذه الحيرة و هذا الضياع و عدم الاستقرار كان ناتجا من أمرين:

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٩

الأول: سوء الاوضاع الجغرافية و رداءة الأحوال الطبيعية للجزيرة العربية، و خاصة من حيث الماء و المناخ و المراعى.  
و الآخر: الحروب و المصادمات الدموية الكثيرة، و اضطراب الأحوال الاجتماعية، التي كانت تلجئ جماعات كثيرة إلى التنقل الدائم و الرحيل عن الأوطان و مغادرتها، و عدم الاستقرار فى منطقة معينة.

(١)

### هل كان للعرب حضارة قبل الإسلام؟

يستنتج مؤلف كتاب «حضارة العرب» من دراسته لأوضاع العرب الجاهلية أن العرب كانوا أصحاب حضارة عريقة سبقت الإسلام بقرون.

فالقصور الصخمة التي أقاموها فى مختلف نقاط و مناطق الجزيرة العربية، و العلاقات التجارية التي كانت لهم مع أرقى شعوب الأرض، شواهد قوية على تمدنهم و حضارتهم الغابرة، لأن قوما أنشئوا لمدن العظيمة- قبل الرومان بقرون كثيرة- و كانت علاقاتهم بارقى و اكبر شعوب الأرض وثيقة، لا يمكن عددهم همجا، و شعبا بلا حضارة.

ثم إنه يستدل- فى موضع آخر من كتابه- على حضارة العرب الغابرة بآدابهم و وحدة و كمال لغتهم اذ يقول:

«و لو كان التاريخ صامتا إزاء حضارة لقطعنا- مع ذلك- بوجودها قبل ظهور «محمّد» بزمن طويل، و يكفى لتمثلها أن نذكر أنه كان للعرب آداب ناضجة و لغة راقية.»

و الحق أن الآداب و اللغة من الامور التي لا تأتى عفوا، و هي تتخذ دليلا على ماض طويل، و ينشأ عن اتصال امه بأرقى الامم اقتباسها لما عند هذه الامم الراقية من التمدن إذا كانت أهلا لذلك.»

(٢) و قد خصص المؤلف المذكور صفحات عديدة فى كتابه لإثبات حضارة عريقة و عظيمة للعرب قبل الإسلام معتمدا فى ذلك على ثلاث امور:

١- وجود لغة راقية.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٠

٢- وجود علاقات مع الامم الراقية.

٣- وجود قصور و أبنية ضخمة، و فخمة فى اليمن كما يصفها المؤرخان المسيحيان المعروفان «هيردوتس» و «ارتميدور» اللذان كانا يعيشان قبل المسيح بقرون، و قدامى المؤرخين المسلمين كالمسعودى (١).

(١) لا كلام فى أنه كانت هناك فى بعض مناطق الجزيرة العربية بعض حضارات، و لكن الأدلة التي استند إليها المؤلف المذكور لا يمكن ان تكون شاهدا و دليلا على وجود الحضارة فى جميع نقاط الجزيرة العربية أبدا.

صحيح أن تكامل اللغة يسير جنبا الى جنب مع غيره من مظاهر المدنية، و لكن لا يمكن ان نعتبر اللغة العربية لغة مستقلة و غير مرتبطة باللغات الاخرى اى العبرانية و السريانية و الآشورية و الكلدانية، لأن جميع هذه اللغات- حسب ما يؤيده و يؤكده المتخصصون فى علم اللغات- كانت ذات يوم- متحدة الأصل، و قد تشعبت من لغة واحدة، و فى هذه الحالة يحتمل أن تكون اللغة العربية قد حققت تكاملها عبر اللغة العبرانية أو الآشورية، و بعد تكاملها أصبحت لغة مستقلة، أى ان الآخرين أسهموا فى تكميلها.

(٢) كما أنه لا- شك أن وجود علاقات تجارية مع الامم و الشعوب الراقية هو الآخر دليل على الحضارة و المدنية إلا أنه هل كانت جميع مناطق الجزيرة العربية تملك مثل هذه العلاقات، أم إن اكثرها كانت محرومة من ذلك؟

هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فان وجود علاقات بين حكومتين في الحجاز و هما: «الحيرة و غسان» و بين حكومتى «الفرس» و «الروم» لا يدل أبدا على وجود حضارة في المنطقتين الحجازيتين إذ أن جميع هذه الحكومات كانت متصفة بالعمالة، فان الكثير من البلاد الافريقية هي اليوم من مستعمرات الدول الاوربية و مع ذلك لا توجد فيها أية مؤشرات و لا أية مظاهر من الحضارة الغربية الواقعية.

(١) حضارة العرب: ٧٨-١٠٠.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٤١.

(١) طبعا لا- يمكن إنكار حضارة «سبأ و مأرب اليمن» العجيبة لأنه مضافا إلى ما جاء حول هذه الحضارة في التوراة، و ما نقل عن «هيردوتس» و غيره، كتب المؤرخ المعروف «المسعودي» عن مأرب يقول: إن أرض سبأ كانت من أخصب أراضي اليمن و أثرها و أغدقها، و أكثرها جنانا و غيطانا و أفسحها مروجاً، بين بنيان و جسد مقيم و شجر موصوف و مساكب للماء متكاثفة، و أنهار متفرقة، و كانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجدد على هذه الحال، و في العرض مثل ذلك، و أن الراكب أو المار كان يسير في تلك الجنان من أولها إلى أن ينتهي الى آخرها لا يرى جهة الشمس، و لا يفارقه الظل لاستتار الارض بالعمارة و الشجر و استيلائها عليها و احاطتها بها، فكان أهلها في اطيب عيش و ارفهه، و أنها حال و ارغده، و في نهاية الخصب و طيب الهواء و صفاء الفضاء، و تدفق المياه و قوة الشوكة، و اجتماع الكلمة، و نهاية المملكة ... فذلت لهم البلاد، و اذعن لطاعتهم العباد فصاروا تاج الارض» (١).

(٢) و خلاصة القول أن هذه الدلائل لا تدل على وجود حضارة في كل مناطق الجزيرة العربية و خاصة منطقة الحجاز التي لم تذوق طعم الحضارة أبدا، حتى أن «غوستاف لوبون» نفسه يعترف بهذه الحقيقة إذ يقول: «ان جزيرة العرب نجت من غزو الأجنبي خلا ما أصاب حدودها الشمالية، و إن عظماء الفاتحين من مصريين و أغارقة و رومان و فرس و غيرهم ممن انتهوا العالم لم ينالوا شيئا من جزيرة العرب التي أوصلت دونهم أبوابها» (٢).

و على فرض صحة كل ما قيل عن وجود حضارة شاملة في جميع مناطق الجزيرة العربية فانه يجب القول بان القدر المسلم في هذا المجال هو انه لم يبق أى اثر من هذه الحضارات في منطقة الحجاز، إبان طلوع الإسلام، و بزوغ شمسها، و هى حقيقة يصرح بها القرآن الكريم اذ يقول تعالى: «وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا» (٣).

(١) مروج الذهب: ج ٢ ص ١٦١ و ١٦٢.

(٢) حضارة العرب: ص ٩٣.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٤٢.

و ينبغي هنا أن نقف عند القرآن الكريم قليلا- كما وعدنا بذلك- فانه خير مرآة تعكس أحوال العرب و أوضاعهم بدقة متناهية و بشمولية ما وراءها شمولية.

**ملاحح المجتمع الجاهلى العربى فى منظور القرآن:**

**إشارة**

إن القرآن يكشف إجمالاً- عن أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ إِلَى قَوْمٍ لَمْ يَبْعَثْ إِلَيْهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ إِذْ يَقُولُ: «وَلَكِنْ رَحِمَهُ مِنْ رَبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» (١).

و يقول في آية أخرى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ» (٢).

و من المعلوم أن المقصود في هاتين الآيتين و نظائرها هم قريش و القبائل القريبة إليها.

على أن أشمل وصف قرآني لأوضاع المجتمع العربي الجاهلي و أحواله هو قول الله تعالى: «وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» (٣).

فإن هذه الآية تصوّر حياة العرب تصويراً مرعباً، إذ تصوّرهم أولاً و كأنهم قد سقطوا في قعر بئر الجاهلية، و الضلال و الشقاء فلا ينقذهم شيء من قعر التردى و السقوط إلا التمسك بحبل الله، حبل الإيمان و القرآن.

و تصوّرهم ثانياً و كأنهم على شفير جهنم يوشكون أن يسقطوا فيه و يهووا في نيرانه، و ليست تلك النار إلا نيران العداوات و الحروب التي لو لم يقض عليها الإسلام بتعاليمه لأحرقت حياة العرب جميعاً.

هذه هي صورة سريعة عما كان عليه العرب في الجاهلية من جهل و سقوط.

و أما تفصيل ذلك فيمكن الوقوف عليه بمراجعة الآيات الأخرى التي

(١) القصص: ٤٦.

(٢) السجدة: ٣.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٣.

تعرضت لذكر عادات العرب و أخلاقهم، و أفعالهم و تقاليدهم، بصورة مفصلة، و هنا نحن نشير هنا إلى تلك العادات و الأخلاق الفاسدة على ضوء تلك الآيات على نحو الاختصار تاركين التوسع في ذلك إلى مجال آخر.

لقد اتصف المجتمع العربي الجاهلي قبل الإسلام و شاعت فيه أخلاق و عادات من أبرزها ما يلي:

## ١- الشرك في العبادة:

صحيح أن العرب في الجاهلية كانت- كما يكشف القرآن ذلك لنا- موحّدة في جملته من الأمور و المجالات كالخالقية و التدبير و الذات (١) «إلما أنهم كانوا- في الأ-كثر- مشركين في العبادة، بل قد ذهبوا في هذا السبيل الباطل إلى أحطّ المستويات في اتّخاذ المعبودات و الوثنية.

و إلى ذلك يشير قوله تعالى: «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبحانه وَتعالى عَمَّا يُصِفُونَ» (٢).

و قوله تعالى: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ» (٣).

و غير ذلك من الآيات التي تشير إلى ما كان يعبده الجاهليون من أوثان و أصنام و مبلغ ما وصلوا إليه من انحطاط، و اسفاف و انحراف في هذا المجال.

## ٢- إنكار المعاد:

كان المشركون و الجاهليون يرفضون الاعتراف بالمعاد الذى يعنى عودة الإنسان إلى الحياة. فى عالم آخر للحساب و الجزاء، و يصفون من يخبر عن ذلك

(١) نعم يستفاد من آية واحدة أنه كان هناك اتجاه نادر بين العرب فى الجاهلية ينسب الظواهر الطبيعية إلى الطبيعة و الدهر يقول الله تعالى: «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» (الجاثية ٢٤).

(٢) الأنعام: ١٠٠.

(٣) النجم: ١٩ و ٢٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٤

اليوم بالجنون او الكذب على الله!!

يقول تعالى: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُبَيِّنُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ، أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ» (١).

### ٣- هيمنة الخرافات:

لقد كانت حياة العرب الجاهلية مليئة بالخرافات التى كان منها تحريمهم الأكل من أنعام أربعة ذكرها القرآن منددا بهذه البدعة اذ قال: «مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَا كَنَّ الدِّينِ كَفَرُوا يُفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ» (٢).

أما (البحيرة) بوزن فعيلة بمعنى مفعولة من البحر و هو الشق، فهى الناقة إذا نتجت خمسة أبطن آخرها انثى - و قيل ذكر - بحروا اذنها و شقوها ليكون ذلك علامة و تركوها ترعى، و لا يستعملها أحد فى شىء.

و أما (السائبة) على وزن فاعلة بمعناها أو بمعنى مفعولة فهى الناقة إذا نتجت اثني عشر بطناً - و قيل عشرة - فهى تهمل و لا تتركب. و لا تمنع عن ماء، و لا يشرب لبنها إلا ضيف.

و أما (الوصيلة) بوزن فعيلة بمعنى فاعلة أو بمعنى مفعولة فهى الشاة تنتج سبعة أبطن أو تنتج عناقين عناقين.

و أميا (الحامى) بوزن فاعل من الحمى بمعنى المنع فهو الفحل من الإبل الذى يستخدم للقاح الأناث، فاذا ولد من ظهره عشرة أبطن قالوا: حمى ظهره فلا يحمل عليه، و لا يمنع من ماء و مرعى (٣)

و الظاهر ان هذا المذهب تجاه هذه الانواع من الانعام كان بدافع الاحترام

(١) سبأ: ٧ و ٨.

(٢) المائدة: ١٠٣.

(٣) راجع مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٥٢ و ٢٥٣ فى تفسير الآية.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٥

و الشكر لما وهب أصحابها من النعم و البركات، غير أن هذا العمل - كان فى حقيقته - نوعا من الإيذاء و الإضرار بهذه الحيوانات، لأنهم كانوا يهملونها و يحرمونها من العناية اللازمة فكانت تشقى بقیة حياتها، و تقاسى من الحرمان، مضافا إلى ما كان يصيبها من التلف و الضياع، و ما يلحق ثروتهم و النعم التى و هبها الله لهم من هذا الطريق من الضرر و الخسارة.

والأسوأ من كل ذلك أنهم - كما يستفاد من ذيل الآية - كانوا ينسبون هذه المبتدعات المنكرات و هذا المنع و الحظر إلى الله سبحانه و تعالى، اذ يقول سبحانه:

«وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» و قد أعلم الله في مطلع الآية أنه لم يحرم من هذه الاشياء شيئاً، و أنهم ليكذبون على الله بادعائهم أن هذه الأشياء من فعل الله أو أمره.

و قد أشار القرآن إلى هذه الخرافات التي كانت تكبل عقول الناس في ذلك المجتمع اذ يقول: «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (١).

#### ٤- الفساد الاخلاقي:

كان المجتمع الجاهلي العربي يعاني من فساد ذريع في الاخلاق و قد أشار القرآن الكريم الى اثنين من أبرز وسائل الفساد و مظاهره هما: القمار (الذي كانوا يسمونه بالميسر و انما اشتق من اليسر لأنه اخذ مال الرجل بيسر و سهولة من غير كد و لا تعب) و الخمر. و قد بلغ شغفهم بالخمر أنهم أعرضوا عن قبول الإسلام و اعتناقه لأنه يحرم تناول الخمر و شربه، كما نقرأ ذلك في قصة الاعشى عما قريب.

يقول القرآن في هذا الصعيد: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» (٢).

و قد استطاع القرآن الكريم عبر مراحل أربع أن يستأصل هذه العادة البغيضة

(١) الأعراف: ١٥٧ و راجع المحبر ص ٣٣٠-٣٣٢.

(٢) البقرة: ٢١٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٦

التي كانت قد تجذرت بشكل عجيب في نفوس ذلك القوم، حتى اصبحت السمة البارزة لحياتهم و أصبح التغنى بالخمرة، و وصفها الطابع الغالب لأدبهم، و اللون البارز الذي يصبغ قصائدهم و اشعارهم.

على أن الفساد الأخلاقي في المجتمع الجاهلي العربي قبل الإسلام لم يكن ليقنصر على معاقرة الخمر، و مزاوله الميسر بل تعدى إلى ألوان اخرى ذكرها القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً، حيث عدّ منها الزنا، و اللواط، و القذف، و إكراه الفتيات على البغاء و ما شاكل ذلك (١).

#### ٥- وأد البنات و إقبارهن:

و يشير القرآن الكريم أيضا إلى عادة جاهلية سيئة اخرى كانت رائجة بين قبائل العرب الجاهلية قاطبة و هي دفن البنات حية. فقد شجب القرآن الكريم هذه العادة البغيضة و هذا العمل اللالساني و نهى عنه بشدة في اربعة مواضع، اذ قال تعالى: «وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» (٢). و قال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا» (٣).

و قد اتى جد «الفرزدق» «صعصعة بن ناجية بن عقاب» رسول الله صلى الله عليه وآله و عدّ من اعماله الصالحة في الجاهلية أنه فدى مائتين و ثمانين مؤودة في الجاهلية، و أنقذهن من الموت المحتم باشترائهن من آبائهن بأمواله.

و قد افتخر «الفرزدق» بإحياء جدّه للموءودات في كثير من شعره اذ قال:

وَمَا الَّذِي مَنَعَ الْوَالِدَاتِ وَأَحْيَا الْوَيْدِ فَلَمْ يُؤَادِ «٤»

(١) راجع للوقوف على ذلك سورة النساء: ١٥ و ١٦. و سورة النور: ٢ و ٣ وغيرها. و راجع المحبر: ص ٣٤٠.

(٢) التكويز: ٨ و ٩.

(٣) الإسراء: ٣١.

(٤) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ج ٣ ص ٤٥ و ٤٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧

### ٦- تصوراتهم الخرافية حول الملائكة:

وَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ تَصَوُّرَاتِ الْعَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ حَوْلَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَدْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مِنَ الْإِنَاثِ وَأَنَّهِنَّ بَنَاتُ اللَّهِ، إِذْ يَقُولُ تَعَالَى:

«فَأَسْفَيْتَهُمْ أَلْرِبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ. أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ. أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَمَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبُنِينَ. مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» «١».

### ٧- كيفية الانتفاع من الانعام:

إذا كانت العرب الجاهلية تمتنع من تناول لحوم الأنعام الأربعة المذكورة آنفاً و تجتنب عن استعمال ألبانها و شعورها و أصوافها. إلا أنها كانت في المقابل تتناول الدم، و الميتة و الخنزير، و تأكل من الحيوانات و الأنعام التي تقتلها بصورة قاسية، و بالتعذيب و الأذى، و ربما كانت تعتبر ذلك نوعاً من العبادة، و يعرف ذلك من الآية التالية التي نزلت تنهى بشدة عن أكل هذه اللحوم، و تحرم تناولها، إذ يقول سبحانه: «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمُوقُودَةُ وَ الْمُتَرَدُّيَةُ وَ النَّطِيحَةُ وَ مَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ وَ أَنْ تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَرْزَامِ ذَلِكَمْ فَسَقٌ» «٢».

فقد حرم الله في هذه الآية أكل:

١- الميتة.

٢- الدم.

٣- لحم الخنزير.

٤- ما ذكر اسم غير الله عليه.

٥- التي تموت خنقاً، و هي المنخنقة.

(١) الصافات: ١٤٩-١٥٤.

(٢) المائدة: ٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨



- ٦- التي تضرب حتى تموت، و هي الموقوذة.  
 ٧- التي تقع من مكان عال فتموت و هي المتردية.  
 ٨- التي تموت نطحا من حيوان آخر و هي النطيحة.  
 ٩- ما افترسه سبع إلا اذا ذكى قبل موته.  
 ١٠- و ما ذبح أمام الاصنام.

### ٨- الاستقسام بالازلام:

فقد كان تقسيم لحم الذبيحة يتم عن طريق الأزلام، و الأزلام جمع (زلم) بوزن (شرف) و هي عيدان و سهام تستخدم في ما يشبه القرعة لتقسيم لحم الذبيحة.  
 فقد كان يشتري عشرة أنفار معيرا ثم يذبحونه، ثم يكتبون على سبعة منها أسهما مختلفه من الواحد الى السبعة و لا يكتبون على ثلاثة منها شيئا، ثم يجعلونها في كيس ثم يستخرجونها واحدة بعد اخرى، كل واحدة باسم أحدهم فيأخذ كل واحد منهم من الذبيحة ما خرج له من السهم، و هكذا يقسمون الذبيحة بينهم «١»، فنهاهم الله عن ذلك بقوله: «وَأَنْ تَشْتَقِسُوا بِالْأَزْلَامِ ذِكْرَكُمْ فِسْقٌ» لأنه ضرب من القمار الذي ينطوي على مفساد الميسر و القمار.

### ٩- النسيء:

كان العرب الجاهليون يعتقدون حرمة الاشهر الحرم (و هي أربعة المحرم و رجب و ذو القعدة و ذو الحجة) فكانوا يتخرجون فيها من القتال، و جرت عادة العرب على هذا من زمن إبراهيم و اسماعيل عليهما السلام.  
 إلا أن سدة الكعبة أو رؤساء العرب كانوا يعمدون أحيانا، و لقاء مبالغ يأخذونها، أو جريا مع أهوائهم، الى تأخير الاشهر الحرم، و هو الأمر الذي عثر

(١) راجع للوقوف على تفصيل هذه الطريقة بلوغ الارب: ج ٣ ص ٦٢ و ٦٣، و المحبر: ص ٣٣٢-٣٣٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٩

عنه القرآن الكريم بالنسيء ثم نهى عنه و عدّه كفرا اذ قال: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» «١».

و قد ذكرت كتب التاريخ و السير كيفية النسيء و تأخير الأشهر الحرم، الذي كان يتم بصور مختلفه منها: أن جماعة ما لو كانت ترغب في استمرار الغارة و القتال و لم تطق تأخير النضال مدة الاشهر الحرم كانت تطلب من سدة الكعبة، لقاء ما تقدمه لهم من هدايا و اموال، تجوز الغارة و القتال في شهر محرم، و تحرم القتال في شهر صفر بدله ل يتم عدد الأشهر الحرم (و هي اربعة). و هذا هو معنى قوله تعالى: «لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» و كانوا إذا أحلوا القتال و الغارة في المحرم من سنة حرّمه في المحرم من السنة التالية، و هذا هو معنى قوله تعالى:

«يُحِلُّونَهُ عَامًا، وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا».

## ١٠- الربا:

و مِمَّا يَشِيرُ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنَ الْمَفَاسِدِ الشَّائِعَةِ، وَ الْأَعْمَالِ الْمُنْكَرَةِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْعَرَبِيِّ الْجَاهِلِيِّ قَبْلَ الْإِسْلَامِ: «الربا» الذى كان يشكل العمود الفقرى فى اقتصاد ذلك المجتمع.

وقد حارب القرآن الكريم هذه العادة المقيتة، و هذا الفساد الاقتصادى حربا شعواء، إذ قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِن تُبْتِغُوا فَلَكمُ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَ لَا تُظْلَمُونَ» (٢).

و العجيب أنهم كانوا يبررون هذا العمل اللإنسانى بقولهم «إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا» (٣) فإذا كان البيع حلالا و هو اخذ و عطاء فليكن الربا كذلك حلالا، فإنه أخذ و عطاء أيضا، مع أن «الربا» من ابشع صور الاستغلال، و قد رد

(١) التوبة: ٣٧.

(٢) البقرة: ٢٧٨ و ٢٧٩.

(٣) البقرة: ٥ / ٢١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٠

سبحانه على هذه المقالة بقوله تعالى: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا» (١) ففى البيع و الشراء يتساوى الطرفان فى تحمل الضرر المحتمل، بينما لا يتضرر المرابى فى النظام الربوى أبدا و إنما يلحق الضرر بمعطى الربا دائما، و لهذا تنمو المؤسسات الربوية، و يعظم رصيدها، و ثروتها يوما بعد يوم فيما يزداد الطرف الآخر بؤسا و فقرا، و لا يحصل من جهوده المضنية إلا على ما يسد جوعته، و يقيم اوده، لا أكثر، كل ذلك نتيجة لهذا الاسلوب الاقتصادى غير العادل.

## صور من الوضع الجاهلى

ما قدمناه كان أبرز المفاصد الاخلاقية و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التى أشار إليها القرآن الكريم، و أما التاريخ فملئ بالصور و القصص التى تحكى عن تردى حالة العرب الجاهلية و سقوطها الفضيع فى قعر الفساد فى جميع المناحي و الجهات. و إليك فى ما يلى نماذج و صور معدودة تكفى للوقوف على الحالة العامة فى ذلك المجتمع نقبتسها لك من أصح المصادر و اوثقها:

(١) و ها نحن نقدم قصة «أسعد بن زرارة» التى تسلط الضوء على ما كان عليه الوضع الجاهلى فى أكثر مناطق الحجاز، فقد قدم «أسعد بن زرارة» و «ذكوان بن عبد قيس»- و هما من الأوس و كان بين الأوس و الخزرج حرب قد بقوا فيها دهرا طويلا، و كانوا لا يضعون السلاح لا بالليل و لا بالنهار، و كان آخر حرب بينهم «يوم بعث» و قد انتصر فيها الأوس على الخزرج- مكة فى عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، و كان اسعد بن زرارة صديقا لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال: انه كان بيننا و بين قومنا حرب و قد جنناك نطلب الحلف عليهم، فقال له عتبة: إن لنا شغلا لا نتفرغ لشيء. قال سعد: و ما شغلکم و أنتم فى حرمکم و أمنکم؟ قال له عتبة: خرج فينا رجل يدعى أنه رسول الله سفه أحلامنا، و سب آلهتنا و أفسد

(١) البقرة: ٢٧٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥١

شباننا، و فرّق جماعتنا، فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب من أوسطنا شرفا، و أعظمنا بيتا.

(١) و كان أسعد و ذكوان، و جميع الاوس و الخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم: النضير و قريظة و قينقاع، أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة بالمدينة لتقتلنكم به يا معشر العرب، فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟ قال: جالس في الحجر، و إنهم لا يخرجون من شعبهم إلّا في الموسم، فلا تسمع منه و لا تكلمه فانه ساحر يسحرك بكلامه، و كان هذا في وقت محاصرة بنى هاشم في شعب أبي طالب، فقال له «أسعد»:

فكيف أصنع و أنا معتمر لا بد لي أن أطوف بالبيت؟ قال: ضع في اذنيك القطن، فدخل «أسعد» المسجد و قد حشا اذنيه بالقطن، (٢) فطاف بالبيت و رسول الله جالس في الحجر مع قوم من بنى هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني؟ أي يكون مثل هذا الحديث بمكة فلا تعرّفه حتى ارجع الى قومي فاخبرهم، (٣) ثم أخذ القطن من اذنيه و رمى به، و قال لرسول الله: أنعم صباحا، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إليه و قال: قد أبدلنا الله به ما هو احسن من هذا، تحية أهل الجنة: السلام عليكم، قال له أسعد: إن عهدك بهذا لقریب، إلى ما تدعو يا محمد؟ قال: إلى شهادة ألا إله إلّا الله، و انى رسول الله، و ادعوكم الى: «ألا تُشركوا به شيئا و بالوالدين إحسانا و لا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم و إياهم و لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها و ما بطن و لا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحق ذلكم و صاكنم به لعلكم تعقلون، و لا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده و أوفوا الكيل و الميزان بالقسط لا تكلف نفسا إلّا وُسْعها و إذا قُلتُم فاعيدلوا و لو كان ذا قُربى و بعهد الله أوفوا ذلكم و صاكنم به لعلكم تذكرون» (١).

(١) الأنعام: ١٥١ و ١٥٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢

(١) فلما سمع «أسعد» هذا قال له: أشهد أن لا إله إلّا الله، و أنك رسول الله، يا رسول الله بأبى أنت و أمى ... (١).

إن الامعان في مفاد هاتين الآيتين يغنيا عن دراسة شاملة و واسعة لاوضاع العرب الجاهلية لأن هاتين الآيتين تكشفان عن الأمراض الاخلاقية التي كانت تكتنف حياة العرب الجاهلية، و لهذا تلا- رسول الله الآيات التي تشير إلى هذه الادواء و الأمراض ليلفت نظر «سعد» إلى أهداف رسالته الكبرى.

(٢)

### العقيدة و الدين في الجزيرة العربية:

عند ما رفع «إبراهيم الخليل» لواء التوحيد في البيئه الحجازية، و أعاد بناء الكعبة المعظمة و رفع قواعدها بمعونة ابنه «اسماعيل»، تبعه في ذلك طائفة من الناس ممن أنار الله به قلوبهم، ألما انه من غير المعلوم إلى اى مدى استطاع ذلك النبي العظيم أن يعمّ دين التوحيد و يبسط لواءه على الجميع، و يؤلف صفوفًا مترابطة، و جبهة عريضة قوية من الموحدین، غير ان من المعلوم انه اصبحت تلك المنطقة مسرحًا للوثنية و لعبادة الاشياء المختلفة مع الايام فقد كانت الطبقة المثقفة من العرب تعبد الكواكب و القمر، فهذا هو المؤرخ العربى الشهير الكلبي الذى توفى عام ٢٠٦ هجرية يكتب في هذا الصدد قائلا كان «بنو مليح» من خزاعة يعبدون الجن و كانت «حمير» تعبد الشمس، و «كنانة» تعبد القمر، و «تميم» الدبران، و «لخم» و «جذام» المشتري، و «طى» سهيلا، و «قيس» الشعري، و «أسد» عطاردا.

(٣) أما الدهماء و الذين كانوا يشكلون اغلبية سكان الجزيرة فقد كانوا يعبدون- مضافا إلى الصنم الخاص بالقبيلة أو العائلة- ثلاثمائة و ستين صنما، و كانوا ينسبون أحداث كل يوم من أيام السنة إلى واحد منها.

و قد دخلت عبادة الأصنام و الأوثان في مكة بعد «إبراهيم الخليل»

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٨ و ٩، اعلام الوری: ص ٣٥-٤٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٣

عليه السلام على يد «عمرو بن لحي»، و لكنها لم تكن في بداية أمرها بتلك الصورة التي وصلت إليها في ما بعد فقد كانوا يعتبرونها في بداية الأمر شفعاء إلى الله و وسطاء بينه وبينهم، و لكنهم تجاوزوا هذا الحد في ما بعد حتى صاروا يعتقدون شيئا فشيئا بانها اصحاب قدرة ذاتية مستقلة، و أنها بالتالي آلهة و أرباب.

(١) و كانت الاصنام المنصوبة حول الكعبة تحظى باحترام جميع الطوائف العربية، و لكن الاصنام الخاصة بالقبائل فقد كانت موضع احترام جماعة خاصة فقط، و لأجل أن تبقى حرمة هذه الأصنام و الأوثان الخاصة محفوظة لا يمسها أحد بسوء كانوا ينشئون لها أماكن و بيوت خاصة، و كانت سدانة هذه البيوت و المعابد تنتقل من جيل إلى آخر بالوراثة.

أما الاصنام العائلية فقد كانت العوائل تقتنيها للعبادة كل يوم و ليلة، فاذا أراد احدهم السفر كان آخر ما يصنعه في منزله هو ان يتمسح به أيضا.

و كان الرجل إذا سافر فنزل منزلا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها، و اتخذه ربا و جعل ثلاثة أثافيّ لقدره، و إذا ارتحل تركه. (٢) و كان من شغف أهل مكة و حُبهم للكعبة و الحرم أنه كان لا- يسافر منهم أحد إلّا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، و حبا له فحيثما حلّوا نصبوه و طافوا به كطوافهم بالكعبة صباة بها، و يمكن أن تكون هذه هي «الأنصاب» التي فسرت بالاحجار العادية غير المنحوتة و تقابلها الأوثان، و هي الاحجار المنحوتة:

على هيئة خاصة، و أما «الأصنام» فهي المعمولة من خشب أو ذهب أو فضة على صورة انسان.

(٣) لقد بلغ خضوع العرب أمام الاصنام و الأوثان حدا عجيبا جدا، فقد كانوا يعتقدون بأنهم يستطيعون كسب رضاها بتقديم القرابين إليها، و كانوا بعد نحر الهدايا يلطخون وجوه الاصنام و رؤوسها بدماء تلك الهدايا، و كانوا يستشيرونها في مهام امورهم، و جلائل شئونهم، فاذا أرادوا الوقوف على مستقبل الأمر الذي تصدّوا له و معرفة عاقبته أخير هو أم شر استقسم لهم أمين القداح بقدحى

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٤

(الأمر و النهي) و هي قطع كتب على بعضها (افعل) و على بعضها الآخر (لا تفعل) فيمدّ أمين القداح يده و يجيل القداح و يخرج واحدا فان طلع الأمر فعل أو الناهي ترك.

(١) و خلاصة القول، ان الوثنيّة كانت العقيدة الرائجة في الجزيرة العربية، و قد تفتّشت فيهم في مظاهر متنوعة و متعددة، و كانت الكعبة المعظمة- في الحقيقة- محطّ أصنام العرب الجاهلية و آلهتهم المنحوتة، فقد كان لكل قبيلة في هذا البيت صنم، و بلغ عدد الاصنام الموضوعّة في ذلك المكان المقدس (٣٦٠) صنما في مختلف الاشكال و الهيئات و الصور، بل كان النصراني أيضا قد نقشوا على جدران البيت و أعمدته صوراً للمريم و المسيح و الملائكة، و قصّة ابراهيم.

و كان من جملة تلك الأصنام: «الللات» و «العزى» و «مناة» التي كانت تعتبرها قریش بنات الله و يختص عبادتها بقریش.

و كانت «الللات» تعتبر أمّ الآلهة، و كان موضعها بالقرب من «الطائف» و كانت من الحجر الابيض، و أما «مناة» فكانت في عقيدتهم إلهة المصير و ربّة الموت و الاجل و كان موضعها بين «مكة» و «المدينة».

(٢) و لقد اصطحب «ابو سفيان» معه يوم «احد»: «الللات» و «العزى».

و يروى انه مرض ذات يوم «أبو احيحة» و هو رجل من بنى أميّة، مرضه الذي مات فيه، فدخل عليه ابو لهب يعود، فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك يا ابا احيحة؟ أمن الموت تبكى و لا بد منه؟ قال: لا و لكنى اخاف ان لا تعبد العزى بعدى! قال ابو لهب: و الله ما عبت حياتك (اي لأجلك) و لا تترك عبادتها بعدك لموتك!! فقال أبو احيحة: الآن علمت ان لى خليفة (١).

(٣) و لم تكن هذه هي كل الأصنام التي كانت تعظمها و تعبدها العرب بل كانت لقريش أصنام في جوف الكعبة و حولها و كان اعظمها «هبل»، كما انه لم يكن لكل قبيلة صنم خاص فحسب بل كانت كل عائلة تعبد صنما خاصا بها

(١) الأصنام للكلى: ص ٢٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٥

مضافا إلى صنم القبيلة و كانت المعبودات تتراوح بين الكواكب، و الشمس، و القمر، و الحجر، و الخشب، و التراب، و التمر، و التماثيل المنحوتة المختلفة في الشكل، و الهيكل، و الاسم، المنصوبة في الكعبة أو في سائر المعابد. لقد كانت الاصنام جميعها أو أغلبها معظمة عند العرب، يتقربون عندها بالذبائح و يقربون لها القرابين، و جرت عادة بعض القبائل آنذاك أن تختار من بين أفرادها كل سنه شخصا في مراسيم خاصة ثم تذبحه عند أقدام اصنامها، و تقبر جسده على مقربة من المذبح.

(١) هذا العرض المختصر يكشف لنا كيف أن أرض الجزيرة العربية برمتها كانت قد اصبحت مسرحا للاصنام و مستودعا ضخما للاوثان، و كيف تحولت هذه البقعة من العالم بيوتها و ازقتها و صحاريها و حتى بيت الله المحرم كانت قد تحولت الى مخزن للنصب المؤلهة، و التماثيل المعبودة، و يتجلى هذا الأمر من قول شاعرهم الذي اسلم و راح يستنكر ما كان عليه من عبادة الاصنام المتعددة الخارجة عن الاحصاء و العد، اذ قال:

أربا واحدا أم ألف رب أدين إذا تقسّمت الامور

عزلت اللات و العزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور

فلا عزى أدين و لا ابتيتها و لا صنمى بنى عمرو أزور

و لا غنما أزور و كان ربنا في الدهر إذ حلمى يسير

و لكن أعبد الرحمن ربى ليغفر ذنبى الرب الغفور «١» و قد حدثت بسبب الاختلاف و التعددية في عبادة الاصنام و الاوثان المؤلهة السخيفة الباطلة، تناقضات، و صراعات، و حروب و مناحرات، قد جرت بالتالى -ويلات و ماس و خسائر مادية و معنوية كبرى على تلك الجماعة المتوحشة، الضالة. سيد المرسلين ج ١ ٥٥ العقيدة و الدين في الجزيرة العربية: ..... ص : ٥٢

(١) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب: ج ٢ ص ٢٤٩ و جاء البصير.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦

(١)

### عقيدة العرب حول حالة الإنسان بعد الموت:

و عن مصير الإنسان و حالته ما بعد الموت هذه المشكلة الفلسفية العويصة كانت رؤية العرب و نظرتهم تتلخص فى ما يلى:  
عند ما يموت الانسان تخرج روحه من جسده على هيئة طائر شبيه باليوم يسمى عندهم ب «الهامة و الصدى» ثم يبقى هذا الطائر قريبا من جسد الميت ينوح نوحا مقرحا و موحشا، و عند ما يوارى الميت يبقى هذا الطائر مقيما عند قبره إلى الابد!  
و ربما وقف على جدار منزل الميت أحيانا لتسقط أخبار عائلته و الاطلاع على أحوالهم!!  
قال شاعرهم فى ذلك:

سلط الموت و المنون عليهم فلهم فى صدى المقابر هام و إذا كان المرء قد مات بموته غير طبيعىة كما لو قتل - مثلا- فإن ذلك

الحيوان ينادى باستمرار: «اسقوني ... اسقوني» اى اسقوني بسفك دم القاتل و اراقته؛ و لا يسكن عن هذا النواح و النداء الخاص الا بعد الانتقام و الثأر من قاتله.

قال احدهم فى ذلك:

فيا رب إن أهلك و لم تروها متى بللى امت لا قبر أعطش من قبرى «١»

(٢) من هنا بالضبط تتجلى الحقيقة للقارئ و يعلم جيدا كيف أن تاريخ العرب ما قبل الإسلام و تاريخهم ما بعد الإسلام ما هو الا تاريخان على طرفى نقيض:

فذلك تاريخ جاهلية، و وثنية و إجرام، و هذا تاريخ علم و وحدانية و انسانية و ايمان، و شتان ما بين و أد البنات، و بين رعاية اليتام، و بين السلب و النهب و الاغارة و بين المواساة و الايثار، و بين عبادة الاوثان و الاصنام الصماء العمياء

(١) بلوغ الارب. ج ٢ ص ٣١١ و ٣١٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧

و التقرب الى الله الواحد القادر.

(١)

### الآداب مرآة آداب الشعوب و نفسياتها:

المخلفات الفكرية و الثقافية، و ما يتركه أى شعب من الشعوب من قصص و حكايات افضل وسيلة للتعرف على خلفياته النفسية و الأخلاقية، ذلك لأن الآداب بما فيها الشعر و القصة، و الخطبة و الحكاية، و المثل و الكناية مرآة صادقة تعكس المستوى الفكرى لأية جماعة، و تعتبر خير مقياس لتمدنها، و حضارتها، و أفكارها و نفسياتها، تماما كما تحكى اللوحات الفنية عن حياة عائلته، أو منظر طبيعى جميل، أو اجتماعات صاحبة، أو مشاهد قتالية.

إن القصائد و الأمثال العربية التى كانت رائجة آنذاك تستطيع - قبل كل شىء - أن تكشف عن الوجه الحقيقى لتاريخهم و نمط حياتهم و سلوكهم، و لهذا السبب لا يجوز لأى مؤرخ واقعى يسعى الى الحصول على صورة كاملة عن تاريخ شعب من الشعوب أن يتجاهل التركة الفكرية و الأدبية و الثقافية لذلك الشعب سواء أ كان شعرا أم نثرا، أمثالا أم حكما، قصصا أم أساطير.

و من حسن الحظ أن مؤرخى الإسلام اثبتوا و سجلوا باتقان ما اثر من العرب ممّا يرتبط بآدابهم فى العصر الجاهلى بقدر ما اتيح لهم ذلك.

(٢) و قد كان ابو تمام «حبيب بن اويس» (المتوفى عام ٢٣١ هجرية) و الذى يعتبر من كبار أدباء الشيعة، و له قصائد رائعة فى مدح آل الرسول، ممن اعتنى عناية بالغة بهذه الناحية، حيث جمع فى كتاب واحد طائفة كبيرة جدا من الشعر الجاهلى مفصلة فى عشرة ابواب هى:

١- الحماسة.

٢- المراثى.

٣- الادب.

٤- النسب.

٥- الهجاء.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨

٦- الاضافات.

٧- الصفات.

٨- السير.

٩- الملح.

١٠- مذمة النساء.

وقد تناول هذا الديوان التاريخي القيم عدد كبير من أدباء المسلمين و علمائهم بشرح آياته، و تفسير غوامضها، و بيان اغراضها، و مقاصدها.

كما ترجم أصل الديوان إلى لغات اجنبية عديدة جاء ذكر طائفة منها في كتاب «معجم المطبوعات» (١).

(١)

### مكانة المرأة عند العرب الجاهلية:

إن الباب العاشر من هذا الديوان خير وسيلة لمعرفة ما كانت عليه المرأة في العصر الجاهلي من الحرمان، و أقوى دليل على أنها كانت تعيش - في ظل ذلك العهد- في أسوأ الحالات و أشد الظروف و اتعسها.

هذا مضافا إلى أن الآيات القرآنية التي تنزلت و هي تشجب بعنف معاملة الجاهليين للعنصر النسائي، و قسوتهم على الأنثى، هي الاخرى افضل شاهد على مدى الانحطاط الاخلاقي و التدهور السلوكي الذي انحدروا إليه في هذا المجال.

إن القرآن الكريم يصف عادة و أد البنات بقوله: «وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ» (٢) «أى ليسأل يوم القيامة عن البنات اللاتي وئدن و هنّ أحياء. إن القرآن الكريم بهذه العبارة الموحية إنما يتحدث- في الحقيقة- عن عادة و أد البنات بمرارة، و يشجبها بشدة حتى أنه يعتبرها جريمة نكراء لا تمر- في الآخرة- بدون حساب شديد، و سؤال خاص.

(١) معجم المطبوعات: ص ٢٩٧، و قد اشتهر هذا الديوان ببابه الأول: «الحماسة» فسمى ديوان الحماسة

(٢) التكويز: ٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٩

حقا انه لأمر يكشف عن مدى القسوة التي كان عليها قلوب تلك الجماعة.

إنها قسوة تغشى كل عواطف المرء فلا يعود يسمع معها نداء الضمير، و لا يحسّ معها بوخز الوجدان، انه لا يعود يسمع معها حتى صراخ بنته الجميلة البريئة، و استغاثاتها المؤلمة و هي ترى بام عينها حفيرتها، و تحس بيدي والدها القاسي، و هو يدفعها إلى تلك الحفرة و يدفنها حية!

إنها قسوة تكشف عن أسوأ و أخطّ درجات الانحطاط الخلقى، و التقهقر الإنساني.

(١) و بنو تميم هي أول قبيلة أقدمت على هذه الجريمة النكراء، و كان السبب أن «بنو تميم» امتنعوا من دفع ضريبة الاتاوة التي كانت عليهم إلى الملك، فجزّد إليهم النعمان بن المنذر حاكم العراق آنذاك جيشا كبيرا لضرب هذا التمرد، و انتصر على «بنو تميم» في المال و غنم منهم الغنائم و سبى منهم الفتيات و النساء، فوفدت وفود «بنو تميم» على النعمان بن المنذر و كلموه في الذراري و النساء، فحكم النعمان بان يجعل الخيار في ذلك الى النساء، فأية امرأة اختارت زوجها ردّت عليه، فاختلفن في الخيار، فاختار بعضهنّ العودة الى الاهل و الآباء، و اختارت بنت لقيس بن عاصم سايبها على زوجها مما أثار هذا الموقف و الاختيار غيظ والدها العجوز «قيس بن عاصم» فنذر من ذلك الحين أن يدس كل بنت تولد له. و هكذا سنّ لقومه الوأد، و اخذت بقية القبائل بهذه العادة البغيضة الوحشية



إرضاء لغيرتهم و ظلّوا يمارسونها اعواما متمادية «١».

و إليك واحدة من القصص المأساوية في هذا المجال:

(٢) قيل لما وفد «قيس بن عاصم» على رسول الله صلى الله عليه وآله سألته بعض الانصار عما يتحدث به في المؤذات، فأخبر انه ما ولدت له بنت إلا وأدها، قال:

كنت اخاف العار و ما رحمت منهن إلا بتيه كانت ولدتها امها و أنا في سفر، فدفعتها الى أخواتها، و قدمت أنا من سفرى فسألته عن الحمل، فأخبرت أنها

(١) بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب: ج ٣ ص ٤٢ و ٤٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٠

ولدت ولدا ميتا، و كنتم حالها، حتى مضت على ذلك سنون، و كبرت الصبية، و ينعت، فزارت امها ذات يوم، فدخلت فرأيتها و قد ضفرت شعرها و جعلت في قرونها جدادا و نظمت عليها و دعا، و البستها قلادة من جزع فقلت لها: من هذه الصبية؟ و قد اعجبني جمالها فبكت امها، و قالت: هذه ابنتك، فامسكت عنها حتى غفلت امها ثم اخرجتها يوما فحفرت لها حفرة و جعلتها فيها و هي تقول: يا ابت ما تصنع؟ اخبرني بحقك!! و جعلت اقلب عليها التراب، و هي تقول: أنت مغط على بهذا التراب، أنت تاركي وحدي، و منصرف عني، و جعلت اقاذف عليها حتى واريتهما، و انقطع صوتها، فتلك حسرتها في قلبي، فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و قال: «إن هذه لقسوة، و من لا يرحم لا يرحم» «١».

و قد ذكر ابن الاثير في كتابه «اسد الغابة» في مادة: قيس: ان النبي صلى الله عليه وآله سأل قيسا عن عدد البنات اللاتي وأدهن في الجاهلية: فاجاب قيس بانه وأد اثنتي عشرة بنتا له «٢».

و روى عن ابن عباس أنه قال: كانت الحامل اذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة، فاذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة و اذا ولدت ولدا حبسته «٣».

(١)

### المرأة و مكانتها الاجتماعية عند العرب:

كانت المرأة عندهم تباع و تشتري كالمحتاج، و كانت محرومة من جميع الحقوق الاجتماعية و الفردية، حتى حق الارث. و قد كان المثقفون من العرب يعدّون النساء من الحيوانات، و لهذا كانوا يعتبرونهن جزء من أثاث البيت و يعاملونهن معاملة الرياش و الفراش حتى سار

(١) حياة محمد: تأليف محمد علي سالمين، ص ٢٤ و ٢٥.

(٢) راجع اسد الغابة: ج ٤ ص ٢٢٠، و جاء في بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب: ج ٣ ص ٤٣ أنه وأد بضع عشرة بنتا.

(٣) بلوغ الارب: ج ٣ ص ٤٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١

فيهم المثل المعروف: «و انما امهات الناس اوعية».

كما أنهم غالبا ما كانوا يقتلون بناتهم في اليوم الاول من ميلادهن خشية الفقر تارة، و دفعا للعار و الشنن تارة اخرى.

و قد كان هذا القتل يتم إما بذبحهن أو إلقائهن من شاهق، أو إغراقهن في الماء، أو الدفن و هن أحياء كما سبق.



(١) وقد تعرض القرآن الكريم- الذى يعدّ من وجهة نظر المستشرقين الكتاب و المصدر التاريخى العلمى الوحيد الذى لم تنله يد التحريف- تعرّض لذكر قصة من هذا النوع ضمن آيات من سورة النحل حيث قال: «وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٍ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» (١).

هذا و المؤسف أكثر هو ما كان عليه وضع الزواج فى الجاهلية، حيث لم يكن يستند الى اى قانون، و لم يخضع لأى واحد من النظم المعقولة، بل كان وضعاً عديم النظر فى ذلك الزمان، فلم يكن لعدد الزوجات- مثلاً- حد معلوم، او قاعدة ثابتة. كما انهم كلما أرادوا التخلص من مهر الزوجة عمدوا إلى ايداءها بقسوة، حتى تتخلى هى بنفسها عن حقها، و كان اقترافها لأى عمل مناف للعفة هو الآخر سبباً لسقوط حقها فى المهر بالمرّة.

(٢) و لطالما استغلّ بعض الاشخاص هذا القانون الجائر للتخلص من مهور زوجاتهم فاتهموهن بالخيانة الزوجية!! و من قبيح ما كانوا يفعلون ان يتزوج الرجل بزوجة أبيه بعد تطليقها، أو وفاته و ربما تناوب الأبناء على امرأة أبيهم واحداً بعد واحد، فقد كان الرجل من العرب الجاهلية إذا مات عن المرأة أو طلقها قام أكبر بنيه، فان كان يحب أن يتزوجها طرح ثوبه عليها، و إن لم يكن يريد التزوج بها تزوّج بها بعض اخوته بمهر

(١) النحل: ٥٨ و ٥٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٢

جديد «١».

و قد ابطال الإسلام هذه العادة الفاسدة حيث قال الله تعالى: «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ مَقْتًا وَ سَاءَ سَبِيلًا» (٢).

و قد ذكرت كتب التاريخ و السيرة طائفة ممن فعلوا هذا نعرض عن ذكر أسماءهم.

كما ذكرت تلك الكتب انواعاً اخرى من المناكح الفاسدة الشنيعة التى أبطها الإسلام (٣).

ثم إن المطلقة لم يكن لها الحق- فى زمن الجاهلية- فى ان تتزوج برجل آخر بعد انقضاء عدتها إلا إذا اذن لها الزوج الأول الذى كان غالباً ما يأخذ مهرها فى الزواج الثانى فى قبال الأذن.

و ربما منع اولياؤها من أن تتزوج بزوجة الأول الذى طلقها، ثم خطبها بعد انقضاء العدة إذا رضيت به و رغبت فيه، أو أن تتزوج بمن أرادت و احبّت- بعد انقضاء العدة- أصلاً، حميةً جاهليةً.

و كان الرجل يرث امرأة ذى قرابته إذا مات عنها، تماماً كما يرث ما خلف من أمتعة المنزل، زاعماً بأنه أحق بها من غيره، فيعضلها (يمنعها من الزواج) او تردّ إليه صداقها، و فى رواية؛ إن كانت جميلة تزوجها، و ان كانت دميعة حبسها حتى تموت فيرثها، و قد نهى الله تعالى عن ذلك، و أبطل تلك العادات اذ قال تعالى: «وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَ أَطْهَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (٤).

(١) المحبر: ص ٣٢٦ و ٣٢٧.

(٢) النساء: ٢٢، و كانوا يسمون من يتزوج زوجة أبيه الضيزن، و كان هذا الزواج يسمّى فى الجاهلية «نكاح المقت» و يسمى الولد منه: مقتى. (راجع بلوغ الارب: ج ٢ ص ٥٣ و مجمع البيان للطبرسى: ج ٣ ص ٢٦).

(٣) المحبر: ٣٣٧- ٣٤٠.

(٤) البقرة: ٢٣٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٣

وقال سبحانه: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضَلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ» (١).  
وقال تعالى: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» (٢).

و خلاصة القول؛ إن المرأة كانت في العهد الجاهلي بشر حال، و يكفي لتلخيص ما قلناه انه لما خطب ادهم الى رجل ابنته، و ذكر له المهر و الصداق قال: إنى و إن سيق إلى المهر ألف و عبدان (اي عبيد و مماليك) و ذود (و هو من الابل من الثلاث الى العشر) عشر، أحب أصحابى إلى القبر و قال شاعرهم، فى ذلك.

لكل أبى بنت يراعى شئونها ثلاثة أصهار إذا حمد الصهر

فبعل يراعيها و خدر يكنهاو قبر يوارىها و أفضلها القبر (٣) كما ان العرب كانت مصفقه و متفقه على توريث البنين دون البنات (٤).  
(١)

### مقارنة بسيطة:

و لو لاحظت أيها القارئ الكريم الحقوق التى قررها الإسلام فى مجال (المرأة) لاذعت - حقا- بأن هذه الاحكام و المقررات و هذه الخطوات المؤثرة التى خطاها النبى الاكرم صلى الله عليه و آله فى سبيل اصلاح حقوق المرأة، و تحسين اوضاعها، هى بذاتها شاهد حق، و دليل صدق على حقايتها، و صدق ارتباطه بعالم الوحي.

فاية رعاية و لطف بالمرأة و حقوقها و أى اهتمام بشأنها و كرامتها أعلى و اكثر من ان يوصى النبى الاكرم صلى الله عليه و آله مضافا الى ما جاء فى آيات و احاديث كثيرة تؤكد على حقوق المرأة و توصى أتباع هذا الدين بالرحمة بهن و احترامهن فى

(١) النساء: ١٩.

(٢) البقرة: ٢٣١.

(٣) بلوغ الارب: ج ٢ ص ٩.

(٤) المحبر: ص ٢٣٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٤

خطبته الشهيرة فى (حجة الوداع) بالمرأة، و يؤكد على ذلك اشد تأكيد انه يقول صلى الله عليه و آله:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا ... فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ وَ اسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا، فَانَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عِبْوَانٌ ... أَطْعَمُوهُنَّ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَ أَلْبَسُوهُنَّ مِمَّا تَلْبَسُونَ» (١).

(١)

### العرب و الروح القتالية:

من الناحية النفسية يمكن القول بان عرب الجاهلية كانوا النموذج الكامل للإنسان الحريص، الموصوف بالطمع الشديد، الفوى التعلق بالماديات.

لقد كانوا ينظرون الى كل شيء من زاوية منافعه و مردوداته المادية، كما أنهم كانوا دائما يرون لأنفسهم فضيلة و ميزة على الآخرين. كانوا يحبون الحرية حبا شديدا، و لذلك كانوا يكرهون كل شيء يقيد حريتهم.

(٢) يقول ابن خالدون عنهم: «إنهم (اي العرب الجاهلية) بطبيعة التوحش الذى فيهم اهل انتهاب و عيث، ينتهبون ما قدروا عليه ... و كان ذلك عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربة الحكم، و عدم الانقياد للسياسة و هذه الطبيعة منافية لل عمران و مناقضة له.»

و يضيف قائلا: «فطبيعتهم انتهاب ما فى أيدي الناس، و ان رزقهم فى ظلال رماحهم و ليس عندهم فى أخذ اموال الناس حد ينتهبون إليه، بل كلما امتدت أعينهم الى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه» (٢).

لقد كانت الاغارة و كان النهب و القتال من العادات المستحكمة عند القوم، و من الطبائع الثانوية فى نفوسهم، و قد بلغ ولعهم و شغفهم بكل ذلك و نروعهم

(١) وردت هذه العبارات فى مصادر مختلفة مع شيء طفيف من الاختلاف، راجع تحف العقول:

ص ٣٣ و ٣٤.

(٢) مقدّمه ابن خالدون: ص ١٤٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٥

الشديد إليه، أن أحدهم - كما يقال - سأل النبي صلى الله عليه وآله بعد أن سمع منه وصف الجنة و ما فيها من نعيم: و هل فيها قتال؟ و لما سمع الجواب بالنفى قال: اذن لا خير فيها!!

اجل لقد سجل التاريخ للعرب ما يقرب من (١٧٠٠) وقعة و حربا، امتد أمد بعضها الى مائة سنة أو اكثر، يعنى أن أجيالا كثيرة كانت تتوارث الحرب، و تستمر فى قتال الخصم، و ربّ حرب دامية طويلة الأمد اندلعت بسبب قضيه تافهة (١).

(١) لقد كان العربى فى العهد الجاهلى يعتقد بأن الدم لا يغسله إلا الدم، و قضيه «الشنفرى» التى هى اشبه بالأساطير لغرابتها يمكن أن تعكس مدى «العصبيه الجاهلية» التى كانت سائدة آنذاك.

فالشنفرى يهان على يد رجل من «بنى سلامان» فيعزم على الانتقام منه، و ذلك بأن يقتل مائة من تلك القبيلة، و بعد التربص الطويل يغتال تسعا و تسعين، و يبقى مشرّدا حتى تغتاله جماعة من اللصوص عند بئر فتفعل جمجمته - بعد مقتله - فعلتها، اذ تتسبب بعد مرور سنين - فى قتل رجل من قبيلة - «بنى سلامان» و بذلك يكتمل العدد الذى حلف على قتلهم من تلك القبيلة، و ذلك عند ما يمر رجل من «بنى سلامان» على تلك المنطقه فيهب طوفان شديد يلقي بجمجمه «شنفرة» على ذلك الرجل فتصيبه فى رجله بشده، فيموت بما لحقه من ألم و جراحة (٢).

(١) العرب قبل الإسلام: ص ٣١٩ و ٣٢٠، هذا و تعتبر حرب داحس و الغبراء من أيام العرب التاريخية قبل الإسلام، و قد نشأت بسبب سباق بين فرسين هما داحس و الغبراء (و هو فرسين لقيس بن زهير من بنى عبس) و فرسين آخرين (لحذيفة الغدر) انتهى الى التنازع فى السباق و ازداد التنافر بين المتسابقين و انجرّ الى طعن أحدهما الآخر، و أن تنهيا على اثر ذلك مقدمات حرب طويلة بين قبيلتي الرجلين و حلفائهما استمرت من عام ٥٦٨ م الى عام ٦٠٨ م و موت كثيرين.

(راجع تاريخ العرب و آدابهم ص ٤٧ و الكامل لابن الأثير: ج ١ ص ٢٠٤).

(٢) تاريخ العرب: ج ١ ص ١١١، و راجع أيضا بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ٢ ص ١٤٥ و ١٤٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٦

(١) و لقد بلغ انس العرب الجاهلية بالقتال و سفك الدماء أن جعلوا القتل و السفك للدماء من مفاخر الرجال!!

و يبدو ذلك جليا لمن يقرأ قصائدهم الملحمية التي تفوح منها رائحة الدم، و يخيم عليها شبح الموت، تلك القصائد التي يمدح فيها الشاعر نفسه او قبيلته بما أراقوه من دماء!!، و ما ازهقوه من ارواح و ما سبوه من نساء!!، و أيتموه من أطفال!!  
و نجد في البيت الشعري التالي مدى انزعاج الشاعر العربي الجاهلي لما اصاب قبيلته من نكسة و ذل و هزيمة في ميدان القتال، اذ يقول:

فليت لي بهمو قوما إذا ركبوا شتوا الإغارة ركبانا و فرسانا و يصف القرآن الكريم هذه الحالة بقوله: «وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا» (١).

(٢)

### الاخلاق العامة في المجتمع الجاهلي العربي:

و مهما يكن من امر فان عوامل مختلفة كالجهل و ضيق ذات اليد، و جشوبة العيش، و عدم وجود قانون صحيح يحكم الحياة الاجتماعية، و حالة البداوة الموجبة للتوحش، و الكسل و البطالة و غير ذلك من الرذائل الاخلاقية كانت قد حولت جو الجزيرة العربية إلى جو فاسد قاتم، حتى أن امورا يندى لها الجبين قد اخذت طريقها الى حياة تلك الجماعة و راحت تتخذ شيئا فشيئا صفة العادات المتعارفة!!

لقد كانت الغارات و عمليات النهب، و القمار، و الربا، و الاسر، و السبي من الأعمال و الممارسات الرائجة في حياة العرب الجاهلية، و كان شرب الخمر و معاقرتها بلا حدود هو الآخر من الأعمال القبيحة الشائعة لديهم، و لقد ترسخت هذه العادة القبيحة في حياتهم الى درجة انها صارت جزء من طبيعتهم، و حتى أن

(١) آل عمران: ١٠٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٧

شعراءهم خصصوا مساحات كبيرة في قصائدهم لامتداح الخمر و وصفها و كانت الحانات مفتوحة في وجه الناس طيلة الوقت تستقبل الزبائن، و قد نصبت عليها رايات.  
فها هو شاعرهم يقول:

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروى عظامي بعد موتي عروقتها

و لا- تدفني في الفلاة فإني أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها «١» لقد بلغت معاقرة الخمر من الرواج في الحياة العربية الجاهلية بحيث اصبحت لفظه «التجارة» تعادل في عرفهم بيع الخمر، و الاتجار بها.

(١) و لقد كانت الأخلاق تفسر عند العرب الجاهلية بنحو آخر عجيب، فانهم مثلا كانوا يمدحون الشجاعة و المروءة و الغيرة، و لكنهم كانوا يقصدون من «الشجاعة» القدرة على الإغارة و سفك الدماء، و كثرة عدد القتلى في الحروب!! كما أن الغيرة كانت تعني عندهم وأد البنات حتى أن هذا العمل الوحشي كان يعدّ عندهم من أعلى مظاهر الغيرة، و كانوا يرون الوفاء و الوحدة في نصره الحليف حقا أو باطلا و هكذا فان اكثر القصص التي نقلت عن شجاعتهم و شغفهم بالحرية كانت الشجاعة و الشغف بالحرية فيها تتلخص و تتجسد في الاغارة و الانتقام.

انهم كانوا يعشقون- في حياتهم- المرأة و الخمر و الحرب ليس غير.

(٢)

## النزوع الى الخرافة و الاساطير فى المجتمع الجاهلى:

و لقد بين القرآن الكريم اهداف البعثة المحمّدية المقدسه بعبارات موجزة، و ممّا يلفت النظر- اكثر من أى شىء- ما ذكره تعالى فى الكتاب العزيز حول أهم هذه الاهداف و الغايات العليا إذ قال: «وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» (٢).

(١) تفسير مفاتيح الغيب: ج ٢ ص ٢٦٢ طبعه مصر ١٣٠٥.

(٢) الأعراف: ١٥٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٨

(١) فلا بد أن نعرف ما ذا كانت تلك الأغلال و السلاسل التى كانت عرب الجاهلية ترزح تحتها حتى قبيل بزوغ فجر الإسلام؟ لا ريب أنها لم تكن من جنس الأغلال و السلاسل الحديدية، و لم يكن المقصود منها ذلك أبداً، فما ذا كانت إذن يا ترى؟ أجل إن المقصود من هذه الاغلال هى الأوهام و الخرافات التى كانت تقيد العقل العربى عن الحركة، و تعيقه عن النمو و التقدم، و لا شك أن مثل هذه السلاسل و الأغلال التى تقيد الفكر البشرى و تمنعه من التحليق و التسامى، اثقل بكثير من الاغلال و القيود الحديدية و اضّر على الإنسان منها بدرجات و مراتب، لأنّ الأغلال الحديدية توضع عن الأيدي و الأرجل بعد مضى زمان، و يتحرر الإنسان منها، بعد حين، ليدخل معترك الحياة بعقلية سليمة مبرّأه من الأوهام و الخرافات، و قد زالت عنه ما تركته تلك الحدائد من جروح و آلام.

(٢) أما السلاسل و الاغلال الفكرية (و نعنى بها الاوهام و الاباطيل و الخرافات) التى قد تهيمن على عقل الإنسان و تكبل شعوره فانها طالما رافقت الإنسان الى لحظة وفاته، و اعاقته عن المسير و الانطلاق، دون ان يستطيع التحرر منها، و التخلص من آثارها، و تبعاتها، اللهم اذا استعان على ذلك بالتفكير السليم، و الهداية الصحيحة. فبالتفكير السليم و فى ضوء العقل البعيد عن أى و هم و خيال يمكنه التخلص من تلك الاغلال و القيود الثقيلة، و أما بدون ذلك فإن أى سعى للإنسان فى هذا السبيل سيوء بالفشل.

(٣) إن من أكبر مفاخر نبي الإسلام أنه كافح الخرافات، و أعلن حرباً شعواء على الأساطير، و دعا إلى تطهير العقل من أدران الأوهام و التخيلات، و قال: لقد جئت لآخذ بساعد العقل البشرى، و أشد عضده، و احارب الخرافة مهما كان مصدرها. و كيفما كان لونها و أيا كانت غايتها، حتى لو خدمت أهدافى، و ساعدت على تحقيق مقاصدى المقدسة.

إنّ ساسة العالم الذين لا تهمهم إلّا إرساء قواعد حكمهم و سلطانهم على

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٩

الشعوب لا- يتورعون عن التوسل بأية وسيلة، و الاستفادة من اية واقعة فى سبيل تحقيق مآربهم حتى أنهم لا يتأخرون عن التذرع بترويح الخرافات و الأساطير القديمة بين الشعوب للوصول إلى سدة الحكم، أو البقاء فيها ما امكنهم ذلك. و لو اتفق أن كانوا رجالاً موضوعيين و منطقيين فانهم فى هذه الحالة دافعوا عن تلك الخرافات و الأوهام و الاساطير التى لا تنسجم مع اى مقياس عقلى بحجة الحفاظ على التراث القومى، او احترام رأى اكثرية الشعب، او ما شابه ذلك من الحجج المرفوضة.

(١) و لكنّ رسول الإسلام لم يكتف بإبطال المعتقدات الخرافية التى كانت تلحق الضرر به، و بمجمعه، بل كان يكافح و يحارب بجميع قواه كل اسطورة أو خرافة شعبية او فكرة فاسدة باطله، تخدم غرضه، و تساعد على تحقيق التقدم فى دعوته و يسعى إلى أن يجعل الناس يعشقون الحقيقة لا ان يعبدوا الخرافات، و يكونوا صحايا الاساطير و الأوهام، و إليك واحداً من هذه المواقف العظيمة على سبيل المثال لا الحصر.



(١) لقد سجل التاريخ عن سكان شبه الجزيرة العربية طائفة هائلة و كبيرة من الاوهام و الخرافات، و قد جمع السيد محمود الألوسى اكثرها فى كتابه «بلوغ الارب فى معرفة احوال العرب»، مرفقا كل ذلك بما حصل عليه من الشواهد الشعرية و غيرها «١». و من يتصفح هذا الكتاب يقف على ركام هائل من الخرافات التى كانت تملأ العقل العربى الجاهلى آنذاك و تعشعش فى نفوسهم، و قد كانت هذه السلسلة الرهيبة من الأوهام هى السبب فى تخلف هذا الشعب عن بقية الشعوب و الامم الاخرى. و لقد كانت هذه الخرافات من أكبر السدود فى طريق تقدم الدعوة الإسلامية، و لهذا اجتهد النبى الأكرم صلى الله عليه وآله بكل طاقاته فى محو و ازاله آثار الجاهلية التى لم تكن سوى تلك الأوهام و الاساطير و الخرافات. فعند ما وجه «معاذ بن جبل» الى اليمن اوصاه بقوله:

«و امت أمر الجاهلية إلا ما سنّه الإسلام و أظهر أمر الإسلام كلّ صغيره و كبيره» «٢».

(٢) لقد وقف رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أمام جماهير كبيرة من العرب الذين كانت عقولهم تروح تحت الافكار و المعتقدات الخرافية ردحا طويلا من الزمن يعلن عن نهاية عهد الأفكار و الاوهام الجاهلية اذ قال: «كلّ ماثره فى الجاهلية تحت قدمي» «٣».

(١) بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب: ج ٢ ص ٢٨٦ - ٣٦٩.

(٢) تحف العقول: ص ٢٥.

(٣) السيرة النبوية: ج ٣ ص ٤١٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٧٢

(١)

### نماذج من الخرافات فى المجتمع الجاهلى:

#### اشارة

و للوقوف على مدى أهمية التعاليم الإسلامية و قيمتها نلقت نظر القارئ الكريم الى نماذج من هذه الخرافات، و من أراد التوسع راجع المصدر المذكور.

(٢)

### ١- الاستسقاء باشغال النيران:

كانت العرب إذا أجدبت، و أمسكت السماء عنهم، و أرادوا أن يستمطروا عمدوا الى السلع و العشر (و هما أشجار سريعة الاشتعال) فحزموها، و عقدوها فى أذنان البقر، و أضرموا فيها النيران و أصعدوها فى جبل وعر، و اتبعوها يدعون الله تعالى، و يستسقونه، و انما يضرمون النيران فى أذنان البقر تفاقولا- للبرق بالنار ... و كانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات الاخرى، و كانت هذه الثيران و الابقار اذا صاحت من وجع الاحتراق ظنت العرب بان ذلك هو الرعد!!! و قد قال شاعرهم فى ذلك:

يا (كحل) قد أثقلت أذنان البقر بسلع يعقد فيها و عشر

فهل تجودين ببرق أو مطر؟ (٣)

**٢- ضرب الثور اذا عافت البقر:**

كانوا إذا أوردوا البقر فتمتتع من شرب الماء، ضربوا الثور ليقتم الماء، بعده و يقولون: إن الجن تصدّ البقر عن الماء، و أن الشيطان يركب قرنى الثور، و لا يدع البقر تشرب الماء، و لذلك كانوا يضربون وجه الثور.

و قد قال فى هذا شاعرهم:

كذاك الثور يضرب بالهراوى إذا ما عافت البقر الظماء و قال آخر:

فإنى إذا كالثور يضرب جنبه إذا لم يعف شريا و عافت صواحيبه «١»

(١) عافت أى كرهت شرب الماء.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٧٣

و قال ثالث:

فلا تجعلوها كالبقير و فحلها يكسر ضربا و هو للورد طائع

و ما ذنبه إن لم ترد بقراته و قد فاجأتها عند ذاك الشرائع

(١)

**٣- كى صحيح الإبل ليبراً السقيم:**

إذا كان يصيب الإبل مرض او قرح فى مشافرها و اطرافها عمدوا إلى بعير صحيح من تلك الإبل فكوا مشفره و عضده و فخذة يرون أن ذلك إن فعلوه ذهب العرّ و القرح و المرض عن إبلهم السقيمة، و لا يعرف سبب ذلك.

و قد احتمل البعض أنهم إنما كانوا يفعلون ذلك و قايه للصحاح من الإصابة بالعرّ الذى أصاب غيرها، أو أنه نوع من المعالجة العلمية، و لكن لما ذا ترى كانوا يعمدون إلى بعير واحد من بين كل تلك الابل، فلا بد من القول بأن هذا الفعل كان ضرباً من الاعمال الخرافية التى كانت سائدة فى ذلك المجتمع الجاهلى قبل الإسلام.

و قد قال شاعرهم عن ذلك:

و كلفتنى ذنب امرئ و تركته كدى العرّ يكوى غيره و هو راتع و قال آخر:

كمن يكوى الصحيح يروم برآبه من كل جرباء الإهاب و قال ثالث:

فالزمتنى ذنبا و غيرى جرّه حنا نيل لا تكون الصحيح بأجرها

(٢)

**٤- حبس ناقة عند القبر اذا مات كريم:**

إذا مات منهم كريم عقلوا ناقته او بعيره عند القبر الذى دفن فيه ذلك الكريم، فعكسوا عنقها، و أداروا رأسها الى مؤخرها و تركوها فى حفيرة لا تطعم و لا تسقى حتى تموت، و ربما احرقت بعد موتها و ربما سلخت و ملئ جلودها ثماما، و كانوا يزعمون أن من مات و لم يبيل عليه (أى لم تعقل ناقة عند قبره هكذا)



سيد المرسلين، ج ١، ص: ٧٤

حشر ماشيا، و من كانت له بليّة (اي ناقة عقلت هكذا) حشر راكبا على بليّته.

و قد قال أحدهم في هذا الصدّد:

إذا متّ فادفني بحراء ما بهاسوى الأصرخين أو يفوّز راكب

فإن أنت لم تعقر عليّ مطيتي فلا قام في مال لك الدهر حالب و قال آخر و هو يوصى ولده بان يفعلوا له ذلك:

أبني لا تنس البليّة إنها لأبيك يوم نشوره مركوب

(١)

### ٥- عقر الإبل على القبور:

كانوا إذا مات أحدهم ضربوا قوائم بعير بالسيف عند قبره، و قيل انهم كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت المضياف على ما كان يعقره من الإبل في حياته و ينحره للاضياف.

و قد ابطلت الشريعة المقدسة هذه العادة الباطلة في ما أبطلته فقد جاء في الحديث «لا عقر في الإسلام».

و قد قال أحدهم حول العقر هذا:

قل للقوافل و الغزاة اذا غزواو الباكرين و للمجدّ الرائح

إن الشجاعة و السماحة ضمنا قبرا بمر و على الطريق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلاّد و كل طرف سابع

و أنضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون اخادم و ذبائح

### ٦- نهيق الرجل إذا اراد دخول القرية (التعشير):

(٢) و من خرافاتهم أن الرجل منهم كان إذا اراد دخول قرية فخاف و بآها او جنّها وقف على بابها قبل ان يدخلها فنهق نهيق الحمار،

ثم علّق عليه كعب ارنب كأنّ ذلك عوذة له، و رقيه من الوباء و الجن و يسمون هذا النهيق التعشير.

قال شاعرهم:

و لا ينفع التعشير أن حمّ واقع و لا ززع يغنى و لا كعب ارنب

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٧٥

و قال الآخر:

لعمري إن عشت من خيفة الردى نهاق حمير أننى لجزوع

### ٧- تصفيق الضالّ في الصحراء ليهتدى:

(١) فقد كان الرجل منهم اذا ضلّ في فلاة قلب قميصه و صفق بيديه، كأنه يومئ بهما الى انسان مهتدى.

قال أعرابي في ذلك:

قلبت ثيابي و الظنون تجول بي و يرمى برجلي نحو كل سبيل  
فلأيا بلائي ما عرفت حليلتي و أبصرت قصدا لم يصب بدليل

### ٨- الرتم:

(٢) و ذلك أن الرجل منهم كان اذا سافر عمد الى خيط فعقده في غصن شجرة او في ساقها فاذا عاد نظر إلى ذلك الخيط فإن وجده بحاله علم ان زوجته لم تخنه و ان لم يجده أو وجده محلولا قال: قد خانتني. و ذلك العقد يسمى «الرتم».

قال شاعرهم في ذلك:

خانتني لما رأته شيبا بمفرقه و غره حلفها و العقد للرتم و قال الآخر:  
لا تحسبن رتائما عقدنّها تنبيك عنها باليقين الصادق و قال ثالث:  
يعلل عمرو بالرتائم قلبه و في الحى ظبى قد أحلت محارقه  
فما نفعت تلك الوصايا و لا جنت عليه سوى ما لا يحب رتائمه

### ٩- وطى المرأة القليل الشريف لبقاء ولدها:

فقد كانت العرب تقول: ان المرأة المقلاة و هى التى لا يعيش لها ولد، إذا وطئت القليل الشريف عاش ولدها.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٧٦

قال احدهم:

تظلّ مقاليت النساء يطأنه يقلن أ لا يلقي على المرء مئزر

### ١٠- طرح السنّ نحو الشمس اذا سقطت:

(١) و من تخيلات العرب و خرافاتهم أن الغلام منهم اذا سقطت له سن أخذها بين السبابه و الابهام و استقبل الشمس اذا طلعت و قذف بها و قال: يا شمس ابدليني بسن احسن منها و لتجر في ظلمها إياتك، او تقول إياؤك، و هما جميعا شعاع الشمس.

قال احدهم و هو يصف ثغر معشوقته:

سفته إياه الشمس إلّا لثاته أسفّ و لم تكرم عليه بائمه أى كأن شعاع الشمس اعارته ضوءها.

هذا و قد أشار شاعرهم الى هذا الخيال (او قل الخرافة المذكورة) اذ قال:

شادن يحلو إذا ما ابتسمت عن أقاح كاقح الرمل غر

بدلته الشمس من منبته بردا أبيض مصقول الاثر

### ١١- تعليق النجاسة على الرجل وقاية من الجنون:

و من تخيلات العرب أنهم كانوا إذا خافوا على الرجل الجنون، و تعرّض الارواح الخبيثة له نجسوه بتعليق الاقدار كخرقة الحيض و

عظام الموتى قالوا:

و أنفع من ذلك أن تعلق عليه طامت عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك. و انشدوا في ذلك:  
فلو أن عندى جارتين و راقياو علق أنجاسا على المعلق و قالت امرأة و قد نجست ولدها فلم ينفعه ذلك و مات:  
نجسته لا ينفع التنجيس و الموت لا تفوته النفوس

### ١٢- دم الرئيس يشفى:

فقد كانت العرب تعتقد أن دم الرئيس يشفى من عضه الكلب الكلب.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٧٧

قال الشاعر:

بناء مكارم و اساء جرح دماؤهم من الكلب الشفاء و قال آخر:  
أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى من الكلب

### ١٣- شق البرقع و الرداء يوجب الحب المتقابل:

و من أوهامهم و تخيلاتهم أنهم كانوا يزعمون أن الرجل إذا احب امرأة و احبته فشق برقعها و شقت رداءه صلح جبهما و دام، فان لم يفعل ذلك فسد جبهما، قال في ذلك احدهم:

و كم شققنا من رداء محبرو من برقع عن طفلة غير عانس

إذا شق برد شق بالبرد برقع دواليك حتى كلنا غير لابس

نروم بهذا الفعل بقيا على الهوى و الف الهوى يغوى بهذى الوسوس

(١)

### ١٤- معالجة المرضى بالامور العجيبة:

و من مذاهبهم الخرافية في معالجة المرضى إذا بثر شفه الصبي حمل منخلا على رأسه و نادى بين بيوت الحي: الحلا الحلا، الطعام الطعام، فتلقى له النساء كسر الخبز، و اقطاع التمر و اللحم في المنخل ثم يلقي ذلك للكلاب فتأكله، فيبرأ من المرض فان أكل صبي من الصبيان من ذلك الذى ألقاه للكلاب ثمرة أو لقمه أو لحمه بثر شفته.

فقد رويت عن امرأة أنها انشددت:

ألا حلا في شفه مشقوه فقد قضى منخلنا حقوقه و من أعاجيبهم أنهم كانوا إذا طالت علة الواحد منهم، و ظنوا أن به مسا من الجن لانه

قتل حية، أو يربوعا، أو قنفذا، عملوا جمالا من طين و جعلوا عليها جوالق و ملأوها حنطة و شعيرا و تمرا، و جعلوا تلك الجمال في

باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس و باتوا ليلتهم تلك، فاذا اصبحوا نظروا إلى تلك

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٧٨

الجمال الطين فاذا رأوا انها بحالها قالوا لم تقبل الدية فرادوا فيها و ان رأوها قد تساقطت و تبدد ما عليها من الميرة قالوا: قد قبلت الدية

و استدلووا على شفاء المريض و فرحوا و ضربوا الدف.

قال بعضهم:

قالوا و قد طال عنائي و السقم احمل الى الجن جمالات و ضم  
فقد فعلت و السقام لم يرم فبالذى يملك برئى اعتصم و قال آخر:

فيا ليت أن الجن جازوا حمالتى و زحزح عنى ما عنانى من السقم

اعلل قلبى بالذى يزعمونه فيا ليتنى عوفيت فى ذلك الزعم و من مذاهبهم فى هذا المجال أن الرجل منهم كان إذا ظهرت فيه القوباء (و هو مرض جلدى) عالجهما بالريق.

قال احدهم:

يا عجباً لهذه الفليقة هل تذهبن القوباء الريقة

### ١٥- خرافات فى مجال الغائب:

كانوا إذا غم عليهم أمر الغائب و لم يعرفوا له خيرا جاءوا إلى بئر عاديه (أى مظلمة بعيدة القعر) أو جاءوا إلى حصن قديم و نادوا فيه:  
يا فلان أو يا أبا فلان (ثلاث مرات)، و يزعمون انه إن كان ميتا لم يسمعوا صوتا، و إن كان حيا سمعوا صوتا ربما توهموه و هما، أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم، قال بعضهم فى ذلك:

دعوت أبا المغوار فى الحفر دعوة فما آص صوتى بالذى كنت داعيا «١»

أظن أبا المغوار فى قصر مظلم تجرّ عليه الذاريات السوافيا و قال آخر:

و كم ناديته و الليل ساح بعادى البئار فما أجابا

(١) آص أى عاد و رجع.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٧٩

و من ذلك أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال: (أرى من احبّه) فإن كان غائبا توقع قدومه، و إن كان بعيدا توقع قربيه، و قال أحدهم:

إذا اختلجت عيني أقول لعلها فتاة بنى عمرو بها العين تلمع و قال آخر:

إذا اختلجت عيني تيقنت إننى أراك و إن كان المزار بعيدا و كانوا إذا لا يحبون لمسافر أن يعود إليهم أوقدوا نارا خلفه و يقولون فى

دعائهم «أبعده الله و أسحقه و أوقد نارا إثره» قال بعضهم:

صحوت و أوقدت للجهل نار اورد عليك الصباما استعارا

### ١٦- عقائدهم العجيبه فى الجن و تأثيره:

كانت العرب فى الجاهلية تعتقد فى الجن و تأثير هذا الكائن فى شتى مجالات حياتهم اعتقادات عجيبه و فى غاية الغرابة.

فتارة تستعبد بالجن، و قد استعاذ رجل منهم و معه ولد فأكله الأسد فقال:

قد استعدنا بعظيم الوادى من شر ما فيه من الأعداى

فلم يجرنا من هزبر عادى  
 وعن الاستعاذه بالجن قال الله سبحانه فى القرآن: «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» (١).  
 ومن ذلك اعتقادهم بهتاف الجن. ولهم فى هذا المجال أساطير خرافية مذكورة فى محلها.  
 ومن هذا القبيل اعتقادهم بالغول، فقد كانت تزعم العرب فى الجاهلية أن الغيلان فى الفلوات (وهى من جنس الشياطين) تتراعى للناس، و تغول تغولا اى تتلون تلونا فضلهم عن الطريق، و تهلكهم، و من هذا القبيل أيضا اعتقادهم بالسعالى!!

(١) الجن: ٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٨٠

و قد قال أحدهم فى ذلك:

و ساحرة عينى لو أن عينهارأت ما الاقيه من الهول جنات  
 أبيت و سعاله و غول بقفرة إذا الليل و أرى الجن فيه أرنت

## ١٧- تشاءمهم بالحيوانات و الطيور و الاشياء:

و من مذاهبهم الخرافية تشاءمهم بأشياء كثيرة و حالات عديدة:  
 فمن ذلك؛ تشاءمهم بالعطاس.

و تشاءمهم بالغراب حتى قالوا: فلان أشأم من غراب البين، و لهم فى هذا المجال أبيات شعرية كثيرة منها قول أحدهم:  
 ليت الغراب غداة ينبع دائباً كان الغراب مقطّع الأوداج و كذا تشاءمهم و تطيرهم بالثور المكسور القرن و الثعلب. إلى غير ذلك من التخييلات و الأوهام و الخرافات و الاساطير، و الاعتقادات العجيبة، و التصورات الغريبة التى تزخر بها كتب التاريخ المخصصة لبيان أحوال العرب قبل الإسلام و حتى ابان قيام الحضارة الإسلامية.  
 (١)

## مكافحة الإسلام لهذه الخرافات:

و لقد كافح الإسلام جميع هذه الخرافات بطرق مختلفة، و اساليب متنوعة.  
 أما بالنسبة إلى ما كانوا يفعلونه بالحيوانات (٢) فمضافاً إلى أن أى شىء من هذه الأعمال لا ينسجم مع العقل و المنطق و العلم لأن المطر و الغيث لا- ينزل من السماء باسعال النيران، و ضرب الثيران لا- يؤثر فى البقر، كما لا ينفع كى البعير الصحيح فى شفاء الإبل السقيمة، و تعتبر هذه الاعمال نوعاً من تعذيب الحيوانات و قد نهى الإسلام بشدة عن تعذيب الحيوانات و ايذاءها، باى شكل كان.  
 (٣) فقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله و سلم أنه قال: «للدابة على صاحبها ستّ خصال:

١- يبدأ بعلفها إذا نزل.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٨١

٢- و يعرض عليها الماء إذا مرّ به.

٣- و لا يضرب وجهها فإنها تسبح بحمد ربّها.

٤- و لا يقف على ظهرها إلا فى سبيل الله عزّ و جلّ.

٥- ولا يحتملها فوق طاقتها.

٦- ولا يكلفها من المشى إلا ما تطيق «١».

كما روى أنه نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أن توسم البهائم في وجهها، وأن تضرب في وجوها فانها تسبح بحمد ربها. ومن هنا ندرک ان التعاليم في مجال الرفق بالحيوان، و حمايته، على النقيض من العادات الجاهلية السائدة في البيئته العربية آنذاك. و اما بالنسبة الى التمام الى الأشياء التي كانت تعلقها العرب على أعناق و صدور رجالها، و أولادها، من الأحجار و الخرز، و عظام الموتى، و معالجة المرضى و المصابين و غيرهم بها أحيانا فقد حاربها الإسلام، بعد أن أبطلها كما أبطل الأفاعيل التي سبق أن ذكرناها قبل هذا.

فلما جاءت جماعات من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و سألوه عن الرقى و القلائد التي كانوا يتداوون بها أو يسترقونها بدلا عن التداوي بالعقاقير و الأدوية قائلين يا رسول الله: أ نتداوي؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تداووا فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء» «٢». بل نجد النبي صلى الله عليه وآله و سلم يأمر سعد بن أبي وقاص عندما ما أصيب بمرض في فؤاده أن يعالج نفسه عند طيب إذ قال له لما عاده و عرف بحاله: «إنك رجل مفود، أئت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يتطبب» «٣».

(١) من لا- يحضره الفقيه: ج ٢ ص ٢٨٦، و راجع للوقوف على أحاديث حقوق الحيوان كتاب الشؤون الاقتصادية: ص ١٣٠-١٥٩ أيضا.

(٢) التاج الجامع للأصول: ج ٣ ص ١٧٨.

(٣) التاج الجامع للأصول: ج ٣ ص ١٧٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٨٢

(١) هذا مضافا إلى أنه وردت أحاديث كثيرة تصرح بطلان التمام السحرية التي لا تنفع و لا تضر أبدا، و ها نحن نشير في ما يلي إلى نموذجين من هذه الأحاديث:

١- يقول أحدهم: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله و آله بابن لى قد اعلمت عليه من العذرة (و هي قلادة سحرية جاهلية) فقال: علام تدغرن أولادك بهذا العلاق، عليك بهذا العود الهندي» و كان صلى الله عليه وآله يقصد عصارة هذا العود «١».

٢- روى عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «إن كثيرا من التمام شرك» «٢».

هذا مضافا إلى أن النبي صلى الله عليه وآله و آله و أوصيائه الكرام- بارشادهم الناس إلى ما ينبغي أن يتداووا به من العقاقير و الأدوية و ما أعطوه من تعاليم قيمة كثيرة في هذا المجال مما جمعه المحدثون الكبار تحت عنوان: «طب النبي» و «طب الرضا» و ... و- قد وجهوا ضربة قوية أخرى إلى تلك الأوهام و التخيلات، و الخرافات و الاساطير التي كان يعاني منها المجتمع العربي الجاهلي قبل الإسلام «٣». و أما الغول، و الطيرة، و التشاؤم، و الهامة و النوء فقد حاربها النبي بصراحة إذ قال: صلى الله عليه وآله و سلم «لا هامة و لا نوء و لا طيرة، و لا غول» «٤».

و قال (ص) «العيافة و الطيرة و الطرق من الجبت» «٥».

(١) التاج الجامع للأصول: ج ٣ ص ١٨٤.

(٢) سفينة البحار: ج ١ مادة رقى.

(٣) و قد فتح المحدثون من الفريقين أبوابا خاصا لأحاديث الطب النبوي في كتب الحديث أيضا.

(٤) التاج الجامع للأصول: ج ٣ ص ١٩٦ و ١٩٧ الفصل الرابع باب نفى مزاعم الجاهلية، قال مؤلف التاج: الهامة طائر أو اليوم إذا سقط في مكان تشاءم أهله، أو دابة تخرج من رأس القليل أو من دمه فلا تزال تصيح حتى يؤخذ بثاره، والنوء نجم يأتي بالمطر و آخر يأتي بالريح (حسب عقيدة الجاهلية)!!

(٥) التاج الجامع للأصول: ج ٣ ص ٢٠١. قال مؤلف التاج العيافة زجر الطير و التفاؤل بأسمائها و أصواتها كالتفاؤل بالعقاب على العقاب، و بالغراب على الغرب، و بالهدهد على الهدى، و كذا بأفعالها، و كيفية طيرانها فكانت العرب تزجر الطير و تثيره فما اخذ منها ذات اليمين تبركوا به-

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٨٣

و عن النبي صلى الله عليه وآله أيضا أنه قال: «إن الرقى و التمام و التولة شرك» «١».

و عن أحدهم قال: قلت يا رسول الله امورا كُنَّا نصنعها في الجاهلية، كُنَّا نأتي الكهان، قال: فلا تأتوا الكهان، قلت: كُنَّا نتظير قال: ذاك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم».

إن وجود النهى الشديد و المكتر في الأحاديث الكثيرة عن الطيرة و التشاؤم، و الزجر و العيافة و التمام و التولة و الهامة و النوء و الغول، و الكهانة، و ايذاء الحيوانات و كيهن، و تعذيبهن، و ما شابه ذلك يدل بوضوح و قوة على مدى رسوخ هذه العادات الباطلة في الحياة العربية الجاهلية، يكشف عن مبلغ اعتقادهم بها، و نزوعهم إليها و هو بالتالي يكشف عن مغزى قوله تعالى: «و يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ» «٢» فَأَيُّهُ سلاسل و أغلال أثقل و أسوأ عاقبة و أشد وطئ، من هذه الأغلال ... أغلال الخرافة و الوهم، و سلاسل التخيلات و الاساطير!!

(١)

### أوضاع العرب الاجتماعية قبيل ظهور الإسلام:

إن أولى خطوة خطاها البشر باتجاه النمط الاجتماعي كانت عند ما أقبل على تأسيس و إقامة الحياة القبلية، فالقبيلة تتكون من اجتماع عدة عوائل و اسر مترابطة فيما بينها بوشائج القربى و النسب تحت زعامة شيخ القبيلة، و بهذا يتحقق

- و يَمْنُوا و ما تياسر منها تشاء موابه (كما في بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ج ٣ ص ٢١٢ تحت عنوان كيفية الزجر عند العرب).

و «الطرق»: الضرب بالحصى (للاستدلال على امور غيبية باعتقاد الجاهليين). و الجبت هو الباطل.

(١) التاج الجامع للأصول: ج ٣ ص ٢٠٣. قال مؤلف الجامع: «التولة»: نوع من السحر يحبب الرجل إلى زوجته، و هو من عمل المشركين (أى في الجاهلية).

(٢) سورة الأعراف: ١٥٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٨٤

أبسط نمط من أنماط الحياة الاجتماعية.

(١) و قد كانت الحياة العربية - آنذاك - من هذا القبيل، فكل مجموعة من العوائل المترابطة نسبيا تتجمع في شكل قبيلة، و تشكل بذلك مجتمعا صغيرا يخضع فيه الجميع لأوامر رئيس القبيلة و زعيمها، و لقد كان الجامع بين افراد القبيلة هو الرابطة القومية، و الوشيجة النسبية، و كانت هذه القبائل تختلف في عاداتها و رسومها، و تقاليدها و أعرافها، اختلافا كبيرا، و إذ كانت كل قبيلة تعتبر القبائل الاخرى غريبة عنها لذلك كانت لا تقيم للآخرين وزنا و لا قيمة، و لا تعترف لهم باى حق أو حرمة.

ولهذا كانت ترى الإغارة على الآخرين وقتلهم، ونهب أموالهم، وسلب ممتلكاتهم و سبي نساءهم من حقوقها القانونية المشروعة، اللهم إلاً أن يكون بين القبيلة، والقبيلة الاخرى حلف أو معاهدة.  
هذا من جانب.

ومن جانب آخر كانت القبيلة التي تتعرض للإغارة من جانب قبيلة اخرى ترى من حقها أن تردّ الصاع صاعين، فتقتل كل أفراد القبيلة المغيرة، لأن الدّم- فى نظرهم- لا يغسله الا الدّم!!!  
ولقد تبدلت أخلاقيّة العرب هذه بعد انصوائهم تحت لواء الإسلام الحنيف، بل تحوّلوا من نمط الحكومة القبليّة المتخلفة والنظام العشائري الضيق هذا، إلى حكومة عالميّة، واستطاع رسول الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلم ان يؤلف من القبائل العربيّة المتفرقة أمة واحدة.

(٢) ولا شك أن تأليف امّة واحدة من قبائل و جماعات اعتادت طوال سنين مديدة من التاريخ على التناحر والتنازع، والتخاصم والتقاتل، والتهاجم والإغارة فى ما بينها، واستمرت سفك الدماء، وإزهاق الارواح، وذلك فى مدة قصيرة، عمل عظيم جدا، و معجزة اجتماعية لا نظير لها، لأن مثل هذا التحوّل العظيم إذا اريد له أن يتمّ عبر التحوّلات والتطورات العاديّة لاحتاج الى تربية طويلة الامد، و وسائل لا تحصى كثرة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٨٥

(١) يقول «توماس كارليل» فى هذا الصدد: لقد اخرج الله العرب بالإسلام من الظلمات إلى النور، وأحى به منها امّة خاملة لا يسمع لها صوت ولا يحسّ فيها حركة، حتى صار الخمول شهرة و الغموض نباهة و الضعفة رفعة و الضعف قوة، و الشرارة حريقا، و شمل نوره الأنحاء و عمّ ضوءه الأرجاء ما هو إلا قرن بعد إعلان هذا الدين حتى أصبح للعرب (المسلمين) قدم فى الهند و اخرى فى الاندلس «١».

والى هذه الحقيقة يشير أيضا مؤلف تاريخ اللغات السامية الشهير «رينان» قائلا: «لا مكان لبلاد العرب فى تاريخ العالم السياسى و الثقافى و الدينى قبل ذلك الانقلاب المفاجئ الخارق للعادة الذى صار به العرب أمة فاتحة مبدعة و لم يكن لجزيرة العرب شأن فى القرون الاولى من الميلاد، حين كانت غارقة فى دياجير ما قبل التاريخ» «٢».

(٢) أجل إن هذه القبائل العربيّة الجاهلية المختلفة المتناحرة لم تكن تعيش أية حضارة، و لم تمتلك أية تعاليم و قوانين، و أنظمة و آداب قبل مجيء الإسلام، لقد كانت محرومة من جميع المقومات الاجتماعية التى توجب التقدم و الرقى، و لهذا لم يكن من المتوقع ابدا ان تصل إلى تلك الذرى الرفيعة من المجد و العظمة، و لا أن تنتقل من نمط الحياة القبليّة الضيقة الى عالم الانسانية الواسع، و افق الحضارة الرحيب بمثل هذه السرعة التى وصلت إليه، و الزمن القصير الذى انتقلت فيه.

إنّ مثل الشعوب و الامم البشرية مثل المباني و العمارات تماما.

فكما أن البناء القوى الراسخ يحتاج الى موادّ إنشائية قوية معدّة باتقان و محضرة باحكام حتى يستطيع البناء المصنوع من هذه الموادّ، و المؤسس بعناية و هندسة متقنة من الوقوف فى وجه الأعاصير، و الأمطار الغزيرة كذلك يحتاج كيان كل امّة رشيدة من الامم إلى اسس و قواعد محكمة (و هى الأصول و الآداب الكاملة، و الأخلاق الإنسانية العالية) لتستطيع من البقاء و التقدم.

(١) الخطط الاستعمارية لمكافحة الإسلام: ص ٣٨، و الإسلام العلم و الحديث: ص ٣٣.

(٢) حضارة العرب: ص ٨٧

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٨٦

(١) و لهذا السبب لا بد من التأمل فى أمر و سرّ هذه الظاهرة العجيبة و لا بد أن تتساءل:



كيف تحقق ذلك التطور العظيم، و ذلك التحول العميق للعرب الجاهلية، و من اين نشأ؟؟

كيف امكن ان تتحول جماعة متشعبة، متعادية، متناحرة، متباغضة، فى ما بينها، بعيدة عن النظم الاجتماعية، بمثل هذا السرعة الى أمة متألفة متآخية متعاونة متسالمة متحابه، و تشكل دولة قوية كيانا سياسيا شامخا أوجب أن تخضع لها دول العالم و شعوبه، و تطيعها، و تحترم مبادئها و اخلاقها و آدابها آنذاك.

(٢) حقا لو كان فى مقدور العرب أن يحرزوا ذلك التقدم الهائل بفعل عامل ذاتي فلما ذا لم تستطع عرب اليمن الذين كانوا يمتلكون شيئا كبيرا من الثقافة و الحضارة، و الذين عاشوا الانظمة الملكية سينا عديده، بل و ربّت فى احضانها ملوكا و قادة كبارا، أن تصل الى مثل هذه النهضة العظيمة الشاملة، و تقيم مثل هذه الحضارة العريضة الخالدة.

لما ذا لم تستطع العرب الغساسنة الذين كانوا يجاورون بلاد الشام المتحضرة، و يعيشون تحت ظلّ حضارة «الروم» أن يصلوا الى هذه الدرجة من الرشد؟

(٣) لما ذا لم تستطع عرب الحيرة الذين كانوا- و إلى الامس القريب- يعيشون فى ظلّ الامبراطورية الفارسية أن ينالوا مثل هذا الرقى و التقدم؟ و حتى لو وصلوا الى هذه الدرجة من التقدم و حققوا هذه القفزة فانه لم يكن أمرا يثير العجب لأنهم كانوا يعيشون فى أحضان مدنات كبرى، و يتغذون منها، و لكن الذى يثير الدهشة، و العجب هو أن تستطع عرب الحجاز من تحقيق هذه النهضة الباهرة، و يرثوا الحضارة الإسلامية العظمى و هم الذين كانوا يفتقرون إلى أبسط مقومات الحضارة الذاتية، و لم يكن لهم عهد بأى تاريخ حضارى مشرق، بل كانوا كما عرفت يزرعون تحت أغلال الوهم و التخيل، و يسرون فى ظلمات الخرافات و الأساطير.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٨٧

(١)

## دول الحيرة و غسان:

على العموم كانت المناطق ذات المناخ الجيد من الجزيرة العربية حتى آخر قرن قبل الإسلام تحت سيطرة ثلاث دول كبرى هي: «إيران»، «الروم»، «و الحبشة».

فالشرق و الشمال الشرقى من هذه المنطقه كانت تحت حماية «إيران».

و الشمال الغربى كان تابعا للروم.

و المناطق المركزية و الجنوب كانت تحت نفوذ «الحبشة».

و على أثر مجاوره هذه المناطق للدول المتحضرة المذكورة، و ما كان بينها من نزاع و تنافس دائمين ظهرت فى المناطق الحدودية للجزيرة العربية دول شبه متحضرة، و شبه مستقلة كان كل واحد منها تابعه فى حضاراتها لدولة متمدنه عظمى تجاورها.

و قد كانت دول «غسان»، و «الحيرة» «و كنده» من هذه الدول شبه المستقلة و شبه المتمدنه، و كانت كل واحد منها تابعه لاحدى الدول العظمى آنذاك: «إيران»، «الروم»، «الحبشة».

(٢) الحيرة: يتبين من الآثار و الأخبار أنه هاجرت- فى أوائل القرن الثالث بعد الميلاد- بعض الطوائف العربية، و ذلك فى نهايات الحكم الأشكنازي، إلى الأراضى المجاورة للفرات، و سيطروا على قسم من أراضى العراق، و قد أوجدت هذه الجماعة المهاجرة القرى و القلاع هناك، شيئا فشيئا، و أحدثت المدن التى من أهمها: «الحيرة» التى كانت تقع على حافة صحراء بالقرب من مدينة الكوفة الحالية.

و قد كانت هذه المدينة- و كما يظهر من اسمها- فى بدايه أمرها قلعه (لأن الحيرة تعنى فى اللغة السريانية: الدير و ما يشبهه) يسكنها العرب ثم تطورت شيئا فشيئا الى مدينة.

(٣) و قد ساعد مناخها الجميل، و المياه الوفرة التي تأتي إليها من الفرات، و جودة

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٨٨

الأحوال الطبيعية الأخرى إلى أن تجتذب إليها أصحاب الصحراء، و سكان البوادي، و القفار، كما و استطاعت هذه المدينة و بفضل مجاورتها للحضارة الفارسية إن تكتسب من ثقافتها و مدنيته ما أفاض عليها لونا من الحضارة و المدنية، و قد بنيت بالقرب من «الحيرة» قصور مثل «الخورتق» الذي أضاف إلى هذه المدينة جمالا و بهاء خاصين، و قد تعرّف العرب الساكنون في هذه المنطقة على الخط و الكتابة، و يمكن ان تكون الكتابة و القراءة قد سرتا منها الى بقية مناطق الحجاز و مدنها (١).

(١) و لقد كان ملوك «الحيرة» و أمراؤها من اللخمين العرب يؤيدون من قبل الدولة الإيرانية بقوة، و سبب هذا التأييد، و الحماية الإيرانية للأمراء الحيرة و ملوكها كان يكمن في أن ملوك إيران- آنذاك- كانوا يريدون أن تكون الحيرة سداً، و حاجزا بينهم و بين عرب البادية، يدفعون بهم خطر الغزاة من أهل الصحارى على الحدود الإيرانية.

و لقد سجل التاريخ أسماء هؤلاء الأمراء؛ و قد نظم «حمزة الاصفهاني» فهرستا بأسمائهم، و جدولا بأعمارهم و مدد حكوماتهم، و من كان يعاصرهم من ملوك بني ساسان الإيرانيين (٢).

و مهما يكن الأمر فإن دولة اللخمين العرب كانت من أكبر الحكومات العربية شبه المتحضرة في منطقة الحيرة، و كان آخر ملوك هذه السلسلة هو «النعمان بن المنذر» صاحب القصة التاريخية التي تتضمن خلعه من الحكم، و قتله بواسطة الملك الإيراني: «خسرو برويز» (٣).

(٢) غسان: في أوائل القرن الخامس أو اوائل القرن السادس الميلادي هبط جماعة من المهاجرين اليمانيين في الشمال الغربي- أقصى نقاط الجزيرة العربية- و في جوار الإمبراطورية الرومية، و أسسوا دولة الغساسنة، و قد كانت هذه الدولة

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٤٥٧.

(٢) سني ملوك الأرض: ص ٧٣-٧٦.

(٣) الأخبار الطوال: ص ١٠٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٨٩

تحت حماية الروم، و كان ملوكها ينصبون من جانب إمبراطوريات «قسطنطينية» مباشرة، تماما كما كان ملوك «الحيرة» ينصبون من جانب ملوك إيران.

و لقد كانت دولة الغساسنة متحضرة نوعا ما، و حيث أن مراكز حكمها كانت قريبة من ناحية إلى «دمشق» و مجاورة ل: «بصرى» مركز القسم الرومي من الجزيرة العربية من ناحية أخرى، لذلك تأثرت بحضارة الروم تأثرا كبيرا و بالغا.

و لقد كان الغساسنة متحالفين مع الروميين بسبب ما كان بينهم و بين ملوك الحيرة اللخمين العرب و الإيرانيين من الاختلاف و النزاع، و لقد حكم في دولة الغساسنة تسعة أو عشرة من الأمراء و الملوك تباعا.

(١)

### الدين في أرض الحجاز:

لقد كان الدين الرائج في الحجاز هو الوثنية، و عبادة الاصنام.

نعم كانت هناك أقلييات دينية يهودية تقطن في يثرب (المدينة فيما بعد) و خيبر، كما انه كان هناك من يتبع المسيحية و هم سكان نجران، البلد الحدودي لليمن و الحجاز.

و كان الدين الرائج فى المناطق الشمالىة من الحجاز (إى الشام حالىا) هو المسىحىة بسبب مجاورة هذه المناطق للروم و خضوعها للسيادة الرومىة.

و لو أننا استثنىنا من الحجاز هذه المناطق الحساسة الثلاث لما وجدنا فى بقىة مناطق الحجاز إلاً الوثنىة فى أشكال مختلفه، و اعتقادات متنوعه، اللهم إلاً بضع افراد كان عددهم لا يتجاوز عدد أصابع اليد ممن يسمون بالاحناف كانوا على دين التوحيد، و كان عددهم بالنسبة إلى الاكثريه الساحقه من العرب الوثنيين قليلا جداً «١».

(٢) فمنذ زمن النبى «إبراهيم» الخليل و ابنه «اسماعيل» عليهما السلام دخل

(١) السيرة النبوىة: ج ١ ص ١٢٢ و ١٢٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٩٠

التوحيد، و دخلت بعض التعاليم الأخلاقية و الدينىة إلى أرض الحجاز، و كان الحج و أداء مناسكه احتراماً للكعبة الشريفة هو أحد هذه التعاليم و السنن التى دخلت مع «الخليل» إلى هذه المنطقه، ثم إن رجلاً من قبيلة «خزاعة» يسمى «عمرو بن لحي» الذى كانت زعامه مكة قد عهدت إليه، أدخل عبادة الاوثان فى مكة فى ما بعد، و ذلك عند ما سافر هذا الخزاعى إلى بلاد الشام فوجد قوماً من العمالقه يعكفون على تماثيل جميلة النقش و المنظر يعبدونها، و يؤلهونها، فقال لهم:

ما هذه الأصنام التى أراكم تعبدون قالوا له: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، و نستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أ فلا تعطوننى منها صنما فاسير به إلى أرض العرب فيعبده فأعطوه صنما، و هكذا استحب عملهم، و جلب معه إلى مكة صنما جميل النقش و النحت يدعى «هبل» فنصبه و دعا الناس إلى عبادته، و تعظيمه.

و هكذا دخلت الوثنىة إلى «مكة» المكرمه، و أصبحت عبادة الاوثان و الاصنام عبادة رائجه فى تلك الديار «١».

(١) و أشهر اصنام العرب هى:

١- هبل و كانت أعظم اصنام العرب التى فى جوف الكعبة.

٢- اساف.

٣- نائلة و كانت هى و اساف على موضع زمزم ينحرون عندهما.

٤- اللات و كانت لتقيف بالطائف.

٥- العزى و كانت بنخله الشامىة، و كانت لقريش و بنى كنانة.

٦- منات و كانت للوس و الخزرج و من ذهب مذهبهم من أهل يثرب.

٧- عميانس و كان بأرض خولان يقسمون له من أنعامهم و حروثهم.

٨- سعد.

(١) السيرة النبوىة: ج ١ ص ٧٨- ٨١، و العمالقه هم طائفة من العرب عاشوا و سادوا ثم بادوا قبل الإسلام.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٩١

٩- ذو الخلصة و كانت لدوس و خثعم و بجيلة.

١٠- مناف «١».

و لقد كانت هذه هى أشهر أصنام العرب علاوة على الأصنام الاخرى غير المعروفة التى كانت تختص بطائفة دون اخرى، أو بعائلة دون عائلة.

(١)

**العلم والثقافة في الحجاز:**

كان أهل الحجاز يوصفون بالأميين، والامى هو من لم يتعلم القراءة والكتابة فهو كمن ولدته أمه، أو هو باق في عدم العلم بالقراءة والكتابة على الحالة التي ولد فيها من أمه.

ولأجل أن نعرف مدى ما كان عليه العلم والثقافة عند العرب من القيامة يكفي أن نعلم بأن عدد الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة بين قريش الى ما قبل ظهور الإسلام لم يكن يتجاوز (١٧) شخصا في مكة و (١١) نفرا فقط من بين الأوس والخزرج في المدينة «٢».

إذا لاحظنا هذا التخلف والانحطاط في مجال العلم والثقافة في البيئته العربية الجاهلية يتضح لنا مدى تأثير الإسلام، وادركنا عظمة التعاليم الإسلامية في جميع الحقول الاعتقادية والاقتصادية والأخلاقية والثقافية، ولا بد في تقييم الحضارات أن نطالع وندرس الحلقة السابقة، ثم نقيم الحلقة التالية في ضوء ذلك، وفي هذه الصورة نقف على عظمة تلك الحضارة الحقيقية «٣».

(١) راجع الأصنام للكلبى، والمحبر: ص ٣١٥-٣١٩.

(٢) فتوح البلدان: ص ٤٥٧-٤٥٩.

(٣) للوقوف على معلومات أوسع وأكثر حول عقائد مختلفة طوائف المجتمع العربي الجاهلي، وثقافتها وتقاليدها راجع الكتابين التاليين:

ألف: «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» تأليف السيد محمود الألوسى المتوفى عام ١٢٧٠ هجرى قمرى.

باء: «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام» تأليف الاستاذ جواد على، وهذا الكتاب اخرج فى (١٠) مجلدات، وقد بحث فيها كل ما يرتبط بحياة العرب فى العهد الجاهلى.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٩٢.

**الإمام على يصف العهد الجاهلي:**

وقد وصف الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام تلك الحالة في خطبه، وحيث أنه عاصر ذروة ذلك الوضع المأساوى ووصفه وصفا دقيقا لذلك ينبغي أن نقف عند كلامه قليلا ليتبين لنا جيدا ما كان عليه العرب إبان عهد الرسالة الإسلامية المباركة:

قال عليه السلام في الخطبة (الثانية) من نهج البلاغة:

«... وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله أرسله بالدين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور والنور الساطع، والضياء اللامع، والأمر الصادع إزاحة للشبهات واحتجاجا بالبينات وتحذيرا بالآيات، وتخويفا بالمثلات «١» والناس فى فتن انجذم «٢» فيها جبل الدّين، وتزعزعت سوارى «٣» اليقين واختلف النجر «٤»، وتشتت الأمر وضاق المخرج، وعمى المصدر فالهدى خامل، وعمى شامل، عصى الرّحمن ونصر الشيطان وخذل الإيمان فانهارت دعائمه، وتنكرت معالمه ودرست «٥» سبله وعفت شركه «٦» أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه، ووردوا مناهله «٧» بهم سارت أعلامه، وقام لوائه فى فتن داستهم بأخفافها «٨» ووطئتهم بأظلافها «٩» وقامت على سنانكها «١٠» فهم فيها تتهون حائرون جاهلون مفتونون فى خير دار وشرّ جيران نومهم سهود وكحلهم دموع بأرض عالمها ملجم وجاهلها مكرم.

وقال فى الخطبة (التاسعة والثمانين) أيضا:

«أرسله صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل و طول هجعة من الامم و اعتزام «١١» من الفتن و انتشار من الامور و تلظ «١٢» من الحروب و الدنيا

(١) المثلات: العقوبات.

(٢) انجذم: انقطع.

(٣) السوارى: الدعائم.

(٤) النجر: الأصل.

(٥) درست: انطمست.

(٦) الشرك: الطرق.

(٧) المنهل: مورد النهر.

(٨) الخف: هو للبعير كالقدم للإنسان.

(٩) الظلف: للبقر و الشاة كالخف للبعير و القدم للإنسان.

(١٠) السنابك: طرف الحافر.

(١١) اعتزم الفرس: اذا مرّ جامحا.

(١٢) تلظ: تلهب.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٩٣

كاسفة التور ظاهرة الغرور على حين اصفرار من ورقها و إياس من ثمرها و اغورار «١» من مائها قد درست منار الهدى و ظهرت أعلام الردى فهى متجهمة «٢» لأهلها عابسة فى وجه طالبها ثمرها الفتنة و طعامها الجيفة «٣» و شعارها الخوف و دثارها السيف». و قال فى الخطبة (السادسة و العشرين): «إنّ الله بعث محمّدا صلى الله عليه وآله و سلم نذيرا للعالمين و أمينا على التنزيل و انتم معشر العرب على شرّ دين و فى شرّ دار منيخون «٤» بين حجارة خشن «٥» و حيات صمّ «٦» تشربون الكدر و تأكلون الجشب «٧» و تسفكون دماءكم و تقطعون أرحامكم الأصنام فيكم منصوبة و الآثام بكم معصوبة «٨»».

و قال عليه السلام فى الخطبة (الثالثة و الثلاثين): «إنّ الله بعث محمّدا صلى الله عليه وآله و سلم و ليس احد من العرب يقرأ كتابا و لا يدعى نبوة فساق الناس حتى بؤأهم محلّتهم «٩» و بلغهم منجاتهم فاستقامت قناتهم «١٠» و اطمأنت صفاتهم».

و قال فى الخطبة (الخامسة و التسعين) أيضا:

«... بعثه صلى الله عليه وآله و الناس ضلال فى حيرة و حاطبون فى فتنة قد استهوتهم الأهواء و استزلّتهم الكبرياء و استخفّتهم «١١» الجاهليّة الجهلاء حيارى فى زلزال من الأمر و بلاء من الجهل فبالغ صلى الله عليه وآله و سلم فى النصيحة و مضى على الطريفة و دعا إلى الحكمة و الموعة الحسنه».

و قال عليه السلام فى الخطبة (السادسة و التسعين) أيضا:

«... مستقرّه خير مستقرّ و منبته أشرف منبت فى معادن الكرامة و مهاد «١٢» السّلامه قد صرفت نحوه أفئدة الأبرار و ثبّتت إليه أزمه الأبصار دفن

(١) اغورار الماء: ذهابه.

(٢) تجهمة: استقبله بوجه كربه.

(٣) إشارة الى أكل العرب للميتة من شدة الاضطرار.

(٤) منيخون: مقيمون.

(٥) الخشن: جمع خشناء من الخشونة.

(٦) الصمّ: التي لا تسمع لعدم انزجارها بالاصوات.

(٧) الجشب: الطعام الغليظ.

(٨) معصوبة: مشدودة.

(٩) بؤأهم محلّهم: أنزلهم منزلتهم.

(١٠) القنأة: العود كناية عن القوة.

(١١) استخفّتهم: طيشتهم.

(١٢) الممهد: ما يبسط فيه الفراش.

سيد المرسلين، ج ١، ص ٩٤

الله به الضغائن و أطفأ به الثوائر «١» أَلْف به إخوانا و فرّق به أقرانا اعزّ به الدلّة و أذلّ به العزّة كلامه بيان و صمته لسان».

و قال عليه السّلام فى الخطبة (١٥١) أيضا:

«... أضاءت به صلّى الله عليه و آله البلاد بعد الضلالة المظلمة و الجهالة الغالبة و الجفوة الجافية و الناس يستحلّون الحريم و يستذلّون الحكيم يحيون على فترة «٢» و يموتون على كفره».

و قال فى الخطبة (١٩٨): «... ثمّ إنّ الله سبحانه بعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم بالحقّ حين دنا من الدنيا الانقطاع و أقبل من الآخرة الاطلاع «٣» و اظلمت بهجتها بعد إشراق و قامت بأهلها على ساق و خشن منها مهاد «٤» و أزف «٥» منها قياد فى انقطاع من مدّتها و اقتراب من أشراطها «٦» و تصرّم «٧» من أهلها و انفصام «٨» من حلقتها و انتشار «٩» من سببها و عفاء «١٠» من أعلامها و تكشّف من عوراتها و قصر من طولها».

و قال عليه السّلام فى الخطبة (٢١٣): «ارسله بالصّياء و قدّمه فى الاصطفاء فرّق «١١» به المفاتق «١٢» و ساور «١٣» به المغالب و ذلّل به الصّعوبة و سهّل به الحزونة «١٤» حتّى سرح الصّلال عن يمين و شمال».

و قال فى الخطبة (١٩١): «و اشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله ابتعته و الناس يضربون فى غمرة «١٥» و يموجون فى حيرة قد قادتهم أزمة الحين «١٦» و استغلقت على أفئدتهم أفقال الرّين «١٧»».

(١) الثائرة: العداوة.

(٢) على فترة: على خلوّ من الشرائع.

(٣) الاطلاع: الإتيان.

(٤) خشونة المهاد: كناية عن شدة آلام الدنيا.

(٥) ازف: قرب.

(٦) الشرط: العلامة.

(٧) التصرّم: التقطّع.

(٨) الانفصام: الانقطاع.

(٩) انتشار الأسباب: تبدّدها حتى لا تضبط.

(١٠) عفاء الأعلام: اندراسها.

(١١) رتق: سدّ به الفتق.

(١٢) المفاتق: مواضع الفتق.

(١٣) ساور: ثاوب.

(١٤) الحزونة: غلظ في الارض.

(١٥) الغمرة: الماء الكثير.

(١٦) الحين: الهلاك.

(١٧) الرين: التغطية.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٩٥

### فاطمة الزهراء تصف الوضع الجاهلي:

وقد وصفت السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العهد الجاهلي بمثل ذلك اذ قالت في خطبتها أمام أبي بكر و المسلمين «١»:

«فبلغ (اي رسول الله) بالرسالة صادعا بالندارة «٢» مائلا على مدرجة المشركين ضاربا ثبجهم «٣» آخذا بأكظامهم داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة و الموعظة الحسنه يكسر الأصنام و ينكث الهام «٤» حتى انهزم الجمع و ولوا الدبر حتى تفرى الليل عن صبحه و اسفر الحق عن محظه «٥» و نطق زعيم الدين و خرس شقاشق «٦» الشياطين و أطاح و شيط «٧» التفاق و انحلت عقد الكفر و الشقاق و فهتم بكلمة الاخلاص في نفر من البيض الخماص و كنتم على شفا حفرة من النار مذقة «٨» الشارب و نهزة «٩» الطامع و قبسة العجلان «١٠» و موطئ الأقدام تشربون الطرق «١١» و تقناتون القد «١٢» و الورق أذله خاسئين تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تعالى بمحمد بعد اللتيا و التي بعد أن منى بهم «١٣» الرجال و ذؤبان العرب و مرده أهل الكتاب «١٤» كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم «١٥» قرن الشيطان أو فغرت «١٦» فاغرة من المشركين، قذف أخاه في لهواتها «١٧» فلا ينكفىء «١٨» حتى يطاء صماخها بأخمصه».

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد و بلاغات النساء و غيرهما.

(٢) النذار: الأندار.

(٣) الثبج: الكاهل.

(٤) الهامة: الرأس.

(٥) المحض: الخالص.

(٦) الشقشقة: شىء يشبه الرئة يخرج من فم البعير إذا هاج.

(٧) الوشيط: الأتباع و الخدم.

(٨) المذقة: شربة من اللبن الممزوج بالماء.

(٩) النهزة: الفرصة.

(١٠) قبسة العجلان: الشعلة من النار التي يأخذها الرجل العاجل.

(١١) الطرق: الماء الذى خوضته الابل و بؤلت فيه.

(١٢) القدر: قطعة جلد غير مدبوغ.

(١٣) البهمة: الشجاع الذي لا يهتدى من أن يؤتى.

(١٤) المارد: العاتى.

(١٥) نجم: طلع.

(١٦) فغرت: فتحت.

(١٧) اللهاء: اللحم المشرفه على الحلق فى أقصى الفم.

(١٨) ينكفى: يرجع.

سيد المرسلين، ج ١، ص ٩٦.

### جعفر بن ابى طالب يصف العهد الجاهلى:

و يشهد بذلك أيضا ما قاله جعفر بن أبى طالب عند النجاشى ملك الحبشة عند ما أراد مبعوثا قريش استعادتهما إلى مكة:  
أيها الملك، كنا قوما أهل جاهليّة، نعبد الاصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسىء الجوار و يأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه، فدعانا الى الله لنوحده و نعبده، و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان و أمرنا بصدق الحديث و أداء الأمانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش و قول الزور، و أكل مال اليتيم، و قذف المحصنات، و أمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصلاة و الزكاة و الصيام قالت: فعدد عليه امور الاسلام حتى قال:  
و صدقناه، و آمنّا به و اتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا و حرّمنا ما حرّم علينا و أحلّلنا ما أحلّل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، و أن نستحلّ ما كنا نستحلّ من الخبائث «١».

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٣٥ و ٣٣٦. و الحديث عن أم سلمة.

سيد المرسلين، ج ١، ص ٩٧.

(١)

### ٣ إمبراطوريتا الروم و إيران إبان عهد الرسالة

#### إشارة

للقوف على أهمية النهضة الإسلامية المباركة التى تحققت على يدى النبى الاكرم صلى الله عليه وآله و سلم بعد ارساله من جانب الله تعالى و قيمتها، تكتسب دراسة بيئتين اجتماعيتين اهمية قصوى، و تانك البيئتان هما:

١- بيئة نزول القرآن الكريم، أى البيئة التى ظهر فيها الإسلام، و ترعرع و نمى.

٢- البيئة العالمية (خارج الجزيرة العربية)، و يعرف ذلك بدراسة عقائد الناس و أفكارهم فى اكثر مناطق العالم- يومذاك- مدنية و حضاره، و مطالعة آدابهم و أخلاقهم و تقاليدهم، و أعرفهم، و مدنياتهم التى كانت تعتبر أفضل لأفكار و المديتات، و أرقى الحضارات، و الأوضاع آنذاك.

و لقد كانت بيئتا: الامبراطورية الرومانية، و الامبراطورية الإيرانية ألمع نقطة فى ذلك اليوم- كما يدلنا التاريخ على ذلك. و لا بدّ



استكمالاً لهذا البحث من دراسة الأوضاع في هاتين الإمبراطوريتين، في مناطقها، و من نواحيها المختلفة، لنقف من هذا الطريق على قيمة الحضارة التي أتى بها الإسلام، و نعرف ذلك بوجه أفضل.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٩٨

## أوضاع الروم ابان عهد الرسالة:

### إشارة

(١) ان أوضاع الروم لم تكن بأقل سوء من أوضاع منافستها «إيران» فالحروب الداخلية من جانب و المعارك الخارجية المستمرة مع «إيران» و صراعها الدائم المستمر مع الأخيرة على منطقة «ارمينية» و غيرها كل ذلك كان يهيء الناس في تلك البلاد للقبول بثورة جديدة يضع حداً لمآسيهم و محنهم.

و لقد كان للاختلافات و المنازعات الطائفية و المذهبية نصيب الاكبر و الأوفر في توسيع رقعة هذه الاختلافات، و المنازعات.

فالحرب لم تتوقف أبداً بين الوثنيين و المسيحيين و لم تنطفئ شرارتها يوماً أبداً.

فكان إذاً غلب رجال الكنيسة على دست الحكم و أخذوا بمقاليد ما رسوا أشد أنواع الضغط و الاضطهاد بحق خصومهم و منافسيهم الأمر الذي كان يساعد على إيجاد أقلية ناقمة من جهة، كما و يمكن اعتبار ذلك عاملاً مساعداً من جهة أخرى على تهتئة الشعب الروماني لاحتضان الدعوة الإسلامية، و تقبلها.

لقد كان حرمان طوائف كثيرة و مختلفه ناشئاً من ممارسات رجال الكنيسة الخشنه و مواقفهم المترتبة.

هذا مضافاً إلى أن اختلاف القساوسة و الرهبان النصراني فيما بينهم من جهة، و تعدد المذاهب من جهة أخرى كان يعمل على التقليل من هيبة الامبراطورية الرومانية و جرّها إلى الضعف و الوهن المترائد يوماً بعد يوم.

(٢) هذا بغض النظر عن أن البيض و الصفر من سكان الشمال و المشرق كانوا يفكّرون في السيطرة على المناطق الغنية من أورب، و ربما ألحق أحدهما بالآخر خسائر فادحة و باهضة في الصراعات و المصادمات التي كانت تقع بينهما. و كان هذا هو نفسه السبب في أن تنقسم الامبراطورية الرومية الى معسكرين: المعسكر (او القسم الشرقي) و المعسكر (او القسم الغربي).

و يعتقد المؤرخون أن أوضاع الروم السياسية، و الاجتماعية و الاقتصادية في القرن السادس كانت مضطربة، و متدهورة جداً، حتى أنهم لا يرون في غلبه

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٩٩

الروم و تفوقها على إيران شاهداً على قدرتها العسكرية، و تفوقها النظامي، بل يرون أن هزيمة إيران كانت بسبب الفوضى التي كان سائدة آنذاك في جهاز الحكم الإيراني.

إن هاتين الدولتين اللتين كانتا تتربعان على عرش السيادة و السياسة العالمية في مطلع ظهور الإسلام كانتا تعيشان حالة سيئة من الفوضى، و الهرج و المرج، و من البديهي أن مثل هذه الأوضاع كان من شأنها أن توجد حالة من التهيؤ الكبير و الظماً الشديد إلى دين صحيح يضع حداً و نهاية لتلك الحالة، و يعيد تنظيم حياتهم.

(١)

## ظاهرة الجدل العقيم في المجتمع الرومي:

المتعارف أن يعمد جماعة من البطالين و الفسقة إلى طرح سلسلة من القضايا و المسائل الخاوية و النقاش حولها بهدف التوصل إلى أغراض فاسدة، فيستهلكون بذلك أوقات الناس، و يهدرون أعمارهم على منجر الجدل العقيم.

و هي حالة لها مصاديق كثيرة و شواهد عديدة في كثير من بلاد المشرق، و لنا بصدد التوسع فيه فعلا.

و قد كانت «الروم» تعاني يومئذ من مثل هذه الحالة أكثر من أي مكان آخر. سيد المرسلين ج ١ ٩٩ ظاهرة الجدل العقيم في المجتمع الرومي: ..... ص : ٩٩

د كان ملوك الروم و رجال الحكم و السياسة تبعاً لمذاهب دينية كنسبية - يعتقدون بأن المسيح ذو طبيعتين و مشيئين، و لكن طائفة أخرى من النصارى و هم «اليقويبة» كانوا يقولون بانه: ذو طبيعة و مشيئة واحدة.

و قد وجهت هذه المسألة الباطلة نفسها، و الجدل الواهي حولها ضربة شديدة إلى وحدة الروم و من ثم استقلالها، و احدثت في صفوفها انشقاقاً عميقاً حيث كانت السلطات الحاكمة تضطر إلى الدفاع عن معتقداتها، و لذلك كانت تضطهد معارضيهما، و تلاحقهم و هذا الاضطهاد و الضغط الروحي سبب في لجوء البعض إلى الدولة الإيرانية، كما كان هؤلاء هم الذين تركوا المقاومة عند

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٠٠

مواجهة الجيش الإسلامي، و القوا السلاح، و استقبلوا جنود الإسلام بالاحضان.

(١) كانت الروم تمرّ آنذاك بظروف اشبه ما تكون بظروف القرون الاوربية الوسطى التي ينقل عنها «فلاماريون» الفلكي الشهير القضايا التالية التي تدل على المستوى الفكري و الثقافي لاوربة في القرون الوسطى:

لقد كان كتاب «المجموعه اللاهوتية» المظهر الكامل للفلسفة المدرسية في القرون الوسطى، و قد بقي هذا الكتاب يدرّس في أوربة خلال أربعمئة سنة ككتاب رسمي و معترف به.

و قد كان من الأبحاث المطروحة في هذا الكتاب البحث حول عدد الملائكة التي يمكنها ان تستقر على رأس إبرة؟! أو عدد الفراسخ بين العين اليسرى و العين اليمنى للاب الخالد؟! إلى غير ذلك من القضايا التافهة!!

(٢) إن الامبراطورية الرومية السيئة الحظ فيما كانت تعاني من الحروب الخارجية الكثيرة، كانت تعاني كذلك من النزاعات و الاختلافات الداخلية - التي كانت - على الاغلب - تتصف بالصبغة المذهبية و الطائفية - و كانت تدفع بالبلاد إلى حافة الهاوية، و تزيدها قرباً إليها يوماً بعد يوم.

و لما رأى اليهود (و هي الزمرة الشريرة المتآمرة على الشعوب دائماً) تصاعد الاضطهاد و الضغط الذي يمارسه الامبراطور المسيحي الرومي خطّطت لاسقاط ذلك النظام، فاحتلت مدينة انطاكية ذات مرة، و مثلت بأسقف انطاكية الاكبر فصلموا اذنه، و جدعوا أنفه، فانتقلت حكومة الروم لهذه الجناية بعد مدة، و قتلت اليهود في انطاكية في مذبحه عامة.

و قد تكرر هذه الجرائم الفضيعة و هذه المذابح، و المذابح الانتقامية المضادة بين اليهود و النصارى عدة مرات، و ربما سرت موجة الروح الانتقامية أحياناً إلى خارج البلاد، فمثلاً اشترى اليهود من ايران ذات مرة ثمانين الف مسيحي ثم حزوا رءوسهم انتقاماً و تشفياً.

(٣) من هذا يستطيع القارئ الكريم أن يقف على الصورة القاتمة للوضع السيئ و المتردى الذي كان عليه العالم إبان بزوغ شمس الإسلام، و يدعن - مع

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٠١

المدعنين - بأن التعاليم الإسلامية الرفيعة التي انقذت العالم من ذلك الوضع المأساوي لم تكن أبداً وليدة الفكر البشري و ان نسيم الوحدة، الناعشة، و نعمة السلام التي يهدف إليه الإسلام و يسعى إلى تحقيقه و اقراره في الحياة البشرية ليس لها من مصدر إلا الغيب، اذ كيف يمكن القول بأن الإسلام الذي يعترف حتى للحيوانات بحق العيش و الحياة نابع من تلك البيئة المغرقة في القسوة و الوحشية، و ناشئ من ذلك المحيط المفحم بروح الانتقام و التشفى.

لقد أبطل الإسلام جميع تلك المجادلات العقيمة و المناقشات التافهة حول مشيئة عيسى و شخصيته، و قال فى نعتة و وصفه: «مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ» (١).

إن هذه الآية أنهت الكثير من أبحاث رجال الكنيسة الباطلة الخاوية حول «الروح» و «المسيح» و دمه، و شخصيته، و حقيقته، كما ان الإسلام بفضل التعاليم الرفيعة، و احياء السجايا و الملكات الفاضلة انقذ البشرية من المنازعات، الفارغة، و المذابح الفضيعة.

(١)

## أوضاع إيران إبان عهد الرسالة:

### إشارة

إن ما دفعنا إلى دراسة أوضاع الإمبراطورية الرومية هو نفسه يحتم علينا أيضا دراسة اوضاع إيران يومذاك. لقد صادف ظهور الإسلام و بعثه الرسول الكريم محمد صلى الله عليه و آله و سلم (٦١١ ميلادية) عهد السلطان الإيراني خسرو برويز (٥٩٠-٦٢٨ م)، و فى عهد «خسرو برويز» هذا هاجر رسول الله صلى الله عليه و آله من مكة الى المدينة (الجمعة ١٦ جولاي ٦٢٢)، و صارت هذه الواقعة مبدأ للتاريخ الإسلامى.

فى هذه الأيام كانت الدولتان العظيمتان (الروم الشرقية و إيران

(١) المائة: ٧٥.

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٠٢.

الساسانية) تسيطران على معظم مناطق العالم المتحضر، و لم تزل هاتان الدولتان فى نزاع مستمر و صراع دائم على مناطق النفوذ حتى بعد ظهور الإسلام.

(١) فقد بدأت حروب إيران و الروم الطويلة من عهد السلطان الايرانى أنوشيروان (٥٣١-٥٨٩ م) و استمرت الى عهد الملك «خسرو برويز» و استغرقت اربعا و عشرين عاما من الزمان (١).

و قد سبب تحمل «إيران» و «الروم» للخسائر الكبرى، فى الارواح و الثروات خلال هذه المعارك الطويلة فى إضعاف تينك الدولتين، و تعطيل و شلّ قواهما بحيث لم يبق منهما إلا شبح دولتين لا اكثر.

و لكى نقف على الوضع العام فى إيران آنذاك من جهاته المختلفة، و ابعاده المتنوعة و بصورة أفضل، يجب ان نلقى نظرة فاحصة على وضع الحكومات التى توالى على سدة القيادة الايرانية بعد حكم «أنوشيروان» و حتى بداية دخول المسلمين فى إيران.

(٢)

## البذخ و الترف فى البلاط الساسانى:

كانت حياة الملوك الساسانيين تتسم عموما بالبذخ و الترف، و التشريفات الطويلة العريضة، و كان البلاط الساسانى الفخم جدا يخلب ببريقه، بريق العيون، و يسحر الافئدة و العقول.

و كان للايرانيين فى عهد الساسانيين لواء يعرف ب: «درفش كاويانى» اى العلم الكاويانى نسبة إلى كاوه و هو بطل قومى إيرانى

اسطوري، وقد كانوا يحملونه معهم في الحروب، او ينصبونه فوق قصورهم اثناء احتفالات الساسانيين الكبرى، وقد كان هذا اللواء موشحا و مزينا بأغلى أنواع المجوهرات بلغت قيمتها التقديرية- حسب قول بعض الكتاب: «١٠٠٠ / ٢٠٠ / ١» درهما (او ما يعادل

(١) تاريخ علوم و ادبيات در ايران ص ٣ و ٤ و ايران در زمان ساسانيان ص ٢٦٧ (باللغة الفارسية).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٠٣

٣٠ / ١٠٠٠ بوند).

(١) و قد بلغت مجموعة المجوهرات و الاشياء الثمينة و التصاوير و الرسوم المحيرة للعقول التي كانت تكتصّ بها قصور الساسانيين من حيث الاهمية و القيامة حدا سحرت العيون و خلبت الالباب.

و لو أننا أردنا أن نقف على عجائب ما في تلك القصور، و ما كانت تحتوى عليه من غرائب الاشياء لكفانا أن نلقى نظرة واحدة إلى السجادة البيضاء و الكبيرة التي كانت مفروشة في احدى صالات بعض تلك القصور، و هي السجادة التي كانت تدعى بالفارسية ب «بهارستان كسرى» و هو بساط كانوا يعدونه للشتاء إذا ذهب الرياحين، فكانوا إذا أرادوا الشرب و تعاطى الخمر فرشوه، و شربوا عليه فكأنهم في رياض و كان هذا البساط ستينا في ستين أرضه بذهب و وشيه بفصوص، و ثمره بجوهر و ورقه بحرير» (١)!!

وقيل أيضا أن هذا البساط كان مائة و خمسين ذراعا في سبعين ذراع و كان منسوجا من خيوط الذهب و المجوهرات الغالية جدا!! و قد كان «خسرو برويز» أكثر الملوك الساسانيين ميلا إلى الترف، و البذخ، و اتخاذ الزينة، و قد بلغت عدد نسائه و جواريه عدة آلاف.

(٢) يقول حمزة الاصفهاني في كتاب «سنى ملوك الارض» واصفا حالة الترف و البذخ التي كان يعيشها كسرى برويز: ثلاثة آلاف امرأة، و اثنا عشر.

و جاء في تاريخ الطبرى: أن «كسرى (٢) برويز» كان قد جمع من الأموال ما لم يجمع أحد من الملوك، و كان أرغب الناس في الجواهر و الأواني (٣).

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٣٠.

و جاء في تاريخ الطبرى: كانت هذه السجادة ستين ذراعا في ستين ذراعا، بساطا واحدا مقدار جريب فيه طرق كالصور، و فصوص كالأنهار و خلال ذلك كالدير و في حافته كالأرض المزروعة و الأرض المبقلة بالنبات في الربيع من الحرير على قضبان الذهب، و نواره بالذهب و الفضة!!

(٢) سنى ملوك الأرض و الأنبياء: ص ٤٢٠.

(٣) تاريخ الطبرى: ج ١ ص ٦١٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٠٤

(١)

### الوضع الاجتماعى فى ايران:

لم يكن الوضع الاجتماعى فى عهد الساسانيين بأفضل من الوضع السياسى آنذاك أبدا، فقد بلغ الاختلاف الطبقي الذى كان سائدا فى ايران منذ زمن بعيد أشدّه و اقوى درجاته، و أسوأ حالاته فى العهد الاختلاف الساسانى.

فطبقه النبلاء والكهنه كانت تتميز على بقية الطبقات تميزا كاملا، فهم يختصون بجميع المناصب الاجتماعية الحساسة والعليا، بينما حرم الكسبة والمزارعون وبقية أبناء الشعب من كافة الحقوق الاجتماعية، ولم يكن لهم من واجب و دور فى النظام إلا دفع الضرائب الثقيلة والمشاركة فى الحروب.

(٢) يكتب أحد الكتاب الإيرانيين وهو الاستاذ سعيد نفيسى فى هذا الصعيد قائلا:

ان ما كان يثير روح النفاق بين الايرانيين اكثر هو سياسة التمايز الطبقي القاسى جدا الذى كان الساسانيون يتبعونها فى التعامل مع الشعب، و كان لها جذور فى العهود والحضارات السابقة، ولكنها بلغت ذروتها فى العهد الساسانى بالذات!!  
فى الدرجة الاولى كان للعائلات السبع من النبلاء، ثم للطبقات الخمس امتيازات خاصة حرمت منها عامة أبناء الشعب.  
فالملكية كانت محصورة- تقريبا فى تلك العائلات السبع مع العلم أن الشعب فى العهد الساسانى، كان يقارب عدد نفوسه مائة و أربعين مليوناً فى حين لا يبلغ عدد كل واحد من تلك العائلات الممتازة والتميزة فى شئونها مائة ألف شخص، فىكون مجموعها سبع مائة ألف (١).  
و إذا افترضنا أن حراس الحدود و أمراءهم و الملاك الذين كانوا يتمتعون هم الآخرون بشيء من حق الملكية كان يبلغ عددهم أيضا سبع مائة ألف أيضا فىكون حق التملك و المالكية حينئذ خاصا بمليون و نصف من مجموع مائة

(١) تاريخ اجتماعى ايران: ج ٢ ص ٦-٢٤ (باللغة الفارسية).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٠٥

و اربعين مليوناً، فقد كانت تلك الزمرة القليلة هى التى تملك، و أما الآخرون و هم الاكثريه الساحقه فقد كانوا محرومين من هذا الحق الطبيعى الموهوب لهم من جانب الله أساسا و أصلا.

(١) لقد كان الكسبة و الفلاحون الذين كانوا محرومين من جميع الحقوق، و الامتيازات و لكنهم كانوا يتحملون نفقات حياة البذخ و الرفاهية التى كان يرفل فيها النبلاء و الأشراف و الطبقات العليا، لا يأملون خيرا وراء استمرار هذه الاوضاع، و دوامها، و لهذا كثيرا ما كان المزارعون و الفلاحون و الطبقات الدنيا من الشعب يغادرون أعمالهم، و مزارعهم و يلجئون إلى الأديرة فرارا من الضرائب الباهضة و الاتاوات القاصمه للظهور، المبددة للثروات (١).  
يقول مؤلف كتاب «ايران فى عهد الملوك الساسانيين» (٢).

إن حروب إيران- الروم الطويلة بدأت من عهد حكومة الملك الإيراني انوشيروان (٥٣١-٥٨٩ م).

و خلاصة القول أنه كان فى الامبراطورية الساسانية يملك أقلية صغيرة تقل نسبتها عن ١/٥ (واحد و نصف بالمائة) من مجموع الشعب كل شيء بينما كان اكثر من (٨٩٪) من الشعب الإيراني محرومين من حق الحياة تماما كالعبيد.

(٢)

### حقّ التعلّم خاص بالطبقات الممتازة!!:

فى العهد الساسانى كان ابناء الاغنياء و البيوتات الرفيعة هم وحدهم الذين يتمتعون بحق التعلّم، بينما كان عامة جماهير الشعب، و الطبقات الوسطى و الدنيا محرومين من تحصيل العلوم و اكتسابها.

و قد كانت هذه المنقصة باديه و واضحة فى عصور ايران التاريخية جدا بحيث ذكرها الشعراء الكبار فى ملاحمهم و دواوينهم الملكية المعروفة بالرغم من ان

(١) ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ٧٠ و ٧١.

(٢) إيران في عهد الساسانيين: ص ٤٢٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٠٦.

الهدف من تلك الملاحم و الدواوين كان هو الحماسة، و التفاخر بالبطولات و تحبيش العواطف، بعد مدح الملوك و الأمراء.

(١) فيها هو «الفردوسى» «١» الشاعر الملحمى الفارسى المعروف، بل اشهر شعراء ايران قد ذكر في شاهنامته (و هى الملحمة الشعرية التى يذكر فيها أمجاد ملوك الفرس فى قرابة ستين ألف بيت) قصة فى هذا الصدد تعتبر أفضل شاهد على ما قلناه.

و قد وقعت هذه القصة فى زمن «أنوشيروان»، أى فى الوقت الذى كانت الامبراطورية الساسانية تمرّ فيه بعهداها الذهبى.

و هذه القصة تشهد بأن اكثرية الشعب فى عهد هذا الملك أيضا كانت محرومة من حق التعلم، و ممنوعة عن اكتساب الثقافة.

(٢) يقول الفردوسى: لقد أبدى حداء استعداده لتحمل نفقات الجيش الإيرانى - فى حربه مع الروم - بدفع ما يحتاجون إليه من ذهب و فضة.

و مع أن السلطة فى عهد «أنوشيروان» كانت بحاجة ماسة إلى مساعدات مالية كبيرة إذ كان يتعين عليها أن تجهّ ما يقرب من ثلاثمائة ألف مقاتل قد اصيبوا بالمجاعة و قلة العتاد، بحيث أدى ذلك إلى وقوع بعض الاعتراضات، و الى ظهور الفوضى فى الجنود، مما أدى بدوره إلى قلق الملك الإيرانى «أنوشيروان».

و التخوف من مضاعفات هذه الحالة، و آثاره السيئة فى قتاله للروم، و لذلك بادر إلى استدعاء وزيره المحنك «بزرجمهر» للتشاور معه فى المخلص من ذلك الوضع المحرج، ثم امره بالتوجه إلى منطقة «مازندران» و جمع الاموال اللازمة من سكانها.

(٣) و لكن «بزرجمهر» حدّر الملك من مغية هذا العمل، و أضاف بأن هذا من شأنه أن يضاعف من الخطر ثم اقترح جمع الاموال اللازمة عن طريق القروض الشعبية فاستحسن «أنوشيروان» اقتراحه و أمره باتخاذ الترتيبات اللازمة على

(١) راجع للتعرف السريع على شخصية هذا الشاعر: الموسوعة العربية الميسرة: ص ١٢٨٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٠٧.

التوفيرسل الوزير مندوبين له الى المدن الإيرانية ليكلم التجار و اصحاب الثروة فى الأمر.

(١) فيبدي الحداء المذكور استعداده لتحمل كل نفقات الجيش لوحده ألا انه اشترط ذلك بان يسمحوا لولده الوحيد الراغب فى تحصيل العلم جدا ان يتعلم.

فاستحقر الوزير شرطه و وعده بالانجاز، و السماح لولده بالتعلم و تحصيل العلم، ثم عرض الأمر على الملك أنوشيروان و هو يأمل فى ان يتجاوب الملك مع رغبة الحداء و طلبه الصغير اذا ما قيس بما سيعطيه من اموال طائلة فى تلك الاوضاع الحرجة.

و لكن الملك استشاط غضبا لهذا الطلب، و نهر الوزير قائلا: دع هذا، ما أسوأ ما تطلبه، ان هذا لا يمكن ان يكون، لان ابن الحداء بخروجه من وضعه الطبقي يهدم التقليد الطبقي المتبع، فينفرط بذلك عقد الدولة، و يكون ضرر هذا المال علينا اكثر من نفعه، و شره اكثر من خيره.

(٢) ثم إن الفردوسى يعمد إلى شرح المنطق الميكافيلى حكاية عن لسان أنوشيروان اذ يقول ناظما ذلك فى ابيات «١»:

و إذا أصبح ابن الحداء عالما كاتباً عارفاً فعند ما يجلس ولدنا على مسند الحكم و السلطنة و احتاج الى كاتب، فانه سيضطر إلى الاستعانة بابن ذلك الحداء - الكاتب - (و هو من عامة الشعب و من ابناء الطبقة الدنيا و فى حين جرت عادتنا الى الآن على أن نستعين بابناء الاشراف و النبلاء لا أبناء الطبقة الدنيا)!!!

و إذا حصل ابن الحذاء و بائع الاحذية على العلم و المعرفة أعاره العلم و المعرفة حينئذ عيوننا بصيرة، و آذانا سميعة فيرى حينئذ ما يجب أن لا يراه،

(١) و إليك هذه الأبيات باللغة الفارسية:

چو بازارگان بچه گردد دبیرهنرمند و با دانش و یاد گیر  
چو فرزند ما برنشد به تخت دبیری ببايدش پیروز بخت  
هنر باید از مرد موزه فروش سپارد بدو چشم بینا و گوش  
بدست خردمند مرد نژادنماند جز از حسرت و سرد باد  
سید المرسلین، ج ١، ص: ١٠٨

و يسمع ما يجب أن لا يسمعه، و حينئذ لا يبقى لأبناء الملوك إلا الحسرة و التأسف «١».

(١) و هكذا يعيد الملك دراهم الحذاء المسكين إليه رافضا طلبه و يعود الحذاء خائبا و هو يتوسل بما يتوسل به المستضعفون و المحرومون المظلومون و هو الدعاء و الضراعة الى الله في الليل و في هذا قال الفردوسي: عاد مبعوث الملك بدراهم الحذاء إليه فاصيب الحذاء لذلك بغم شديد ثم لما جن الليل تضرع الحذاء الى الله و شكاه إليه الملك طالبا عدلته «٢».

و العجيب هو أن يصف البعض هذا السلطان بالعدل و هو الذي لم يعالج أسوأ مشكلة في المجتمع الإيراني أيام حكمه و سلطانه و هي المشكلة الثقافية، بل تسبب في أن يصاب الشعب الإيراني بالمزيد من المشاكل الاجتماعية و غيرها.

فقد وأد و دفن في القبور احياء ما يقرب من ثمانين الف انسان (أو مائة الف كما قيل) في حادثة واحدة، و هي فتنة مزدك، حتى أنه ظن انه قد قضى على جذور تلك الفتنة و هو لا يعلم أنها لم تستأصل لأن مثل هذه الأساليب القمعية انما تقضى فقط على المسبب دون السبب، و تكافح المجرم لا الجرم.

(٢) لقد كان السبب الحقيقي وراء تلك الفتنة هو الظلم الاجتماعي، و الاختلاف الطبقي، و احتكار الثروة، و المنصب على أيدي طبقة خاصیة و حرمان الاكثريّة الساحقة من الشعب و غير ذلك من المفسد و كان عليه لو أراد الاصلاح أن يعالج هذه الامور ليأتي على المشكلة من أساسها، و لكنه بدل ذلك كان يريد- بالقهر و القمع و في ظل الحراب و السياط- أن يظهر الناس انفسهم بمظهر الراضى و عن السلطة، الموافق على تصرفاتها، و أحوالها و أوضاعها السيئة!!!

و من هنا نعرف بطلان الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وآله و سلم

(١) راجع شاهنامه (باللغة الفارسية) و تاريخ اجتماعي ايران: ص ٦١٨.

(٢)

فرستاده برگشت و شد با درم دل کفشگر زان درم پر ز غم  
شب آمد، غمی شد ز گفتار شاه خروش جرس خواست از بارگاه  
سید المرسلین، ج ١، ص: ١٠٩

الذي قال فيه: «ولدت في زمن الملك العادل» و يقصد به انوشيروان «١».

(١)



و من جرائم الملك خسرو برويز و مظالمه المنكرة ما فعله بوزيره الشهير «بزرجمهر» الذى خدم البلاط الشاهنشاهى الايرانى ثلاثة عشر عاما و كان ذلك موجبا لشهرته فى البلاد و حسن صيته بين الناس.

فقد عمد هذا الملك الى سجن الوزير المذكور، و النكايه به، و قد كتب الى الوزير المسجون رساله يقول فيها: إن حظك من العلم و المعرفة أنه عرضك للقتل!!

فاجابه «بزرجمهر» بقوله: «فقد انتفعت بعلمى ما دام قد حالبنى الحظ، و حيث عاكسنى الآن، فأننى أصبر و أنتفع بصبرى، فإذا فاتنى فعل خير كثير فأننى سعيد لأننى لم أرتكب كذلك شرا كثيرا و اذا ما سلبنى منصب الوزارة فانى فى الوقت نفسه قد استرحت كذلك من غم الحيف بالناس، فلا ابالى بما أنا فيه».

(٢) و لما بلغت هذه الرسالة الى الملك «برويز» استشاط غضبا، و أمر بقطع شفتى الوزير، و جدع أنفه، و عند ما عرف الوزير بهذا الأمر الظالم قال: أجل أن شفتى تستحقان أكثر من هذا.

فسأله خسرو برويز: و لما ذا؟ فقال: لأنهما وصفتاك عند العامة و الخاصة بما لا تستحق من الأوصاف، و اعطتاك ما ليس فيك من الخصال، فامالتا إليك القلوب، و رغبنا فيك النفوس، و الافئدة، و اشاعتا عنك أمجادا لم تستحقها، يا أسوأ الملوك و أظلم الحكام، تقتلنى الآن بسوء الظن بعد أن كنت على يقين من وفائى، و صدقى، و اخلاصى، و سلامتى، فمن بعد هذا يأمل فى عدلك، و من بعد هذا يثق بقولك!؟

(١) راجع فى هذا المجال: تذكرة الموضوعات لابن الجوزى، اللثالى المصوغه فى الأحاديث الموضوعه للسيوطى، و كذا مجمع الزوائد للهيثمى.

سيد المرسلين، ج١، ص: ١١٠

(١) فازداد «خسرو برويز» لسماع هذه الكلمات الساخنة غضبا على غضب، و أمر من فوره بقتل الوزير، فضرب عنقه فى التو «١». و تلك هى معاملته ذلك الملك الموصوف زورا بالعدل مع اقرب مقربيه، و اكثر معاونيه إخلاصا، و وفاء له فكيف كانت ترى معاملته مع سائر أفراد الرعية و بقيه أفراد الشعب؟؟

(٢)

### حكم التاريخ فى الملوك الساسانيين:

لقد اتخذ الحكام الساسانيون فى عهودهم و حكوماتهم سياسة خشنه قاسيه، و قد أخضعوا الناس بسطانتهم بالسيف و العنف. كانوا يفرضون على الناس ضرائب ثقيله و أتاوات باهضة قاصمه للظهور، و لهذا السبب كان عامه الشعب الايرانى غير راضين على حكمهم و سيرتهم، و لكنهم خوفا على نفوسهم، ما كانوا يتمكنون من الاعلان عن استيائهم هذا بل لم يكن لأرباب الفكر و الرأى، و العارفين بالامور شأن و لاقيمه فى البلاط الشاهنشاهى.

لقد بلغ الاستبداد لدى الحكام الساسانيين حدا لم يستطع معه أحد من إظهار رأيه، و لم يجرا احد على إبداء أية ملاحظه فى شأن من الشؤون.

لقد بلغت القوة بخسرو برويز حدا عجبيا وصفه الثعالبي بقوله:

قيل لخسرو برويز (كسرى) دعونا فلانا الوالى فتابا عن الامتثال، فأمر الملك من فوره قائلا ان كان يصعب عليه مجيئه ببدنه كله، فاننا



يكفينا شيء منه، فليؤتى برأسه فحسب» (٢).

(١) يذكر الفردوسى الشاعر الملحى هذه القصة فى شاهنامته المعروفة عند ذكر وقائع انوشيروان اثناء حربه مع الروم (ج ٦، ص ٢٥٧-٢٦٠).

(٢) ايران در عهد ساسانيان: ص ٣١٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١١١

(١)

### الفوضى فى الحكومة الساسانية:

و مما يجب ان لا نغافل عن ذكره هو ما تعرضت له الحكومة الساسانية فى اواخر عهدها من الفوضى الادارية، و تفاقم الهرج و المرج فى جهازها الحكومى.

فقد دب الصراع و النزاع و نشب التنافس الحاد بين الأمراء، و الاعيان و قادة الجيش فى ذلك العهد و ذهب كل فريق يختار أميراً من أبناء العائلة المالكة، و يقوم بتصفية الطائفة الاخرى التى اختارت أميراً آخر.

و عند ما فكر العرب المسلمون فى فتح ايران كانت العائلة الساسانية المالكة قد بلغت ذروة الضعف و الانقسام.

و ممياً يدل على ذلك تعاقب ما يقرب من (١٤) ملكاً على مسند الحكم و السلطان خلال مدة اربعة اعوام من مقتل الملك «خسرو برويز» و جلوس شيرويه مجلسه و حتى آخر ملك من ملوك بنى ساسان.

(٢) و هذا يعنى أن حكومة ايران انتقلت خلال مدة لا تتجاوز اربعة اعوام من يد الى يد اخرى (١٤ مرة!!) و من الواضح ما يلحق بآية دولة و مملكة تتعرض ل (١٤) انقلاب يقتل فيه ملك، و يحل محله ملك آخر فى مثل هذه المدة القصيرة.

فقد كان كل حاكم يتسلم زمام الحكم و يستولى على عرش السلطان يعمد إلى قتل و اغتيال كل من كان يطمع فى العرش، و لا يتورع فى سبيل إرساء قواعد حكمه من ارتكاب كل ما يراه ضرورياً، فكان الأب يقتل ابنه، و الابن يقتل أباه، و ربما يقتل الاخ إخوته، و الزوجة زوجها و هكذا ...

فقد قتل «شيرويه» أباه «١» للحصول على مقعد الحكم و السلطان، كما أباد اربعين شخصاً من أبناء الملك «خسرو برويز» اى إخوته!! (٢).

(٣) و كان «شهربراز» يقتل كل من لا يثق به، و قد أدى هذا إلى أن يقضى على كل أبناء سلالته من الأمراء الساسانيين ممن كان قد تسنم عرش السلطان

(١) الكامل فى التاريخ: ج ١ ص ٢٩٦.

(٢) تاريخ اجتماعى ايران: ج ٢ ص ١٥-١٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١١٢

و الملوكية قبله، رجلا كان ذلك أم امرأة، صغيراً كان أم كبيراً، لكيلا يبقى فى الوجود من يطمع فى السلطان أو يدعيه!! و صفوة القول: أن الفوضى السياسية بلغت فى أواخر العهد الساسانى حداً بحيث كانوا يجلسون فيه الأطفال و الصبيان و النساء على اريكه الحكم، ثم يثرون عليهم و يقتلونهم بعد ايام أو أشهر و يحلون محلهم أشخاصاً آخرين!!

و على هذا فإن الدولة الساسانية رغم قوتها الظاهرية كانت آخذة في الانحطاط و الانحلال و سائرة نحو التمزق و الفناء.

(١)

### الفوضى الدينية في ايران الساسانيين:

لقد كان أهم عامل للفوضى التي كانت تعاني منها الاوضاع في العهد الساساني هو الاختلاف في المعتقدات الدينية التي كانت سائدة آنذاك.

فحيث أن «اردشير بن بابك» مؤسس السلسلة الساسانية كان ابن مؤبد (و هو رجل دين زردشتي) و قيما على بيت ناز و قد تمكن من السلطان بفضل الموبادة فانه اجتهد في الترويج لدين آباءه في ايران.

و في عهد الساسانيين كان الدين الرسمي و الشائع في أوساط الشعب الإيراني هو الدين الزرادشتي، و لما كانت السلالة الساسانية قد توصلت الى الحكم بواسطة الموبادة- كما أسلفنا- لذلك كان الموبادة و القيمون على بيوت النار (و نعى بهم رجال الدين الزرادشتي) يحظون بمكانة كبرى لدى البلاط الساساني إلى درجة أنهم أصبحوا يشكلون في أواخر العهد الساساني أقوى طبقة، و أشد الاجنحة نفوذا في المجتمع الإيراني آنذاك.

(٢) و لقد كان الحكام الساسانيون دائما مّمن رشحهم للحكم الموبادة و رجال الدين الزردشتي المجوسي، و لذلك كان الحكام يأترون بأوامرهم، و لو أن أحدا منهم خالف الموبادة عارضوه أشدّ المعارضة، و سحبوا عنه تأييدهم و دعمهم، و لهذا اجتهد الملوك الساسانيون في كسب رضا الموبادة، و العناية بهم أكثر من غيرهم من الطبقات، و قد تسببت عناية اولئك الملوك بالموبادة و حمايتهم لهم في تزايد

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١١٣

عددهم، يوما بعد يوم.

و قد كان الساسانيون يستغلون رجال الدين المجوس أكبر استغلال لتثبيت قواعد حكمهم، و تقوية مواقعهم في السلطان و لذلك أقاموا في مختلف مناطق القطر الإيراني العريض بيوت النار، (و هي معابد المجوس) جاعلين في كل واحد من هذه المعابد ثلة كبيرة من الموبادة كسدنة.

(١) فقد كتب المؤرخون يقولون: ان «خسرو برويز» شيد بيتا للنار عظيما و وكل به (١٢ الف) هيربد (و هو منصب خاص و رتبة خاصة في نظام القيادة الدينية المجوسية) لينشدوا فيه الاناشيد الدينية، و يؤدوا الطقوس و الشعائر المجوسية!! «١».

و على هذا الاساس كان الدين المجوس دين البلاط، و كان رجاله في خدمة الملوك.

هذا و قد اجتهد الموبادة- بكل ما في وسعهم- في إبقاء الطبقات الكادحة و المحرومة من ابناء الشعب الإيراني في حالة من الركود و الجمود و حالة عدم الاحساس بالآلام و الرضا بالأمر الواقع.

و لقد تسببت الصلاحيات الواسعة و الحريات المطلقة المخولة إلى الموبادة في ابتعاد الناس عن الدين المجوسي و النفور منه، فجماهير الشعب كانت تبحث لنفسها عن غير ما يتدين به الأشراف من عقيدة و دين.

يقول مؤلف كتاب «تاريخ اجتماعي ايران» و قد سعى الشعب الإيراني- في المال- الى ان يتخلص من ضغوط الاشراف و الموبادة و اضطهادهم، و لهذا ظهر بين الزردشتيين في قبال الدين الرسمي «المزديّة الزردشتية» الذي كان دين البلاط كما عرفنا، و كان يدعى: بهدين (اي الدين الافضل) مذهبان آخران «٢».

(٢) اجل و بسبب ضغوط الاشراف و تشددات الموبادة في العهد الساساني ظهرت في ايران مذاهب مختلفة الواحد تلو الآخر، و قد

حاول «مزدك» و من قبله «مانى» ان يوجدان بأنفسهما تحولا فى الاوضاع الدينيه و فى العقائد و المؤسسات،

(١) تاريخ تمدن ساسانى: ج ١ ص ١ (بالفارسيه).

(٢) تاريخ اجتماعى ايران: ج ٢ ص ٢٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١١٤

ألا أنهما منيا بالفشل فى هذا السبيل «١».

(١) فحوالى سنه (٤٩٧ ميلاديه) قام «مزدك»، و ألغى المالكيه الانحصاريه (الخاصه)، و نسخ عاده تعدد الزوجات، و نظام الحريم و كان ذلك فى مقدمه برامج الاصلاحيه، و قد لقيت أفكاره هذه تأييدا قويا من قبل الطبقات المحرومه المسحوفه التى فجرت بقيادة «مزدك» ثوره كبرى، و انقلابا هائلا فى المجتمع الإيراني.

و لقد كانت هذه الثورات و الانتفاضات الشعبيه لأجل أن يتوصل الناس إلى حقوقهم المشروعه، الممتوجه لهم من قبل الله خالقهم و بارئهم.

و لقد قوبل مذهب «مزدك» باعتراض شديد من قبل الموابده، و امراء الجيش، و جرّ إلى فتنه كبيره، و الى تردى الاوضاع فى ايران آنذاك.

كما ان المذهب الزردشتى قد فقد- فى أواخر العهد الساسانى - حقيقته بصورة كامله، و وصل الأمر بعباده النار و تقديسها إلى درجه أنهم كانوا يحرمون الدقّ على حديد محماه اكتسبت لون النار و لهيبها بمجاورتها لها.

و بكلمه واحده؛ لقد كانت اكثر المعتقدات الزردشتيه المجوسيه تتألف من الخرافات و الأساطير، و قد أعطت حقائق هذا الدين - فى هذا العهد - مكانها لحفنه من الشعائر الجوفاء، و الطقوس الفارغه، التى أضاف إليها الموابده سلسله من التشريفات الطويله العريضه تثبتا لمواقعهم، و دعما لمكانتهم فى المجتمع الإيراني يومئذ.

(٢) لقد بلغت سيطرة الخرافات و الاساطير البعيده عن العقل و المنطق على هذه العقيده، و رسوخها فى هذا الدين حدا أقلق حتى رجال الدين الزردشتى انفسهم أيضا، و قد كان بين الموابده انفسهم من أدرك منذ البدايه تفاهه الطقوس و الشعائر الزردشتيه الجوفاء، فتخلى عنها.

(١) المذهب المانوى هو المذهب الزردشتى الخليط بالمسيحيه، فقد اخترع مانى من مسلك قومى و آخر اجنبى مذهبا جديدا ثالثا.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١١٥

هذا من جانب

(١) و من جانب آخر كان قد انفتح على الشعب الإيراني منذ أيام الملك «أنوشيروان» فما بعد طريق التفكير، و التأمل، و التحقيق، و ممّا قد قوى هذا الأمر ما حصل من اتصالات بين العقائد الزردشتيه و المعتقدات المسيحيه و غيرها من العقائد و الاديان و ما تحقق من تلاقح بينها نتيجة تسلل الثقافه اليونانيه و الهنديه، و غيرها إلى الوسط الإيراني، و تسبب كل ذلك فى يقظه الشعب الإيراني، و لذلك اصبح يعانى من هذه الخرافات و الاساطير التى كانت الديانه الزردشتيه تعج بها اكثر من أى وقت مضى.

و على أيه حال فان الفساد الذى ظهر فى أوساط رجال الدين الزردشت، و تطرق الخرافات و الاساطير الواهيه الكثيره الى المعتقدات الزردشتيه تسبب فى حصول مزيد من التشتت و الاختلاف و التشرذم فى آراء الشعب الإيراني و عقيدته.

و مع ظهور هذا الاختلاف و على أثر انتشار المذاهب المتنوعه ظهر روح الشك و التردد لدى الطبقة المفكره و المثقفه، و سرت منهم إلى بقيه الاصناف و الفئات ممّا أدى ذلك إلى أن يفقد جماهير الشعب ثقته و ايمانها القطعى، و اعتقادها الكامل السابق بتلك

المعتقدات.

وهكذا استشرى الهرج والمرج وعمت الفوضى واللا دينية كل مناطق ايران و المجتمع الإيراني، كما رسم «برزويه» الطبيب الشهير في العهد الساساني حيث صور نموذجا كاملا عن الاختلاف الاعتقادي و التشرذم الفكري، و بالتالي اضطراب الأوضاع الإيرانية في العهد الساساني، في مقدمه «كليله و دمنه».

(٢)

### الحروب الإيرانية الرومية:

لقد انقذ «برزجمهر»- الوزير الإيراني الشهير الذي كان يحتل مكان الصدارة في حكومة «انوشيروان» و كان موصوفا بالتدبير و الكفاءة العالية- ايران من الاخطار التي احدثت بها في اكثر الاحيين، و لكن علاقته بالسلطان سيد المرسلين، ج١، ص: ١١٦

(انوشيروان) كانت تتأثر احيانا بسعاية الساعين و وشاية الوشاة الذين كانوا يوغرون صدر الملك ضده فيستصدرون منه قرارا بحبسه و سجنه.

(١) و قد أوغر هؤلاء السعاة و الواشون أنفسهم صدر «انوشيروان» ضد امبراطور الروم، و ألبوه عليه، و شجعوه على توسيع رقعة نفوذه، و توسيع حدود بلاده و اضعاف سيطرة منافسه الخطير، متجاهلا وثيقة «الصلح الخالد» التي عقدها مع الروم و اتفق فيها الجانبان على عدم التعرض بعضهم لبعض.

و أدى هذا التحريض بانوشيروان إلى مهاجمة الروم، و اشتعلت على اثرها نيران الحرب، و استطاع جنود. ايران ان يفتحوا سورية (و قد كانت مستعمرة رومية) في مدة قصيرة تقريبا، و حرق انطاكية و نهب آسيا الصغرى.

و بعد عشرين عاما من القتال و سفك الدماء، و الكرّ و الفر بين الروم و ايران و بعد أن فقد الجانبان قدراتهم و طاقاتهم في تلك المعارك الطاحنة، و بعد الخسائر العظيمة التي تحمّلها الطرفان اضطرّا الى عقد وثيقة الصلح مرة ثانية، و حدّدوا حدود بلادهما، و مناطق نفوذهما كما كانت عليه في السابق شريطة أن تدفع دولة الروم كل عام ما يعادل (عشرين الف) دينار الى دولة ايران.

(٢) و من الواضح الذي لا يخفى و لا يحتاج الى البيان أن حروبا طويلة الأمد تدور رحاها بعيدا عن مركز الدولة من شأنها ان تأتي بالتأج السيئ و التبعات الثقيلة على اقتصاد الشعب المحارب، و صناعته و توجه إلى هذه الجوانب ضربات قوية، لا تزول آثارها إلا بعد زمان طويل خاصة مع ملاحظة الوسائل و الأدوات في تلك العصور.

و مهما يكن فان هذه الحروب، و هذه الحملات المكلفة هيأت المقدمات الموجبة لسقوط الحكومة الإيرانية الحتمى.

فان آثار هذه المعارك لم تزل بعد إلا و قد نشبت حرب اخرى دامت سبعة اعوام فان «تى باريوس» امبراطور الروم بعد ان تسنم عرش السلطان هدد بحملاته الكبيرة استقلال الدولة الإيرانية بدافع الانتقام.

و فى الأثناء- و قبل ان يتضح موقف الطرفين و موقعهما فى تلك المعارك من

سيد المرسلين، ج١، ص: ١١٧

الهزيمة أو الانتصار- مات «انوشيروان» و خلفه فى إدارة البلاد ابنه «خسرو برويز».

(١) و قد حمل هذا الأخير على الروم أيضا، و ذلك عام (٦١٤) بحجج معينة، و فتح فى أول حملة من حملاته: بلاد الشام و فلسطين و إفريقية و نهب اورشليم، و أحرق كنيسة القيامة و مزار السيد المسيح (عليه السلام) و هدم المدن، و دمرها.

و قد انتهت هذه الحرب بعد مقتل تسعين الف من النصارى لصالح الإيرانيين.

في مثل هذه المرحلة التي كان فيها العالم المتحضر آنذاك يحترق- في نيران الحروب و الظلم، بعث رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم بالرسالة الاسلامية، و بلغ نداؤه المحيي للنفوس و العقول سمع البشرية، و قام يدعو الناس إلى الصلح و السلم، و الى النظم و الامن.

(٢) و لقد أدى انهزام الروميين المتدينين، المؤمنين بالله على أيدي المجوس الكفار، عبدة النار، الى ان يتفائل اهل مكة الوثنيون بهذا الحدث، و يحدّثوا (و يمتّوا) أنفسهم بالانتصار على المسلمين المؤمنين بالله عما قريب، و انطلقوا يردون هذه الامنية أمام المسلمين و هم يحاولون بها إضعاف معنوياتهم، و زعزع إيمانهم، الأمر الذي أقلق المسلمين.

و لم يتخذ النبي صلى الله عليه وآله و سلم موقفا تجاه هذه الظاهرة انتظارا لما سينزل به عليه الوحي الى ان نزلت آيات في هذا المجال هي الآيات الاولى من سورة الروم التي تقول: «الم، غَلَبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصِرُ مَنْ يُشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. وَ عَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (١).

(٣) و قد تحققت نبوءة القرآن هذه حول الروم في عام (٦٢٧ ميلادية) حيث

(١) الروم: ١-٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١١٨

استولى «هرقل» على «نينوى» في حملة واحدة.

و على أيّة حال كانت الدولتان المتنافستان تطويان الدقائق و الساعات الأخيرة من حياتهما فيما تستعدّان من ناحية أخرى لتجميع القوى، و التهيؤ لشن حملات جديدة، و خوض حروب و معارك أخرى و لكن حيث أن الارادة الالهية كانت قد تعلقت بأن يسطع على تلك المنطقتين نور التوحيد و تنتعش نفوس الروميين و الفرس الذابله الميتة بنسائم الإسلام الناعشة، و اشعته الهادية، لذلك لم يلبث أن قتل «خسرو برويز» على يدى ابنه «شيرويه» الذي لم يدم سلطانه بعد اغتياله لأبيه اكثر من ثمانية أشهر، ثم سادت ايران بعد «شيرويه» فوضى شاملة خلال اربعة اشهر، حيث تناوب على مسند الحكم حكام و امراء عديدون أربعة منهم من النساء، إلى أن أنهى الجيش الاسلامي بحملاته الناجحة هذه الاوضاع، و وضع نهاية لهذا الصراع السياسى الحادّ الذى استمرّ خمسين عاما و الذى ساعد بدوره على تقدم الفتوحات الإسلامية.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١١٩

(١)

#### ٤ أسلاف رسول الإسلام (ص)

إشارة

(٢)

١- بطل التوحيد: إبراهيم الخليل عليه السلام

إشارة

إن الهدف من استعراض حياة النبي العظيم إبراهيم الخليل عليه السلام هو التعريف بأجداد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأسلافه، لانتهاه نسبه الشريف إلى النبي إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وحيث ان لهاتين الشخصيتين العظيمتين وبعض أسلاف النبي العظيم نصيب هام في تاريخ العرب والإسلام، لهذا ينبغي الحديث عن أحوالهم بصورة مختصرة، خاصة أن حوادث التاريخ الإسلامي ترتبط ارتباطاً كاملاً - كحلقات سلسلة واحدة - بالحوادث السابقة، او المقارنات لبزوغ الإسلام.

(٣) فعلى سبيل المثال تعتبر كفالته «عبد المطلب» لرسول الله صلى الله عليه وآله و حمايته له، و جهود «ابى طالب» و دفاعه الطويل عن النبي، و عظمة الهاشميين و سمو مقامهم و اخلافهم، و جذور معاداة الأمويين لهم، الاسس و القواعد الموضوعية لحوادث التاريخ الإسلامي، و لهذا كان لا بد من تخصيص فصل كامل في التاريخ الإسلامي لهذه الابحاث.

إن في حياة حامل راية التوحيد النبي «إبراهيم الخليل» عليه السلام نقاطا مشرقة و بارزة جدا.

فجهاده العظيم في سبيل ارساء قواعد التوحيد و اقتلاع جذور الوثنية مما

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٢٠

لا ينسى.

و هكذا حوار اللطيف و الزاخر بالمعاني مع عبدة النجوم و الكواكب في عصره و الذي ذكره القرآن الكريم لمعرفةنا، افضل و اسمى درس توحيدى لطلاب الحقيقة و بغاة الحق.

(١)

### مولد إبراهيم:

لقد ولد بطل التوحيد في بيئة مظلمة كانت تسربلها ظلمات الوثنية، و عبادة البشر ... في بيئة كان الإنسان فيها يخضع لأصنام نحتها بيديه، كما يخضع لكواكب و نجوم.

لقد ولد حامل لواء التوحيد: «إبراهيم الخليل» عليه السلام في «بابل» الذي يعدّها المؤرخون إحدى عجائب الدنيا السبع، و يذكرون حولها قصصا و امورا كثيرة تنبئ عن عظمتها و أهميتها حضارتها، فيقول «هيروودتس» المؤرخ المعروف - مثلا -: لقد كانت بابل بنية بشكل مربع طول كل اضلاعه الاربعه (١٢٠ فرسخا) و محيطه (٤٨٠ فرسخا) «١».

إن هذا الكلام مهما كان مبالغاً فيه إلا أنه على كل حال يكشف عن حقيقة لا تقبل الإنكار، إذا ما ضمّ إلى ما كتبه الآخرون عن تلك المدينة التاريخية.

(٢) غير اننا لا نرى من تلك المدينة اليوم و من مناظرها الجميلة، و قصورها الرائعة، إلا ما تلبس من التراب في منطقة بين «دجلة» و «الفرات»، فالموت يخيم على كل تلك المنطقة، اللهم الا عند ما يكسر علماء الآثار بتنقيباتهم جدار الصمت أحيانا، بحثا عن آثار تلك المدينة، و يستخرجون بقاياها الموقوفة على معالم من حضارة اصحابها و سكانها.

لقد فتح رائد التوحيد و مرسى اركانها «إبراهيم الخليل» عليه السلام عينيه

(١) قاموس الكتاب المقدس، مادة بابل.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٢١

في دولة «نمرود بن كنعان».

و كان نمرود هذا رغم أنه يعبد الصنم يدعى الالهية و يأمر الناس بعبادته.

(١) وقد بيد و هذا الأمر عجيبا جدا فكيف يمكن ان يكون الشخص عابد صنم و مع ذلك يدعى الالوهية في الوقت نفسه، إلا أن القرآن الكريم يذكر لنا نظير هذه المسألة في شأن «فرعون مصر»، و ذلك عند ما هزّ النبي موسى بن عمران عليه السلام قواعد العرش الفرعوني بمنطقه القويّ، و حجته الصاعقة، فاعترض أنصار فرعون و ملأوه على هذا الأمر، و خاطبوا فرعون بلهجة معترضة قائلين:

«أَتَدْرُ مُوسَى وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرُكَ وَ آلِهَتَكَ» (١).

(٢) و من الواضح جدًا أن «فرعون» كان يدعى الالوهية فهو الذي كان يقول:

«أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» (٢) و هو القائل: «مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» (٣) و لكنه كان في الوقت نفسه عابد صنم و وثنيا.

بيد أن هذه الازدواجية ليست بأمر غريب عند الوثنيين، و لا يمنع مانع في منطقهم أن يكون الشخص نفسه وثنيا يعبد الصنم، و مع ذلك يدعى أنه إله و يدعو الناس إلى عبادته فيكون لها معبودا، يعبد لها أعلى منه، لأن المقصود من المعبود و الاله ليس هو خالق الكون بل هو من يتفوق على الآخرين بنحو من أنحاء التفوق و يمتلك زمام حياتهم بشكل من الإشكال.

هذا و التاريخ يحدثنا أن العوائد في بلاد الروم كانت تعبد كبارها و مع ذلك كان اولئك الكبار المعبودين انفسهم يتخذون لأنفسهم معبودا أو معبودات اخرى.

(٣) إن أكبر وسيلة توّسل بها «نمرود» في هذا السبيل هو استقطاب جماعة من الكهنة و المنجمين الذين كانوا يعدّون الطبقة العالمة و المثقفة في ذلك العصر.

فقد كان خضوع هذه الطبقة يمهد لاستعمار الطبقة المنحطة و غير الواعية من الناس.

هذا مضافا إلى أنه كان يناصر «نمرود» بعض من ينتسب إلى «الخليل»

(١) الأعراف: ١٢٧.

(٢) النازعات: ٢٤.

(٣) القصص: ٣٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٢٢

عليه السلام بوشيجة القربى مثل «آزر» الذي كان يصنع التماثيل، و كان عارفا بأحوال النجوم و الفلك أيضا، و كان هذا هو الآخر أحد العراقيين التي كانت تمنع الخليل من انجاح مهمته، لأنه مضافا إلى مخالفة الرأي العام له، كان يواجه مخالفة أقاربه أيضا.

(١) لقد كان نمرود غارقا في عالم خيالي عند ما دقّ المنجمون فجأة أول ناقوس للخطر و قالوا له: سوف تنهار حكومتك، و يتهاوى عرشك و سلطانك على يد رجل يولد في تلك البيئة، الأمر الذي أيقظ أفكاره النائمة، فتساءل من فوره: و هل ولد هذا الرجل؟ فقيل له: لا، انه لم يولد بعد. فأمر من فوره بعزل الرجال عن النساء (و ذلك في الليلة التي انعقدت فيها نطفة ابراهيم الخليل عليه السلام عدو نمرود، و هادم ملكه، و مزيل سلطانه و هي الليلة التي حددها و تكهن بها المنجمون و الكهنة من انصار نمرود) و مع ذلك كان جلاوزة «نمرود» يقتلون كل وليد ذكر، و كان على القوابل ان يسجلن اسماء المواليد في مكتبه الخاص.

و لقد اتفق أن انعقدت نطفة «الخليل» في نفس الليلة التي منع فيها اي لقاء جنسى بين الرجال، و ازواجهم.

لقد حملت أم إبراهيم به كما حملت أم موسى به، و امضت فترة حملها في خفاء و تستر، ثم لجأت بعد وضع وليدها العزيز الى غار بجبل على مقربة من المدينة حفاظا عليه، و راحت تتفقدته بين حين و آخر من الليل و النهار، قدر المستطاع.

و قد أرضى هذا الاسلوب الظالم «نمرودا» و أراح باله بمرور الزمن، اذ أيقن بانه قد قضى به على عدو عرشه، و هادم سلطانه، و تخلص منه.

(٢) لقد قضى «إبراهيم» عليه السلام ثلاثة عشر عاما في ذلك الغار الذي كان يتصل بالعالم الخارجي عبر باب ضيق، ثم أخرجته أمه



من ذلك الغار بعد ثلاثة عشر عاماً، ودخل «إبراهيم» في المجتمع، فاستغرب المجتمع النمرودى وجوده وانكروه «١».

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٥٣٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٢٣

(١) لقد خرج «إبراهيم» من الغار، مؤمناً بالله بفطرته، وقوى توحيدة الفطرى، بمشاهدة الأرض والسماء، والنظر فى سطوع الكواكب والنجوم والتأمل فى ما يجرى فى عالم النبات من نمو وحركة إلى غير ذلك مما يجرى فى عالم الطبيعة العجيب. لقد واجه إبراهيم عليه السلام بعد خروجه من الغار جماعة من الناس بهرتهم أحوال الكواكب وعظمة أمرها، ففقدوا عقولهم تجاه هذه الظاهرة، كما رأى جماعة أخرى أحطت فكرياً من سابقتها يعبدون اصناماً منحوتة، بل واجه ما هو أسوأ بكثير من أعضاء الطوائف والجماعات الضالة إذ رأى رجلاً يستغل جهل الناس وغباوتهم ويدعى الألوهية ويفرض عليهم عبادته والخضوع له!! لقد كان إبراهيم عليه السلام يرى أن عليه أن يهتدى نفسه لخوض المعركة فى هذه الجبهات الثلاث المختلفة، وقد نقل القرآن الكريم قصة نضال النبى «إبراهيم» عليه السلام فى هذه الاصعدة والجبهات الثلاث و سنقل لك فى ما يأتى وباختصار ما ذكره القرآن فى هذا المجال.

(٢)

### إبراهيم ومكافحته للوثنية:

كانت ظلمات الوثنية قد خيمت على منطقة بابل (موضع ولادة الخليل) برمتها. فالآلهة المدعاة، والمعبودات (السماوية والأرضية) الباطلة قد سحرت عقول مختلف فئات الشعب، فبعضها فى نظرهم هى أرباب القدرة والسلطة، وبعضها الآخر وسيلة الزلفى والتقرب الى الله إلى غير ذلك من التصورات السخيفة فى هذا الصعيد. وحيث أن طريقة الأنبياء فى هداية البشرية وارشادهم هى الاستدلال بالبراهين، والاحتجاج بالمنطق، لانهم إنما يتعاملون مع قلوب الناس وعقولهم، و يبتغون ايجاد حكومة تقوم على أساس الإيمان واليقين. ومثل هذه الحكومة لا يمكن اقامتها بالسيف او بالنار والحديد. لهذا يبدؤون حركتهم بالتوعية الفكرية.

إن علينا أن نفرق بين الحكومات التى يريد الأنبياء تأسيسها، وحكومة

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٢٤

الفراغة والنامردة.

(١) ان هدف الطائفة الثانية هو: الرئاسة والزعامة، والحفاظ عليها بكل وسيلة ممكنة فى حياتهم، وان تلاشت و تهاوت من بعدهم. ولكن الأنبياء والرسل يريدون حكومة تبقى قائمة فى جميع الحالات وماتلة فى جميع الاوقات، فى الخلوة والجلوة، فى وقت الضعف، وفى وقت القوة، فى حياتهم وبعد مماتهم... انهم يريدون أن يحكموا على القلوب لا على الابدان، وهذا الهدف لا يتحقق ابدا عن طريق القوة واستخدام العنف والقهر!! انما يتحقق عن طريق الحجج والبرهان.

(٢) لقد بدأ النبى «إبراهيم» عمله بمكافحة ما كان عليه أقرباؤه الذين كان فى طليعتهم وعلى رأسهم «آزر» وهو الوثنية وعبادة الاصنام، ولكنه لم ينته من هذه المعركة ولم يحرز انتصاراً كاملاً فى هذه الجبهة بعد إلا وواجه عليه السلام جبهة أخرى، وكانت هذه الجماعة أعلى مستوى من افراد الجماعة السابقة فى الفهم والثقافة. لان هذه الجماعة- على خلاف أقرباء إبراهيم قد نبذت عبادة الأوثان والأصنام «١»، والمعبودات الارضية الحقيرة، وتوجهت بعبادتها وتقديسها الى الكواكب والنجوم والاجرام السماوية.



ولقد بين «الخليل» عليه السلام في حوارهِ العقائدي مع عبّاد الاجرام السماوية، و مكافحته لمعتقداتهم الفاسدة، سلسلة من الحقائق الفلسفية والعلمية التي لم يصل إليها الفكر البشري يومذاك، وذلك بيان بسيط مدعوم بأدلة لا تزال الى اليوم موضع اعجاب كبار العلماء، و رواد الفلسفة والكلام.

و الأهم من ذلك- في هذا المجال- أن القرآن الكريم نقل أدلة «إبراهيم الخليل» عليه السلام باهتمام خاص و عناية بالغه و لهذا ينبغي لنا أن نتوقف عندها قليلا، و هذا ما سنفعله في هذه الصفحات.

(١) ترتبط آية ٧٤ من سورة الأنعام بحواره عليه السلام مع الوثنيين، بينما ترتبط الآيات اللاحقة لها بعبدة الأجرام السماوية.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٢٥

### حوار الخليل مع عبدة الكواكب:

(١) ذات ليلة وقف إبراهيم عليه السلام عند ابتداء مغيب الشمس يتطلع في السماء- و هو ينوي هداية الناس- و بقي ينظر الى النجوم و الكواكب من أول الغروب من تلك الليلة الى الغروب من الليلة التالية، و خلال هذه الساعات الأربع و العشرين حاور و جادل ثلاث فرق، من عبدة النجوم و ابطل عقيدة كل فرقة منها بأدلة محكمة، و براهين متقنة قوية. فعند ما أقبل الليل و خيم الظلام على كل مكان و هو يخفى كل مظاهر الوجود و معالمه في عالم الطبيعة ظهر كوكب «الزهرة» من جانب الافق و هو يتلأأ.

فقال إبراهيم لعباد هذا الكوكب- و هو يتظاهر بموافقتهم جلبا لهم، و مقدمه للدخول معهم في حوار:- «هذا ربي».

و عند ما افل ذلك الكوكب و غاب عن الانظار قال: «لا احب الآفلين».

و بمثل هذا المنطق الجميل أبطل عقيدة عبدة الزهرة، و اظهر خواءها و فسادها.

(٢) ثم إنه عليه السلام نظر الى كوكب القمر المنير الذي يسحر القلوب بنوره و ضوئه، فقال- متظاهرا بموافقة عبدة القمر:- «هذا ربي» ثم ردّ بأسلوب منطقي محكم تلك العقيدة أيضا، عند ما امتدت يد القدرة المطلقة و لملت أشعة القمر من عالم الطبيعة، و عندها اتخذ إبراهيم عليه السلام هيئة الباحث عن الحقيقة و من دون أن يصدّم تلك الفرق المشركه و يجرح مشاعرها اذ قال: «لئن لم يهدني ربّي لأكوننّ من القوم الضالّين» (١) لأن القمر قد أفل أيضا كما أفل سابقه فهو كغيره أسير نظام علوي لا يتخلف، و ما كان كذلك لا يمكن ان يعدّ ربا يعبد، و يتوجه إليه بالتقديس و التضرع.

(٣) و لما ولى الليل و أدبر، و اكتسحت الشمس الوضاءه بأشعتها حجب

(١) الأنعام: ٧٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٢٦

الظلام، و بثت خيوطها الذهبية على الوهاد و السهول، و التفت عبدة الشمس الى معبودهم، تظاهر ابراهيم بالاقرار بربوبيتها اتباعا لقواعد الجدل و المناظرة و لكن افول الشمس و غروبها اثبت هو الآخر بطلان عبادتها أيضا بعد أن اثبت خضوعها للنظام الكوني العام، فتبرأ «الخليل» عليه السلام من عبادتها بصراحة.

و عندئذ أعرض عليه السلام عن تلك الطوائف الثلاث و قال: «إني و جهت و جهتي للذي فطر السماوات و الأرض خنيفاً و ما أنا من المشركين» (١).

لقد كان المخاطبين في كلام إبراهيم عليه السلام هم الذين يعتقدون بأن تدبير الكائنات الارضية، ومنها الإنسان، قد انيطت إلى الاجرام السماوية و فوضت إليها!!

(١) وهذا الكلام يفيد أن الخليل عليه السلام لم يقصد المطالب الثلاث التالية:

١- اثبات الصانع (الخالق).

٢- توحيد الذات و أنه واحد غير متعدد.

٣- التوحيد في الخالقية، و أنه لا خالق سواه.

بل كان تركيزه عليه السلام على التوحيد في «الربوبية» و «التدبير» و ادارة الكون، و انه لا مدبر و لا مربى للموجودات الأرضية إلا الله سبحانه و تعالى، و من هنا فانه عليه السلام فور إبطاله لربوبية الاجرام السماوية قال: «وَجَّهت وجهي للذي فطر السماوات و الأرض...» و هو يعنى ان خالق السماوات و الأرض هو نفسه مدبرها و ربها، و انه لم يفوض أى شىء من تدبير الكون،- لا كله و لا بعضه- إلى الاجرام السماوية، فتكون النتيجة: أن الخالق و المدبر واحد لا أن الخالق هو الله و المدبر شىء آخر.

(٢) و لقد وقع المفسرون، و الباحثون في معارف القرآن في خطأ، و التباس عند التعرض لمنطق «إبراهيم» عليه السلام و شرح حوارهِ هذا، حيث تصوروا أن الخليل عليه السلام قصد نفي «ألوهية» هذه الأجرام يعنى الألوهية التي تعتقد بها

(١) الأنعام: ٧٩.

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٢٧

جميع شعوب الأرض و يكون هذا الكون الصاحب آية وجوده.

(١) بينما تصوّر فريق آخر ان «إبراهيم» كان يقصد نفي «الخالقية» عن هذه الأجرام السماوية، لأنه من الممكن ان يخلق إله العالم كائنا كامل الوجود و الصفات ثم يفوض إليه مقام الخالقية في حين أن هذين التفسيرين غير صحيحين، بل كان هدف الخليل عليه السلام- بعد التسليم بوجود إله واجب الوجود، و توحده، و وحدانية الخالق- البحث في قسم آخر من التوحيد، الا و هو التوحيد «الربوبي»، و بالتالى اثبات أن خالق الكون هو نفسه مدبر ذلك الكون أيضا، و عبارة: «وَجَّهت وجهي...» أفضل شاهد على هذا النوع من التفسير.

من هنا كان التركيز الأكبر في بحث إبراهيم على مسألة «الرب» و «الربوبية» في صعيد الاجرام كالقمر و الزهرة و الشمس «١».

(٢) هذا و استكمالا للبحث الحاضر لا بدّ من توضيح برهان النبى «إبراهيم» عليه السلام.

لقد استدل «إبراهيم» في جميع المراحل الثلاث بافول هذه الاجرام على أنها لا تليق بتدبير الظواهر الارضية و بخاصة الإنسان.

و هنا ينطرح سؤال: لما ذا يعتبر افول هذه الاجرام شاهدا على عدم مدبريتها؟

إن هذا الموضوع يمكن بيانه بصور مختلفة، كل واحدة منها تناسب طائفة معينة من الناس.

ان تفسير منطق «الخليل» عليه السلام و اسلوبه في إبطال مدبريه الاجرام السماوية و ربوبيتها بأشكال و صور مختلفة أفضل شاهد على أن للقرآن الكريم أبعادا مختلفة و أن كل بعد منها يناسب طائفة من الناس.

(١) لقد بينا مراتب التوحيد من وجهة نظر القرآن الكريم في كتابنا «معالم التوحيد في القرآن الكريم» و أثبتنا هناك أن التوحيد في الذات غير التوحيد في الخالقية، و أن هذين النوعين من التوحيد غير التوحيد في الربوبية، و هى غير المراتب الاخرى للتوحيد، فراجع الكتاب المذكور تقف على هذه الحقيقة.

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٢٨

(١) و إليك في ما يلي التفاسير المختلفة لهذا الاستدلال:

(٢) الف: إن الهدف من اتخاذ الربّ هو أن يستطيع الكائن الضعيف في ظل قدرة ذلك الرب من الوصول الى مرحلة الكمال و لا بدّ ان يكون لمثل هذا الربّ ارتباط قريب مع الموجودات المراد تربيتها بحيث يكون واقفا على أحوالها، غير منفصل عنها، و لا غريب عليها.

و لكن كيف يستطيع الكائن الذي يغيب ساعات كثيرة عن الفرد المحتاج إليه في التربية و يحرم ذلك الفرد من فيضه و بركته، ان يكون ربا للموجودات الأرضية و مدبرا لها؟!

من هنا يكون افول النجم، و غروبه، الذي هو علامة غربته و انقطاعه عن الموجودات الارضية خير شاهد على أن للموجودات الأرضية ربًا آخر، منزها عن تلك النقيضة عاريا عن ذلك العيب.

(٣) باء: انّ طلوع الأجرام السماوية و غروبها و حركتها المنظمة دليل على أنها جميعا خاضعة لمشيئة فوقها، و انها في قبضة القوانين الحاكمة عليها، و الخضوع لقوانين منظمة هو بذاته دليل على ضعف تلك الموجودات، و مثل هذه الموجودات الضعيفة لا يمكن أن تكون حاكمة على الكون، أو شىء من الظواهر الطبيعية، و أما استفادة الموجودات الارضية من نور تلك الاجرام و ضوئها فلا يدل أبدا على ربوبية تلك الأجرام، بل هو دليل على أن تلك الأجرام تؤدّي وظيفه تجاه الموجودات الأرضية بأمر من موجود أعلى. و بعبارة اخرى: إن هذا الأمر دليل على التناسق الكوني، و ارتباط الكائنات بعضها ببعض.

(٤) جيم: ما هو الهدف من حركة هذه الموجودات؟ هل الهدف هو أن تسير من النقص إلى الكمال أو بالعكس؟ و حيث أن الصورة الثانية غير معقولة، و على فرض تصورهما لا معنى لأن يسير المرّبي و المدبر للكون من مرحلة الكمال الى النقص و الفناء، يبقى الفرض. الاول و هو بنفسه دليل على وجود ربّ آخر يوصل هذه الموجودات القوية في ظاهرها سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٢٩

من مرحلة الى مرحلة، هو- في الحقيقة- الربّ الذي يبلغ بهذه الموجودات و ما دونها إلى الكمال. (١)

### طريقة الأنبياء في الحوار و الجدل:

لقد اسلفنا في ما سبق أن «ابراهيم»- بعد خروجه من الغار- واجه صنفين منحرفين عن جادة التوحيد هما:  
١- الوثنيون.

٢- عبدة الاجرام السماوية.

و لقد سمعنا حوار «ابراهيم» عليه السلام و جداله مع الفريق الثاني، و علينا الآن أن نعرف كيف حاور الوثنيين و عبدة الاصنام؟  
(٢) إن تاريخ الأنبياء و الرسل يكشف لنا عن أنهم كانوا يبدءون دعوتهم من انذار الاقربين ثم يوسعون دائرة الدعوة لتشمل عامة الناس كما فعل رسول الإسلام في بدء دعوته حيث بدأ بانذار عشيرته الاقربين لما امره الله تعالى بذلك اذ قال: «وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (١). و بذلك أسس دعوته على إصلاح اقربائه و عشيرته.

و لقد سلك «الخليل» عليه السلام نفس هذا المسلك أيضا إذ بدأ عمله الاصلاحى باصلاح اقربائه.

و لقد كان لآزر بين قومه مكانة اجتماعية عليا فهو- مضافا إلى معلوماته في الصناعة و غيرها- كان منجما ماهرا، و ذا كلمة مسموعة و رأى مقبول في بلاط «نمرود» في كل ما يخبر به من أخبار النجوم، و كل ما يستخرجه و ما يستنبطه من الامور الفلكية و يذكره من تكهنات.

(٣) لقد ادرك «ابراهيم» انه بجلبه لآزر (عمّيه) يستطيع ان يسيطر على اوساط الوثنيين، و يجردهم من ركيزة هامة من كبريات

ركائزهم، و لهذا بادر الى منع

(١) الشعراء: ٢١٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٣٠

عمه آزر- و بافضل الاساليب- عن عبادة الاوثان، بيد أن بعض الأسباب أوجبت أن لا يقبل «آزر» بنصائح «ابراهيم» عليه السلام، و المهم لنا في هذا المجال هو ان نتعرف على كيفية دعوة الخليل و على اسلوب حوارهم مع «آزر». ان الامعان في الآيات التي تنقل حوار «ابراهيم» عليه السلام مع «آزر» توضح لنا أدب الأنبياء، و اسلوبهم الرائع في الدعوة و الارشاد، و لنقف عند حوار ابراهيم و دعوته، ليتضح لنا ذلك.

يقول القرآن الكريم عن ذلك: «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا: يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا. يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا. يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا».

(١) فاجابه «آزر» قائلا: «أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا».

و لكن «ابراهيم» بسعه صدره و عظمه روحه تجاهل رد «آزر» العنيف ذلك و أجابه قائلا: «سلام عليك سأستغفر لك ربّي» (١).

و أيّ جواب أفضل من هذا البيان و أيّ لغة أليّن من هذه اللغة و احبّ الى القلب، و اكثر رحمة و لطفًا.

(٢)

### هل كان آزر والد إبراهيم؟

ان الظاهر من الآيات المذكورة و كذا الآية (١١٥) من سورة «التوبة» و الآية (١٤) من سورة الممتحنة هو: أن «آزر» كان والد إبراهيم عليه السلام.

و قد كان إبراهيم يسميه أبا في حين كان «آزر» وثنيا، فكيف يصح ذلك و قد اتفقت كلمه علماء الشيعة عامة على كون والد النبي الكريم «محمد»

(١) مريم: ٤٢-٤٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٣١

صلّى الله عليه وآله و سلم و جميع الأنبياء مؤمنين بالله سبحانه موحدين اياه تعالى.

و لقد ذكر الشيخ المفيد رضوان الله عليه في كتابه القيم «أوائل المقالات» (١) ان هذا الأمر هو موضع اتفاق علماء الشيعة الامامية كافة بل وافقهم في ذلك كثير من علماء السنة أيضا.

و في هذه الصورة ما هو الموقف من ظواهر الآيات المذكورة التي تفيد ابوة «آزر» لإبراهيم، و ما هو الحل الصحيح لهذه المشكلة (١) يذهب أكثر المفسرين إلى أن لفظه «الأب» و ان كانت تستعمل عادة في لغة العرب في «الوالد»، إلّا أن مورد استعمالها لا ينحصر في ذلك.

بل ربما استعملت- في لغة العرب و كذا في مصطلح القرآن الكريم- في:

(العم) أيضا. كما وقع ذلك في الآية التالية التي استعملت فيها لفظه الأب بمعنى العم اذ يقول سبحانه:

«إذ قال لبيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا واحدا ونحن له مسلمون» (٢) فإنّ ممّا لا ريب فيه أن «إسماعيل» كان عما ليعقوب لا والداه، فيعقوب هو ابن إسحاق، وإسحاق هو أخو إسماعيل. ومع ذلك سمى أولاد يعقوب «إسماعيل» الذي كان (عمهم) أباً.

(٢) ومع وجود هذين الاستعمالين (استعمال الأب في الوالد تارة، وفي العم تارة أخرى) يصبح احتمال كون المراد بالأب في الآيات المرتبطة بهداية «آزر» هو العمّ أمراً وارداً، وبخاصة إذا ضمنا إلى ذلك قرينة قوية في المقام وهي: إجماع العلماء الذي نقله المفيد رحمه الله على طهارة آباء الأنبياء وأجدادهم من رجس الشرك والوثنية. ولعل السبب في تسمية النبي «إبراهيم» عمّه بالأب هو أنه كان الكافل

(١) أوائل المقالات: ص ١٢ باب القول في آباء رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) البقرة: ١٣٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٣٢

لإبراهيم ردحا من الزمن، ومن هنا كان «إبراهيم» ينظر إليه بنظر الأب، وينزله منزلة الوالد.

(١)

### القرآن ينفي ابوة «آزر» لإبراهيم:

ولكى نعرف رأى القرآن الكريم في مسألة العلاقة بين «آزر» و«إبراهيم» عليه السلام نلفت نظر القارئ الكريم إلى توضيح آيتين: (٢) ١- لقد أشرقت منطقة الحجاز بنور الإيمان والإسلام بفضل جهود النبي «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم وتضحياته الكبرى، وآمن أكثر الناس به عن رغبة ورضا، وعلموا بأن عاقبة الشرك، وعبادة الأوثان والأصنام هو الجحيم والعذاب الاليم. إلّا أنهم رغم ابتهاجهم وسرورهم بما وفقوا له من إيمان وهداية، كانت ذكريات آباءهم وامهاتهم الذين مضوا على الشرك والوثنية تزعج خواطرهم وتثير شفقتهم، وأسفهم.

وكان سماع الآيات التي تشرح أحوال المشركين في يوم القيامة يحزنهم ويؤلمهم، وبغية إزالة هذا الألم الروحي المجهد طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يستغفر لآبائهم وامهاتهم كما فعل «إبراهيم» في شأن «آزر» فنزلت الآية في مقام الرد على طلبهم ذاك، إذ قال سبحانه:

«مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» (١).

إنّ ثمت قرائن كثيرة تدل على أنّ محادثته النبي «إبراهيم» وحواره مع «آزر» وعده بطلب المغفرة له من الله سبحانه قد انتهى إلى قطع العلاقات،

(١) التوبة: ١١٣ و ١١٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٣٣

والتبري منه في عهد فتوة «إبراهيم»، وشبابه، أي عند ما كان «إبراهيم» لا يزال في مسقط رأسه «بابل» ولم يتوجه بعد إلى فلسطين و مصر وأرض الحجاز.

إننا نستنتج من هذه الآية أن «إبراهيم» قطع علاقته مع «آزر»- في أيام شبابه- بعد ما أصرَّ «آزر» على كفره، و وثنيته، و لم يعد يذكره الى آخر حياته.

(١) ٢- لقد دعا «إبراهيم» عليه السلام في اخريات حياته- أى فى عهد شيخوخته- و بعد أن فرغ من تنفيذ مهمته الكبرى (تعمير الكعبة) و اسكان ذريته فى أرض مكة القاحلة، دعا و بكل اخلاص و صدق جماعة منهم والداه، و طلب من الله إجابة دعائه، إذ قال فى حين الدعاء:

«رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» (١).

إن هذه الآية تفيد بصراحة- أن الدعاء المذكور كان بعد الفراغ من بناء الكعبة المعظمة، و تشييدها، يوم كان إبراهيم يمر بفترة الشيخوخة، فاذا كان مقصوده من الوالد فى الدعاء المذكور هو «آزر» و انه المراد له المغفرة الالهية كان معنى ذلك أن «إبراهيم» كان لم يزل على صلته ب «آزر» حتى أنه كان يستغفر له فى حين أن الآية التى نزلت ردا على طلب المشركين أوضحت بأن «إبراهيم» كان قد قطع علاقاته ب «آزر» فى أيام شبابه، و تبرأ منه، و لا ينسجم الاستغفار مع قطع العلاقات.

إن ضمَّ هاتين الآيتين بعضهما الى بعض يكشف عن أن الذى تبرأ منه «إبراهيم» فى أيام شبابه، و قطع علاقاته معه، و اتخذ عدوا هو غير الشخص الذى بقى يذكره، و يستغفر له الى اخريات حياته (٢).

(٢)

### إبراهيم محطَّم الأصنام:

لقد حلَّ موسم العيد، و خرج أهل بابل المغفلين الجهلة إلى الصحراء للاستجمام، و لقضاء فترة العيد، و إجراء مراسيمه، و قد أحلوا المدينة.

(١) إبراهيم: ٤١.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٣٢١، و الميزان: ج ٧ ص ١٧٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٣٤

و لقد كانت سوابق «إبراهيم»، و تحامله على الأصنام، و استهزؤه بها قد أوحدت قلقا و شكا لدى أهل بابل، و لهذا طلبوا منه- و هم الذين يساورهم القلق من موقفه تجاه اصنامهم- الخروج معهم إلى الصحراء، و المشاركة فى تلك المراسيم، و لكن اقتراحهم هذا بل إصرارهم واجه رفض إبراهيم الذى رد على طلبهم بحجة المرض اذ قال: «إني سقيم» و هكذا لم يشترك فى عيدهم، و خروجهم و بقى فى المدينة.

(١) حقا لقد كان ذلك اليوم يوم ابتهاج و فرح للموحد و المشرك، و أمّا للمشركين فقد كان عيداً قديماً عريقاً يخرجون للاحتفال به، و اقامه مراسيمه و تجديد ما كان عليه الآباء و الاسلاف الى الصحراء حيث السفوح الخضراء و المزارع الجميلة.

و كان عيداً لإبراهيم بطل التوحيد كذلك، عيداً لم يسبق له مثيل، عيداً طال انتظاره، و افرح حضوره و حلوله، فها هو إبراهيم يجد المدينة فارغة من الاغيار، و الفرصة مناسبة للانقضاض على مظاهر الشرك و الوثنية، و حدث هذا فعلاً.

فعند ما خرج آخر فريق من اهل بابل من المدينة، اغتتم «إبراهيم» تلك الفرصة و دخل و هو ممتلئ ايمانا و يقينا بالله فى معبدهم حيث الأصنام و الأوثان المنحوتة الخاوية، و أمامها الأطعمة الكثيرة التى احضرها الوثنيون هناك بقصد التبرك بها، و قد لفتت هذه الأطعمة نظر «الخليل» عليه السلام، فأخذ بيده منها كسرة خبز، و قدمها مستهزء الى تلك الاصنام قائلاً: لما ذا لا تأكلون من هذه

الاطعمة؟

(٢) و من المعلوم أن معبودات المشركين الجوفاء هذه لم تكن قادرة على فعل اى شىء أو حركة مطلقا فكيف بالاكل. لقد كان يخيم على جوّ ذلك المعبد الكبير سحابة من الصمت القاتل و لكنه سرعان ما اخترقته اصوات المعول الذى اخذ «إبراهيم» يهوى به على رءوس تلك التماثيل الجامدة الواقفة بلا حراك، و ايديها.

لقد حطم «الخليل» عليه السلام جميع الاصنام و تركها ركاما من الاعواد المهشمة، و المعدن المتحطم، و اذا بتلك الاصنام المنصوبة فى اطراف ذلك الهيكل

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٣٥

قد تحولت الى تلة فى وسط المعبد.

غير ان «إبراهيم» ترك الصنم الأكبر من دون ان يمسه بسوء، و وضع المعول على عاتقه، و هو يريد بذلك ان يظهر للقوم بأن محطم تلك الأصنام هو ذلك الصنم الكبير، إلّا أن هدفه الحقيقى من وراء ذلك كان امرا آخر سنيينه فى ما بعد.

(١) لقد كان «إبراهيم» عليه السلام يعلم بأن المشركين بعد عودتهم من الصحراء، و من عيدهم سيزورون المعبد، و سوف يبحثون عن علته هذه الحادثة، و أنهم بالتالى سوف يرون ان وراء هذا الظاهر واقعا آخر، اذ ليس من المعقول ان يكون صاحب تلك الضربات القاضية هو هذا الصنم الكبير الذى لا يقدر أساسا على فعل شىء على الاطلاق.

و فى هذه الحالة سوف يستطيع «إبراهيم» عليه السلام أن يستفيد من هذه الفرصة فى عمله التبليغى، و يستغل اعتراضهم بأن هذا الصنم الكبير لا يقدر على شىء أبدا، لتوجيه السؤال التالى إليهم: اذن كيف تعبدونه!!

فمنذ أن اخذت الشمس تدنو الى المغرب و يقترب موعد غروبها، و تتقلص اشعتها و تنكمش من الزواىى و السهول، أخذ الناس يؤوبون إلى المدينة أفواجا افواجا.

(٢) و عند ما آن موعد العبادة، و توجهوا إلى حيث اصنامهم، واجهوا منظرا فضيعا و امرا عجيبا لم يكونوا ليتوقعونه!!

لقد كان المشهد يحكى عن ذلة الآلهة و حقارتها، و هو أمر لفت نظر الجميع شيئا و شيئا، كبارا و صغارا.

و لقد كانت تلك اللحظة لحظة ثقيلة الوطأة على الجميع بلا استثناء.

فقد خيم سكوت قاتل مصحوب بحق و مضض على فضاء ذلك المعبد المنكود الحظ.

إلا أن أحدهم خرق ذلك الصمت الرهيب و قال: من الذى ارتكب هذه الجريمة، و من فعل هذا بالهتتا؟!

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٣٦

و لقد كانت آراء «إبراهيم» و مواقفه السلبية السابقة ضد الاصنام و تحامله الصريح عليها تبعثهم على اليقين بأن «إبراهيم» و ليس سواه هو الذى صنع ما صنع بالهتهم و اصنامهم.

و لأجل ذلك تشكلت فورا محكمة يرأسها «نمرود» نفسه و أخذوا يحاكمون «إبراهيم» و أمه!!

(١) و لم يكن لامة من ذنب إلا أنها أخفت ابنها، و لم تعلم السلطات بوجوده ليقتضوا عليه، شأنه شأن غيره من المواليد الذين قضت تلك السلطة الظالمة عليهم حفاظا على نفسها و كيائها.

و لقد أجابت أم إبراهيم على هذا السؤال بقولها: أيها الملك فعلت هذا نظرا منى لرعيّتك، فقد رأيتك تقتل أولاد رعيّتك فكان يذهب النسل فقلت: إن كان هذا الذى يطلبه دفعته إليه ليقته و بكف عن قتل أولاد الناس، و إن لم يكن ذلك فبقى لنا ولدنا.

(٢) ثم جاء دور مساءلة إبراهيم عليه السلام فسأله قائلا: «من فعل هذا بالهتتا يا إبراهيم» فقال إبراهيم: «فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون».

و قد كان «إبراهيم» عليه السلام يهدف من هذه الاجابة اللامبالية المصحوبة بالسحريّة و الازدراء هدفا آخر، و هو ان «إبراهيم» عليه



السلام كان على يقين بأنهم سيقولون في معرض الاجابة على كلامه هذا: إنك تعلم يا إبراهيم ان هذه الأصنام لا تقدر على النطق، و في هذه الصورة يستطيع «إبراهيم» أن يلفت نظر السلطات التي تحاكمه الى نقطة اساسية.

وقد حدث فعلا ما كان يتوقعه «إبراهيم» عليه السلام لما قالوا له وقد نكسوا على رؤوسهم: «لقد علمت ما هؤلاء ينطقون» فقال إبراهيم ردا على كلامهم هذا الذي كان يعكس حقارة تلك الاصنام والأوثان و تفاهة شأنها: «أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون».

(٣) إلا أن تلك الزمرة المعاندة التي ران على قلوبها الجهل والتقليد الأعمى لم

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٣٧

يجدوا جوابا لإبراهيم الذي أفحمهم بمنطقه الرصين إلا أن يحكموا باعدامه حرقا، فأوقدوا نارا كبيرة و ألقوا بإبراهيم عليه السلام فيها إلا أن العناية الالهية شملت إبراهيم الخليل عليه السلام، و حفظته من اذى تلك النار، و حولت ذلك الجحيم الذي اوجده البشر، الى جنيته خضراء نضرة اذ قال: «يا نار كونى بردا و سلاما على إبراهيم» (١).

(١)

### العبر القيامة في هذه القصة:

مع ان اليهود يعتبرون أنفسهم في مقدمة الموحدين، لم ترد هذه القصة في توراتهم الحاضرة رغم كونها معروفة بينهم، بل تفرد القرآن الكريم من بين الكتب السماوية بذكرها لأهميتها.

من هنا فإننا نذكر بعض النقاط المفيدة، و الدروس المهمة في هذه القصة التي يهدف القرآن من ذكرها و ذكر امثالها من قصص الأنبياء و الرسل.

(١) و قد ذكر تفاصيل هذه القصة في الآيات ٥١ الى ٧٠ من سورة الأنبياء و ها نحن ندرج كل هذه الآيات هنا:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ. إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ. قَالُوا وَجِدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ حِرَاقًا لِأَكْبَرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ.

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ. قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ. قَالُوا:

فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ قَالُوا أ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ. قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسِئَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ. فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُؤُسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ. قَالَ: أَ فَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ. أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ. قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ. قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ. وَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ».

و للوقوف على تفاصيل و خصوصيات ولادة إبراهيم عليه السلام و تحطيمه للأصنام راجع كتاب الكامل لابن الأثير: ج ١ ص ٥٣-٦٢، و بحار الأنوار: ج ١٢ ص ١٤-٥٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٣٨

(١) ١- إن هذه القصة خير شاهد على شجاعة «إبراهيم الخليل» عليه السلام و بطولته الفائقة.



فعزم ابراهيم على تحطيم الاصنام، و محق و هدم كل مظاهر الشرك و الوثنية المقيتة لم يكن امرا خافيا على النمروديين لانه عليه السلام كان قد أظهر شجبه لها، و اعلن عن استنكاره لعبادتها و تقديسها من خلال كلماته القادحة فيها، و استهزائه بها، فقد كان عليه السلام يقول لهم بكل صراحة بانه سيخذ من تلك الاصنام موقفا ما اذا لم يتركوا عبادتها و تقديسها، فقد قال لهم يوم ارادوا ان يخرجوا الى الصحراء لمراسيم العيد: «و تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْبِرِينَ» (١).

و لقد كان موقف الخليل عليه السلام ينم عن شجاعه كبرى فقد قال الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد: «و منها (اي و مما تحلى به النبي ابراهيم) الشجاعة و قد كشفت (قضية) الاصنام عنه، و مقاومة الرجل الواحد الوفا من أعداء الله عز و جل تمام الشجاعة» (٢).

(٢) ٢- ان ضربات «إبراهيم» القاضية و ان كانت في ظاهرها حربا مسلحة، و عنيفة ضد الاصنام إلا أن حقيقة هذه النهضة- كما يستفاد من ردود «إبراهيم» على أسئلة الذين حاكموه، و استجوبوه- كانت ذات صبغة تبليغية دعائية.

فان «إبراهيم» لم يجد وسيلة لإيقاظ عقول قومه الغافية، و تنبيه فطرم الغافلة، إلا تحطيم جميع الاصنام، و ترك كبيرها و قد علق القدم على عاتقه ليدفع بقومه إلى التفكير في القضية من اساسها و حيث أن العمل لم يكن أكثر من مسرحية إذ لا يمكن أن يصدق أحدهم بأن تلك الضربات القاضية كانت من صنع ذلك الصنم الكبير و فعله حينئذ يستطيع إبراهيم أن يستثمر فعله هذا في دعوته، و يقول ان هذا الصنم الكبير لا يقدر- و باعترافكم- على فعل أى شيء

(١) الأنبياء: ٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٦٧.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ١٣٩

مهما كان صغيرا و حقيرا فكيف تعبدونه اذن؟!

(١) و لقد استفاد «إبراهيم» من هذه العملية فعلا، و توصل الى النتيجة التي كان يتوخاها، فقد ثابوا الى نفوسهم بعد ان سمعوا كلمات «إبراهيم» عليه السلام، و استيقظت ضمائرهم و عقولهم و وصفوا انفسهم بالظلم بعد أن تبين لهم الحق و بطل ما كانوا يعبدون اذ قال تعالى: «فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ» (١) و هذا بنفسه يفيد بأن سلاح الأنبياء القاطع في بدء عملهم الرسالي كان هو: سلاح المنطق و الاستدلال ليس إلا، غاية الأمر أن هذا كان يؤدي في كل دورة بما يناسبها من الوسائل، و إلا فما قيمة تحطيم عدد من الأصنام الخشبية بالقياس إلى مخاطرة النبي «إبراهيم الخليل» بنفسه و حياته، و بالقياس الى الاخطار التي كانت توجه إليه نتيجة هذا العمل الصارخ.

إذن فلا بد ان يكون وراء هذه العملية الخطيرة هدف كبير و خدمة عظيمة تستحق المخاطرة بالنفس، و يستحق المرء امتداح العقل له اذا عرض حياته للخطر في سبيلها.

(٢) ٣- لقد كان إبراهيم يعلم جيدا بأن هذا العمل سيؤدي بحياته، و سيكون فيه حتفه، فكانت القاعدة تقتضى أن يسيطر عليه قلق و اضطراب شديدان، فيتوارى عن اعين الناس، أو يترك المزاح، و السخرية بالأصنام على الأقل، و لكنه كان على العكس من ذلك رابط الجأش، مطمئن النفس، ثابت القدم، فهو عند ما دخل في المعبد الذي كانت فيه الأصنام تقدم بقطعة من الخبز الى الاصنام و دعاها ساخرا بها، الى الاكل، و ثم ترك الأصنام بعد اليأس منها تلاً من الخشب المهشم، و اعتبر هذا الأمر مسألة عادية لا تستأهل الوجل و الخوف، و كأنه لم يفعل ما يستتبع الموت المحقق و يستوجب الاعدام المحتم.

فهو عند ما يأخذ مكانه امام هيئة القضاة يقول معرضا بالاصنام: فعله كبير الأصنام فاستلوه و لا شك أن هذا التعريض و السخرية بالاصنام إنما هو موقف من

(١) الأنبياء: ٦٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٤٠

لا- يوجس خيفة، ولا- يشعر بوجل من عمله، بل هو فعل من قد هتأ نفسه لكل الاخطار المحتملة، و استعد لكل النتائج مهما كانت خطيرة.

(١) بل الأعجب من هذا كله دراسة وضع «إبراهيم» نفسه حينما كان في المنجنيق وقد تيقن أنه سيكون وسط ألسنة اللهب بعد هنيئة، و تلتهمه النار المستعرة تلك النار التي جمع اهل «بابل» لها الحطب الكثير تقربا الى آلهتهم، و كانوا يعتبرون ذلك العمل واجبا مقدسا ... تلك النار التي كان لهيها من القوة بحيث ما كانت الطيور تستطيع من التحليق على مقربة منها.

في هذه اللحظة الخطيرة الحساسة جاءه جبرئيل و اعلن عن استعداده لانقاذه و تخليصه من تلك المهلكة الرهيبة قائلا له: هل لك إلى من حاجة؟

فقال «إبراهيم»: أما إليك فلا، و أما إلى رب العالمين فنعمة «١».

ان هذا الجواب يجسد ايمان «إبراهيم» العظيم، و روحه الكبرى.

(٢) لقد كان «نمرود» الذي جلس يراقب تلك النار من عدة فراسخ، ينتظر بفارغ الصبر لحظة الانتقام، و كان يحب ان يرى كيف تلتهم ألسنة النار «إبراهيم». فما أرب تلك اللحظات!

لقد اشتغل المنجنيق، و بهزة واحدة القى بإبراهيم عليه السلام في وسط النار غير أن مشيئة الله، و ارادته النافذة تدخلت فورا لتخلص خليل الله و نبيه العظيم، فحوّلت تلك النار المحرقة التي أو قدها يد البشر الى روضة خضراء و جنية زاهرة ادهشت الجميع حتى أن «إبراهيم» التفت إلى «آزر» و قال- من دون ارادته:-

«يا آزر ما اكرم إبراهيم على ربه» «٢».

(٣) إن انقلاب تلك النار الهائلة الى روضة خضراء لإبراهيم قد تم بأمر الله المسبب للأسباب و المعطل لها متى شاء، المعطى لها آثارها، و السالب عنها ذلك، متى اراد.

(١) عيون أخبار الرضا: ص ١٣٦، و أمالي الصدوق: ص ٢٧٤، و بحار الأنوار: ج ١٢ ص ٣٥.

(٢) تفسير البرهان: ج ٣ ص ٦٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٤١

اجل إن الله الذي منح الحرارة للنار و الاضاءة للقمر، و الاشعاع للشمس لقادر على سلب هذه الآثار و انتزاعها من تلك الاشياء و تجريدها، و لهذا صح وصفه بمسبب الاسباب، و معطلها.

غير ان جميع هذه الحوادث الخارقة و الآيات الباهرة لم تستطع ان توفر لإبراهيم الحرية الكاملة في الدعوة و التبليغ، فقد قررت السلطة الحاكمة و بعد مشاورات و مداولات إبعاد «إبراهيم» و نفيه، و قد فتح هذا الأمر صفحة جديدة في حياة ذلك النبي العظيم، و تهيأت بذلك اسباب رحلته الى بلاد الشام و فلسطين و مصر و ارض الحجاز.

(١)

**هجرة الخليل عليه السلام:**

لقد حكمت محكمة «بابل» على «إبراهيم» بالنفى و الإبعاد من وطنه، و لهذا اضطرَّ عليه السَّلام ان يغادر مسقط رأسه، و يتوجه صوب فلسطين و مصر، و هناك واجه استقبال العمالقة الذين كانوا يحكمون تلك. البقاع و ترحيبهم الحار به و نعم بهداياهم التى كان من جملتها جارية تدعى «هاجر».

و كانت زوجته «ساره» لم ترزق بولد الى ذلك الحين، فحركت هذه الحادثة عواطفها و مشاعرها تجاه زوجها الكريم إبراهيم و لذلك حثته على نكاح تلك الجارية عله يرزق منها بولد، تقربه عينه و تزدهر به حياته.

فكان ذلك، و ولدت «هاجر» لإبراهيم ولدا ذكرا سمى بإسماعيل، و لم يمض شئ من الزمان حتى حبلت ساره هى أيضا و ولدت- بفضل الله و لطفه- ولدا سمى بإسحاق «١».

(٢) و بعد مدة من الزمان أمر الله تعالى «إبراهيم» بان يذهب بإسماعيل و أمه «هاجر» إلى جنوب الشام (أى ارض مكة) و يسكنهما هناك فى واد غير معروف الى ذلك الحين ... واد لم يسكنه أحد بل كانت تنزل فيه القوافل التجارية

(١) بحار الأنوار: ج ١٢ ص ١١٨ و ١١٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٤٢

الذاهبة من الشام الى اليمن، و العائدة منها الى الشام، بعض الوقت ثم ترحل سريعا، و أما فى بقية أوقات السنة فكانت كغيرها من أراضي الحجاز صحراء شديدة الحرارة، خالية عن أى ساكن مقيم.

(١) لقد كانت الإقامة فى مثل تلك الصحراء الموحشة عملية لا- تطاق بالنسبة لامرأة عاشت فى ديار العمالقة و ألفت حياتهم و حضارتهم، و ترفهم و بذخهم.

فالحارة اللاهبة و الرياح الحارقة فى تلك الصحراء كانت تجسد شبح الموت الرهيب امام ابصار المقيمين.

و إبراهيم نفسه قد اتتبه كذلك حاله من التفكير و الدهشة لهذا الأمر، و لهذا فإنه فيما كان عازما على ترك زوجته «هاجر» و ولده «إسماعيل» فى ذلك الواد قال لزوجته «هاجر» و عيناه تدمعان: «إن الذى أمرنى أن اضعكم فى هذا المكان هو الذى يكفكم».

ثم قال فى ضراعه خاصة: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» «١».

و عند ما انحدر من ذلك الجانب من الجبل التفث إليهما و قال داعيا: «رَبَّنَا إِنِّي أَسِيَّكُنْتُ مِنْ دَرِيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيَتَّقُوا الصَّلَاةَ فَأَجْعَلَ أَفِنَّدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقُهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» «٢».

إن هذا السفر و الهجرة و إن كانت فى ظاهرها امرا صعبا، و عملية لا تطاق، إلا أن نتائجها الكبرى التى ظهرت فى ما بعد أوضحت و بينت أهمية هذا العمل، لأن بناء الكعبة، و تأسيس تلك القاعدة العظمية لأهل التوحيد، و رفع راية التوحيد فى تلك الربوع، و خلق نواة نهضة، عميقة، دينية، انبثقت على يد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و شعت من تلك الديار إلى أنحاء العالم، كل ذلك كان من ثمار تلك الهجرة.

(١) البقرة: ١٢٦

(٢) إبراهيم: ٣٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٤٣

(١)

لقد غادر «إبراهيم» عليه السلام أرض مكة تاركا زوجته وولده «إسماعيل» بعيون دامعة، و قلب يملئوه الرضا بقضاء الله و الامل بلطفه و عنايته.

فلم تمض مدة إلا و نفذ ما ترك عندهما من طعام و شراب، و جف اللبن في ثدي «هاجر»، و تدهورت أحوال الرضيع «إسماعيل»، و كانت دموع الام الحزينة تنحدر على حجره، و هي تشاهد حال وليدها الذي قد أخذ العطش و الجوع منه مأخذا.

فانطلقت من مكانها فجأة تبحث عن الماء حتى وصلت إلى جبل «الصفاء» فرأت من بعيد منظر ماء عند جبل «مروة»، فأسرعت إليه مهرولة، غيران الذي رآته و ظنته ماء لم يكن إلا السراب الخادع، فزادها ذلك جزعا و حزنا على وليدها مما جعلها تكرر الذهاب و الاياب الى الصفا و المروة أملا في أن تجد الماء و لكن بعد هذا السعي المتكرر، و الذهاب و الاياب المتعدد بين الصفا و المروة عادت الى وليدها قانطة يائسة.

(٢) كانت أنفاس الرضيع الظامى و دقات قلبه الصغير قد تباطأت بل و اشرفت على النهاية، و لم يعد ذلك الرضيع الظامى قادرا على البكاء و لا حتى على الانين.

و لكن فى مثل هذه اللحظة الحرجة الصعبة استجاب الله دعاء خليله و حبيبه «إبراهيم»، اذ لاحظت هاجر الماء الزلال و هو ينبع من تحت اقدام «اسماعيل».

فسرت تلك الام المضطربة- التى كانت تلاحظ وليدها و هو يقضى اللحظات الاخيرة من حياته، و كانت على يقين بانه سرعان ما يموت عطشا، و جهدا- سرورا عظيما بمنظر الماء، و برق فى عينيها بريق الحياة، بعد ان اظلمت الدنيا فى عينيها قبل دقائق، فشربت من ذلك الماء العذب، و سقت منه رضيعها الظامى، و تقشعت بلطف الله و عنايته و بما بعثه من نسيم الرحمة الربانية كل غيوم اليأس، و سحب القنوط التى تلبدت و خيمت على حياتها.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٤٤

(١) و لقد ادى ظهور هذه العين التى تدعى بززم فى ان تتجمع الطيور فى تلك المنطقه و تحلق فوق تلك البقعة التى لم يعهد أن حلقت عليها الطيور، و ارتادتها الحمام، و هذا هو ما دفع بجرهم و هى قبيلة كانت تقطن فى منطقته بعيدة عن هذه البقعة ان تتنبه إلى ظهور ماء فيها لما رأت تساقط الطيور و تحليقها، فأرسلت واردين ليتقصيا لها الخبر و يعرفا حقيقة الأمر، و بعد بحث طويل و كثير، انتهيا الى حيث حلت الرحمة الالهية، و عند ما اقتربا إلى «هاجر» و شاهدا بام عينيها «امرأة» و «طفلا» عند عين من الماء الزلال الذى لم يعهداه من قبل عادا من فورهما من حيث أتيا، و أخبرا كبار القبيلة بما شاهداه، فاخذت الجماعة تلو الجماعة من تلك القبيلة الكبيرة قد إلى البقعة المباركة، و تخيم عند تلك العين لتطرد عن «هاجر» و ولدها مرارة الغربة، و وحشة الوحدة، و قد سبب نمو ذلك الوليد المبارك و رشده فى رحاب تلك القبيلة فى ان يتزوج إسماعيل هذا من تلك القبيلة، و يصاهرهم، و بذلك يحظى بحمايتهم له، و ينعم بدفاعهم و رعايتهم و محبتهم له.

فانه لم يمض زمان حتى أختار «إسماعيل» زوجة من هذه القبيلة، و لهذا ينتمى ابناء «إسماعيل» الى هذه القبيلة من جهة الام.

(٢)

### تجديد اللقاء:

كان إبراهيم عليه السلام بعد أن ترك زوجته «هاجر» و ولده «إسماعيل» فى ارض «مكة» بأمر الله، يتردد على ولده بين فينة و اخرى. و فى احدى سفراته و لعلها السفرة الاولى دخل «مكة» فلم يجد ولده «إسماعيل» فى بيته، و كان ولده الذى أصبح رجلا قويا، قد تزوج

بامرأة من جرهم.

فسأل «إبراهيم» زوجته قائلاً: اين زوجك؟ فقالت: خرج يتصيد، فقال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: ليس عندي شيء و ما عندي أحد، فقال لها إبراهيم: «اذا جاء زوجك فأقرئيه السلام و قولى له: فليغير عتبه بابه».

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٤٥

و ذهب إبراهيم عليه السلام منزحاً من معاملته زوجته ابنه «إسماعيل» له و قد قال لها ما قال.

(١) و لما جاء إسماعيل عليه السلام وجد ريح ابيه فقال لامرأته: هل جاءك احد؟ قالت: جاءني شيخ صفتة كذا و كذا كالمستخفة

بشأنه، قال: فما ذا قال لك: قالت: قال لى أقرئى زوجك السلام و قولى له: فليغير عتبه بابه!!

فطلقها و تزوج اخرى، لأن مثل هذه المرأة لا تصلح ان تكون زوجة و شريكه حياة «١»

و قد يتساءل أحد: لما ذا لم يمكث إبراهيم عليه السلام هناك قليلاً ليرى ولده إسماعيل بعد عودته من الصيد، و قد قطع تلك المسافة

الطويلة، و كيف سمح لنفسه بان يعود بعد تلك الرحلة الشاقة من دون ان يحظى برؤية ابنه العزيز؟!

يجيب ارباب التاريخ على ذلك بان إبراهيم انما استعجل فى العوده من حيث اتى لوعده اعطاه لزوجته سارة بأن يعود إليها سريعاً، ففعل

ذلك حتى لا يخلف. و هذا من اخلاق الأنبياء.

ثم إن «إبراهيم» سافر مرة اخرى إلى أرض مكة بأمر الله، و ليا بنى الكعبة التى تهدمت فى طوفان «نوح»، ليوجه قلوب المؤمنين

الموحدين إلى تلك النقطة.

(٢) إن القرآن الكريم يشهد بأن أرض «مكة» قد تحولت إلى مدينة بعد بناء الكعبة قبيل وفاة إبراهيم عليه السلام، لأن إبراهيم دعا

بعيد فراغه من بناء الكعبة قائلاً:

«رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَ اجْنُبْنِي وَ بَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ» «٢» على حين دعا عند نزوله مع زوجته، و ابنه إسماعيل فى تلك الأرض

قائلاً:

«رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا» «٣».

و هذا يكشف عن ان مكة تحولت الى مدينة عامرة فى حياة الخليل

(١) بحار الأنوار: ج ١٢ ص ١١٢ نقلاً عن قصص الأنبياء.

(٢) إبراهيم: ٣٥.

(٣) البقرة: ١٢٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٤٦

عليه السلام، بعد ان كانت صحراء قاحلة، و واد غير ذى زرع.

(١) و لقد كان من المستحسن استكمالاً لهذا البحث أن نشرح هنا كيفية بناء الكعبة المعظمة، و نستعرض التاريخ الاجمالي لذلك، بيد

أننا لكى لا نقصر عن الهدف المرسوم لهذا الكتاب اعرضنا عن ذلك و عمدنا إلى ذكر بعض التفاصيل عن أبرز و اشهر أجداد رسول

الله، صلى الله عليه و آله و سلم، فى التاريخ.

(٢)

## ٢- قصى بن كلاب:

إن أسلاف الرسول العظيم صلى الله عليه و آله هم على التوالى: عبد الله، عبد المطلب، هاشم، عبد مناف، قصى، كلاب، مرة، كعب،

لؤي، غالب، فهر، مالك، النضر، كنانة، خزيمه، مدركة، إلياس، مضر، نزار، معد، عدنان «١».

من المسلم أن نسب النبي الاكرم صلى الله عليه وآله إلى عدنان هو ما ذكر، فلا خلاف فيه، إنما وقع الخلاف في عدد، و أسماء من هم بعد عدنان إلى إسماعيل عليه السلام، و لذلك لم يجر التجاوز عنه لحديث رواه ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله اذ قال: «إذا بلغ نسبي إلى عدنان فأمسكوا» «٢» هذا مضافا إلى أن النبي نفسه كان اذا عدّد أجداده فبلغ إلى عدنان أمسك، و نهى عن ذكر من بعده إلى إسماعيل، و قد روى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: كذب النسابون.

و لهذا فإننا نكتفي بذكر من اتفق عليه، و نعلم إلى الحديث عن حياة كل واحد منهم.

(٣) و لقد كان كل من ذكرنا أسماءهم هنا معروفين، و مشهورين في تاريخ

(١) التاريخ الكامل: ج ٢ ص ٢ - ٢١.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ١٠٥ عن مناقب ابن شهر آشوب، و كشف الغمّة: ج ١ ص ١٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٤٧

العرب، بيد أن حياة طائفة منهم ترتبط بتاريخ الإسلام، و لهذا فإننا نقف عند حياة «قصي» و من لحقه إلى والد النبي «عبد الله» و نعرض عن ذكر حياة غيرهم من أجداده و أسلافه صلى الله عليه وآله ممّن لا علاقة له بهذه الدراسة «١».

(١) أمّا «قصي» و هو الجد الرابع لرسول الله صلى الله عليه وآله التي تزوجت برجل من بني كلاب و رزقت منه بولدين هما: «زهرة» و «قصي» إلا أن زوج فاطمة قد توفى، و هذا الاخير لم يزل في المهدي، فتزوجت بزواج آخر يدعى ربيعة، و سافرت معه إلى الشام، و بقي «قصي» يحظى برعاية أبويه من ربيعة حتى وقع خلاف بين قصي و قوم ربيعة، و اشتد ذلك الخلاف حتى انتهى إلى طرده من قبيلتهم، ممّا أحزن ذلك أمه، و اضطرت إلى إرجاعه إلى «مكة».

و هكذا اتت به يد القدر إلى «مكة»، و سببت قابلياته الكامنة التي برزت في تلك المدينة في تفوقه على أهل مكة و بخاصة قريش. و سرعان ما احتلّ قصي هذه المقامات العالية، و شغل المناصب الرفيعة، مثل حكومة «مكة» و زعامة قريش، و سدانة الكعبة المعظمة، و صار رئيس تلك الديار دون منازع.

و لقد ترك (قصي) من بعده آثارا كثيرة و عديدة منها تشجيع الناس على بناء المساكن و البيوت حول الكعبة المعظمة، و تأسيس مكان للشورى ليجتمع فيه رؤساء القبائل العربية من أجل التداول في الامور و حل المشاكل يدعى بدار الندوة.

و قد توفى «قصي» في القرن الخامس الميلادي و خلف من بعده ولدين هما:

«عبد الدار» و «عبد مناف».

(٢)

### ٣ - عبد مناف:

و هو الجد الثالث لرسول الله صلى الله عليه وآله و اسمه «المغيرة» و لقبه

(١) لقد بحث ابن الأثير في الكامل حول حياتهم فراجع: ج ٢ ص ١٥ - ٢١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٤٨

«قمر البطحاء»، و كان أصغر من أخيه «عبد الدار» إلا أنه كان يحظى بمكانة خاصة عند الناس دون أخيه، و كان شعاره التقوى، و دعوة الناس إلى حسن السيرة و صلة الرحم، بيد انه مع ما كان له من المكانة القوية لم ينافس اخاه «عبد الدار» في المناصب العالية التي كان

يشغلها.

فقد كانت الزعامة لآخيه عبد الدار حسب وصية أبيهما «قصي».

ولكن بعد وفاة هذين الأخوين وقع الخصام والتنازع بين أبنائهما على المناصب، وانتهى ذلك بالصراع الطويل إلى اقتسام المناصب والمقامات، وتقرر ان يتولى ابناء عبد الدار سدانة الكعبة، و زعامة دار الندوة، و يتولى ابناء عبد مناف سقاية الحجيج و ضيافتهم و وفادتهم.

وقد بقى هذا التقسيم المتفق عليه سارى المفعول الى زمن ظهور الإسلام «١».

(١)

#### ٤- هاشم:

#### إشارة

و هو الجدّ الثانی لنبي الإسلام و اسمه «عمرو» و لقبه «العلاء» و هو الذى ولد مع «عبد شمس» توأمين، و أخواه الآخرا ن هما: «المطلب» و «نوفل».

هذا و ثمة خلاف بين أرباب السير و كتاب التاريخ فى: أن هاشما و عبد شمس كانا توأمين، و أن هاشما ولد و اصبع واحدة من اصابع قدمه ملصقةً بجبهة «عبد شمس» و قد نزعت بسيلان دم، فتشاءم الناس لذلك «٢» يقول الحلبي فى سيرته: فكانوا يقولون: سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما اى بين بنى العباس

(١) لم تكن هناك مناصب للكعبة يوم السّست و رفع قواعدها بل حدث كل ذلك تدريجا بحكم المقتضيات و التطورات، و كانت هذه المناصب التى استمرت الى زمن ظهور الإسلام عبارة عن:

١- سدانة الكعبة.

٢- سقاية الحجيج.

٣- وفادتهم و ضيافتهم.

٤- زعامة المكيين و قيادة جيشهم. و لم يكن هذا الأخير منصبا ذا صبغة دينية.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٤٩

(و هم من أولاد هاشم) و بين بنى أمية (و هم من أولاد عبد شمس) «١».

(١) و كأنّ كاتب السيرة قد تجاهل الحوادث المحزنة و المؤسفة التى وقعت بين بنى أمية و ابناء على عليه السّلام فى حين أن تلك الحوادث الدامية التى تسببها بنو أمية و اهرقت فيها دماء ذرية رسول الله و عترته الطاهرة، اقوى شاهد على تلك العداوة بين هاتين الطائفتين، و لكننا لا ندرى لما ذا تجاهل ذكرها مؤلف السيرة الحلبية و لم يشر إليها مطلقاً!

ثم ان من خصوصيات ابناء «عبد مناف» حسبما يستفاد من الأدب الجاهلى، و ما جاء فيه من أشعار، أنهم توفوا فى مناطق مختلفة.

فهاشم - مثلاً - توفى فى «غزة» و عبد شمس مات فى مكة، و نوفل فى ارض العراق، و المطلب فى ارض اليمن «٢».

(٢) و كان من سجايا هاشم و اخلاقه الفاضلة أنه كان كلّما هلّ هلال شهر ذى الحجة قام صبيحته، و أسند ظهره الى الكعبة المشرفة، و



خطب قائلاً:

«يا معشر قريش إنكم سادة العرب و أحسنها وجوهاً، و أعظمها احلاماً (اي عقولاً) و أوسط العرب (أى أشرفها) أنساباً، و أقرب العرب بالعرب أرحاماً.

يا معشر قريش إنكم جيران بيت الله تعالى اكرمكم الله تعالى بولايته، و خصكم بجواره، دون بنى إسماعيل، و انه ياتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه و أحق من اكرم أضياف الله انتم، فاکرموا ضيفه و زواره، فانهم يأتون شعثاً غرباً من كل بلد على ضوامر كالقداح، فاکرموا ضيفه و زوار بيته، فو رب هذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه، و أنا مخرج من طيب مالى و حاله ما لم يقطع فيه رحم، و لم يؤخذ بظلم، و لم يدخل فيه حرام، فمن شاء منكم ان يفعل مثل ذلك فعل، و أسألکم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله و تقويتهم إلا طيباً لم يؤخذ ظلماً، و لم يقطع فيه رحم، و لم يؤخذ غصباً» (٣).

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٤.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٥.

(٣) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥٠

(١) و لقد كانت زعامه «هاشم» و قيادته نافعة للمكيين من جميع النواحي، و كان لها تأثير كبير فى تحسين أوضاعهم. و لقد سبب كرمه و ما قام به من إطعام واسع فى سنوات الجذب القاسية فى تخفيف شدة الوطأة عن أهل مكة، و بالتالى ادى الى عدم احساسهم بالقحط، و آثار الجذب.

كما أن من خطواته البارزة و اعماله النافعة جدا لتحسين الحالة التجارية للمكيين هو ما عقده مع أمير «غسان» من المعاهدة، الأمر الذى دفع بأخيه «عبد شمس» إلى أن يعاهد أمير الحبشة، و بأخويه الآخرين «المطلب» و «نوفل» الى ان يعاهدا أمير اليمن و ملك ايران تكون القوافل التجارية بموجب تلك المعاهدات للجانيين فى أمان، من العدوان و التعرض.

و قد أزال هذه المعاهدات الكثير من المشاكل، و كانت وراء ازدهار التجارة فى «مكة المكرمة» حتى عهد بزوغ شمس الإسلام. ثم ان من أعمال «هاشم» و خطواته النافعة تأسيسه لرحلتى قريش اللتين يتحدث عنهما القرآن الكريم اذ يقول: «رحلة الشتاء و الصيف» و هما رحلة إلى الشام، و كانت فى الصيف، و رحلة الى اليمن، و كانت فى الشتاء، و قد استمرت هذه السيرة حتى ما بعد ظهور الإسلام أيضا.

(٢)

### أمية بن عبد شمس يحسد هاشما:

و لقد حسد «أمية بن عبد شمس» ابن أخى هاشم عمه «هاشما» على ما حظى به من المكانة و العظمة، و النفوذ الى قلوب الناس و جذبها نحوه بسبب خدماته و أياديه، و ما كان يقوم به من بذل و انفاق، و حاول جاهدا ان يقلده و يتشبه بهاشم فى سلوكه و لكنه رغم كل ما قام به من جهود و محاولات لم يستطع أن يتشبه به و يتخذ سيرته، و كما لم يستطع بايقاعه و طعنه به ان يقلل من شأنه بل زاده رفعة و عظمة.

لقد كان لهيب الحسد فى قلب «أمية» يزداد اشتعالا يوما بعد يوم، حتى

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥١



دفع به الى ان يدعو عمه «هاشما» للذهاب إلى كاهن من كهنة العرب للمنافرة عنده فتكون الرئاسة و الزعامة لمن يمدحه ذلك الكاهن، و كانت عظمة «هاشم» و سموّ مقامه تمنع من منافرة ابن اخيه (امية) إلا أنه رضى بالمنافرة هذه تحت اصرار (امية) بشرطين:

١- أن يعطى المغلوب خمسين من النياق سود الحدق تنحر بمكة.

٢- جلاء المغلوب عن مكة عشر سنين.

(١) و من حسن الحظّ أن ذلك الكاهن نطق بمدح «هاشم» بمجرد أن وقعت عيناه عليه فقال: «و القمر الباهر، و الكوكب الزاهر، و الغمام الماطر ... لقد سبق هاشم امية إلى الماثر» الى آخر كلامه. و هكذا قضى لهاشم بالغلبة فأخذ الابل فنحرها و أطعمها و اضطر أمية الى الجلاء عن مكة و العيش بالشام عشر سنين «١».

و قد استمرت آثار هذا الحسد التاريخي إلى ١٣٠ عاما بعد ظهور الإسلام، و تسببت في جرائم و فجائع كبرى عديمة النظير في التاريخ.

ثم ان القصة السابقة مضافا الى انها تبين مبدأ العداوة بين الأمويين و الهاشمين تبين أيضا علل نفوذ الامويين في البيئة الشامية، و يتبين أن علاقات الأمويين العريقة بأهل هذه المنطقة هي التي مهّدت لقيام الحكومة الأموية في تلك الديار.

(٢)

### هاشم يتزوج ...

كانت «سلمى» بنت «عمرو الخزرجي» امرأة شريفة في قومها، قد فارقت زوجها بطلاق، و كانت لا ترضى بالزواج من أحد، ولدى عودة «هاشم» من بعض أسفاره نزل في يثرب أياما فخطبها إلى والدها، فرغبت سلمى فيه لشرفه في قريش، و لنبله و كرمه، و رضيت بالزواج منه بشرطين: أحدهما أن لا تلد ولدها

(١) الكامل لابن الاثير: ج ٢ ص ١٠، و السيرة الحلبية: ج ١ ص ٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥٢

إلا في اهلها، و حسب هذا الاتفاق بقيت «سلمى» مع زوجها «هاشم» في مكة بعض الوقت حتى اذا ظهر عليها آثار الحمل رجعت الى: «يثرب» و هناك وضعت ولدا اسموه «شيبه». و قد اشتهر في ما بعد به «عبد المطلب».

(١) و كتب المؤرخون في علة تسميته بهذا الاسم بأن هاشما لما أحسّ بقرب انصرام حياته قال لآخيه «المطلب»: يا أخى أدرك عبدك شيبه و لذلك سمي شيبه بن هاشم: «عبد المطلب».

وقيل أن أحد المكيين مرّ على غلمان يلعبون في زقاق من ازقة يثرب، و ينتصلون بالسهام، و لما سبق أحدهم الآخرين في الرمي قال مفتخرا: «أنا ابن سيد البطحاء» فسأله الرجل عن نسبه و ابيه فقال: أنا شيبه بن هاشم بن عبد مناف، فلما قدم الرجل مكة اخبر «المطلب» أخى «هاشم» بما سمعه و رآه، فاشتاق «المطلب» الى ابن أخيه فذهب الى المدينة، و لما وقعت عيناه على ابن أخيه «شيبه» عرف شبه أخيه هاشم، و توسّم فيه ملامحه، ففاضت عيناه بالدموع، و تبادلوا قبلات الشوق، و المحبة، و أراد أن يأخذه معه الى «مكة» و كانت أمه تمنع من ذلك، و لكن ممانعتها كانت تزيد من عزم العمّ على أخذه الى «مكة» و اخيرا تحققت امنية العم فقد استطاع «المطلب» أن يحصل على اذن أمه، فاردفه خلفه و توجه حذب «مكة» تدفعه رغبة طافحة الى إيصاله إلى والده هاشم.

(٢) و فعلت شمس الحجاز. و اشعتها الحارقة فعلتها في هذه الرحلة فقد غيرت لون وجه شيبه و أبلت ثيابه، و لهذا ظنّ أهل «مكة» عند دخوله مع عمه «مكة» أنه غلام اقتناه «المطلب» فكان يقول بعضهم لبعض: هذا عبد المطلب، و كان المطلب ينفي هذا الأمر، و يقول:

إنما هو ابن أخى هاشم و ما هو بعدى، و لكن ذلك الظن هو الآخر فعل فعلته، و عرف «شيبه» بعبد المطلب «١». و ربما يقال: أن سبب شهرته بهذا الاسم هو انه تربى و ترعرع فى حجر عمه

(١) الكامل لابن الاثير: ج ٢ ص ٦، و تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٨ و ٩، السيرة الحلبية: ج ١ ص ٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥٣

«المطلب» و كانت العرب تسمى من يتعرع فى حجر أحد و ينشأ تحت رعايته عبدا لذلك الشخص تقديرا لجهوده و تميمنا لرعايته.

(١)

## ٥- عبد المطلب:

### إشارة

عبد المطلب بن هاشم و هو الجد الأول للنبي صلى الله عليه و آله كان رئيس قريش و زعيمها المعروف، و كانت له مواقف بارزة، و أعمال عظيمة فى حياته، و حيث أن ما وقع من الحوادث فى أيام حكمه يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الإسلام و لهذا يتعين علينا دراسة بعض تلكم الحوادث و الوقائع. سيد المرسلين ج ١ ١٥٣ ٥ - عبد المطلب: ..... ص: ١٥٣

شك أن المرء مهما تمتع بنفسية قوية فانه سيتأثر- فى المال- ببيئته و عاداتها، و تقاليدها، التى تصبغ فكره، بصبغة خاصة، و تطبع عقلته بطابع معين.

بيد أن هناك بين الرجال من يقاوم تأثير العوامل البيئية بمتهى الشهامة و الشجاعة، و يصون نفسه من التلوث بشىء من أدرانها و أقدارها.

و بطل حديثنا هنا هو احد النماذج الصادقة لأولئك الرجال العظماء لان فى حياته صفحات مشرقة عظيمة، و سطورا لامعة تنبى عن نفسيته القوية، و شخصيته الشامخة.

(٢) فان الذى يعيش ثمانين عاما فى وسط اجتماعى تسود فيه الوثنية، و معاقرة الخمر، و الربا، و قتل الأنفس البريئة، و الفحشاء حتى ان هذه الامور كانت من العادات و التقاليد الشائعة، و لكنه مع ذلك لم يعاقر الخمر طوال حياته، و كان ينهى عن القتل و الخمر و الفحشاء، و يمنع عن الزواج بالمحارم، و الطواف بالبيت المعظم عريانا، و كان ملتزما بالوفاء بالعهد، و اداء النذر بلغ الأمر ما بلغ، لهو- حقا- نموذج صادق من الرجال الذين يندر وجودهم، و يقال نظيرهم فى المجتمعات.

أجل إن شخصية اودعت يد المشيئة الربانية بين حناياها نور النبى الاكرم أعظم قائد عالمى، يجب ان يكون إنسانا طاهر السلوك، نقى الجيب منزها عن أى نوع من أنواع الانحطاط، و الفساد.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥٤

(١) هذا و يستفاد من بعض قصصه و كلماته القصار أنه كان أحد الرجال المعدودين الذين كانوا يؤمنون بالله و اليوم الآخر فى تلك البيئة المظلمة، و كان يردد دائما: «لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه، و تصيبه عقوبة ... و الله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن بإحسانه، و يعاقب فيها المسىء باساءته» «١» اى ان الظلوم شأنه فى الدنيا أن تصيبه عقوبة، فاذا خرج و لم تصبه العقوبة فهى معدة له فى الآخرة.

و لقد كان «حرب بن أمية» من أقربائه، و كان من اعيان قريش و جوهها أيضا، و كان يجاور يهوديا فاتفق أن وقع بينه و بين حرب

نزاع في بعض اسواق تهامة، تبودلت بينهما فيه كلمات جارحة، و انتهى ذلك إلى مقتل اليهودى بتحريك من «حرب»، و لما علم «عبد المطلب» بذلك قطع علاقته بحرب، و سعى في استحصال دية اليهودية المقتول من «حرب» و دفعها إلى اولياء القتيل، و هذه القصة تكشف عن حبّ عبد المطلب للمستضعفين و المظلومين و حبه للحق و العدل.

(٢)

### حفر زمزم:

منذ أن ظهرت عين زمزم نزل عندها قبيلة جرهم التي كانت بيدها رئاسة مكة طوال سنين مديدة، و كانت تستفيد من مياه تلك العين، و لكن مع ازدهار أمر التجارة في «مكة»، و اقبال الناس على الشهوات و المفاسد آل الأمر إلى جفاف تلك العين، و نضوب مائها بالمرّة «٢». و يقال: أن قبيلة «جرهم» لما واجهت تهديدا من جانب قبيلة خزاعة

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٤.

(٢) لا-ريب أنّ تفشى الذنوب و المعاصى بين الناس من عوامل نزول البلايا و الكوارث و لا يبعد أن تكون الأعمال المخزية من موجبات الجذب و القحط و المجاعات، و هذه الحقيقة مضافا الى انطباقها على القواعد الفلسفية ممّا صرح به القرآن الكريم و السنّة الشريفة، راجع سورة الاعراف؛ الآية ٩٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥٥

و اضطرت إلى مغادرة تلك الديار، و يقن زعيمها «مضاض بن عمرو» بانه سرعان ما يفقد زعامته، و يزول حكمه و سلطانه بفعل هجوم العدو، امر بان يلقى الغزالان الذهبيان، و السيوف الغالية الثمن التي كانت قد اهديت الى الكعبة، فى قعر بئر زمزم، ثم يملأ البئر بالتراب و يعفى اثره إعفاء كاملا حتى لا يهتدى خصومه إلى مكانه ابدا، حتى اذا عادت إليه زعامته و عاد الى مكة استخرج ذلك الكنز الدفين، و استفاد منه. ثم نشب القتال بين «جرهم» و «خزاعة» و اضطرت «جرهم» و كثير من ابناء اسماعيل الى مغادرة «مكة» المكرمة، و التوجه إلى ارض اليمن، و لم يرجع أحد منهم الى «مكة» ابدا.

(١) و وقعت زعامه مكة منذ هذا التاريخ بيد «خزاعة» حتى بزغ نجم قريش فى سماء مكة بوصول قصي بن كلاب (الجذ الرابع لنبى الإسلام) إلى سدة الزعامه و الرئاسة، ثم بعد مدة انتهى امر الزعامه الى «عبد المطلب» فعزم على أن يحفر بئر «زمزم» من جديد، و لكنه لم يعرف بموقع البئر معرفة كاملة حتى اذا عثر عليه بعد بحث طويل قرّر ان يهيه هو و ولده «حارث» مقدمات ذلك.

و حيث أنه «يوجد فى المجتمع دائما من يتحجج و يجادل- بسبب سلبيته- ليمنع من أى عمل ايجابى مفيد، انبرى منافسوا «عبد المطلب» إلى الاعتراض على قراره هذا و بالتالى التفرد باعادة حفر بئر زمزم، لكيلا يذهب بفخر هذا العمل العظيم، و قالوا له: «إنها بئر أبنائنا اسماعيل، و ان لنا فيها حقا فاشركنا معك» و لكن «عبد المطلب» رفض هذا الطلب لبعض الاسباب، فقد كان «عبد المطلب» يريد ان يتفرد بحفر زمزم، و يسبّل ماءها ليسقى منها جميع الحجيج دون مانع و لا منازع، و يحول بذلك دون المتاجرة به و لم يكن ليتسنى له ذلك إلّا إذا قام بحفر زمزم بوحده دون مشاركة من قريش.

(٢) و قد آل هذا الأمر الى النزاع الشديد فتقرر أن يتحاكموا الى كاهن من كهنة العرب و عقلائهم و القبول بما يقضى به، فتوجه «عبد المطلب» و منافسوه الى ذلك الكاهن و قطعوا الصحارى القاحلة بين الحجاز و الشام، و فى منتصف الطريق أصابهم جهد و عطش شديدان، و لمّا تيقنوا بالهلاك، و قرب الوفاة اخذوا

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥٦

يفكرون في كيفية الدفن اذا هلكوا و ماتوا، فاقترح «عبد المطلب» ان يبادر كل واحد إلى حفر حفرة حتى إذا أدركه الموت دفنه الآخرون فيها، فاذا استمر بهم العطش و هلكوا يكون الجميع (ما عدا من بقي منهم على قيد الحياة) قد أقبروا، و لم تغد أبدانهم طعمه للوحوش و الطيور فأيد الجميع هذا الاقتراح «١»، و احتفر كل واحد منهم حفرة لنفسه، و جلسوا ينتظرون الموت بوجه واجمء، و عيون ذابلة، و فجأه صاح عبد المطلب: «و الله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض و نبتغي لأنفسنا لعجز» و حثهم على البحث عن الماء في تلك الصحراء بصورة جماعية عسى ان يجدوا ما ينقذهم من الموت، فركب عبد المطلب و ركب مرافقه، و اخذوا يبحثون عن الماء يائسين غير مصدقين، و لم يمض شيء حتى ظهرت لهم عين ماء عذبة انقذتهم من الموت المحتم، و عادوا من حيث جاءوا و هم يقولون لعبد المطلب: «قد و الله قضى لك علينا يا عبد المطلب، و الله لا نخاصمك في زمزم أبدا، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشدا و تنازلوا له لينفرد بحفر زمزم و يكون إليه أمره دون منازع، و لا شريك» «٢».

(١) فعمد «عبد المطلب» و ولده الوحيد الحارث إلى حفر البئر، و نشأ من ذلك تل هائل من التراب حول البئر، و فجأه عثر «عبد المطلب» على الغزالين المصاغين من الذهب، و السيوف المرصعة المهداة إلى الكعبة، فشب نزاع آخر بين «قريش» و بين «عبد المطلب» على هذه الاشياء، و اعتبرت «قريش» نفسها شريكة في هذا الكنز، و تقرر ان يلجئوا إلى القرعة لحل هذا المشكله، فخرجت القرعة باسم «عبد المطلب»، و صار جميع ذلك الكنز إليه دون «قريش»، و لكن عبد المطلب خصّ بتلك الاشياء الكعبة فصنع من السيوف بابا للكعبة، و علق الغزالين الذهبيين فيها.

(١) و لعلّ احجام الآخريين من الإدلاء بالاقتراح و هو اليأس المطلق من تحصيل الماء.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ١ ص ٢٠٦، و السيرة النبوية: ج ١ ص ١٤٢-١٤٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥٧

(١)

### التفاني في سبيل الوفاء بالعهد و النذر:

رغم ان العرب الجاهليين كانوا غارقين في الفساد الأخلاقي فانهم كانوا يتحلون ببعض الصفات الحسنة، و الخصال المحببة. و للمثال كان نقض العهود من أقبح الافعال في نظرهم، فاذا عقدوا عهدا مع القبائل العربية أو ثقتها بالأيمان، المغلظة المؤكدة، و التزموا بها إلى الاخير، و ربما نذروا النذور الثقيلة و اجتهدوا في اداءها مهما كلف ذلك من مشقة و ثمن.

و لقد أحسّ «عبد المطلب» عند حفر بئر زمزم بالضعف في قريش لقله اولاده، و لهذا نذر اذا رزقه الله تعالى عشرة بنين أن يقدم أحدهم قربانا للكعبة و لم يطلع احدا على نذره هذا.

(٢) و لم يمض زمان آلا و بلغ عدد ابناؤه عشرة، و بذلك حان أوان وفائه بنذره الذي نذر، و هو ان يذبح احدهم قربانا للكعبة. و لا شك ان تصور مسألة كهذه فضلا عن تنفيذه كان امرا في غاية الصعوبة على عبد المطلب، و لكنه كان في نفس الوقت يخشى ان يعجز عن تحقيق هذا الأمر فيكون من الناقضين للعهد، التاركين لاداء النذر، و من هنا قرر أن يشاور أبناءه في هذا الأمر، و بعد ان يكسب رضاهم و موافقتهم يختار احدهم للذبح بالقرعة «١».

و تمت عملية القرعة، فاصابت «عبد الله» والد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فاخذ عبد المطلب بيد ابنه، و توجه من فوره إلى

حيث يذبحه فيه.

ولما علمت قريش رجالها و نساؤها بقصة النذر المذكور و ما آلت إليه عملية القرعة حزن الناس و الشباب خاصة لذلك حزنا شديدا و بكوا و ضجوا، و قال أحدهم ليتنى ذبحت مكان هذا الشاب.

(١) هذه القضية ذكرها كثير من المؤرخين و كتاب السيرة، و هذه القضية إنما هي جديرة بالاهتمام من جهة أنها تجسد مدى إيمان «عبد المطلب» و قوة عزمه، و صلابته إرادته، و تبين جيدا كم كان مصرا على الوفاء بعهوده و التزاماته.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥٨

(١) فاقترحت قريش على عبد المطلب بان يفدى «عبد الله»، و اظهروا استعدادهم لدفع الفدية إذا جاز ذلك، فتحير «عبد المطلب» تجاه تلك المشاعر الساخنة، و الاعتراضات القوية، و راح يفكر في عدم الوفاء بنذره، و يفكر في نفس الوقت في الحصول على مخلص معقول من هذه المشكلة، فقال له أحدهم: لا تفعل و انطلق إلى أحد كهنة العرب عسى أن يجد لك حلا.

فوافق «عبد المطلب» و اكابر قريش على هذا الاقتراح، و توجهوا بأجمعهم نحو «يثرب» قاصدين ذلك الكاهن، و لما قدموا عليه سألوه في ذلك فاستمهلهم يوما واحدا، و لما كان اليوم الثاني دخلوا عليه فقال لهم: كم دية المرء عندكم؟

قالوا: عشر من الابل.

فقال: ارجعوا إلى بلادكم، و قربوا عشرا من الابل و اضربوا عليها و على صاحبكم «أى عبد الله» القداح فان خرجت القرعة على صاحبكم فريدوا عشرا، حتى يرضى ربكم، و إن خرجت على الابل فانحروها فقد رضى ربكم و نجا صاحبكم و كانت عنه فداء.

(٢) فهذا اقتراح الكاهن لهيب المشاعر الملتهبة لدى الناس، لأن نحر مئات الابل كان أسهل عليهم من أن يشاهدوا شابا مثل «عبد الله» يتشطح في دمه.

و لهذا فانهم فور عودتهم إلى «مكة» بادروا إلى اجراء القرعة في مجمع كبير من الناس و زادوا عشرا عشرا حتى اذا بلغ عدد الابل مائة خرجت القداح على الابل، و نجا «عبد الله» من الذبح، فأحدث ذلك فرحة كبيرة لدى الناس، بيد أن «عبد المطلب» طلب أن تعاد عملية القرعة قائلا: «لا و الله حتى أضرب ثلاثا»، و إنما أراد ذلك ليستيقن ان ربه قد رضى عنه، و لكن في كل مرة كانت القداح تخرج على الابل المائة فنحرت الابل ثم تركت لا يمنع عنها انسان و لا سبع «١».

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٥٣، و بحار الانوار: ج ١٦ ص ٧٤، و قد نقل عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنا ابن الذبيحين» يقصد بالأول جدّه إسماعيل عليه السلام و الثاني أباه «عبد الله» الذي كاد أن ينحر و لكنه نجا من الذبح كما نجا جدّه إسماعيل عليه السلام.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٥٩

(١)

### حادثة عام الفيل:

#### إشارة

عند ما يحدث أمر عظيم في أمية من الامم و خاصة إذا كان ذا جذور دينية او ذا مدلولات قومية أو سياسية فانه سرعان ما يتحول- بفعل اعجاب الناس عامة به- الى مبدأ للتاريخ.

فقيام النبي موسى يعتبر مبدأ للتاريخ عند اليهود، و مولد السيد المسيح يعتبر مبدأ للتاريخ عند النصارى، و الهجرة النبوية الشريفة تعتبر مبدأ للتاريخ عند المسلمين.

و هذا يعنى أن كل أمة من الامم تقيس حوادثها من حيث الزمان بذلك الحدث الذى تعتبره بداية تاريخها.

و أحيانا تتخذ الامم و الشعوب بعض الحوادث مبدأ للتاريخ مع انها تملك مبدأ سياسيا للتاريخ، كما نلاحظ ذلك فى بلاد الغرب و شعوبه، فقد اتخذت الثورة الفرنسية، و ثورة اكتوبر الشيوعية مبدأ للتاريخ فى فرنسا، و الاتحاد السوفياتى، بحيث اصبح يقاس بهما كل ما وقع من الحوادث بعدهما.

(٢) و لكن الشعوب غير المتحضرة التى لم تمتلك مثل تلك الثورات و الحركات السياسية و الدينية كان من الطبيعى أن تتخذ الحوادث الخارقة للعادة مبدأ لتاريخها بدلا من الثورات و التحوّلات الاجتماعية، و هذا ما حدث عند العرب و قبل الإسلام. فانهم- بسبب حرمانهم من حضارة صحيحة- اتخذوا من بعض الوقائع المفجعة و المرة- كالحرب و الزلزال، و المجاعة و القحط او الحوادث غير الطبيعية، الخارقة للعادة مبدأ لتاريخهم.

و لهذا نجد مبادئ متعددة للتاريخ عند العرب، آخرها: ضجة عام الفيل و هجوم «أبرهه» على «مكة» بهدف الكعبة المشرفة، التى صارت فى ما بعد مبدأ للتاريخ تؤرخ- بقیة الحوادث و الوقائع اللاحقة.

و نظرا لأهمية هذا الحدث التاريخى العظيم الذى وقع عام ٥٧٠ و اتفقت فيه

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦٠

ولادة النبي الكريم صلى الله عليه وآله فاننا نتناول هذه القصة بالعرض و التحليل:

(١)

### ما هي عوامل هذه الحادثة؟

لقد ذكرت قصة أصحاب الفيل فى القرآن بصورة مختصرة، و سوف نقل- هنا- الآيات التى نزلت حول هذه القصة بعد حوادثها. يكتب المؤرخون عن علّة هذه الحادثة ان ملك اليمن «تبان أسعد» والد ذى نواس بعد ان أرسى قواعد حكمه مر فى احدى رحلاته على يثرب (المدينة)، و قد كانت ل «يثرب» فى ذلك الوقت مكانة دينية مرموقة فقد قطنها جماعة من اليهود «١»، و بنوا فيها عددا من المعابد و الهياكل، فأكرم اليهود مقدم ملك اليمن، و دعوه إلى دينهم ليستطيعوا فى ظل حكمه حماية أنفسهم من أذى المسيحيين الروميين، و المشركين العرب.

و لقد تركت دعوتهم و ما رافقها من اساليب مؤثرة اثرها فى نفس ذلك الامير و اختار اليهودية، و اجتهد فى بثها و نشرها. ثم ملك من بعده ابنه «ذو نواس» الذى جدّ فى بث اليهودية و التحق به جماعة خوفا.

بيد أن اهل نجران الذين كانوا قد دانوا بالمسيحية قبل ذلك امتنعوا من تغيير دينهم و ترك المسيحية و اعتناق اليهودية، و قاوموا «ذى نواس» مقاومة شديدة، فشق ذلك على ملك اليمن، و اغضبه فتوجه احد قادته الى نجران على رأس جيش كبير لتأديب المتمردين من أهلها فعسكر هذا الجيش على مشارف نجران، و احتفر قائده خندقا كبيرا، و اوقد فيه نارا عظيمة، و هدّد المتمردين بالاحراق بالنار.

و لكن أهل نجران الذين احبوا المسيحية و اعتنقوها برغبة كبيرة اظهروا شجاعة كبرى، و استقبلوا الموت حرقا، و غدوا طعمة للنيران.

(٢) يقول المؤرخ الإسلامى «ابن الاثير الجزرى» بعد ذكر هذه القصة: لما قتل

(١) وفاة الوفا: ج ١ ص ١٥٧، و السيرة النبوية: ج ١ ص ٢١ و ٢٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦١

«ذو نواس» من قتل في الاخدود لاجل العود عن النصرانية أفلت منهم رجل يقال له «دوس» فقدم على «قيصر» فاستنصره على «ذو نواس» و جنوده و اخبره بما فعل بهم، فقال له قيصر: بعدت بلادك عنا، و لكن سأكتب الي النجاشى ملك الحبشة و هو على هذا الدين و قريب منكم، فكتب قيصر الى ملك الحبشة يأمره بنصره، فارسل معه ملك الحبشة سبعين ألفاً، و أمر عليهم رجلاً يقال له «أرياط» و فى جنوده «ابرهة الأشرم» فساروا فى البحر حتى نزلوا بساحل اليمن، و جمع «ذو نواس» جنوده فاجتمعوا و كتب الى زعماء قومه من اهل اليمن يدعوهم الى الاجتماع لمقاتلة عدوهم، فلم يجيروه، فانهارت حكومته أمام حملة جيش الحبشة، و سيطر الاحباش على ارض اليمن، و جعل «أبرهة» اميرا عليها من قبل «النجاشى» بعد مقتل «أرياط» على يد «أبرهة» فى صراع على السلطة «١».

و هذه القصة هى التى تعرف فى القرآن الكريم بقصة «اصحاب الاخدود» و قد جاء ذكرها فى سورة البروج اذ يقول الله تعالى: «قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَ هُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ. وَ مَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ. الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» «٢».

و قد ذكر المفسرون هذه القصة فى شأن نزول هذه الآيات بصورة مختلفة «٣».

(١) ثم ان «ابرهة» الذى اسكره الانتصار و الغلبة على منافسه، و تمادى فى الشهوات بنى فى صنعاء كنيسة عظيمة تقربا الى ملك الحبشة، و ارضاء له ثم كتب كتابا الى «النجاشى» ملك الحبشة يقول فيه: «إني قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم بين مثلها لملك كان قبلك، و لست بمنته حتى أصرف إليها حج العرب».

(١) الكامل فى التاريخ: ج ١ ص ٢٦٠-٢٦٣، و السيرة النبوية: ج ١ ص ٣١-٣٧.

(٢) البروج: ٤-٩.

(٣) راجع مجمع البيان: ج ٥ ص ٤٦٤-٤٦٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦٢

(١) و قد أدى معرفة العرب بما جاء فى هذا الكتاب إلى ردة فعل شديدة لديهم، الى درجة أن امرأة من قبيلة «بنى اقم» تسللت ذات ليلة الى تلك الكنيسة و أحدثت فيها، فأثار هذا العمل الذى كان يدل على مدى ازدراء العرب بكنيسة «أبرهة» و احتقارهم لها، غضب «أبرهة»، هذا من جانب و من جانب آخر كان «ابرهة» كلما زاد فى تزيين تلك الكنيسة زاد ذلك من حقد العرب، و حنقهم عليه، و احتقارهم لكنيسته، فتسبب كل ذلك فى أن يحلف أبرهة على السير إلى الكعبة و هدمها، فسير لذلك جيشا عظيما، و قدم أمامه الفيلة المقاتلة، و خرج متوجها صوب مكة و هو يعتزم هدم الكعبة بيت الله الحرام!!

فلما عرف زعماء العرب بغايته، و ادركوا خطورة ذلك العمل و ايقنوا بان استقلال العرب و سيادتهم تتعرض لخطر السقوط، لم يمنعهم ما عاهدوه من قوة «ابرهة» و انتصاراته بل خرج بعضهم الى حربه فقاتلوه بكل شجاعة و بسالة مدفوعين بدافع الغيرة و الحفاظ على الشرف المهتد بالخطر.

(٢) فقد خرج «ذو نفر» و هو من أشرف أهل اليمن و ملوكهم، و دعا قومه و من أجابه من سائر العرب الى حرب «أبرهة» و لكن سرعان ما تغلب «ابرهة» عليه بجيشه الكبير، ثم خرج له بعد ذلك «نفيل بن حبيب» و بقى يقاتله مدة طويلة فهزمه «ابرهة» و اخذ له اسيرا، فطلب «نفيل» العفو منه فاشترط عليه أن يده له على طريق مكة ليعفو عنه، فدهه نفيل حتى الطائف، و اوكل الدلالة على بقيه الطريق الى شخص آخر يدعى «ابو رغال» فدهه أبو رغال على الطريق حتى أرض «المغمس» و هى منطقة قريبة من «مكة» فنزل «أبرهة» و جيشه بالمغمس، فارسل أبرهة رجلا من الحبشة- على عادته- الى ضواحي «مكة» فاستولى على أموال قريش من الإبل و الغنم فساق إليه فى جملة ذلك مائتى بعير لعبد المطلب، ثم أمر رجلا آخر يدعى «حناطه» ليدخل «مكة» و يبلغ أهلها عنه ما جاء من اجله، و هو هدم البيت المحرم الكعبة المعظمة، و قال له: سل عن سيد اهل هذا البلد و شريفها، ثم قل له: ان الملك يقول لك: «إني لم آت



لحربكم، انما جئت لهدم هذا البيت، فان تعرّضوا دونه بحرب فلا حاجة لى فى

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦٣

دمائكم» فإن هو لم يرد حربى فأتنى به.

(١) فدخل «حناطة» مكة و لما سأل عن سيد قريش و شريفها، و قد كانت قبائل قريش المختلفة قد تجمعت فى اطراف البلد جماعات جماعات تتذاكر فى امر «ابرهة» و ما يجب اتخاذه من موقف تجاهه.

فدلّوه على بيت «عبد المطلب»، و لما دخل على «عبد المطلب» أبلغه مقالة «أبرهة» فقال له عبد المطلب: «و الله ما نريد حربيه، و ما لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام، و بيت خليله إبراهيم عليه السلام، فان يمنعه منه فهو بيته و حرمة، و ان يخلى بينه و بينه فو الله ما عندنا دفع عنه؟»

فسرّ «حناطة» رسول ابرهة بمنطق عبد المطلب و مقالته التى كانت تحكى عن قوة ايمانه، و عن روحه المسالمة فطلب منه أن يصحبه الى «أبرهة»، قائلا:

فانطلق معى إليه، فانه قد امرنى ان آتية بك.

(٢)

### عبد المطلب يذهب الى معسكر أبرهة:

فتوجه عبد المطلب هو و جماعه من ولده إلى معسكر ابرهة، فاعجب «أبرهة» بوقار رئيس قريش و هييته إعجابا شديدا، و بهر به حتى أنه نزل له من تخته اجلالا، و اخذ بيده، و اجلسه الى جنبه، فسأله عن طريق مترجمه متأدبا: ما الذى اتى به و ما ذا يريد؟ فاجابه عبد المطلب قائلا: حاجتى أن يردّ الملك علىّ مائتى بعير أصابها لى.

فقال «أبرهة» لترجمانه: قل له: قد كنت اعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى، أ تكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك، و تترك بيتا هو دينك و دين آباءك قد جئت لهدمه، لا تكلمنى فيه!؟

فقال له عبد المطلب: إنى أنا رب الإبل، و ان للبيت ربا سيمنعه، فقال «أبرهة» مغترا بنفسه: ما كان ليمنع منى.

ثم أمر بان ترد الإبل إلى أصحابها.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦٤

(١)

### انتظار قريش:

و لقد انتظرت قريش عودة «عبد المطلب» من معسكر «أبرهة» بفارغ الصبر لتعرف نتيجة ما دار بينه و بين أبرهة، و عند ما عاد «عبد المطلب» اخبرهم الخبر، و امرهم بالخروج معه من مكة، و التحرز فى رءوس الجبال من معزة الجيش فخرجوا الى الشعاب، و الجبال، ثم لما كان الليل نزل عبد المطلب مع جماعه من قريش الى الكعبة و اخذ بحلقه بابها يدعون الله و يستنصرونه على أبرهة و جنده و قال «عبد المطلب» مناجيا الله سبحانه: «اللهم أنت أنيس المستوحشين و لا وحشة معك فالبيت، بيتك و الحرم حرمك و الدار دارك و نحن جيرانك تمنع عنه ما تشاء و رب الدار أولى بالدار» ثم قال:

لا همّ إن «١» العبد يمنع رحله فامنع حلالك «٢»

لا يغلبنّ صليهم و محالهم عدوا محالك «٣» و قال أيضا:

يا ربّ لا أرجو لهم سواك يا ربّ فامنع منهمو حماكا



إن عدو البيت من عادا كما منعهم أن يخربوا فنا كما ثم انه ترك حلقة الباب، و لجأ الى الجبل لينظروا ما سيجرى.

(٢) و فى الصباح و عند ما كان «أبرهه» و جنده يستعدون للتوجه الى «مكة»، و اذا بأسراب من الطيور تظهر من جهة البحر يحمل كل واحد منها ثلاثة احجار، حجر فى منقاره، و حجرين فى رجليه، فاطلم سماء الجيش بتحليق تلك الطيور فوق رءوس الجند، و تركت تلك الاحجار الصغيرة الحقيرة فى ظاهرها اثرها العجيب فقد رجمت تلك الطيور جنود «ابرهه» بتلك الاحجار بامر الله، فكانت لا تصيب منهم أحدا إلا تحطم راسه، و تمزق لحم بدنه، و هوى صريعا،

(١) لاهم أصلها: اللهم و العرب تحذف الالف و اللام و تكتفى بما بقى.

(٢) الحلال جمع حلة و هى جماعة البيوت.

(٣) المحال: القوة و الشدة

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦٥

و هلك من توه، فاصابت واحدة من تلك الاحجار رأس «ابرهه» نفسه فارتعدت فرائصه و ايقن بغضب الله و سخطه عليه، فنظر الى جنوده و هم أشلاء ميثوثون هنا و هناك على الأرض كورق الشجر فى فصل الخريف، فصاح بمن لم يزل على قيد الحياة من جنده بامرهم بأن يتهيا و العودة الى اليمن، من حيث أتوا، فاخذ بقية الجند طريق اليمن هارين، غير أن هذه البقية قد هلكت شيئا فشيئا فى أثناء الطريق حتى أن أبرهه نفسه بعد أن لم يصل الى صنعاء إلا بعد ان تمزق لحم بدنه، و سقطت اعضاؤه و جوارحه و مات بصورة عجيبة.

(١) و قد دوى صوت هذه الواقعة العجيبة و الرهيبة فى العالم آنذاك، و قد ذكرها القرآن الكريم فى سورة الفيل اذ يقول تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّيلٍ. وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ».

و ما ذكرناه هنا- فى هذه الصفحات- ليس هو فى الحقيقة إلا خلاصة ما ورد فى كتب التاريخ الإسلامى، و صرح به القرآن الكريم «١».

و استكمالا لهذا البحث نعلم هنا إلى دراسة نظرية المفسر المصرى الكبير الشيخ «محمد عبده» و العلامة المعروف الدكتور «هيكل» وزير الثقافة المصرى السابق فى هذا المجال.

(٢)

### كلمة حول المعجزة:

لقد أوجد التقدم العلمى الأخير فى مختلف مجالات العلوم الطبيعية و الفضائية، و ما استلزم ذلك من تهافت طائفة كثيرة من الفرضيات، ضجة عجيبة فى الغرب، فمع أن جميع تلك التطورات كانت مجرد تطورات علمية تجرى فى مجال المسائل الطبيعية أو الفلكية، و لم يكن لها اية صلة بالمعتقدات الدينية

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٣-٦٢، و الكامل فى التاريخ: ج ١ ص ٢٦٠-٢٦٢، و بحار الأنوار: ج ٥ ص ١٣٠-١٤٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦٦

فإن هذا التحول و التطور و تلك الكشوف أوجدت شكاً عجيباً لدى بعض الناس انسحب على جميع المعارف و المعتقدات الدينية الموروثة على وجه الاطلاق!

(١) و السرّ في ذلك هو أن العلماء رأوا بأن الفرضيات القديمة، التي بقيت تسيطر على الأوساط العلمية لمدة طويلة من الزمان، قد أصبحت اليوم عرضة للبطلان و السقوط تحت مطارق التجربة و بواسطة الاختبارات العلميّة، و التحقيقات المخبرية، فلم يعد - بعد هذا - مجال للقول بفرضية الافلاك التسعة التي طلع بها «بطلميوس»، و لا بفرضية مركزية الارض، و لا غيرها من عشرات الفرضيات، فقالوا في أنفسهم: و من أين ترى لا تكون بقية المعلومات و المعارف الدينية من هذا القبيل!؟

و قد تفاقم هذا النوع من الشك في قلوب جماعة من العلماء بالنسبة الى جميع المعتقدات و المعارف الدينية و نمت بشكل قوى في فترة قصيرة، و عمّ الاوساط العلمية كأي مرض!!

(٢) هذا مضافا إلى أن محاكم التفتيش و تشدّد الكنيسة و أربابها كان لها النصيب الأكبر في ظهور هذه الحالة بل في نموها، و اطرادها، لأن الكنيسة كانت تقضى على العلماء الذين نجحوا في اكتشاف القوانين العلمية تحت التعذيب و الاضطهاد القاسي بحجة أنها تخالف الكتاب المقدس، و تعارض مقرّرات الكنيسة!!

و ممّا لا يخفى أنّ مثل هذه الضغوط، و هذا الاضطهاد و التعجرف ما كان ليمرّ من دون حدوث ردة فعل، و قد كان من المتوقع منذ البداية أن العلماء في الغرب لو اتاحت لهم الفرصة لانتقموا من الدين، بسبب سوء تصرف الكنيسة، و سوء معاملتهم لهم خاصة، و للناس عامة.

(٣) و قد حدث هذا فعلا فكلّما تقدم العلم خطوة، و أطلع العلماء على العلاقات السائدة بين الكائنات الطبيعية، و اكتشفوا المزيد من الحقائق الكونية، و العلل الطبيعية لكثير من الحوادث و الظواهر المادية، و كذا علل الأمراض، قلّ اعتناؤهم بالقضايا الميتافيزيقية، و ما يدور حول المبدأ و المعاد و الأفعال الخارقة للعادة

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦٧

كمعاجز الأنبياء، و ازداد عدد المنكرين لها و الشاكين فيها، و المترددين في قبولها يوما بعد يوم!!

(١) لقد تسبّب الغرور العلميّ الذي أصيب به العلماء في الغرب في أن ينظر بعض اولئك العلماء الى جميع القضايا الدينية بعين الازدراء و التحقير، و أن يمتنعوا حتى عن التحدث في المعاجز التي يخبر بها التوراة و الانجيل، و يعتبروا عصي موسى عليه السلام، و يده البيضاء، و نفخة المسيح عليه السلام التي كانت تشفى المرضى و تحيي الموتى من الأساطير، و راحوا يتساءلون - في عجب و استنكار -:

و هل يمكن أن تتحول قطعة من الخشب اليابس إلى أفعى، أو ثعبان، أو هل يمكن ان تعود الحياة إلى ميت بكلمات من الدعاء؟

(٢) لقد تصور العلماء الذين أسكرتهم فتوحاتهم العلمية، أنهم ملكوا مفاتيح جميع العلوم، و وقفوا على جميع العلاقات بين الكائنات الطبيعية و الظواهر الكونية، و من هنا تصوّروا أنه لا توجد أية علاقة بين قطعة الخشب و الثعبان، او بين جملة من الدعاء و التفاتة من بشر و عودة الروح الى الموتى، و لهذا أخذوا ينظرون الى هذه الامور بعين الشك و التردد، و ربما بعين الانكار و الرفض المطلق!!

و قد سرى هذا النوع من التفكير الى اوساط بعض العلماء المصريين الذين تأثروا بهذا الاتجاه اكثر من غيرهم، مع بعض التعديل في ذلك الموقف، و شىء من الاختلاف في النظرة المذكورة، و لهذا اتبعوا تلك السيرة في تحليل الوقائع و الحوادث التاريخية و العلمية من هذا النوع، و السرّ في تأثر بعض علماء مصر بهذه النظرة قبل و اكثر من غيرهم هو احتكاك هذه الجماعة بالأفكار الواردة من الغرب قبل غيرهم، و من هذه المنطقة سرت بعض النظريات و الآراء الغربية الى البلاد الإسلامية الأخرى.

(٣) لقد اختار هؤلاء طريقا خاصا قصدوا به الحفاظ على حرمة الكتاب العزيز، و الاحاديث القطعية و مكائنها من جهة، و كسب نظر العلماء الماديين الطبيعيين الى انفسهم من جهة أخرى، أو ارادوا ان لا يختاروا ما لا يمكن التوفيق بينه و بين القوانين العلمية الطبيعية و تطبيقه عليها.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦٨

(١) لقد وجد هؤلاء من جهة أن القرآن الكريم يخبر عن سلسلة من المعجزات و الخوارق التي لا يمكن تفسيرها بالعلوم العادية المتعارفة، لأن العلم لا يستطيع أن يدرك العلاقة بين العصا الخشبية اليابسة و الثعبان، و من جهة أخرى كان القبول بالنظريات التي لا يمكن إثباتها بالحس و التجربة أمرا في غاية الصعوبة لهم.

و لهذا السبب، و في خضم الصراع بين هذين العاملين: العلم و العقيدة، اختار هؤلاء الكتاب و العلماء نهجا يستطيعون به وضع نهاية لهذا الصراع، و التنازع، فيحافظون على ظواهر القرآن و الأحاديث من جانب، و يتجنبون القول بما يخالف منطق العلم من جانب آخر، و يتلخص هذا النهج في تفسير جميع المعجز و جميع خوارق العادة التي جرت على أيدي الأنبياء بالموازين العلمية الحاضرة الرائجة في هذا العصر بصورة تبدو و كأنها أمور طبيعية، و بهذا يكونون قد حافظوا على مكانة القرآن الكريم و الاحاديث القطعية المسلمة، و لم يتفوهوا بما يخالف العلم الحديث و يتعارض مع معطياته.

(٢) و نحن هنا نذكر من باب النموذج و المثال: التفسير الذي ذكره العلامة المصري المعروف «محمد عبده» لقصة اصحاب الفيل و ما جرى لهم:

فهو يقول عند تفسيره لسورة الفيل:

«فيجوز لك ان تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض، و ان تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليا بس الذي تحمله الرياح فيعلق بارجل هذه الحيوانات، فاذا اتصل بجسد دخل في مسامه فاثار فيه تلك القروح التي تنتهي بافساد الجسم و تساقط لحمه، و أن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاكه من يريد إهلاكه من البشر، و أن هذا الحيوان الصغير - الذي يسمونه الآن بالميكروب - لا يخرج عنها» (١).

(١) راجع تفسير في ظلال القرآن: ج ٣٠ ص ٢٥١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٦٩

(١) و قال أحد الكتاب مؤيدا هذا الاتجاه بقوله: «إن الطير المستعمل في الكتاب العزيز يراد منه مطلق ما يطير، و يشمل الذباب و البعوض أيضا»

و لا بد - قبل دراسة هذه الأقوال - أن نستعرض مرة أخرى الآيات النازلة في اصحاب «الفيل».

يقول الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ. وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَزْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ».

إن ظاهر هذه الآيات يفيد أن جيش أبرهه اصيب بالغضب و السخط الالهي، و ان هلاكه و فناءه كان بهذه الأحجار التي حملتها تلك الطيور، و ألفت بها على رؤوس الجند و أبدانهم.

إن الأمعان في مفاد هذه الآيات يعطى أن موتهم كان بسبب هذه الاسلحة غير الطبيعية (الصغيرة الحقيمة في ظاهرها، القوية الهدامة بفعالها و أثرها).

و على هذا فإن أي تفسير يخالف ظاهر هذه الآيات لا يمكن الذهاب إليه و حمل الآيات عليه ما لم يقم على صحته دليل قطعي.

(٢)

### نقاط تقتضى التأمل في التفسير المذكور:

(٣) ١- إن التفسير المذكور لا يستطيع كذلك أن يجعل كل تفاصيل هذه الحادثة أمرا طبيعيا، بل هناك جوانب في تلك الواقعة التاريخية العجيبة لا بد من تفسيرها بالعوامل و الاسباب الغيبية، لأنه مع فرض أن هلاك الجند و تلاشي أجسادهم تم بواسطة

ميكروب: «الحصبة» و «الجدري»، و لكن من الذى ارشد تلك الطيور الى تلك الاحجار الصغيرة الملوثة بميكروب الحصبة و الجدري، فتوجهت بصورة مجتمعة الى تلك الاحجار الخاصة بدل التوجه إلى الحب و الطعام، ثم كيف بعد حمل تلك الأحجار بمناقيرها و أرجلها حلقت فوق معسكر «أبرهه» و رجمت جنده كما لو أنها جيش منظم موجّه؟؟ هل يمكن اعتبار كل ذلك أمرا عاديا، و حدثا طبيعيا؟

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٧٠

ترى لو أننا فسّرنا طرفا من هذه الحادثة العظيمة و العجيبة بالعوامل الغيبية، و بارادة الله النافذة فهل تبقى مع ذلك أية حاجة الى أن نفسر جانبا من هذه الحادثة بتفسير طبيعى مألوف، و نركض وراء التوجيهات الباردة، لنجعلها امرا مقبولا.

(١) ٢- إن الكائنات الدقيقة، او ما يسمى الآن ب «الميكروب» لا شك انها عدوة لمطلق الإنسان، و ليست بصديقة لهذا أو ذاك، و مع ذلك كيف توجهت الى جنود «ابرهه» و قتلهم دون غيرهم، و كيف نسيت المكئين بالمرّة؟!

إن التاريخ المدون يثبت لنا أن جميع الضحايا فى هذه الواقعة العظيمة كانوا من جند «ابرهه» و لم يلحق فيها: أى أذى - إطلاقا - بقريش، و غيرهم من سكان الجزيرة العربية، فى حين أن الحصبة و الجدري من الأمراض المعدية، التى تنقلها العوامل الطبيعية كالرياح و غيرها من منطقة إلى اخرى، و ربما تهلك اهل قطر باجمعهم.

فهل مع هذا يمكن أن نعدّ هذه الحادثة حدثا طبيعيا عاديا؟!

(٢) ٣- ان اختلاف هذا الفريق فى تحديد نوعية الميكروب، يضىء على هذا الادعاء مزيدا من الإبهام، و يجعله أقرب الى البطلان. فتارة يقولون: أنه ميكروب الوباء و تارة اخرى يقولون: أنه داء الحصبة و الجدري، فى حين اننا لم نجد مستندا صحيحا لهذا الخلاف، و مبررا وجيها لهذا الاختلاف، اللهم إلا ما احتمله «عكرمه» من بين المفسرين، و عكرمه هو نفسه موضع نقاش بين العلماء و إلا لما ذهب «ابن الاثير». من بين المؤرخين و ارباب السير الى ذكر هذا الرأى فى صورة الاحتمال الضعيف، و القيل، ثم عاد فردّ هذا القول فورا «١».

و الأعجب من الجميع ما أعطاه مؤلف كتاب «حياة محمّد» الدكتور هيكل وزير المعارف المصرى السابق من تفسير، عند ذكر قصة الفيل.

(١) الكامل: ج ١ ص ٢٦٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٧١

(١) فهو بعد ذكر تلك القصة سرد آيات سورة الفيل، و مع أنه اتى بقول الله تعالى «و أرسل عليهم طيرا أبابيل» قال عن هلاك جنود أبرهه: «و لعلّ جرائم الوباء جاءت مع الريح من ناحية البحر، و أصابت العدوى أبرهه نفسه» «١» فاذا كان الذى جاء بهذا الميكروب هو الريح، فلما ذا حلقت طيور الأبايل على رءوس جيش أبرهه، و ألقت بالأحجار الصغيرة على رءوسهم و دون غيرهم، و أى أثر كان لهذه الاحجار فى هلاك أولئك الجنود و موتهم؟

فالحق هو: أن لا يتبع هذا النمط من التفكير، و أن لا نسعى لتفسير معجزات الأنبياء - الكبرى بمثل هذه التأويلات و التفسيرات، بل إن طريق المعجزات و الإعجاز أساسا يختلف عن طريق العلوم الطبيعية التى تتحدد دائرتها بمعرفة العلاقات العادية بين الظواهر الطبيعية، و لهذا يجب علينا أن لا - نعمد - ارضاء لهوى جماعة ممن لا يمتلكون أية معلومات دينية، و ليست لديهم أية معرفة بهذا النوع من القضايا - الى التنازل عن أسسنا الدينية المسلمة، فى حين لا توجد أية حاجة ملزمة إلى مثل ذلك التنازل و الاعتذار!.

(٢)

و هنا لا بد من أن نذكر بنقطتين هنا:

(٣) الاولى: يجب ان لا يظن أحد- خطأ- أننا بما قلناه هنا نريد تصحيح كل ما تلوكه ألسن الناس، و تنسبه الى الأنبياء العظام، أو إلى عباد الله الكرام، من دون أن يكون له أى سند صحيح أو وجه معقول بل و ربما اتسم بطابع الخرافة فى بعض الاحيان و الموارد. بل مقصودنا هو: أن نثبت- و طبقا للمصادر الصحيحة و القطعية المتوفرة- أن الأنبياء كانوا يقومون- لاثبات ارتباطهم بما وراء هذه الطبيعة- بأعمال خارقة للعادة، خارجة عن الناموس الطبيعى المألوف، تعجز العلوم الطبيعية الرائجة عن

(١) حياة محمد لمحمد حسين هيكل: ص ١٠٢ و ١٠٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٧٢

إدراك عللها، و أسبابها.

فهدفتنا هو الدفاع عن هذه الطائفة من المعاجز.

(١) الثانية: إننا لا نقول مطلقا: أن وجود المعجزة هو تخصيص لقانون العلية العام، بل اننا فى الوقت الذى نحترم فيه هذا القانون المسلم نعتقد بأن لجميع حوادث هذا العالم عللا خاصة و اسبابا معينة، و أنه من المستحيل أن يوجد شىء بعد عدمه من دون علل، بيد أننا نقول ان لهذه الطائفة من الظواهر و الوقائع (أى المعاجز) عللا غير طبيعية، و ان هذه العلل ميسرة و متاحة لأنبياء الله و رسله و الرجال الإلهيين خاصة، و ليس فى مقدور أحد- لم يستطع لا عن طريق الحس و لا عن طريق التجربة أن يكتشف هذه العلل- أن يتنكر لها، و ينكرها، بل ان جميع الاعمال الخارقة التى يقوم بها أنبياء الله ناشئة عن علل لا يمكن تفسيرها بالعلل الطبيعية المألوفة، و لو أنها خضعت للتفسير و التوجيه لخرجت عن كونها معجزة، و لم يصدق فى حقها عنوان الاعجاز.

و لكى نقف على حقيقة هذا الأمر، و نعرف مدى بطلان المذهب المذكور (مذهب تفسير الخوارق و المعاجز بالتفسير المادى و المؤلف المحض) ينبغى أن نتبسط قليلا فى شرح مسألة الاعجاز و نبحث فى مدى علاقتها بقانون العلية العام.

(٢)

### بحث علمي حول المعجزة فى خمس نقاط:

#### إشارة

إن الحديث العلمى عن المعجزة لا بد أن يتركز على عدة نقاط أساسية هى:

- ١- ما هى المعجزة و ما هو تعريفها؟
  - ٢- هل الإعجاز يهدم القوانين العقلية المسلمة؟
  - ٣- هل المعجزة تصدر عن علل مادية غير عادية فقط؟
  - ٤- كيف تدل المعجزة على صدق ادعاء النبوة؟
  - ٥- كيف و بما ذا نميز المعجزة عن الخوارق الاخرى؟
- إنّ الاجابة على هذه الأسئلة كفيلا بتوضيح حقيقة المعجزة، و بيان مدى بطلان الاتجاه المذكور نعى: تفسير المعاجز بالتفسير المادى الطبيعى.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٧٣

على أننا- نظرا لضيق المجال- سنختصر الجواب على هذه الأسئلة، و على من أراد التوسع أن يرجع إلى كتب الكلام و العقيدة.

## ١- ما هي المعجزة و ما هو تعريفها؟

لقد عرّف علماء العقيدة المعجزة بتعاريف مختلفة أتقنها و أكملها هو: أنّ المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالدعوى، و التحدى، مع عدم المعارضة، و مطابقة الدعوى «١».

و يعنى الشرط الأول (أى كون المعجزة أمرا خارقا للعادة) أن كل ظاهرة من الظواهر الطبيعية الحادثة مرتبطة بعلّة حتما، فلا يمكن صدورها من دون علّة، و هذا الكون مشحون بالعلل التى يكتشفها البشر شيئا فشيئا و تدريجا عبر وسائله العادية أو العلمية، و لكنّ المعجزة مع كونها ظاهرة واقعية و لهذا فهى كغيرها مرتبطة بعلّة، بيد أنّها تختلف عن غيرها من الظواهر فى أنّ من غير الممكن كشف عللها من الطريق العادية أو بواسطة التجارب و التحقيقات العلمية، و لا يمكن تفسيرها و تبريرها بالعلل العادية أو بما يكتشفه العلم من العلل لمثل هذه الحوادث، و المقصود من خرق العادة هو أن تقع المعجزة على خلاف ما عهدناه و تعودنا عليه فى الظواهر الأخرى و عللها، مثل إشفاء المرضى من دون علاج و دواء كما هو المعهود، و اخراج الماء من صخرة صماء من دون حفر أو تنقيب كما هو المألوف، و تحويل العصا الى أفعى من دون تبييض و تفریح و توالد و تناسل، بل بمسح من يد، أو بعبارة من لسان، أو بضرب من عصا!!

من هنا نكتشف أن كل ظاهرة يقف الناس العاديون بالطرق العادية أو العلماء خاصة بالطرق العلمية على عللها و أسبابها لا تكون معجزة لأنه فى هذه

(١) راجع للوقوف على هذا التعريف: كشف المراد فى شرح تجريد الاعتقاد للعلامة الحلى شرحا و المحقق نصير الدين الطوسى متنا: ص ٢١٨، و أيضا شرح تجريد الاعتقاد للعلامة القوشجى: ص ٤٦٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٧٤

الصورة لم يقع أى شىء على خلاف العادة، و المألوف ليدل على مزية فى الأنبياء.

فان مثل هذه الظاهرة التى يكون لها علّة عادية يعرفها جميع الناس، أو سبب علمى خاص يعرفها علماء و متخصصو ذلك العلم يمكن أن يقوم بايجاد أمثالها جميع الناس، فلا يكون حينئذ معجزة.

و لا- يعنى هذا- و كما اسلفنا- أنّ المعجزة لا تنتهى الى أية علّة، أصلا، بل هى تستند إلى علّة غير متعارفة و غير عادية، و لمزيد التوضيح سنبحث فى هذا المجال عند الاجابة على السؤال الثالث.

و يقصد من الشرط الثانى (أى كون الاعجاز مقرونا بالدعوى) أن يدعى صاحب المعجزة النبوة و السفارة من جانب الله تعالى، و يأتى بالمعجزة دليلا على صحة دعواه هذه، إذ فى غير هذه الصورة لا يكون الأمر الخارق للعادة معجزة بل يطلق عليه فى الاصطلاح الدينى

لفظ «الكرامة» كما كان لمريم بنت عمران التى كلما دخل عليها زكريا المحراب و جد عندها رزقا فاذا سألتها من أين لها ذلك؟ قالت: هو من عند الله «١».

و يعنى الشرط الثالث أن يكون الاعجاز مقرونا بدعوة الناس الى الإتيان بمثله، و عجز الناس عن هذه المعارضة، و عدم قدرتهم على الاتيان بمثله مطلقا إذ فى هذه الصورة يتضح أنّ النبى يعتمد على قوة إلهية غير متناهية، قوة خارجة عن حوزة البشر العادى.

و اما الشرط الرابع فيعنى أن الأمر الخارق للعادة إنّما يكون عملا- إعجازيا، و يستحق وصف المعجزة الدالّة على ارتباط الآتى بها بالمقام الالهى، إذا وافق الأمر الواقع ما يدعى أنه قادر على الإتيان به.

فلو قال: سأجعل هذا البئر الجاف الفارغ من الماء، يفيض بالماء باشارة اعجازية، ثم يقع ما قاله كان هذا الأمر معجزة حقا، و أما إذا

قال: سأجعل هذا

(١) راجع سورة آل عمران: ٣٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٧٥

الماء القليل الموجود في البئر يفيض ماء، بالإعجاز، ولكن جف ذلك البئر على عكس ما قال، لم يكن ذلك إعجازاً، بل كان تكذيباً لمدعيها.

هذا هو خلاصه ما يمكن أن يقال حول تعريف المعجزة و الإعجاز و هو يساعد على فهم طبيعة العمل الإعجازي.

## ٢- هل الإعجاز يهدم القوانين العقلية المسلمة؟

إشارة

و بهذا يتضح جواب السؤال المطروح في هذا المجال و هو أن يقال: إن قانون العلية (أى: ارتباط كل معلول حادث بعلة) مما ارتكز عليه الذهن البشرى و قبله العلم و الفلسفة، و لذلك فاننا نلاحظ: كلما وقف الإنسان على ظاهرة مهما كانت- بحث عن علتها فوراً فإذا رأى حية- مثلاً- عرف بان علتها الطبيعية هي أن تبيض حية، ثم خروج حية من البيض بعد سلسلة من التفاعلات فكيف يمكن القبول بالمعاجز مع أنها لا- تنشأ عن مثل هذا العلل و لا تمرّ بمثل هذه المقدمات و المراحل و التفاعلات الطبيعية، مثل انقلاب العصا إلى ثعبان، أو نبوع الماء من الصخر من دون حفر أو تنقيب.

أليس هذا هدم، أو تخصيص لذلك القانون العقلي المسلم العام؟

فان الجواب على هذا السؤال هو ان مثل هذا السؤال لا يطرحه إلا الذين يحصرون العلل و العلاقات بين الاشياء في العلل و العلاقات المادية الطبيعية.

و لكن الحق هو أن أية ظاهرة مادية يمكن أن يكون لها نوعان من العلل:

١- العلة العادية التي تخضع للتجربة.

٢- العلة غير العادية التي لا يعرفها الناس و لم تكن متعارفة و لا تخضع للتجربة العلمية.

و هذا يعنى أنه لا توجد أية ظاهرة في هذا العالم بدون علة.

و توضيح هذا أن أصل وجود الحية و نبوع الماء من الصخرة و تكلم الطفل- مثلاً- أمر ممكن، و لا يعدّ من المحالات، لأنها لو كانت من المحالات لما تحققت وجودها أبداً.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٧٦

نعم أنها بحاجة إلى علة لكي تتحقق، و العلة- سواء في المعاجز أو غيرها- يمكن أن تكون إحدى الامور التالية:

### أ- العلة الطبيعية العادية

و هي ما ألفناها و اعتدنا عليها مثل ظهور شجرة من نواة بعد سلسلة من التفاعلات.

### ب- العلة الطبيعية غير العادية و غير المعروفة

و هذا يعنى أنه قد يكون لظاهرة معينة نوعان من العلل، و طريقتان للتحقق و الوجود أحدهما معروف و معلوم، و الآخر مجهول و غير معلوم، و الأنبياء بحكم اتصالهم بالعلم و القدرة الالهية، يمكن أن يقفوا على هذا النوع من العلل- عن طريق الوحي- و يوجدوا



الظاهرة.

## ج- تأثير النفوس و الارواح:

فانّ بعض الظواهر يمكن أن تكون ناشئة من تأثير أرواح الأنبياء و نفوسهم القوية، كما نلاحظ ذلك في مجال المتراضين الهنود الذين يبلغون درجة يستطيعون معها أن يقوموا بما يعجز عنه الأفراد العاديون، و ذلك بفضل الرياضات النفسية التي يخضعون لها. و هو ما يسمى باليوجا أحيانا، و قد كتبت حوله كتب و دراسات «١».

و قد أشار الى هذا جملة من علماء الإسلام و فلاسفته منهم الفيلسوف الإسلامي الشهير صدر الدين الشيرازي حيث يقول: «لا-عجب أن يكون لبعض النفوس قوة إلهية تكون بقوتها كأنها نفس العالم فيطيعها العنصر طاعةً بدنّها لها، فكلمّا ازدادت النفس-تجرّدا و تشبّها بالمبادئ القصوى ازدادت قوة و تأثيرا في ما دونها.

و إذا صار مجرد التصوّر و التوهم سببا لحدوث هذه التغيرات في هيولى البدن لأجل علاقةً طبيعياً، و تعلق جلي لها إليه، لكان ينبغي أن تؤثر في بدن الغير و في هيولى العالم مثل هذا التأثير، لأجل مزيد قوة شوقية، و اهتزاز علوى للنفس

(١) راجع كتاب الطاقة الانسانية لأحمد حسين.

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٧٧

و محبة إلهية لها، فيؤثر نفسه في إصلاحها، و إهلاك ما يضرّها و يفسدها» «١».

## د- العلل المجردة عن المادة:

فيمكن ان تكون للظواهر علل مجردة عن المادة كالملائكة، بان تقوم الملائكة بأمر من الله سبحانه بتدمير قريه، او تقوم بمعجزة بعد طلب النبي منها ذلك.

و الملائكة مظاهر القدرة الالهية في الكون، و هي التي تدبر امور الكون بأمر الله تعالى كما يقول القرآن الكريم: «فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا» «٢» و هي بالتالى جنود الله في السماوات و الأرض «وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ» «٣».

فلا بد من ارجاع الظواهر الطبيعية الواقعة الى أحد هذه العوامل الاربعة، و لا يمكن أبدا حصر العلة في العلة الطبيعية العادية المعروفة كما تصور منكروا الاعجاز، بل يمكن أن تكون كل واحدة من هذه العلل سببا لحدوث الظاهرة الطبيعية، فاذا لم نشاهد علة ظاهرة من الظواهر لم يجز لنا أن نبادر- فوراً- إلى تصوّر أنها ناشئة من غير علة.

و يجب ارجاع معاجز الأنبياء الى إحدى الطرق الاخيرة، و القول بأن الأنبياء استخدموا- في ايقاع الخوارق و المعاجز- إما العلل المادية غير المعروفة للعرف، و العلم، و أما نفوسهم القوية التي حصلت لهم بفعل الجهاد الروحى العظيم و الرياضات النفسية الشديدة فهي علة تلك الأفعال الخارقة للعادة.

كما و يمكن ان تكون جميع تلك الافعال العجيبة ناشئة عن جملة من العلل و العوامل الغيبية المدبّرة للكون بامر الله و مشيئته.

إذن فلا تتحقق المعجزة بدون علة كما يتصوّر، و لا يهدم الاعجاز القوانين العقلية المسلمة.

(١) راجع المبدأ و المعاد: ص ٣٥٥ و ٣٥٦ لصدر المتألهين المشهور بصدر الدين الشيرازي، و شرح المنظومة للحكيم السبزواري: ص

٣٢٧ قال السبزواري ناظما:

يطيعه العنصر طاعةً الجسد للنفس فالكل كجسمه يعدّ



(٢) النزاعات: ٥.

(٣) الفتح: ٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٧٨

**٣- هل المعجزة تصدر عن علة مادية غير معروفة فقط؟**

قد يتصور البعض أن المعاجز تصدر عن علة مجردة عن المادة فقط نافرين أن تكون لها أية علة مادية معروفة أو غير معروفة، في حين لا يصح هذا السلب الكلي، إذ ما أكثر الخوارق التي تنشأ عن أمور عادية و عبر سلسلة من التفاعلات الطبيعية. فعند ما يرقد مرتاض هندي ليمرّ عليه تراكتور من دون ان تحدث في جسمه أية جراحات أو إصابات فإن هناك أموراً مادية كثيرة دخلت في هذا الأمر الخارق مثل: وقوع هذا الحدث في إطار الزمان الخاص، و المكان الخاص، و مثل جسم المرتاض، و ما كنه الحرائث.

فان جميع هذه الاشياء المادية اثرت في ظهور هذا العمل الخارق.

و هكذا عند ما تنقلب عصا الكليم عليه السلام إلى حية على نحو الاعجاز فان العصا شيء مادي و هكذا الحال في غيره من الموارد. و لهذا لا يمكن ان نتجاهل تأثير العوامل و الامور المادية في ظهور الامور غير العادية، و ننكر دخولها بمثل هذا الإنكار. و هذه هي اكثر النظريات اعتدالا في هذا المجال.

و في مقابل ذلك التفريط «١» أفرط آخرون اذ قالوا: ان جميع المعاجز و الخوارق ناشئة من علة مادية غير معروفة. و حتى ما يقوم به المرتاضون يعود الى هذه العوامل الطبيعية التي لا يعرفها و لا يقف عليها حتى النوابع من الناس فضلا عن العاديين، لأن العوامل الطبيعية على نوعين: المعروفة و غير المعروفة، و الناس يستفيدون في حياتهم اليومية- في الأغلب- من القسم الاول، بينما يستخدم الأنبياء و المرتاضون تلك العوامل الطبيعية غير المعروفة التي وقفوا عليها و ادركوها دون غيرهم.

(١) أي حصر علة الخوارق و المعاجز في العوامل المجردة و نفى تأثير العلة المادية على نحو الاطلاق.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٧٩

و السبب في وصفنا هذه النظرية بالافراط و التطرف هو عدم وجود دليل لا ثباته، بل يمكن ان يقال ان مثل هذا الموقف ناشئ عن الانهزامية تجاه العالم المادي، أو انه لارضاء الماديين، و النافين لما لا يدخل في إطار العالم المادي فان الماديين يرفضون أي عالم آخر غير الطبيعة و آثارها و علاقاتها و خواصها، و حيث أن ارجاع المعجزات إلى العلة المجردة عن المادة يخالف منطق الماديين، و يضاد اتجاههم و تصورهم لهذا عمد أصحاب هذه النظرية (نظرية إرجاع المعاجز و الخوارق إلى علة طبيعية غير معروفة و غير عادية) إلى مثل هذا التفسير إقناعا للماديين، و ارضاء لهم فقالوا: ان جميع الخوارق و المعاجز ناشئة من علة طبيعية و مادية على الإطلاق، غاية ما في الأمر أنها علة غير معروفة، شأنها شأن كثير من العوامل الطبيعية المجهولة.

و نحن بدورنا نترك هذه النظرية في دائرة الاجمال و بقعة الإمكان، لعدم الدليل لا على طبقها و لا على خلافها.

**٤- كيف تدلّ المعجزة على صحّة ادعاء النبوة؟**

إن صفحات التاريخ مليئة بذكر من ادعوا النبوة خداعا و كذبا، و استثمارا للناس، مستغلين سذاجة الاغلبية الساحقة من جانب، و انجذابهم الفطري إلى قضايا التوحيد و الايمان من جانب آخر.

فكيف و بما ذا يميّز النبي الصادق عن مدّعي النبوة؟؟

إن المعجزة هي إحدى الطرق التي تدل على صحة ادعاء النبوة.

و إنما تدل المعجزة على صدق ادعاء النبوة، و ارتباط النبي بالمقام الربوبي لأن الله الحكيم لا يمكن أن يزود الكاذب في دعوى النبوة بالمعجزة، لأن في تزويد الكاذب تغيراً للناس الذين يعتبرون العمل الخارق دليلاً على ارتباط الآتى بها بالمقام الربوبي. و الى هذا أشار الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقوله في جواب من سأله عن علّة اعطاء الله المعجزة لانبياؤه و رسله:

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٨٠

«ليكون دليلاً على صدق من أتى به، و المعجزة علامة لله لا يعطيها إلا انبياءه و رسله، و حججه، ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب» (١).

## ٥- بما ذا نميز المعاجز عن غيرها من الخوارق؟

لا شك في أنّ السحرة و المتراضين يقومون بأفعال خارقة للعادة مثيرة للعجب و الدهشة حتى ان البسطاء ربما يذهب بهم الاندهاش إلى حد الاعتقاد بأن القائمين بهذه الخوارق مزودون بقوى غامضة غيبية لا يتوصل إليها البشر.

فكيف يمكن اذن أن نميز بين المعاجز و تلك الخوارق و العجائب؟

إن التمييز بين هذه و تلك يمكن أن يتم اذا لا حظنا العلائم الفارقة بين المعجزة و غير المعجزة من الاعمال الخارقة للعادة، كاعمال السحرة و المتراضين (اصحاب اليوجا) و نظائرهم.

و هذه الفوارق هي عبارة عن الامور التالية:

١- إن القوة الغامضة الحاصلة لدى المتراضين و السحرة ناشئة بصورة مباشرة من التعلم و التحصيل عند اساتذة تلك العلوم، و ذلك طيلة سنين عديدة من الزمان.

بينما لا يرتبط الاعجاز بالتعلم و التلمذ أبداً، و التاريخ خير شاهد على هذا الكلام.

٢- إن أفعال السحرة و المتراضين العجيبة قابلة للمعارضة و المقابلة بأمثالها، و ربما بما هو اقوى منها، على عكس الإعجاز، فالمعجزات غير قابلة لأن تعارض و تقابل بمثلها ابداً.

٣- المتراضون و السحرة لا يتحدثون أحداً بأفعالهم و لا يطلبون معارضة أحد لهم و إلا لافترضوا و كتبوا.

بينما يتحدى الأنبياء و الرسل بمعاجزهم جميع الناس و يدعونهم لمعارضتهم

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ١٢٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٨١

و الايتان بمثل معاجزهم لو قدروا، و استطاعوا.

فهذا هو القرآن الكريم ينادى بأعلى صوته على مر العصور: «قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً» (١).

و ذلك لأن أفعال السحرة الخارقة مهما كانت فانها تستند الى الطاقة البشرية المحدودة، و لا تتجاوزها بينما يعتمد الأنبياء و الرسل العنصر الغيبي، و الإرادة الإلهية.

٤- إن أفعال السحرة و المتراضين الخارقة للعادة امور محدودة و مقتصرة على ما تعلموها و تمرنوا عليها، بينما لا تكون معاجز الأنبياء و الرسل مقتصرة على امور خاصة، فهم لا يعجزون عن الايتان بكل ما يطلبه الناس منهم، طبعاً حسب شرائط خاصة مذكورة في محلها

في أبحاث الاعجاز (٢).

فتلك معاجز موسى المتعددة الابتدائية، والمقترحة، و معاجز المسيح عليه السلام المتنوعة خير مثال على هذا الأمر.

٥- إن اصحاب المعاجز يقصدون من معاجزهم دائما دعوة الناس إلى أهداف إنسانية عالية و غايات إلهية سامية و بالتالي هداية المجتمع البشرى إلى المبدأ و المعاد، و الأخلاق الفاضلة فيما لا يهدف المرآضون و السحرة إلا تحقيق مآرب دنيوية حقيرة، و نيل مكاسب مادية رخيصة.

هذا مضافا إلى أن الأنبياء و الرسل أنفسهم يختلفون عن السحرة و المرآضين

(١) الاسراء: ٨٨.

(٢) مثل أن لا يكون ما يطلبه الناس محالا عقليا كرؤية الله، و مثل أن لا يكون ما سيأتى لهم به دليلا على ارتباطه بالمقام الربوبى، كما لو طلبوا منه أن تكون له جنّة من تخيل و أعناب و بيت من ذهب، لأنّ هذه الامور لا تكون دليلا على النبوة إذ نلاحظ أنّ كثيرا من الناس يملكون هذه و ليسوا مع ذلك بأنبياء.

و أن لا- يكون المقترحون من ذوى اللجاج و العناد الذين لا يقصدون من طلب المعاجز إلا الهزل و الاستهزاء و التنزه. و أن لا تكون نتيجة المعجزة هلاكهم كما لو طلبوا ان ينزل عليهم نارا من السماء تحرقهم لأن فى ذلك نقضا للغرض.

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٨٢

فى نفسيتهم العالية، و أخلاقهم الفاضلة و تاريخهم المشرق، و صفاتهم النبيلة على العكس من السحرة و المرآضين.

هذه هى أهمّ العلامات الفارقة بين المعاجز التى تدل على نبوة الأنبياء، و الخوارق التى يقوم بها المرآضون و السحرة.

و بعد أن تبين كل هذا اتضح أنّ الخوارق الالهية التى هى من مقولة المعاجز أيضا تختلف عن الامور العادية فى أن عللها لا تنحصر فى العلل المادية غير المعروفة فضلا عن الامور المادية المعروفة، بل ربما تكون مستندة الى العلل المجردة، فليس من الصحيح ان نسعى لتفسير الخوارق الالهية مثل: «قصة الفيل» التى أهلك الله تعالى فيها جيش «أبرهه» العظيم بأحجار صغيرة من سجيل رمتها طيور الأبايل بالعلل المادية المعروفة كما فعل من أشرنا إلى أسمائهم فى مطلع هذا البحث «١».

و لهذا عدل «سيد قطب» عن رأيه الذى كان قد أبداه فى ما سبق فى أمثال هذه الامور، اذ قال:

ان الطريق الأمثال فى فهم القرآن و تفسيره أن ينفذ الانسان من ذهنه كل تصوّر سابق، و أن يواجه القرآن بغير مقرّرات تصوّرية أو عقلية أو شعورية سابقة، و أن يا بنى مقرّراته كلها حسبما يصور القرآن و الحديث حقائق هذا الوجود، و من ثم لا يحاكم القرآن و الحديث لغير القرآن، و لا- ينفى شيئا يشبه القرآن و لا- يؤوله، و لا- يثبت شيئا ينفىه القرآن أو يبطله، و ما عدا المثبت و المنفى فى القرآن فله أن يقول فيه ما يهديه إليه عقله و تجربته.

نقول هذا بطبيعة الحال للمؤمنين بالقرآن ... و هم مع ذلك يؤوّلون نصوصه هذه لتوائم مقرّرات سابقة فى عقولهم و تصورات سابقة فى أذهانهم لما ينبغى أن تكون عليه حقائق الوجود «٢».

(١) أى الاستاذ الشيخ محمّد عبده و الاستاذ محمّد حسين هيكل.

(٢) و هنا قال سيد قطب فى هامش هذا الكلام ما نصّه «و ما ابرئ نفسى أننى فيما سبق من مؤلّفاتى -

سيد المرسلين، ج١، ص: ١٨٣

فاما الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، و يعتسفون نفى هذه التصورات لمجرد أن العلم لم يصل الى شىء منها فهم مضحكون حقا! فالعلم لا يعلم اسرار الموجودات الظاهرة بين يديه و التى يستخدمها فى تجاربه، و هذا لا ينفى وجودها طبعاً! فضلا عن أن العلماء الحقيقيين اخذت جماعة كبيرة منهم تؤمن بالمجهول على طريق المتدينين أو على الأقل لا- ينكرون ما لا- يعلمون، لأنهم بالتجربة وجدوا

أنفسهم - عن طريق العلم ذاته - أمام مجاهيل فيما بين ايديهم مما كانوا يحسبون انهم فرغوا من الاحاطة بعلمه فتواضعوا تواضعا علميا نبيلًا. ليس فيه سمة الادعاء، ولا طابع التناول على المجهول كما يتناول مدعو العلم، ومدعو التفكير العلمى، ممن ينكرون حقائق الديانات وحقائق المجهول (١).

ثم يقول فى موضع آخر من تفسيره ناقدا لموقف الاستاذ عبده من قصة الفيل التى هى احدى الخوارق حيث حفظ الله تعالى بيته المعظم على نحو خارق للعادة:

ويرى الذين يميلون الى تضيق نطاق الخوارق والغيبات، والى رؤية السنن الكونية المألوفة تعمل عملها، أن تفسير الحادث بوقوع وباء الجدرى و الحصبة اقرب و اولى، و ان الطير تكون هى: الذباب و البعوض تحمل الميكروبات فالطير هو كل ما يطير. ثم ينقل كلام الاستاذ «عبده» الذى ذكرناه بنصه مع قوله: هذا ما يصح الاعتماد عليه فى تفسير السورة، و ما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته، و مما تعظم به القدرة ان يؤخذ من استعز بالفيل - و هو اضخم حيوان من ذوات الاربع جسما - و يهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر و لا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر لا ريب عند العاقل أن هذا اكبر و اعجب و أبهر.

- و فى الأجزاء الاولى من هذه الظلال قد انسقت الى شىء من هذا و ارجو أن أتناوله فى الطبعة التالية اذا وفق الله.

(١) فى ظلال القرآن: ج ٢٩ ص ١٥١ - ١٥٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٨٤

ثم يقول: و نحن لا نرى أن هذه الصورة التى افترضها الاستاذ الإمام - صورة الجدرى أو الحصبة من طين ملوث بالجراثيم - أدل على قدرة، و لا اولى بتفسير الحادث، فهذه كتلك فى نظرنا من حيث إمكان الوقوع، و من حيث الدلالة على قدرة الله، و تديره، و مستوى عندنا أن تكون السنة المألوفة للناس، المعهودة المكشوفة لعلمهم، هى التى جرت، فأهلكت قوما أراد الله اهلاكهم، أو أن تكون سنة الله قد جرت بغير المألوف للبشر، و غير المعهود المكشوف لعلمهم فحققت قدره ذاك.

ثم يقول: لقد كان الله سبحانه يريد بهذا البيت «١» أمرا، كان يريد أن يحفظه ليكون مثابة للناس و أمنا و ليكون نقطة تجمع للعقيدة الجديدة تزحف منه حرة طليقة فى ارض حرة طليقة لا يهيمن عليها احد من خارجها و لا تسيطر عليها حكومة قاهرة تحاصر الدعوة فى محضنها، و يجعل هذا الحادث عبرة ظاهرة مكشوفة لجميع الانظار فى جميع الأجيال، ليضربها مثلا لرعاية الله لحرماته و غيرته عليها. فمما يتناسق مع جو هذه الملابس كلها أن يجيء الحادث غير مألوف و لا معهود بكل مقوماته و بكل اجزائه، و لا داعى للمحاولة فى تغليب صورة المألوف من الأمر فى حادث هو فى ذاته و بملاساته مفرد فذ.

و بخاصة ان المألوف فى الجدرى و الحصبة لا يتفق مع ما روى من آثار الحادث بأجسام الجيش و قائده فإن الجدرى أو الحصبة لا يسقط الجسم عضوا عضوا، و أنملة أنملة، و لا يشق الصدر عن القلب!!

ثم ان «سيد قطب» يشير إلى علل تفسير هذه الحادثة الخارقة للعادة بالتفسير المادى العادى الطبيعى، و المدرسة العقلية التى كان الاستاذ «عبده» على رأسها، و ضغط الفتنة بالعلم التى تركت آثارها فى تلك المدرسة، و نحن نكتفى بهذا القدر بالمناسبة، و إشعارا بما يمكن أن يجنيه مثل هذا الاتجاه على مقولات الدين و مفاهيمه و مقرراته عن الأحداث الكونية و التاريخية و الانسانية

(١) أى الكعبة المشرفة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٨٥

و الغيبية (١).

هذا و يجد ربنا ان ننقل هنا ما قاله صاحب تفسير مجمع البيان فى هذا الصدد فى شأن حادثة الفيل استكمالا لهذا البحث و تأكيدا

لمعجزته هذا الحدث.

قال صاحب المجمع: و كان هذا من اعظم المعجزات القاهرة، و الآيات الباهرات فى ذلك الزمان، اظهره الله تعالى ليدل على وجوب معرفته، و فيه ارهاص لنبوة نبينا صلى الله عليه و آله لأنه ولد فى ذلك العام، و فيه حجة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة و الملحدين المنكرين للآيات الخارقة للعادات فانه لا يمكن نسبة شىء مما ذكره الله تعالى من أمر اصحاب الفيل إلى طبع و غيره كما نسبوا الصيحة و الريح العقيم و الخسف و غيرهما مما أهلك الله تعالى به الامم الخالية، إذ لا يمكنهم أن يروا فى اسرار الطبيعة ارسال جماعات من الطير معها احجار معدة مهتأة لهلاك أقوام معينين قاصدات إياهم دون من سواهم فترميهم بها حتى تهلكهم، و تدمر عليهم، لا يتعدى ذلك إلى غيرهم و لا يشك من له مسكته عن عقل و لب ان هذا لا يكون الا من فعل الله تعالى مسبب الاسباب و مدلل الصعاب، و ليس لأحد أن ينكر هذا لأن نبينا صلى الله عليه و آله لما قرأ هذه السورة على أهل مكة لم ينكروا ذلك بل اقروا به و صدقوه مع شدة حرصهم على تكذيبه، و اعتنائهم بالرد عليه و كانوا قريبي عهد بأصحاب الفيل، فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقة و أصل لانكروه، و جحدوه، و أنهم قد أرخوا بذلك كما أرخوا ببناء الكعبة، و موت قصي بن كعب و غير ذلك.

و قد اكثر الشعراء ذكر الفيل و نظموه و نقلته الرواة عنهم فمن ذلك ما قاله (امية) بن ابى الصلت:

إن آيات ربنا بينات ما يمارى فيهنّ إلا الكفور

حبس الفيل بالمغمّس حتى ظلّ يحبو كأنه معفور

(١) فى ظلال القرآن: ج ٣٠ ص ٢٥١ - ٢٥٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٨٦

و قال عبد الله بن عمرو بن مخزوم:

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمّس

من بعد ما همّ بشىء ملبس حبسته فى هيئة المكر كس «١» و قال ابن قيس الرقيات فى قصيدة:

و استهلت عليهم الطير بالجدل حتى كأنه مرجوم «٢» «١» ما ذا بعد هزيمة الأحباش؟

لقد استوجب مقتل أبرهه و تحطم جيشه و هلاكهم، و بالتالى هزيمة أعداء الكعبة المشرفة، و أعداء قريش، أن يتعاضم شأن المكين، و شأن الكعبة الشريفة فى نظر العرب، فلا يجراً أحد - بعد ذلك - فى أن يحدث نفسه بغزو مكة، و الإغارة على قريش، أو أن يفكر فى التناول على الكعبة المعظمة صرح التوحيد الشامخ، فقد اخذ الناس يقولون فى انفسهم: إن الله أهلك أعداء بيته المعظم بمثل ذلك الاهلاك احتراماً لبيته و تعظيماً لشأن قريش، و قلما كان يتصور أحد أن ما وقع كان لاجل المحافظة على الكعبة فقط، اى من دون أن يكون لمكانة قريش و منزلتهم و شأنهم دخل فى ذلك، و يشهد بذلك أن قريشا تعرضت مرارا لحملات متكررة من غزاة ذلك العصر دون أن يصابوا بمثل ما اصيب به جند «ابرهه» الذى قصد الكعبة بالذات و يواجهوا ما واجهه، من الردع و الكبت.

(٢) إن هذا الفتحة و الظفر الذى نالته قريش من دون تعب و نصب، و من دون إراقة أية دماء من أبنائها، أحدثت فى نفوس القرشيين حالات جديدة خاصة، فقد زادت من غرورهم و حميتهم، و عنجيتهم، و اعتزازهم بعنصرهم، فأخذوا يفكرون فى تحديد شئون الآخريين، و التقليل من وزنهم، اعتقاداً منهم بانهم الطبقة الممتازة من العرب دون سواهم. كما أنها دفعتهم الى أن يتصوروا أنهم وحدهم موضع عناية الأصنام (الثلاثمائة و الستين) فهم وحدهم الذين تحببهم

(١) المنكس.

(٢) تفسير مجمع البيان للطبرسى: ج ١٠ ص ٥٤٣ فى تفسير سورة الفيل.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٨٧

تلك الاصنام، و تحميمهم و تدافع عنهم!!

(١) و لأجل هذا تمادوا فى لهوهم، و لعبهم، و توسعوا فى ممارسة اللذة و الترف حتى أنهم أظهروا ولعا شديدا بالخمير، فكانوا يحتسونها فى كل مناسبة، و ربما مدّوا موائد الخمر فى فناء الكعبة، و أقاموا مجالس سمرهم و أنسهم إلى جانب أصنامهم الخشبية، و الحجرية، التى كان لكل قبيلة من العرب بينها صنم أو أكثر، و يقضون فيها اسعد لحظات حياتهم - حسب تصوّرهم، و هم يتناقلون فيها كل ما سمعوه من أخبار و قصص حول «مناذرة» الحيرة و «غساسنة» الشام و قبائل اليمن، و هم يتصورون أن هذه الحياة الحلوة اللذيذة هى من بركة تلك الاصنام و الاوثان، فهى التى جعلت عامة العرب تخضع لقريش، و جعلت قريشا افضل من جميع العرب!!

(٢)

### أوهام قريش تتفاقم!!

إن أخطر ما يمرّ به إنسان فى حياته هو أن يصفو عيشه من المشاكل، ردحا من الزمن و يحس لنفسه بنوع من الحصانة الوهمية، فعندها تجده يخص الحياة بنفسه و يستأثر بكل شىء فى الوجود و لا يرى لغيره من أبناء نوعه و جنسه من البشر اى حق فى الحياة، و لا اى شأن و قيمة تذكر، و ذلك هو ما يصطلح عليه بالاستكبار و الاستعلاء، و الاحساس بالتفوق، و الغطرسة.

و هذا هو بعينه ما حصل لقريش بعد اندحار جيش «ابرهه» و هلاكه، و هلاك جنده بذلك الشكل العجيب الرهيب. فقد عزمت قريش منذ ذلك اليوم - و بهدف إثبات تفوقها و عظمتها للآخرين -، على أن تلغى اى احترام لأهل الحلّ لانهم كانوا يقولون: ان جميع العرب محتاجون الى معبدنا، و قد رأى العرب عامة كيف اعتنى بنا آلهة الكعبة، خاصة، و كيف حمتنا من الاعداء!!

(٣) و من هنا بدأت قريش تضيق على كل من يدخل مكة من أهل الحل للعمرة او الحج، و تتعامل معهم بخشونة بالغة، و ديكتاتورية شديدة ففرضت على

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٨٨

كل من يريد دخول مكة للحج أو العمرة أن لا يصطحب معه طعاما من خارج الحرم، و لا يأكل منه، بل عليه أن يقتنى من طعام أهل الحرم، و يأكل منه، و أن يلبس عند الطواف بالبيت من ثياب أهل مكة التقليدية القومية، أو يطوف عريانا بالكعبة إن لم يكن فى مقدوره شراؤها و اقتناؤها، و من كان يرفض الخضوع لهذا الأمر، من رؤساء القبائل و زعمائها، كان عليه أن ينزع ثيابه - بعد انتهائه من الطواف - و يلقىها جانبا، و لا يحق لأحد ان يمسه أبدا لا صاحبها و لا غيرها «١».

(١) اما النساء فكان يجب عليهن اذا أردن الطواف أن يظفن عراة على كل حال، و ان يضعن خرقة على رءوسهن و يرّدن البيت التالى فى اثناء الطواف:

اليوم يبدو بعضه أو كله و بعد هذا اليوم لا احلّه ثم إنه لم يكن يحق لأى يهودى أو مسيحي - بعد هزيمة «ابرهه» الذى كان هو أيضا مسيحيًا - أن يدخل مكة إلا أن يكون أجيرا لمكّي، و حتى فى هذه الصورة كان يجب عليه أن لا يتحدّث فى شىء من أمر دينه و من أمر كتابه.

لقد بلغت النخوة و العصبية بقريش حدا جعلتهم يتركون بعض مناسك الحج التى كان يجب الإتيان بها خارج الحرم!!

(٢) لقد أنفوا منذ ذلك اليوم أن يأتوا بمناسك عرفه «٢» كما يفعل بقية الناس فتركوا الوقوف بعرفة، و الافاضة منها مع أن آباءهم (من ولد إسماعيل) كانوا يقرون أنها من المشاعر و الحج، و كانت هيبة قريش و عظمتها الظاهرية رهن - برمتها - بوجود الكعبة بين ظهرانيها، و بوظائف الحج و مناسكه هذه، اذ كان يجب على الناس فى كل عام أن يأتوا إلى هذا الوادى الخالى عن الزرع و هذه

الصحراء اليابسة لأداء المناسك، إذ لو لم يكن في هذه النقطة من الأرض أى مطاف أو مشعر لما رغب احد حتى فى العبور بها فضلا عن المكث فيها عدة ايام و ليال.

(١) و كانت تسمى عندهم «اللّقى».

(٢) الكامل فى التاريخ: ج ١ ص ٢٦٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٨٩

لقد كان ظهور مثل هذا الفساد الاخلاقى و هذا الموقف المتعصب من الآخرين أمرا لا بدّ منه بحسب المحاسبات الاجتماعية. فالبيئة المكيّة لا بد أن تغرق فى الفساد و الانحراف حتى يتهيأ العالم لانقلاب أساسى و نهضة جذريّة.

إن كل ذلك الانفلات الاخلاقى و الترف و الانحراف كان يهوى الارضية و يعدّها لظهور مصلح عالمى، أكثر فاكثرا.

و لهذا لم يكن غريبا أن يغضب «أبو سفيان» فرعون مكّة و طاغيتها على «ورقة بن نوفل» حكيم العرب الذى تنصر فى اخريات حياته و اطلع على ما فى الانجيل، كلما تحدّث عن الله و الأنبياء و يقول له: «لا حاجة الى مثل هذا الاله و هذا النبى، تكفيننا عناية اصنامنا!!»

(١)

## عبد الله والد النبى:

### إشارة

يوم فدى «عبد المطلب» ولده «عبد الله» بمائة من الابل نحرها، و أطعم الناس فى سبيل الله، لم يكن يمض من عمر «عبد الله» أكثر من اربعة عشر ربيعا، و قد تسببت هذه الواقعة فى أن يكتسب «عبد الله» شهرة خاصة بين عشيرته مضافا الى شهرته الكبرى بين قريش، و أن يحظى بمكانة كبيرة عند أبيه:

«عبد المطلب» بنحو خاص، لأن ما يكلف الانسان غاليا، و يتحمل فى سبيله عناء أكثر لا بدّ أن يحظى لديه بمكانة اكبر، و يحبه محبة تفوق المتعارف.

و من هنا كان «عبد الله» يتمتع باحترام يفوق الوصف بين أبناء عشيرته و أفراد عائلته و أقربائه.

(٢) ثم إن «عبد الله» يوم كان يتوجه برفقة والده الى المذبح كان يعانى من مشاعر و أحاسيس متناقضة و متضادة، فهو من جانب كان يكرّ لوالده احتراما كبيرا و حبا شديدا، و لهذا لم يكن يجد بدا من طاعته، و الانصياع لمطلبه، بينما كان من جانب آخر يعانى من قلق، و اضطراب شديدين على حياته التى كان يرى كيف تعبت بها يد القدر، و تكاد تقضى عليها كما يقضى الخريف على

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٩٠

أوراق الشجر.

(١) كما أن «عبد المطلب» نفسه كان هو الآخر تتجاذبه قوتان متضادتان: قوة الايمان و العقيدة من جانب، و قوة العاطفة و المحبة الأبوية من جانب آخر، و قد أوجدت هذه الواقعة فى نفسى هاتين الشخصيتين آثارا مرّة يصعب زوالها، بيد أن تلك المشكلة حيث عولجت بالطريقة التى ذكرناها و نجا «عبد الله» من الموت المحقق فكر «عبد المطلب» فورا فى ان يغسل عن قلب «عبد الله» تلك المرارة القاسية بزواج «عبد الله» بآمنه، و بذلك يقوى من عرى حياته التى بلغت درجة الانصرام، بأقوى السبل، و أمتن الوسائل.

و من هنا توجه «عبد المطلب» الى بيت «وهب بن عبد مناف»- فور رجوعه من المذبح آخذا بيده ولده عبد الله- و عقد لولده على



«آمنة بنت وهب» التي كانت تعرف بالعفّة، والطهر، والنجابة، والكمال.

كما أنه عقد لنفسه- في ذات المجلس- على «دلالة» ابنه عم آمنة، و رزق منها «حمزة» عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله والمشابه له في السن «١».

(٢) غير أن الاستاذ المؤرخ «عبد الوهاب النجار» المدرس بقسم التخصص في الازهر الذي صحح «التاريخ الكامل» لابن الاثير، و علق عليه بملاحظات و هوامش مفيدة شكك في صحة هذه الرواية، و استغربها، و قال: لا أظن أنه يصح شيء في هذه الرواية، إذ المعقول أن يترث «عبد المطلب» بعد ذلك المجهود المضني حتى يريح نفسه ثم يذهب ليخطب لابنه «٢».

و لكننا نعتقد بأن المؤرخ المذكور لو نظر إلى المسألة من غير هذه الزاوية لسهل عليه التصديق بهذه الرواية.

ثم أن «عبد المطلب» عين موعدا للزفاف، و عند حلول ذلك الموعد تمت مراسم الزفاف في بيت «آمنة» طبقا لما كان متعارفا عليه في قريش، و لبث

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٧ و المذكور في هذا المصدر «هالة».

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤ قسم الهامش.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٩١

«عبد الله» مع «آمنة» ردحا من الزمن حتى سافر الى الشام للتجارة، و عند عودته توفى اثناء الطريق كما ستعرف.

(١)

### دور الأيادي المشبوهة في تاريخ الإسلام:

لا شك أن التاريخ سجّل في صفحاته كل ما يتعلق بالشعوب و الاقوام من نقاط مضيئة أو مظلمة، كقصص للعبرة و العظة. و لكن الحب و البغض تارة و التساهل و البدعة تارة اخرى و حب اظهار المقدره و ابراز القوة الأديبة تارة ثالثة و غير ذلك من العوامل و الاسباب عملت عملها فتدخلت- في جميع الأدوار و العصور- في صياغة التاريخ، و خلطت الغث بالسمين و الحقيقة بالخرافة، و تلك هي مشكله كبرى تقع في طريق المؤرخ الذي يريد عرض حوادث التاريخ في أمانه و استقامه، و لذلك يجب عليه أن يميز الحق عن الباطل، و الصدق عن الكذب من خلال الأخذ بالموازين العلمية، و الممارسة الكاملة للتاريخ. و لقد كان للعوامل المذكورة تأثير أيضا في تدوين التاريخ الإسلامي، فالأيادي المريبه المشبوهه عملت على تحريف الحقائق في هذا المجال، بل و ربما عمد بعض الاصدقاء- بهدف تعظيم شأن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله- الى نسبة بعض الامور التي يظهر عليها آثار الاختلاق و الافتعال إليه صلى الله عليه وآله و سلم و هو منها براء.

(٢) فقد جاء في التاريخ أن نور النبوة كان يسطع في جبين «عبد الله» والد النبي صلى الله عليه وآله دائما «١»، كما نقرأ أن «عبد المطلب» كان يأخذ بيد ولده «عبد الله» في سنين الجدب و القحط، و يصعد الجبل و يستسقى متوسلا الى الله بالنور الذي كان يتنا في جبين «عبد الله» «٢» فهذا هو ما كتبه و سجّله كثير من علماء الشيعة و السنة في مؤلفاتهم، و نحن لا نملك أي دليل على عدم صحته.

و لكن هذه القصة وقعت أساسا لبعض الاساطير التي لا يمكن ان نقبل بها مطلقا

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٩.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤.



سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٩٢

و إليك فيما يأتي ما الحق بهذه القضية التاريخية الثابتة.

(١)

### قصة فاطمة الخثعمية:

#### إشارة

و «فاطمة» هذه هي أخت «ورقة بن نوفل» الذي كان من حكماء العرب و كهانهم، و كان له معرفة كبيرة بالإنجيل. و قد ضبط التاريخ حديثه مع خديجة في بدء بعثة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله و سوف نشير إليه في محله من هذا الكتاب. و كانت «فاطمة» أخت «ورقة» قد سمعت من أخيها عن نبوة رجل من احفاد «اسماعيل»، و لهذا ظلت تنتظر، و تبحث. و ذات يوم و عند ما كان «عبد المطلب» متوجها الى بيت آمنه بنت وهب بعد قفوله و منصرفه من المذبح و هو آخذ بيد «عبد الله»، شاهدت «فاطمة الخثعمية»- التي كانت تقف على مقربة من منزلها- النور الساطع من جبين «عبد الله»، و الذي كانت تنتظره مدة طويلة و تبحث عنه بشوق، فقالت: اين تذهب يا عبد الله؟ لك مثل الإبل التي نحرت عنك، وقع على الآن. فقال: أنا مع أبي و لا استطع خلفه و فراقه!! «١».

ثم تزوج «عبد الله» بآمنه في نفس ذلك اليوم، و قضى معها ليلة واحدة.

ثم في الغد من ذلك اليوم أتى المرأة «الخثعمية» التي عرضت نفسها عليه، و أبدى استعداده لتنفيذ رغبتها، و لكن «الخثعمية» قالت له: ليس لي بك اليوم حاجة، فلقد فارقتك النور الذي كان معك أمس!! «٢».

(٢) و قيل: إنه لما عرضت تلك المرأة «الخثعمية» على «عبد الله» ما عرضت أجابها «عبد الله» بالبداهة بيتين من الشعر هما:

أما الحرام فالممات دونه و الحل لا حل فاستبينه

فكيف بالأمر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه و دينه

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٥.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٥٦ النص و الهامش.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٩٣

و لكن لم تمر ثلاثه من زواجه بآمنه، و اقامته عندها حتى دعتة نفسه إلى ان يأتي الخثعمية، و عرض نفسه عليها قائلاً: هل لك فيما كنت اردت؟ فقالت:

لقد رأيت في وجهك نورا فاردت ان يكون لي فأبى الله إلا أن يجعله حيث اراد فما صنعت بعدى؟

قال: زوّجني أبي «آمنه بنت وهب»!! «١».

(١)

### علامم الاختلاق في هذه القصة!

لقد غفل مخلوق هذه القصة عن امور كثيرة عند صياغته لها، و لم يستطع اخفاء آثار الاختلاق عنها.

فلو كان يكتفى بالقول- مثلاً- بان «فاطمة» صادفت «عبد الله» ذات يوم في زقاق من الأزقة، أو سوق من الاسواق، و شاهدت نور النبي

ساطعا من طلعتة فكفرت في الزواج به رغبة في ذلك النور لكان من الممكن التصديق بهذه القصة، بيد أن نص القصة جاء بصورة لا يمكن القبول بها للأسباب التالية:

(٢) ١- ان هذه القصة تفيد أن المرأة «الخثعمية» عند ما عرضت نفسها على «عبد الله»، كان يد «عبد الله» في يد والده «عبد المطلب»، فكيف يمكن ان تعرض تلك الفتاة نفسها عليه و تبين مطلوبها له و يدور بينهما ما يدور، و لا يحس عليهما عبد المطلب؟! ثم لم تستح من عظيم قريش «عبد المطلب» الذي لم يثنه عن طاعة الله تعالى شيء حتى مقتل ولده و ذبحه. و لو قلنا أن مطلبها كان حلالا مشروعا فان ذلك لا ينسجم مع البيتين من الشعر اللذين ردّ بهما «عبد الله» طلبها. (٣) ٢- و الأصعب من ذلك قصة عبد الله نفسه. فان ولدا مثل «عبد الله» يحترم والده الى درجة الاستعداد لأن يذبح وفاء لنذر والده، كيف يمكن أن يتفوّه في

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٧، و الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٩٤

حضرة والده بما نقل عنه؟!!

ترى أ يمكن لشاب نجا لتوه من السيف و الذبح، و لا- يزال يعاني من آثار الصدمة الروحية أن يستجيب لرغبات امرأة، أو يبدى استعداد و رضاه القلبي لذلك لو لا وجود والده معه؟!!

ترى هل كانت تلك المرأة جاهلة بالظروف، لا تقدر الاحوال، و لا تعرف الوقت المناسب لطرح مطلبها، أو أن مختلق هذه القصة غفل عن نقاط الضعف البارزة هذه؟!!

(١) ثم إن مّا يفصح هذه القصة و يظهر بطلانها ما جاء في الصورة الثانية لها، فان عبد الله- كما لا حظنا جابه طلب تلك المرأة بيتين من الشعر و قال ما حاصله بأن الموت أسهل عليه من ارتكاب هذا الفعل الحرام الذي يأتي على دين الرجل و شرفه، فكيف يجوز لمثل هذا الشاب الطاهر الغيور أن يقع فريسة لتلك الأهواء، و الرغبات الرخيصة الفاسدة، و الحال انه لم ينقض من زواجه اكثر من ثلاث ليال، و تدفعه غريزته الجنسية إلى أن يبادر الى بيت المرأة الخثعمية.

إنّ ما جاء به «عبد الله» دعوة تلك المرأة، و ما جاء في ذينك البيتين من الشعر اللذين يطفحان بالغيرة، و الإباء، لخير دليل على طهارة «عبد الله» و عفته، و تقواه، و ترفعه عن الآثام و الادران، و ابتعاده عن الانجاس و الادناس.

و قد علّق الاستاذ العلامة «النجار» على هذه الاسطورة بقوله: «ليس من المعقول أن يذهب عبد الله يبغى الزنا في الساعة التي تزوج فيها، و دخل فيها على امرأته».

و لكن الاستاذ «النجار» أخطأ في تشكيكه في النور النبوي الساطع في جبين «عبد الله» حيث قال معقبا على كلامه السابق: «و لكنها مسألة النور في وجهه يريدون إثباتها و رسول الله غنى عن هذا كله» (١).

فان ذلك ممّا رواه جميع المؤرخين بلا استثناء، فلا داعي و لا وجه للتشكيك فيه!

(١) هامش الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٩٥

**طهارة النبي من دنس الآباء و عهر الامهات:**

و ينبغي هنا- و بالمناسبة- ان نشير الى مسألة مهمة في تاريخ النبي الكريم صلى الله عليه وآله ألا و هي طهارة النسب النبوي من دنس الآباء و دناءتهم و عهر الأمهات و فسادهن فلا يكون في اجداده وجداته سفاح، و زنا. و هذا ممّا اتفق عليه المسلمون، بعد ان دلّ عليه العقل اذ لو لم يكن النبي منزها عن دناءة الآباء و عهر الأمهات لتنفر عنه الطباع و لم يرغب احد في متابعتة، و الانقياد لاوامره و نواهيه.

و لقد صرح رسول الإسلام صلى الله عليه وآله بذلك في احاديث رواها السنة و الشيعة. فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال:

«نقلت من الاصلاب الطاهرة الى الارحام الطاهرة نكاحا لا سفاحا» (١).

و جاء أيضا انه صلى الله عليه وآله قال:

«لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسينية الى الأرحام الطاهرة» (٢).

و قال الإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام:

«و أشهد ان محمدا عبده و رسوله و سيد عباده كلما نسخ الله الخلق فرقتين جعله في خيرهما لم يسهم فيه عاهر، و لا ضرب فيه فاجر» (٣)

و قال الإمام الصادق عليه السلام في هذا الصدد عند تفسير قول الله تعالى:

«و تَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ»: (٤)

«في أصلاب النبيين، نبي بعد نبي، حتى اخرجه من صلب ابيه عن نكاح غير سفاح من لدن آدم» (٥).

و قد صرح علماء الإسلام من الفريقين بهذا الأمر، و اشترطوه في النبي.

(١) كنز الفوائد: ج ١ ص ١٦٤.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٤٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٥ طبعه عبده.

(٤) الشعراء: ٢١٩.

(٥) تفسير مجمع البيان عند تفسير الآية.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٩٦

قال المحقق نصير الدين الطوسي في تجريد الاعتقاد: و يجب في النبي العصمة ... و عدم السهو، و كل ما ينفر عنه من دناءة الآباء و عهر الأمهات ... (١).

و قد وافقه على هذا العلامة القوشجي الاشعري في شرح التجريد (٢).

و قال العلامة المتكلم المقداد السيوري في اللوامع الالهية: و يجب أن لا يكون مولودا من الزنا و لا في آباءه دنى و لا عاهر (٣).

(١)

### وفاء عبد الله في «يثرب»:

لقد بدأ «عبد الله» بالزواج فصلا جديدا في حياته، و أضاء ربوعها بوجود شريكة للحياة في غاية العفة و الكمال هي زوجته الطاهرة «آمنة» و بعد مدة من هذا الزواج المبارك توجه في رحلة تجارية- و بصحبة قافلة- الى الشام بهدف التجارة.

دقت أجراس الرحيل، و تحركت القافلة التجارية وفيها عبد الله، و بدأت رحلتها من «مكة» صوب الشام، و هي مشدودة بمئات القلوب و الاقئدة.

و كانت «آمنة» تمر في هذه الايام بفترة الحمل، فقد حملت من زوجها «عبد الله».

و بعد مضي بضعة أشهر طلعت على مشارف مكة بوادر القافلة التجارية و هي عائدة من رحلتها، و خرج جمع كبير من أهل مكة لاستقبال ذويهم المسافرين العائدين.

ها هو والد «عبد الله» ينتظر - في المنتظرين - ابنه «عبد الله»، كما ان عيون عروسه ولده «آمنة» هي الاخرى تدور هنا و هناك تتصفح الوجوه و تبحث عن زوجها الحبيب «عبد الله» في شوق لا يوصف.

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٣٤٩ تحقيق الشيخ حسن زاده الآملي.

(٢) راجع: شرح القوشجي لتجريد الاعتقاد: ص ٣٥٩.

(٣) اللوامع الإلهية: ص ٣١١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٩٧.

(١) و لكن و مع الأسف لا يجدان أثرا من «عبد الله» بين رجال القافلة!!

و بعد التحقيق يتبين أن «عبد الله» قد تمرّض أثناء عودته في يثرب، فتوقف هناك بين اخواله لكي يستريح قليلا، فاذا تماثل للشفاء عاد إلى أهله في «مكة».

و كان من الطبيعي أن يغتم هذان المنتظران «عبد المطلب و آمنة» لهذا النبأ، و تعلق وجهيهما آثار الحزن، و القلق و تنحدر من عيونهما دموع الأسى و الاسف.

فأمر «عبد المطلب» اكبر ولده: «الحارث» إلى أن يتوجه الى «يثرب»، و يصطحب معه «عبد الله» الى مكة.

و لكنه عند ما دخل يثرب عرف بأن أخاه: «عبد الله» قد توفي بعد مفارقه القافلة له بشهر واحد، فعاد الحارث الى مكة، فاخبر والده «عبد المطلب»، و كذا زوجته العزيزة «آمنة» بذلك، و لم يخلف «عبد الله» من المال سوى خمسة من الابل، و قطع من الغنم، و جارية تدعى «أم أيمن» صارت فيما بعد مربية النبي الاكرم صلى الله عليه و آله و سلم «١».

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٧ و ٨، و السيرة الحلبية: ج ١ ص ٥٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ١٩٩.

(١)

## ٥ مولد رسول الله صلى الله عليه وآله

### إشارة

كانت سحب الجاهلية الداكنة تغطي سماء الجزيرة العربية، و تمحى الاعمال القبيحة و الممارسات الظالمة، و الحروب الدامية، و النهب و السلب، و وأد البنات، و قتل الاولاد، كل فضيلة أخلاقية. في البيئة العربية و كان المجتمع العربي قد اصبح في منحدر عجيب من الشقاء، ليس بينهم و بين الموت آلا غشاء رقيق و مسافة قصيرة!!

في هذا الوقت بالذات طلع عليهم شمس السعادة و الحياة فاضاءت محيط الجزيرة الغارق في الظلام الدامس، و ذلك عند ما اشرفت

بيئة الحجاز بمولد النبي المبارك «محمد» صلى الله عليه وآله وسلم، وبهذا تهيأت المقدمات اللازمة لنهضة قوم متخلف طال رزوحه تحت ظلام الجهل، و التخلف، و طالت معاناته لمرارة الشقاء. فانه لم يمض زمن طويل الا و ملأ نور هذا الوليد المبارك ارجاء العالم و اسس حضارة انسانية عظيمة في كل المعمورة.

(٢)

### فترة الطفولة في حياة العظماء:

ان جميع الفصول في حياة العظماء جديرة بالتأمل، و قيمته بالمطالع، فربما تبلغ العظمة في شخصيه احدهم من السعة، و السمو بحيث تشمل جميع فصول حياته سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠٠ بدء من الطفولة، بل و فترة الرضاع فتكون حياته و شخصيته برمتها سلسلة متواصلة من حلقات العظمة. إن جميع الأدوار، و الفترات في حياة العظماء، و النوايح و قادة المجتمعات البشرية، و رواد الحضارات الانسانية و بناتها تنطوي في الأغلب على نقاط مثيرة و حساسة و على مواطن توجب الاعجاب. إن صفحات تاريخهم و حياتهم منذ اللحظة التي تنعقد فيها نظفهم في أرحام الامهات، و حتى آخر لحظة من أعمارهم مليئة بالاسرار، زاخرة بالعجائب.

فنحن كثيرا ما نقرأ عن اولئك العظماء في أدوار طفولتهم أنها كانت تقارن سلسلة من الامور العجيبة، و المعجزة. و لو سهل علينا التصديق بهذا الأمر في شأن الرجال العاديين من عظماء العالم لكان تصديقنا بأمثالها في شأن الأنبياء و الرسل أسهل من ذلك بكثير، و كثير.

(١) إن القرآن الكريم ذكر فترة الطفولة في حياة النبي موسى عليه السلام في صورة محفوفة بكثير من الأسرار، فهو يقول ما خلاصته: ان مئات من الاطفال قتلوا و ذبحوا بامر من فرعون ذلك العصر منعا من ولادة موسى و نشوئه. و لكن ارادة الله شاءت ان يولد الكليم، و ظلت هذه المشيئة تحفظه من كيد الكائدين و لهذا لم يعجز اعداؤه عن القضاء عليه او إلحاق الاذى به فحسب، بل تربي في بيت فرعون أعدى اعدائه.

يقول القرآن الكريم في هذا الصدد: «وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنْ اقْذِيبِي فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيبِي فِي الْيَمِّ فَأَلْقِيهِ الْيَمِّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَ عَدُوٌّ لَهُ وَ الْيَتِيمَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي.» ثم يقول: «إِذِ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ» (١).

(١) طه: ٣٧-٤٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠١

(١) ثم إن القرآن الكريم يذكر قصة ولادة المسيح، و يصور طفولته و نشأته بشكل أعجب اذ يقول: «وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكا مكانا شرقيا. فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا. قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَ لَمْ أَكُ بَغِيًّا. قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ لِنَجْعَلُ آيَةً لِلنَّاسِ وَ رَحِيمَةً مِنَّا وَ كَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا. فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَّتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَ كُنْتُ نَسِيًّا. فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَ هَزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا حَلِيًّا. فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ

لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا. فَآتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأًا سَوْءًا وَ مَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا. فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا. قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا. وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَ بَرًّا بِوَالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا. وَ السَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أُمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» (١).

(٢) فإذا كان أتباع القرآن و التوراة و الانجيل يشهدون بصحة هذه المطالب حول ولادة هذين النبيين العظيمين من اولى العزم لموسى و عيسى عليهما السلام، و يقرون بصدقها، فلا يصح في هذه الصورة أن نستغرب وقوع أمثالها في شأن رسول الإسلام، و نتعجب من الحوادث العجيبة التي سبقت أو رافقت ميلاده المبارك، و نعتبرها امورا سطحية لا تدل على شيء.

فنحن نقرأ في الكتب التاريخية و في كتب الحديث عن وقوع حوادث عجيبة

(١) مريم: ١٦-٣٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠٢

يوم ولادة النبي الكريم صلى الله عليه وآله مثل: ارتجاس إيوان كسرى، و سقوط اربع عشرة شرفة شرفه منه، و انخماذ نار فارس التي كانت تعبد، و انجفاف بحيرة ساوة، و تساقط الاصنام المنصوبة في الكعبة على وجوهها، و خروج نور معه صلى الله عليه وآله و سلم أضاء مساحة واسعة من الجزيرة، و الرؤيا المخيفة التي رآها انوشيروان و مؤبدوه، و ولادة النبي صلى الله عليه وآله محتونا مقطوع السرة، و هو يقول: «الله اكبر، و الحمد لله كثيرا، سبحان الله بكرة و أصيلا».

و قد وردت جميع هذه الامور في المصادر التاريخية الأولى، و الجوامع الحديثية المعتمدة (١).

(١) و مع ملاحظة ما ورد في حق موسى و عيسى و نقلنا بعضه هنا، لا يبقى أى مجال للشك في صحة هذه الحوادث.

نعم ينبغي أن نسأل هنا: ما ذا كانت تهدف هذه الحوادث غير العادية؟

و في الاجابة على هذا السؤال يجب ان نقول:

إن هذه الحوادث الخارقة و العجيبة كانت تهدف إلى أمرين:

(٢) الأول- أن تدفع بالجبابرة، و الوثنيين و عبدة الاصنام إلى التفكير فيما هم فيه فيسألوا أنفسهم: لما ذا انطفأت نيرانهم التي طالما بقيت مشتعلة تحرسها اعيان السدنة و الكهنة؟

لما ذا سببت هزة خفيفة في ارتجاس إيوان كسرى العظيم المحكم البنيان، و لم يحدث لبيت عجوز في نفس ذلك البلد شيء؟

لما ذا تهاوت الاصنام المنصوبة في الكعبة و حولها، و انكبت على وجوهها بينما بقيت غيرها من الاشياء على حالها لم يصيبها شيء ابدا؟

لو كانوا يفكرون في تلك الحوادث لعرفوا أن تلك الحوادث كانت تبشر بعصر جديد ... عصر انتهاء فترة الوثنية و زوال مظاهر السلطنة الشيطانية

(١) تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٥، بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٤٨-٣٣١، السيرة الحلبية: ج ١ ص ٦٧-٧٨ و غيرها.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠٣

و اندحارها؟

الثانى: ان هذه الحوادث جاءت لتبرهن على شأن الوليد العظيم، و انه ليس وليدا عاديا، فهو كغيره من الأنبياء العظام الذين رافقت مواليدهم أمثال تلك الحوادث العجيبة، و الوقائع الغريبة، كما يخبر بذلك القرآن الكريم فيما يحدثه عن حياة الأنبياء- كما عرفت- و

تخبر بها تواريخ الشعوب و الملل المسيحية و اليهودية.

(١) و اساسا لا يلزم ان تكون تلك الحوادث سببا للعبرة و وسيلة للاتعاظ يوم وقوعها، بل يكفي ان تقع حادثه في احدى السنين، ثم يعتبر بها الناس بعد أعوام عديدة، و قد كانت حوادث الميلاد النبوي من هذه المقولة، لأن الهدف منها كان هو ايجاد هزة في ضمائر اولئك الناس الذين كانوا قد غرقوا في احوال الوثنية، و الظلم، و الانحراف الاخلاقي حتى قمه رءوسهم، و عشعشت الجهالة و الغافلة في اعماقهم حتى النخاع.

إن الذين عاشوا في عصر الرسالة، أو من اتى من بعدهم عند ما يسمعون نداء رجل نهض - بكل قواه - ضد الوثنية، و الظلم، ثم يطالعون سوابقه، و يلاحظون الى جانب ذلك ما وقع ليله ميلاده من الحوادث العظيمة التي تتلاءم مع دعوته، فانهم و لا شك سيعتبرون تقارن هذين النوعين من الحوادث دليلا على صحة دعواه، و صدق مقاله فيصدقونه، و ينضوون تحت لوائه.

إن وقوع أمثال هذه الحوادث الخوارق عند ميلاد الأنبياء مثل «إبراهيم» و «موسى» و «المسيح» و «محمّد» صلى الله عليه و عليهم اجمعين لا يقل اهمية عن وقوعها في عصر رسالتهم و نبوتهم، فهي جميعا تنبع من اللطف الإلهي، و تتحقق لهداية البشرية، و جذبها إلى دعوة سفرائه و رسله.

(٢)

### في أي يوم ولد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

لقد اتفق عامة كتاب السيرة على أن ولادة النبي الكريم كانت في عام الفيل سنة ٥٧٠ ميلادية.

لأنه صلى الله عليه و آله و سلم رحل الى ربه عام (٦٣٢) ميلادية عن (٦٢)

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠٤

أو (٦٣) عاما، و على هذا الأساس تكون ولادته المباركة قد وقعت في سنة (٥٧٠) ميلادية تقريبا.

كما أن أكثر المحدثين و المؤرخين يتفقون على أنه صلى الله عليه و آله ولد في شهر ربيع الأول.

انما وقع الخلاف في يوم ميلاده، و المشهور بين محدثي الشيعة أنه كان يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول بعد طلوع الفجر.

و المشهور بين أهل السنة أنه صلى الله عليه و آله ولد في يوم الاثنين الثاني عشر من ذلك الشهر «١».

(١)

### أي هذين القولين هو الصحيح؟

ان من المؤسف جدا أن يعانى التقويم الدقيق لميلاد رسول الإسلام العظيم صلى الله عليه و آله و وفاته بل مواليده و وفاته اكثر قادتنا و ائمتنا لمثل هذا الارتباك، و ان لا تكون اوقاتها و تواريخها محددة معلومة على وجه التحقيق و اليقين!.

و لقد تسبب هذا الارتباك في أن لا تستند اكثر احتفالاتنا و ماتمنا إلى تاريخ قطعي، في حين نجد أن علماء الإسلام كانوا يهتمون -

عادة- بتسجيل الوقائع التي حدثت على مدار القرون الإسلامية في نظم خاص و عناية كبيرة، و لكننا لا ندرى ما الذى منع من تسجيل

مواليد هذه الشخصيات العظيمة و وفياتهم على نحو دقيق، و صورة قطعية؟!

على أن مثل هذه المشكلة يمكن حلها بدرجة كبيرة بالرجوع إلى أهل البيت عليهم السلام، فان اى مؤرخ لو أراد أن يكتب عن حياة

شخصية من الشخصيات و أراد أن يلم بكل تفاصيلها و دقائقها لم يسمح لنفسه بان يفعل ذلك من دون ان يراجع ابناء او اقرباء تلك

الشخصية التي يزعم ترجمتها و الكتابة عنها.



(١) وقد ذكر المقرئ في «الامتاع» ص ٣ جميع الأقوال المذكورة في يوم ميلاد النبي و شهره و عامه، فراجع.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠٥

(١) ولقد مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و خلف من بعده ذرية و قربي و هم الذين يطلق عليهم اهل البيت. و اهل بيته يقولون: لو كان صحيحا و حقا ان رسول الله صلى الله عليه وآله أبونا وجدنا، و قد نشأنا في بيته و ترعرعنا في حجره فاننا نقول انه قد ولد يوم كذا و توفي يوم كذا فهل يبقى بعد ذلك مجال لأذن نتجاهل قولهم و رأيهم، و نختار ما يقوله الآخرون من الأبعدين، و قديما قالوا: أهل البيت ادري بما في البيت؟ «١».

(٢)

### فترة الحمل:

المعروف أن النور النبوي الشريف استقر في رحم آمنه- الطاهر في أيام التشريق و هي اليوم الحادى عشر و الثانى عشر و الثالث عشر من شهر ذى الحجة «٢»، و لكن هذا الأمر لا ينسجم مع الرأى المشهور بين عامة المؤرخين من كون ولادة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله في شهر ربيع الأول، اذ في هذه الصورة يجب ان نعتبر مدة حمل «آمنه» به صلى الله عليه وآله إما ثلاثة أشهر و اما سنه و ثلاثة اشهر، و كلا الأمرين خارجان عن الموازين العادية في الحمل، كما أنه لم يعد احد من خصائص النبي صلى الله عليه وآله «٣».

(٣) و لقد عالج المحقق الكبير الشهيد الثاني (٩١١-٩٦٦ هـ) هذا الإشكال بالنحو التالى إذ قال:

إن ذلك مبنى على النسيء الذى كانوا يفعلونه فى الجاهلية، و قد نهى الله تعالى عنه، و قال: «إنما النسيء زيادة فى الكفر». و توضيح هذا هو أن أبناء «إسماعيل» كانوا تبعاً لاسلافهم يؤدون مناسك الحج فى شهر ذى الحجة، و لكنهم رأوا- فى ما بعد- أن يحجوا فى كل شهر عامين

(١) و من هنا لا بد من الاعتراف بان ما ينقله و يكتبه الامامية من تفاصيل تتعلق بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم هي أقرب من غيرها الى الحقيقة لأنها مأخوذة عن اقربائه و ابنائه عليهم السلام.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٤٣٩ أبواب التاريخ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله و وفاته.

(٣) قد ذكر الطريحي فقط فى مجمع البحرين فى مادة شرق قولاً بهذا لم يسم قائله.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠٦

يعنى ان يحجوا فى ذى الحجة عامين و فى المحرم عامين و فى صفر عامين و هكذا.

و هذا يعنى أن الحج يعود كل اربعة و عشرين سنة فى موضعه الطبيعى (اي شهر ذى الحجة).

(١) و قد جرى العرب المشركون على هذه الطريقة حتى صادفت أيام الحج شهر ذى الحجة فى السنة العاشرة من الهجرة النبوية فحج النبي صلى الله عليه وآله فى تلك السنة حجة الوداع، فمضى فى خطبة له عن هذه الفعلة (التي تسمى بالنسيء بمعنى تأخير الحج عن موضعه و موعده) فقال: «ألا و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات و الأرض السينة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم: ثلاث متواليات: ذو القعدة و ذو الحجة، و محرم، و رجب الذى بين جمادى و شعبان» «١».

و قد أراد صلى الله عليه وآله وسلم بذلك أن الأشهر الحرم رجعت الى مواضعها، و عاد الحج الى ذى الحجة و بطل النسيء.

و نزل فى هذه المناسبة قول الله تعالى: «إنما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً و يحرمونه عاماً» «٢».

(٢) من هنا تنتقل أيام التشريق كل سنتين من مواضعها، على ما عرفت، و حينئذ لا منافاة بين القول بأن نور النبي انتقل إلى رحم أمه



«آمنة بنت وهب» في أيام التشريق، و بين ما اجمع عليه عامة المؤرخين من أنه ولد في شهر ربيع الأول. و انما تكون المنافاة بين هذين الأمرين إذا كان المراد من أيام التشريق هو اليوم الحادى عشر، و الثانى عشر، و الثالث عشر من شهر ذى الحجة خاصة، و لكن قلنا أن ايام التشريق كانت تنتقل من شهر الى آخر باستمرار، فيلزم أن يكون عام حمل امه به، و عام ولادته أيام الحج الواقعة في شهر جمادى الاولى، و حيث أنه صلى الله عليه وآله ولد في شهر ربيع الأول فتكون مدة حمل «آمنة» به عشرة أشهر تقريباً.

(١) مجمع البيان: ج ٥ ص ٢٩.

(٢) التوبة: ٣٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠٧.

(١)

### مؤاخذات و إشكالات على هذا البيان:

إن النتيجة التى توصل إليها المرحوم «الشهيد الثانى» ليست صحيحة، كما أن المعنى الذى ذكره للنسب لم يقل به من بين المفسرين إلا مجاهد، و اما الآخرون فقد فسروه بنحو آخر فلا يكون التفسير الذى مرّ قويا، و ذلك:

(٢) أولاً: لأن «مكة» كانت مركزاً لجميع الاجتماعات كما كانت معبداً للعرب جميعاً، و لا يخفى أن تغيير الحج في كل سنتين مرة واحدة من شأنه أن بسبب الالتباس لدى الناس و يوقعهم فى الخطأ و الاشتباه، و بالتالى يتعرض ذلك الاجتماع العظيم، و تلك العبادة الجماعية الى خطر الزوال.

و لهذا يستبعد ان ترضى قريش و المكيون بان يخضع ما هو وسيلة لعزتهم و افتخارهم للتغيير و التبدل الذى من عواقبه ان يتعرض وقته و مواعده للنسيان، فيذهب ذلك الاجتماع، و يزول من الاساس.

(٣) ثانياً: إذا أخضعنا ما قاله «الشهيد الثانى» لمحاسبة دقيقة فان كلامه يستلزم ان تكون ايام التشريق و الحج فى السنة التاسعة من الهجرة واقعة فى شهر ذى القعدة لا جمادى الاولى فى حين أن امير المؤمنين علياً عليه السلام كلف فى هذه السنة بالذات بأن يقرأ سورة البراءة على المشركين فى ايام الحج، و المفسرون و المحدثون متفقون على أنه عليه السلام تلاها عليهم فى العاشر من شهر ذى الحجة ثم امهلهم اربعة أشهر ابتداء من شهر ذى الحجة لا ذى القعدة «١».

(٤) ثالثاً: ان النسب يعنى أن العرب حيث لم يكن لديهم مصدر صحيح للرزق بل كانوا يعيشون فى الاغلب، على النهب و الغارة لهذا كان من الصعب عليهم ترك الحرب، فى الأشهر الحرم الثلاث (و هى ذو القعدة و ذو الحجة، و المحرم) لهذا ربما طلبوا من سدنة الكعبة بأن يسمحوا لهم بالقتال فى شهر المحرم، ثم يتركون

(١) و لقد قام العلامة المجلسى فى بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٥٣ بهذه المحاسبة، و ان لم يشر الى الإشكال الذى أوردناه فليراجع.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠٨.

الحرب فى شهر صفر، و هذا هو معنى النسب فلم يكن نسبى و تأخير للشهر الحرام فى غير شهر محرم، و فى الآية نفسها اشارة الى هذا المطلب: «يحلونه عاماً و يحرمونه عاماً».

و الذى نراه فى حل هذه المشكلة هو: أن العرب كانوا يحجون فى وقتين: أحدهما شهر ذى الحجة، و الثانى شهر رجب، و قد كانوا يؤدون كل مناسك الحج فى هذين الوقتين على السواء، فيمكن أن يكون المقصود من حمل «آمنة» برسول الله صلى الله عليه وآله فى ايام التشريق هو شهر رجب فإذا اعتبرنا يوم ولادته هو السابع عشر من شهر ربيع الاول كانت مدة حمل «آمنة» به ثمانية أشهر و

اياما.

**الاحتفال بذكرى المولد النبوي:**

و ينبغي ان يحتفل المسلمون جميعا بمولد النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، و يقيموا المهرجانات الكبرى في هذه المناسبة الشريفة التي كانت مبدأ الخير و البركة، و منشأ السعادة و الكرامة للبشرية جمعاء، و أية مناسبة اخرى بالاحتفال و الاحتفاء من هذه المناسبة؟

على ان اقامه مثل هذه الاحتفالات هو نوع من تكريم رسول الله صلى الله عليه وآله و هو أمر مطلوب و محبوب في الشريعة المقدسة. فقد قال الله تعالى:

«فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١).

و عزّر بمعنى كرم و بحيل كما في اللغة (٢) و هو لا- يختص بزمان دون زمان، فعلى المسلمين في كل وقت و زمان ان يعظّموا شأن رسول الله صلى الله عليه وآله، و يكرّمونه، سواء في حياته أو بعد مماته، لما له من فضل عظيم على الناس، و لما

(١) الأعراف: ١٥٧.

(٢) راجع مفردات الراغب: مادة عزّر.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٠٩

له من منزلة عند الله تعالى.

كيف لا و الاحتفال بميلاده لا يعنى سوى ذكر أخلاقه العظيمة، و سجايه النبيلة، و الاشادة بشرفه و فضله و هي امور مدحه القرآن الكريم بها اذ قال سبحانه: «وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» (١) و قال تعالى أيضا: «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» (٢) و غير ذلك من الآيات المادحة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

فان الاحتفال بميلاد رسول الله صلى الله عليه وآله الذى يتحقق بذكر صفاته و أخلاقه و الاشادة به خير مصداق لرفع ذكره، الذى فعله الله بنحو ما.

و لو كان رفع ذكر النبي صلى الله عليه وآله، أمرا غير جائز و لا صحيح، بل فعلا قبيحا لما فعله الله، فيكفى في حسنه و صحته بل و مشروعيته و مطلوبيته ان الله تعالى فعله بالنسبة لنبه صلى الله عليه وآله.

و هل يكون الاحتفال بمولد رسول الله صلى الله عليه وآله، و اظهار السرور و الشكر لله تعالى بمقدم نبيه المبارك عبادة للنبي كما يزعم البعض اذ يقول:

«الذكريات التي ملأت البلاد باسم الاولياء هي نوع من العبادة لهم و تعظيمهم» (٣).

و الحال ان العبادة في مفهومها الاصطلاحى الموجب للشرك و الكفر ليس إلّا الخضوع لمن يعتقد بالوهيته و تعظيمه بهذه النية (٤) و اين هذا من ذكر فضائل النبي في يوم مولده و الابتهاج بمقدمه و الشكر لله على ولادته.

ثم ان تعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ينطلق من كونه عبدا مطيعا لله تعالى، ادى رسالته بصدق و اخلاص، و جسّد بسلوكة و سيرته كل مكارم الاخلاق أصدق تجسيد فالاحتفال بمولده الكريم احتفال بالقيم السامية، و شكر لله على منّه، و اظهار للحب الكامن في النفوس ليس إلّا.

و الزعم بانه محرّم لكونه بدعة، او لأنه لا يخلو عن اشتماله على منكرات

(١) القلم: ٤.

(٢) الانشراح: ٤.

(٣) فتح المجيد: ص ١٥٤، ثم نقل عن كتاب قرّة العيون ما يشابه هذا المضمون.

(٤) راجع مفاهيم القرآن في معالم التوحيد: ص ٤٠٤ - ٤٤٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١٠

و محرمات كالرقص و الغناء فهو مرفوض، مردود لان الكلام انما هو حول اصل الاحتفال مجردا عن المحرمات و المنكرات. ان الاحتفاء و الاحتفال بمولد خاتم النبيين رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم انما هو تكريم لمن كرمه الله تعالى، و امر بتكريمه، و حث على احترامه و حبه، و مودته، و انه بالتالي اداء شكر لله تعالى على تلك الموهبة العظيمة، و تلك العطية المباركة حيث من سبحانه على البشرية عامة و على المسلمين خاصة بأن شرف الارض بمولود عظيم نعمت الارض ببركة شخصيته و خلقه، و اشرفت بنور رسالته و دعوته، فايه نعمه ترى اولى بالشكر من هذه، و أى شكر اجمل و افضل من الاحتفاء بمولد هذا النبي العظيم صلى الله عليه وآله، و ذكر فضائله، و مناقبه، للتعرف عليها، و الاقتداء بها، و تشديد الحب له بسببها، و الابتهاال الى الله في يوم ميلاده، و طلب التوفيق الالهى لمتابعته، و السير على نهجه، و الدفاع عن رسالته، و الذبّ دون دينه، بعد الشكر لله تعالى على موهبته هذه؟؟ هذا و لقد درج المسلمون في العصور الإسلامية الاولى على الاحتفال بذكرى المولد النبوي و أنشؤا القصائد الرائعة في مدحه، و ذكر خصاله و مكارم اخلاقه، و اظهروا السرور بمولده و الشكر لله تعالى بلطفه، و تفضله به صلى الله عليه وآله على البشرية. قال الإمام الديار بكرى في تاريخ الخميس في هذا الصدد:

لا يزال أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام و يعملون الولائم، و يتصدقون في لياليه بانواع الصدقات و يظهرون السرور، و يزيدون في المبرات و يعنون بقراءة مولده الكريم، و يظهر عليهم من بركاته كل فضل عظيم «١».

أجل ينبغي على المسلمين ان يحتفلوا بمقدم نبيهم الكريم و لا- يعبؤا بما قاله البعض حيث قال: «الذكريات التي ملأت البلاد باسم الاولياء هي نوع من

(١) تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس: ج ١ ص ٢٢٣ نقلا عن المواهب اللدنية: ج ١ ص ٢٧ للقسطلاني. سيد المرسلين ج ١ ص ٢١١ الاحتفال بذكرى المولد النبوي: ..... ص: ٢٠٨

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١١

العبادة لهم و تعظيمهم» «١».

فهذا القول مغالطة صريحة، ان لم يكن نابعا عن الغافلة و الجهل بعد ان تبين حقيقة الاحتفال و اقامة الذكريات احتفاء بالمولد النبوي «٢».

(١)

### مراسم تسمية النبي صلى الله عليه وآله:

حلّ اليوم السابع من الميلاد المبارك، فعقّ عبد المطلب عن النبي بكبش شكرا لله تعالى و دعا جماعة ليشاركوا في الاحتفال الذي حضره عامة قريش لتسمية النبي، و سمّاه «محمّدا»، و عند ما سأله عما حمّله على أن يسمى هذا الوليد المبارك «محمّدا» و هو اسم لم يعرفه العرب إلا نادرا أجاب قائلا: أردت أن يحمّد في السماء و الأرض «٣».

و الى ذلك يشير حسان بن ثابت بقوله:

فشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود و هذا محمد «٤» و من المسلم أن هذا الاختيار لم يكن ليتم من دون دخالة للإلهام الالهي، لأن اسم «محمد» و إن كان موجودا عند العرب إلا أنه قلّ من كان قد تسمى بهذا الاسم، فحسب ما استقصاه بعض المؤرخين لم يتسم به الى ذلك اليوم من العرب إلا ستة عشر شخصا كما يقول شاعرهم:

إن الذين سموا باسم محمد من قبل خير الخلق ضعف ثمان «٥» و لا يخفى أن ندره المصاديق لأى لفظ من الالفاظ أو اسم من الأسماء من شأنها أن تقلل فرص الاشتباه فيه، و حيث أن الكتب السماوية كانت قد أخبرت عن اسم النبي الخاتم صلى الله عليه وآله و صفاته، و علائمه الروحية و الجسمية، لذلك يجب أن تكون علائمه صلى الله عليه وآله واضحة جدا جدا

(١) هوامش الفتح المجيد.

(٢) راجع للتوسع: معالم التوحيد فى القرآن الكريم.

(٣) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٧٨ و ٧٩.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٢٠، و السيرة الحلبية: ج ١ ص ٧٨ و ٧٩.

(٥) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٨٢ ثم يذكر صاحب السيرة اولئك الأشخاص فى بيتين آخرين.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١٢

حتى لا يتطرق إليها التباس أو اشتباه، و قد كان من علائمه صلى الله عليه وآله اسمه الشريف، فيجب أن تكون مصاديقها قليلة جدا حتى يزيل ذلك أى عروض للشك و التردد فى تشخيص النبى الاكرم صلى الله عليه وآله خاصة إذا ضمت إليه بقية أوصافه و علائمه، و خصوصياته.

(١)

### خطأ المستشرقين:

لقد ذكر القرآن الكريم اسمين او عدة أسماء للنبى الاكرم صلى الله عليه وآله.

ففى سورة آل عمران و محمد و الأحزاب و الفتح فى الآيات ١٤٤ و ٢ و ٤٠ و ٢٩ «١» سماه «محمد» «٢».

و فى سورة الصف الآية ٦ «٣» دعاه «أحمد».

و العلة فى تسميته بهذين الاسمين أن امه «آمنة» سمته «أحمدا» قبل أن يسميه جده، كما هو مذكور فى التاريخ.

و على هذا فان ما ذكره بعض المستشرقين - فى معرض الاعتراض - بأن الإنجيل - حسب تصريح القرآن الكريم فى سورة الصف الآية

٦- بشر بنى اسمه «أحمد» لا «محمد» كلام لا اساس له و لا مبرر، لأن القرآن الكريم الذى سمي نبينا ب: «أحمد» سماه فى عدة

مواضع ب: «محمد» فإذا كان المصدر فى تعيين اسم النبى هو: القرآن الكريم، فان القرآن سماه بكلا الاسمين، فى موضع باسم

(١) يعتقد البعض أن هذا ليس اسما للنبى صلى الله عليه وآله بل هو من الحروف المقطعة فى القرآن.

(٢) قال تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ».

و قال تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ».

و قال سبحانه: «مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ».

و قال عز و جل: «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ».

(٣) اذ قال سبحانه: «وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ».

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١٣  
«محمد»، و في موضع آخر باسم «احمد».

(١)

### «أحمد» كان من أسماء النبي المشهورة:

كل من كان له ادنى إمام بتاريخ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم علم أنه صلى الله عليه وآله كان يدعى باسمين في الناس منذ صغره أحدهما:

«محمد» الذي سمّاه به جده «عبد المطلب»، و الآخر «أحمد» الذي سمته به أمه «آمنة».

و هذه حقيقة من حقائق التاريخ الإسلامي، و قد روى المؤرخون هذا الأمر، و يمكن للقارئ الكريم أن يقرأه في السيرة الحلبية (١).  
و لقد أنشأ عمّه «أبو طالب» - الذي انيطت إليه كفالتة بعد وفاة عبد المطلب، فبقى يقوم بهذه المهمة طوال اثنتين و أربعين عاما بكل حرص و رغبة، و لم يمتنع في هذا السبيل عن بذل كل ما استطاع من غال و رخيص أنشأ في ابن أخيه أبياتا سمّاه في بعضها «محمد» و في بعضها الآخر «أحمد»، و هذا يكشف عن انه صلى الله عليه وآله كان معروفا آنذاك بكلا الاسمين.

(٢) و إليك فيما يأتي بعض هذه الأبيات التي سمى فيها «أبو طالب» النبي باسم احمد:

-١

إن يكن ما أتى به أحمد اليوم سناء و كان في الحشر دينا ٢-

و قوله لأحمد أنت امرؤ خلوف الحديث ضعيف النسب ٣-

و إن كان أحمد قد جاءهم بحق و لم يأتهم بالكذب ٤-

أرادوا قتل أحمد ظالموه و ليس بقتلهم فيهم زعيم ٥-

ألا إن خير الناس نفسا و والدا إذا عدّ سادات البرية أحمد ٦-

فلسنا و بيت الله نسلم أحمد العزاء من عض الزمان و لا كرب (٢) و قد سمى «أبو طالب» النبي صلى الله عليه وآله في أبيات اخرى بأحمد

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٨٢ و ٨٣.

(٢) ديوان أبي طالب عليه السلام.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١٤

أيضا قد ذكرها كبار المحققين من المؤرخين و المحدثين و نسبوا الى أبي طالب و لكنها غير موجودة في ديوانه (١).

كما و أنه قد سمّاه غير ابى طالب في أبياته بأحمد ممّا يدل على أنه كان مشتهرا بهذا الاسم في ذلك الزمان، و تلك الابيات كثيرة تفوق حدّ الحصر و الاحصاء لكننا نقل نماذج منها هنا:

قال حسان بن ثابت في رثائه للنبي صلى الله عليه وآله:

مفجعة قد شفها فقد أحمد فظلت لآلاء الرسول تعدد

أطالت و قوفا تذرّف العين جهدها على طلل القبر الذي فيه أحمد (٢) و قال في رثائه أيضا:

صلى الاله و من يحيق بعرشه و الطيبون على المبارك احمد (٣) و قال في رثاء جعفر بن أبى طالب الطيّار:

فمن كان أو يكون كأحمد نظام الحق او نكال لمحمد (٤)

وقال حسان وهو يذكر معجزة من معاجز النبي صلى الله عليه وآله:  
 ففي كَفِّ أحمد قد سبحت عيون من الماء يوم الظمأ «٥» وقال كعب بن مالك:  
 فهذا نبي الله أحمد سبحت صغار الحصى في كَفِّه بالترتم «٦» وقال «ورقة بن نوفل» يوم أخبرته خديجة بنزول الوحي على النبي صلى  
 الله عليه وآله:

(١) مثل قوله:

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد وأحبته حب الحبيب الموصل

زعمت قريش أن أحمد ساحر كذبت وربّ الرافصات إلى الحرم راجع ديوان أبي طالب، و سيرة ابن هشام: ج ١ ص ٢٧٢، و شرح  
 النهج لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٧٩ وغيرها.

(٢) ابن هشام في سيرته: ج ٢ ص ٦٦٧ و ٦٦٦، و ابن سعد في طبقاته: ج ٢ ص ٣٢٣.

(٣) ابن هشام في سيرته: ج ٢ ص ٦٦٧ و ٦٦٦، و ابن سعد في طبقاته: ج ٢ ص ٣٢٣.

(٤) شاعر عهد الرسالة: تحقيق محمد عزت نصر الله.

(٥) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٤١٣ و ٤١٥.

(٦) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٤١٣ و ٤١٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١٥ فإن يك حقا يا خديجة فاعلمي حديثك إيانا فاحمد مرسل «١» وقالت عاتكة بنت عبد المطلب ترثي  
 النبي صلى الله عليه وآله:

يا عين جودي ما بقيت بعبرة سحا على خير البرية أحمد «٢» وقال العباس في مناسبة تزويج النبي صلى الله عليه وآله بخديجة:

أحمد سيد الوري خير ماش و راكب «٣»

(١)

### فترة الرضاع في حياة النبي صلى الله عليه وآله:

لم يرتضع وليد قريش المبارك «محمد» من أمه سوى ثلاثة أيام، ثم حظيت بفخر إرضاعه - بعد ذلك - امرأتان هما:

(٢) ١- «ثوية» مولاة «أبي لهب»، و قد أرضعته أربعة أشهر فقط، و كان النبي صلى الله عليه وآله و زوجته الوفية: «خديجة بنت  
 خويلد» يقدران هذا العمل لها حتى آخر لحظات حياتها «٤».

و «ثوية» هذه كانت قد أرضعت قبل ذلك «حمزة» عم النبي صلى الله عليه وآله و «أبا سلمة بن عبد الله المخزومي» أيضا فكانوا  
 إخوة من الرضاعة «٥».

و قد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بعد مبعثه، من يشتريها من «أبي لهب» ليعتقها فابي «٦».

و كان النبي صلى الله عليه وآله و آله يكرمها كلما دخلت عليه، و كان يبعث إليها بالصلة إلى أن بلغه خبر وفاتها عند منصرفه من وقعة  
 «خيبر» فسأل عن ابنها فقيل: مات قبلها، فسأل عن قرابتها، فقيل: لم يبق منهم أحد «٧».

(٣) ٢- «حليمة السعدية» بنت ابي ذؤيب التي كانت من قبيلة سعد بن بكر بن هوازن، و كان أولادها عبارة عن: «عبد الله»، «أنيسة»،

«شيماء»، و قد

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٩٥.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٢٦.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٧٢.

(٤) تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس: ج ١ ص ٢٢٢.

(٥) السيرة النبوية: ج ٣ ص ٩٦.

(٦) الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٢٧١.

(٧) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٢٢٢-٢٢٥ نقلا عن سيرة مغلطاي وغيره.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١٦

قامت آخر أولادها وهي «الشيما» بحضائه النبي صلى الله عليه وآله أيضا:

وقد كان من عادة العرب يومذاك هو أن يدفعوا أولادهم الرضعاء إلى المراضع اللائق كنّ يعشن في البوادي لينشئوا في تلك البيئات المعروفة بطيب هوائها، وقلّة رطوبتها، و عذوبة مائها ببنية قوية، هذا مضافا إلى صيانتهم عن خطر الوباء الذي كان يهدد الأطفال في «مكة»، ولأن ذلك كان له مدخل عظيم، وتأثير بليغ في فصاحة المولود لسلامة لغه أهل القبائل الساكنة في البوادي آنذاك.

(١) وكانت مراضع بني سعد من المشهورات بهذا الأمر بين العرب، فقد كانت نساء هذه القبيلة التي كانت تسكن حوالى «مكة» و نواحي الحرم يأتين «مكة» في كل عام في موسم خاص يلتمسن الرضعاء و يذهبن بهم إلى بلادهنّ حتى تتم الرضاعة. و كان النبي صلى الله عليه وآله قد تجاوز شهره الرابع لما قدمت نساء من بني سعد «مكة» يلتمسن الرضعاء في سنة جدب و قحط، و لهذا كنّ بحاجة شديدة إلى مساعدة أشرف «مكة» و اعيانها.

(٢) و يقول بعض المؤرخين: أنه لم تقبل أئمة واحدة من تلك المراضع أن تأخذ «محمّدا» بسبب يتمه، و قد كان اغلبهن يردن أن تأخذن من يكون له أب حيّ حتى يغدق عليهنّ بالمساعدات و الصّيلات، و حتى «حليمة» هي الاخرى أبت أخذه، و لكنّها أيضا لم تحصل على طفل لهزال جسمها، فاضطرت الى أن تأخذ حفيد «عبد المطلب» و قالت لزوجها: و الله لأذهبنّ الى ذلك اليتيم فلاخذنه، فقال لها زوجها: لا عليك ان تفعلين، عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة.

و لقد اصاب الزوجان في ظنهما هذا، فمنذ أن أبدت «حليمة» استعدادها لخدمة ذلك اليتيم شملت اللطاف الالهية كل مجالات حياتها. «١»

(٣) إن القسم الأول من هذه القصة ليس سوى اسطورة، لأن مكانة البيت

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٦٢ و ١٦٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١٧

الهاشمي الرفيعة، و شخصية رجل عرف بكمال الجود و الاحسان، و بعون المحتاجين و المحرومين كانت سببا في أن لا- تعرض المرضعات عن اخذ «محمّد» فحسب، بل يتنازعن على اخذه و لهذا لا يكون هذا القسم من التاريخ سوى اسطورة تكذبها الحقائق. و اما علّة عدم اعطائه صلى الله عليه وآله و سلّم الى غير «حليمة» من المرضعات فهي: أن وليد قريش لم يقبل أى ثدى من أئداء تلكم المرضعات، و لم يزل كذلك حتى قبل ثدى «حليمة السعدية»، فسّر بذلك «عبد المطلب» و أهله سرورا عظيما، بعد أن حزنهم امتناعه عنهنّ قبل ذلك «١».

قالت «حليمة»: استقبلنى عبد المطلب فقال: من أنت، فقلت: أنا امرأة من بنى سعد، قال: ما اسمك؟ قلت: حليمة، فتبسّم «عبد المطلب» و قال: بخ بخ سعد و حلم، خصلتان فيهما خير الدهر، و عز الأبد «٢».

## نظرة الإسلام في تأثير الرضاع:

و هنا ينبغي بالمناسبة أن نشير الى نظرة الإسلام في تأثير الرضاع في شخصيَّة الإنسان. فقد سبق الإسلام العلم الحديث في الكشف عن آثار اللبن في تكوين الإنسان الخلقى و النفسى و العضوى سلبيًا و إيجابيًا. و لهذا حثَّ الإسلام على استرضاع الام، كما حث على اختيار المرضعات الصالحات و نهى عن استرضاع اليهودية و المجوسية و النصرانية و المجنونة منعا من انتقال طباعهن إلى الطفل عن طريق الوليد. و استكمالاً لهذا البحث نورد جملة من الأحاديث التي تصرح بهذه الحقيقة العلمية الهامة:

١- قال امير المؤمنين على عليه السلام:

(١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٣٤٢ و ٣٤٣.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٨٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١٨

«تخيروا للرضاع كما تخيرون للنكاح فان الرضاع يغيّر الطباع» (١).

٢- و عنه عليه السلام أيضا:

«انظروا من يرضع أولادكم فإن الولد يشبّ عليه» (٢).

٣- عن الإمام ابى جعفر الباقر عليه السلام انه قال:

«لا تسترضعوا الحمقاء فان اللبن يعدى، و إن الغلام ينزع إلى اللبن...» (٣).

٤- و عنه عليه السلام أيضا:

«استرضع لولدك بلبن الحسان و إياك و القباح فإن اللبن قد يعدى» (٤).

٥- و عن على عليه السلام انه قال:

«ما من لبن يرضع به الصبى أعظم بركةً عليه من لبن امه» (٥).

(١) قرب الأسناد: ص ٤٥.

(٢) فروع الكافي: ج ٢ ص ٩٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج ١٥ ص ١٨٨.

(٤) التهذيب: ج ٢ ص ٢٨٠.

(٥) روضة المتقين: ج ٨ ص ٥٥٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢١٩

(١)

## ٦ فترة الطفولة في حياة النبي صلى الله عليه وآله



إن صفحات التاريخ تشهد بأن حياة رسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من بداية طفولته و أوان صباه و إلى يوم بعثه بالرسالة كانت مشحونة بسلسلة من الحوادث العجيبة التي تعد بأجمعها من كراماته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتدل على أن حياة النبي لم تكن حياة عادية.

(٢) و ينقسم المؤلفون في تفسير هذه الحوادث الى طائفتين:

(٣)

### ١- الماديون، و جماعة من المستشرقين:

فان العلماء الماديين الذين يحدسون الوجود في نطاق المادة، و يعتبرون جميع الظواهر ظواهر مادية، و ينحتون لكل واحدة منها علة طبيعية، لا يهتمون بهذه الحوادث و لا يعيرونها أية أهمية، لامتناع و استحالة وقوع أمثال هذه الظواهر حسب النظرة المادية، و لهذا فكل ما يصادفونه في ثنايا التاريخ من هذا الباب يعتبرونه من ولائد الخيال، و مما نسجته اوهام التابعين لذلك الدين، او الطريقة. و قد تبعمهم في هذا الموقف جماعة من المستشرقين فرغم أنهم يعتبرون انفسهم - حسب الظاهر - في عداد الموحدين، و المؤمنين بالله، و بما بعد الطبيعة من عوالم الغيب، إلّا أنهم - لضعف إيمانهم و بسبب غرورهم العلمي، و غلبة النزعة المادية على أفكارهم و أذهانهم - اتبعوا - لدى تحليلهم لهذه الحوادث - المنهج المادي، فنحن

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٢٠

نقرأ في كتاباتهم مرارا و تكرارا زعمهم بان النبوة ما هي إلّا نبوغ بشري، و أن النبي مجرد نابغة اجتماعية استطاع تغيير مسار الحياة البشرية بفكاره التيرة!!

(١) و لا شك أن مثل هذا التصور ينبع من طريقة التفكير المادي الذي يعتبر جميع الأديان من ولائد الفكر البشري و افرازات الذهن الانساني، في حين ان علماء العقيدة اثبتوا في: مباحث «النبوة العامة» ان النبوة عطية إلهية، و موهبة ربانية هي في الحقيقة منشأ جميع الالهامات و الارتباطات المعنوية، و مصدر لمنهج الأنبياء و برامجهم، ليست أبدا وليدة نبوغهم الإنساني، و لا نسيجة فكرهم البشري، و ليس لها مصدر إلّا الإلهام من الغيب، و لكن عند ما ينظر المستشرق المسيحي الى هذه القضايا من زاوية الفكر المادي و يريد تفسير جميع هذه الظواهر بالاسس العلمية التي كشف عنها التجربة ينتقد مثل هذه الحوادث ذات الطابع الاعجازي، و ربما انكرها من الاساس.

(٢) ٢- المؤمنون بالله: الذين يعتقدون بأن العالم المادي بجميع خصوصياته و خواصه يخضع لتدبير عالم آخر، و أن ذلك العالم (اي عالم التجرد و ما وراء الطبيعة) هو المنظم لهذه الطبيعة، و هو المدبر لهذا الكون المادي.

و بعبارة اخرى إن عالم المادة ليس عالما مسييا، مستقلا عن غيره، و ان جميع الانظمة و القوانين الطبيعية و العلمية مسببة عن تأثيرات موجودات عليا، و بخاصة ناشئة عن إرادة الله الخالق، الذي اعطى للمادة وجودها، و أوجد القوانين و العلاقات الصحيحة بين أجزائها، و بنى بقاءها على سلسلة من النواميس الطبيعية.

إنّ هذا الفريق من الناس مع احترامهم للقوانين العلمية، و اذعانهم الصادق بما قاله العلماء في صعيد العلاقات، و الروابط القائمة بين القوانين ممّا أثبتته العلم و أكدده، يعتقدون بأن مثل هذه القوانين الطبيعية ليست امورا لا تقبل التغيير، و التبدل.

فهم يعتقدون بأن العالم الاعلى يمكنه - إذا أراد - أن يغيّر تلك القوانين لغايات خاصة، و ليس في مقدوره ذلك فقط، بل فعل ذلك في جملة من الموارد

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٢١

لأهداف عليا.

(١) وعبارة أخرى: إن الأفعال الخارقة للعادة ليست ظواهر عارضة عن العلة، بل إن علتها غير طبيعية، وافتقاد العلة الطبيعية (وخاصة العلة الطبيعية غير المعروفة) ليس دليلاً على افتقاد مطلق العلة.

والخلاصة؛ إن قوانين الخلق ليست بحيث لا يمكن تبديلها، وتغييرها بارادة بارئها وخالقها.

إنهم يقولون: إن جميع خوارق العادة، وجميع أفعال الأنبياء العجيبة التي تتصف بصفة الاعجاز، والخارجة عن اطار القوانين الطبيعية، تتحقق من هذه الزاوية.

إن هذا الفريق من الناس لا يسمحون لأنفسهم بان يرفضوا الأعمال الخارقة للعادة، والكرامات التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، والأحاديث، أو وردت في المصادر التاريخية الصحيحة المعتبرة، أو يشكوا فيها بحجة أنها لا توافق الموازين الطبيعية، والقوانين العلمية. (٢) وها نحن نشير إلى قضيتين عجبتين وقعتا في فترة الطفولة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومع اخذ ما قلناه بنظر الاعتبار لا يبقى أى مجال للترديد، أو الاستبعاد:

(٣) ١- لقد نقل المؤرخون عن «حليمة السعدية» قولها بأنها لما تكفلت إرضاع النبي صلى الله عليه وآله أرادت أن ترضعه في محضر أمها، ففتحت جيبها وأخرجت ثديها الأيسر، وأخذت رسول الله صلى الله عليه وآله فوضعت في حجرها، ووضعت ثديها في فمه، فترك النبي صلى الله عليه وآله ثديها، و مال إلى ثديها الأيمن، فاخذت «حليمة» ثديها الأيمن من يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووضعت ثديها الأيسر في فمه وذلك أن ثديها الأيمن كان جهاما (أى خاليا من اللبن ولم يكن يدر به)، وخافت «حليمة» أن النبي صلى الله عليه وآله إذا مصّ الثدي ولم يجد فيه شيئا لا يأخذ- بعده- الأيسر. ولكن النبي أصرّ على أخذ الثدي الأيمن، فلما مصّ صلى الله عليه وآله الأيمن امتلأ فانفتح حتى ملأ شذقيه

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٢٢

فادهش الجميع ذلك (١).

(١) ٢- وتقول «حليمة» أيضا: إن البوادي أجذبت وحملنا الجهد على دخول البلد، فدخلت مكة مع نساء بنى سعد فأخذت رسول الله صلى الله عليه وآله فعرفنا به البركة والزيادة في معاشنا ورياشنا حتى أثرينا، وكثرت مواشينا، وأموالنا (٢).

إن من المسلم أن حكم الماديين، او من يحذو حذوهم ويتبع منهجهم في هذه المسائل يختلف عن حكم المؤمنين بالله.

فان أتباع المنهج المادى اذ عجزوا عن تفسير هذا النوع من القضايا من زاوية العلوم الطبيعية، نجدهم يبادرون الى اعتبار هذه الحوادث من نسج الخيال، و من ولائد الاوهام، و اما اذا كانوا اكثر تأدبا لقالوا: إن رسول الإسلام ليس بحاجة إلى أمثال هذه المعاجز.

و نحن نقول: لا نقاش فى أن النبي صلى الله عليه وآله غنى عن هذه المعاجز إلا أن عدم الحاجة شىء، والحكم بصحة هذه الامور او بطلانها شىء آخر.

و أما المؤمن بالله الذى يرد النظام الطبيعى، إلى مشيئة الله خالق الكون و ارادته العليا، و يعتقد بأن كل الحركات و الظواهر فى العالم الطبيعى من اصغر اجزائه (الذرة) الى اكبر موجوداته (المجرة) يجرى تحت تدبيره، و نظارته، فانه بعد التحقق من مصادر هذه الحوادث و التأكد من وقوعها ينظر إليها بنظر الاحترام، و أما إذا لم يطمئن إليها لم يرفضها رفضا قاطعا.

(٢) و لقد ورد فى القرآن الكريم نظائر عديدة لهذه القصة حول «مريم» أم عيسى فالقرآن يخبرنا عن تساقط الرطب الجنى من جذع النخلة اليابسة كرامة لوالده المسيح عند ما لجأت إليه مريم عند المخاض إذ يقول:

«... أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَ هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا» (٣).

(١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٣٤٥ و ٣٤٦.

(٢) المناقب لابن شهر اشوب: ج ١ ص ٢٤.

(٣) مريم: ٢٤ و ٢٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٢٣

إنه وإن كان الفرق بين «مريم» و «حليمة» شاسعا و كبيرا من حيث الملكات الفاضلة و المكانة، و المنزلة، إلا أن منزلة «مريم» عليها السلام لو استوجبت مثل هذا اللطف الالهي، ففي المقام استوجب نفس مقام الوليد العظيم، و مكانته عند الله تعالى أن تشمل العناية الالهية.

كما انه قد جاء في القرآن الكريم حول مريم عليها السلام امور اخرى مشابهة.

ان عصمة هذه المرأة الطاهرة، و تقاها و طهرها البالغ كانت بحيث أن «زكريا» كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا، فاذا سألتها: من أين لك هذا قالت: هو من عند الله؟ «١».

و على هذا الأساس يجب أن لا تردّد و لا نسمح لانفسنا بأن نشك في مثل هذه الكرامات، أو نستبعداها.  
(١)

### خمسة أعوام في الصحراء:

أمضى وليد «عبد المطلب» في قبيلة «بنى سعد» مدة خمسة أعوام، بلغ فيها أشده.

و خلال هذه المدة اخذته «حليمة» إلى امه مرتين أو ثلاث، و قد سلمته إلى أمه في آخر مرة.

و كانت المرة الاولى من تلك المرات عند فطامه، و لهذا السبب أتت به صلى الله عليه وآله «حليمة» الى مكة و لكنها عادت به إلى الصحراء باصرار منها، و كان السبب وراء هذا الاصرار على اصطحابها معها إلى البادية هو أن هذا الوليد قد أصبح مبعث خير و رخاء، و بركة في منطقتها، و قد دفع شيوع مرض الوباء في «مكة» إلى ان تقبل امه الكريمة بهذا الطلب «٢».

(٢) و أما المرة الثانية من تلك المرات فكانت عند ما قدم جماعة من نصارى

(١) «... وَ كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». (آل عمران: ٣٧).

(٢) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٤٠١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٢٤

الحبشة الى الحجاز، فوقع نظرهم على محمّد صلى الله عليه وآله في «بنى سعد»، و وجدوا فيه جميع العلامات المذكورة في الكتب السماوية للنبي الذي سيأتي بعد عيسى المسيح عليه السلام، و لهذا عزموا على أخذه غيلة الى بلادهم لما عرفوا ان له شأنًا عظيما، لينالوا شرف احتضانه و يذهبوا بفخره «١».

(١) و لا مجال لاستبعاد هذه القضية لأن علائم النبي صلى الله عليه وآله ذكرت في الانجيل حسب تصريح القرآن الكريم، فلا يبعد أن علماء النصارى قد تعرّفوا في ذلك الوقت على النبي من العلامات التي قرءوها و درسوها في كتبهم.

يقول القرآن الكريم في هذا المجال:

«وَ إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» «٢».

ثم إن في هذا الصعيد آيات أخر صرحت بجلاء بأن علائم رسول الإسلام في الكتب السماوية الماضية في وضوح، و من غير إبهام، و أن الامم السابقة كانت على علم بهذا الأمر «٣».

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٦٧.

(٢) الصف: ٦.

(٣) «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ».  
(الأعراف: ١٥٧).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٢٥

(١)

## ٧ العودة إلى أحضان العائلة

### إشارة

لقد خلقت يد القدرة الالهية كل فرد من أفراد النوع الانساني لأمر معين، فهناك من خلق لاكتساب العلم والمعرفة، وهناك من خلق للاختراع والاكتشاف، و ثالث خلق للسعى والعمل، وبعض للتدبير والسياسة وفريق للتدريس والتربية وهكذا. وإن المرين المخلصين الذين يهتمهم تقدم الأفراد أو رقي مجتمعتهم لا يعمدون إلى نصب أحد في عمل من الاعمال ولا يعهدون إليه مسئولية من المسئوليات إلا بعد اختبار سليقته ومواهبه، بغية وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، اذ في غير هذه الحالة يتعرض المجتمع لضررين كبيرين: احدهما: أن لا- يوكل إلى الفرد ما يستطيع القيام به، والثاني: ان يبقى العمل الذي قام به ناقصا، مبتورا.

(٢) وقد قيل في المثل: لكل انسان موهبة، والسعيد هو من اكتشف تلكم المواهب، و اصابها.

وقد ذكروا أن استاذنا كان ينصح تلميذا له كسولا، و يعدد له مزار الكسل والتواني، و يصف له حال من ترك الاشتغال بالعلم، و ضيع ربيع حياته في البطالة والغافلة.

و بينما الاستاذ ينصح تلميذه- و هو يسمع مواعظ استاذة- رأى تلميذه يرسم

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٢٦

بقطعة من الجص صورة على المنضدة، فادرك من فوره أن هذا الصبي لم يخلق للدرس و تحصيل العلم، بل خلقته يد القدرة للرسم، فطلب منه أن يصطحب أباه الى المدرسة في اليوم القادم، ثم قال لوالد الصبي: إذا كان ولدك هذا كسولا في التعلم، و التحصيل فانه يمتلك ذوقا رفيعا في الرسم، و رغبة كبيرة في التصوير.

وقبل الوالد نصيحة المعلم هذه و لم يمض زمان طويل إلا و برع الصبي و غدى قمة في هذا الفن، بعد أن تابع هوايته بشغف و أكثر من ممارستها.

(١) إن فترة الطفولة و الصبا في حياة الأشخاص خير فرصة لأولياء الأطفال بأن يختبروا مواهب أبنائهم، و يتعرفوا عليها من خلال تصرفاتهم، و أفكارهم و ردودهم، لأن حركات الطفل و أقواله الجميلة و الحلوة خير مرآة لما ينطوى عليه من مواهب و قابليات و صفات لو توفرت لها ظروف التربية الصحيحة لأمكن الاستفادة منها على أفضل صورة، و أحسن وجه.

إن مطالعة فاحصة لحياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله و أقواله و أفعاله الى وقت البعثة المباركة توقفنا على صورة كاملة لشخصيته صلى الله عليه وآله و توضح لنا أهدافه العليا، على أن مطالعة صفحات الطفولة في حياته صلى الله عليه وآله فقط لا تكشف لنا عن مستقبله المشرق، بل ان دراسة الصورة الاجمالية لحياته و تاريخه إلى يوم مبعثه الشريف، و إعلانه عن نبوته و قيادته للمجتمع، تخبرنا

عن ذلك المستقبل العظيم، و بالتالى عن هذه الحقيقة و هى أن هذه الشخصية خلقت لأى عمل، و أن ادعاء الرسالة و القيادة له هل ينسجم مع سوابقه التاريخية أم لا؟؟؟

هل تؤيد تفاصيل حياته خلال أربعين سنة قبل الرسالة، و هل تؤيد أفعاله و اقواله، و بالتالى: سلوكه مع الناس و معاشرته الطويلة مع الآخرين رسالته أم لا؟؟؟

(٢) من هنا نعلم الى عرض بعض الصفحات من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله فى أيامها و سنواتها الاولى.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٢٧

لقد حافظت مرضعة النبي صلى الله عليه وآله عليه و آله عليه خمس سنوات، و قامت فى هذه المدة برعاية شؤنه خير قيام، و بالغت فى كفالته و العناية به، و فى خلال هذه المدة تعلم النبي لغة العرب على احسن ما يكون، حتى انه صلى الله عليه وآله كان يفتخر بذلك فى ما بعد اذ كان يقول:

أنا أعربكم (أى أفصحكم) ... و ارضعت فى بنى سعد» (١).

ثم ان «حليمة» جاءت به إلى «مكة»، و بقى عند امه الحنون ردحا من الزمن، و فى كفالته جده العظيم: «عبد المطلب» ردحا آخر منه، و كان هو السلوة الوحيدة لا قاربه و البقية الباقية من أبيه: «عبد الله» (٢).

(١)

### سفرة إلى يثرب:

منذ أن فقدت كنية «عبد المطلب» و عروس ابنها: «آمنة» زوجها الشاب الكريم: «عبد الله» باتت تترقب الفرص لتذهب إلى «يثرب» و تزور قبر زوجها الحبيب الفقيده عن كذب، و تزور اقاربها فى يثرب فى نفس الوقت.

و ذات مرة فكرت بأن تلك الفرصة قد سنحت، و أن ولدها «محمد» قد كبر، و يمكنه أن يشاركها فى حزنها، فتهيأت هى و أم ايمن للسفر، و اتجهت نحو يثرب برفقة «محمد»، و لبثت هناك شهرا.

و لقد انطوت (و بالاحرى حملت) هذه السفرة على بعض الآلام الروحىة لوليد قريش «محمد» لأنه صلى الله عليه وآله رأى فيها و لأول مرة البيت الذى توفى فيه والده العزيز، و دفن «٣» و كانت والدته قد حدثته بامور عن والده إلى ذلك الحين.

و كانت لا تزال سحابة الحزن تخيم على روحه الشريفة إذ فوجئ بحادثه مفرحة اخرى، و غشيه موج آخر من الحزن لأنه عند عودته من مكة فقد امه

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٨٩.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٦٧.

(٣) كان البيت الذى يضم قبر «عبد الله» عليه السلام لا يزال موجودا حتى قبيل توسعه الدائرة حول المسجد النبوى الطاهر، و لكنه ازيل بحجة إيجاد تلك التوسعة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٢٨

العزيزة فى اثناء الطريق فى منطقته تدعى ب «الابواء» (١).

(١) إن هذه الحادثة قد عززت مكانة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله و آله فى عشيرته اكثر فأكثر، و جعلته يتمتع بمحبة أزيد منهم، فهو الزهرة الوحيدة من تلك الجنية المباركة، كما انه صار منذ ذلك الحين يتمتع بعناية أكبر من قبل جده «عبد المطلب» و لهذا كان يحبه اكثر من أبنائه، بل و يؤثره عليهم جميعا.

و من ذلك أنه كان يمدّ في فناء الكعبة المعظمة بساط لزعيم قريش «عبد المطلب» فيجلس هو عليه و يتحلّق حوله و جوه قريش و ساداتها و أولاده فإذا وقعت عيناه على بقيه عبد الله «محمد» أمر بأن يفرّج له حتى يتقدم نحوه ثم يجلسه الى جنبه على ذلك البساط المخصوص به «٢».

(٢) ان القرآن الكريم يذكر النبي صلى الله عليه وآله بفترة يتمه و يقول: «ألم يجدك يتيماً فأوى».

إن الحكمة وراء يتم وليد قريش ليست واضحة لنا تمام الوضوح، و لكننا نعلم إجمالاً- بأن سيل هذه الحوادث المؤلمة أحياناً، و المزعجة أحياناً أخرى لم يك خالياً عن حكمه معقولة و مصلحة رشيدة، بيد أننا مع كل هذا يمكن لنا الحدس بأن الله تعالى أراد أن يذوق قائد العالم البشرى و معلمه، و إمام الانسانية و هاديها- و قبل ان يتسلم مهامه، و يزاوّل مسؤولياته العظمى و يبدأ قيادته- حلو الحياة و مرّها، و يجزّب سراء العيش و ضرّاءه، حتى تنهياً لديه تلك الروح الكبرى الصبورة الصامدة، و يدّخر من تلك الحوادث الصعبة تجارب و دروساً، و يعدّ نفسه لمواجهة مسلسل الشدائد و المصاعب، و المشاق و المتاعب التي كانت تنتظره في المستقبل.

(٣) و ربما أراد الله تعالى أن لا تكون في عنق نبيه طاعة لأحد، و لهذا أنشأه حراً خلياً من كل قيد، منذ الايام الاولى من حياته، يصنع نفسه بنفسه و يقيض لها موجبات الرشد، و اسباب الرقي ليتضح أن نبوغه ليس نبوغاً بشرياً عادياً و مألوفاً

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٠٥.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٦٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٢٩

و انه لم يكن لوالديه اى دخل فيه و فى مصيره، و بالتالى فان عظمته الباهرة نابعة من مصدر الوحي، و ليست من العوامل العادية و الاسباب المألوسة المتعارفة.

(١)

### وفاء عبد المطلب:

لقد جرت عادة الحياة ان تتعرض للمرء باستمرار، و تستهدف سفينته حياته كالأمواج المتلاحقة موجّهة ضرباتها القوية لروحه، و نفسه. أجل هذه هي طبيعة الحياة و سنتها مع أفراد النوع الانسانى من دون استثناء.

و لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله بمعزل عن هذه السنّة المعروفة و هذه القاعدة الحياتية العامة.

فلم تكن أمواج الحزن تفارق قلب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لوفاء والديه بعد حتى فاجأته مصيبة كبرى.

إنه لم يكن يمض من عمر النبي صلى الله عليه وآله و آله اكثر من ثمان سنوات إلا و فقد جدّه العظيم «عبد المطلب»، و قد اعتصرت وفاة «عبد المطلب» قلب رسول الله ألماً و حزناً، و كان لها وقع شديد على نفسه المبارك، حتى أنه بكى لفقدته بكاء شديداً و ظلّت دموعه تجرى من أجله إلى أن ورى فى لحدّه، و لم ينس ذكره ابداً!!! «١».

(٢)

### كفالة أبى طالب للنبي صلى الله عليه وآله:

سيكون لنا حديث مفصّل حول شخصيّة أبى طالب فى فصل خاص «٢» و سنثبت هناك إيمانه برسول الله صلى الله عليه وآله بالوثائق و الأدلة القاطعة، و لكنّ من المناسب الآن أن نستعرض بعض الحوادث المرتبطة بفترة كفالته للنبي

(١) كتب اليعقوبي في تاريخه: ج ٢ ص ١٠ و ١١ من تاريخه حول سيرة عبد المطلب، و أنه كان موحدًا لا وثنيًا، و ذكر أن الإسلام أمضى الكثير من سنه.

(٢) في حوادث السنة العاشرة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٣٠

صلى الله عليه وآله.

لقد تكفل أبو طالب- ولأسباب خاصة- رسول الله صلى الله عليه وآله، و تقبل تحمّل هذه المسئولية بفخر و اعتزاز، و لأنّ أبا طالب- مضافا الى العلل المشار إليها- كان أخا لوالد النبي من أمّ واحدة أيضا «١» كما أنّه كان معروفا بجوده و كرمه، و من هنا أوكل «عبد المطلب» أمر كفالة النبي صلى الله عليه وآله حفيده، إليه، و سوف نقص عليك تدريجا سطورا ذهبية من تاريخه، تمثل شاهد صدق على خدماته القيامة، و أياديه الجليّة.

يقولون: إن النبي شارك و هو في العاشرة من عمره جنبا إلى جنب مع عمّه في حرب من الحروب «٢» و حيث أن هذه الحرب وقعت في الأشهر الحرم لذلك سميت بحرب «الفجار» و قد وردت تفاصيل حروب «الفجار» في التاريخ بشكل مسهب.

(١)

### سفرة إلى الشام:

لقد جرت العادة ان يسافر تجار قريش الى الشام كل سنة مرة واحدة

فعزم «ابو طالب» على أن يشارك في رحلة قريش السنوية هذه ذات مرة، و عالج مشكلة ابن اخيه «محمّد» الذي ما كان يقدر على مفارقتها بأنه قرر أن يتركه في مكة في خراسة جماعة من الرجال، و لكنه ساعة الرحيل واجه من ابن اخيه العزيز ما غير بسببه قراره المذكور فقد شاهد «محمّد» و قد اغرورقت عيناه بالدموع لفراق كفيله الحميم «ابى طالب»، فحدثت ملامح «محمّد» الكئيبة طوفانا من المساعر العاطفية في قلب «أبى طالب» بحيث اضطرته إلى أن يرضى

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٧٩، و امهما هي فاطمة المخزومية.

(٢) لقد كتب اليعقوبي في تاريخه: ج ١ ص ١٥ طبعه النجف أن أبا طالب لم يشترك في هذه الحرب قط، كما لم يسمح لبنى هاشم بالمشاركة فيها أيضا، لأنه كان ظلما و عدوانا، و قطيعه رحم و استحلالا للشهر للحرام.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٣١

بمشقة اصطحاب «محمّد» في تلك الرحلة «١».

(١) لقد كانت سفرة النبي صلى الله عليه وآله هذه التي قام بها بصحبة عمّه و كافلة «ابى طالب» في الثانية عشرة من عمره، من اجمل و أطرف أسفاره صلى الله عليه وآله و سلم لأنه صلى الله عليه وآله عبر فيها على: «مدين» و «وادي القرى» و «ديار ثمود» و اطلع على مشاهد الشام الطبيعية الجميلة.

و لم تكن قافلة قريش التجارية قد وصلت إلى مقصدها حتى حدثت في منطقة تدعى «بصرى» قضية غيرت برنامج «ابى طالب» و تسببت في عدوله عن المضى به في تلك الرحلة و القفول الى مكة.

(٢) و إليك فيما يلي مجمل هذه القضية:

كان يسكن في «بصرى» من نواحي الشام راهب مسيحي يدعى «بحيرا» يتعبّد في صومعته، يحترمه النصارى في تلك الديار.



و كانت القوافل التجارية إذا مرت على صومعته توقفت عندها بعض الوقت و تبركت بالحضور عنده. و قد اتفق أن التقى هذا الراهب قافلة قريش التي كان فيها رسول الله صلى الله عليه وآله، فلفت نظره شخصية «محمد»، و راح يحدق في ملامحه، و كانت نظراته هذه تحمل سرا عميقا ينطوى عليه قلبه منذ زمن بعيد و بعد دقائق من

(١) و يذكر «أبو طالب» في آيات له قصّة هذه السفارة و ما جرى فيها من البدء إلى الختام نقتطف منها بعض الآيات:

إنّ ابن آمنه النبي محمداً عندي يفوق منازل الأولاد

لما تعلق بالزمام رحمته و العيس قد قلصن بالازواد

فارفص من عيني دمع ذارف مثل الجمان مفرق الأفراد

راعت فيه قرابة موصوله و حفظت فيه وصية الأجداد

و أمرته بالسير بين عمومته بيض الوجوه مصالت أنجاد

حتى إذا ما القوم بصرى عاينوا لاقوا على شرك من المرصاد

حبرا فاخبرهم حديثا صادقاً عنه و ردّ معاشر الحساد (تاريخ ابن عساکر: ج ١ ص ٢٦٩-٢٧٢ و ديوان ابى طالب: ص ٣٣-٣٥).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٣٢

النظرات الفاحصة، و التحديق في وجه النبي صلى الله عليه وآله خرج عن صمته و انبرى سائلاً: انشدكم بالله أيكم وليه؟

فأشار جماعة منهم الى «أبي طالب» و قالوا: هذا وليه.

فقال «أبو طالب»: إنه ابن أخي، سلني عما بدا لك.

(١) فقال «بحيرا»: إنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده في كتبنا و ما روينا عن آبائنا، هذا سيّد العالمين، هذا رسول رب

العالمين، بيعته رحمة للعالمين. احذر عليه اليهود لئن رأوه و عرفوا منه ما أعرف ليقصدن قتله «١».

هذا و قد اتفق اكثر المؤرخين على أنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يتعد تلك المنطقة، و ليس من الواضح أن عمه «أبا طالب» بعثه

الى مكة مع أحد، (و يستبعد أن يكون عمه قد رضى بمفارقتة منذ أن سمع تلك التحذيرات من الراهب بحيرا)، أم أنه اصطحبه بنفسه

إلى مكة، و انثنى عن مواصلة سفره الى الشام «٢».

و ربما قيل أنه تابع - بحذر شديد - سفره الى الشام مع ابن اخيه «محمد».

(٢)

### اكذوبة المستشرقين:

لقد آلينا على أنفسنا في هذا الكتاب ان نشير إلى أخطاء المستشرقين و غلطاتهم بل و ربما أكاذيبهم، و اتهاماتهم الباطلة، و شبههم

الواهيّة ليتضح للقراء الكرام الى أي مدى يحاول هذا الفريق إرباك أذهان البسطاء من الناس، و بلبلة عقولهم حول قضايا الإسلام!!

إن قضية اللقاء الذي تم - في بصرى - بين النبي صلى الله عليه وآله و الراهب «بحيرا» لم تكن سوى قضية بسيطة، و حادثة عابرة و

قصيرة، إلا أنها وقعت في ما بعد ذريعة بأيدي هذه الزمرة (المستشرقون) فراحوا يصرون أشدّ اصرار على أنّ

(١) روى تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٣٢ و ٣٣، و السيرة النبوية: ج ١ ص ١٨٠-١٨٣ هذه القصّة بتفصيل أكبر و قد اختصرناها هنا تمشياً

مع حجم هذا الكتاب.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٨٢ و ١٨٣.



سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٣٣

ما أظهره رسول الله صلى الله عليه وآله من تعاليم رفيعة سامية بعد ٢٨ عاما، واستطاع بها أن يحيى بها تلك الامة الميتة قد تلقاها من الراهب «بحيرا» في هذه السنفرة. ويقولون: إن «محمدا» بما تمتع به من قوة ذاكرة، و صفاء نفس و دقة فكر، و عظمة روح وهبته اياها يد القدر، أخذ من الراهب «بحيرى» فى لقائه به، قصص الأنبياء السالفين و الاقوام البائدة مثل عاد و ثمود، و كثيرا من تعاليمه الحيوية. (١) و لا ريب فى أن هذا الكلام ليس سوى تصور خيالى لا يتلاءم و لا ينسجم مع حياته صلى الله عليه وآله، بل و تكذبه الموازين العقلية، و إليك بعض الشواهد على هذا:

(٢) ١- لقد كان «محمدا» صلى الله عليه وآله باجماع المؤرخين اميا، لم يتعلم القراءة و الكتابة، و كان عند سفره الى الشام، و لقائه ب «بحيرا» لم يتجاوز ربيعه الثانى عشر بعد، فهل يصدق العقل - و الحال هذه- أن يستطيع صبى لم يدرس و لم يتعلم القراءة و الكتابة و لم يتجاوز ربيعه الثانى عشر ان يستوعب تلك الحقائق من «التوراة» و «الانجيل»، ثم يعرضها- فى سن الاربعين- على الناس بعنوان الوحي الالهى و الشريعة السماوية؟!

إن مثل هذا الأمر خارج عن الموازين العادية، بل ربما يكون من الامور المستحيلة لو أخذنا بنظر الاعتبار حجم الاستعداد البشرى. (٣) ٢- إن مدة هذا اللقاء كان أقل بكثير من أن يستطيع محمد صلى الله عليه وآله فى مثل تلك الفترة الزمنية القصيرة أن يستوعب «التوراة» و «الانجيل»، لأن هذه الرحلة كانت رحلة تجارية و لم يستغرق الذهاب و الاياب و الاقامة اكثر من أربعة أشهر، لأن قريشا كانت تقوم فى كل سنة برحلتين، فى الصيف إلى «اليمن»، و فى الشتاء إلى «الشام»، و مع هذا لا يظن أن تكون الرحلة برمتها قد استغرقت اكثر من اربعة أشهر، و لا يستطيع اكبر علماء العالم و اذكاهم من أن يستوعب فى مثل هذه المدة القصيرة جدا محتويات دينك الكتابين، فضلا عن صبى لم يدرس، و لم يتعلم القراءة و الكتابة من احد.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٣٤

هذا مضافا إلى أنه لم يكن يصاحب صلى الله عليه وآله ذلك الراهب كل تلك الاشهر الاربعة بل ان اللقاء الذى وقع اتفاقا فى أحد منازل الطريق لم يستغرق سوى عدة ساعات لا اكثر.

(١) ٣- إن النص التاريخى يشهد بأن «ابا طالب» كان ينوى اصطحاب النبى صلى الله عليه وآله إلى الشام، و لم يكن مقصده الأصلي «بصرى» بل إن «بصرى» كان منزلا فى أثناء الطريق تستريح عنده القوافل التجارية أحيانا، و لفترة جدا قصيرة.

فكيف يمكن فى مثل هذه الصورة ان يمكث رسول الله صلى الله عليه وآله فى تلك المنطقه، و يشتغل بتحصيل علوم «التوراة» و «الانجيل» و معارفهما؟ سواء قلنا بأن «ابا طالب» أخذه معه الى الشام، أو عاد به من تلك المنطقه إلى مكه أو أعاده بصحبه أحد الى مكة؟!

و على كل حال فان مقصد القافلة و مقصد «ابى طالب» لم يكن «بصرى» ليقال: ان القافلة اشتغلت فيها بتجارتها، بينما اغتتم «محمدا» الفرصة و اشتغل بتحصيل معارف العهدين.

(٢) ٤- إذا كان محمد صلى الله عليه وآله قد تلقى امورا و معارف من الراهب المذكور اذن لاشتهر ذلك بين قريش حتما، و لتناقل الجميع خبر ذلك بعد العوده إلى مكة.

هذا مضافا إلى أن النبى صلى الله عليه وآله نفسه ما كان يستطيع أن يدعى أمام قومه فى ما بعد بأنه أمى لم يدرس كتابا، و لا تلمذ على أحد، فى حين أن النبى الاكرم صلى الله عليه وآله افتتح رسالته بهذا العنوان، و لم يقل أحد، يا محمد كيف تدعى بأنك لم

تقرأ و لم تدرس عند احد و قد درست عند راهب «بصرى» و تلقيت منه هذه الحقائق الناصعة و أنت فى الثانية عشرة من عمرك؟ لقد وجه مشركوا مكة جميع انواع الاتهام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، و بالغوا فى البحث عن أية نقطة ضعف فى قرآنه يمكن أن يتذرعوا بها لتفنيد دعوته، حتى أنهم عند ما شاهدوا النبى صلى الله عليه وآله ذات مرة عند

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٣٥

«مروءة» يجالس غلاما نصرانيا استغلوا تلك الفرصة وقالوا: لقد أخذ «محمد» كلامه من هذا الغلام، و يروى القرآن الكريم مزعمتهم هذه بقوله:

«و لقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي و هذا لسان عربي مبين» (١).

و لكن القرآن الكريم لم يتعرض لذكر هذه الفرية قط كما أن قريشا المجادلين المعاندين لم يتذرعوا بها أبدا، و هذا هو بعينه دليل قاطع و قوى على أن هذه الفرية من افتراءات المستشرقين في عصرنا هذا، و من نسج خيالهم!! (١) ٥- إن قصص الأنبياء و الرسل التي جاءت في القرآن الكريم على وجه التفصيل تتعارض و تتنافى مع ما جاء في التوراة و الانجيل.

فقد ذكرت قصص الأنبياء و احوالهم في هذين الكتابين بصورة مشينة جدا، و طرحت بشكل لا ينفق مع المعايير العلمية و العقلية مطلقا، و ان مقايضة عاجلة بين هذين الكتابين من جانب و بين القرآن الكريم من جانب آخر تثبت بأن قضايا القرآن الكريم و معرفة لم تتخذ من دينك الكتابين بحال، و لو أن النبي محمدا صلى الله عليه و آله قد اكتسب معارفه و معلوماته حول الأنبياء و الرسل من العهدين لجاء كلامه مزيجا بالخرافات و الأوهام (٢).

(٢) ٦- إذا كان راهب «بصرى» يمتلك كل هذه الكمية من المعلومات الدينية و العلمية التي عرضها رسول الله صلى الله عليه و آله، فلما ذا لم يحض هو بأى شىء من الشهرة، لما ذا ترى لم يرب غير «محمد» في حين أن معبده كان مزار الناس و مقصد القوافل؟! (٣) ٧- يعتبر الكتاب المسيحيون «محمدا» صلى الله عليه و آله رجلا أمينا صادقا، و الآيات القرآنية تصرح بأنه صلى الله عليه و آله لم يكن على علم مسبق

(١) النحل: ١٠٣.

(٢) تتجلى هذه الحقيقة أكثر فاكثر إذا ما قارنا بين مواضيع القرآن الكريم، بين ما جاء في نصوص العهدين (التوراة و الإنجيل) و قد تصدى بعض الكتاب الإسلاميين لمثل هذه المقارنة، و قد تعرضنا لها أيضا في بعض دراساتنا.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٣٦

أصلا بقصص الأنبياء و الامم السابقين، و أن معلوماته في هذا الصعيد لم تحصل لديه إلا عن طريق الوحي.

فقد جاء في سورة «القصص» الآية (٤٤) هكذا: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبِيِّ إِذْ قَصَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ».

و جاء في سورة «هود» الآية (٤٩) بعد نقل قصة نوح: «تَلَمَّكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا».

إن هذه الآيات توضح أن النبي صلى الله عليه و آله لم يكن على علم أبدا بهذه الحوادث، و الوقائع.

و هكذا جاء في الآية (٤٤) من سورة «آل عمران»: «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ، وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ».

إن هذه الآية و غيرها من الآيات العديدة تصرح بأن هذه الأخبار الغيبية وصلت إلى النبي صلى الله عليه و آله عن طريق الوحي فقط، و هو لم يكن على علم بها مطلقا.

(١)

**نظرة إجمالية إلى التوراة الحاضرة:**

**إشارة**

إنّ هذا الكتاب السماويّ تورّط في تناقضات عجيبة في بيان قصص الأنبياء والمرسلين لا يمكن نسبتها إلى الوحي مطلقاً، وها نحن نأتي هنا بنماذج في هذا المجال من التوراة ليتضح لنا أن النبيّ صلّى الله عليه وآله لو كان قد أخذ قضايا القرآن الكريم من ذلك الراهب فلما ذا لا يحتوى هذا الكتاب العظيم على تلك الأضاليل التي انطوى عليها «التوراة» و«الانجيل».

وإليك بعض ما جاء حول الأنبياء والمرسلين في «التوراة» و«الانجيل» وبقارن ذلك بما جاء في القرآن الكريم ليتضح مدى الفرق بين الكتابين (العهدين، و القرآن).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٣٧

(١)

### ١- داود عليه السلام:

جاء في التوراة: «إن داود رأى من على السطح امرأة تستحمّ، وكانت المرأة جميلة المنظر جداً، فأرسل داود وسأل عن المرأة، فقال واحد: إنها امرأة أورياً فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها ثم رجعت الى بيتها، وحبلى المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إني حبلى، فأرسل داود إلى يوّاب يقول: اجعلوا أورياً في وجه الحرب الشديدة «١»، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت ... فلما سمعت امرأة أورياً أنه قد مات أورياً رجلاً نادبت بعلمها، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمّها إلى بيته وصارت له امرأة، وولدت له ابناً، واما الأمر الذي فعله داود ففجح في عينيّ الرب!! «٢».

هكذا تصف التوراة النبيّ الكريم داود، و ترميه بالزنا، و اكراه امرأة محصنة على خيانة زوجها!!

بينما يصف القرآن الكريم النبيّ داود عليه السلام بأفضل الاوصاف اذ يقول (في الآية ١٥ و ١٦ من سورة النمل):

«وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ... وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ».

### ٢- النبيّ سليمان عليه السلام:

تقول «التوراة» عن النبيّ العظيم سليمان عليه السلام:

١- «و داود الملك ولد سليمان من التي لاورياً!! «٣».

أى ان سليمان النبيّ الكريم- و العياذ بالله- هو ابن زنا!!

(١) أى في مقدمة الجيش المحارب.

(٢) العهد القديم (التوراة): صموئيل، الثانى الاصحاح الحادى عشر ٣ إلى ٢٧.

(٣) إنجيل متى: الاصحاح الأول ٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٣٨

٢- و أحبّ الملك سليمان نساء غريبة ... من الذين قال عنهم الرب لبنيّ إسرائيل: لا تدخلون إليهم، و هم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة، و كانت له سبع مائة من النساء السيدات، و ثلاث مائة من السرارى،

فأملت نساؤه قلبه و كان فى زمان شيخوخة سليمان ان نساءه أملن قلبه وراء آلهة اخرى، و لم يكن قلبه كاملا مع الرب إلهه كقلب داود ابيه، فذهب سليمان وراء عشتورت إلهة الصيد و نين، و ملكوم رجس العمونيين، و عمل سليمان الشر فى عينى الرب، و لم يتبع الرب تماما كداود ابيه، فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل!!! «١».

إن سليمان - حسب هذه التعابير التوراتية- يعشق النساء الاجنبيات، و يتقرب إليهن بصنع أصنام لهن. و يعبدها معهن، و يرتكب الشرور التى أغضبت الرب!!

بينما يقول القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا» (النمل: ١٦).  
و يقول: «وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا، وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ» (الأنبياء: ٨١).  
إنه نبي عظيم اختاره الله تعالى لوحيه، و أصطفاه لأداء رسالاته.

### ٣- يعقوب عليه السلام:

إن «التوراة» تصف النبي العظيم يعقوب عليه السلام بأنه رجل كذاب مخادع، أخذ النبوة من أبيه بالمكر و الخداع، «فعند ما شاخ اسحاق و كَلَّتْ عَيْنَاهُ عَنِ النَّظَرِ دَعَا عَيْسُو ابْنَهُ الْاَكْبَرَ، وَ طَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَصْطَادَ لَهُ صَيْدًا، وَ يَصْنَعُ لَهُ طَعَامًا جَيِّدًا حَتَّى يَبَارِكَهُ، وَ يَعْطِيَهُ النَّبُوَّةَ، وَ لَكِنْ يَعْقُوبُ (ابن إسحاق من رفقته

(١) التوراة: الملوك الأول الاصحاح ١١ العبارات ١: ١١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٣٩

زوجته الأخرى) بادر إلى صنع طعام لذيذ لأبيه و تظاهر بأنه عيسو، لابسا ثياب عيسو، و قطعاً من جلود جدي المعزى على عنقه لأن عيسو كان مشعرا و كان يعقوب املس الجسد، فبارك اسحاق ابنه يعقوب و منحه النبوة، و بعد ذلك قدم عيسو من الصيد، فعرف اسحاق بانه خدع، و أن يعقوب أخذ منه النبوة بالمكر، فارتعد اسحاق ارتعادا عظيما جدا و قال لعيسو متأسفا: قد جاء أخوك بمكر، و أخذ بركتك!!! «١».

هذا هو حال يعقوب فى لسان «التوراة» المحرفة!!

و أما القرآن الكريم فانه يقول عن هذا النبي الطاهر:

«وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ» (الأنعام: ٨٤).

و يقول تعالى أيضا:

«وَ اذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَ الْأَبْصَارِ. إِنَّا أَخْلَصَيْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ. وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُضِيِّينَ الْأَخْيَارِ» (ص):

(٤٧-٤٥).

### ٤- إبراهيم عليه السلام:

تقول «التوراة» عن إبراهيم عليه السلام إنه لما أراد أن يدخل مصر قال لزوجته سارة: إنى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون

إذا رآك المصريون أنهم يقولون: هذه امرأته، فيقتلونني، و يستبقونك، قولي إنك اختي، ليكون لي خير بسببك و تحيا نفسى من أجلك.

و كذلك فعلت سارة و اخذت إلى بيت فرعون، فصنع إلى إبرام خيرا

(١) سفر التكوين: الاصحاح السابع و العشرون: ١ الى ٤٦، و قد ذكرنا هذه القصة من التوراة بتلخيص.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤٠

بسببها، و صار له غنم، و بقر، و حمير، و عبيد، و إماء، و اتن، و جمال، و لما عرف فرعون- فى ما بعد- ان سارة زوجة ابراهيم، و ليس اخته عاتبه قائلا: لما ذا لم تخبرنى إنها امرأتك، لما ذا قلت: هى اختى حتى أخذتها لى لتكون زوجتى و الآن هو ذا امرأتك، خذها و اذهب» (١).

إن ابراهيم الخليل عليه السلام فى وصف التوراة رجل كذاب، يكذب و يحتال.

أما القرآن الكريم فيصف هذا النبى الجليل بأعظم الأوصاف، و يعتبره أعظم الأنبياء اذ يقول عنه انه:

١- حنيف موحد لله: «وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا» (آل عمران: ٦٧).

٢- إمام الناس: «إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا» (البقرة: ١٣٤).

٣- مسلم: «وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا» (آل عمران: ٦٧).

٤- حلیم: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ» (التوبة: ٨٤).

٥- امه كامله بمفرده: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً» (النحل: ١٢٠).

٦- أواه يخشى الله: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ» (التوبة: ٨٤).

٧- مصطفى: «لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ» (ص: ٤٨).

٨- ذو قلب سليم: «إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ» (الصافات: ٤٨).

## ٥- المسيح عليه السلام:

إن عيسى - حسب رواية الإنجيل - يحتقر أمه، و يزدري بها، فذات يوم جاء إخوته و أمه و وقفوا خارجا و أرسلوا يدعونهم، و كان الجمع جالسا حوله، فقالوا له «هو ذا امك و إخوتك خارجا يطلبونك، فأجابهم قائلا: من أمى و إخوتى؟ ثم نظر حوله إلى الجالسين و قال: ها أمى و إخوتى، لأن من يصنع مشيئة الله هو أخى و اختى و أمى!!» (٢)

(١) سفر التكوين: الاصحاح الثانى عشر ١ - ٢٠.

(٢) إنجيل مرقس: الاصحاح الثالث ٣١ - ٣٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤١

إنه يقول هذا الكلام عن امه التى وصفها القرآن الكريم بأن الله تعالى اصطفها على نساء العالمين (١).

إنه يفضّل تلاميذه الذين لم يؤموا به فى قلوبهم ذرة من خردل، و الذين خذلوه ليله الهجوم عليه من جانب اليهود (٢) - كما يقول الانجيل - على أمه الصديقه.

كما إن الانجيل يقول: إن المسيح حوّل الماء الى الخمر فى عرس (٣) بل يقول إنه عليه السلام: شرب الخمر (٤)، و الحال أن الإنجيل

يصرح بحرمة الخمر في مواضع عديدة.

هذا هو «عيسى» النبي الطاهر و حوار يوه حسب رواية الانجيل!! «٥».

أما القرآن الكريم فيقول عنه غير ما يقوله «الانجيل» وإليك بعض ما جاء في الكتاب العزيز حول «المسيح» عليه السلام.

قال الله تعالى: «وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ» (البقرة: ٧٨).

وقال تعالى أيضا: «إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ» (النساء:

١٧١)

و يكفي في عظمة المسيح عليه السلام و علو شأنه انه عليه السلام كلم الناس في المهدي صبييا و قال: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا. وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا. وَ بَرًّا بِوَالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي

(١) آل عمران: ٤٢.

(٢) انجيل متى: الاصحاح السابع و العشرون ١-٦ انظر كيف وافق يهوذا الاسخر يوطى و هو أحد الحواريين مع المتآمريين ضد المسيح، و أيضا راجع نفس السفر: الاصحاح السادس و العشرين، و راجع انجيل متى: الاصحاح العاشر أيضا.

(٣) انجيل يوحنا: الاصحاح الثاني ١-١١.

(٤) انجيل لوقا: الاصحاح الأول ١٥ و غيره.

(٥) على أن خرافات التوراة و الانجيل لا تنحصر في ما ذكرناه هنا، و للتوسع راجع: أنيس الأعلام تأليف فخر الإسلام، و الهدى الى دين المصطفى للعلامة البلاغى.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤٢

جَبَّارًا شَقِيًّا. وَ السَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أُمُوتٍ وَ يَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا. ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» (مريم: ٣٠-٣٤).

هذه هي مواقف القرآن الكريم من الأنبياء الكرام، و الرسل العظام، و تلك هي مواقف «التوراة» و «الانجيل» المشينه، المسيئه الى شخصيته سفراء الله مبلغى رسالاته، فكيف يعقل ان يكون القرآن الكريم مقتبسا من تلك الكتب و بينهما بعد المشركين؟! ثم لو أن النبي صلى الله عليه و آله كان قد اطلع على هذه القضايا و القصص قبل إخباره بنبوته فلما ذا لم يرشح منها شىء فى أحاديثه قبل الرسالة و قد عاش بين قومه طويلا.

قال الله سبحانه فى معرض الردّ و الجواب على اقتراح المشركين على النبي صلى الله عليه و آله بأن يأتى لهم بقرآن غير الذى جاء به: «قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أ فَلَا تَعْقِلُونَ» (١).

فلاية تؤكد على أن النبي صلى الله عليه و آله كان لا-بثا فى قومه، و لم يكن تاليا لسورة من سور القرآن، أو آيا من آياته، فكل ما أخبر به هو ممّا أوحى به الله تعالى إليه بعد ان بعثه بالرسالة «٢».

(١) يونس: ١٦.

(٢) للتوسع راجع مفاهيم القرآن: ج ٣ ص ٣٢١-٣٢٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤٣

(١)

## إشارة

يجب ان يكون قادة المجتمع أقوياء شجعان، لا يرهبون أحدا، ولا يخافون شيئا، يمتلكون قوة روحية كبرى، و يتمتعون بصبر عظيم. و إرادة قوية، صلبة.

فكيف يستطيع الضعفاء و الجبناء و المترددون، و ضعاف النفوس قيادة المجتمع، و الخروج به من المازق و المشاكل، و كيف يستطيعون أن يقاوموا اعداءهم و يحافظوا كيانهم و شخصيتهم من عدوان هذا او ذاك؟!

إن لعظمة القائد الروحية، و لقواه البدنية و النفسية تأثيرا عظيما و عجيبا في أتباعه و أنصاره، فعند ما اختار الإمام امير المؤمنين عليه السلام أحد اصحابه المخلصين لولاية «مصر» كتب إلى أهل «مصر» المظلومين الذين ذاقوا الأمرين على أيدي ولاتهم السابقين كتابا ذكر فيه شجاعة هذا الوالي الجديد، الروحية و قدرته النفسية الفائقة، و إليك فيما يلي بعض الفقرات من ذلك الكتاب الذي يعكس الشروط و المواصفات الواقعية في القائد:

«أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عباد الله لا ينام أيام الخوف، و لا ينكل عن الأعداء (ساعات الروع، أشد على الفجار من حريق النار، و هو مالك بن الحارث أخو مذحج، فاسمعوا له و أطيعوا أمره فيما طابق الحق، فإنه سيف من

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤٤

سيوف الله، لا كيليل الطيبة، و لا نابي الضريبة» (١).

(١)

## رسول الله و قدرته الروحية:

لقد كانت آثار الشجاعة، و القوة بادية في جبين عزيز قريش منذ طفولته و صباه، ففي الخامسة عشرة من عمره الشريف شارك في حرب هاجت بين قريش من جهة، و قبيلة هوازن من جهة اخرى، و تدعى «حرب الفجار»، و قد كان في هذه الحرب يناول أعمامه النبل.

فها هو «ابن هشام» ينقل عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «كنت ائبل على أعمامي» (٢).

إن مشاركته صلى الله عليه وآله في العمليات الحربية في مثل هذه السن تكشف عن شجاعته صلى الله عليه وآله و قدرته الروحية الكبرى، و تساعدنا على أن ندرك مغزى ما قاله أمير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام في حق النبي الكريم صلى الله عليه وآله: «كنا اذا أحمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه» (٣).

و سوف نشير- و بعون الله عند ذكر جهاد المسلمين للكفار و المشركين- إلى نظام العسكرية الاسلامية، و كيفية جهاد المسلمين و قتالهم لأعدائهم التي تمت بأجمعها بتوجيه من النبي صلى الله عليه وآله، و هو في نفسه من الابحاث الشيقة في تاريخ الإسلام.

(٢)

## حروب الفجار:

## إشارة

إن الحديث بتفصيل عن هذه الوقائع و عن تكتيكات هذه الحوادث التاريخية

(١) نهج البلاغة: قسم الرسائل، الرقم ٣٨.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٨٦، وقد قال ابن الأثير في النهاية بعد نقل هذا الحديث و ضبط الكلمة «انبل» مشددة «انبل»: «إذا ناولته النبل يرمى» راجع مادة نبل.

(٣) نهج البلاغة: فصل في غريب كلامه الرقم ٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤٥.

خارج عن إطار هذه الدراسة، بيد أننا - مع ذلك - نعمد إلى بيان أسباب هذه الحروب التي شارك في إحداها رسول الله صلى الله عليه وآله بناء على رواية بعض المؤرخين و حوادثها على نحو الاجمال بغية اطلاع القارئ الكريم.

كانت العرب تقضى عامها كله بالقتال و الاغارة، و قد تسبب هذا الوضع في اختلال حياتهم، و اضطراب امورهم، و لأجل هذا كانوا يحرمون القتال و يتوقفون عنه في أربعة أشهر من كل عام (هي شهر رجب، ذو القعدة، ذو الحجة، محرم) ليتسنى لهم - في هذه المدة - أن يقيموا أسواقهم، و يستغلوا بالكسب و التجارة و البيع و الشراء «١».

(١) و لهذا كانت أسواق «عكاظ» و «مجنة» و «ذو المجاز» تشهد طوال هذه الأشهر الحرام اجتماعات كبرى و تجمعات حافلة و حاشدة، كان يلتقى فيها العدو و الصديق جنبا الى جنب، يتبايعون، و يتفخرون.

فقد كان شعراء العرب المشهورون يلقون قصائدهم في هذه الاجتماعات الكبرى، كما يلقي كبار خطباء العرب و فصحاؤهم خطبا قوية، و أحاديث في غاية الفصاحة و البلاغة، و كان اليهود و النصارى و الوثنيون يعرضون معتقداتهم في هذه المناسبات من دون خوف او وجل.

و لكن هذه الحرمة قد هتكت أربع مرات في تاريخ العرب، و تقاتلت القبائل العربية فيما بينها في هذه الأشهر الحرم، و لهذا سميت تلك الحروب بحروب «الفجار»، و في ما يلي نشير إليها على نحو الاجمال:

(٢)

### الفجار الأول:

و وقعت الحرب فيها بين قبيلتي «كنانة» و «هوازن» و جاء في سبب نشوب

(١) يستفاد من قوله تعالى في الآية ٣٦ من سورة التوبة: «إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حَرَمٌ» أن تحريم القتال في هذه الأشهر الأربعة كان ذا جذور دينية، و كانت العرب الجاهلية تحترم هذه الأشهر اتباعا لسنة «إبراهيم الخليل» عليه السلام.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤٦.

هذه الحرب أن رجلا يدعى «بدر بن معشر» كان قد أعد لنفسه مكانا في سوق «عكاظ» يحضر فيه، و يذكر للناس مفاخره فوقف ذات مرة شاهرا سيفه يقول:

أنا و الله أعز العرب فمن زعم أنه أعز منى فليضربها بالسيف.

فقام رجل من قبيلة اخرى فضرب بالسيف ساقه فقطعها، فاختصم الناس و تنازعت القبيلتان، و لكنهما اصطلحتا من دون أن يقتل أحد.

«١».





الحرب فاغتنمت «قريش» و حليفاتها فرصة الليل، و واصلت حركتها باتجاه الحرم المكي و بذلك نجت من خطر العدو. و منذ ذلك اليوم كانت تخرج قريش و حليفاتها من الحرم بين الفينة و الاخرى و تقاتل هوازن، و قد شارك النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي بَعْضِ تِلْكَ الْاَيَّامِ مَعَ اَعْمَامِهِ عَلَى النُّحُو الَّذِي مَرَّ بِيَانِهِ. و قد استمر الأمر على هذه الحال مدة أربع سنوات، حتى ان وضعت نهاية

(١) التاريخ الكامل: ج ١ ص ٣٥٨ و ٣٥٩، السيرة النبوية: ج ١ ص ١٨٤ الهامش، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٢٥٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤٨

لهذه الحرب الطويلة بدفع قريش لهوازن دية القتلى الذين كانوا يزيدون على قتلى قريش على يد هوازن «١». و قد أسلفنا أن تحريم القتال في الأشهر الحرم كانت له جذور دينية، و حيث أن حرب «الفجار» استمرت أربع سنوات فيمكن أن يكون لمشاركة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِيهَا وَجْهًا وَجِيهًا وَ هُوَ الدِّفَاعُ، خَاصَّةً اِنَّهُ لَمَّا سئل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله عَنْ مَشْهَدِهِ يَوْمَئِذٍ فَقَالَ: «مَا سَرَّنِي اَنْتَى اَشْهَدُهُ، اِنَّهُمْ تَعَدَّوْا عَلَيَّ قَوْمِي عَرَضُوا (اى قريش) عَلَيْهِمْ (اى على هوازن) اَنْ يَدْفَعُوا اِلَيْهِمُ الْبِرَاضَ صَاحِبِهِمْ (اى الَّذِي قَتَلَ عَرُوةً) فَاَبُوءُ» «٢».

و يحتمل أن تكون مشاركة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي غَيْرِ الْاَشْهُرِ الْحَرَمِ بِنَاءً عَلَى اسْتِمْرَارِ هَذِهِ الْحُرُوبِ مَدَّةً اَرْبَعَةَ اَعْوَامٍ، وَ اِنَّمَا سُمِّيَتْ مَعَ ذَلِكَ بِالْفَجَارِ لِاَنَّ بَدَايَتَهَا وَ اَفْتَتِ الْاَشْهُرَ الْحَرَمِ لَا اَنَّهَا وَقَعَتْ بِتَمَامِهَا فِي الْاَشْهُرِ الْحَرَمِ. و بذلك لا يبقى مجال لأن تستبعد مشاركة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي بَعْضِ اَيَّامِ تِلْكَ الْحَرْبِ. (١)

### حلف الفضول:

لقد كان في ما مضى ميثاق و حلف بين الجرهميين يدعى بحلف «الفضول»، و كان هذا الحلف يهدف الى الدفاع عن حقوق المظلومين، و كان المؤسسون لهذا الحلف هم جماعة كانت اسماؤهم برمتها مشتقة من لفظة الفضل، و اسماؤهم - كما نقلها المؤرخ المعروف «عماد الدين ابن كثير» - هي عبارة عن:

«فضل بن فضالة»، و «فضل بن الحارث»، و «فضل بن وداعة» «٣»، و حيث أن الحلف الذي عقده جماعة من قريش فيما بينها كان متحدا في الهدف (و هو الدفاع عن حقوق المظلومين) مع حلف «الفضول» لذلك سمي هذا الاتفاق

(١) سيره ابن هشام: ج ١ ص ١٨٤-١٨٧، الأغاني: ج ٢٢ ص ٥٦-٧٥.

(٢) الأغاني: ج ٢٢ ص ٧٣.

(٣) البداية و النهاية: ج ١ ص ٢٩٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤٩

و هذا الحلف بحلف «الفضول» أيضا.

(١) فقبل البعثة النبوية الشريفة بعشرين عاما دخل رجل من «زيد» في مكة في شهر ذي القعدة، و عرض بضاعة له للبيع فاشترها منه «العاص بن وائل»، و حبس عنه حقه، فاستعدى عليه الزبيدي قريشا، و طلب منهم أن ينصروه على العاص، و قريش آنذاك في انديتهم حول الكعبة، فنادى بأعلى صوته:

يا آل فھر لمظلوم بضاعته بيطن مكّة نائي الدار و النفر

و محرم أشعث لم يقض عمرته يا للزجال و بين الحجر و الحجر

إن الحرام لمن تمت كرامته و لا حرام لثوب الفاجر القذر فأثارت هذه الأبيات العاطفية مشاعر رجال من قريش، و هيجت غيرتهم، (٢) فقام «الزبير بن عبد المطلب» و عزم على نصرته، و أيده في ذلك آخرون، فاجتمعوا في دار «عبد الله بن جدعان» و تحالفوا و تعاهدوا بالله ليكوننّ يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما أمكنهم ذلك ثم مشوا إلى «العاص بن وائل» فانترعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه.

و قد أنشد الزبير بن عبد المطلب في ذلك شعرا فقال:

إن الفضول تعاقدوا و تحالفوا أّلا يقيم بيطن مكّة ظالم

أمر عليه تعاقدوا و توثقوا فالجار و المعتزّ فيهم سالم و قال أيضا:

حلفت لنعقدن حلفا عليهم و إن كنّا جميعا أهل دار

نسميه «الفضول» إذا عقدنا يعزّبه الغريب لدى الجوار

و يعلم من حوالى البيت أناباة الضيم نمنع كلّ عار (١) (٣) و قد شارك رسول الله صلى الله عليه وآله، في هذا الحلف الذى ضمن حقوق المظلومين و حياتهم، و قد نقلت عنه صلى الله عليه وآله عبارات كثيرة يشيد فيها بذلك الحلف و يعتزّ فيها بمشاركته فيه و ها نحن ننقل حديثين منها فى

(١) البداية و النهاية: ج ١ ص ٢٩٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٥٠

هذا المقام.

قال صلى الله عليه وآله:

«لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به فى الإسلام لأجبت».

(١) كما أن ابن هشام نقل فى سيرته أن النبى صلى الله عليه وآله و سلّم كان يقول فى ما بعد عن هذا الحلف: «ما أحبّ أن لى به حمر النعم».

و لقد بقى هذا الحلف يحظى بمكانة و احترام قويين فى المجتمع العربى و الإسلامى حتى أن الأجيال القادمة كانت ترى من واجبها الحفاظ عليه و العمل بموجبه، و يدل على هذا قضية وقعت فى عهد إمارة «الوليد بن عتبة» الأموى (١) على المدينة.

فقد وقعت بين الإمام الحسين بن على عليه السلام و بين أمير المدينة هذا منازعة فى مال متعلق بالحسين عليه السلام، و يبدو أن «الوليد» تحامل على الحسين فى حقه لسلطانه، فقال له الإمام السبط الذى لم يرضخ لحيف قط، و لم يسكت على ظلم أبدا:

«أحلف بالله لتنصفنّى من حقّى، أو لآخذنّ سيفى ثم لأقومنّ فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم لأدعونّ بحلف الفضول» (٢).

(٢) فاستجاب للحسين فريق من الناس منهم «عبد الله بن الزبير»، و كرّر هذه العبارة و أضاف قائلا: و أنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذنّ سيفى ثم لأقومنّ معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا.

و بلغت كلمة الحسين السبط عليه السلام هذه إلى رجال آخرين كالمسورة بن مخزومة بن نوفل الزهرى و «عبد الرحمن بن عثمان» فقالا مثل ما قال «ابن الزبير»، فلما بلغ ذلك «الوليد بن عتبة» أنصف الحسين عليه السلام من حقه حتى رضى (٣).

(١) من قبل عمه معاوية.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣٢.

(٣) البداية و النهاية: ج ٢ ص ٢٩٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٥١

(١)

## ٩ من فترة الشباب الى مزاوله التجارة

### إشارة

يحمل القادة الالهيون العظماء وأصحاب الرسالات السماوية على كواهلهم مسئوليات كبرى، و مهام عظمى تلازم- في الأغلب- التعرض للمتاعب و المصاعب، و العذاب، و تحمل الأذى، بل و ربما التعرض للقتل و الاغتيال، و كلما كبرت الاهداف، عظمت المشاكل، و المتاعب.

و على هذا الاساس، فان نجاح القادة الرساليين يتوقف على مدى صبرهم و استقامتهم في وجه الاتهامات و المضايقات، و في وجه الأذى و العذاب، لأن الصبر و التحمل في جميع مراحل الجهاد و العمل هو الشرط الاساسي للوصول الى المقصود، و الى تحقيق الهدف المنشود و الغاية المطلوبة.

(٢) من هنا ليس لقائد حقيقي أن يخشى كثرة العدو، و ليس له ان ينسحب، أو يضعف لقله الاتباع و المؤيدين و بالتالي ليس له أن يقلق للنواب فيخور عزيمته، او ترخو إرادته، مهما عظمت حلق البلاء و اشتدت، و مهما تزايدت، أو تواترت.

إننا نقرأ في تاريخ الأنبياء و قصصهم امورا يعسر على الانسان العادي هضمها، و يصعب تصوورها.

فعن نوح النبي عليه السلام نقرأ أنه دعا قومه تسعمائة و خمسين عاما، و لم تنتج هذه الدعوة الطويلة المضنية سوى قلة من المؤمنين و المؤيدين الذين لم

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٥٢

يتجاوز عددهم الواحد و الثمانين، و هذا يعني أنه لم يوفق في كل اثني عشر عاما إلا لهداية شخص واحد.

إن إرادة الصبر، و قوة التحمل، و التصبر تظهر لدى الإنسان شيئا فشيئا، فلا بد أن تتلاحق حوادث صعبة، و لا بد أن يمر المرء بنواب مزعجة حتى تأنس روحه بالامور الثقيلة، و القضايا الصعبة.

(١) لقد قضى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم شطرا من حياته قبل البعث في رعي الغنم في الصحارى و القفار، ليكون بذلك صبورا في تربية الناس الذين سيكلف بقيادتهم و هدايتهم، و ليستسهل كل صعب في هذا المجال.

إن ادارة المجتمع البشري من أصعب الامور التي تواجه القادة، و رجال الاصلاح. و المقدرة على الإدارة هذه لا تسنح و لا تنهت لأحد إلا بعد مزاوله الامور الصعبة، و ممارسة الأعمال الشاقة، و ربما يكون قيام النبي صلى الله عليه وآله برعي الغنم من هذا الباب، و لهذا جاء في الحديث.

«ما بعث الله نبيا قط حتى يسترعيه الغنم ليعلمه بذلك رعيه الناس» (١).

لقد قضى النبي صلى الله عليه وآله شطرا من عمره الشريف في هذا المجال، و ينقل كثير من أرباب السير و المؤرخين هذه العبارة عنه صلى الله عليه وآله:

«ما من نبي إلا و قد رعى الغنم» قيل: و أنت يا رسول الله؟

فقال: «أنا رعيته لأهل مكة بالقراريط» (٢).

(٢) إن شخصية عظيمة يفترض فيها أن تواجه- في المستقبل- أشخاصا عنودين كأبي جهل و أبي لهب، و أن تصنع ممن انحطت أفكارهم حتى أنهم سجدوا لكل حجر و مدر، أفرادا لا يخضعون لأى شىء سوى ارادة الحق و مشيئته، لا بد أن تتسلح قبل ذلك بسلاح الصبر، و تتجهز بأداة التحمل، و تتزود مسبقا بقدره الاستقامة على طريق الهدف، و هذا لا يكون إلا بتعويد النفس على هذه

(١) سفينة البحار: مادة نبأ.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ج ١ ص ١٦٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٥٣

الصفات، و حملها على مشاق الاعمال:

(١)

### سبب آخر لرعى الغنم:

و يمكن أن نذكر هنا سببا آخر أيضا و هو ان رجلا حرّ النفس و العقل كرسول الله صلى الله عليه و آله تجرى فى شرايينه و عروقه دماء الغيرة و الشجاعة كان يشق عليه ان يشاهد كل ذلك الظلم و الحيف الذى كان يمارسه طغاة مكة، و عتاة قريش و زعمائها الظالمون القساء بحق الضعفاء، و المحرومين، و كذا كان يشق عليه ان يرى تظاهرهم بالعصيان و الفسوق فى حرم الله، و عند بيته المعظم.

إن اعراض سكاّن مكة عن عبادة الله الواحد الحق، و طوافهم حول تلك الأصنام الخاوية هي- بلا ريب- أسوأ و اقبح ما يكون فى نظر الرجل الفاهم، و العاقل العالم، و اثقل ما يكون عليه.

من هنا رأى النبى صلى الله عليه و آله أن يقضى ردحا من الزمن فى الصحارى و القفار و عند سفوح الجبال التى كانت يومئذ بعيدة بطبيعتها الحال عن تلك المجتمعات الفاسدة و أحوالها و أوضاعها، ليستريح (أو يتخلص) بعض الشىء من آلامه الروحية الناشئة من رؤية تلك الأوضاع المزريّة، و الأحوال المشينة.

(٢) على أنّ هذا الأمر لا يعنى أن للرجل المتقى أن يسكت على الفساد و الظلم، و يقرّ عليهما.

و يفرّق بين حياته و حياة الآخرين و يعتزل عنهم و يتخذ موقف اللامبالاة تجاه الأوضاع المنحرفة، و الاحوال الشاذة، بل ان النبى صلى الله عليه و آله لما كان مأمورا من جانب الله سبحانه بالسكوت و الانتظار، لانه لم تكن ظروف «البعثة» و الهداية قد توفرت و تهيأت بعد لذلك اتخذ صلى الله عليه و آله مثل هذا الموقف.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٥٤

(١)

### سبب ثالث:

و لقد كان هذا العمل (أى الاشتغال برعى الاغنام فى البرارى و القفار و عند السهول و سفوح الجبال) فرصة جيدة لأن يتمكن النبى صلى الله عليه و آله من النظر فى خلق السموات و التطلع فى النجوم و الكواكب و أحوالها و أوضاعها، و بالتالى الامعان فى الآيات الأنفسية و الآفاقية التى هي جميعا من آيات وجود الله تعالى، و من مظاهر قدرته و حكمته و علمه و إرادته.

ان قلوب الأنبياء والمرسلين مع أنها منورة بمصايح المعرفة المشرقة ومضاءه بأنوار الايمان والتوحيد منذ بدء فطرتها، و خلقتها، و لكنهم مع ذلك لا يرون أنفسهم فى غنى عن النظر فى عالم الخلق، و التفكير فى الآيات الالهية، اذ من خلال هذا الطريق يصلون إلى أعلى مراتب الايمان، و يبلغون اسمى درجات اليقين، و بالتالى يتمكنون من الوقوف على ملكوت السماوات و الأرضين.

(٢)

### اقترح أبى طالب:

لقد دفع وضع (محمد) المعيشى الصعب «أبا طالب» سيد قريش و زعيمها الذى كان معروفا بالسخاء و موصوفا بالشهامه، و علو الطبع، و إباء النفس إلى ان يفكر فى عمل لابن أخيه، كيما يخفف عنه وطأة ذلك الوضع.

و من هنا اقترح على ابن أخيه «محمد» العمل و التجارة بأموال «خديجة بنت خويلد» التى كانت امرأة تاجرة، ذات شرف عظيم، و مال كثير، تستأجر الرجال فى مالها أو تضاربهم اياه بشيء تجعله لهم منه.

فقد قال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وآله: يا ابن أخى هذه خديجة بنت خويلد قد انتفع بما لها اكثر الناس و هى تبحث عن رجل أمين، فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لأسرعت إليك، و فضلتك على غيرك، لما يبلغها عنك من طهارتك.

(٣) و لكن إباء رسول الله صلى الله عليه وآله و علو طبعه، منعه من الإقدام

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٥٥

بنفسه على هذا الأمر من دون سابق عهد، و لهذا قال صلى الله عليه وآله و سلم لعمه: فلعلها أن ترسل إلى فى ذلك، لأنها تعرف بأنه المعروف بالأمين بين الناس.

فبلغ «خديجة» بنت خويلد، ما دار بين النبي و عمه «أبى طالب»، فبعثت إليه فوراً تقول له: إننى دعانى الى البعثة إليك ما بلغنى من صدق حديثك و عظم أمانتك، و كرم أخلاقك، و أنا اعطيك ضعف ما اعطى رجلا من قومك و ابعث معك غلامين يأتمران بأمرك فى السفر.

فاخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك فقال له ابو طالب: «إن هذا رزق ساقه الله إليك» (١).

### هل عمل النبي أجيرا لخديجة؟

(١) و هنا لا بد من التذكير بنقطة فى هذا المجال و هى:

هل عمل النبي صلى الله عليه وآله و سلم أجيرا فى أموال خديجة، أم أنه قد عمل فى تجارتها بصورة اخرى كالمضاربة، و ذلك بأن تعاقد النبي مع خديجة على أن يتاجر بأموالها على أن يشاركها فى ارباح تلك التجارة؟

إن مكانة البيت الهاشمي، و إباء النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، و مناعة طبعه، كل تلك الامور و الخصال توجب أن يكون عمل النبي فى أموال خديجة قد تم بالصورة الثانية (أى العمل فى تجارتها على نحو المضاربة لا الإجارة)، و تؤيد هذا المطلب أمور هى:

(٢) أولاً: انه لا يوجد فى اقتراح أبى طالب أية اشارة و لا أى كلام عن الإجارة، بل قد تحاور أبو طالب مع إخوته (أعمام النبي) فى هذه المسألة من قبل و قال:

«امضوا بنا إلى دار خديجة بنت خويلد حتى نسألها ان تعطى محمداً مالا يتجر به» (٢).

(١) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٢، السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٢ و ١٣٣، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٥٦

(١) ثانيا: ان المؤرخ الأقدم المعروف باليعقوبي كتب تاريخه: ان النبي ما كان أجيرا لأحد قط «١».

ثالثا: ان الجنابذي صرح في كتابه «معالم العترة» بأن «خديجة» كانت تضارب الرجال في مالها، بشيء تجعله لهم منه (اي من ذلك المال او من ربحه) «٢».

(٢) تهيأت قافلة قريش التجارية للسفر الى الشام، وفيها أموال «خديجة» أيضا، في هذا الاثناء جعلت «خديجة» بعيرا قويا و شيئا من البضاعة الثمينة تحت تصرف وكيلها (أى النبي صلى الله عليه وآله) و امرت غلاميها (ميسرة و ناصح) اللذين قررت ان يرافقه صلى الله عليه وآله، بان يمثلا أوامره، و يطيعاه، و يتعاملا معه بأدب طوال تلك الرحلة، و لا يخالفاه في شيء «٣».

و أخيرا وصلت القافلة إلى مقصدها و استفاد الجميع في هذه الرحلة التجارية أرباحا، إلا أن النبي صلى الله عليه وآله ربح أكثر من الجميع، كما أنه ابتاع أشياء من الشام لبيعها في سوق «تهامة».

ثم عادت تلك القافلة التجارية إلى «مكة» بعد ذلك المكسب الكبير، و الحصول على الربح الوفير.

و لقد تسنى لفتى قريش «محمد» أن يمرّ - للمرة الثانية في هذه السفرة - على ديار عاد و ثمود.

(٣) و قد حمله الصمت الكبير الذي كان يخيم على ديار و اطلال تلك الجماعة العاصية المتمردة في نقله روحانية الى العوالم الاخرى اكثر فاكثر، هذا مضافا إلى أن هذه الرحلة جدّدت خواطره و ذكرياته في السفرة الاولى، فقد تذكّر يوم طوى مع عمه «ابى طالب» هذه الصحارى نفسها و هذه القفار ذاتها، و ما كان يحظى

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢١.

(٢) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٩ نقلا عن معالم العترة.

(٣) قالت خديجة لهما: اعلمنا أننى قد أرسلت إليكما أمينا على أموالى و أنّه أمير قريش و سيدها، فلا يد على يده، فإن باع لا يمنع و إن ترك لا يؤمر و ليكن كلامكما له بلطف و أدب و لا يعلو كلامكما على كلامه بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٥٧

فيها من عمه من الحذب و العناية.

(١) و عند ما اقتربت قافلة قريش إلى «مكة»، و صارت عند مشارفها، النفث «ميسرة» غلام خديجة، الى النبي صلى الله عليه وآله و قال: «يا محمد لقد ربحتنا في هذه السفرة ببركتك ما لم نربح في اربعين سنة، فاستقبل بخديجة و أبشرها بربحنا» فأخذ النبي باقتراح ميسرة، و سبق القافلة العائدة في الدخول الى مكة، و توجه نحو بيت «خديجة» بينما كانت خديجة جالسة في غرفتها، فلما رأت النبي مقبلا عليها، نزلت من منظرتها و ركضت نحوه و استقبلته، و أدخلته في غرفتها، فخبّرها رسول الله صلى الله عليه وآله بما ربحوها، ببيان جميل، و كلام بليغ، فسرت «خديجة» بذلك سرورا عظيما، ثم قدم «ميسرة» فى الأثر، و دخل عليها، و أخبرها بكل ما رآه و شاهده من النبي صلى الله عليه وآله و آله فى تلك السفرة من الكرامة و الخير، و الخلق العظيم، و الخصال الكريمة، و من الامور التى كانت برمتها تدل على عظمة شخصيته صلى الله عليه وآله، و سمو خصاله «١»، و من جملة ما حدثها به ميسرة هو أنه لما وقع بين النبي صلى الله عليه وآله و آله و بين رجل تلاح و جدال فى بيع قال له ذلك الرجل: احلف بالللات و العزى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما حلفت بهما قط، و إنى لأمرّ فاعرض عنهما «٢».

(٢) و حدثها أيضا بأنه لما مرّ ببصرى نزلا فى ظل شجرة ليسترىحا فقال راهب كان يعيش هناك لما رأى النبي يستريح فى ظل تلك الشجرة: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبى» سأل عن اسمه، فأخبره ميسرة باسمه فقال: «هو نبى و هو آخر الأنبياء، إنه هو هو و

منزل الانجيل، و قد قرأت عنه بشائر كثيرة» (٣).

(١) الخرائج: ص ١٨٦، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٥.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١٣٠ و في بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٨: انه صلى الله عليه وآله قال:  
إليك عنى ثكلتك أمك فما تكلمت العرب بكلمة أثقل على من هذه الكلمة.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٨، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١٣٠، الكامل لابن الأثير: ج ٢ ص ٢٤ و ٢٥.  
سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٥٨  
(١)

### خديجة زوجة الرسول الاولى:

#### إشارة

حتى قبل ذلك اليوم لم تكن حالة النبي صلى الله عليه وآله الاقتصادية و وضعه المالى يحسد عليه، فقد كان بحاجة إلى مساعدة عمه «أبى طالب» المالىة، و لم يكن شغله على النحو الذى يكفى لضمان نفقاته، من جانب، و تمكينه من اختيار زوجته و شريكه حياة و تكوين عائلة، من جانب آخر.

و لكن هذه السفارة إلى الشام و بخاصة على نحو الوكالة و المضاربة فى أموال امرأة جليله، معروفة فى قريش (أعنى خديجة) ساعدت و الى حد كبير على تثبيت وضعه الاقتصادى و تقوية بنيتة المالىة.

و لقد اعجبت «خديجة» بعظمة فتى قريش و سمو أخلاقه، و مقدرته التجارية حتى أنها أرادت أن تعطيه زيادة على ما تعاقدا عليه، تقديراً له، و اعجاباً به، و لكنه اكتفى بأخذ ما تقرر فى البداية ثم توجه إلى بيت عمه «أبى طالب» و قدّم كل ما أخذه من «خديجة» الى عمه «أبى طالب» ليوسّع به على أهله.

(٢) ففرح «أبو طالب» بما عاين من ابن اخيه، و بقيهه أبيه «عبد المطلب»، و أخيه «عبد الله» و اغرورقت عيناه بالدموع، و سرّ بما حقق من نجاح و ما حصل عليه من ربح من تلك التجارة سرورا كبيرا، و استعدّ أن يعطيه بعيرين يسافر عليهما و يتاجر، و راحلتين يصلح بهما شأنه، ليتسنى له بأن يحصل على ثروة و مال يعطيه لعمه ليختار له زوجة.

فى مثل هذه الظروف بالذات عزم رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله عزمًا قاطعاً على أن يتخذ لنفسه شريكه حياة و يكون اسره، و لكن كيف وقع الاختيار على «خديجة» التى سبق لها أن رفضت كل طلبات الزواج التى تقدم بها كبار الاثرياء و الشخصيات القرشية مثل «عاقبة بن أبى معيط»، و «أبو جهل» و «أبو سفيان» للزواج بها؟؟!، و ما ذا كانت العلة التى جمعت هذين الشخصين غير المشابهين، من حيث مستوى الحياة، و الثراء؟ و كيف ظهرت تلك الرابطة القوية، و تلك العلاقة المعنوية العميقة، و الالفه و المحبة بينهما إلى درجة أن

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٥٩

«خديجة» سلام الله عليها و هبت كل ثروتها للنبي صلى الله عليه وآله عليه و آله لينفقها فى نشر الإسلام، و إعلاء كلمة الحق، و إرساء قواعد التوحيد، و بث الدين الجديد، و أصبحت تلك الدار المفخمة التى كانت تزينا الكراسى المرصعة، و الستر المطرزة، المصنوعة من أغلى الأقمشة الهندية، و الإيرانية، ملجأ للمسلمين، و ملتقى لانصار الرسالة!!



(١) لا بدّ من البحث عن جذور هذه الحوادث في تاريخ حياة «خديجة» نفسها، فان من المسلّم والبديهي أن هذا النوع من الفداء، و التفانى والإيثار لم يكن ثابتا ليتحقق ما لم يكن لها جذور معنوية و طاهرة.

إن صفحات التاريخ لتشهد بأنّ هذا الزواج كان ناشئا من إيمان «خديجة» بتقوى عزيز قريش و فتاها الامين «محمد» و طهره، و حبها الشديد لعفته و كرم أخلاقه، و لهذا قال النبي الاكرم صلى الله عليه وآله في حقها:

«أفضل نساء الجنة أربع: خديجة...» (١).

إنها أول امرأة آمنت برسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد قال علي أمير المؤمنين عليه السلام: في خطبته التي يشير فيها إلى غربة الإسلام في مبدأ البعثة النبوية الشريفة:

«لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله و خديجة و أنا ثالثهما» (٢).

(٢) و يكتب «ابن الأثير» قائلا: إنّ عفيف الكندي كان امرأ تاجرا قدم مكة أيام الحج فرأى رجلا قام تجاه الكعبة يصلي ثم خرجت امرأة تصلي معه، ثم خرج غلام فقام يصلي معه، فمضى يسأل العباس عمّ النبي عن هؤلاء، و عن هذا الدين، فقال العباس:

(١) خصال الصدوق: ج ١ ص ٩٦ و غيره.

(٢) الكامل: ج ٢ ص ٣٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي: ج ١٣ ص ١٩٧-٢٠١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٦٠

هذا محمد بن عبد الله ابن أخي زعم أن الله ارسله، و هذه امرأته خديجة آمنت به، و هذا الغلام علي بن أبي طالب آمن به، و أيم الله ما أعلم علي ظهر الأرض أحدا علي هذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة (١).

و ينبغي هنا أن نعطي لمحة عن مكانة خديجة في الإسلام تكميلا لهذه الدراسة.

### خديجة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله:

لقد اكتسبت «خديجة» بفضل إيمانها العميق بالرسالة المحمدية، و تفانيها في سبيل الاسلام، و بسبب حرصها العجيب على حياة صاحب الرسالة و سلامته، و عملها المخلص على انجاح مهمته، و مشاركتها الفعالة، في دفع عجلة الدعوة الى الإمام، و مشارقتها للنبي في أكثر ما تحمله من محن و أذى بصبر و استقامة و حب و رغبة.

لقد اكتسبت خديجة بفضل كل هذا و غيره مكانة سامية في الإسلام، حتى ان النبي ذكرها في أحاديث كثيرة و أشاد بفضلها، و مكانتها و شرفها على غيرها من النساء المسلمات المؤمنات، و ذلك و لا شك ينطوي على أكثر من هدف.

فمن جملة الأهداف التي ربما توخاها النبي صلى الله عليه وآله من الاشادة بخديجة سلام الله عليها الفات نظر المرأة المسلمة الى القدوة التي ينبغي أن تقتدى بها في حياتها و سلوكها في جميع المجالات و الأبعاد، و الظروف، و الحالات.

هذا مضافا إلى ما يمكن أن تقدمه المرأة و هي نصف المجتمع (إن لم تكن أكثره أحيانا) من دعم جدّي للرسالة، ماديا كان أو معنويا. و فيما يلي تأتي ببعض الأحاديث الشريفة التي تعكس مكانة خديجة، و مقامها، و مدى إسهامها في نصره الإسلام و دعم دعوته، و

إرساء قواعده. سيد المرسلين ج ١ ٢٦٠ خديجة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله: ..... ص : ٢٦٠

عن أبي زرعة عن أبي هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه [و آله]:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ٢٢٥ و ٢٢٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤١

أتانى جبرئيل عليه السّلام فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك و معها آنية فيها ادم أو طعام أو شراب، فاذا هي أتتك فاقراً عليها السلام من ربها و منى، و بشرها ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب» (١).

٢- عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، و لقد هلكت قبل أن يتزوجنى بثلاث سنين، لما كنت اسمعه يذكرها، و لقد أمره ربه عزّ و جلّ ان يبشرها ببيت من قصب فى الجنة، و إن كان ليذبح الشاة ثم يهديها الى خلاتها (اي خلياتها و صديقاتها) (٢).

٣- و عن عائشة أيضا قالت ما غرت على نساء النبى صلى الله عليه [و آله] و سلمّ إلا على خديجة، و انى لم أدركها، (قالت): و كان رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلمّ إذا ذبح الشاة فيقول: أرسلوا بها الى اصدقاء خديجة قالت: «أى عائشة» فغضبه يوما فقلت: خديجة!! فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلمّ: «انى قد رزقت حبها» (٣).

٤- و من هذا القبيل ما كان يقوم به رسول الله صلى الله عليه و آله مع صاحبات خديجة من الاحترام لهن و الاحتفال بهنّ: فقد وقف صلى الله عليه و آله و سلمّ على عجوز فجعل يسألها، و يتحفاها، و قال:

«ان حسن العهد من الايمان، انها كانت تأتينا أيام خديجة» (٤)

٥- و روى عن انس قال كان النبى صلى الله عليه [و آله] إذا اتى بهدية قال: «اذهبوا بها إلى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب خديجة» (٥)

(١) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٣٣، مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٨٤ و ١٨٥ بطرق متعددة صحيحة على شرط الشيخين.

(٢) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٣٤، و مثلها فى صحيح البخارى: ج ٥ ص ٣٨ و ٣٩.

(٣) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٣٤، و مثلها فى صحيح البخارى: ج ٥ ص ٣٨ و ٣٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ١٨، ص ١٠٨.

(٥) سفينة البحار: ج ١ ص ٣٨٠ (خدج).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٤٢

٦- روى مجاهد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلمّ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الشاء عليها، فذكرها يوما من الايام فادركتنى الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزا فقد أبدلك الله خيرا منها، فغضب حتى أهتر مقدم شعره من الغضب، ثم قال: «لا و الله ما أبدلنى الله خيرا منها، آمنت بى إذ كفر الناس، و صدقتنى و كذبتنى الناس و واستنى فى ما لها اذ حرمنى الناس و رزقنى الله منها اولادا إذ حرمنى اولاد النساء» قالت عائشة فقلت فى نفسى: لا أذكرها بسيئة ابدا (١).

٧- عن يعلى بن المغيرة عن ابن ابى رواد قال: دخل رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلمّ على خديجة فى مرضها الذى ماتت فيه، فقال لها:

«يا خديجة أ تكرهين ما أرى منك، و قد يجعل الله فى الكره خيرا كثيرا، أما علمت أن الله تعالى زوجنى معك فى الجنة مريم بنت عمران، و كلتم اخت موسى و آسية امرأة فرعون...» (٢).

٨- عن عكرمة عن ابن عباس قال خطّ رسول الله صلى الله عليه و آله أربع خطط فى الأرض و قال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: الله و رسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: «أفضل نساء الجنة أربع: خديجة بنت خويلد، و فاطمة بنت محمّد، و مريم بنت

عمران و آسيه بنت مزاحم امرأة فرعون» (٣).

٩- عن أنس جاء جبرئيل الى النبي صلى الله عليه وآله [و آله] و عنده خديجة فقال: إن الله يقرئ خديجة السلام فقالت: إن الله هو السلام، و عليك السلام، و رحمه الله و بركاته (٤).

١٠- عن أبي الحسن الأول (الكاظم) عليه السلام قال قال رسول الله صلى

(١) اسد الغابة: ج ٥ ص ٤٣٨، و رواها مسلم أيضا: ج ٧ ص ١٣٤، و كذا البخارى: ج ٥ ص ٣٩ و قد حذف آخرها من: فغضب حتى ... الى آخر الرواية.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٤٧، و أسد الغابة: ج ٥ ص ٤٣٩.

(٣) الخصال للصدوق: ج ١ ص ٩٦، كما فى بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢.

(٤) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٨١٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٦٣

الله عليه وآله: «إن الله اختار من النساء اربعا: مريم و آسيه و خديجة و فاطمة» (١).

١١- عن ابى اليقظان عمران بن عبد الله عن ربيعة السعدى قال أتيت حذيفة بن اليمان و هو فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فسمعتة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم يقول:

«خديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الايمان بالله و بمحمد (صلى الله عليه وآله)» (٢).

١٢- عن عروة قال قالت عائشة لفاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله [و آله] و سلم: ألا ابشرك أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، و فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله [و آله] و سلم، و خديجة بنت خويلد و آسيه» (٣).

١٣- عن أبى عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم منزله، فاذا عائشة مقبله على فاطمة تصايحها و هى تقول: و الله يا بنت خديجة، ما ترين إلا أن لامك علينا فضلا، و أى فضل كان لها علينا؟! ما هى إلا كبعضنا، فسمع صلى الله عليه وآله و آله مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول الله صلى الله عليه وآله بكت، فقال: ما يبكيك يا بنت محمد؟! قالت: ذكرت أمى فتتقصتها فبكت، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله. ثم قال:

«مه يا حميراء، فان الله تبارك و تعالى بارك فى الودود الولود، و أن خديجة رحمها الله ولدت منى طاهرا، و هو عبد الله و هو المطهر و ولدت منى القاسم، و فاطمة، و رقية، و أم كلثوم، و زينب، و أنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدى

(١) الخصال: ج ١ ص ٩٦، كما فى البحار: ج ١٦ ص ٢.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٨٤-١٨٦ و وردت روايات بمضمون ذيل الحديث فى صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٣٣.

(٣) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٨٤-١٨٦ و وردت روايات بمضمون ذيل الحديث فى صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٣٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٦٤

شيئا» (١).

أجل هذه هى «خديجة بنت خويلد» شرف و عقل، و حب عميق لرسول الله صلى الله عليه وآله، و وفاء و إخلاص، و تضحية بالعالى و الرخيص فى سبيل الإسلام الحنيف.

هذه هي «خديجة» أول من آمنت بالله ورسوله، وصدقت محمدا فيما جاء به عن ربه، من النساء، وآزره، فكان صلى الله عليه وآله لا يسمع من المشركين شيئا يكرهه من رد عليه، وتكذيب له إلا فرج الله عنه بخديجة التي كانت تخفف عنه «٢»، وتهون عليه ما يلقي من قومه، بما تمنحه من لطفها، وعطفها، وعنايتها به صلى الله عليه وآله، في غاية الاخلاص والود والتفاني.

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبها حبا شديدا ويجلها وبقدرها حق قدرها «٣»، ولم يفتأ يذكرها، ولم يتزوج عليها غيرها حتى رحلت وفاء لها، واحتراما لشخصها ومشاعرها، وكان يغضب إذا ذكرها احد بسوء، كيف وهي التي آمنت به اذ كفر به الناس، وصدقته اذ كذبها الناس، واسته في ما لها اذ حرمه الناس.

ولهذا أيضا كان وفاتها مصيبة عظيمة أحزنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودفعته إلى أن يسمي ذلك العام الذي توفي فيه ناصرا وحميا، ورفيقا لآله (زوجته هذه: خديجة بنت خويلد وعمه المؤمن الصامد الصابر ابو طالب عليهما السلام) بعام الحداد، او عام الحزن «٤» وان يلزم بيته ويقل الخروج «٥»،

(١) الخصال: ج ٢ ص ٣٧ و ٣٨، كما في بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٣.

(٢) اعلام النساء لعمر رضا كحالة: ج ١ ص ٣٢٨.

(٣) اعلام النساء: ج ١ ص ٣٣٠.

(٤) تاريخ يعقوبي: ج ٢ ص ٣٥، وقد روى عنه صلى الله عليه وآله أنه قال بهذه المناسبة:

«اجتمعت على هذه الامة مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشد جزعا» المصدر نفسه، وراجع تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٠١ نقلا عن سيرة مغلطاي.

(٥) السيرة الحلبيّة: ج ١ ص ٣٤٧، المواهب اللدنية حسب نقل تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٠٢ وفيه إضافة: ونالت قريش منه ما لم تكن تنال.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٦٥

و أن ينزل صلى الله عليه وآله عند دفنها في حفرتها، ويدخلها القبر بيده، في الحجون «١».

عن ابن عباس في حديث طويل في زواج فاطمة الزهراء عليها السلام بعلى عليه السلام اجتمعت نساء رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان يومئذ في بيت عائشة ليسألته أن يدخل الزهراء على (علتي) عليه السلام فاحدقن به وقلت:

فديناك بأبائنا وأمهاتنا يا رسول الله قد اجتمعنا لأمر لو أن «خديجة» في الأحياء لقرت بذلك عينها.

قالت أم سلمة: فلما ذكرنا «خديجة» بكى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: «خديجة و ابن مثل خديجة، صدقتني حين كذبني الناس وازرنتني على دين الله و أعانتني عليه بمالها، إن الله عزّ وجلّ أمرني أن ابشر خديجة ببيت في الجنة من قصب (الزمرّد) لا صخب فيه ولا نصب» «٢».

لقد كانت خديجة من خيرة نساء قريش شرفا، وأكثرهنّ مالا، واحسنهنّ جمالا وأقواهنّ عقلا وفهما وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة لشدة عفافها وصيانتها «٣» ويقال لها: سيدة قريش «٤»، وكان لها من المكانة والمنزلة بحيث كان كل قومها و سراه أبناء جلدتها حريصين على الاقتران بها «٥»، وقد خطبها - كما يحدثنا التاريخ - عظماء قريش و بذلوا لها الأموال، و ممن خطبها «عاقبة بن ابي معيط» و «الصلت بن ابي يهاب» و «ابو جهل» و «ابو سفيان» فرفضتهم جميعا، واختارت رسول الله - وهي في سن الأربعين و هو صلى الله عليه وآله في الخامسة والعشرين - وهي تمتلك تلکم الثروة الطائلة، وهو صلى الله عليه وآله لا يمتلك من حطام الدنيا إلا الشيء اليسير اليسير، رغبة في الاقتران به و لما عرفت فيه من كرم الأخلاق، و شرف النفس، و السجايا الكريمة و الصفات العالية، و هي ما كانت تبحث عنه في حياتها و تتعشقه و اذا بتلك المرأة الغنية الثرية العائشة في

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٤٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٣١ نقلا عن كشف اليقين.

(٣) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣٧.

(٤) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣٧.

(٥) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٦٦

أفضل عيش تصيح في بيت زوجها الرسول صلى الله عليه وآله تلك الزوجة المطيعة الخاضعة، الوفيه المخلصه، و تسارع الى قبول دعوته، و اعتناق دينه بوعى و بصيره و اراده منها و اختيار، و هى تعلم ما ينطوى عليه ذلك من مخاطر و متاعب، و تجعل كل ثروتها فى خدمه العقيدة و المبدأ، و تشاطر زوجها آلامه، و متاعبه، و ترضى بأن تذوق مرارة الحصار فى شعب أبى طالب ثلاث سنوات فى سنّ الرابعة أو الخامسة و الستين. و هى مع ذلك تواجه كل ذلك بصبر و ثبات «١»، و دون أن يذكر عنها تبرّم او توجع. هذا مضافا إلى أنها كانت تعامل رسول الله صلى الله عليه وآله بأدب تامّ يليق بمقام الرسالة و النبوة، على العكس من غيرها من بعض نساء النبيّ اللائى كن ربما يثرن سخطه و غضبه، و يؤذينه فى نفسه و أهله.

و إليك فيما يأتى بعض ما قاله عنها كبار الشخصيات، و المؤرخين ممّا يكشف عن عظيم مكانتها عند المسلمين أيضا، قال امير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام:

«كنت أول من أسلم، فمكثنا بذلك ثلاث حجج و ما على الأرض خلق يصلّى و يشهد لرسول الله صلى الله عليه وآله بما أتاه غيرى، و غير ابنه خويلد رحمها الله و قد فعل» «٢».

و قال محمّد بن اسحاق: كانت خديجة أول من آمن بالله و رسوله و صدّقت بما جاء من الله، و وازرتة على أمره فخفف الله بذلك عن رسول الله، و كان لا يسمع شيئا يكرهه من ردّ عليه و تكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بها اذا رجع إليها تثبته، و تخفّف عنه، و تهوّن

(١) شرح نهج البلاغه لابن ابى الحديد: ج ١٤ ص ٥٩ قال: خديجة بنت خويلد و هى عند رسول الله صلى الله عليه وآله محاصرة فى الشعب.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٢ و مثله فى روايات متعددة فى شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد: ج ٤ ص ١١٩ و ١٢٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٦٧

عليه امر الناس حتى ماتت رحمها الله «١».

و عنه أيضا: أن «خديجة بنت خويلد» و «ابا طالب» ماتا فى عام واحد، فتتابع على رسول الله صلى الله عليه وآله هلاك خديجة و ابى طالب و كانت خديجة و زيرة صدق على الإسلام، و كان رسول الله يسكن إليها «٢».

و قال أبو امامه ابن النقاش: ان سبق خديجة و تأثيرها فى اول الإسلام و مؤازرتها و نصرتها و قيامها لله بمالها و نفسها لم يشركها فيه احد لا عائشة و لا غيرها من امهات المؤمنين «٣».

و قد جاء فى المنتقى: ان رسول الله صلى الله عليه وآله عند ما امر بأن يصدع بالرسالة صعد على الصفا، و أخبر الناس بما أمره الله به فرماه أبو جهل قبحه الله بحجر فشج بين عينيه، و تبعه المشركون بالحجارة فهرب حتى أتى الجبل، فسمع على و خديجة بذلك فراحا يلتمسانه صلى الله عليه وآله و هو جائع عطشان مرهق، و مضت خديجة تبحث عنه فى كل مكان فى الوادى و هى تناديه بحرقه و

ألم، و تبكى و تنحب، فنظر جبرئيل إلى خديجة تجول في الوادي فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى خديجة فقد أبكت لبكائها ملائكة السماء؟ ادعها إليك فاقراها منى السلام و قل لها: إن الله يقرئك السلام، و يبشّرها أن لها في الجنة بيتا من قصب لا نصب فيه و لا صخب فدعاها النبي صلى الله عليه وآله و آله و الدماء تسيل من وجهه على الأرض و هو يمسحها و يردّها، و بقي رسول الله و صلى الله عليه و آله، و على و خديجة هناك حتى جنّ الليل فانصرفوا جميعا و دخلت به خديجة منزلها، فأقعدته على الموضع الذي فيه الصخرة و اطلّته بصخرة من فوق رأسه، و قامت في وجهه تستره ببردها و أقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فإذا جاءت من فوق رأسه صخرة و قته الصخرة، و إذا رموه من تحته و قته الجدران الحيط، و إذا رمى من بين يديه و قته خديجة رضی الله عنها بنفسها، و جعلت تنادى يا معشر قريش ترمي الحرّة

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٠-١٢.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تاريخ الخمس في أحوال أنفس نفيس: ج ١ ص ٢٦٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٦٨

في منزلها؟ فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه، و أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله، و غدا إلى المسجد يصلى «١». و لقد بلغ من خضوعها لرسول الله صلى الله عليه وآله و حبها له أنها بعد أن تم عقد زواجها برسول الله صلى الله عليه وآله قالت له صلى الله عليه وآله: «إلى بيتك، في بيتي بيتك، و أنا جاريتك» «٢».

و جاء في السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: و لسبقها إلى الإسلام و حسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله و هو بغار حراء و قال له: اقرأ عليها السلام من ربها و منى، و بشرها بيت في الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب، فقالت: هو السلام و منه السلام و على جبرئيل السلام، و عليك يا رسول الله السلام و رحمته الله و بركاته، و هذا من وفور فقهها رضی الله عنها حيث جعلت مكان ردّ السلام على الله الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به و ما يليق بغيره، قال ابن هشام و القصب هنا اللؤلؤ المجوف، و ابدى السهيلي لنفى النصب لطيفة هي انه صلى الله عليه وآله لما دعاها إلى الايمان أجابت طوعا و لم تحوجه لرفع صوت و لا منازعة و لا نصب بل ازلت عنه كل تعب، و آنتسته من كل وحشة، و هونت عليه كل عسير فناسب ان تكون منزلتها التي بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها و صورة حالها رضی الله عنها و اقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها، و تميزت أيضا بأنها لم تسؤه صلى الله عليه وآله و سلم و لم تغاضبه قط، و قد جازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها و بلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته «٣».

### افتخار اهل البيت بخديجة عليها السلام:

و ما يدل على سمو مقامها و علو منزلتها أن اهل البيت عليهم السلام طالما

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٤٣

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٤ نقلا عن الخرائج و الجرائح ص ١٨٦ و ١٨٧.

(٣) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٦٩ الهامش.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٦٩

افتخروا بأن خديجة منهم، و انهم من خديجة و قد كانوا يعتزون بها، و يشيدون بمكانتها:  
فقد خطب معاوية بالكوفة حين دخلها و الحسن و الحسين عليهما السلام جالسان تحت المنبر فذكر عليا عليه السلام فقال منه ثم نال  
من الحسن فقام الحسين عليه السلام ليرد عليه فأخذه الحسن بيده و أجلسه ثم قام فقال:  
«أيها الذائر علينا أنا الحسن و أبى علي و أنت معاوية و أبوك صخر و أمى فاطمة و امك هند و جدى رسول الله و جدك عتبة بن  
ربيعه و جدتى خديجة و جدتك قتيلة فلعن الله أحمنا ذكرا و ألأنا حسبا و شرنا قديما و حديثا. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين  
»(١).

وقيل: ان «الحسين» عليه السلام سائر «أنس بن مالك» فأتى قبر خديجة فبكى ثم قال: اذهب عني قال «أنس»؛ فاستخفيت عنه فلما طال  
وقوفه فى الصلاة سمعته يقول:

يا ربّ يا ربّ أنت مولاه فارحم عبيدا إليك ملجاء

يا ذا المعالى عليك معتمدى طوبى لمن كنت أنت مولاه

طوبى لمن كان خادما أرقاشكو إلى ذى الجلال بلواه الى آخر الايات «٢».

هكذا كان اهل البيت النبوى- اقتداء برسول الله صلى الله عليه و آله يحترمون خديجة و يكرمونها لما كان لها من شخصيه عظيمه و  
لما اسدته الى الإسلام و الى رسول الإسلام من خدمات لا تنسى على مّر الدهور.

ان بيان و نقل الأحاديث و الروايات، و كذا الأقوال التي وردت فى شأن خديجة و الحديث عن شخصيتها و مكانتها و مدى إسهامها  
فى انجاح و نصره الدعوة المحمديه خارج عن امكانية هذه الدراسة، و نطاقها، لذلك نكتفى بهذه الالماعه

(١) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد المعتزلى: ج ١٦، ص ٤٦ و ٤٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ١٩٣ نقلا عن عيون المحاسن.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧٠

العابرة تاركين الكلام باسهاب حولها إلى مجال آخر.

و لنعد إلى تبين الأسباب الظاهرية و الباطنية لزواجها من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

(١)

### العلل الظاهرية و الحقيقية وراء زواج خديجة بالنبي صلى الله عليه و آله:

إن الإنسان المادى الذى ينظر الى كل ما يحيط به من خلال المنظار المادى، و يفسره تفسيراً مادياً قد يتصور (و بالاحرى يظن) أن  
«خديجة» كانت امرأة تاجرة تهتم تجارتها، و تنمية ثروتها، و لأنها كانت بجاجة ماسة الى رجل أمين قبل اى شىء، لذلك وجدت  
ضالتها فى محمد الصادق الامين صلى الله عليه و آله فتزوجت منه، بعد أن عرضت نفسها عليه و محمد صلى الله عليه و آله هو الآخر  
حيث انه كان يعلم بغناها و ثروتها، قبل بهذا العرض رغم ما كان بينه و بينها من فارق فى السن كبير.

و لكن التاريخ يثبت أن ثمة أسبابا و عللا معنوية لا مادية هى التى دفعت بخديجة للزواج بأمين قريش و فتاها الصادق الطاهر.

و إليك فى ما يأتى شواهدنا على هذا الأمر:

(٢) ١- عند ما سألت «خديجة» ميسرة عما رآه فى رحلته من فتى قريش «محمد» فخبّرها ميسرة بما شاهد و رأى من «محمد» فى تلك

السفرة، و بما سمعه من راهب الشام حوله أحسّت «خديجة» فى نفسها بشوق عظيم و رغبة شديدة نحوه كانت نابغه من اعجابها



بمعنوية محمد صلى الله عليه وآله و كريم خصاله، و عظيم أخلاقه، فقالت من دون إرادتها: «حسبك يا ميسرة؛ لقد زدتنى شوقا إلى محمد صلى الله عليه وآله، اذهب فانت حر لوجه الله، و زوجتك و أولادك و لك عندى مائتا درهم و راحلتان» ثم خلعت عليه خلعة سنينة (١).

ثم إنها ذكرت ما سمعته من «ميسرة» لورقة بن نوفل و كان من حكماء

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٥٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧١

العرب: فقال ورقة: «لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبى هذه الأمة» (١).

(١) ٢- مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله يَوْمَا بَمَنْزَلِ «خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ» وَ هِيَ جَالِسَةٌ فِي مَلَأٍ مِنْ نِسَائِهَا وَ جَوَارِيهَا وَ خَدَمِهَا وَ كَانَ عِنْدَهَا حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، فَلَمَّا مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله نَظَرَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْحَبْرُ وَقَالَ: يَا خَدِيجَةُ مَرَى مِنْ يَأْتِي بِهَذَا الشَّابِّ، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ مِنْ أَتَى بِهِ، وَ دَخَلَ مَنْزِلَ «خَدِيجَةَ»، فَقَالَ لَهُ الْحَبْرُ:

اكَشَفَ عَنْ ظَهْرِكَ فَلَمَّا كَشَفَ لَهُ قَالَ الْحَبْرُ: هَذَا وَ اللَّهُ خَاتِمُ النَّبُوَّةِ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: لَوْ رَأَيْتَ عَمَهُ وَ أَنْتَ تَفْتَشُهُ لَحَلَّتْ عَلَيْكَ مِنْهُ نَازِلَةُ الْبَلَاءِ وَ إِنْ أَعْمَامِهِ لِيَحْذَرُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ:

فَقَالَ الْحَبْرُ: وَ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى «مُحَمَّدٍ» هَذَا بِسُوءِ، هَذَا وَ حَقُّ الْكَلِيمِ رَسُولُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَطُوبَى لِمَنْ يَكُونُ لَهُ بَعْلًا، وَ تَكُونُ لَهُ زَوْجَةً وَ أَهْلًا فَقَدْ حَازَتْ شَرَفَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ.

فَتَعَجَّبَتْ «خَدِيجَةُ»، وَ انصرفت «مُحَمَّدٌ» وَ قَدْ اشْتَغَلَ قَلْبُ «خَدِيجَةَ» بِنْتِ خُوَيْلِدٍ بِحُبِّهِ فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْحَبْرُ بِمَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا أَنَّهُ نَبِيٌّ؟

قال: وجدت صفاته فى التوراه انه المبعوث آخر الزمان يموت أبوه و أمه، و يكفله جدّه و عمه، و سوف يتزوج بامرأة من قريش سيدة قومها و أميرة عشيرتها، و أشار بيده الى خديجة فلما سمعت «خديجة» ما نطق به الحبر تعلق قلبها بالنبي صلى الله عليه وآله فلما خرج من عندها قال: اجتهدى ان لا يفوتك «محمد» فهو الشرف فى الدنيا و الآخرة (٢).

(٢) ٣- لقد كان ورقة بن نوفل (و هو عم خديجة و كان من كهان قريش و قد قرأ صحف «شيث» عليه السلام و صحف «إبراهيم» عليه السلام و قرأ التوراه و الانجيل و زبور «داود» عليه السلام) يقول دائما: سيبعث رجل من قريش فى آخر

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٩١، السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٠ و ٢١ نقلا عن كتاب الأنوار لأبى الحسن البكرى.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧٢

الزمان يتزوج بامرأة من قريش تسود قومها (أو تكون سيدة قومها، و أميرة عشيرتها)، و لهذا كان يقول لها: «يا خديجة سوف تتصلين برجل يكون أشرف أهل الأرض و السماء» (١).

(١) هذه قضايا ذكرها بعض المؤرخين، و هى منقولة و مثبتة فى طائفة كبيرة من الكتب التاريخية، و هى بمجموعها تدل على العلل الحقيقية و الباطنية لرغبة خديجة فى الزواج برسول الله صلى الله عليه وآله، و إن هذه الرغبة كانت ناشئة من اعجاب «خديجة» بأخلاق فتى قريش الأمين، و نبلة، و طهارته، و عظيم سجايه و خصاله، و حبها لهذه الامور، و ليس هناك أى أثر فى علل هذا الزواج لامانة «محمد» و كونه أصلح من غيره لهذا لسبب للقيام بتجارة «خديجة».

(٢)



## كيف تمت خطبة خديجة؟

من المسلم به أن اقتراح الزواج جاء من جانب «خديجة» نفسها أولاً، حتى أن ابن هشام «٢» نقل في سيرته: ان «خديجة» لما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت له: «يا ابن عم أبي قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك [أي شرفك ومكانتك] في قومك، وأمانتك وحسن خلقك، وصدق حديثك» ثم اقترحت عليه أن تتزوج به.

و يعتقد أكثر المؤرخين أن «نفسه بنت عتيبة» بلغت رساله «خديجة» إلى النبي صلى الله عليه وآله على النحو التالي:

قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا محمد ما يمنعك أن تتزوج ...

ولو دعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فمن هي؟

فقالت: خديجة، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وكيف لي بذلك، فقالت: علي، فذهبت إلى خديجة فأخبرتها، فأرسلت خديجة إلى رسول الله صلى

(١) بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢١.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٨٩ و ١٩٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧٣

الله عليه وآله بوكيلها «عمرو بن اسد» «١» لتحديد ساعته من اجل مراسم الخطبة في محضر من الاقارب «٢».

(١) فشاور النبي صلى الله عليه وآله أعمامه وفي مقدمتهم «أبو طالب»، ثم عقدوا مجلساً فخماً حضره كبار وجوه قريش، و رؤساؤها فخطب «أبو طالب»، وبعد ان حمد الله و اثني عليه وصف ابن أخيه محمداً بقوله:

«ثم إن ابن أخي هذا محمّد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجع به شرفاً و نبلاً و فضلاً و عقلاً، و إن كان في المال فإن المال ظلّ زائل، و أمر حائل و عارية مسترجعة، و له في خديجة رغبة و لها فيه رغبة، و الصداق ما سألتهم عاجله و آجله من مالي، و محمّد من قد عرفتم قرابته».

و حيث أن «ابا طالب» تعرّض في خطبته لذكر قريش، و بنى هاشم و فضيلتهم، و منزلتهم بين العرب، لذلك تكلم «ورقة بن نوفل بن اسد» الذي كان من أقارب خديجة «٣» و قال في خطبة له: «لا تنكر العشيرة فضلكم، و لا يردّ أحد من الناس فخركم و شرفكم و قد رغبتنا في الاتصال بحبلكم و شرفكم» «٤».

ثم اجري عقد النكاح و مهرها النبي صلى الله عليه وآله عليه و آله أربعمائة دينار و قيل أصدقها عشرين بكرة «٥».

(١) المعروف أنّ والد خديجة توفي في حرب الفجار و لهذا قام بالايجاب من قبلها عمها عمرو بن اسد و لهذا لا يصح ما ذكره بعض المؤرخين من أنّ خويلد (والد خديجة) امتنع من تزويجها لرسول الله صلى الله عليه وآله في بداية الأمر، ثم رضى بذلك نزولاً عند رغبة خديجة.

(٢) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٢٦٤.

(٣) المعروف أنّ ورقة كان عمّاً لخديجة و لكن هذا موضع نقاش لأنّ «خديجة بنت خويلد بن اسد» و ورقة بن نوفل بن اسد فيكونان أولاد عمومة أي أنّ ابن عم خديجة و هي بنت عمّه. و لذلك جاء في بعض المصادر وصفه ب «ابن عمّها» (تاريخ الخميس: ج ١ ص ٢٨٢) و راجع قبله السيرة النبوية لابن هشام: ج ١، ص ٢٠٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٦، مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٣٠، السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣٩، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٢٦٤.

(٥) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧٤.

(١)

### عمر خديجة عند زواجها بالنبي صلى الله عليه وآله:

المعروف المشهور أن خديجة عليها السلام تزوجت من رسول الله صلى الله عليه وآله وهي في سنّ الأربعين و أنها ولدت قبل عام الفيل بخمسة عشر عاما.

و ذكر البعض أقلّ من ذلك أيضا.

و ذكر أنها تزوجت قبل النبي صلى الله عليه وآله برجلين أولهما «عتيق بن عائد» ثم من بعده ابو هالة التميمي اللذين توفي كل منهما بعيد زواجه بخديجة «١».

(١) ربما يشكك في أن تكون خديجة عليها السلام قد تزوجت قبل رسول الله صلى الله عليه وآله بأحد و هي التي امتنعت عن كل من خطبها و رام تزويجها من سادات قريش و اشرافها. راجع الاستغاثة: ج ١، ص ٧٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧٥.

(١)

### ١٠ من الزواج الى البعث

#### إشارة

تعتبر فترة الشباب من أهمّ و أخطر الفترات في حياة الإنسان ففي هذه الفترة تبلغ الغريزة الجنسية نضجها و كمالها، و تصبح النفس البشرية لعبة في أيدي الأهواء و يغلب طوفان الشهوة على فضاء العقل، و يغطّي الظلام سماء التفكير، و تشتد حاكمية الغرائز المادية، و تتضاءل شعله العقل، و تتراءى أمام عيون الشباب بين الحين و الآخر، و صباح مساء صروح عظمة من الآمال الخيالية.

و لو ملك الإنسان- في مثل هذه الفترة- شيئا من الثروة، لتحوّلت حياته إلى مسألة في غاية الخطورة فالغرائز الحيوانية، و صحة المزاج من جهة و الامكانيات المادية و المالية من جهة اخرى تتعاضدان و تغرقان المرء في بحر من الشهوات، و النزوات، و تهيتان له عالما بعيدا عن التفكير في المستقبل.

(٢) و من هنا يصف المرّبون العلماء تلك الفترة الحساسة بأنها الحدّ الفاصل بين الشقاء و السعادة، و الفترة التي قلما يستطيع شاب أن يرسم لنفسه فيها مسارا معقولا، و يختار لنفسه طريقا واضحا على أمل الحصول على الملكات الفاضلة، و النفسية الرفيعة الطاهرة التي تحفظه عن أي خطر متوقع «١». حقا إن كبح جماح

(١) و الى هذه الحقيقة أشار الإمام جعفر الصادق عليه السلام بقوله:

إنّ الفراغ و الشباب و الجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧٦

النفس، و زَمَّها و حفظها من الانزلاق فى مهاوى الشهوات، و النزوات فى مثل هذه الفترة لهو أمر جدّ عسير، و لو أن الانسان حرم من تربية عائلية صحيحة مستقيمة كان عليه أن ينتظر مصيرا سيئا، و مستقبلا فى غاية البؤس و الشقاء.

(١)

### فترة الشباب فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله:

ليس من شك فى ان فتى قريش «محمد» صلى الله عليه وآله كان يتمتع فى أيام شبابه بصحة جيدة، و قوة بدنية عالية، و كان شجاعا قويا، لأنه صلى الله عليه وآله قد تربى فى بيئة حرة بعيدة عن ضوضاء الحياة، و فتح عينيه فى عائلة اتصف جميع أفرادها و اعضائها بالشجاعة و الفروسيه، هذا من جانب، و من جانب آخر كان يمتلك ثروة «خديجة» الطائلة فكانت ظروف الترف، و العيش الشهوانى متوفرة له بشكل كامل، و لكن كيف ترى استفاد من هذه الامكانيات المادية هل مدّ موائد العيش و اللذة و شارك فى مجالس السهر و السمر و اللهو و اللعب. و اطلق العنان لشهوته، و فكر فى إشباع غرائزه الجنسية كغيره من شباب ذلك العصر، و تلك البيئة الفاسدة. أم أنه اختار لنفسه منهجا آخر فى حياته، و استفاد من كل تلك الإمكانيات فى سبيل تحقيق حياة زاخرة بالمعنوية، الأمر الذى تبدو ملامحه بجلاء لمن تتبع تلك الفترة الحساسة من تاريخه.

(٢) ان التاريخ ليشهد بأنه صلى الله عليه وآله كان يعيش كما يعيش أى رجل رجل عاقل لبيب و فاضل رشيد، و أنه طوى تلك السنوات الحساسة من حياته كأحسن ما يكون، بعيدا عن العبث و الترف و الضياع و الانزلاق إلى الشهوات و الانسياق وراء التوافه. بل ان التاريخ ليشهد بأنه كان اشد ما يكون نفورا من اللهو، و العبث، و الترف و المجون فقد كانت تلوح على محياه دائما آثار التفكر و التأمل، و كثيرا ما كان يلجأ الى سفوح الجبال او الكهوف و المغارات للابتعاد عن الجوّ الاجتماعى الموبوء فى مكة، يلبث هناك أياما يتأمل فيها فى آثار القدرة الإلهية،

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧٧

و فى عظمة الصنع الالهى، الرائع البديع.

(١)

### احاسيسه و مشاعره الإنسانية فى فترة الشباب:

و لقد وقعت فى احدى أسواق مكة ذات يوم حادثه هيجت مشاعره الإنسانية و حركت عواطفه و احاسيسه، فقد رأى مقامرا قد خسر بغيره و بيته، بل بلغ الأمر به أن استرقه منافسه عشرة أعوام. و قد آلمت هذه القصة المأساوية فتى قريش «محمد» بشدة، الى درجة أنه لم يعد يحتمل البقاء فى «مكة» ذلك اليوم فغادرها من فوره و ذهب الى الجبال المحيطة بمكة ثم عاد بعد هزيع من الليل. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينزعج بشدة لهذه المشاهد المحزنة و الاوضاع المأساوية، و كان يتعجب من ضعف عقول قومه، و انحطاط مداركهم.

(٢) و لقد كان بيت «خديجة» قبل زواج النبی صلى الله عليه وآله بها ملاذا للفقراء و كعبة لآمال المساكين و المحرومين، و بعد أن تزوج النبی صلى الله عليه وآله بها لم يطرأ على وضع ذلك البيت أى تغيير من جهة الانفاق و البذل.

ففى سنين الجذب و القحط التى كانت تضرب مكة و ضواحيها بين الحين و الآخر ربما قدمت «حليمة السعدية» مكة لتزور ولدها

الرضاعي «محمد» فكان النبي صلى الله عليه وآله يكرمها ويحترمها، ويفرش رداءه تحت أقدامها، ويصغى لكلامها بعناية و لطف، وفاء لجميلها، و عرفانا لعواطفها و امومتها.

فقد روى أن «حليمة» قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بعد تزوجه خديجة، فشكت إليه جذب البلاد و هلاك المواشى فكلم رسول الله صلى الله عليه وآله «خديجة» فأعطتها بعيرا و اربعين شاة، و انصرفت الى أهلها موفورة، مسرورة.

و روى أيضا انه استأذنت «حليمة» عليه ذات مرة فلما دخلت عليه قال:

«أمتى أمتى» و عمد إلى رداءه فبسطه لها فقعدت عليه «١».

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٠٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧٨

(١)

### أولاد خديجة:

لا-ريب فى أن وجود الأولاد فى الحياة العائليّة ممّا يقوّى أواصر الوشيجة الزوجية، و يعمّق جذورها، و يمنح الجوّ العائليّ بهاء، و رونقا، و جمالا خاصا.

و لقد أنجبت «خديجة» لرسول الله صلى الله عليه وآله ستة من الأولاد اثنين من الذكور، أكبرهما «القاسم» ثم «عبد الله» اللذان كانا يدعيان ب: «الظاهر» و «الطيب» و اربعة من الإناث.

كتب ابن هشام يقول فى هذا الصدد: أكبر بناته رقية ثم زينب ثم أمّ كلثوم، ثم فاطمة.

فأما الذكور من أولاده صلى الله عليه وآله فماتوا قبل البعثة، و أما بناته فكلهن أدركن الإسلام «١».

و رغم أن النبي صلى الله عليه وآله قد عرف بصبره و جلده فى الحوادث و النوائب فربما انعكست احزانه القلبية فى قطرات دموعه الساخنة المنحدرة على خديه الشريفتين فى موت أولاده.

و لقد بلغ به الحزن و الغم لموت ولده «إبراهيم» من زوجته مارية القبطية حدا لم يحدث لغيره من أولاده، إلّا أنّه رغم ذلك الحزن الآخذ من قلبه مأخذا لم يفتر لسانه عن حمد الله و شكره حتى أن اعرابيا اعترض عليه صلى الله عليه وآله لما وجده يبكى على ولده قائلا: او لم تكن نهيت عن البكاء اجابه بقوله:

«انما هذا رحمة، و من لا يرحم لا يرحم» «٢».

(٢)

### حدس لا أساس له من الواقع!!

لقد كتب الدكتور هيكل فى كتابه: «حياة محمد» يقول: «لا ريب أن

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج ١ ص ١٤٠، قرب الأسناد: ٦ و ٧، الخصال: ج ٢ ص ٣٧، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٥-١٥٢. و قد ذكر

البعض للنبي صلى الله عليه وآله أكثر من ولدين، يراجع تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٣٥، بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٥١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٧٩

خديجة عند موت كل واحد منهما (اي ولدى النبي: القاسم و عبد الله) فى الجاهلية توجهت إلى آلهتها الاصنام تسألها ما بالها لم تشملها برحمتها و برها» (١).

إنّ هذا الكلام لا- يستند إلى أى دليل تاريخى، و ليس هو بالتالى إلاّ حدس باطل، و ادعاء فارغ ليس له من منشأ إلاّ ان أغلبية أهل ذلك العصر كانوا عبدة أوثان، فلا بدّ ان خديجة كانت على منوالهم!!

فى حين ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يبغض الأصنام و الأوثان من بداية شبابه، و قد اتضح موقفه منها أكثر فى سفرته الى الشام فى أموال خديجة يوم قال لمن استحلفه بالللات و العزى: «إليك عنى، فما تكلمت العرب بكلمة أثقل على من هذه».

مع ذلك كيف يمكن القول بأن امرأة لبيبة عاقلة لم يكن شدة حبها و شغفها بزوجها موضع شك، أن تتوجه عند موت ولديها إلى الاصنام التى كانت ابغض الأشياء عند زوجها، و خاصة أن حبها لزوجها «محمد» و بل إقدامها على الزواج منه انما كان بسبب ما كان يتحلى به من ايمان و معنوية، و صفات فاضلة، و ملكات اخلاقية عالية، فهى قد سمعت عنه بأنه آخر نبي، و أنه خاتم المرسلين، فكيف و الحال هذه يمكن ان يحتمل أحد أنّها- مع هذا الاعتقاد- بثت شكواها و حزنها الى الاوثان و الاصنام؟؟!

(١)

### دعى رسول الله: زيد بن حارثة:

عند الحجر الاسود أعلن رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن تبنيه له ...

ذلك هو زيد بن حارثة.

و كان «زيد» ممن سباه العرب من حدود الشام، و باعوه فى أسواق مكة رقيقا لأحد أقرباء «خديجة» يدعى «حكيم بن حزام»، و لكن لا يعرف كيف انتقل إلى «خديجة» فى ما بعد؟

(١) حياة محمد: ص ١٢٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨٠

(١) يقول هيكل فى كتابه «حياة محمد» فى هذا الصدد «لقد ترك موت ولدى رسول الله صلى الله عليه وآله فى نفس النبي أثرا عميقا حتى إذا جاء زيد بن حارثة يباع طلب الى «خديجة» أن تتبناه ففعلت ثم اعتقه و تبناه» (١).

و لكن اكثر المؤرخين يقولون: ان «حكيم بن حزام» قد اشتراه لعمته «خديجة بنت خويلد»، و قد أحبه رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم لذكائه و طهره، فوهبته «خديجة» له عند زواجه صلى الله عليه وآله منها.

ففتش عنه والده «حارثة» حتى عرف بمكانه فى مكة، فقدمها، و دخل على النبي صلى الله عليه وآله، فطلب منه صلى الله عليه وآله أن يأذن لزيد ليرحل معه إلى موطنه، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و خيره بين المقام معه صلى الله عليه وآله و الرحيل الى موطنه مع أبيه، فاختار المقام مع رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لما وجد من خلقه، و حنانه، و لطفه العظيم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ذلك اخرجته الى الحجر و اعتقه ثم تبناه على مرأى من الناس و مسمع قائلا: «يا من حضر اشهدوا أن زيدا ابني» (٢).

..(٢)

(٢)

### بداية الخلاف بين الوثنين:

لقد أوجدت البعثة النبوية خلافاً واختلافاً كبيراً في أوساط قريش و فرقت صفوفهم، غير أن هذا الاختلاف قد وجدت أسبابه و عوامله، و ظهرت بوادره و علائمه قبل البعثة المباركة.  
فقد أبدى جماعة من الناس في الجزيرة العربية استياءهم من دين العرب و انكروا عقائدهم الباطلة، و طالما كانوا يتحدثون عن قرب ظهور النبي العربي الذي يتم على يديه إحياء التوحيد.  
و كان اليهود يتوعدون أهل الاصنام بالنبي صلى الله عليه و آله و يقولون:

(١) حياة محمد: ص ١٢٨.

(٢) الاصابة: ج ١ ص ٥٤٥ و ٥٤٦، اسد الغابة: ج ٢ ص ٢٢٥ و ٢٢٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨١

ليخرجن نبي فليكسرن أصنامكم «١».

(١) و كتب ابن هشام يقول: كان اليهود يقولون للعرب: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد و ارم.  
و كتب يقول أيضاً: و كانت الاحبار من اليهود، و الرهبان من النصارى و الكهّان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه و آله قبل بعثته.

هذه الكلمات تصوّر انقضاء عهد الوثنية في نظرهم إلى درجة أن بعض القبائل أجابت النبي صلى الله عليه و آله لما بعث، و دعاهم الله، بينما احجمت اليهود عن الايمان به و برسالته و بقيت على كفرها و جحودها لنبوته التي طالما بشرت بها.

و قد نزل فيهم قوله تعالى:

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» «٢» «٣».

(٢)

### أعمدة الوثنية تهتز:

و لقد شهد أحد أعياد قريش حادثاً غريباً كان في نظر العقلاء و أصحاب الفكر الثاقب منهم بمثابة جرس إنذار اذن باقتراب سقوط دولة الوثنيين، و انهيار صروح الوثنية و عبادة الأصنام، و انقراضها.

فقد اجتمعت قريش يوماً في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه و ينحرون له، و يعكفون عنده، فتنحى أربعة ممن عرفوا بالعلم ناحية، و أخذوا يتحدثون سرا، و أخذوا ينتقدون عبادة الأوثان و الأصنام، و ما عليه قومهم من فساد العقيدة.

فقال بعضهم لبعض: و الله ما قومكم على شيء، لقد أخطئوا دين أبيهم

(١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٣١.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٢١.

(٣) البقرة: ٨٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨٢

إبراهيم!! ما حجر نظيف به لا يسمع و لا يبصر، و لا يضر و لا ينفع، يا قوم التمسوا لأنفسكم ديناً ...

(١) و كان هؤلاء الأربعة هم:

١- «ورقة بن نوفل» الذي اختار النصرانية بعد أن طالع كتبها، و اتصل بأهلها.

٢- «عبيد الله بن جحش» الذي أسلم عند ظهور الإسلام، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة.

٣- «عثمان بن الحويرث» الذي قدم على قيصر ملك الروم، فتنصّر.

٤- «زيد بن عمرو بن نفيل» الذي اعتزل الأوثان، و قال: اعبد رب إبراهيم «١».

(٢) إن ظهور مثل هذا الاستنكار و الجحد للأوثان و الوثنية لا يعنى أبداً أنّ دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تعقياً لدعوة هذه الجماعة، و استمراراً لها!!

كيف يمكن أن نعتبر دعوة رسول الله العالمية مع ما انطوت عليه من أهداف كبرى، و استندت إليه من معارف و أحكام لا تحصى، ردة فعل لمثل هذا الحادث الصغير و تعبيراً عن مثل هذا الاستنكار المحدود؟

إن الحنيفية و هي سنة إبراهيم و دينه لم تكن قد محيت كلياً في الحجاز بعد أيام بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله بل كان هناك لا يزال بعض الأحناف (و هم الذين كانوا على دين إبراهيم عليه السلام) منتشرين في أنحاء الجزيرة العربية، إلا أن ذلك لا يعنى أنهم كانوا قادرين على التظاهر بعقيدتهم بين الناس، أو قيادة حركة، أو تربية أفراد على نهجهم، أو أن توجهاتهم التوحيدية كانت من القوة بحيث تستطيع أن تكون مصدر إلهام لقيم و معارف و تعاليم و أحكام لشخصية مثل رسول الإسلام «محمد» صلى الله عليه وآله و سلم.

(٣) فلم ينقل عن هؤلاء سوى بعض الاعتقادات المعدودة المحدودة مثل الاعتقاد

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٢٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨٣

بالمعاد و اليوم الآخر، و شىء بسيط من البرامج الأخلاقية، و حتى ما نقل عنهم من آيات توحيدية لا يمكن تأكيد انتسابها إليهم، و ان لم يمكن نفى ذلك أيضاً «١».

فهل يمكن و الحال هذه أن نعتبر الثقافة الإسلامية العظيمة، و المعارف العقلية العالية، و القوانين و التشريعات المفصلة، و الانظمة الأخلاقية و السياسية و الاقتصادية الإسلامية، الشاملة الكاملة، كنتيجة لمتابعة أولئك نفر المعدود من «الأحناف» الموحدين المنتشرين في أنحاء مختلفة من بلاد الحجاز الذين كانت جل عقائدهم تتألف من مجرد الاعتقاد بوجود الله، و اليوم الآخر و قضية أو قضيتين من قضايا الأخلاق؟!

(١)

### نموذج آخر عن ضعف قريش:

لم يكن يمض على عمر فتى قريش أكثر من خمس و ثلاثين عاماً يوم واجه اختلافاً كبيراً بين قريش، فأزال بحكمته ذلك التخاصم، و لقد كشفت هذه الحادثة عن مدى الاحترام الذي كان فتى قريش «محمد» يحظى به لدى قريش، كما و تكشف عن قوة اعتقادهم بصدقه و أمانته.

و إليك تفصيل هذه الحادثة:

انحدر سيل رهيب من جبال مكة المرتفعة نحو بيت الله المعظم «الكعبة المقدسة» فلم يسلم من هذا السيل بيت في مكة حتى الكعبة المعظمة، التي تصدعت جدرانها تصدعاً كبيراً بفعل ذلك السيل.

(٢) فعزمت قريش على بحديد تلك البنية المعظمة، و لكنها تهيت ذلك، و ترددت في هدم الكعبة، فأقدم «الوليد بن المغيرة» و هدم ركنين منها على شيء من الخوف، فانتظر أهل مكة أن يحل به أمر، و لكنهم لما رأوا «الوليد» لم يصبه

(١) و لقد نقل ابن هشام في كتابه: السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٢٢-٢٣٢ طائفة من الآيات و القصائد التوحيدية هذه؛ و التي جاء في مطلع إحداها ما أنشده زيد بن عمرو بن نفيل:

أرباً واحداً أم ألف ربّ أدين اذا تقسمت الامور؟  
عزلت اللات و العزى جميعاً كذلك يفعل الجلد الصبور (البصير)

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨٤

غضب من الآلهة، اطمأنوا إلى أنه لم يرتكب قبيحا، و أنه عمل ما فيه رضى آلهتهم، فاقدموا جميعاً على هدم ما تبقى من الكعبة، و اتفق أن تحطمت سفينة قادمة من «مصر» في تجارة لرومي عند ميناء «جدة» بفعل الرياح و العواصف، فعلمت بذلك قريش، و أرسلت رجالاً يبتاعون أخشابها ليستخدموها في بناء الكعبة المعظمة، و أوكلوا أمر نجارتها إلى نجار قبطني محترف كان يقطن «مكة».

(١) و لما ارتفعت جدران الكعبة إلى قامه الرجل، و آن الأوان لوضع الحجر الأسود في محله من الركن وقع الاختلاف بين زعماء قريش، و تنازعوا في من يتولّى وضع الحجر الاسود في مكانه.

و تحالفت قبيلة «بنى عبد الدار» مع «بنى عدى» على أن يمنعوا من أن ينال هذا الفخار غيرهم، و عمدوا إلى اناء مملوء بالدم فوضعوا أيديهم فيه تأكيداً لذلك الميثاق.

من هنا تأخرت عملية البناء و توقفت خمسة أيام لباليها، و كاد أن تنشب بينهم حرب دامية، و ربما طويله، فقد اجتمعت طوائف مختلفة من قريش في المسجد الحرام و هي تنتظر حادثة خطيرة، فعمد- في الأخير- شيخ من شيوخ قريش يدعى «أبو امية بن مغيرة المخزومي» من زعماء قريش و قال: يا معشر قريش، اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد «١» يقضى بينكم فيه» فقبلوا برأيه اجمع، فكان اول داخل عليه فتى قريش «محمّد» صلى الله عليه و آله فلما رأوه قالوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمّد.

(٢) فقال صلى الله عليه و آله: هلم إليّ ثوبا، فأخذ الحجر و وضعه فيه ثم قال:

«لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعاً»

ففعّلوا حتى إذا بلغوا به موضعه من الركن وضعه صلى الله عليه و آله هو بيده مكانه، و بهذا حال دون وقوع حوادث دامية كادت أن تقع بسبب تنازع قريش، و اختلافها، و حلّ الوفاق محل الشقاق بعد أن رضى الكل بحكمه.

(١) و في رواية: أول من يدخل باب الصفا.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨٥

و إلى قضية التحكيم هذه يشير «هيرة بن أبى وهب» في أبيات صوّرت هذه الحادثة التاريخية الكبرى، اذ قال:

تشاجرت الأحياء في فصل خطه جرت بينهم بالنحس من بعد أسعد

تلاقوا بها بالبغض بعد مودّة و أوقد ناراً بينهم شرّ موقد

فلما رأينا الأمر قد جدّ جدّه لم يبق شيء غير سلّ المهند

رضينا و قلنا العدل أول طالع يجيء من البطحاء من غير موعد

ففاجأنا هذا الامين محمّد قلنا رضينا بالأمين محمّد



بخير قريش كلها أمس شيمه وفي اليوم مع ما يحدث الله في غد  
فجاء بأمر لم ير الناس مثله أعمّ وأرضى في العواقب والبد  
وتلك يد منه علينا عظيمة يروب لها هذا الزمان ويعتدى «١»  
(١)

### أمين قريش يكفل علينا:

أجذبت مكة و ضواحيها سنة من السنين، و قل فيها الماء، و أصابت الناس أزمة شديدة، و كان أبو طالب عليه السلام كثير العيال، فعزم رسول الله صلى الله عليه وآله على أن يساعد عمه أبا طالب، و يخفف عنه عبء العيال، فانطلق الى عمه العباس و قال له: «إن أخاك أبا طالب كثير العيال و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله آخذ من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا».

فكفل العباس جعفرا، و كفل رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم عليا عليه السلام.

(٢) يقول أبو الفرج الاصفهاني المؤرخ المعروف في هذا الصدد:

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ١٩٢-١٩٩ و فروع الكافي: ج ٤ ص ٢١٧ و ٢١٨، و الجدير بالذكر أنهم قالوا عند تجديد بناء الكعبة: «يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلّا طيبا، لا يدخل فيها مهر بغى، و لا بيع ربا، و لا مظلمة أحد للناس» (البداية و النهاية: ج ٢ ص ٣٠١) و لا شك أن هذه من بقايا تعاليم الأنبياء التي بقيت بينهم و لم تمح بالمرّة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨٦

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ «عليا» من أبيه و هو صغير في سنة أصابت قريشا و قحط نالهم، و أخذ حمزة جعفرا و أخذ العباس طالبا ليكفوا أباهم مؤنتهم و يخففوا عنهم ثقلهم، و أخذ هو (أى أبو طالب) عقيلاً لميله كان إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اخترت من اختار الله لى عليكم: عليا» «١».

إن هذه الحادثة و إن كانت في ظاهرها تعنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله أقدم على هذا الأمر ليساعد عمه أبا طالب في تلك الازمة، لكن الهدف الأعلى و الأخير كان أمرا آخر و هو أن: يترتب على عليه السلام في حجر النبي، و يغتذى من مكارم اخلاقه و يتبعه في كريم افعاله.

و لقد اشار الإمام عليّ عليه السلام نفسه الى هذا الموضوع بقوله:

«و لقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بالقرابة القريبة و المنزلة الخصيصة و وضعنى في حجره و أنا ولد يضمنى إلى صدره و يكنفنى في فراشه ... و لقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما و يأمرنى بالافتداء به» «٢».

(١)

### إيمان النبي و آباءه و كفلائه قبل الإسلام:

تدل الدلائل التاريخية، القوية، فضلا عن الأدلة العقلية و المنطقية على أن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله لم يعبد غير الله تعالى منذ ولد من أمه، و الى أن رحل الى ربه، بل و كان كفلاؤه مثل عبد المطلب و أبى طالب مؤمنون موحدون هم أيضا

## إيمان جده عبد المطلب:

(٢) و أما عبد المطلب كفيل النبيّ الاوّل فلا ننسى أنه عند ما قصد «أبرهه» هدم

(١) مقاتل الطالبين: ص ٢٦، الكامل فى التاريخ: ج ١ ص ٣٧، السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٤٥-٢٤٧ باب (ذكر أن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه اول ذكر أسلم).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨٧.

الكعبة فى جيش الفيل، نزل فى جوف الليل الى الكعبة و أخذ بحلقه بابها يدعو الله و يقول مناجيا الله سبحانه. «اللهم أنيس المستوحشين، و لا وحشه معك فالبيت بيتك، و الحرم حرمك و الدار دارك، و نحن جيرانك، انك تمنع عنه ما تشاء، و ربّ الدار اولى بالدّار».

ثم أنشأ يقول:

يا ربّ لا أرجو لهم سواك يا ربّ فامنع منهمو حماكا

إن عدوّ البيت من عادا كما منعهموا إن يخبروا فناكا «١» و هذا يكشف بوضوح عن ايمان عبد المطلب بالله تعالى، و توكله عليه سبحانه، و انه كان الرجل الموحد الذى لا يلتجئ فى المصائب و المكاره الى غير كهف الله، و لا يعرف الا باب الله على عكس ما كانت الوثنية عليه فان قومه كانوا يستغيثون بالاصنام المنصوبة حول الكعبة.

و ممّا يدل على ايمانه أيضا توسله لكشف غمته بالله سبحانه فقد تتابعت على قريش سنون جذب ذهبت بالأموال، و اشرفت الانفس و اجتمعت قريش لعبد المطلب، و علوا جبل ابى قبيس و معهم النبيّ صلى الله عليه و آله محمّد و هو غلام فتقدم عبد المطلب و قال: لاهم (اى اللهم) هؤلاء عبيدك و إماؤك و بنو امائك، و قد نزل بنا ما ترى، و تتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف و الخف و الحافر، فاشرفت على الانفس فأذهب عنا الجذب، و اتنا بالحياء و الخصب، فما برحوا حتى سالت الأودية، و فى هذه الحالة تقول رقيقة:

بشيء الحمد اسقى الله بلدتنا و قد عدنا الحيا و اجلوذ المطر إلى أن تقول:

مبارك الام يستسقى الغمام به ما فى الانام له عدل و لا خطر

(١) راجع القصة و مصادرها فى ص ١٦١ من هذا الكتاب، و لعبد المطلب مواقف اخرى مشابهة، و عديدة، راجع بصدد مفاهم

القرآن: ج ٥ ص ١٣٦-١٤٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨٨.

و الى هذه الواقعة يشير ابو طالب فى قصيدة أولها:

ابونا شفيح الناس حين سقوا به من الغيث رجاس العشير بكور

و نحن - سنين المحل - قام شفيحنا بمكة يدعو و المياه تغور «١» و قد نقل الشهرستاني هذه الواقعة فى كتابه «الملل و النحل» قال: و ممّا يدل على معرفته (أى عبد المطلب) بحال الرسالة و شرف النبوة ان اهل مكة لما أصابهم ذلك الجذب العظيم، و امسك السحاب عنهم سنتين أمر ابا طالب ابنه، ان يحضر المصطفى محمّد صلى الله عليه و آله فاحضره ابو طالب، و هو رضيع فى قماط، فوضعه على يديه و استقبل الكعبة، و رماه الى السماء، و قال: يا رب بحق هذا الغلام، و رماه ثانيا و ثالثا و كان يقول: بحق هذا الغلام اسقنا غيثا

مغيثا دائما هطلا، فلم يلبث ساعة أن طبق السماء وجه السماء وأمطر، حتى خافوا على المسجد، وقال أيضا: و بركة ذلك النور كان عبد المطلب يأمر أولاده بترك الظلم والبغى، ويحثهم على مكارم الاخلاق، وينهاهم عن ذنوب الامور. و كان يقول في وصاياه: «انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه و تصيبه عقوبة»، الى ان هلك رجل ظلوم حتف انفه لم تصبه عقوبة، فقيل لعبد المطلب في ذلك، ففكر وقال: ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه و يعاقب فيها المسيء باساءته «٢».

ان توسل عبد المطلب بالله سبحانه و توليه عن الاصنام و الاوثان، و التجاءه الى رب الارباب آية توحيدة الخالص، و ايمانه بالله و عرفانه بالرسالة الخاتمة، و قداسة صاحبها، فلو لم يكن له الا هذه الوقائع لكفت في البرهنة على ايمانه بالله، و توحيدة له. و قد اعترف المؤرخون لعبد المطلب بهذا فقد قال اليعقوبى: «و رفض عبد المطلب عبادة الاوثان و الاصنام، و وحد الله عز و جل و وفى بالنذر، و سنّ سننا نزل القرآن باكثرها، و جاءت السنة الشريفة من رسول الله صلى الله عليه و آله

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣١-١٣٣.

(٢) الملل و النحل: ج ٢ ص ٢٤٨ و ٢٤٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٨٩

بها، و هى الوفاء بالنذر، و مائة من الابل فى الدينة، و ان لا تنكح ذات محرم، و لا تؤتى البيوت من ظهورها و قطع يد السارق، و النهى عن قتل المؤودة، و تحريم الخمر، و تحريم الزنا، و الحدّ عليه، و القرعة، و ان لا يطوف احد بالبيت عريانا، و اضافة الضيف و ان لا ينفقوا اذا حجوا الا من طيب اموالهم، و تعظيم الاشهر الحرم، و نفى ذوات الرايات «١».

هذا و عن أم أيمن «رضى الله عنها» قالت: كنت أحضن النبي صلى الله عليه و آله (اي اقوم بتربيته و حفظه)، فغافلت عنه يوما فلم ادر الا بعبد المطلب قائما على رأسى يقول «يا بركة».

قلت: لييك.

قال: أ تدرين اين وجدت ابني؟

قلت: لا ادرى.

قال: وجدته مع غلمان قريبا من السدره، لا تغافلى عن ابني، فان أهل الكتاب يزعمون انه نبي هذه الامه، و أنا لا آمن عليه منهم «٢».

و كان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا يقول على بابنى (اي احضروه) و يجلسه بجنبه، و ربما اقعده على فخذه، و يؤثره بأطيب طعامه. ثم انه لما بلغ أجله اوصى إلى ابى طالب برسول الله و قال له: قد خلقت فى ايديكم الشرف العظيم الذى تطؤون، به رقاب الناس و قال له أيضا:

اوصيك يا عبد مناف بعدى بمفرد بعد ابيه فرد

فارقه و هو ضجيع المهدفكنت كالام له فى الوجد

تدنيه من أحشائها و الكبدفانت من أرجى بنى بعدى

لدفع ضيم أو لشدّ عقد

«٣» هذا هو عبد المطلب، و تعوده بيت الله الحرام، و مواقفه بين قومه، و كلماته فى

(١) تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٩ فى بعض ما عدّه المؤرخ المذكور نظر.

(٢) سيرة زينى دحلان بهامش السيرة الحلبية: ج ١ ص ٦٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩٠

المبدأ والمعاد وعطفه وحنانه على رسول الإسلام، واهتمامه برسالة خاتم النبيين، وهي بمجموعها من أقوى الشواهد على توحيده، وإيمانه بالله، واعترافه برسالة الرسول الكريم.

### إيمان كفيله وعمه أبي طالب:

وهكذا كان حال كفيل النبي صلى الله عليه وآله الثاني أبو طالب عليه السلام، فإن له مواقف بارزة وكثيرة قبل البعثة النبوية، وبعدها تكشف عن عمق إيمان شيخ الأباطح، وتوحيده.

(١) ومن تلك المواقف استسقاؤه برسول الله صلى الله عليه وآله في صباه:

فقد أصاب مكة حط شديد في سنة من السنين فطلبت قريش من «أبي طالب» أن يستسقى لها فخرج معه غلام - وهو رسول الله صلى الله عليه وآله - كأنه شمس دجن تجلت عنها سحابة قتماء وحوله اغيلمه، فأخذه «أبو طالب» فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ الغلام باصبعه (أى أشار بها إلى السماء) وما في السماء قزعة، فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا، وأغدق، وأغدوق وانفجر له الوادى، وخصب البادى والنادى.

ففى ذلك يقول أبو طالب - فى مدح رسول الله -:

و ايض يستسقى الغمام بوجهه شمال اليتامى عصمه للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمة و فواضل

و ميزان عدل لا يخيس شعيرة و زان صدق وزنه غير هائل «١» (٢) و كل هذا يعرب عن توحيد كفيلي رسول الله صلى الله عليه وآله الخالص، وإيمانهما بالله تعالى، و لو لم يكن لهما إلا هذين الموقفين لكفياهما دليلا وبرهانا على كونهما مؤمنين موحدين.

(١) شرح البخارى للقسطلانى: ج ٢ ص ٢٢٧، المواهب اللدنية: ج ١ ص ٤٨، السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٢٥، و للتوسع راجع الغدير: ج ٧ ص ٣٤٥ و ٣٤٦، و قد ذكرنا مواقف أبى طالب الايمانية عند البحث عن شخصيته فراجع.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩١

كما ان ذلك يدل أيضا على أن رسول الله صلى الله عليه وآله نشأ وترعرع و نما فى بيت كانت الديانة السائدة فيه هى توحيد الله، و عبادته وحده و رفض الاصنام و الاوثان.

### إيمان والدى النبي الأكرم:

لقد نقلت عن عبد الله والدى رسول الله صلى الله عليه وآله كلمات و آيات تدل على إيمانه و من ذلك ما نقله اهل السير عند ما عرضت فاطمة الخثعمية نفسها عليه فقال ردا عليها:

أما الحرام فالممنات دونه و الحل لا حل فاستبينه

يحمى الكريم عرضه و دينه فكيف بالأمر الذى تبغينه «١» و قد روى عن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله انه قال: «لم أزل انقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات» و لعل فيه ايعازا إلى طهارة آبائه و امهاته من كل دنس و شرك «٢».

و اما الوالدة فيكفى فى اثبات إيمانها ما رواه الحفاظ عنها عند وفاتها فانها (رضى الله عنها) خرجت مع النبي صلى الله عليه وآله و هو

ابن خمس أو ست سنين و نزلت بالمدينة تزور أحوال جده و هم بنو عدى بن النجار و معها أم ايمن «بركة» الحبشية، فقامت عندهم، و كان الرسول بعد الهجرة يذكر امورا حدثت فى مقامه و يقول: «ان أمى نزلت فى تلك الدار، و كان قوم من اليهود يختلفون و ينظرون إلى فنظر إلى رجل من اليهود فقال: يا غلام ما اسمك؟ فقلت: أحمد، فنظر الى ظهري، و سمعته يقول: هذا نبي هذه الامة، ثم راح الى اخوانه فاخبرهم فخافت امى على فخرنا من المدينة، فلما كانت بالابواء توفيت و دفنت فيها.

و روى ابو نعيم فى دلائل النبوة عن اسماء بنت رهم قالت: شهدت آمنه أمّ النبي صلى الله عليه وآله فى علتها التى ماتت بها، و محمّد عليه السّلام غلام يفع

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٤٦.

(٢) سيرة زينى دحلان بهامش السيرة الحلبية: ج ١ ص ٥٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩٢

(اى يافع) له خمس سنين عند رأسها فنظرت الى وجهه و خاطبته بقولها:

إن صحّ ما أبصرت فى المنام فانت مبعوث الى الانام

فالله انهاك عن الاصنام ان لا تواليها مع الاقوام ثم قالت: كل حى ميت و كل جديد بال، و كل كبير يفنى، و انا ميتة و ذكرى باق و ولدت طهرا.

و قال الزرقانى فى شرح المواهب نقلا عن جلال الدين السيوطى تعليقا على قولها: و هذا القول منها صريح فى انها كانت موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم عليه السّلام، و بشرت ابنها بالاسلام من عند الله، و هل التوحيد شىء غير هذا، فان التوحيد هو الاعتراف بالله و انه لا شريك له، و البراءة من عبادة الاصنام «١».

و نلفت نظر القارئ الكريم هنا إلى ما قاله المرحوم الشيخ المفيد فى كتابه «اوائل المقالات» فى هذا الصدد:

اتفقت الإمامية على أن آباء رسول الله من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله عزّ و جلّ موحدون له، و احتجوا فى ذلك بالقرآن و الاخبار قال الله عزّ و جلّ: «الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ» «٢».

ثمّ إنّ هنا سؤالين هما:

١- هل كان صلى الله عليه وآله قبل البعثة موحدا؟

٢- بما ذا و بأى دين كان يتعبّد صلى الله عليه وآله قبل البعثة؟

و إليك الحديث فى هاتين الجهتين:

### ايمان النبي بالله و توحده قبل البعثة:

إن الدلائل التاريخية- بالاضافة إلى البراهين العقلية و الكلامية- ندل على انه- صلى الله عليه وآله- كان قبل ان يبعثه الله بالإسلام، مؤمنا بالله، موحدا إياه، لم يعبد و ثنا قط، و لم يسجد لصنم أبدا، و ان ذلك من المسلمات.

(١) الاتحاف للشبراوى: ص ١٤٤ سيرة زينى دحلان بهامش السيرة الحلبية: ج ١ ص ٥٧.

(٢) اوائل المقالات: ص ١٢ و ١٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩٣

و هذا الأمر و ان كان أمرا مسلما و واضحا كوضوح الشمس إلا- اننا نذكر بعض ما جاء فى التاريخ الثابت الصحيح ليقترن ذلك

الاتفاق بأصح الدلائل التاريخية:

اما بغضه للأصنام و تجنبه للاوثان و ما يكون من هذا القبيل فإليك بعض ما ذكره التاريخ الصحيح فى هذا المجال:

١- جاء فى حديث طويل: ان النبى صلى الله عليه وآله لما تم له ثلاث سنين قال يوما لوالدته (لمرضعته) حلیمة السعدية: مالى لا أرى أخوى بالنهار، قالت له: يا بنى أنهما یرعیان غنيمات.

قال: فمالى لا أخرج معهما، قالت له: أتحبّ ذلك؟ قال: نعم، فلما أصبح محمّد دهنّته (تقول حلیمة) و كحلّته و علّقت فى عنقه خيطا فيه جزع يمانىّ، فنزعه ثم قال لأمه:

«مهلا يا أمّاه فإنّ معى من يحفظنى» (١).

٢- روى ان «بحيرا» الراهب قال للنبى صلى الله عليه وآله فى سفرته الاولى مع عمّه أبى طالب الى الشام: يا غلام أسألك بحق اللات و العزى الا أخبرتنى عما أسألك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تسألنى باللات و العزى فوالله ما ابغضت شيئا بغضهما» قال الراهب:

بالله الا أخبرتنى عما أسألك عنه، قال صلى الله عليه وآله: سلنى عمّا بدا لك (٢).

٣- روى أنه قد وقع بين النبى صلى الله عليه وآله و بين رجل تلاح فى سفرته الثانية الى الشام للتجارة بأموال خديجه مع غلامها «ميسرة» بعد أن باع صلى الله عليه وآله سلعته، فقال له الرجل: احلف باللات و العزى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

(١) المنتقى، الباب الثانى من القسم الثانى - للكارزوني كما فى البحار: ج ١٥، ص ٣٩٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١٥٤، السيرة النبوية: ج ١ ص ١٨٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩٤

«ما حلفت بهما قطّ، و إنى لأمرّ فاعرض عنهما».

و فى رواية اخرى:

«إليك عنى ثكلتك امك فما تكلمات العرب بكلمة اثقل علىّ من هذه الكلمة».

فقال الرجل: القول قولك. ثم قال لميسرة: هذا و الله نبى (١).

(١) و اما عبادته لله تعالى فقد أجمع المؤرخون على أنه صلى الله عليه وآله كان يخلو بحراء كل عام أشهراً يعبد فيه الله تعالى.

و قد قال الإمام أمير المؤمنين على بن ابى طالب عليه السلام فى هذا المجال:

«و لقد كان يجاور فى كلّ سنة بحراء، فأراه و لا يراه غيرى» (٢).

حتى أن جبرئيل وافاه بالرسالة فى ذلك المكان، و فى تلك الحال.

و قد صرح بهذا أصحاب الصحاح الستة أيضا اذ قالوا:

«و كان يخلو بحراء فيتحنّث فيه، و هو التعبّد فى الليالى ذوات العدد» (٣).

كما ان الإمام امير المؤمنين عليه السلام وصف هذا المقطع من حياة النبى صلى الله عليه وآله بقوله:

«و لقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره» (٤).

و جاء فى الأخبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله حجّ قبل البعثة حجّات عديدة و كان يأتي بمناسكها على وجه صحيح بعيدا عن أعين قريش.

قال الإمام الصادق عليه السلام: فى حديث ابن أبى يعفور:

«حج رسول الله صلى الله عليه وآله عشر حجّات مستترافي كلها» «٥».

و في رواية: عشرين حجة «٦».

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١٥٦، بحار الأنوار: ج ١٦، ص ١٨.

(٢) نهج البلاغة: قسم الخطب، الخطبة ١٩٢.

(٣) صحيح البخارى: ج ١ ص ٢، صحيح مسلم باب الايمان، مسند أحمد: ج ٦، الحديث ٢٣٣.

(٤) نهج البلاغة: قسم الخطب الخطبة رقم ١٩٢.

(٥) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٨٨ أبواب وجوب الحج.

(٦) وسائل الشيعة: ج ٨، ص ٨٨ أبواب وجوب الحج.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩٥

و السبب في هذا الاستتار هو أن قريش كانت قد اسقطت بعض مناسك الحج، و العمرة، فكانت تؤدى الحج بصورة غير صحيحة و ربما غيرت أشهر الحج احيانا لبعض الاعتبارات السياسية و المادية، و هو ما سمي بالنسيء، و قد مرّ بيانه «١».

ان هذه الوقائع و غيرها- و هي ليست بقليلة اصدق دليل على إيمانه صلى الله عليه وآله، و توحيده، اذ كيف يمكن أن يتنكب مثل هذه الشخصية التي نشأت و ترعرعت في ذلك البيت الطاهر، و قرن الله به ملكا يتولاه بالتربية و الهداية عن جادة التوحيد. ثم أن ممّا لا ريب فيه أن الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله هو افضل من جميع الأنبياء و المرسلين بنص القرآن الكريم. و قد صرح القرآن بان بعض الأنبياء بلغوا درجة النبوة في الصغر، أو الصبا، و نزلت عليهم الكتب في تلك الفترات.

فمثلا يقول القرآن الكريم عن يحيى بن زكريا: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة و آتيناه الحكم صبيا» «٢».

(١) ثم يقول عن «عيسى بن مريم» عند ما كان في المهدي و كان وجه القوم من بنى إسرائيل قد استنكروا ولادته من غير أب، و طلبوا من «مريم البتول» ان توضح لهم الأمر، و تبين لهم كيف حملت بعيسى؟! فأشارت الى المسيح عليه السلام أن كلموه و هو آنذاك في المهدي لم يمض على ولادته سوى أيام معدودات؛ فنطق المسيح بفصاحة كبيرة و قال:

«إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا. وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا» «٣».

لقد بين وليد «مريم» للناس اصول دينه و فروعه في فترة الطفولة و الرضاعة، و أعلن لهم عن توحيده و ايمانه بالله سبحانه.

(١) راجع الصفحة ٨٣ و ٨٤ من هذا الكتاب.

(٢) مريم: ١٢.

(٣) مريم: ٣٠ و ٣١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩٦

فهل يرضى ضميرك أيها القارئ الكريم أن يكون «يحيى» و «المسيح» عليهما السلام مؤمنين معلنين عن توحيدهما، و إيمانهما منذ طفولتهما، و صباهما، و يكون أفضل الأنبياء و المرسلين، و أشرف الخلق أجمعين إلى سنّ الأربعين على غير إيمان، و توحيد، مع أنه صلى الله عليه وآله كان مشغلا بالتعبّد في جبل «حراء» عند نزول ملاك الوحي عليه لأول مرة؟

و إليك بعض ما قاله المؤرخون، و العلماء في هذا المجال استكمالا لهذا المبحث:

قال ابن هشام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى رسول الله صلى الله عليه وآله جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف من جواره، الكعبة، قبل أن يدخل بيته، فيطوف به سبعا أو

ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذى اراد الله تعالى به فيه ما اراد من كرامته من السنة التى بعثه الله تعالى فيها، وذلك الشهر شهر رمضان، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى «حراء» كما كان يخرج لجواره و معه اهله حتى اذا كانت الليلة التى اكرمه الله فيها برسالته و رحم العباد بها جاءه جبرئيل عليه السلام بامر الله تعالى «١».

وقال العلامة المجلسي: قد ورد أخبار كثيرة انه صلى الله عليه وآله كان يطوف، و انه كان يعبد الله فى حراء، و انه كان يراعى الآداب المنقولة من التسمية و التحميد عند الاكل و غيره، و كيف يجوز ذو مسكته من العقل على الله تعالى ان يهمل افضل انبيائه اربعين سنة بغير عبادة؟ و المكابرة فى ذلك سفسطة «٢».

فايمان النبى صلى الله عليه وآله و سلم، و توحيده قبل البعثة، اذن، أمر مسلم لا شبهة فيه، و لا غبار عليه. و لكن بعض الكتاب من المسيحيين و من تبعهم، من المستشرقين و غيرهم، أبوا إلّا أن ينتقصوا النبى الا-كرم صلى الله عليه وآله فادعوا ضلاله قبل البعثة،

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٨، ص ٢٨٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩٧

و إنه كان على غير إيمان، أو توحيد، و استدلوا لزعمهم الباطل هذا بما توهموا أنه يدل على دعواهم من الآيات القرآنية، و أبرزها الآيات التالية:

١- «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى» «١».

٢- «وَثَابَكَ فَطَهَّرَ. وَالرُّجْزَ فَاهْجَرَ» «٢».

٣- «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّا لَنَهْدِيهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» «٣».

٤- «قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» «٤».

٥- «وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ» «٥».

لقد استدل المستشرقون و من لفّ لفهم و من سبقهم او لحقهم من المخطئة بهذه الآيات على ضلال النبى صلى الله عليه وآله قبل البعثة، و سلب الايمان عنه، و لكنها لا تدل على ما يريدون، و لا جل تسليط الضوء على مقاصدهم نبحت عنها واحدة واحدة.

### الآية الاولى: الهداية بعد الضلالة

ذكر المفسرون لقوله تعالى: «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى» الذى يشعر بهداية النبى صلى الله عليه وآله بعد الضلالة احتمالات عديدة، فى معرض الاجابة على استدلال من استدل به لا- ثبات ضلال النبى صلى الله عليه وآله قبل البعثة و لكن الحق ان يقال: أن الضال يستعمل فى عرف اللغة فى موارد:

١- الضال: من الضلالة ضد الهداية و الرشاد.

٢- الضال: من ضلّ البعير اذا لم يعرف مكانه.

(١) الضحى: ٦ و ٧.

(٢) المدثر: ٤ و ٥.



(٣) الشورى: ٥٢.

(٤) يونس: ١٦.

(٥) القصص: ٨٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩٨

٣- الضالّ: من ضلّ الشيء اذا ضؤل و خفى ذكره.

و تفسير الآية بأى واحدة من هذه المعانى لا يثبت ما يدعيه الذين يتمسكون بها لاثبات ضلال النبي صلى الله عليه وآله قبل البعثة. أما المعنى الأول فهو المقصود فى كثير من الآيات قال سبحانه: «غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» (١). لكن الضلالة على نوعين:

النوع الأول ما تكون الضلالة فيه أمرا وجوديا فى النفس يوجب ظلمة النفس و منقصتها، مثل الكفر و الشرك و النفاق، و الضلالة بهذا المعنى قابلة للزيادة و النقصان قال سبحانه: «إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ» (٢).

النوع الثانى ما تكون الضلالة فيه أمرا عدميا، و ذلك عند ما تكون النفس فاقدة للرشاد، و عندئذ يكون الإنسان ضالا بمعنى أنه غير واجد للهداية من عند نفسه، و ذلك كالطفل الذى أشرف على التمييز و كاد أن يعرف الخير و الشر، و يميز بين الصلاح و الفساد فهو آنذاك ضالّ بمعنى أنه غير واجد للنور الذى يهتدى به فى سبل الحياة لا بمعنى كينونة ظلمة الكفر و الفسق فى نفسه و روحه. و المراد من الضالّ فى قوله تعالى «وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى» لو كان ما يصادّ الهداية فهو يهدف الى النوع الثانى، فىكون المعنى انك فى ابان عمرك كنت غير واجد للهداية من عند نفسك فهذاك الله إلى اسباب السعادة و عرفك عوامل الشقاء، و هو اشارة إلى قانون الهى عام فى حياة البشر انبياء و اناسا ماديين، و هو ان هداية كل إنسان بل كل ممكن مكتسبة من الله قال سبحانه: «قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» (٣).

و على هذا الاساس فالآية تهدف إلى ذكر النعم التى انعم الله بها على نبيه الحبيب منذ ان استعد لها فاواه بعد ما صار يتيما، و أفاض عليه الهداية بعد ما كان

(١) الفاتحة: ٧.

(٢) التوبة: ٣٧.

(٣) طه: ٥٠، و راجع الآيات: ٢ و ٣ من سورة الأعلى و ٤٣ من سورة الأعراف و ٧٨ من سورة الشعراء و غيرها.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٢٩٩

فاقدا لها بحسب ذاته، و بحكم طبيعته، و يعود زمن هذه العناية الربانية بنبيه إلى مطلع حياته، و اوليات عمره و ايام صباه بقريته ذكر ذلك بعد الايواء الذى تحقق باليتم، و تم بجده عبد المطلب فوقع فى كفالته إلى ثمانية سنين، و يؤيد ذلك قول امام المتقين على بن ابي طالب عليه السلام: «و لقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم ليله و نهاره» (١).

و صفوة القول أن المراد بكونه ضالا هو أن لازم كون النبي ممكنا بالذات هو كونه فاقدا فى ذاته لكل كمال و جمال، مفاضاً عليه كل جميل من جانب الله تعالى و هذا هو اشارة إلى مقتضى التوحيد الفعال و اين هذا من الضلالة المساوقة للكفر أو الشرك أو الفسق و العصيان؟!!

ثم ان من المحتمل ان تكون الضلالة فى الآية مأخوذة من «ضلّ الشيء اذا لم يعرف مكانه» و فى الحديث «الحكمة ضالة المؤمن» اى مفقودته، لا ضدّ الهداية و الرشاد، فىكون الضالّ بهذا المعنى منطبقا على ما نقله أهل السير و التواريخ عن ما جرى للنبي صلى الله عليه وآله

و آله فى ايام صباه يوم ضلّ فى شعاب مكة، و هو صغير فمنّ الله عليه اذ رده الى جده، و قصته معروفة فى كتب السير و التاريخ «٢» و لو لا رحمة الله سبحانه لادرکه الهلاك و مات عطشا أو جوعا فشملته العناية الالهية.  
أو أن تكون الضلالة فى الآية مأخوذة من «ضلّ الشىء اذا خفى و غاب عن الأعين» فالإنسان الضال هو الإنسان المخفى ذكره، المنسى اسمه لا يعرفه إلا القليل من الناس، و لا يهتدى كثير منهم إليه.  
و لو كان هذا هو المقصود، كان معناه حينئذ انه سبحانه رفع ذكره، و عزّفه

(١) نهج البلاغة: من الخطبة ١٧٨ و المسماة بالقاصعة ص ١٨٢.

(٢) لاحظ السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣١ و غيره، و فى هذه القصة يروى عن حيدة بن معاوية العامرى سمعت شيخا يطوف بالبيت و هو يقول:

يا ربّ ردّ راكبي محمداً أرده ربّي و اصطنع عندي يدا

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٠٠

للناس بعد ما كان خاملاً ذكره منسيا اسمه.

و يؤيد هذا الاحتمال قوله سبحانه فى سورة الانشراح التى نزلت لتحليل ما ورد فى سورة الضحى قائلاً:

«أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» «١».

فرفع ذكره فى العالم عبارة عن هداية الناس إليه، و رفع الحواجز بينه، و بينهم و على هذا فالمقصود من «الهداية» هو هداية الناس إليه لا هدايته بعد ضلال، فكأنه قال: فوجدك ضالاً، أى خاملاً ذكرك، باهتا اسمك، فهدى الناس إليك، و سير ذكرك فى البلاد.

و الى ذلك يشير الإمام الرضا عليه السلام على ما فى خبر ابن الجهم بقوله:

«قال الله عزّ و جلّ لنبيه محمّد صلى الله عليه و آله: «ألم يجدك يتيماً فأوى» يقول: «ألم يجدك» وحيداً فأوى إليك الناس» و

وجدك ضالاً» يعنى عند قومك «فهدى» أى هداهم إلى معرفتك» «٢». قال الاستاذ الشيخ محمّد عبده فى هذا المجال:

لقد بغّضت إليه (أى الى رسول الله صلى الله عليه و آله) الوثنية من مبدأ عمره فعاجلته طهارة العقيدة، كما بادره حسن الخليفة، و ما جاء فى الكتاب من قوله: «و وجدك ضالاً فهدى» لا يفهم منه أنه كان على وثنية قبل الاهتداء إلى التوحيد، أو على غير السبيل القويم، قبل الخلق العظيم حاش لله، إن ذلك لهو الإفك المبين «٣».

### الآية الثانية: الأمر بهجر الرجز

استدلوا بقول الله تعالى «و الرجز فاهجر» على وجود ارضية لعبادة الصنم

(١) الانشراح: ١-٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٤٢.

(٣) رسالة التوحيد للشيخ محمّد عبده: ص ١٣٥ و ١٣٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٠١

و الوثن فى شخصية رسول الله صلى الله عليه و آله و ذلك بتفسير الرجز بالصنم، و الوثن، و يتضح بطلان هذا الادعاء و الاستنباط اذا أمعنا فى معانى و استعمالات هذه اللفظة فى الكتاب العزيز.

ان الرجز استعمل فى القرآن الكريم فى معان ثلاثة: العذاب، القذارة، الصنم.

وقد استعمل الرجز (بكسر الراء) في تسع موارد في القرآن الكريم، وقد اريد منه في جميعها العذاب إلّا في مورد واحد: وهي: البقرة- ٥٩، و الاعراف ١٣٤ (و جاءت اللفظة فيها مرتين) و ١٣٥ و ١٦٢ و الانفال- ١١ و سبأ- ٥ و الجاثية- ١١ و العنكبوت- ٣٤. و جاء الرجز- بضم الراء- مرّة واحدة و هي الآية التي نحن بصددّها هنا «١».

و هذه الآية لا تدل على ما ذهب إليه الذين يزعمون بان رسول الله صلى الله عليه وآله كان على غير التوحيد قبل البعثة. و إليك بيان هذا الموضوع مفصلاً:

١- ان الرجز لو كان بمعنى «العذاب» دلّت الآية على هجر ما يستلزم العذاب، فيكون الخطاب حينئذ مسوقاً من باب التعليم، و من باب «اياك أعنى و اسمعى يا جاره»، فيكون ظاهر الأمر هو مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله و نهيه عما يستلزم العذاب، و ارادة تعليم الامة مثل قول الله تعالى في خطابه للنبي «فَلَا تُكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ» «٢». و قوله تعالى: «لَيْتَنَّا أَشْرَكْنَا لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ» «٣» فكما لا تدل الآية على وجود أرضية الشرك في شخصيه النبي صلى الله عليه وآله، كذلك لا تدل الآية على وجود أرضية التعرض للعذاب في شخصيه رسول الله صلى الله عليه وآله.

٢- إن الرجز لو كان بمعنى (القذاره) و هي تنقسم الى مادية و معنوية فيحتمل ان يكون المراد بناء على المعنى الأول اشارة إلى ما ورد في الروايات من

(١) المدثر: ٥.

(٢) القصص: ٨٦.

(٣) الزمر: ٦٥.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٣٠٢

أنّ ابا جهل جاء بشيء قدر، و أمر رجلا من قريش بالقائه على النبي، ففعل، فأمر الله نبيه بتطهير ثوبه من الدنس. و يحتمل ان تكون الآية دعوة إلى اجتناب الصفات الذميمة بناء على ارادة المعنى الثاني للفظه الرجز فتكون الآية تعليماً للناس على النمط السابق، فلا تدل على اتصاف النبي الاكرم صلى الله عليه وآله بها.

٣- الرجز بمعنى الصنم، لنفترض أن المقصود منه في الآية هو الصنم، لكن لا بمعنى أنه وضع لذاك المعنى، و إنّما وضع اللفظ لمعنى جامع يعمّ الصنم و الخمر و الازلام لا اشتراك الجميع في كونها رجزاً، و لأجل ذلك وصف الجميع في مورد آخر بالرجس فقال تعالى: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ» «١».

و لكن يجاب عن هذا أيضا بأن النبي يوم نزلت الآية لم يكن عابدا للوثن بل كان مشمراً عن ساعد الجدّ لتحطيم الاصنام و مكافحة عبديتها، فلا يصح أن يخاطب من هذا شأنه بهجر الاصنام إلا على السبيل الذي أشرنا إليه، و هو توجيه الخطاب إلى النبي و ارادة الامة به لكون هذا النوع من الخطاب أبلغ في التأثير، لأنه سبحانه اذا خاطب أعزّ الناس إليه بهذا الخطاب فغيره أولى به.

### الآية الرابعة: عدم رجائه إلقاء الكتاب إليه

قال تعالى: «وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ» «٣».

استدلوا بأن ظاهر الآية نفى علمه بالقاء الكتاب إليه، فلم يكن النبي راجياً لذلك واقفا عليه.

أقول: ان توضيح مفاد هذه الآية يتوقف على إمعان النظر في الجملة الاستثنائية اعنى قوله: «إلا رحمة من ربك» حتى يتضح المقصود، و قد ذكر المفسرون في توضيحها وجوها ثلاثة تأتي بها:

١- إن «إلا» استدراكية، و ليست استثنائية فهي بمعنى «لكن» لاستدراك ما بقى من المقصود، و حاصل معنى الآية: «ما كنت يا محمد

ترجو فيما مضى أن يوحى الله إليك و يشرفك بإنزال القرآن عليك، إلّا أن ربك رحمك، و انعم به عليك و اراد بك الخير» نظير قوله سبحانه: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَ لَكِنْ رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ» (٤) اى و لكن رحمة من ربك خصيصك به و هذا هو المنقول

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) الميزان: ج ١٨ ص ٨٠.

(٣) القصص: ٨٦.

(٤) القصص: ٤٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٠٩

عن الفراء (١).

و على هذا لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله اى رجاء لالقاء الكتاب إليه، و انما فاجأه الالقاء لأجل رحمة ربه. و لكن لا يصار إلى هذا الوجه إلّا اذا امتنع كون الاستثناء متصلا لكون الانقطاع على خلاف الظاهر.

٢- ان يكون «إلّا» للاستثناء لا للاستدراك و هو متصل لا منقطع، و لكن المستثنى منه جملة محذوفة معلومة من سياق الكلام، و هو كما فى الكشاف: «و ما القى إليك الكتاب إلّا رحمة من ربك» (٢) اى لم يكن لا- لقائه عليك وجه إلّا رحمة ربك، و على هذا الوجه أيضا لا يعلم انه كان للنبي صلى الله عليه وآله رجاء لا لقاء الكتاب عليه و ان كان الاستثناء متصلا.

و هذا الوجه بعيد أيضا لكون المستثنى منه، محذوفا مفهوما من الجملة على خلاف الظاهر و انما يصار إليه اذا لم يصح ارجاعه إلى نفس الجملة الواردة فى نفس الآية كما سيئين فى الوجه الثالث.

٣- أن يكون «إلّا» استثناء من الجملة السابقة عليه اعنى قوله: «و ما كنت ترجو» و يكون معناه: ما كنت ترجو القاء الكتاب عليك إلّا أن يرحمك الله برحمته فينعم عليك بذلك، فتكون النتيجة: ما كنت ترجو إلّا على هذا (٣).

فيكون هنا رجاء منفيًا، و رجاء مثبتًا، أما الأول فهو رجاءه بحادثه نزول الكتاب على نسج رجائه بالحوادث العادية، فلم يكن ذاك الرجاء موجودا.

و اما رجاءه به عن طريق الرحمة الالهية فكان موجودا فنفى أحد الرجاءين لا يستلزم نفى الآخر، بل المنفى هو الأول، و الثابت هو الثانى و هذا الوجه هو الظاهر المتبادر من الآية.

و قد سبق منّا أن جملة «ما كنت» و ما اشبهه (تستعمل فى نفى الامكان،

(١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٢٦٩، مفاتيح الغيب: ج ٦ ص ٤٠٨.

(٢) الكشاف: ج ٢ ص ٤٨٧ و ٤٨٨.

(٣) مفاتيح الغيب: ج ٦ ص ٤٩٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١٠

و الشأن، و على ذلك يكون معنى الجملة: لم تكن راجيا لأذن يلقى إليك الكتاب، و تكون طرفا للوحى، و الخطاب ألّا من جهة خاصة، و هى أن تقع فى مظلة رحمة و موضع عنايته، فيختارك طرفا لوحيه، و مخاطبا لكلامه، فالنبي بما هو انسان عادى لم يكن راجيا لأن ينزل إليه الوحى، و يلقى إليه الكتاب، و بما انه صار مشمولاً لرحمة و عنايته، و صار انسانا مثاليا، قابلا لتحمل المسئولية، و تربية الامّة، كان راجيا به، و على ذلك فالنفي و الاثبات غير واردين على موضع واحد.

و بهذا خرجنا بفضل هذا البحث الضافى أنه صلى الله عليه وآله كان إنسانا مؤمنا موحدا عابدا لله ساجدا قائما بالفرائض العقلية و الشرعية مجتنباً عن المحرمات عالماً بالكتاب و مؤمناً به إجمالاً و راجياً لنزوله إليه إلى أن بعث لانقاذ البشرية عن الجهل، و سوقها إلى الكمال. سيد المرسلين ج ١، الآية الخامسة: لو لم يشأ ما تلوته ..... ص : ٣١٠

### الآية الخامسة: لو لم يشأ ما تلوته

قال سبحانه: «قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» (١)، و الآية تؤكد أن النبى صلى الله عليه وآله كان لا- بشا فى قومه، و لم يكن تاليا لسورة من سور القرآن، أو آية من آياته و ليس هذا شىء ينكره القائلون بالعصمة، فقد اتفقت كلمتهم على أن النبى صلى الله عليه وآله وقف على ما وقف عليه من آى الذكر الحكيم من جانب الوحي، و لم يكن قبله عالما به و اين هذا من قول المخطئ من نفى الايمان منه قبلها.

و ان اردت الاسهاب فى تفسيرها فلاحظ الآية المتقدمة، فترى فيها اقتراحين للمشركين و قد اجاب القرآن عن أحدهما فى الآية المتقدمة و عن الآخر فى نفس هذه الآية و إليك نصها: «قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبَعُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (٢).

(١) يونس: ١٦.

(٢) يونس: ١٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١١

اقترح المشركون على النبى أحد الأمرين:

١- الإتيان بقرآن غير هذا مع التحفظ على فصاحته و بلاغته.

٢- تبديل بعض آياته مما فيه سب لآلهتهم و تنديد بعبادتهم للاوثان و الاصنام.

فأجاب عن الثانى فى نفس الآية بان التبديل عصيان لله، و انه يخاف من مخالفه ربه، و لا محيص له إلا إتباع الوحي من دون أن يزيد فيه او بنقص عنه.

و اجاب عن الأول فى الآية المبحوث عنها بان ذلك أمر غير ممكن لأن القرآن ليس من صنعى و كلامى حتى أذهب به و أتى بآخر، بل هو كلام الله سبحانه و قد تعلقت مشيئته بتلاوتى، و لو لم يشأ لما تلوته عليكم و لا ادراكم به، و الدليل على ذلك أنى كنت لا بشا فيكم عمرا من قبل فما تكلمات بسورة أو بآية من آياته، و لو كان القرآن كلامى لبادرت إلى التكلم به، أيام معاشرتى السابقة معكم فى المدة الطويلة، المديدة.

قال العلامة الطباطبائى فى تفسير الآية: إن الأمر فيه إلى مشيئة الله لا إلى مشيئتى، فانما أنا رسول و لو شاء الله ان ينزل قرآنا غير هذا لأنزل، أو لم يشأ تلاوة هذا القرآن ما تلوته عليكم، و لا- ادراكم به فانى مكثت عمرا من قبل نزوله، و لو كان ذلك إلى و ييدى لبادرت إليه قبل ذلك و بدت من ذلك آثار و لاحت لوائحه (١).

فكيف يمكن و الحال هذه أن يكون مجانباً للإيمان بالله و توحيده، لاهيا عن عبادته و تقديسه.

هذا و فى هذا المجال حديث واسع اكتفينا منه بهذا القدر، و من أراد التوسع أن يراجع الجزء الخامس من مفاهيم القرآن ص ١٣٥-١٩١.

و أما الكلام فى الجهة الثانية و هى: أنه بما ذا و بأى دين كان يتعبد رسول الله صلى الله عليه وآله قبل البعثة، فقد وقع ذلك محطاً للبحث بين العلماء، و حيث انه لا ينطوى على فائدة كبرى، بعد أن تبين أنه كان قبل البعثة

(١) الميزان: ج ١٠ ص ٢٦، ولاحظ المنار: ج ١١ ص ٣٢٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١٢

مؤمنًا، موحِّدًا، يعبد الله، فإنَّه يكفي أن نعرف أنه كان صَلَّى اللهُ عليه وآله يلتزم بما ثبت له أنه شرع الله تعالى ... وبما يؤدي إليه عقله الفطري السليم، وأنه بالتالي كان مؤيدًا مسدِّدًا، وأنه كان أفضل الخلق واكملمهم خلقًا، وخلقًا، وعقلًا، وانه كان يعمل حسب ما يلهم سواء أ كان مطابقًا لشرع ما قبله أم مخالفًا و أن هاديه وقائده منذ صباه إلى ان بعث هو نفس هاديه بعد البعثه «١».

(١) و للتوسُّع و الوقوف على الآراء المختلفة في هذا المجال راجع الجزء الخامس من مفاهيم القرآن:

ص ١٣٥-١٩١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١٣

(١)

## ١١ بدء الوحي

### إشارة

انَّ التاريخ الإسلامي يبدأ في الحقيقة من يوم بعثه الرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله بالرسالة، و التي وقعت على أثره حوادث خاصة. و يوم بعث النبي الا-كرم صَلَّى اللهُ عليه وآله لهداية الناس، و دَوَّى في سماعه الشريف نداء «إنك لرسول الله» الصادر عن ملاك الوحي القيت على كاهله مسئولية كبرى و ثقيلة جدًّا، على نمط الوظيفة الهامة التي القيت على كاهل من سبقه من الأنبياء و الرسل صلوات الله عليهم أجمعين.

منذ ذلك اليوم اتضح هدف أمين قريش، أكثر فأكثر، و تجلت خطته اكثر فأكثر.

و نحن نرى من اللازم قبل شرح الحوادث الاولى الواقعة عند البعثه ان نعطي بعض الايضاحات حول مسألتين:

١- وجوب بعث الأنبياء.

٢- دور الأنبياء في اصلاح المجتمع.

لقد أودع الله تعالى في كيان كلِّ كائن من الكائنات أدوات تكامله، و جهّزه- لسلوك هذا الطريق- بالوسائل المتنوعة، و الأجهزة المختلفة اللازمة.

و لنأخذ مثلاً: نبتة صغيرة، فان ثمة عوامل كثيرة تتفاعل في ما بينها و تعمل

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١٤

لتحقيق التكامل فيها.

ان جذور كل نبتة تعمل اكبر قدر ممكن لامتناس العنصر الغذائية، و تلبية احتياجات النبتة، و توصل العروق و القنوات المختلفة، عصارة ما تأخذه من الارض إلى جميع الاغصان و الاوراق.

إننا لو درسنا جهاز (وردة) لرأيناها اكثر مدعاةً للاعجاب و أشد اثارهً للتعجب من تركيب بقية النباتات.

فللكأس وظيفته توفير الغطاء اللازم للاوراق الناعمة اللطيفة في الوردة.

و هكذا الحال بالنسبة الى بقية الأجهزة في (الوردة) ممّا انيط إليها مسئولية الحفاظ على كائن حيّ، و ضمان رشد و نموّه، فإنها جميعاً

تقوم بوظائفها المخلوقة لها بأحسن شكل، و أفضل صورة.

و لو أننا خطونا خطوات اكثر و تقدّمنا بعض الشىء لدراسة الأجهزة العجيبة فى عالم الأحياء، لرأينا أنها جميعا و بدون استثناء مزودة بما يضمن بلوغها الى مرحلة الكمال المطلوب لها.

(١) و إذا أردنا أن نصب هذا الموضوع فى قالب علمى لوجب أن نقول: ان الهداية التكوينية، التى هى النعمة المتجلىة فى عالم الطبيعة، تشمل كل موجودات هذا العالم من نبات، و حيوان و انسان.

و يبين القرآن الكريم هذه الهداية التكوينية الشاملة بقوله:

«رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» (١).

فانه يصرّح بأن كل شىء فى هذا الكون من الذرة الى المجرة ينعم بهذا الفيض العام، و ان الله تعالى بعد أن قدر كل موجود و كائن، بين له طريق تكامله، و رقيه، و هيا لكل كائن من تلك الكائنات ما يحتاج إليه فى تربيته و نموّه، و هذه هى (الهداية التكوينية العامة) السائدة على كل ارجاء الخليقة دون ما استثناء.

(١) طه: ٥٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١٥

(١) و لكن هل تكفى هذه الهداية الفطرية، التكوينية لكائن مثل الإنسان، اشرف الموجودات، و افضل ما فى هذه الخليقة؟! بكل تأكيد: لا.

لأن للإنسان حياة اخرى غير الحياة المادية، تشكل اساس حياته الواقعية، و لو كان للإنسان حياة مادية جافة فقط مثلما لعالم النباتات، و الحيوانات، لكفت العوامل و العناصر المادية فى تكامله، و الحال أن للإنسان نوعين من الحياة، يكمن فى تكاملهما معا رمز سعادة الإنسان و رقيه.

ان الإنسان الأول، و نعى به انسان الكهوف و الحياة البسيطة و الفطرة السليمة التى لم يطرأ على جبلته اى اعوجاج لم يكن بحاجة إلى ما يحتاج إليه الإنسان الاجتماعى من التربية و الهداية.

(٢) و لكن عند ما خطى الإنسان خطوان أبعد من ذلك، و بدأ الحياة الاجتماعية، و سادت على حياته فكرة التعاون و العمل الجماعى برزت فى روحه و نفسه سلسله من الانحرافات نتيجة للاحتكاك الاجتماعى، و غيرت الخصال القبيحة و الافكار الخاطئة صفاته الفطرية، و بالتالى اخرج المجتمع من حالة التوازن!

إن هذه الانحرافات حملت خالق الكون على أن يرسل إلى البشرية رجالا أفاذا صالحين يتولون تربية البشر، و ليقوموا بتنظيم برنامج المجتمع، و التخفيف من المفسد الناشئة- بصورة مباشرة- عن النزعة الاجتماعية لدى الإنسان، و ليضيئوا- بمشاعل الوحي المشعة المنيرة- طريق السعادة و الخير للانسانية فى جميع المجالات و الابعاد.

إذ لا نقاش فى أن الحياة الاجتماعية و العيش بصورة جماعية مع كونه مفيدا، ينطوى على مفسد لا تنكر، و يجزّ إلى انحرافات كثيرة لا تقبل التردد.

(٣) و لهذا بعث الله سبحانه رجلا مصلحين، و هداة مرشدين يعملون- قدر الامكان- على الحدّ من الانحرافات و المفسد، و يضعون عجلة المجتمع- بتنظيم القوانين الواضحة و الانظمة الحكيمة- على الطريق الصحيح، و يضمنون دورانها

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١٦

و حركتها فى المسار المستقيم.

و قد يستفاد هذا الأمر- بوضوح- من قوله تعالى:



«كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ» (١).

(١)

### دور الأنبياء في اصلاح المجتمع:

ان الذى يتصوره الناس عادة هو أن الأنبياء مجرد معلمين إلهيين بعثوا لتعليم البشرية. فكما يتعلم الطفل خلال حركته التعليمية ابتداء من الابتدائية و مروراً بالمتوسطة و انتهاء بالجامعة دروساً معينة و مواضيع خاصة على ايدى الاساتذة و المعلمين، كذلك يتعلم الناس فى مدرسة الأنبياء اموراً خاصة، و يكتسبون معارف معينة، و تتكامل أخلاقهم و صفاتهم و خصالهم الاجتماعية جنباً الى جنب مع اكتسابهم المعرفة و العلم على أيدى الأنبياء و المرسلين. و لكننا نتصور أن مهمة الأنبياء وظيفتهم الأساسية هى (تربية) المجتمعات البشرية لا تعليمها، و ان اساس شريعتهم لا ينطوى على كلام جديد، و انه ما لم تنحرف الفطرة البشرية عن مسارها الصحيح، و ما لم تلفها غشاوات الجهل و الغافلة لعرفت و ادركت خلاصة الدين الإلهي، و عصارتها، فى غير ابهام، و لا خفاء. على أن هذه الحقيقة قد أشار إليها قادة الإسلام العظماء.

(٢) فقد قال امير المؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغة عن هدف الأنبياء:

«أخذ على الوحي ميثاقهم، و على تبليغ الرسالة أمانتهم ... ليستأدوهم ميثاق فطرتهم، و يذكروهم منسى نعمته، و يحتجوا عليهم بالتبليغ، و يثيروا لهم دفائن العقول» (٢).

(١) البقرة: ٢١٣.

(٢) نهج البلاغة: قسم الخطب، الخطبة رقم ١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١٧

(١)

### مثال واضح فى المقام:

اذا قلنا: ان وظيفة الأنبياء فى تربية الناس و اصلاح نفوسهم هى وظيفة البستاني فى تربية شجيرة من الشجرات، أو قلنا: أن مثل الأنبياء فى قيادة التوجهات الفطرية البشرية و هدايتها، مثل المهندس الذى يستخرج المعادن الثمينة من بطون الاودية و الجبال، لم نكن فى هذا القول مبالغين.

و توضيح ذلك ان النبتة، أو الشجيرة الصغيرة تحمل من بداية انعقاد حبتها الاولى كل قابليات النمو، و الرشد، فاذا توفر لها الجو المناسب للنمو، دبّت الحياة و الحركة فى كل أجزائها، و استطاعت بفعل جذورها القوية و اجهزتها المتنوعة و فى الهواء الطلق، و الضوء اللازم، من أن تقطع أشواطاً كبيرة من التكامل، و النمو.

(٢) فمسؤولية البستاني فى هذه الحالة تتركز فى امرين:

١- توفير الظروف اللازمة لتقوية جذور تلك النبتة لى تظهر القوى المودعة فى تلك النبتة أو الشجيرة، و تخرج من حيز القوة إلى مرحلة الفعلية، و التحقق.

٢- الحيلولة دون تعرض تلك الشجرة أو النبتة للانحرافات و الآفات، و ذلك عند ما تتجه القوى الباطنية صوب الوجهة المخالفة



لسعادتها، و تسلك طريقا ينافى تكاملها.

و من هنا فان مسئولية البستاني و وظيفته ليست هي (الإنماء) بل هي (المراقبة) و توفير الظروف اللازمة ليتها لتلك الشجرة و النبتة أن تبرز كمالها الباطني.

(٣) لقد خلق الله سبحانه البشر و أودع في كيانه طاقات متنوعة، و غرائز كثيرة، و عجن فطرته و جبلته بالتوحيد، و حب معرفة الله، و حب الحق و الخير، و العدل و الانصاف، كما و أودع فيه غريزة السعي و العمل.

و عند ما تبدأ خمائر هذه الامور و بذورها الصالحة المودوعة بالعمل و التفاعل في كيان الإنسان تتعرض في الجو الاجتماعي لبعض الانحرافات بصورة قهرية،

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١٨

فغريزة العمل و السعي تتخذ شيئا فشيئا صفة الحرص و الطمع، و غريزة حب السعادة و البقاء تتخذ صورة الانانية، و حب الجاه و المنصب، و يتجلى نور التوحيد و الإيمان في لباس الوثنية و عبادة الأصنام.

(١) في هذه الحالة يعمل سفراء الله الى البشرية: (الأنبياء و الرسل) على توفير ظروف الرشد و النمو الصحيح لتلك الغرائز و تلك القوى و الطاقات في ضوء الوحي، و البرامج الصحيحة المستلهمة من ذلك المنبع الالهي الهادي، و يقومون بالتالي بتعديل انحرافات الغرائز، و الوقوف دون تجاوزها حدودها المعقولة المطلوبة.

و لقد قال امير المؤمنين في ما مر من كلامه: إن الله أخذ- في مبدأ الخلق- ميثاقا يدعى «ميثاق الفطرة».

فما هو ترى المقصود من ميثاق الفطرة هذا؟

إن المقصود من هذا الميثاق هو: أن الله تعالى بخلقه و ايداعه الغرائز المفيدة في الكيان الإنساني، و بمزج الفطرة البشرية بعشرات الأخلاق الطيبة و السجايا الصالحة يكون قد أخذ من الإنسان ميثاقا فطريا بأن يتبع خصال الخير، و يأخذ بالغرائز الطيبة الصالحة. فاذا كان منح جهاز البصر (العين) للإنسان هو نوع من اخذ الميثاق من الإنسان بان يتجنب المزالق، و لا يقع في البثر، فكذلك ايداع حس التدين، و غريزة الانجذاب الى الله، و حب العدل، في كيانه هو الآخر نوع من اخذ الميثاق منه بأن يظل مؤمنا بالله، موخدا إياه، عادلا، منصفًا، محبا للخير و الحق.

و إن وظيفة الأنبياء هي أن يحملوا الناس على العمل بمقتضى ميثاق الفطرة، و بالتالي فإن مهمتهم الأساسية الحقيقية هو تمزيق اغشية الجهل و تبديد سحب الغافلة التي قد ترين على جوهره الفطرة المطعمه بنور الايمان، فتمنعها من الاشرار على وجود الإنسان، و تحرم الإنسان من هدايتها.

و من هنا قالوا: إن أساس الشرائع الالهية يتألف من الامور الفطرية، التي فطر الإنسان عليها.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣١٩

(١) و كأن صرح الكيان الإنساني (جبل) اختفت بين ثنايا صحوره و في بطونه احجار كريمة كثيرة و معادن ذهبية ثمينة، فالوجود الإنساني هو الآخر قد اودعت فيه فضائل و علوم، و معارف و خصال، و اخلاق متنوعة.

فعند ما يغور الأنبياء و المهندسون الروحانيون في أعماق نفوسنا و ذواتنا و هم يعلمون جيدا أن نفوسنا معجونة بطائفة من الصفات و السجايا النبيلة و المشاعر و الاحاسيس الطيبة، و يعملون على اعادة نفوسنا- بتعاليم الدين و برامجه- الى جادة الفطرة المستقيمة السليمة فانهم في الحقيقة يذكروننا بأحكام فطرتنا، و يسمعوننا نداء ضمائرنا، و يلفتونها الى الصفات، و الى الشخصية المودوعة فيها.

تلك هي رسالة الأنبياء، و ذلك هو عملهم الاساسي، و هذا هو دورهم في اصلاح النوع الإنساني، أفرادا و جماعات.

**أمين قريش في غار حراء:**

يقع جبل «حراء» في شمال «مكة» و يستغرق الصعود إلى غار حراء مدة نصف ساعة من الزمان.

و يتألف ظاهر هذا الجبل من قطع صخرية سوداء، لا يرى فيها أى أثر للحياة أبداً.

و يوجد في النقطة الشمالية من هذا الجبل غار يمكن للمرء أن يصل إليه و لكن عبر تلك الصخور، و يرتفع سقف هذا الغار قامه

رجل، و بينما تضيء الشمس قسماً منه، تغرق نواح أخرى منه في ظلمة دائمة.

و لكن هذا الغار يحمل في رحابه ذكريات كثيرة عن صاحب له طالما تردّد عليه، و قضى ساعات بل و أياماً و أشهراً في رحابه ...

ذكريات يتشوق الناس - و حتى هذا الساعة - الى سماعها من ذلك الغار، و لذلك تجدهم يسارعون إلى لقائه كلما زاروا تلك

الديار، متحمّلين في هذا السبيل كل عناء، للوصول إلى رحابه، لكي يستفسروا عما جرى فيها عند وقوع حادثه: «الوحي» العظيمة و

ليسألونه عن ما تحتفظ به ذاكرته من تاريخ رسول الإنسانية الأكبر ممّا جرت

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٢٠

حوادثه في ذلك المكان التاريخي، العجيب.

(١) و يتحدث ذلك الغار هو الآخر إليهم بلسان الحال و يقول: هاهنا المكان الذي كان يتعبد فيه عزيز قريش و فتاها الصادق الامين.

و هاهنا قضى ليالى و أياماً عديدة و طويلاً قبل ان يبلغ مرتبة الرسالة، في عبادة الله، و التأمل في الكون، و في آثار قدرة الله و عظيمته.

أجل، لقد اختار محمّد صلى الله عليه و آله ذلك المكان البعيد عن صحيح الحياة، للعبادة و التحنّث، فكان يمضى جميع الايام من

شهر رمضان فيه، و ربما لجأ إليه في غير هذا الشهر أحياناً أخرى، إلى درجة أن زوجته الوفية كانت إذا لم يرجع إلى منزلها، تعرف أنه

قد ذهب إلى «غار حراء» و أنه هناك مشغول بالعبادة و التحنّث و الاعتكاف. و كانت كلما أرسلت إليه أحداً وجده في ذلك المكان

مستغرقاً في التأمل و التفكير، او مشغولاً بالعبادة و التحنّث.

(٢) لقد كان صلى الله عليه و آله قبل أن يبلغ مقام النبوة، و يبعث بالرسالة يفكر - أكثر شيء - في أمرين:

١- كان يفكر في ملكوت السماوات و الارض، و يرى في ملامح كل واحد من الكائنات التي يشاهدها نور الخالق العظيم، و قدرته، و

عظيمته و علمه، و قد كانت تفتح عليه من هذا السبيل نوافذ من الغيب تحمل الى قلبه و عقله النور الالهى المقدس.

٢- كان يفكر في المسؤولية الثقيلة التي ستوضع على كاهله.

إن اصلاح المجتمع في ذلك اليوم على ما كان عليه من فساد عريق و انحطاط عريض، لم يكن في نظره و تقديره بالأمر المحال

الممتنع. و لكن تطبيق مثل هذا البرنامج الاصلاحى لم يكن في نفس الوقت أمراً خالياً من العناء و المشاكل، من هنا كان يفكر طويلاً

في الفساد في حياة المجتمع المكي و ما يراه من ترف قريش، و كيفية رفع كل ذلك و اصلاحه.

لقد كان صلى الله عليه و آله حزينا لما يرى من قومه من فساد العقيدة المتمثل في الخضوع للأوثان الميته، و العبادة للأصنام الخاوية

الباطلة، و لظالما

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٢١

شوهدت آثار ذلك الحزن على محياه، و ملامح وجهه الشريف، و لكن لما لم يكن مأذونا بالافصاح بالحقائق، لذلك كان يتجنب

ردع الناس عن تلك المفاسد، و منعهم عن تلك الانحرافات.

(١)

**بدء الوحي:**

لقد امر الله ملكا من ملائكته بأن ينزل على امين قريش و هو في غار حراء و يتلو على مسمعه بضع آيات كبداية لكتاب الهداية و السعادة، معلنا بذلك تنويجه بالنبوة، و نصبه لمقام الرسالة.

كان ذلك الملك «جبرئيل»، و كان ذلك اليوم هو يوم المبعث النبوي الشريف الذي سنتحدث عن تاريخه في المستقبل. و لا ريب أن ملاقاته الملك و مواجهته أمر كان يحتاج إلى تهيؤ خاص، و ما لم يكن محمد صلى الله عليه و آله يمتلك روحا عظيمة، و نفسية قوية لم يكن قادرا قط على تحمّل ثقل النبوة، و ملاقاته ذلك الملك العظيم. أجل لقد كان «أمين قريش» يمتلك تلك الروح الكبرى، و تلك النفس العظيمة و قد اكتسبها عن طريق العبادات الطويلة، و التأمل العميق الدائم، الى جانب العناية الالهية.

و لقد روى أصحاب السير و التاريخ انه رأى رؤى عديدة قبل البعثة كانت تكشف عن واقع بين واضح وضح النهار «١». و لقد كانت ألدّ الساعات و أحبها عنده بعد كل فترة، تلك الساعات التي يخلو فيها بنفسه، و يتعبّد فيها بعيدا عن الناس. و لقد قضى على هذا الحال مدة طويلة حتى أتاه- في يوم معين- ملك عظيم بلوح نصبه أمامه و قال له: «اقرأ»، و حيث أنه صلى الله عليه و آله كان اميا لم يدرس أجاب الملك بقوله: «ما أنا بقارئ».

(١) صحيح البخارى: ج ١ كتاب العلم ص ٢٢، بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٩٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٢٢

(١) فاحتضنه ذلك الملك، و عصره عصره شديدة، ثم طلب منه أن يقرأ فأجابه بالجواب الأول. فعصره الملك ثانية عصره شديدة و تركز هذا العمل مرات ثلاث احس بعدها رسول الله صلى الله عليه و آله في نفسه أنه قادر على قراءة ما في ذلك اللوح، فقرأ ساعتها تلك الآيات التي تشكل- في الحقيقة- ديباجه كتاب السعادة البشرية، و اساس رقيها. لقد قرأ صلى الله عليه و آله و سلم قوله تعالى:

«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ» (١).

و بعد أن انتهى جبرئيل من أداء مهمته التي كلف بها من جانب الله تعالى، و بلغ الى النبي تلكم الآيات الخمس، انحدر رسول الله صلى الله عليه و آله من جبل حراء، و توجه نحو منزل خديجة «٢».

و لقد أوضحت الآيات المذكورة برنامج النبي صلى الله عليه و آله اجمالا، و بينت و بشكل واضح ان اساس الدين يقوم على القراءة و الكتابة، و العلم و المعرفة، و استخدام القلم.

(٢)

### ظاهرة القضايا الغيبية في منظار الماديين:

لقد تسبب التقدم العظيم و المتزائد الذي تحقق في ميدان العلوم الطبيعية في سلب الكثير من العلماء القدرة على فهم و ادراك القضايا المعنوية و الخارجة عن اطار العلوم الطبيعية و بالتالي أدى الى تحديد و تضيق آفاق الفكر عندهم.

فاذا بهم اصبحوا يتصورون أن الوجود يتلخص في هذا الكون المادي، و انه ليس في الوجود من شيء سوى المادة و ان كل ما لا يمكن تفسيره و تبريره بالقوانين و القواعد المادية فهو أمر باطل، و من نسج الخيال!!

(١) العلق: ١-٥.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٣٦ و ٢٣٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٢٣

(١) إن هذا الفريق - لتسرع في اصدار الحكم في الامور المتعلقة - بالغيب و قضايا ما وراء الطبيعة، و حصر أدوات المعرفة بالحس و التجربة - انكروا عالم الوحي، بحجة أن الحس و التجربة لا- يقودانهم إلى ذلك العالم، و لا- يخبرانهم عن مثل تلك الموجودات، فلكونها بالتالى لا- تخضع لمبضع التشريح، و مجهر الاختبار أنكروها بالمرء، و كانت النتيجة أن أدوات المعرفة المعروفة (الحس و التجربة) حيث انها لا تهدي إلى عالم ما وراء المادة فاذن لا وجود خارجي لذلك العالم و لحقائقه أبدا!

إنّ هذا النمط من التفكير نمط جدّ ضيق و محدود، مضافا الى انه يتسم بالغرور و الغطرسة، فهو من باب «استنتاج عدم الوجود من عدم الوجدان» في خطوة متعجلة فجة!!

فما دامت هذه الحقائق التي يعتقد بها الالهيون المؤمنون بالله لا- يمكن التوصل إليها عن طريق الادوات الفعلية المتعارفة بينهم للادراك و المعرفة فهي اذن لا اساس لها من الواقع!!

(٢) ان الذي لا شك فيه هو: ان الماديين لم يدركوا مقالة العلماء الالهييين حتى في مسألة اثبات الصانع الخالق فكيف بالعوالم الاخرى لما فوق الطبيعة، و لو أنّ الفريقين تحاورا في جوّ علمي مناسب، بعيدا عن الأغراض و العصبية، لكان من المتوقع ان تزول الفواصل بين الماديين و الالهييين في أقرب وقت، و أين يرتفع هذا الاختلاف الذي قسّم العلماء إلى فريقين على طرفي نقيض.

(٣) لقد اقام المؤمنون الموحّدون عشرات الأدلة و البراهين القاطعة على وجود الله تعالى، و اثبتوا بأنّ هذه العلوم الطبيعية هي نفسها تقودنا إلى الخالق العالم القادر، و ان هذا النظام العجيب السائد في ظواهر الكائنات الطبيعية و بواطنها لدليل قاطع، و برهان ساطع على وجود مبدع هذا النظام، و أن جميع أجزاء هذا الكون المادى، من ذراته الى مجراته، يسير وفق قوانين دقيقة متقنة، و لا تستطيع الطبيعة الصماء العمياء ابدا أن تكون مبتكرة لهذا النظام البديع، و مبدعه لهذا الترتيب الدقيق.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٢٤

(١) و هذا هو بنفسه برهان «نظام الوجود» أو (برهان النظم) الذي ألف العلماء الالهيون الموحّدون حوله عشرات الكتب و الدراسات. و حيث ان (برهان النظم) هذا ممّا يفهمه جميع الناس على مختلف مراتبهم و مداركهم، لذلك ركزت عليها الكتب الاعتقادية دون سواها، و سلك كل واحد من العلماء طريقا معيناً و خاصاً لتقريره، و بيانه، كما و درست الأدلة و البراهين الاخرى التي لا تتسم بمثل هذه الشمولية، في الكتب، و المؤلفات الفلسفية و الكلامية بصورة مفصلة و مبسطة.

إنّ للعلماء الالهييين بيانات و أدلة في مجال (الروح المجردة)، و عوالم ما وراء الطبيعة (المتافيزيقيا) نشير إلى بعضها هنا:

(٢)

### الروح المجردة:

إن الاعتقاد بالروح من القضايا الشائكة الطبيعة التي استقطبت اهتمام العلماء و شغلت بالهم بشدة. فهناك فريق - ممن اعتاد أن يخضع كل شيء لمبضع التشريح - ينكر وجود (الروح)، و يكتفى بالاعتقاد بالنفس ذات الطابع المادى، و العاملة ضمن نطاق القوانين الطبيعية فقط.

و وجود «الروح» و النفس غير المادية (اي المجردة المستقلة عن المادة) من القضايا التي عولجت و درست من قبل المؤمنين بالله، و المعتقدين بالعالم الروحاني، بصورة دقيقة، و عميقة.

فهم أقاموا شواهد عديدة على وجود هذا الكائن (غير المادى) و هي أدلة و براهين لو تمّ التعرف عليها و النقاش حولها في جوّ علمي هادئ مع الأخذ بنظر الاعتبار ما يقوم عليه منطق الالهييين - في هذا المجال - من قواعد و اساس، لأدى ذلك إلى التصديق الكامل بها. على أن ما يقوله الالهيون في مجالات اخرى مشابهة مثل (الملائكة) و (الوحي) و (الإلهام) يقوم هو الآخر على الأساس الذي شيده و

مهده و برهنوا

سيد المرسلين، ج١، ص: ٣٢٥

عليه قبل ذلك بالأدلة المحكمة، المتقنة (١).

(١)

### ظاهرة الوحي عند الماديين:

يعتبر الاعتقاد بالوحي أساسا لجميع الرسالات، و الأديان السماوية، و تقوم هذه الظاهرة (ظاهرة الوحي) على أن الذى يوحى إليه يمتلك روحا قوية تقدر على تلقي المعارف الالهية من دون واسطة، أو بواسطة ملك من الملائكة.

و يلخص العلماء المختصون تعريفهم للوحي على النحو التالي: «الوحي تعليمه تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية و العلم و لكن بطريقة خفية غير معتادة للبشر».

و لكن الماديين - كما قلنا- لم يستطيعوا هضم هذه الحقيقة، و ادراك هذه الظاهرة على حالها، و صورتها الغيبية بسبب ما ذكرناه من منهجهم و نظرتهم إلى الامور و الكائنات فذهبوا فى تفسير ظاهرة الوحي - التى هى كما اسلفنا من قضايا الغيب و من عوالم ما فوق الطبيعة- مذاهب مختلفة ترجع برمتها إلى الرؤية المادية للوجود.

و إليك أبرز هذه التفاسير المادية لظاهرة الوحي الغيبية:

### أبرز النظريات المادية لظاهرة الوحي:

١- قالوا: الوحي هى القدرة الفكرية، و النفسية و العقلية التى تحصل للإنسان بسبب التمرينات و الرياضات الروحية التى على اثرها تنفتح عليه أبواب من الغيب، فيخبر عن امور طالما تتفق مع الواقع على نحو ما يحصل للمرتاضين الهنود (٢).

فالانبياء بسبب اعتزالهم للمجتمع - على غرار ما يفعل المرتاضون- و إقبالهم

(١) و لقد جاء تفصيل هذه البراهين و الأدلة فى الكتب الفلسفية مثل: «الإشارات» و «الأسفار».

و لقد اشرنا إلى بعض هذه الأدلة فى كتاب (الله خالق الكون) فراجع.

(٢) و هم الذى يمارسون عملية اليوجا.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٣٢٦

على الرياضة الروحية يحصل لهم المقدرة على الإخبار بالغايبات، و الكائنات الخفية على غيرهم.

و الجواب على هذه النظرية هو: أن دراسة حالات المرتاضين تكشف لنا عن أنهم طالما يخطئون فى إخباراتهم أخطاء فاضحة، بينما لم يعهد من نبي أنه أخطأ فى إخباراته، و إنباءاته.

هذا أولا و ثانيا: ان ما يفعله المرتاضون لا ينطوى على أية أهداف اصلاحية عليا للمجتمع البشرى، بل غاية همهم هو: عرض الافعال العجيبة على الناس و ربما تسلية المتفرجين، بينما يهدف الأنبياء إلى إصلاح المجتمعات البشرية و قيادتها إلى ذرى الكمال و التقدم.

و ثالثا: ان المرتاضين لا يثقون بما يخبرون به، كما لم يعرف إلى الآن أن أحدا منهم طلع على المجتمع البشرى ببرنامج كامل و شامل للحياة البشرية الفردية و الاجتماعية، بينما نجد الأنبياء يخبرون الناس بما امرؤا به و هم على إيمان كامل، و يقين ثابت منه، هذا الى جانب أنهم يحملون الى البشرية برامج اجتماعية و حيوية جامعة الاطراف، كاملة الأبعاد، رفيعة الأهداف، عميقة الغايات، ترجع إليها

كل فضيلة و كل خير تعرفه المجتمعات الى الآن.

و رابعاً: ان أعمال المرتاضين و ما تحصل لهم من قوى و يفتح عليهم من آفاق، محدودة، بينما لا- تقف طاقات الأنبياء و آفاق علومهم، و أبعاد أعمالهم عند حدّ.

فلا يمكن أبدا تفسير و تعليل ظاهرة (الوحى) و ما يحصل للرسل و الأنبياء على اثره من امور تتخطى حدود العالم المادى المحدود، بالرياضة الروحية التى يمارسها المرتاضون و ما يحصل لهم على أثرها من امور.

٢- قالوا: انّ (الوحى) نوع من النبوغ، او أنه ناشئ من النبوغ، و أن الأنبياء هم نوابغ اجتماعيون لا اكثر.

و قد شرحوا نظريتهم هذه قائلين: بأن نظام الخليقة قد ربي فى أحضانه نوابغ

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٢٧

صالحين، اهدوا بفعل نبوغهم الفكرى الرفيع الى أفكار و قيم ريفية و دعوا مجتمعاتهم الى الأخذ بها، و السير على هديها، لتحقيق الخير و العدالة، فكان لهم بذلك اكبر نصيب فى إرشاد البشرية الى سعادتها، فكل ما طرحوه من أفكار، و كل ما عرضه على تلك المجتمعات باسم الدين او القانون ليست- فى الحقيقة- سوى نتيجة ما تمتعوا به من نبوغ، و فكر خارق، و لا علاقة له بعالم آخر غير هذا العالم المادى المؤلف.

و قالوا: و ان ممّا يساعد على تقوية هذا النبوغ امور ابرزها:

الحب، التعرض للظلم الطويل، الطفولة و ما يكتنفها من ضعف و عجز، الوحدة، السكوت، التربية الاولى، و العيش فى صورة الأقلية و ما يرافقها من ظروف اجتماعية غير مؤاتية.

فان جميع هذه الامور أو بعضها تدفع بالشخص الى الانطوائية، و التفكير و التأمل، للاهتمام الى مخرج من المشاكل و الصعوبات، و مخلص من الظروف الصعبة، و الأحوال الشاقة.

و يجاب على هذه النظرية بأن أصحاب هذه النظرية حكموا على هذه القضية على أساس موقف اتخذه سلفا فهم حصروا الأشياء فى المادة و الامور المادية ثم فسروا ما يرتبط بعالم الغيب بذلك، فجاء تفسيرهم لهذه الظاهرة الغيبية تفسيراً مادياً، غفلة منهم عن ان مثل هذا التفسير و التعليل لا يليق بظاهرة (الوحى) التى تجسد أعلى قضية فى سلم الحقائق العلمية و الفلسفية، و يرجع إليها أعظم القوانين و البرامج للسعادة البشرية.

نحن لا ننكر أن لما ذكره من العوامل تأثيراً فى تقوية عملية «التفكير» لدى الانسان إلى درجة ايجاد ما يسمى بظاهرة النبوغ لديه، إلا أنه لا يمكن أن يوجد مثل هذا الأمر نبياً خضعت جميع النوابغ البشرية لعظمه تعالىه التى أتى بها طوال أربعة عشر قرناً.

نبيا لم تزل ما جاء به من معارف عقلية و فلسفية، و قوانين ترتبط بعالم الطبيعة و بالنظام الاجتماعى و آداب السلوك تحافظ على قوتها، و عمقها و أصالتها و لمعانها

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٢٨

كل المحافظة رغم كل ما احرزها البشر فى ضوء نشاطه الفكرى و العقلى من تقدم، فى المعارف و العلوم.

هذا مضافاً الى أن نسبة هؤلاء الأنبياء جميع ما عرضه على المجتمعات البشرية إلى العالم الآخر و اصرارهم على أنها من جانب الله تعالى و ليست من نسيج افكارهم يناقض نظرية هذه الطائفة، التى تفسر النبوة بالنبوغ.

لنقرأ مع الآية التى يقول الله تعالى فيها حاكياً عن رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وآله:

«إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ» (١).

أو يقول سبحانه:

«إِنْ هُوَ إِلَّا سَوْحَىٰ يُوحَىٰ» (٢).

٣- يقولون: إن الوحي هو ظهور الشخصية الكامنة في النبي و اياؤها لما ينفعه و ينفع قومه المعاصرين له، إليه.

و ربما قالوا: إن معلومات «محمّد» و أفكاره و آماله و ولدت لديه إلهاما فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفية على محيلته السامية، و انعكس اعتقاده على بصره فرأى الملك و ماثلا له و هو يتلو على سمعه ما حدث به بعد ذلك.

و توضيح هذه النظرية هو: ان لكل إنسان شخصيتين:

١- الشخصية الظاهرة العادية و هي التي تخضع للحواس الخمس و تعمل بها.

٢- الشخصية الباطنية و هي التي تعمل عند ما تتعطل الحواس، و يتعطل الشعور الظاهري:

و هذه الشخصية هي التي تحرك جميع أعضاء الجسم الانساني التي لا تخضع لارادته كالكبد و القلب، و المعدة و غيرها، كما انها هي مصدر الكثير من الإلهامات الطيبة في الظروف الحرجة.

ثم قالوا: و هذه الشخصية الباطنية قد اصبحت مدركة بالحس، فان المؤمن

(١) الأنعام: ٥٠.

(٢) النجم: ٤.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٣٢٩

مغناطيسيا يظهر بمظهر من العقل الراجح، و الفكر الثاقب و النظر البعيد، و يقوم بما لا يقوم به في حالته العادية.

و قد انتهى هؤلاء الماديون من خلال تحقيقاتهم و تجاربهم إلى: ان شخصية الإنسان الباطنية ارقى من شخصيته العادية، و إن ما يتوصّل إليه الإنسان من أفكار عالية ريفية جدا، و ما قد يتمتع به من روح قوية هو من مظاهر هذه الشخصية و فعاليتها.

فقالوا: و ان هذه الشخصية هي التي تنفث في روح الأنبياء ما يعتبرونه وحيا من الله، و قد تظهر لهم متجسدة فيحسبونها من ملائكة الله هبطت عليهم من السماء!!!

فالوحي عند هؤلاء الباحثين في الروح على الاسلوب التجريبي لا يكون بنزول ملك من السماء على الرسول فيبلغه كلاما عن الله بل يكون في تجلي روح الإنسان عليه بواسطة شخصيته الباطنة فتعلمه ما لم يكن يعلم، و تهديه الى خير الطرق لهداية نفسه و ترقية امته (١).

و لكن هذه النظرية هي الاخرى تنبع من الغرور العلمي الذي أصاب هذا النمط من العلماء الذين يحاولون تفسير كل ظواهر هذا العالم بالتفسير المادي، و هو لا شك ينشأ من علمهم المحدود القاصر عن إدراك حقائق الوجود.

إننا لا نشك في وجود ما يسمى بالشخصية الباطنية لدى الإنسان فهو ممّا سبق الى كشفه و التنويه به الفلاسفة الإسلاميون من قبل و لكن كيف و على أي أساس حقّ لهؤلاء ان يفسروا ظاهرة (الوحي الالهي) و النبوة بهذا الأمر؟

هذا أولا و ثانيا: ان تجلي الشخصية قلما يحدث في الاشخاص الأصحاء، بل هو يحدث في الاغلب عند المتعبين القلقين، و السكرى، و المصابين بالهزيمة و النكسة، لأن نافذة (اللاوعي) عند غيرهم من الاصحاء تنسد بسبب اشتغالهم الشديد بقضايا الحياة اليومية و همومها، و لا يبقى للشخصية الباطنية مجال للنشاط و الفعالية، كما

(١) دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدى: ج ١٠ مادة وحي.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٣٣٠

هو العكس عند المتعبين و السكرى و المرضى الذين يقل اهتمامهم بالحياة اليومية فيترك (الوعي) مكانه للاوعي، و تترك الشخصية الظاهرية المعطلة مكانها للشخصية الباطنية.



ولذلك نجد بين آلاف العلماء و المفكرين مفكرا أو عالما واحد اتفق له في بداية عمره أن اهتدى بصورة لا شعورية إلى فكرة خاصة أو نظرية معينة من دون سابق تفكير أو استدلال قائم على الشعور.

و خلاصة القول أن تجلّى الشخصية الباطنية في الحياة الانسانية قضية نادرة جدا، و هي لا تحدث إلّا في ظروف خاصة مثل: المنامات و الاحلام و غيرها من التحولات الحياتية التي تقلل من توجه الانسان الى العالم الخارجى و تصرف التفاته و توجهه الى الشخصية الباطنية.

و لكن هذه الحالة و هذه الشرائط (أى الغافلة عن هموم الحياة اليومية الخارجية) لم تحصل للأنبياء قط. فالنبي الأكرم محمد صلى الله عليه و آله كان طوال (٢٣ سنة) و هى أعوام الرسالة، مشغولا كل الاشتغال بقضايا الحياة اليومية، فالنشاطات السياسية.

و التبليغية و قضايا الدعوة و القيادة كانت تهيمن على كل توجهه و اهتمامه و تملأ عقله و روحه و نفسه.

فالكثير من آيات الجهاد ترتبط بساحات القتال و الجهاد، و هذا يعنى انه كان مشغولا بروحه و عقله كله إلى تلك الامور. و ثالثا: ان هذه النظرية يمكن أن تصدق على نبوة الأنبياء، لو كان هؤلاء الأنبياء أفرادا متعبين، منهزمين، متكسبين، مرضى، معتزلين عن الحياة ليقال حينئذ ان هذه الحالات و الظروف مهّدت لانقطاعهم - عليهم السلام - عن هموم الحياة، و قضاياها، و بالتالى مهّدت لفعالية الشخصية الباطنية و عملها.

و لكن تاريخ الأنبياء يشهد بوضوح لا إبهام فيه، بانهم كانوا - طيلة حياتهم الرسالية - رجالا مجاهدين، لا يهمهم إلّا اصلاح المجتمعات و قيادة الجماعات و حل المشكلات الاجتماعية، و رفع مستويات الناس معنويا و فكريا و كانوا سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٣١

يعملون لتحقيق هذه الأهداف ليل نهار، بلا سأم و لا ملل، و لا تعب و لا نصب.

فكيف يمكن القول و الحال هذه بان الشخصية الباطنية تجلّت لديهم و اوحّت إليهم بحقائق و قيم و افكار؟

إن تفسير (الوحى الالهى) الذى يلقي الى الأنبياء و يكشف لهم عن أدق الحقائق و ارفعها، و أعظم المناهج و اكملها، بتجلّى الشخصية الباطنية، ناشئ من اعتقاد هذا الفريق من العلماء بأصالة المادة، أو بعبارة اخرى: حصر الوجود فى المادة، و من هنا حاولوا إلباس كل شىء حتى الامور المعنوية و الغيبية:

اللباس المادى، و اغلقوا على أنفسهم باب عوالم الغيب، و عمدوا إلى التفتيش عن علة مادية حتى لظاهرة (الوحى) التى لا تقاس بمقاييس العالم المادى.

هذا مضافا إلى أن تفسير (الوحى الالهى) عن طريق نظرية تجلّى الشخصية الباطنية، و خاصة فى شأن رسول الإسلام «محمد» صلى الله عليه و آله و سلم يواجه اشكالات و مؤاخذات اخرى تجعل هذه النظرية فى عداد الاساطير!! و إن ابرز هذه الاشكالات الواردة على هذه النظرية فى مجال رسول الإسلام صلى الله عليه و آله هي: أن هذه النظرية ليست رأيا جديدا و تهمة جديدة توجه إلى نبوة رسول الإسلام.

(١) فان نظرية «الشخصية الباطنية، و الوحى النفسى الذاتى» هى نظرية متبلورة و متقدمة لتهمة (الجنون و الصرع) التى كان يرمى بها العرب الجاهليون رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم!!

فقد كان المشركون فى بدء الدعوة يقولون: ان ما يقوله «محمد» و ما يتكلم به ليس إلا أفكاره القلقنة المضطربة الناشئة عن خياله، و ان القرآن هى تلك الأفكار المضطربة التى تسربت إلى فضاء عقله من دون ارادة منه و لا اختيار!!

(٢) لنستمع الى القرآن الكريم و هو ينقل عنهم هذا الاتهام:



«بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ» (١).

(١) الأنبياء: ٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٣٢

(١) و لكن القرآن الكريم يردّ على هذه المزعمه الواهيه بقوله:

«وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ» (١).

ان القرآن الكريم يشجب في هذه الآيات المنتظمة انتظاما رائعا و بديعا هذه المزعمه (أى مقوله أن القرآن وليد الخيال لدى محمد)، و يردّ الأمر إلى الوحي الالهي، و التوجيه الرباني العلوي.

إن نظريه الوحي النفسى و تجلّى الشخصيه الباطنيه التى طلع بها الماديون فى عصرنا ما هى فى الحقيقه إلاً غطاء لمزعمه المشركين و تهمة الجنون، و الخيال التى سبق أن رمى بها أعداء الرساله الاسلاميه و معارضوها النبى صلى الله عليه وآله و سلم تلك التهمه التى يذكرها القرآن الكريم بقوله:

«وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» (٢).

(٢) و هى تهمة كان يوجهها المعارضون دائما إلى المصلحين و أصحاب الرسالات (٣) و قد اتخذت هذه التهمه صبغه علميه جديده، و تبلورت فى نظريه:

«الوحي النفسى، و تجلّى الشخصيه الباطنيه». ان القرآن الكريم يرد على هذه المزاعم و التصورات الباطله حول عمليه الوحي و مسأله النبوه و يرد على نسبة الكهان و ما شابه ذلك كالخبر المنقول عن اهل السير بمحاوله القاء النبى نفسه من شاهق فى بدايه الوحي الذى يشبه نسبة الجنون إليه صلى الله عليه وآله، اذ يقول تعالى:

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ. مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ. وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ. وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ. وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. فَأَيْنَ

(١) النجم: ١-٥.

(٢) الحجر: ٦، و أيضا راجع الآيات التاليه: سبأ: ٨، الصافات: ٣٦، الدخان: ١٤، الطور: ٢٩، القلم: ٢، التكوير: ٢٢.

(٣) اذ يقول القرآن فى هذا الصدد: «كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون. أتواصوا به بل هم قوم طاغون» (الذاريات: ٥٢ و ٥٣).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٣٣

تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» (١).

بهذا البيان تبين بطلان هذا التفسير و جميع التفاسير الاخرى التى تحاول إعطاء (الوحي) طابعا ماديا مألوفاً، شأنه شأن غيره من الظواهر الغيبية، و نحن استكمالا لهذا البحث نشير إلى ما هو الحق فى هذا المجال، ممّا يؤيد الواقع و العقل و الدين:

### ظاهرة الوحي فى منظار العقل و الدين:

لا شك أن حياة كل فرد من افراد الإنسان تبدأ من «الجهل» ثم يأخذ الإنسان بالدخول فى مجال العلم شيئا فشيئا، الى ان تفتح عليه بالتدريج نوافذ على الواقع الخارج عن ذهنه.

فيبدأ الإنسان بالتعرف على الحقائق عن طريق الحواس الظاهرية، ثم على أثر التكامل فى جهازه العقلي و الفكرى يهتدى الى الحقائق

الخارجة عن مجال الحس و اللمس، فيغدو عقلانيا استدلاليا، و يقف على طائفة من الحقائق الكليّة و القوانين العلمية. و ربما يظهر بين أفراد النوع الإنسانى أصحاب نفوس عالية يقفون عن طريق الإلهام و من خلال بصيرة خاصة على حقائق و امور لا يهتدى إليها حتى عن طريق الاستدلال و البرهنة!

و من هنا قديم العلماء ادراك البشر الى ثلاثة أنواع: «إدراك العامية» «إدراك المفكرين و أرباب الاستدلال» «إدراك العرفاء و اصحاب البصائر و النفوس الكبرى».

و كأن أصحاب الظاهر يستعينون على اكتشاف الحقيقة بالحس، و المفكرين يستعينون بالاستدلال و البرهنة، و أصحاب البصائر و المعرفة بالإلهام و الاشراف و بالفيض عليهم من العالم الأعلى.

(١) التكوير: ٢٠-٢٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٣٤

ان النوايغ فى مجال الأخلاق، و ان عقول العلماء الخلاقه، و أفكار الفلاسفة العظيمة كلها تؤيد و تشهد بأن ما يحصلون عليه، و ما يتلعون به على المجتمع البشرى ممّا لم يعرفوه من قبل ما هى إلا شرارات مضيئة و ملهمة تخطر لهم، ثم يعمدون إلى تنميتها و بلورتها بالتجربة، أو بالاستدلال و البرهنة و التأمل.

(١)

### قنوات المعرفة الثلاث:

من هذا الكلام نستنتج أن أمام بنى البشر ثلاث طرق للوصول الى مقاصده؛ فالطريق الأول يستفيد منه جماهير الناس غالبا، بينما يستفيد طائفة خاصة منهم من الطريق الثانى، و لا يستفيد من الطريق الثالث إلا أفراد معدودون قلة تكاملت عقولهم، و تسامت أرواحهم. و هى كالتالى:

(٢) ١- الطريق التجريبي و الحسى، و المقصود منه ذلك القسم من الإدراكات و المعلومات الواردة الى محيط الذهن البشرى عن طريق الحواس الظاهرية كالمريبات، و المشومات و المطعومات و غيرها ممّا يستقرّ فى محيط إدراكنا بواسطة الأجهزة المختصة بها. و قد استطاع البشر اليوم، و بفضل اختراع التلسكوبات و الميكروسكوبات و أجهزة التلفاز و الراديو ان يقدم خدمة كبرى للبشرية فى مجال الإدراكات الحسية و يمهد لمزيد من سيطرتها على البعيد و القريب.

(٣) ٢- الطريق التعقلى الاستدلالي: فان المفكرين يتوصّلون الى كشف طائفة من القوانين الكليّة الخارجة عن الحس عن طريق عملية التفكير و التأمل و تشغيل جهاز العقل، و إقامة سلسلة من المقدمات البديهية الواضحة، و بذلك يمكن الوصول إلى قمم المعرفة و الكمال العلمى.

إنّ انكشاف القوانين العلميّة الكليّة، و المسائل الفلسفية، و المعارف المرتبطة بصفات الله و أفعاله سبحانه و القضايا المطروحة فى علم العقيدة و الأديان ناشئ برمته من جهاز العقل، و حركته، و ناتج من عملية التفكير، و الاستدلال المذكورة.

(٤) ٣- طريق الإلهام: و هذا هو الطريق الثالث لمعرفة الحقائق، و هو فوق نطاق

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٣٥

الحس و التعقل.

إنه نوع جديد من المعرفة و نمط متميز من إدراك الحقائق، ليس محالا من وجهة نظر العلم و ان كان يصعب على أصحاب الاتجاه المادى القبول به لكونه طريقا غير حسى و لا تعقلى.

و أما من جهة الأصول العلمية فلا مجال لإنكاره، و لا مبرر لعدّه من المحالات.

(١) إن طريق التعرّف على حقائق الكون الخارج عن الذهن - في منهج المادّيين، و أصحاب النزعة المادية - ينحصر في قناتين لا أكثر، و هما اللذان سبق ذكرهما، في حين أنّ هناك - حسب نظرة الأديان و الشرائع الكبرى و حسب نظرة الفلاسفة و العرفاء الالهيّين - قناة ثالثة أيضا.

بل إنّ هذا الطريق الثالث - كما أسلفنا في مسألة الوحي - أكثر واقعية، و أقوى أسسا، و أوسع آفاقا عند من يدعون الرسالة، و النبوة من جانب الله سبحانه، و إن نفوس اولئك الأشخاص لتبدو أكثر صفاء و طراوة بفضل هذا الطريق، و في ضوء هذه القناة.

(٢) و كلّما حصل ارتباط بين الله، و بين فرد من أفراد النوع الإنساني على نحو خاص القيت الحقائق في وجوده من دون توسط الحواس الظاهرية، و أعمال الفكر، و استخدام جهاز العقل.

و هذا النوع من الإلقاء يسمى حيناً بالالهام، و بالاشراق حيناً آخر.

و لكن كلما نتج من ارتباط الإنسان بما وراء الطبيعة سلسلة من التعاليم العامّة و الأنظمة و البرامج الشاملة اطلق على هذا النوع من الإلقاء عنوان (الوحي)، و سمى الآتى بها (ملك الوحي) و الآخذ لها (نبيا).

هذا و قد يوجب الإلهام الثقة و الاطمئنان للملهم إليه، و لكنّه لا يمكن أن يكون مبعث الاطمئنان و الثقة عند الآخرين «١».

(١) و انما قلنا «قد» أى يمكن أن يوجب الاطمئنان و لم نقطع بذلك لأنّ مصدر هذه الالهامات.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٣٦

من هنا اعتبر العلماء «الوحي» الطريق المطمئنة الوحيدة الى المعرفة العامّة ... الوحي الذى ينزل على الأنبياء الذين ثبتت نبوتهم بالدلائل القاطعة، من المعجزة و غيرها.

(١)

## أنواع الوحي و اصنافه:

إن في مقدور الروح الانسانية بسبب ما تملك من كمالات أن تتصل بالعوالم الروحانية من الطرق المختلفة، و نحن هنا نشير الى هذه الطرق التي جاء ذكرها في أحاديث قادة الإسلام و ائمتّه، باختصار:

١- تارة يتلقى الحقائق السماوية العليا على نحو الالهام، فيتخذ ما يتم إقاؤه في النفس عبر هذا الطريق حكم (العلو البديهية) التي لا يتطرق إليها أى ريب و شك.

٢- و قد يسمع عبارات و كلمات من جسم معين (كالجبل و الشجرة) كسماع موسى عليه السلام كلام الله من الشجرة.

٣- و ربما تنكشف الحقائق له في عالم الرؤيا انكشاف النهار.

٤- و قد ينزل عليه ملك من جانب الله بكلام خاص.

و قد نزل القرآن الكريم على النبي الاكرم صلى الله عليه و آله من هذا الطريق، و قد صرح القرآن الكريم نفسه بهذا عند قوله تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» «١».

(٢)

## أساطير مختلفة:

## إشارة

لقد كتب المؤرخون و الكتاب عن حياة كثير من الشخصيات العالمية، و ضبطوا كل

- ليست معلومة و واضحة، و لا يمكن الاعتماد على مطلق الواردات القلبية و الفجائية التي لا تستند الى اصول معلومة. و بعبارة اخرى: يجب الفصل و التمييز بين الإلهامات الرحمانية و الإلقاءات الشيطانية بواسطة الموازين العقلية و الشرعية. (١) الشعراء: ١٩٣-١٩٥، و قد اشير في سورة الشورى الآية ٥١ الى هذه الطرق الأربع جميعها.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٣٧

ما جل أو دق في هذا المجال، و ربما تحمّلوا عناء الرحلات الطويلة و الأسفار الشاقة لتكميل دراساتهم، و كتاباتهم. غير أن التاريخ لا يعرف شخصية مثل رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ضبطت تفاصيل سيرته الدقيقة، و اهتم اتباعه و أصحابه و محبوه بكل شاردة و واردة في حياته الشريفة.

إنّ هذا الولوج الشديد بتسجيل كل شيء - مهما صغر - من حياة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله و سيرته العطرة كما ساعد على ضبط جميع الجزئيات و التفاصيل في هذا المجال، تسبب في بعض الموارد في إلصاق بعض الزوائد بحياة النبي الاكرم و شخصيته العظيمة، الطاهرة.

و مثل هذا لا يبعد عن المحيّن الجهلاء فكيف بالأعداء الألداء العارفين.

من هنا يتعيّن على كل مؤلف يكتب عن سيرة شخصية من الشخصيات أن لا يغافل عن مبدأ (الحذر و الاحتياط) في تحليله لحوادثها، و قضايها، فلا يغافل عن تقييم كل ما جاء حولها من روايات و قصص في ضوء الموازين التاريخية الدقيقة. و إليك بقية ما جرى في واقعة نزول (الوحي) في حراء: (١)

## بقية حادثة نزول الوحي:

استنارت نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، و روحه الكبرى بنور «الوحي» المبارك، و تعلّم كل ما ألقى عليه ملك الوحي في ذلك اللقاء العظيم، و انتقشت تلك الآيات الشريفة في صدره حرفا حرفا، و كلمة كلمة. و قد خاطبه نفس ذلك الملك بعد تلاوة تلك الآيات بقوله:

يا محمّد ... أنت رسول الله ... و أنا جبرئيل.

و قيل: انه صلى الله عليه وآله سمع هذا النداء عند نزوله من غار حراء و قد اضطرب رسول الله صلى الله عليه وآله، لهذين الحديثين، اضطرب لعظمة المسؤولية الكبرى التي القيت على كاهله.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٣٨

(١) و كان هذا الاضطراب طبيعيا بعض الشيء، و هو لا ينافي بالمرّة يقينه صلى الله عليه وآله، و إيمانه بصدق ما انزل عليه لأن الروح مهما بلغت من العظمة و السموّ و القوة و الصلابّة، و مهما كانت قوة ارتباطها بعالم الغيب، و بالعوالم الروحانية العليا فإنّها عند ما تواجه لأول مرّة ملكا لم تره من قبل، و ذلك في مثل المكان الذي التقى النبي (فوق الجبل) لا بدّ أن يحصل لها مثل هذا الاضطراب، و لهذا زال ذلك الاضطراب عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ما بعد.

ثم إن الاضطراب و التعب الشديد قد تسببا في أن يتوجه النبي صلى الله عليه وآله إلى بيت «خديجة» عليها السلام، و عند ما دخل بيتها و وجدت على ملامحه آثار الاضطراب و التفكير سألته عن ما جرى له، فحدّثها بكل ما سمع و رأى و قصّ عليها ما كان من أمر جبرئيل معها، فعظمت «خديجة» سلام الله عليها، أمره، و دعت له، و قالت: أبشر فو الله لا يخزيك الله أبدا. ثم إن النبي صلى الله عليه وآله الذي كان يشعر بالجهد و التعب قال لزوجه الوفية «خديجة»: دثّرني ... دثّرني. فدثّرتة، فنام بعض الشيء.

(٢)

### خديجة تذهب إلى ورقة بن نوفل:

لقد تحدثنا في الصفحات الماضية عن «ورقة» و قلنا أنه كان ممن تنصير و قرأ الكتب و سمع من أهل التوراة و الانجيل و كان ابن عم خديجة.

فعند ما سمعت «خديجة» زوجة النبي صلى الله عليه وآله ما سمعته منه انطلقت إلى «ورقة» لتخبره بما سمعته من زوجها الكريم، و شرحت له كل شيء من ما جرى له مع جبرئيل.

فقال «ورقة» في جواب ابنة عمه: إن ابن عمك لصادق ... و إن هذا لبدء النبوة، و إنه ليأتيه الناموس الاكبر (أى الرسالة و النبوة) «١».

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١٩٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٣٩

(١) إن ما ذكرناه الى هنا هو في الحقيقة ملخص الروايات التاريخية المتواترة التي وصلت إلينا، و التي دؤنت في جميع الكتب. بيداننا نلاحظ بين ثنايا هذه الحادثة امورا لا تتفق مع ما نعرفه من أنبياء الله و رسله العظام، كما أنها لا تتفق مع ما قرأناه إلى الآن عن حياة هذا النبي العظيم صلى الله عليه وآله.

و ما سنذكره الآن من هذه الزوائد إما يجب اعتباره من قبيل الاساطير التاريخية، أو أنّ علينا تأويله بنوع من التأويل.

(٢) و إنا لنعجب قبل كل شيء من المفكر المصري الدكتور «هيكل» كيف سمح لنفسه و هو الذي تحدث في مقدمته كتابه عن مشكلة تسرب الاساطير الى التاريخ النبوي، و قال: بأنّ هناك من دسّ في السيرة النبوية، عن عداوة أو جهل، بعض الاكاذيب. و لكنه مع ذلك ينقل هنا امورا لا أساس لها من الصحة أبدا، في حين اعطى فريق من علماء الشيعة - كالمرحوم الطبرسي - ملاحظات مفيدة في هذا الصعيد.

(٣) و إليك في ما يلي بعض هذه الاساطير و القضايا المختلفة (على أنها لم تكن جديرة بالاشارة أبدا لو لا- أن بعض المحبين الجهلاء، و الأعداء الأذكياء ذكروها في كتبهم، و كرروها في دراساتهم.

(٤) ١- قالوا: إنّ النبي صلى الله عليه وآله عند ما دخل منزل خديجة، كان يفكر في نفسه: لعلّ بصره خدعته، أو انه كاهن، او فيه جنون!!

و لكن لما قالت له خديجة: «إنّ الله لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد الله، إنك تصدق الحديث، و تؤدّي الأمانة، و تصل الرحم» اطمأن، و زال عنه الشك و التردد، و ألقى على «خديجة» نظر شكر و مودة، ثم طلب أن يزمل، فرمل فنام!! «١».

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١٩٥، حياة محمد: ص ١٣٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٤٠

(١) ٢- يقول الطبري وغيره من مؤرخي السيرة: ان النبي صلى الله عليه وآله لما سمع نداء يقول: «يا محمد أنت رسول الله» أصابه خوف شديد حتى أنه هم بأن يطرح نفسه من أعلى الجبل، فتبدى له (ملك الوحي) ومنعه عن ذلك!!!

(٢) ٣- ثم إن النبي صلى الله عليه وآله ذهب ليطوف بالكعبة بعد ذلك اليوم، فرأى «ورقة بن نوفل» و شرح لورقة ما جرى له مع جبرئيل، فقال له ورقة:

«و الذي نفسى بيده، إنك لنبى هذه الامة، و قد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى و لتكذبه، و لتؤذنه و لتخرجنه و لتقاتلنه» فأحس «محمد» بأن ورقة يصدقه، فاطمأن «١».

(٣)

### بطلان هذه المزاعم:

إن الذي نتصوره هو أن جميع هذه القصص مختلقة من الاساس، و قد دسّت في التاريخ و التفسير عن قصد و هدف، أو دخلت فيهما عن غير ذلك.

و ذلك:

(٤) أولاً: لأننا لتقييم هذه المزاعم يجب ان نلقى نظرة فاحصة إلى تاريخ الأنبياء الماضين و سيرهم.

إن القرآن الكريم قصّ علينا قضاياهم، و سيرهم، و قد وردت في هذا المجال روايات و أخبار كثيرة.

و إننا لا نجد أى أثر لمثل هذه القصص المشينة في حياة أى واحد منهم.

إن القرآن الكريم يقص علينا قصة بدء نزول (الوحي) على «موسى» بشكل كامل و يبين جميع التفاصيل في قصته عليه السلام و لا يذكر أى شىء من الخوف، و الارتعاش، و الوحشة و الفزع، بحيث يحدث نفسه بالانتحار على أثر سماع الوحي!! مع أن أرضية الخوف و الفزع في مجال «موسى» كانت متوفرة

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٣٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٤١

أكثر، لأنه سمع في ليلة ظلماء و هو في صحراء خالية نداء من الشجرة يخبره بأنه نبي مرسل.

و لكن موسى- كما يصرح القرآن الكريم، بهذه الحقيقة- حافظ على هدوئه، و سكونه، و عند ما خاطبه الله تعالى بقوله: «أن ألق عصاك» القاها من فوره، و كان خوفه من ناحية العصي التي تبدلت إلى ثعبان مخيف، لا من جهة الايحاء إليه.

فهل يمكن، أو يجوز لنا أن نقول: كان «موسى» لحظة الوحي إليه مطمئناً هادئاً ساكناً، و لكن أفضل الأنبياء و المرسلين اضطرب عند سماع كلام الملك، و فزع الى درجة فكر في طرح نفسه من أعلى الجبل؟! هل هذا كلام معقول؟!

لا ريب أن روح محمد صلى الله عليه وآله ما لم تكن مهتأة من جميع الجهات و بصورة كاملة لتلقى السرّ الالهيّ (النبوة) لا يمكن أن يمن عليه الرب الحكيم بمنصب النبوة، و يختاره لمقام الرسالة، لأن الهدف الجوهرى من ابتعاث الرسل، و ارسال الأنبياء هو هداية الناس و ارشادهم.

و من كان كذلك من حيث ضعف الروح و وهن النفس بهذه المرتبة بحيث يحدث نفسه بالانتحار خوفاً «١» و فزعا كيف يمكن ان ينفذ الى نفوس الناس و يؤثر فيهم؟!

(١) ثانياً: كيف يمكن أن يطمئن موسى بمجرد سماعه للنداء الإلهي إلى أنه صادر من جانب الله، فطلب من ربه من فوره أن يجعل أخاه هارون وزيراً له لأنه أفصح منه قولاً «٢» بينما لا يطمئن سيد المرسلين وخاتمهم؟!  
 (٢) ثالثاً: لقد كان «ورقه» مسيحياً حتماً، ولكنه عند ما أراد أن يزيل عن «محمد» الشك والاضطراب ذكر نبوة «موسى» عليه السلام و قال: قد جاءك الناموس الذي جاء موسى «٣».

(١) كما نقل هيكل في كتابه: «حياة محمد».

(٢) طه: ٢٩.

(٣) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٣٨ وقد نقل المرحوم المجلسي هذه العبارة عن المنتقى. ولكنه بلفظة-

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٤٢

ألا يدل هذا على أنّ ثمة يداً إسرائيليتين وراء هذه الحكمة هي التي صاغت هذه القصة و اختلقتها في غفلة عما كان يدين به «ورقه» بطل القصة؟!!

(١) كل هذا بغض النظر عن أن مثل هذه الأمور تتنافى والعظمة التي نعهد لها من النبي صلى الله عليه وآله، ولا تنسجم معها أبداً، و يبدو أن كاتب «حياة محمد» أدرك إلى درجة ما خرافية هذه القصة و لذلك نجده ينقل بعض مواضعها بعد جملة: «كما يقولون». و قد حارب أئمة الشيعة هذه الاساطير بكل قوة، و أبطلوها برمتها.

فعند ما يسأل زرارَةُ الإمام الصادق عليه السلام مثلاً: كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما يأتيه من قبل الله ان يكون ممّا ينزغ به الشيطان:

قال الإمام عليه السلام: «إنَّ الله إذا اتخذ عبداً و رسولا، أنزل عليه السكينة و الوقار فكان يأتيه من قبل الله عزّ و جلّ مثل الذي يراه بعينه» «١».

و يقول العلامة الشيعي الكبير المرحوم الطبرسي في تفسيره، في هذا الصدد:

«إنَّ الله لا يوحى إلى رسوله إلّا بالبراهين الثيرة و الآيات البيئة الدالة على أن ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى، فلا يحتاج إلى شيء سواها و لا يفزع، و لا يفرك» «٢».

- «عيسى» أيضاً و لكن لا وجود لذلك في صحيح البخارى و سيرة ابن هشام اللذين هما الأساس لهذه الامور.

(١) بحار الأنوار: ح ١٨ ص ٢٤٢ و في الكافي: ج ١ ص ٢٧١ نظيره.

(٢) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٨٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٤٣

(١)

## ١٢ متى نزل الوحي أولاً؟

### إشارة

لقد تعرّض يوم مبعث رسول الإسلام صلى الله عليه وآله للاختلاف من حيث التعيين و التحديد فهو مثل يوم ولادته و يوم وفاته صلى الله عليه وآله غير مقطوع به، من وجهة نظر المؤرخين و كتاب السيرة النبوية.

فلقد اتفق علماء الشيعة على القول بان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث بالرسالة في السابع والعشرين من شهر رجب، و أن نزول الوحي عليه قد بدأ من ذلك اليوم نفسه.

### [الرأى المشهور بين علماء السنة و استدلالهم]

بينما اشتهر عند علماء السنة أن رسول الإسلام قد اوتى هذا المقام العظيم فى شهر رمضان المبارك. ففى ذلك الشهر الفضيل كلف «محمد» صلى الله عليه وآله من جانب الله تعالى بهداية الناس، و بعث بالرسالة. (٢) و لما كانت الشيعة تشايح عتره النبى صلى الله عليه وآله و أهل بيته الصادقين، و تعتقد بصحة ما يرونه و يقولون به اتباعا لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فى حديث الثقلين: «إنهما لن يفترقا» فانهم اتبعوا- فى تحديد يوم المبعث النبوى الشريف- القول المأثور- بنقل صحيح- عن عتره النبى المطهرين فى سيد المرسلين، ج١، ص: ٣٤٤ هذا المجال.

فقد روى عن أبناء الرسول و عترته الطاهرة أن عظيم هذا البيت و سيده (أى النبى) قد بعث فى السابع والعشرين من شهر رجب، و هم فى ذلك حجة.

و لهذا لا يمكن الشك و التردد فى صحة هذا القول و ثبوته «١».

(١) نعم غاية ما يمكن الاستدلال به على القول الآخر هو تصريح القرآن الكريم نفسه بأن آيات القرآن نزلت فى شهر رمضان، و حيث أن يوم بعثه النبى صلى الله عليه وآله كان هو بنفسه يوم بدء نزول الوحي، و القرآن عليه، لهذا يجب القول بان يوم البعثة الشريفة انما كان فى نفس الشهر الذى نزل فيه القرآن الكريم: اى شهر رمضان المبارك.

و إليك فيما يأتى الآيات التى تدل على أن القرآن الكريم نزل فى شهر رمضان:

١- «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ» «٢».

٢- «حَم. وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ» «٣» و تلك الليلة هى ليلة القدر التى قال عنها سبحانه: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» «٤».

(٢)

### ما أجاب به علماء الشيعة:

#### إشارة

و لقد أجاب محدثو الشيعة و مفسروهم عن هذا الاستدلال بطرق مختلفة نذكر طائفة منها هنا:

(٣)

### الجواب الأول:

إن الآيات المذكورة إنما تدل على أن القرآن نزل فى شهر رمضان و بالذات فى ليلة مباركة منه هى «ليلة القدر»، و لكنها لا تتعرض



لذكر محلّ نزول هذه

(١) راجع بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٨٩.

(٢) البقرة: ١٨٥.

(٣) الدخان: ١-٣.

(٤) القدر: ١ و ٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٤٥

الآيات، و أنها أين نزلت؟ و هى بالتالى لا تدل أبدا و مطلقا على أنها نزلت فى تلك الليلة على قلب رسول الله؟ فيحتمل أن يكون للقرآن نزولات متعددة إحداها نزول القرآن على رسول الله تدريجا. و الآخر نزوله الدفعى من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور «١».

و على هذا فما المانع من ان تكون بعض آيات القرآن (من سورة العلق) قد نزلت على النبى صلى الله عليه و آله فى السابع و العشرين من شهر رجب. ثم نزل القرآن بصورته الجمعية الكاملة فى شهر رمضان من مكان معين أسماه القرآن باللوحة المحفوظ، إلى موضع آخر عبر عنه فى بعض الروايات بالبيت المعمور.

(١) و يؤيد هذا الرأى قول الله تعالى فى سورة الدخان: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ» فأن هذه الآية- بحكم رجوع الضمير فيها الى الكتاب- تصرح بأن الكتاب العزيز بأجمعه نزل فى ليلة مباركة (فى شهر رمضان)، و لا بد ان يكون هذا النزول غير ذلك النزول الذى تحقق فى يوم المبعث الشريف، لأن فى يوم المبعث لم تنزل سوى آيات معدودة لا اكثر.

و خلاصة الكلام هى ان الآيات التى تصرح بنزول القرآن فى شهر رمضان فى ليلة مباركة (ليلة القدر) لا يمكن أن تدل على أن يوم المبعث الذى نزلت فيه بضع آيات أيضا كان فى ذلك الشهر نفسه، لأن الآيات المذكورة تدل على أن مجموع القرآن لا بعضه قد نزل فى ذلك الشهر، فى حين لم تنزل فى يوم المبعث سوى آيات معدودة كما نعلم.

و فى هذه الصورة يحتمل أن يكون المراد من النزول الجمعى للقرآن هو نزول مجموع الكتاب العزيز فى ذلك الشهر من «اللوحة المحفوظ» إلى «البيت المعمور».

و قد روى علماء الشيعة و السنة روايات و أخبارا بهذا المضمون، و بخاصة

(١) للتعرف على معنى اللوح المحفوظ راجع كتب التفسير.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٤٦

الاستاذ الأزهرى محمّد عبد العظيم الزرقانى الذى أورد روايات عديدة فى هذا الصدد فى كتابه «١».

(١)

## الجواب الثانى:

و هو أمتن الاجوبة و الردود على هذا القول.

فقد بذل الاستاذ الطباطبائى جهدا كبيرا لتوضيحه و بيانه فى كتابه القيم؛ و إليك خلاصته:

يقول العلامة الطباطبائى: إن قول الله تعالى إنا أنزلناه فى شهر رمضان، المقصود منه هو نزول حقيقة القرآن على قلب النبى صلى الله

عليه وآله، لأن القرآن مضافا الى وجوده التدريجي، واقعيه اطلع الله تعالى نبيه العظيم عليها في ليلة معينة من ليالي شهر رمضان المبارك «٢».

وحيث أن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله كان قد عرف من قبل بجميع القرآن الكريم لذلك نزلت الآية تأمره بان لا يعجل بقراءته حتى يصدر الأمر بنزول القرآن تدريجا اذ يقول تعالى: «وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ» «٣».

و خلاصة هذا الجواب هي: أن للقرآن الكريم وجودا جميعا علميا واقعيا وهو الذي نزل على الرسول الكريم صلى الله عليه وآله مرة واحدة في شهر رمضان، و آخر وجودا تدريجيا كان بدء نزوله على النبي صلى الله عليه وآله في يوم المبعث، واستمر تنزله الى آخر حياته الشريفة على نحو التدريج.

(٢)

### الجواب الثالث: التفكيك بين نزول القرآن و البعثة

إن للوحي - كما أوضحنا ذلك في مبحث أنواع الوحي اجمالا - مراتب

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن: ج ١ ص ٣٧.

(٢) الميزان: ج ٢ ص ١٤-١٦.

(٣) طه: ١١٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٤٧

و مراحل، يتمثل أول مراتبه في الرؤيا الصادقة التي رآها رسول الله صلى الله عليه وآله. و المرتبة الاخرى تمثلت في سماعه للنداء الغيبي الالهي من دون وساطة ملك.

و آخر تلك المراتب هو أن يسمع النبي كلام الله من ملك يبصره و يراه، و يتعرف عن طريقه على حقائق العوالم الاخرى.

و حيث أن النفس الانسانية لا تستطيع في الوهلة الاولى تحمّل مراتب (الوحي) جميعها دفعة واحدة بل لا بد أن يتحملها تدريجا، لهذا يجب القول بأن النبي صلى الله عليه وآله و سلم قد سمع يوم المبعث (اليوم السابع و العشرون من شهر رجب) النداء السماوي الذي يخبره بأنه رسول الله، فقط و لم تنزل في مثل هذا اليوم أية آية قط، و قد استمر الأمر على هذا المنوال مدة من الزمان. ثم بعد مدة بدأ نزول القرآن الكريم على نحو التدريج ابتداء من شهر رمضان.

(١) و خلاصة هذا الجواب هي أن ابتعاث الرسول صلى الله عليه وآله بالرسالة في شهر رجب لا يلازم نزول القرآن في ذلك الشهر حتما.

و على هذا الاساس ما المانع من ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله في شهر رجب، و ينزل القرآن الكريم في شهر رمضان من نفس ذلك العام؟

ان هذه الاجابة و إن كانت لا توافق كثيرا من النصوص التاريخية (لأن كثيرا من المؤرخين صرحوا بأن الآيات الخمس من سورة العلق نزلت في يوم المبعث نفسه) إلما أن هناك - مع ذلك - روايات ذكرت قصة البعثة بسماع النبي صلى الله عليه وآله و سلم للنداء الغيبي، و لم تذكر شيئا عن نزول قرآن أو آيات، بل هي تشرح الواقعة على النحو التالي إذ تقول:

في ذلك اليوم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله ملكا يقول له: يا محمّد إنك لرسول الله، و جاء في بعض الأخبار أنه سمع هذا النداء، فقط، و لم تذكر شيئا عن مشاهدة الملك.

و للمزيد من التوضيح، و التوسع يراجع «البحار» في هذا المجال «١».

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٨٤ و ١٩٠ و ١٩٣ و ٢٥٣، الكافي: ج ٢ ص ٤٦٠، تفسير العياشي: ج ١، -  
سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٤٨

على أن هذه الاجابة تختلف عن الإجابة الرابعة التي تقول بأن مبعث النبي صلى الله عليه وآله كان في شهر رجب، و كان نزول القرآن الكريم بعد انقضاء الدعوة السرية التي استغرقت ثلاثة أعوام.

### الأنبياء و البشارة برسول الله:

و ينبغي - استكمالاً لهذا الفصل من التاريخ النبوي - ان نلفت نظر القارئ الكريم الى ان الرسالة المحمدية المباركة، مما بشر به جميع الأنبياء المتقدمين زمنياً على خاتم الأنبياء و المرسلين محمد صلى الله عليه وآله.

و لقد اشار القرآن الكريم إلى ذلك اذ قال الله تعالى:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَضْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ» «١».

و هذه الآية و إن كانت تكشف عن أصل عام و كلي و هو: وجوب تصديق إتيان النبي السابق للنبي اللاحق، إلا أن المصداق الأتم لها هو رسول الإسلام الكريم.

فيظهر من هذه الآية أن الله تعالى أخذ الميثاق المؤكد من جميع الأنبياء أو من أصحاب الشرائع منهم أن يؤمنوا برسالة محمد صلى الله عليه وآله، و يدعو أتباعهم إلى تصديقه و اتباعه و نصرته.

روى الفخر الرازي عن امير المؤمنين على عليه السلام:

«إن الله تعالى ما بعث آدم عليه السلام و من بعده من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام إلا أخذ عليهم العهد لئن بعث محمد و هو حي ليؤمنن به و لينصرنه» «٢».

و مما يؤيد هذا ان القرآن دعا اهل الكتاب إلى بيان ما قرءوه و وجدوه في

- ص ٨٠، و هذا الجواب لا ينسجم فقط مع ما رواه البخاري من أن بعثه النبي رافقت نزول آيات من سورة العلق عليه.

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) مفاتيح الغيب: ج ٢ ص ٥٠٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٤٩

كتبهم حول رسول الإسلام للناس من دون كتمان و إليك فيما يأتي طائفة من الآيات المصرحة بهذا الأمر:

١- قال الله تعالى:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ» «١».

٢- قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ، وَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» «٢».

٣- و قال تعالى:

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (٣).

٤- وقال سبحانه:

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (٤).

ان القرآن الكريم يصرح بجلاء ان السيد المسيح (عليه السلام) اخبر عن رسول الإسلام و رسالته اذ يقول تعالى:

«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) البقرة: ١٧٤.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) الاعراف: ١٥٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٥٠

بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» (١).

كما يتحدث القرآن الكريم عن أهل الكتاب الذين تنكروا لرسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله عند ما بعث و قد كانوا من قبل يخبرون عنه و يطلبون النصر به على اعدائهم اذ قال سبحانه:

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» (٢).

بل و يخبرنا القرآن الكريم بأن إبراهيم عليه السلام يوم أحلّ زوجته و ولده اسماعيل بارض مكة دعا قائلاً:

«رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يَزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (٣).

و قد انطبقت هذه الأوصاف على رسول الله صلى الله عليه وآله اذ يصفه القرآن الكريم بقوله:

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يَزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (٤).

### محمد خاتم الأنبياء:

و استكمالاً لهذا البحث ينبغي أيضاً أن نشير إلى أبرز ناحية في رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله و نبوته و هي مسألة الخاتمية. فان القرآن الكريم صرح في آيات عديدة بكون رسول الله محمد صلى الله عليه وآله خاتم النبيين، و شريعته خاتمة الشرائع، فلا نبي بعده، و لا رسالة بعد رسالته.

(١) الصف: ٦.

(٢) البقرة: ٨٩.

(٣) البقرة: ١٢٩.

(٤) آل عمران: ١٦٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٥١

و ها نحن ندرج ابرز الآيات الواردة في هذا المجال:

١- قال تعالى:

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (١).

٢- قال سبحانه:

«تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا» (٢).

٣- وقال سبحانه:

«وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» (٣).

٤- وقال تعالى:

«وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (٤).

والآيات الثلاث الأخيرة تفيد بأن رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله عامه و عالميه و أبدية لأنه في غير هذه الحالة و في غير هذه

الصورة لن يكون نبيا للناس كافة، و للعالمين جميعا. و لن يكون نذيرا لقومه و لمن بلغه نداؤه.

هذا و قد صرح النبي صلى الله عليه وآله نفسه في أحاديث كثيرة بهذا الموضوع و هو الصادق المصدق.

فعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ارسلت إلى الناس كافة و بي ختم النبيون» (٥).

(١) الأحزاب: ٤٠.

(٢) الفرقان: ١.

(٣) الانعام: ١٩.

(٤) سبأ: ٢٨.

(٥) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١٢٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٥٣

(١)

١٣ ما سبقني أحد

أول من آمن بالنبي من الرجال والنساء:

إشارة

لقد انتشر الإسلام في العالم بصورة تدريجية، و يوصف الذين بادروا الى الإيمان بالرسالة الإسلامية و المساعدة على نشرها قبل غيرهم ب «السابقين».

و قد كان السبق الى الإيمان برسول الله صلى الله عليه وآله في صدر الإسلام معيارا للفضل و لهذا يجب أن ندرس هذا الموضوع في

ضوء المصادر الصحيحة، و نعرف على من سبق إلى الإيمان بالرسالة الإسلامية من الرجال، و من النساء.

(٢)

### من النساء: «خديجة»

إن من المسلم به تاريخياً أن «خديجة» كانت أول امرأة آمنت برسول الله صلى الله عليه وآله، و لم يخالف في هذا احد «١»، و نحن هنا ننقل مستندا تاريخياً مهما واحدا ذكره المؤرخون نقلا عن إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله، مكتفين به رعاية للاختصار. تقول عائشة: ما غرت على نساء النبي صلى الله عليه وآله إلا على «خديجة» و إنى لم ادركها، و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يكاد يخرج

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٤٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٥٤

من البيت حتى يذكر «خديجة» فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوما من الايام فأدركتني الغيرة، فقلت: هل كانت إلّا عجوزا فقد أبدلك الله خيرا منها، فغضب حتى اهتر مقدم شعره من الغضب ثم قال: «لا و الله ما أبدلني الله خيرا منها، آمنت بي إذ كفر الناس، و صدقتني إذ كذبني الناس، و واستنى في مالها إذ حرمني الناس و رزقني الله منا اولادا إذ حرمني اولاد الناس» «١».

(١) و مما يدل أيضا على سبق خديجة في الإيمان برسول الله كل نساء العالم جمعاء ما جرى في قضية بدء الوحي، و نزول القرآن، لأن النبي صلى الله عليه وآله عند ما انحدر من غار «حراء» و اخبر زوجته «خديجة» بما جرى له واجه - رأسا - إيمان زوجته به و قبولها لكلامه، و تصديقها برسالته، تصریحا و تلويا.

هذا مضافا الى أنها كانت قد سمعت من قبل أخبارا تتعلق بنبوته و مستقبل رسالته من كهنة العرب و أهل الكتاب، و هذه الأخبار و امانة فتى قريش و صدقه الذي اشتهر به هي التي دفعت بها إلى أن تتزوج بالفتى الهاشمي (محمد).

(٢)

### أقدم الرجال اسلاما: «علي»

#### إشارة

إن المشهور المقارب للمتفق عليه بين المؤرخين، سنة و شيعه، هو أن «عليا» كان اول من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله من الرجال.

و نرى في مقابل هذا القول المشهور أقوالا آخر نادرة قد نقلناؤها ما يخالفها أيضا. فمثلا يقال: إن زيد بن حارثة ربيب رسول الله و ابنه بالتبني، أو أبو بكر كان أول من أسلم،

[الدلائل التاريخية و النصوص الدالة على أسبقية الإمام علي]

#### إشارة

و لكن دلائل عديده (نذكر بعضها هنا على سبيل الاختصار) تشهد على خلاف هذين القولين.

- (١) صحيح مسلم، ج ٧ ص ١٣٤، صحيح البخارى: ج ٥ ص ٣٩، اسد الغابه لابن الاثير الجزرى:  
ج ٥ ص ٤٢٨، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ٨.  
سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٥٥  
و إليك بعض هذه الدلائل:  
(١)

### ١- على تربي في حجر النبى

لقد تلقى على عليه السلام تربيته في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و نشأ و ترعرع في بيته منذ طفولته، و كان النبى صلى الله عليه وآله يجتهد في تربيته و العناية به كالوالد الرحيم.

قال عامية المؤرخين و كتاب السيرة بالاتفاق: إن قريشا أصابتهم أزمة شديدة (قبل بعثة النبى) و كان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله للعباس عمه، و كان من أيسر بنى هاشم: يا عباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال، و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله، آخذ من بنيه رجلا و تأخذ أنت رجلا فنكفهما عنه، فقال العباس: نعم، فانطلقا حتى اتيا أبا طالب فقالا: له: إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه (إلى ان قال): فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عليا فضمه إليه، و أخذ العباس جعفرًا فضمه إليه فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بعته الله تبارك و تعالى نبيا فاتبعه على رضى الله عنه و آمن به و صدقه «١».

(٢) فى هذه الصورة يجب أن نقول بأن عليا عليه السلام انتقل إلى بيت النبى و هو دون الثامنة، لأن الغرض من أخذ النبى إياه من أبيه «أبى طالب» هو التخفيف عن كاهل زعيم مكة (أبى طالب)، و من الواضح أن صبيًا فى مثل هذا السن (دون الثامنة) مضافا إلى أن فصله عن والديه أمر فى غاية الصعوبة، لن يكون لأخذه و تكفله أى أثر هام فى وضع أبيه «أبى طالب» المعيشى. و على هذا يجب أن نفترض له عليه السلام عمرا يكون لأخذه فيه من قبل النبى تأثيرا معتدا به فى وضع أبيه الاقتصادى و المعيشى.

- (١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٤٦، البدايه و النهايه: ج ٢ ص ٢٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٥٦

فكيف يمكن القول- و الحال هذه- أن أباعد عن البيت النبوى مثل «زيد بن حارثة» و غيره اطلعوا على أسرار الوحى، بينما جهل ابن عم النبى صلى الله عليه وآله و اقرب الناس إليه، و الذى كان معه فى اكثر الأوقات بما أتى به صلى الله عليه وآله و ما نزل عليه.

(١) إن غرض النبى صلى الله عليه وآله من تربيته الإمام على و تكفله إياه كان الى حد كبير هو أداء ما أسدى إليه أبو طالب من خدمات، و لم يكن ثمه شىء أحب الى رسول الله من أن يهدى أحدا إلى الصراط المستقيم، فكيف يمكن أن يقال- و الحال هذه- أن رسول الله صلى الله عليه وآله حرم ابن عمه الذى كان يتمتع بذكاء باهر و ضمير يقظ، من هذه النعمة الكبرى.

إن من الأفضل أن نسمع هذا الأمر من لسان «على» نفسه، فقد بين عليه السلام فى الخطبة القاصعة منزلته من رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و قربه إليه هكذا:

«و لقد علمتم موضعى من رسول الله بالقرابة القريبة، و المنزلته الخصبه، و وضعنى فى حجره و أنا وليد، يضمّننى إلى صدره، و يكنفنى فى فراشه، و يمسنى جسده، و يشمّننى عرفه (عرقه) ... و لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه، يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما و

يأمرني بالاعتداء به، ولقد كان يجاورني في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله، وخديجة وأنا ثالثهما أرى نور الوحي والرّسالة وأشمّ ريح النبوة» (١).

(٢) وجاء في تاريخ الطبري عن ابن اسحاق قال: كان اول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وصلى معه وصدق بما جاءه من عند الله «علي بن ابي طالب» عليه السلام وهو يومئذ ابن عشر سنين، وكان ممّا انعم الله به على علي بن ابي طالب عليه السلام انه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) نهج البلاغة: ج ٢ ص ١٨٢، وفي هذه الخطبة نفسها يقول: اللهم إني أول من أناب وسمع و اجاب لم يسبقني إلّا رسول الله بالصلاة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٥٧

قبل الإسلام «١».

(١)

## ٢- عليّ و خديجة يقيمان الصلاة مع النبي:

ينقل ابن الاثير في «اسد الغابة»، و ابن حجر في «الإصابة» عند ترجمة «عفيف الكندي» و كثير من علماء التاريخ القصة التالية عنه، بأنه قال:

كنت امرأ تاجرا فقدمت «منى» أيام الحج، و كان العباس بن عبد المطلب امرأ تاجرا فأتيته أبتاع منه و أبيعته، قال: فبينما نحن إذ خرج رجل من خباء يصلى فقام تجاه الكعبة ثم خرجت امرأة فقامت تصلى، و خرج غلام يصلى معه، فقلت: يا عباس ما هذا الدين، إن هذا الدين ما ندرى به؟ فقال: هذا محمّد بن عبد الله يزعم أنّ الله أرسله و أن كنوز كسرى و قيصر ستفتح عليه، و هذه امرأته «خديجة بنت خويلد» آمنت به و هذا الغلام ابن عمه «علي بن أبي طالب» آمن به قال عفيف: فليتني كنت رابعهم «٢».

و هذه الواقعة ينقلها و يرويها حتى الذين يقصرون في رواية فضائل الإمام عليّ و كتابتها، و في امكان القارئ الكريم ان يقف على هذه القصة في المصادر التالية على وجه التفصيل.

(٢)

## ٣- أنا الصديق الأكبر:

تلاحظ هذه العبارة و نظائرها كثيرا، في خطب الإمام عليّ عليه السلام و كلماته فهو يكرّر العبارات التالية بكثرة: «أنا عبد الله، و أخو رسول الله، و أنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدى إلا كاذب مفتر، و لقد صلّيت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين، و أنا أول من

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٥٧.

(٢) الإصابة: ج ٢ ص ٤٨٠، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٥٧. الكامل: ج ٢ ص ٣٧ و ٣٨، اعلام الورى:

ص ٢٥، اسد الغابة: ج ٣ ص ٤١٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٥٨

صلى معه «١».



(١)

**٤- أولكم إسلاما: على**

و لقد وردت أحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله و بتعابير متنوعة قال فيها:  
«أولكم واردا على الحوض، أولكم إسلاما على بن أبي طالب» (٢).

و عند ما يدرس المنصف المحاييد هذه الأحاديث، يقطع بأسبقية الإمام على إلى الإسلام، و تقدّمه على غيره في الإيمان بالدعوة المحمّدية، و لا يختار القولين الآخرين اللذين لا يذهب إليهما إلّا الأقلية.

فإنّ ما يناهز الستين شخصا من الصحابة و التابعين يؤيدون القول الأول (أى أن عليا أول القوم إسلاما و أقدمهم أيمانا) و حتى الطبري نفسه الذى شكك في هذا القول، و اكتفى بنقله دون اختياره و تأكيده، روى في ج ٢ ص ٦٠ بأن «ابن سعد» سأل اباه قائلا: أ كان أبو بكر أولكم إسلاما، فقال: لا و لقد أسلم قبله أكثر من خمسين.

و من غريب الأمر ان مؤرخا كبيرا كابن كثير يتنكر لهذه الحقيقة الساطعة فقد ذكر في ج ٧ ص ٣٣٤ من كتابه «البداية و النهاية» حديثا صحيحا بإسناد الإمام أحمد الترمذى فى إسلام أمير المؤمنين و أنّه أول من اسلم و صلى ثم أردفه بقوله: و هذا لا يصح: من أى وجه كان روى عنه، و قد ورد فى أنّه أول من أسلم من هذه الأئمة أحاديث كثيرة لا يصح منها شيء ... إلخ.

و قد تصدى العلامة المحقق الامينى رحمه الله للردّ على هذا المقال بالتفصيل و نظرا لأهميّة ما كتبه العلامة الامينى و ما احتوى عليه من نصوص تاريخية نسرده هنا مع ما فيه من تكرار بسيط لبعض ما ذكرناه.

(١) خصائص النسائي: ص ٣ و سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٥٧، مستدرک الحاكم: ج ١ ص ١١٢، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٥٦ و غيرها.

سيد المرسلين ج ١ ٣٥٨ - أولكم إسلاما: على ..... ص : ٣٥٨

(٢) يراجع مصادر هذا الحديث فى الغدير: ج ٣ ص ٢٢٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٥٩

يقول العلامة الامينى:

نسائل هذا الرجل لم لا يصح شيء منها من أى وجه كان؟! و الطرق صحيحة، و الرجال نقات، و الحفاظ حكموا بصحة، و أرباب السير أطبقوا عليه، و كان من المتسالم عليه بين الصحابة الأولين و التابعين لهم بإحسان.

و نحن لو نقتصر على كلمتنا هذه يحسبها القارئ دعوى مجرّدة لدعوى ابن كثير (أعاذنا الله عن مثلها) و تخفى عليه جليّة الحال فيهما ذكر نزر ممّا يدلّ على المدعى و إن لم يسعنا إيراد كثير منه روما للاختصار.

**النصوص النبوية:**

١- قال صلى الله عليه وآله: أولكم واردا- ووردا- على الحوض أولكم إسلاما على بن أبي طالب.

أخرجه الحاكم فى المستدرک ٣ ص ١٣٦ و صححه م- و الخطيب البغدادي فى تاريخه ج ٢ ص ٨١ و يوجد فى الاستيعاب ٢ ص ٤٥٧. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٨.

و فى لفظ: أول هذه الأئمة ووردا على الحوض أولها إسلاما على بن أبي طالب، رضى الله عنه. السيرة الحليّة ١ ص ٢٨٥. سيرة زيني دحلان ١ ص ١٨٨ هامش الحليّة.

و فى لفظ: أول الناس ووردا على الحوض أولهم إسلاما على بن أبي طالب مناقب الفقيه ابن المغازلى. مناقب الخوارزمي.

- ٢- قال صلى الله عليه وآله لفاطمة: زوجتك خير أمتي أعلمهم علما، و أفضلهم حلما و أولهم سلما. راجع ما مرّ ص ٩٥.
- ٣- قال صلى الله عليه وآله لفاطمة: إنه لأول أصحابي إسلاما. أو: أقدم أمتي سلما. حديث صحيح راجع ص ٩٥
- ٤- أخذ صلى الله عليه وآله بيد عليّ، فقال: إن هذا أول من آمن بي، و هذا أول من يصفحنى يوم القيامة، و هذا الصديق الأكبر.
- راجع الجزء الثاني

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦٠

ص ٣١٣، ٣١٤.

٥- عن أبي أيوب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد صلّت الملائكة عليّ و على علي سبعمائة سنين لأننا كنّا نصلّي و ليس معنا احد يصلّي غيرنا.

مناقب الفقيه ابن المغازلي باسنادين م- أسد الغابة ٤: ١٨ و مناقب الخوارزمي و فيه: و لم ذلك يا رسول الله؟ قال: لم يكن معي من الرجال غيره.

كتاب الفردوس للديلمي. شرح ابن أبي الحديد عن رسالة الاسكافي ٣ ص ٢٥٨. فرائد السمطين الباب ٤٧.

٦- ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وآله: إن أول من صلى معي عليّ. فرائد السمطين الباب ٤٧ بأربع طرق.

٧- معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ! اخصمك بالنبوة و لا- نبوة بعدي، و تخصم الناس بسبع و لا يجاحدك فيه أحد من قريش، أنت أولهم ايمانا بالله، و أوفاهم بعهد الله، و أقومهم بأمر الله. الحديث. (حلية الأولياء ١ ص ٦٦).

٨- أبو سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ - و ضرب بين كتفيه-: يا عليّ لك سبع خصال لا يحاجك فيهنّ أحد يوم القيامة؛ أنت أول المؤمنين بالله ايمانا، و أوفاهم بعهد الله، و أقومهم بأمر الله. الحديث. (حلية الأولياء ١ ص ٦٦).

٩- من حديث أبي بكر الهذلي و داود بن أبي هند الشعبي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لعليّ عليه السلام: هذا أول من آمن بي و صدّقني و صلى معي. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٦.

١٠- إن أبا بكر و عمر خطبا فاطمة فردّهما رسول الله صلى الله عليه وآله و قال: لم أومر بذلك. فخطبها عليّ فزوجّه إياها و قال لها: زوجتك أقدم الأمة إسلاما. روى هذا الحديث جماعة من الصحابة منهم: أسماء بنت عميس و أم أيمن و ابن عباس و جابر بن عبد الله. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦١

### كلمات امير المؤمنين عليه السلام:

١- قال عليه السلام: أنا عبد الله، و أخو رسول الله، و أنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلّا كاذب مفترى، و لقد صلّيت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين، و أنا أول من صلّى معه.

إسناده من طريق ابن أبي شيبه و النسائي و ابن ماجه و الحاكم و الطبري «١» صحيح رجاله ثقات، راجع الجزء الثاني من كتابنا ٣١٤.

٢- قال عليه السلام: أنا أول رجل أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

أخرجه أبو داود بإسناده الصحيح كما فى شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٨.

٣- قال عليه السلام: أنا أول من أسلم مع النبي صلى الله عليه وآله.

أخرجه الخطيب البغدادي فى تاريخه ٤ ص ٢٣٣.

٤- قال عليه السلام أنا أول من صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله.

أخرجه أحمد، و الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» و قال: رجاله رجال الصحيح غير حنيفة العرنى و قد وثق. و أخرجه أبو عمرو في الإستيعاب ٢ ص ٤٥٨.

و ابن قتيبة في «المعارف» ص ٧٤ من طريق أبي داود عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن حنيفة عنه عليه السلام. و الإسناد صحيح رجاله ثقات.

٥- قال عليه السلام أسلمت قبل أن يسلم الناس سبع سنين. الرياض النضرة ٢ من ١٥٨.

٦- قال عليه السلام: عبدت الله مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة. مستدرک الحاكم ٣ ص ١١٢.

٧- قال عليه السلام: عن حكيم مولى زاذان قال: سمعت عليًا يقول:

صليت قبل الناس سبع سنين، و كنا نسجد و لا نركع، و أول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر، شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٨.

(١) في تاريخه ٢ ص ٢١٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦٢

٨- قال عليه السلام: عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين. الإستيعاب ٢ ص ٤٤٨. الرياض النضرة ٢ ص ١٥٨. السيرة الحلبية ١ ص ٢٨٨.

٩- قال عليه السلام: آمنت قبل الناس سبع سنين. خصائص النسائي ص ٣.

١٠- قال عليه السلام: ما أعرف أحدا من هذه الأمة عبد الله بعد نبينا غيري، عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة تسع سنين. خصائص النسائي ص ٣.

١١- من خطبه له عليه السلام يوم صفين: و ابن عمّ نبيكم معكم بين أظهركم يدعوكم إلى طاعه ربكم، و يعمل بسنة نبيكم صلى الله عليه، فلا سواء من صلى قبل كل ذكر لم يسبقني بصلاتي مع رسول الله. كتاب نصر ص ٣٥٥. شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٥٠٣.

١٢- قال عليه السلام: اللهم لا أعرف عبدا من هذا الأمة عبدك قبلي غير نبيك [قاله ثلاث مرّات] ثم قال: لقد صليت قبل أن يصلي الناس. و في لفظ:

قبل أن يصلي أحد. أخرجه أحمد، أبو يعلى، البرزاق، الطبراني، الهيثمي في المجمع ٩ ص ١٠٢. و قال: إسناده حسن. شيخ الإسلام الجويني في الفرائد الباب ٤٨.

١٣- من كتاب له عليه السلام كتبه إلى معاوية: انّ أولى الناس بأمر هذه الأمة قديما و حديثا أقربها من رسول الله، و أعلمها بالكتاب، و أفقهها في الدين، و أولها إسلاما، و أفضلها جهادا. كتاب صفين لابن مزاحم ص ١٦٨ ط مصر.

١٤- في حديث عنه عليه السلام: لا و الله إن كنت أول من صدّق به فلا أكون أول من كذب عليه. المحاسن و المساوي ١ ص ٣٦. تاريخ القرمانى هامش الكامل لابن الأثير ١ ص ٢١٨.

١٥- قال عليه السلام: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الإثنين و أسلمت يوم الثلاثاء.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦٣

مجمع الزوائد ٩ ص ١٠٢. تاريخ القرمانى ١ ص ٢١٥. الصواعق ٧٢. تاريخ الخلفاء للسيوطى ١١٢. إسعاف الراغبين ١٤٨.

١٦- من كتاب كتبه عليه السلام إلى معاوية: انّ محمّدا صلى الله عليه وآله لّمّا دعا إلى الإيمان بالله و التوحيد كنّا أهل البيت أول من آمن به؟ و صدّق بما جاء به، فلبثنا أحوالا مجرّمة (أى كاملة) و ما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا. كتاب صفين لابن مزاحم

ص ١٠٠.

١٧- قال عليه السلام يوم صفين مخاطبا أصحاب معاوية: و يحكم أنا أول من دعا إلى كتاب الله، و أول من أجاب إليه. كتاب نصر ٥٦١.

١٨- قالت معاذة بنت عبد الله العدوية: سمعت علي بن أبي طالب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا الصديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، و أسلمت قبل أن يسلم أبو بكر. راجع الجزء الثاني ص ٣١٤.

١٩- قال عليه السلام في خطبة خطبها في معسكر صفين: أ تعلمون أن الله فضل في كتابه السابق على المسبوق، و أنه لم يسبقني الله و رسوله أحد من الأمة؟! قالوا: نعم. راجع الجزء الأول ص ١٩٥.

٢٠- قال عليه السلام صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث سنين قبل أن يصلي مع أحد من الناس. أخرجه أحمد باسنادين.

٢١- قال عليه السلام يوم الشورى في حديث أسلفناه: أمنكم أحد و حذ الله قبلي؟ قالوا: لا. أمنكم أحد صلى القبلتين غيري؟ قالوا: لا. راجع ج ١ ص ١٥٩-١٦٣، و هذه الفقرة من الحديث عدها ابن أبي الحديد ممّا استفاضت به الروايات.

٢٢- مَرَّ في الجزء الثاني ص ٢٥ في أبيات له عليه السلام كتبها إلى معاوية:

سبقتكم إلى الإسلام طرأغلاما ما بلغت أوان حلمي ٢٣- ذكر ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤل ص ١١ له عليه السلام:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي به ربيت و سبطاه هما ولدي

صدقته و جميع الناس في بهم من الضلالة و الإشراك و النكد

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦٤

قال: قال جابر: سمعت عليا ينشد بهذا و رسول الله يسمع: فتبسم رسول الله و قال: صدقت يا علي؟

### كلمة الإمام السبط الحسن عليه السلام:

٢٤- من خطبة للإمام الحسن عليه السلام في مجلس معاوية قوله: أنشدكم الله أيها الزهط؟ أ تعلمون أن الذي شتمتموه منذ اليوم صلى القبلتين كليهما؟

و أنت يا معاوية بهما كافر، تراها ضلاله، و تعبد اللات و العزى غوايه؛ و أنشدكم الله هل تعلمون أنه بايع البيعتين كليهما: بيعه الفتح و بيعه الرضوان؟ و أنت يا معاوية بإحداهما كافر، و باخرى ناكث. و أنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانا؟! و إنك يا معاوية و أباك من المؤلفة قلوبهم. شرح ابن أبي الحديد ٢ ص ١٠١.

٢٥- و في خطبة له عليه السلام مَرَّت في ج ١ ص ١٩٨: فلمّا بعث الله محمّدا للنبوّة، و اختاره للرسالة، و أنزل عليه كتابه ثم أمره بالدعاء إلى الله، فكان أبي أول من استجاب لله و لرسوله، و أول من آمن و صدّق الله و رسوله صلى الله عليه وآله و قد قال الله في كتابه المنزل على نبي المرسل: «أ فمن كان على بينة من ربه و يتلوه شاهد منه» فجدي الذي على بينة من ربه، و أبي الذي يتلوه و هو شاهد منه.

### رأى الصحابة و التابعين في أول من أسلم

١- أنس بن مالك قال: نبئ (بعث) النبي صلى الله عليه وآله يوم الإثنين و أسلم عليّ يوم الثلاثاء. و في لفظ له: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الإثنين و صلى عليّ يوم الثلاثاء.

أخرجه الترمذي في جامعه ٢ ص ٢١٤. الطبراني. الحاكم في المستدرک ٣ ص ١١٢. ابن عبد البر في الإستيعاب ٣ ص ٣٢. ابن الأثير في جامع الأصول كما في تلخيصه تيسير الوصول ٣ ص ٢٧١. الجويني في فرائد السمطين الباب

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦٥

٤٧. و أوعز إليه العراقي في التقريب ١ ص ٨٥. و يوجد في شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٨. تذكرة السبط ٦٣. السراج المنير شرح الجامع الصغير ٢ ص ٤٢٤. شرح المواهب ١ ص ٢٤١.

٢- بريدة الأسلمي قال: أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الإثنين و صلى على يوم الثلاثاء. أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ ص ١١٢ و صححه هو و أقره الذهبي.

٣- زيد بن أرقم قال: أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب.

تاريخ الطبري بإسنادين صحيحين رجالهما ثقات. مسند أحمد ٤ ص ٣٦٨.

مستدرک الحاكم ٤ ص ٣٣٦ و صححه هو و أقره الذهبي. الكامل لابن الأثير ٢ ص ٢٢.

٤- زيد بن أرقم قال: أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله علي.

أخرجه أحمد و الطبراني كما في مجمع الهيثمي ٩ ص ١٠٣ و قال: رجال أحمد رجال الصحيحين. أبو عمرو في الاستيعاب ٢ ص ٤٥٩.

٥- زيد بن أرقم قال: أول من آمن بالله بعد رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب. الاستيعاب ٢ ص ٤٥٩.

٦- عبد الله بن عباس قال: أول من صلى علي.

جامع الترمذي ٢ ص ٢١٥. تاريخ الطبري ٢ ص ٢٤١ بإسناد صحيح.

الكامل لابن الأثير ٢ ص ٢٢. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٦.

٧- عبد الله بن عباس قال: لعلي أربع خصال ليست لأحد: هو أول عربي، و أعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله. مستدرک الحاكم ٣ ص ١١١. الاستيعاب ٢ ص ٤٥٧.

٨- عبد الله بن عباس قال مجاهد: إنه قال: أول من ركع مع النبي صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب فنزلت فيه هذه الآية: و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و اركعوا مع الراكعين. تذكرة السبط ٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦٦

٩- عبد الله بن عباس قال في خطبة له: إن ابن آكله الأكبَاد قد وجد من طعام أهل الشام أعوانا على علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله و صهره و أول ذكر صلى معه.

كتاب صفين لابن مزاحم ٣٦٠. شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٥٠٤. جمهرة الخطب ١ ص ١٧٥.

١٠- عبد الله بن عباس قال: فرض الله تعالى الاستغفار لعلي في القرآن على كل مسلم بقوله تعالى: «ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان». فكل من أسلم بعد علي فهو يستغفر لعلي. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٦.

١١- عبد الله بن عباس قال: أول من أسلم علي بن أبي طالب.

الاستيعاب ٢ ص ٤٥٨. مجمع الزوائد ٩ ص ١٠٢.

١٢- عبد الله بن عباس قال: كان علي أول من آمن من الناس بعد خديجه رضي الله عنهما.

الاستيعاب ٢ ص ٤٥٧ و قال: قال أبو عمرو رضي الله عنه: هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد لصحته و ثقة نقلته. و صححه الزرقاني في شرح المواهب ١ ص ٢٤٢.

١٣- كان ابن عباس بمكة يحدث علي شفير زمزم و نحن عنده فلما قضى حديثه قام إليه رجل فقال: يا بن عباس؟ إني امرؤ من أهل الشام من أهل حمص إنهم يتبرءون من علي بن أبي طالب رضوان الله عليه و يلعنونه. فقال: بل لعنهم الله في الدنيا و الآخرة و أعد لهم عذابا مهينا. ألبعد قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ و إنّه لم يكن أول ذكران العالمين إيماننا بالله و رسوله؟ و أول من

صلى و ركع و عمل بأعمال البر؟ قال الشامي: أنهم و الله ما ينكرون قرابته و سابقته غير أنهم يزعمون أنه قتل الناس. الحديث. المحاسن و المساوي للبيهقي ١ ص ٣٠.

١٤- عفيف قال: جئت في الجاهلية إلى مكة و أنا أريد أن ابتاع لأهلي من ثيابها و عطرها فأتيت العباس بن عبد المطلب و كان رجلا تاجرا فأنا عنده جالس سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦٧

حيث أنظر إلى الكعبة و قد حلقت الشمس في السماء فارتفعت و ذهبت إذ جاء شاب فرمى ببصره إلى السماء ثم قام مستقبل الكعبة ثم لم البث إلا يسيرا حتى جاء غلام فقام على يمينه، ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، فرجع الشاب فرجع الغلام و المرأة، فرجع الشاب فرجع الغلام و المرأة، فسجد الشاب فسجد الغلام و المرأة فقلت: يا عباس؟ أمر عظيم. قال العباس: أمر عظيم، أ تدري من هذا الشاب؟ قلت: لا. قال: هذا محمد بن عبد الله ابن أخي. أ تدري من هذا الغلام؟ هذا علي ابن أخي. أ تدري من هذه المرأة؟

هذه خديجة بنت خويلد زوجته، أن ابن أخي هذا أخبرني أن ربه رب السماء و الأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، و لا و الله ما على الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

خصائص النسائي ٣. تاريخ الطبري ٢ ص ٢١. الرياض النضرة ٢ ص ١٥٨.

الإستيعاب ٢ ص ٤٥٩. عيون الأثر ١ ص ٩٣. الكامل لابن الأثير ٢ ص ٢٢.

السيرة الحلبية ١ ص ٢٨٨.

١٥- سلمان الفارسي قال: أول هذه الأمة و رودا على نبيها الحوض أولها إسلاما علي بن أبي طالب رضی الله عنه.

الإستيعاب ٢ ص ٤٥٧. مجمع الزوائد ٩ ص ١٠٢ و قال: رجاله ثقات.

و عدّه الإسكافي في رسالته على العثمانيّة. و أبو عمرو في الإستيعاب. و العراقي في شرح التقريب ١ ص ٨٥. و القسطلاني في المواهب ١ ص ٤٥ ممّن روى أنّ عليّا أول من أسلم.

١٦- أبو رافع قال: صلى النبي صلى الله عليه و آله أول يوم الاثنين و صلّت خديجة آخره و صلى عليّ يوم الثلاثاء من الغد.

أخرجه الطبراني كما في شرح المواهب ١ ص ٢٤٠. عيون الأثر ١ ص ٩٢.

و تجده و سابقه في الرياض النضرة ٢ ص ١٥٨. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٨.

١٧- أبو رافع قال: مكث عليّ يصلّي مستخفيا سبع سنين و أشهرها قبل أن يصلّي أحد. أخرجه الطبراني. الهيثمي في المجمع ٩ ص ١٠٣.

الجويني في

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦٨

الفرائد ب ٤٧.

١٨- أبو ذر الغفاري، عدّ ممّن روى أنّ عليّ بن أبي طالب أول من أسلم.

الإستيعاب ٢ ص ٤٥٦. التقريب و شرحه ١ ص ٨٥. المواهب اللدنيّة ١ ص ٤٥.

١٩- خباب بن الأرت قال: رأيت عليّا يصلّي قبل الناس مع النبي و هو يومئذ بالغ مستحكم البلوغ. رسالة الإسكافي. و عدّ ممّن روى أنّ عليّا أول من أسلم في الاستيعاب ٢ ص ٤٥٦. و المواهب اللدنيّة ١ ص ٤٥.

٢٠- المقداد بن عمرو الكندي، ممّن روى أنّ عليّا أول من أسلم كما في الإستيعاب ٢ ص ٤٥٦. و التقريب و شرحه ١ ص ٨٥. و

المواهب اللدنيّة ١ ص ٤٥.

٢١- جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: بعث النبي صلى الله عليه و آله يوم الإثنين و صلى عليّ يوم الثلاثاء. الطبري ٢ ص ٢١١. الكامل

- لابن الأثير ٢ ص ٢٢. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٨، و عدّه أبو عمرو و العراقيّ و القسطلانيّ ممّن روى أنّ عليّاً أوّل من أسلم.
- ٢٢- أبو سعيد الخدرى روى إنّ عليّ بن أبى طالب أوّل من أسلم.
- الإستيعاب ٢ ص ٤٥٦. شرح التقريب ١ ص ٨٥. المواهب اللدنيّة ١ ص ٤٥.
- ٢٣- حذيفة بن اليمان قال: كنّا نعبد الحجارة و نشرب الخمر و عليّ من أبناء أربع عشرة سعة قائم يصلّى مع النبيّ ليلاً و نهاراً، و قريش يومئذ تسافه رسول الله صلى الله عليه و آله ما يذبّ عنه إلّا عليّ. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٦٠.
- ٢٤- عمر بن الخطّاب قال عبد الله بن عباس: سمعت عمرو عنده جماعة فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أما على فسمعت رسول الله: يقول فيه ثلاث خصال، لوددت أن تكون لى واحدة منهنّ، و كانت أحبّ إليّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا و أبو عبيدة و أبو بكر و جماعة من أصحابه إذ ضرب النبيّ صلى الله عليه و آله على منكب عليّ رضى الله عنه فقال له: يا عليّ؟ أنت أوّل سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٦٩.
- المؤمنين ايماناً، و أوّل المسلمين إسلاماً، و أنت منى بمنزلة هارون من موسى.
- رسالة الإسكافى. مناقب الخوارزمى. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٨.
- ٢٥- عبد الله بن مسعود قال: أوّل حديث علمته من أمر رسول الله صلى الله عليه و آله أنّى قدمت مكّة مع عمومة لى (و ذكر مثل حديث عفيف المذكور ص ٢٢٦) رسالة الإسكافى.
- ٢٦- أبو أيوب الأنصارى، أخرج الطبرانى عنه أنّه قال: أوّل الناس إسلاماً عليّ بن أبى طالب. شرح التقريب ١ ص ٨٥. شرح الزرقانى ١ ص ٢٤٢.
- ٢٧- أبو مرزوم يعلى بن مرّة، عدّه الزرقانى فى شرح المواهب ١ ص ٢٤٢ ممّن قال: إنّ عليّاً أوّل الناس إسلاماً.
- ٢٨- هاشم بن عتبة المرقال قال: أنت يا أمير المؤمنين! أقرب الناس من رسول الله رحماً، و أفضل الناس سابقه و قدماً. كتاب نصر ١٢٥. جمهرة الخطب ١ ص ١٥١.
- ٢٩- فى كلام لهاشم بن عتبة يوم صفين: أنّ صاحبنا هو أوّل من صلّى مع رسول الله، و أفقهه فى دين الله، و أولاه برسول الله. كتاب نصر ٤٠٣. تاريخ الطبرى ٦ ص ٢٤. الكامل لابن الأثير ٣ ص ١٣٥. و قال هاشم يوم صفين:
- مع ابن عمّ أحمد المعلّى فيه الرسول بالهدى استهلا
- أوّل من صدّقه و صلّى فجاهد الكفّار حتّى أبلى «١» ٣٠- مالك بن الحارث الأشتر قال فى خطبة له: معنا ابن عم نبينا و سيف من سيوف الله عليّ بن أبى طالب، صلّى مع رسول الله لم يسبقه إلى الصلاة ذكر، حتّى كان شيخاً لم يكن له صبوة و لا نبوة و لا هفوة، فقيه فى دين الله، عالم بحدود الله.
- كتاب نصر ٢٦٨. شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٤٨٤. جمهرة الخطب ١

(١) كتاب صفين لابن مزاحم: ٣٧١ ط مصر.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٧٠

ص ١٨٣.

- ٣١- عدّى بن حاتم قال فى خطبة له مخاطباً معاوية: ندعوك إلى أفضل الأئمّة سابقه، و أحسنها فى الإسلام آثاراً.
- كتاب نصر ٢٢١. تاريخ الطبرى ٦ ص ٢. شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٣٤٤. و فى لفظ ابن الأثير فى الكامل ٣ ص ١٢٤: أنّ ابن عمّك سيد المسلمين أفضلها سابقه.
- ٣٢- عدّى بن حاتم قال فى خطبة أخرى له: إنّ كان له «لعلى» عليكم فضل فليس لكم مثله فسلموا و إلّا فنازعوا عليه، و الله لئن كان



إلى العلم بالكتاب والسنة؟ أنه لأعلم الناس بهما. ولئن كان إلى الإسلام؟ إنه لأخو نبي الله والرأس في الإسلام. الإمامة والسياسة ١ ص ١٠٣.

٣٣- محمد بن الحنفية قال سالم بن أبي الجعد قلت له: أبو بكر كان أولهم إسلاماً؟! قال: لا. الاستيعاب ٢ ص ٤٥٨. إذا ثبت أن أبا بكر لم يكن أول الناس إسلاماً فعلى عليه السلام هو المتعين سبق إسلامه.

٣٤- طارق بن شهاب الأحمسي في كلام له: ثم قلت: ادع علياً وهو أول المؤمنين إيماناً بالله و ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وصيّه، هذا أعظم، الحديث. شرح ابن أبي الحديد ١ ص ٧٦.

٣٥- عبد الله بن هاشم المرقال قال في خطبة له: يا أيها الناس! إن هاشماً جاهد في طاعة ابن عم رسول الله، وأول من آمن به؛ وأفقههم في دين الله.

كتاب نصر ٤٠٥.

٣٦- عبد الله بن حجل قال: يا أمير المؤمنين! أنت أولنا إيماناً، وآخرنا بنبي الله عهداً. الإمامة والسياسة ١ ص ١٠٣، كتاب نصر.

٣٧- أبو عمرة بشير بن محصن قال في جمع من أصحاب علي و معاوية: إن صاحبى أحق البرية كلها بهذا الأمر في الفضل والدين و السابقة في الإسلام و القرابة من رسول الله. كتاب نصر ٢١٠.

٣٨- عبد الله بن خباب بن الأرت قال ابن قتيبة: إن الخارجة التي خرجت

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٧١

على عليّ بينما هم يسيرون فإذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا إليه الفرات فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا رجل مؤمن، قالوا: فما تقول في عليّ بن أبي طالب؟ قال: أقول: إنه أمير المؤمنين و أول المسلمين إيماناً بالله و رسوله. قالوا:

فما اسمك؟ قال: و أنا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله. الإمامة والسياسة ١ ص ١٢٢.

٣٩- عبد الله بن بريدة قال: أول الرجال إسلاماً عليّ بن أبي طالب ثم الرهط الثلاث: أبو ذر و بريدة و ابن عم لأبي ذر. أخرجه محمد بن إسحاق المدني في الجزء الأول من المغازي.

٤٠- محمد بن أبي بكر كتب إلى معاوية كتاباً منه: فكان أول من أجاب و أناب، و صدق و وافق، و أسلم و سلم أخوه و ابن عمه عليّ بن أبي طالب- الى أن قال:- أول الناس إسلاماً، و أصدق الناس نية- إلى قوله- يا لك الويل! تعدل نفسك بعليّ و هو وارث رسول

الله و وصيّه و أبو ولده، و أول الناس له أتباعاً، و آخرهم به عهداً، يخبره بسرّه، و يشركه في أمره. نصر في كتاب صفين ١٣٣.

٤١- عمرو بن الحمق قال لعليّ: أحببتك لخصال خمس: أنك ابن عم رسول الله، و أول من آمن به. و في لفظ: و أسبق الناس إلى الإسلام، أبو الذرية التي بقيت فينا من رسول الله، و أعظم رجل من المهاجرين سهما في الجهاد.

كتاب صفين ١١٥. جمهرة الخطب ١ ص ١٤٩.

٤٢- سعيد بن قيس الهمداني يرتجز في صفين بقوله «١»:

هذا عليّ و ابن عم المصطفى أول من أجابه ممن دعا

هذا الإمام لا يبالى من غوى

٤٣- عبد الله بن أبي سفيان قال مجيباً الوليد «٢»

و إنّ وليّ الأمر بعد محمد عليّ و في كلّ المواطن صاحبه

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج ١٣ ص ٢٣٢ و فيه «أول من أجابه فيما روى».

(٢) رسالة الاسكافي، و ذكرهما الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٤٨ للفضل بن العباس.



سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٧٢ وصي رسول الله حقًا و صنوهو أول من صلى و من لادن جانبه ٤٤- خزيمه بن ثابت الأنصاري عدّه العراقى فى شرح التقريب ١ ص ٨٥، و الزرقانى فى شرح المواهب ١ ص ٢٤٢ ممّن قال بأنّ عليًا أولّ الناس إسلامًا. و قال: أنشد المرزبان له فى عليّ:

أليس أولّ من صلى لقبلكم و أعلم الناس بالقرآن و السنن و ذكر له الإسكافى فى رسالته كما فى شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٩: وصي رسول الله من دون أهله و فارسه مذ كان فى سالف الزمن

و أولّ من صلى من الناس كلّهم سوى خيرة النسوان و الله ذو المنن و ذكرهما له الحاكم فى المستدرک ٣ ص ١١٤، و ذكر قبلهما: إذا نحن بايعنا عليًا فحسبنا أبو حسن ممّا نخاف من الفتن

وجدناه أولى الناس بالناس أنّه أظبّ قریش بالكتاب و بالسنة «١» ٤٥- كعب بن زهير، ذكر الزرقانى فى شرح المواهب ١ ص ٢٤٢. من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السلام:

إنّ عليًا لميمون نقيبته بالصالحات من الأفعال مشهور

صهر النبى و خير الناس كلّهم فكلّ من رامه بالفخر مفخور

صلى الصلاة مع الامى أولهم قبل العباد و ربّ الناس مكفور «٢» ٤٦- ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، ذكر جمع من الأعلام له أبيات و ذكرها آخرون لغيره و هى:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبى حسن

أليس أولّ من صلى لقبلتهم؟! و أعلم الناس بالآيات و السنن!؟

و آخر الناس عهدا بالنبى؟! و من جبريل عون له فى الغسل و الكفن؟

(١) و لهذه الايات بقيه توجده فى الفصول المختارة ٢ ص ٦٧.

(٢) فى النسخة تصحيف ذكرناها صحيحة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٧٣ من فيه ما فيهم ما تمثرون به؟! و ليس فى القوم ما فيه من الحسن

ما ذا الذى ردّكم عنه؟! فنعلمها إنّ بيعتكم من أولّ الفتن و ذكر الإسكافى فى رسالته البيتين الأولين منها و نسبهما إلى أبى سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس حين بويع أبو بكر. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٩.

٤٧- الفضل بن أبى لهب قال ردًا على قصيدة الوليد بن عاقبة:

ألا إنّ خير الناس بعد محمّد مهيمنه التالیه فى العرف و النكر

و خيرته فى خبير و رسوله بنبذ عهد الشرك فوق أبى بكر

و أولّ من صلى صنو نبیه و أولّ من أردى الغواة لدى بدر

فذاك عليّ الخير من ذا يفوقه؟! أبو حسن حلف القرابة و الصهر ٤٨- مالك بن عبادة الغافقى حليف حمزة بن عبد المطلب قال:

رأيت عليًا لا يلبث قرنه إذا ما دعاه حاسرا أو مسربلا

فهذا و فى الإسلام أولّ مسلم و أولّ. من صلى و صام و هللا ٤٩- أبو الأسود الدؤلى يهدّد طلحة و الزبير بقوله:

و إنّ عليًا لكم مصحريماثله الأسد الأسود

أما أنّه أولّ العابدين بمكّة و الله لا يعبد «١» ٥٠- جندب بن زهير كان يرتجز يوم صفين بقوله:

هذا عليّ و الهدى حقًا معهما ربّ فاحفظه و لا تضيّعه

فإنّه يخشاك ربّى فارفعه نحن نصرناه على من نازعه

صهر النبي المصطفى قد طاعه أول من بايعه و تابعه «٢» ٥١- زفر بن يزيد «٣» بن حذيفة الأسدي قال:  
فحوطوا عليا فانصروه فإنه وصي و في الإسلام أول أول

(١) رسالة الاسكافي كما شرح ابن ابى الحديد: ٢ ص ٢٥٩.

(٢) كتاب نصر بن مزاحم: ٤٥٣.

(٣) في بعض المصادر: زفير بن زيد.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٣٧٤ و إن تخذلوه و الحوادث جمة فليس لكم عن أرضكم متحول «١» ٥٢- النجاشي بن الحارث بن كعب  
قال:

فقل للمضلل من وائل و من جعل الغت يوما سميناً

جعلت ابن هند و أشياعه نظير علي ما تستحونا؟!

إلى أول الناس بعد الرسول أجاز النبي من العالمينا

و صهر الرسول و من مثله إذا كان يوم يشيب القرونا؟! «٢» ٥٣- جرير بن عبد الله البجلي قال:

فصلى الإله على أحمد رسول المليك تمام النعم

و صلى على الطهر من بعده خليفتنا القائم المدعم

علياً عنيت وصي النبي يجالده عنه غواة الامم

له الفضل و السبق و المكرمات و بيت النبوة لا المهتمضم ٥٤- عبد الله بن حكيم التميمي قال:

دعانا الزبير إلى بيعه و طلحة من بعد أن أثقلا

فقلنا: صفقنا بايماننا فان شتت ما فخذنا الأشملا

نكتتم علياً على بيعه و إسلامه فيكم أولاً ٥٥- عبد الرحمن بن حنبل [جعل] الجمحي حليف بني الجمح قال:

لعمري لئن بايعتم ذا حفيظة على الدين معروف العفاف موقفا

عفيفاً عن الفحشاء أبيض ماجدا صدوقاً و للجبارة قدماً مصدقاً

أبا حسن فارضوا به و تبايعوا فليس كمن فيه يرى العيب منطقاً

علي و وصي المصطفى و وزيره و أول من صلى لذي العرش و اتقى «٣» ٥٦- أبو عمرو عامر الشعبي الكوفي قال: أول من أسلم من

الرجال علي ابن أبي طالب و هو ابن تسع سنين. رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي

(١) رسالة الاسكافي كما في شرح ابن ابى الحديد: ٣ ص ٢٥٩.

(٢) كتاب صفين لنصر بن مزاحم: ٦٦.

(٣) كفاية الطالب الحافظ الكنجي: ٤٨.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٣٧٥

الحديد ٣ ص ٢٦٠.

٥٧- أبو سعيد الحسن البصري قال: علي أول من أسلم بعد خديجة. أخرجه أحمد عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عنه. و رواه

الإسكافي في رسالته عن عبد الرزاق كما في شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٦٠.

و قال الحجاج للحسن و عنده جماعة من التابعين و ذكر علي بن أبي طالب:

ما تقول أنت يا حسن؟ فقال: ما أقول؟ هو: أول من صَلَّى إلى القبلة، و أجاب دعوة رسول الله. و إنَّ لعلِّي منزلة من ربِّه و قرابة من رسوله، و قد سبقت له سوابق لا يستطيع ردها أحد. فغضب الحجاج غضبا شديدا و قام عن سريره فدخل بعض البيوت.

و قال رجل للحسن: ما لنا لا نراك تثني على علي و تقرّظه؟ قال كيف؟! و سيف الحجاج يقطر دما، انه أول من أسلم، و حسبكم بذلك. رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٥٨.

٥٨- الإمام محمّد بن عليّ الباقر قال: أول من آمن بالله عليّ بن أبي طالب و هو ابن إحدى عشرة سنة. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٦٠.

٥٩- قتادة بن دعامة الأكمه البصرى قال: عليّ أول من أسلم بعد خديجة. أخرجه أحمد كما سمعت، و القسطلاني عدّه ممّن قال به في المواهب ١ ص ٤٥، و أقرّه الزرقاني في شرحه ١ ص ٢٤٢.

٦٠- محمّد بن مسلم المعروف بابن شهاب «١» عدّه القسطلاني في المواهب ١ ص ٤٥، و أقرّه الزرقاني في شرحه ١ ص ٢٤٢ من القائلين بأنّ عليّا أول من أسلم.

٦١- أبو عبد الله محمّد بن المكندر المدني قال: عليّ أول من أسلم. تاريخ الطبرى ٢ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ٢ ص ٢٢.

٦٢- أبو حازم سلمه بن دينار المدني قال: عليّ أول من أسلم. تاريخ الطبرى ١ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ٢ ص ٢٢.

(١) نسبة الى جد جده.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٧٦

٦٣- أبو عثمان ربيع بن أبي عبد الرحمن المدني قال: عليّ أول من أسلم. تاريخ الطبرى ٢ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ٢ ص ٢٢.

٦٤- أبو النضر محمّد بن السائب الكلبي قال: عليّ أول من أسلم، أسلم و هو ابن تسع سنين. تاريخ الطبرى ٢ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ٢ ص ٢٢.

٦٥- محمّد بن اسحاق قال: كان أول ذكر آمن برسول الله صَلَّى الله عليه و آله و صَلَّى معه و صدّقه بما جاءه من عند الله عليّ بن أبي طالب و هو يومئذ ابن عشر سنين «١» و كان ممّا أنعم الله به على عليّ بن أبي طالب انه كان في حجر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله قبل الإسلام.

و قال: و ذكر بعض أهل العلم أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله كان إذا حضرت الصلوة خرج إلى شعاب مكّة و خرج معه عليّ بن أبي طالب، مستخفيا من عمّه أبي طالب و جميع أعمامه و سائر قومه فيصلّيان الصلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثمّ إنّ أبا طالب عثر عليهما يوما و هما يصلّيان فقال لرسول الله صَلَّى الله عليه و آله: يا ابن أخي ما هذا الدين؟ الحديث.

تاريخ الطبرى ٢ ص ٢١٣. سيرة ابن هشام ١ ص ٢٦٤، ٢٦٥. سيرة ابن سيّد الناس ١ ص ٩٣. الكامل لابن الأثير ٤ ص ٢٢. شرح ابن أبي الحديد ٣ ص ٢٦٠. السيرة الحليّة ١ ص ٢٨٧.

٦٦- جنيد بن عبد الرحمن قال: أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائي فصلّيت الجمعة ثمّ خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له: أبو شيبه القاصّ يقصّ على الناس، فرغّب فرغبنا، و خوّف فبكينا، فلمّا انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب. فلعنوا أبا تراب عليه السلام فالتفت إليّ من على يميني فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: عليّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله، و زوج ابنته، و أولّ الناس إسلاما، و أبو الحسن و الحسين. فقلت: ما أصاب هذا القاصّ؟! فقلت إليه و كان ذا وفرّة فأخذت و فرته بيدي و جعلت ألطم وجهه

(١) في الكامل لابن الأثير: ٢ ص ٣٢. إحدى عشرة سنة. نقلا عن ابن اسحاق.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٧٧

و أبطح برأسه الحائط، فصاح فاجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائي في رقبتى و ساقونى حتى دخلونى على هشام بن عبد الملك و أبو شيبه يقدمنى فصاح يا أمير المؤمنين؟ قاصك و قاص آباءك و أجدادك أتى إليه اليوم أمر عظيم. قال:  
من فعل لك؟ فقال: هذا. فالتفت إلى هشام و عنده أشرف الناس فقال:

يا أبا يحيى؟ متى قدمت؟ فقلت: أمس و أنا على المصير إلى أمير المؤمنين فادركتنى صلاة الجمعة فصليت و خرجت إلى باب الدرج فإذا هذا الشيخ قائم يقص فجلست إليه فقرأ فسمعنا، فرغب من رغب، و خوف من خوف؛ و دعا فأمننا، و قال فى آخر كلامه: اختموا مجلسنا بلعن أبى تراب، فسألت من أبو تراب؟

ف قيل: على بن أبى طالب، أول الناس إسلاما، و ابن عم رسول الله، و أبو الحسن و الحسين، و زوج بنت رسول الله. فو الله يا أمير المؤمنين؟ لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر و لعنه بمثل هذا اللعن لأحلت به الذى أحلت، فكيف لا أغضب لصور رسول الله و زوج ابنته؟! فقال هشام: بس ما صنع. تاريخ ابن عساكر ٣ ص ٤٠٧.

هذه جملة من النصوص النبوية، و الكلم المأثورة عن أمير المؤمنين و الصحابة و التابعين فى أن علينا أول من أسلم: و هى تربو على مائة كلمة، أضف إليها ما مرج ٢ ص ٢٧٦ من أن أمير المؤمنين سباق هذه الأمة. و اشفع الجميع بما أسلفناه ج ٢ ص ٣٠٦ من أنه صلوات الله عليه صديق هذه الأمة، و هو الصديق الأكبر.

فهل تجد عندئذ مساعدا لمكابرة ابن كثير تجاه هذه الحقيقة الراهنة و قوله: و قد ورد فى أنه أول من أسلم. إلخ؟! فإذا لا يصح مثل هذه فما الذى يصح؟

و إن كان لا يصح شىء منها فما قيمة تلك الكتب المشحونة بها؟! كلا، إنها كلمة هو قائلها و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون. و أنت ترى الرجل يزيف هذه الكلم و النصوص الكثيرة الصحيحة بحكم الحفاظ الأثبات بكلمة واحدة قارصه، و يعتمد فى إثبات أى أمر يروقه فى تاريخه على المراسيل و المقاطيع و الآحاد، و نقل المجاهيل و أفناء الناس «١».

(١) الغدير: ج ٣ ص ٢١٩ - ٢٣٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٧٨

(١)

### مناظرة بين المأمون و إسحاق [فى إسلام على ع]:

و لقد دارت بين المأمون العباسى و إسحاق و هو من العلماء المشهورين حوار طريف فى هذا المجال ينقله ابن عبد ربّه فى كتابه «العقد الفريد» نذكر هنا خلاصته:

قال المأمون: يا إسحاق أى الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله؟

ابن إسحاق: الإخلاص بالشهادة.

المأمون: أليس سبق إلى الإسلام؟

ابن إسحاق: نعم.

المأمون: اقرأ ذلك فى كتاب الله يقول: «و السابقون السابقون أولئك المقربون» إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحدا سبق علينا إلى الإسلام؟

ابن إسحاق: إن علينا أسلم و هو حديث السن لا يجوز عليه الحكم و أبو بكر أسلم و هو مستكمل يجوز عليه الحكم.

(٢) و هنا أمسك المأمون بزمام الكلام و قال:

أخبرني عن إسلام عليّ حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله دعاه إلى الإسلام، أو يكون إلهاما من الله؟ قال إسحاق: بل دعاه رسول الله إلى الإسلام.

قال المأمون: يا إسحاق هل يخلو رسول الله حين دعاه إلى الإسلام من ان يكون دعاه بأمر من الله أو تكلف ذلك من نفسه؟ ثم قال: يا إسحاق لا تنسب رسول الله إلى تكلف فإن الله يقول: «وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ».

فإذا دعاه بأمر الله و ليس من صفه الجبر - جلّ ذكره - أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم، أفتراه في قياس قولك يا إسحاق؟ أن عليا أسلم صبيا لا يجوز عليه الحكم قد تكلف رسول الله صلى الله عليه وآله من دعاء

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٧٩

الصبيان ما لا يطيقون «١».

و على هذا الاساس يجب اعتبار ايمان على عليه السلام ايمانا صحيحا ثابتا لم يقل عن إيمان الآخرين أهمية و قيمة بل هو افضل مصداق لقوله تعالى:

«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»، هو الإمام على بن أبي طالب.

(١)

### قضية «انقطاع الوحي»:

#### إشارة

لقد أضاعت روح النبي صلى الله عليه وآله و نفسه الشريفة و استنارت بنور الوحي، و دفعه ذلك إلى التأمل و التفكير في الوظيفة الكبرى و الثقلية التي جعلها الله على كاهله، و خاصة عند ما خاطبه الله تعالى بقوله:

«يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ فَأَنْذِرْ. وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ» «٢».

و هنا طرح المؤرخون و بخاصة الطبري الذي لا يخلو تاريخه من الاساطير الاسرائيلية قضية باسم «انقطاع الوحي» فقالوا: إن رسول الله بعد أن رأى ذلك الملك و سمع منه الآيات الاولى من القرآن الكريم بقي ينتظر نزول خطاب آخر من جانب الله تعالى، و لكن دون جدوى، فهو لم ير ذلك الملك الجميل بعد ذلك، و لا أنه سمع النداء الغيبي مرة أخرى على غرار ما رأى و سمع في بدء نزول الوحي.

(٢) و لو كان لانقطاع الوحي في بداية عهد الرسالة (الذي ادعاه هؤلاء) حقيقة فما هو سوى النزول التدريجي للقرآن ليس إلّا.

و قد تعلقت المشيئة الالهية اساسا بأن ينزل الوحي على رسول الله تدريجا، لا دفعة واحدة و ذلك لمصالح معينة، و حيث أن الأمر في بدء الوحي كان على أوله و في بدايته، لذلك لم ينزل الوحي الالهي بعد المرة الاولى فورا، و لكن حمل هذا على «انقطاع الوحي» و لم يكن لا انقطاع الوحي و لا أية مسألة اخرى من

(١) العقد الفريد: ج ٥ ص ٣٥٢ طبعه بيروت دار الكتب العلمية و ج ٥ ص ٩٤ طبعه لجنة التأليف القاهرة.

(٢) المدثر: ١-٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٨٠

هذا القبيل.

(١) وحيث أن هذه المسألة قد تدرّج بها الكتاب المغرضون لذلك ينبغي أن نعطيها بعض الاهتمام ليتضح أن ما ادعى من انقطاع الوحي، قضية فارغة عن الحقيقة ولذلك لا صحة لتطبيق الآيات القرآنية عليها.

و لتوضيح هذا الأمر ننقل هنا نص ما كتبه الطبري ونقله في تاريخه، ثم نعلم بعد ذلك الى نقده.

يكتب الطبري في هذه الصدد قائلاً: لما أبأ جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وجزع جزعا شديدا قالت له خديجة: ما أرى ربك إلا قد قلاك، فانزل الله عز وجل قوله: «وَالضُّحَىٰ. وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ. وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ. وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ. أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ. فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» (١).

ولقد أوجد نزول هذه الآيات سرورا عظيما لدى خديجة عليها السلام، وعلمت بأن ما قالته حول رسول الله لا أساس له من الصحة (٢).

(٢)

### اسطورة و ليس تاريخا!

إن ذاكرة التاريخ تحفظ و تذكر جيدا تاريخ حياة السيدة خديجة.

إن خديجة التي كانت أخلاق محمد الفاضلة و خصاله المجيدة، و افعاله الحميدة ماثلة امام عينيها و التي كانت تؤمن بعدل ربها كيف يجوز ان تسيء الظن بالله تعالى و بنبيه الكريم، العظيم الشأن؟

إن مقام النبوة و منصب الرسالة، و السفارة الالهية لا يعطى إلا لمن يملك طائفة من الصفات النبيلة و الخصال الرفيعة، و ما لم يتصف شخص النبي صلى الله عليه وآله. هذه الصفات العليا، و ما لم تتوفر فيه مثل هذه الشرائط الخاصة

(١) الضحى: ١- ١١.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٤٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٨١

و المواصفات المعينة لم يمنح له ذلك المنصب قط. و تقع العصمة و السكينة القلبية، و الاعتماد و التوكل في طليعة هذه الخصال و المواصفات، و مع هذه الأوصاف و الخصال يستحيل أن يدور في خلدته مثل تلك التصورات الخاطئة.

و لقد قال العلماء: إن المسيرة التكاملية عند الأنبياء تبدأ من فترة الطفولة و الصبا، فان الغشاوات و الحجب تبدأ تتساقط و تنقشع الواحدة تلو الاخرى منذ ذلك الوقت، و يستمر ذلك حتى تصل الاحاطة العلمية لديهم حد الكمال فلا يشككون في شىء يروونه أو يسمعونه أبدا، و من حاز هذه المراتب لا يمكن أن يتطرق الشك و الحيرة و التردد الى قلبه و عقله مطلقا.

(١) إن آيات سورة «الضحى» و خاصة عبارة «مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ» تفيد فقط بأن هناك من قال مثل هذه العبارة للنبي الاكرم صلى الله عليه وآله، و أما من هو قائلها؟ و كم تركت هذه العبارة من تأثير في نفسية النبي صلى الله عليه وآله و روحيته فهي ساكنة عن كل ذلك؟

و ذهب بعض المفسرين إلى أن قائلها هم بعض المشركين، و لهذا الاحتمال لا تكون جميع الآيات مرتبطة ببدء الوحي، لأنه لا أحد غير «على» و «خديجة» كان يعرف في بدء البعثة بنزول الوحي، ليتسنى له أن يعترض على رسول الله، و يعيره بانقطاع عنه بعد ذلك،

فإن أمر المبعث و الرسالة- كما سنقول ذلك فيما بعد- بقى خافيا على أكثر المشركين لمدة ثلاثة اعوام تماما، فهو لم يكن مكلفا بابلاغ رسالته إلى عامة الناس، إلى أن نزل قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر» الذي أمره الله فيه بالجهر بأمر رسالته لعامة الناس بلا استثناء. (٢)

### إختلاف المؤرخين في مسألة «انقطاع الوحي»:

#### إشارة

لم يرد في القرآن الكريم أى ذكر مطلقا لمسألة (انقطاع الوحي) بل لم ترد به إشارة أيضا، إنما نلاحظها في كتب السيرة و التفسير فقط، و يختلف كتاب السيرة و المؤرخون في علّة (انقطاع الوحي) هذا، و مدته اختلافا كبيرا يجعلنا لا نعلم على أى واحد منها، و ها نحن نشير إليها بشكل ما:

سيد المرسلين، ج ١، ص ٣٨٢

(١) ١- ان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن اصحاب الكهف، و عن الروح، و عن قصة ذى القرنين فقال عليه الصلاة و السلام: سأخبركم غدا، و لم يستثن، فاحتبس عنه الوحي «١».

بناء على هذا لا يمكن ان نربط هذه المسألة ببدء الوحي و مطلع عهد الرسالة لان اتصال علماء اليهود و احبارهم مع النبي صلى الله عليه وآله عن طريق قريش و سؤالهم اياه حول هذه الامور الثلاثة، وقع في حدود السنة السابعة من البعثة يوم نوجه وفد من قريش إلى المدينة لیسألوا علماء اليهود عن صحه ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله، فاقترح اليهود عليهم ان يسألوا النبي عن تلك الامور الثلاثة «٢».

(٢) ٢- قالت خولة و هى امرأة كانت تخدم رسول الله صلى الله عليه وآله أن جروا دخل البيت فدخلت تحت السرير فمكث نبي الله صلى الله عليه وآله أياما لا ينزل عليه الوحي، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من البيت كنست خولة تحت السرير فاذا جرو ميت فأخذته و القته خلف الجدار فأنزل الله تعالى هذه السورة و لما نزل جبرئيل سأله النبي صلى الله عليه وآله عن التأخر فقال: «أما علمت أننا لا ندخل بيتا فيه كلب و لا صورة» «٣».

(٣) ٣- إن المسلمين قالوا: يا رسول الله، ما لك لا ينزل عليك الوحي؟ فقال:

«و كيف ينزل عليّ و أنتم لا تقصّون أظفاركم و لا تأخذون من شواربكم»؟ «٤» فنزل جبرئيل بهذه السورة.

(٤) ٤- اهدى عثمان الى النبي صلى الله عليه وآله عنقود عنب و قيل عذق تمر فجاء سائل فأعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم فقدهم إليه صلى الله عليه وآله ثانيا ثم عاد السائل فأعطاه و هكذا ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وآله: ملاطفا لا غضبان: أسائل أنت يا فلان أم تاجر؟ فتأخر الوحي أياما فاستوحش فنزلت

(١) روح المعاني: ج ٣٠ ص ١٥٧، السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣١٠ و ٣١١.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٠٠ و ٣٠١.

(٣) تفسير القرطبي: ج ١٠ ص ٨٣ و ٧١، السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٤٩.

(٤) نفس المصدر.

سيد المرسلين، ج ١، ص ٣٨٣

السورة «١».

(١) ٥- إن جروا لأحد نساء النبي صلى الله عليه وآله أو أحد أقربائه حال دون نزول الوحي عليه «٢».

(٢) ٦- إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سأل جبرئيل عن تأخر الوحي قال جبرئيل، لا املك من نفسي شيئاً إنما أنا عبد مأمور «٣».

ثم ان هناك أقوالاً أخرى يمكن الحصول عليها من مراجع التفاسير «٤».

ولكن الطبري نقل وجهاً آخر تمسك به المغرضون والمرضى من الكتاب واعتبروه دليلاً على طرود الشك على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أن الوحي انقطع عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد حادثه (حراء) فقالت خديجة للنبي صلى الله عليه وآله: ما أرى ربك إلا قد قلاك!!

فتزل الوحي يقول:

«ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى» «٥».

(٣) ومما يدل على أهداف هذا النوع من الكتاب، المريضة، أو عدم تتبعهم واستقصائهم، أنهم تمسكوا من بين جميع الأقوال بهذا الاحتمال، واستندوا إليه للحكم على شخصية كرسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم ير في حياته أي أثر للشك والحيرة مطلقاً.

(٤) وإنما مع ملاحظة النقاط التالية يمكننا أن نقف على بطلان هذا الاحتمال وتفاهته:

(٥) ١- لقد كانت السيدة خديجة من النساء اللواتي أحبين رسول الله صلى الله عليه وآله حبا صادقا وعميقا، فهي التي وفّت لزوجها حتى النفس الأخير،

(١) تفسير روح المعاني: ج ٣٠ ص ١٥٧.

(٢) غرائب القرآن في هامش تفسير الطبري: ج ٣٠ ص ١٠٨.

(٣) تفسير ابو الفتوح الرازي: ج ١٢ ص ١٠٨.

(٤) مجمع البيان: ج ١٠ تفسير سورة والضحي.

(٥) تفسير الطبري: ج ٣٠ ص ١٤٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٨٤

ووقفت ثروتها الطائلة لتحقيق أهدافه، وكانت في عام البعثة قد قضيت خمسة عشر عاما من حياتها الزوجية، ولم تر خديجة طوال هذه الفترة من زوجها إلا التقوى والطهر ولم تلمس منه إلا كرم الصفات ونبيل الاخلاق فقد كانت من المصدقين له صلى الله عليه وآله من أول يوم وكانت تراعى نهيها الأدب في تكليمها معه وعشرتها اياه صلى الله عليه وآله فكيف تتكلم مثل هذه المرأة المؤمنة الوفية، مع زوجها بغليظ القول، وتوجه له مثل هذه الكلمة غير المهذبة، بل والجارحة؟؟!

(١) ٢- إن آية: «ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى» لا تدل على أن «خديجة» قالت مثل هذا الكلام لرسول الله صلى الله عليه وآله، بل غاية ما تفيد هذه الآية هي أن مثل هذا الكلام قد وجه الى رسول الله صلى الله عليه وآله، وأما من هو القائل، ولما ذا قال هذا الكلام؟ فليس ذلك معلوماً.

(٢) ٣- إن ناقل هذه الرواية يصف «خديجة» تارة بأنها طمأن النبي، وسكنت من روعه إلى درجة أنها منعتة عن الانتحار، ولكنه يصفها تارة أخرى بانها قالت له: بأن الله عاداه وقلاه، ألا ينبغي هنا أن نقول: «كن ذكورا ثم أكذب»!؟

(٣) ٤- إذا كان الوحي قد انقطع بعد حادثه جبل (حراء) ونزول بضع آيات من سورة «العلق» إلى أن نزلت سورة «الضحى»، يتوجب في هذه الصورة- ان تكون سورة «الضحى» ثانياً سورة من حيث الترتيب التاريخي لنزول السور في حين أن تاريخ نزول الآيات و السور القرآنية يفيد أنها السورة الحادية عشرة من سور القرآن الكريم. لأن فهرس السور القرآنية حسب نزولها هو كالتالي:



١- العلق.

٢- القلم.

٣- المزمّل.

٤- المدثر.

٥- تبت (المسد).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٨٥

٦- التكوير.

٧- الاعلى.

٨- الانشراح.

٩- و العصر.

١٠- و الفجر.

١١- و الضحى «١».

نعم انفراد يعقوبى من بين المؤلفين باعتبار سورة الضحى - فى تاريخه - «٢» السورة الثالثة من حيث تاريخ النزول، و حتى هذا الرأى لا ينسجم مع القصة المذكورة (انقطاع الوحى).

(١)

### الاختلاف فى مدة انقطاع الوحى:

لقد تعرّض تحديد مدة انقطاع الوحى بشكله المزعوم لإبهام كبير، فقد ذكر ذلك بصور مختلفة فى التفاسير و الأقوال التالية هى:

٤ أيام.

١٢ يوما.

١٥ يوما.

١٩ يوما.

٢٥ يوما.

٤٠ يوما.

و لكن بعد دراسة فلسفة النزول التدريجى للقرآن الكريم سنرى أن انقطاع الوحى و توقفه لم يكن حدثا استثنائيا، لأن القرآن الكريم أعلن منذ أول يوم أن المشيئة الالهية تعلقت بأن ينزل القرآن بصورة تدريجية، منجّمة إذ يقول تعالى:

«وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ» «٣».

(١) تاريخ القرآن للزنجانى: ص ٥٨.

(٢) تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٣٣.

(٣) الاسراء: ١٠٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٨٦

و يكشف القرآن النقاب- فى موضع آخر- عن سرّ نزول القرآن تدريجا إذ قال:

«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا» (١).

(١) ومع ملاحظة طريقة نزول الآيات و السور القرآنية هذه يجب أن لا يتوقع نزول الآيات كل يوم و كل ساعة، و أن ينزل جبرئيل على النبي على الدوام، و يأتي إليه بالآيات دون انقطاع، بل إن الآيات القرآنية كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في فواصل زمنية مختلفة ووفقا للاحتياجات، و بحسب الأسئلة المطروحة على النبي، و لأسرار اخرى في النزول التدريجي شرحها علماء الإسلام (٢).

و في الحقيقة لم يكن هناك ما يسمى بانقطاع الوحي، بل كل ما كان في الأمر هو أنه لم يكن ثمة ما يوجب النزول الفوري، و المتلاحق للوحي.

(١) الفرقان: ٣٢.

(٢) راجع للوقوف على هذه المسألة معالم الحكومة الإسلامية: ص ١٢٢-١٢٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٨٧

(١)

## ١٤ الدعوة السرية و دعوة الأقرين

### إشارة

استمر النبي صلى الله عليه وآله يدعو إلى دينه سرًا مدة ثلاثة أعوام. فهو في هذه السنوات عمد إلى بناء الكوادر و اعدادها بدل توجيه الدعوة إلى عامة الناس، فإن اعتبارات معينة في ذلك الوقت كانت توجب أن لا يجهر بدعوته و لا يعلن عن رسالته، و يكتفى بالاتصالات الفردية السرية و يدعو اشخاصا معينين إلى دينه.

و قد كانت هذه الدعوة السرية هي السبب في أن ينجذب إلى الدين الإسلامي جماعة من الناس، و تواجه دعوته صلى الله عليه وآله منهم بالقبول، (٢) و قد سجل التاريخ أسماء هؤلاء السابقين الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، في هذه الفترة من عهد الرسالة، و تاريخ الإسلام، و إليك بعضهم:

١- السيدة خديجة بنت خويلد (زوجة النبي).

٢- علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣- زيد بن حارثة.

٤- الزبير بن العوام.

٥- عبد الرحمن بن عوف.

٦- سعد بن أبي وقاص.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٨٨

٧- طلحة بن عبيد الله.

٨- أبو عبيدة الجراح.

٩- أبو سلمة.

١٠- الأرقم بن أبي الأرقم.

١١- عثمان بن مظعون.

١٢- قدامة بن مظعون.

١٣- عبد الله بن مظعون.

١٤- عبيدة بن الحارث.

١٥- سعيد بن زيد.

١٦- خباب بن الارت.

١٧- أبو بكر بن أبي قحافة.

١٨- عثمان بن عفان.

وغيرهم من الذين قبلوا دعوة النبي، وآمنوا بنبوته في هذه الفترة «١».

(١) ولقد كان أقطاب قريش وأسيادها منهمكين - طيلة هذه الاعوام الثلاثة - في لهوهم ومجونهم، ومع أنهم كانوا قد عرفوا بعض

الشيء عن دعوة النبي السريّة إلّا أنهم لم يظهروا أيّة ردة فعل تجاهها، ولم يقوموا بشيء ضدها.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه السنوات التي تعتبر فترة صباغة الفرد يخرج مع بعض أتباعه إلى شعاب مكة

للصلاة فيها بعيدا عن أنظار قريش.

واتفق أن رأيهم بعض المشركين في ما كانوا يصلّون في شعب من شعاب مكة، واستنكروا عملهم هذا، وأدّى ذلك إلى منازعة

عابرة بينهم وبين المشركين جرح على أثرها أحد المشركين على يدى «سعد بن أبى وقاص» احد المسلمين، ومن هنا قرّر رسول الله

صلى الله عليه وآله اتخاذ بيت «الأرقم بن أبى الأرقم» محلا

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٤٥ و ٢٤٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٨٩

للعادة بدل شعاب مكة، ليستطيع القيام فيه بالتبليغ والعبادة بحريّة وأمان، بعيدا عن أعين المشركين «١».

ولقد كان «عمار بن ياسر» و «صهيب بن سنان» الرومى ممّن آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك البيت «٢».

(١)

## دعوة الأقربين:

### إشارة

يشرع العقلاء من الناس من اصحاب البرامج الواسعة والمشاريع الكبرى اعمالهم الكبرى - عادة - من بدايات صغيرة ونقاط محددة،

فإذا حقّقوا نجاحا في هذه البدايات بادروا الى توسيع نطاق نشاطهم فورا، وهكذا جنبا الى جنب مع النجاحات التي يحقّقونها في كل

خطوة يوسعون دائرة العمل، ويجتهدون في تحقيق المزيد من النجاح، والتكامل لما هم يصدده.

ولقد سأل أحد الشخصيات زعيما في دولة كبيرة من الدول الكبرى المعاصرة: ما هو سرّ نجاحكم في الاعمال الاجتماعية وما هو

الأمر الذي يساعدكم على النجاح في مشاريعكم؟

فأجابته ذلك الزعيم قائلا: ان طريقة عملنا نحن الغربيين تختلف عن طريقتكم انتم أهل الشرق، فنحن دائما نخطّط لمشاريع كبرى و

نبدأ من مكان صغير، و بعد إحراز النجاح نعلم إلى توسيع نطاق العمل، و اذا اكتشفنا في منتصف الطريق خطأ برنامجنا غيرنا أسلوب عملنا، و عدلنا إلى طريقة أخرى، و بدأنا بعمل آخر.

(٢) أما أنتم الشرقيون فتدخلون ساحة العمل في برامجكم الكبرى من مكان كبير، و تبدءون من نقطة واسعة، و تحاولون تطبيق مشروعكم جملة واحدة، فاذا واجهتم في خلال العمل طريقا مسدودة لم يكن في إمكانكم ان ترجعوا من

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٦١.

(٢) هذا البيت كان عند جبل الصفا، و كان معروفا إلى مدة ب: دار الخيزران» اسد الغابة: ج ٤ ص ٤٤، السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٩٢، السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٨٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٩٠

منتصف الطريق إلّا بتحمل خسائر كبرى فادحة.

(١) هذا مضافا إلى أن أنفسكم كأنها قد عجت بالعجلة و لذلك تودون قطف ثمار جهودكم و نتيجة عملكم في الحال دون ما صبر و ترقب و انتظار، و هذه هي بنفسها طريقة تفكير اجتماعية خاطئة، من شأنها أن تجعل الإنسان أمام طرق مسدودة كثيرة و غريبة. هذا ما قاله ذلك الغربي.

و لكن الذي نتصوره و نعتقد نحن هو: أن هذه الطريقة من التفكير لا ترتبط لا بالشرق و لا بالغرب، بل هي ميزة العقلاء الاذكياء من الناس، فانهم يعتمدون هذا الاسلوب لانجاح مهامهم، و تحقيق مقاصدهم.

و لقد اتبع قائد الإسلام الاكبر الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله هذه الطريقة في عمله الرسالي فركز جهده على الدعوة السرية إلى دينه مدة ثلاثة أعوام من دون تعجل، و كان يعرض دينه على كل من وجده أهلا للدعوة، و مستعدا من الناحية الفكرية للتبليغ. فرغم أنه كان يهدف الى تشكيل دولة عالمية كبرى ينضوي تحت لوائها (لواء التوحيد) جميع أفراد البشرية، إلّا أنه لم يعمد إلى الدعوة العامة طيلة هذه الأعوام الثلاثة، بل لم يوجه الدعوة الخاصة حتى إلى أقاربه، إنما اكتفى بالاتصال الشخصي بمن وجده مؤهلا و صالحا للدعوة، و مستعدا لقبول الدين، حتى أنه استطاع في هذه الأعوام الثلاثة أن يكسب فريقا من الأتباع من الذين اهتموا إلى دينه و قبلوا دعوته.

(٢) و قد كان زعماء قريش - كما اسلفنا- منهمكين طوال هذه الأعوام الثلاثة في اللذة و الهوى و كان فرعون «مكة» و طاغيتها: «أبو سفيان» و جماعته كلما سمعوا بالدعوة اطلقوا ضحكة استهزاء و قالوا لانفسهم: إنها أيام و تنطفئ بعدها شعله الدعوة هذه فورا تماما كما انطفأت من قبل دعوة «ورقة» و «امية» (اللذين أخذنا يحبذان الى العرب التوجه نحو المسيحية و نبذ الوثنية بعد أن قرء الانجيل و التوراة) و بالتالي لن يمر زمان حتى ينسى هذا الأمر، و يغدو خيرا بعد أثر، بل

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٩١

لا شيء يذكر.

بهذا التصور، و بهذه العقلية واجهت زعماء «مكة» دعوة النبي في البداية، (١) و لهذا لم يقيم زعماء قريش خلال هذه السنوات الثلاث بأي عمل عدائي ضد رسول الله صلى الله عليه و آله، بل ظلوا ينظرون إليه بنظر الاحترام، و يراعون معه قواعد الأدب و السلوك، و كان النبي هو أيضا لا يتعرض لأصنامهم و آلهتهم في هذه الأعوام الثلاثة بسوء و لا يتناولها بالنقد و الاعتراض بصورة علنية، بل كان مركزا جهده على الاتصال الشخصي بذوى البصائر من الأشخاص و هدايتهم إلى دينه الحنيف.

و لكن منذ أن بدأ النبي دعوة الأقرين و أخذ ينتقد و تيتهم، و يذكر أوثانهم بسوء و يعترض على تصرفاتهم الإنسانية أصبح حديث الألسن. و منذ ذلك اليوم أيضا بدأت يقظة قريش، و عرفوا أمر محمّد يختلف عن أمر «ورقة» و «امية» اختلافنا بينا و ان المبين

الدعوتين فرقا كبيرا، و لهذا بدأت المعارضة و المخالفة السرية و العلنية، لدعوة النبي.

و قد بدأ النبي صلى الله عليه وآله بكسر جدار الصمت بدعوة أقربائه إلى دينه ثم شرع بعد ذلك بدعوة الناس أجمعين.

(٢) على أنه ما من شك في أن الإصلاحات العميقة التي يراد لها ان تترك أثرا في جميع شئون الناس و كل مناحي حياتهم، و تغيير مسير المجتمع تحتاج قبل أى شىء إلى قوتين:

١- قوة البيان، بأن يستطيع الداعية و المصلح بيان الحقائق التي جاء بها من أفكاره الخاصة، أو ما تلقاه عن طريق آخر إلى الناس بأسلوب جذاب، يأسر القلوب، و يسحر العقول.

٢- القوة الدفاعية التي يستطيع تشكيل خط دفاعى منها عند التعرض لهجوم الأعداء و الخصوم، و فى غير هذه الصورة ستنتفضى شعله الدعوة و يفشل المصلح فى خطاه الاولى.

(٣) و لقد كان البيان لدى رسول الله صلى الله عليه وآله فى أعلى مرتبة من

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٩٢

الكمال فكان قادرا كأقوى خطيب على بيان تعاليم دينه للناس فى غاية الفصاحة و البلاغة. و لكنه كان يفتقر فى الأيام الاولى من دعوته إلى عنصر (القوة الثانية)، أى (القوة الدفاعية)، الرادعة الحامية، لأنه استطاع فى السنوات الثلاث الاولى من رسالته أن يضم إلى دعوته قرابة أربعين شخصا، و ذلك فى الظروف السرية الشديدة، و لا ريب ان تلك القلة القليلة من الاتباع لم تكن قادرة على أن تتولى مسئولية الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله، و حماية رسالته.

من هنا عمد رسول الله صلى الله عليه وآله - و بهدف تحصيل القوة الدفاعية المطلوبة و تشكيل النواة المركزية إلى دعوة أقربائه إلى دينه قبل التوجه بالدعوة إلى عامة الناس، ليمكن من هذا الطريق أن يزيل النقص من جهة عدم وجود القوة الثانية، و يكون منهم سياجا قويا يحفظه، و يحفظ رسالته من الأخطار المحتملة.

على أن فائدة هذه الدعوة كانت على الأقل دفع أبناء عشيرته إلى الدفاع عنه بدافع القربى و الرحم على فرض أنهم لم يؤمنوا برسالته، و لم يقبلوا دعوته.

(١) هذا مضافا إلى انه صلى الله عليه وآله كان يعتقد ان أى إصلاح و تغيير لا بد أن يبدأ من إصلاح الداخل و تغييره، فما لم يستطع الإنسان من إصلاح أبنائه و أقربائه و ردعهم عن قبائح الأفعال لا يمكن لدعوته أبدا أن تؤثر فى الأجانب و الأبعدين، لأن المناوئين سيعترضون عليه لدعوته فى هذه الحالة، و يشيرون إلى أفعال أبنائه و عشيرته.

من هنا أمره الله تعالى بأن يدعو عشيرته الأقربين إذ خاطبه قائلا:

«وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» (١).

كما أنه خاطبه بصدد دعوة الناس عامة بقوله:

«فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» (٢).

(١) الشعراء: ٢١٤.

(٢) الحجر: ٩٤ و ٩٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٩٣

(١)

كانت طريقة رسول الله صلى الله عليه وآله في دعوة عشيرته الأقرين بطريقة جميلة و ذكيه جدًا، فقد تجلت في ذلك حقيقة أوضحت اسرار هذه الدعوة في ما بعد أكثر فأكثر.

فإن المفسرين كتبوا عند قوله تعالى: «و انذر عشيرتک الاقربین» و كذا الأغلبية القريه للاجماع من المؤرخين أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وآله بأن ينذر عشيرته الأقرين و يدعوهم إلى دينه و رسالته فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله على بن أبي طالب الذي كان آنذاك في ربيعه الثالث عشر أو الخامس عشر بأن يعد طعاما و لبنا، ثم دعا صلى الله عليه وآله خمسة و أربعين رجلا من سراة بنى هاشم و وجوههم، و عزم على أن يبوح لضيوفه و يكشف لهم من امر رسالته في خلال تلك الضيافة إلا أنه - و للأسف - ما أن انتهوا من الطعام حتى بادر أبو لهب فتكلم بكلمات سخيفة قبل أن يتحدث النبي صلى الله عليه وآله مما جعل الجوّ غير مناسب لأن يطرح النبي صلى الله عليه وآله موضوع رسالته عليهم، فانفض المجلس دون تحقيق هذا الغرض.

(٢) و لما كان من غد أمر النبي عليا عليه السلام باعداد الطعام و اللبّن ثانياً، و كثر دعوة تلك الجماعة، إلى ضيافة اخرى، و بعد أن فرغوا من الطعام تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

«إن الرائد لا يكذب أهله و الله الّذى لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصية و إلى الناس عامّة و الله لثموتنّ كما تاملون و لتبعثنّ كما تستيقظون و لتحاسبنّ بما تعملون و إنها الجنة أبدا و النار أبدا».

ثم قال:

«يا بنى عبد المطلب انى و الله ما أعلم شابا في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، انى قد جئتكم بخير الدنيا و الآخرة و قد أمرنى الله عزّ و جلّ أن ادعوكم إليه فأيتكم يؤمن بى و يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٩٤

وصيى و خليفتى فيكم؟»

(١) و لما بلغ النبي صلى الله عليه وآله إلى هذه النقطة - و بينما أمسك القوم و سكتوا عن آخرهم اذ كان كل واحد منهم يفكر في ما يؤول إليه هذا الأمر العظيم، و ما يكتنفه من أخطار - قام «عليّ» عليه السلام فجاءه، و هو آنذاك في الثالثة أو الخامسة عشرة من عمره، و قال و هو يكسر بكلماته الشجاعة - جدار الصمت و الدهول -:

أنا يا رسول الله أكون وزيرك على ما بعثك الله.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: اجلس، ثم كثر دعوته ثانية و ثالثة و فى كل مرة يحجم القوم عن تلبية مطلبه، و يقوم «عليّ» و يعلن عن استعدادة لمؤازرة النبي، و يأمره رسول الله بالجلوس حتى إذا كان فى المرة الثالثة أخذ رسول الله بيده و التفت الى الحاضرين من عشيرته الاقربين و قال:

«إن هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم (أو عليكم) فاسمعوا له، و أطيعوا».

فقام القوم يضحكون، و يقولون لأبى طالب «قد أمرك أن تسمع لابنك و تطيع و جعله عليك أميراً» (١).

إن ما كتبه هو - فى الحقيقة - خلاصة لحديث مفصل رواه اكثر المفسرين و المؤرخين بعبارات مختلفة، و لم يشكك فى صحته أحد، بل اعتبروه من مسلمّات التاريخ، الا «ابن تيمية» الذى اتخذ موقفا خاص من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله و عليهم أجمعين.

(٢)

### خيانة تاريخية و جنابة أدبية!!

إن تحريف الحقائق و قلبها، أو إخفاء الوقائع لهو حقا من أوضح مصاديق

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣، تاريخ الكامل: ج ٢ ص ٤٠ و ٤١، مسند أحمد: ج ١ ص ١١١، و شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ١٣ ص ٢١٠ و ٢١١.  
سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٩٥  
الخيانة و الجناية.

و لقد سلك فريق من الكتياب المتعصبين عبر التاريخ للاسف مثل هذا الطريق المقبوح، و أسقطوا مؤلفاتهم العلميّة و التاريخيّة بارتكابهم خطيئة التحريف في جملة من الحقائق، من الاعتبار، و هم يخالون ان عملهم قادر على ان يبقى الحقائق في هالة الإهمال و الغموض.

إلّا أنّ أمر هؤلاء قد انكشف مع انقضاء الزمن، و تكامل العلم، و دفع بفريق من أهل التحقيق و الإنصاف الى أن يمزقوا بأطراف اقلامهم حجب الزيف و التحريف و يظهروا الوقائع و الحقائق على حقيقتها.  
(١) و إليك في ما يأتي بعض هذا الخيانات:

١- لقد ذكر محمّد بن جرير الطبري (المتوفى عام ٣١٠ هـ) في تاريخه حادثة دعوة الأقرين بشكل مفصل و على النحو الذي مرّ على القارئ الكريم.

بيد أنه حرّف في تفسيره (١) و كتم، فهو عند تفسير قوله تعالى: «و أنذر عشيرتک الأقرين» يذكر كلّ ما ذكره في تاريخه، و لكنّه يغيّر و يبدّل في قول رسول الله صلّى الله عليه و آله حيث يقول: «على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى»، فهو يكتب في تفسيره هكذا: «على أن يكون كذا و كذا».

و لا ريب ان في تغيير عبارة «أخى و وصيى و خليفتى عليكم (أو فيكم) إلى: «كذا و كذا» غرضاً مريضاً، و هو بالتالى خيانة تاريخية فاضحة.

(٢) على أن الطبري لم يكتف بهذا القدر من التغيير في كلام رسول الله صلّى الله عليه و آله، بل غير حتى في الجملة التي تعقبها و هي قوله صلّى الله عليه و آله بعد أن قام على عليه السلام للمرة الثالثة و أعلن عن استعداده لمؤازرة النبي بعد إحجام القوم و سكوتهم: «إن هذا أخى و وصيى و خليفتى» حيث أبدلها بعبارة: «إنّ هذا أخى و كذا و كذا!!!»

إن على المؤرخ أن يكون حراً و شهماً في كتابة الحقائق و روايتها، فيثبتها

(١) تفسير الطبري: ج ١٩ ص ٧٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٩٦

و يرويها كما هي، بكل شجاعة، و حيدة.

و لا ريب ان الذى دفع بالطبري إلى أن يرتكب مثل ذلك التبديل و التغيير هو تعصّبه المذهبي، فهو لا يعتبر الإمام عليّاً خليفه رسول الله بلا- فصل، و حيث أن تينك الكلمتين: «خليفتى و وصيى» تصرّحان بخلافه «على» للنبي و وصايته بلا فصل لذلك يغيّر و يبدّل حتى ينتصر لمذهبه بالتحريف في شأن نزول هذه الآية أيضاً.

(١) ٢- و لقد فعل ابن كثير (المتوفى عام ٧٣٢) نظير هذا في تاريخه «١» و كذا في تفسيره (ج ٣ ص ٣٥١) و سلك نفس الطريق الذى سلكه- من قبل- سلفه الطبري ضارباً عرض الجدار مبدأ أمانته النقل!!!

و نحن لا نعذر ابن كثير في عمله هذا أبداً، لأنه قد اعتمد- في رواياته التاريخية، في تاريخه و تفسيره معاً- تاريخ الطبري، لا تفسيره، و

لا شك أنه قد مرّ على هذه القصة في تاريخ الطبري، ولكنه مع ذلك حاد عن الطريق السوي فأعرض عن نقل رواية التاريخ- في هذه الحادثة- و عمد- بصورة غير متوقعة- الى نقل رواية التفسير!!!

(٢) ٣- والأغرب من تينك الخيانتين ما ارتكبه- في عصرنا الحاضر- وزير المعارف المصرية الأسبق الدكتور «هيكل» في كتابه «حياة محمّد»، و فتح بعمله باب التحريف في وجه الجيل الحاضر.

و العجب ان «هيكل» هاجم- في مقدمته- جماعة المستشرقين بشدة و انتقدهم بعنف لتحريفهم الحقائق التاريخية، و اختلافهم لبعض الوقائع في حين لم يقصر عنهم في هذا السبيل فهو:

(٣) أولاً: نقل الواقعة المذكورة (دعوة الاقربين المعروفة بحادثة يوم الدار أو حديث بدء الدعوة) في الطبعة الاولى من كتابه المذكور بصورة مبتورة و مقتضبة جدا و اكتفى من الجملتين الحساستين بذكر واحدة منهما فقط و هي: قول النبي مخاطباً

(١) البداية و النهاية: ج ٢ ص ٤٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٩٧

الحضور في ذلك اليوم: «من يؤازرنى يكون أخى و وصيى و خليفتى» بينما حذف بالمرّة الجملة التي قالها رسول الله صلى الله عليه و آله لعلى بعد أن قام للمرة الثانية و أعلن موازرتة للنبي و هي قوله صلى الله عليه و آله: «إنّ هذا أخى و وصيى و خليفتى»!!!

(١) ثانياً: أنه خطى في الطبعات الثانية و الثالثة و الرابعة، خطوة أبعد حيث حذف كلتا الجملتين معا و بهذا قد وجه ضربة كبرى إلى قيمته ككاتب. و قيمة كتابه، كدراسة تاريخية!!

(٢)

### النبوة و الإمامة توأمان:

إن الاعلان عن وصاية على عليه السلام و خلافته في مطلع عهد الرسالة و بداية أمر النبوة يفيد- بقوة و وضوح- أنّ هذين المنصبين ليسا بأمرين منفصلين، ففي اليوم الذي يعلن فيه رسول الله عن رسالته و نبوته، يعين خليفته و وصيه من بعده، و هذا يشهد- بجلاء- بأن النبوة و الإمامة يشكّلان قاعدة واحدة، و أنّ هذين المنصبين إنّ هما الّا كحلقتين متصلتين لا يفصل بينهما شيء.

كما أنّ هذه الحادثة تكشف- من جانب آخر عن مدى الشجاعة الروحية التي كان يتحلّى بها الإمام امير المؤمنين «على بن ابي طالب» عليه السلام، حيث قام- في مجلس أحجم فيه الشيوخ الدهاء و السادة المجربون عن قبول دعوة النبي صلى الله عليه و آله خوفاً و تهيّبا- و أعلن بكل شجاعة مؤازرتة للنبي، و استعداده للتضحية في سبيل دينه و رسالته و هو آنذاك غلام في ربيع الثالث أو الخامس عشر، و ما حابى أعداء الرسالة و لا ماشاهم كما فعل المصلحون من الساسة و الزعماء المتخوّفون على مصالحهم و مراكزهم آنذاك!!!

(٣) صحيح ان «علياً» عليه السلام كان في ذلك اليوم أصغر الحاضرين سنّاً إلّا أنّ معاشرته الطويلة للنبي قد هيأت قلبه لتقبّل الحقائق التي تردّد شيوخ القوم في قبولها، بل عجزوا عن دركها و فهمها!!

و لقد اعطى ابو جعفر الإسكافي حق الكلام في هذا المجال اذ قال:

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٣٩٨

فهل يكلف عمل الطعام، و دعاء القوم صغير غير ممّيز، و غير عاقل، و هل يؤتمن على سرّ النبوة طفل ... و هل يدعى في جملة الشيوخ و الكهول إلّا عاقل لبيب، و هل يضع رسول الله صلى الله عليه و آله يده في يده، و يعطيه صفقة يمينه بالاخوة و الوصية، و الخلافة، الا و هو أهل لذلك، بالغ حدّ التكليف، محتمل لولايه الله، و عداوة أعدائه، و ما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه و لم يلصق بأشكاله، و لم ير مع الصبيان في ملاعبهم بعد اسلامه، و هو كأحدهم في طبقته كبعضهم في معرفته، و كيف لم ينزع إليهم في ساعة



من ساعاته بل ما رأيناه إلا ماضيا على اسلامه، مصمما في أمره، محققا لقوله بفعله، قد صدق اسلامه بعفاهه و زهده، و لصق برسول الله صلى الله عليه و آله من بين جميع من حضرته فهو أمينه و أليفه في دنياه و آخرته «١».

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ١٣ ص ٢١٥ و ٢٩٥.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٣٩٩

(١)

## ١٥ الدعوة العامة

### إشارة

كان قد انقضى ثلاث سنوات على بدء البعثة يوم عمد رسول الله صلى الله عليه و آله الى دعوة الناس عامة بعد دعوة عشيرته الاقربين. فقد استطاع خلال السنوات الثلاث الاولى من عمر الدعوة أن يهدى- من خلال الاتصالات السريّة- مجموعة من الاشخاص إلى الإسلام و لكنّه دعا هذه المرّة و بصوت عال عامة الناس إلى دين التوحيد. فقد وقف ذات يوم على صخرة عند جبل الصفا و نادى بصوت عال:

يا صباحاه (و هي كلمة كانت العرب تطلقها كلّما أحسّت بخطر، أو بلغها نبأ مرعب فكانت هذه الكلمة بمثابة جرس الخطر) «١» فلفت نداء النبي صلى الله عليه و آله هذا نظر الناس فاجتمع حوله جماعة من أبناء القبائل المختلفة و قالوا له: مالك؟

فقال صلى الله عليه و آله: أ رأيتكم إن أخبرتكم أنّ العدوّ مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدّقونني؟

(١) قال الجزري في النهاية: ج ٢ ص ٢٧١: صعد النبي صلى الله عليه و آله على الصفا و قال:

يا صباحاه؛ هذه كلمة يقولها المستغيث، و أصلها إذا صاحوا للغارة لانهم اكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح و يسمّون يوم الغارة يوم الصباح، فكان القائل: يا صباحاه يقول: قد غشنا العدو.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٤٠٠

قالوا: بلى.

قال: فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

ثم قال: إنما مثلي و مثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه إلى أهله فجعل يهتف: وا صباحاه «١». و لقد كانت قريش تعرف عن دينه بعض الشيء، قبل هذا و لكنها تملّكها الخوف هذه المرّة، و هي تسمع ذلك الانذار القويّ فبادر أحد قادة الكفر إلى تبديد تلك المخاوف فورا إذ قال لرسول الله صلى الله عليه و آله: تبا لك، أ لهذا دعوتنا؟، و تفرّق على أثرها الناس.

(١)

### الثبات و الاستقامة على طريق الهدف:

إن نجاح أي شخص مرهون بأمرين:

الأول: الايمان بالهدف.

و الثاني: الاستقامة و الثبات و السعى الدائب لتحقيق ذلك.

إنّ الإيمان هو المحرّك الباطني و القوة الخفية التي تجر الإنسان شاء أم لم يشأ نحو الغاية التي يتوخاها، و تسهّل عليه الصعاب، و تدعوه إلى العمل الدائب لتحقيق مقصوده، لأنّ شخصا كهذا يعتقد اعتقادا قويا بأنّ سعادته، و مجده يتوقّفان على ذلك.

و بعبارة اخرى: إذا آمن انسان بأن سعادته و مجده يتوقّفان على تحقيق هدف معيّن فانه سيندفع بقوة الإيمان نحو تحقيق ذلك الهدف، متجاوزا كل الصعاب، و متحديا كل المشكلات في ذلك السبيل.

فالمريض الذي يرى شفاءه في شرب دواء مرّ مثلا سيستسهل شربه.

و الغوّاص الذي يعتقد اعتقادا جازما بأن ثمة دررا غالية الثمن تحت أمواج البحر سيلقى بنفسه في قلب تلك الأمواج دون ما خوف أو وجل، ليخرج منها بعد

(١) السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٩٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٠١

دقائق ظافرا بأعلى الجواهر.

بينما إذا كان المريض أو الغوّاص يشكّ في عمله، أو يعتقد بعدم فائدته، فإنّه لن يقدم عليه قط و اذا ما أقدم فان عمله سيكون حينئذ مقرونا بالجهد و العناء.

فقوة الإيمان اذن هي التي تدلّل كل مشكل، و تسهّل كلّ صعب.

غير أنه لا- ريب في أنّ الوصول إلى الهدف لا- يخلو من مشكلات و موانع، فلا- بدّ من السعى لرفع تلك الموانع، و إزالة تلك المشكلات.

و قد قيل قديما: أنّ مع كل وردة أشواك، فكيف يمكن قطف وردة دون أن تدمى أنامل القاطف بالأشواك المحيطة بها؟؟

هذا و قد بيّن القرآن الكريم هذه المسألة (و هي ان رمز السعادة هو: الإيمان بالهدف و الثبات في طريق تحقيقه) في جملة قصيرة اذ قال:

«إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ» (١).

(١)

### نبات النبي صلى الله عليه وآله و صبره:

لقد أدّت اتّصالات النبيّ صلى الله عليه وآله الخاصّة. قبل الدعوة العامّة، و جهوده الكبرى بعد الجهر بالدعوة، إلى ظهور و تكوين صفّ مرصوص من المسلمين في وجه صفوف الكفر، و الوثنيّة.

فألّذين دخلوا سرّاً في حوزة الإسلام و الإيمان قبل الدعوة العامّة تعرّفوا على المسلمين الجدد الذين لبّوا داعي الإسلام بعد إعلان الرسالة، و شكّل القدامى و الجدد جماعة قوية متعاطفة متحابية، و كان ذلك بمثابة إنذار لأوساط الكفر و الشرك و الوثنيّة، أربكها و جعلها تشعر بالخطر.

على أنّ ضرب نهضة ناشئة و القضاء عليها كان أمرا سهلا لقريش، و لكنّ الذي أربق قريشا و منعها من توجيه مثل هذه الضربة هي أنّ أفراد هذه

(١) فصلت: ٣٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٠٢

الجماعة، و عناصر هذه النهضة لم يكونوا من قبيلة واحدة، ليتمكن مواجهتها و ضربها بكل قوة، بل انتمى من كل قبيلة إلى الإسلام، عدد من الأفراد، و من هنا لم يكن اتخاذ أى قرار حاسم بحقهم أمرا سهلا و بسيطا.

(١) من هنا قرّر سادة قريش و كبارؤها- بعد تداول الأمر فى ما بينهم- أن يبدءوا بالقضاء على أساس هذه الجماعة، و محرّك هذا الحزب، و الداعى إلى هذه العقيدة بمختلف الوسائل فيحاولوا ثنيه عن دعوته بالاغراء و التطميع تارة و يمنعوا من انتشار دينه بالتهديد و الايذاء تارة اخرى.

و قد كان هذا هو برنامج قريش و موقفها من الدعوة طيلة عشر سنوات و هى المدة المتبقية من سنوات البعثة من الفترة المكية، الى ان قررت بالتالى قتله، و لكنه استطاع ان يبطل مؤامرتهم بالهجرة إلى المدينة قبل أن يتمكنوا من القضاء عليه.

(٢) و لقد كان «أبو طالب» آنذاك زعيم بنى هاشم و رئيسها المطلق، و كان رجلا طاهر القلب على الهمة، شجاعا، كريما، و كان بيته ملجأ دافئا للمحرومين و المستضعفين، و ملاذا أمينا للفقراء و الأيتام، و كان يتمتع فى المجتمع العربى- علاوة على رئاسة مكة و بعض مناصب الكعبة- بمكانة كبرى و منزلته عظيمة، و حيث أنه كان كفيلا لرسول الله صلى الله عليه و آله بعد وفاة جدّه «عبد المطلب»، لذلك حضر سادة قريش بصورة جماعية «١» عنده و قالوا له:

«يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا، و عاب ديننا، و سقه أحلامنا و ضلل آباءنا، فأما أن تكفه عنا، و إما أن تحلّى بيننا و بينه».

(٣) و لكن «أبا طالب» قال لهم قولا رقيقا و ردّهم ردّا جميلا حكيما، فانصرفوا عنه.

بيد أن نفوذ الإسلام و انتشاره كان يتزايد باستمرار، و كانت جاذبيّة الدين المحمّدى، و بيان القرآن البليغ يساعدان على ذلك، فيترك اثره فى الناس،

(١) ادرج ابن هشام فى سيرته: ج ١ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ اسماءهم بالتفصيل.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٠٣

و خاصة فى الأشهر الحرم حيث تفد الحجيج على مكة من مختلف أنحاء الجزيرة، و كان النبى صلى الله عليه و آله يعرض دينه عليهم، فكانت أحاديثه الجذابة، و كلماته البليغة، و دينه المحبّب تؤثر فى قلوب كثير منهم، فيميلون إلى الإسلام و يقبلون دعوة الرسول.

(١) و هنا أدرك طغاة مكة و فراعنتها أن «محمّدا» قد بدأ يفتح له مكانا فى قلوب جميع القبائل، و أصبح له انصار و أتباع فى كثير منها، ممّا دفعهم مرّة اخرى إلى الحضور عند «أبى طالب» حاميه الوحيد، و تذكيره بالإشارة و التصريح بالاطار المحدقة باستقلال المكّيين و عقائدهم نتيجة نفوذ الإسلام و انتشاره فقالوا له أجمع:

يا أبا طالب، إن لك سنّا، و شرفا، و منزلة فينا، و إنّنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، و إنا و الله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، و تسفيه أحلامنا و عيب آلهتنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله و إيّاك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.

(٢) فأدرك حامى الرسول الوحيد- بذكائه و فطنته- أنّ عليه أن يصبر أمام جماعة ترى وجودها، و مصالحها فى خطر، من هنا عمد إلى مسالمتهم و ملاطفتهم، و وعد بأن يبلغ ابن أخيه «محمّدا» كلامهم. و قد كان هذا محاولة من «أبى طالب» لتسكين غضب تلك الجماعة الغاضبة و إطفاء نائرتهم، و تهدئة خواطرهم، ليتّم معالجة هذه المشكلة- بعد ذلك- بطريقة أصح، و أفضل.

و لهذا أقبل- بعد خروج تلك الجماعة من عنده- على ابن أخيه، و ذكر له ما قال له القوم، و هو يريد- بذلك ضمنا- اختبار إيمان «محمّد» بهدفة، فكان الردّ العظيم، و الجواب الخالد الذى يعتبر من أسطع و ألمع السطور فى حياة قائد الإسلام الاكبر «محمّد» رسول

اللّٰهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، حَيْث قَالَ لَعَمْرِهِ بَعْدَ أَنْ سَمِعَ مَقَالَهٗ قَرِيْشَ:

«يَا عَمَّ، وَ اللّٰهُ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِيْنِي، وَ الْقَمَرَ فِي يَسَارِي، عَلَيَّ أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَظْهَرَ اللّٰهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتَهُ».

ثُمَّ اغْرورَقَتْ عَيْنَاهُ الشَّرِيْفَتَانِ بِدُمُوعِ الشُّوْقِ وَ الْحُبِّ لِلْهَدَفِ، وَ قَامَ وَ ذَهَبَ

سَيِّدَ الْمُرْسَلِيْنَ، ج ١، ص: ٤٠٤

مِنْ عِنْدِ عَمِّهِ.

وَ كَانَ لِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ الصَّادِقَةِ النَّافِذَةِ أَثْرٌ عَجِيْبٌ فِي نَفْسِ زَعِيْمِ مَكَّةَ وَ سَيِّدِهَا الْوَقُورِ بَحِيْثِ نَادِي ابْنِ أَخِيهِ، وَ أَظْهَرَ لَهُ اسْتِعْدَادَهُ

الْكَامِلَ لِلْوُقُوفِ إِلَى جَانِبِهِ، وَ الْحَدْبَ عَلَيْهِ رَغْمَ كُلِّ الْمَخَاطِرِ، وَ الْمَتَاعِبِ الَّتِي كَانَتْ تَكْمُنُ لَهُ إِذْ قَالَ:

«اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي فَقُلْ مَا أَحْبَبْتُ فَوَ اللّٰهُ لَا اسْلَمَكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا».

(١)

### قريش تمشي إلى أبي طالب للمرة الثالثة:

لَقَدْ أَقْلَقَ انْتِشَارَ الْإِسْلَامِ الْمَتْرَائِدَ قَرِيْشًا، وَ دَفَعَهَا إِلَى التَّفَكِيْرِ فِي حَيْلَةٍ، فَاجْتَمَعَ أَشْرَافُهَا وَ سَادَتُهَا لِلتَّشَاوُرِ مَرَّةً أُخْرَى وَ قَالُوا:

لَعَلَّ كِفَالَةَ أَبِي طَالِبٍ لِمُحَمَّدٍ هِيَ الَّتِي تَدْفَعُهُ إِلَى الدِّفَاعِ عَنْهُ وَ حِمَايَتِهِ وَ الْوُقُوفِ إِلَى جَانِبِهِ فِي دَعْوَتِهِ، فَكَيْفَ لَوْ مَشُوا إِلَيْهِ بِأَجْمَلِ فِتْيَانِ

مَكَّةَ، وَ طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَأْخُذَهُ بِدَلِّ «مُحَمَّدٍ» وَ يَسْلَمَهُ إِلَيْهِمْ لِيُرَوْا فِيهِ رَأْيَهُمْ، وَ لِهَذَا مَشُوا إِلَى أَبِي طَالِبٍ بِعِمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيْرَةِ فَقَالُوا

لَهُ:

يَا أَبَا طَالِبٍ هَذَا عِمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ أَنْهَدَ فَتَى فِي قَرِيْشٍ وَ أَجْمَلُهُ، فَخُذْهُ فَلَكَ عَقْلُهُ وَ نَصْرُهُ، وَ اتَّخُذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ، وَ اسْلَمْ إِلَيْنَا ابْنَ

أَخِيكَ هَذَا، الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ، وَ سَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ فَنَقَلْتَهُ، فَانْمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ!!

فَأَجَابَهُمْ أَبُو طَالِبٍ وَ هُوَ مُسْتَاءٌ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاوِمَةِ الظَّالِمَةِ:

«هَذَا وَ اللّٰهُ لَبِئْسَ مَا تَسُومُونَنِي! أَعْطُونِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ لَكُمْ، وَ اعْطِيْكُمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ، هَذَا وَ اللّٰهُ مَا لَا يَكُونُ أَبَدًا».

فَقَالَ «الْمَطْعَمُ بْنُ عَدَى بْنِ نَوْفَلٍ»: وَ اللّٰهُ يَا أَبَا طَالِبٍ لَقَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ، فَمَا أَرَاكَ تَرِيدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا.

فَأَجَابَهُ أَبُو طَالِبٍ قَائِلًا: وَ اللّٰهُ مَا أَنْصَفُونِي وَ لَكِنِّكَ قَدْ أَجْمَعْتَ خِذْلَانِي، وَ مَظَاهِرَةَ الْقَوْمِ عَلَيَّ فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ «١».

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٦٧ و ٦٨، السيرة النبوية لابن هشام: ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٠٥

(١)

### قريش تحاول تطبيع رسول الله!

وَ لَمَّا عَلِمَتْ قَرِيْشٌ بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ ارْتِضَاءُ «أَبِي طَالِبٍ» بِخِذْلَانِ ابْنِ أَخِيهِ «مُحَمَّدٍ»، فَهُوَ وَ إِنْ كَانَ لَا يَتَظَاهَرُ بِالْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنَّهُ يَكُنَّ لِابْنِ

أَخِيهِ، وَدَا عَمِيْقًا، وَ مَحَبَّةً كَبِيْرًا مِنْ هُنَا قَرَّرُوا بِأَنْ يَتْرَكُوا مَفَاوِضَهُ، إِلَّا أَنَّهُمْ فَكَّرُوا فِي خِطَّةٍ أُخْرَى وَ هِيَ أَنْ يَحَاوِلُوا إِثْنَاءَ النَّبِيِّ عَنْ

الْمَضِيِّ فِي دَعْوَتِهِ بِتَطْمِيْعِهِ بِالْمَنَاصِبِ، وَ الْهَدَايَا، وَ الْأَمْوَالِ وَ الْفَتِيَّاتِ الْجَمِيْلَاتِ، وَ لِهَذَا مَشُوا إِلَى بَيْتِ «أَبِي طَالِبٍ» وَ دَخَلُوا عَلَيْهِ وَ

مُحَمَّدٌ جَالِسٌ إِلَى جَنْبِهِ فَتَكَلَّمَ مِتْكَلِّمَهُمْ وَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ انا بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنَكَلِّمَكَ، فَانَا وَ اللّٰهُ لَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مَا

ادْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ لَقَدْ شَتَمْتَ الْأَبَاءَ، وَ عَيَّبْتَ الدِّينَ، وَ سَبَبْتَ الْأَلْهَةَ، وَ سَفَهْتَ الْأَحْلَامَ، وَ فَرَقْتَ الْجَمَاعَةَ وَ لَمْ يَبْقَ أَمْرٌ قَبِيْحٌ إِلَّا أَتَيْتَهُ

فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون اكثر مالا، وان كنت انما تطلب الشرف فينا فنحن نسودك ونشرفك علينا، وان كان هذا الذي ياتيك تابعا من الجن قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طبعك.

(٢) فقال ابو طالب لرسول الله صلى الله عليه وآله أى ابن أخى ما بال قومك يشكونك، يزعمون انك تشتم آلهم وتقول وتقول؟

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا عم أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى إليهم بها العجم الجزية.

ففرغوا لكلمته، و لقوله فقال القوم كلمة واحدة: نعم وأبيك عشا.

قالوا: فما هي، فقال أبو طالب: و أى كلمة هي يا ابن أخى؟

قال: «لا إله إلا الله».

فكان هذا الرد مفاجئة قوية لذلك الفريق الذى يأمل فى صرف النبى صلى الله عليه وآله عن هدفه، ولهذا قاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: «أجعل الآلهة إلهها واحدا إن هذا لشيء عجاب» (١).

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٠٣، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٦٥ و ٦٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٠٦

(١)

### نماذج من إيذاء قريش وتعذيبها للمسلمين:

يوم صدع رسول الله صلى الله عليه وآله بما امر، و جهر بدعوته للناس و أيس سادة قريش من قبوله لأى اقتراح من اقتراحاتهم بعد ما سمعوه يقول: «و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته» بدأ فى الحقيقة واحدا من أشد فصول حياته، و اكثرها متاعب و مصاعب، لأن قريشا كانت لا تزال إلى ذلك الوقت تراعى حرمة و تحترمه، و تسيطر على أعصابها، و لكنها عند ما فشلت فى خططها لجزءه إلى مساومتها اضطرت إلى تغيير نهجها و اسلوبها معه لتقف دون انتشار دينه مهما كلف من الثمن مستفيدة فى هذا السبيل من كل الوسائل الممكنة.

من هنا قرّر سادة قريش بالاجماع أن يتوسلوا بسلاح الاستهزاء و السخرية، و الإيذاء و التهديد، بهدف صرفه عن المضى فى دعوته (١).

و لا يخفى أن المصلح الذى يفكر فى هداية العالم البشرى كله يجب ان يتزود بقدر كبير من الصبر و التحمل، أمام جميع المشكلات و المتاعب، و المكاره و الشدائد ليتغلب عليها شيئا فشيئا، كما كان دأب كل المصلحين الآخرين.

و نحن هنا نورد طرفا من أذى قريش لرسول الله و أتباعه ليتضح مدى صبر النبى صلى الله عليه وآله و ثباته، و استقامته على طريق الدعوة.

(٢) و لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتمتع - مضافا إلى العامل الروحى و المعنوى الباطنى الذى كان يساعده من الداخل أعنى الإيمان و الصبر و الاستقامة و الثبات - بعامل خارجى تولى حراسته و حمايته و ذلك حماية بنى هاشم، و على رأسهم أبو طالب له صلى الله عليه وآله، لأنه عند ما عرف «ابو طالب» بعزم قريش القاطع على إيذاء ابن أخيه (محمّد) دعا بنى هاشم عامة، و طلب منهم جميعا حماية النبى صلى الله عليه وآله و آله و القيام دونه، فلبوا نداء سيدهم، و أجابوه

(١) راجع لمعرفة ابرز من كان يؤذى النبي و المسلمين المحبر: ص ١٥٧ و ١٦١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٠٧

إلى ما دعاهم من حماية رسول الله و حراسته بعض بدافع الايمان و آخر بدافع الرحم، أأ «أبو لهب» و رجلان آخران انضموا إلى اعداء النبي صلى الله عليه و آله و لكن هذا السياج الدفاعي لم يقدر- مع ذلك- على صيانتة صلى الله عليه و آله من بعض الحوادث المرّة، لأن قريشا ألحقت به الأذى، و أنزلت به مكروها، كلما وجدته وحيدا بعيدا عن أعين حماته.

و إليك فيما يأتي بعض النماذج من ذلك الأذى:

(١) ١- مَرَّ «أبو جهل» برسول الله صلى الله عليه و آله عند الصفا، فآذاه و شتمه و نال منه ببعض ما يكره من العيب لدينه، و التضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه و آله و مولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك، ثم انصرف عنه، فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة، فجلس معهم، فلم يلبث «حمزة بن عبد المطلب» رضى الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له، و كان صاحب قنص يرميه و يخرج له، و كان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، و كان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف و سلم و تحدّث معهم، و كان أعز فتى في قريش، و أشدّ شكيمة. سيد المرسلين ج ١، ص ٤٠٧ نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين: ..... ص : ٤٠٦

(٢) فلما مرّ بالمولاة، و قد رجع رسول الله صلى الله عليه و آله إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة (و تلك هي كنيته) لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمّد آنفا من أبي الحكم بن هشام (و تعنى أبا جهل): وجده هاهنا جالسا فآذاه و سبه، و بلغ منه ما يكره، ثم انصرف عنه و لم يكلمه محمّد صلى الله عليه و آله.

فغضب «حمزة» لذلك، فخرج يسعى و لم يقف على أحد معدّا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع به.

فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم، فاقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجّة منكرة، ثم قال: «أ تشتمه و أنا على دينه أقول ما يقول. فردّ ذلك على أن استطعت».

فقامت رجال من بنى مخزوم إلى «حمزة» لينصروا «أبا جهل» فقال أبو جهل:

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٠٨

دعوا أبا عمارة فاني قد سببت ابن أخيه سبّا قبيحا «١». و بهذا منع «أبو جهل» الذي كان ممن يدرك خطورة مثل هذه المواقف من وقوع شجار و قتال.

(١) إن التاريخ الثابت و المسلم يشهد بأن وجود رجال ذوى بأس و قوة بين صفوف المسلمين مثل «حمزة» الذي أصبح في ما بعد من كبار قادة الإسلام، قد كان له أثر كبير في حفظ الإسلام، و الحفاظ على حياة الرسول صلى الله عليه و آله و دعم جماعة المسلمين، و تقوية جناحهم، فهذا ابن الاثير «٢» يقول عن حمزة: لما اسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه و آله قد عزّ و امتنع فكفوا عما كانوا يتناولون منه.

من هنا أخذت قريش تفكّر في إعداد خطط اخرى لمواجهة قضية الإسلام و المسلمين، سندكرها في المستقبل.

(٢) هذا و يرى بعض المؤرّخين مثل ابن كثير الشامي «٣» على أن ردود فعل إسلام «أبى بكر» و «عمر» و أثرهما لم تكن بأقل من تأثير إسلام «حمزة»، و أنّ الدين قوى جانبه باسلام هذين الرجلين، و كسب المسلمون بذلك القوة و الحرّيّة في العمل و التحرك، و الحقيقة انه لا شك في انه لكل فرد تأثيره في تقوية و دعم الإسلام، إلا أنه لا يمكن- القول بحال بأن تأثير إسلام الشيخين كان يعدل تأثير إسلام «حمزة»، فإن «حمزة» ما ان سمع بأن قريشا أساءت إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و آله و توجه، من دون أن يعرّج على أحد، إلى المسىء و انتقم منه في الحال أشدّ انتقام، و لم يجراً أحد على الوقوف في وجهه و منع المسىء منه، و من غضبه و انتقامه، بينما يكتب ابن هشام في سيرته عن «أبى بكر» امرا يكشف عن أن «أبا بكر» يوم دخل في صفوف المسلمين لم يكن قادرا على حماية

نفسه، ولا على الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله. (٣) وإليك نص الواقعة:

مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم على جماعة من قريش وهم جلوس عند الحجر، فوثبوا إليه وثب رجل واحد، وأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول:

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٧٢.

(٢) الكامل لابن الأثير: ج ٢ ص ٥٦.

(٣) البداية والنهاية: ج ٢ ص ٢٦ و ٣٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٠٩.

كذا وكذا، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم أنا الذي أقول ذلك، فأخذ رجل منهم بمجمع رداءه (وهم يقصدون قتله) فقام «أبو بكر» دونه وهو يبكي ويقول: أ تقتلون رجلاً يقول ربّي الله؟ فانصرفوا عنه (و لم يقتلوه لأمر رأوه)، فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منزله، ورجع «أبو بكر» يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه. (١)

(١) إن هذه الرواية التاريخية إذا دلت على مشاعر الخليفة تجاه النبي صلى الله عليه وآله إلا أنها تدل قبل أي شيء على عجزه و ضعفه.

إنه يدل على أنه لم يملك ذلك اليوم لا أية مقدرة بدنية وروحية، ولا أية مكانة اجتماعية ترهب، وحيث أن إلحاق الأذى بشخص رسول الله صلى الله عليه وآله كان ينطوي - في نظر قريش ذلك على عواقب لا تحمد - لذلك تركوا رسول الله، ووجهوا ضربتهم إلى رفيقه و صدعوا فرق رأسه.

و لو أنك قارنت بين هاتين الحادتين و قايست بين موقف «حمزة» الشجاع و موقف الخليفة الأول هذا لاستطعت أن تقضى بسهولة بأن عزة الإسلام و قوة المسلمين، و تعزيز موقفهم، و خوف الكفار كان يعود إلى إسلام أي واحد من ذينك الرجلين؟ (٢) هذا و ستقرأ في القريب العاجل كيفية إسلام «عمر». و ستري بأن إسلامه - كإسلام صديقه - لم يزد هو الآخر من قدرة المسلمين الدفاعية، و أنهم بالتالي لم يعترفوا بإسلامه.

فيوم أسلم «عمر» كاد أن يقتل لو لا «العاص بن وائل السهمي» لأنه هو الذي خاطب الذين قصدوا قتل «عمر» قائلاً: رجل اختار لنفسه أمراً فما ذا تريدون منه؟ أترون بني عدّي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا، خلّوا عن الرجل» (٢).

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٨٩ و ٢٩٠، و قد ذكر الطبري في تاريخه: ج ٢ ص ٧٢ قصة صدع رأس أبي بكر بالتفصيل فراجع.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٤٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤١٠.

إن هذه العبارة التي قالها «العاص» لانقاذ الخليفة الثاني من أيدي الذين اجتمعوا على قتله تفيد - بوضوح - أن الخوف من قبيلة «عمر» هو الذي كان وراء تركهم إياه و عدم قتله، و قد كان دفاع القبائل عن أبنائها سنة فطرية و عادة متعارفة يومذاك و كان يتساوى فيها الكبير و الصغير، و الشريف و الوضيع.

أجل إن بني هاشم هم كانوا - في الواقع - الحصن الحقيقي للمسلمين، و قد كان القسط الأكبر من هذا الأمر يتحملة «أبو طالب» و ذووه، و إلا فإن الأشخاص الآخرين الذين كانوا ينضمون إلى صفوف المسلمين لم يكن لديهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم، فكيف بالدفاع عن الإسلام و جماعة المسلمين ليقال: أن المسلمين اعترفوا بهم؟



(١)

**أبو جهل يكمن لرسول الله:**

لقد أغضب تقدم الإسلام المطرد قريشا بشده فلم يمر يوم دون أن يبلغهم نبأ عن انضمام واحد من أفراد قريش الى صفوف المسلمين ولأجل هذا راح مرجل الغضب والحقن على النبي صلى الله عليه وآله يغلى في نفوسهم، فهذا فرعون مكة «أبو جهل» يقول لقريش في مجلس من مجالسهم: يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلّا ما ترون من عيب ديننا، و شتم آبائنا، و تسفيه أحلامنا، و شتم آلهتنا، و إنى اعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما اطيع حمله فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه.

(٢) فلما كان من غد أخذ «أبو جهل» حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وآله ينتظره، و غدا رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله على عادته و وقف للصلاة بين الركن اليمانيّ و الحجر الأسود، و غدت تلك الجماعة من قريش فجلست في أندية تنتظر ما ابو جهل فاعل، فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وآله أحتمل «أبو جهل» الحجر، ثم أقبل نحوه، حتى إذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه، مرعوبا و قذف الحجر من يده، فقامت إليه رجال من قريش و قالوا له: مالك يا أبا الحكم؟ فقال بصوت ضعيف يطفح بالخوف و الرعب: قمت إليه

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤١١

لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه ما لا رأيت مثله حياتى، فتركته!! «١».

إنه ليس من شك في أن قوة غيبية أدركت رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر الله تعالى في تلك اللحظة، و صورت ذلك المنظر الرهيب و حفظت رسول الله صلى الله عليه وآله كما وعده تعالى وعدا لا خلف فيه اذ قال: «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» «٢».

(١) وهناك نماذج كثيرة من أذى قريش لشخص رسول الله صلى الله عليه وآله و آله سجلها التاريخ في صفحاته، و قد عقد «ابن الأثير» «٣» فصلا خاصا لهذا الموضوع ذكر فيه أسماء أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله الألداء، في مكة، و بين أنواع ما كانوا يؤذون به النبي صلى الله عليه وآله، و ما قد مر ذكره في الصفحات السابقة ما هو إلّا أمثلة على ذلك، فقد كان صلى الله عليه وآله يواجه في كل يوم نوعا خاصا من الأذى، و المضايقة.

فقد روى أن النبي صلى الله عليه وآله كان يطوف ذات يوم فشمته «عاقبة بن أبي معيط» و ألقى عمامته في عنقه، و جرّه من المسجد، فأخذوه من يده، خوفا من بنى هاشم «٤».

**أبو لهب يؤذى رسول الله:**

(٢) و لقد تعرّض رسول الله صلى الله عليه وآله لأذى لا مثيل له من جانب عمه «أبي لهب» و زوجته «أم جميل» و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخاله و آله يجاورهم، فلم يألوا جهدا في إزعاجه و إيذائه فكم من مرّة و مرة ألقيا الرماذ

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٩٨ و ٢٩٩.

(٢) الحجر: ٩٥.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٤٧ كما و عقد المجلسي رحمه الله في البحار: ج ١٨ بابا خاصا بعنوان:

«باب المبعث و اظهار الدعوة و ما لقي صلى الله عليه وآله من القوم» راجع من صفحة ١٤٨ الى صفحة ٢٤٣

(٤) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٩٣ نظيره.



سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤١٢

و التراب على رأسه الشريف و تيابه. و كم من مرّة نشرت أم جميل الشوك على طريفه، أو جمعته خلف باب بيته لتؤذيه عند الخروج. و لا شك ان معارضة انساب النبي و اقربائه لدعوته المباركة، و ايداؤهم اياه كان اكثر ايلاما لنفسه الشريفه، و اشد وقعا عليها، حتى اننا نجد القرآن يخص أبا لهب باللعن و يسميه بصورة خاصة مما يكشف عن هذه الحقيقة اذ يقول:

«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ. مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ. سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ. وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ. فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ» (١).

### صبر النبي صلى الله عليه وآله و استقامته:

و لكن رسول الله صلى الله عليه و آله كان يواجه كل ذلك الأذى و ما شابهه من التحججات التي سنشير إليها بصبر عظيم، و ثبات تتعجب منه الجبال السماء، و ذلك اولا إيماننا منه برسالته.

(١)

### إيذاء المسلمين و تعذيبهم!

### إشارة

يرجع تقدم الإسلام في مطلع عهد الرسالة إلى عوامل منها: ثبات رسول الله صلى الله عليه و آله نفسه، و ثبات اتباعه و أنصاره. و لقد تعرّفنا- في ما سبق- على أمثلة و نماذج من ثبات قائد الإسلام الاكبر و صبره، و استقامته في ما لقي من أذى و مضايقة. على أن ثبات أنصاره و اتباعه الذين آمنوا في مكة (مركز الحكومة الوثنية آنذاك) هو الآخر ممّا يدعو إلى الإعجاب و يستحق الاحترام. و سنذكر صمودهم و ثباتهم في حوادث ما بعد الهجرة في محله.

و أمّا هنا فنسلط الضوء على حياة عدد من أتباع رسول الله صلى الله عليه و آله القدامى الذين تحملوا أشد أنواع العذاب و كانوا يعيشون في المحيط المكي

(١) المسد: ١- ٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤١٣

حيث لم يكن ملجأ لهم يلجئون إليه، و هاجروا منه لأغراض الدعوة و التبليغ بعد أن تحملوا شيئاً كثيراً من الإيذاء و التعذيب على أيدي المشركين و الوثنيين القساء.

(١)

### ١- بلال الحبشي:

كان أبواه ممن أسروا في الجاهلية و جرى بهم من الحبشة إلى جزيرة العرب ثم إلى مكة. و أما بلال الذي أصبح في ما بعد مؤذن النبي صلى الله عليه و آله فقد كان غلاماً ل «أمية بن خلف» الذي كان من أشد أعداء النبي صلى الله عليه و آله.

و حيث أنّ عشيرة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَوَلَّتْ الدِّفَاعَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَمَايَتَهُ وَ لَمْ يُمْكِنْ لِأُمَّيَّةِ الْإِخْلَاقِ الْأَذَى بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَمَدَ إِلَى تَعْذِيبِ غَلَامِهِ بِلَالِ الَّذِي أَسْلَمَ، أَمَامَ النَّاسِ، بِأَشَدِّ أَنْوَاعِ الْأَذَى وَ التَّعْذِيبِ اِنْتِقَامًا، وَ تَشْفِيًا. فَقَدْ كَانَ يَطْرَحُ بِلَالًا عَارِيًا عَلَى الْأَحْجَارِ وَ الصَّخُورِ الْمَلْتَهَبَةِ فِي الْهَاجِرَةِ، وَ يَضَعُ صَخْرَةً عَلَى صَدْرِهِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَ تَعْبُدَ اللَّاتَ وَ الْعُزَّى، فَيَقُولُ وَ هُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ وَ الْمُحَنَّةِ الشَّدِيدَةِ: أَحَدٌ أَحَدٌ «١».

(٢) وَ لَقَدْ أُنْثِرَ ثَبَاتُ هَذَا الْغُلَامِ الْأَسْوَدِ وَ جُلْدِهِ وَ صَبْرِهِ عَلَى أَذَى سَيِّدِهِ، إِعْجَابَ الْآخِرِينَ، حَتَّى أَنْ «وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ» مَرَّ عَلَيْهِ وَ هُوَ يَعْذَّبُ بِذَلِكَ وَ هُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، أَقْبَلَ عَلَى «أُمَّيَّةٍ» وَ مِنْ يَصْنَعُ بِهِ ذَلِكَ مِنْ «بَنِي جَمَحٍ» فَيَقُولُ: أَحْلَفَ بِاللَّهِ لَنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لِأَتَّخِذَهُ حَنَانًا (أَيُّ لِأَجْعَلَنَّ قَبْرَهُ مَتَبَرَّكًَا وَ مَزَارًا) «٢».

وَ رُبَّمَا زَادَ «أُمَّيَّةٌ» مِنْ تَعْذِيبِهِ لِبِلَالٍ فَرِيضًا حَبْلًا بَعْنَقَهُ وَ تَرَكَ الصَّبِيَانَ يَدِيرُونَ بِهِ فِي الْإِزْقَةِ وَ السَّكَّكَ «٣».

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣١٧ و ٣١٨.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣١٨.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣ ص ٢٣٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤١٤

وَ قَدْ اسْرَ «أُمَّيَّةٌ» وَ ابْنَهُ فِي مَعْرَكَةِ «بَدْرٍ» وَ كَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْرَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَ لَمْ يُوَافِقْ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى قَتْلِهِمَا وَ لَكِنْ بِلَالًا قَالَ: «رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ لَا نَجُوتَ إِذْ نَجَا». وَ أَدَّى إِصْرَارَ بِلَالٍ عَلَى قَتْلِهِمَا إِلَى قَتْلِ أُمَّيَّةِ وَ ابْنِهِ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمَا الظَّالِمَةِ.

(١)

## ٢- آل ياسر رمز الصمود و المقاومة!

كَانَ «عَمَارًا» وَ وَالِدَهُ مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ فَهَمَّ أَسْلَمُوا يَوْمَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَلْتَقِي بِأَصْحَابِهِ وَ يَدْعُو إِلَى الْإِسْلَامِ فِي بَيْتِ «الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ»، وَ عِنْدَ مَا عَرَفَ الْمُشْرِكُونَ بِانْضِمَامِهِمْ إِلَى صَفُوفِ الْمُسْلِمِينَ عَمَدُوا إِلَى إِذْيَاتِهِمْ وَ تَعْذِيبِهِمْ وَ لَمْ يَأْلُوا جَهْدًا فِي ذَلِكَ أَبَدًا.

فَقَدْ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَخْرُجُونَ «عَمَارًا» وَ ابَاهُ «يَاسِرًا» وَ أُمَّهُ «سَمِيَّةٌ» فِي وَقْتِ الظُّهْرِ إِلَى رَمَضَانَ مَكَّةَ لِيَقْضُوا سَاعَاتٍ طَوِيلَةً تَحْتَ أَشْعَةِ الشَّمْسِ الْحَارِقَةِ، وَ فَوْقَ الرَّمَالِ الْمَلْتَهَبَةِ وَ الصَّخُورِ الْمَتَّقَدَةِ كَأَنَّهَا الْجِمَارَاتُ.

وَ قَدْ تَكَرَّرَ هَذَا الْعَذَابُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً حَتَّى أَوْدَى بِحَيَاةِ «يَاسِرٍ» فَقَضَى نَحْبَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ.

وَ قَدْ خَاشَتِ زَوْجَتَهُ «سَمِيَّةٌ» أَبَا جَهْلٍ وَ كَلِمَتَهُ فِي زَوْجِهَا بِغَلِيظِ الْقَوْلِ، فَطَعَنَهَا اللَّعِينُ بِرِمْحٍ فِي قَلْبِهَا فَقَضَتْ - هِيَ الْآخَرَى - نَحْبَهَا، وَ كَانَ أَوَّلَ شَهِيدِينَ فِي الْإِسْلَامِ «١».

وَ قَدْ آلَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا شَهِدَهُ مِنْ حَالِهِمَا وَ هُمَا يَعْذَبَانِ بِأَشَدِّ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ فَقَالَ لَهُمَا وَ لَوْلَدَيْهِمَا «عَمَارًا» وَ هُوَ يَصْبِرُهُمْ، وَ الدَّمُوعُ تَنْحَدِرُ عَلَى خَدَيْهِ:

«صَبِرَا آلُ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ» «٢».

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٤١ و السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٠٠، السيرة الدحلانية بهامش السيرة.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٠٠، السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية: ج ١ ص ٢٣٨ و ٢٣٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤١٥

(١) و بعد أن قضى والده «عمّار» نجهما تحت التعذيب بالغ المشركون القساء في تعذيب «عمّار» وإيذائه والتنكيل به، وأخذوا يعذبونه على نحو ما كانوا يعذبون به بلالا، وهم يقصدون قتله، وإحاقه بأبويه!! أو يتبرأ من دين النبي صلى الله عليه وآله، فاضطر الى أن يعطيهم ما يريدون و يظهر الرجوع عن الإسلام، إبقاء على نفسه، و تقيته منهم فتركوه، و انصرفوا عن قتله، ولكنه سرعان ما ندم على فعله من التظاهر بترك الإسلام و تأثم من ذلك فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يبكي، فقال له النبي: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان قال:

ان عادوا فعد، فنزلت الآية التالية في إيمان عمّار: «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ» (١) «٢».

(٢) هذا و روى أن أبا جهل حينما قصد تعذيب «آل ياسر» و كانوا أضعف من بمكة أمر بسوط و نار ثم سحبا عمارا و أبويه على الأرض، فكان يكوى بطرف السيف و الخنجر المحمى بالنار المشتعلة أبدانهم، و يضربهم بالسوط ضربا شديدا. و قد تكرر هذا العمل القاسى كثيرا حتى استشهد «ياسر» و زوجته «سمية» على أثر ذلك التعذيب المرير، و لكن دون أن يفتتا حتى النفس الآخر عن مدح رسول الله صلى الله عليه وآله و الأشادة بدينه.

و لقد أثار هذا المنظر المؤلم مشاعر فتيان من قريش فأقدموا- رغم عدائهم للإسلام و مشاركتهم لغيرهم من المشركين فى بغض الرسول- على تخليص «عمار» الجريح المنهك عذابا من براثن «أبى جهل» ليتمكن من موااة أبويه الشهيدين. (٣)

### ٣- عبد الله بن مسعود:

تساور المسلمون فى ما بينهم فى مقرهم السرى فى من يجهر بالقرآن على مسامع قريش، فى المسجد الحرام لأنها لم تسمع منه شيئا إذ قالوا: و الله ما سمعت قريش

(١) النحل: ١٠٥ و ١٠٦.

(٢) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٣٢ عند تفسير الآيتين المذكورتين.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤١٦

هذا القرآن يجهر لها قط فمن رجل يسمعهموه؟

فأبدى «ابن مسعود» استعدادة للقيام بهذه العملية الجريئة، و تلاوة القرآن على مسامع قريش فى المسجد الحرام بصوت عال.

فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إننا نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه.

قال: دعونى فان الله سيمنعنى.

ثم غدا «ابن مسعود» حتى أتى المقام فى وقت الضحى و قريش فى انديتها حتى قام عند المقام ثم قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» رافعا بها صوته، «الرحمن علم القرآن» و هكذا استمر يقرأ بقية آيات تلك السورة المباركة.

فارعبت عبارات القرآن الفصيحة القوية قلوب سراه قريش، و لكى يمنعوا من تأثير هذا النداء الالهى العظيم قاموا إليه جميعا و جعلوا يضربونه فى وجهه، و جعل هو يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم عاد إلى اصحابه و قد ادمى وجهه و جسمه، و هو مسرور لإسماع قريش كتاب الله تعالى و آياته المباركة «١».

إِنَّ الَّذِينَ صَمَدُوا فِي أَشَدِّ الْأَيَّامِ وَأَصْعَبِهَا فِي مَطْلَعِ عَهْدِ الْبَعْتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَوَائِلِ لَا شَكَّ أَكْثَرَ مِمَّنْ ذَكَرْنَا أَسْمَاءَهُمْ إِلَّا أَنَّا اِكْتَفَيْنَا بِهَذَا الْقَدْرِ رِعَايَةً لِلِاخْتِصَارِ.

(١)

#### ٤- أبو ذر: أول المجاهدين بالإسلام

كان «أبو ذر» رابع أو خامس من أسلم «٢»، و على هذا فهو من الذين أسلموا في الأيام الأولى من بزوغ شمس الإسلام و طلوع فجره، فإذا هو من السابقين إلى الإسلام.

وقد صرح القرآن الكريم بأنّ للذين سبقوا إلى الإيمان برسول الله في بدء

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣١٤.

(٢) اسد الغابة: ج ١ ص ٣٠١، الإصابة: ج ٤ ص ٦٤، الإستيعاب: ج ٤ ص ٦٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤١٧

بعثته و بالتالي فإنّ للسابقين عند الله تعالى مكانة عظيمة، و مقاما لا يضاهاى إذ قال تعالى:

«السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ» (١).

و قال تعالى فيهم أيضا.

«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (٢).

و قال تعالى كذلك في من آمن قبل فتح مكة و فضلهم، و مكانتهم المعنوية المتفوقة على من أسلم بعد اعتزاز الإسلام، و اشتداد أمره، و قيام دولته يعنى أنّهم ليسوا سواء.

«لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَ قَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَ قَاتَلُوا...» (٣).

أجل هذه هي مكانة السابقين في الإسلام و كان «أبو ذر» منهم.

هذا مضافا إلى أنّه يعدّ أول من نادى بالإسلام على رءوس الأشهاد و في الملأ من قريش.

(١) فيوم اسلم «أبو ذر» كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو الناس إلى الإسلام سراً، و لم تنهياً بعد ظروف الجهر بالدعوة إلى هذا الدين، فإنّ أتباع الإسلام و المؤمنين به لم يتجاوز عددهم في ذلك اليوم عدد الأصابع هم: النبي صلى الله عليه وآله و خمسة ممن آمنوا به، و قبلوا دعوته، و مع ملاحظة هذه الاعتبارات و الظروف لم يكن بدّ- حسب الظاهر- من أن يخفى «أبو ذر» إسلامه، و يعود إلى قبيلته من دون أن يعرف به أحد في مكة.

و لكنّ روح «أبي ذر» الطافحة بالإيمان و الحماس أبت ذلك، و كأنه قد خلق لينهض في كل زمان و مكان ضدّ الظلم و الطغيان، و يرفع عقيدته في وجه

(١) الوافقة: ١٠-١١.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) الحديد: ١٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤١٨

الباطل و أهله، و يكافح الانحراف و الاعوجاج أيا كان مصدره، و صاحبه. و أى باطل اكبر من أن يطأطئ الناس أمام أصنام مصنوعة من الحجر، و يخضعوا أمام أوثان منحوتة من الخشب لا تضرّ و لا تنفع، و لا تعطى و لا تمنع، و يسجدوا لها و يتخذوها آلهة دون الله الخالق الكبير المتعال؟؟

إنه ليس فى وسع «أبى ذر» أن يتحمّل هذا المشهد البغيض المقرّف!!

(١) من هنا قال لرسول الله صلى الله عليه و آله بعد أن مكث فى مكّة قليلا و قرأ شيئا من القرآن: يا نبيّ الله ما تأمرنى؟

قال: ترجع الى قومك حتى يبلغك أمرى.

فقال له: و الذى نفسى بيده لا أرجع حتى أصرخ بالإسلام فى المسجد.

قال: انى اخاف عليك أن تقتل.

قال: لا بد منه و إن قتلت.

ثم دخل المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلاّ الله، و أنّ محمّدا عبده و رسوله «١».

(٢) إن التاريخ الإسلامى يشهد بأن هذا النداء كان أول نداء تحدّى جيروت قريش و شركها، و قد اطلقتها حنجره رجل غريب لا حامى

له فى مكّة و لا نصير، و لا قوم و لا قريب.

و قد وقع ما توقّعه رسول الله صلى الله عليه و آله فما أن دوى صوت ابى ذر فى المسجد حتى قام إليه رجال قريش، و هجموا عليه

من كل جانب و ضربوه بشده حتى صرع فأتاه العباس بن عبد المطلب فأكبّ عليه فى محاولة لانقاذه من الموت - بطريقه لطيفه - و

قال: قتلتم الرجل يا معشر قريش! انتم تجار و طريقكم على غفار، فتريدون ان يقطع الطريق، فأمسكوا عنه.

و نجحت محاولة «العباس» الانقاذيه، و كفت قريش عن ابى ذر.

(١) حليه الأولياء: ج ١ ص ١٥٨ و ١٥٩، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٥، الاستيعاب: ج ٤ ص ٦٣، الاصابة: ج ٤ ص ٦٤، الدرّجات

الرفيعة: ص ٢٢٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤١٩

و لكن أبا ذر الشاب الشجاع، و الطافح بالحيوية و الحماس عاد اليوم الثانى فصنع مثل ما صنعه فى اليوم الاول فضرّبه حتى صرع،

فأكب عليه العباس، و قال لهم مثل ما قال فى أول مره فأمسكوا عنه.

(١) و لا- شك فى انه لو لم يكن العباس لما نجى أبو ذر من مخالف المشركين فى اغلب الظن، و لكن أبا ذر لم يكن بذلك الرجل

الذى يتراجع عن هدفه بسرعة، و لهذا بدأ جهاده من جديد.

ففى يوم رأى امرأة تطوف بالبيت، و تدعو ساف و نائلة (و هما صنمان لقريش) و تسألها ان يقضيا لها حاجاتها، فانزعج أبو ذر من

جهل تلك المرأة، و لكى يفهمها بانها تدعو صنمين لا يضران و لا ينفعان بل و لا يشعران قال: أنكحى أحدهما الآخر. فغضبت المرأة

لقول ابى ذر فى الصنمين، و تعلقت به و قالت: أنت صابى، فجاء فتية من قريش فضرّبه، و جاء ناس من بنى بكر فانقذوه منهم «١».

(٢)

### قبيلة غفار تعتنق الإسلام:

لقد أدرك رسول الإسلام صلى الله عليه و آله قابليات تلميذه و ناصره الجديد، و صلابته الخارقة فى مكافحه الباطل، و لكن حيث ان

الوقت لم يكن يحن بعد للدخول فى مواجهة ساخنة مع المشركين لهذا أمره رسول الله صلى الله عليه و آله بان يلحق بقومه، و

يدعوهم إلى الإسلام، قائلا له: «الحق بقومك فاذا بلغك ظهورى فأتنى».

فعاد ابو ذر إلى قومه، وأخذ يدعوهم الى الإسلام و يكلمهم عن النبي صلى الله عليه وآله، و يدعوهم الى نبد الاصنام و عبادة الله الواحد، و التخلق بالاخلاق الرغيبه.

(٣) فاسلم أبواه، أولا، ثم اسلم نصف رجال قبيلته «غفار» ثم اختار البقية الإسلام بعد هجرة النبي الى المدينة، ثم تبعها قبيلة «أسلم» حيث وقدوا على

(١) الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٢٠

رسول الله صلى الله عليه وآله و اعتنقوا الإسلام.

ثم التحق ابو ذر بعد معركة بدر و احد برسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة و أقام فيها «١».

و ربما كان إيذاء المشركين للمسلمين المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وآله يتخذ طابع التهديد و الترهيب و ممارسة الضغط النفسى و الاقتصادي و الاجتماعى.

فقد كان أبو جهل إذا سمع بالرجل قد اسلم له شرف و منعة أنه و أخزاه، و قال له: تركت دين أبيك و هو خير منك، لنسفهن حلمك، و لنفيلن رأيك، و لنضعن شرفك.

و إن كان تاجرا قال له: لنكسدن تجارتك، و لنهلكن مالك.

و إن كان ضعيفا ضربه، و أغرى به «٢».

و روى أيضا أن «خَبَاب بن الارت» صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله كان قينا بمكة يعمل السيوف و كان قد باع من «العاص بن وائل» سيوفا صنعها له حتى كان له عليه مال، فجاءه يتقاضاه، فقال يا خَبَاب: أليس يزعم «محمّد» صاحبكم هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب و فضه أو ثياب أو خدم، قال خَبَاب: بلى، قال: فأنظرنى الى يوم القيامة يا خَبَاب حتى أرجع الى تلك الدار، فأفضيك هنالك حقك فو الله لا تكون و صاحبك يا خَبَاب اشّر عند الله منى!! «٣».

(١)

### أعداء النبي الألداء:

إن للتعرف على أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله و خصومه الالداء، و مواقفهم دورا هاما فى تحليل جملة من حوادث التاريخ الإسلامى التى وقعت

(١) الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٦، الدرجات الرفيعة: ص ٢٢٥ و ٢٢٦ و ص ٢٢٩ و ٢٣٠.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٢٠.

(٣) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٥٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٢١

بعد الهجرة النبوية.

و نحن نكتفى هنا بادراج اسماء طائفة منهم و نذكر شيئا من خصوصياتهم.

(١) ١- «أبو لهب»: عم النبي صلى الله عليه وآله، و قد كان جارا له صلى الله عليه وآله، و هو الذى لم يفتأ لحظة واحدة عن تكذيب

رسول الله صلى الله عليه وآله وايداء المسلمين.

(٢) ٢- «الأسود بن عبد يغوث» و كان أحد المستهزئين و كان إذا وجد مسلماً فقيراً لا يحميه أحد قال مستهزئاً: هؤلاء ملوك الأرض الذين يرثون ملك كسرى!! «١».

و لم يمهله أجله ليرى بام عينيه كيف ورث المسلمون أرض كسرى و قيصر، و وطئوا عرشهما.

(٣) ٣- «الوليد بن المغيرة» شيخ قريش و حكيمة الذي كان يملك ثروة هائلة، و سوف نتحدث عنه و عن موقفه من رسول الله صلى الله عليه وآله في الفصل القادم.

(٤) ٤- «امية» و «ابى» ابنا خلف، و قد مشى «ابى» هذا بعظم رميم الى رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ففتته فى يده ثم نفخه نحو النبى و قال: أترعم أن ربك يحيى هذا بعد ما ترى (أو بعد ما رم)؟ فنزل قول الله تعالى: «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ» «٢».

و قد قتل ابنا خلف هذان فى بدر.

(٥) ٥- «أبو الحكم بن هشام» الذى سماه المسلمون لعناده و تعصبه الجاهل ضد الإسلام بأبى جهل، و قد قتل هو الآخر فى بدر أيضاً.

(٦) ٦- «العاص بن وائل» و هو والد «عمرو بن العاص»، و هو الذى وصف رسول الله صلى الله عليه وآله بالآبتر.

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣١٨.

(٢) بحار الأنوار. ج ١٨ ص ٢٠٢، السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٦١ و ٣٦٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٢٢

(١) ٧- «عاقبة بن أبى معيط» الذى كان من ألد اعداء النبى صلى الله عليه وآله، و أشد خصومه بغضا له صلى الله عليه وآله، و كان لا يألو جهداً فى مضايقة المسلمين و لا يترك فرصة تمرّدون إيذائهم! «١».

هؤلاء هم بعض أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله و آله المبالغين فى معاداته، و هناك غيرهم كأبى سفيان ممن ذكر المؤرخون خصوصياتهم كاملة فى مؤلفاتهم، و قد عرضنا عن إدراجهم بأجمعهم هنا رعاية للاختصار.

(٢)

### عمر بن الخطاب يعتنق الإسلام:

لقد كان إسلام كل واحد من الذين أجابوا دعوة الرسول صلى الله عليه وآله نابعاً من سبب معين.

فربما أدت حادثة صغيرة إلى أن يعتنق فرد أو فريق الإسلام، و ينضموا إلى صفوف المسلمين.

و قد اتسم السبب الذى آل الى إسلام عمر- من بين جميع تلكم الاسباب و العلل- بطرافة تقتضى التوقف عنده فى هذه الدراسة التاريخية التحليلية.

على أن التسلسل التاريخى، و التنظيم الوقائعى لاحداث الإسلام و ان كان يقتضى منا ان نأتى على ذكر هذه الحادثة بعد هجرة صحابة النبى صلى الله عليه وآله الى الحبشة، إلا أن الحديث حيث دار هنا حول صحابة النبى و كيفية اسلامهم و مواقفهم ناسب أن نشير هنا إلى كيفية إسلام الخليفة الثانى.

(٣) يقول ابن هشام: كان اسلام عمر- فى ما بلغنى- أن اخته بنت الخطاب و كانت عند «سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل» و كانت قد

أسلمت و أسلم بعلمها «سعيد بن زيد»، و هما مستخفيان باسلامهما من عمر (و هؤلاء هم كل من اسلم من آل الخطاب) و كان خباب بن الأرت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن.

(١) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٤٧ و ٥١، و راجع أيضا: أسد الغابة، و الاصابة و الاستيعاب و غيرها.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٢٣

و كان «عمر» الذى كانت بينه و بين المسلمين علاقات جدا سيئة «١» قد أزعجه ما أصاب المجتمع المكى من تشتت و فرقة، و ما لحق بقريش من المتاعب أثر ظهور الإسلام، من هنا عزم على أن يقضى على علة هذا الأمر باغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله و الفتك به.

فخرج يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وآله و آلهم و رهما من أصحابه و قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا و هم قريب من أربعين ما بين رجال و نساء، و مع رسول الله صلى الله عليه وآله عمه «حمزة» بن عبد المطلب و «ابو بكر» و «على بن ابى طالب» فى رجال من المسلمين يحفظونه و يحرسونه.

يقول «نعيم بن عبد الله» و قد كان صديقا حميما لعمر: لقيت عمرا و هو متوشح سيفا و يريد مكانا فقلت له: أين تريد يا عمر؟

فقال: أريد محمدا هذا الصابى الذى فزق فى أمر قريش، و سفه أحلامها و عاب دينها، و سب آلها، فأقتله.

فقال له نعيم: و الله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أ ترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض و قد قتلت محمدا! أ فلا ترجع إلى اهل بيتك فتقيم أمرهم؟

قال: و أى اهل بيتى؟

قال: ختنك و ابن عمك «سعيد بن زيد» و اختك «فاطمة بنت الخطاب» فقد و الله أسلما، و تابعا محمدا على دينه فعليك بهما.

فأغضب هذا النبأ عمر بشدة فانصرف عن الهدف الذى كان يرمى إليه و عاد من توه إلى بيت اخته، فدخل على اخته و ختنه و عندهما «خَبَاب بن الأرت» معه صحيفة فيها سورة «طه» يقرئها إياها، فلما سمعوا حس «عمر» تغيب «خَبَاب» فى مخدع لهم، أو فى بعض البيت، و اخفت «فاطمة بنت

(١) راجع السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٤٢-٣٤٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٢٤

الخطاب» الصحيفة، و كان «عمر» قد سمع حين دنا الى البيت قراءة «خَبَاب» عليهما، فلما دخل قال: «ما هذه الهيمنة «١» التى سمعت؟ قالوا له: ما سمعت شيئا.

قال: بلى و الله، لقد اخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه.

و بطش بختنه «سعيد بن زيد» فقامت إليه اخته «فاطمة بنت الخطاب» لتكفه عن زوجها فضربها فشجها.

فلما فعل ذلك قالت له اخته و ختنه: نعم قد اسلمنا و آمننا بالله و رسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى «عمر» ما باخته من الدّم ندم على ما صنع، فارعوى و رجع، و قال لاخته: اعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون أنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمدا؟.

فلما قال ذلك قالت له اخته: إننا نخشاك عليها. قال: لا تخافى و حلف لها بألته ليردّها إذا قرأها، إليها.

فلما قال ذلك طمعت فى اسلامه، فقالت: يا أخى، إنك نجس على شركك و أنه لا يمسيها إلا الطاهر، فقام «عمر» فاغتسل، فأعطته الصحيفة و فيها آيات من سورة «طه» هي:

طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكره لمن يخشى. تنزيلا ممن خلق الأرض و السماوات العلى. الرحمن على العرش استوى. له ما فى السماوات و ما فى الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى. و إن تجهر بالقول فإنه يعلم السرّ و أخفى «٢».



و لقد تركت هذه الآيات المحكمة الفصيحة البليغة تأثيرا شديدا في نفس عمر فقال: ما احسن هذا الكلام؟  
و قرر الرجل، الذى كان قبل ثوان عدو الإسلام الأول، أن يغير موقفه،

(١) الهينمة صوت كلام لا يفهم.

(٢) طه: ١ - ٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٢٥

فتوجه من توه إلى البيت الذى ذكر له أن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله و جماعته من أصحابه و هو متوشح سيفه، فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وآله و هو فزع و أخبر النبي صلى الله عليه وآله بما رأى، فقال حمزة: فائذن له، فان جاء يريد خيرا بدلناه له، و إن كان يريد شرا قتلناه بسيفه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ائذن له، فأذن له الرجل، و نهض إليه رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لقيه فى الحجره، فأخذ حجزته (و هو موضع شد الإزار) أو بمجمع رداءه ثم جبذه جبذه شديدة، و قال: ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة؟!!

فقال عمر: يا رسول الله جئتك لاؤمن بالله و برسوله و بما جاء من عند الله.

و هكذا اسلم «عمر» عند رسول الله و أصحابه و انضوى إلى صفوف المسلمين.

ثم ان ابن هشام روى رواية اخرى فى كيفية اسلام عمر من أراد الوقوف عليها راجعها فى السيرة النبوية «١».

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٤٣ - ٣٤٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٢٧

(١)

## ١٦ رأى قريش فى القرآن

### إشارة

ان البحث حول حقيقة الاعجاز القرآنى أمر خارج عن اطار هدفنا فى هذا الكتاب فذلك متروك إلى الكتب الاعتقادية و الكلامية.  
و لكن الأبحاث التاريخية تهدينا الى أن القرآن الكريم كان من أكبر و أقوى اسلحة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله بحيث خضع أمام فصاحته البالغة و حلاوة كلماته و قوة آياته، و عباراته، اساتذة الفصاحة و البلاغة و امراء البيان و الكلام، و عمالقة الكتابة و الخطابة. و اعترفوا برمتهم، و قضهم و قضيضهم بأن القرآن الذى جاء به محمد يحتل أعلى مكان فى الفصاحة و البلاغة، و أن مثل هذا الحديث لم يعرفه البشر و لم يعهد له التاريخ الانسانى نظيرا.

فلقد كانت جاذبية «القرآن الكريم» و تأثير حديثه بحيث ترتعد عند استماع آياته فرائص أعدى اعدائه، و ربما انهارت قواه، فبقى مدة طويلة، لا يقوى على حراك، و لا يملك فعل شىء.

و فيما يلي نذكر بعض النماذج فى هذا المجال:

(٢)

## حكم الوليد في القرآن:

كان «الوليد بن المغيرة» ممن يرجع إليه العرب لحل الكثير من مشاكلها،

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٢٨

و كان ذا سنّ، و ثروة كبيرة فيهم.

و عند ما واجهت قريش مشكلة ظهور الإسلام و انتشاره في القبائل مشى فريق منهم إلى الوليد يلتمسون منه حلا لهذا الأمر الذي بات يهدّد كيان الزعامة المكيّة الجاهليّة، و طلبوا منه أن يبيّن رأيه في القرآن الكريم و قالوا: هل هو سحر أم كهانة أم حديث قد حاكه بنفسه.

فاستنظرهم «الوليد» ليعطى رأيه فيه بعد أن يسمع شيئا من القرآن، فأتى الى الحجر حيث كان يجلس النبيّ، و يتلو القرآن، فقال: يا محمّد أنشدني شعرك.

(١) فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: ما هو بشعر، و لكنّه كلام الله الذي به بعث انبياءه و رسله.

فقال: اتل عليّ منه، فقرأ عليه رسول الله:

«بسم الله الرحمن الرحيم».

فلما سمع: الرحمن، استهزأ فقال: تدعو إلى رجل باليمامة يسمى بالرحمن؟

قال. لا، و لكنني أدعو إلى الله و هو الرحمن الرحيم ثم افتتح سورة «حم السجدة» فلما بلغ إلى قوله تعالى:

«فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ».

و سمعه الوليد، فاقشعر جلده، و قامت كل شعرة في رأسه و لحيته، ثم قام و مضى إلى بيته و لم يرجع إلى قريش.

فقال قريش: يا ابا الحكم صبا ابو عبد شمس إلى دين محمّد، أ ما تراه لم يرجع إلينا و قد قبل قوله، و مضى إلى منزله.

فاغتمت قريش من ذلك غما شديدا و غدا عليه ابو جهل فقال: يا عم نكست رءوسنا و فضحتنا.

قال: و ما ذاك يا ابن أخي؟

قال: صبوت الى دين محمّد.

قال: ما صبوت و اني على دين قومي و آبائي، و لكنني سمعت كلاما صعبا

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٢٩

تقشعر منه الجلود فقال أبو جهل: أشعر هو؟

قال: ما هو بشعر.

قال: فخطب هي؟

قال: لا و ان الخطب كلام متصل، و هذا كلام منثور، لا يشبه بعضه بعضا، له تلاوة.

قال: فكأنه هي؟

قال: لا.

قال: فما هو؟

قال: دعني افكر فيه.

فلما كان من الغد، قالوا: يا ابا عبد شمس ما تقول؟ قال: قولوا: هو سحر فانه أخذ بقلوب الناس فأنزل الله سبحانه فيه:

«ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَ بَيَّنَّنْتُ شُهُودًا» الى قوله: «عليها تسعة عشر» (١) «٢».

(١)

**نموذج آخر [من حكم البلغاء في شأن القرآن]:**

كان «عتبة بن ربيعة» من كبراء قريش و اشرافها، و يوم أسلم «حمزة» و أصبح أصحاب رسول الله يزيدون و يكثران اغتمت قريش كلها، و خشى زعماء المشركين ان ينتشر الإسلام اكثر من هذا فقال عتبة و هو جالس فى نادى قريش يوماً، و رسول الله صلى الله عليه و آله جالس فى المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم الى «محمد» فالكلمه و أعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء و يكف عنا؟

(١) المدثر: ١١ - ٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٧ ص ٢١١ و ٢١٢، إعلام الورى بأعلام الورى: ص ٤١ و ٤٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٣٠

فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه.

(١) فقام إليه «عتبة» حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه و آله، فقال:

يا ابن أخى إنك متنا حيث ما قد علمت من الشرف فى العشيرة و المكان فى النسب، و انك قد أتيت قومك بأمر عظيم فزقت به جماعتهم و سفهت به أحلامهم، و عبت به آلهتهم، و دينهم، و كفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله قل يا أبا الوليد اسمع.

قال: يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر ما لا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، و ان كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، و إن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا، و إن كان هذا الذى يأتيك رثيا (و هو ما يترأى للناس من الجبن) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، حتى إذا فرغ «عتبة»، و رسول الله صلى الله عليه و آله يستمع منه قال: أ قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم قال: فاسمع منى؛ قال: افعل، قال:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَ نَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَ قَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ» (١).

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه و آله فيها يقرأها عليه، فلما سمعها منه «عتبة» أنصت لها و ألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه و بقى على هذه مدة من الزمن صامتا و كأنه قد سلب قدرة النطق، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه و آله الى السجدة فسجد ثم قال.

«قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت و ذاك».

(١) فصلت: ١ - ٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٣١

(١) فقام «عتبة» الى أصحابه و قد تغيرت ملامحه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به!!

فلما جلس إليهم قالوا:

ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي اني قد سمعت قولاً و الله ما سمعت مثله قط، و الله ما هو بالشعر، و لا بالسحر، و لا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني و اجعلوها بي، و خلّوا بين هذا الرجل و بين ما هو فيه فاعتزلوه، فو الله ليكوننّ لقوله هذا الذي سمعت منه نبأ عظيم، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم، و ان يظهر على العرب فملكه ملككم، و عزه عزكم، و كنتم أسعد الناس به. فانزعجت قريش من مقاله «عتبه» هذا و سخرت به و قالت: سحرك و الله يا أبا الوليد بلسانه!! قال: هذا رأيي، فاصنعوا ما بدا لكم «١».

هذان نموذجان من رأى كبار فصحاء العرب فى العهد الجاهليّ، فى القرآن الكريم. على أن هناك أمثلة و نماذج اخرى كثيرة فى هذا المجال. (٢)

### تحججات قريش العجبية:

اجتمع «عتبه بن ربيعة»، و «شيبه بن ربيعة» و «أبو سفيان بن حرب»، و «النضر بن الحارث»، و «أبو البختری»، و «الوليد بن المغيرة»، و «ابو جهل» و «العاص بن وائل» و غيرهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة، ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا الى «محمّد» فكلموه، و خاصموا حتى تعذروا فيه، فبعثوا إليه؛ فجاءهم رسول الله صلّى الله عليه و آله سريعاً و هو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء و انهم قد غيروا مواقفهم، و كان يحبّ رشدهم و هدايتهم حتى جلس إليهم.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٩٣ و ٢٩٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٣٢

فقالوا له: يا محمّد إنّنا قد بعثنا إليك لنكلمك، و أنا و الله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء، و عبت الدّين، و شتمت الآلهة ... و مضوا يعددون أموراً من هذا القبيل ثم اقترحوا عليه أموراً ذكرها الله تعالى بتمامها فى الآيه ٩٠ إلى ٩٣ من سورة الإسراء حيث يقول حاكياً عن لسانهم:

«و قالوا لن نؤمن لك حتى ١- تفجر لنا من الأرض ينبوعاً.

٢- أو تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً.

٣- أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً.

٤- أو تأتي بالله و الملائكة قبيلاً.

٥- أو يكون لك بيت من زخرف.

٦- أو ترقى فى السماء و لن نؤمن لرقيتك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه»!!

(١) و حيث أنّ مضمون هذه الآيات هو عدم تلبية النبى لمطالب قريش حيث قال: «قل سبحان الله ربى هل كنت إلا بشراً رسولاً» قد تذرّع به المستشرقون للايقاع بالرسالة المحمّدية لذلك نعمد هنا إلى توضيح مفاد هذه الآيات و العلل المنطقية لعدم تلبية النبى لمطالب قريش و مقترحاتهم.

الجواب: إنّ الأنبياء لا يأتون بالمعجزات فى كل ظرف و زمان، فإنّ للاعجاز شروطاً خاصة لم تتوفر فى هذه الاقتراحات، و هذه الشروط هى:

(٢) أولاً: أن لا تكون المعجزة من الامور المستحيلة التى لا يمكن تحقّقها، فإنّ مثل هذه الامور خارجة عن إطار القدرة، و لا تتعلق بها مشيئة الله تعالى و لا مشيئة أىّ صاحب إرادة مطلقاً.

و على هذا الأساس إذا طلب الناس من النبي أمرا محالاً، فقبول طلبهم بعدم الاهتمام من قبل النبي لم يكن ذلك دليلاً على إنكار صدور المعجزة على أيدي الأنبياء قط.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٣٣

(١) وهذا الشرط لم يكن متوفراً في بعض مقترحات المشركين المذكورة (المقترح الرابع) فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وآله ان يأتي لهم بالله سبحانه وتعالى ليقابله وجهاً لوجه، ويروه جهرهً و من قريب، ورؤية الله تعالى امر محال، لأن رؤيته تستلزم أن يكون سبحانه محدوداً بالزمان والمكان، وأن يكون جسماً و ذلون و صورةً و هو تعالى منزّه عن المادّة و لوازم المادية. بل حتى مقترحهم الثالث لو كان المقصود منه أن تسقط السماء عليهم (لا أن تسقط قطعة من الصخر على رؤوسهم و تقتلهم) فان ذلك هو أيضاً من المحالات إذ أن المشيئة الالهية تعلقت بان يفعل الله هذا في نهاية العالم، و النبي صلى الله عليه وآله كان قد أخبر المشركين بهذا الأمر أيضاً كما يدل عليه قولهم: «كما زعمت».

إن انهدام المنظومة الشمسية و تبعثر النجوم و تساقطها و إن لم يكن في حد ذاته بالأمر المحال، و لكنّه - حسب المشيئة الإلهية الحكيمة و إرادته النافذة القاضية بأن يستمر النوع البشري، و يصل إلى مرحلة الكمال - يعدّ محالاً، و لا يمكن أن يفعل حكيم خلاف ما يقتضيه هدفه و غايته.

(٢) ثانياً: حيث أن الغاية المنشودة من اقتراح و طلب الإعجاز هو أن يستدلّ به على صدق دعوى النبي، و صحه انتسابه الى الله، و بالتالي يكون بدافع تحصيل سند على ارتباطه بالعالم ما فوق الطبيعة، لذلك فان أي اقتراح و مطالبه بالمعجزة لا تتوفر فيها هذه الصفة يعنى على فرض أن يلبي النبي طلبهم و ياتي لهم بالمعجزة لا يكون ذلك دليلاً على ارتباطه بعالم الغيب، فحينئذ لا معنى و لا موجب لأن يقوم النبي بما لا يرتبط بشئونه و لا يخدم هدفه.

و قد كانت بعض مقترحات المشركين المذكورة من هذا النوع، و ذلك مثل تفجير ينبوع من الأرض، أو أن تكون له جنة من نخيل و عنب، أو أن يكون له بيت من زخرف و ذهب، فان مثل هذه الامور لا تدل على نبوة من يمتلكها إذ ما اكثر الذين يمتلكون واحدة من هذه الأشياء و ليسوا مع ذلك بأنبياء، بل ربما يملكون اكثر من ذلك، و مع ذلك لا يشم فيهم رائحة الايمان فضلاً عن النبوة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٣٤

فاذا لم ترتبط هذه الأشياء بمقام النبوة، و لا تكون دليلاً على صدق من يدعيها كان الإتيان بها أمراً لغوا و عبثاً تعالى عنه مقام النبوة، و جلت عنه منزلة الأنبياء.

(١) و قد يقال: إن هذه الاشياء «١» لا تدل على صدق دعوى النبي إذا حصلت عن طريق الأسباب العادية، و لكنها لو حصلت بصورة غير عادية و لا متعارفة كانت و لا شك من المعاجز الالهية، و دلت على صدق النبي و صحه دعواه.

و لكنّ الظاهر أن هذه فكرة باطلة لان المشركين كانوا يهدفون من اقتراحاتهم هذه أن يكون النبي صاحب مال و ثروة، فقد كانوا يستبعدون أن يكون نبي الله و رسوله فقيراً لا يملك شيئاً من الثروة المال، و كانوا يعتقدون انّ الوحي الالهى يجب أن ينزل على رجل غنى ذي طول و حول، و لذلك قالوا مستغربين و مستنكرين:

«وَقَالُوا لَوْ لَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ» «٢»!!

أى لما ذا لم ينزل هذا القرآن على رجل ثرى من مكة أو الطائف.

و ممّا يدلّ على أن الهدف كان هو أن يملك النبي مثل هذه الامور بأى طريق كان، و لو بالطريق العادى أنهم كانوا يريدون هذه الاشياء للنبي نفسه إذ قالوا:

«أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ» «٣».

(٢) وعبارة اخرى: كانوا يقولون إذا أنت لا تمتلك بستانا أو بيتا من ذهب فاننا لن نؤمن لك!!  
و لو كان الهدف هو أن يحصل هذان الأمران بواسطة القدرة الغيبية لم يكن وجه حينئذ لقولهم: ما لم يكن «لك» بيت من زخرف، فاننا نؤمن بك بل كان يكفي أن يقولوا: إذا لم تحدث و توجد بيتا و جنة فاننا لن نؤمن لك.

(١) أى الامور الثلاثة المقترحة الينبوع و الجنة و البيت من ذهب.

(٢) الزخرف: ٣١.

(٣) الاسراء: ٩٣.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٤٣٥

أما قولهم فى مطلع اقتراحاتهم: «تفجر لنا من الأرض ينبوعا» فان مقصودهم لم يكن هو أن يستخرج لهم بالاعجاز ينبوعا لينتفعوا به، بل يفعل ذلك لكى يؤمنوا به.

(١) ثالثا: ان المقصود من المعجزة هو الاهتداء فى ضوئها إلى صحّة دعوى النبى و صدق مقاله، و الإيمان بمنصبه، و الاعتقاد بمقامه، و على هذا إذا كان بين المقترحين للمعجزة من يكون الاثيان له بالاعجاز سببا لإيمانه بالنبى، فحينئذ كان الاثيان بالمعجزة و تلبية اقتراحه أمرا مستحسنا، و غير مقبوح عقلا.

أما إذا كان المقترحون. يقترحون عنادا و لجاجا، أو يطلبون ما يطلبونه لهوا و تسلياً كما يفعل الناس مع السحرة و المرتاضين فان منزلة الأنبياء أجلّ - حينئذ - من أن يلبي مثل هذه المقترحات، و يستجيب لمثل هذه المطالب، و قد كانت بعض اقتراحات المشركين من هذا النمط.

فان مطالبتهم بأن يصعد النبى الى السماء، أو أن ينزل من السماء كتابا يقرءونه لم يكن بهدف اكتشاف الحقيقة لأنهم لو كانوا ممن يهدف الوصول الى الحقيقة فلما ذا لم يكتفوا بمجرد صعوده الى السماء بل كانوا يصرون على أن يضمّ أمرا آخر إلى عروجه و صعوده (و هو أن ينزل معه كتابا)!!

(٢) ثم انه يستفاد من آيات اخرى، غير هاتين الآيتين أيضا، أنهم كانوا سيعاندون، و يصرون على كفرهم حتى بعد نزول الكتاب عليهم من السماء كما يصرح بذلك قوله تعالى:

«وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» (١).

فمن غير المستبعد أن يكون الكتاب المنزل فى قراطس إشارة إلى اقتراح المشركين الذى جاء ضمن آيات سورة الاسراء اى قولهم: «أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ» (٢) فقال الله سبحانه: حَتَّى لَوْ

(١) الانعام: ٧.

(٢) الأسراء: ٩٣.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٤٣٦

فعلنا لهم ذلك لكفروا، و احجموا عن الإيمان.

(١) رابعا: إن طلب المعجزة إنما هو لأجل أن يستتبع الاثيان بها الإيمان بالرسالة و الانضمام الى صفوف المؤمنين، فاذا كانت نتيجة المعجزة هى إباء المقترحين استلزم ذلك نقض الغرض المنشود من المعجزة، و انتفاء فائدتها.

فاذا كان المقصود من سقوط السماء عليهم، هو نزول الصخور السماوية لآبادتهم فان هذا الطلب لا يتفق أبدا مع هدف الإعجاز و هو من أوضح مصاديق نقض الغرض.

(٢) و بالتالى ينبغى أن نذكر بنقطة و هى: أن النبى صلى الله عليه وآله - على خلاف ما تصوّر المستدلون بهذه الآية على نفى أية معجزه لرسول الإسلام - لم يصف نفسه بالعجز و عدم القدرة على الاتيان بالمعجزة بل أفاد بقوله: «سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا» (١) أمرين:

(٣) ١- تنزيه الله، فهو بقوله: «سبحان ربّي» نزه الله تعالى عن كل عجز و نقص كما نزهه عن الرؤية و وصفه بالقدرة على كل شيء ممكن.

(٤) ٢- محدودية قدرة النبى، إذ بقوله صلى الله عليه وآله: «هل كنت إلا بشرا رسولا» أفاد بأنه امرئ مأمور لا أكثر و أنه مطيع لأمر الله و إرادته فهو يأتي بما يريد ربه، و الأمر إلى الله كله، و ليس للنبى أن يلبي أى طلب و اقتراح بإرادته. و بعبارة أخرى: ان الآية ركزت فى مقام الجواب على طلبهم بعد تنزيه الله عن العجز و الرؤية على كلمتى: «البشر و الرسول» و الهدف هو انه: إذا أنتم قد طلبتم هذه الامور منى من جهة إننى بشر، كان طلبكم هذا طلبا غير صحيح، لأن هذه الامور تحتاج إلى قدرة إلهية. و إن طلبتموها منى من جهة انى نبى رسول فان النبى و الرسول ما هو إلا امرئ مأمور يفعل ما ياذن به الله، و ليس له ان يفعل ما يشاء هو دون إرادة الله تعالى.

(١) الأسراء: ٩٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٣٧

و بهذا اتضح أن هذه الآيات لا تدل على ما استدل به النافون لمعاجز النبى الاكرم صلى الله عليه وآله و سلم. و كان ممّا تحججت به قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله أنهم قالوا:

لو كان محمدا نبيا لشغلته النبوة عن النساء و لأمكنه جمع الآيات (اي لأتته الآيات دفعة واحدة) و لأمكنه منع الموت عن أقاربه و لما مات أبو طالب و خديجة فنزل قوله تعالى:

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ. يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يَثْبُتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ. وَ إِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ». و بذلك ردّ عليهم (١) «٢».

(١)

**الدوافع وراء معاداة قريش و عنادهم:**

**إشارة**

هذا القسم هو احدى النقاط الجديرة بالدراسة فى تاريخ الإسلام، لأن المرء قد يسائل نفسه: لما ذا ترى كانت قريش تعارض رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ المعارضة رغم أنها كانت تعتبره الصادق الأمين و لم تعهد منه انحرافا أو خطأ قط و كانت تسمع كلامه الفصيح البليغ الذى يأسر القلوب، و ربما شاهدوا حدوث بعض الخوارق للعادة، الخارجة عن حدود القوانين الطبيعية على يديه.

إن لهذا التمرد و المعارضة الى علّة او علل عديدة هى:

(٢)

**١- حسدهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:**

لقد عارض رسول الله صلى الله عليه وآله وخالفه فريق ممن عارضه بسبب

(١) الرعد: ٣٨-٤٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٧ عن المناقب.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٣٨

حسدهم له، فقد كانوا يتمنون أن يكونوا هم صاحب هذا المنصب، و صاحب هذه المنزلة.

فقد قال المفسرون عند قوله تعالى: «وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» (١) «أن الوليد بن المغيرة» قال: أ ينزل على محمد و اترك و أنا كبير قريش و سيدها و يترك «ابو مسعود عمرو بن عمير الثقفي» سيد ثقيف و نحن عظيمي القريتين فأنزل الله تعالى فيه الآية (٢).

و روى انه قال: و الله لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأننى اكبر منك سنا و أكثر منك مالا (٣).

(١) و كان «امية بن أبى الصلت» من الذين كانوا يقولون هذا الكلام حول رسول الله صلى الله عليه وآله و كان يتمنى كثيرا أن ينال هو هذا المقام و يخطى بهذا المنصب العظيم، و لم يتبع رسول الله صلى الله عليه وآله الى آخر حياته، و كان يؤلب الناس عليه. و قد سأل «الاحنس بن شريق»- و هو من أعداء رسول الله- أبا جهل يوما:

يا ابا الحكم ما رأيك فيما سمعت من «محمد»؟

فقال: ما ذا سمعت، تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، و حملوا فحملنا، و أعطوا فأعطينا حتى إذا تجاذبنا على الركب، و كنا كفوسى رهان، قالوا: منا نبي يأتيه الوحى من السماء، فمتى تدرك مثل هذه، و الله لا تؤمن به أبدا و لا نصدقه (٤). هذه النماذج تظهر الحسد الذى كان يحول بين زعماء قريش و ساداتها و بين اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله و تصديقه، فعتوا على الله و تركوا أمره عيانا، و لجوا فيما هم عليه من الكفر، و هناك نماذج و أمثلة اخرى سجلتها صفحات التاريخ أعرضنا عن إدراجها هنا.

(١) الزخرف: ٣١.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٦١.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٣٥.

(٤) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣١٥ و ٣١٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٣٩

(١)

**٢- معارضة الدعوة الإسلامية لشهواتهم:**

و كان لهذا العامل الأثر الأكبر فى عتو قريش و معارضتها لدعوة النبي صلى الله عليه وآله لأنهم كانوا أصحاب لهو و لعب، و فسق و مجون، و مثل هؤلاء الذين أمضوا سنوات عديدة على هذا النحو، دون ان يقيدهم شىء من الحدود و القيود، وجدوا دعوة النبي صلى



الله عليه وآله تخالف عاداتهم القديمة، و كان ترك مثل تلك العادة التي تتفق مع أهوائهم و رغباتهم النفسية أمرا يلازم النصب و العناء و الجهد.

(٢)

### ٣- الخوف من عقوبات اليوم الآخر:

إن سماع آيات العذاب التي تنذر الفسقة و الظالمين و توعدهم بالعقوبات الثقيلة اربع قلوبهم، و أقلق نفوسهم بشدة. فعند ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتلو الآيات المتعلقة بيوم القيامة و أوضاعه، و قضاياه في الاجتماعات و الاماكن العامة، كان يحدث بذلك ضجة كبرى في أوساطهم، فيهدم مجالس لهوهم، و انسهم. إن العربي الذي كان يسأل نفسه بكل ما استطاع من سلاح ليدفع عن نفسه أى خطر محتمل، و يعتمد الى ممارسة القرعة و يتعاطى الانصاب و الازلام ليحصل على لقمة عيشه، و يتفأل بالأحجار، و يتطير و يتشاءم بالطيور و يستدل بحالاتها على حوادث وقعت أو تقع، لم يكن على استعداد لأن يهدأ من دون ان يحصل على ضمان بعدم التعرض لما يخبر عنه «محمد» من عذاب و عقاب!! من هنا كانوا يحاربون النبي صلى الله عليه وآله و يخالفونه حتى لا يسمعوا وعده و وعيده.

و إليك بعض الآيات التي كانت تقلق بشدة نفوس المترفين من قريش:

«فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» (١).

(١) عبس: ٣٣-٣٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٤٠

و بينما كانوا يمدون موائد اللهو و الشراب فى ظلال الكعبة و يحتسون كنوس الخمر كانوا فجأة يسمعون هذه الآية:

«كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ». (١)

فتلقى فى نفوسهم رعبا عجيبا، و يتأهبهم الاضطراب الشديد حتى أنهم كانوا يلقون بكؤوس الخمر جانبا و يملكهم خوف شديد لم يعرفوا له مثيلا.

(١)

### ٤- الخوف من القبائل العربية المشركة:

قال «الحارث بن نوفل بن عبد مناف» لرسول الله صلى الله عليه وآله: انا لعلم أن قولك حق و لكن يمنعنا أن نتبع الهدى و نؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا (إن تركنا الوثنية التي تدين بها و يعتبروننا سدنة لأوثانها) و لا طاقة لنا بها. فنزل قوله تعالى يرد عليهم:

«وَقَالُوا إِن تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَتَخَفْتُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا» (٢) «٣».

و هكذا كان تخوف قريش من العرب إن هى تركت ما كان عليه العرب من الوثنية و الشرك أحد الاسباب لعنهم و إعراضهم عن قبول الدعوة الإسلامية.

(٢)

**طائفة من اعتراضات المشركين:**

و ربما اعترض المشركون على النبي صلى الله عليه وآله قائلين: إن هذه الارض ليست بأرض الأنبياء، وإنما ارض الأنبياء الشام فات الشام «٤».

و كان اكثر المشركين يقولون- و ذلك بوحي من اليهود- لما ذال ينزل القرآن على «محمّد» دفعه واحدة كالتوراة و الانجيل فحكى القرآن الكريم اعتراضهم

(١) النساء: ٥٦.

(٢) القصص: ٥٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٣٦.

(٤) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ١٩٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٤١

هذا بنصه اذ قال:

«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَّاحِدَةً».

ثم قال تعالى ردًا على اعتراضهم هذا:

«كَذَلِكَ لِنُنَبِّئَ بِهِ فُؤَادَكَ» «١».

إن القرآن يهتم بهذا الاعتراض، و يوضح مسألة «النزول التدريجي» للقرآن الكريم و يقطع الطريق على المستشرقين المغرضين و من حذى حذوهم، بمنطقه المحكم، و بيانه القوي.

و ها نحن نعلم هنا الى إعطاء شيء من التوضيح لهذه المسألة أيضا:

(١)

**القرآن و النزول التدريجي:**

إن التاريخ القطعي لنزول القرآن و كذا مضامين آيات سورة تشهد بأن آيات القرآن الكريم و سورة نزلت تدريجيا.

فبمراجعة فاحصة لأوضاع مكة، و المدينة يمكن تمييز المكى من هذه الآيات عن مدنيها.

فالآيات التي تتحدث عن مكافحة الشرك و الوثنية و دعوة الناس الى الله الواحد، و الإيمان باليوم الآخر مكية، بينما تكون الآيات التي تدور حول الأحكام و تحث على الجهاد و القتال مدنيّة، ذلك لأنّ الخطاب في البيئتين كان موجها الى المشركين عبدة الاوثان الذين كانوا ينكرون توحيد الله، و اليوم الآخر، فهنا تكون الآيات التي تتحدث حول هذا الموضوع قد نزلت في هذه البيئتين.

(٢) في حين كان الخطاب في المدينة المنورة موجها الى المؤمنين بالله، و الى جماعة اليهود و النصارى، و كان الجهاد و القتال في سبيل إعلاء كلمة الله هو الأعمال المهمة التي بدأها رسول الله صلى الله عليه وآله و اصلها في هذه البيئتين، من هنا تكون الآيات التي تتضمن الحديث حول الاحكام و الفروع و القوانين، و يدور

(١) الفرقان: ٣٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٤٢

الحديث فيها أيضا حول عقائد اليهود والنصارى و مواقفهم و تتضمن الحث - كذلك - على الجهاد و القتال و التضحية في سبيل اعلاء كلمة الله و إعزاز دينه، آيات مدنيّة.

(١) إنّ كثيرا من الآيات ترتبط ارتباطا وثيقا بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، و هذه الحوادث هي التي تشكّل ما يسمّى بشأن أو أسباب النزول التي يكون الوقوف عليها موجبا لفهم مفاد الآي، و اتّضح مفادها، فان وقوع هذه الحوادث كان سببا لنزول آيات فيها بالمناسبة.

على أن بعض الآيات الاخرى نزلت جوابا على أسئلة الناس، و لرفع حاجاتهم في المجالات المختلفة.

و البعض الآخر منها نزلت لبيان المعارف و الأحكام الالهية.

و لهذه الاسباب يمكن القول بان القرآن الكريم نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله تدريجا لتدرّج موجبات النزول.

و قد صرح القرآن و الكريم بهذا الأمر أيضا في بعض المواضع اذ قال:

«وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ» (١).

(٢) و هنا ينطرح هذا السؤال و هو: لما ذا لم تنزل آيات القرآن كلها على رسول الله صلى الله عليه وآله جملة واحدة، و دفعة واحدة كما حدث ذلك للتوراة و الإنجيل من قبل؟!

إنّ هذا السؤال لم يكن جديدا بل طرحه أعداء النبي صلى الله عليه وآله و معارضوه في عصر الرسالة في صورة الاعتراض أيضا حيث كانوا يقولون:

«لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً» (٢).

(٣) و يمكن تقرير و شرح هذا الاعتراض على نحوين:

(٤) ١- إذا كان الإسلام دينا إلهيا، و كان القرآن كتابا سماويا منزلا من جانب الله على رسوله، فلا بد أن يكون دينا كاملا، و مثل هذا الدين الكامل

(١) الاسراء: ١٠٦.

(٢) الفرقان: ٣٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٤٣

يجب أن ينزل بواسطة ملائكة الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله جملة واحدة من دون تدرّج و لا توقف في نزول الآيات، اذ لا- مبرر و لا داعي لأن ينزل دين كامل من جميع الجهات، مكتمل من حيث الأصول و الفروع و التشريعات و الواجبات و السنن، على نحو التدرّج في ٢٣ عاما، و لمناسبات مختلفة.

و حيث أن القرآن نزل منجما، و بصورة متفرقة متناثرة، و عقيب طائفة من الأسئلة، أو وقوع حوادث و طرء حاجات في أزمنة مختلفة يمكن الحدس بان هذا الدين لم يكن كاملا من حيث الأصول و الفروع، و هو يتدرّج في التكامل و مثل هذا الدين الناقص الذي يسير نحو كماله خطوة خطوة و بالتدرّج لا يصح أن يوصف بالدين الالهى.

(١) ٢- إن آيات القرآن و التاريخ القطعي و المسلم للتوراة و الإنجيل و الزبور تحكى جميعها عن أن هذه الكتب السماوية اعطيت إلى المرسلين بها في ألواح مكتوبة مدوّنة، فلما لم ينزل القرآن الكريم على هذا الغرار، كأن ينزل القرآن على «محمد» في لوح مكتوب كما نزل التوراة في ألواح مكتوبة؟!

و حيث أن المشركين لم يكونوا يعتقدون بهذه الكتب السماوية قط، و لم يكن لهم على علم مسبق بكيفية نزولها، لذا يمكن القول بان مقصودهم من هذا الاعتراض كان هو الشكل الأول من هذا التوضيح، و الذي يتلخص في أنه لما ذا لم ينزل ملائكة الوحي آيات

القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله جملة واحدة، بل نزلت هذه الآيات عليه صلى الله عليه وآله في فواصل زمنية متفاوتة، و  
بمناسبات و حسب وقائع مختلفة متدرجة؟! (٢)

### الأسرار المنطقية للنزول التدريجي للقرآن:

#### إشارة

و لقد كشف القرآن القناع- في معرض الرد على اعتراض المشركين هذا- عن حكم و أسرار النزول التدريجي للقرآن الكريم.  
و إليك توضيح هذا القسم الذي اشار إليه الكتاب العزيز بعبارة مقتضة قصيرة:  
سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٤٤

(١) ١- إن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله يتحمل مسؤوليات كبرى، و ان شخصيته كهذه من الطبيعي ان يواجه مشاكل و متاعب  
باهضة و صعبة، و لا- ريب أن تلك المشاكل و المتاعب توجب الكلال، و انخفاض مستوى النشاط مهما كانت الروح التي يتمتع بها  
الشخص عظيمه، و قويه، في مثل هذه الحالة يكون تجديد الارتباط بالعالم الأعلى، و تكرر نزول الملك من جانب الله تعالى باعثا  
على تجديد النشاط، و عاملا- قويا في بث القوة و الحماس و المعنوية الفاعلة في نفس النبي و روحه، و بالتالي فان العناية و المحبة  
الالهية الممتدة لنبيه و رسوله إنما تتجدد بتكرر نزول الوحي عليه صلى الله عليه وآله من جانبه تعالى.  
و قد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة النفسية الكبرى اذ قال:  
«كَذَلِكَ لِنُنَبِّئَ بِهِ فُؤَادَكَ» (١).

(٢) ٢- و يمكن ان تكون الجملة المذكورة ناظرة الى جهة اخرى و هي: ان المصالح التربوية و التعليمية تقتضى أن ينزل القرآن  
الكريم على نحو التدرج و يلقي الى الناس على هذا الشكل أيضا و ذلك لان النبي الاكرم صلى الله عليه وآله معلم الامم، و طبيها  
الروحي الذي بعث الى الناس بالوصفات الالهية لتعليمهم، و هدايتهم و معالجة أمراضهم و أدوائهم الاجتماعية و الخلقية، و الفكرية، و  
كلف بأن يطبق هذه الوصفات في حياتهم العملية، و مثل هذا يتطلب التدرج لينفع الدواء- حينئذ- و تنجح المعالجة.  
إن أفضل و أنجح أساليب التربية هو أن يمتزج الجانب العملي بالجانب النظري في أئمة محاولة تربوية، و أن يطبق كل ما يدرسه  
الاستاذ بصورة عملية تطبيقية، و يعطى لما يلقيه من معلومات، صبغة تحقيقية، و يتجنب بشدة اتصاف أفكاره و آراءه بالطابع النظري  
البحث.

(٣) فلو أن الاستاذ المتخصيص في الطب اكتفى بالقاء جملة من المعلومات الكلية و الاسس العامة من الطب على طلابه في الصف  
حرم النتائج المتوخاة و الغايات

(١) الفرقان: ٣٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٤٥

المطلوبة من تعليم الطب، بشكل كامل.

أما إذا قرن الاستاذ درسه النظري بالإرشاد العملي و طبّق ما ألقاه و بيّنه من أفكار و معلومات في هذا المجال على جسم مريض راقد  
أمام الطلبة فانه سيحصل على نتائج أحسن، و يساعد الطلبة على فهم افضل للمواد التي درسوها في هذا المجال.

فلو أن الآيات القرآنية الكريمة قد نزلت جملة واحدة (و الحال أن المجتمع الإسلامي لم يكن يحتاج الى كثير منها) كان القرآن- حينئذ- فاقدا لهذه المزية التربوية الهامة التي أشرنا إليها قريبا في مثال تدريس الطب.

(١) ان بيان الآيات التي يشعر الناس في انفسهم بعدم الحاجة الى اخذها وتعلمها، لا يترك التأثير الباهر في القلوب، بينما إذا نزل ملائكة الوحي بآيات القرآن حسب حاجات الناس التي يشعرون فيها بضرورة تعلمها لتضمنها الأحكام والأصول والفروع التي يحتاجون إليها فانه لا شك يكون لها في هذه الحالة تأثير أحسن وأقوى في قلوب الناس. كما سيكون لها ترسخ أكبر في نفوسهم، وسيظهر الناس من انفسهم استعدادا أكبر لاخذ ألفاظها ومعانيها، وفوق كل ذلك سيشعرون بنتائج هذه التعاليم عند تعليم النبي إياها لهم، وعندئذ تتحقق المقولة التربوية التي أشرنا إليها في ما سبق وهي اقتران كلام المربي بالنتيجة لأن النظريات اتّخذت طابعا عمليا، ولم تكن مجرد نظريات لا ترتبط بالواقع.

(٢) ولكن يبقى هنا سؤال آخر وهو: إذا كان نزول القرآن قد تحقق على نحو التدريج و تبعاً للاحتياجات والحوادث المختلفة، فان ذلك يستلزم انفصام العلاقات والروابط بين الآيات والسور، وهذا ينتج أن لا يهتم الفكر البشري بتعلم وحفظ معارفها لتبعثرها، و تباعد أزمته و غياب علاقاتها، ولكن لو نزل القرآن جملة واحدة و تلاه ملائكة الوحي على رسول الله دفعة واحدة لرويت الروابط والعلاقات بين قضايا الوحي و لتضاعفت رغبة الناس و استعدادهم لأخذها وحفظها؟

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٤٦

(١) ولقد أجاب القرآن الكريم أيضا على هذا السؤال إذ قال: صحيح أن آيات القرآن الكريم نزلت على نحو التدريج تبعاً لطائفة من المقتضيات والموجبات إلا أن هذا النزول التدريجي لا يمنع أبداً من ترابط مطالبه، وارتباط مواضيعه بعضها ببعض، فان الله تعالى أفاض على هذه الآيات انسجاماً و ترابطاً خاصاً يمكن الإنسان من تعلمها و ضبطها و حفظها إذا أعطى الموضوع قليلاً من الاهتمام إذ قال تعالى:

«وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً» (١).

أي إننا أعطينا آيات القرآن نظاماً معيناً و ترتيباً خاصاً.

### أسرار أخرى لنزول القرآن تدريجاً:

(٢) ٣- لقد واجه رسول الله صلى الله عليه وآله في فترة رسالته و نبوته فئات مختلفة من الناس: كالوثنيين، و اليهود و المسيحيين الذين كان لكل فئة منهم ديناً خاصاً، و عقائد و تصورات خاصة حول المبدأ و المعاد، و غيرهما من المعارف العقلية.

و قد كانت اللقاءات المختلفة هذه توجب أن يعمد الوحي الالهي إلى توضيح و بيان عقائد هذه الفئات (و إن لم يكن مطلوباً و مقترحاً من قبلهم) و يقيم الأدلة و البراهين على بطلانها، و زيفها، هذا من جانب.

و من جانب آخر كانت هذه اللقاءات في أزمنة متفاوتة، و أوقات مختلفة، لهذا لم يكن بدّ من أن ينزل الوحي الالهي تدريجاً، و في الأوقات المختلفة، و يتصدى لبيان بطلان تلك العقائد و التصورات و يجب على شبهات المخالفين، اعتراضاتهم.

(٣) و ربما كانت توجب هذه المواجهات العقائدية إلى أن يطرحوا على النبي صلى الله عليه وآله بعض الاسئلة امتحاناً و اختياراً له و كان على النبي أن

(١) الفرقان: ٣٢.

يجيب عليها، وحيث أن هذه الاسئلة كانت تطرح في أوقات مختلفة، لهذا لم يكن مناص من أن ينزل الوحي الالهي في الأوقات و الأزمنة المختلفة، و على نحو التدرج.

هذا مضافا الى أن حياة النبي نفسها كان حياة ثورة، و وقائع، و كان النبي يواجه باستمرار أحداثا و قضايا يجب توضيح حكمها، و بيان المنهج فيها من جانب الوحي الالهي.

و ربما كان الناس أنفسهم يواجهون في حياتهم اليومية حوادث و امورا يرجعون فيها الى النبي صلى الله عليه وآله يطلبون منه الحكم الالهي فيها و يسألونه عما يجب اتخاذه من الموقف الشرعي في تلك الحوادث و ما يشابهها.

و حيث أن هذه الحوادث، و ما يترتب عليها من تساؤلات كانت تقع في اوقات مختلفة، و بمرور الزمن، لذلك لم يكن بد أيضا من ان ينزل الوحي الالهي بالتدرج ليجيب على هذه الاسئلة أولا بأول.

و قد أشار القرآن الكريم إلى هذه النقاط، و إلى نقاط اخرى غيرها في قوله تعالى:

«وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» (١).

(١) ٤- إن للنزول التدرجي للقرآن الكريم وراء كل ذلك سرا آخر، و علة اخرى غفلوا عنها، ألا- و هي: هداية الناس و توجيه أنظارهم إلى منشأ هذا الكتاب، و أن القرآن ليس ألا كتابا سماويا، و وحيا إلهيا لا غير، و لا يمكن أن يكون من نسج العقل البشري، لأن القرآن نزل خلال (٢٣ عاما) عبر طريق طويل من أنواع الحوادث و الوقائع المسرة و المحزنة، المقرونة بالنصر و الهزيمة، و النجاح و الإخفاق، و لا شك أن هذه الحالات المختلفة، و الاحاسيس و المشاعر المتنوعة المتباينة، تترك أثرا عميقا في نفس الإنسان، و روحه و عقله، و لا يمكن لإنسان واحد أن يتكلم بكلام من نوع واحد، و بنبذة واحدة، في حالتين

(١) الفرقان: ٣٣.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٤٤٨

نفسيتين متضادتين، فالكلام الصادر في حال الفرح و الابتهاج و المسرة من اللسان او القلم، يختلف من حيث الفصاحة و البلاغة و جمال اللفظ و عمق المعنى اختلافا بارزا عن الكلام الصادر في حال الحزن و التعب، و الاخفاق، و الهزيمة.

(١) بينما لا- يوجد أي شيء من الاختلاف من حيث الألفاظ و المعاني بين آيات القرآن الكريم مع أنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يمر بحالات مختلفة من الحزن و السرور و الاخفاق و الانتصار و السراء و الضراء، و العسر و الرخاء، و الجهد و النشاط، بل نجد تلك الآيات على نمط و نسق واحد من القوة و الفصاحة و البلاغة، و جمال اللفظ و عمق المعنى بحيث يستحيل على أي بشر بلغ ما بلغ أن يعارض آية من آياته أو سورة من سورته، و كأن القرآن الكريم كمية من الفضة المائعة خرجت من الاتون جملة واحدة لا يوجد بين آياتها أي شيء من التفاوت و الاختلاف، أو كأنه جوهرة واحدة أولها كآخرها و آخرها كأولها.

و لعل الآية التالية التي تنفي أي نوع من أنواع الاختلاف في القرآن اذ تقول:

«وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا» (١) اشارة الى هذا السر.

إن المفسرين اعتبروا هذه الآية نظرة إلى نفى الاختلاف و التناقض بين مفاهيم الآيات و مفاداتها، و مقاصدها، في حين لا تنفي هذه الآية مجرد هذا النوع من الاختلاف بل تقدس القرآن المجيد و تنزهه من جميع انواع الاختلاف و التناقض الذي هو من لوازم العمل و الانتاج البشري.

(١) النساء: ٨٢.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٤٤٩

(١)

## ١٧ الى الحبشة

## الهجرة الاولى

تعتبر هجرة فريق من المسلمين الى ارض الحبشة دليلا بارزا على إيمانهم و اخلاصهم العميق لدينهم، و لربهم و ذلك لأن فريقا من الرجال و النساء يقررون- و بهدف الحفاظ على عقيدتهم و التخلص من أذى قريش و مضايقتها و الحصول على مكان آمن يقيمون فيه شعائرهم بحرية و يعبدون الله الواحد- مغادرة (مكة)، العربية التي ترزح تحت ظلام الوثنية، فلا يمكن أن يرفعوا نداء التوحيد عاليا في أية نقطة من نقاطها، و لا يمكنهم اقامة احكام الدين الحنيف فيها من دون خوف أو وجل، و بعيدا عن الارهاب، و يفكرون، و يفكرون، و أخيرا يقودهم التفكير إلى أن يفاتحوا رسول الله صلى الله عليه و آله بهذه المسألة، و يطلبوا في ذلك رأى النبي الذي يقوم دينه على مبدأ: «إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ» (١).

(٢) لقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله يعرف أوضاع المسلمين المؤلمة جيدا، فقد كان هو يحظى بحماية بني هاشم، و كان الفتيان الهاشميون يحمونه و يحفظونه

(١) العنكبوت: ٥٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٥٠

من كل اذى، و لكن الذين آمنوا به من الإماء و العبيد، و من ليست لهم حماية من الأحرار المستضعفين الذي كانوا يشكلون عددا كبيرا من المسلمين السابقين كان يتعرضون لشتى صنوف العذاب و الايذاء و المضايقة من قريش التي لم تأل جهدا، و لم تدخر وسعا، و لم تفوت فرصة و لا- وسيلة للاحاق العنت و الأذى بالمؤمنين برسول الله صلى الله عليه و آله، و لا يستطيع صلى الله عليه و آله منعهم من ذلك.

و قد كان زعماء كل قبيلة يعمدون- للمنع من نشوب أى صدام بين القبائل- الى تعذيب من اسلم من ابناء قبيلتهم، و ايدائه و التنكيل به، و قد مرت عليك نماذج و امثلة من أذى قريش و تعذيبها القاسى للمسلمين.

(١) لهذه الأسباب عند ما طلب أصحاب النبي صلى الله عليه و آله رأيه فى الهجرة من مكة قال فى جوابهم:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد و هى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه» (١).

أجل ان مجتمعا صالحا يتسلم زمام الأمر فيه رجل صالح عادل نموذج مصغر من جنه عدن بالنسبة الى المسلمين المضطهدين فى بلدهم بسبب عقيدتهم، و هو ما كان يريده و يتمناه أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله ليتمكنوا من القيام بشعائر دينهم فيه فى جو من الطمأنينة و الامن.

و لقد كان لكلام رسول الله صلى الله عليه و آله أثر قوى فى نفوسهم تلك الثقة المؤمنة الباحثة عن ارض تعبد فيها الله فى أمان، بحيث لم يمض زمان إلّا و قد شدت رحالها و غادرت مكة ليلا فى غفلة من الاجانب (المشركين) مشاء و ركباناً، متجهة نحو جدّه، للسفر عبر مينائها الى ارض الحبشة.

و كان هذا الفريق يتألف من عشر أو خمسة عشر شخصا بينهم أربعة من

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٢١، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٧٠، و بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٤١٢ نقلا عن مجمع البيان للطبرسى.



سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٥١

النسوة المسلمات (١).

(١) والآن يجب أن نرى لما ذا لم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله للمسلمين مناطق أخرى للهجرة إليها، وإنما ذكر الحبشة فقط. إن سر هذا الاختيار هذا يتضح إذا درسنا أوضاع الجزيرة العربية وغيرها من المناطق آنذاك.

إن الهجرة إلى المناطق العربية التي كان سكانها من المشركين والوثنيين قاطبة كان أمراً محفوفاً بالخطر، فإن المشركين كانوا سيمتنعون عن قبول المسلمين في أرضهم إرضاءً لقريش أو وفاءً وتعصباً لدين الآباء (الوثنية).

وكذلك المناطق التي كان يقطنها المسيحيون أو اليهود، من الجزيرة العربية لم تكن تصلح للهجرة المسلمين إليها هي الأخرى لأن تينك الطائفتين كانتا تتقاتلان فيما بينهما في صراع مذهبي و طائفي، فلم تكن الأوضاع لتسمح بأن يدخل طرف ثالث في حلبة الصراع، هذا مضافاً إلى أن دينك الفريقين (اليهود والنصارى) كانا يحتقران العنصر العربي أساساً، فكيف يمكن الهجرة إلى مناطقهم والتعايش معهم؟!

(٢) أما «اليمن» فقد كان تحت سيطرة الحكم الإيراني الملكي، ولم تكن السلطات الإيرانية آنذاك لتسمح باقامة المسلمين في ربوع «اليمن»، لما عرف من نعمتها فيما بعد على الدعوة الإسلامية إلى درجة أنه لما وصلت رسالة النبي صلى الله عليه وآله إلى «خسرو برويز» كتب إلى عامله على اليمن فوراً «أحمل إلي هذا الذي يذكر أنه نبي، وبدأ اسمه قبل اسمي، ودعاني إلى غير ديني» (٢)!! . وكذلك كانت «الحيرة» تحت الاستعمار والنفوذ الإيراني كاليمن.

(٣) وأما «الشام» فقد كانت بعيدة عن «مكة المكرمة»، هذا مضافاً إلى أن «اليمن» و «الشام» كانتا سوقين لقريش، وكانت تربط قريش بسكان هاتين المنطقتين روابط وعلاقات وثيقة، فإذا كان المسلمون يلجئون إليها أخرجوا منهما

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٥٢

يطلب من قريش، تماماً كما طلبت من ملك الحبشة مثل هذا الطلب، ولكنه رفض طلبهم.

(١) وقد كانت الرحلة البحرية - في تلك الآونة - وبخاصة برفقة النساء والأطفال رحلة شاقة جداً، من هنا كانت هذه الهجرة، وترك الحياة والمعيشة في الوطن دليلاً قوياً على إخلاص أولئك المهاجرين لدينهم وعمق إيمانهم به، و صدقه.

ولقد كان ميناء «جدة» آنذاك ميناء تجارياً عامراً كما هو عليه الآن، ومن حسن الاتفاق أن هذه الثلاثة المهاجرة قد وصلت إلى هذا الميناء في الوقت الذي كانت فيه سفينتان تجاريتان على اهبة الإقلاع، والتوجه نحو الحبشة، فبادر المسلمون إلى ركوبها والسفر عليها دون تلكؤ خشية لحاق قريش بهم والقبض عليهم، لقاء نصف دينار عن كل راكب.

و كان ذلك في شهر رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله (١).

ولما عرف المشركون بهجرة بعض المسلمين أمروا جماعة من رجالهم بملاحقة أولئك المهاجرين وأعادتهم إلى مكة فوراً، ولكن المسلمين المهاجرين كانوا قد غادروا شواطئ «جدة» قبل أن يدرهم الطلب (٢).

(٢) ومن الواضح أن ملاحقة مثل هذه الثلاثة التي لم تلجأ إلى أرض الغير إلا لأجل الحفاظ على عقيدتها والفرار من الفتنة لنموذج بارز من عتو قريش وعنادها.

فأولئك المهاجرون مؤمنون تركوا الأهل والوطن، و اغمضوا الطرف عن المال، والتجارة، و خرجوا يطلبون أرضاً نائية يمارسون فيها شعائرهم بحرية، و مع ذلك لا يكف عنهم زعماء مكة و جابرتها و طغاتها!!



اجل ان رؤساء «دار الندوة» بمكة و اقطابها كانوا يعلمون جيدا أسرار هذه

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٤١٢ نقلا عن مجمع البيان للطبرسي.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٢١-٣٢٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٥٣

الهجرة و آثارها من خلال بعض القرائن، و المؤشرات و لذلك كانوا يرددون فيما بينهم امورا سندكرها في ما بعد. هذا و الجدير بالذكر أن اعضاء هذا الفريق المهاجر لم يكونوا من قبيلة واحدة بل كان كل واحد من هؤلاء العشرة ينتمى الى قبيلة خاصة.

### الهجرة الثانية الى الحبشة:

(١) ثم انه وقعت بعد هذه الهجرة هجرة اخرى، و كان في مقدمة المهاجرين هذه المرة «جعفر بن أبي طالب». ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله.

و لقد تمت الهجرة الثانية في منتهى الحرية، لأن المسلمين المهاجرين استطاعوا في هذه الهجرة ان يصطحبوا معهم نساءهم و أولادهم، بحيث بلغ عدد المسلمين في أرض الحبشة هذه المرة (٨٣).

هذا إذا لم نحص من ولد في أرض الحبشة لهم، و الّا كان العدد اكثر من هذا الرقم.

و لقد وجد المسلمون المهاجرون ارض الحبشة كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وآله لهم: منطقة عامرة، و بيئة آمنة حرة، تصلح لأن يعبد فيها الله تعالى بحرية و أمان.

تقول «أم سلمة» التي تشرفت بالزواج من رسول الله صلى الله عليه وآله في ما بعد، عن تلك الارض: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمنا على ديننا، و عبدنا الله تعالى، لا نؤذى، و لا نسمع شيئا نكرهه.

كما أنه استفاد ممّا قاله بعض اولئك المهاجرين من الشعر في الحبشة، انهم أمنوا بأرض الحبشة، و حمدوا جوار النجاشي، و عبدوا الله لا يخافون على ذلك أحدا.

(٢) و نحن نكتفي هنا بادراج بعض الآيات من قصيدة مطوّلة أنشأها «عبد الله بن الحارث» في هذا الصدد:

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٥٤ يا راكبا بلغن عنى مغلغلة «١» من كان يرجو بلاغ الله و الدين

كلّ امرئ من عباد الله مضطهد بطن مكّه مقهور و مفتون

أنا وجدنا بلاد الله واسعة تنجى من الذلّ و المخزاة و الهون

فلا- تقيموا على ذلّ الحياة و خزي في الممات و عيب غير مأمون «٢» و يقول ابن الاثير: و كان مسيرهم (الى الحبشة) في رجب سنة خمس من النبوة و هى السنة الثانية من اظهار الدعوة فاقاموا شعبان و شهر رمضان و قدموا في شوال سنة خمس من النبوة، و كان سبب قدومهم الى النبي صلى الله عليه وآله انه بلغهم ان قريشا اسلمت فعاد منهم قوم و تخلف قوم «٣».

هذا و يمكن للقارئ الكريم أن يقف على تفاصيل هذا القسم في السيرة النبوية لابن هشام «٤».

(١)

قريش نوفد رجالا لاسترداد المسلمين:

عند ما بلغ قريشا وزعماء «مكة» ما أصبح فيه المسلمون المهاجرون من أمن وحرية، و ما حصلوا عليه من حسن الجوار و الطمأنينة و الراحة في أرض الحبشة ثارت نائرة الحسد و الغيظ في قلوبهم، و توجسوا خيفة من نفوذ المسلمين في الحبشة لأن أرض الحبشة قد أصبحت قاعدة قوية للمسلمين، و كانت الزعامة المكية تتخوف من أن يجد أنصار الإسلام و اتباعه منفذا إلى بلاط النجاشي زعيم الاحباش و ملكهم، و يميلوا قلبه نحو الإسلام، و يكسبوا تاييده للمسلمين، فيؤول الأمر إلى أن يعبئ جيشا كبيرا للقضاء على حكومة المشركين الوثنيين في شبه الجزيرة العربية، و عندها تكون الكارثة.

(٢) فاجتمع أقطاب «دار الندوة» مرة أخرى للتشاور في الأمر، فاستقر رأيهم على أن يبعثوا إلى البلاط الحبشي من يقدم إلى النجاشي و وزرائه و قواده هدايا

(١) المغلغة: الرسالة ترسل من بلد الى بلد.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٥١-٣٥٣.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٢ و ٥٣.

(٤) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٥٤-٣٦٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٥٥

مناسبة يستميلونهم بها ليستطيعوا من هذا الطريق التأثير على النجاشي تم يتسنى لهم بعد ذلك ان يقنعه بضرورة إخراج المسلمين المهاجرين من أرضه أن يتهمونهم عنده بالسفاهة و الجهل، و ابتداع دين جديد منكر، و الارتداد عن دين الآباء و الاجداد!!

(١) و لكي تتحقق خطتهم هذه على أحسن وجه و يصلوا عن طريقها إلى أفضل النتائج اختاروا من بينهم رجلين ماكرين اصبح احدهما في ما بعد من دهاقنة السياسة و هما: «عمر بن العاص»، و «عبد الله بن ابي ربيعة» و قال لهما كبير المؤتمرين في ذلك الدار: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلمنا النجاشي فيهم، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم. فخرج موفدا قريش حتى قدما على النجاشي بعد أن تلقيا هذه التعليمات.

و هناك في الحبشة دفعا الى كل بطريق من بطارقة النجاشي وقادة جيشه و وزرائه هديته، و قالا لكل بطريق منهم:

إنه قد ضوى (١) إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، و لم يدخلوا في دينكم، و جاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن و لا اتم، و قد بعثنا إلى الملك لنكلمه في أمرهم أشرف قومهم ليردّهم إليهم فاذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا، و لا يكلمهم، فان قومهم أبصر بهم، و اعلم بما عابوا عليهم».

(٢) فابدى اولئك البطارقة و القادة و الوزراء الطامعون الجهلة استعدادهم لمساعدة الرجلين في إنجاح مهمتهم.

و لما كان من غد دخلا على النجاشي و قدما هداياهما إليه فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له:

أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم و لم

(١) ضوى أى لجأ و أتى ليلا.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٥٦

يدخلوا في دينك، و جاءوا بدين ابتدعه لا- نعرفه نحن و لا- أنت، و قد بعثنا إليك فيهم أشرف قومهم من آبائهم و أعمامهم و عشائهم لتردّهم إليهم، فهم أبصر بهم و اعلم بما عابوا عليهم و عاتبوهم فيه.

و ما أن انتهى موفدا قريش من الكلام إلّا و قالت بطارقتة حوله: صدقا أيها الملك، قومهم أبصر بهم، و أعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما، فليرداهم الى بلادهم و قومهم.

(١) فغضب النجاشي و كان رجلا- حكيما عادلا- و قال: لاها الله، إذن لا اسلمهم إليهما، و لا يكاد قوم جاوروني، و نزلوا بلادى و اختاروني على من سواى حتى ادعوهم فاسألهم عما يقول هذان فى أمرهم فان كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، و رددتهم الى قومهم، و ان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما و احسنت جوارهم ما جاوروني.

ثم ارسل الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله المهاجرين الى الحبشة فدعاهم من غير أن يعلمهم بما يريد منهم، فحضروا عنده، و كانوا قد قرّروا أن يكون متكلمهم و خطيبهم: «جعفر بن أبى طالب» و قد قلق بعض المسلمين لما قد سيقوله «جعفر» عند الملك، و بما ذا سيكلمه و يجيبه، فسألوه عن ذلك فقال لهم جعفر: أقول و الله ما علمنا، و ما امرنا به نبينا صلى الله عليه و آله كائنا فى ذلك ما هو كائن.

(٢) فالتفت النجاشي الى «جعفر» و سأله قائلا:

ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، و لم تدخلوا (به) فى دينى و لا فى دين أحد من هذه الملل؟

فقال جعفر بن ابى طالب:

«أيها الملك، كنّا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الارحام، و نسىء الجوار، و يأكل القويّ ممّا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه و صدقه، و أمانته و عفافه، فدعانا الى الله لنوحده و نعبده، و نخلع ما كنّا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من

سيد المرسلين، ج١، ص: ٤٥٧

الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحديث، و أداء الأمانة، و صلة الرحم، و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أكل مال اليتيم، و قذف المحصنات. و أمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصلاة و الزكاة و الصيام فصّدّقناه و أمّنا به، و اتّبعتنا على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، و حرّمنا ما حرّم علينا، و أحلّلنا ما أحلّل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبّونا، و فتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، و ان نستحل ما كنّا نستحل من الخبائث، فلمّا قهرونا و ظلمونا و ضيقوا علينا، و حالوا بيننا و بين ديننا، خرجنا إلى بلادك، و اخترناك على من سواك، و رغبتنا فى جوارك، و رجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك».

(١) فأثرت كلمات جعفر البليغة، و حديثه العذب تأثيرا عجيبا فى نفس النجاشي بحيث اغرورقت عيناه بالدموع، و قال: لجعفر هل معك ممّا جاء به عن الله من شيء؟

فقال جعفر: نعم فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه جعفر آيات من مطلع سورة مريم، و استمرّ فى قراءته، و بذلك بين نظرة الإسلام إلى «مريم» عليها السلام و طهاره جيبها، و الى مكانه المسيح عليه السلام، و عظمه شأنه، و جليل مقامه، فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته بالدموع و بكت اساقفته «١» حتى بلّوا مصاحفهم بها حين ما سمعوا ما تلاه جعفر عليهم حول مريم و المسيح عليهما السلام.

و بعد صمت قصير ساد ذلك المجلس قال النجاشي:

«إن هذا و الذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة» و هو يقصد أن القرآن و الإنجيل كلام الله و أنهما شيء واحد.

ثم التفت الى موفدى قريش و قال لهما بنبرة قوية: انطلقا فلا و الله لا أسلمهم إليكما و لا يكادون، فخرجا من عنده.

(١) الاساقفة؛ جمع اسقف: علماء النصرى. سيد المرسلين ج ١ ٤٥٨ قريش توفد رجلا لاسترداد المسلمين: ..... ص : ٤٥٤

سيد المرسلين، ج١، ص: ٤٥٨

(١) و عند المساء تكلم «عمرو بن العاص»- و كان امراً خداعا ماكرا- مع رفيقه «عبد الله بن ربيعة» فى الأمر، و قال له: و الله لآتيه غدا

عنهم بما استأصل به حضراءهم (و هو يعنى أنه سيأتى بحيلة تقضى على جذور المهاجرين بالمرّة) ولا خبرته أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد. (أى على خلاف ما يعتقد النصارى فى المسيح).

فنهاه «عبد الله» عن ذلك وقال: لا تفعل، فإنّ لهم أرحاما، و ان كانوا خالفونا، و لم ينفع نهى عبد الله له.

(٢) و لمّا كان من الغد دخلا على النجاشى مرّة اخرى فقال له «عمرو» متظاهرا هذه المرّة بالدفاع عن عقيدة النصارى و هى دين الملك و اهله، و منتقدا رأى المسلمين.

أيها الملك، إنهم يقولون فى «عيسى بن مريم» قولا عظيما. فارسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

فارسل النجاشى إليهم ليسألهم عنه، و هو الملك المحنك الذى لا يأخذ الامور على ظواهرها، و من غير تحقيق و دراسة، فأدرك المسلمون بفطنتهم أنه سيسألهم هذه المرّة عن موقفهم من المسيح عليه السلام فاتفقوا أن يكون «جعفر» متكلمهم و خطيبهم و عند ما سألوهم عما سيجيب به الملك قال: أقول و الله ما قال الله، و ما جاءنا به نبينا.

(٣) فلما دخلوا على النجاشى قال لجعفر بن ابى طالب: ما ذا تقولون فى عيسى بن مريم؟

فقال جعفر: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه و آله: هو عبد الله و رسوله و روحه و كلمته القاها الى مريم العذراء البتول.

فسرّ النجاشى لكلام جعفر و رضى به و قال: هذا و الله هو الحق، و الله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت

و لكنّ حاشيته لم ترض بهذا الكلام و لم تقبل بما قاله الملك، و لكنّه لم يعبا بهم، و أيد مقالة المسلمين، و منحهم الحرية الكاملة، و الأمان الكامل قائلا لهم:

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٥٩

اذهبوا فانتم آمنون فى أرضى من سبكم غرم، من سبكم غرم، ما احب أن لى دبرا من ذهب و إنى آذيت رجلا منكم.

و ردّ على موفدى قريش هداياهما قائلا لهما: «ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها، فو الله ما أخذ الله منى الرشوة حين ردّ على ملكى فاخذ الرشوة فيه، و ما أطاع الناس فى فاطيهم فيه».

فخرج مبعوثا قريش مقبوحين مردودا عليهما ما جاء به يجران اذيال الخيبة «١».

و ينبغى ان نسجل هنا موقفا آخر من مواقف ابى طالب فى تأييد المسلمين، و نصره الدين الحنيف.

فقد أرسل «ابو طالب» أبياتا للنجاشى يحثه على الدفع عن المهاجرين و حسن جوارهم و تلك الابيات هى:

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر و عمرو و اعداء العدو: الأقارب؟

و هل نالت افعال «٢» النجاشى جعفر او أصحابه أو عاق ذلك شاغب؟

تعلم، أبيت اللعن، انك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب

تعلم بان الله زادك بسطة و أسباب خير كلّها بك لازب

و أنك فىض ذو سجال غزيرة ينال الاعادى نفعها و الاقارب «٣»

(١)

### العودة من الحبشة:

قلنا فى ما مضى أنّ المجموعة الاولى من المهاجرين رجعت من الحبشة الى مكة لأنباء بلغتها عن إسلام قريش عامه و انضوائها تحت راية الإسلام. حتى إذا دنوا من «مكة» بلغهم أن ما كانوا تحدّثوا به من إسلام اهل مكة كان باطلا،

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٣٨، إمتاع الاسماع: ص ٢١ بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٤١٤ و ٤١٥.

(٢) إحسان.

(٣) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٣٣ و ٣٣٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٦٠

فلم يدخل منهم الى «مكة» إلا قليل دخلوها مستخفين أو في جوار بعض الشخصيات القرشية بينما عاد الأثرون من حيث جاءوا. (١) و كان ممن دخل «مكة» بجوار «عثمان بن مظعون» الذى دخلها بجوار «الوليد بن المغيرة» (١) و لكنه كان يشاهد ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من البلاء، و العذاب و هو يغدو و يروح فى امان فتألم لذلك و لم تطق نفسه تحمّل هذا الفرق و قال: و الله إن غدوى و رواحى آمنا بجوار رجل من أهل الشرك، و أصحابى و أهل دينى يلقون من البلاء و الأذى فى الله ما لا يصيبنى لنقص كبير فى نفسى. فمشى الى «الوليد بن المغيرة» و ردّ عليه جواره ليواسى المسلمين و يشاركهم فى آلامهم و متاعبهم و قال: يا أبا عبد شمس وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك.

قال: لم يا ابن أخى؟ لعله آذاك أحد من قومى؟

قال: لا و لكنى أرضى بجوار الله و لا اريد أن أستجير بغيره.

فقال الوليد له: إذن فاردد على جوارى علانية كما أجرتك علانية.

(٢) فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد، فقال «الوليد» مخاطبا من حضر من قريش: هذا عثمان قد جاء يردّ على جوارى.

قال: صدق، قد وجدته وفيما كريم الجوار و لكنى قد احببت أن لا استجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره «٢».

ثم لم يمض شىء من الوقت حتى دخل المسجد «ليبد» و كان شاعرا متكلمًا بارزا من شعراء العرب و متكلميها و وقف فى مجلس من قريش ينشدهم و «عثمان بن مظعون» جالس معهم فقال من جملة ما قال شعرا:

ألا كل شىء ما خلا الله باطل

فقال عثمان بن مظعون: صدقت فقال: ليبد:

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٦٩.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٧٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٦١ و كل نعيم لا محالة زائل

(١) قال عثمان: كذبت، نعيم الجنة لا يزول فاستثقل «ليبد» تكذيب عثمان و تحدّيه له فى ذلك الجمع فقال: يا معشر قريش و الله ما كان يؤذى جليسكم، فمتى حدث هذا فيكم؟؟

فقال رجل من القوم: إن هذا سفهه فى سفهاء معه، قد فارقوا ديننا فلا تجدن فى نفسك من قوله.

فردّ عليه «عثمان» حتى تفاقم الأمر بينهما فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضّرها (و اصابها)، و الوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ عثمان فقال: أما و الله يا ابن أخى إن كانت عينك عمّا أصابها لغتية لقد كنت فى ذمة منيعه (و هو يريد أنك لو بقيت فى ذمتى و جوارى لما أصابك ما أصابك).

فقال عثمان راداً عليه: بل و الله إن عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب اختها فى الله، و انى لفى جوار من هو أعزّ منك، و أقدر يا أبا عبد شمس.

فقال له الوليد: هلّم يا ابن أخى إن شئت فعد إلى جوارك، فقال ابن مظعون: لا «١».

و كانت هذه صورة رائعة من صور كثيرة لصلمود المسلمين، و تفانيهم فى سبيل العقيدة، و إصرارهم على النهج الذى اختاروه، و مواساة بعضهم لبعض فى أشدّ فترة من فترات التاريخ الإسلامى.

(٢)

**وفد مسيحي لتقصي الحقائق يدخل مكة:**

قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو بمكة عشرون رجلا من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، مبعوثين من قبل أساقفتها لتقصي الحقائق بمكة، والتعرف على الإسلام. فوجدوا رسول الله في المسجد، فجلسوا إليه، وكلموه وسألوه عن مسائل، ورجال من قريش فيهم «أبو جهل» في أنديتهم حول الكعبة.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٧٠ و ٣٧١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٦٢

فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وآله عما أرادوا دعاهم - صلى الله عليه وآله - إلى الله عز وجل وتلا عليهم آيات من القرآن الكريم، فكان لها من التأثير البالغ في نفوسهم بحيث عند ما سمعوها فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، بعد ما عرفوا منه ما كان يوصف في كتابهم (الانجيل) من أمره.

فلما قاموا عنه، ورأت قريش ما نتج عنه ذلك اللقاء استثقله «أبو جهل» فقال للنصارى الذين أسلموا معترضا وموبخا: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تظمنن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركبا أحق منكم.

فأجابه اولئك بقولهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيرا «١».

وبذلك الكلام الرفيق الجميل ردوا على فرعون مكة الذي كان يبغى - كسحابة داكنة - حجب أشعة الشمس المشرقة، و حالوا دون وقوع صدام.

(١)

**قريش توفد إلى يهود يثرب للتحقيق:**

لقد أيقظ وفد نصارى الحبشة إلى مكة وما نجم عن لقائهم برسول الله صلى الله عليه وآله قريشا ودفعهم إلى تكوين وفد يتألف من: «النضر بن الحارث» و «عاقبة بن ابى معيط» وغيرهما وإرسالهم إلى أحبار يهود المدينة ليسألونهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ودينه.

فقال أحبار اليهود لمبعوثي قريش: سلوا محمدا عن ثلاث نأمركم بهنّ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، سلوه:

١- عن فتية ذهبوا في الدهر الأول (يعنون بهم أصحاب الكهف) ما كان

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٩٠ و ٣٩٣ وقد نزلت في هذا الشأن الآيات ٥٢ إلى ٥٥ من سورة القصص.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٦٣

من امرهم، فانه قد كان لهم حديث عجيب.

٢- وعن رجل طواف (يعنون به ذا القرنين) قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وخبره؟

٣- وعن الروح ما هي؟

(١) فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه، فإنه نبى، وإن لم يفعل، فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم.

فعاد وفد قريش إلى «مكة» ولما قدموها قالوا لقريش ما سمعوه من أحبار اليهود.

فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وطرحوا عليه الأسئلة الثلاثة السالفة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: انتظر في ذلك وحيا «١».

ثم نزل الوحي يحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الأجوبة المطلوبة على تلك الأسئلة.

وقد ورد الجواب عن السؤال عن الروح في الآية ٨٥ من سورة الإسراء.

واجيب على السؤالين الآخرين عن أصحاب «الكهف» و ذى القرنين بتفصيل في سورة «الكهف» ضمن الآيات ٩- ٢٨ والآيات ٧٣-٩٣.

وقد وردت تفصيلات هذه الإجابات التي أجاب بها رسول الله صلى الله عليه وآله على أسئلتهم في كتب التفسير.

ولا بد هنا من أن نذكر القارئ الكريم بنقطة مفيدة وهي أن المراد من «الروح» في سؤال القوم ليس هو الروح الإنسانية بل كان المراد هو جبرئيل الأمين، (بقريته أن المقترحين الأصليين لهذه الأسئلة: هم اليهود وكانوا يكرهون الروح الأمين، ويعادونه)، وهو أمر مبحث في محله من كتب التفسير.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٠٠-٣٠٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٦٥

(١)

## ١٨ الأسلحة الصديئة والأساليب الفاشلة

### إشارة

نظم أسياذ قريش صفوفهم لمكافحة عقيدة التوحيد، بعد أن أدركوا عقم المواقف المبعثرة من هذا الدين وأهله.

فقد حاولوا في بداية الأمر أن يثبوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن المضى في مواصلة دعوته، وذلك بتطميعة بالمال والجاه وما شابه ذلك، ولكن لم يحصلوا من ذلك على شيء، فقد خيب ذلك الرجل المجاهد ظنونهم فيه، وبدد آمالهم في اثنا عشر هدفة بكلمته الخالدة المدوية: «والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر لما فعلت» وهو يعنى ان تمليك العالم كله لا يثنيه عن هدفة ولا يصرفه عن تحقيق ما ندب إليه، و ارسل به.

(٢) فعمدوا إلى سلاح آخر هو التهديد والأذى، والتكليل به وبأصحابه وانصاره، ولكنهم واجهوا صموده و صمود أنصاره و اصحابه، وثباتهم الذى ادى إلى انتصار المؤمنين في هذا الميدان، وخيبة المشركين وهزيمتهم.

وقد بلغ من ثبات المسلمين على الطريق أنهم أقدموا على مغادرة الوطن، وترك الأهل والعيال، والهجرة إلى الحبشة فرارا بدينهم إلى الله، وسعيا وراء نشره وبثه في غير الجزيرة من الآفاق.

ولكن رغم إخفاق أسياذ قريش المشركين في جميع هذه الجبهات والميادين

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٦٦

وعجزهم عن استئصال شجرة التوحيد الفتية، وفشل جميع الأسلحة التي استخدموها للقضاء على الدين الجديد وأهله، لم تنته



محاوالاتهم الإجهاضية بل عمدوا هذه المرة إلى استخدام سلاح جديد حسبوه أمضى من سوابقه.

(١) وهذا السلاح هو سلاح الدعاية ضد رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنه صحيح أن إيذاء و تعذيب جماعة المؤمنين في «مكة» تمنع غيرهم من سكان «مكة» من الانضواء إلى الإسلام إلا أن الحجيج الذين كانوا يسافرون إلى مكة في الأشهر الحرم و كانوا يلتقون رسول الله صلى الله عليه وآله في جو من الأمن و الطمأنينة خلال تلك المواسم كانوا يتأثرون بدعوة النبي صلى الله عليه وآله و يتزعزع اعتقادهم بالأوثان على الأقل، إن لم يؤمنوا بدينه، و لم يستجيبوا لدعوته، ثم إنهم كانوا ينقلون رسالة الإسلام و أبناء النبي صلى الله عليه وآله إلى مواطنهم، و مناطقهم و كان ينتشر بذلك اسم رسول الله، و أبناء دينه في شتى مناطق الجزيرة العربية، و كان هذا هو بنفسه ضربة قوية توجه إلى صرح الوثنية في مكة، و عاملاً قويا في انتشار عقيدة التوحيد، و سطوع أمره.

من هنا اتخذ سادة قريش اسلوباً آخر، قاصدين بذلك الحيلولة دون انتشار الإسلام، و اتساع رقعته، و قطع علاقة المجتمع العربي به. و إليك فيما ياتي بيان تفاصيل هذا الاسلوب، و هذه الخطة:

(٢)

### ١- الاتهامات الباطلة:

#### إشارة

يمكن التعرف على شخصية أى واحد و تقييمها من خلال ما يرميه به اعداؤه من شتائم و سباب، و ما يكيلون له من اتهامات و نسب، فان العدو يسعى دائما الى أن يتهم خصمه بنوع من انواع التهم ليضل الناس، و يصرفهم عنه، و ليتمكن بما يحوكه حوله من أراجيف و أباطيل الحط من شأنه في المجتمع و اسقاطه من الانظار و الأعين. ان العدو الذكى يسعى دائما إلى ان ينسب إلى منافسه ما يصدقه و لو فئه خاصة من الناس على الاقل، و يوجب شكهم في صدقه، و يتجنب تلك النسب

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٦٧

التي لا تصدق في شأنه، و لا تناسب اخلاقه و افعاله المعروفة عنه، و لا تمسه بشكل من الأشكال، لأنه سوف لا يجنى في هذه الحالة إلا عكس ما يقصد، و خلاف ما يريد.

(١) و من هنا يستطيع المؤرخ المحقق أن يتعرف على الشخصية الواقعية لمن يدرسه، و على مكانته الاجتماعية، و أخلاقه و سجاياه و لو من خلال ما ينسبه الأعداء إليه، و ما يكيلون له من أكاذيب و افتراءات، و نسب باطلة و اتهامات، لأن العدو الذى لا يخاف أحدا لا يقصير في كيل كل تهمة تنفعه و تخدم غرضه إلى الطرف الآخر، و يستخدم هذا السلاح (أى سلاح الدعاية) ما استطاع، و ما ساعدته معرفته بالظروف، و درايته بالفرص.

فاذا لم ينسب إليه أى شىء من تلك النسب الباطلة فان ذلك إنما هو لأجل طهارة جيبه، و نقاء صفحته، و تنزه شخصيته عن تلك النسب، و لأن المجتمع لم يكن ليعبأ بها و لم يصدقها في شأنه.

و لو أننا تصفحنا اوراق التاريخ الإسلامى لرأينا أن قريشا مع ما كانت تكن من عدا، و تحمل من حقد على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، و كانت تسعى بكل جهدها أن تهدم صرح الإسلام الجديد الظهور، و أن تحط من شأن مؤسسه و بانيه لم تستطع مع ذلك أن تستفيد من هذا السلاح، و تستخدمه كاملا.

(٢) فقد كانت تفكر في نفسها: ما ذا تقول في حق رسول الله؟ و ما ذا ترى تنسب إليه؟؟



هل تتهمه بالخيانة المالية وها هم جماعة منهم قد ائتمنوه على أموالهم؟! «١» كما أن حياته الشريفة طوال الأربعين سنة الماضية جسدت امانته امام الجميع، فهو الامين بلا منازع؟  
هل تتهمه بالجري والانسياق وراء الشهوة واللذة؟ وكيف تقول في حقه مثل هذا الكلام مع أنه بدأ حياته الشبابية بالتزويج بزوجة كبيرة السن الى درجة

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٦٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٦٨

ما، وبقى معها حتى لحظة انعقاد هذه الشورى في «دار الندوة» بهدف الدعاية ضده، ولم يعهد منه زلة قدم في هذا السبيل قط؟!  
(١) وبالتالي بما ذا تتهم محمدا الصادق الأمين، الطاهر العفيف، وأي تهمة ترى يمكن أن تصدق في حقه، أو يحتمل الناس صدقها في شأنه ولو بنسبة واحد في المائة؟

لقد تحير سادة «دار الندوة» وأقطابها في كيفية استخدام هذا السلاح، سلاح الدعاية ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقررروا في نهاية الأمر أن يطرحوا هذا الأمر على صناديد من صناديد قريش و يطلبوا رأيه فيه، وهو «الوليد بن المغيرة» و كان ذا سن فيهم، ومكانة، فقال لهم:

يا معشر قريش، إنه قد حضر هذا الموسم و ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه، و قد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا، و لا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا، و يرد قولكم بعضه بعضا.

قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل و أقم لنا رأيا نقول به.

قال: بل أنتم قولوا أسمع.

(٢) قالوا: نقول كاهن.

قال: لا و الله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان فما هو بزمنة الكاهن و لا سجة.

قالوا: فنقول: مجنون.

قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون و عرفناه فما هو بخنقه، و لا تخالجه، و لا وسوسته.

قالوا: فنقول: ساحر.

فقال: ما هو بساحر لقد رأينا السحار و سحرهم فما هو بنفثهم و لا عقدهم.

و هكذا تحيروا في ما ينسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

و أخيرا اتفقوا على أن يقولوا: أنه ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء و ابيه و بين المرء و أخيه، و بين المرء و زوجته و بين المرء و عشيرته.

و يدل عليه ما أوجده من الخلاف و الانشقاق و التفرق بين أهل مكة الذين

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٦٩

كان يضرب بهم المثل في الوحدة و الاتفاق «١».

(١) و قد ذكر المفسرون في تفسير سورة «المدثر» هذه القصة بنحو آخر فقالوا:

لما انزل على رسول الله «حم تنزيل الكتاب...» قام الى المسجد و «الوليد بن المغيرة» قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاستماعه لقراءته، أعاد قراءة الآية، فتركت الآية في نفس الوليد تأثيرا شديدا فانطلق إلى منزله، و لم يخرج منه أياما، فسخرت منه قريش و قالت: صبا- و الله- الوليد ثم مشى رجال من قريش إليه و سألوه رأيه في قرآن محمد، و اقترح كل واحد منهم

أمرًا، و لكنه رد عليها بالنفى جميعا فقالت قريش إذن ما هو؟ فتفكر «الوليد» فى نفسه ثم قال: ما هو إلّا ساحر أ ما رأيتموه يفرّق بين الرجل و أهله، و ولده و مواليه، فهو ساحر و ما يقوله سحر يؤثر «٢».

و يرى المفسرون أن الآيات التالية فى شأنه إذ يقول الله تعالى:

«ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا. وَبَيْنَ شُهُودًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأُرْهِقُهُ صَيْعُودًا. إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ. فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ. ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ. ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ. فَكَانَ هَذَا إِيَّاهُ يَسْحَرُ يُؤْتِرُ ... (الى قوله:): فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ. كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» «٣».

(٢)

### الإصرار فى نسبة الجنون إليه صلى الله عليه وآله وسلم:

يعتبر اتّصاف النبى الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم و سلم و اشتهاره بين الناس بالصدق و الامانة و غيرها من مكارم الأخلاق منذ شبابه من مسلمات التاريخ.

و هو بالتالى أمر اعترف به حتى أعداؤه الالذاء، فقد دانوا بفضله، و أقروا

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٧٠.

(٢) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٣٨٦ و ٣٨٧.

(٣) المدثر: من ١١ - ٥١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧٠

بأخلاقه الكريمة و سجايه النبيلة، دون تلكؤ، و لا إبطاء.

و قد كان من أوصافه الحسنه البارزة ان جميع الناس كانوا يدعون «الصادق» «الامين» و كانوا يثقون بأمانته ثقة كبرى «١» حتى أن المشركين كانوا يودعون ما على من أموالهم عنده، و استمر هذا الأمر حتى عشرة أعوام بعد دعوته العلية.

(١) و حيث أن دعوته صلى الله عليه وآله وسلم قد ثقلت على المعاندين فاجتهدوا فى أن يصرفوا عنه الناس بما ينسبون إليه من بعض النسب التى توجب سوء الظنّ به، و من ثم إفشال دعوته، و حيث أنهم كانوا يعلمون أن النسب الاخرى ممّا لا يقيم لها المشركون وزنا، لأنها امور بسيطة فى نظرهم، من هنا رأوا بأن يتهمونه بالجنون، و الزعم بان ما يقوله و يقرؤه ما هو إلّا من نسج الخيال، و من أثر الجنون الذى لا يتنافى مع الزهد، و الأمانة، و ذلك تكذبا لدعوته.

ثم عملت قريش على إشاعة هذه النسبة، و اتخذت وسائل عديدة و ماهرة لترويجها و بثها بين الناس.

و من شدّة مكرهم و مراءاتهم أنهم كانوا يتخذون موقف المتسائل المحايد فيطرحون هذه التهمة فى قالب الشك، و الترييد اذ يقولون:

«أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» «٢».

(٢) و هذه هى بعينها الحيلة الشيطانية التى يتوسّل بها و يتستر وراءها أعداء الحقيقة دائما عند ما يريدون تكذيب المصلحين العظام، و إسقاط خطواتهم و أفكارهم من الاعتبار، و الحطّ من شأنها و أهميتها.

و يشير القرآن أيضا إلى أن هذا الاسلوب الماكر الذميم لم يكن مختصا بالمعارضين فى عهد الرسالة المحمّدية، بل كان المعارضون فى الأعصر الغابرة أيضا يتوسلون بهذا السلاح لتكذيب الرسل، و الأنبياء إذ يقول عنهم:

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٦٢ عن عبيد الله بن ابي رافع: كانت قريش تدعو محمد صلى الله عليه وآله في الجاهلية الامين و كانت تستودعه و تستحفظه أموالها و أمتعتها، و كذلك كل من كان يقدم مكة من العرب في الموسم، و جاءت النبوة و الرسالة و الأمر كذلك.

(٢) سبأ: ٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧١

«كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ أَوْ تَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ» (١).

(١) و تحدّث الاناجيل الحاضرة هي الاخرى عن ان المسيح عليه السلام عند ما وعظ اليهود قالوا: إنّ فيه شيطانا، فهو يهذى فلما ذا تسمعون إليه؟! «٢»

و من المسلم و البديهي أنّ قريشا لو كان في مقدورها أن تتهم رسول الله الصادق الأمين صلى الله عليه وآله بغير هذا الاتهام و تنسب إليه غير هذه النسبة لما تأخرت عن ذلك، و لكن حياة النبي صلى الله عليه وآله المشرقة خلال الاربعين سنة الماضية، و سوابقه اللامعة في المجتمع المكّي و غير المكّي كانت تحول دون أن ينسبوا إليه شيئا من تلك النسب القبيحة، الذميمة.

لقد كانت «قريش» مستعدة لأن تستخدم أى شيء - مهما صغر - ضد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فمثلا عند ما وجده أعداء الرسالة يجلس إلى غلام مسيحي يدعى «جبر» عند المروة، انطلقوا يستخدمون هذا الأمر ضدّه صلى الله عليه وآله و آله فورا فقالوا: و الله ما يعلم محمدا كثيرا ممّا يأتي به الا «جبر» النصراني.

فردّ عليهم القرآن الكريم بقوله:

«وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ» (٣).

«وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّجْنُونٌ» (٤).

## ٢- القرآن يرد على جميع الاتهامات:

### إشارة

و ربما نسبوا إليه صلى الله عليه وآله الكهانة، و الكاهن هو من يتصل بعناصر من الجن «٥» أو الشياطين و يتلقى منهم اخبارا حول الماضي و المستقبل،

(١) الذاريات: ٥٢ و ٥٣.

(٢) انجيل يوحنا: الفصل ١٠ الفقرة ٢٠، و الفصل ٧ الفقرة ٤٨ و ٥٢.

(٣) النحل: ١٠٣.

(٤) الدخان: ١٣ و ١٤.

(٥) الجن كائن من الكائنات و مخلوق من مخلوقات الله تعالى و قد اخبر به القرآن الكريم في مواضع -

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧٢

و كان هذا موجودا قبل الإسلام كما ترويه كتب السير و التواريخ «١».

وقد رد القرآن الكريم على هذه المقالة و هذا الزعم اذ قال تعالى:

«وَلَا يَقُولِ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ» (٢) كما ردّ أيضا تهمة السحر، والكذب والافتراء والشعر اذ قال تعالى وهو يصف المتهمين تارة بالكفر و اخرى بالظلم:

«وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ» (٣).

وقال تعالى: «وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا» (٤)

وقال سبحانه متعجبا منهم: «قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ» (٥).

وقال تعالى: «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» (٦).

وقال سبحانه: «وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ» (٧).

وقال عزّ وجلّ: «فَدَكَّرَ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ» (٨).

وقال تعالى: «قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (٩).

وقال تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ» (١٠).

وقال سبحانه: «وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا» (١١).

وقال سبحانه: «أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ» (١٢).

وقال تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبِّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ» (١٣).

وقال تعالى: «وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ» (١٤).

وربما وصفوا القرآن بانه اضغاث احلام فردهم سبحانه بقوله.

«بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ» (١٥).

- عديدة كما سميت احدى السور باسم الجن.

(١) راجع: بلوغ الارب فى معرفه أحوال العرب: ج ٣ ص ٢٦٩ باب علم الكهانة و العرافة.

(٢) الحاقة: ٤٢.

(٣) ص: ٤.

(٤) الفرقان: ٨.

(٥) الشعراء: ١٥٣.

(٦) الحجر: ٦.

(٧) التكوير: ٢٢.

(٨) الطور: ٢٩.

(٩) النحل: ١٠١.

(١٠) هود: ١٣.

(١١) الفرقان: ٤.

(١٢) سبأ: ٨.

(١٣) الطور: ٣٠.

(١٤) يس: ٦٩.

(١٥) الأنبياء: ٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧٣

و هكذا نجدهم ذهبوا في استخدام سلاح الاتهام و التشويش على الشخصية المحمدية و الرسالة الإسلامية كل مذهب، فمرة وصفوه بأنه كاهن و اخرى بأنه ساحر و ثالثة بأنه مسحور، و رابعة بأنه مجنون و خامسة بأنه معلّم و سادسة بأنه كذاب و سابعة بأنه مفترى و ثامنة بأنه مفترى او مجنون على سبيل التريديد و تاسعة بأنه شاعر و عاشره بان ما يقوله ما هو الا أضغاث احلام.

(١)

### فكرة معارضة القرآن:

لم يجد استخدام سلاح الاتهام ضد رسول الله صلى الله عليه وآله نفعاً، و لم تأت بالثمار التي كان يتوخاها المشركون منه، لأن الناس كانوا يدركون بفضولهم و فراستهم أن للقرآن جاذبية غريبة، و أنهم لم يسمعوا كلاماً حلواً، و حديثاً عذبا مثله. ان لكلماته من العمق و العذوبة بحيث يتقبلها كل قلب، و تسكن إليها كل نفس.

من هنا لم ينفذ اتهام قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله بالجنون و بأن ما يقوله إن هو الا من نسج الخيال، و نتائج الجنون، شيئاً، فقررت أن تخطط لتدمير آخر ظنا منهم بأن تنفيذه سيصرف الناس عنه، و عن الاستماع إلى كتابه، ألا و هو: معارضة القرآن الكريم.

(٢) فعمدت إلى «النضر بن الحارث» و كان من شياطين قريش، و ممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله و ينصب له العداوة، و كان قد قضى شطراً من حياته في الحيرة بالعراق و تعلم بها أحاديث ملوك الفرس و احاديث «رستم» و «إسفنديار» و قصصهم، و حكاياتهم، و أساطيرهم، و طلبوا منه أن يجمع الناس و يقص عليهم من تلكم الأساطير و الحكايات يلهي بها الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله، و يصرفهم عن الإصغاء إلى القرآن الكريم!!

فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وآله و آله مجلساً فذكر الناس فيه بالله، و حذر قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نعمة الله، خلفه «النضر» في مجلسه

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧٤

إذا قام صلى الله عليه وآله ثم قال: أنا و الله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلتم إلي، فأنا احديثكم أحسن من حديثه.

ثم يحدثهم عن ملوك الفرس و «رستم» و «إسفنديار» ثم يقول:

بما ذا محمد أحسن حديثاً مني و ما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبتها كما اكتتبتها؟ «١».

(١) و قد كانت هذه الخطة حمقاء جداً إلى درجة أنها لم تدم إلا عدة أيام لا أكثر حتى أن قريشا سأمت من أحاديث «النضر» و سرعان ما تفرقت عنه.

و قد نزل في هذا الشأن آيات هي:

«وَقَالُوا أُسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا» (٢).

### تحججات صيبانية و جاهلية:

و ربما جسّدوا معارضتهم للدعوة المحمدية في صورة تحججات و مجادلات جاهلية و ماخذ سخيفة اخذوها على رسول الله و رسالته، تنم عن تكبر و جهل، و عناد و لجاج طبعوا عليه.

و ها نحن نذكر ابرزها:

أ- لما ذا لم ينزل القرآن على ثرى من اثرياء مكة أو الطائف؟!

قال تعالى حاكيا قولهم:

«لَوْ لَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَوَّيِّتِينَ عَظِيمٍ» (٣).

ب- لما ذا لم يرسل إليهم ملائكة و لما ذا هو بشر؟!

قال تعالى عنهم:

«وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٠٠ و ٣٥٨.

(٢) الفرقان: ٥ و ٦.

(٣) الزخرف: ٣١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧٥

رسولاً» (١).

و قال تعالى حاكيا عنهم أيضا:

«وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ» (٢).

ج- أنه يدعو الى خلاف ما كان عليه الآباء، من الدين و العقيدة و السلوك؟

يقول عنهم سبحانه:

«وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» (٣).

د- تبديل الآلهة باله واحد.

قال الله عنهم:

«وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ. أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» (٤).

ه- القول بحشر الاجساد و تجدد الحياة فى يوم القيامة.

قال تعالى عنهم:

«وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» (٥).

و- لما ذا ليس عنده مثل ما كان لدى موسى من المعجزات كالثعبان المنقلب من العصا، و قد توصل المشركون إلى هذا النمط من

الاعتراض بسبب اتصالهم بأخبار اليهود.

يقول الله عنهم:

فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لو لا اوتى مثل ما اوتى موسى» (٦).

ز- لما ذا ليس معه ملك يرى و يشاهد و يحضر معه فى كل مقام و مشهد.

قال تعالى:

«وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ» (٧).

(١) الاسراء: ٩٤.

(٢) الفرقان: ٧.

(٣) المائدة: ١٠٤.

(٤) ص: ٤ و ٥.

(٥) السجدة: ١٠.

(٦) القصص: ٤٨.

(٧) الانعام: ٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧٦

**مقترحات عجيبة و مطالب غريبة:**

و كان المشركون اذا نفذت تحججاتهم و اعتراضاتهم الواهية، و قولوا بردود قوية و قاطعة عليها عمدوا إلى طرح مقترحات سخيفة على رسول الله صلى الله عليه و آله فى سياق معارضتهم لدعوته و نورد هنا ابرز تلك الاقتراحات ليعرف القارئ الكريم مدى معاناة النبى الكريم صلى الله عليه و آله من قومه:  
لقد اقترحوا عليه:

١- ان يعبد اصنامهم سنة و يعبدوا إلهه سنة اخرى و جعلوا ذلك شرطا لايمانهم بدعوته!!

فأنزل الله تعالى فى ردهم بسورة «الكافرون»:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَتَّبِعُ مَا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَتَّبِعُ مَا عَبَدْتُمْ. وَلَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينِي».

٢- تبديل القرآن، فقد دفع نقد القرآن الكريم للوثنية، و الازراء على الاصنام، دفعهم إلى ان يطلبوا من النبى صلى الله عليه و آله ان يأتي لهم بقرآن آخر لا يحتوى على شجب عبادة الاوثان و الازدراء بالاصنام، و ابطالها.

قال الله تعالى عن فعلهم هذا:

«وَ إِذَا تُلِي عَالِيَهُمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا انْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ» (١).

فرد الله عليهم بقوله:

«قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ» (٢).

٣- مطالب مادية عجيبة!!

(١) يونس: ١٥.

(٢) يونس: ١٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧٧

و قد عمدوا- بسبب عنادهم و عتوهم- الى المطالبة بامور لا ترتبط بهداية الناس، مثل مطالبته بان يفجر لهم ينابيع، او يسقط السماء على رءوسهم قطعاً، أو يصعد إلى السماء، أو يأتي بالله سبحانه و تعالى، أو غير ذلك من الاقتراحات و المطالب التي كانت إما مستحيلة فى نفسها او تناقض غرض الدعوة!!

قال الله حاكيا عنهم ذلك:

«وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْفَجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا. أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَزُقَى فِي السَّمَاءِ» (١).

### صبر النبي و استقامته و ثباته:

و لقد قابل رسول الله صلى الله عليه وآله كل هذه التحججات الايدائية و ما طرح من الاقتراحات المستحيلة بصبر عظيم و ثبات هائل، ايماننا منه بدعوته، و حرصا على ابلاغ رسالته، و بفعل التأيد الالهى من جانب. يقول الله تعالى فى هذا الصدد:

- ١- «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» (٢).
- ٢- «وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» (٣).
- ٣- «وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» (٤).
- ٤- «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ» (٥).
- ٥- «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الثُّحُوتِ» (٦).
- ٦- «وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا» (٧).

(١) الاسراء: ٩٠-٩٣.

(٢) الاحقاف: ٣٥.

(٣) يونس: ١٠٩.

(٤) النحل: ١٢٧.

(٥) الكهف: ٢٨.

(٦) القلم: ٤٨.

(٧) المزمل: ١٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧٨

### معجز النبي لم تنحصر فى القرآن:

#### إشارة

و بالمناسبة لا بد أن نذكر أن المشركين و من حذى حذوهم من الكفار و المعارضين للرسالة الإسلامية كانوا يطالبون رسول الله صلى الله عليه وآله بمعجز و آيات لا- بدافع الرغبة فى الايمان بدعوته بل بدافع اللجاج و العناد، و إلا فان معجز النبي لم تنحصر فى الكتاب العزيز، فقد اتى رسول الله بآيات و معجز كثيرة اخرى غير القرآن، كان كل واحد منها يكفى للاقتناع برسالته، و الايمان بصحة دعواه.

فالقرآن نفسه يشير الى أبرز هذه المعجز و هى:



**١- شق القمر**

فقد طلب المشركون من النبي صلى الله عليه وآله ان يشق لهم القمر نصفين حتى يؤمنوا به، فلما فعل ذلك لهم باذن الله كفروا به و قالوا انه سحر!!

يقول الله تعالى:

«اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ» (١).

**٢- المعراج**

ان العروج برسول الله صلى الله عليه وآله و الذي سيأتي مفصلا هو الآخر معجزة من معاجزه القوية، و قد نطق بها القرآن بقوله: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (٢).

(١) القمر: ١ و ٢.

(٢) الاسراء: ١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٧٩

**٣- مباهلة أهل الباطل**

ان تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله مع من خرج بهم إلى المباهلة، و احجام النصارى عن مباهلتهم، معجزة اخرى من معاجزه صلى الله عليه وآله و قد تحدت القرآن الكريم عن هذه القضية اذ قال:

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» (١).

و ستأتي قصّة المباهلة على نحو التفصيل في حوادث السنة العاشرة من الهجرة.

**٤- الاخبار بالمغيبات**

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخبر عن امور غائبة كما يقول الله سبحانه حاكيا عنه: «وَأُتِيْتُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ» (٢).

هذا و قد أخبرت الاخبار و الأحاديث عن معاجز كثيرة لرسول الله غير القرآن الكريم.

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) آل عمران: ٤٩، و قد اشار القرآن الكريم إلى موارد اخرى من هذه القبيل.

فقد اخبر عن غلبة الروم بعد سنين: قال تعالى:

«الْم. غُلِبَتِ الرُّومُ. فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ. فِي بَضْعِ سِنِينَ. لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يُفْرِخُ الْمُؤْمِنُونَ» (الروم: ١-٤).

و اخبر عن هلاك ابى لهب قال تعالى:

«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ... الخ».

و أخبر عن هزيمة المشركين في بدر قال سبحانه:

«سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ» (القمر: ٤٥).

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨٠

و من هذه المعاجز ما ذكره الإمام امير المؤمنين علي بن أبي طالب- كما في نهج البلاغة- حول سؤال المشركين من النبي صلى الله عليه وآله قلع شجرة بعروقتها وجذورها ولما فعل ذلك وقال يا أيتها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين اني رسول الله فانقلعي بعروقتك حتى تقفى بين يدي باذن الله».

فانقلعت بعروقتها ولها دوى عجيب ووقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنهم كذبوا وقالوا ساحر كذاب، علوا واستكبارا.

وقد صرح الإمام في كلامه هذا أن النبي صلى الله عليه وآله أخبرهم بانهم لا يؤمنون وان ظهرت لهم المعجزة التي طلبوها، وان فيهم من يطرح في القلب (في معركة بدر) وان منهم من يحزب الأحزاب (لمعركة الخندق) «١».

(١)

### اصرار النبي على هداية قريش:

بل كان النبي صلى الله عليه وآله يحرص على هدايتهم وارشادهم وابقاظهم. فقد كان زعيم المسلمين وقائدهم يعلم جيدا بأن اعتقاد أغلبية الناس بالأوثان ما هو إلا أمر نابع من تقليد الآباء، والجدود، أو اتباع أسياذ القبيلة وكبرائها، وهو بالتالي لا يستند إلى جذور في أعماق الناس و اسس في عقولهم و نفوسهم.

من هنا فإن أي انقلاب يحصل و يحدث في اوساط السادة والكبراء بان يؤمن أحدهم مثلا كان كفيلا بأن يحل الكثير من المشاكل. (٢) من هنا كان ثمة إصرار كبير على جزّ «الوليد بن المغيرة» الذي أصبح ابنه «خالد» في ما بعد من قادة الجيش الاسلامي و المشاركين في الفتوح الاسلامية إلى صف المؤمنين بالرسالة المحمدية، لأنه كان أسنّ من في قريش و اكثرهم نفوذا، و أعلاهم مكانة، و أقواهم شخصية، و كان يدعى حكيم العرب، و كانت العرب تحترم رأيه إذا اختلفت في أمر.

(١) نهج البلاغة: قسم الخطب الرقم ١٩٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨١

(١) وقد كلمه رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم في ذلك وقد طمع في اسلامه، فبينما هو في ذلك إذ مرّ به «ابن أم مكتوم»، فكلم رسول الله صلى الله عليه وآله و جعل يستقرئه القرآن فشق ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أضجره، و ذلك أنه شغله عما كان فيه من أمر «الوليد». و ما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا و تركه، فنزل قوله تعالى:

«عَبَسَ وَ تَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى. وَ مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى. أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى. أَمَّا مَنْ اسْتَيْغَى. فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى. وَ مَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى. وَ أَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى. وَ هُوَ يَخْشَى فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى. كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ» «١» «٢».

وقد فنّد علماء الشيعة و محققوهم هذه الرواية التاريخية، و استبعدوا صدور مثل هذا السلوك عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي امتدحه ربّ العالمين بالخلق العظيم، و وصفه بالرافة بالمؤمنين، و قالوا: ليس في الآيات ما يدل على أن الذي عبس و تولّى هو رسول الله صلى الله عليه وآله و سلّم.

وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أن المراد رجل من بنى أمية، فإنه عبس و تولى عند ما حضر «ابن أم مكتوم» الأعمى عند رسول الله فنزلت هذه الآيات تويخا له «٣».

(٢)

### ٣- تحريم استماع القرآن

#### إشارة

كانت البرامج الواسعة التي دبرها الوثنيون في «مكة» لمكافحة الاسلام، و الحيلولة دون انتشاره بين القبائل و الجماعات، تنفذ الواحدة تلو الأخرى، و لكن دون جدوى، و دون ان يكسب اصحابها من ورائها أى نجاح، و اية نتائج على

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٦٣-٣٦٤.

(٢) عبس: ١- ١١.

(٣) مجمع البيان: ج ١٠ ص ٤٣٧، و قد شرح العلامة الطباطبائي في المجلد ٢٠ من تفسير الميزان عند تفسير سورة عبس شأن نزول هذه الآيات بصورة رائعة، و شكل بديع، و اثبت بان فاعل عبس ليس رسول الله صلى الله عليه وآله، و لا ينافى ذلك توجه الخطاب في «و ما يدريك» إليه صلى الله عليه وآله.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨٢

المستوى المطلوب، فقد كانت تلك المؤامرات تفشل في كل مرة، و لا يجنى المشركون منها سوى الخيبة و الفشل، و سوى النتائج المعكوسة في أغلب الأحيان.

فقد ما رسوا الدعاية ضد رسول الله فترة من الزمن و لكن لم يحالفهم التوفيق الكامل في ذلك، فقد وجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ثباتا و استقامته في طريقه و أشد إصرارا على هدفه، و كانوا يرون بام أعينهم بأن عقيدة التوحيد في انتشار مستمر و متزايد، يوما بعد يوم.

(١) و لهذا قرر سادة قريش و زعماء «مكة» المشركون أن يمنعوا الناس عن سماع القرآن.

و لكي تتحقق خطتهم هذه و تلبس ثوب الوجود بثوا جواسيسهم في كل انحاء مكة و مداخلها ليمنعوا من يفتد إليها للحج او التجارة من الاتصال بمحمد، و منعه بكل صورة ممكنة، عن الاستماع الى القرآن، و أعلن مناديتهم ما ذكره القرآن عند قوله تعالى:

«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ» «١».

(٢) لقد كان القرآن اقوى أسلحة النبي صلى الله عليه وآله، فقد القى رعبا عجبيا في نفوس الاعداء و اقض مضاجعهم.

و كان اشراف قريش و أسيادها يرون بام أعينهم كيف أن اعدى أعداء النبي صلى الله عليه وآله (و هو أبو جهل) عند ما مشى إليه ليستهزئ به، و يسخر منه، ما ان سمع آيات من القرآن، إلّا و فقد السيطرة على نفسه، و لان قلبه، و أصبح من أصحابه و مؤيديه الأقياء، و لهذا لم يكن أمام اولئك الالسياد إلا أن يمنعوا من سماع القرآن منعاً باتاً، و يحرموا التحدث الى النبي صلى الله عليه وآله تحريماً قاطعاً «٢».

و لهذا كان الرجل منهم إذا أراد أن يسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله بعض ما يتلوه من القرآن و هو يصلى استرق السمع دونهم فرقا منهم، فان رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع «٣».

(١) فضلت: ٢٦.

(٢) السيرة النبوية: ح ١ ص ٣١٣ و ٣١٤.

(٣) السيرة النبوية: ح ١ ص ٣١٣ و ٣١٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨٣

(١)

**واضعوا القرار ينقضون قرارهم!!**

و لكن من الطريف العجيب أن نفس الذين كانوا يمنعون الناس بشدة عن الاستماع إلى القرآن، و كانوا يعدون كل من يتجاهل قرار (تحريم الاستماع الى القرآن) مخالفا يتعرض للملاحقه و العقاب، نقضوا بعد أيام من إصدار هذا القرار قرارهم و انضموا إلى صفوف المخالفين له في الخفاء.

فاذا بالذين يمنعون من سماع القرآن في العلن، يستمعون إليه في الخفاء!

و إليك بعض ما جرى في هذا الصعيد:

خرج «أبو سفيان» و «أبو جهل» و «الخنس» ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يصلى من الليل في بيته، فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه، و كل لا يعلم بمكان صاحبه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا، و قال بعضهم لبعض: لا تعودوا، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا، حتى إذا كانت الليلة الثالثة اخذ كل رجل منهم مجلسه، فباتوا يستمعون له، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا، فجمعهم الطريق، فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود، فتعاهدوا على ذلك. ثم تفرقوا «١».

(٢)

**٤- منع الاشخاص من الايمان برسول الله****إشارة**

بعد خطة (تحريم الاستماع الى القرآن) بدءوا بتنفيذ خطة اخرى و هو منع كل قريب و بعيد ممن رغبوا في الإسلام و قدموا إلى مكة ليتعرفوا على النبي، و على ما اتى به من كتاب و دين، من الاتصال بالنبي صلى الله عليه وآله.

(١) السيرة النبوية: ح ١ ص ٣١٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨٤

فبث قریش جواسيسها في الطرق المؤدية إلى مكة ليتصلوا بمن يلقونه من هؤلاء و يبادروا الى منعه من الاتصال برسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و الايمان برسالته، بشتى الحيل و الاساليب.

و إليك نموذجين حيين من هذا الأمر.

(١)

### ١- «الاعشى»:

و كان من شعراء العهد الجاهلي البارزين، و كانت قصائده تتناقلها مجالس السمر القرشية، و تتغنى بها محافل انسهم. و قد بلغ «الاعشى» في كبره نبأ ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من التوحيد و من تعاليم الاسلام العظيمة، و كان يعيش في منطقة نائية عن مكة، حيث لم تصل إليها أشعة الرسالة الاسلامية على وجه التفصيل بعد، و لكن ما قد سمع به من تعاليم الاسلام على نحو الاجمال قد اوجد في نفسه هياجا خاصا و حرّك مشاعره فأنشأ قصيدة مطوّلة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وآله و سلّم ثم خرج الى مكة ليهدئها إليه صلى الله عليه وآله و هو في نفس الوقت يريد الاسلام.

و رغم ان تلکم القصيدة لا تتجاوز أبياتها ٢٤ بيتا، و لكنها تعدّ من أفضل و افصح ما قيل من الشعر في الاسلام، و في رسول الله صلى الله عليه وآله في العهد النبوي و يوجد نصّها الكامل في ديوان «الاعشى» و قد قال فيها و هو يذكر بعض تعاليم الاسلام:

نيبًا يرى ما لا يرون و ذكره أغار لعمرى في البلاد و أنجدا

فاياك و الميتات لا تقربنّها و لا تأخذن سهما حديدا لتفصدا

و ذا النصب المنسوب لا تنسكته و لا تعبد الأوثان و الله فاعبدا

و لا تقربن حرّة كان سرّها عليك حراما فانكحن أو تأبدا

و ذا الرحم القربى فلا تقطعنه لعاقبه، و لا الاسير المقيدا

و سبّح على حين العشيات و الضحى و لا تحمد الشيطان و الله فاحمدا

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨٥

(١) فلما كان بمكة أو قريبا منها اعترضه جواسيس قريش و رجالها فسألوه عن أمره و قصده فاجبرهم بانه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وآله ليسلم، و حيث أنهم كانوا يعرفون بأن «الاعشى» رجل يحب النساء و الخمر حبّا كبيرا لذلك عمدوا إلى الضرب على هذا الوتر لينفروه من الاسلام، فقالوا له: يا أبا بصير (و هي كنية الاعشى) إنه يحرم الزنا. فقال الاعشى: و الله ذلك لأمر مالى فيه من ارب.

فقالوا له: يا أبا بصير فأنه يحرم الخمر.

فقال الاعشى- و قد صدم بهذا الخبر- أمّا هذه فو الله في النفس منها لعلالات، و لكنى منصرف فاترّوى منها عامى هذا، ثم آتية فاسلم!! فانصرف فمات في عامه ذلك، و لم يعد الى رسول الله صلى الله عليه وآله «١».

(٢)

### ٢- الطفيل بن عمرو الدوسى:

و هو الشاعر العربي الحكيم العذب اللسان، صاحب النفوذ و الكلمة المسموعة في قبيلة.

يروى انه قدم «مكة» و رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم بها، و كانت قريش تخشى ان يتصل بالنبى صلى الله عليه وآله فيسلم. و من البديهي أن اسلام رجل مثله كان ممّا يشق على قريش جدّا و لهذا مشى إليه رجال منهم و قالوا له- محذرين آتاه من رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:-

يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد اعضل بنا، وقد فرّق جماعتنا، وشتّت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرّق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين أخيه، وبين الرجل وبين زوجته، وأنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمته، ولا تسمعنّ منه شيئاً.

فعلت تحذيرات قريش فعلتها في نفس الطفيل وهم يكرّرونها عليه بقوة

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٨٦-٣٨٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨٦

وإصرار، حتى انه قرر ان لا يسمع من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئاً، ولا يكلمه، وحشّى اذنه- حين غدى الى المسجد للطواف- قظنا، خوفاً من أن يبلغه شيء من قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وهو لا يريد ان يسمعه!!!

(١) يقول الطفيل: فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قائم يصلى عند الكعبة، فقامت منه قريباً فسمعت كلاماً حسناً من غير اختيار منى فقلت في نفسى: وا ثكل أمى، والله انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن اسمع من هذا الرجل ما يقول، فان كان الذى يأتى به حسناً قبلته، وان كان قبيحاً تركته؟

فمكثت حتى انصرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت: يا محمّد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا للذى قالوا، فوالله ما برحوا يخوّفوننى أمرك حتى سردت اذنى بكرسف لثلاً- اسمع قولك ثم ابى الله إلا أن يسمعنى قولك فسمعتة قولاً حسناً، فاعرض على أمرك، فعرض على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الاسلام، وتلا على القرآن، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق.

ثم قلت: يا نبي الله إنى امرؤ مطاع فى قومى وأنا راجع إليهم، وداعيتهم إلى الاسلام.

(٢) ثم يكتب ابن هشام قائلاً: إن الطفيل لم يزل بارض «دوس» يدعوهم الى الاسلام حتى هاجر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الى المدينة ومضى «بدر» و«احد» و«الخنديق» فقدم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بمن أسلم معه من قومه وهم سبعون او ثمانون بيتاً ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بخير فلاحقوا جميعاً برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بخير، وبقي مع النبي حتى قبض صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثم سار مع المسلمين- فى زمن الخلفاء إلى «اليمامة» وشارك فى معركتها وقتل فيها «١».

(١) السيرة النبوية: ح ١ ص ٣٨٢-٣٨٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨٧

(١)

## ١٩ اسطورة الغرائيق

### إشارة

قد يكون بين القراء من يودّ التعرف على اسطورة «الغرائيق» التى رواها بعض مؤرخى السنّة ومعرفة جذورها كما يودّ التعرف على الأيادى الخفية التى كانت وراء اختلاق هذه الاسطورة، وأمثالها من الأكاذيب، والمفتريات.

كان اليهود وبخاصّة أحبارهم ولا يزالون العدو رقم واحد للإسلام.

وقد عمد فريق منهم - مثل «كعب الاحبار» وغيره - ممن تظاهروا باعتناق الاسلام إلى تحريف الحقائق باختلاق الأكاذيب وجعل الأخبار المفترأة على لسان الأنبياء «١».

ولقد أدرج بعض المؤلفين المسلمين بعض هذه المفتريات في مؤلفاتهم وجعلوها في عداد الحديث والتاريخ الصحيح من دون تمحيصها والتحقق فيها، ثقة بكل من أظهر الاسلام، وتظاهر بالإيمان، وانضم إلى صفوف المسلمين!!

ولكن اليوم حيث يجد العلماء فرصة أكبر للتحقيق في هذا النوع من الأحاديث والأخبار، والمنقولات والنصوص وبخاصة بعد أن توفرت لديهم - بفضل جهود طائفة من المحققين المسلمين القواعد والضوابط الكفيلة بتمييز

(١) وهي التي يطلق عليها الاسرائيليات وقد ألفت في هذا المجال بعض الكتب.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨٨

الحسن عن القبيح، والصحيح عن السقيم، وفرز الحقائق التاريخية عن القصص الخيالية، والروايات الاسطورية.

من هنا لا ينبغي لكاتب مسلم ملتزم أن يعتبر كل ما يراه في مصنف تاريخي أو غير تاريخي متقدماً أمراً صحيحاً مقطوعاً بسلامته، و يرويه في كتابه من دون دراسة و تحقيق، و تمحيص و تقييم.

(١)

### ما هي اسطورة الغرائق!؟

يقولون: إن «الأسود بن المطلب» و «الوليد بن المغيرة» و «أمية بن خلف» و «العاص بن وائل» و هم من زعماء قريش و اسيادها قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله:

يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد، و تعبد ما نعبد فنشترك نحن و أنت في الأمر!!

و قالوا ذلك رفعا للاختلاف، و تضييقا لشق الخلف فأنزل الله سبحانه سورة الكافرين التي امر فيها نبيه أن يقول في جوابهم:

«لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ».

و مع ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرغب في أن يساوم قريشا و يجاريهم و كان يقول في نفسه: ليت نزل في ذلك أمر يقربنا من قريش.

و ذات يوم و بينما كان صلى الله عليه وآله يتلو القرآن عند الكعبة و يقرأ سورة «النجم» فلما بلغ قوله تعالى:

«أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ».

أجرى الشيطان على لسانه الجملتين التاليتين:

«تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى» «١».

(٢) فقرأهما من دون اختيار، و قرأ ما بعدها من الآيات، و لما بلغ آية السجدة سجد هو و من حضر في المسجد من المسلمين و المشركين أمام الاصنام، إلّا

(١) النجم: ١٩ و ٢٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٨٩

«الوليد» الذي عاقه كبر سنه عن السجود!!

و فرح المشركون، و ارتفعت نداءاتهم يقولون: لقد ذكر «محمد» آلهتنا بخير.

و انتشر نبأ هذه المصالحة و التقارب بين رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و المشركين، المهاجرين الى الحبشة، فعاد على أثرها جماعة منهم إلى مكة، و لكنهم ما أن كانوا على مشارف «مكة» إلّا و عرفوا بأن الأمر تغير ثانية، و أن ملك الوحي نزل على النبيّ و أمره مرة اخرى بمخالفة الاصنام و مجاهدة الكفار و المشركين، و أخبره بأن الشيطان هو الذي أجرى تينك الجملتين على لسانه، و انه لم يقله و أنه ليس من «الوحي» في شيء أبدا.

و عندئذ نزلت الآيات (٥٢-٥٤) من سورة «الحج» التي يقول الله تعالى فيها:

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ، وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَ لِيُعَلِّمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

هذه هي خلاصة اسطورة «الغرائق» التي أوردها «الطبري» في تاريخه «١» و يذكروها و يرددها المستشرقون المغرضون بشيء كبير من التلويل و التفصيل!!

(١)

### محاسبة بسيطة لهذه الاسطورة

لنفترض أن «محمدًا» لم يكن نبيا مرسلا و لكن هل يمكن لأحد أن ينكر ذكاه و حنكته، و فطنته و عقله.

فهل لعامل فطن، محنك لبيب مثله أن يفعل مثل هذا؟

ان الذكي اللبيب الذي يجد انصاره يتكاثرون و يتزايدون يوما بعد يوم

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٨٥ و ٧٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٩٠

و تقوى صفوفهم اكثر فاكثر بينما تتفرق صفوف أعدائه و مناوئيه و يتناقص معارضوه و خصومه، هل يقدم في مثل هذه الحالة على

عمل يوجب ان يسيء الجميع ظنهم به، و يشك الصديق و العدو في أمره؟!

هل تصدق أنت أيها القارئ الكريم أن رجلا- ترك جميع الأموال و المناصب التي عرضتها قريش عليه، في سبيل دينه الحنيف، و

عقيدته التوحيد أن يصبح مرة اخرى من دعاة الشرك، و مروّجى الوثنية؟؟!

إننا لن نصدق بمثل هذا الاحتمال في حق مصلح أو سياسي عادي من الساسة و المصلحين فكيف برسول الله و نبيّه العظيم.

(١)

### رأى العقل في هذه القصة:

(٢) ١- إن العقل يحكم بان المرشدين الذين يبعثهم الله تعالى الى البشرية لهدايتها و ارشادها، و تزكيتها و تعليمها مصونون عن أي

خطأ و زلل بقوة (العصمة) التي اوتوها، اذ لو تعرض مثل هؤلاء الى الخطأ و الزلل في امور الدين لزال ثقة الناس بهم و بكلامهم.

يجب علينا ان نقارن بين أمثال هذه القصص، و بين هذا الأصل العقائدي المنطقي و نعالج بواسطة معتقداتنا القوية المبرهنة متشابهات

التاريخ و معضلاته.

إنّ من المسلم أن عصمة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كانت تمنعه و تحفظه من أي نوع من هذه الحوادث في تبليغ رسالته



السماوية.

(٣) ٢- إن هذه الاسطورة تقوم أساسا على أن النبي قد تعب من أداء مهمته التي ألقاها الله سبحانه عليه، و قد شقَّ عليه ابتعاد الوثنيين عنه، فكان يبحث عن مخلص من هذا الوضع المتعب، يكون طريقا- حسب تصوره- إلى إصلاح وضعهم!!  
و لكن العقل يقضى بأن على الأنبياء أن يكونوا صابرين حلما أكثر ممَّا يتصور، و أن يكونوا مضرب المثل عند الجميع في ذلك، فلا يحدّثوا أنفسهم بالتهرّب من المسؤولية و ترك الساحة مطلقا، مهما اشتدّت الظروف، و تأزّمت  
سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٩١  
الأحوال.

بينما لو صحّت هذه الرواية- الاسطورة لكانت دليلا على أن بطل حديثنا قد فقد عنان الصبر و أفلت منه زمام الثبات و الاستقامة و انه بالتالي تعب و ملّ، و ضنى و كلّ، و هو أمر لا ينسجم مع ما يحكم به العقل السليم في حق الأنبياء، كما لا يتفق كذلك مع ما عهدناه من سوابق رسول الله صلى الله عليه وآله و من مستقبله أبدا.

إن مخلق هذه الاسطورة لم يمرّ بخاطره و باله أن القرآن الكريم شهد ببطلان هذه القصة، اذ يعدّ الله تعالى نبيه الكريم، بأن لا يتسرّب الى القرآن أى شىء من الباطل إذ قال:  
«لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ» (١).

كما وعده أيضا بأن يصونه عبر جميع أدوار البشرية من أى حادث سيئ اذ قال سبحانه:  
«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (٢).

(١) و مع ذلك كيف يستطيع الشيطان الرجيم عدو الله أن ينتصر على رسول الله صلى الله عليه وآله و يسرّب الى القرآن شيئا باطلا، و يصبح القرآن الذى تقوم معارفه و تعاليمه على أساس معاداة الوثنية و محاربتها داعيا الى الوثنية؟؟!!  
إنه لأمر عجيب جدا أن يفترى مخلق هذه الاسطورة أمرا ضدّ التوحيد فى موضع قد كذّبه القرآن قبل هذا المكان بقليل إذ قال الله تعالى:

«وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (٣).

فكيف يترك الله نبيه- و قد وعده بهذا الوعد- من دون حفيظ، و يسمح للشيطان بأن يتصرف فى قلبه و عقله و لسانه؟؟  
إن هذه الأدلة العقلية إنما تفيد من يكون مؤمنا بنبوّه محمّد صلى الله عليه وآله و رسالته.

(١) فصّلت: ٤٢.

(٢) الحجر: ٩.

(٣) النجم: ٣ و ٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٩٢

و اما المستشرقون الذين لا يعتقدون بنبوته، و يعتمدون الى شرح و نقل و ترديد أمثال هذه الأساطير للحطّ من شأن دينه و رسالته فلا تكفيهم هذه الدلائل، فلا بدّ أن ندخل معهم فى البحث من باب آخر.  
(١)

**تكذيب القصة من طريق آخر**

إنّ النصّ التاريخي يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قرأ هذه السورة، و كبار قريش و اكثرهم من عمالقة الكلام، و أبطال

الفصاحة والبلاغة العربية حضور في المسجد ومنهم «الوليد بن المغيرة، متكلم العرب و منطقيها المفوّه المعروف بينهم بالذكاء و حصافة العقل و النباهة، و قد سمعوا جميعا هذه السورة إلى ختامها حيث سجد الجميع بسجدها.

فكيف اكتفى هذا الجمع المؤسس للفصاحة والبلاغة الذين كانوا ينفدون كل ما يعرض عليهم نقدا دقيقا؟

كيف اكتفوا بتينك الجملتين اللتين امتدحتا آلهتهم، و قد تضمنت الآيات السابقة عليهما، و اللاحقة لهما على شتم آلهتهم و تفنيدها، و الازدراء بها بصورة صارخة و صريحة؟!

(٢) كيف تصور مختلق هذه الأكذوبة الفاضحة، تلك الجماعة أصحاب اللغة العربية و آباءها و نقاد الكلام المعدودين عند العرب كلّها من عمالقة الفصاحة و البلاغة بلا-منازع، و الذين كانوا أعرف من غيرهم بإشارات تلك اللغة، و كناياتها (فضلا عن تصريحاتها).

كيف اكتفى هؤلاء بتينك العبارتين في امتداح آلهتهم، و غفلوا عما سبقها و لحقها من الذم لها و الطعن الصارخ فيها؟ إنه لا-يمكن قط أن نخدع العاديين من الناس بهاتين الجملتين المحفوفتين بكلام مطول يذم عقائدهم و سلوكهم فكيف بمن عرف باللب، و الحصافة، و الحكمة و الذكاء؟

(٣) و ها نحن ندرج هنا الآيات المتعلقة بالمقام و نترك أصفاراً (و فراغاً) في مكان

سيد المرسلين، ج١، ص: ٤٩٣

الجملتين اللتين ادعى اضافتهما، ثم نترك للقارئ نفسه أن يقيم بنفسه هل لتينك الجملتين مكان بين هذه الآيات (التي وردت في ذم الاصنام و القدح فيها):

و إليك هذه الآيات:

«أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ... «١» أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ. إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» (٢).

ثم هل يسمح إنسان عادي لنفسه أن يكف عن معاداة نبي هاجم عقائده طيلة عشرة اعوام، و هدر استقلاله و كيانه، و جرّ عليه الشقاء بتسفيه أحلامه، و شتم آلهته، لعبارات متناقضة و كلام خليط من الذم الكبير و المدح العابر.

(١)

## دليل لغوي على تفنيد هذه الاسطورة

### إشارة

يقول العلامة الجليل الشيخ محمد عبده: لم يستعمل لفظ الغرائق في الآلهة أبدا لا في اللغة و لا في الشعر العربي (٣).

و «غرنوق» و «غرنيق» اللذان جاءا في اللغة استعمالا في نوع من طيور الماء أو الشاب الجميل، و لا ينطبق أي واحد من هذه المعاني على الآلهة

و قد اعتبر احد المستشرقين يدعى «السير وليم مويير» قصة «الغرائق» هذه من مسلمات التاريخ و استدلل لها بقوله: لم يكن يمض على هجرة المهاجرين الاول إلى الحبشة أكثر من ثلاثة أشهر يوم صالح محمد قريشا فعادوا إلى مكة.

إن المسلمين الذين هاجروا إلى تلك الأرض و كانوا يعيشون في أمن و طمأنينة في جوار النجاشي إذا لم يكونوا يبلغهم نبأ مصالحة النبي لقريش لما عادوا إلى مكة للقاء بذوبهم.

فاذن لا بد أن «محمدًا» قد تذرَّع بشيء لمصالحه قريش، و التقرب إليها،

(١) مكان الجملتين المزعومتين: تلك الغرائق ... الى آخرها.

(٢) النجم: ١٩-٢٣.

(٣) نقله عنه القاسمي في تفسيره: ج ١٢ ص ٥٥-٥٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٩٤

و هذا الشيء هو قصة الغرائق!! «١».

(١) ولكن يجب أن نسأل هذا المستشرق المحترم:

(٢) أولاً: لما ذا يجب أن تكون عودة المهاجرين ناشئة عن نبأ صحيح حتماً.

إن النفعيين و ذوى الأهواء و الأغراض يسعون دائماً إلى بثّ عشرات بل مئات الأخبار الكاذبة بين جماعتهم لتحقيق ما رب خاصية لهم، فما الذى يمنع من أن نحتمل أن هناك من افتعل خبر مصالحة النبي لقريش بهدف إرجاع المهاجرين من الحبشة إلى «مكة». و قد صدق بعض اولئك المهاجرين هذا الخبر الكاذب فعادوا إلى أرض الوطن، بينما لم ينخدع الآخرون بها و بقوا فى الحبشة و لم يعودوا الى مكة؟؟

(٣) ثانياً: لنفترض أن النبي صلى الله عليه و آله كان يريد أن يصلح قريشا، فهل يكون الطريق إلى السلام و المصالحة منحصرًا فى افتعال هاتين الجملتين.

ألم يكن إعطاء مجرّد وعد مناسب أو مجرّد السكوت عن عقائدهم كافياً لتهدئة خواطرهم، و اجتذابهم قلوبهم نحوه؟ و على كل حال فان عودة المهاجرين لا يكون دليلاً على صحّة هذه الاسطورة كما أن المصالحة، و التقارب غير متوقفين على النطق بهاتين الجملتين.

و الأعجب من هذا أن البعض تصوّر أن الآيات (٥٢-٥٤ من سورة الحج) قد نزلت فى قصة الغرائق.

(٤) و حيث أن هذه الآيات قد وقعت ذريعة بأيدى المستشرقين و مرتكبي جريمة التحريف فى التاريخ، فاننا نعمدهنا إلى توضيح مفاد هذه الآيات، و نبين للقارئ بأنها تنظر إلى امر آخر، و لا ترتبط بهذه القصة بتاتا.

و ها هو نصّ الآيات المشار إليها:

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

(١) راجع حياة محمد: ص ١٦٥ و ١٦٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٩٥

لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

و الآن يجب أن نبين مفاد الآيات و لنبدأ بالآية الاولى:

ان الآية الاولى تذكر بثلاثة امور هي:

١- ان الأنبياء و الرسل يتمنون.

٢- ان الشيطان يتدخل فى تمنياتهم.

٣- ان الله يمحي آثار ذلك التدخّل.

و بتوضيح هذه النقاط الثلاث يتضح مفاد الآية و المراد منها.

و إليك توضيح تلکم النقاط الثلاث:

(١)

### ١- ما هو المقصود من تمنى الأنبياء و الرسل

لقد كان الأنبياء و الرسل يحبون هداية اممهم، و نشر دينهم و تعاليمهم فيها، و كانوا يدبرون امورا و يخططون خططا لتحقيق أهدافهم هذه، كما كانوا يتحملون في هذا السبيل كل المتاعب و المصاعب، و يشبثون في جميع المشكلات و المحن.

و لم يكن رسول الاسلام صلى الله عليه و آله مستثنى عن هذه القاعدة، فقد كان صلى الله عليه و آله يخطط لتحقيق أهدافه كثيرا، و يهيئ مقدمات و يبين القرآن هذه الحقيقة بقوله:

«وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى».

فاتضح إلى هنا المراد من لفظ تمنى و لنشرح الآن النقطة الثانية.

(٢)

### ٢- ما هو المقصود من تدخّل الشيطان؟

إن تدخّل الشيطان يمكن أن يتم على نحوين:

(٣) ١- أن يوجد الشك و التردد في عزم الأنبياء، و يوحى إليهم بأنّ هناك

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٩٦

عوائق كثيرة تحول بينهم و بين أهدافهم، و لذلك لن يحرزوا نجاحا في تحقيق تلك الأهداف.

(١) ٢- بأنّ الأنبياء كلما مهّدوا الأمر و هيئوا له مقدّماته، و ظهرت منهم أمارات تدل على أنّهم مقدمون على تنفيذه فعلا أقام الشيطان و

من تبعه من شياطين الانس العراقل و الموانع في طريقهم، ليمنعهم من الوصول إلى غاياتهم.

(٢) أما الاحتمال الأول فلا ينسجم لا مع الآيات القرآنية الاخرى و لا مع الآية اللاحقة.

(٣) أمّا من جهة الآيات الاخرى فلأنّ القرآن ينفي بصراحة لا صراحة فوقها أنه لا سلطان للشياطين على أولياء الله و عباده الصالحين

(و لو بأن يصوّروا لهم بأنهم لن يقدروا على تحقيق آمالهم، و أهدافهم) إذ يقول:

«إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» ١. و يقول أيضا:

«إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» ٢.

إن هذه الآيات، و الآيات الاخرى التي تنفي سلطان الشيطان على أولياء الله و عباده الصالحين، و تأثيره في قلوبهم و نفوسهم لخير

شاهد و أفضل دليل على أنّ المقصود من تدخّل الشيطان في تمنيات الأنبياء ليس بمعنى إضعاف عزيمتهم، و إرادتهم و تكبير الموانع

و العراقل في نظرهم.

(٤) أمّا من جهة الآيات المبحوثة فان الآية الثانية و الثالثة تفسر و تشرح علّة التدخّل على النحو الآتي:

إننا نختبر بهذا العمل فريقين من الناس: الفريق الأول: الذين في قلوبهم مرض، و الفريق الثاني: الذين يؤمنون بالله و اليوم الآخر.

يعنى أن تدخّل الشيطان فى أعمال الأنبياء عن طريق تحريك الناس ضدّهم و ضدّ أهدافهم يوجب مخالفة الفريق الأوّل و معارضتهم للأنبياء فى حين يكون الأمر على العكس من ذلك فى الفريق الثانى فانه يزيد من ثباتهم و صمودهم.

(١) الحجر: ٤٢، الاسراء: ٦٥.

(٢) النحل: ٩٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٩٧

و ان بيان أن لتدخل الشيطان فى تمنيات الأنبياء، مثل هذين الاثرين المختلفين (أى يحمل فريقا على المخالفة و فريقا آخر على الثبات و الصمود) يفيد أن المراد بالتدخل هنا هو المعنى الثانى، يعنى ان التدخل يحصل عن طريق تحريك الناس ضدّهم، و إلقاء الوسوس فى قلوب أعدائهم، و خلق الموانع و العراقيل فى طريقهم لا أنهم يتصرفون فى نفوس الأنبياء و قلوبهم و يضعفون ارادتهم و عزمهم. إلى هنا اتضح معنى تدخّل الشيطان فى تمنيات الأنبياء و الرسل. و الآن حان الحين لتوضيح المطلب الآخر يعنى محو آثار هذا التدخل.

(١)

### ٣- ما هو المقصود من محو آثار التدخل؟

اذا كان معنى تدخّل الشيطان هو تحريك الناس و تأليبهم ضدّ الأنبياء ليمنعوا الأنبياء و الرسل من التقدم فى أهدافهم، فان محو آثار التدخل الشيطانى من قبل الله- حينئذ- يكون بمعنى ان الله يدفع عن أنبيائه و رسله كيد الشيطان ليتضح الحق للمؤمنين، و يكون اختبارا لمرضى القلوب كما يقول تعالى فى آية اخرى:

«إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (١).

و خلاصة القول: أن القرآن يخبر- فى هذه الآيات- عن سنه لله قديمه فى مجال الأنبياء و هى:

إن تمنى التقدم فى الأهداف و تمنى التوفيق فى هداية الناس هو فعل الأنبياء دائما.

ثم يأتى الدور لتدخل الشيطان و أتباعه من شياطين الإنس و الجنّ، و ذلك بايجاد الموانع و العقبات فى طريق الأنبياء و الرسل. ثم يأتى من بعد ذلك حلول المدد الإلهى الغيبى بمحو و فسخ كلّ التدابير الشيطانية المضادة لأهداف الأنبياء المعرّقة لتحقيق أمانتهم. و هذه هى إحدى السنن الالهية الثابتة التى جرت فى جميع الامم السالفة.

(١) غافر: ٥١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٤٩٨

(١) إن تاريخ الأنبياء و الرسل و قصصهم من نوح و إبراهيم و أنبياء بنى إسرائيل و بخاصة موسى و عيسى عليهما السلام، و تاريخ حياة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله خير شاهد على هذا المطلب.

و ينبغى استكمالاً لهذا البحث أن نقول: و لأجل ما ورد على هذه القصة الاسطورية من مؤاخذات رفضها و قنّدها بعض المحققين من أهل السنه اذ قال بعد ذكرها على النحو الذى ادرجها الطبرى فى تاريخه و أرسله ارسال المسلمات:

«و أهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة.

و من صحّحه قال فيه أقوالاً:

منها: ان الشيطان قال ذلك و أذاعه و الرسول عليه الصلاة و السلام لم ينطق به.  
(و ذكر وجوها اخرى ثم قال:) و الحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته «١».

(١) راجع هوامش السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٦٤.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٤٩٩

(١)

## ٢٠ الحصار الاقتصادي و الاجتماعي

### إشارة

إن أبسط وسيلة و أسهلها لضرب الأقليات فى أى مجتمع، و القضاء عليها هو ما يسمى بالمكافحة السلبية التى تقوم أساسا على اتحاد الأكرية و اتفاقها على مقاطعة الأقلية المتمردة.

إن عكس هذا يحتاج إلى أدوات متعددة مختلفة، لأنه يتطلب مثلا ان يحمل جماعة من المقاتلين السلاح، و توجه نحو الاهداف المطلوبة عبر التضحية بقدر كبير من الأنفس و الأموال، و ازالة العشرات من الموانع و السواتر، و هو أمر لا يقدم عليه القادة المحنكون إلا بعد توفر كل مستلزمات المواجهة و اتخاذ جميع التدابير اللازمة، و الاستعداد الكامل، و بالتالى لا يقدمون على هذه الخطوة ما لم تدعو الضرورة إليها، و تنحصر الحيلة فى القتال.

(٢) و لكنّ المكافحة السلبية لا تتوقف على مثل هذه الامور، بل تحتاج الى أمر واحد و هو اتفاق الاكثريه. سيد المرسلين ج ١ ٤٩٩ ٢٠ الحصار الاقتصادي و الاجتماعي ..... ص : ٤٩٩

نى أن يتفق من يعينهم الأمر و لهم عقيدة واحدة و يتحالفوا فى ما بينهم بصدق على أن يقطعوا كل صلاتهم و علاقاتهم بالأقلية المعارضة، فيحرموا التعامل التجارى معهم و يوقفوا الاتصال العائلى بهم، و لا يشركونهم فى اعمالهم الاجتماعيه و لا يتعاونوا معهم فى امورهم الشخصية أيضا.

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٥٠٠

(١) فى مثل هذه الحالة تضيق الأرض على الأقلية بما رحبت و تغدو الدنيا لهم على سعتها كسجن ضيق و صغير، و يصيرون عرضة للانهار و السقوط بأقل قدر ممكن من الضغط عليها.

إن الأقلية المخالفة المتمردة ربما تستسلم- فى هذه الحالة- و تؤوب من منتصف الطريق، و تطيع إرادة الأكرية.

و لكن أقلية كهذه لا بد أن تكون ممن لا تعود مخالفتها للأكثريه إلى أمر عقائدى و لا يكون لانفصالها. عن الاكثريه طابع اصولى مبدئى، كما لو كان خلافها مع الاكثريه مثلا على تحصيل ثروة أو منصب مهم أو ما شاكل ذلك.

فان مثل هذه الاقلية اذا أحست بخطر جدى، أو واجهت العذاب و السجن و الحصار ستراجع عن مخالفتها و تعود إلى طاعة الاكثريه مؤثرة اللذة العابرة المؤقتة على اللذة الاحتمالية، لأنها لم تنطلق من دوافع ايمانية اصيلة، و لم يكن المحرك لها محركا روحيا معنويا.

و لكن الجماعة التى يقوم خلافها للأكثريه على أساس الإيمان بهدف مقدس، لن تنصاع أبدا لمثل هذه الضغوط، و لن تنتشى أمام هذه الرياح و العواصف، و لا يزيدا ضغط الحصار إلا صلابه و قوة، و إصرارا و عنادا، و تردّ جميع ضربات العدو بالصبر و الاستقامة.

إن صفحات التاريخ البشرى تشهد بأن أقوى العوامل لثبات كل أقلية و صمودها فى وجه الأكرية هو: قوة الايمان، و عامل الاعتقاد، الذى ربما يؤدى رسالة الثبات و المقاومة ببذل آخر قطرة دم فى ساحة المواجهة.

ولنا على هذا عشرات بل ومئات الأمثلة من التاريخ الغابر والحاضر.

## قريش تحاصر النبي والمسلمين اقتصاديا واجتماعيا

### إشارة

(٢) لقد شقَّ على قريش انتشار الإسلام المترائد و أزعجها نفوذ العجيب في القبائل العربية في مدة غير طويلة بالنسبة إلى عمر الدعوة و لهذا كانت تفكر باستمرار في حل لهذه المشكلة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٠١

فان اسلام شخصيات ذات أهمية و مكانة كبرى مثل جمزة، و كذا رغبة فتيه قريش المتفتحين في الاسلام، و حرية العمل و التحرك التي اكتسبها المسلمون على اثر الهجرة إلى أرض الحبشة، كل ذلك زاد من حيرة، و اضطراب الزعامة الجاهلية في مكة، التي زادها حيرة، و انزعاجا، فشل جميع مخططاتها الاجهاضية ضد الإسلام و المسلمين، و عدم حصولها على أية نتائج تذكر!!

(١) من هنا فكرت في خطة جديدة، و هي ان تفرض حصارا اقتصاديا قويا على النبي و المسلمين تقطع به كل الشرايين الحيوية للمسلمين، و بذلك تحد من سرعة انتشار الاسلام و تقف دون نفوذه، و بالتالي تخنق بين كماشه هذا الحصار مؤسس هذه العقيدة التوحيدية، و أنصاره.

### [قريش و الصحيفة القاطعة]

و لهذا اجتمع زعماء قريش في «دار الندوة» و وقَّعوا ميثاقا كتبه «منصور بن عكرمة» و علَّقوه في جوف الكعبة، و تحالفوا بان تلتزم قريش ببنوده حتى الموت.

و نص هذا العقد على الامور التالية:

١- أن لا يبتاعوا من أنصار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ لا يبيعوهم شيئا.

٢- ان لا ينكحوا إليهم و لا ينكحوهم.

٣- أن لا يؤاكلوهم و لا يكلموهم.

٤- ان يكونوا يدا واحدة على «محمد» و انصاره.

(٢) و قد وقعت على هذه الصحيفة الظالمة القاطعة كل الشخصيات البارزة في قريش إلّا «مطعم بن عدى» و أعلنت عن سريان مفعوله بكل قوة و إصرار.

فلما علم حامى النبي الاكبر أبو طالب عليه السلام بذلك جمع بنى هاشم و بنى المطلب و حملهم مسئولية الدفاع عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ الحفاظ على حياته و سلامته، و أمرهم بالخروج من مكة و بدخول شعب كائن بين جبال مكة كان يعرف بشعب أبي طالب فيه بعض البيوت العادية، و السقائف البسيطة جدا، و السكنى في ذلك الشعب بعيدا عن المجتمع المكي المشرك.

و عمد الى بث رجال منهم في نقاط مرتفعة للمراقبة و الحراسة تحسبا لأي

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٠٢

هجوم مباغت تقوم به قريش «١».

(١) وقد استمر هذا الحصار ثلاثة أعوام كاملة، و بلغ الجهد بالمحاصرين في الشعب بحيث ارتفع صراخ الأطفال من الجوع و الضر، و بلغت هذه الصرخات مسامع قساة مكة ألا انها لم تؤثر فيهم قط.

كان الشباب و الرجال منهم يعيشون على ثمرة واحدة طوال اليوم، و ربما تناصف اثنان ثمرة واحدة، و لم يمكنهم الخروج من الشعب طوال هذه السنوات الثلاث ألا في الا شهر الحرم حيث يسود الأمن كل انحاء الجزيرة العربية.

فاذا حلّ الموسم كانت بنو هاشم تخرج من الشعب فيشترون و يبيعون ثم يعودون إلى الشعب إلى الموسم الثاني.

و كان النبي صلى الله عليه و آله يستغلّ هو أيضا تلك المواسم في نشر دينه، و الدعوة الى ما أتى به.

و كانت عناصر قريش تحاول مضايقة النبي و أنصاره و تمارس الحصار الاقتصادي عليهم بشكل من الأشكال حتى في هذه المواسم، فكانوا يحضرون عند مواقع البيع و الشراء فاذا وجدوا مسلما يريد أن يبتاع شيئا اشتروه بثمن أعلى ليمنعوا المسلم منه!!

(٢) و كان «أبو لهب» اكثر الناس اصرارا على هذا العمل، فقد كان ينادى في الأسواق: يا معشر التجار، غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا فقد علمتم مالي و وفاء ذمتي فانا ضامن أن لا خسار عليكم، فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع

الرجل المسلم إلى اطفاله و هم يتضاغون من الجوع و ليس في يديه شيء يطعمهم به، و يغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٥٠، و تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٧٨، و قد كتبت هذه الصحيفة الظالمة في الليلة الاولى من السنة السابعة للبعثة و عند ما عرف ابو طالب بأمرها أنشد قصيدة في ذمهم مطلعها:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدانينا كموسى خطّ في أول الكتب

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٠٣

اشتروا من الطعام و اللباس!! «١».

و كان «الوليد بن المغيرة» ينادى: أيما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتره فزيدوا عليه فكانت قريش تباكرهم إلى الاسواق فيشترونها فيغلونها عليهم.

(١)

### وضع بنى هاشم المساوى في الشعب

لقد بلغ الجهد و الجوع بالمحاصرين في الشعب حدّا جعلهم يأكلون كل ما تقع عليه ايديهم من الخبط و ورق السمر حتى أن «سعد بن أبي وقاص» يقول: لقد جعت حتى أنى وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعتته في فمي و بلعته، و ما أدري ما هو الى الآن «٢».

هذا و قد بنت قريش جواسيسها على الطرق المؤدية إلى الشعب ليمنعوا من إيصال الطعام إلى من فيه فلا يصل إليهم شيء إلا سرا و مستخفى به ممّن أراد صلتهم من قريش.

فقد روى أن «حكيم بن حزام» (ابن اخ خديجة) و «أبو العاص بن الربيع» و «هشام بن عمرو» كانوا يسربون الى «بنى هاشم» في الشعب سرا و فى أواسط الليل تحت جناح الظلام، فكان الواحد منهم يحمل قمحا و تمرا على بعير و يأتي به إلى باب الشعب ثم يصيح بها

فتدخل الشعب و يأكله بنو هاشم.

و ربما صادفهم بعض جواسيس قريش، فهّموا بقتله، أو سبّوا له بعض المتاعب.

(٢) فقد روى أن «حكيم بن حزام» خرج يوما و معه انسان يحمل طعاما إلى عمته خديجة بنت خويلد (زوجة رسول الله صلى الله عليه و آله و كانت معه الشعب طيلة أعوام الحصار) إذ لقيه «أبو جهل» فقال له: تذهب بالطعام إلى بنى هاشم؟ و الله لا تبرح أنت و لا

طعامك حتى أفضحك عند قريش بمكة.



(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٣٧ الهوامش.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٣٧ الهوامش.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٠٤

فقال له أبو البخترى- و كان من أعداء الاسلام هو أيضا:- تمنعه أن يرسل إلى عمته بطعام كان لها عنده؟

فأبى «أبو جهل» أن يدعه إلا أن يأخذه إلى قريش، فقام إليه «أبو البخترى» بساق بعير فضربه و وطأه وطئا شديدا «١».

(١) و خلاصة القول؛ أن قريشا بالغت في تضيق الحصار على رسول الله صلى الله عليه وآله و من تبعه حتى أن من كان يدخل «مكة» من العرب. كان لا- يجسر على أن يبيع من بنى هاشم شيئا و من باع منهم شيئا انتهبوا ماله، و كان «أبو جهل»، و «العاص بن وائل» و «النضر بن الحارث بن كلد»، و «عاقبة بن أبي معيط» يخرجون إلى الطرقات التي تدخل «مكة» فمن رأوه معه ميرة و طعام نهوه ان يبيع من بنى هاشم شيئا، و يحذرون إن باع شيئا منهم نهبوا ماله.

كما وعدوا على من أسلم فاوثقوهم و آذوهم و اشتد البلاء عليهم، و أبدت قريش لبني عبد المطلب الجفاء.

و لكن لم يستطع كل ذلك أن يفت في عضد النبي صلى الله عليه وآله و يقلل من إصراره و ثباته على الطريق، و لا من اصرار أتباعه و ثباتهم و إيمانهم.

و أخيرا تركت صرخات أطفال بنى هاشم في الشعب من الجوع و العرى و الجهد و الضر، و أوضاعهم المأساوية أثرها في نفوس بعض المشركين الموقعين على تلك الصحيفة الظالمة، و ذلك الميثاق المشؤوم، فندموا على إمضائهم لتلك المقاطعة بشدة و صاروا يفكرون في نقضها بشكل من الأشكال.

(٢) فمشى «هشام بن عمرو» الى «زهير بن أبي أمية» (و كان من أحفاد عبد المطلب من جانب بناته) و قال له و هو يحثه على نقض الصحيفة: يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام، و تلبس الثياب، و تنكح النساء، و أخوالك حيث قد علمت لا يباعون و لا يبتاع منهم، و لا ينكحون و لا ينكح إليهم؟

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٥٤، هذا و يشكك أحد المحققين في نوايا حكيم بن حزام في هذا العمل، و في أن يكون قد حصل بدافع الوفاء لوشيجة القربى، بل كان بدافع الربح الاكثر لما تبت- حسب قوله- من انه كان يحتكر الطعام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٠٥

أما إنى أحلف بالله أن لو كانوا أحوال أبى الحكم (أى أبى جهل) ثم دعوته الى ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا؟

فقال زهير: ويحك يا هشام فما ذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد و الله لو كان معى رجل آخر لقمتم فى نقضها حتى أنقضها. قال: قد وجدت رجلا.

قال فمن هو؟ قال: أنا.

(١) قال له زهير: أبغنا رجلا ثالثا. فذهب إلى «المطعم بن عدى» فقال له:

يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف، و أنت شاهد على ذلك، موافق لقريش فيه! أما و الله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا؟

قال: و يحك! فما ذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد.

قال: قد وجدت ثانيا.

قال: من هو؟ قال: أنا.

قال: أبغنا ثالثاً.

قال: قد فعلت.

قال: من هو؟

قال: زهير بن أبي أمية.

قال: أبغنا رابعاً.

(٢) فذهب إلى «البخترى بن هشام» فقال له نحو ما قال للمطعم بن عدى، فقال: و هل من أحد يعين على هذا؟

قال: نعم.

قال: من هو؟

قال: «زهير بن أبي أمية» و «المطعم بن عدى» و أنا معك.

فقال: ابغنا خامساً.

فذهب إلى «زعمه بن الأسود بن المطلب» فكلمه و ذكر له قرابتهم و حقهم فقال له: و هل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد؟

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٠٦

قال: نعم ... ثم سئى له القوم الذين وعده بالمساعدة على نقض تلك الصحيفة القاطعة الظالمة.

فاتفقوا على أن يحضروا فى أندية قريش فى المسجد و يعلنوا مخالفتهم لتلك الصحيفة.

(١) فلما أصبحوا غدوا إلى مجلس قريش فى المسجد الحرام فأقبل «زهير بن أبي أمية» على الناس و قال:

يا أهل مكة أنأكل الطعام و نلبس الثياب، و بنو هاشم هلأى لا يباع لهم و لا يبتاع منهم؟ و الله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

فقال أبو جهل و كان فى ناحية المسجد: كذبت و الله لا تشق.

فانتصر زعمه لزهير و رد على أبي جهل قائلاً: أنت و الله أكذب، ما رضينا كتابها حيث كتبت.

و قال أبو البخترى من ناحية مؤيدا موقف زميله: صدق زعمه لا نرضى ما كتب فيها، و لا نقر به.

و قال المطعم بن عدى: صدقتما و كذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها، و مما كتب فيها.

و قال هشام بن عمرو نحو ما من ذلك.

فأحس أبو جهل بأن ذلك كان أمراً مبيتاً مدبراً من قبل فقال:

هذا أمر قضى بليل، تشوور فيه بغير هذا المكان.

و كان أبو طالب - حسب بعض الروايات التاريخية - جالسا ذلك اليوم فى ناحية المسجد، فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد

(الأرضة) «١» قد أكلتها، إلاً «باسمك اللهم» التى صدّرت بها تلك الصحيفة و هى جملة كانت قريش تبدأ بها عهودها و رسالتها.

فلما رأى «أبو طالب» ذلك رجع الى الشعب و أخبر رسول الله صلى الله عليه

(١) و هى دودة بيضاء شبه النملة و هى آفة كل شىء من خشب أو نبات راجع لسان العرب مادة: ارض

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٠٧

و آله بما جرى، و عاد المحاصرون فى الشعب إلى منازلهم مرة أخرى بعد المشورة مع «أبي طالب».

(١) و يروى طائفة من المؤرخين أن «خديجة» و «أبا طالب» أنفقا أموالهما برمتها خلال سنوات المحاصرة.

و فجاء نزل ملك الوحي «جبرئيل» على رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب، وأخبره بان الله قد بعث على صحيفة المشركين القاطعة دابة الأرض فلحست (أو اكلت) جميع ما فيها من قطيعه و ظلم و تركت جملة «باسمك اللهم» فأخبر رسول الله أبا طالب بذلك قائلاً: يا عم إن ربى الله قد سلط «الأرضة» على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها، و نفت منه الظلم و القطيعه و البهتان.

فقال أبو طالب: إذن لا يدخل عليك أحد «١».

(٢) ثم قام و لبس ثيابه، و مشى هو و رسول الله و شخص آخر حتى دخلوا المسجد على قريش و هم مجتمعون فيه، فلما دنا أبو طالب منهم قاموا إليه و عظموه، و تباشروا و ظنوا أن الحصر و البلاء حمل أبو طالب على التخلي عن موقفه، فقالوا له: قد آن لك ان تطيب نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم و جماعتكم (أو قد آن لك أن تسلّم إلينا ابن أخيك).

فقال أبو طالب: و الله ما جئت لهذا، و لكن ابن أخى أخبرنى و لم يكذبنى أن الله تعالى أخبره أنه بعث على صحيفتكم القاطعة دابة فلحست جميع ما فيها من قطيعه رحم و ظلم و جور و ترك اسم الله، فهلم صحيفتكم فان كان حقا فاتقوا الله و ارجعوا عما أنتم عليه من الظلم و الجور و قطيعه الرحم.

و إن كان باطلا دفعته إليكم فان شئتم قتلتموه، و إن شئتم استحيتموه.

فقالوا: رضينا، و تعاقدوا على ذلك.

(١) و إنما اتخذ مثل هذا الاجراء حتى لا يفسوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين فيحتالوا للصحيفة، و يكذبوا بذلك خبر النبى صلى الله عليه وآله.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٠٨

ثم بعثوا إلى الصحيفة و أنزلوها من الكعبة، و عليها أربعون خاتما.

فلما أتوا بها نظر كل رجل منهم إلى خاتمه، ثم فكوها فاذا ليس فيها حرف واحد إلا «باسمك اللهم»، كما أخبرهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) غير أن هذا لم يوجب هدايتهم بل زادهم شرا و عنادا و رجع بنو هاشم مرة اخرى إلى الشعب و بقوا محاصرين فيه مدة من الزمن و لم يمكنهم الرجوع الى منازلهم بمكة إلا بعد أن نقضها هشام.

و قد قال «أبو طالب» فى مدح هذا (أى نقض الصحيفة القاطعة و النفر الذين قاموا بنقضها) قصيدة مطولة جاء فى مطلعها.

ألا هل أتى بحرّينا «١» صنع ربنا على نأيهم و الله بالناس أروء «٢»

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت و ان كلّ ما لم يرضه الله مفسد «٣» «٢» هذه أمثلة و نماذج من ردود الفعل الظالمة و المواقف المناوئة التى اتخذتها قريش تجاه الدعوة المحمدية.

على أنه لا يمكن الادعاء القطعى بأن جميع هذه الردود قد وقعت على الترتيب الذى ذكرناه تماما، و لكن يمكن بمراجعة النصوص التاريخية تحصيل مثل هذا الترتيب و خاصة أن مسألة انتهاء المحاصرة الاقتصادية قد وقعت فى منتصف شهر رجب من السنة العاشرة للبعثة الشريفة.

(٣) كما أن أذى قريش و ردود فعلها ضد الاسلام و المسلمين و ضد رسول الله صلى الله عليه وآله خاصة لم تنحصر فى ما ذكرناه فى هذه الفصول بل كان هناك أساليب اخرى سلكتها قريش لتحطيم شخصية النبى صلى الله عليه وآله و أضعاف عزيمته مثل وصفهم للنبى صلى الله عليه وآله بالأبتر.

فقد كان «العاص بن وائل السهمى» إذا ذكر رسول الله قال: دعوه، فأنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو مات لانقطع ذكره و استرحم منه.

(١) يقصد من هاجر من المسلمين إلى الحبشة في البحر.

(٢) أى أرفق.

(٣) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٧٧-٣٨٠ وقد أدرج ابن هشام القصيدة بتمامها، فراجع.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٠٩

فانزل الله تعالى في ذلك سورة الكوثر التي يقول فيها:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ».

وقد أخبر بها الله نبيه بأنه سيهبه ذرية كثيرة «١».

ولقد كتب العلامة الفخر الرازي في تفسيره لهذه السورة «٢»: المعنى أنه يعطيه نسلا يبقون على مر الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت؟ ثم العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بنى امية في الدنيا أحد يعبأ به.

ووجه المناسبة أن الكافر شمت بالنبي حين مات أحد أولاده وقال: ان محمدا ابتر فان مات ذكره، فانزل الله هذه السورة على نبيه تسلياً له كأنه تعالى يقول: ان كان ابنك قد مات فانا اعطيناك فاطمة، وهى وإن كانت واحدة وقليلة، ولكن الله سيجعل هذا الواحد كثيراً.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٩٣ وجميع التفاسير.

(٢) مفاتيح الغيب: الجزء الثلاثون سورة الكوثر.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥١١

(١)

## ٢١ وفاة أبى طالب و خديجة الكبرى

### إشارة

فى الوقت الذى كُنَّا نسطر فيه مواضيع هذا الفصل كان سجن «القطيف» يضم بين جدرانها شاباً حر الضمير شجاعاً مقداماً لم يكن له من ذنب إلا- أنه ألف كتاباً باسم «أبو طالب مؤمن قريش» يتناول إسلام «أبى طالب» وإيمانه وإخلاصه مثبتاً كل ذلك من مصادر أهل السنة «١».

فطلبت منه السلطات القضائية فى الحجاز- وفى عصر يتسم بحرية التفكير البيان والاعتقاد- بأن يتراجع عن كلامه، وحيث إنه لم يكن ليريد أن ينكر حقيقة اعتقد بها عن قناعة ويقين، حكمت عليه تلك السلطات بالاعدام.

وقد نجا هذا الفتى الشجاع والكاتب الحر من الاعدام اثر جهود اسلامية واسعة وخففت عقوبته الى الحبس المؤبد، الذى خفف اثر جهود اسلامية مرة اخرى الى عقوبة الجلد ثمانين جلدة!!

(٢) وهو الآن يلبث فى أحد السجون بانتظار المصير، المجهول اذ على المسلمين إما أن يهتموا بالأمر و يطلبوا من السلطات القضائية السعودية صرف النظر عن

(١) و الكتاب يقع فى ٣٤٠ صفحة طبع بحجم الوزيرى و طبع فى بيروت مرارا و قدّم عليه الأديب اللبناني المعروف «بولس سلامة»

صاحب ملحمة الغدير و ملاحم اخرى.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥١٢

عقوبته، بل و الافراج عنه نهائيا.

و إما أن يفقد هذا الشاب المجاهد الشجاع البريء حياته تحت سياط تلك السلطات الجائرة الحاكمة زورا و قهرا على أرض الحجار  
«١» «٢»

(١) لقد سقطت مؤامرة الحصار الاقتصادي ضدّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و المسلمين بفعل إقدام ثلّة من ذوى المروءة و أيضا بفضل صمود النبيّ صلّى الله عليه و آله و أصحابه و ثباتهم العظيم. و خرج النبيّ و أنصاره من «شعب أبي طالب» بعد ثلاث سنوات من النفي و العذاب و عادوا إلى منازلهم ظافرين مرفوعى الرءوس.

و عاد التعامل الاقتصادي مع المسلمين الى ما كان عليه قبل الحصار، و كانت أوضاع المسلمين تسير نحو الانتعاش و الانفراج شيئا فشيئا، و اذا برسول الله صلّى الله عليه و آله يفاجأ بحادث مؤلم مرّ ذلك هو وفاة شخصيّة كبرى أحدثت فقدانها أثرا سيئا في نفوس المسلمين و بخاصة المستضعفين منهم.

و لقد كان هذا الأثر عظيما جدا بحيث لا يمكن قياسه بشيء بالنظر الى تلك الظروف الحساسة، و ذلك لأن نمو أية عقيدة و فكرة إنما يكون في ظل عاملين أساسيين: أحدهما: حرية التعبير، و الآخر: القوة الدفاعية التي تحمي أصحاب تلك العقيدة و الفكرة ضدّ حملات الخصوم التي لا ترحم.

و لقد كان المسلمون- آنذاك- يتمتعون بحرية البيان و التعبير، و لكنهم افتقدوا- بسبب الحادث المفاجئ المذكور العامل الجوهرى و المصيرى الثانى يعنى:

حامى الاسلام و المدافع الوحيد عنه الذى وافته المنية فى تلك الايام الحساسة

(١) لقد سميت أراضي «الحجاز» و «نجد» و «تهامة» باسم عائلة واحدة هي آل سعود، و اخيرا حملت هذه المنطقة التي كانت تعرف و حتى إلى ما يقرب من قرنين بارض الحجاز اسم المملكة العربية السعودية. يا له من استنثار و جرأة على المقدسات!!  
(٢) و اخيرا نجا هذا الشاب المؤمن و المجاهد الحرّ بفضل جهود علماء الشيعة و مفكرهم المتضافرة و الواسعة النطاق و اخلى سبيله و قد زار- للاعراب عن شكره- مدينة قم المقدّسة و قد التقينا به أيضا كما زار اماكن اخرى لنفس الغرض.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥١٣

و حرم المسلمون بوفاته من حمايته و دفاعه، و وقايته.

(١) أجل لقد فقد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حاميه العظيم الذى تولى مهمة كفالاته و الدفاع عنه، و المحافظة على حياته بصدق و اخلاص و جدّ و رغبة و كان يقيه بنفسه و ذويه و يؤثره على نفسه و أولاده و ينفق عليه من ماله حتى كبر و صار له مال و طول منذ أن كان صلّى الله عليه و آله فى السنة الثامنة من عمره و حتى يوم وفاة ذلك الحامى العظيم، و رسول الله صلّى الله عليه و آله فى الخمسين من عمره.

لقد فقد رسول الله صلّى الله عليه و آله شخصيّة خاطبها عبد المطلب عند وفاته بالشعر قائلا:

اوصيك يا عبد مناف بعدى بموحد بعد أبيه فرد فأجابه أبو طالب قائلا: يا أبة لا توصينّ بمحمّد فانه ابنى و ابن أخى «١».

(٢) و لعلّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قد تذكّر فى اللحظة التي ظهر فيها على جبين ابى طالب عرق الموت جميع الحوادث الحلوة و المرّة و قال فى نفسه:

(٣) ١- إن هذا الشخص المسجّى على فراش الموت هو عمّ الرءوف الذى ظلّ يحرسه بالليل و النهار طيلة سنوات الحصار فى

الشعب، فاذا جاء الليل قام عند رأسه بالسيف يحرسه. و رسول الله صلى الله عليه و آله مضطجع ثم يقيمه من فراشه إذا مضى شطر من الليل و يضجعه في موضع آخر و يضجع مكانه ولده «علي بن أبي طالب» حتى لا تغتاله قريش بعد أن رصد و امكانه، و كمنوا له، و كان يفعل أبو طالب ذلك طوال الليل كله فيفديني بولده «علي» و يقيني به حتى إذا قال له «علي» ليلته: «يا أبتاه إني مقتول ذات ليلته».

فأجابه أبو طالب بنبرة المتحمس الصبور:

(١) عمدة الطالب: ص ٦ و فيه بواحد، المناقب: ج ١ ص ٢١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥١٤ اصبرن يا بنى فالصبر أحجى كلّ حى مصيره لشعوب

قد بلوناك و البلاء شديد لفداء النجيب و ابن النجيب فأجابه «علي» بكلام أكثر حلاوة و عمقا قائلا:

أ تأمرنى بالصبر فى نصر أحمد؟ و و الله ما قلت الذى قلت جازعا

و لكننى أحببت أن تر نصرتى و تعلم أنى لم أزل لك طائعا «١» (١) ٢- إن هذا الجثمان الذى فارقت الروح هو جثمان عمى العطوف الذى شرد هو و ذووه، و عرّض نفسه و أهله للبلاء و المحنة بسبب الحصار لأجلى، و أمر بأن يحرسونى ليل نهار، تاركا زعامته و سيادته، و كلّ شئونه للحفاظ علىّ و الإبقاء على رسالتى و أرسل إلى قريش رسالة قوية أعلن فيها عن وقوفه إلى جانبى و انه لن يسلمنى و يخذلنى ما دام حيا إذ قال:

فلا تحسبونا خاذلين محمدا الذى غربه منا و لا متقرب

ستمعه مّا يد هاشمياً و مركبها فى الناس أحشن مركب «٢» بعد أن تحقق موت «ابى طالب» ارتفع الصراخ و النحيب من منازل و بيوته، و اجتمع حول بيته العدو و الصديق، و القريب و البعيد، و اشترك الجميع فى مراسم دفنه بقلوب آلمتها الفجيعة به، و قرّحها الحزن عليه.

و هل ترى تنتهى آثار و ردود فعل وفاة شخصية عظيمة الشأن مثل «ابى طالب» الذى كان زعيم قريش، و سيد عشيرته بمثل هذه السرعة، و البساطة؟

كلا بل سيكون لفقدانه أكبر الأثر على مسيرة الدعوة كما ستعرف ذلك مستقبلا.

(٢)

## نماذج من مشاعر أبى طالب

### إشارة

ان التاريخ البشرى يحتفظ فى صفحاته بأمثله كثيرة عن مشاعر تبادلها

(١) مناقب ابن شهر اشوب: ج ١ ص ٦٤، الحجّة: ص ٧٠، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١-١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٤ ..

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥١٥

الأشخاص و عواطف و دية قوية أبداها البعض تجاه بعض تدور أكثرها حول محور الدوافع المادية كالتى تدور حول معيار الجمال أو

المال، و لهذا سرعان ما يذهب الحماس و ينطفئ شعلة الحب، و يتضاءل لهيب العاطفة في كيانهم حتى تزول بالمرّة و لا يبقى منها شيء أبدا لعدم ثبات هذه الدوافع.

(١) و لكنّ المشاعر و العواطف التي تتبع من أواصر الايمان بفضائل شخص ما و كمالاته الروحية و المعنوية لا تتمحى و لا تتلاشى بسرعة.

و قد كانت مودة «أبي طالب» لمحمد صلى الله عليه وآله و حبه الشديد له تتبع من كلا هذين الدافعين.

فقد كان «أبو طالب» يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله و يرى فيه من جانب الانسان الكامل، بل يعتبره في قمة الكمال الانساني، و من جانب آخر كان «محمد» ابن أخيه، و قد أحله ذلك من قلبه محلّ الابن و الأخ.

لقد كانت لصفات «محمد» و خصاله المعنوية و الأخلاقية، و طهره مكانة كبرى في قلب عمّه «أبي طالب» إلى درجة أنه كان يصطحبه معه إلى المصلّى، و يستسقى به أى انه يقسم على الله بمقامه أن يدفع عن الناس القحط و الجذب و ينزل عليهم الغيث، فكانت دعونه تستجاب من دون تأخير.

(٢) فقد نقل كثير من المؤرخين الحادثة التالية:

قحط الناس في «مكة» و حوالها سنة من السنين، و منعت السماء و الأرض بركاتهما عنهم بشكل عجيب، فمشت قريش بعيون باكية إلى «أبي طالب» تطلب منه بالحاح أن يستسقى لهم، و ان يذهب الى المصلّى و يدعو ربّه لينزل عليهم المطر و ينقذهم من تلك المحنة الصعبة.

فخرج «أبو طالب» و قد اخذ بيد غلام كأنه شمس دجن تجلّت عنها غمامة فاسند ظهره إلى الكعبة و رفع وجهه نحو السماء و قال: يا رب هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا، دائما هاطلا.

(٣) و يكتب المؤرخون ان السماء كانت صافية لا غيم فيها أبدا ساعة استسقى «أبو طالب» برسول الله صلى الله عليه وآله و لكن ما ان فرغ «أبو طالب» من دعائه

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥١٦

إلّا و أقبلت السحاب في الحال، و غطت سماء «مكة» و ما حولها من المناطق القريبة إليها، و اعدت السماء و أبرقت ثم جرى غيث عظيم سالت به الأودية، و روتّ القريب و البعيد، و سرّ به الجميع و رضوا «١».

و قد اشار «أبو طالب» في لاميته المعروفة الى هذه الحادثة.

(١) و قد أنشأ «أبو طالب» تلك القصيدة في أحلك الظروف و أشدها، يوم زادت قريش من ضغوطها على حامى الرسول صلى الله عليه وآله ليسلم رسول الله صلى الله عليه وآله إليها.

و قد ذكّر فيها «أبو طالب» فريشا بحادثة الاستسقاء برسول الله صلى الله عليه وآله قبل الاسلام و كيف أنها امطرت ببركته، بعد قحط طويل، و جذب مهلك، كاد يبديد الحرث و الضرع، و ذلك عند ما يقول:

و ابيض يستسقى الغمام بوجهه ربيع اليتامى عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمه و فواضل و قد نقل «ابن هشام» في سيرته «٢» أربعة و تسعين بيتا من هذه القصيدة، فيما أورد «ابن كثير» الشامي في تاريخه «٣» اثنين و تسعين بيتا فقط.

و هي قصيدة في منتهى الروعة و العذوبة، و في غاية القوة و الجمال، و تفوق في هذه الجهات كل المعلقات السبع التي كان عرب الجاهلية يفتخرون بها، و يعدونها من ارقى ما قيل في مجال الشعر و النظم.

(٢) و قد أورد «ابو هفان العبدى» الجامع لديوان «أبي طالب» مائة و واحدة و عشرين بيتا من هذه القصيدة في ذلك الديوان، و يمكن ان تكون كل تلك القصيدة و تمامها.

و نحن نورد هنا آياتا متفرقة من هذه القصيدة مما يتصل منها برسول الله صلى الله عليه وآله بصورة صريحة.

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢ و ٣، السيرة الحلبية: ج ١ ص ١١١-١١٦، الملل و النحل المطبوع بهامش الفصل في الأهواء و الملل: ج ٣ ص ٢٢٥.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٧٢-٢٨٠.

(٣) البداية و النهاية: ج ٣ ص ٥٢-٥٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥١٧ كذبتهم و بيت الله نبي محمد او لما نطعن دونه و نناظر «١»

و نسلمه حتى نصرع دونه و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

لعمري لقد كلفت و جدا بأحمد و إخوته دأب المحب المواصل

فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها و زينا لمن والاه رب المشاكل «٢»

فمن مثله في الناس أي مؤمل إذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش يوالى إليها ليس عنه بغافل

لقد علموا أن ابنا لا مكذب لدينا و لا يعنى بقول الأباطل

فأصبح فينا احمد في ارومة تقصر عنه سورة المنظاول «٣»

حدبت بنفسى دونه و حميته و دافعت عنه بالذرا و الكلاكل «٤»

فأيده رب العباد بنصره و أظهر دينا حقه غير باطل «٥» (١)

### التغيير في برنامج السفر

لم يكن يمض اكثر من اثني عشر ربيعا من عمر «محمد» بعد، عند ما أراد «أبو طالب» التوجه إلى الشام مع قافلة قريش التجارية. و عند ما استعدت القافلة لمغادرة مكة ودق جرس الرحيل، أخذ «محمد» فجأة بزمام الناقة التي كان يركبها عمه و كافله «أبو طالب» بينما اغرورقت عيناه صلى الله عليه وآله بالدموع و قال:

«يا عم إلى من تكلمنى، لا أب لى و لا أم»؟.

هذا المشهد المؤثر و بخاصه عند ما رأى «أبو طالب» عيني محمّد و قد اغرورقت بالدموع، فعل فعلته في نفس العم الكافل الحنون، فانحدرت عبرات العطف من عينيه و قرر من فوره و من دون سابق تفكير في الموضوع أن يصطحب ابن اخيه «محمّد» معه في هذه الرحلة، و مع أنه لم يحسب لهذا الأمر - من قبل -

(١) اى تغلب عليه.

(٢) المشاكل: العظيمات من الامور.

(٣) السورة: الشدة و البطش.

(٤) الذرا: جمع ذروة و هى اعلى ظهر البعير.

(٥) راجع السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٧٢-٢٨٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥١٨



أى حساب، فان «أبا طالب» قبل بان يتحمل كل ما يترتب على قراره هذا، فحمله معه على ناقته، وبقى يفكر فى أمره، و يدبر شأنه، و يحافظ عليه طوال تلك الرحلة، و شهد منه اثناء الطريق كرامات و خوارق، و قد أنشأ فى ذلك قصيدة موجودة فى ديوان أبى طالب، و مطلع هذه القصيدة هو:

إن ابن آمنه النبى محمدا عندى يفوق منازل الأولاد «١»

(١)

### الدفاع عن حوزة العقيدة و الايمان

ليست هناك قوة تساعد على الثبات و المقاومة، و الصمود و الاستقامة، مثل قوة الايمان، فالايان بالهدف هو العامل القوى وراء تقدم الانسان فى ميدان الحياة، فهو الذى يهضم فى نفسه كل الآلام و المتاعب، و يدفع بالمرء الى المضى قدما فى طريق الوصول إلى أهدافه المقدسة، حتى و لو كلفه ذلك التعرض للموت.

إن الجندي المسلح بقوة الايمان منتصر لا محالة.

إن الجندي الذى يعتقد بأن الموت فى طريق العقيدة هو عين السعادة لا بد أن يحرز النصر.

إن على الجندي - قبل أن يسلم نفسه بسلاح العصر - أن يتزود فى قلبه من طاقة الايمان بالهدف، و يضىء قلبه بمصباح الاعتقاد بالحقيقة، و حبها، و يجب أن يكون جهاده و صلحه من أجل العقيدة و الدفاع عن حوزتها، و كيانها.

(٢) إن أفكارنا و عقائدنا نابعة من روحنا، و فى الحقيقة أن فكر الانسان وليد عقله، فكما أن الانسان يحب ولده الجسماني حبا شديدا كذلك يحب أفكاره التى هى ولائد عقله و روحه، بل إن حب الانسان لعقيدته اكثر من حبه

(١) ديوان أبى طالب: ص ٣٣-٣٥، تاريخ ابن عساكر: ج ١ ص ٢٦٩-٢٧٢، الروض الآنف: ج ١ ص ١٢٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥١٩

لأولاده الجسمانيين، و لهذا فهو يدافع عن عقائده حتى الموت، و يغضى - فى سبيل الدفاع عن حوزة العقيدة و الحفاظ عليها - عن كل شىء، بينما هو غير مستعد لأن يضحي بنفسه فى سبيل الحفاظ على اولاده.

(١) إن حب المرء للمال و المنصب حب محدود، فهو ينساق مع هذا الحب ما دام لم يهدد حياته خطر الموت الحقيقى، و لكنه مستعد لأن يمضى - فى سبيل الدفاع عن حياض العقيدة - الى حد الموت، و يؤثر الموت الشريف فى سبيل العقيدة على الحياة الحقيقية و الواقعية فى وجود الرجال المجاهدين، و هو يردد:

«إنما الحياة عقيدة و جهاد» «١».

و لنلق نظرة فاحصة على حياة بطل حديثنا (و نعنى به المدافع الوحيد عن الاسلام و حامى الرسول الاوحد فى بدايات عهد الرسالة) فما ذا كان دافعه الى هذا الأمر، و ما الذى كان يحركه فى هذا السبيل؟ و أى شىء كان وراء مضيه فى هذا الطريق الى حافة العدم، و الغض عن النفس و النفيس، و المقام، و القبيلة و غير ذلك و التضحية بكل ذلك فى سبيل «محمّد» صلى الله عليه و آله و سلم.

إن من المتيقن أن دافعه الى ذلك لم يكن المحرك المادى، و بالتالى لم يقصد من وراء الدفاع عن ابن اخيه، و حمايته، و الحدب عليه، كسب أمر مادي كتحصيل مال و ثروة، لأن النبى صلى الله عليه و آله لم يكن له يومئذ مال، و لا ثروه.

(٢) و كما أن مقصود «أبى طالب» لم يكن أيضا تحصيل مقام، و أحرار مكانه اجتماعية لأنه كان يملك فى ذلك المجتمع أعلى المناصب و اهمها، فقد كانت له رئاسة «مكة» و البطحاء، بل هو فقد منصبه و شخصيته الممتازة و مكانته المنقولة بسبب دفاعه عن

«محمد»، و عدم الاستجابة لقومه في تسليمه إليهم، و التخلي عنه لأن دفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قد استوجب سخط زعماء عليه، و استيائهم من موقفه، و خروجهم عن طاعته، و دفعهم الى التمادي

(١) المراد من العقيدة المقدسة هو بطبيعة الحال ما تدوب «الأنبا» فيها في التوحيد و الايمان بالله اذ هنا يصدق قوله:

قف عند رأيك و اجتهد إن الحياة عقيدة و جهاد

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢٠

في معادة «بنى هاشم» و «أبي طالب» و الثورة عليهم!!

(١)

### تصوّر باطل [عن مشاعر أبي طالب تجاه النبي ص]

ربما يتصور بعض ضعفاء البصيرة أن علة حذب «أبي طالب» على رسول الله صلى الله عليه وآله و التضحية في سبيله بالنفس و النفيس كانت هي: علاقة القربى، و وشيعة الرحم، أو بتعبير آخر: إن التعصب القبلي، و العصية القومية هو الذي دفع بأبي طالب إلى ان يعرض نفسه لكل ذلك المكروه في سبيل ابن أخيه.

و لكنّ هذا ليس سوى مجرّد تصور باطل لا غير، و يتضح بطلانه بدراسة مختصرة لأنه لا تستطيع أية وشيعة قربي على أن تدفع أحدا إلى أن يضحي بنفسه في أحد أقربائه الى هذه الدرجة من التضحية و المفاداة، بحيث يقي مثلا ابن أخيه عليه، و يكون مستعدا لأن يتقطع ولده بالسيوف إربا إربا دون ابن أخيه.

إن العصبية القبائلية و العائلية و ان كانت تدفع بالانسان حتى الى حافة الموت، و لكن لا معنى لان تختص، هذه الحماية الناشئة عن العصية العائلية و القبيلة الشديدة بفرد واحد، و شخص خاص معيّن من أفراد العائلة و القبيلة، في حين نجد «أبا طالب» قد قام بكل هذه التضحية في سبيل شخص واحد، و فرد معين (أبي النبي)، و لا يفعل مثل هذه في سبيل غيره من أبناء «عبد المطلب» و «هاشم» و أحفادهما و من ينتمى إليهم بوشيعة القربى و رابطة الرحم.

(٢)

### الدافع الحقيقي لأبي طالب

و على هذا الأساس فإنّ المحرّك و الدافع الحقيقي لأبي طالب لم يكن أمرا ماديا و لا- الجاه و المنصب، أو التعصب القومي، و العائلي، بل كان أمرا معنويا و أن ضغوظا العدو و قوته كانت تدفعه إلى الاستعداد للقيام بأى نوع من أنواع التضحية و ذلك الأمر المعنوي هو اعتقاده الراسخ برسول الله صلى الله عليه وآله يعتبر «محمدًا» مظهرا كاملا للفضيلة و الانسانية، و يعتبر دينه أفضل برنامج

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢١

للسعادة، و حيث أنه كان يحبّ الحقيقة، و يعشق الكمال و الحقّ، لذلك كان من الطبيعي أن يدافع عن الحق و الحقيقة، و ينصرهما بكل وجوده، و بكل قواه.

(١) و هذا المعنى هو المستفاد من قصائد «أبي طالب» و أشعاره، فهو يصرح بأن «محمدًا» رسول كموسى و عيسى إذ يقول:

ليعلم خيار الناس أنّ محمدًا نبيا كموسى و المسيح بن مريم

أتانا بهدى مثل ما أتيا به فكل بأمر الله يهدى ويعصم (١) و يقول في قصيدة اخرى:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدانينا كموسى خطّ في أول الكتب (٢) هذا و تعتبر آياته التي سبق أن أشرنا إليها و المئات من أمثالها مما جاء ذكره في ديوان أبي طالب، و في ثنايا التاريخ و التفسير و الحديث شواهد حثية و قوية على أن محرك «أبي طالب» الواقعي و دافعه الحقيقي إلى الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه و آله كان هو اعتقاده الخالص، و اسلامه الواقعي و لم يكن له أى دافع آخر سوى الايمان و العقيدة.

و نحن هنا نكشف النقاب عن بعض مواقفه في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه و آله و حمايته بعد اضطراره بعبء الرسالة، و نترك لك أيها القارى بأن تدقق في مثل هذه المواقف الفدائية ثم تقضى بنفسك: هل تنبع مثل هذه التضحية، و مثل هذا التفانى، و الفداء إلّا من الايمان و الاعتقاد؟؟

(٢)

### لمحات من تضحيات أبي طالب

اجتمع أسياذ قريش و اشرافها في بيت أبي طالب و النبي صلى الله عليه و آله حاضر، و تبودلت بين الجانبين أحاديث حول رسول الله صلى الله عليه و آله

(١) مجمع البيان: ج ٧ ص ٣٧، الحجّة: ص ٥٦-٥٧، مستدرک الحاكم: ج ٢ ص ٦٢٣ و ٦٢٤.

(٢) مجمع البيان: ج ٧ ص ٣٦، و قد نقل ابن هشام في السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٥٢ و ٣٥٣ خمسة عشر بيتا من هذه القصيدة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢٢

و دينه و ما خلق من مشكلات في مكة، و حاول القرشيون اثناء النبى عن دعوته و عمله و لكن دون جدوى فلما يسوا من الحصول على النتيجة التي كانوا يريدونها نهضوا من مكانهم ليركوا بيت «أبي طالب»، قال «عاقبة ابن أبي معيط» غاضبا مهددا: لا نعود إليه أبدا، و ما خير من أن نغتال محمدا!!

(١) فغضب «أبو طالب» من هذه الكلمة، و لكنه ما ذا عساه أن يفعل فهم ضيوفه، و في بيته.

و اتفق أن خرج النبي صلى الله عليه و آله من البيت في ذلك اليوم و لم يعد، و جاء «أبو طالب» و عمومته الى منزله فلم يجدوه، فجمع فتيانا من بنى هاشم و بنى المطلب، ثم قال- و هو يظن ان قريشا كادت برسول الله صلى الله عليه و آله-: ليأخذ كل واحد منكم حديده صارمة ثم ليتبعنى إذا دخلت المسجد، فليظن كل فتى منكم، فليجلس الى عظيم من عظمائهم فيهم ابن الحنظلية- يعنى أبا جهل- فانه لم يغب عن شر ان كان محمدا قد قتل، فقال الفتيان: نفعل فجاء زيد بن حارثة فوجد أبا طالب على تلك الحال فقال: يا زيد أحسست ابن أخى؟ قال: نعم كنت معه آنفا.

فقال أبو طالب: لا ادخل بيتي أبدا حتى أراه.

(٢) فخرج زيد سريعا حتى اتى رسول الله صلى الله عليه و آله و هو في بيت عند الصفا و معه أصحابه يتحدثون فاخبره الخبر، فجاء رسول الله صلى الله عليه و آله إلى أبي طالب فقال: يا ابن أخى: اين كنت؟ أ كنت في خير؟ قال: نعم، قال:

ادخل بيتك، فدخل رسول الله صلى الله عليه و آله، فلما اصبح أبو طالب غدى على رسول الله صلى الله عليه و آله فاخذ بيده فوقف على اندية قريش و معه الفتيان الهاشميون و المطلبيون فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟

قالوا: لا، فاخبرهم الخبر، و قال للفتيان اكشفوا عما في ايديكم، فكشفوا، فاذا كل رجل منهم معه حديده صارمة. فقال: و الله لو

قتلتموه ما بقيت منكم أحدا حتى نتفاني نحن و انتم، فانكسر القوم و كان أشدهم انكسارا أبو جهل «١»

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١٦٨، الطرائف: ص ٨٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢٣

(١) لو لاحظت أيها القارئ الكريم هذه الصفحات و غيرها من تاريخ «أبي طالب»، و درست حياته لرأيت كيف ان «أبا طالب» ظلّ طوال اثنين و أربعين سنة بأيامها و لياليها يحذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و يدافع عنه، و يحاميه، و بخاصة في السنوات العشر الاخيرة من حياته التي صادفت بعثته رسول الله صلى الله عليه و آله و دعوته، فقد أظهر من الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه و آله و الحرص على حياته، و حماية هدفه اكثر مما يتصور.

و لقد كان العامل الوحيد الذي دفعه الى مثل هذا الموقف الراسخ العظيم في هذا السبيل هو: عمق الايمان برسول الله صلى الله عليه و آله، و قوة الاعتقاد الخالص برسالته.

و لو أننا ضمنا إلى تضحياته الشخصية تضحيات ولده العزيز «علي» لأدر كنا مغزى البيتين اللذين انشدهما «ابن ابى الحديد» المعتزلى الشافعي إذ قال:

و لو لا أبو طالب و ابنه لما مثل الدين شخصا و قاما

فذاك بمكة آوى و حامى و هذا يثرب جس الحماما «١»

(٢)

### قضية ذات بواغث سياسية:

ليس من ريب في أنه لو ثبت عشر هذا القدر من الشواهد الدالة على اسلام «أبي طالب» و إيمانه بالرسالة المحمّدية، لغيره ممن هو بعيد عن قضايا السياسة، و خارج عن دائرة الحقد و البغض لا تفق الجميع سنة و شيعه على إسلامه و إيمانه، و لكن كيف ذهب فريق الى تكفير «أبي طالب» مع كل هذه الشواهد القويّة القاطعة على إيمانه؟ حتى أن فريقا من الكتاب ذهب إلى ان بعض الآيات المشعرة بالعذاب نزلت في شأنه.

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١٤ ص ٨٤ يقول ابن ابى الحديد: صنّف بعض الطالبين في هذا العصر كتابا في اسلام أبى طالب، و بعثه إلى، و سألتني ان اكتب عليه بخطى نظما او نثرا اشهد فيه بصحة ذلك، و بوثاقه الأدلة عليه (إلى ان قال) فكتب على ظاهر المجلد هذه الايات.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢٤

(١) بينما توقّف في هذا الأمر، و ذهب أفراد معدودون من علماء السنة الى الحكم باسلامه و ايمانه، و منهم «زينى دحلان» مفتى مكة المتوفى سنة ١٣٠٤ من الهجرة.

و لكن الانصاف هو ان يقال: أن الهدف من طرح هذه المسألة و التوقف في ايمان «أبي طالب» أو تكفيره لم يكن إلّا الطعن في أبنائه، و بخاصة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام.

و لقد جرّ بعض كتّاب السنّة- لتبرير تكفير أبى طالب- هذه المسألة الى غير ابى طالب و وسع دائرة التكفير هذه حتى شملت آباء النبى صلى الله عليه و آله أيضا حيث ذهب إلى أن أبوى النبى صلى الله عليه و آله ماتا كافرين أيضا.

و نحن لا يهمنا هنا أن نعلم بأنّ تكفير والدى النبى صلى الله عليه و آله مخالف لاجماع الامامية و الزيدية، و كذا جماعة من علماء

السنة، و محققهم، إنما الكلام هو حول من اتهموا ببساطة متناهية حامى النبي صلى الله عليه وآله الوحيد والمدافع عنه بلا منازع. (٢)

## الأدلة على إيمان أبي طالب

### إشارة

إن التعرّف على عقيدة أحد، و معرفه نمط تفكيره، يمكن عن ثلاث طرق هي:

- ١- دراسة ما ترك من آثار علمية و أدبية.
  - ٢- أسلوب عمله، و تصرفاته فى المجتمع.
  - ٣- رأى أقربائه، و أصدقائه غير المغرضين فيه.
- و نحن نستطيع أن نتعرّف على إيمان «أبي طالب» و عقيدته من خلال هذه الطرق.
- فإن أشعار «أبي طالب» تدل بجلاء لا لبس فيه على ايمانه و إخلاصه، و كذا تكون خدماته القيامة فى السنوات العشر الاخيرة من عمره شاهدا قويا على إيمانه العميق.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢٥

كما و أنّ رأى أقربائه المنصفين متفق على أنّ «أبا طالب» كان مسلما مؤمنا و لم يقل أحد من أقربائه، فى حقه بغير هذا أبدا. و إليك إثبات هذا الموضوع عن هذه الطرق الثلاث على وجه التفصيل:

(١)

### ١- آثار أبي طالب العلمية و الأدبية

نحن نختار هنا من بين قصائد «أبي طالب» المطوّلة، بعض الأبيات التى تثبت ايمانه برسول الله صلى الله عليه وآله، و اعتقاده بالاسلام، فى غير ابهام.

١-

ليعلم خيار الناس أنّ محمّدانبيّ كموسى و المسيح بن مريم

أتانا بهدى مثل ما أتيا به فكلّ بأمر الله يهدى و يعصم «١» ٢-

تمنيتمو أن تقتلوه و إنّما أماتيكم هذى كأحلام نائم

نبيّ أتاه الوحى من عند ربّه و من قال لا يقرع بها سنّ نادم «٢» ٣-

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّدا رسولا كموسى خطّ فى أوّل الكتب

و أنّ عليه فى العباد محبة و لا حيف فى من خصّه الله بالحبّ «٣» ٤-

و الله لن يصلوا إليك بجمعهم حتّى اوسد فى التراب دفينا

فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة و ابشر بذاك و قرّ منك عيونا

و دعوتنى و علمت أنّك ناصح و لقد دعوت و كنت ثمّ أمينا

و لقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية بنا «٤» ٥-  
 أو تؤمنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى أو كذى النون «٥» ٦-  
 لقد علموا أن ابنا لا مكذب لدينا و لا يعنى بقول الأباطل  
 فأيدته رب العباد بنصره و اظهر دينا حقه غير باطل «٦»

(١) مجمع البيان: ج ٧ ص ٣٧، الحجة: ص ٥٧، مستدرک الحاكم: ج ٢ ص ٦٢٣.

(٢) ديوان أبى طالب: ص ٣٢، السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٥٣.

(٣) ديوان أبى طالب: ص ٣٢، السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٥٣.

(٤) تاريخ ابن كثير: ج ٣ ص ٤٢.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٤ ص ٧٤، ديوان أبى طالب: ص ١٧٣.

(٦) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٧٢ - ٢٨٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢٦

إن كل واحدة من هذه المقطوعات الشعرية التى تشكل قسما صغيرا من قصائد مفصلة لأبى طالب، تشهد بايمانه بدين ابن اخيه «محمد» صلى الله عليه وآله.

(١) و خلاصة القول: أن بيتا واحدا من هذه الأبيات كاف فى اثبات ايمان صاحبها و قائلها، و لو أن أحدا قالها و هو خارج عن فلك الصراعات السياسية، و بعيد عن دوائر التعصبات و الأغراض لحكم الجميع - بالاتفاق - باسلام قائلها و ايمانه الخالص العميق. و لكن لما كان «أبو طالب» هو قائلها، و كانت الأجهزة الدعائية فى الحكومات الاموية و العباسية تعمل بكل جهدها ضد آل «أبى طالب» من هنا أبى فريق من الناس أن يثبتوا مثل هذه الفضيلة الكبرى لأبى طالب عليه السلام. هذا من جانب.

و من جانب آخر فإن أبى طالب والد «على» الذى كانت سلطات الخلفاء تعمل ضده على الدوام، و تستغل كل الوسائل للحط من شأنه، كان إسلام أبيه و إيمانه بالرسالة المحمدية يعد فضيلة بارزة من فضائله عليه السلام فى حين أن كفر آباء الخلفاء و شركهم يعد متلبه توجب الحط من شأنهم، و قيمتهم.

و على كل حال قام جماعة بتكفير أبى طالب رغم كل هذه الأشعار و الأقوال، و المواقف الصادقة، بل لم يكتفوا بذلك، فادعوا نزول آيات من القرآن تدل على كفره، و شركه!!!

(٢)

### الطريق الثانى لاثبات ايمان أبى طالب

إن الطريق الثانى للبرهنة و التدليل على ايمان «أبى طالب» هو مواقفه من رسول الله صلى الله عليه وآله و كيفية دفاعه و ذبه عنه و حمايته له، و حذبه عليه صلى الله عليه وآله و سلم و ما قام به من خدمات جليلة فى هذا الطريق.

ان كل واحدة من هذه الخدمات تستطيع بمفردها ان تكون المرأة الصادقة

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢٧

التي تعكس فكر «أبى طالب» و عقيدته و ما كان يحمله بين جوانحه من ايمان بالرسالة و الرسول، و اخلاص لله تعالى.

لقد كان «أبو طالب» هو ذلكم الشخصية التي لم يرض لنفسه بان ينكسر قلب ابن أخيه لتركه في مكة، و اصطحبه معه الى الشام في الرحلة التجارية التي سبق ذكرها، رغم الموانع الكثيرة، و فقدان الوسائل اللازمة، و رغم ما ترتب على اصطحابه معه من متاعب.

(١) إن إيمانه بابن أخيه كان عميقا إلى درجة أنه أخذته الى المصلّى واستسقى به، مقسما به على الله تعالى أن يكشف العذاب عن قومه، و يرسل رحمته عليهم، فيستجيب الله دعاءه، و ينزل عليهم غيثا وافرا ممرعا، بقيت قصته في ذاكرة التاريخ.

إنه ذلك الرجل الذي لم يفتأ عن الحفاظ على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لحظة واحدة، فهو الذي تحمل في سبيله ثلاثة أعوام عجاف من الحصار الاقتصادي و الاجتماعي الصعب، مؤثرا العيش في الشعب و في شغاف الجبال و الوديان القاحلة على زعامة قريش، و رئاسة مكة الى ان أعيته تلك المحن و المتاعب ففقد بذلك صحته، و انحرف بذلك مزاجه، و توفى متأثرا بتلك المتاعب و المصاعب، و المشاق و المحن بعد نقض الصحيفة، و انتهاء الحصار، و العودة إلى المنازل بأيام معدودة!!

لقد كان إيمان «أبي طالب» برسول الله صلى الله عليه وآله قويا و راسخا الى درجة أنه رضى بأن يتعرض كل ابنائه لخطر القتل و الاغتيال ليبقى «محمد» و لا يمسه من أعدائه أى سوء، فكان يضجع ولده عليا في موضعه، حتى إذا أرادوا اغتياله لا يصيبه شيء و هذا يعنى أنه كان يقيه بنفسه و بأولاده.

و فوق هذا كله استعد في يوم من الأيام لأن يقتل كل زعماء قريش و أسياها انتقاما لمحمد، و كان من الطبيعي أن يقتل في هذه العملية بنو هاشم كلهم أيضا «١».

(١) راجع الصفحة ٥٢٢ من هذا الكتاب.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢٨

(١)

### وصية أبي طالب عند وفاته

و عند وفاته قال لأولاده:

«اوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين في قريش و هو الجامع لكل ما اوصيكم به، و قد جاء بأمر قبله الجنان، و انكره اللسان مخافة الشنثان، و أيم الله لكأني انظر الى صعاليك العرب، و أهل البرّ في الاطراف، و المستضعفين من الناس، قد أجابوا دعوته، و صدّقوا كلمته، و عظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت، فصارت رؤساء قريش و صناديدها أذناها، و دورها خرابا، و ضعفاؤها أربابا، و اذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه، و أبعدهم منه أحظاهم عنده..».

(٢) ثم ختم وصيته هذه بقوله:

يا معشر قريش كونوا له ولاة، و لحزبه حماة، و الله لا يسلك أحد منكم سبيله الارشد، و لا يأخذ أحد بهديه الا سعد «١».

نحن لا نشك في أن «أبا طالب» كان صادقا في امتيته هذه لأن خدماته الكبرى و تضحياته المتواصلة خلال عشر سنوات من بداية عهد الرسالة شاهدة على صدق مقاله، كما كان صادقا في الوعد الذي قطعه على نفسه لابن أخيه (محمد) في مبدأ البعثة عند ما جمع رسول الله صلى الله عليه وآله أعمامه و عشيرته الأقربين و دعاهم الى الاسلام فقال له أبو طالب:

«اخرج يا ابن أخى فانك الرفيع كعبا، و المنيع حزبا، و الأعلى أبا.

و الله لا يسلكك لسان الا سلقته أسن حداد، و اجتذبتة سيوف حداد.

و الله لتذلن لك العرب ذلّ البهم لحاضنها «٢».

(١) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٥١ و ٣٥٢.

(٢) الطرائف تأليف السيد ابن طاوس: ص ٨٥ نقلا عن كتاب غاية السؤل في مناقب آل الرسول تأليف ابراهيم بن علي الدينوري. سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٢٩.

### [٣- شهادات أقرباء أبي طالب من أهل البيت]

(١) آخر الطرق لاثبات ايمان أبي طالب و يحسن بنا أخيرا ان نسأل عن أبي طالب و عن ايمانه و اخلاصه، اقاربه غير المغرضين لأن «أهل البيت ادري بما في البيت».

(٢) ١- لما مات أبو طالب جاء علي عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاذنه بموته، فتوجع توجعا عظيما، و حزن حزنا شديدا، ثم قال له امض فتولّ غسله فاذا رفعته على سريره فاعلمني، ففعل فاعترضه رسول الله صلى الله عليه وآله و هو محمول على رءوس الرجال: قال: «وصلتك رحم يا عم، و جزيت خيرا فلقد ربّيت و كفلت صغيرا، و نصرت و آزرت كبيرا». ثم تبعه الى حضرته، فوقف عليه فقال:

«أما و الله لاستغفرنّ لك، و لأشفعنّ فيك شفاعة يعجب لها الثقلان» (١).

(٣) ٢- روى ان علي بن الحسين عليهما السلام سئل عن ايمان أبي طالب. فقال:

«وا عجب! ان الله تعالى نهى رسوله ان يقرّ مسلمة على نكاح كافر، و قد كانت فاطمة بنت اسد من السابقات إلى الاسلام، و لم تزَل تحت أبي طالب حتّى مات» (٢).

(٤) ٣- روى عن علي بن محمّد الباقر عليهما السلام أنه قال:

«لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان، و إيمان هذا الخلق في الكفة الاخرى لرجح إيمانه». ثم قال:

«ألم تعلموا أنّ أمير المؤمنين عليا عليه السلام كان يأمر أن يحجّ عن عبد الله و أبيه» (٣).

(٥) ٤- قال الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السلام:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٧٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٦٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٣٠.

«إنّ مثل أبي طالب مثل أصحاب الكهف أسروا الإيمان، و أظهروا الشرك فاتاهم الله اجرهم مرّتين، و أن أبا طالب أسرّ الإيمان، و أظهر الشرك، فاتاه الله أجره مرّتين» (١).

(١)

### رأى علماء الشيعة في أبي طالب

و لقد اتفق علماء الامامية و الزيدية تبعا لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله علي: أن «أبا طالب» كان من أبرز المؤمنين برسول الله



صلى الله عليه وآله و لم يخرج من الدنيا إلّا بقلب يفيض إيماناً بالاسلام، و إخلاصاً لله تعالى، و حباً للمسلمين، و قد ألفت في هذا المجال كتب و رسائل، و دراسات عديدة، يمكن الوقوف عليها لمن اراد و لمزيد التوسع في هذا المجال يراجع المجلد ٧ ص ٤٠٢-٤٠٤ من موسوعة الغدير للعلامة الأمينى طبعه النجف، أو ج ٧ ص ٣٣٠-٤٠٩ طبعه لبنان.

### نظرة إلى حديث «الضحاح»

#### إشارة

و استكمالاً لهذا الحديث ينبغي أن نلقى نظرة إلى رواية تشكك في إيمان أبي طالب فقد روى بعض الكتاب مثل البخارى «٢»، و مسلم عن رواية نظير سفيان بن سعيد الثورى، عبد الملك بن عمير، عبد العزيز بن محمد الدراوردي حديثاً نسبوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال عن أبي طالب رحمه الله: «وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحاح».

«لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل من النار يبلغ كعبيه، يغلى منه دماغه» «٣».

إن هذه الرواية و ان كانت تكذبها عشرات الأحاديث و الروايات الاسلامية،

(١) اصول الكافي: ج ١ ص ٤٤٨.

(٢) صحيح البخارى: ج ١ ص ٣٣ و ٣٤ من ابواب المناقب.

(٣) صحيح المسلم: كتاب الايمان.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٣١

و الدلائل القاطعة الساطعة، و تثبت بطلانها و تفاهتها، و لكننا بهدف الوصول إلى مزيد من التوضيح نعمد إلى دراسة أمرين مرتبطين بهذا الحديث.

### ١- ضعف أسناد هذه الرواية

#### إشارة

إن رواية هذه الرواية- كما اسلفنا- هم عبارة عن سفيان بن سعيد الثورى و عبد الملك بن عمير و عبد العزيز بن محمد الدراوردي الذين سندرس أحوالهم واحدا واحدا- فى ضوء أقوال علماء الرجال المعترف بهم عند اهل السنة- عنهم:

### الف: سفيان بن سعيد الثورى

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- و هو من علماء الرجال عند اهل السنة- فى سفيان الثورى: كان يدلس عن الضعفاء «١».

إن هذا الكلام شاهد قوى على وجود التدليس عند الثورى، و على روايته عن الضعفاء أو المجهولين، و هو وصف يسقطه عن درجة الاعتبار.

**باء: عبد الملك بن عمير**

قال عنه الذهبي المذكور: طال عمره و ساء حفظه قال أبو حاتم: ليس بحافظ، تغير حفظه، وقال أحمد: ضعيف يغلط، وقال ابن معين: مخلط و قال ابن خراش:

- كان شعبة لا يرضاه، و ذكر الكوسج عن احمد بن حنبل: انه ضعيف جدا «٢»  
 فمن مجموع هذه العبارات نعرف ان عبد الملك كان يتصف بصفات عديدة هي أنه:  
 ١- سيئ الحفظ.  
 ٢- ضعيف.  
 ٣- كثير الغلط.

(١) ميزان الاعتدال: ج ٢ ص ١٦٩.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٦٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٣٢.

٤- مخلط.

و من الواضح ان كل واحدة من الصفات و الحالات المذكورة كافية لأن تبطل الأحاديث التي يرويها عبد الملك بن عمير، و الحال انه قد اجتمعت جميع نقاط الضعف هذه في هذا الرجل.

**جيم: عبد العزيز بن محمد الدراوردي**

و لقد وصفه علماء الرجال عند اهل السنة بالنسيان، و قلّه الحفظ فلا يمكن الاستناد إلى مروياته.

فقد قال أحمد بن حنبل عنه: إذا حدث من حفظه جاء بأباطيل «١».

و قال أبو حاتم عنه: لا يحتج به «٢».

و قال أبو زرعة أيضا: سيئ الحفظ «٣». و من مجموع هذه العبارات يتضح بجلاء ان الرواة الاصلين لحديث الضحاح ضعفاء في غاية الضعف، الى درجة لا يمكن الاعتماد على مروياتهم.

**٢- نص حديث الضحاح يخالف الكتاب و السنة****إشارة**

لقد نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله في هذه الرواية أنه أخرج أبا طالب من نار جهنم إلى ضحاح و بهذا خفف عنه العذاب، أو أنه صلى الله عليه وآله تمنى أن يشفع له، فيخفف الله عنه العذاب، على حين نفى القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة تخفيف العذاب عن الكفار كما و نفا شفاعه احد في حقهم.

و على هذا الاساس فلو كان ابو طالب كافرا، لم يجز للنبي صلى الله عليه وآله ان يخفف عنه العذاب او يتمنى له الشفاعه في يوم الجزاء.

و بهذا يظهر بطلان محتوى حديث الضحاح.

و إليك فيما يأتي ادلة ما قلناه من الكتاب و السنة:

(١) المصدر السابق ص ٦٣٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٣٣

### الف: القرآن الكريم

يقول القرآن الكريم في هذا الصدد:

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا، كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ» (١).

### ب: السنة النبوية

ان السنة النبوية الطاهرة تنفي أيضا الشفاعة للكفار، و نذكر من باب النموذج بعض تلك الأحاديث:

١- روى أبو ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال:

«اعطيت الشفاعة و هي نائلة من امتي من لا يشرك بالله شيئا» (٢).

٢- روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال:

«و شفاعتي لمن شهد أن لا إله الا الله مخلصا، و أن محمدا رسول الله يصدق لسانه قلبه، و قلبه لسانه» (٣).

إن الآيات و الروايات المذكورة تثبت بوضوح بطلان نص حديث الضحاح عند من يقول بأن أبا طالب مات كافرا.

و نتيجة البحث أنه تبين مما ذكر ان حديث الضحاح لا- أساس له من الصحة لا من جهة السند و الطريق، و لا من جهة المتن و النص، و لا يمكن الاستدلال به.

و بهذا ينهار أقوى حصن يتمسك به البعض للخدشة في ايمان أبي طالب الثابت المسلم.

(١) فاطر: ٣٦.

(٢) الترغيب و التهيب: ج ٤ ص ٤٣٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٣٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٣٥

(١) (٢)

### ٢٢- المعراج في نظر القرآن و السنة و التاريخ

#### إشارة

كان الليل يخيم على الافق، و يسود الظلام على كان مكان.

فقد حان الأوان لان ترقد جميع الاحياء في مساكنها، و تستريح في جحورها و أعشاشها، و تغمض الأجفان لبعض الساعات عن مظاهر

الطبيعة، لتستعيد نشاطها من أجل العمل في يوم جديد حافل بالنشاط والحركة والسعي.

فذلك قانون الطبيعة في كل ليل ونهار.

و لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله بمسثنى عن هذا الناموس الطبيعي.

فهو صلى الله عليه وآله مضى ليستريح بعد أن صلى صلاة العتمة أيضا.

ولكنه فجأة سمع صوتا مألوفاً مأنوساً له، وكان ذلك هو صوت أمين الوحي «جبرئيل» وهو يخبره بأن أمامه الليلة سفراً بعيداً ورحلة

طويلة، وأنه سيرافقه في هذه الرحلة إلى مختلف نقاط الكون، وسياسفر على متن دابة فضائية تدعى «البراق».

(٣) لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله رحلته الفضائية العظيمة من بيت اخت علي بن أبي طالب «١» «أم هانئ»، وتوجه على متن

تلك الدابة إلى «بيت

(١) مجمع البيان: ج ٦ ص ٣٩٥ و ٣٩٦، السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٩٦-٤٠٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٣٦

المقدس» في الأردن وفلسطين والذي يسمى «المسجد الأقصى» أيضا، وهبط في تلك النقطة بعد مدة قصيرة جدا، وزار مواضع

عديدة من ذلك المسجد، وتفقد «بيت لحم» مسقط رأس «السيد المسيح» ومنازل الأنبياء وآثارهم ومحاريبهم، وصلى عند كل

محراب من بعض تلك المحاريب ركعتين.

(١) ثم بدأ بعد ذلك القسم الثاني من رحلته، حيث عرج من ذلك إلى السماوات العلى، وشاهد النجوم والكواكب، واطّلع على

نظام العالم العلوي، وتحدث مع ارواح الأنبياء، والملائكة السماويين، واطّلع على مراكز الرحمة والعذاب (الجنة والنار) «١» ورأى

درجات أهل الجنة، وأشباح أهل النار عن كثب، وبالتالي تعرف على أسرار الوجود، ورموز الطبيعة، ووقف على سعة الكون، و

آثار القدرة الإلهية المطلقة، ثم واصل رحلته حتى بلغ إلى سدره المنتهى «٢»، فوجدها مسربلة بالعظمة المتناهية والجلال العظيم و

عندها انتهى برنامج رحلته صلى الله عليه وآله، فأمر بأن يعود من حيث أتى، فعاد صلى الله عليه وآله ومز في عودته على بيت

المقدس ثانية، ثم توجه منه إلى «مكة»، ومز خلال الطريق على قافلة تجارية لقريش وقد ضلّ بعير لهم في البيداء وكانوا يبحثون عنه،

ثم وجد في رحلهم قعبا مملوء من الماء فشرب منه وصبّ بقيته على الأرض أو غطاه كما كان بناء على روايته. وترجل عن مركبته

الفضائية العجيبة في بيت «أم هانئ» قبيل طلوع الفجر، وأخبرها بالخبر قبل أي أحد، ثم كشف عن هذا الحادث في أنديّة قريش صباح

نفس تلك الليلة.

(٢) فاستبعد السامعون قصة المعراج والحركة السريعة هذه، واعتبروه أمرا محالاً وانكرته، وفسا هذا الخبر في جميع الأوساط و

غضب بسببه أشرف قريش وساداتهم أكثر من غيرهم.

وكعادتها بادرت قريش إلى تكذيب هذه القصة وقالوا: هذا والله الأمر البين

(١) مجمع البيان: سورة الاسراء ج ٦ ص ٣٩٥.

(٢) لتوضيح معنى سدره المنتهى راجع كتب التفسير.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٣٧

(العجيب المنكر) والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة، و شهرا مقبله، أ فيذهب ذلك «محمد» في ليلة واحدة؟

(١) وقالوا: إن صدقت فصف لنا بيت المقدس، فإن فينا من شاهده.

فلم يصف لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بيت المقدس فحسب بل أخبرهم بكل ما مرّ به وفعله و رآه في طريق عودته من بيت

المقدس إلى «مكة» وقال: وآية ذلك أني مررت على بعير بني فلان بوادي كذا وكذا، وقد ضلّ لهم بعير وقد همّوا في طلبه، و شربت من ماء في آنية لهم مغطاة بغطاء و ثم غطيت عليها كما كان، ثم مررت على بعير فلان و قد نفرت لهم ناقه و انكسرت يدها. فقالت قريش: أخبرنا عن غير قريش.

فقال صلى الله عليه وآله: إنها الآن في التنعيم (و هو مبدأ الحرم) يتقدمها جمل أورك (أبيض مائل الى السواد) عليه غرارتان و ستدخل الآن مكة.

فغضبت قريش من هذه الأخبار القاطعة و قالت: سنعلمن الآن صدقه أو كذبه.

ثم لم تمض لحظات إلّا و طلعت العير عليهم، و حدّثهم أبو سفيان بكل ما أخبرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله من ضياع بعير لهم في الطريق و همّهم في طلبه، و أنهم وضعوا ماء مملوء فغطوه و لما رجعوا وجدوه مغطى كما غطوه و لكن لم يجدوا فيه ماء. هذه هي خلاصة ما جاء في كتب التفسير، و التاريخ، و الحديث حول المعراج.

و إذا أراد القارئ الكريم أن يقف على تفاصيل أكثر في هذا المجال فما عليه إلّا أن يراجع بحار الأنوار باب «المعراج» (١).

(٢)

### هل للمعراج جذور قرآنية؟

لقد جاء ذكر «المعراج» النبوي و سيرة العجيب صلى الله عليه وآله في

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢٨٣ - ٤١٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٣٨.

العالم العلوي، و الفضاء غير المتناهي في سورتين من القرآن الكريم بشكل واضح و صريح كما و اشير إليها في سور اخرى أيضا. و نحن نكتفى هنا باستعراض الآيات التي ذكرت هذه القضية بصورة واضحة، و نقف عند بعض النقاط الجديدة بالدراسة فيها: يقول الله تعالى في سورة الأسراء:

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (١).

(١) و يستفاد من ظاهر هذه الآية امور:

(٢) ١- لكي نعلم بأنّ النبي صلى الله عليه وآله لم يطو تلك المسافات، و لم يتم برحلته إلى تلك العوالم بقوة بشرية، بل تسنى له كل ذلك بقوة غيبية، فبها استطاع أن يطوى تلك المسافات البعيدة في زمن قصير جدا بدأ الله تعالى حديثه عن الاسراء بقوله: «سبحان الذي» و هو اشارة الى تنزيه الله عن كل نقص و عيب.

و لم يكتف بذلك بل وصف نفسه بوضوح بأنه هو تعالى سبب هذه الرحلة و المسير فيها اذ قال: «أسرى» أي إنّ الله تعالى هو الذي سرى برسوله صلى الله عليه وآله، و أخذه إلى تلك الرحلة.

و هذه العناية لأجل أن لا يتصور الناس بأنّ هذه الرحلة تحققت بالوسائل العادية، و حسب القوانين الطبيعية ليتسنى لهم إنكارها، إنما تحققت بقدرة الله و عنايته الربوبية الخاصة.

(٣) ٢- إن هذه الرحلة تحققت برمتها خلال الليل، و يستفاد هذا المطلب - علاوة على كلمة ليلا- من كلمة «أسرى» أيضا لأنّ العرب كانت تستعمل اللفظة المذكورة في السير ليلا.

(٤) ٣- مع أنّ هذه الرحلة بدأت من بيت «أم هانئ» ابنة أبي طالب، فإن الآية صرّحت بأنها تمت من المسجد الحرام، و لعل هذا لأنّ العرب كانت تعتبر

(١) الاسراء: ١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٣٩.

كل مكة حرما إلهيا، و من هنا كان كل مكان من مكة يتمتع عندهم بحكم الحرم و المسجد الحرام، فيكون المراد بالمسجد الحرام هنا مكة، و مكة و الحرم كلها مسجد، فصَحَّ أن يقول: «من المسجد الحرام».

و تذهب بعض الروايات إلى أن المعراج كان من نفس المسجد الحرام.

ثم إن هذه الآية و ان كانت تصرِّح بأن المعراج بدأ من «المسجد الحرام» و انتهى ب: «المسجد الأقصى» إلا أن ذلك لا ينافي أن يكون للنبي صلى الله عليه وآله رحلة أخرى إلى العالم العلوي لأن هذه الآية تبيِّن فقط قسما من هذه الرحلة، و أما القسم الآخر من برنامج هذه الرحلة فتعرض لذكره آيات في مطلع سورة: «النجم».

(١) ٤- إن النبي صلى الله عليه وآله عرج بجسمه و روحه معا، لا بالروح فقط.

و يدل على ذلك قوله تعالى «بعده» الذي يستعمل في «الجسم و الروح معا» و لو كان المعراج بالروح فقط لزم أن يقول: «بروحه».

(٢) ٥- إن الغرض من هذا السير العظيم و هذه الرحلة العجيبه هو إيقاف النبي صلى الله عليه وآله على مراتب الوجود، و اطلاعه على الكون العظيم، و هذا ما سنشرحه فيما بعد.

و أما السورة الاخرى التي تعرض لبيان حادثة المعراج بوضوح و صراحة هي سورة: «النجم».

و الآيات التي سندرجها هنا من هذه السورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله عند ما قال لقريش: «رأيت جبرئيل أول ما اوحى إلي على صورته التي خلق عليها» جادلته قريش في ذلك، فنزلت الآيات التالية تجيب على اعتراضهم:

«أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى وَ لَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى. مَا زَاغَ الْبَصِيرُ وَ مَا طَغَى. لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» (١).

(١) النجم: ١٢-١٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٤٠.

(١)

### أحاديث المعراج:

روى المفسرون و المحدثون أخبارا و روايات كثيرة حول معراج النبي صلى الله عليه وآله و ما شاهده في هذه الرحلة العظيمة، ليست برمتها صحيحة مسلمة مقطوعا بها.

و لقد قسم المفسر الشيعي الكبير المرحوم «العلامة الطبرسي» هذه الاخبار إلى أصناف أربعة اذ قال:

(٢) و تنقسم جملتها إلى أربعة اوجه:

(٣) أحدها: ما يقطع على صحته لتواتر الأخبار به، و احاطة العلم بصحته مثل أصل المعراج.

(٤) و ثانيها: ما ورد في ذلك مما تجوز العقول و لا تأباه الأصول مثل طوافه في السماء و رؤيته أرواح الأنبياء و تحدّثه معهم و رؤيته للجنة و النار، فنحن نجوزه ثم نقطع على أن ذلك كان في يقظته، دون منامه.

(٥) و ثالثها: ما يكون ظاهره مخالفا لبعض الأصول، إلما أنه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول فالأولى أن نؤوله على ما يطابق الحق و الدليل. مثل أنه رأى أهل الجنة و أهل النار و تحدّث معهما الذي يجب أن يؤول فيحمل على انه: رأى أشباحهم و صورهم و

صفاتهم.

(٦) و رابعها: ما لا يصح ظاهره و لا يمكن تأويله، و هي ما الصق و الحق بهذه الحادثة من الأساطير و الخرافات، مثل ما روى من أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كَلَّمَ اللهُ سَبْحَانَهُ جَهْرَةً وَ رآه وَ قعد معه على سريره أو سمع صريره قلمه، و نحو ذلك ممّا يوجب ظاهره التشبيه و التجسيم و الله سبحانه يتقدّس عن ذلك كلّهُ، فالأولى أن لا نقبله «١».

(١) مجمع البيان: ج ٦ ص ٣٩٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٤١.

(١)

### متى وقعت هذه الحادثة؟

مع ان أهميّة هذه الحادثة العجيبة كانت تستوجب أن تكون مضبوطة التفاصيل من جميع الجهات، إلّا أنها تعرضت للاختلاف - مع ذلك - من بعض الجهات و منها تحديد تاريخ وقوعها.

فقد ادّعى كاتب السيرة المعروفان: «ابن اسحاق» و «ابن هشام» أنها وقعت في السنة العاشرة من البعثة الشريفة.

و ذهب المؤرخ الكبير «البيهقي» إلى أنها وقعت في السنة الثانية عشرة من البعثة.

و ذهب آخرون إلى أنها وقعت في أوائل البعثة، بينما قال فريق رابع: أنها وقعت في أواسطها.

و ربّما يقال في الجمع بين هذه الأقوال: أنه كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله معارج متعددة.

و لكننا نعتقد أنّ المعراج الذي فرضت فيه الصلاة وقعت بعد وفاة أبي طالب عليه السلام في السنة العاشرة قطعاً.

لأنّ من مسلمّات الحديث و التاريخ أن الله تعالى أمر نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله في ليلة المعراج أن تصلّي أمّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله كلّ يوم و ليلة خمس صلوات.

(٢) كما أنه يستفاد من ثنانيا التاريخ أيضاً أن الصلاة لم تفرض ما دام أبو طالب عليه السلام على قيد الحياة بل فرضت بعد وفاته، لأنّه

حضر عنده - ساعة وفاته - سراء قريش و أسياها، و طلبوا منه أن يبيت لهم في أمر ابن أخيه «محمّد» و يمنعه من فعله، فيعطونه - في

قبال ذلك - ما يريد فقال لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله في ذلك المجلس: نعم كلمة واحدة تعطونها: «تقولون لا إله إلا الله و

تخلعون ما تعبدون من دونه» «١».

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤١٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٤٢.

(١) لقد طلب منهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله هذا الأمر و لم يطلب منهم شيئاً آخر كالصلاة و غيرها من الفروع أبداً، و هذا هو نفسه يدلّ على أنه لم تجب الصلاة حتى ذلك اليوم، و إلّا كان الإيمان المجرد عن العمل، و الصلاة مفروضة، لا فائدة فيه.

و أما أنه لم يذكر شيئاً عن نبوته و رسالته فلائذ الاعتراف بوحدانية الله بأمره و طلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله اعتراف ضمّني برسالته و نبوته، و في الحقيقة أنّ التلقظ بهذه العبارات بأمره يتضمّن شهادتين و اقرارين: الإقرار بالله الواحد، و الإقرار بنبوة رسول الاسلام.

(٢) هذا مضافاً إلى أن كتاب السيرة ذكروا كيفية إسلام جماعة مثل «الطفيل بن عمرو الدوسي» الذي أسلم قبل الهجرة «١» بأعوام

اكتفى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بالشهادتين، و لم يجرى حديث عن الصلاة أبداً.

ان هذه الامثلة تكشف عن أن هذه الحادثة (المعراج) التي فرضت فيها الصلاة وقعت قبل الهجرة بسنوات.

والذين تصوّروا أن المعراج وقع قبل السنة العاشرة مخطئون خطأ كبيرا لأنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ مُحْصُورًا فِي شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ مِنْذُ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ وَحَتَّى السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ، وَ لَمْ يَكُنْ وَضِعَ الْمُسْلِمِينَ لِيَسْمَحَ بِفَرْضِ تَكْلِيفِ زَائِدٍ (مِثْلَ الصَّلَاةِ) عَلَيْهِمْ. (٣) وَأَمَّا سَنَوَاتُ مَا قَبْلَ الْحَصَارِ فَعَلَاوَةٌ عَلَى ضَغُوطِ قَرِيشَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَ الَّتِي كَانَتْ هِيَ بِنَفْسِهَا مَانِعًا مِنْ فَرْضِ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، كَانَ الْمُسْلِمُونَ قَلَّةً مَعْدُودِينَ، وَ لَمْ يَكُنْ نُورُ الْإِيمَانِ، وَ أَصُولُ الْإِسْلَامِ، قَدْ تَرَسَّخَتْ فِي قُلُوبِ ذَلِكَ الْعَدَدِ الْقَلِيلِ بِشَكْلِ قُوَى بَعْدَ، وَ لِذَلِكَ يَكُونُ مِنَ الْمُسْتَبْعَدِ أَنْ يَكْلَفُوا بِأَمْرِ زَائِدٍ مِثْلَ الصَّلَاةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الظَّرْفِ. وَ أَمَّا مَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ وَ الرِّوَايَاتِ مِنْ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٨٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٤٣.

صلى مع رسول الله قبل البعثة بثلاث سنوات، واستمر على ذلك بعدها أيضا فليس المراد منها الصلوات المحدودة المؤقتة بوقت، المشروطة بشروط خاصة، بل كانت تلك الصلوات عبارة عن عبادة خاصة غير محدودة «١»، أو كان المراد منها الصلوات المندوبة و العبادات غير الواجبة.

(١)

### هل كان المعراج جسمانيا؟

لقد وقع النقاش و الكلام في كيفية معراج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ أَنَّهُ كَانَ رُوحَانِيًا أَوْ جِسْمَانِيًا وَ رُوحَانِيًا مَعًا، وَ قِيلَ فِي ذَلِكَ كَلَامٌ كَثِيرٌ.

وَ مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ وَ الْأَحَادِيثَ تَشْهَدُ بِجَلَاءِ لَا غَمُوضَ فِيهِ بِأَنَّ مَعْرَاجَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ جِسْمَانِيًا «٢»، فَقَدْ أُورِدَتْ فِي الْمَقَامِ بَعْضَ الْإِشْكَالَاتِ وَ الِاعْتِرَاضَاتِ الَّتِي مَنَعَتْ الْبَعْضَ عَنْ قَبُولِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَ بِالتَّالِيِ دَفَعْتَهُمْ إِلَى ارْتِكَابِ التَّأْوِيلِ، وَ الزَّعْمِ بِأَنَّ مَعْرَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ رُوحَانِيًا، أَيْ بِالرُّوحِ لَا بِالْجِسْمِ.

لَقَدْ قَالَ هَؤُلَاءِ: إِنَّ رُوحَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هِيَ الَّتِي طَافَتْ فِي تِلْكَ الْعَوَالِمِ ثُمَّ عَادَتْ إِلَى جِسَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَرَّةً أُخْرَى!!

وَ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أْبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ إِذْ ادَّعَوْا بِأَنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْمَشَاهِدَاتِ وَ الْقَضَايَا تَمَّتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي عَالَمِ الرُّؤْيَا، فَكُلُّ مَا رَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَوْ فَعَلَهُ مِنَ الطَّوَافِ وَ اللَّقَاءِ وَ الصَّلَاةِ كَانَتْ رُؤْيَا وَ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ صَادِقَةٌ!!

(٢) عَلَى أَنَّ أَقْوَالَ الْفَرِيقِ الْأَخِيرِ مِنَ الْبَعْدِ عَنِ الْوَاقِعِ بِحَيْثُ لَا- يُمْكِنُ ذِكْرُهُ فِي عِدَادِ الْأَقْوَالِ وَ النِّظَرِيَّاتِ أَبَدًا، لِأَنَّ قَرِيشَ بَعْدَ أَنْ سَمِعَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى

(١) للمزيد من التحقيق في تاريخ وجوب الوضوء و الصلاة و الاذان يراجع الكافي: ج ٣ ص ٤٨٢-٤٨٩.

(٢) لقد نقل الفقيه الجليل العلامة الشيعي المرحوم الطبرسي في تفسير مجمع البيان إجماع علماء الشيعة على جسمانية المعراج فراجع: ج ٦ ص ٣٩٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٤٤.

الله عليه وآله ادعاه بأنه سار كل تلك المسافة الطويلة البعيدة، و طاف على كل تلك الاماكن المتباعدة العديدة في ليلة واحدة انزعجت بشدة و هبت لتكذيبه حقيقة، الى درجة أن خبر المعراج أصبح حديث الساعة في نوادي قريش و اوساطها آنذاك.



ولو كان كل ذلك تحقق للنبي صلى الله عليه وآله في المنام والرؤيا لما كان لتكذيب قريش وانزعاجها واستنكارها معنى، اذ لا موجب للنزاع لو كان صلى الله عليه وآله يقول: إني فعلت تلك الامور، ورأيت كل تلك المشاهد في الرؤيا والمنام، اذ هو على كل حال رؤيا، و كل شيء - حتى الامور المحاللة او المستبعدة جدا - ممكن في عالم الرؤيا.

و من هنا لا قيمة للقول الأخير أصلا فلا تستحق المتابعة أصلا.

ولكن مع الأسف استحسن بعض العلماء المصريين (مثل فريد وجدى) هذا الرأى وسعى فى تقويته و تبريره، و نحن نحبذ ان نتركه، و ان لا نناقش فيه «١».

(١)

## ما هو المراد من المعراج الروحاني؟

### إشارة

لقد عمد فريق ممن عجز عن دفع و حلّ بعض الاعتراضات و الاشكالات الواردة على المعراج الجسماني، إلى تأويل الآيات و الأحاديث، و اعتبر المعراج النبوي معراجا روحانيا، لا غير.

و المقصود من المعراج الروحاني هو التدبّر فى مخلوقات الله و مصنوعاته، و مشاهدته جلاله و جماله و الاستغراق فى ذكر الحق، و التفكير فيه، و بالتالى التخلص من القيود و الاغلال المادية، و العلائق الدنيوية، و العبور من المراتب الامكانية فى المراحل الباطنية و القلبية التى يحصل بعد طيها نوع من القرب الخاص الذى لا يمكن وصفه.

(٢) فاذا كان المراد من (المعراج الروحاني) هو التفكير فى عظمة الحق وسعته

(١) دائرة معارف القرن العشرين: ج ٦ ص ٣٢٩ مادة عرج.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٤٥

الخلق و .. و .. فلا شك أن هذا ليس من مختصات رسول الاسلام صلى الله عليه وآله بل كان أكثر الأنبياء، و كثير من الأولياء من ذوى البصائر القويّة الظاهرة يمتلكون هذه المرتبة، على حين أن القرآن الكريم يعتبر (المعراج) من خصائص رسول الله صلى الله عليه وآله و يذكره على انه نوع من الامتياز الخاص به صلى الله عليه وآله.

هذا مضافا الى ان مثل هذه الحالة (اعنى التفكير فى عظمة الخالق و الاستغراق فى التوجه الى الحق) كانت تتكرر لرسول الله صلى الله عليه وآله و آله فى كل ليلة «١»، و الحال ان (المعراج) الذى هو محط الكلام قد وقع فى ليلة معيّن.

(١) إن ما دفع بهذا الفريق إلى اتخاذ مثل هذا الموقف من (المعراج)، و آل بهم اختيار هذا الرأى هو فرضية الفلكى اليونانى المعروف «بطلميوس» التى كانت سائدة فى الأوساط العلمية فى الشرق و الغرب طيلة ألفى سنة بالكامل، و التى ألف حولها مئات الكتب، و كانت تعدّ حتى حين من المسلّمات فى مجال العلوم الطبيعية و هى على نحو الاجمال كالتالى:

(٢) إن الاجسام فى هذا العالم على نوعين: أجسام عنصريّة، و اجسام فلكية.

و الجسم العنصرى هى العناصر الأربعة المعروفة: «الماء، و التراب، و الهواء، و النار».

و أوّل كرة تبدو لنا هى كرة التراب و هى مركز العالم، ثم تليها كرة الماء ثم كرة الهواء، و تأتى بعد كل هذه الثلاثة كرة النار، و كل من هذه الكرات محيطة بالآخرى، و هنا (اي و عند كرة النار) تنتهى الكرات، و تبدأ الاجسام الفلكية.

(٣) و المقصود من الأجسام الفلكية هي الافلاك التسعة التي تقع الواحدة فوق الاخرى و تحيط الواحدة بالآخرى على هيئة قشور البصل، و هي متصلة بعضها ببعض من دون فاصلة بينها و هي غير قابلة للاختراق و الالتئام (اي الشق

(١) راجع وسائل الشيعة: ج ٧ كتاب صوم الوصال، ص ٣٨٨ قال صلى الله عليه وآله: «إني لست كأحدكم، أنى اظل عند ربى فيطعننى و يسقيني».

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٤٦

و الالتحام) و الفصل و الوصل و لا- يستطيع أى شىء من اختراقها و التحرك فيها بصورة مستقيمة لأن ذلك يستلزم انفصام اجزاء الفلك.

من هنا يكون المعراج الجسمانى مستلزما لأن ينطلق النبى صلى الله عليه وآله من مركز العالم و يصعد بصورة مستقيمة إلى الأعلى عابرا الكرات العنصرية الأربع، و مخترقا الأفلاك التسعة الواحد تلو الآخر، بينما يستحيل خرق هذه الأفلاك ثم التحامها حسب نظرية بطليموس و فرضيته الفلكية.

و على هذا لا مناص من أن نعتقد بأن المعراج النبوى كان معراجا روحانيا، اى ان روحه صلى الله عليه وآله هي التي عرجت حتى لا يمنع أى جسم من عبورها و سيرها و صعودها الى النقطة المطلوبة و الغاية المرسومة.

(١)

## الجواب:

ان هذا الكلام كان مقبولا و ذا قيمة عند ما كانت هيئة بطليموس و فرضيته الفلكية لم تكن بعد قد فقدت قيمتها فى الاوساط العلمية و كان هناك من يعتقد بها من صميم فؤاده.

ففى مثل تلك البيئة كان من الممكن التلاعب بالحقائق القرآنية، و تأويل صريح القرآن و نصوص الروايات.

أما الآن فقد فقدت أمثال هذه الفرضيات قيمتها، و ظهر للجميع بطلانها، و لم يعد أحد يتحدث عنها، إلّا من باب ما يسمى بتاريخ العلوم.

فاليوم و بالنظر الى كل هذه الأجهزة الفلكية و الآلات الفضائية الدقيقة، و التلسكوبات العملاقة، و هبوط المركبات الفضائية المتعددة على سطح القمر و المريخ، و عملية القيادة الفضائية على سطح القمر لم يعد مجال لهذه الفرضيات الخيالية.

(٢) فالיום لا يعتبر العلماء المحققون فكرة العناصر الأربعة و الفلك المتصل كقشرة البصل إلّا جزء من الاساطير.

فان العلماء لم يستطيعوا بالآلات العلمية و أجهزة الرصد الدقيقة و العيون

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٤٧

المسلحة من رؤية، تلك العوالم التي حاكها و صنعها بطليموس بقوة خياله، من هنا فان أية نظرية تقوم على هذا الاساس غير الصحيح تكون عارية عن أية قيمة، و اعتبار.

(١)

## نغمة شاذة:

و لقد طلع مؤسس الفرقة الشيخية «١» «الشيخ احمد الاحسائي» فى «الرسالة القطيفية» بنغمة شاذة فى هذا الصعيد حيث أراد بابداء

طرحه جديدة أن يرضى كلا الطرفين (القائلين بروحانية المعراج النبوي و القائلين بجسمانيته) حيث قال:

ان النبي صَلَّى الله عليه وآله عرج ببدنه البرزخي (الهورقليائي) «٢» ثم استدل لذلك بقوله:

ان الصاعد كلما صعد ألقى في كل رتبة من المراتب المذكورة ما فيها، فمثلا إذا تجاوز كرة الهواء القى ما فيه من الهواء، و إذا تجاوز كرة النار ألقى ما فيها و إذا رجع أخذ ماله من كرة النار، و إذا وصل الى كرة الهواء أخذ ماله من الهواء.

و من هنا فإن النبي صَلَّى الله عليه وآله عند ما عرج الى السماء القى في كل كرة واحدا من تلك العناصر الأربعة في كرتة، و عرج بيدن فاقد لهذه العناصر.

و مثل هذا البدن لا يمكن ان يكون بدنا عنصريا، فليس هو الا البدن البرزخي (الذي أسماه الهورقليائي) لا غير «٣».

(١) لا شك أن هذه الفرق و امثالها من الفرق المبتدعة هي من صنائع الاستعمار أو هي مما يؤديه لتنفيذ أغراضه، و من حسن الحظ أن انتشار الوعي بين أبناء الأمة الإسلامية حدّ من نشاط هذه الفرق حتى انها أصبحت على ابواب الاندثار و الانقراض نهائيا.

(٢) و هو البدن البرزخي الذي يشبه البدن الذي يفعل به الانسان الافعال المختلفة في عالم النوم و الرؤيا و يقوم بكل نوع من انواع النشاط.

(٣) تقع الرسالة القطيفية ضمن مجموعة تحتوي على ٩٢ رسالة باسم جوامع الكلم التي طبعت عام ١٢٧٣.

و مع هذا التصريح يدعى البعض - للتستر على خطأ الشيخ و زلته هذه- بأن الشيخ يعتقد بأن المعراج كان جسمانيا عنصريا، و أنه موافق لرأى المشهور في هذا المجال.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٤٨

و بهذا- حسب تصوّره- أرضى من نفسه كلا الطرفين المذكورين، لأنه من جانب اعتقد بالمعاد الجسماني، و في نفس الوقت تخلّص من اشكال «خرق الافلاك و التحامها» لأن نفوذ الجسم البرزخي لا يستوجب أى خرق و انفصال في جدار الفلك.

(١) و لكن هذه النظرية- كما هو واضح لكل عالم متحرّ للحقيقة، بعيد عن العصبية- واضحة البطلان كسابقتها (نظرية المعراج الروحاني)، فمضافا الى انها مخالفة للقرآن و ظاهر الأحاديث، لأنه- كما أسلفنا- لو عرضنا آية المعراج (من سورة الاسراء) على أى عارف باللغة، مهما كانت و طلبنا منه رأيه في هذا الصدد لقال: ان مراد القائل هو البدن الدنيوي العنصرى الذي عبر عنه القرآن بلفظ العبد، في قوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ»، و ليس الهورقليائي الذي لم يكن يعرفه المجتمع العربى، و لا يعرف أمثاله في ذلك اليوم اساسا، في حين أنهم كانوا هم المخاطبون في آية المعراج في سورة الاسراء لا غيرهم.

هذا مضافا الى أن ما دفع بالشيخ الى ارتكاب هذا التأويل البارد هو الاسطورة اليونانية المذكورة حول الفلك، حيث تصوّرها كحقيقة ثابتة من حقائق اللوح المحفوظ، و قد كذبها و فندها كل فلكي العالم اليوم، و أعلنوا عن سخافتها.

فلا يجوز لنا أن نقلد تلك الفرضية تقليدا أعمى.

و اذا ما رأينا بعض القدماء من المشايخ قال بمثل هذا محسنا الظن بتلك الفرضية الفلكية القديمة و أمثالها امكن إغذارهم، لعدم قيام ادلة علمية قوية على خلافها آنذاك.

اما اليوم فلا ينبغي لنا ان نتجاهل الحقائق القرآنية لفرضية ثبت بطلانها في الأوساط العملية

(٢)

**المعراج و قوانين العلم الحديث:**

قد يتصور فريق من الناس أن القوانين الطبيعية و العلمية الحاضرة لا تتلاءم

سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٥٤٩

مع معراج النبي صلى الله عليه وآله وذلك لأنه:

(١) ١- يقول العلم الحديث: إن الابتعاد عن الأرض يتطلب التخلص من جاذبية الأرض، و بعبارة اخرى ابطال مفعولها. فان (الكرة) التي نكذفها إلى الأعلى تعود مرة ثانية إلى الأرض بفعل الجاذبية و مهما كثرنا قذف الكرة إلى الأعلى فانها تعود و ترجع إلى الأرض أيضا.

فاذا أردنا أن نبطل مفعول جاذبية الأرض ابطالا كاملا بحيث لا تعود الكرة المقذوفة إلى الأعلى إلى الأرض ثانية بل تواصل مسيرها إلى الأعلى فإننا نحتاج لتحقيق هذا الهدف إلى جعل سرعة الكرة باتجاه معاكس للأرض تعادل ٢٥ / ١٠٠٠ ميلا في الساعة. و على هذا فان معنى المعراج هو ان يكون النبي صلى الله عليه وآله قد خرج من محيط جاذبية الأرض، و اصبح في حالة انعدام الوزن.

و لكن ينطرح هنا سؤال و هو: كيف استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله ان يطوى بدون وسائل هذه المسافة بمثل هذه السرعة، و هل البدن الطبيعي يتحمل مثل هذه السرعة مع عدم توفر الغطاء الواقى و الوسائل اللازمة، التي تصون الجسم من التبعثر و الذوبان بفعل السرعة الفائقة.

(٢) ٢- إن الهواء القابل للاستنشاق غير موجود فوق عدد من الكيلومترات بعيدا عن سطح الأرض، بمعنى اننا كلما ذهبنا صعدا إلى الطبقات العليا و ابتعدنا عن الأرض أصبح الهواء أرق، حتى يغدو غير قابل للاستنشاق، و ربما نصل اذا واصلنا الصعود إلى الأعلى إلى منطقة يندم فيها الهواء اللازم للتنفس بالمرّة، فكيف استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله و بعد طي تلك المسافة الطويلة و البعيدة في أعالي الجو أن يعيش بدون وجود الاوكسيجين؟! سيد المرسلين ج ١ ٥٤٩ المعراج و قوانين العلم الحديث: ..... ص : ٥٤٨

(٣) ٣- إن الأشعة الفضائية، و الاحجار السماوية و الشهب الكثيرة المتطائرة إذا اصطدمت بأى جسم أرضى أبادته، و أفنته، و لكنها عند ما تصطدم بالغللاف الغازى المحيط بالأرض تتلاشى و تصبح كالبودر و لا تصل إلى الأرض، فيكون سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٥٥٠

الغللاف الغازى فى الحقيقة بمثابة درع يقى سكان الأرض من خطر تلك القذائف المهلكة.

و مع هذه الحالة كيف تهياً لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يصون نفسه من تلك الأشعة الفضائية، و الاحجار السماوية؟!

(١) ٤- إذا قلّ ضغط الهواء على جسم الانسان فزاد أو نقص اختلت حياته الطبيعية، فهو يمكنه أن يعيش تحت ضغط معين من الهواء، لا يوجد فى الطبقات العليا من الجو، فكيف استطاع النبي صلى الله عليه وآله و الحال هذه أن يحافظ على حياته فى أعالي الفضاء؟!

(٢) ٥- إن سرعة الحركة التى سار بها النبي صلى الله عليه وآله كانت تفوق سرعة الحركة التى يسير بها النور و مع العلم بأن سرعة النور هى ٣٠ / ١٠٠٠ كيلومترا فى الثانية، و مع العلم أيضا أنه ثبت فى العلم الحديث أنه لا يستطيع أى جسم أن يتحرك بسرعة تفوق سرعة النور، فكيف استطاع النبي صلى الله عليه وآله ان يسير بسرعة تفوق سرعة النور، و مع ذلك يرجع إلى الأرض سالم الجسم كامله؟؟؟

(٣)

و جوابنا هو: أننا إذا أردنا أن نناقش هذه المسألة على ضوء القوانين العلميّة الطبيعيّة لتجاوز عدد الاعتراضات و الاشكالات ما ذكرناه آنفاً.

و لكننا نقول في جواب هذا الفريق متساثلين: ما هو مقصودكم من توضيح هذه النواميس الطبيعيّة.

هل تريدون القول بأن السير في العوالم العليا أمر غير ممكن، و ممتنع ذاتا و بالتالي أنه أمر محال.

فاننا نقول- حينئذ- في الجواب على ذلك بان الجهود و التحقيقات العلميّة التي بذلها علماء الفضاء في الشرق و الغرب قد جعلت هذا الأمر- و لحسن الحظ- أمراً ممكناً، و عادياً، لأن مع اطلاق أول قمر اصطناعي عام (١٩٥٧ م) الى السماء سيد المرسلين، ج١، ص: ٥٥١

و الذي اسماه علماء الفضاء ب «اسپوتنيك» اتضح أنه يمكن إبطال مفعول جاذبية الأرض بواسطة الصاروخ، كما أن إرسال السفن الفضائيّة الحاملة الرّواد الفضاء من البشر بواسطة الصاروخ أوضح أنّ ما كان يعدّه البشر مانعاً من الصعود الى الأعلى في الفضاء، قد أصبح قابلاً لرفعه و إزالته، و التخلّص منه بيد العلم و التكنولوجيا.

(١) إن البشر استطاع بأدواته و آلاته العلميّة و التكنولوجيّة أن يعالج مشكلات عديدة في مجال ارتياد الفضاء مثل مشكلة الشهب و النيازك المتطائرة في الجوّ و مشكلة الاشعّة الفضائيّة، و مشكلة انعدام الغاز اللازم للتنفس و .. و .. و ها هو علم ارتياد الفضاء في حال توسع مستمرّ و ان العلماء أصبحوا الآن يتقنون بأنهم سرعان ما يتمكنون من مدّ بساط الحياة و العيش في إحدى الكرات السماويّة و السفر إلى إحدى الكواكب كالقمر و المريخ بسهولة كبرى! «١»

إنّ هذه الأحداث العلميّة و هذا التقدّم التكنولوجي في مجال ارتياد الفضاء شاهد قويّ على أنّ هذا العمل أمر ممكن مائة بالمائة، و ليس من الامور المستحيلّة.

و اذا كان مقصود المعترضين على المعراج هو انه لا- يمكن القيام بمثل هذه الرحلة من دون أجهزة علميّة و تكنولوجيّة، و لم يكن رسول الله صلّى الله عليه و آله يملك في تلك الليلة مثل هذه الأجهزة فكيف طوى تلك المسافات و طاف

(١) بعد اطلاق الاقمار و السفن الاصطناعيّة لأول مرة يوم الأربعاء ابريل عام ١٩٦١ بدأ الضابط الروسي (٢٧ سنة) جاجارين رحلته الفضائيّة في سفينة فضائيّة، و كان أولّ إنسان أقدم على هذه الرحلة الفضائيّة، و ابتعدت سفينته ٣٠٢ كيلو متراً عن سطح الأرض، و دارت دورة واحدة حول الكرة الارضيّة في ساعة و نصف.

و بعد ذلك أقدمت أمريكا و الاتحاد السوفيتي على ارسال السفن الفضائيّة إلى الفضاء في محاولة لغزو القمر حتى حطت «أبولو» الحاملة ل ١١ رائداً فضائياً على سطح القمر لأول مرة، و كان هذا أولّ مرة يحط فيها انسان قدمه على ارض القمر.

و قد تكررت تجربة هذا البرنامج الفضائي فيما بعد مرات و مرات، و كانت ناجحة على الاغلب.

و كل هذه الجهود و النتائج تكشف عن أن هبوط الانسان على سطح الكرات و الكواكب أمر ممكن، و ما يستطيع البشر فعله عن طريق العلم يقدر الله خالق البشر على فعله بارادته النافذة.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٥٥٢

على جميع تلك العوالم من دون أدنى وسيلة نقل من هذا القبيل!؟

(١) فاننا نقول في معرض الاجابة على اعتراضهم هذا بأن جواب هذا الاعتراض يتضح من الابحاث التي سبقت منا حول معاجز الأنبياء و خصوصاً بحثنا المفصل حول حادثة عام الفيل و هلاك جيش أبرهة العظيم بالأحجار الصغيرة، لأنه من المسلّم أنّ ما يستطيع البشر فعله عن طريق الأدوات و الآلات العلميّة الصناعيّة يستطيع الأنبياء فعله بعناية الله تعالى، و إقداره و بدون الأسباب الظاهريّة و الخارجيّة. لقد عرج رسول الاسلام صلّى الله عليه و آله الى السماء بعناية و باقدار الله الذي خلق الوجود كله، و أقام هذا النظام البديع برمته، فهو

الذي أعطى للأرض جاذبيتها، وأعطى للشمس أشعتها وأوجد مختلف طبقات الهواء، وأنواع الغازات في الجو، ومتى أراد أخذها و انتزاعها منها، أو كبح جماحها، وردّ عاديته.

(٢) فإذا تحقق معراج النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله في ظلّ العناية الإلهية فإنّ من المسلم ان جميع النواميس تخضع أمام قدرته القاهرة، و ارادته الغالبة، و هي طوع إرادته، و السماوات و الأرض مطويات بيمينه و الجميع في قبضته و رهن اشارته دائما و أبدا، و في كل حين و أوان.

و على هذا فما ذا يمنع من أن يعمل الله الذي منح للأرض جاذبيتها، و للأجرام السماوية أشعتها، على إخراج عبده المصطفى بقدرته المطلقة و من دون الاسباب الظاهرية، من مركز الجاذبية الأرضية، و يصونه من أخطار الاشعة الكونية، و أن يعمد خالق كل هذا القدر الهائل من الاوكسيجين إلى إيجاد الهواء اللازم لنبته في الطبقات التي ينعدم فيها الهواء، و هذا هو معنى قولهم: «إنّ الله مسبب الأسباب و معطل الأسباب».

ان أمر المعجزة يختلف و يفترق أساسا عن أمر العلل الطبيعية و القدرة البشرية.

(٣) و نحن يجب أن لا نقيس قدرة الله المطلقة بقدرتنا المحدودة، فإذا كنّا لا نقدر

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٥٣

على شيء من دون الأسباب لم يصح أن نقول: ان القادر المطلق لا يقدر على مثله من دون الاسباب الطبيعية أيضا.

إنّ إحياء الموتى، و قلب العصا إلى ثعبان، و إبقاء يونس حيا في بطن الحوت، في قعر البحار، مما صدّفته جميع الكتب السماوية و نقلته إلينا لا تقلّ إشكالا و لا تختلف جوابا عن قصة المعراج النبوي.

و خلاصة القول: ان جميع العلل الطبيعية و الموانع الخارجية مسخرة لله تعالى خاضعة لارادته، مطيعه لأمره و ارادته يمكن تعلّقها بكلّ شيء إلّا بالأمر المحال، و أما غير ذلك أي ما يكون ممكنا بالذات مهما كان، فأنه قابل لأن يتحقق في ظل ارادة الله و مشيئته سواء يقدر البشر عليه أم لا يقدر.

على أن حديثنا هذا موجه الى من آمن بالله، و عرف ربّه بصفاته الخاصة به تعالى، و بالتالي آمن بالله الأزليّ على أنه القادر على كلّ شيء.

(١)

### الهدف من المعراج:

لقد بينت الأحاديث - بعد الآيات - الغرض من المعراج و إليك طائفة من هذه الأحاديث.

١- يقول ثابت بن دينار سألت الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام عن الله جلّ جلاله هل يوصف بمكان فقال: «تعالى الله عن ذلك».

قلت: فلم أسرى بنيه محمد صلى الله عليه وآله إلى السماء؟

قال: «ليريه ملكوت السماوات و ما فيها من عجائب صنعه و بدائع خلقه».

٢- و قال يونس بن عبد الرحمن قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام لأني علّ عرج الله بنيه إلى السماء و منها إلى «سدره المنتهى»، و منها إلى «حجب النور» و خاطبه و ناجاه هناك و الله لا يوصف بمكان؟ «١».

فقال عليه السلام: «إنّ الله لا يوصف بمكان و لا يجري عليه زمان، و لكنّه

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٥٤

عز وجل أراد ان يشرف به ملائكته، و سكان سماواته، و يكرمهم بمشاهدته، و يريه من عجائب عظمتة ما يخبر به بعد هبوطه، و ليس ذلك على ما يقوله المشبهون سبحانه الله تعالى عما يصفون» (١).

أجل يجب أن يكون لرسول الاسلام و خاتم الأنبياء مثل هذا المقام العظيم و مثل هذه المنزلة السامقة، ليقول للبشرية العائشة في القرن العشرين، و التي أصبحت تفكر في الهبوط على «المريخ» و «الزهرة» و غيرها من الانجم البعيدة:

باننى قد فعلت هذا من دون أية وسيلة، و ان ربى قد منّ علىّ و عرّفنى على نظام السماوات و الأرض، و أطلعنى بقدرته و بعنايته على أسرار الوجود، و رموز الكون.

(١) علل الشرائع: ص ٥٥، البحار: ج ١٨ ص ٣٤٧ و ٣٤٨، تفسير البرهان: ج ٢ ص ٤٠٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٥٥

(١)

## ٢٣ سفره إلى الطائف

### إشارة

انقضت السنة العاشرة بكل حوادثها الحلوة و المرّة، فان رسول الله صلى الله عليه و آله فقد في هذا العام حاميه الكبيرين المتفانيين في سبيله، ففي البداية فقد كبير بنى عبد المطلب و سيدهم، و المدافع الوحيد عن حوزة الرسالة الاسلامية، و الذاب بالاخلاص عن حياض الشريعة المحمدية، و الشخصية الاولى في قريش اعنى «أبا طالب» عليه السلام.

و لم تمنح آثار هذه المصيبة المرّة عن خاطر النبى صلى الله عليه و آله بعد إلّا و فاجأته مصيبة وفاة زوجته الوفيّة العزيزة، السيدة خديجة الكبرى التي جدت برحيلها عنه أحزان النبى و آلامه الروحية (١).

لقد حامى أبو طالب و دافع عن النبى صلى الله عليه و آله و حافظ على حياته و سلامته و مكانته، و بينما ساعدت خديجة بثروتها الطائلة في نشر الاسلام و قدمت في هذا السبيل خدمات عظيمة لا تنسى.

من هنا سمى رسول الله صلى الله عليه و آله تلك السنة بعام الحداد، او

(١) جاء في تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٠١ انه قيل بأن «خديجة» توفيت بعد «أبى طالب» بشهر و خمسة أيام، بينما ذهب آخرون مثل ابن الأثير في الكامل ج ٢ ص ٦٣ الى أن السيدة خديجة توفيت قبل أبى طالب، لا بعده.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٥٦

الحزن (١).

و منذ أن توفى الله هذين الحاميين العظيمين و المدافعين القويين عن النبى صلى الله عليه و آله واجه رسول الله صلى الله عليه و آله ظروفًا صعبة جدًا قلما واجهها من قبل.

(١) فقد واجه رسول الله صلى الله عليه و آله منذ حلول السنة الحادية عشر جواً مفعماً بالعداء له، و الحقد عليه، و صارت الاخطار تهدد حياته الشريفة في كل لحظة، و قد فقد كل الفرص لتبليغ الرسالة و كل امكانيات الدعوة الى دينه.

يقول ابن هشام في هذا الصدد: ان «خديجة بنت خويلد» و «أبا طالب» هلكا (اي توفيا) في عام واحد فتتابعت على رسول الله صلى الله



عليه وآله المصائب بهلك خديجة و كانت له وزيرة صدق على الاسلام... و بهلك عمه أبى طالب و كان له عضدا، و حرزا فى أمره، و منعه و ناصرنا على قومه و ذلك قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا. و لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك التراب دخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيته و التراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب و هى تبكى و رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها:

«لا تبكى يا بنتي فإن الله مانع أباك».

و يقول بين ذلك:

«ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب» (٢).

(٢) و لأجل تزايد الضغط و الكبت هذا قرر النبي صلى الله عليه وآله أن ينتقل

(١) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٠١، السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٤٧.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤١٥ و ٤١٦، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٥ عن إعلام الورى عن محمد بن اسحاق بن يسار.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٥٧

من المحيط المكي إلى محيط آخر يتسنى له تبليغ رسالته.

و حيث ان الطائف كانت تعتبر آنذاك مركزا هاما، لذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ان يسافر لوحده الى الطائف، و يجرى بعض الاتصالات مع زعماء قبيلة ثقيف و ساداتها و يعرض دينه عليهم علّه يحرز نجاحا و يكسب انصارا جددا لرسالته من هذا الطريق. و لما انتهى صلى الله عليه وآله الى الطائف عمد الى نفر من قبيلة «ثقيف» هم يومئذ سادة ثقيف و اشرافهم، و جلس صلى الله عليه وآله إليهم، و دعاهم إلى الله، فلم يؤثر فيهم كلام رسول الله صلى الله عليه وآله و قالوا له: لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرا من أرد عليك الكلام، و لئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لى ان اكلمك!!

(١) فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله من ردهم الصيباني أنهم يحاولون التملص من قبول الدعوة و اعتناق الاسلام، فقام صلى الله عليه وآله من عندهم بعد ان طلب منهم أن يكتنوا ما جرى فى هذا اللقاء خشية أن يعرف سفهاء ثقيف فيتجرءوا عليه و يتخذوا ذلك ذريعة لاستغلال غربته و وحدته، و من ثم إيدائه، فوعده بالكتمان، و لكنهم - و للاسف - لم يحترموا وعدهم هذا الذى أعطوه لرسول الله صلى الله عليه وآله و أغروا به سفهاءهم و عبيدهم، و فجأه وجد رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه محاطا بجمع كبير من اولئك السفهاء يسبونونه و يصيحون به حتى اجتمع الناس، و ألجئوه إلى بستان لعنته و شبيهة ابني ربيعة و هما فيه فى تلك الساعة، و رجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد إلى ظل فجلس فيه و هو يتصبب عرقا، و قد الحقوا الاذى بمواضع عديدة من بدنه الشريف و رجلاه تسيلان من الدماء، و ابنا ربيعة ينظران إليه، و يريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف، و قد كانا من أثرياء قريش، يومئذ.

(٢) فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وآله توجه الى ربه و ناجاه قائلا:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، و قلّة حيلتى، و هوانى على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت ربّ المستضعفين، و أنت ربّى، إلى من تكلمنى، إلى

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٥٨

بعيد يتجهمنى؟ أم إلى عدو ملكته امرى؟

إن لم يكن بك على غضب فلا ابالى، و لكن عافيتك هى أوسع لى.



أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات، و صلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك، أو يحل عليّ سخطك.  
لك العتبي حتى ترضي، ولا حول ولا قوة إلا بك» (١).

هذه الكلمات وهذا الدعاء هي استغاثة شخصية عاش خمسين سنة عزيزا مكرما في ظل حماية من دافعوا عنه بصدق و اخلاص و دفعوا عنه كل اذى و لكنه الآن يضيق عليه رحب الحياة حتى يلجأ الى حائط عدو من اعدائه، و يجلس في ظل شجرة، مكروبا موجعا ينتظر مصيره.

(١) فلما رآه ابنا ربيعه «عتبه و شيبه» و كانا من الوثنيين و من اعداء الاسلام، و شاهدوا ما لقي من الأذى و العذاب، رقّا له فدعوا غلاما لهما نصرانيا من اهل نينوى يقال له «عداس» فقالا له: خذ قطفا من العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى هذا الرجل فقل له يأكل منه، ففعل عداس، ثم أقبل بالعنب حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال له: كل، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وآله فيه يده قال: «بسم الله الرحمن الرحيم».

فتعجب عداس من ذلك بشدة و قال: و الله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله و من أهل أى البلاد أنت و ما دينك؟  
قال: أنا نصراني، من أهل نينوى.

قال صلى الله عليه وآله: من مدينة الرجل الصالح يونس بن متى.

فقال له عداس: و ما يدريك ما (من) يونس بن متى؟

فقال صلى الله عليه وآله «٢»: ذاك أخي كان نبيا و أنا نبي، أنا رسول الله،

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٢٠.

(٢) و في رواية البحار ج ١٩ ص ٦ جملة اعتراضية هنا: - و كان لا يحقر أحدا أن يبلغه رسالته ربه-.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٥٩

و الله تعالى أخبرني خبر يونس بن متى.

(١) فأكبّ عداس على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و قد رأى في كلماته علائم الصدق و آيات الحق، و جعل يقبل رأسه و يديه، و قدميه، و هما تسيلان من الدماء، و آمن به، ثم عاد بعد الاستئذان منه صلى الله عليه وآله إلى صاحبيه في البستان.

فتعجب ابنا ربيعه لما رأياه في غلامهما عداس من الانقلاب الروحي العجيب، و سألاه قائلين: وملك يا عداس مالك قبلت رأس هذا الرجل، و يديه و قدميه و ما ذا قال لك؟!

فاجبهما الغلام قائلا: يا سيدى ما فى الارض شىء خير من هذا، هذا رجل صالح لقد أخبرنى بأمر ما يعلمه إلا نبي.

فشقّ كلام عداس على ابني ربيعه، و قال له بنبرة الناصح له: ويحك يا عداس، لا يصرفنك هذا الرجل عن دينك، فان دينك خير من دينه!! (١)

(٢)

### النبى صلى الله عليه وآله يعود إلى مكة:

انتهت ملاحقة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بلجونه الى حائط ابني ربيعه، و كان عليه الآن، و بعد أن يئس من خير ثقيف ان يعود إلى مكة، و لكنّ عودته إلى مكة لم تكن لتخلو عن مشاكل، لأنه قد فقد نصيره و حاميه و مدافعه الاكبر و الاوحد فكان من المحتمل جدا أن يقبض عليه المشركون و يسفكوا دمه.

فقرر صلى الله عليه وآله ان يبقى في منطقة «نخلة» (وهي وادي بين الطائف ومكة) بعض الوقت. لقد كان يريد أن يرسل أحدا إلى شخصيه من شخصيات قريش يطلب منها ان تجيره حتى يدخل مكة بجوار، ولكنه صلى الله عليه وآله لم يجد من يقوم له بهذه المهمة. فترك «نخلة» إلى حراء، وهناك التقى رجلا خزاعيا وطلب منه أن

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤١٩-٤٢١، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٦ و ٧ و ٢٢ مع اختلاف سير.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦٠

يأتي «المطعم بن عدى» بمكة، وكان من الشخصيات المكيه البارزة ويسأله أن يجير رسول الله ليدخل مكة في أمان من اذى قريش وكيدها.

(١) فدخل الخزاعي مكة، وأبلغ المطعم ما طلبه منه رسول الله صلى الله عليه وآله فقبل المطعم - رغم كونه وثيا مشركا - ان يجير رسول الله صلى الله عليه وآله فقال للخزاعي: ائته فقل له: إني قد أجزتك فتعال.

فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة ليلا ونزل في بيت مطعم مباشرة، و بات ليلته هناك، ولما طلعت الشمس من صبيحة غد قال مطعم لرسول الله صلى الله عليه وآله: لتعلمن قريش بانك في جوارنا، فاصحبنا إلى البيت، ليروا جوارنا. فاستحسن النبي صلى الله عليه وآله وأهله رأيهم فأخذ المطعم وأهل بيته السلاح ودخلوا مع النبي صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام، وكان ورودهم في المسجد بهيئة رائعة.

(٢) وكان أبو سفيان قد كمن للنبي صلى الله عليه وآله ليكيد به، فلما رأى هذا المشهد المهيب غضب غضبا شديدا، وانصرف عن ايداء رسول الله صلى الله عليه وآله، فجلس المطعم وولده وأختانه وأخوه، وطاف رسول الله صلى الله عليه وآله في البيت وصلى عنده ثم انصرف إلى منزله. «١»

و لم يمض على هذه الحادثة زمان طويل حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٨١، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٧ و ٨. ويستبعد بعض المحققين ان يكون رسول الله صلى الله عليه وآله قد طلب الجوار من مشرك أو دخل في جوار مشرك، على غرار عدم قبوله الهدية من المشرك و ذكر لذلك ادلة وجوها. ولكن يمكن الاجابة على هذا بأن الاجارة كانت امرا عاديا في ذلك العصر، ولم يكن فيها ما يوجب شينا على رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله ولم تستلزم منه عليه.

ثم ما المانع في مثل هذا الجوار لو ترتبت عليه مصالح عليا، كتمكين رسول الله صلى الله عليه وآله من الدخول بسلام الى مكة، وتمكنه من القيام بمهامه الرسالية، خاصة ان هذا الجوار لم يستغرق إلا يوما أو بعض يوم وتسنى بعده لرسول الله صلى الله عليه وآله ترتيب اوضاعه في مواجهة الاخطار التي كانت تتهدده من جانب المشركين بمكة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦١

و آله من مكة إلى المدينة، وتوفي المطعم في أوائل الهجرة في مكة، ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله نأ موتته تذكّر صلى الله عليه وآله إحسانه وجواره، وأنشأ حسان بن ثابت شاعر الاسلام شعرا يمدحه فيه تقديرا لخدمته.

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتذكره كثيرا، حتى انه تذكره في واقعة «بدر» التي انهزمت فيها قريش وعادت منكسرة الى مكة بعد أن خسرت كثيرا من رجالها واسر منها عدد كبير، فتذكر مطعم بن عدى ثمة وقال صلى الله عليه وآله:

«لو كان مطعم بن عدى حيا لوهبت له هؤلاء» «١».

(١)

**نقطة هامة:**

إن سفر النبي صلى الله عليه وآله الى الطائف يكشف عن اصراره في اداء رسالته و استقامته و صبره صلى الله عليه وآله كما ان تذكره لإحسان مطعم في المواقع المناسبة يقودنا إلى خصاله الحميدة و سجاياه. الفاضلة، و خلقه العظيم. و لكن الاله من هذا و ذاك هو أننا نستطيع من خلال هذا تقييم خدمات أبي طالب القيامة، و معرفه أهميتها الكبرى عند رسول الله صلى الله عليه وآله، بمقايستها مع ما فعله مطعم. فان مطعم لم يفعل شيئاً إلا أن اجار رسول الله صلى الله عليه وآله و حماه يوماً او بعض يوم. بينما حذب أبو طالب على رسول الله صلى الله عليه وآله و دافع عنه و خدمه عمراً كاملاً، و لقي في سبيله من المحن و المتاعب ما لم يلق مطعم منها و لا شيئاً ضئيلاً. (٢) فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلن عن استعداده للافراج عن جميع الاسرى في «بدر» تقديراً لما قام به مطعم من اجارة بسيطة قصيرة، فما ذا

(١) المغازي للواقدي: ج ١ ص ١١٠ ثم قال الواقدي: و كانت لمطعم بن عدى عند النبي صلى الله عليه وآله اجارة حين رجع من الطائف، طبقات ابن سعد: ج ١ ص ٢١٠ و ٢١٢، البدايه و النهايه: ج ٣ ص ١٣٧. سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦٢

عساه أن يقوم به تجاه ما اسداه إليه عمه و حاميه و كافله الاكبر و الأوحده أبو طالب من خدمات طوال اكثر من اربعين عاماً. أنه يجب ان يكون لمثل هذا الشخص العظيم الذي كفل صاحب الرسالة و قام بشئونه مدّة أربعين عاماً بايامها و لياليها و دافع عنه في السنوات العشر الاخيرة و هي جلّ عمر الرسالة الاسلاميه في الفترة المكيه إلى درجة ان عرّض راحته و سلامته بل حياته و حياة أبنائه لخطر الموت دفاعاً عن حياض الرسالة، و حمايه لصرح النبوة، مقاماً عظيماً و منزلة كبرى عند قائد البشرية، و معلم الانسانية، و هاديتها العظيم.

كيف لا؛ و الفرق بين هذين الشخصين كبير، و البون شاسع، فمطعم رجل وثنى مشرك، بينما يعتبر أبو طالب واحداً من كبار الشخصيات الاسلاميه العظيمة بلا جدال.

(١)

**الدعوة في أسواق العرب:**

كانت العرب تجتمع - في مواسم الحج - في نقاط مختلفة مثل: «عكاظ» و «المجنة» و «ذى المجاز»، و كان الشعراء و الخطباء العرب البارعون يقفون في هذه المناطق على أماكن مرتفعة و يلهون فريقاً من الناس بما يلقونه عليهم من خطب و قصائد تدور في الأغلب حول الحرب و القتال، و التفاخر، و العشق.

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله شأن كل الأنبياء و المرسلين الذين سبقوه يستغل هذه الفرصة - كغيرها - لا بلاغ رسالة ربه الى الناس، و لم يكن لاحد منعه او الكيد به لحرمة القتال و الجدل في الاشهر الحرم.

من هنا كان صلى الله عليه وآله اذا حلّ الموسم وقف على مكان مرتفع و خاطب الناس قائلاً:

«قولوا لا إله إلا الله تفلحوا و تملكوا بها العرب و تدلّ لكم العجم، و إذا آمنتم كنتم ملوكاً في الجنة» (١).

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢١٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦٣

(١)

**دعوة رؤساء القبائل في مواسم الحج:**

و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يلتقى في مواسم الحج في هذه النقاط برؤساء القبائل العربية و اشرافها، و يقف على منازلهم منزلاً منزلاً، و يعرض دينه عليهم، و يدعوهم إلى الله و يخبرهم أنه نبي مرسل «١».

و ربما مشى خلفه عمه «أبو لهب» فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله و ما دعا به قال أبو لهب فوراً للناس: يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم أن تسلكوا اللات و العزى من أعناقكم، إلى ما جاء به من البدعة و الضلالة، فلا تطيعوه و لا تسمعوا منه.

(٢) و قد قدمت جماعة من بنى عامر إلى مكة فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الاسلام، و عرض عليهم نفسه، فقبلوا أن يعتنقوا الاسلام إلا أنهم اشترطوا عليه أن يكون إليهم خلافته من بعده إذ قالوا: أ رأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أ يكون لنا الأمر من بعدك؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء».

فرفضوا اعتناق الاسلام و الإيمان بالله و رسوله.

ثم لما عادوا إلى أوطانهم رجعوا إلى شيخ لهم طاعن في السن لم يقدر أن يحج معهم و كان ذا بصيرة و فهم فحدثوه بما جرى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وآله و قالوا: جاءنا فتى من قريش من بنى عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى ان نمنعه «٢» و نقوم معه.

فوضع الشيخ يديه على رأسه و وبخهم على رفضهم لدعوة الرسول و قال:

(١) قال ابن هشام: كان صلى الله عليه وآله لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم و شرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله و عرض عليه ما عنده.

(٢) أى نحميه.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦٤

يا بنى عامر و الذى نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيلى قط «١»، و إنها لحق، فإين رأيكم كان عنكم؟! «٢»

ان هذه القضية التاريخية تفيد - فى ما تفيد - بان مسألة الخلافة و الامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أمر تنصيصى، تعيينى، لا انتخابى، أى ان تعيين الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يعود إلى الله تعالى، و لا - خيار للناس فيه، و انما عليهم الطاعة و الرضا.

(١) أى ما ادعى النبوة كاذبا احد من بنى اسماعيل.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٢٤ و ٤٢٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦٥

(١)

## ٢٤ بيعة العقبة

## إشارة

كان (وادي القرى) في ما مضى من الزمن طريق التجارة من اليمن الى الشام، فكانت القوافل التجارية القادمة من اليمن تدخل وادي طويلا- يدعى بوادي القرى بعد العبور بالقرب من مكة، و كانت المناطق الواقعة على طول هذا الوادي مناطق خضراء، و من هذه المناطق مدينة قديمة كانت تدعى ب: يثرب و التي عرفت فيما بعد بمدينة الرسول.

و قد سكن في هذه المدينة منذ اوائل القرن الرابع الميلادي قبيلتا: «الايوس و الخزرج» اللتان كانتا من مهاجري عرب اليمن (من القحطانيين).

(٢) و كان يعيش الى جانبهم الطوائف اليهودية الثلاث المعروفة: «بنو قريظة» و «بنو النضير» و «بنو قينقاع» الذين كانوا قد هاجروا إليها من شمال شبه الجزيرة العربية و استوطنوها.

و كان يقدم الى مكة كل عام جماعة من عرب يثرب للاشتراك في مراسيم الحج، و كان النبي صلى الله عليه وآله يلتقى بهم في تلك المواسم، و يجري معهم اتصالات.

و قد مهدت بعض هذه اللقاءات للهجرة، و صارت سببا لتمرکز قوى الاسلام المتفرقة، في تلك النقطة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦٦

(١) على ان كثيرا من تلك الاتصالات و ان لم تثمر و لم تنطو على أية فائدة فعلية إلا أنها تسببت في أن يحمل حجاج يثرب- لدى عودتهم- انباء ظهور النبي الجديد و ينشروه في اوساط المدينة كأهم نبأ من انباء الساعة، و يلفتوا نظر الناس في تلك الديار الى مثل هذا الأمر المهم و الخطير.

و لهذا نقلنا هنا بعض اللقاءات و الاتصالات التي تمت بين رسول الله صلى الله عليه وآله و جماعات من اهل هذه المدينة في السنة الحادية عشرة و الثانية عشرة و الثالثة عشرة من البعثة لتتضح بدراسة هذه المطالب علة هجرة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله من مكة الى يثرب، و تمرکز قوى المسلمين في تلك المنطقة.

(٢) ١- كان رسول الله صلى الله عليه وآله كلما سمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم و شرف تصدى له، و دعاه الى الاسلام و عرض عليه ما عنده.

و قد قدم مرة «سويد بن الصامت» فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وآله حين سمع به فدعاه الى الله و الى الاسلام فقال له سويد: فعلل الذي معك مثل الذي معي.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: و ما الذي معك.

قال: مجلة لقمان يعنى حكمة لقمان-.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اعرضها على فعرضها عليه. فقال له: إن هذا الكلام حسن، و الذي معي أفضل من هذا. قرآن انزله الله عليّ هو هدى و نور.

ثم تلا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن و دعاه الى الاسلام، فقال سويد إن هذا قول حسن و آمن برسول الله صلى الله عليه وآله و آله فقدم المدينة على قومه، فلم يلبث أن قتله الخزرج فيما كان يتلفظ الشهادتين، و كان قتله قبل يوم بعث «١» «٢».

(١) بعث موضع كانت فيه حرب بين الاوس و الخزرج.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٢٥-٤٢٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦٧

(١) ٢- قدم «انس بن رافع» مكةً و معه فتيةٌ من بنى عبد الاشهل فيهم «ياس بن معاذ» أيضاً، يلتمسون الحلف و النصره على قومهم من الخزرج، فسمع بهم رسول الله صلى الله عليه و آله فأتاهم و جلس إليهم و قال لهم: هل لكم فى خير مما جئتم له؟ فقالوا له: و ما ذاك؟

قال: «أنا رسول الله بعثنى إلى العباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله و لا يشركوا به شيئاً و أنزل على الكتاب» ثم ذكر لهم الاسلام، و تلا عليهم القرآن.

فقال إياس بن معاذ و كان غلاماً حدثاً شهماً: أى قوم هذا و الله خير مما جئتم له.

فقد أدرك جيداً أن دين التوحيد يكفل كل حاجاتهم فهو دين شامل مبارك لأنه سيصهر الجميع فى بوتقة الاخوة الواحدة فتزول عندئذ أسباب العدا و القتال، و بذلك ينهى كل مظاهر الحرب و التنازع، و كل مظاهر الفساد و التخريب فهو أفضل من طلب المساعدة العسكرية من قريش التى جاءوا من أجلها الى مكة، فامن برسول الله صلى الله عليه و آله من دون ان يكسب رضا رئيس قبيلته «انس بن رافع» و استئذانه، و لهذا غضب أنس و أخذ حفنةً من تراب البطحاء و ضرب بها وجه إياس و قال: دعنا منك، فلعمري لقد جئنا لغير هذا، فصمت إياس و قام رسول الله صلى الله عليه و آله عنهم و انصرفوا الى المدينة، و كانت وقعة بعث بين الأوس و الخزرج و لم يلبث إياس ان هلك، و قد سمعه قوم حضروا عند وفاته يهلل الله تعالى و يكبره و يحمده و يسبحه حتى مات، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً، و لقد استشعر الاسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه و آله ما سمع «١».

(٢)

### وقعة بعث:

### إشارة

كانت وقعة بعث من الحروب التاريخية بين الأوس و الخزرج، ففى هذه

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٢٧ و ٤٢٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦٨

الوقعة انتصر الأوسيون على منافسيهم، و أحرقوا نخيل الخزرجيين، ثم وقعت بعد ذلك حروب و مصالحات بينهم. و لم يشترك «عبد الله بن ابى» و هو من أشرف الخزرج فى هذه الوقعة من هنا كان موضع احترام من القبيلتين، و كاد الطرفان يفقدان مقاومتهم بسبب تكرار الحروب، و تحمّل الخسائر الثقيلة، و لهذا رغب الطرفان فى عقد صلح بينهما يضع حدًا لجميع أشكال العمليات العسكرية، و الغزو و الاقتتال، و الثأر و الانتقام، و أصرت القبيلتان على «عبد الله بن ابى» بان يقبل بقيادة عملية المصالحة هذه، بل و أعدوا له تاجاً يتوجونه به، حتى يصبح أميراً فى وقت معين، و لكن هذا المشروع تعرض للانهايار و السقوط و واجهت الفشل على أثر اعتناق جماعة من الخزرج الاسلام، ففى هذا الوقت بالذات التقى رسول الله صلى الله عليه و آله بمكة بستة اشخاص من رجال الخزرج و دعاهم الى الاسلام فأمنوا به، و لبوا دعوته.

(١)

**تفصيل الحادث:**

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الأنصار وكانوا ستة انفار من الخزرج فقال لهم: أمن موالى اليهود؟ وهل لكم حلف معهم. قالوا: نعم.

قال: أفلا تجلسون أكلمكم؟

قالوا: بلى.

فجلسوا معه، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن، فحدثت كلمات النبي صلى الله عليه وآله في نفوسهم أثراً عجيباً، ومما ساعد على ذلك أن يهوداً كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكان اليهود قد غزوه في بلادهم،

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٦٩

فكانوا إذا وقع بينهم نزاع وكان بينهم شىء قال اليهود لهم: إن نبياً مبعوث الآن، قد اظلم (أو أطل) زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكانت اليهود تخبر بخروج نبي من العرب ينشر التوحيد، وتنتهي على يديه حكومة الوثنية والشرك، قد قرب ظهوره.

(١) فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وآله أولئك النفر، ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض يا قوم: تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه.

فاجابوه فيما دعاهم إليه، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام، وقالوا: إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشرا مثل ما بينهم، فعمى أن يجمعهم الله بك، فستقدم عليهم فدعوهم الى أمرك، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل اعز منك «١».

(٢)

**بيعة العقبة الاولى:**

لقد أثرت دعوة هؤلاء الستة، الجادة في يثرب تأثيراً حسناً حيث سببت في إسلام فريق من أهل يثرب واعتناقهم عقيدة التوحيد. فلما كان العام المقبل (أى السنة الثانية عشرة من البعثة) قدم مكة اثنا عشر رجلاً من أهل يثرب، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وآله بالعقبة، وانعقدت هناك أول بيعة اسلامية.

وابرز هؤلاء الرجال هم: أسعد بن زرارة، وعبادة بن الصامت، وكان نص هذه البيعة - بعد الاعتراف - بالاسلام والايمان بالله ورسوله هو:

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزنى، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف.

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٨٦، والسيرة النبوية: ج ١ ص ٤٢٧ و ٤٢٨، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧٠

(١) فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: إن وفيتم فلکم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فامرکم إلى الله عزّ وجلّ إن شاء

عذب، و ان شاء غفر.

و هذه البيعة اصطلاح على تسميتها المؤرخون و كتاب السيرة ببيعة النساء، لأن النبي صلى الله عليه وآله اخذ البيعة من النساء في فتح مكة على هذا النحو «١».

و عاد هؤلاء النفر الى يثرب بقلوب مفعمة بالايمان، مترعة بمحبة رسول الله صلى الله عليه وآله فعمدوا الى نشر الاسلام، و كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث لهم من يعلمهم الاسلام و القرآن، فبعث النبي صلى الله عليه وآله لهم «مصعب بن عمير» و أمره بان يقرّ أهم القرآن، و يعلمهم الاسلام، و يفقههم في الدين، فكان يسمى المقرئ بالمدينة.

و استطاع هذا المبلغ القدير، و هذا الداعية الشيط ان يجمع المسلمين بفضل عمله الدؤوب و الحكيم، و تبليغه الصحيح في غياب رسول الله صلى الله عليه وآله، و يؤمهم، و يصلى بهم «٢».

(٢)

### بيعة العقبة الثانية:

لقد أحدث تقدم الاسلام في يثرب هيجانا كبيرا و شوقا عجيبا في نفوس المسلمين من أهلها، فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر حلول موسم الحج، ليقدموا مكة، و يلتقوا برسول الله صلى الله عليه وآله عن كعب، و يظهروا له عن استعدادهم لتقديم ما يطلب منهم من خدمة و عمل، و ليستطيعوا توسيع نطاق البيعة من حيث الكم و من حيث الكيف.

و أخيرا حل موسم الحج فخرجت قافلة كبيرة من أهل يثرب للحج تضم خمسمائة نفرا فيهم ثلاث و سبعون من المسلمين من بينهم امرأتان، و الباقي إما راغبون في الاسلام، و اما غير مكترث به، حتى قدموا مكة، و التقوا برسول الله

(١) و التي جاء ذكرها في الآية ١٢ من سورة الممتحنة.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٣٤، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧١

صلى الله عليه وآله فواعدهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالعقبة للبيعة اذا قال: «موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالى التشريق».

(١) فلما كانت الليلة الثالثة عشرة من شهر ذى الحجة و هي التي واعدهم رسول الله صلى الله عليه وآله فيها باللقاء، و نام الناس حضر رسول الله صلى الله عليه وآله مع عمه «العباس بن عبد المطلب» قبل الجميع، و خرج المسلمون من رحالهم يتسللون تسلل القطا مستخفين بعد أن ناموا مع قومهم في رحالهم، و مضى ثلث الليل لكيلا يحسوا بخروجهم، حتى اجتمعوا في الشعب عند العقبة، و لما استقر المجلس بالجميع، كان أول متكلم هو: العباس بن عبد المطلب فقال واصفا منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله: يا معشر الخزرج- و كانت العرب تسمى هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها و أوسها- إن محمدا منا حيث قد علمتم، و قد منعناه من قومنا، فهو في عز من قومه، و منعة في بلده، و إنه قد أبى إلا الانحياز إليكم، و اللحق بكم، فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، و مانعوه ممن خالفه فأنتم و ما تحملتم من ذلك، و إن كنتم ترون أنكم مسلموه و خاذلوه بعد الخروج به إليكم، فمن الآن فدعوه فانه في عز و منعة من قومه و بلده.

فقال الحضور: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله، فخذ لنفسك و لربك ما أحببت.

فتكلم رسول الله صلى الله عليه وآله و دعا إلى الله و رغب في الاسلام، ثم قال: ابايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم.



(٢) فقام البراء بن معرور وأخذ بيد النبي صلى الله عليه وآله وقال: نعم والذي بعثك بالحق نبيا لنمنعك مما نمنع منه ازرننا «١» فبايعنا يا رسول الله فنحن والله

(١) الملاحظ في هذه البيعة انها كانت بيعه للدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وليس بيعه للجهاد في سبيل الله، ولهذا فان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقدم على القتال في بدر إلا بعد ان كسب موافقة الانصار ورضاهم.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧٢

ابناء الحروب و اهل الحلقة (اي السلاح) ورثناها كابرا عن كابر.

فدب في الحضور حماس و سرور عظيم و تعالت الاصوات و النداءات من الخزرجيين و التي كانت تعبيراً عن شدة حماسهم، و سرورهم لهذا الأمر، فقال العباس و هو أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) و في هذا الاثناء نهض «البراء بن معرور» و «أبو الهيثم بن التيهان» و «أسعد بن زرارة» من مواضعهم و بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله ثم بايعه بقية القوم جميعاً.

و قد قال ابن التيهان عند مبايعته للنبي صلى الله عليه وآله يا رسول الله إن بيننا و بين الرجال (اي اليهود) حبالا (و علاقات) و إنا قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله، أن ترجع إلى قومك و تدعنا؟

فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال: «بل الدم الدم، و الهدم الهدم احارب من حاربتهم و اسالم من سالمتم» يعنى أنه سيقى على العهد، و لا يتركهم و كانت العرب تقول عند عقد الحلف: دمي دمك، و هدمي هدمك، و هي كناية عن البقاء على العهد و احترام الميثاق و الحلف.

(٢) ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: اخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم «١».

فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا فقال صلى الله عليه وآله لأولئك النقباء: انتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم و أنا كفيل على قومي (يعنى المسلمين) فبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم و أبناءكم». فقالوا: نعم و بايعوه على ذلك.

و كان النقباء الذين اختيروا لذلك تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس و قد ضبطت أسماءهم و خصوصياتهم في التاريخ.

(١) المحبر: ص ٢٦٨-٢٧٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧٣

و بعد أن تمت مراسم البيعة و عداهم رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يهاجر إليهم في الوقت المناسب، ثم ارفض الجمع و عاد القوم إلى رحالهم «١».

(١)

### أوضاع المسلمين بعد بيعة العقبة:

و الآن ينبغي أن نجيب بالتفصيل على السؤال الذي يطرح نفسه هنا و هو:

ما الذي دعى أهل يثرب الذين كانوا بعيدين عن مركز ظهور الاسلام إلى ان يستجيبوا لنداء الرسول صلى الله عليه وآله و يأخذوا بتعاليمه اسرع من المكيين مع ما كان بين المكيين و بين رسول الله صلى الله عليه وآله من القرابة القريبة؟! و كيف تركت تلك اللقاءات المعدودة القصيرة بأهل يثرب آثارا تفوق الآثار التي تركتها الدعوة المحمدية خلال ثلاثة عشر عاما في

مكة؟!:

إن علة هذا التقدم يمكن اختصارها وحصارها في أمرين:

(٢) أولاً: أن اليرثيين جاؤوا اليهود سنينا عديدة و طويلاً قبل الاسلام، و كثيرا ما كانوا يتحدثون في مجالسهم و أنديتهم عن النبي العربي الذي يظهر، و يأتي بدين جديد.

حتى أن اليهود كانوا يقولون: للوثنيين إن هذا النبي سيقم دين اليهود و ينشره، و يمحي الوثنية و يقضى عليها بالمرءة. فتركت هذه الكلمات أثرا عجيبا في نفوس أهل يثرب، و هيأت قلوبهم لقبول الدين الذي كان يخبر عنه يهود و ينتظرونه، بحيث عند ما التقى الانفار الستة من اهل المدينة الى الايمان برسول الله صلى الله عليه و آله لأول مرة، بادروا الى

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٥ و ٢٦، السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٤١-٤٥٠، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٢١-٢٢٣.

و في رواية اخرى في البحار: ج ١٩ ص ٤٧، كما اخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيبا و قد كان هذا العمل النبوي حكيما جدا لاین عامة الناس لا يمكن التعويل و الاتكال على التزاماتهم بل لا بد من الاعتماد- ضمنا- على رموز المجتمع و مفاتيحه و هم وجوه القوم و سرايهم.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧٤

الايمان به من غير إبطال و لا تأخير بعد أن قال بعضهم لبعض: و الله إنّه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم إليه.

(١) و من هنا فان مما يأخذه القرآن على اليهود هو: أنكم كنتم تهددون الوثنيين بالنبي العربي، و تبشرون الناس بانه سيظهر، و انهم قرءوا أوصافه و علائمه في التوراة، فلما ذا رفضوا الإيمان به لما جاء صلى الله عليه و آله.

يقول تعالى:

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ» (١).

(٢) ثانيا: إن العامل الأخير الذي يمكن اعتباره دخيلا في التأثير في نفوس اليرثيين و سرعة إقبالهم على الإسلام و تقبلهم لدعوة النبي صلى الله عليه و آله هو التعب و الارهاق الذي كان اهل يثرب قد اصيبوا به من جزاء الحروب الطويلة الدامية فيما بينهم و التي استمرت مائة و عشرين عاما و التي انهكتهم و كادت أن تذهب بما تبقى من رمقهم، و جعلتهم يملون الحياة، و يفقدون كل أمل في تحسن الأحوال و الاوضاع.

و إن مطالعة وقعة «بعث» و هي - حرب وقعت بين الأوس و الخزرج - وحدها كفيلاً بأن تجسد لنا الوجه الواقعي الذي كان عليه سكان تلك الديار.

(٣) ففي هذه الوقعة انهزم الاوسيون على يد الخزرجيين، فهربوا الى «نجد»، فعيرهم الخزرجيون بذلك، فغضب «الحضير» سيد الأوس، لذلك غضبا شديدا، فطعن فخذة برمحه لشدة انزعاجه و غضبه، و ترجل عن فرسه و صاح بقومه قائلا:

و الله لا أقوم من مكاني هذا حتى اقتل!! فأوقد صمود «الحضير» و ثباته نار الحمية و الغيرة و اشعل روح الشهامة و البسالة في قومه، فقررروا الدفاع عن حقهم مهما كلفهم الأمر، فقاتلوا أعداءهم مستميتين، و المستميت منتصر لا محالة، فانتصر

(١) البقرة: ٨٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧٥

الأوسيون المغلوبون، هذه المرة، و هزموا الخزرج هزيمة نكراء و احرقت مزارعهم و نزل بهم ما نزل على يد الاوسيين!! (١).

(١) ثم تتابعت الحروب و المصالحات بعد ذلك، و كانت القبيلتان تتحلمان في كل مرة خسائر كبرى، جعلتهم يواجهون عشرات المشاكل التي حوّلت حياتهم الى حياة مضيئة متعبة جدا. من هنا لم تكن كلتا القبيلتين راضيتين على أوضاعهما، و كانتا تبحثان عن مخلص مما هما فيه، من الحالة السيئة، و تفتشان عن نافذة أمل، و مخرج من تلك المشاكل. و لهذا وجد الخزر جيون الستة ضالّتهم المنشودة عند ما التقوا- و لأول مرّة- رسول الله صلّى الله عليه و آله و سمعوا منه ما سمعوا، فتمنّوا أن يضعوا به حدا لاوضاعهم المتردية إذ قالوا له: عسى أن يجمعهم الله بك فان جمعهم الله بك فلا رجل أعزّ منك. كانت هذه هي بعض الأسباب التي دعت اليثريين إلى تقبل الاسلام بشوق و رغبة و حماس.

(٢)

### ردود فعل قريش تجاه بيعه العقبة:

كانت قريش تغطّ في نوم عميق و كانت تتصور بانها قد حدّت من تقدم الاسلام في مكة و انه قد بدأ يتقهقر و يسير باتجاه السقوط و الاندحار، و أنه لن ينقضى زمان إلّا و تنطفئ جذوة الاسلام و تخدم شعلته، و تنمحي آثاره. و فجأة استيقظت على دوى بيعه العقبة الثانية التي كانت بمثابة انفجار قلبت كل المعادلات، و أسقطت كل تصورات قريش الساذجة، و ذلك عند ما عرف زعماء الوثنيين بأن ثلاثا و سبعين شخصا من اليثريين عقدوا ليله أمس و تحت جناح الظلام بيعه مع رسول الله صلّى الله عليه و آله على أن يدافعوا عنه كما

(١) الكامل في التاريخ: ج ١ ص ٤١٧ و ٤١٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧٦.

يدافعون عن أبنائهم و أهلهم.

(١) فأحدث هذا النبأ خوفا عجيبا في قلوب قادة قريش و سادة مكة المشركين المتغترسين، لأنهم أخذوا يقولون مع أنفسهم: لقد وجد المسلمون الآن قاعدة قوية في قلب الجزيرة العربية، و انه يخشى أن يجمع المسلمون كل طاقاتهم المبعثرة فيها، و يعملون معا على نشر دينهم، و بث عقيدتهم، و حينئذ ستواجه الوثنية في مكة خطرا جديا، يهددها في الصميم. و لهذا بادرت قريش إلى الاتصال بالخزر جيون صبيحة تلك الليلة و قالوا لهم:

يا معشر الخزرج انه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا تستخرجونه من بين أظهرنا، و تبايعونه على حربنا، إنه و الله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا و بينهم، منكم.

فحلف المشركون من أهل يثرب لقريش أنه ما كان من هذا شيء، و ما علموه، و قد صدقوا لأنهم لم يعلموا بما جرى في العقبة. فان قافلة اليثريين كانت تضمّ خمسمائة شخص، تسلّل منهم ثلاث و سبعون فقط الى العقبة و بقيه الناس نيام لا يعلمون بشيء.

(٢) فأتت قريش إلى «عبد الله بن ابي بن سلول» فسألوه عما جرى في ليله العقبة، فأنكر ذلك و قال: إن هذا الأمر جسيم، ما كان قومي ليتفوتوا عليّ بمثل هذا (أى يعملوه من دون مشورتى) و ما علمته كان، فنهض رجال قريش من عنده ليتابعوا تحقيقهم حول الحادث. فعرف المسلمون الذين حضروا ذلك المجلس و بايعوا رسول الله صلّى الله عليه و آله يفشوا أمرهم، و انكشاف سرهم، و لهذا قال بعضهم لبعض: ما دمنا لم نعرف بعد فلنخرج من مكة فورا قبل ان يظفر المشركون بنا، و لهذا أسرعوا في الخروج من مكة و التوجه الى المدينة، فزاد ذلك من سوء ظن قريش و عززت شكوكهم حول البيعة، و عرفوا بانها قد كان، فخرجوا في طلب جميع اليثريين، و لكنهم لم ينتبهوا لذلك إلّا بعد خروج قافلة اليثريين من حدود مكة، و المكين، و لم تظفر قريش إلّا بسعد بن عباد.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧٧

(١) غير أن ابن هشام يرى بأنهم ظفروا بنفرين هما: «سعد بن عبادة» و «المنذر بن عمر»، و كان كلاهما من النقباء الاثنى عشر.

و أما «المنذر» فاستطاع أن يخلص نفسه منهم.

و أما «سعد» فقد أخذوه، و ربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه، و يجذبونه بجمته «١» و كان ذا شعر كثير.

يقول سعد:

فو الله إني لفي أيديهم إذ طلع عليّ نفر من قريش فيهم رجل وضيء أبيض، طويل القامة، فقلت في نفسي: إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا.

قال: فلما دنى مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة.

فقلت في نفسي: لا والله، ما عندهم بعد هذا من خير.

قال: فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ رقت عليّ رجل كان معهم، فقال:

ويحك أما بينك و بين أحد من قريش جوار و لا عهد؟

قلت: بلى كنت اجير لجبير بن مطعم بن عدى تجارة، و أمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى.

فذهب ذلك الرجل الى مطعم و أخبره بما فيه سعد بن عبادة من الحال، و أنه أخبره بأنه كان يجير لمطعم تجارة فقال مطعم: صدق و الله إنه كان ليجير لنا تجارة، و يمنعهم أن يظلموا ببلده ثم أسرع إلى سعد و خلصه من أيديهم.

و كان رفقاء سعد من المسلمين قد علموا بوقوعه فى أيدي قريش فى أثناء الطريق إلى المدينة، فعزموا على أن يعودوا إلى مكة و يخلصوه من أيدي المشركين، و بينما هم كذلك إذ بدى لهم «سعد» من بعيد، و أخبرهم بما جرى عليه «٢».

(٢)

### تأثير الاسلام و نفوذه المعنوى:

يصر المستشرقون على أن انتشار الاسلام و نفوذه فى المجتمعات تم بواسطة

(١) مجتمع شعر الرأس.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٤٩ و ٤٥٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧٨

السيف و فى ظل استخدام القوة.

اما بطلان هذا الكلام فسيثبت من خلال الحوادث القادمة.

و نحن نذكر هنا للمثال حادثة وقعت قبل الهجرة، و نلفت إليها نظر القارئ الكريم، فان دراستها و التعمق فيها يثبت بجلاء ان انتشار الاسلام و نفوذه فى أوساط الناس كان فى بداية الأمر نابعا من جاذبيته التى كانت تجذب كل انسان بمجرد اعطاء شرح مختصر عنه و عن تعاليمه المحببة إليه.

و إليك الحادثة بنصها:

(١) قرر مصعب بن عمير المبلغ و الداعية الاسلامى المعروف الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه و آله الى المدينة بطلب من اسعد بن زرارة، ذات يوم أن يدعو هو و اسعد أشرف المدينة و ساداتها الى الاسلام بالمنطق و الدليل فدخلوا حائطا «١» من حوائط المدينة

فجلسا هناك و اجتمع إليهما رجال ممن اسلم، و كان سعد بن معاذ و اسيد بن حضير و هما من سادات بنى الاشهل موجودين هناك أيضا.

فقال سعد لا سيد: جرد حربتك و قل لهذين (يعنى مصعبا و اسعد) ما ذا جاء بهما الى ديارنا يسفهان ضعفاءنا، و لو لا أن سعد بن زرارة ابن خالتي، لكفيتك ذلك.

(٢) ففعل اسيد ذلك و قال لمصعب ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا و راح يشتمهما فقال له مصعب داعية الاسلام الحكيم، و المتكلم البليغ الذى تعلم اسلوب الدعوة المؤثر من رسول الله صلى الله عليه و آله أو تجلس فسمع، فان رضيت أمرا قبلته، و ان كرهته كف عنك ما تكره؟

قال: أنصفت ثم ركز حربته و جلس إليهما يستمع لقولهما فكلمه مصعب بالاسلام، و قرأ عليه شيئا من القرآن، فأثرت آيات القرآن و ما قاله مصعب من المواعظ البليغة فى نفسه حتى عرف ذلك فى إشراق وجهه، و انفراج اساريره، و شوقه فقال: ما احسن هذا الكلام و اجمله؟! كيف تصنعون إذا اردتم أن تدخلوا

(١) بستانا.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٧٩

فى هذا الدين؟ فقال مصعب و سعد له: تغتسل فتطهر و تغسل ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى.

(١) فقام اسيد بن حضير الذى حضر لقتل مصعب و سعد من عندهما مبتهجا مسرورا فاغتسل و طهر ثوبيه و تشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين.

ثم قال لهما: ان ورائي رجلا إن أتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه و سأرسله إليكما الآن، ثم اخذ حربته و انصرف الى سعد بن معاذ الذى كان ينتظر عودته على احر من الجمر فلما نظر إليه سعد و قومه و هم جالسون فى ناديهم قال:

أحلف بالله لقد جاءكم اسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت؟

(٢) قال: كلمت الرجلين، فو الله ما رأيت بهما بأسا، و قد نهيتهما، فقلا: نفعل ما احببت، فغضب سعد لذلك غضبا شديدا، و أخذ الحربة من اسيد، ثم خرج الى مصعب و اسعد ليقتلها، فلما رآهما سعد مطمئنين وقف عليهما متشمتا مهددا اياهما، و لكن مصعبا و زميله قابلا بمثل ما قابلا به سابقه اسيد، و جرى له ما جرى له، فقد فعلت كلمات مصعب فى نفسه فعلتها، و خضع لمنطقه القوى، و بيانه الساحر، و ندم على ما قصد فعله، و قال لمصعب نفس ما قاله اسيد و اعتنق الاسلام و اغتسل و تطهر و صلى ثم رجع الى قومه و قال لهم: يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم؟ قالوا: سيدنا و افضلنا رأيا و ايمنا نقيية.

قال: فان كلام رجالكم و نسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله و برسوله فالحمد لله الذى اكرمنا بذلك.

فلم يمس فى دار بنى عبد الاشهل رجل و لا امرأة إلا مسلما أو مسلمة، و هكذا أسلم كل قبيلة بنى الأشهل قبل أن يروا النبى صلى الله عليه و آله و أصبحوا من الدعاة إلى الاسلام و المدافعين عن عقيدة التوحيد، لا بمنطق القوة انما بقوة المنطق «١».

(١) إعلام الورى: ص ٥٩، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٠ و ١١، السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٣٦ و ٤٣٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨٠

(١) ان فى التاريخ الاسلامى نماذج كثيرة من هذا القليل تدل على بطلان و تفاهة ما قاله أو روجه المستشرقون حول أسباب تقدم الاسلام و انتشاره، فان العامل المعتمد فى جميع هذه الموارد لم يكن المال و التطميع، و لا السلاح و التهديد، كما ادعى المستشرقون، و ان الذين اسلموا فى هذه الحوادث و الوقائع لا هم رأوا رسول الله صلى الله عليه و آله و لا أنهم التقوا أو اتصلوا به بنحو من الانحاء،

انما كان السبب الوحيد هو: منطق الداعية الاسلامي القوي و بيانه الساحر الجذاب، فهو الذي كان يفعل في النفوس فعلة العجيب، خلال دقائق معدودة، لا في نفس شخص واحد فحسب، بل ربما في نفوس قبيلة بكاملها. اجل انه المنطق القوي و الكلام المبرهن و الحجج البالغة لا سواها.

(٢)

### مخاوف قريش المتزايدة:

لقد ايقظت حماية اليربيين للمسلمين قريشا من غفلتها و نومها العميق مرة اخرى، و كانت بيعه العقبة الثانية بمثابة ناقوس خطر لها فبدأت أذاها و اضطهادها و مضايقتها لهم من جديد، و تهيأت للعمل على الحيلولة دون انتشار الاسلام و نفوذه و تقدمه في الجزيرة العربية، و بلغ ذلك الاذى مبلغا عظيما.

فشكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله إليه ما يلقونه على أيدي المشركين من ضغوط و أذى، و استأذنوه في الهجرة الى مكان فاستمهلهم رسول الله صلى الله عليه و آله اياما ثم قال:

«لقد اخبرت بدار هجرتكم و هي يثرب فمن اراد الخروج فليخرج إليها» (١).

و بعد الاذن بالهجرة من قبل النبي صلى الله عليه و آله أخذ المسلمون يخرجون من مكة، و يتوجهون الى المدينة شيئا فشيئا و بحجج مختلفة لكي لا تمنعهم قريش من الهجرة.

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٢٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨١

(١) و لم يكن قد مضى على بداية هجرة المسلمين التدريجية هذه زمان طويل الا و فطن زعماء قريش لسرها، و خطرهما عليهم فاخذوا يمنعون من أى تنقل و سفر يقوم به المسلمون، و قرروا ان يعيدوا الى مكة كل من وجدوه في اثناء الطريق، كما قرروا ان يجسوا زوجة كل مسلم يريد الهجرة و له زوجة قرشية و يمنعوها عنه، و لكنهم كانوا يتجنبون اراقة الدماء في هذا السبيل، بل و كان يقتصر اذاهم على الحبس و التعذيب و لا يتعداهما.

و لكن هذه المحاولات التي قام بها زعماء قريش لوقف الهجرة الى المدينة لم تثمر لحسن الحظ [١].

فقد استطاعت مجاميع كبيرة من المسلمين النجاة بنفسها من أيدي قريش و اللحاق بزملاتهم و اخوانهم في يثرب حتى انه لم يبق في مكة من المسلمين إلا رسول الله صلى الله عليه و آله و على عليه السلام و عدد قليل من المسجونين، أو المرضى من المسلمين.

(٢) و قد زاد اجتماع المسلمين في يثرب من مخاوف قريش، و ضاعف من قلقها، و لهذا اجتمع كل رؤساء القبائل المكية في «دار الندوة» اكثر من مرة للتشاور في كيفية القضاء على الاسلام و طرحت في ذلك المجلس خطط متنوعة، و اقترحت امور كثيرة لتحقيق هذه الغاية و لكنها فشلت برمتها بتدبير رسول الله صلى الله عليه و آله و حكمته، و سياسته الدقيقة.

و أخيرا هاجر رسول الله صلى الله عليه و آله من «مكة» إلى «المدينة» في شهر ربيع الأول سنة ١٤ من البعثة.

اجل لقد تضاعف قلق قريش منذ أن حصل محمد على قاعدة ثانية خارجة عن نطاق هيمنة المكيين و سيطرتهم و اصبحوا حيرى لا يدرون ما اذا يفعلون، لان جميع خططهم لمنع من انتشار الاسلام، و اتساع رقعته، قد باءت بالفشل.

(٣) لقد أمر رسول الله صلى الله عليه و آله أصحابه بالهجرة الى المدينة و الالتحاق

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨٢

بالانصار و قال لهم: «إن الله قد جعل لكم دارا و إخوانا تأمنون بها» (١) «٢».

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٦.

(٢) لقد انتهينا من تسجيل حوادث السنوات الثلاث عشرة من البعثة، وقد حاولنا ذكر كل ما كان معلوما مشهورا من تواريخها، ولكن لا يمكن اعتبار تواريخ كل تلك الحوادث امورا مقطوعا بها، من هنا ذكرنا الحوادث المثبتة فى الفصل ٢٤ من دون ادراج تواريخ لها فى الاغلب و لكن حيث أن الوقائع الحادثة بعد الهجرة وقعت فى أوقات معينة معلومة لذلك فاننا سنرفق ذكر كل حادثة بتاريخ وقوعها فى الفصول القادمة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨٣  
(١)

## ٢٥ قصة الهجرة

### حوادث السنة الاولى من الهجرة

#### إشارة

كان زعماء قريش و رؤساؤها يجتمعون عند كل نائبة تنوبهم فى «دار الندوة» لحل المشاكل و معالجة ما عرض لهم من نائبة من خلال التشاور حولها و تداول الرأى فيها، و من خلال تضافر الجهود على حلها، و رفعها أو دفعها.

و فى السنوات: الثانية عشرة، و الثالثة عشرة من البعثة واجه أهل مكة خطرا كبيرا جديا، فقد حصل المسلمون على مركز هام، و قاعدة صلبة فى يثرب، و تعهد الثيربيون الشجعان بحماية رسول الله صلى الله عليه وآله و الدفاع عنه، و كل هذا كان من علامات و مظاهر ذلك التهديد الخطير، الذى بات يهدد كيان المشركين و الوثنيين و الزعامة القرشية.

(٢) و فى شهر ربيع الاول من السنة الثالثة عشرة من البعثة التى وقعت فيه هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله و بينما لم يكن قد بقى من المسلمين فى مكة إلا رسول الله صلى الله عليه وآله و على و أبو بكر و جماعة قليلة من المسلمين المحبوسين، أو المرضى، أو العجزة، و كان هؤلاء على أبواب الهجرة و مغادرة مكة الى المدينة اتخذت قريش فجأة قرارا قاطعا و حاسما و خطيرا جدا فى هذا المجال.

فقد انعقدت جلسة هامة للتشاور فى «دار الندوة» حضرها رؤساء قريش

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨٤

و زعماءؤها و بدأ متكلمهم «١» يتحدث عن تجمع القوى و العناصر الاسلامية و تمركزها فى المدينة و البيعة التى تمت بين الخزرجين و الأوسيين و بين رسول الله صلى الله عليه وآله ثم اضاف قائلا:

(١) يا معشر قريش إنه لم يكن أحد من العرب أعزّ منّا، نحن أهل الله تفد إلينا العرب فى السنة مرتين، و يكرمونا، و نحن فى حرم الله لا يطمع فىنا طامع، فلم نزل كذلك حتى نشأ فىنا «محمّد بن عبد الله» فكنا نسّميه (الأمين) لصلاحه، و سكونه، و صدق لهجته، حتى إذا بلغ ما بلغ و أكرمانه ادّعى أنه رسول الله، و أن أخبار السماء تأتية، فسقّه أحلامنا، و سبّ آلهتنا، و أفسد شبّاننا، و فرق جماعتنا، فلم يرد علينا شىء أعظم من هذا، و قد رأيت فيه رأيا، رأيت أن ندسّ إليه رجلا منّا ليقتله، فان طلبت بنو هاشم بدمه «٢» اعطيناهم عشر ديات.

فقال رجل مجهول حضر ذلك المجلس و وصف نفسه بانه نجدى: ما هذا برأى لأن قاتل محمّد مقتول لا محالة، فمن هذا الذى يبذل



نفسه للقتل منكم؟ فانه اذا قتل محمّد تعصّب بنو هاشم و حلفاؤهم من خزاعة، و إن بنى هاشم لا ترضى أن يمشى قاتل محمّد على وجه الارض فيقع بينكم الحروب و تتفانوا.

(٢) فقال أبو البخترى: نلقيه فى بيت و نلقى إليه قوته حتى يأتيه ريب المنون.

فقال الشيخ النجدى مرة أخرى: و هذا رأى أخبث من الآخر، لأن بنى هاشم لا- ترضى بذلك، فاذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم، و اجتمعوا عليكم فاخرجوه.

فقال ثالث: نخرجه من بلادنا و نتفرغ نحن لعبادة آلهتنا، أو قال نرحل بعيرا صعبا و نوثق محمّدا عليه كتافا، ثم نضرب البعير بأطراف الرماح فيوشك أن يقطعه بين الصخور و الجبال إربا إربا.

(٣) فانبرى ذلك النجدى يخطئ هذا رأى أيضا قائلا: أ رأيتم إن خلص به

(١) و روى انه كان المتكلم: أبو جهل.

(٢) و فى رواية: بديته.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨٥

البعير سالما إلى بعض الناس فأخذ بقلوبهم بسحر بيانه و طلاقة لسانه، فصبا «١» القوم إليه، و استجابت القبائل له قبيلة فقييلة، فليسيرن حينئذ إليكم الكتائب و الجيوش فتلهكن كما هلكت أباد و من كان قبلكم.

فتحيروا و ساد الصمت ذلك المجلس، و فجأة قال أبو جهل (و على رواية:

قال ذلك الشيخ النجدى): ليس هناك من رأى إلّا أن تعمدوا الى قبائلكم فتختاروا من كل قبيلة منها رجلا قويا ثم تسلّحوه حساما عضبا و ليهجموا عليه معا بالليل و يقطعوه إربا إربا فيتفرق دمه فى قبائل قريش جميعا فلا تستطيع بنو هاشم و بنو المطلب مناهضة قبائل

قريش كلها فى صاحبهم فيرضون حينئذ بالديّة منهم!!

فاستحسن الجميع هذا رأى، و اتفقوا عليه، ثم اختاروا القتلة و تقرّر ان يقوموا بمهمتهم اذا جنّ الليل و ساد الظلام كل مكان «٢».

(١)

### الإمدادات الغيبية و العنايات الالهية:

لقد كان اولئك العتاة الجهلة يتصورون أن رسالته محمّد صلى الله عليه و آله المدعومة من قبل الله تعالى و المؤيدة من جانبه سبحانه يمكن ان يقضى عليها بواسطة هذه الحيل و المكائيد، و الخطط و المؤامرات، و لم يكونوا يدركون أن هذا النبى - كغيره من الأنبياء -

يتمتع بالمدد الالهى الغيبى، و ان اليد التى حفظت مشعل الاسلام طوال ثلاثة عشر عاما فى وجه الاعاصير و الرياح، قادرة على افشال هذه الخطة الاثيمة، و تعطيل هذه المؤامرة أيضا.

يقول المفسرون: بعد أن دبّر الكفار ما دبّروا نزل ملك الوحي «جبرئيل»، على رسول الله صلى الله عليه و آله و أخبره بما حاك ضدّه المشركون من مؤامرة اذ

(١) صبا فلان: أى خرج من دين إلى دين غيره و كانت العرب تسمى النبى صلى الله عليه و آله الصابى لأنه خرج من دين قريش إلى دين الاسلام و تسمى المسلمين: الصباة. و هو جمع الصابى.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٨٠ - ٤٨٢.



سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨٦

قرأ عليه قول الله تعالى:

«وَإِذِ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» (١).

(١) وعندئذ امر رسول الله صلى الله عليه وآله بالهجرة من مكة إلى المدينة، ولكن التلخص من أيدي القساء المكلفين بقتله من قبل زعماء الوثنيين وبالنظر إلى المراقبة الدقيقة التي كانوا يقومون بها لجميع التحركات، لم يكن بالأمر السهل وخاصة بالنظر إلى بعد المسافة بين مكة والمدينة.

فاذا لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله يخرج من مكة وفق خطة دقيقة صحيحة كان من المحتمل جدا أن يدركه المكيون في أثناء الطريق ويقبضوا عليه ويسفكوا دمه الشريف قبل ان يصل إلى أتباعه وأصحابه.

ولقد ذكر المفسرون والمؤرخون صوراً مختلفة لكيفية خروجه النبي صلى الله عليه وآله وهجرته والاختلاف الذي نلاحظه بين هؤلاء المفسرين والمؤرخين في خصوصيات وتفاصيل هذه الواقعة مما يقل نظيره في غيره من الوقائع.

وقد استطاع مؤلف «السيرة الحلبية» أن يوفق إلى درجة ما، بين المنقولات والمرويات المختلفة ببيان خاص، ولكنه لم يوفق لازالة التناقض والاختلاف في بعض الموارد في هذا الصعيد.

(٢) على أن الموضوع الجدير بالاهتمام هو أن اكثر المؤرخين الشيعة والسنة نقل كيفية هجرة النبي، و خروجه من منزله، ثم من مكة بنحو مؤداه إسناد نجاه النبي صلى الله عليه وآله وخلاصه إلى عامل الاعجاز، و بالتالي فقد اسبغوا عليه صبغة الكرامة، والمعجزة. في حين أن الإمعان في تفاصيل هذه القصة يكشف عن أن نجاه النبي صلى الله عليه وآله كانت نتيجة سلسلة من الإجراءات الاحترازية، والتحسبات، والتدابير الحكيمة، وإن إرادة الله تعالى تعلق بان ينجي نبيه

(١) الانفال: ٣٠، ليشبتوك أي ليسجنوك.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨٧

الكريم، عن طريق الأسباب العادية المألوفة، وليس عن طريق التدخل الغيبي وإعمال قدرته تعالى الغيبية.

ويدل على هذا المطلب أن النبي توسل بالعلل الطبيعية، والوسائل والأسباب العادية (كمبيت شخص في فراش النبي، واختفاء رسول الله في الغار وغير ذلك مما سيأتي ذكره)، وبهذا الطريق نجى رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه، وتخلص من أيدي اعدائه، العازمين على إراقه دمه.

(١)

### ملك الوحي يخبر رسول الله:

لقد اخبر ملك الوحي «جبرئيل» رسول الله صلى الله عليه وآله بخطة قريش المشؤومة لاغتياله وامره بالهجرة، و تقرر- بغيه إفشال عملية الملاحقة- ان بيت شخص في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليتصور المشركون أن النبي لا يزال في منزله، و لم يخرج بعد، و بالتالي يركزوا كل اهتمامهم على محاصرة البيت، و ينصرفوا عن مراقبة طرقات مكة، و نواحيها.

ولقد كانت فائدة هذا العمل اى حصر اهتمام المراقبين ببيت النبي انه تسنى لرسول الله صلى الله عليه وآله اغتنام الفرصة والخروج من مكة، و الاختفاء في مكان ما من دون ان يحس به أحد من الذين باتوا يراقبون بيته، و يبغون قتله.

(٢) و الآن يجب أن نرى من الذي تطوع للمبيت في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وفدى النبي بنفسه، و وقاه بحياته؟

ستقولون حتما: إن الذي سبق جميع المسلمين الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله و فدى النبي نفسه، و وقاه بحياته؟ ستقولون حتما: إن الذي سبق جميع المسلمين الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله و بقى من بدء بعثته و الى ذلك الحين يذب عنه، هو الذي يتعين أن يضحي بنفسه في هذا السبيل، و يقى رسول الله صلى الله عليه وآله بحياته في هذه اللحظة الخطيرة، و هذا المضحي بحياته و نفسه، هو «علي» ليس سواه احد، انه تقدير صحيح، و حدس مصيب.

فليس غير «علي» يصلح لهذه المهمة الخطيرة.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨٨

و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«يا علي إن قريشا اجتمعت على المكر بي و قتلي، و إنه اوحى إلي عن ربي أن اهجرك دار قومي، فم علي فراشي و التحف ببردي الحضرمي لتخفي بمبيتك عليهم أثري فما أنت قائل و صانع؟؟»

فقال علي عليه السلام: أو تسلمن بمبيتي هناك يا نبي الله؟

قال: نعم، فتبسم علي عليه السلام ضاحكا مسرورا و أهوى إلى الأرض ساجدا، شكرا لما أنبأه رسول الله صلى الله عليه وآله من سلامته، فلما رفع رأسه قال للنبي صلى الله عليه وآله:

امض لما امرت فداك سمعي و بصرى و سويداء قلبي، و مرني بما شئت اكن فيه كمسرتك، واقع فيه بحيث مرادك، و إن توفيقى إلّا بالله.

(١) ثم رقد علي عليه السلام على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله و اشتمل ببرده الحضرمي الاخضر، و لما مضى شطر من الليل حاصر رصد قريش - و هم اربعون رجلا - بيت رسول الله صلى الله عليه وآله و قد جردوا سيوفهم، ينتظرون لحظة الهجوم على النبي صلى الله عليه وآله و يتطلعون إلى داخل البيت من فرجة الباب بين الحين و الآخر ليتأكدوا من بقاء رسول الله صلى الله عليه وآله في مضجعه، فيظنون أن النائم في الفراش هو النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) و هنا أراد النبي صلى الله عليه وآله أن يخرج من بيته.

فمن جانب يحاصر الأعداء بيته صلى الله عليه وآله و آله من كل جانب، و يراقبون كل شيء، و من جانب آخر تعلقت مشيئة الله تعالى و ارادته القاهرة الغالبة أن ينجو رسول الله صلى الله عليه وآله من ايدي تلك الزمرة المنحطة، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله سورة (يس) لمناسبة مطلعها لظروفه حتى بلغ الى قوله تعالى: «فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» (١) و خرج من باب البيت دون ان يشعر به رصد قريش المكلفون بقتله، و ذهب الى المكان الذي كان من المقرر ان يختبئ

(١) يس: ٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٨٩

فيه علي النحو الذي سيأتي تفصيله.

و أما كيف استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ان يخترق الحصار البشري المشدد الذي ضرب على بيته، و يتجاوز رصد قريش من غير ان يشعروا به فذلك غير معلوم جيدا.

إلّا أنه يستفاد من رواية نقلها المفسر الشيعي المعروف المرحوم علي بن ابراهيم في تفسيره: قول الله تعالى: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» ان رجال قريش كانوا نياما ينتظرون الفجر عند خروج رسول الله صلى الله عليه وآله، و لم يكونوا يتصورون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد عرف بتدبيرهم و مؤامرتهم.

(١) و لكن يصرح غيره من المؤرخين و كتاب السيرة (١) بان المحاصرين لمنزل النبي صلى الله عليه وآله كانوا يقظين حتى لحظة

الهجوم على بيت رسول الله صلى الله عليه وآله و ان النبي صلى الله عليه وآله خرج من البيت عن طريق الاعجاز و الكرامة من دون ان يروه و يحسوا به.

إن امكان وقوع مثل هذه الكرامة ليس موضع شك، و لكن هل كان هناك ما يوجب ذلك؟؟

ان دراسة قصة الهجرة بصورة كاملة تجعل هذه المسألة أمراً قطعياً و هي أن النبي صلى الله عليه وآله كان عارفا بمؤامرة القوم قبل محاصرة بيته، و كان قد دبر و رسم لنجاته خطة طبيعية عادية، و لم يكن في الأمر اى اعجاز.

لقد كان يريد صلى الله عليه وآله باضجاع على عليه السلام فى فراشه أن ينجو بنفسه من أيدي المشركين من الطرق العادية و القنوات الطبيعية من غير الاستعانة بالاعجاز و الكرامة.

(٢) و على هذا كان فى مقدور النبي صلى الله عليه وآله ان يتحسب لمسألة المحاصرة و الطوق الذى كان سيضرب على بيته من أوائل الليل، و ذلك بمغادرة

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٢٨، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٠٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٩٠

بيته قبل المحاصرة و قبل الغروب.

و لكن يمكن ان يكون لتوقف النبي صلى الله عليه وآله فى البيت حتى ساعة المحاصرة علة لا نعرفها الآن.

من هنا يكون ادعاء هذا الموضوع (و هو خروج النبي صلى الله عليه وآله من البيت فى الليل) غير مقطوع به لدى الجميع لاعتقاد البعض بان رسول الله صلى الله عليه وآله غادر منزله قبل فرض الحصار عليه، و قبل غروب الشمس «١».

(١)

### اقتحام الاعداء لبيت الوحي:

طوّقت قوى الكفر مهبط الوحي و بيت الرسالة و باتت تنتظر لحظة الإذن فى اقتحامه، و الهجوم على النبي صلى الله عليه وآله فى فراشه و ضربه و تقطيعه بالسيوف إرباً إرباً!

و قد أصرّ جماعة منهم أن ينفذوا خطتهم المشؤومة هذه فى منتصف الليل و قبل الفجر فمنعهم أبو لهب من ذلك و قال: لا أدعكم أن تدخلوا عليه بالليل، فإنّ فى الدار صبيانا و نساء من بنى هاشم، و لا نأمن أن تقع يد خاطئه، فنحرسه الليلة، فإذا أصبحنا دخلنا عليه.

و ربما يقال أن علمة التأخير هى أنهم أرادوا أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وآله عند الصباح أمام أعين بنى هاشم حتى يروا أن قاتله جماعة و ليس واحداً.

(٢) و انقشع الظلام شيئاً فشيئاً، و انفجر الصبح، و دبّ فى المشركين شوق غريب، مع اقتراب ساعة الصفر، فقد كانوا يتصوّرون بأنهم سينالون ما يريدون قريباً، و بينما هم ينتضون سيوفهم دخلوا حجره رسول الله صلى الله عليه وآله، و بينما هم يهّمون بأخذ من كان

راقداً فى الفراش بسيوفهم، إذا بهم يواجهون علياً

(١) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٢٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٩١

عليه السلام يثب فى وجوههم و هو يكشف عن نفسه برد رسول الله صلى الله عليه وآله الأخضر، و قال لهم فى منتهى الطمأنينة و

الشجاعة: ما شأنكم؟ و ما ذا تريدون؟؟

فقالوا له بغضب: أين محمد؟

فقال عليه السلام: اجعلتموني عليه رقيقا؟!

(١) فغضب القوم غضبا شديدا، و كاد الغيظ يخنقهم، فقد ندموا على انتظارهم انفجار الصبح و حملوا أبا لهب الذى منعهم من تنفيذ الهجوم على النبى فى منتصف الليل فشل الخطء و تفويت الفرصة، فاقبلوا عليه يلومونه و يوبخونه!!  
أجل لقد انزعجت قريش بشدة لفشل هذه المؤامرة، و وجدوا انفسهم أمام هزيمة نكراء بددت كل أحلامهم، و حيث أنهم كانوا يتصورون بأن النبى صلى الله عليه و آله لا يستطيع الخروج عن حدود مكة فى مثل تلك المدة القصيرة فهو إما مختبئ فى مكة، أو أنه لا يزال فى طريق المدينة، لذلك أقدموا فوراً على العمل على ترتيب أمر ملاحقته و القبض عليه.  
(٢)

### النبى فى غار ثور:

ان ما هو مسلم به هو أن رسول الله صلى الله عليه و آله أمضى هو و أبو بكر ليلة الهجرة و ليلتين اخريين بعدها فى غار ثور الذى يقع فى جنوب مكة فى النقطة المحاذية للمدينة المنورة «١».  
و ليس من الواضح كيف تمت هذه المصاحبة و المرافقة و لما ذا، فان هذه المسألة من القضايا التاريخية الغامضة.  
فان البعض يعتقد بان هذه المصاحبة كانت بالصدفة، فقد رأى رسول الله صلى الله عليه و آله أبو بكر فى الطريق، فاصطحبه معه الى غار ثور.

(١) حيث ان الطريق المؤدى الى المدينة تقع فى شمال مكة، فاخْتبأ النبى صلى الله عليه و آله فى منطقة مقابلة أى فى اسفل مكة، ليعمى بذلك على قريش فلا يتبعوا أثره.  
سيد المرسلين، ج١، ص: ٥٩٢  
و روى فريق آخر أن رسول الله صلى الله عليه و آله ذهب فى نفس الليلة إلى بيت أبى بكر، ثم خرجا معا فى منتصف الليل إلى غار ثور «١».

و قال فريق ثالث: أن أباً بكر جاء هو بنفسه يريد النبى و كان صلى الله عليه و آله قد خرج من قبل فأرشدته «على» إلى مخبأ النبى صلى الله عليه و آله.

و على كل حال فان كثيرا من المؤرخين يعدون هذه المصاحبة من مفاخر الخليفة و مناقبه، و يذكرون هذه الفضيلة و يتحدثون عنها بكثير من الاسهاب و الاطناب، و بمزيد من الاكبار و الاعجاب.

(١)

### قريش تفتش عن النبى:

لقد تسبب فشل قريش فى تغيير خطتها، فقد بادرت إلى بث العيون و الجواسيس فى طرقات مكة، و مراقبة مداخلها و مخارجها مراقبة شديدة، و بعثت القافة تقتص أثره فى كل مكان، و فى طريق مكة- المدينة خاصة.

و من جانب آخر جعلت مائة ابل لمن ياخذ نبي الله، و يرده عليهم أو يأتي عنه بخبر صحيح.  
 و عمد جماعة من قريش إلى ملاحقة رسول الله و التفتيش عنه في شمال مكة، حيث الطريق المؤدى الى المدينة، على حين أن رسول  
 الله صلى الله عليه و آله كان قد اختبأ - كما قلنا- في نقطة بجنوب مكة لافشال عملية الملاحقة.  
 و تصدت مجموعة اخرى لتتبع أثر قدم النبي صلى الله عليه و آله و رفيقه!!  
 و كان الذي يقف لهم الأثر يدعى أبا مكرز فوقف بهم على باب حجرة رسول الله صلى الله عليه و آله فقال هذه قدم محمد، فما زال  
 بهم حتى أوقفهم على باب الغار فانقطع عنه الأثر فقال: ما جاوز محمد و من معه هذا المكان، إما أن يكونا صعدا إلى السماء، أو دخلا  
 تحت الأرض، فان بياب هذا الغار - كما ترون عليه - نسج

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ١٠٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٩٣

العنكبوت و القبجة حاضنة على بيضها بياب الغار «١»، فلم يدخلوا الغار.  
 و لقد استمرت هذه المحاولات بحثا عن النبي صلى الله عليه و آله ثلاثة أيام بلياليها و لكن دون جدوى، فلما يئس القوم بعد ثلاثة  
 أيام من السعي تركوا التفتيش و كفوا عن الملاحقة.  
 (١)

### التفاني في سبيل الحق:

ان النقطة المهمة في هذه الصفحة من التاريخ هي ما قام به على عليه السلام من تفان في سبيل الحق، و الحقيقة.  
 إن التفاني في سبيل الحق من شيمه الرجال الذين أحبوا الحق و عشقوه بكل وجودهم و كيانهم.  
 إن الذين يغضون نظرهم عن كل شيء من أشياء الدنيا و يضخون بالنفس و المال و الشخصية، و يستخدمون كل طاقاتهم المادية و  
 المعنوية في سبيل خدمة الحق، و احيائه، و اقامته هم و لا شك من عشاق الحق و الحقيقة الصادقين.  
 انهم يرون كما لهم و سعادتهم في هدفهم، و هذا هو الذي يدفعهم إلى أن يصرفوا النظر عن الحياة العابرة، و العيش الموقت، و  
 يلتحقوا بركب الحياة الواقعية الأبدية.

(٢) إن مبيت علي عليه السلام في فراش رسول الله صلى الله عليه و آله في تلك الليلة الرهيبة لنموذج بارز من هذا الحب الحقيقي  
 للحق، و العشق الصادق للحقيقة، فان الدافع وراء التطوع لمثل هذه المهمة الخطيرة لم يكن إلا حب «علي» لبقاء الاسلام الذي يكفل  
 سعادة المجتمع، و يضمن ازدهار الحياة، لا غير.

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٢٩ تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٧-٣٢٨ و غيرها، و لقد ذكر عامه المؤرخين هذه الكرامة هنا، و لا  
 ينبغي - نظرا لما ذكرناه في قصة الفيل و هلاك أبرهة و جنده بواسطة الابل، تأويل مثل هذا الكرامات.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٩٤

إن لهذه التضحية و التفاني من القيامة العظمى بحيث مدحها الله تعالى في كتابه العظيم، و وصفها بأنها كانت تضحية صادقة لكسب  
 مرضاه الله، فان الآية التالية نزلت - حسب رواية أكثر المفسرين - في هذا المورد:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ» (١).

(١) ان عظمة هذه الفضيلة و اهمية هذا العمل التضحيى العظيم دفعت بكبار علماء الاسلام إلى اعتبارها واحدة من أكبر فضائل الإمام على عليه السلام و إلى أن يصفوا بها عليا بالفداء و البذل و الايثار، و إلى ان يعتبروا نزول الآية المذكورة فى شأنه من المسلمات كلما بلغ الحديث فى التفسير و التاريخ إليها (٢).

إن هذه الحقيقة مما لا ينسى أبدا فانه من الممكن اخفاء وجه الواقع و التعتيم عليه بعض الوقت إلا أنه سرعان ما تمزق أشعة الحقيقة الساطعة حجب الاوهام، و تخرج شمس الحقيقة من وراء الغيوم.

إن معاداة معاوية لأهل بيت النبوة و بخاصة للإمام أمير المؤمنين على عليه السلام مما لا يمكن النقاش فيه.

فقد أراد هذا الطاغية من خلال تطميع بعض صحابة النبى صلى الله عليه و آله أن يلوّث صفحات التاريخ اللامعة و يخفى حقائقه بوضع الاكاذيب، و لكنه لم يحرز فى هذا السبيل نجاحا.

(٢) فقد عمد «سمره بن جندب» الذى ادرك عهد رسول الله صلى الله عليه و آله ثم انضم بعد وفاته صلى الله عليه و آله إلى بلاط معاوية بالشام، عمد إلى تحريف الحقائق لقاء اموال أخذها من الجهاز الأموى، الحاقده على أهل البيت. فقد طلب منه معاوية باصرار أن يرقى المنبر و يكذب نزول هذه الآية فى شأن

(١) البقرة: ٢٠٧.

(٢) مسند أحمد: ج ١ ص ٨٧، و كنز العمال: ج ٦ ص ٤٠٧، و قد نقل كتاب الغدير: ج ٢ ص ٤٧-٤٩ طبعه لبنان مصادر نزول هذه الآية فى شأن على عليه السلام على نحو التفصيل، فراجع.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٩٥

على عليه السلام، و يقول للناس أنها نزلت فى حق قاتل على (أى عبد الرحمن بن ملجم المرادى)، و يأخذ فى مقابل هذه الاكذوبة الكبرى، و هذا الاختلاق الفضيع الذى أهلك به دينه مائة ألف درهم.

فلم يقبل «سمره» بهذا العرض و لكن معاوية زاد له فى المبلغ حتى بلغ اربعمائة ألف درهم. فقبل الرجل بذلك فقام بتحريف الحقائق الثابتة، مسودا بذلك صفحته السوداء اكثر من ذى قبل و ذلك عند ما رقى المنبر و فعل ما طلب منه معاوية (١).

(١) و قبل السامعون البسطاء قوله، و لم يخطر ببال أحد منهم أبدا ان (عبد الرحمن بن ملجم) اليمنى لم يكن يوم نزول الآية فى الحجاز بل لعله لم يكن قد ولد بعد آنذاك. فكيف يصح؟!

و لكن الحقيقة لا يمكن ان تخفى بمثل هذه الحجب الواهية، و لا يمكن ان تنسى بمثل هذه المحاولات العنكبوتية الرخيصة.

فقد تعرّضت حكومة معاوية و تعرض أهلها و انصارها للحوادث، و اندثرت آثار الاختلاق و الافتعال الذى وقع فى عهده المشؤوم، و طلعت شمس الحقيقة و الواقع من وراء حجب الجهل و الافتراء مرة اخرى، و اعترف اغلب المفسرين الأجلّة (٢) و المحدثين الافاضل- فى العصور و الادوار المختلفة، بأن الآية المذكورة نزلت فى «ليلة المبيت» فى بذل على عليه السلام و مفاداته النبى صلى الله عليه و آله بنفسه (٣).

(١) لا حظ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ٤ ص ٧٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ج ١٣ ص ٢٦٢، و لقد أعطى ابن أبى الحديد حق الكلام حول هذه الفضيلة.

(٣) سمره بن جندب من العناصر المجرمة فى الحكومة الاموية، و لم يكتف سمره بتحريف الحقائق و قلبها بما ذكرناه، بل أضاف الى ذلك- حسب رواية ابن ابى الحديد- أمرا آخر أيضا اذ قال:

و نزل فى شأن «على» قول الله: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ» (البقرة:

(٢٠٤).

و من جرائم هذا الرجل انه قتل يوم ولّى البصرة على عهد زياد بن أبيه فى العراق ثمانية آلاف -

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٥٩٦

(١)

### كلام من ابن تيمية:

#### إشارة

احمد بن عبد الحليم الحرّانى الحنبلىّ الذى مات فى سجن بدمشق عام ٧٢٨ من علماء السنّة، تعود إليه اكثر معتقدات الوهابيين، و أفكارهم.

ولابن تيمية هذا آراء و مواقف خاصة من النبىّ الاكرم صلّى الله عليه و آله و أمير المؤمنين، و عامّة أهل بيت النبوة، و قد صرح باكثر آرائه و معتقداته هذه فى كتابه «منهاج السنّة».

و قد دفعت عقائده المنحرفة و آراؤه الضالّة الكثير من علماء عصره إلى تكفيره، و التبرّى منه.

و لابن تيمية رأى عجب حول هذه الفضيلة نذكره للقارئ الكريم مع تصرف بسيط فى الألفاظ «١»

و من المؤسف ان يكون قد تأثر بآرائه بعض السدّج و الجاهلين، فنجدهم يشيعون آراءه فى المجتمع من دون تحقيق فيما قال، و من دون مراجعة ذوى الاختصاص لمعرفة رأيهم فى أفكاره و معتقداته و هم غافلون عن أنّ مثل هذه الآراء قد صدرت من منحرف و كذّبه بل و كفره بسببها أهل مذهبه.

هذا و إليك خلاصة رأيه فى فضيلة «المبيت».

(٢) يقول: ان مبيت «علّى» فى فراش رسول الله صلّى الله عليه و آله لا تعدّ

– ممّن كانوا يحبون أهل البيت و يوالونهم و عند ما سأله معاوية: هل تخاف ان تكون قد قتلت أحدا بريئا؟

أجاب قائلاً: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت!!

هذا و مخازى هذا الرجل اكثر من ان تستوعبه هذه الصفحات القلائل.

و سمره هذا هو ذلك الرجل الصلف الجاف الذى رد على رسول الله صلّى الله عليه و آله طلبه بأن يراعى حقّ جاره فى قضية النخلة مرارا فقال له رسول الله صلّى الله عليه و آله له: «إنك رجل مضارّ و لا ضرر و لا ضرار فى الاسلام» و لمزيد التوضيح راجع كتب الحديث و التراجم و التاريخ.

(١) راجع السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٢٦٣ و سبعة الجاحظ فى العثمانية.

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٥٩٧

فضيلة لأن علينا عرف من طريقتين بانه لن يصيبه شيء فى تلك الليلة:

الأوّل إخبار رسول الله صلّى الله عليه و آله الصادق المصدّق نفسه اياه بذلك إذ قال له فى نفس تلك الليلة: «نم فى فراشى فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه»!!

الثانى: أنّ النبىّ صلّى الله عليه و آله كلّفه بردّ الودائع و أداء الامانات التى اودعها أهل مكة عند رسول الله صلّى الله عليه و آله، إلى أصحابها.



فعلم - من ذلك - أنه لن يقتل و الا لكلف رسول الله صلى الله عليه وآله الآخرين بها.  
 فعرف «علي» من هذا التكليف أنه لن يلحقه أذى في هذه العمليّة و انه سيوفّق لأداء ما كلفه به رسول الله صلى الله عليه وآله.  
 (١)

### الجواب:

و قبل أن نجيب عن هذا الكلام على نحو التفصيل نقول إجمالاً: إن ابن تيميةً بانكاره هذه الفضيلة أثبت فضيلةً أعلى لعلّي عليه السلام لأنه إما كان إيمان عليّ بصدق مقالة الرسول كان إيماناً عادياً، و إما أن كان إيماناً قوياً جداً، و كانت جميع أقوال النبي صلى الله عليه وآله و آله و إخباراته لديه - في ضوء إيمانه - كالنهار في وضوحه.

(٢) و على الفرض الأوّل لم يكن لعلّي يقين بنجاته من تلك الواقعة لأنه لا يحصل لمثل هذه الطبقة من الناس (و لا شك أن عليّاً ليس منهم حتماً) يقين من كلام النبي صلى الله عليه وآله، و حتى لو قبلوا به في الظاهر، فانهم سيساورهم القلق، و لا يفارقهم الاضطراب، و اذا هم باتوا في فراشه في لحظات الخطر، فانه سيقون فريسةً الخوف و الوجل و ستمرّ في نفوسهم احتمالات كثيرة حول مال الأمر و مصيره، و سيتمثل أمامهم شيخ الموت المرعب في كل لحظة و آن.

و على هذا الفرض لا بد أن يقال: بأنّ عليّاً عليه السلام لم يقدم على هذا الأمر الخطير إلّا و هو يحتمل الهلاك على أيدي المشركين، لا أنه بات و هو يتيقن

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٩٨

النجاة و السلامة.

(١) و أما بناء على الفرض الثاني فانه تثبت لعلّي عليه السلام فضيلةً أعلى و اعظم، لأن إيمان الرجل يجب ان يبلغ من القوة و الكمال بحيث لا يفرّق بين صدق كلام النبي و بين وضوح النهار أي أنهما يكونان عنده بمنزلة سواء.  
 و لا شك ان أهمية مثل هذا الايمان لا يمكن أن يعاد لها شيء.

و نتيجة هذا الايمان هي أن النبي صلى الله عليه وآله عند ما قال له: نم في فراشي فلن يصيبك من هجوم الاعداء الحاقدين مكروه أن ينام في فراش النبي صلى الله عليه وآله بقلب واثق بالسلامة، و نفس مطمئنة الى النجاة، و من دون أن يخالج نفسه أقل احتمال للخطر.

و لو كان مراد ابن تيميةً من قوله: ان عليّاً كان واثقاً من سلامته، لأن الصادق المصدّق أخبره بذلك هو: إثبات أعلى درجات الإيمان لعلّي عليه السلام فقد اثبت له عليه السلام من حيث لا يشعر اكبر فضيلةً، و أعلى منقبةً، و هي كمال الايمان و الثقة برسول الله صلى الله عليه وآله و آله و أخباره.

هذا هو الجواب الاجمالي و إليك الجواب التفصيلي:

(٢)

### الجواب التفصيلي:

فنقول عن الدليل الأول: إن عبارة «لا يخلص إليك شيء تكرهه» لم ينقلها بعض أرباب السيرة و رجال علم التاريخ الذين لهم سابقة لا تنكر في هذا الصعيد «١».

نعم روى ابن الاثير المتوفى عام ٦٣٠ «٢»، و الطبري المتوفى عام ٣١٠ «٣» هذه العبارة و كأنما قد اخذاها عن ابن هشام في سيرته «٤» التي نقل فيها تلك العبارة



- (١) مثل مؤلف الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ المولود عام ١٦٨ و المتوفى عام ٢٣٠، و كذا المقرئ في امتاع الاسماع، عند ذكرهم لتفاصيل قضية المبيت.
- (٢) التاريخ الكامل: ج ٢ ص ٧٢.
- (٣) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٩٩.
- (٤) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٨٣.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٥٩٩

بالصورة المتقدمة الذكر، خاصة أن عبارة دينك المؤلفين (الطبرى و ابن الأثير) تطابق عبارة ابن هشام في هذا المجال تماما. هذا مضافا إلى أن القضية لا توجد بهذه الصورة في مؤلفات علماء الشيعة على ما نعلم.

- (١) و لقد نقل شيخ الطائفة الامامية محمد بن الحسن الطوسى المتوفى عام ٤٦٠ فى أماليه قصة الهجرة بشكل اكثر تفصيلا و دقة، و ذكر العبارة المذكورة مع تغيير بسيط، إلا أنه تختلف صورة القضية مع ذلك عما هي عليه فى كتب أهل السنة، فانه رحمه الله يصرح بان عليا عليه السلام انطلق هو و «هند بن أبى هالة» ابن خديجة و ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله فى منتصف الليل بعد ليلتين من الهجرة حتى دخلا على النبى صلى الله عليه وآله فقال صلى الله عليه وآله لعلي: «إنهم لن يصلوا من الآن إليك يا على بأمر تكرهه حتى تقدم علي» (١).

- (٢) و هذه الجملة تشبه الجملة التى ذكرها ابن هشام و الطبرى و ابن الأثير، و لكن النبى صلى الله عليه وآله قالها لعلي عليه السلام مطمئنا إياه بعد ليلتين من المبيت فى الفراش، و ليس ليلة المبيت كما يروى الثلاثة المذكورون. هذا علاوة على أن كلام على نفسه خير شاهد على ما نقول:

فلقد عدّ عليّ عليه السلام عمله هذا (أى المبيت فى فراش رسول الله صلى الله عليه وآله فى تلك الليلة الرهيبة) نموذجا من بذله و تفانيه فى سبيل الحق كما يتضح ذلك بجلاء من اشعاره حيث يقول:

وقيت بنفسى خير من وطأ الحصاو من طاف بالبيت العتيق و بالحجر  
محمد لما خاف أن يمكروا به فوقاه ربى ذو الجلال من المكر  
و بت اراعى منهم ما يسوؤنى و قد و طنت نفسى على القتل و الأسر  
و بات رسول الله فى الغار آمناناك و فى حفظ الاله و فى ستر «٢»

- (١) الأمالى: ج ٢ ص ٨٤.

- (٢) المصدر السابق و غيره، هذا مضافا إلى أن الإمام عليه السلام قد استنشد المسلمين مرارا بهذه القضية مستدلا بها على تفانيه فى سبيل الاسلام.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٠٠

- (١) و مع هذه العبارات الصريحة لا مجال للاعتماد على قول ابن هشام الذى تدل قرائن كثيرة على خطأه، و يحتمل، احتمالا قويا، بأن اشتباهه و خطأه قد نشأ من تلخيصه لسيرة ابن اسحاق، و حيث أنه (و نعى ابن هشام) قد بنى فى سيرته على الاختصار لذلك اكتفى بنقل أصل العبارة، مهما ظرف النطق بها لعدم أهمية زمن النطق بها و أنها قيلت فى الليلة الثانية او الثالثة، فى نظره، و روى الموضوع بنحو يوهم بان جميع هذه الامور وقعت فى ليلة واحدة!!

و يؤيد رأينا هذا أيضا الحديث المعروف الذى رواه كثير من علماء السنة و الشيعة و هو: أن الله أوحى إلى جبرئيل و ميكائيل عليهما

السلام أتى قد آخيت بينكما و جعلت عمر احدكما أطول من عمر صاحبه فابكما يؤثر أخاه.

و كلاهما كره الموت، فوحى الله إليهما: عبد اى ألا كنتما مثل ولىي «علّى» آخيت بينه و بين «محمّد» نبيى فآثره بالحياة على نفسه؟ أو قال: قد على فراشه يقيه بمهجته.

ثم أمرهما بالهبوط إلى الأرض و حراسه على و حفظه من عدوه «١».

(٢) و اما الدليل الثانى الذى يستفيد منه ابن تيمية أن عليا كان يعلم بمصيره هو توصية النبي صلى الله عليه وآله له بأداء الامانات و الودائع إلى أهلها، التى كانت تكشف عن ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلم بأنه لن يصل إليه مكروه، و لهذا امره برّد الودائع و الامانات إلى أصحابها.

و لكننا نعتقد ان فى مقدورنا الحصول على حلّ لهذه المشكّلة إذا استعرضنا بقية قصة الهجرة بشكل صريح و كامل. و إليك بقية قصة الهجرة.

### الخطيب و قضية المبيت:

و ينبغى أن نختم هذا الفصل بما كتبه الاستاذ عبد الكريم الخطيب حول

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣٩ نقلا عن احياء العلوم للغزالي.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٠١

مبيت على عليه السلام فى فراش رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: لقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله عليا ليلة الهجرة، و طلب إليه أن يبيت فى المكان الذى اعتاد الرسول صلى الله عليه وآله ان يبيت فيه، و ان يتغطى بالبرد الحضرمى الذى كان النبي صلى الله عليه وآله يتغطى به حتى اذا نظر ناظر من قريش الى الدار رأى كأن النبي صلى الله عليه وآله نائم فى مكانه مغطى بالبرد الذى يتغطى به، و هذا الذى كان من على فى ليلة الهجرة اذا نظر إليه فى مجرى الاحداث التى عرضت للامام على فى حياته بعد تلك الليلة فانه يرفع لعيني الناظر امارات واضحة و اشارات دالة على ان هذا التدبير الذى كان فى تلك الليلة لم يكن أمرا عارضا بل هو عن حكمه لها آثارها- الى ان قال- انه اذا غاب شخص الرسول كان على هو الشخصية المهيأة لأن تخلفه و تمثّل شخصه و تقوم مقامه، حين نظرنا إلى على و هو فى برد الرسول و فى مثوى منامه الذى اعتاد أن ينام فيه فقلنا: هذا خلف الرسول صلى الله عليه وآله و آله و القائم مقامه «١».

(١)

### بقية قصة هجرة النبي:

انتهت المراحل الاولى لنجاة رسول الله صلى الله عليه وآله وفق تخطيط صحيح، بنجاح، فقد لجأ رسول الله صلى الله عليه وآله فى منتصف الليل الى غار ثور، و اختبأ فيه، و بذلك أفضل محاولة المتآمرين عليه.

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله طوال هذا الوقت مطمئنا لا يحسّ فى نفسه بأى قلق أو اضطراب، حتى انه طمأن رفيق سفره عند ما وجده مضطربا فى تلك اللحظات الحساسة بقوله:

«لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» «٢».

و بقي هناك ثلاث ليال محروسا بعين الله تعالى و مشمولاً بعنايته و لطفه،

(١) راجع كتاب على بن أبى طالب بقيه النبوة و خاتم الخلافة ص ١٠٣-١٠٥ ملخصاً.  
(٢) التوبة: ٤٠.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٠٢

و كان يتردد عليه صلى الله عليه و آله فى هذه الاثناء على عليه السلام و هند ابن ابى هالة (ابن خديجة) على رواية الشيخ الطوسى فى أماليه، و عبد الله بن أبى بكر و عامر بن فهيرة راعى اغنام أبى بكر (بناء على رواية كثير من المؤرخين).  
يقول ابن الاثير. كان عبد الله بن أبى بكر يتسمع لهما بمكة نهاره ثم يأتيهما ليلاً، و كان يرعى غنمه نهاره على مقربة من الغار، و كان اذا غدا من عندهما عفى على أثر الغنم «١».

(١) يقول الشيخ الطوسى فى أماليه: عند ما دخل على عليه السلام و هند على رسول الله صلى الله عليه و آله فى الغار (بعد ليلة الهجرة) أمر رسول الله صلى الله عليه و آله علياً أن يتاع بعيرين له و لصاحبه، فقال أبو بكر: قد كنت أعددت لى و لك يا نبى الله راحلتين نرتحلهما الى يثرب.  
فقال رسول الله صلى الله عليه و آله إنى لا آخذهما و لا أحدهما إلا بالثمن. ثم أمر صلى الله عليه و آله علياً عليه السلام فدفع إليه. ثمن البعيرين «٢».

و كان من جملة وصايا رسول الله صلى الله عليه و آله لعلى عليه السلام فى الغار فى تلك الليلة ان يؤدى أمانته على أعين الناس ظاهراً و ذلك بأن يقيم صارخاً بالابطح غدوة و عشياً: ألا من كان له قبل محمد أمانة او وديعة فليأت فلنؤد إليه أمانته «٣».  
(٢) ثم أوصاه صلى الله عليه و آله بالفواطم (و الفواطم هن: فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه و آله الحبيبة لديه، و الأثيرة عنده، و فاطمة بنت أسد أم على عليه السلام و فاطمة بنت الزبير و من يريد الهجرة معه من بنى هاشم)، و أمره بترتيب أمر ترحيلهم معه الى يثرب و تهيئة ما يحتاجون إليه من زاد و راحلة.  
و هنا قال صلى الله عليه و آله عبارته التى تدرع بها ابن تيمية فى دليله

(١) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٧٣ مع تصرف.

(٢) أمالى الشيخ: ج ٢ ص ٨٢. سيد المرسلين ج ١ ص ٦٠٢ بقيه قصة هجرة النبى: ..... ص : ٦٠١

(٣) الكامل: ج ٢ ص ٧٣، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٥٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٠٣

الأول: «انهم لن يصلوا من الآن إليك يا على بامر تكرهه حتى تقدم على».

(١) فالملاحظ للقارئ هو أن رسول الله صلى الله عليه و آله إنما قال هذه العبارة عند ما أمره باداء أمانته، و ذلك بعد انقضاء قضية ليلة المبيت.

أى انه أمر علياً بذلك، و قال له تلك العبارة و هو يتهيأ للخروج من غار ثور.

يقول الحلبي فى سيرته: «وصى رسول الله صلى الله عليه و آله فى احدى الليالى و هو بالغار علياً رضى الله عنه بحفظ ذمته و اداء امانته ظاهراً على اعين الناس» «١».

و ثم ينقل عن مؤلف كتاب «الدر» ما يقتضى انه اجتمع به عند خروجه من لغار.

و خلاصة القول: انه مع رواية شيخ جليل من مشايخ الشيعة الامامية كالشيخ الطوسى بالاسناد الصحيحة أن الأمر بردّ الودائع و الامانات

صدر من جانب النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام بعد ليلة المبيت لا يحق لنا أن نعارض هذا النقل الصحيح، ونعمد إلى الهاء العامة بالتوافه، وأما رواية مؤرخي أهل السنة هذا المطلب بشكل آخر يوحى ظاهره بأن جميع وصايا النبي صلى الله عليه وآله لعلي تمت في ليلة واحدة هي ليلة الهجرة (ليلة المبيت) فقابل للتفسير والتوجيه، لأنه لا يبعد أن عنايتهم كانت مركزة على رواية أصل الموضوع، ولم يكن لظرف صدور هذه الوصايا والأوامر وقت بيانها أهمية عندهم.

(٢)

### الخروج من الغار:

هتأ على عليه السلام بأمر النبي صلى الله عليه وآله ثلاث رواحل و دليلاً أميناً يدعى أريقط ليترحلوها إلى المدينة، و يدلّهم الدليل على طريقها و أرسل كل ذلك إلى الغار.

(١) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٠٤

ولما سمع النبي صلى الله عليه وآله رغاء البعير أو نداء الدليل نزل هو وصاحبه من الغار و ركبا البعيرين و توجهتا من أسفل مكة إلى «يثرب» سالكين إلى ذلك الخط الساحلي، و قد جاء ذكر المنازل التي مرّ بها في السيرة النبوية لابن هشام «١» و في الهوامش المثبتة على التاريخ الكامل لابن الاثير «٢».

(١)

### صفحة التاريخ الاولى:

اجل لقد حلّ الظلام في كل مكان، و لملمت الشمس أشعتها الذهبية من هذا الوجه من الكرة الأرضية لتوجهها الى الوجه الآخر منها. و عاد جماعة من رجال قريش الذين سلكوا كل طريق في مكة و ضواحيها بحثاً عن النبي، ثلاثة أيام، بلياليها، الى بيوتهم و منازلهم متعبين مرهقين، و قد يسوا من الظفر بالجائزة (و هي مائة من الإبل) التي وضعتها سادة قريش جائزة لمن يأخذ محمّداً أو يدل على مكانه، و اعيد فتح طريق مكة- المدينة التي اغلقت لهذه الغاية بعد اليأس من الظفر برسول الله صلى الله عليه وآله- «٣».

و في هذه اللحظات بالذات بلغ نداء الدليل الذي كان يصطحب معه ثلاث رواحل و مقداراً من الطعام، الى مسمع رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و رفيقه و هما في الغار و قد كان يقول بصوت خافت: لا بد ان نتخذ من ظلام هذا الليل ستراً، و نسرع في الخروج من حدود المكين، و نختار طريقاً يقلّ سالكوه و لا يهتدى إليه أحد.

و يبدأ تاريخ المسلمين من العام الذي تضمّن تلك الليلة بالضبط، و جعل المسلمون يقيسون كل ما يقع من الحوادث بذلك العام و بذلك يحددون تاريخه و زمان حدوثه.

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج ١ ص ٤٩١.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٧٥.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ١٠٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٠٥

(١)

**لما ذا أصبح العام الهجرى مبدأ للتاريخ:**

إن الاسلام أكمل الشرائع السماوية قاطبة، وقد جاء الى البشرية بما تضمنه بشريعه موسى وعيسى عليهما السلام ولكن بصورة أكمل وبصيغة تطابق وتمشى مع جميع الظروف والأوضاع.

و مع أن السيد المسيح عليه السلام و ميلاده المبارك يحظى بالاحترام عند المسلمين إلا أن ميلاده عليه السلام لم يتخذ لديهم مبدأ للتاريخ، و التوقيت.

و كانت العرب قد جعلت عام الفيل «١» مبدأ لتاريخها، و كانت تقيس حوادثها و امورها إليه فترة من الزمن، و مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد ولد في ذلك العام نفسه، إلا أن المسلمين لم يتخذوه مع ذلك مبدأ للتاريخ، لأنه لم يكن ينطوى على ما يتصل بقضية الإيمان و الاسلام

و لاجل هذا أيضا لم يتخذوا عام البعثة مبدأ لتاريخ المسلمين أيضا لأن عدد المسلمين لم يكن يتجاوز في ذلك اليوم ثلاثة أشخاص، إذن فلم يكن في اي واحد من تلك الحوادث ما يعطى مبررا قويا لاتخاذها مبدأ للتوقيت و التاريخ، إذ لا بد ان يكون ما يتخذ لذلك قضية مصيرة بالغة الأهمية.

و لكنه في السنة الاولى من الاعوام الهجرية حقق المسلمون انتصارا عظيما و باهرا، و قد اسست فيه حكومه مستقلة و تخلص المسلمون من التشرذم و التبعر، و تمركزت قواهم و عناصرهم في نقطة واحدة، و بيئه حرة لا أثر فيها للكبت و الاضطهاد، من هنا جعلوا ذلك العام (أى العام الذى تحققت فيه هجرة النبى العظيم) مبدأ لتاريخهم، و اخذوا يقيسون إليه- و حتى الآن- كل ما يحدث و يقع من خير و شر، لتحديد تاريخ وقوعه.

من هنا يكون قد مضى على عام هجرة النبى صلى الله عليه وآله من مكة الى المدينة الف و اربعمائة و تسعة اعوام.

(١) و هو العام الذى سير فيه أبرهه جيشا لهدم الكعبة تتقدمه الفيلة. راجع المحجّر: ص ٥-٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٠٦

(١)

**من الذى جعل الهجرة مبدأ للتاريخ؟**

على العكس مما هو مشهور بين المؤرخين من أن الخليفة الثانى جعل هجرة النبى صلى الله عليه وآله مبدأ للتاريخ باقتراح و تأييد من الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام و امر بأن تؤرخ الدواوين، و الرسائل و العهود و ما شابه ذلك بذلك التاريخ، فان الامعان فى مراسلات النبى صلى الله عليه وآله و مكاتباته التى هى مدرجة فى الأغلب فى كتب التاريخ و السيرة و الحديث و السنة، و كذا غير ذلك من الأدلة التى سوف نذكرها فى هذه الصفحات يثبت أن النبى صلى الله عليه وآله هو نفسه أول من اعتمد تلك الحادثة الكبرى كمبدأ للتاريخ،

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٠٩

و كان يؤرّخ رسائله، و كتبه إلى امراء العرب، و زعماء القبائل و غيرهم من الشخصيات البارزة بذلك التاريخ (أى التاريخ الهجرى).  
و ها نحن ندرج هنا نماذج من تلك الرسائل النبوية المؤرخة بهذا التاريخ، ثم نعلم بعد ذلك الى استعراض الدلائل الاخرى على هذا الأمر، و نحن نحتمل ان تكون هناك أدلة اخرى غير ما سنذكره هنا- أيضا- لم نقف عليها.  
(١)

### نماذج من رسائل النبي المؤرخة:

#### إشارة

(٢) ١- طلب سلمان من النبي صلى الله عليه وآله ان يكتب له و لأخيه (ماه بنداذ) و لأهله وصية مفيدة ينتفع بها، فاستدعى رسول الله صلى الله عليه وآله عليا و أملى عليه امورا، و كتبها على عليه السلام ثم جاء فى آخر تلك الوصية:  
«و كتب على بن أبى طالب بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فى رجب سنة تسع من الهجرة» (١).  
(٣) ٢- أدرج المؤرخ الشهير «البلاذرى» فى كتابه «فتوح البلدان» نصّ معاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله مع يهود «المقنا» و ذكر أن مصريا رأى نص هذه المعاهدة فى جلد أحمر اللون عتيق و كان قد استنسخها، فقر أهالى.  
ثم نقل البلاذرى نص تلك المعاهدة و قد جاء فى نهايتها:  
«و ليس عليكم امير الامن انفسكم أو من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله [و آله] و سلم و كتب على بن أبو طالب فى سنة تسع» (٢) و مع أن «أبا طالب» يجب أن يكتب حسب القواعد الادبية فى المقام «أبى طالب» لكونه مضافا إليه فقد كتب: «على بن أبو طالب» و لكن مع ذلك ذكر المحققون ان قبيلة قريش كانت تتلفظ لفظه أب فى جميع الموارد (أى فى حالة النصب و الرفع و الجر) ب: «أبو» و تكتبها كذلك أيضا، و قد صرح الاصمعى بهذا من بين الادباء.  
و يقول البروفيسور «محمد حميد الله» مؤلف كتاب «الوثائق السياسية»: انى

(١) اخبار اصفهان تأليف ابى نعيم: ج ١ ص ٥٢ و ٥٣.

(٢) فتوح البلدان: ص ٧٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١٠

لما كنت فى المدينة المنورة فى شهر محرم سنة ١٣٥٨ وجدت فى الكتابة القديمة التى فى جنوبى جبل سلع فى المدينة المنورة «أنا على بن أبو طالب» (١).

(١) ٣- جاء فى معاهدة الصلح التى نظمها «خالد بن الوليد» لاهل دمشق، و نص فيها على احترام دمائهم، و اموالهم و كنائسهم: «و كتب سنة ثلاث عشرة» (٢).

و كلنا نعلم أن دمشق فتحت فى أواخر حياة الخليفة الأول.

فما يدعيه البعض من ان التاريخ الهجرى قد اتخذ فى عهد الخليفة الثانى بارشاد و تأييد من الإمام على عليه السلام غير صحيح فان تاريخ ذلك يرتبط بالسنة السادسة عشرة او السابعة عشرة من الهجرة، و الحال ان هذه المعاهدة قد نظمت و دوّنت و ارخت بالتاريخ الهجرى قبل ذلك بأربع سنوات.

(٢) ٤- ان كتاب الصلح الذى كتبه الإمام عليه عليه السلام بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لنصارى نجران مؤرّخ بالسنة الهجرية الخامسة.

فقد جاء في هذه الرسالة:

«و أمر عليا ان يكتب فيه انه كتب لخمس من الهجرة» (٣).

ان هذه الجملة تفيد بوضوح ان النبي الاكرم صلى الله عليه وآله هو واضع التاريخ الهجرى و مؤسسهُ الاوّل و هو الذى أمر عليا عليه السلام بان يؤرخ ذلك الكتاب بالتاريخ الهجرى فى ذيله.

(٣) ٥- جاء فى مقدمة الصحيفة السجادية: قال جبرئيل و هو يفسر رؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وآله: «تدور رحى الاسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشر، ثم تدور رحى الاسلام على رأس خمس و ثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمسا، ثم لا بد من رحى ضلالة هي قائمة على قطبها» (٤).

(١) مكاتب الرسول: ص ٢٨٩ نقلا عن شرح ملا على القارى لشفاء القاضى عياض، و كذا الوثائق السياسية.

(٢) الاموال: طبعه مصر ص ٢٩٧.

(٣) الترايب الادارية: ج ١ ص ١٨١ نقلا عن السيوطى.

(٤) مقدمة الصحيفة السجادية، سفينة البحار: ج ٢ ص ٦٤١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١١

(١) ٦- يروى المحدثون الاسلاميون أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لام سلمة:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يقتل حسين بن على بن على رأس ستين من مهاجرى» (١).

(٢) ٧- قال أنس بن مالك: «حدثنا أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ان النبي صلى الله عليه وآله قال: لا تأتى مائة سنة من الهجرة و منكم عين تطرف» (٢).

(٣) ٨- أرخ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله فى ايام حياته الحوادث الاسلامية بهجرته فقالوا: وقع كذا فى الشهر كذا من الهجرة، مثلا كانوا يقولون:

حولت القبلة من بيت المقدس الى الكعبة فى شهر شعبان سنة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا او ثمانية عشر شهرا (٣).

على رأس ثمانية عشر شهرا فرض صوم شهر رمضان (٤).

و قال عبد الله بن انيس أمير الوفد الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله:

خرجت من المدينة يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس أربعة و خمسين شهرا (٥).

و قال محمد بن سلمة عن غزوة القرطاء: خرجت فى عشر ليال خلون من المحرم فغبت تسع عشرة و قدمت لليلة بقيت من المحرم على رأس خمسة و خمسين شهرا (٦).

إنّ هذا النوع من تاريخ الحوادث و الوقائع يكشف عن ان المسلمين كانوا الى السنة الخامسة من الهجرة يقيسون الحوادث بهجرة النبي صلى الله عليه وآله و يؤرخون بها عن طريق عدّ الأشهر، حتى إذا كانت السنة الخامسة من الهجرة

(١) مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٩٠.

(٢) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٦٧.

(٣) نفس المصدر: ج ١ ص ٣٦٨.

(٤) المغازى: ج ٢ ص ٥٣١ تحقيق الدكتور مارسدن جونسن.

(٥) المغازى: ج ٢ ص ٥٣١.

(٦) المغازى: ج ٢ ص ٥٣٤.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١٢

أمر رسول الله صلى الله عليه وآله باحلال السنة الهجرية مكان الشهر الهجري (كما مرّ في الرسالة رقم ٤) حيث أمر النبي صلى الله عليه وآله بان يورّخ الكتاب الذي كتبه لنصارى نجران بالعام الهجري.

(١) ٩- نقل المحدثون الاسلاميون عن الزهري قوله: ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما قدم المدينة مهاجرا أمر بالتاريخ فكتب في ربيع الأوّل (اي شهر قدومه المدينة) «١».

(٢) ١٠- روى «الحاكم» عن «ابن عباس» ابن التاريخ الهجري بدأ من السنة التي قدم فيها النبي صلى الله عليه وآله المدينة «٢». إن هذه النصوص تحكى عن أنّ قائد الاسلام الأكبر قد أوضح مسألة التاريخ من اليوم الاول. وانه جعل هجرته مبدءاً لذلك التاريخ. غاية ما هنا لك أنّ هذا التاريخ كان إلى فترة من الزمن يعدّ بالأشهر ثم حل العدّ بالأعوام منذ حلول السنة الخامسة من الهجرة محل العدّ بالأشهر.

(٣)

### سؤال:

و يمكن ان يسأل سائل: اذا كان حقا أن النبي صلى الله عليه وآله هو مؤسس التاريخ الهجري و واضعه الاول فما ذا نفعل بالخبر الذي رواه كثير من المحدثين و المؤرخين.

فانهم يقولون: رفع رجل إلى عمر صكا مكتوبا على آخر بدين يحلّ عليه في شعبان فقال عمر: اي شعبان؟ أمن هذه السنة أم التي قبلها أم التي بعدها؟

ثم جمع الناس (أى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله) فقال: ضعوا للناس شيئا يعرفون به حلول ديونهم ... فيقال: ان بعضهم أراد أن يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم كلما هلك ملك أرخوا من تاريخ ولاية الذي بعده فكهوا ذلك.

(١) فتح الباري: ج ٧ ص ٢٠٨، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٨٨ طبعه دار المعارف.

(٢) مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٣ و ١٤ و قد صححه على شرط مسلم.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١٣

و منهم من قال: ارخوا بتاريخ الروم من زمان اسكندر فكهوا ذلك لطوله أيضا.

و قال آخرون: أرخوا من مولد رسول الله صلى الله عليه وآله.

و قال آخرون: أرخوا من مبعثه. و اشار على بن أبى طالب عليه السلام أن يؤرخ من هجرية الى المدينة لظهوره على كل أحد، فانه أظهر من المولد و المبعث، فاستحسن عمر ذلك و الصحابة، فأمر عمر أن يؤرخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله «١».

(١)

### الجواب:

إنّ هذا القسم من التاريخ لا يمكن الاستناد إليه في مقابل النصوص الكثيرة التي وصفت الرسول العظيم صلى الله عليه وآله بكونه واضح التاريخ الهجري و مؤسسه الأول.

هذا مضافا إلى أنه من الممكن أن يكون التاريخ الهجري الذي وضعه النبي الكريم صلى الله عليه وآله قد تعرّض للترك، و فقد



رسميته بمرور الزمن وقله الحاجة إلى التاريخ و لكن جدد في زمن الخليفة الثاني، بسبب اتساع نطاق العلاقات و اعيد الاهتمام به لاشتداد الحاجة إليه في هذا العهد.

(٢)

### التذكير بنقطتين:

(٣) ١- لا نجد في الاقتراحات التي عرضت على الخليفة في مجال التاريخ أى ذكر للتاريخ المسيحى الذى يجعل ميلاد السيد المسيح عليه السلام مبدأ للتاريخ.

و العلة هى: أن التاريخ الميلادى ظهر فى القرن الرابع الإسلامى بين

(١) البداية و النهاية: ج ٧ ص ٧٣ و ٧٤، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٢ ص ٧٤، الكبير لابن الاثير: ج ١ ص ١٠. سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١٤

المسيحيين بعد سلسلة من المحاسبات التخمينية، فهو لم يكن رائجا قبل ذلك.

(١) ٢- ان البلاد و الاقطار الاسلامية بحاجة اليوم إلى الوحدة و الاتفاق اكثر من اى زمن مضى.

و من مظاهر تلك الوحدة هو السعى للحفاظ على التاريخ الإسلامى الهجرى.

و من هنا يتوجب على الاقطار الاسلامية ان تقيم كل روابطها، و علاقاتها على أساس التاريخ الهجرى، شمسيا كان أو قمريا.

و ان هذا الأمر بحاجة الى مؤتمر إسلامى كبير يشترك فيه كبار الشخصيات الفكرية الاسلامية من أجل توحيد التاريخ، و دراسة السبل الكفيلة بالوصول الى هذا الأمر، و التخلص من التبعية الغربية فى التاريخ.

ان من المؤسف جدا أن تتجاهل بعض الدول الاسلامية و العربية التاريخ الهجرى و تعتمد التاريخ الميلادى المسيحى، حتى أن شيخ الجامع الأزهر الذى يشكل قمة القيادة الدينية فى المجتمع السنى يؤرخ رسائله بالتاريخ الميلادى، و لا يذكر الى جانبه التاريخ الهجرى على الأقل!! «١»

(٢)

### مؤامرة الطاغوت:

و كانت ايران من الاقطار الاسلامية التى حافظت بشدة على التاريخ الهجرى، و اعتمدته فى اعمالها، و لكن فى المؤامرة التى نفذت بواسطة الطاغية المقبور فى عام ١٣٩٩ هـ استبدلت التاريخ الهجرى بالتاريخ الشاهنشاهى و اعلن فى وسائل الاعلام عن وجوب اعتماد هذا التاريخ المختلق بدل التاريخ الهجرى الاصيل!!

و لقد تصوّر الطاغوت الأرعن أنه يستطيع بحذف التاريخ الهجرى، و استبداله

(١) و قد رأيت أنا شخصيا رساله من شيخ الجامع الأزهر الاسبق هو الشيخ محمود عبد الحليم و عليها التاريخ الميلادى فحسب!!

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١٥

بالتاريخ الشاهنشاهى المشؤوم تثبيت قواعد حكومته المهزوزة، و سلطانه المنخور، و نظامه الظالم المهترئ، مدة أطول، و لكن العناية

الالهية، و هممة الشعب الإيراني المسلم العالية، و قيادة الاستاذ الاكبر آية الله العظمى الإمام الخميني قدس سره الشريف أفشلت هذه المحاولة النكراء، و آل الأمر إلى اسقاط النظام الشاهنشاهي بثورة الشعب المجيدة و اقامة حكومة الجمهورية الاسلامية على انقاض الحكم الملكي المباد، و احلال التاريخ الهجري الاسلامي المبارك محلّ التاريخ الشاهنشاهي المختلق. و الحمد لله (١).

(١)

### برنامج الرحلة في حادث الهجرة:

لقد كان على رسول الله صلى الله عليه وآله ان يقطع - للوصول الى المدينة- ما يقرب من اربعمائة كيلومترا، و لا شك أن طي هذه المسافة الطويلة تحت تلك الحرارة العالية الدرجة بحاجة إلى خطة صحيحة، لضمان السلامة، خاصة و انهم كانوا يخافون من ان يقوم الأعراب الذين كانوا ربما يصادفونهم في اثناء الطريق باخبار قريش بهم، و لهذا كانوا يسرون ليلا و يستريحون نهارا. و يبدو أن شخصا شاهد النبي و من معه في اثناء الطريق فرجع إلى مكة و أخبر قريشا بذلك فخرج «سراقة بن مالك بن جعشم» يطلبهم طمعا في جائزة قريش الكبرى فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله و قد صرف قريشا عن ملاحقة النبي صلى الله عليه وآله قبل ذلك ليتفرد بها. (٢)

(٢) يقول ابن الاثير: تبعهم سراقة فلحقهم فقال أبو بكر: يا رسول الله ادر كنا الطلب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تحزن إن الله معنا».

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم اكفني شرّ سراقة بما شئت» فجمع به فرسه و طرحه أرضا.

(١) يستخدم في ايران تاريخ هجري آخر هو التاريخ الهجري الشمسي و هو ينفع لمعرفة الفصول و ما شاكل ذلك.

(٢) التاريخ الكامل: ج ٢ ص ١٠٥.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١٦

فعلم سراقة أن هذا من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله و لهذا قال بنبرة المعتذر الملتمس: يا محمّد هذه إبلى بين يديك فيها غلامى.

و ان احتجت الى ظهر (اي مركوب) أو لبن فخذ منه فقد حكمتك فى مالى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا حاجة لى فى مالك. (١).

(١) و روى المجلسى ان سراقة قال: فسلى حاجه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ردّ عنا من يطلبنا من قريش.

فانصرف سراقة فاستقبله جماعة من قريش فى الطلب فقال لهم: انصرفوا عن هذا الطريق فلم يمرّ فيه أحد، و أنا اكفيكم هذا الطريق فعليكم بطريق اليمن و الطائف.

و هكذا ما كان يمرّ باحد إلّا و صرفه عن البحث عن النبي صلى الله عليه وآله فى هذا الطريق بمثل هذا الكلام.

(٢) ثم إن كتاب السيرة من الشيعة و السنّة يذكرون لرسول الله صلى الله عليه وآله كرامات كثيرة فى طريق مكة- المدينة و نحن ندرج واحدة بعضها:

مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله فى اثناء الطريق على خيمة أمّ معبد و كانت امرأة شجاعة فاضله فنزلوا بخيمتها و طلبوا منها تمرا و لحما أو لبنا يشترون.

فقلت: ما يحضرني شيء و كانت أغنامها قد اصيبت بالهزال بسبب الجذب، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى شاة في جانب من الخيمة فقال صلى الله عليه وآله لها: ما هذه الشاة يا أمّ معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد من الغنم فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين ان أحلبها؟

(١) يذكر كثير من المؤرخين كابن الاثير في الكامل: ج ٢ ص ١٠٥، والمجلسي في البحار: ج ١٩ ص ٧٥-٨٨ القصة كما نقلناها هنا، ولكن مؤلف حياة محمد يقول: ان سراقه تطير لما كبابه فرسه و القى في روعه أن الآلهة مانعة منه ضالته.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١٧

قالت: نعم ان رأيت بها حلبا فاحلبها.

(١) فدعا بها رسول الله صلى الله عليه وآله، فمسح بيده ضرعها، و سَمَى الله عز و جل، و دعا لها في شاتها قائلاً: اللهم بارك لها في شاتها فدرت لبنا كثيرا بفضل دعائه صلى الله عليه وآله، فطلب إناء و حلبها، فسقاها أولا حتى روّيت ثم سقى أصحابه حتى رووا و شرب هو آخرهم، و قال:

«ساقى القوم آخرهم شربا».

ثم حلب الشاة مرة ثانية فغادره عندها، و ثم ارتحلوا عنها إلى المدينة. (١)

و قد ذكرت هذه الكرامة في كثير من كتب السيرة و التاريخ، و هو أمر ممكن في رؤية المؤمن بالله، لأن الدعاء أحد الاسباب التي تستطيع أن تؤثر في الطبيعة، و شأنها شأن غيرها من الكرامات التي ورد ذكرها في الكتب الدينية و صدقته التجربة (٢).

(٢)

### النزول في قرية قباء:

تقع قرية قباء على ميلين من المدينة على يسار القاصد الى مكة و كانت مساكن «بنى عمرو بن عرف» و مركزهم. و لقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله و من معه إلى قباء في الثاني عشر من شهر ربيع الاول يوم الاثنين، و نزل على «كلثوم بن الهرم» و هو شيخ من بنى عمرو و كان ثمة جمع كبير من المهاجرين و الانصار ينتظرون قدومه، و يستخبرون وروده. و لقد لبث رسول الله صلى الله عليه وآله في قباء إلى آخر أيام الاسبوع، و قد خط في هذا الفترة مسجدا لقبيلة «بنى عمرو بن عوف»، و نصب قبلته (٣).

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٤٣ و ج ١٩ ص ٩٩-١٠٣، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٣٠ و ٢٣١، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٣٣، أسد الغابة: ج ١ ص ٣٧٧.

(٣) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٣٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١٨

و كان البعض ممن رافق رسول الله صلى الله عليه وآله يصرّ عليه أن يسارع في الدخول إلى المدينة، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله كان ينتظر ابن عمه عليا.

و يقول: فما أنا بداخلها حتى يقدم ابن امي و أخي، و ابنتي (يعني عليا و فاطمة عليهما السلام) (١).

(١) و أقام عليّ عليه السلام بمكة ثلاث ليال بياؤها، حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه وآله الودائع التي كانت عنده للناس فقد وقف عليه السلام على مكان مرتفع في مكة و نادى قائلاً:

«من كان له قبل محمّد أمانة أو وديعة فليأت فلتؤدّ إليه أمانته».

فكان يأتيه من له امانته او وديعة عند رسول الله صلى الله عليه وآله و يذكر علامتها و يأخذها فلما فرغ عليه السلام من اداء الامانات و الودائع خرج بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و أمه فاطمة بنت اسد، و فاطمة بنت الزبير و آخرين ممن لم يكن قد هاجر مكة حتى تلك الساعة، و توجه بهم نحو المدينة ليلا سالكا بها طريقا في «ذى طوى».

(٢) كتب الشيخ الطوسي في أماليه في هذا الصدد يقول: إن جواسيس قريش عرفت بسفر علي مع تلك الجماعة، فخرجوا لملاحقتهم، لغرض اعادتهم الى مكة، فادركوهم في منطقة «ضجنان».

و وقع بين رجال قريش و بين علي عليه السلام تلاح و تناوش، و أخذ و ردّ، و دنا الرجال من النسوة، و المطايا ليثوروا فحال علي عليه السلام بينهم، و بينها، و لم يجد عليه السلام طريقا إلّا أن يدافع عن حرم الاسلام و المسلمين، فشدّ عليهم بسيفه شدة الأسد الغضب و الليث الغيور و هو يقول مرتجزا:

خلّوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

(١) الفصول المهمة لابن صباغ المالكي: ص ٣٥ دون ان يذكر اسما، و أمالي الشيخ الطوسي: ج ٢ ص ٨٣.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦١٩

(١) فلما وجدوا ما به من الجدّ و الغضب خافوه و تفرّقوا عنه و قالوا- بنبرة الخائف المتضرع:- احبس عنّا نفسك يا ابن أبي طالب، فقال عليه السلام:

«فإني منطلق إلى ابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله يثرب فمن سرّه ان افرى لحمه و اهريق دمه فليتبعني، و ليدن مني».

فتركه القوم و عادوا من حيث أتوا، و واصل الركب رحلته باتجاه المدينة.

يقول ابن الاثير: قدم «علي» المدينة و قد تفتّرت قدماه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ادعوا لي عليّ، قيل: لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله و آله و اعتقه و بكى رحمة لما بقدميه من الورم «١».

و لقد قدم رسول الله قباء في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، و التحق به علي عليه السلام في منتصف ذلك الشهر نفسه «٢»، و يؤيد هذا القول ما ذكره الطبري في تاريخه اذ كتب يقول: و اقام علي بن ابي طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال و أيامها حتى أدى عن رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم الودائع التي كانت عنده الى الناس «٣».

(٢)

### المدينة تهبّ لقدم النبي:

و لقد كان يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وآله يوما عظيما جدا، و مشهودا.

فكم ترى ستكون عظيمة فرحة الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله منذ ثلاث سنوات، و ظلوا طوال هذه الأعوام يبعثون برسولهم و وكلائهم إليه، و يذكرون اسمه المقدس، و يصلّون عليه في صلواتهم كل يوم، إذا سمعوا أن

(٢) إمتاع الأسماع: ص ٤٨ و على هذا تكون محاصرة بيت رسول الله صلى الله عليه وآله قد تمت ثلاث ليال قبل شهر ربيع الاول من السنة الاولى من الهجرة، و قد خرج النبي من داره ليلة الاثنين و دخل غار ثور و بقى ما كثر فيه ثلاثة أيام، و خرج منه ليلة الخميس اول ربيع الاول و توجه نحو المدينة و وصل قباء فى الثانى عشر منه راجع تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٣) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٣٨٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٢٠

قائدهم ذلك الذى طال انتظارهم اياه، و اشتد تشوقهم إليه كائن عند ميلين من مدينتهم قد نزل فى قبا اياما، و سيقدم إليهم و يدخل مدينتهم بعد ايام؟ و كم سيكون مبلغ ابتهاجهم، و أى ابتهاج ترى سيعم كل صغير و كبير؟ إنه حقا لأمر يعجز القلم عن بيانه، و يكمل اللسان عن وصفه.

(١) و لقد كان لفتية الأنصار و شبابهم الضامئين إلى الاسلام الحنيف برنامج رائع و عظيم، فقد كانوا عمدوا بغية تطهير جو المدينة من ادران الوثنية الى كل صنم فى المدينة كان يقَدَس و يعبد فاحرقوه و كسروه، و قد كان كل شريف فى بيته صنم يمسه و يطيبه، و لكل بطن من الأوس و الخزرج صنم فى بيت لجماعة يكرمونه و يطيبونه، و يجعلون عليه منديلا و يذبون له «١».

و لا بأس فى أن نذكر نموذجا من هذا العمل الجليل الذى قام به الانصار فى التخلص من الوثنية:

لما قدم من بايع من الأنصار فى العقبة الثانية الى المدينة اظهروا الاسلام بها و فى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دين الشرك و عبادة الأوثان منهم «عمرو بن الجموح» و كان من سادات بنى سلمة و شريفا من أشرفهم و كان ابنه «معاذ» بن عمرو قد شهد بيعه العقبة.

(٢) و كان عمرو هذا قد اتخذ فى داره صنما من خشب يقال له: مناة، كما كانت الاشراف يصنعون، تتخذة إليها تعظمه و تطهره، فلما أسلم فتيان بنى سلمة: معاذ بن جبل، و ابنه معاذ بن عمرو بن الجموح كانوا يتسللون فى الليل إلى صنم عمرو بن الجموح فيحملونه و يطرحونه فى بعض حفر بنى سلمة و مزابلها، و فيها فضلات الناس و عذرها منكسا على رأسه!!

فاذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟

ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله و طهره و طيبه. ثم قال للصنم: أما و الله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزيتك!

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٠٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٢١

فاذا أمسى و نام عمرو عدوا عليه ثانية ففعلوا به مثل ما فعلوا به أولا.

فيغدو فيجده فى مثل ما كان فيه من الأذى و الوسخ فيغسله و يطهره و يطيبه، ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك.

(١) فلما اكلوا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله و طهره و طيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه، ثم قال: إننى و الله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خير فامتنع، و دافع عن نفسك فهذا السيف معك.

فلما أمسى و نام عمرو عدوا على ذلك الصنم فأخذوا السيف من عنقه، ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل، ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس و فضلاتهم. ثم غدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به.

فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب، ميت، فلما رآه و أبصر شأنه و كلمه من اسلم من رجال قومه فاسلم، و هجر الوثنية و الأوثان و حسن إسلامه.

فقال حين أسلم و عرف من الله ما عرف و هو يذكر صنمه ذلك، و ما أبصر من شأنه و يشكر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العمى و الضلالة:

و الله لو كنت إليها لم تكن أنت و كلب وسط بئر فى قرن

اف لملقاك إليها مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن  
فالحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين  
هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مرتهن  
بأحمد المهدي النبى المرتهن  
(١)

### النبى يدخل المدينة:

(٢) بعد أن التحق على عليه السلام و من معه برسول الله صلى الله عليه وآله فى قباء توجه رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة و لما انحدر من ثنية الوداع (و

(١) اسد الغابة: ج ٤ ص ٩٩.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٢٢

هى منطقة قريبة من المدينة) و حط قدمه على تراب يثرب استقبله الناس رجالا و نساء، كبارا و صغارا، استقبالا عظيما و رحبوا به اعظم ترحيب، و ردّد المرحّبون أنا شيد الترحيب التالية:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع (١) و كانت بنو عمرو بن عوف قد اجتمعت عنده و أصرت عليه بأن ينزل فى قباء و قالوا: أقم عندنا يا رسول الله فإننا أهل الجدّ و الجلد، و الحلقة (أى السلاح) و المنعة، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقبل.

و بلغ الأوس و الخزرج خروج رسول الله صلى الله عليه وآله و قرب نزوله المدينة فلبسوا السلاح و أقبلوا يعدون حول ناقته لا يمرّ بحى من أحياء الانصار إلّا و ثبوا فى وجهه و أخذوا بزمام ناقته و أصروا عليه بأن ينزل عليهم هذا و رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: خلّوا سبيلها فانها مأمورة.

و اخيرا لما انتهت ناقته- و كان صلى الله عليه وآله قد أرخى زمامها- إلى باب المسجد الذى هو اليوم، و لم يكن مسجدا إنما كان أرضا واسعة ليتيمين من الخزرج يقال لهما: سهل و سهيل و كانا فى حجر أسعد بن زرارة فبركت الناقة على باب «ابى أيوب» خالد بن زيد (١) الانصارى الذى كان على مقربة من تلك الأرض.

فاغتنمت أم أبى أيوب الفرصة فبادرت إلى رحل رسول الله صلى الله عليه وآله فحلته و أدخلته منزلها، بينما اجتمع عليه الناس و يسألونه أن ينزل عليهم.

فلما أكثروا عليه، و تنازعوا فى أخذه قال صلى الله عليه وآله أين الرحل؟؟

فقالوا: يخوف أم أيوب قد ادخلته فى بيتها.

فقال صلى الله عليه وآله: «المرء مع رحله» و أخذ أسعد بن زرارة بزمام

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٠٨ و لكن ذهب البعض كصاحب الكامل فى التاريخ الى أنهما كانا فى حجر معاد بن عفراء.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٢٣

الناقفة فحوّلها الى منزله «١».

(١)

### أصل النفاق و منشؤه:

كانت الأوس و الخزرج قد اتفقتا على أن تملك عبد الله بن ابي بن سلول (رئيس المنافقين و كبيرهم) عليهم، و ذلك قبل أن تباع رسول الله صلى الله عليه و آله في العقبة و تؤمن به و تعتنق الاسلام، و لكن هذا القرار الغي بعد اتصال الأوس و الخزرج برسول الله صلى الله عليه و آله، من هنا حنق عبد الله بن ابي على رسول الله صلى الله عليه و آله و اضمر له العداوة منذ ذلك الحين، و لم يؤمن برسول الله صلى الله عليه و آله إلى آخر حياته، بل كان يوافق باسلامه.

و لما دخل رسول الله صلى الله عليه و آله المدينة و شاهد عبد الله بن ابي ذلك الاستقبال و الترحيب العظيم لرسول الله صلى الله عليه و آله الذي قام بهما الأوس و الخزرج، شق عليه ذلك جدا، و لم يستطع اخفاء حنقه و غضبه، وحده و عداوته للنبي صلى الله عليه و آله!

فعند ما انتهى صلى الله عليه و آله إلى عبد الله بن ابي- و قد أرخى صلى الله عليه و آله زمام ناقته لتبرك حيث تريد، أخذ عبد الله كتمه و وضعه على أنفه، و قد ثارت الغبرة بسبب الزحام و قال للنبي صلى الله عليه و آله بنبرة الحائق الغاضب: يا هذا اذهب إلى الذين غرّوك و خدعوك و أتوا بك، فانزل عليهم، و لا تغشنا في ديارنا!!

(٢) فقام سعد بن عباد- و قد خشى أن يسوء رسول الله صلى الله عليه و آله هذا الموقف الوقح الشرير فقال: يا رسول الله لا يعرض في قلبك من قول هذا شيء، فإنّا كنّا اجتمعنا على ان نملكه علينا، و هو يرى الآن أنّك قد سلبتة أمرا قد كان أشرف عليه «٢».

(١) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٤١.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٠٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٢٤

(١) هذا و يتفق عامة المؤرخين و كتاب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه و آله دخل يثرب يوم الجمعة، و صلى صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم، و كانت هذه أول جمعة جمّعها رسول الله صلى الله عليه و آله في الاسلام فخطب في هذه الجمعة و هي أول خطبة خطبها في المدينة، و قد تركت هذه الخطبة البديعة البليغة التي لم يسمع اهل المدينة مثلها لفظا و معنى من قبل، أثرا عميقا و طيبا في قلوبهم و نفوسهم.

و قد أدرج ابن هشام نصّ الخطبة في سيرته «١» كما أدرجها المجلسي في بحاره «٢» أيضا.

غير أن عبارات و مضامين الخطبة التي نقلها ابن هشام و اثبتها في سيرته تختلف عما رواها و اثبتها المجلسي، و للاطلاع على ذلك يراجع المصدران المذكوران.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠٠ و ٥٠١.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٢٦.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٢٥

## إشارة

- ١- فهرس الآيات القرآنية
  - ٢- فهرس الأحاديث الشريفة
  - ٣- فهرس الأشعار
  - ٤- فهرس الأعلام
  - ٥- فهرس القبائل و الامم
  - ٦- فهرس الكنى و الألقاب
  - ٧- فهرس الوقائع و الأيام
  - ٨- فهرس الأماكن و البلدان
  - ٩- فهرس المذاهب و الأديان و نظم الحكم
  - ١٠- فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة
  - ١١- فهرس المواضيع
- سيد المرسلين ، ج ١، ص: ٦٢٧

## (١) فهرس الآيات القرآنية

- البقرة- ٢ الآية رقمها الصفحة
- وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْنَاتِ / ٧٨ / ٢٤١  
 وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ / ٨٩ / ٢٨١ و ٣٥٠  
 رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا / ١٢٦ / ١٤٢ و ١٤٥  
 رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا / ١٢٩ / ٣٥٠  
 إِذْ قَالَ لِنَبِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي / ١٣٣ / ١٣١  
 إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا / ١٣٤ / ٢٤٠  
 وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ / ١٤٣ / ٣٠٨  
 الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ / ١٤٦ / ٣٤٩  
 إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ / ١٧٤ / ٣٤٩  
 شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ / ١٨٥ / ٣٤٤  
 قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ / ١٨٩ / ٦٠٦  
 وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ / ٢٠٤ / ٥٩٥  
 كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً / ٢١٣ / ٣١٦  
 يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ / ٢١٩ / ٤٥  
 وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ / ٢٣١ / ٦٣  
 وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ / ٢٣٣ / ٦٢



قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا / ٢٧٥ / ٤٩

وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ / ٢٧٥ / ٥٠

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا / ٢٧٨ و ٢٧٩ / ٤٩

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٢٨

آل عمران - ٣ وَ كَفَلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ / ٣٧ / ٢٢٣

يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ / ٤٢ / ٢٤١

وَ أَنْبَأَكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ / ٤٩ / ٤٧٩

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ / ٦١ / ٤٧٩

وَ لَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا / ٦٧ / ٢٤٠

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ / ٨١ / ٣٤٨

وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ / ١٤٥ / ٣٥٥

وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا / ١٥٣ / ٤٢

وَ كُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ / ١٥٣ / ٦٦

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ / ١٦٤ / ٣٥٠

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ / ١٨٧ / ٣٤٩

النِّسَاء - ٤ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ / ١٩ / ٦٣

وَ لَا تَتَّكِفُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ / ٢٢ / ٦٩

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا / ٥٦ / ٤٤١

وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا / ٨٢ / ٤٤٩

إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ / ١٧١ / ٢٤١

المائدة - ٥ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ / ٣ / ٤٧

وَ قَالُوا أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ / ٤٥ / ٤٧٥

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ / ٧٥ / ١٠١

إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ / ٩٠ / ٣٠٢

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لَا ... / ١٠٣ / ٤٤

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ / ١٠٤ / ٤٧٥

الأنعام - ٦ وَ لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ / ٧ / ٤٣٦

وَ قَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ / ٨ / ٤٧٥

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٢٩

وَ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنُ / ١٩ / ٣٥١

إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ / ٥٠ / ٣٢٨

لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي / ٧٧ / ١٢١

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ / ٧٩ / ١٢٥

وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ... / ٨٤ / ٢٣٩  
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ / ١٠٠ / ٤٣  
 الأعراف - ٧ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ / ١٢٧ / ١٢١  
 وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ / ١٥٧ / ٤٥ و ٤٧ و ٨٣  
 الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ / ١٥٧ / ٢٢٤  
 فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ / ١٥٧ / ٢٥٨  
 الأنفال - ٨ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا / ٣٠ / ٥٨٦  
 التوبة - ٩ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا / ٣٦ / ٢٤٥  
 إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ / ٣٧ / ٤٩ و ٢٥٦  
 لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا / ٤٠ / ٦٠١  
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ / ٨٤ / ٢٤٠  
 وَالسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ / ١٠٠ / ٤١٩  
 وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً / ١٢٢ / ٣٥٥  
 مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ / ١١٣ - ١١٤ / ١٣٢  
 يونس - ١٠ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ... / ١٥ / ٣١٠ و ٤٧٦  
 قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ / ١٦ / ٢٤٢ و ٣٠٠ و ٢٩٧  
 هود - ١١ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ / ١٣ / ٤٧٢  
 تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ / ٤٩ / ٣٥٦  
 سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٣٠  
 الرعد - ١٣ وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ / ٣٨ - ٤٠ / ٤٣٨  
 إبراهيم - ١٤ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا / ٣٥ / ١٤٥  
 رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ / ٣٧ / ١٤٢  
 الحجر - ١٥ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ / ٦ / ٤٧٢ و ٣٣٢  
 إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ / ٩ / ٤٩١  
 إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ / ٤٢ / ٤٩٦  
 فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ / ٩٤ / ٣٩٢  
 إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ / ٩٥ / ٤١٣  
 النحل - ١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا / ٥٨ و ٥٩ / ٦  
 إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا / ٩٩ / ٤٩٦  
 وَ لَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ / ١٠٣ / ٢٣٥ و ٤٧١  
 إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ... / ١٠٥ و ١٠٦ / ٤١٧  
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ / ١٢٠ / ٢٤٠  
 وَ اصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ / ١٢٧ / ٤٧٧

الإسراء - ١٧ سُبحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا / ١ / ٤٧٨ و ٥٣٨ و ٥٤٨

قُلْ لَيْتِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ / ٨٨ / ١٨١

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ / ٩٠ و ٩٣ / ٤٣٣ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٧٧

وَقَوَّانًا فَرفَقَاهُ لِتَفْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ / ٣٨٥ / ٤٤٣

الكهف - ١٨ و اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ / ٢٨ / ٤٧٧

مريم - ١٩ يا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ / ١٢ / ٢٩٥

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص ٦٣١

وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ... / ١٤ و ١٥ / ٢٤٢

وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ ... / ١٦ - ٣٣ / ٢٠١ و ٢٢٢ و ٢٩٥

إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ / ٤٢ - ٤٧ / ١٣٠

طه - ٢٠ طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ... / ١ - ٨ / ٤٢٦

إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى ... / ٣٧ - ٤٠ / ٢٠٠

رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ... / ٥٠ / ٣١٤

وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ ... / ١١٤ / ٣٤٦

الأنبياء - ٢١ بَلْ قَالُوا أَضْغَاتٌ أَخْلَامٍ / ٥ / ٣٣١

وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ ... / ٥١ - ٧٠ / ٣٧

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ / ٥٧ / ١٣٨

فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا / ٦٤ / ١٣٩

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً / ٨١ / ٢٣٨

الفرقان - ٢٥ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْقُرْآنَ عَلَى عَبْدِهِ ... / ١ / ٣٥١

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ ... / ٤ - ٦ / ٣٠٣ - ٣٠٤ و ٤٧٢

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا ... / ٥ - ٦ / ٤٧٤

وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ / ٧ / ٤٧٥

لَوْ لَا نَزَّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً / ٣٢ / ٤٤٣

كَذَلِكَ لِنُنَبِّئَ بِهِ فُؤَادَكَ / ٣٢ / ٤٤٢ و ٤٤٥

وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا / ٣٢ / ٤٤١

الشعراء - ٢٦ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ / ١٥٣ / ٤٧٢

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ / ١٩٣ - ١٩٥ / ٣٣٦

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ / ٢١٤ / ١٢٨ و ٣٩٢

وَتَقَلُّبِكَ فِي السَّاجِدِينَ / ٢١٩ / ١٩٥

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص ٦٣٢

النمل - ٢٧ و لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا / ١٥ / ٢٣٨

القصص - ٢٨ و قَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي / ٣٨ / ١٢١

- وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ / ٣٠٨ / ٤٦  
 وَ لَكِنَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ / ٤٢ / ٤٦  
 وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ / ٢٩٧ / ٨٦ و ٣٠٨  
 فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ / ٣٠١ / ٨٦  
 الأحزاب - ٣٣ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ / ٣٥١ / ٤٠  
 سبأ - ٣٤ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ / ٧ و ٨ / ٤٤  
 لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ / ٣٣ / ١٥  
 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ / ٣٥١ / ٢٨  
 فاطر - ٣٥ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ / ٣٦ / ٥٣٣  
 يس - ٣٦ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ... فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ / ٩ / ٥٨٨  
 ص - ٣٨ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ ... / ٥ و ٦ / ٤٧٥  
 وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ ... / ٤٥ - ٤٦ / ٢٣٩  
 وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ / ٤٨ / ٢٤٠  
 فصلت - ٤١ حَم تَنْزِيلٍ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... / ١ - ٥ / ٤٣١  
 إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا / ٣٠ / ٤٥٣  
 الفتح - ٤٨ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ / ٤ / ١٧٧  
 سيد المرسلين ، ج ١ ، ص ٦٣٣  
 الطور - ٥٢ فَذَكَّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ / ٢٩ / ٤٧٢  
 النجم - ٥٣ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ... / ١ - ٥ / ٣٣٢  
 وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ... إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ / ٣ و ٤ / ٤٩  
 إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى / ٤ / ٣٢٨  
 أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ... وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى / ١٩ و ٢٠ / ٤٣ و ٤٩٣  
 أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى / ١٢ ، ١٨ / ٥٣٩  
 الصف - ٦١ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ / ٦ / ٣٧٩  
 وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ / ٤٨ / ٤٧٥  
 القلم - ٦٨ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ / ٤ / ٢٥٩  
 وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ / ٤٨ / ٤٧٧  
 الحاقة - ٦٩ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ ... / ٤٢ / ٤٧٢  
 المزمل - ٧٣ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ / ١٠ / ٤٧٧  
 المدثر - ٧٤ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ / ١ و ٣ / ٣٧٩  
 وَثِيَابِكَ فَطَهَّرْ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ / ٤ - ٥ / ٢٩٧  
 وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ / ٥ / ٣٠١  
 ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... / ١١ - ٣٠ / ٤٣٠

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... / ١١ - ٥١ / ٤٦٩

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٣٤

النازعات - ٧٩ فَأَلْمَدَّبَرَاتِ أَمْرًا / ٥ / ١٧٧

أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى / ٢٤ / ١٢١

عبس - ٨٠ عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ... / ١ - ١١ / ٤٨١

التكوير - ٨١ وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ / ٨ / ٥٨

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ... / ٢٠ - ٢٨ / ٣٣٢

البروج - ٨٥ قَتِيلَ أَضْحَابِ الْأَخْدُودِ / ٤ - ٩ / ١٦١

الضحى - ٩٣ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ... / ١ - ١١ / ٣٨٠

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ... / ٦ - ٧ / ٢٩٧

وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ... / ٨ / ٢٩٨

الانشراح - ٩٤ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ / ١ - ٤ / ٣٠٠

وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ / ٤ / ٢٠٩

العلق - ٩٦ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ... / ١ - ٥ / ٣٢٢

القدر - ٩٧ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ / ١ - ٣ / ٣٤٤

الفيل - ١٠٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ... / ١ - ٥ / ١٦٥

الكوثر - ١٠٨ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ / ١ - ٤ / ٥٠٩

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٣٥

الكافرون - ١٠٩ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ / ٤٧٦

المسد - ١١١ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ... / ١ - ٥ / ٤١٤

سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٣٦

## (٢) فهرس الأحاديث الشريفة

نص الحديث القائل الصفحة آمنت قبل الناس بسبع سنين / (على) / ٣٦٢

أ تعلمون أن الله فضل في كتابه السابق ... / (على) / ٣٦٣

اجتمعت على هذه الامه مصيبتان ... / (النبي) / ٣٦٤

أخذ الله على الوحي ميثاقهم ... / (على) / ٣١٦

أ رأيتمكم إن اخبرتمكم أن العدو مصبحكم / (النبي) / ٤٠١

أرسله على حين فترة من الرسل / (على) / ٩٢

أرسله بالضياء و قدمه في الاصطفاء / (على) / ٩٤

ارسلت إلى الناس كافة / (النبي) / ٣٥١

استرضع لولدك بلبن الحسان / (الباقر) / ٢١٨

أسلمت قبل ان يسلم الناس بسبع سنين / (على) / ٣١٦

- اضاءت به البلاد بعد الضلالة المظلمة / (علي) / ٩٤
- اعطيت الشفاعة و هي نائلة من امتي من لا يشرك / (النبى) / ٥٣٣
- أفضل نساء امتي اربع .. / (النبى) / ٢٥٩
- العيافه و الطيره و الطرق من الجبت ... / (النبى) / ٨٢
- اللهم أنيس المستوحشين / (النبى) / ٢٨٧
- اللهم لا أعرف عبدا من هذه الامه عبدك ... / (علي) / ٣٦٢
- اللهم اكفنى شر سراقه بما شئت / (النبى) / ٦١٥
- اللهم بارك لها فى شاتها / (النبى) / ٦١٧
- إلى شهادة ان لا إله إلا الله / (النبى) / ٥١
- سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٣٧
- الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء / (النبى) / ٥٦٣
- أما و الله لاستغفرن لك و لأشفعن فيك شفاعه / (النبى) / ٥٢٩
- أمنكم أحد أسلم مع رسول الله / (علي) / ٣٦١
- أنا أول رجل أسلم مع رسول الله / (علي) / ٣٦١
- أنا اول من اسلم مع النبى (علي) / ٣٦١
- أنا اول من صلّى مع رسول الله / (علي) / ٣٦١
- انا رسول الله بعثنى إلى العباد أدعوهم الى ... / (النبى) / ٥٦٧
- انا الصديق الاكبر آمنت قبل ان يؤمن ابو بكر / (علي) / ٣٦١
- انتم على قومكم بما فيكم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم / (النبى) / ٥٧٢
- أنشدكم الله أيها الرهط أ تعلمون أن ... / (علي) / ٣٦٤
- أنا عبد الله و اخو رسول الله / (علي) / ٣٥٧
- أنا عبد الله و اخو رسول الله و انا الصديق الاكبر / (علي) / ٣٦١
- انا يا رسول الله اكون وزيرك على ما بعثك الله / (علي) / ٣٩٥
- انظروا من يرضع أولادكم / (علي) / ٢١٨
- ان أولى الناس بامر هذه قديما و حديثا / (علي) / ٣٦٢
- ان كثيرا من التمام شرك / (النبى) / ٨٢
- إن الله بعث محمدا نذيرا للعالمين / (النبى) / ٣٤٨
- ان الله تعالى ما بعث آدم عليه السلام و من بعده / (النبى) / ٣٤٨
- ان الرائد لا يكذب أهله / (النبى) / ٣٩٤
- إن مثل أبى طالب مثل أصحاب الكهف / (الصادق) / ٥٣٠
- إن محمدا (ص) لما دعا إلى الايمان و التوحيد / (علي) / ٣٦٣
- إن الله لا يوصف بمكان و لا يجرى عليه زمان / (الكاظم) / ٥٥٣
- إن هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم / (النبى) / ٣٩٨

- أو تسلمن بمييتي هناك يا نبي الله / (علي) / ٥٨٨
- أولكم واردا عليّ الحوض اولكم اسلاما / (النبي) / ٣٥٨
- سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٣٨
- أى بنى انى و ان لم اكن عمّرت عمر من ... / (علي) / ١١
- أيها الذاكر عليا انا الحسن بن علي / (الحسن) / ٢٦٩
- أيها الناس ان الشمس و القمر آيتان / (النبي) / ٦٩
- ثم إن الله سبحانه بعث محمّدا / (علي) / ٩٤
- حجّ رسول الله (ص) عشر حجات / (الصادق) / ٢٩٤
- زوّجتك خير امتى اعلمهم علما / (النبي) / ٣٥٩
- صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة / (النبي) / ٤١٦
- صليت مع رسول الله ثلاث سنين قبل أن ... / (علي) / ٣٦٣
- عبدت الله مع رسول الله / (علي) / ٣٦١
- عبدت الله قبل ان يعبده أحد من هذه الامة / (علي) / ٣٦٢
- فانى منطلق إلى ابن عمى رسول الله / (علي) / ٦١٩
- فبلغ بالرسالة صادعا بالندارة / (الزهراء) / ٩٥
- فلما بعث الله محمّدا للنبوّة و اختاره للرسالة / (علي) / ٣٦٤
- فى أصلاب النبيين نبي بعد نبي / (الصادق) / ١٩٥
- قولوا لا إله إلاّ الله تفلحوا ... / (النبي) / ٥٦٢
- كنا اذا احمرّ البأس اتقينا برسول / (علي) / ٢٤٤
- لا تبكى يا بتيّة فان الله مانع اباك / (النبي) / ٥٥٦
- لا تسترضعوا الحمقاء / (الباقر) / ٢١٨
- لا و الله ان كنت أول من صدّق به / (علي) / ٣٦٢
- لا و الله ما ابدلنى الله خيرا منها / (النبي) / ٢٦٢
- للدابة على صاحبها ست خصال / (النبي) / ٨٠
- لقد صلّت الملائكة عليّ ، و على عليّ / (النبي) / ٣٦٠
- لم أوامر بذلك (قالها النبي فى جواب من خطب فاطمة) / (النبي) / ٣٦٠
- لم يكن معى من الرجال غيره / (علي) / ٣٦٠
- لو كان مطعم بن عدى حيا لوهبت ... / (النبي) / ٥٦١
- لو وضع ايمان ابى طالب فى كفه ميزان ... / (الباقر) / ٥٢٩
- سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٣٩
- ما أعرف أحدا من هذه الامة عبد الله بعد نبينا غيرى / (علي) / ٣٦٢
- ما من لبن يرضع به الصبى اعظم بركة من لبن أمه / (علي) / ٢١٨
- ما من نبي إلا و قد رعى الغنم / (النبي) / ٢٥٢

- مستقره خير مستقر / (علي) / ٩٣
- من يؤازرنى يكون أخى و وصيى و خليفتى / (النبي) / ٣٩٨
- مهلا يا أماه فان معى من يحفظنى / (النبي) / ٢٩٣
- موعدكم العقبة فى الليلة الوسطى / (النبي) / ٥٧١
- نم فى فراشى فانه لا يخلص إليك شىء / (النبي) / ٥٧١
- و اشهد أن محمدا عبده و رسوله / (علي) / ٩٢
- و اشهد أن محمدا عبده و رسوله ابتعثه و الناس ... / (علي) / ٩٤
- و اشهد أن محمدا عبده و رسوله و سيد عبادہ / (علي) / ١٩٥
- و شفاعتى لمن شهد ان لا إله إلا الله مخلصا / (النبي) / ٥٣٣
- و كيف ينزل على و انتم لا تقصون أظافرکم / (النبي) / ٣٨٢
- و لقد قرن الله به من لدن كان فطيما ملكا / (علي) / ٢٩٤
- و لقد علمتم موضعى من رسول الله / (علي) / ٢٨٦
- يا اماه لا ارى اخوى فى النهار / (النبي) / ٧٠
- يا حميراء ان الله تبارك و تعالى بارك فى ... / (النبي) / ٢٦٣
- يا على أخصمك بالنبوة و لا نبوة بعدى / (النبي) / ٣٦٠
- يا على ان قریشا اجتمعت على المكر بى ... / (النبي) / ٥٨٨
- يا على لك سبع خصال لا يحاجك فيه احد / (النبي) / ٣٦٠
- يا عم و الله لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر ... / (النبي) / ٤٠٥
- سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٤٠

### (٣) فهرس الأشعار

- سيد المرسلين ج ١ ٦٤٠ (٣) فهرس الأشعار ..... ص : ٦٤٠
- لامكم لسهام الجهل شافية ٧٧
- أبنى لا تنس البلية إنها ٧٤
- أبونا شفيع الناس حين سقوا به ٢٨٨
- إذا اختلجت عيني أقول لعلها ٧٩
- إذا اختلجت عيني تيقنت اننى ٧٩
- إذا مت فادفنى بحراء ما بها ٧٤
- إذا مت فادفنى الى جنب كرمه ٦٧
- أربا واحدا أم ألف رب ٥٥ ، ٢٨٣
- اصبرن يا بنى فالصبر احجى ٥١٤
- ألا ان خير الناس بعد محمد ٣٧٣
- ألا حلا فى شقه مشقوقة ٧٧



ألا ليت شعري كيف في الناس جعفر ٤٦٠

ألا هل اتى بحرئنا صنع ربنا ٥٠٨

ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا ٥٢١

أليس أول من صلى لقبلكم ٣٧٢

أما الحرام فالممات دونه ٢٩١

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي ٣٦٣، ٢٩٢

أنت الجليل ربنا لم تدنس ١٨٥

إن صح ما أبصرت في المنام ١٨٥

سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٤١

أن آيات ربنا بينات ١٨٥

إن ابن آمنه النبي محمد ٧٢، ٥١٨

إن عليا لميمون نقيته ٣٧٢

إن الفراغ و الشباب و الجده ٢٧٥

إن الفضول تعاقدوا و تحالفوا ٢٤٩

ان الذين سمو باسم محمد ٢١١

أوصيك يا عبد مناف بعدى ٢٨٩

ان يكن ما اتى به احمد اليوم ٢١٣

بشيئه الحمد اسقى الله بلدتنا ٢٨٧

بناء مكارم و اساءه جرح ٧٧

تشاجرت الاحياء في فصل خطه ٢٨٥

تظل مقاليت النساء يطأه ٧٦

حلفت لنعقدن حلفا عليهم ٢٤٩

خاتمه لما رأت شييا بمفرقه ٧٥

خلوا سبيل المجاهد المجاهد ٦١٨

دعانا الزبير الى بيعة ٣٧٤

دعوت ابا المغوار في الحضر دعوة ٧٨

رأيت عليا لا يلبث قرنه ٣٧٢

سبقتمكم الى الاسلام طرا ٣٦٣

سفته اباه الشمس إلا لثائه ٧٦

سلط الموت و المنون عليه ٥٦

شادن يحلو اذا ما ابتسمت ٧٦

صحوت و اوقدت للجهل نارا ٧٩

صلى الإله و من يحق بعرضه ٢١٤

- طلع البدر علينا ٦٢٢  
 فالزمتنى ذنبا و غيرى جزّه ٧٣  
 سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٤٢  
 فانى اذا كالثور يضرب جنبه ٧٢  
 فان يك حقا يا خديجة فاعلمى ٢١٥  
 فحوطوا عليا فانصروه فانه ٣٧٣  
 فشق له من اسمه ليجلّه ٢١١  
 فصلّى الاله على أحمد ٣٧٤  
 ففى كف احمد قد سبّحت ٢١٤  
 فقل للمضل من وائل ٣٧٤  
 فلا تحسبونا خاذلين محمدا ٥١٤  
 فلا تجعلوها كالبقير و فحلها ٧٣  
 فليت لى بهمو قوما اذا ركبوا ٦٦  
 فلو ان عندى جارتين و راقيا ٧٦  
 فهذا نبى الله أحمد سبّحت ٢١٤  
 فيا رب ان اهلك و لم تروها متى ٥٦  
 فيا ليت ان الجن جازوا حمالتى ٧٨  
 قالوا و قد طال عنائى و السقم ٧٨  
 قد استعدنا بعظيم الوادى ٧٩  
 قلبت ثيابى و الظنون تجول بى ٧٥  
 قل للقوافل و الغزاة إذا غزوا ٧٤  
 قف عند رأيك و اجتهد ٥١٩  
 كذاك الثور يضرب بالهراوى ٧٢  
 كذبتم و بيت الله نبى محمدا ٥١٧  
 كمن يكوى الصحيح يروم براء ٧٣  
 لا تحسبن رثائما عقّدتها ٧٥  
 لعمرى ان عشرت من خيفة الردى ٧٥  
 لعمرى لقد كلفت و جدا بأحمد ٢١٤  
 لعمرى لئن بايعتم ذا حفيظة ٣٧٤  
 سيد المرسلين ، ج ١ ، ص : ٦٤٣  
 لكل ابى بنت يراعى شئونها ٦٣  
 ليت الغراب غداه ينعب دائما ٨٠  
 ليعلم خيار الناس ان محمدا ٥٢١

ما كنت احسب ان الأمر منصرف ٣٧٢  
 مع ابن عم احمد المعلى ٢٦٩  
 مفاجئة قد شفها فقد أحمد ٢١٤  
 من فيه ما فيهم ما تمثرون به ٣٧٣  
 نبيا يرى ما لا يرون و ذكره ٤٨٤  
 نجسته لا ينفع التنجيس ٧٦  
 هذا على و ابن عم المصطفى ٣٧١  
 هذا على و الهدى حقا معه ٣٧٣  
 و ابيض يستسقى الغمام بوجهه ٢٩٠، ٥١٦  
 و إن عليا لكم مصحر ٣٧٣  
 و ساحرة عينى لو أن عينها ٨٠  
 و ان ولى الأمر من بعد محمّد ٣٧١  
 و قيت بنفسى خير من وطأ الحصى ٥٩٩  
 و الله لو كنت الها لم تكن و لا ينفع التعشير ان حمّ واقع ٧٤  
 و لو لا أبو طالب و ابنه ٥٣٣  
 و كلّفتنى ذنب امرئ و تركته ٧٣  
 و كم شققنا من رداء مجبر ٧٧  
 و كم ناديته و الليل ساج ٧٨  
 وصى رسول الله من دون أهله ٣٧٢  
 يا آل فھر لمظلوم بضاعته ٢٤٩  
 يا راكبا بلغن عنى مغلغلة ٤٥٥  
 يا رب يا رب أنت مولاه ٢٦٩  
 سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٤٤  
 يا رب لا أرجو لهم سواك ٢٨٧  
 يا رب ردّ راكبي محمّدا ٢٩٩  
 يا عجبا لهذه الفليقة ٧٨  
 يا كحل قد اثقلت اذنان البقر ٧٢  
 سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٤٥

#### (٤) فهرس الأعلام

(أ) آ پولو ٥٥١.

آزر ١٢٢، ١٢٤، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٠.

إبراهيم (الخليل) ٢٩، ٣٧، ٤٨، ٥١، ٥٤، ٥٩، ٨٩، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤،

١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ٢٠٣، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٨٢، ٢٩٢، ٣٥٠، ٤٩٨.

ابراهيم (بن رسول الله) ٩٦.

ابراهيم بن علي الدينوري ٥٢٨.

أبرهه ١٥٩، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٨٦، ٥٥٢، ٥٩٣، ٦٠٥.

ابن أبي شيبه ٣٦١، ٣٧٧.

ابن أبي الحديد ٢١٤، ٢٦٧، ٢٦٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٨، ٥٢٣.

ابن اسحاق (صاحب السيرة) ٣٧٨، ٣٧١، ٣٥٦.

ابن الاثير ١٧٠، ٢٥٩، ٣٥٧، ٣٦٤، ٤١٣، ٤٥٥، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦١٢، ٦١٥، ٦١٩.

ابن أم مكتوم ٤٨١.

ابن تيمية ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٦٠٠، ٦٠٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٤٦

ابن حجر ٣٥٧.

ابن حذيفة الاسدي ٣٧٣.

ابن حنظلة ٥٢٢.

ابن خالدون ١٦، ٦٤.

ابن ربيعة ٥٥٧، ٥٥٨.

ابن الزبير ٢٥٠.

ابن سعد (صاحب الطبقات) ٣٥٨، ٥٦١.

ابن شهر اشوب

ابن الصباغ المالكي ٦١٨.

ابن طاوس ٢٥٨.

ابن طلحة (الشافعي) ٣٦٣.

ابن عباس ٦٠، ١٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٨، ٦١٢.

ابن عبد البر ٣٧٨.

ابن كثير الشامي ٤١٠، ٥١٦.

ابن ماجه (صاحب السنن) ٣٦١.

ابن مزاحم (مؤلف وقعة صفين) ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٦.

ابن المغازلي ٣٦٠.

ابن المغيرة المخزومي ٢٨٤.

ابن هشام (المؤرخ) ٢١٤، ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٨١، ٢٨٣، ٢٩٦، ٣٤١، ٣٧٧، ٤١٦، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٥٥، ٤٦٨، ٥٠٨، ٥٢١، ٥٤١.

٥٦٣، ٥٧٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠٤، ٦٢٤.

ابن الوليد ٤٣١.

ابي بن خلف.

- أحمد الاحسائي ٥٤٧.
- أحمد (اسم النبي) ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤.
- أحمد بن حنبل ٥٣١، ٥٣٢.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٤٧.
- أحمد بن معين بن خراش ٥٣١.
- أحمد بن عبد الحلیم الحراني ٥٩٦.
- الاحنس بن شريق ٤٣٩، ٤٨٣.
- أردشير بابك ١١٢.
- أرقم بن أبي الارقم ٣٨٨، ٤١٦.
- أريقط ٦٠٣.
- اساف (صنم) ٩٠.
- اسبوتنيك ٥٥١.
- اسحاق المدني ٣٧١.
- أسعد بن زرارة ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٨، ٦٢٣.
- إسفنديار ٤٧٣.
- إسماعيل (النبي) ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٤٨، ٥٢، ٨٩، ١١٩، ١٣١، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٥، ١٥٨، ١٨٨، ١٩٢، ٢٠٥، ٣٥٠.
- الاسكندر ٦١٣.
- الأسود بن المطلب ٤٨٨.
- الأسود بن يغوث ٤٢٣.
- اسيد بن حضير ٥٩٧.
- إلياس (جد النبي) ١٤٦.
- أمية بن أبي الصلت ٤٣٩.
- أمية بن خلف ٣٩٠، ٤١٥، ٤٨٨.
- أمية بن عبد شمس ١٥٠.
- أنس بن رافع ٥٦٧.
- أنس بن مالك ٢٦١، ٢٦٩، ٣٦٤، ٦١١.
- انوشيروان ١٠٢، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٩، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ٢٠٢.
- اياس بن معاذ ٥٦٧.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٤٨.
- (ب) بحيرى (الراهب) ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٧٥.
- بدر من معشر ٢٤٦.
- البراء بن معرور ٥٧١.
- البراق ٥٣٥.

- البراض بن قيس الكنانى ٢٤٧.
- بركة ٢٩١.
- بريد الاسلمى ٣٦٥.
- بلال الحبشى ٤١٥.
- (ت) تبان اسعد ١٦٠.
- توماس كارليل ٨٥.
- تيجاريومس (الامبراطور) ١١٦.
- (ج) جابر بن عبد الله الانصارى ٣٦٤، ٣٦٢، ٢٦٠.
- جاجارين (رائد فضائى) ٥٥١.
- جبر (الغلام المسيحى).
- جيرئيل ٢٦١، ٢٦٧، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٧، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٤٦٤، ٥٠٧، ٥٣٥، ٥٣٩، ٥٨٥، ٥٨٧، ٦٠٠، ٦٠١.
- جعفر بن أبى طالب ٩٦، ٢١٤، ٢٥٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٠٠، ٤٥٤، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٩، ٤٩٣.
- جعفر بن محمّد (الإمام) ١٧٩، ١٩٥، ٢٦٣، ٢٧٥، ٢٩٤، ٥٢٩.
- جلال الدين الطوسى ٢٩٢.
- جندب بن زهير ٣٧٣.
- جنيد بن عبد الرحمن ٣٧٦.
- جواد على (مؤلف) ٩١.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٤٩.
- جونس (دكتور مارسدن) ٦١١.
- (ح) الحارث بن عبد المطلب ١٥٥.
- الحارث بن كلدة ١٨، ١٥٦، ٥٠٤.
- الحارث بن نوفل ٤٤١.
- حبيب بن اويس ٥٧.
- الحجاج ٣٧٥.
- حجر بن معاذ الغفرانى ٦٢٢.
- حذيفة الغدر ٦٥.
- حذيفة بن اليمان ٢٦٣.
- حرب بن امية ١٥١، ١٥٤، ٢١١، ٢١٤، ٣٦١، ٣٧٣.
- الحسن بن على (الإمام) عليه السلام ٢٥٠، ٢٦٩، ٣٥٧، ٣٦٤، ٣٧٦.
- الحسين بن على (الإمام) عليه السلام ٢٥٠، ٢٦٩، ٣٧٧، ٦١١.
- حضير ٥٧٤.
- حكيم بن حزام ٢٧٩، ٢٨٠، ٥٠٣، ٥٠٤.
- حكيم مولى زاذان ٣٦١.

- حمزة (عم النبي) ١٩٠، ٢١٥، ٢٧٣، ٢٨٦، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤٢٥.  
 حناطة ١٦٢.
- حمزة الاصفهاني ٨٨، ١٠٣.
- حيدة بن معاوية العامري ٢٩٩.
- (خ) خالد بن الوليد ٦١٠.
- خالد (حكيم العرب) ٤٨٠.
- خالد بن زيد ٦٢٢.
- خباب بن الارت ٤٢٢، ٤٢٥، ٤٢٦.
- خزيمة (جد النبي) ١٤٦.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٥٠.
- خزيمة بن ثابت ٣٧٢.
- خسرو برويز ٨٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١١٠، ١١١، ١١٣، ١١٧، ١١٨، ٤٥٢.
- الخطاب ٤٢٤.
- خلف ٤٢٣.
- الخميني (الإمام) ٦١٥.
- خويلد ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٣، ٣٦٧، ٣٨٣.
- (د) داود (النبي) ٢٣٧.
- داود بن أبي هند ٣٦٠.
- ديمتريوس ٣١.
- ديودورس ٣١.
- (ذ) ذو نفر ١٦٢.
- ذو نواس ١٦١.
- ذو الخصة (صنم) ٩١.
- (ر) ربيع بن الحرث ٣٧٢، ٥٥٧.
- ربيعه ١٤٧، ٣٧٦، ٥٥٨، ٥٥٩، ٦١٨.
- رستم ٤٧١، ٤٧٤.
- رينان (مسيو) ٨٥.
- (ز) الزبير بين عبد المطلب ٢٤٩.
- زرارة بن اعين ٣٤٢.
- زفر بن يزيد ٣٧٣.
- زكريا (النبي) ١٧٤، ٢٢٣، ٢٩٥.
- زمنة بن الاسود ٥٠٠.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٥١.

- زيد بن ابيه ۵۹۵.
- زيد بن ارقم ۳۵۶، ۳۶۵.
- زيد بن حارثة ۳۵۴، ۳۵۶، ۳۸۷، ۵۲۲.
- زيد بن عمرو بن نفيل ۲۲۴، ۲۸۲.
- زينى دحلان (المؤرخ) ۲۸۹، ۵۲۴.
- الزهره (كوكب) ۱۲۵.
- زهير بن أبى أمية ۵۰۴، ۵۰۵، ۵۰۶.
- (س) سالم بن أبى جعد ۳۷۰.
- سالمين (محمد على) ۶۰.
- سراقه بن مالك بن جعشم ۶۱۵.
- سعد (صنم) ۹۰.
- سعد بن أبى وقاص ۸۱، ۳۸۷، ۳۸۸، ۵۰۳.
- سعد بن عبادة ۵۷۶، ۵۷۷، ۶۲۳.
- سعد بن معاذ ۵۷۸.
- سعيد بن زيد ۳۸۸، ۴۲۴، ۴۲۵، ۴۲۶.
- سعيد بن قيس الهمداني ۳۷۱.
- سفيان بن سعيد الثوري ۵۳۰، ۵۳۱.
- سلامة (بولس) ۵۱۱.
- سلمان الفارسي ۳۶۷، ۶۰۹.
- سلمة بن كهيل ۳۶۱.
- سليمان ۲۳۷، ۲۳۸.
- سمرة بن جندب ۵۹۴، ۵۹۵، ۵۹۶.
- سويد بن صامت ۵۶۶.
- سهل و سهيل ۶۲۲.
- سهيل (كوكب) ۵۲.
- سيد المرسلين، ج ۱، ص: ۶۵۲.
- سيد قطب ۱۸۲، ۱۸۴.
- (ش) شنفرة ۶۵.
- شهر يراز (أخ سلمان) ۱۱۱.
- شيبه بن ربيعة ۱۵۲، ۳۷۶، ۵۵۷، ۵۵۸.
- شيث (النبي) ۳۷۱.
- شيرويه ۱۱۱، ۱۱۸.
- (ص) الصدى (طائر خرافي) ۵۶.



- صدر الدين الشيرازي (الفيلسوف) ١٧٦.
- صعصعة بن ناجية ٤٦.
- الصلت بن أبي يهاب ٢٦٥.
- (ط) طارق بن شهاب الاحمس ٣٧٠.
- طالب ٥١.
- الطاهر (بن النبي) ٢٧٨.
- الطفيل بن عمرو الدوسي ٥٤٢.
- الطيب (بن النبي) ٢٧٨.
- (ع) العاص بن وائل السهمي ٢٤٩، ٣٧٦، ٤١١، ٤١٢، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٣٢، ٤٨٨، ٥٠٤، ٥٠٧.
- عامر بن فهيرة ٦٠٢.
- عبادة بن الصامت ٥٦٩.
- عباس بن عبد المطلب (عم النبي) ٢٦٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٥٥، ٣٥٧، ٣٦٠، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٧١.
- عبد الحلیم (الشيخ محمود) ٦١٤.
- عبد الدار ١٤٧، ١٤٨.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٥٣.
- عبد الرحمن بن حنبل الجمحي ٣٧٤.
- عبد الرحمن بن عثمان ٢٥٠.
- عبد الرحمن بن عوف ٣٨٧.
- عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المالكي (القاضي) - ابن خالدون.
- عبد الرحمن بن ملجم ٥٩٥.
- عبد الرزاق ٣٥٧.
- عبد شمس ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ٤٦٨.
- عبد الله (بن النبي) ٢٧٨.
- عبد الله (والد النبي) ١٤٦، ١٤٧، ١٥٧، ١٥٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٧، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٧٧، ٢٧٩.
- ٢٩١، ٢٩٢، ٣٥٧، ٣٨٨، ٥٧٤.
- عبد الله بن أبي بكر ٦٠٢.
- عبد الله بن أبي بن سلول ٦٢٣.
- عبد الله بن أبي خزرج ٥٦٨.
- عبد الله بن أبي سفيان ٣٧١.
- عبد الله بن أبي شيبه ٣٦١.
- عبد الله بن أبي رافع ٤٧٠.
- عبد الله بن انيس ٦١١.
- عبد الله البجلي ٣٧٤.

- عبد الله بن برير ٣٧١.
- عبد الله بن الحارث ٥٥٤.
- عبد الله بن حجر ٣٧٠.
- عبد الله (بن حلیمه) ٢١٥.
- عبد الله بن جحش ٢٨٢.
- عبد الله بن جدعان ٢٤٩، ٤٥٩.
- عبد الله بن خبابه ٣٧٠، ٣٧١.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٥٤.
- عبد الله بن ربيعه ٤٥٦، ٤٥٩.
- عبد الله بن الزبير ٢٥٠.
- عبد الله بن عمرو بن مخزوم ١٨٦.
- عبد الله بن مسعود ٣٦٩، ٤١٧، ٤١٨.
- عبد الله بن مظعون ٣٨٨.
- عبد الكريم الخطيب ٦٠٠.
- عبد الملك بن عمير ٥٣٠، ٥٣١.
- عبد المطلب (جد النبي) ٥١، ١١٩، ١٤٦، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٤٩، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٥٣، ٣٧٢، ٤٠٤، ٤٠٩، ٤٢٠، ٤٢٥، ٥٠٤، ٥١٣، ٥٥٥، ٥٦٣، ٥٧١.
- عبد مناف ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٢، ١٩٠، ٢٨٩، ٤٤١، ٥١٣.
- عبد العزيز بن محمد الدراوردي ٥٣٠، ٥٣١.
- عبيدة بن الحارث ٣٨٨.
- عبد الوهاب النجار ١٩٠، ١٩٤.
- عتبه بن ربيعه ٥٠، ٤٣٠، ٤٣٢، ٥٥٧، ٥٥٨.
- عتيق بن عائذ ٢٤٧.
- عثمان بن حويرث ٢٨٢.
- عثمان بن عفان ٢٥٢، ٣٨٢، ٣٨٨.
- عثمان بن مظعون ٣٨٨، ٤٦٢.
- عداس ٥٥٨، ٥٥٩.
- عدنان ١٤٦.
- عدى بن حاتم ٣٧٠.
- عروة الرجال ٢٤٧.
- العزى (صنم) ٥٤، ٥٥، ٩٠، ٢٧٩، ٢٩٣، ٤١٥، ٤٨٨، ٤٩٣.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٥٥.

عطار ٥٢.

عفيف الكندي ٢٥٩، ٣٥٧.

عاقبة بن أبي معيط ٢٥٨، ٢٦٥، ٢١٣، ٢٢٣، ٢٦٢، ٤٦٢، ٥٠٤، ٥٢٢.

عكرمة ١٧٠، ٢٦٢.

علي بن أبي طالب ٩١، ١٤٩، ١٩٥، ٢٠٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٤، ٣١٦، ٣٥٤، ٣٥٦،  
 ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٧،  
 ٣٩٨، ٤٢٥، ٤٨٠، ٤٠٦، ٥١٣، ٥١٤، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٣٥، ٥٤٢، ٥٨٣، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٩٠، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨،  
 ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١٣، ٦١٨، ٦١٩.

علي بن الحسين السجاد (الإمام) ٥٥.

علي بن موسى الرضا (الإمام) ٣٠٠.

علي بن إبراهيم (المفسر) ٥٨٨.

عماد الدين ابن كثير ٢٤٨.

عمار بن ياسر.

عمارة بن الوليد بن المغيرة ٤٠٦.

عمر بن الخطاب ٣٦٠، ٣٦٨، ٤١٠، ٤١٢، ٤٢٤، ٤٢٦.

عمر رضا كحالة ٤٢٧.

عمرو بن اسد ٢٧٣.

عمرو بن الجموح ٦٢٠، ٦٢١.

عمرو بن الحمق ٣٧١.

عمرو بن عاص ٤٢٣، ٤٥٦، ٤٥٩.

عمرو بن لحي ٥٣، ٩٠.

عمرو الخزرجي ١٥١.

عمرو العلاء ١٤٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٥٦.

عميانس (صنم) ٩٠، ١٦١.

عياض (القاضي) ٦١٠.

عيسى بن مريم ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٩٥، ٣٤٢، ٣٥٨، ٤٥٩، ٤٩٨، ٥٢١، ٥٧١، ٦٠٥.

(غ) غالب ١٤٦.

الغرانيق ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٣، ٤٩٤.

غسان ٤٠، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ١٥٠.

غوستاف لويون ٤١.

(ف) فضل بن أبي لهب ٣٧٣.

فضل بن الحارث ٢٤٨.

- فضل بن فضالة ٢٤٨.
- فضل بن وداعة ٢٤٨.
- فضيل بن جندب ١٦٢.
- فلاماريون ١٠٠.
- فريد وجدى (محمد) ٥٤٤.
- فهر (جد النبي) ١٤٦.
- (ق) القاسم (بن رسول الله) ٢٦٣، ٢٧٨.
- القاصعة (الخطبة) ٣٥٦.
- قدامة بن مطعون ٣٨٨.
- القراريط ٢٥٢.
- قصي بن كلاب (جد النبي) ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٥.
- القمر ٥٤٦، ٥٥١.
- قيس بن زهير ٦٥.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٥٧.
- قيس بن عاصم ٥٩.
- قيصر ١٦١، ٣٥٧، ٤٢٣.
- قتاد بن دعامة ٣٧٥.
- (ك) كعب (جد النبي) ١٤٦.
- كعب بن زهير ٣٧٢.
- كعب الاحبار ٤٧٧.
- كعب بن مالك ٢١٤.
- كلاب بن مرة (جد النبي) ١٤٦.
- كنانة (جد النبي) ١٤٦.
- كلثوم بن هرم ٦١٧.
- (ل) اللات (صنم) ٥٤، ٥٥، ٩٠، ٢٧٩، ٢٩٣، ٤١٥، ٤٨٨، ٤٩٣.
- لؤي ١٤٦.
- لييد (الشاعر) ٤٦١، ٤٦٢.
- لقمان ٥٦٦.
- اللوح المحفوظ ٣٤٥.
- (م) مارسدن جونس ٦١١.
- مالك (جد النبي) ١٤٦.
- مالك بن الحارث الاشر ٣٦٩.
- مالك بن عبادة ٣٧٣.

- المأمون ٣٧٨.
- مانى ١١٣.
- ماه بن داذ (اخو سلمان) ٦٠٩.
- مجاهد (المفسر) ٢٠٧.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٥٨.
- محمد بن أبي بكر ٣٧١.
- محمد بن أحمد الذهبي ٥٣١.
- محمد بن اسحاق (المؤرخ) ٢٦٦، ٥٥٦.
- محمد بن جرير الطبري ٣٩٦.
- محمد حسنين هيكل ١٨٢، ٢٧٨، ٢٨٠، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٩٧.
- محمد حميد الله (مؤلف) ٦٠٩.
- محمد بن حنيفة ٣٧٠.
- محمد بن سلمة ٦١١.
- محمد بن مسلم ٣٧٥.
- محمد عبده ١٦٨، ١٨٢، ١٨٣، ٣٠٠.
- محمد عزت نصر الله ٢١٤.
- محمد المكندر المدني ٣٧١.
- محمود الألوسي ٧١.
- محمود بن عبد الحلیم ٦١٤.
- مخرمة بن نوفل الزهري ٢٥٠.
- مدركة (جد النبي) ١٤٦.
- مرّة (جد النبي) ١٤٦.
- المريخ (كوكب) ٥٤٦، ٥٥١.
- مزدك ١١٣، ١١٤.
- المسورة بن مخرمة
- المسيح ٥٤، ١١٧، ١٦٧، ١٨١، ١٩٥، ٢٠١، ٢٢٢، ٢٤٠، ٢٥٩، ٢٧١، ٢٩٦، ٤٥٨، ٤٥٩، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٣٦، ٦١٢.
- المشتری (كوكب) ٥٢.
- مصعب بن عمير ٥٧٠، ٥٧٨، ٥٧٩.
- مضاض بن عمرو الجرهمي ١٥٥.
- مضر بن نزار (جد النبي) ١٤٦.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٥٩.
- المطعم بن عدی ٤٠٦، ٥٠١، ٥٠٥، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٧٧.
- المطلب ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣.

- معاذ بن جبل ٧١، ٢٦٠، ٣٦٠.  
معاذ بن عمرو ٦٢٠.  
معاوية ٢٦٩، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٠، ٣٧١، ٥٦٦، ٥٩٤.  
معد (جد النبي) ١٤٦.  
المغيرة (جد النبي) ١٤٧.  
المقداد بن عمرو ٣٦٨.  
المقداد السيوري ١٩٦.  
الملا على القاري ٦١٠.  
مناء (صنم) ٥٤، ٩٠، ٤٨٨، ٤٩٣.  
مناف (صنم) ٥٤، ٩١.  
منذر بن عمر ٥٧٧.  
منصور بن عكرمة ٥٠١.  
ميسرة (غلام خديجة) ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٠.  
ميكائيل ٦٠٠.  
موسى بن جعفر (الإمام) ٢٦٢، ٥٥٣.  
موسى (النبي) ١٢١، ١٢٢، ١٥٨، ١٦٧، ١٨١، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٣٩، ٢٦٢، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٦٩، ٤٧٥، ٤٩٧، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٧٣، ٦٠٥.  
(ن) نائلة (صنم) ٩٠.  
ناصر (غلام خديجة) ٢٥٦.  
نزار (جد النبي) ١٤٦.  
نصير الدين الطوسي ١٩٦.  
النضر (جد النبي) ١٤٦.  
سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٦٠.  
النضر بن الحارث ٤٣٢، ٤٦٣، ٤٧٣، ٤٧٤.  
النعمان بن المنذر ٥٩، ٨٨.  
نعيم بن عبد الله ٤٢٥.  
نفيل بن حبيب الخثعمي ١٦٢.  
النمرود بن كنعان ١٢١، ١٢٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٠.  
نوح النبي ١٤٥، ٢٥١، ٤٩٨.  
نوفل بن عبد مناف ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠.  
(ه) هارون (النبي) ٣٤١، ٣٦٩.  
هاشم بن عبد مناف (جد النبي) ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ٢٩٠، ٣٦٩، ٣٧٢.  
هاشم بن عتبة ٣٦٩.  
هامة ٨٢.

- هبل (صنم) ٥٤، ٩٠.
- هبيرة بن وهب المخزومي ٢٨٥.
- هرودتس ٤٠، ٤١، ١٢٠.
- هرقل ١١٨.
- هشام بن عمرو ٥٠٤.
- هند بن أبي هالة ٥٩٩، ٦٠٢.
- (و) ورقة بن نوفل ١٨٩، ١٩٢، ٢١٤، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٨٢، ٢٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٩٠، ٣٩١، ٤١٥.
- الوليد بن عتبة ٢٥٠، ٣٧٣، ٤٨١، ٤٨٩.
- الوليد بن المغيرة ٢٨٣، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٨٠، ٤٨٨، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٥٠٣.
- وهب بن عبد مناف ١٩٠.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٦١.
- ويليام موير (السير) ٤٩٣.
- (ي) ياسر ٤١٦، ٤١٧.
- يحيى بن زكريا (النبي) ٢٥٩، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٧٧.
- يزدجرد ٦٢٢، ٦٢٤.
- يعرب بن قحطان ٣٦.
- يعقوب (النبي) ٢٣٨، ٢٥٦.
- يوسف ٢٣٩.
- يونس بن عبد الرحمن ٥٥٣.
- يونس بن متى (النبي) ٥٥٨، ٥٥٩.
- النساء:
- آسية بنت مزاحم ٢٦٢، ٢٦٣.
- آمنة بنت وهب ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٩١، ٤٥٤، ٥١٨.
- أسماء بنت عميس ٢٦٠.
- أنيسة (بنت حليلة السعدية) ٢١٥.
- بلقيس ٣٣.
- ثوية ٢١٥.
- حليلة السعدية ٧٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٧٧، ٢٩٣.
- خديجة بنت خويلد ١٩١، ٢١٥، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٩٣، ٣٢٢، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٠، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٥، ٣٨٠.
- ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٧، ٥٠٣، ٥٠٧، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٩٩، ٦٠١.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٦٢.
- حولة ٣٨٢.

دلالة ١٩٠.

رقية (بنت رسول الله) ٢٦٣، ٢٧٨.

زينب (بنت رسول الله) ٢٦٣، ٢٧٨.

سارة (زوجة الخليل ع) ١٠٨، ١٤١، ١٤٥، ٢٣٩، ٢٤٠.

سلمى (زوجة هاشم) ١٥١، ١٥٢، ٢٦٣.

سمية (زوجة ياسر) ٤١٦، ٤١٧.

الشيما (بنت حليلة السعدية) ٢١٥، ٢١٦.

عائشة بنت أبي بكر ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٣٥٣.

عاتكة (بنت عبد المطلب) ٢١٥.

فاطمة بنت الخطاب ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦.

فاطمة الخثعمية ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤.

فاطمة الزهراء (ع) (بنت رسول الله - ص) ٩٥، ٢٦٥، ٢٦٩، ٢٧٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٥٠٩، ٦٠٢، ٦١٨.

فاطمة (أم قصي بن كلاب) ١٤٧.

فاطمة بنت أسد (أم علي بن أبي طالب) ٥٢٩، ٦٠٢.

فاطمة بنت الزبير ٦٠٢، ٦١٨.

الفواطم ٦٠٢.

مريم بنت عمران (أم السيد المسيح - ع) ٥٤، ١٠١، ٢٠١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٩٥، ٤٥٨، ٤٥٩، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٧١.

هاجر (زوجة الخليل - ع) ٣٧، ١٤١، ١٤٢.

هندة ١٤٣، ١٤٤.

مارية القبطية ٢٧٨.

معاذة بنت عبد الله العدوية ٣٦٣.

نفيسة بنت علي ٢٧٢.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٦٣

**(٥) فهرس القبائل و الامم**

آل الرسول ٥٧.

آل سعود ٥١٢.

آل ياسر ٤١٦.

اسلم (قبيلة) ٢٨٣. سيد المرسلين ج ١ ٦٦٣ (٥) فهرس القبائل و الامم ..... ص : ٦٦٣

حاب الاخدود ١٦١.

أصحاب الكهف ٢٨٢.

الانصار ٦١٩.

الاوس و الخزرج ٣٠، ٥٠، ٩٠، ٩١، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٦٢٠، ٦٢٢، ٦٢٣.



بنو إسرائيل ٢٩٥، ٤٩٨، ٥٧٣.

بنو إسماعيل ٥٧٣.

بنو اقمم ١٦٢.

بنو أمية ٥٤، ١٤٩، ٤٨١.

بنو بكر ٤٢١.

بنو تميم ٥٢، ٥٩.

بنو جمح ٣٧٤، ٤١٥.

بنو سالم بن عوف ٦٢٤.

بنو سعد ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٦٤

بنو سلامان ٦٥، ٨٨.

بنو سلمة ٦٢٠، ٦٢١.

بنو عامر ٢٤٦، ٥٦٣، ٥٦٤.

بنو عبد الاشهل ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩.

بنو عبد الدار ٢٨٤.

بنو عبد مناف ٥٠٥، ٥١٣.

بنو عبس ٦٥.

بنو عدى ٢٨٤، ٢٩١، ٤١١.

بنو عمرو بن عوف ٦١٧، ٦٢٢.

بنو قريظة ٥٦٥.

بنو قينقاع ٥١، ٥٦٥.

بنو كنانة ٩٠، ١٤٦، ٢٤٥.

بنو مخزوم ٤٠٩.

بنو المطلب ٥٠١، ٥٢٢، ٥٦٣، ٥٨٥.

بنو مليح ٥٢.

بنو النضير ٥٦٥.

بنو هاشم ٣٧، ٥١، ١٥٣، ٢١٧، ٢٣٠، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٩٠، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٩٤، ٤٠٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤٤٠، ٤٥٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٦.

٥٠٨، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٣٧، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٩٠، ٦٠١، ٦٠٢.

تبايعه ٣٢.

ثقيف (قبيلة) ٥٥٧.

ثمود (قوم) ٣٦، ٢٣٣.

جرهم (قبيلة) ٣٧، ١٥٤، ١٥٥.

حمير (قبيلة) ٥٢.



- أبو أيوب (الانصاري) ٣٦٠، ٣٦٩، ٦٢٢.
- أبو البختری ٤٣٢، ٥٠٤، ٥٨٤.
- أبو بصير - اعشى بن قيس ٤٨٥، ٥٠٥.
- أبو بكر (ابن أبي قحافة) ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٦٣، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٨، ٣٨٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٨، ٤٢٥، ٤٨٣، ٥٩٠، ٥٩٢، ٦٠٢.
- أبو تراب (علي بن أبي طالب) ٣٧٦، ٣٧٧.
- أبو تمام (الشاعر) ٥٧.
- أبو جعفر الاسكافي ٣٩٧.
- أبو جهل ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٦٧، ٣٠٢، ٣٥٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٥، ٤١٧، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣٢، ٤٣٩، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٨٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٢٢، ٥٨٤، ٥٨٥.
- أبو حاتم ٥٣١، ٥٣٢.
- أبو حازم ٣٧٥.
- أبو الحسن البكري ٢٧٠.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٦٨
- أبو حكيم ٤٠٩.
- أبو حنظلة ٥٢٢.
- أبو داود ٣٦١.
- أبو ذر الغفاري ٣٦٨، ٣٧١، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٥٣٣.
- أبو ذؤيب ٢١٥.
- أبو رافع الطبراني الهيثمي ٣٦٢، ٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٩.
- أبو رغال (ثقيف) ١٦٢.
- أبو زرعة ٢٦٠، ٥٣٢.
- أبو سعيد الخدري ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٧٥.
- أبو سفيان ٥٤، ١٨٩، ٢٥٨، ٢٦٥، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٩٠، ٣٩٢، ٤٣٢، ٤٨٣، ٥٣٧، ٥٦٠.
- أبو سلمة ٣٨٨.
- أبو طالب (عم رسول الله) ١١٩، ١٤٩، ٢١٣، ٢١٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٣، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٧١، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٧، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٢، ٤٥٩، ٤٦٠، ٥٠١، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٦١، ٥٦٢، ٦١٩.
- أبو العاص بن الربيع ٥٠٣.
- أبو عبد شمس ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٦١.
- أبو عبيدة (الجراح) ٣٦٨، ٣٨٨.
- أبو عثمان ٣٧٦.
- أبو عمرة (بشير بن محسن) ٣٧٠.

أبو عمرو (مؤلف) ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٦٩

أبو عمرو (عامر الشعبي الكوفي) ٣٧٤.

أبو عمرو (ابن قتيبة) ٣٦١.

أبو فرج الاصفهاني ٢٨٥.

أبو مرازم ٣٦٩.

أبو لهب ٥٤، ٢١٥، ٣٧٢، ٣٩٤، ٤٠٩، ٤١٣، ٤٢٢، ٥٠٢، ٥٦٣، ٥٩٠، ٥٩١.

أبو مسعود (عمرو بن عمير الثقفي) ٤٣٩.

أبو مكرز ٥٩٢.

أبو نضر (محمد بن السائب الكلبي) ٣٧٦.

أبو نعيم (مؤلف) ٢٩١.

أبو هالة التميمي ٢٧٤.

أبو هريرة ٢٦٠، ٥٣٣.

أبو هفان العبدى ٥١٦.

أبو الهيثم بن التيهان ٥٧١، ٥٧٢.

أبو الوليد - عتبة بن ربيعة ٤٣١.

أبو اليقظان - عمران بن عبد الله ٢٦٣.

النساء أم أيمن ١٧١، ١٩١، ١٩٧، ٢٢٧، ٢٦٠، ٢٨٩، ٢٩١، ٣٦٠.

أم أيوب (الانصارية) ٦٢٢.

أم جميل بنت حرب ٤١٣، ٤١٤.

أم سلمة ٤٥٤، ٦١١.

أم كلثوم (بنت رسول الله) ٢٦١، ٢٧٨.

أم معبد ٦١٦.

أم هاني (اخت علي بن أبي طالب) ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٨.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٧٠

«الألقاب» الاصمعي ٦٠٩.

الاميني (العلامة) ٣٥٨، ٣٥٩، ٥٣٠، ٥٨٤.

البلاذري ٦٠٩.

البلاغي ٢٤١.

البيهقي ٥٤١.

الترمذي ٣٦٤.

الجاحظ ٥٩٦.

الجنابدي ٢٥٦.

- الحاكم النيسابوري ٦١٢.  
الحلبى ٦٠٣.  
الخوارزمى ٣٦٠، ٣٦٩.  
الديار بكرى ٢١٠.  
ذو القرنين ٣٨٢، ٤٦٤.  
الزرقانى ٢٩٢، ٢٤٦، ٣٦٦.  
السيوطى (جلال الدين) ٣٦٩، ٣٧٢.  
الشبراوى (صاحب الاتحاف) ٢٩٢.  
الشهرستانى ٢٨٨.  
الشهيد الثانى ٢٠٥، ٢٠٧.  
الطباطبائى ٣٠٧، ٣١١، ٣٤٦.  
الطبرى ٣٠٧، ٣٣٩، ٤٨١، ٥٤٠، ٥٤١.  
الطبرى ٣٤٠، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٣، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٨٨، ٥٩٨، ٥٩٩.  
الطريحي (المؤلف) ٢٠٥.  
الطوسى (الشيخ) ٥٩٩، ٦٠١، ٦٠٣، ٦١٨.  
سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٧١  
فخر الإسلام ٢٤١.  
الفخر الرازى ٣٠٧، ٣٤٨، ٥٠٩.  
الفرزدق ٤٦، ٤٩.  
الفردوسى (الشاعر) ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨.  
فرعون ١٢١، ١٨٩، ٢٠٠، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٦٢.  
القسطلاننى ٣٦٧، ٣٧٥.  
القوشجى ١٩٦.  
كسرى ١٠٣، ١١٠، ٢٠٢، ٣٥٧.  
لكلبى ٥٢.  
المجلسى (العلامة) ٢٩٦، ٣٤١، ٤١٣، ٤١٦، ٦٢٤.  
المسعودى (المؤرخ) ٤١.  
المقرئى ٢٠٤، ٥٩٨.  
النفيسى (سعيد) ١٠٤.  
اليعقوبى ٢٨٨، ٣٨٥.  
النجاشى ٩٦، ١٦١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٩٣.  
سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٧٢

- احد (معركة) ٤٨٦.
- الأحزاب (معركة) ٤١٦، ٤٦١، ٤٧١، ٤٨٠، ٤٨٨.
- بدر (معركة) ٤١٦، ٤٨٠، ٤٨٦، ٥٦١.
- بعث (يوم) ٦٧، ٥٧٤.
- بيعة العقبه ٥٧٥.
- بيعة النساء ٥٧٠.
- حادثة الفيل ١٥٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ٢٠٣، ٥٥٢، ٦٠٥.
- حجة الوداع ٦٤.
- حلف الفضول ٢٤٨، ٢٤٩.
- الخندق (معركة) ٤٨٠، ٤٨٦.
- داحس و الغبراء (حرب) ٦٥.
- صفيين (وقعة) ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٢.
- الفجار (حروب) ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٧٣.
- القرطاء (غزوة) ٦١١.
- ليلة المبيت ٥٩٥، ٥٩٦.
- المباهلة ٥٣٧، ٥٤١، ٥٤٢.
- المعراج ٥٤٤، ٥٤٥.
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٧٣.

## (٨) فهرس الأماكن و البلدان

- آسيا ٢٧، ١١٦.
- الابواء ٢٢٨.
- الاتحاد السوفيتي ١٥٩، ٥٥١.
- الاحساء ٢٨.
- الاحقاف ٢٨.
- الاردن ٥٣٦.
- أرمينية ٩٨.
- الازهر ٣٤٦، ٦١٤.
- افريقية ٢٨.
- امريكا ٨٥.
- الاندلس ١٠٠.
- انطاكية ٢٧، ٨٧، ٨٩، ٩٨.

- اوربة ٤٠، ١٠٠، ٢٣٧.
- اورشليم ٧، ١١١.
- ايران ٢٧، ٨٧، ٨٩، ٩٨.
- ايطاليا ٢٧.
- بابل ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٣٤، ١٤٠، ١٤١.
- بادية سماوة ٢٧.
- البحر الاحمر ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٢.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٧٤
- بحيرة ساوة ٢٠٢.
- البصرة ٣٠٣، ٣٦٧.
- بصرى ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥.
- بيت الله الحرام ٢٨٩.
- بيت المقدس ٥٣٦، ٥٣٧، ٦١١.
- بيروت ٥١١.
- تهامة (سوق) ٢٥٦.
- ثنية الوداع ٦٢٦.
- جبل أبو قيس ٢٨٧.
- جدة ٢٩، ٢٨٤، ٤٥٣.
- الجزيرة العربية ٢٧، ٣٢، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٦٦، ٧١، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٧، ٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣٠٦، ٤١٥، ٥٢٠.
- ٥٧٦، ٥٨٠.
- الجنة و النار ٥٣٦.
- الحبشة ٨٧، ٩٦، ١٥٠، ١٦١، ٢٢٤، ٢٨٢، ٢٩١، ٤١٥، ٤٢٤، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٧، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٩، ٤٩٣، ٤٩٤، ٥٠١.
- ٥٠٨.
- الحجاز ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٤٠، ٤١، ٥٠، ٥٢، ٥٦، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٣٢، ١٤١، ١٤٢، ١٥٢، ١٥٥، ١٩٩، ٢٢٤، ٢٨٢، ٢٨٣، ٥١١، ٥١٢، ٥٩٥.
- حجر اسماعيل ١٤٤.
- الحجر الاسود ٢٨٤، ٤١٢.
- الحديده (ميناء) ٣٢.
- حراء (جبل / غار) ٢٨٤، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٥٤، ٣٨٢، ٣٨٣.
- الحيرة ٢٧، ٥٢، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ١٥٠، ٤٥٢.
- الخليج ٢٧، ٢٨.
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٧٥
- خليج عمان ٢٧.
- الخورنق ٨٨.

خيبر ٢١٥.

دار الندوة ١٤٧، ١٤٨، ١٤٥٣، ٤٥٥، ٤٦٨، ٥٠١، ٥٨١، ٥٨٣.

دار الخيزران ٣٨٩.

دجلة ٢٧.

دمشق ٨٩، ٣٧٦، ٦١٠.

الدهناء ٢٨، ٢٣١.

ديار ثمود ٢٣١.

ذو المجاز (سوق) ٢٤٥.

ذى طوى ٦١٨.

الربع الخالي ٢٨.

زمزم ٣٧، ٩٠، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ٣٦٣، ٣٦٦.

سبأ ٣٣.

سدرة المنتهى ٥٣٦.

سويسرا ٢٧.

الشام ٢٧، ٨٦، ٨٩، ٩٠، ١١٧، ١٤١، ١٤٢، ١٤٧، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٦٩، ١٨٧، ١٩١، ١٩٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٥٦، ٢٥٨.

٢٧٠، ٢٧٩، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٦٦، ٤٤١، ٤٥٢، ٥١٧، ٥٢٧، ٥٣٧، ٥٦٥، ٥٩٤.

شعب أبي طالب ٥١٢.

صحراء الشام ٢٧.

صحراء العرب ٢٧، ٣١.

صحراء النفوذ ٢٥٨.

صنعاء ٣٢، ٣٣.

ضجنان ٦١٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٧٦.

الظهران ٢٨.

الطائف ٢٩، ٥٤، ٩٠، ٢٤٧.

العدن ٣١.

العراق ٨٧، ١٤٩، ٢٦١، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٣، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٩٥.

العربية السعودية ٤١، ٥١٢.

العرم عسفان العقبة ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٥، ٥٧٦.

عكاظ (سوق) ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧.

غار ثور ٥٩١، ٥٩٢، ٦٠١، ٦٠٣، ٦١٩.

غزة ١٤٩.

الفرات ٢٧، ٨٧، ١٢٠، ٣٧١.



فرنسا ٢٧.

فلسطين ٢٧، ٢٩، ٣٧، ١١٧، ١٤١، ٥٣٦.

القاهرة ٣٧٩.

قبا ٦١٧.

القسطنطينية ٨٩.

القطيف ٥١١.

قم ٥١٢.

الكعبة المعظمة ٢٩، ٣٠، ٥٤، ١٣٣، ١٤٥، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٤٩، ٢٦٥، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧،

٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٦، ٣٥٧، ٣٦٧، ٤٠٤، ٤٣٢، ٤٤١، ٤٨٨، ٥٠١، ٦١١.

الكوفة ٨٨.

مازندران ١٠٦.

مأرب ٣٣، ٤١.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٧٧

مجنة (سوق) ٢٤٥.

المحيط الهندي ٢٧.

مدين ٢٣١.

المدينة المنورة ٢٩، ٣٠، ٣٦، ٥١، ٥٤، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٧، ١٠١، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٥، ١٦٠، ٢١٩، ٢٩١، ٣٨٢، ٤٤٢، ٥١٢، ٥٦١،

٥٦٥، ٥٧٨، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٦، ٥٩١، ٥٩٢، ٦٠٤، ٦٠٩، ٦١٢، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤.

مراكش ٥٩٦.

مروة (جبل) ١٤٣، ٢٣٥.

المسجد الاقصى ٥٣٦، ٥٣٨، ٥٣٩.

المسجد الحرام ٢٨٤، ٤١٨، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٦٠.

مصر ١٢١، ١٤١، ٢٤٣.

المغمس ١٦٢.

مكة المكرمة ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٩٠، ٩١، ٩٦، ١٠١، ١٤١، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٤،

١٥٥، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٧، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٣، ٢٥٦،

٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٤٠٤، ٤٠٥،

٤٠٦، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٧٤، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٨٩،

٤٩٣، ٤٩٤، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥١٥، ٥١٩، ٥٢٢، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٩، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٣،

٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦٠٤، ٦٠٨، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨.

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٧٨

نجد ٣١، ٤١.

نجران ٨٩، ١٦٠، ٦١٠.

نينوى ١١٨، ٥٥٨.

الهند ٨٥، ١١٥، ٢٦٥.

وادي القرى ٢٣١، ٥٦٥.

يثرب ٣٠، ١٥٢، ١٥٨، ١٦٠، ١٩٧، ٢٧٧، ٣٠٣، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٣، ٥٨٣، ٦٠٢، ٦٠٤، ٦٠٨، ٦٢٢، ٦٢٤.

اليمن ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٤١، ٨٦، ٨٩، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٥، ١٨٧، ٢٣٣، ٢٩٣، ٤٥٢، ٥٦٥، ٥٩٥.

اليمامة ٤٨٦.

اليونان ٣١.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٧٩

### (٩) المذاهب والأديان ونظم الحكم

الآشورية ٤٠.

الأحناف ٢٨٣.

الاستشراق والمستشرقون ٢١٩، ٢٣٢، ٢٣٥.

الاشكنازي ٨٧.

الرياضة والمرتاوضون ١٨٢، ١٨٤.

الزردشتية ١١٢، ١١٤، ١١٥.

الشاهنشاهية ٨٦، ٦١٤، ٦١٥.

العثمانية ٣٦٧.

الكهانة ١٥٨.

اللاهوتية ١٠٠.

المانوية ١١٢.

المجوسية والمجوس ١١٢، ١١٣، ١١٧.

المزدكية ١١٣، ١١٤.

المدرسية (الفلسفة) اسكولاستيك ١٠٠.

النصرانية والنصارى ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٥٢، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٧٩.

اليعقوبية ٩٩.

الوهابية والوهابيون ٥٩٦.

اليهود واليهودية ١٥٩، ٢٩١، ٣٨٢، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٥٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٨٧، ٥٦٥، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٣، ٥٧٤.

سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٨٠

### (١٠) فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا

١- بحث علمي حول المعجزة ١٦٥

٢- طهارة النبي (ص) من دنس الآباء و عهر الامتهات ١٦٥

- ٣- الاحتفال بذكرى المولد النبوي ليس شركا ٢٠٨
- ٤- خطأ المستشرقين في اسم النبي (ص) ٢١٢
- ٥- «أحمد» كان من أسماء النبي (ص) المشهورة ٢١٣
- ٦- نظرة الاسلام في تأثير الرضاع ٢١٧
- ٧- بحث قرآني و تاريخي حول كرامات فترة الطفولة عند النبي ٢١٩
- ٨- مقايضة عابرة بين القرآن و العهدين ٢٣٦
- ٩- خديجة في احاديث الرسول و اهل بيته (ع) ٢٥٨
- ١٠- بحث حول دين النبي قبل البعثة ٢٩٢
- ١١- دور الأنبياء الاساسي في اصلاح المجتمع ٣١٦
- ١٢- بحث حول الوحي في نظر الماديين و الالهيين ٣٢٢
- ١٣- مناقشة الاساطير المدسوسة في قصة بدء نزول الوحي ٣٤٠
- ١٤- خاتمة رسول الاسلام ٣٥٣
- ١٥- النبوة و الامامة توأمان ٤٤٢
- ١٦- أسرار النزول التدريجي للقرآن ٤٤٤
- ١٧- دراسة لآيات من سورة الحج حول إلقاء الشيطان ٤٩٤
- ١٨- دراسة علمية لحديث الضحاح ٥٣٠
- ١٩- المعراج و القوانين العلمية الحديثة ٥٤٨
- ٢٠- لما ذا اتخذ العام الهجري مبدأ للتاريخ الاسلامي ٦٠٥

سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٨١

## ١١- فهرس المواضيع

- ١- شبه الجزيرة العربية أو مهد الحضارة الإسلامية ٢٧-٣٣ مكة المعظمة ٢٩  
تاريخ مكة ٢٩  
المدينة المنورة ٣٠
- ٢- العرب قبل الإسلام ٣٥-٩٦ أخلاق العرب و تقاليدهم ٣٧  
هل كان للعرب حضارة؟ ٣٩  
ملامح المجتمع الجاهلي العربي من منظور القرآن ٤٢
- ١- الشرك في العبادة ٤٣
- ٢- إنكار المعاد ٤٣
- ٣- هيمنة الخرافات ٤٤
- ٤- الفساد الاخلاقي ٤٥
- ٥- وأد البنات و إقبارهن ٤٦
- ٦- تصوراتهم الخرافية حول الملائكة ٤٧

- ٧- كيفة الانتفاع من الانعام ٤٧
- ٨- الاستقسام بالأزلام ٤٨
- ٩- النسيء ٤٨
- ١٠- الربا ٤٩
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٨٢
- صور من الوضع الجاهلى ٥٠
- العقيدة و الدين فى الجزيرة العربية ٥٢
- عقيدة العرب حول حالة الانسان بعد الموت ٥٦
- الآداب مرآة أخلاق الشعوب و نفسياتها ٥٧
- مكانة المرأة عند العرب الجاهليين ٥٨
- المرأة و مكانتها الاجتماعية عند العرب ٦٠
- العرب و الرّوح القتاليه ٦٤
- الأخلاق العامه فى المجتمع العربى الجاهلى ٦٦
- النزوع إلى الخرافة و الاساطير فى المجتمع العربى الجاهلى ٦٧
- الخرافات عند العرب الجاهليين ٧٠
- نماذج من الخرافات فى المجتمع العربى الجاهلى ٧٢
- ١- الاستسقاء باشعال النيران ٧٢
- ٢- ضرب الثور إذا عافت البقر الماء ٧٢
- ٣- كى صحيح الابل ليبراً السقيم ٧٣
- ٤- حبس ناقه عند القبر إذا مات ٧٣
- ٥- عقر الإبل على القبور ٧٤
- ٦- نهيق الرجل إذا أراد دخول القرية ٧٤
- ٧- تصفيق الضالّ فى الصحراء ليتهدى ٧٥
- ٨- الرتم ٧٥
- ٩- وطى المرأة القتل الشريف لبقاء ولدها ٧٥
- ١٠- طرح السنّ نحو الشمس إذا سقطت ٧٦
- ١١- تعليق النجاسة على الرجل وقاية من الجنون ٧٦
- ١٢- دم الرئيس يشفى ٧٦
- ١٣- شق البرقع و الرداء يوجب الحب المتقابل ٧٧
- ١٤- معالجة المرضى بالامور العجيبه ٧٧
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٨٣
- ١٥- خرافات فى مجال الغائب ٧٧
- ١٦- عقائدهم العجيبه فى الجن و تأثيره ٧٩

- ١٧- تشاء مهم بالحيوانات و الطيور و الاشياء ٨٠  
مكافحة الإسلام لهذه الخرافات ٨٠  
أوضاع العرب الاجتماعية قبيل ظهور الإسلام ٨٣  
الدين في أرض الحجاز ٨٩  
العلم و الثقافة في الحجاز ٩١  
الإمام عليّ (ع) يصف العهد الجاهلي ٩٢  
فاطمة الزهراء (ع) تصف الوضع العربي الجاهلي ٩٥  
جعفر بن أبي طالب يصف الوضع العربي الجاهلي ٩٦  
٣- إمبراطوريتا الروم و إيران إبان عهد الرسالة ٩٧- ١١٨ أوضاع الروم إبان عهد الرسالة ٩٨  
ظاهرة الجدل العقيم في المجتمع الرومي ٩٩  
أوضاع ايران إبان عهد الرسالة ١٠١  
البذخ و الترف في البلاط الساساني ١٠٢  
الوضع الاجتماعي في إيران ١٠٤  
حق التعلّم خاصّ بالطبقات الممتازة ١٠٥  
صفحة سوداء من جرائم خسرو برويز ١٠٩  
حكم التاريخ في عهد الملوك الساسانيين ١١٠  
الفوضى في الحكومة الساسانية ١١١  
الفوضى الدينية في ايران الساسانيين ١١٢  
الحروب الإيرانية الرومية ١١٥  
سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٨٤  
٤- أسلاف رسول الإسلام (ص) ١١٩- ١٩٨ ١- بطل التوحيد: إبراهيم الخليل (ع) ١١٩  
النبى ابراهيم و مكافحته للوثنية ١٢٣  
حوار الخليل مع عبّاد الكواكب ١٢٥  
طريقة الأنبياء في الحوار و الجدل ١٢٩  
هل كان آزر والد إبراهيم ١٣٠  
القرآن ينفي أبوة آزر لإبراهيم ١٣٢  
إبراهيم محطّم الاصنام ١٣٣  
العبر القيمة في هذه القصة ١٣٧  
هجرة الخليل عليه السلام ١٤١  
عين زمزم كيف ظهرت؟ ١٤٣  
٢- قصي بن كلاب (الجد الثاني لرسول الله) ١٤٦  
٣- عبد مناف (الجد الثالث) ١٤٧  
٤- هاشم (الجد الثاني) ١٤٨

- امية يحسد هاشما! ١٥٠
- هاشم يتزوج ١٥١
- ٥- عبد المطلب (الجد الأول) ١٥٣
- التفانى فى سبيل الوفاء بالعهد والنذر ١٥٧
- حادثة عام الفيل ١٥٩
- ما هى عوامل هذه الحادثة؟ ١٦٠
- عبد المطلب يذهب إلى معسكر أبرهة ١٦٣
- كلمة حول المعجزة ١٦٥
- نقاط تقتضى التأمل فى تفسير حادث الفيل بالجدري ١٦٩
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٨٥
- بحث علمى حول المعجزة فى نقاط خمس: ١٧٢
- ١- ما هى المعجزة و ما هو تعريفها؟ ١٧٣
- ٢- هل الإعجاز يهدم القوانين العقلية المسلمة ١٧٥
- أنواع العلل و الاسباب: ١٧٦
- أ) العلة الطبيعية العادية ١٧٦
- ب) العلة الطبيعية غير العادية و غير المعروفة ١٧٦
- ج) تأثير النفوس و الأرواح ١٧٦
- د) العلل المجردة عن المادة ١٧٧
- ٣- هل المعجزة تصدر عن علل مادية غير معروفة فقط؟ ١٧٨
- ٤- كيف تدل المعجزة على صحة ادعاء النبوة؟ ١٧٩
- ٥- بما ذا نميز المعاجز عن غيرها من الخوارق؟ ١٨٠
- أوهام قريش تتفاقم ١٨٧
- عبد الله والذ النبى (ص) ١٨٩
- دور الأيادى المشبوهة فى تاريخ الإسلام ١٩١
- قصة فاطمة الخثعمية ١٩٢
- علامم الاختلاق فى هذه القصة ١٩٣
- طهارة النبى من دنس الآباء و عهر الامهات ١٩٥
- وفاء عبد الله (والذ النبى) فى يثرب ١٩٦
- ٥- مولد رسول الله (ص) ١٩٩- ٢٢٤ فترة الطفولة فى حياة العظماء ١٩٩
- فى أى يوم ولد رسول الله (ص) ٢٠٣
- أى هذين القولين هو الصحيح؟ ٢٠٤
- فترة الحمل ٢٠٥
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٨٦

- نظريه في يوم المولد النبوي و مؤاخذات عليه ٢٠٧
- الاحتفال بذكرى المولد النبوي ليس شركا ٢٠٨
- مراسم تسمية النبي (ص) ٢١١
- خطأ المستشرقين في اسم النبي (ص) ٢١٢
- أحمد كان من اسماء النبي المشهوره ٢١٣
- فترة الرضاع في حياة النبي (ص) ٢١٥
- نظرة الإسلام في تأثير الرضاع ٢١٧
- ٦- فترة الطفولة في حياة النبي (ص) الماديون و بعض المستشرقين و كرامات عهد الطفولة ٢١٩
- خمسة اعوام في ربوع الصحراء ٢٢٣
- ٧- العودة إلى احضان العائلة ٢٢٥-٢٤٢ سفره إلى يثرب ٢٢٧
- وفاء عبد المطلب ٢٢٩
- كفالة أبي طالب للنبي (ص) ٢٢٩
- سفره إلى الشام مع أبي طالب ٢٣٠
- اكذوبه المستشرقين في قصة بحيرى ٢٣٢
- مقارنه بين القرآن و التوراه و الانجيل ٢٣٦
- ١- النبي داود (ع) ٢٣٧
- ٢- النبي سليمان (ع) ٢٣٧
- ٣- النبي يعقوب (ع) ٢٣٨
- ٤- النبي إبراهيم (ع) ٢٣٩
- ٥- النبي نوح (ع) ٢٤٠
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٤٨٧
- ٨- فترة الشباب في حياة النبي الأكرم (ص) ٢٤٣-٢٥٠ رسول الله (ص) و قدرته الروحيه ٢٤٤
- حروب الفجار ٢٤٤
- الفجار الأول ٢٤٥
- الفجار الثاني ٢٤٦
- الفجار الثالث ٢٤٦
- الفجار الرابع ٢٤٦
- حلف الفضول ٢٤٨
- ٩- من فترة الشباب إلى مزاوله التجاره ٢٥١-٢٧٤ النبي للغنم و أسباب ذلك ٢٥٣
- اقتراح أبي طالب بالتجاره لخديجه ٢٥٤
- هل عمل النبي اجيرا لخديجه؟ ٢٥٥
- خديجه زوجة الرسول الاولى ٢٥٨
- خديجه في أحاديث الرسول الأكرم (ص) ٢٦٠

- العلل الظاهرية و الحقيقية وراء زواج خديجة بالنبي (ص) ٢٧٠
- كيف تمت خطبة خديجة؟ ٢٧٢
- عمر خديجة عند زواجها بالنبي (ص) ٢٧٤
- ١٠- من الزواج إلى البعثة ٢٧٥-٣١٢ فترة الشباب في حياة رسول الإسلام (ص) ٢٧٦
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٨٨
- أحاسيسه و مشاعره الانسانية في فترة الشباب ٢٧٧
- أولاد خديجة ٢٧٨
- حدس لا أساس له من الواقع في شأن خديجة ٢٧٨
- دعى رسول الله: زيد بن حارثة ٢٧٩
- بداية الخلاف في صفوف الوثنيين ٢٨٠
- أعمدة الوثنية تهتر ٢٨١
- نموذج آخر من ضعف قريش ٢٨٣
- أمين قريش يكفل عليا ٢٨٥
- إيمان النبي و آباءه و كفلائه قبل الإسلام ٢٨٦
- إيمان جدّه عبد المطلب ٢٨٦
- إيمان كفيله و عمه أبي طالب ٢٩٠
- إيمان والدي النبي الأكرم ٢٩١
- إيمان النبي بالله و توحيدته قبل البعثة ٢٩٢
- مناقشة الآيات التي استدلت بها النافون لايمان النبي ٢٩٢
- الآية الاولى: الهداية بعد الضلال ٢٩٧
- الآية الثانية: الأمر بهجر الرجز ٣٠٠
- الآية الثالثة: عدم علمه بالكتاب و الايمان ٣٠٢
- تفسير هذه الآية باخرى ٣٠٦
- الآية الرابعة: عدم رجائه القاء الكتاب إليه ٣٠٨
- الآية الخامسة: قوله تعالى: «لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ» ٣١٠
- ١١- بدء الوحي ٣١٣-٣٤٢ دور الأنبياء الأساسى فى إصلاح المجتمع ٣١٧
- مثل واضح فى المقام ٣١٧
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٨٩
- أمين قريش فى غار حراء ٣١٩
- بدء الوحي ٣٢١
- ظاهرة القضايا الغيبية فى منظار الماديين ٣٢٢
- الروح المجردة ٣٢٤
- ظاهرة الوحي عند الماديين ٣٢٥



- أبرز التحليلات المادية لظاهرة الدين ٣٢٥
- ظاهرة الوحي في منظار العقل و الدين ٣٣٣
- قنوات المعرفة الثلاثة: التجربة، العقل، الالهام ٣٣٤
- انواع الوحي من المنظور القرآني ٣٣٦
- اساطير مختلفة حول حال النبي عند نزول الوحي ٣٣٦
- بقية قصة نزول الوحي الأول ٣٣٧
- خديجة تذهب إلى ورقة بن نوفل ٣٣٨
- بطلان هذه المزاعم و الاساطير ٣٤٠
- ١٢- متى نزل الوحي أولاً؟
- ٣٤٣-٣٥٢ الرأي المشهور بين علماء السنة و استدلالهم ٣٤٣
- ردود الشيعة على هذا الرأي ٣٤٤
- الجواب الأول (التفريق بين النزول الدفعي و التدريجي) ٣٤٦
- الجواب الثاني (نزول حقيقة القرآن في رمضان على قلب النبي ص) ٣٤٦
- الجواب الثالث (التفكيك بين مبدأ نزول القرآن و البعثة) ٣٤٦
- الأنبياء و التبشير برسول الله (ص) محمد خاتم الأنبياء
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٩٠
- ١٣- ما سبقني أحد ٣٥٣-٣٨٦ من هو أول من آمن بالنبي (ص) من الرجال و النساء؟ ٣٥٣
- من النساء: خديجة ٣٥٣
- أقدم الرجال إسلاماً: علي بن أبي طالب ٣٥٤
- الدلائل التاريخية و النصوص الدالة على اسبقية الإمام علي ٣٥٤
- علي تربى في حجر النبي الأكرم (ص) ٣٥٥
- علي و خديجة يقيمان الصلاة مع النبي ٣٥٧
- «أنا الصديق الأكبر» ٣٥٧ سيد المرسلين ج ١ ٦٩٠ ١١ - فهرس المواضيع ..... ص : ٦٨١
- أولكم إسلاماً علي ٣٥٨
- النصوص النبوية الاخرى ٣٥٩
- كلمات أمير المؤمنين (ع) ٣٦١
- كلمات الإمام السبط الحسن (ع) ٣٦٤
- رأى الصحابة و التابعين في أول من أسلم ٣٦٤
- مناظرة بين المأمون و إسحاق في إسلام علي ٣٧٨
- قضية انقطاع الوحي ٣٧٩
- اسطورة و ليس تاريخاً ٣٨٠
- اختلاف المؤرخين في مسألة انقطاع الوحي ٣٨١
- ١٤- الدعوة السرية، دعوة الأقرين ٣٨٧-٤٠٠ دعوة الاقربين ٣٨٩

- كيفية دعوة الاقربين ٣٩٤
- خيانه تاريخية و جناية أدبية ٣٩٥
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٩١
- النبوة و الإمامة توأمان ٣٩٨
- ١٥- الدعوة العامة ٤٠١-٤٢٨ الثبات و الاستقامة على طريق الهدف ٤٠٢
- ثبات النبي (ص) و صبره ٤٠٣
- قريش تمشى إلى أبي طالب للمرة الثالثة ٤٠٦
- قريش تحاول تطميع النبي (ص) ٤٠٧
- نماذج من إيذاء قريش و تعذيبها للمسلمين ٤٠٨
- أبو جهل يكمن لرسول الله (ص) ٤١٢
- أبو لهب يؤذى رسول الله (ص) ٤١٣
- صبر النبي (ص) و استقامته ٤١٤
- بعض من اوذوا بأشد الأذى: ٤١٤
- ١- بلال الحبشي ٤١٥
- ٢- آل ياسر رمز الصمود و المقاومة ٤١٦
- ٣- عبد الله بن مسعود ٤١٧
- ٤- أبو ذر أول المجاهدين بالإسلام ٤١٨
- قبيلة غفار تعتنق الإسلام ٤٢١
- أعداء النبي الألداء ٤٢٢
- عمر بن الخطاب يعتنق الإسلام ٤٢٤
- ١٦- رأى قريش في القرآن ٤٢٨-٤٤٩ حكم الوليد بن المغيرة في شأن القرآن ٤٢٨
- نموذج آخر من حكم البلغاء في شأن القرآن ٤٣٠
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٩٢
- تحججات قريش العجيبة ٤٣٢
- الدوافع وراء معاداة قريش و عنادهم: ٤٣٨
- ١- حسدهم لرسول الله (ص) ٤٤٠
- ٢- معارضة الدعوة الاسلامية لشهواتهم ٤٤٠
- ٣- الخوف من العقاب الاخرى ٤٤٠
- ٤- الخوف من رد فعل القبائل العربية المشركة ٤٤١
- طائفه من اعتراضات المشركين ٤٤١
- القرآن الكريم و النزول التدريجي ٤٤٢
- الأسرار المنطقية للنزول التدريجي للقرآن الكريم ٤٤٤
- أسرار اخرى لنزول القرآن تدريجا ٤٤٧

١٧- الهجرة إلى الحبشة ٤٥٠-٤٦٥ الهجرة الاولى إلى الحبشة ٤٥٠

الهجرة الثانية إلى الحبشة ٤٥٤

قريش توفد رجالا لاسترداد المسلمين ٤٥٥

العودة من الحبشة ٤٦٠

وفد مسيحي يدخل مكة لتقصي الحقائق ٤٦٢

قريش توفد إلى يهود يثرب للتحقيق في أمر النبي (ص) ٤٦٣

١٨- الاسلحة الصديئة و الاساليب الفاشلة ٤٦٦-٤٨٦ ١- الاتهامات الباطلة ٤٦٦

الإصرار في نسبة الجنون إلى رسول الله (ص) ٤٦٩

سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٩٣

٢- القرآن يرد على جميع الاتهامات ٤٧١

فكرة معارضة القرآن ٤٧٣

تحججات صيبانية و جاهلية ٤٧٤

مقترحات عجيبة و مطالب غريبة ٤٧٦

صمود النبي و صبره ٤٧٧

معاجز النبي (ص) لم تقتصر على القرآن ٤٧٨

بعض معاجز النبي غير القرآن ٤٧٨

١- شق القمر ٤٧٨

٢- المعراج ٤٧٨

٣- مباهلة أهل الباطل ٤٧٩

٤- الإخبار بالمغيبات ٤٧٩

حرص النبي على هداية قريش ٤٨٠

٣- قرار تحريم الاستماع للقرآن ٤٨١

واضعو القرار ينقضون قرارهم ٤٨٣

منع الأشخاص من الإيمان برسول الله (ص) ٤٨٣

١- الأعشى ٤٨٤

٢- الطفيل بن عمرو الدوسي ٤٨٥

١٩- اسطورة الغرائق ٤٨٧-٤٩٨ ما هي اسطورة الغرائق؟ ٤٨٨

محاسبه بسيطة لهذه الاسطورة تفنّدها ٤٨٩

رأى العقل في هذه القصة الاسطورة ٤٩٠

تفنيد القصة من طريق آخر ٤٩٢

دليل لغوي على تفنيد هذه الاسطورة ٤٩٣

دراسة آيات من سورة الحج حول القاء الشيطان ٤٩٤

سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٩٤

- ما هو المقصود من تمنى الأنبياء و الرسل؟ ٤٩٥
- ما هو المقصود من تدخل الشيطان و القائه؟ ٤٩٥
- ما هو المقصود من محو آثار التدخل و الإلقاء ٤٩٧
- ٢٠- الحصار الاقتصادي و الاجتماعي ٤٩٩- ٥١٠ قريش تحاصر النبي و المسلمين اجتماعيا و اقتصاديا ٥٠٠
- قريش و الصحيفة القاطعة و وضع بني هاشم المساوي في شعب أبي طالب ٥٠٣
- ٢١- وفاة أبي طالب و خديجة الكبرى ٥١١- ٥٣٣ نماذج من مشاعر أبي طالب تجاه النبي (ص) ٥١٤
- التغيير في برنامج السفر ٥١٧
- الدفاع عن حوزة العقيدة و الإيمان ٥١٨
- تصوّر باطل عن مشاعر أبي طالب تجاه النبي (ص) ٥٢٠
- الدافع الحقيقي لأبي طالب ٥٢٠
- لمحات من تضحيات أبي طالب ٥٢١
- قضية ذات بواعث سياسية ٥٢٣
- طرق ثلاث لإثبات إيمان أبي طالب ٥٢٤
- ١- آثار أبي طالب العلمية و الادبية ٥٢٥
- ٢- موافقه من النبي و الرسالة الاسلامية ٥٢٦
- وصية أبي طالب عند وفاته ٥٢٨
- ٣- شهادات اقرباء أبي طالب (من أهل البيت) ٥٢٩
- رأى علماء الشيعة في أبي طالب ٥٣٠
- نظرة إلى رواية الضحضاح ٥٣٠
- ضعف أسناد هذه الرواية ٥٣١
- سيد المرسلين، ج ١، ص: ٦٩٥
- الف: سفيان بن سعيد الثوري ٥٣١
- باء: عبد الملك بن عمير ٥٣١
- جيم: عبد العزيز بن محمّد الدراوردي ٥٣٢
- نصّ حديث الضحضاح يخالف الكتاب و السنة ٥٣٢
- ١- القرآن الكريم: لا مغفرة للكافر ٥٣٣
- ٢- السنة النبوية: لا شفاعة للمشرك ٥٣٣
- ٢٢- المعراج في القرآن و السنة و التاريخ ٥٣٥- ٥٥٤ هل للمعراج جذور قرآنية؟ ٥٣٧
- أحاديث المعراج ٥٤٠
- متى وقعت هذه الحادثة؟ ٥٤١
- هل كان المعراج جسمانيا؟ ٥٤٣
- ما هو المراد من المعراج الروحاني ٥٤٤
- نعمة شاذة ٥٤٧

- المعراج و قوانين العلم الحديث ٥٤٨
- الهدف من المعراج ٥٥٣
- ٢٣- سفره إلى الطائف ٥٥٥-٥٦٤ النبي (ص) يعود إلى مكة ٥٥٩
- نقطه هامه ٥٦١
- الدعوة في أسواق العرب ٥٦٢
- دعوة رؤساء القبائل في موسم الحج ٥٦٣
- ٢٤- بيعه العقبة ٥٦٥-٥٨٢ وقعه بعث ٥٦٧
- تفصيل الحادثة ٥٦٨
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٩٦
- بيعه العقبة الاولى ٥٦٩
- بيعه العقبة الثانية ٥٧٠
- أوضاع المسلمين بعد بيعه العقبة ٥٧٣
- ردود فعل قريش تجاه بيعه العقبة ٥٧٥
- تأثير الاسلام و نفوذه المعنوي ٥٧٧
- مخاوف قريش المتزايدة ٥٨٠
- ٢٥- قصه الهجرة النبوية حوادث السنة الاولى من الهجرة الشريفه ٥٨٣-٦٢٤ الإمدادات الغيبية و العنايات الربانية ٥٨٥
- ملاك الوحي يخبر رسول الله بمؤامرة قريش ٥٨٧
- اقتحام الاعداء لبيت الوحي و الرسالة ٥٩٠
- النبي في غار ثور ٥٩١
- قريش تفتش عن النبي (ص) ٥٩٢
- التفاني في سبيل الحق ٥٩٣
- كلام من ابن تيمية في مبيت علي (ع) ٥٩٦
- الجواب التفصيلي على هذا الكلام ٥٩٨
- الخطيب و قضية المبيت ٦٠٠
- بقية قصة الهجرة النبوية ٦٠١
- الخروج من الغار ٦٠٣
- صفحة التاريخ الاسلامي الاولى ٦٠٤
- لما ذا أصبح عام الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامي ٦٠٥
- الهجرة النبوية مبدأ لتاريخ المسلمين كافة ٦٠٦
- من الذي جعل الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامي ٦٠٨
- نماذج من رسائل النبي المؤرخة بالعام الهجري ٦٠٩
- سيد المرسلين، ج١، ص: ٦٩٧
- التذكير بنقطتين ٦١٣

مؤامرة الطاغوت ٦١٤

برنامج الرحلة في حادث الهجرة ٦١٥

النزول في قرية قباء ٦١٧

المدينة تهب لاستقبال النبي (ص) ٦١٩

النبي (ص) يدخل المدينة ٦٢١

أصل النفاق و منشأه ٦٢٣

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣

## الجزء الثاني

### إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### [المقدمة]

مميزات النهضة الالهية و خصائصها خصيصة «الخلود» و العمق في شخصية رسول الاسلام

### المصادر الاولى و الاصيله للكتابة عن سيره النبي:

تشبه نهضة «الأنبياء» الالهية التي قام بها رسل الله و سفراؤه لتخليص البشرية من براثن الأوهام، و الخرافات، و لانقاذها من جور المستكبرين و ظلم الظالمين أكثر شيء بأمواج البحر التي تبدأ بدوائر صغيرة محدودة، و لكنها كلما ابتعدت عن مركز الدائرة ازدادت اتساعا و اتساعا، و اشتدت قوتها أكثر فأكثر.

إن الانقلاب المعنوي العريض و التحول الروحي العظيم الذي وضعت أسسه في أرض مكة على يدي رسول الاسلام العظيم أضاء بشعاعه و نوره الباهر في اليوم الاوّل غار حراء و ثم منزل خديجة و بعض البيوت المتواضعة في مكة فقط، و لكنه اتسع نطاقه بمرور الزمان، حتى عمّ في مدة ليست بالطويلة شرق الارض و غربها، و دوى نداء التوحيد في منطقة واسعة جدا من العالم (ابتداء من فرنسة و انتهاء بجدار الصين و ما وراءه) «١».

(١) لقد كتبت هذه المقدمة و ما بعده خلال تواجدي في الصين عام ١٤٠٨ و قد جئت إليها في مهمة استطلاعية و تبليغية اسلامية، و قد زرت في نفس الفترة التي كنت فيها مشغلا بكتابة هذه المقدمة المسجد الجامع في - بكين - العاصمة، و التقيت بامام ذلك المسجد الذي رحّب بي و بمن كان معي أشد ترحيب، و اتحفتني بنسخة من ترجمه القرآن الكريم باللغة الصينية، و زرت خلال وجودي في ذلك المسجد قبر رجلين مسلمين من ايران أحدهما تاجر، و الآخر عالم جاء إلى الصين في القرن السادس الهجري، و نشرا الاسلام في بكين و ما حولها، و قد نصبت عند قبرهما لوحتان من المرمر نقش عليهما اسمهما، و خصوصياتهما بالاحرف العربية. و هناك تذكرت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله «اطلبوا العلم و لو بالصين».

قلت في نفسي: لعل رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقصد فيما يقصد في هذا الحديث دفع

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤

إن مؤسسى هذا النوع من النهضات الدينية «١» يتمتعون- من حيث الاخلاق و الفضائل الانسانية- بخصيصة الخلود و اللانهاية فان الزمن يكشف باستمرار عن أبعاد أوسع و آفاق جديدة من شخصياتهم فهى تتسع كلما تقادم بها العهد تماما كأموج البحر، و كأن الأنبياء نسخة ثانية من الطبيعة، فكما أننا كلما أمعنا أكثر فى الطبيعة ظهرت لنا منها حقائق أكثر، و انكشفت لنا رموز و أسرار جديدة لم نعهدها من قبل فهكذا شخصيات الأنبياء و المرسلين، و سفراء الله الى البشرية. و تتجلى هذه الحقيقة أكثر- فأكثر كلما تعاضمت شخصيية من تلك الشخصيات-. و خلاصة القول أننا كلما ازددنا تعمقا و امعانا فيهم. اكتشفنا أسراراً كثيرة، و حقائق جديدة عن حياتهم. و يدل على كلامنا هذا تلك المؤلفات الكثيرة الوافرة التى كتبها علماء التاريخ و أصحاب السير، قديماً و حديثاً، حول رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه و آله و لكن مع ذلك كله كلما تقادم العهد به، و كلما اتسعت النظرات و ازدادت عمقا

المسلمين إلى نشر مبادئ الاسلام فى تلك البلاد العريضة التى تضم خمس سكان العالم.

و قد قام المسلمون الغيارى على دينهم، الحريصون على نشره و بثه بهذه المهمة فيما سبق و أدوا ما كان عليهم. فما ذا فعلنا نحن؟ و هل ترى يجوز أن يجهل خمس سكان العالم دين الله، و لا ينعموا بخيراته؟!!

أم هل ترى يجوز فى شريعة الانصاف أن يعانى ذلك الشعب الكبير من الاباطرة الطغاة فى الماضى، و من الانظمة و الايديولوجيات الجائرة الملحدة فى الحاضر، هذا و النبى صلى الله عليه و آله كان يحرض على هداية فرد واحد، و القرآن يقول: «من احيانا فكأنما أحيى الناس جميعاً»؟؟

هل خصصت نهضة الأنبياء الالهية برقعة صغيرة من الارض هى الجزيرة العربية، و ما حولها؟ أم أنها رحمة للعالمين جميعاً؟ سؤال نظرته على ابناء الاسلام دعاء و رعايا، حكومات و شعوباً لعلهم يتفكرون؟ (جعفر الهادى).

(١) المقصود من الدين هو المنهاج الواسع الشامل الذى يتكفل سعادة البشرية فى الحياتين الدنيا و الأخرى و ليس مجرد سلسلة من الطقوس الفارغة الخاوية كما هو الحال فى المسيحية الحاضرة.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٥

اكتشف المحققون مزيداً من الآفاق، و جديداً من الأبعاد فى هذه الشخصية الإلهية.

و لقد كان تعاطى السيرة النبوية و الحديث حولها فى البداية منحصراً (أو بالأحرى مقتصرًا) على مشاهدات أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و مسموعاتهم.

و مع ظهور جيل جديد يدعى بالتابعين بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله اتخذت الاحاديث و السنن الاسلامية، و تفاصيل الحياة النبوية، و قصص غزواته و حروبه رونقا جديداً، و أحسن الجيل الجديد برغبة شديدة فى أخذ الاحاديث الاسلامية، و التعرف على الحوادث التى وقعت فى عصر النبى صلى الله عليه و آله، و أيام حياته من مولده إلى وفاته.

و كلما ازدادت حالات الوفاة، فى أوساط الصحابة و التابعين الذين كانوا يشكّلون المنبع الأول و المصدر الأصيل لهذا النوع من العلوم الاسلامية، اتسع الاهتمام بالسيرة و ما شابهها و تعاضمت الرغبة فيها و تزايد عطش المسلمين إلى اخذ و معرفة الأحاديث التى تتضمن بيان خصوصيات حياة رسول الاسلام صلى الله عليه و آله، و جزئيات سيرته الطاهرة. هذا من جانب.

و من جانب آخر كان تشدد الخليفة الثانى «١»، و منعه عن كتابة أحاديث النبى صلى الله عليه و آله قد أوجب أن يندثر كثير من الأحاديث الاسلامية، التى سمعها بعض أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و تدفن تحت التراب بموتهم.

و لقد استمر منع الخليفة عن كتابة الحديث النبوى و بقى سارى المفعول لمدة طويلة بعد وفاته «٢»، حتى أتى الى الحكم خليفة معتدل السيرة من الأمويين هو:

«عمر بن عبد العزيز» فأمر - في رسالته وجهها الى أبي بكر بن حزم حاكم المدينة

(١) تقييد العلم: ص ٤٨ - ٥٣.

(٢) لم يترك نهى الخليفة أى أثر على علماء الشيعة الذين كانوا يتبعون عليا عليه السلام، فقد عمدوا فى فترة محدودة الى تدوين و ضبط الأحاديث، و حفظوا كنوزا عظيمة من علوم اهل البيت النبوى، للتوسع فى هذا المجال راجع كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦

و قاضيتها - بكتابة احاديث النبى صلى الله عليه وآله خوفا من اندراس العلم و زواله «١».

### أئمة السيرة:

و من حسن الحظ أن الخليفة الثانى لم يمنع إلاً من تدوين و كتابة الأحاديث النبوية، فلم يشمل هذا المنع كتابة الحوادث و الوقائع التى وقعت فى عصر الرسالة.

و لهذا ألفت فى تلك الفترة كتب كثيرة عن حياة رسول الاسلام صلى الله عليه وآله و سلم، و أول من كتب حول وقائع عصر الرسالة، و أرخ حوادث الصدر الأول من الاسلام هو: «عروة بن الزبير بن العوام» الصحابى المعروف الذى توفى عام ٩٢ أو ٩٦ من الهجرة «٢»

ثم عمد بعد جماعة فى المدينة و آخرون فى البصرة الى جمع و تدوين تفاصيل السيرة، و حروب رسول الله صلى الله عليه وآله و غزواته، و بيان هذا الأمر على نحو التفصيل خارج عن نطاق هذه الدراسة.

و لقد كانت هذه الكتب و المؤلفات هى المنبع و الاساس للكتب التى دوت فيما بعد فى صورة كتب السيرة النبوية، أو تاريخ الاسلام.

و قد بدأ تدوين سيرة النبى الا-كرم صلى الله عليه وآله بشكل جميل و بصورة بديعة منذ أوائل المنتصف الثانى من القرن الثانى الاسلامى، و كان من بين من قام بجهد مشرف و مشكور فى هذا المجال العالم الشيعى الكبير محمد بن اسحاق المتوفى عام ١٥١ فهو أول من استخرج تفاصيل الوقائع الاسلامية من كتب الماضين، و من

(١) ارشاد السارى فى شرح صحيح البخارى: ج ١ ص ١٩٥ و ١٩٦.

(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: ص ٢٣٣.

اختلفت الاقوال فى من هو أول من صنف فى علم المغازى و السير فى الاسلام.

فقال السيوطى فى كتاب الاولييات بأنه عروة بن الزبير.

و قال الافندى فى كشف الظنون أنه محمد بن اسحاق.

و الحق انه لا الاول و لا الثانى بل عبيد الله بن أبى رافع فانه تقدمهما فى التصنيف فى السير و المغازى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧

ثانيا رواياتهم و منقولاتهم و ألفها و اخرج شيئا جامعا حول السيرة النبوية إلى عالم الكتب و المؤلفات.

كما أن أول من ضبط و دون غزوات رسول الاسلام بشكل مفصل هو الواقدى صاحب «المغازى» و «فتوح الشام» المتوفى عام ٢٠٧ هـ

«١».



وقد لخصت سيرة ابن اسحاق على يد ابن هشام أبى محمد عبد الملك المتوفى عام ٢١٨ هـ و عرفت فيما بعد بسيرة ابن هشام (أو السيرة الهشامية) و هو الآن معدود من مصادر التاريخ الاسلامى و سيرة النبى الاكرم صلى الله عليه وآله الموثقة. و لو أننا تجاوزنا هذه الشخصيات لكان لشخصيتين اخريين سهم كبير فى تدوين و تسجيل تاريخ حياة رسول الاسلام، و هما:

١- محمد بن سعد الكاتب الواقدي المتوفى عام ٢٣٠ هـ مؤلف «الطبقات الكبرى» الذى أورد فيه سيرة النبى الإكرام صلى الله عليه وآله و أصحابه على نحو التفصيل.

و قد طبع هذا الكتاب فى لندن مؤخرًا، كما اعيد طبعه فى لبنان فى ٩ مجلدات.

٢- محمد بن جرير الطبرى المتوفى عام ٣١٠ هـ مؤلف كتاب «تاريخ الامم و الملوك».

على أن تثنى جهود هذه الثلة من الكتّاب و المؤلفين لا- يعنى بالضرورة أن كل ما أدرجوه فى مؤلفاتهم هو الثابت الصحيح، بل تحتاج مؤلفاتهم- كغيرها من المؤلفات، و الكتب- إلى التحقيق الواسع و التمحيص الدقيق. ثم ان حركة التأليف حول شخصية رسول الاسلام صلى الله عليه وآله

(١) عدّ الشيخ الطوسى فى رجاله ابن اسحاق من تلامذة الامام جعفر الصادق عليه السلام، و توجد نسخة خطية من سيرته فى مكتبة مدرسة الشهيد المطهرى بطهران حسب ما كتب صاحب الذريعة فى ج ١٢ ص ٢٨١ فيها.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨

و سيرته استمرت بعد ذلك طيلة القرون الاسلامية اللاحقة. و نحن اليوم أمام مكتبة زاخرة من الكتب، و الدراسات، المختلفة فى أحجامها و مستوياتها، و المتنوعه فى طرائقها و أساليبها، التى ألّفت حول رسول الله صلى الله عليه وآله و هذا إنما يدل على خصيصه العمق و اللانهاية التى اتسمت بها شخصية النبى صلى الله عليه وآله الخالدة العظيمة.

و قد أراد صاحب هذه الدراسة أن يقدم للجيل الحاضر شرحا ناطقا عن حياة رسول الاسلام العظيم، فى حدود ما تسمح به إمكانياته المحدودة، و لم يأل جهدا- لتحقيق هذا الهدف على وجه أفضل- فى مراجعة كتب الفريقين المعتمدة، و ان اكتفى بذكر عدد قليل من المصادر عند التأليف، و قد بينا عذرنا من هذا فى الجزء الأول من هذه الدراسة.

و لقد تناول الجزء الأول من هذا الكتاب حوادث مكة من بدء نشأتها إلى نهاية السنوات الثلاث عشرة الاولى من عصر الرسالة أى ما قبل الهجرة، و ها هو الجزء الثانى و هو يتناول حوادث العشر سنوات للهجرة الشريفة، و من الله التوفيق.

قم المقدسة- الحوزة العلمية

جعفر السبحانى

٢١ شعبان ١٣٩٢ هـ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩

## حوادث السنة الأولى من الهجرة «١»

إشارة

٢٦ (١)

أول عمل ايجابى للنبى فى المدينة عقد ميثاق تعايش بين المسلمين و غيرهم:

حملت وجوه فتيه الانصار المستبشرة، المبتهجة، بمقدم رسول الله صلى الله عليه وآله والاستقبال العظيم الذي قام به أغلبية الأوسيين والخزرجيين له حملته صلى الله عليه وآله، على أن يعمد قبل أى شىء إلى تأسيس مركز عام لتجميع المسلمين فيه فى الأوقات المختلفة، وللقيام بالاعمال التربوية و التثقيفية، و السياسية و العسكرية فى رحابه.

كما أن عبادة الله الواحد تقع فى طليعه البرامج التى جاء بها رسول الاسلام و لذا رأى من اللازم أن يعمد قبل أى عمل آخر الى بناء معبد للمسلمين حتى يتسنى لهم أن يعبدوا الله و يذكروه فيه فى أوقات الصلوات.

أجل كانت الحاجة إلى مثل هذا المركز شديدة فلا بد من مكان ليجتمع اعضاء حزب الاسلام (حزب الله) كل اسبوع فى يوم معين فيه، و يتشاوروا فى

(١) لا بد أنك أيها القارئ الكريم تتذكر جيدا أننا قصدنا من السنة الاولى للهجرة الاشهر العشرة المتبقية التى قضى رسول الله شهرين منها فى مكة و حط فى الباقي من شهرها الثالث (أى ربيع الاول) على أرض يثرب، بناء على هذا تكون السنة الاولى من الهجرة تسعة أشهر فقط، و تبدأ السنة الهجرية الثانية من شهر محرم الحرام (و ليس من اثنى عشر ربيع الاول).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠

شئون الاسلام و المسلمين و مصالحهم، و ليجمع فيه عامة المسلمين مضافا إلى هذا اللقاء الاسبوعى مرتين كل عام لأداء صلاة العيد، فكان المسجد الذى بناه كأول عمل قام به بعد قدومه المدينة.

(١) فلم يكن المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله للعبادة فقط بل كانت تلقى فيه كل أنواع العلوم و المعارف الاسلامية الشاملة للأموال التربوية و غيرها.

لقد كان يعلم فيه كل التعاليم و المواد الدينية و العلمية، حتى الأمور المرتبطة بالقراءة و الكتابة.

و قد بقيت أغلب المساجد على هذا المنوال حتى مطلع القرن الرابع الهجرى الاسلامى، فقد كانت فى غير أوقات الصلاة تتحول الى مراكز لتدريس العلوم المتنوعة «١».

(٢) و ربما اتخذ مسجد المدينة صورة المركز الأدبى، عند ما كان يلقى فيه كبار فصحاء العرب و بلغاؤهم قصائدهم المنسجمة مع التعاليم الاخلاقية و المعايير الاسلامية بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله كما فعل «كعب بن زهير» إذ ألقى قصيدته المعروفة «بانت سعاد» عند النبى صلى الله عليه وآله فى المسجد، و أعطاه النبى الكريم صلى الله عليه وآله صلوة جديده، و خلع عليه بخلعة عظيمة «٢».

أو كما كان يفعل «حسان بن ثابت» الذى كان يدافع بشعره عن حوزة الاسلام و المسلمين اذ كان يلقى بعض قصائده فى المسجد عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) راجع صحيح البخارى: ج ١ كتاب العلم، بل حتى عند فصل المراكز العلمية عن المساجد فى ما بعد، بقيت المدارس تبنى و تشيد الى جانب المساجد فكان هذا العمل يجسد الصلة الوثيقة بين العلم بالدين.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٠٣ قال أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وآله فى المسجد: بانت سعاد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١

(١) و لقد كانت مجالس الدرس و التعليم فى مسجد المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله تتسم بروعة كبيرة بحيث عند ما شاهد وفد ثقيف مشهدا من مشاهدا انبهروا به، و عجبوا بشدة لاهتمام المسلمين بتعلم الاحكام و اكتساب المعارف و العلوم «١».

كما انه كانت تمارس الامور القضائية و الفصل بين الخصومات، و اصدار الحكم على المجرمين فى المسجد، فكان المسجد يومذاك

بمنزلة محكمة (بكل معنى الكلمة) أى أنها تقوم بكل ما تقوم بها المحاكم اليوم.

هذا مضافا إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يلقي خطبه الحماسية و الجهادية لتعبئة المسلمين من أجل مجاهدة الكفار و المشركين فى المسجد.

(٢) و لعل من حكمه الاجتماع فى المسجد لاجل تحصيل المعارف و تعلم العلوم هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد بذلك أن يثبت عمليا أن العلم و الدين توأمان لا ينفكان فكلما كان هناك مركز للإيمان و جب ان يكون محلا للعلم أيضا.

و أما ممارسة القضاء و القيام بالخدمات الاجتماعية، و اتخاذ القرارات العسكرية فى المسجد فقد كان لأجل أن يعلن للجميع بأن دينه ليس مجرد أمر معنوى لا- يتصل بالأمور الدنيوية و لا تهمة قضايا الحياة و شؤون المعيشة المادية، بل هو دين شامل كامل لا يحض الناس على التقوى، و لا يدعوهم إلى الايمان إلّا و يهتم أيضا بشؤونهم المعيشية و إصلاح أوضاعهم الاجتماعية. فليس هو بالتالى يهتم بجانب و يغفل جانبا، بل هو دين شامل جامع يتكفل الأمور المادية و المعنوية معا.

(٣) و لقد كان هذا التلاقى و الانسجام (بين العلم و الإيمان) محط اهتمام المسلمين و نصب أعينهم دائما حتى بعد ما اتخذت المراكز التعليمية و المؤسسات العلمية البحثة شكلا مستقلا و صار لها محل خاص تدرس فيه، فانهم ظلوا يبنون

(١) تاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٣٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢

الجامعات الى جانب الجوامع و يشيدون المعاهد الى جانب المساجد ليثبتوا للعالم أن هذين الأمرين اللذين يكفلان إسعاد الحياة و الانسان لا يمكن أن ينفصلا، و يتعد بعضها عن بعض.

(١)

### مع عمار بن ياسر فى بناء المسجد النبوى:

لقد ابتاع رسول الله صلى الله عليه وآله الارض التى بركت فيها ناقته يوم قدومه المدينة، من أصحابها بعشرة دنانير لإقامة مسجد فيها. و اشترك كافة المسلمين فى تهيئته مواد الانشائية و بناءه، و عمل رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه فى تشييدها أيضا. فكان صلى الله عليه وآله ينقل معهم اللبن، و الحجارة، و بينما هو صلى الله عليه وآله ذات مرة ينقل حجرا على بطنه استقبله «اسيد بن حضير» فقال: يا رسول الله اعطني أحمله عنك.

قال صلى الله عليه وآله: لا، اذهب فاحمل غيره «١».

و بهذا الاسلوب العملى كشف رسول الاسلام العظيم عن جانب من برنامج الرفيع، إذ بين بعمله أنه رجل عمل و ليس رجل قول، و رجل فعل و ليس رجل كلام، و كان لهذا أثره الفعّال فى نفوس أتباعه.

فقد أنشد أحد المسلمين بهذه المناسبة يقول:

لئن قعدنا و النبيّ يعمل فذاك منّا العمل المضللّ «٢» (٢) و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يردّد و هو بينى و يعمل: لا عيش إلّا عيش الآخرة، اللهم ارحم الأنصار و المهاجرة.

و قد كان «عثمان بن عفان» ممن يهتم بنظافة ثيابه، و يحرص على أن يمنع عنها الغبار و التراب، فلم يعمل فى بناء المسجد لهذا السبب، فاخذ عمار ينشد أبياتا تعلمها من أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، و فيها تعريض بمن لا يعمل و يحرص على ثيابه أن لا تتسخ بالغبار:

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١١٢.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٩٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣ لا يستوى من يعمر المساجد أيدأب فيها قائما و قاعدا  
و من يرى عن الغبار حائدا «١»

(١) وقد أغضب مفاد هذه الايات عثمان بن عفان، فقال لعمار مهديدا: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية، و الله إنى لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك أى أضربك بها، و فى يده عصا!!  
فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بكلام عثمان غضب و قال:  
«ما لهم و لعمار، يدعوهم إلى الجنة، و يدعوهم إلى النار.  
إن عمارا جلدة ما بين عيني و أنفى ..» «٢».

و كان «عمار» فتى الاسلام القوى، يحمل قدرا كبيرا من اللبن و الاحجار فى بناء المسجد و لا يكتفى بحمل شىء قليل منها.  
فكان البعض يستغل طيب قلبه و اخلاصه فيثقله باللبن و الاحجار.

و يروى أن اصحاب النبي صلى الله عليه وآله جعل يحمل كل واحد لبنه لبنه و عمار يحمل لبنتين لبنتين لبنه عنه و لبنه عن النبي صلى الله عليه وآله و آله محبة منه لرسول الله صلى الله عليه وآله «٣».  
(٢) و ذات مرة رآه رسول الله صلى الله عليه وآله و قد حملوه ثلاث لبن أو احجار ثقيلة فشكا إليه عملهم و قال: يا رسول الله قتلوني يحملون على ما لا يحملون فنفض رسول الله صلى الله عليه وآله و فرته «٤» و كان رجلا جعدا و هو يقول قولته التاريخية:  
«ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك، انما تقتلك الفئة الباغية» «٥».

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٩٦، و تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٤٥ و السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٧٦ و مع ان ابن اسحاق صرح باسم عثمان بن عفان و لكن ابن هشام الذى لخص سيرة ابن اسحاق امتنع عن تسمية عثمان. و قال صاحب المواهب الدنية: المراد فى هذه الايات عثمان بن مظعون، راجع هامش سيرة ابن هشام أيضا.  
(٢) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٤٥.

(٣) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٧١، البداية و النهاية: ج ٢ ص ٢١٧.

(٤) اى شعر راسه.

(٥) المصدران السابقان

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤

(١) و قد كان هذا الخبر الغيبى من الدلائل القوية على نبوة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله و آله و صدق دعواه، و صحة إخباراته، فقد وقع ما أخبره كما أخبر، فقد قتل «عمار» و هو فى التسعين من عمره فى معركة صفين عند ما كان يقاوم جيش الشام بين يدي على عليه السلام، فقتله أنصار معاوية، و قد أحدث هذا الخبر الغيبى أثرا عجبيا فى حياة المسلمين فقد جعله المسلمون معيارا لمعرفة الحق، أى كانوا يعرفون حقانية أى جهة من الجهات و أى طرف من الأطراف فى الصراعات و النزاعات بانضمام عمار إليه.  
و عند ما قتل عمار فى ساحة القتال بصفين، دبّ فى أهل الشام اضطراب عجب.

فالذين كانوا فى شك فى حقانية «على» عليه السلام و موقفه فى هذه الحرب بفعل الدعاية المضادة التى كان يقوم بها معاوية و مساعده عمرو بن العاص ضد الامام قد انتبهوا على خطائهم و عرفوا بمقتل «عمار» على أيدي أنصار معاوية بأن عليا على حق و أن معاوية و جماعته هى الفئة الباغية التى أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وآله.

و من هؤلاء «خزيمة بن ثابت» الأنصاري الذي خرج مع الإمام علي عليه السلام لقتال معاوية، و لكنه كان متردداً في مقاتلته، بيد أنه جرد سيفه بعد مقتل «عمار» على أيدي أهل الشام، و حمل عليهم «١».

(٢) و منهم «ذو الكلاع» الحميري الذي خرج على رأس عشرين ألف مقاتل و هم تمام رجال قبيلته، مع معاوية لمحاربة الامام علي عليه السلام و كان معاوية يعتمد على نصرته اعتمادا كبيرا، حتى أنه لم يقدم على اتخاذ قرار الحرب إلا بعد أن اطمأن الى تأييده له، و مشاركته في قتال علي عليه السلام.

فقد صدم القائد المخدوع بشدة عند ما سمع بوجود «عمار» في معسكر الامام «علي».

(١) المستدرک علی الصحيحين: ج ٣ ص ٣٨٥ و وقعة صفين لابن مزاحم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥

فأراد رجال معاوية أن يموهوا الأمر، و يشوشوه عليه فقالوا: ما لعمار و لصفين؟ فذلك ما يقوله أهل العراق و ما يبالون من الكذب. (١) و لكن ذا الكلاع لم يقتنع بهذا فقال لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله أ ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن عمارا تقتله الفئة الباغية»؟

فقال عمرو: أجل، و لكن ليس عمار في رجال علي.

فقال ذو الكلاع: فلا بدّ اذن أن أعرف ذلك بنفسي.

ثم أمر رجالا- بأن يتحققوا من الأمر. و في هذه اللحظة الحساسة ادرك معاوية و عمرو خطورة الموقف اذ لو تحقق ذو الكلاع من وجود عمار في معسكر «علي» أو عرف بمقتله بين يديه عليه السلام إذن لأحدث ذلك شرخا كبيرا و تمزقا فضيعا في جيش الشام، من هنا تمت تصفية ذو الكلاع فورا اذ قتل بصورة غامضة «١».

(٢) إن اشتهار هذا الحديث لدى محدثي السنة و الشيعة ليغنيانا عن استعراض مصادره، و اسناده.

فقد روى الامام احمد بن حنبل أنه لما قتل عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال قتل عمار و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تقتله الفئة الباغية فقام عمرو بن العاص فزعا يرجع (أى يقول: إنا لله و إنا إليه راجعون) حتى دخل على معاوية، فقال معاوية: ما شأنك؟ قال: قتل عمار فقال معاوية: قد قتل عمار فما ذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية فقال له معاوية: أو نحن قتلناه انما قتله علي و أصحابه جاءوا به حتى القوه بين رماحنا (و سيوفنا) «٢».

(٣) و لكن لا يخفى أن هذا التأويل الباطل الذي لجأ إليه ابن أبي سفيان لتهدئة جنود الشام، ليس مقبولا عند الله تعالى قط، كما لا يقبل به أي عاقل لبيب.

فإن هذا هو الاجتهاد في مقابلة النص، و هو مما لا قيمة له أبدا، فان هذا

(١) وقعة صفين: ٣٧٧ و ٣٨٧.

(٢) مسند الامام احمد بن حنبل: ج ٤ ص ١٩٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦

النوع من الاجتهاد في مقابلة الآيات و الروايات الصريحة هو الذي سبب في أن يعمد فريق من المجرمين و الجناة إلى تبرير جرائمهم و فضائعتهم بحجة «الاجتهاد»، و تحت غطاءه.

و إليك نموذجا من هذا الأمر:

(١)

## ضُرُّ أَرَأْفَ مِنَ وَالِدَةٍ!!

لا يجد المرء عبارة أفضل من هذه تعرّف حقيقة مؤرخ القرن الثامن الهجري (ابن كثير الشامي مؤلف البداية و النهاية). فقد انبرى هذا الرجل الى الدفاع عن معاوية في كتابه اذ قال: لا يلزم من تسمية أصحاب معاوية بغاة تكفيرهم، لأنهم و ان كانوا بغاة في نفس الأمر فانهم كانوا مجتهدين فيما تعاطوه من القتال و ليس كل مجتهد مصيبا، بل المصيب له أجران، و المخطئ له أجر واحد (ثم يقول) و أما قوله: يدعوهم الى الجنة و يدعوهم الى النار فان عمّارا و أصحابه يدعون أهل الشام إلى الالفه و اجتماع الكلمة، و أهل الشام يريدون ان يستأثروا بالأمر دون من هو أحق به، و ان يكون الناس أوزاعا على كل قطر امام برأسه، و هذا يؤدي إلى افتراق الكلمة و اختلاف الأمة فهو لازم مذهبهم و ناشئ عن مسلكتهم و ان كانوا لا يقصدونه!! «١»

(٢) و نحن لم نجد اسما يناسب هذا العمل إلّا التحريف للحقائق.

فان مؤيدي الفئة الباغية مع كل ما اوتوا من قدرة على إخفاء الحقائق و طمسها لم يستطيعوا إنكار هذه الحقيقة، و لكن مؤرخا مثل ابن كثير عمد- رغم ورود هذا الحكم الغيبي في شأن تلك الفئة- الى تحريف بارد قد غفلت تلك الفئة هي ذاتها عنه!!

(٣) يقول أحمد بن حنبل: دخل رجلان على معاوية يختصمان في رأس عمّار يقول

(١) البداية و النهاية: ج ٢ ص ٢١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧

كل واحد منهما أنا قتلته، فقال عبد الله بن عمرو: لطيب به أحدكما نفسا لصاحبه فاني سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يقول: تقتله الفئة الباغية قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: ان أبي شكاني إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله فقال: اطع أباك ما دام حيا، و لا تعصه، فأنا معكم و لست اقاتل «١».

(١) إن اعتذار «عبد الله بن عمرو بن العاص» يشبه تأويل ابن كثير الشامي الذي يقول: إن معاوية قاتل «عليا» في صفين اجتهادا و ايمانا، و إن أخطأ في اجتهاده، و ذلك لأن إطاعة الوالد واجبة ما لم تجر الى مخالفة الشرع، فهذا هو القرآن الكريم يقول:

«وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا» «٢».

كما ان الاجتهاد إنما يصح إذا لم يكن في المقام نص صريح، ورد عن النبي صَلَّى الله عليه و آله، و لهذا كان اجتهاد معاوية و عمرو بن العاص و امثالهما باطلا مرفوضا، لكونه في مقابلة النص النبوي.

و لو أننا فتحنا باب الاجتهاد هكذا بدون أية ضوابط لكان جميع المشركين و المنافقين معذورين في معارضتهم، و محاربتهم لرسول الله صَلَّى الله عليه و آله، كما لا بد- حيثئذ- أن نقول: إن يزيد و الحجاج و أشباههما كانوا معذورين في سيفكهم لدماء الأئمة المعصومين، و الصالحين من المسلمين، بل و ماجورين في عملهم هذا.

(٢) انتهى النبي صَلَّى الله عليه و آله و المسلمون من بناء المسجد، و ظل يوسع فيه كل عام شيئا فشيئا.

و قد بنى الى جانب المسجد صفة ليسكن فيها الفقراء و المهاجرون المحرومون.

و كلف «عبادة بن الصامت» بأن يعلمهم الكتابة، و قراءة القرآن.

(١) مسند احمد بن حنبل: ج ٢ ص ١٦٤ و ١٦٥.

(٢) العنكبوت: ٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨

(١)

**التآخي؛ أو أعظم معطيات الايمان:**

لقد فتح تمرکز المسلمين في المدينة فصلا جديدا في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد كان صلى الله عليه وآله قبل دخوله المدينة لا يهّمه إلّا جذب القلوب والدعوة إلى دينه، ولكنه اليوم عليه أن يعمل - كصاحب دولة محنك - على حفظ كيانه وكيان جماعته، ولا يسمح للأعداء الداخليين والخارجيين بالتسلل والنفوذ في صفوفهم، ولكنه كان يواجه في هذا السبيل ثلاث مشاكل كبرى:

١- خطر قريش وعامة الوثنيين في شبه الجزيرة العربية.

٢- خطر يهود الذين كانوا يقطنون داخل أو خارج المدينة ويمتلكون ثروة كبيرة.

٣- الاختلاف الذي كان بين أتباعه من المهاجرين وبين الأوس والخزرج.

(٢) وحيث إن المهاجرين والأنصار قد نشئوا في بيئتين مختلفتين، لهذا كان من الطبيعي أن يختلفوا في طريقة المعاشرة، وآداب السلوك، وأسلوب التفكير اختلافا كبيرا.

هذا مضافا إلى أن الأوس والخزرج الذين كانوا يشكلون جماعة الأنصار كانوا هم يعانون من رواسب عداة قديم وبقايا ضغائن نشأت خلال حروب موية طويلة استغرقت مائة وعشرين سنة بلا انقطاع.

ومع وجود مثل هذه التناقضات والأخطار المحتملة لم يكن مواصلة الحياة الدينية، والسياسة المستقرة أمرا ممكنا قط.

ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله تغلب على كل هذه المشكلات بطريقة حكيمة، غاية في الحنكة والابداع.

فبالنسبة إلى المشكلتين الأوليين فقد عالجهما بالقيام بأعمال سيأتى ذكرها في المستقبل.

و أما بالنسبة إلى مشكلة التناقضات بين فئات وأصناف جماعته فقد عالج

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩

تلك المشكلة بحذق كبير، وتدير رائع جدا.

(١) فقد امر من جانب الله تعالى بأن يؤاخي بين المهاجرين والأنصار.

فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وقال لهم:

«تآخوا في الله أخوين أخوين».

وقد ذكرت المصادر التاريخية الإسلامية، مثل «السيرة النبوية» لابن هشام «١» أسماء كل متآخين من المهاجرين والأنصار.

وبهذا الأسلوب كرس رسول الله صلى الله عليه وآله الوحدة السياسية والمعنوية بين المسلمين وقوى أسسها ودعائمها.

وقد سببت هذه الوحدة، وهذا التآخي الواسع في أن يقرّر حلا للمشكلتين الأولىين بسرعة وسهولة.

(٢)

**منقبتان عظيمتان:**

ولقد ذكر أكثر مؤرخي السنة والشيعة ومحدثيهم في هذا الموضوع منقبتين عظيمتين، نذكرهما نحن هنا أيضا: لقد آخى رسول الله

صلى الله عليه وآله بين ثلاثمائة من أصحابه من المهاجرين والأنصار وهو يقول: يا فلان أنت أخ لفلان.

ولما فرغ من المؤاخاة، قال له على عليه السلام، وهو يبكي:

«يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟»



فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أخذ بيده:

«أنت أخي في الدنيا والآخرة» (٢).

(٣) وقد ذكر القندوزي الحنفى هذه القضية بنحو أكثر تفصيلا اذ قال:

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى:

«والذى بعثنى بالحق نبيا ما أخرجتك إلا لنفسى، فأنت منى بمنزلة هارون من

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠٤-٥٠٧.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠.

موسى إلا أنه لا نبى بعدى، وأنت أخى و وارثى» (١).

غير ان ابن كثير شكك في صحة هذا الرواية (٢)، وحيث إن هذه التشكيك نابع من نفسيته الخاصة، ولا يقل تفاهة و بطلانا من اعتذاره و دفاعه عن معاوية و زمرة الباغية عن قتل الصحابي العظيم عمار بن ياسر لهذا نرجح أن نصرف النظر عن النقاش فيه، و نترك القضاء و الحكم عليه للقارئ المنصف، و المتبع العدل.

(١)

### منقبة أخرى لعلي عليه السلام:

فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من بناء المسجد، و قد بنيت منازل و منازل أصحابه حول المسجد، و كل شرع منه بابا إلى المسجد، و خط لحمزة خطا فبنى منزله فيه، و شرع بابه الى المسجد و خط لعلي بن أبي طالب مثل ما خط لهم فبنى منزله فيه و شرع بابه إلى المسجد، فكانوا يخرجون من منازلهم فيدخلون المسجد من تلك الابواب.

و فجاء نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله و قال:

«يا محمّد إنّ الله يأمرك أن تأمر كلّ من كان له باب إلى المسجد أن يسده و لا يكون لأحد باب إلى المسجد إلا لك و لعلي عليه السلام».

(٢) يقول ابن الجوزي: فأوجد هذا الامر ضجة عند البعض، و ظنوا أنّ هذا الاستثناء قد نشأ عن سبب عاطفي، فخطب رسول الله صلى الله عليه وآله في الناس و قال فيما قال:

«و الله ما أنا أمرت بذلك، و لكنّ الله أمر بسدّ أبوابكم و ترك باب عليّ» (٣).

و خلاصة القول أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قضى عن طريق المؤاخاة

(١) ينابيع المودة: ص ٥٦، و نظيره في السيرة النبوية.

(٢) البداية و النهاية: ج ٢ ص ٢٢٦.

(٣) تذكرة الخواص: ص ٤٦، بتصرف بسيط.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١.

الاسلامية بين أصحابه من الأنصار و المهاجرين على الاختلافات القديمة التي كانت رواستها باقية بين المسلمين إلى ذلك اليوم، و بذلك حل مشكلة من المشاكل الثلاث التي مرّ ذكرها.



(١)

**معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين و يهود يثرب:**

كانت المشكلة الثانية التي يواجهها رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة هي مشكلة يهود يثرب الذين كانوا يقطنون المدينة و خارجها و كانوا يمسون بأزمه التجارة و الاقتصاد في تلك المنطقه.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدرك جيدا أنه ما لم تصلح الأوضاع الداخليه في المدينة و ما لم يضم الى صفوفه يهود يثرب، و بالتالى ما لم يتم وحده سياسيه عريضه في مركز حكومته، لم تنهيا لشجرة الاسلام أن تنمو، و لن يتهيأ له صلى الله عليه وآله أن يفكر في أمر الوثنيين و الوثنيه في شبه الجزيرة العربيه و لا يستطيع معالجه المشكله الثالثه أعنى قريش بخاصه. و بكلمه واحده ما لم يستتب الأمن و الاستقرار في مقر القيادة لن يمكن الدفاع ضد العدو الخارجى.

(٢) و لقد قام بين يهود المدينة و المسلمين في بدايه هجرتهم إليها نوع من التفاهم لأسباب خاصه، لأن كلا الجانبين كانا موحدين يعبدان الله، و يرفضان الأوثان، و كان اليهود يتصورون أنهم يستطيعون- إذا اشتد ساعد المسلمين، و قويت شوكتهم- أن يأمنوا حملات المسيحيين الروم، هذا من جانب، و من جانب كان بينهم و بين الأوس و الخزرج علاقات عريقه و موثيق قديمه. من هنا حاول النبى صلى الله عليه وآله أن يكرس هذا التفاهم، و يبلوره بعقد معاهده تعايش، و دفاع مشترك بين الأنصار و المهاجرين و وقع عليها يهود المدينة أيضا «١».

(١) المقصود منهم يهود الأوس و الخزرج، و أما يهود بنى النضير، و بنى قينقاع، و بنى قريظه فقد عقد

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٢٢

و قد احترم رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المعاهده دين اليهود و ثروتهم في اطار شرائط معينه.

(١) و قد أدرج كتاب السيره و المؤرخون النص الكامل لهذه المعاهده في كتبهم «١».

و نظرا لأهميتها الخاصه، و لأنها تعتبر مستندا تاريخيا حيا، قوى الدلاله، و لكونها تكشف عن مدى التزام رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله بمبادئ الحريه و النظم و العداله، و مبلغ مراعاته و احترامه لها في الحياه، و لأنها تكشف لنا كيف أنها أوجدت جبهه متحده قويه في وجه الحملات الخارجيه نذكر هنا نقاطها الحساسه و نسجلها كواحد من أكبر الانتصارات السياسيه التي أحرزتها الحكومه الاسلاميه الناشئه في العالم ذلك اليوم.

(٢)

**أعظم معاهده تاريخيه:****إشارة**

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمّد النبى صلى الله عليه وآله بين المؤمنين و المسلمين من قريش و يثرب و من تبعهم، فلحق بهم، و جاهد معهم.

(٣)

- (٤) ١- إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم (أى على الحال التى جاء الاسلام و هم عليها) يتعاقلون بينهم (أى يدفعون دية الدم) و هم يفدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف و القسط بين المؤمنين.
- (٥) ٢- و بنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلمهم الاولى، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف و القسط بين المؤمنين، و هكذا بنو ساعدة و بنو الحارث، و بنو جشم، و بنو النجار، و بنو عمرو بن عوف و بنو النبيت، و بنو الأوس كل على ربعتهم

- النبى صلى الله عليه و آله معهم معاهدة مستقلة سنذكرها.

(١) مثل السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣

- (و الحال التى جاء الاسلام و هم عليها من حيث التعاون على الديات الى اولياء المقتول، و دفع الفدية معا لفك الأسير).
- (١) ٣- و إن المؤمنين لا يتركون مفرحا (أى مثقلا بالدين و كثير العيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل (أى دفع دية أو فداء أسير).
- (٢) ٤- و إن المؤمنين المتقين (يد واحدة) على من بغى منهم، او ابتغى دسيعة (عظيمة) ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، و أن أيدىهم عليه جميعا و لو كان ولد احدهم.
- (٣) ٥- و أن لا يحالف مؤمن مولى (أى عبد) مؤمن دونه (أى دون إذنه).
- (٤) ٦- و أن لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر (أى قصاصا لمقتل كافر على يدى ذلك المؤمن) و لا ينصر كافرا على مؤمن.
- (٥) ٧- و أن ذمة الله واحدة (تشمل جميع المسلمين بلا استثناء) يجير عليهم أديانهم (فاذا أجاز عبد مسلم كافرا قبلت إجارته و احترم أمانه).

(٦) ٨- و إن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

(٧) ٩- و إنهم من تبعنا من يهود فإن له النصر و الاسوة غير مظلومين، و لا متناصرين عليهم.

(٨) ١٠- و إن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء و عدل بينهم (فلا يجوز لأحد أن ينفرد بعقد معاهدة صلح مع أحد من غير المسلمين إلا بموافقة المسلمين).

(٩) ١١- و إن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا (أى يتنابو المسلمون فى المشاركة فى الجهاد)، و إن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله (أى يراق منهم الدم على السواء لا أن يتعرض للقتل بعض دون بعض).

(١٠) ١٢- و إن المؤمنين المتقين على أحسن هدى و أقومه.

(١١) ١٣- و أن لا يجير مشرك (من شركى المدينة) مالا لقريش، و لا نفسا، و لا يحول دونه على مؤمن (أى لا يمنعه من مؤمن).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤

(١) ١٤- و إنهم من اعتبط مؤمنا (أى قتل من المؤمنين مؤمنا بلا جناية منه توجب قتله) قتلا عن بينة فإنه قود به (أى يقتل بقتله قصاصا) إلا أن يرضى ولي المقتول.

و إن المؤمنين عليه كافة، و لا يحلل لهم إلا قيام عليه.

(٢) ١٥- و إنهم لا يحلل لمؤمن أقر بما فى هذه الصحيفة، و آمن بالله و اليوم الآخر، أن ينصر محدثا (صاحب بدعة) و لا يؤويه و أنه من نصره، و آواه فعليه لعنة الله و غضبه يوم القيامة، و لا يؤخذ منه صرف و لا عدل.

(٣) ١٦- و إنكم مهما اختلفتم فيه من شىء فان مرده إلى الله عز و جل و إلى محمد صلى الله عليه و آله.

(٤)

## «البند الثاني»

- (٥) ١٧- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين (و دفاعا عن المدينة).
- (٦) ١٨- وإن يهود بنى عوف أمه من المؤمنين (و بنو عوف قبيلة من قبائل الأنصار) لليهود دينهم و للمسلمين دينه، مواليهم و أنفسهم، إلّا من ظلم و اثم، فانه لا يوتغ (لا يهلك) إلّا نفسه و أهل بيته (و السبب فى هذا هو أن أهل بيت الرجل يتبعونه و يؤيدونه فى فعله غالبا و عادة).
- و المراد من هذا الاستثناء هو أن العلاقات و الاتحاد يبقى قائما بين تلك الطائفة من اليهود و بين المسلمين ما دام لم يكن ثمة ظالم و معتد.
- (٧) ١٩- وإن يهود بنى النجار، و بنى الحارث و بنى ساعدة، و بنى جشم، و بنى الأوس و بنى ثعلبة، و بنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف، من الحقوق و الامتيازات.
- و إن جفنة بطن من ثعلبة (أى تلك القبيلة فرع من هذه)، و إن لبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى عوف.
- (٨) ٢٠- و إن البرّ دون الإثم (أى أن يغلب حسناتهم على سيئاتهم).
- (٩) ٢١- و إن موالى ثعلبة (أى المتحالفين معهم) كأنفسهم.
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٢٥
- (١) ٢٢- و إن بطانة يهود (أى خاصتهم) كأنفسهم.
- (٢) ٢٣- و أنه لا يخرج منهم أحد (من هذه المعاهدة) إلّا باذن محمد صلى الله عليه و آله.
- (٣) ٢٤- و إنّه لا ينحجر على ثأر جرح (أى لا يضيع دم حتى الجرح)، و ان من فتك (بأحد) فبنفسه فتك، و أهل بيته إلّا من ظلم (أى إلّا إذا كان المفتوك به ظالما).
- (٤) ٢٥- و إن على اليهود نفقتهم، و على المسلمين نفقتهم، و إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة (أى أن على كل جماعة من المسلمين و اليهود أن يقوم بنصيبه من نفقات الحرب).
- (٥) ٢٦- و إن بينهم النصح و النصيحة (أى أن تكون العلاقات على هذا الاساس) و البر دون الاثم.
- (٦) ٢٧- و إنّه لم يأثم امرؤ بحليفه (أى لا يحق لأحد أن يظلم حليفه و أن النصر للمظلوم (لو فعل أحد ذلك)).
- (٧) ٢٨- و إن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة (أى أن داخل المدينة حرم و مأمّن لجميع من وقّع على هذه الصحيفة).
- (٨) ٢٩- و إن الجار (و هو من يدخل فى أمان أحد) كالنفس غير مضارّ و لا آثم، (فلا يجوز إلحاق ضرر به).
- (٩) ٣٠- و إنّه لا تجار حرمة إلّا باذن أهلها.
- (١٠) ٣١- و إنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مردّه إلى الله عزّ و جلّ و إلى محمد رسول الله صلى الله عليه و آله، و إن الله على اتقى ما فى هذه الصحيفة و أبّره (أى أنه تعالى ناصر و ولى لمن التزم بهذه المعاهدة).
- (١١) ٣٢- و إنّه لا تجار قريش و لا من نصرها.
- (١٢)

## «البند الثالث»

- (١٣) ٣٣- و إن بينهم (أى بين اليهود و المسلمين) النصر على من دهم يثرب

(فعلهم معا أن يدافعوا عن المدينة ضد المعتدين).

- (١) ٣٤- و إذا دعوا (أى دعى المسلمون اليهود) الى صلح يصالحوه، و يلبسونه، فانهم يصالحوه و يلبسونه.  
و إنهم اذا دعوا (أى اذا دعى اليهود المسلمين) الى مثل ذلك (الصلح) فانه لهم على المؤمنين إلاً من حارب فى الدين.  
فعلى اليهود أن يوافقوا على كل صلح يعقده المسلمون مع الأعداء، و هكذا على المسلمين أن يقبلوا بكل صلح يعقده اليهود مع  
الاعداء إلاً إذا كان ذلك العدو ممن يخالف الاسلام و يعاديه و يتآمر عليه.  
(٢) ٣٥- و إن يهود الأوس مواليهم و أنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة.  
(٣)

### «البند الرابع»

- (٤) ٣٦- و إنه لا- يحول هذا الكتاب دون ظالم و آثم. (فلا- يمكن لأحد أن يتستر وراءه ليتخلص من العقاب إذا ارتكب خطيئة و  
جناية).  
(٥) ٣٧- و إنه من خرج (من المدينة) آمن، و من قعد آمن بالمدينة إلاً من ظلم أو آثم.  
ثم ختمت هذه المعاهدة بالعبارة التالية:  
«و إن الله جار لمن برّ و اتقى، و محمد رسول الله صلى الله عليه و آله» (١).  
إن هذه المعاهدة السياسية التاريخية التى أدرجنا هنا أهم مقاطعها تعدّ نموذجاً كاملاً لرعاية الاسلام، و حرصه على مبدأ حزية الفكر و  
الاعتقاد، و مبدأ الرفاه الاجتماعى العام، و ضرورة التعاون فى الامور العامة، بل و توضّح هذه المعاهدة- فوق كل ذلك- حدود  
صلاحيات و اختيارات القائد، و مسئولية كل الموقعين عليها، و على أمثالها.  
(٦) على أنه و إن لم يشترك يهود «بنى قريظة» و «بنى النضير» و «بنى قينقاع»

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠٣ و ٥٠٤، الاموال: ص ١٢٥-٢٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧

فى إبرام هذه المعاهدة و التوقيع عليها، بل شارك فيها يهود الأوس و الخزرج فقط، إلاً أن تلك الطوائف اليهودية (الثلاث) قد وقعت  
فيما بعد مع قائد المسلمين و زعيمهم على معاهدات مماثلة أهم بنودها هى:  
أن لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه و آله و لا على أحد من أصحابه بلسان و لا يد و لا بسلاح و لا بكراع (أى الخيل و غيرها  
من المراكب) فى السر و العلانية لا لبيل و لا بنهار، الله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله فى حلّ من سفك دماهم، و سبى  
ذرائعهم، و نسائهم، و أخذ أموالهم.  
و قد كتب رسول الله صلى الله عليه و آله لكل قبيلة منهم كتاباً على حدة على هذا الغرار، ثم وقع عليها «حى بن أخطب» عن قبيلة بنى  
النضير، و «كعب بن أسد» عن بنى قريظة، و «المخزومى» عن قبيلة بنى قينقاع (١).  
و بهذا ساد الأمن يثرب و ضواحيها بعد أن اعتبرت المنطقة حرماً آمناً.  
و الآن جاء دور أن يعالج رسول الله صلى الله عليه و آله المشكله الاولى، يعنى قريش لأنه ما دام هذا العدو يعرقل حركة الدعوة، و  
يقف سداً أمام تبليغ الاسلام، فلن يوفق لنشر هذا الدين و تطبيق أحكامه، و تعاليمه المباركة.  
(١)

## ممارسات اليهود الإجهاضية:

لقد تسببت تعاليم الاسلام الرفيعة و أخلاق الرسول العظيم فى أن يتزايد عدد الممتنين الى الاسلام يوما بعد يوم، و تزداد بذلك قوة الاسلام العسكرية و الاقتصادية و السياسية.

و قد أحدث هذا التقدم المترائد الباهر قلعا و ضجة عجيبة فى الأوساط اليهودية الدينية، لأنهم كانوا يتصوّرون أنهم يستطيعون بدعمهم رسول الله صلى الله عليه و آله و تقويته و تأييده جزّه إلى صفوفهم، و لم يكونوا يتصوّرون قط أنّ

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١١٠ و ١١١. احتفظ فى ذاكرتك أيها القارئ الكريم هذا القسم من المعاهدة الثانية لأن رسول الله صلى الله عليه و آله عاقب اليهود بسبب نقضهم لهذه المعاهدة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨

النبي صلى الله عليه و آله سيحصل بذاته على قوة تفوق قوة اليهود و النصرى، من هنا بدءوا بممارسة الأعمال الإجهاضية مثل طرح الاسئلة الدينية العويصة على رسول الله صلى الله عليه و آله بغية زعزعة إيمان المسلمين بنبيهم، و لكن جميع هذه المخططات باءت بالفشل و لم تترك أى أثر فى صفوف المسلمين المتراصة و ايمانهم العميق برسول الاسلام.

(١) و قد جاءت بعض هذه المناظرات و المجادلات فى سورة البقرة و سورة النساء.

و يستطيع القارئ العزيز- من خلال قراءة- آيات هاتين السورتين و التمعن فيهما أن يقف على مدى العناد و اللجاج الذى كان يديه اليهود.

فمع أنهم كانوا يتلقون من رسول الله صلى الله عليه و آله على أجوبة واضحة لكل واحد من اسئلتهم كانوا يتهزّبون من الانضواء تحت راية الاسلام، و يحجمون عن الاعتراف به، و كانوا يقولون فى مقام الردّ على دعوة النبي إياهم إلى اعتناق الاسلام: «قلوبنا غلف».

أى لا نفهم ما تقول!! «١».

(٢)

## اسلام عبد الله بن سلام:

هذه المناظرات و المجادلات و ان كانت لا تزيد غالبية اليهود إلّا تعنتا و عنادا، و لكنها كانت تسبب أحيانا يقظة البعض و إقبالهم على الاسلام، مثل «عبد الله ابن سلام».

فقد أسلم ابن سلام الذى كان من علماء اليهود و أحبارهم، برسول الله صلى الله عليه و آله بعد سلسلة من المناظرات و المجادلات المطولة «٢».

و لم يمض وقت كبير على اسلام ابن سلام إلّا و التحق به عالم آخر من علماء

(١) و (٢) للوقوف على نص هذه المناظرات راجع السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٣٠-٥٧٢، بحار الأنوار: ج ٩ ص ٣٠٣ فما بعد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩

اليهود هو «المخيري».

(١) و كان عبد الله بن سلام يعلم بأنه سيذمه قومه من اليهود اذا عرفوا باسلامه و ترك دينهم، من هنا طلب من رسول الله صلى الله عليه و آله أن يكتف عن الناس إسلامه، ريثما يحصل أولا على اعتراف من قومه بعلمه و تقواه، و بمعرفته و صلاحه قائلا: «يا رسول الله

إن يهود قوم بهت، و أنى أحب أن تدخلني في بعض بيوتك، و تغيبني عنهم ثم تسألهم عنى حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي فإنهم إن علموا به بهتوني و عابوني».

فأدخله رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض بيوته و أخفاه عن الانظار ثم قال لليهود الداخلين عليه: «أى رجل الحصين بن سلام فيكم؟».

قالوا: سيدنا و ابن سيدنا، و حبرنا و عالمنا، فخرج عليهم «عبد الله بن سلام» من مخبأه و قال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله و اقبلوا ما جاءكم به، فو الله إنكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه و صفته، فانى أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وآله، و أو من به و اصدقاه و أعرفه.

فغضب اليهود من مقالته، و قالوا له: كذبت و وقعوا فيه، و عابوه، و بهتوه «١».

(٢)

### خطبة أخرى للقضاء على الحكومة الإسلامية:

لم تضعف مجادلات اليهود و استنلتهم العويصة عقيدة المسلمين و ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وآله فحسب، بل تسببت في أن تتضح مكانته العلمية، و قيمة معارفه الغيبية للجميع أكثر من ذي قبل.

ففى ظل هذه المجادلات و المحاورات رغب جماعات كبيرة من الوثنيين و اليهود في الاسلام فآمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله و صدقوه.

من هنا دبّر اليهود مؤامرة أخرى و هى التدرّع بأسلوب «فرق تسد»، لالقاء

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥١٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠.

الفرقة في صفوف المسلمين.

(١) فقد رأى دهاء اليهود و ساستهم أن يستغلوا رواسب الاختلافات، و يؤججوا نيران العداة القديم بين الأوس و الخزرج الذى زال بفضل الاسلام، و بفضل ما أرساه من قواعد الاخوة و المساواة و المواساة و المحبة، بعد أن كانت مشتتة طوال مائة و عشرين عاما متواليه، ليستطيعوا بهذه الطريقة تمزيق صفوف المسلمين بإثارة الحروب الداخلية بينهم، و التى من شأنها ابتلاع الاخضر و اليبس و القضاء على الجميع دون ما استثناء.

(٢) ففيما كان نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الأوس و الخزرج فى مجلس قد جمعهم، يتحدثون فيه إذ مرّ عليهم «شاس بن قيس» و هو يهودى شديد العداة للإسلام، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، فغاظه ما رأى من الفة الأوس و الخزرج، و اجتماعهم و تواددهم، و صلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة الطويلة فى الجاهلية، فأمر فتى من يهود كان معهم فقال له: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعث «١» و ما كان قبله و أنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا و تبادلوا فيه من الاشعار!! ايقاعا بين هاتين الطائفتين من الأنصار، و إثارة لنيران الاحقاد الدفينه، و العداوات الغابرة.

(٣) ففعل ذلك الغلام اليهودى ما أمره به «شاس» فتكلم القوم عند ذلك، و تنازعوا، و تفاخروا، و تواتب رجالان من القبيلتين على الركب و أخذ كل منهما يهدد الآخر، و تفاقم النزاع، و غضب الفريقان و تصايحا، و قاما إلى السلاح و كاد أن يقع قتال و دم بعد أن ارتفعت النداءات القبليه بالاستغاثة و الاستنجد على عادة الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله و عرف بمكيدة اليهود، و مؤامرتهم الخبيثة هذه، فخرج الى تلك الجماعة المتصايحة من الأوس و الخزرج فى جمع من أصحابه المهاجرين فقال:

(١) قد مرّ ذكر هذه الواقعة وقلنا: هو يوم اقتتل فيه الأوس و الخزرج و كان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١

«يا معشر المسلمين، الله الله أبدعوى الجاهلية و أنا بين أظهركم بعد أن هداكم للإسلام، و أكرمكم به، و قطع به عنكم أمر الجاهلية، و استنقذكم به من الكفر، و ألف بين قلوبكم؟؟».

فعرف القوم أنها مؤامرة مبيتة من اليهود اعداء الاسلام و المسلمين، و كيد خبيث منهم، فندموا على ما حدث، و بكوا و عانق الرجال من الأوس و الخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه و آله سامعين مطيعين، و أطفأ الله عنهم كيد أعدائهم «١». (١) إلّا أن مؤامرات اليهود لم تتوقف عند هذا الحدّ، و لم تنته بهذا، فقد اتسعت دائرة خيانتهم و جنائيتهم، و نقضهم للعهد و أقاموا علاقات سرية و خاصة مع مشركى الأوس و الخزرج، و مع المنافقين و المترددين فى اسلامهم و اعتقادهم، و اشتركوا بصورة صريحة فى اعتداءات قريش على المسلمين، و فى الحروب التى وقعت بين الطرفين، و كانوا يقدمون كل ما أمكنهم من الدعم و المساعدة للوثنيين، و يعملون لصالحهم!!

و قد جرت هذه النشاطات السرية و العلنية المضادة المعادية للإسلام و المسلمين، و هذا التعاون المشؤوم مع مشركى قريش، جرت إلى وقوع مصادمات و حروب دامية بين المسلمين و الطوائف اليهودية أدت فى المآل إلى القضاء على الوجود اليهودى فى المدينة. (٢) و سيأتى ذكر هذه الحوادث فى وقائع السنة الثالثة و الرابعة من الهجرة، و سيتضح هناك كيف أن الجماعة اليهودية ردت على الجميل الذى تعكسه كلتا المعاهدتين من أولهما الى آخرهما، بنقض العهد، و معاداة الاسلام و المسلمين، و التآمر ضدّ رسول الله صلى الله عليه و آله خاصّة، و بنصرة أعدائه، و دعم خصومه، الأمر الذى أجبر النبى صلى الله عليه و آله على تجاهل تلك المعاهدات الودية و الانسانية و من ثم محاربتهم، و إخراجهم من المدينة و ما حولها و القضاء على

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٥٥-٥٥٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢

ما تبقى من كياناتهم الشريرة.

لقد أقام رسول الله صلى الله عليه و آله فى المدينة من ربيع الأول من السنة الأولى للهجرة إلى شهر صفر من السنة الثانية حتى بنى المسجد و البيوت و المنازل المحيطة بها، و قد أسلم فى هذه الفترة كل من تبقى من الأوس و الخزرج، و لم يبق دار من دور الانصار إلّا أسلم أهلها، ما عدا بعض العوائل و الفروع ممن بقوا على شركهم، و لكنهم أسلموا بعد معركة بدر «١».

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٠٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣

(١)

## حوادث السنة الثانية من الهجرة

إشارة

## مناورات عسكرية واستعراضات حربية

## إشارة

الهدف من هذا الفصل هو شرح و بيان الأسرار الكامنة وراء سلسلة الاستعراضات الحربية، و المناورات العسكرية، التي قام و أمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقد بدأت هذه المناورات منذ الشهر الثامن من الهجرة و استمرت حتى شهر رمضان من السنة الثانية، و تعد في الحقيقة أول مناورات عسكرية، و عروض حربية قام بها المسلمون.

إن التفسير الصحيح لهذه الوقائع، و بيان رموزها و أسرارها انما يتيسر اذا طالعنا نص ما كتب حول هذه الوقائع في المصادر التاريخية من دون زيادة أو نقصان ثم نعرض على القارئ الكريم رأى المحققين من المؤرخين فيها. و إليك فيما يأتي خلاصة هذه الحوادث:

(٢) ١- لم يكن يمض على إقامة رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة أكثر من ثمانية أشهر عند ما عقد النبي أول لواء لقائد عسكري شجاع هو «حمزة بن عبد المطلب» و قد أمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين بعثهم الى سواحل البحر الأحمر حيث الطرق التجارية التي تمر فيها قافلة قريش التجارية، فالتقوا قافلة قريش في «العيص» فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل من أهل مكة، فاصطفوا سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤

للقتال، و لكنهما تفرقا و لم يقع قتال لوساطة قام بها «مجدى بن عمرو» الذي كان حليفا للفريقين، فانصرف حمزة راجعا الى المدينة، و توجه أبو جهل في غيره و أصحابه إلى مكة (١).

(١)

## تهديد خطوط قريش التجارية

## غزوة بدر:

انقضت السنة الاولى من الهجرة بكل حوادثها الحلوة و المرة، و المسرة و المحزنة، و دخل النبي و أصحابه العام الثاني من الهجرة. و السنة الثانية من الهجرة تتضمن حوادث عظيمة و باهرة، و من أبرزها حادثتان تحظيان بمزيد من الأهمية احدهما: تغيير القبلة و الأخرى وقعة بدر الكبرى.

و لكي تتضح أسباب و علل معركة بدر نذكر سلسلة من الوقائع التي وقعت قبلها، اذ بتحليلها و دراستها تتضح أسباب معركة بدر. لقد كان من بين الحوادث التي وقعت في أواخر السنة الاولى و بدايات السنة الثانية من الهجرة: بعث «الدوريات العسكرية» الى خطوط قريش التجارية (٢) و الآن يجب أن نرى ما هو هدف الحكومة الاسلامية من هذه البعوث

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٢٢ فما بعد، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١٨٦ - ١٩٠، امتاع الاسماع:

ص ٥١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٧٧ و ٧٨ و المغازي للواقدي: ج ١ ص ٩ - ١٩.

(٢) لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله دوريات عسكرية عديدة إلى ضواحي المدينة و أطرافها لتهديد قوافل قريش التجارية. و قد كان ينبغي - طبقا للترتيب الموضوعي و التسلسل التاريخي - أن نذكر بعض السرايا مثل سرية حمزة و سرية عبيدة بن الحارث في



فصل وقائع السنة الأولى للهجرة، بيد أنه لوجود مناسبة بينها وبين حوادث السنة الثانية ذكرناها في أحداث السنة الثانية. هذا مضافا إلى أن ابن هشام - تبع لابن إسحاق - يرى وقوع هذه الحوادث في السنة الثانية من الهجرة و إن كان الواقدي يعتبر بعضها من حوادث السنة الأولى. سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥ العسكرية.

(١) هناك مصطلحان رائجان في كتابات المؤرخين و كتاب السيرة أكثر من أى مصطلح آخر و هما لفظة: «الغزوة» و «السرية» (١). و المقصود من «الغزوة» تلك العمليات العسكرية التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يشارك فيها بنفسه، و يتولى قيادتها بشخصه.

على حين يكون المقصود من «السرية» إرسال مجموعات عسكرية و فرق و كتائب نظامية لا يشترك فيها رسول الله بنفسه بل يؤمر عليها أحد قادته العسكريين و يوجهها إلى الوجهة التي يريدتها. و قد احصيت غزوات النبي صلى الله عليه وآله فكانت (٢٧) أو (٢٦) غزوة.

و يعود الاختلاف في العدد إلى أن بعض المؤرخين يعتبر غزوة «خيبر» و غزوة «وادي القرى» اللتين حدثتا تباعا و من دون فاصلة غزوتين و البعض الآخر عدّهما غزوة واحدة (٢).

(٢) و قد وقع نظير هذا الخلاف في تعداد سرايا النبي صلى الله عليه وآله أيضا فأحصى المؤرخون (٣٥)، (٣٦)، (٤٨)، و حتى (٦٦) سرية.

و يعود هذا الاختلاف إلى أن بعض السرايا لم يحسب لها حساب لقلّة أفرادها، و لهذا حدث هذا الاختلاف في العدد. من هنا كلّمنا ذكرنا لفظ السرية قصدنا منه ما لم يشارك فيه النبي، و كلّمنا ذكرنا لفظ الغزوة قصدنا منه ما شارك فيه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بنفسه.

و قد أحجمنا عن ذكر السرايا إلّا سرايا السنوات الأولى من الهجرة لأن في بيان هذه الطائفة من السرايا أثرا مهما في تفسير بعض الغزوات مثل غزوة «بدر». و إليك بيان هذه السرايا و الغزوات و شرح تفاصيلها.

(١) راجع المحبّر: ص ١١٠-١١٦.

(٢) مروج الذهب: ج ٢ ص ٢٨٧ و ٢٨٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦

(١) ٢- في نفس الوقت الذي بعث فيه رسول الله سرية حمزة، عقد لواء آخر لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، و بعثه في ستين راكبا من المهاجرين بهدف التعرض لقافلة قريش التجارية، فسار حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل «ثنية المرة» (١). فلقى بها جمعا عظيما من قريش يبلغ مائتين بقيادة أبي سفيان، و لكن لم يكن بينهم قتال إلّا أن «سعد بن أبي وقاص» رمى يومئذ بسهم، كما أنه التحق رجلا من مسلمان كانا في صفوف أبي سفيان بالمسلمين و قد خرجا مع الكفار و جعلوا ذلك وسيلة للوصول إلى المسلمين و الالتحاق بهم (٢).

(٢) ٣- بعث رسول الله صلى الله عليه وآله في شهر ذي القعدة في السنة الأولى من الهجرة سرية أخرى بقيادة «سعد بن أبي وقاص» على رأس ثمانية أشخاص آخرين من المهاجرين للتحقيق في تنقلات قريش و رصد تحركاتها خارج المدينة، فخرجوا حتى بلغوا منطقة «الخزار» و لكنهم لم يجدوا أحدا فعادوا إلى المدينة (٣).

**النبي صلى الله عليه وآله يلاحق قريشا بنفسه:**

(٤) ٤- فى شهر صفر من السنة الثانية للهجرة استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله على المدينة «سعد بن عباد» و أناط إليه إدارة امورها الدينية و خرج بنفسه مع جماعة من المهاجرين و الأنصار، لملاحقته ركب قريش التجارى و اعترضه، و عقد معاهدة موادعة مع «بنى ضمرة» حتى بلغ الأبواء، و لكنه لم يلق أحدا من قريش، فرجع صلى الله عليه وآله هو و من معه إلى المدينة «٤».

(٥) ٥- و فى شهر ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله مرة اخرى على المدينة: «السائب بن عثمان» أو «سعد بن معاذ» و خرج نحو على رأس مائتين من الرجال يريد قريشا حتى بلغ بواط (و هو جبل من جبال

(١) المحبر: ص ١١٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٩١.

(٣) المحبر: ص ١١٦.

(٤) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٦٣ نقلا عن ابن اسحاق.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧

بقرب ينبع على بعد ٩٠ كيلومترا من المدينة تقريبا) و لكنه لم يظفر بقافلة قريش التى كان يقودها «أمية بن خلف» و على رأس مائة رجل من قريش، فرجع الى المدينة.

(١) ٦- و فى منتصف شهر جمادى الاولى من السنة الثانية للهجرة جاء الخبر أن قافلة قريش التجارية تخرج من مكة بقيادة أبى سفيان تريد الشام للتجارة، و قد جمعت قريش كل أموالها فى تلك القافلة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فى جمع من أصحابه لاعتراضها حتى بلغ «ذات العشيرة» و قد استعمل على مكة هذه المرة «أبا سلمة بن عبد الأسد»، و بقى صلى الله عليه وآله فى ذات العشيرة إلى أوائل شهر جمادى الآخرة ينتظر قافلة قريش، و لكنه لم يظفر بها، ثم وادع فيها بنى مدلج و عقد معاهدة عدم اعتداء ذكرتها المصادر التاريخية بالنص «١». سيد المرسلين ج ٢ ٣٧ النبى صلى الله عليه وآله يلاحق قريشا بنفسه: ..... ص : ٣٦

قال ابن الأثير: فى هذه الغزوة (و المكان) نزل رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و جماعته فى بواط عند عين فنام على و عمّار فوجدهما رسول الله صلى الله عليه وآله نائمين فى رقعاء من التراب فايقظهما، و حرّك عليّا فقال: قم يا أبا تراب ألا اخبرك باشقى الناس: أحيمر ثمود عاقر الناقة، و الذى يضربك على هذه [يعنى قرنه] فيخضب هذه منها [يعنى لحيته] «٢».

(٢) ٧- بعد أن رجع رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة بعد اليأس من قافلة قريش لم يقم بالمدينة إلا ليالى قلائل لا تبلغ العشر حتى هاجم «كرز بن جابر الفهري» على اهل المدينة و مواشيهم التى كانت قد سرحت للرعى بالغداه.

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فى طلبه و قد استعمل على المدينة زيد بن حارثة حتى بلغ واديا من ناحية بدر وفاته كرز بن جابر فلم يدركه ثم رجع صلى الله عليه وآله و من معه الى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة و رجبا

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٩٨، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٣٦٣.

(٢) الكامل: ج ٢ ص ١١٢ و المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ١٤٠ و ١٤١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨

و شعبان «١».

(١) ٨- وفي شهر رجب من السنة الثانية للهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله «عبد الله بن جحش» على رأس ثمانية رجال من المهاجرين لملاحقة قافلة قريش التجارية، وقد كتب له كتابا بالمهمة التي يجب ان ينفذها، وأمره أن لا ينظر فيه قاتلا له: «قد استعملتك على هؤلاء النفر فامض حتى إذا سرت ليلتين فانشر (إي افتح) كتابي ثم امض (أي نفذ) لما فيه».

ثم عين له رسول الله صلى الله عليه وآله الوجهة التي يجب أن يتوجه إليها. فانطلق عبد الله ورفقاؤه و ساروا يومين كاملين كما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم فتح عبد الله كتاب النبي صلى الله عليه وآله وقرأ ما فيه، فاذا فيه:

«إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف على اسم الله وبركته فترصد بها قريشا، وتعلم (أي حصل) لنا من أخبارهم ولا تكرهن أحدا من أصحابك «٢» و امض لأمرى فيمن تبعك».

فلما قرأ الكتاب قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن امضى إلى نخلة أرصد بها قافلة قريش حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن استكره أحدا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فليطلق، ومن كره ذلك فليرجع فأما أنا فامض لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن أراد الرجعة فمن الآن.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٠١، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٩، وقد عدّ بعض المؤرخين هذه الحادثة ضمن الغزوة التي عرفت في التاريخ باسم غزوة صفوان أو غزوة بدر الأولى.

(٢) يقال إنه كان الجنود- إلى حين الحرب العالمية الثانية- إذا انتهوا من خدمتهم العسكرية تسلّم إليهم مع وثيقة الانتهاء من الخدمة العسكرية رسالة مغلقة مختومة يؤمر الجندي فيها بالمحافظة عليها كأمانة عسكرية لا يجوز له فتحها إلا عند حالات النفير العام، والعمل بمضمونها وقد سبق النبي صلى الله عليه وآله إلى هذا التكتيك العسكري في أعماله النظامية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩

(١) فقال أصحابه اجمعون: نحن سامعون مطيعون لله و لرسوله و لك فسر على بركة الله حيث شئت، فسار هو و من معه لم يتخلف منهم أحد حتى جاء نخلة فوجد قافلة لقريش يرأسها «عمر بن الحضرمي» و هي عائدة من الطائف إلى مكة، فنزل المسلمون بالقرب منهم، و لكي لا- يكتشفهم العدو، و لا يعرف بأمرهم و مهمتهم حلقوا رءوسهم ليتصوّر العدو أنهم عمّار يعتزمون الذهاب إلى مكة للعمرة

فلما رأهم رجال قريش على هذه الحال اطمأنوا و أمنوا جانبهم و قالوا: عمّار لا بأس عليكم منهم.

(٢) ثم تشاور المسلمون فيما بينهم في جلسة عسكرية للنظر فيما يجب عمله فبين لهم: أنهم إذا تركوا القوم (أي قريشا) في تلك الليلة (و كانت آخر ليلة من شهر رجب) لدخلوا الحرم، و لم يمكن قتالهم فيه، و ان خرج الشهر الحرام.

فأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، و أخذ ما معهم، من هنا باغتوا تلك القافلة، و رمى «واقد بن عبد الله» قائدها «عمر بن الحضرمي» بسهم فقتله، و فرّ رجاله إلا نفرين هما: «عثمان بن عبد الله» و «الحكم بن كيسان» حيث أسرهما المسلمون، و عاد عبد الله بن جحش و أصحابه بالقافلة مع ما فيها من أموال قريش و الاسيرين إلى المدينة.

(٣) و لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله المدينة و أخبروه بأنهم قاتلوا القوم في الشهر الحرام (رجب) انزعج رسول الله صلى الله عليه وآله من تصرف قائد المجموعة و عدم استفساره لما يجب أن يفعله بشدة و قال:

«ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام».

و قد استخدمت قريش هذه القضية كسلاح دعائي ضد رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و اشاعت بأن «محمدا» و أصحابه قد استحلوا

الشهر الحرام و سفكوا فيه الدم و أخذوا الاموال كما أنه تشاءم اليهود بهذه القضية و أرادوا أن يثيروا فتنه، و عاب المسلمون على «عبد الله بن جحش و أصحابه» فعلتهم هذه. هذا من جانب و من جانب آخر وقف النبي صلى الله عليه و آله الاموال و الأسيرين سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠

و ابى أن يأخذ من كل ذلك شيئا و بقى ينتظر الوحى.

(١) و فجاءه نزل جبرئيل بهذه الآية:

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَ كُفْرٌ بِهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ» (١).

أى إن كنتم قتلتهم فى الشهر الحرام، فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به و صدكم عن المسجد الحرام، و اخراجكم منه و أنتم اهله أكبر عند الله من قتل من قتل منهم «و الفتنة أكبر من القتل» أى ما كانوا يرتكبونه من فتنة المسلم فى دينه حتى يردونه الى الكفر بعد إيمانه أكبر عند الله من القتل.

(٢) و لما نزل القرآن بهذا الأمر، و فرج الله تعالى عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف و الحيرة قبض رسول الله صلى الله عليه و آله الاموال، و الأسيرين و قسمها بين المسلمين، و كانت أول غنيمة غنمها المسلمون.

و بعثت قريش الى النبي صلى الله عليه و آله فى فداء أصحابهم فقال النبي صلى الله عليه و آله: «لن نفديهما حتى يقدم صاحبانا».

يعنى رجلين من المسلمين كانا قد اسرا من قبل قريش، قد اشتركا فى هذه العملية و لكنهما أضلا طريقتهما فى الصحراء فأسرتهما رجال من قريش.

و هكذا أبى رسول الله صلى الله عليه و آله أن يطلق سراح أسيرى قريش لقاء فدية إلا إذا أطلق المشركون أسيرى المسلمين. قائلا لموفدى قريش:

«إِنِّي أَخَافُ عَلَى صَاحِبِي فَإِنْ قَتَلْتُمْ صَاحِبِي قَتَلْتُمْ صَاحِبِيكُمْ».

فاضطرت قريش إلى الافراج عن المسلمين الأسيرين، و مع وصولهما الى المدينة أفرج رسول الله صلى الله عليه و آله عن أسيرى قريش.

و من حسن الحظ أن إحدى ذينك الأسيرين أسلم و رجع الآخر إلى مكة (٢).

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) المغازى: ج ١ ص ١٣-١٨، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٠٣-٦٠٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١

(١)

### ما ذا كان الهدف من المناورات العسكرية؟

لقد كان الهدف الاساسى من بعث و توجيه السرايا، و عقد الاتفاقيات و المعاهدات العسكرية مع القبائل القاطنة على خطوط التجارة المكية هو ايقاف قريش على قوة المسلمين العسكرية، و اشتداد ساعدتهم، و خاصة عند ما كان النبي صلى الله عليه و آله يشترك بنفسه فى العمليات، و يترصد مع مجموعات كبيرة من أنصاره تحركات قريش الاقتصادية، و يعترض قوافلها التجارية.

لقد كان رسول الاسلام صلى الله عليه و آله يريد بذلك إفهام حكومة مكة الوثنية بأن جميع طرق التجارة المكية هى فى متناول يده،

و أنه يستطيع - متى شاء - أن يشل اقتصاد المكيين بتعريض خطوطهم و طرقهم التجارية، للتهديد الجدى.

(٢) و لقد كانت التجارة أمراً حيويًا و حساساً جداً بالنسبة إلى أهل مكة، و كانت البضائع التى تنقل منها إلى الطائف و الشام تشكل أساس الاقتصاد المكى، فإذا كانت هذه الخطوط تتعرض للتهديد من قبل العدو و حلفائه مثل «بنى ضمره» و «بنى مدلج» فإن ذلك كان يعنى انهدام و انهيار حياتهم.

لقد كان الهدف من بعث تلك الدوريات العسكرية هو: أن تعرف قريش بأن طريق تجارتها الرئيسية هى الآن تحت رحمة المسلمين، فإذا استمروا فى معاداتهم للإسلام و للمسلمين و حالوا دون انتشار الإسلام، و الدعوة إليه، و استمروا فى إيذاء من تبقى من المسلمين المستضعفين و العجزة فى مكة و اضطهادهم، قطع المسلمون شريان اقتصادهم.

(٣) و الخلاصة أن الهدف كان هو أن تعيد قريش النظر فى مواقفها فى ضوء الحالة الجديدة، و التهديد العسكرى الإسلامى الجدى، و ترك للمسلمين الحرية فى الدعوة إلى عقيدتهم، و تفتح الطريق لزيارة بيت الله الحرام، و نشر التوحيد ليستطيع الإسلام بمنطقه القوى، و المحكم أن ينفذ فى القلوب، و يتجلى نور الإسلام و يشع على جميع نقاط شبه الجزيرة العربية، و ربوعها، و بخاصة منطقة سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢

الحجاز مركز الجزيرة، و قلبها النابض.

(١) فان المتكلم مهما كان قوى المنطق، سديد البرهان و أن المربى و المرشد مهما كان مخلصاً مجداً فإنه لا يستطيع أن يحرز أى نجاح فى تنوير العقول، و تهذيب النفوس و بث الفكر الصحيح إذا لم تتوفر له حرية العمل، و لم تنهأ له البيئة المظتمنة و أجواء الحرية و الديمقراطية.

و لقد كان الاضطهاد و الكبت و سلب الحريات التى كانت تمارسها قريش هى الموانع الكبرى أمام تقدم الإسلام و سرعته انتشاره و نفوذه، و كان الطريق الى كسر هذا السد، و إزالة هذا المانع ينحصر فى تهديد اقتصادها و تعريض خطوطها التجارية، للخطر، و كانت هذه الخطة تتحقق فقط عن طريق القيام بتلك المناورات العسكرية و الاستعراضات الحربية، و العمليات الاعتراضية.

(٢)

### نظرية المستشرقين:

و لقد وقع المستشرقون عند تحليلهم لهذه العمليات فى خطأ كبير، و تفوهوا نتيجة ذلك بكلام يخالف القرائن و الشواهد الموجودة فى التاريخ.

فهم يقولون: لقد كان هدف النبى صلى الله عليه و آله من مصادر أموال قريش، و السيطرة عليها هو تقوية نفسه.

فى حين أن هذا رأى لا-يلائم نفسه أهل يثرب لأن الغارة، و قطع الطريق، و استلاب الأموال، من شيم الاعراب أهل البوادي، البعيدين عن روح الحضارة، و قيم المدنية و أخلاقها، بينما كان مسلمو يثرب عامه، أهل زرع، و فلاحه، و لم يعهد منهم أن قطعوا الطرق على القوافل، أو سلبوا أموال القبائل التى كانت تعيش خارج حدودها.

و أما حروب الأوس و الخزرج فقد كان لها أسباب و علل محلية، و قد كان اليهود هم الذين يؤججون نيرانها، بغية إضعاف القوى و الصفوف العربية و تقوية نفسها و موقعها.

(٣) و من جانب آخر لم يكن المسلمون المهاجرون الذين كانوا حول الرسول

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣

صلى الله عليه و آله ينون ملافاة ما خسروه، رغم أن ثرواتهم و ممتلكاتهم كانت قد صودرت من قبل المكيين، و يدل على ذلك أنهم لم يتعرضوا بعد معركة «بدر» لأية قافلة تجارية لقريش.

كيف لا- وقد كان الهدف وراء أكثر هذه البعث و الارساليات العسكرية هو تحصيل و جمع المعلومات، عن العدو و تحركاته و خططه، و المجموعات التي لم يكن يتجاوز عدد أفرادها غالبا الثمانية أو الستين أو الثمانين رجلا لا يمكنها قطع الطريق، و استلاب الاموال، و مصادر القوافل التجارية الكبرى التي كان يقوم بحراستها رجال أكثر عددا و أقوى عدّة من تلك السرايا، بأضعاف المرات غالبا.

(١) فاذا كان الهدف هو الحصول على المال و الثروة من هذا الطريق فلما ذا خصّت قريش بذلك، و لم يعترض المسلمون تجارة غيرهم من القبائل المشركة؟

و لما ذا لم يمس المسلمون شيئا من أموال غير قريش.

و اذا كان الهدف هو الغارة، و قطع الطريق و استلاب الأموال، فلما ذا كان النبي صلى الله عليه وآله يبعث المهاجرين فقط، و لا يستعين بأحد من الأنصار في هذا المجال غالبا؟

و ربما قال هؤلاء المستشرقون: ان المقصود من هذه العمليات الاعتراضية كان هو الانتقام من قريش، لأن النبي صلى الله عليه وآله و أصحابه تعرّضوا على أيدي المكيين لألوان التعذيب و الاضطهاد و الأذى، فدفعتهم غريزة الانتقام و الثأر- بعد أن حصلوا على القوة- الى تجريد سيوفهم، للانتقام من الذين طالما اضطهدوهم، و ليسفكوا منهم دما!!

(٢) و لكن هذا الرأي لا يقل في الضعف و الوهن و السخافة عن سابقه، لأن الشواهد و القرائن التاريخية الحيّة العديدة، تكذّبه و تفنّده، و توضّح - بجلاء- أن الهدف من بعث تلك السرايا و الدوريات العسكرية لم يكن أبدا القتال و الحرب، و الانتقام و سفك الدماء.

و إليك ما يدلّ على بطلان هذه النظرية:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤

(١) أولا: اذا كان هدف النبي صلى الله عليه وآله من بعث تلك المجموعات العسكرية هو القتال و استلاب الاموال و اخذ المغانم، و جب أن يزيد في عدد أفراد تلك المجموعات، و يبعث كتائب- عسكرية مسلّحة، و مجهزة تجهيزا قويا، إلى سيف البحر، و شواطئه على حين نجد أنه صلى الله عليه وآله بعث مع «حمزة بن أبي طالب» ثلاثين شخصا، و مع «عبيدة بن الحارث» ستين شخصا، و مع «سعد بن أبي وقاص» أفرادا معدودين لا يتجاوزون العشرة، بينما كانت قريش قد أناطت حراسة قوافلها إلى أعداد كبيرة جدا من الفرسان، تفوق عدد أفراد المجموعات العسكرية الاسلامية.

فقد واجه «حمزة» ثلاثمائة، و عبيدة مائتين رجلا من قريش، و قد ضاعفت قريش من عدد المحافظين و الحرس على قوافلها خاصة بعد أن عرفت بالمعاهدات و التحالفات التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وآله مع القبائل القاطنة على الشريط التجاري؟! هذا مضافا إلى أنه لو كان قادة هذه البعث و الدوريات مكلفين بمقاتلة العدو فلما ذا لم يسفك من أحد قطرة دم في أكثر تلك البعث و العمليات و لما ذا انصرف بعضهم لوساطة قام بها «مجدى بن عمرو» بين الطرفين؟!!

(٢) ثانيا: ان كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كتبه لعبد الله بن جحش شاهد حيّ على أن الهدف لم يكن هو القتال، و الحرب.

فقد جاء في ذلك الكتاب: «انزل نخلة بين مكة و الطائف فترصد بها قريشا و تعلم (اي حصل) لنا من أخبارهم».

إن هذه الرسالة توضّح بجلاء أن مهمّة عبد الله و جماعته لم تكن القتال قط، بل كانت جمع المعلومات حول العدو و تنقلاته و تحركاته، أي مهمّة استطلاعية حسب.

و اما سبب الصدام في «نخلة» و مصرع عمرو الحضرمي فقد كان القرار الذي أخذته الشورى العسكرية التي عقدتها نفس المجموعة، و ليس بقرار و أمر من رسول الله صلى الله عليه وآله.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥

(١) و من هنا انزعج رسول الله صلى الله عليه وآله بمجرد سماعه بنيا هذا الصدام الدموي و لا مهم على فعلتهم و قال: «ما أمرتكم بقتال».

و يؤيد هذا ما ورد في مغازى الواقدي عن سليمان بن سحيم أنه قال:

ما أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالقتال في الشهر الحرام، و لا غير الشهر الحرام إنما أمرهم أن يتحسّسوا أخبار قريش «١». و العلة في أن النبي صلى الله عليه وآله كان يختار لهذه الدوريات و البعث رجالا من المهاجرين دون الأنصار هي أن الأنصار قد بايعوا في العقبة على الدفاع، أي أن معاهدتهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت معاهدة دفاعية تعهدوا بموجبه بأن يمنعوه من أعدائه و يدافعوا عنه إذا قصده عدو.

من هنا ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يريد أن يفرض عليهم مثل هذه المهمات، و يبقى هو في المدينة، و لكنه عند ما خرج- فيما بعد- بنفسه أخذ معه جماعة من رجال الأنصار تقوية لروابط الاخوة و الوحدة بين المهاجرين و الأنصار، و لهذا كان رجاله في غزوة «بواط» أو «ذات العشيرة» يتكونون من الأنصار و المهاجرين.

(٢) و على هذا الاساس يتضح بطلان نظرية المستشرقين حول الهدف من بعث الدوريات العسكرية.

كما أن بالتأمل و الامعان في ما قلناه يتضح أيضا بطلان ما قالوه في هذا المجال في تلك العمليات التي شارك فيها رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، إذ أن الذين خرجوا معه ما كانوا ينحصرون في المهاجرين خاصة بل كانوا خليطا من المهاجرين و الأنصار، و الحال أن الأنصار لم يبايعوا النبي على القيام بأية عملية هجومية ابتدائية، بل كل ما بايعوا عليه النبي كما قلنا هو: العمل الدفاعي،

(١) المغازي: ج ١ ص ١٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦

فكيف يصح أن يدعوهم النبي صلى الله عليه وآله إلى عمليات قتالية ابتدائية هجومية.

(١) و تشهد بما نقول حادثه وقعة بدر التي سنشرحها في ما بعد، فما لم يعلن الأنصار عن موافقتهم على قتال قريش لم يقرر النبي صلى الله عليه وآله الحرب، في تلك الواقعة.

هذا و السبب في تسمية أصحاب السير و التواريخ هذا النوع من العمليات التي خرج فيها النبي بنفسه (غزوة) و ان لم يقع فيها قتال و غزو، هو أنهم أرادوا أن يجمعوا كل الحوادث تحت عنوان واحد، و إنما فلم يكن الهدف الاساسي من هذه العمليات هو الحرب و القتال، أو السيطرة على الأموال و سلبها.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧

(١)

## ٢٨ تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة

لم يكن قد مضى على هجرة النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة عدة أشهر إلّا و بدأت نغمة معارضة اليهود للنبي صلى الله عليه وآله تظهر شيئا فشيئا!!

و في الشهر السابع عشر من الهجرة بالضبط «١» أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالأمر المؤكّد القاطع بأن يتحول إلى الكعبة و يتخذها من الآن فصاعدا قبلة له و للمسلمين كافة، فيتوجهون إلى المسجد الحرام في أوقات الصلوات.

هذا هو مجمل القصة، و إليك بيانها على وجه التفصيل.



صلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة عشر عاما كاملة في مكة نحو بيت المقدس.

(٢) و بعد الهجرة الى المدينة كان الأمر الإلهي له هو أن يبقى على الحالة من حيث القبلة، أى بأن يصلى الى بيت المقدس، كما كان يفعل في مكة.

و قد كان هذا الاجراء نوعا من المحاولة لاقامة التعاون و التقارب بين الدينين

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٤١ و ٢٤٢، إعلام الوری باعلام الهدى: ص ٧١ و ٧٢. و يقول ابن هشام فى السيرة النبوية: ان القبلة صرفت عن الشام إلى الكعبة فى رجب على رأس سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة (السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٠٦) و يرى ابن الاثير أن ذلك حدث فى منتصف شهر شعبان (الكامل: ج ٢ ص ٨٠).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨

القديم و الجديد، و لكن تنامى قوة المسلمين و اشتداد ساعدتهم أحدث رعبا كبيرا، و أوجد قلقا واسعا فى أوساط اليهود القاطنين فى المدينة لأن تقدم الاسلام و المسلمين المطرد كان يدل على أن الدين الاسلامى سيعم فى أقرب وقت كل أنحاء شبه الجزيرة العربية، و ستتقلص (بل تزول) فى المقابل قوة اليهود و سلطانهم، و مكانتهم، من هنا نصب أحبار اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله، و عمدوا إلى ممارسة سلسلة من الأعمال الإجهاضية و الإيذائية.

(١) لقد أخذوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وآله و المسلمين بمختلف أنحاء الطرق و بشتى الوسائل و السبل، و المعاذير و الحجج و من جملتها التذرع بقضية صلاة النبى صلى الله عليه وآله و المسلمين الى بيت المقدس.

فكانوا يقولون معيّنين إياه: أنت تابع لنا تصلى الى قبلتنا!!

أو كانوا يقولون: تخالفنا يا محمد فى ديننا و تتبع قبلتنا «١».

فشقّ هذا الكلام على رسول الله صلى الله عليه وآله و اغتم لذلك غما شديدا فكان يخرج من بيته فى منتصف الليل و يتطلع فى آفاق السماء ينتظر من الله أمرا و وحيا فى هذا المجال كما تفيد الآية الآتية:

«قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا» «٢».

(٢) و يستفاد من الآيات القرآنية فى هذا المجال أنه كان لتغيير القبلة مضافا إلى الردّ على دعوى اليهود سبب آخر أيضا.

و هو أن هذه المسألة كانت من المسائل الاختبارية التى اراد الله تعالى بها ان يمتحن المسلمين، و يميّز المؤمن الواقعى الحقيقى عن ادعياء الايمان، المنتحلين له كذبا و نفاقا، و أن يعرف النبى صلى الله عليه وآله به من حوله معرفة جيدة لأن إتباع النبى صلى الله عليه وآله فى الأمر الثانى الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فى أثناء الصلاة (و هو التوجه إلى المسجد الحرام) كان علامة قوية

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٢٥٥ أو: ما درى محمد و أصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم.

(٢) البقرة: ١٤٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩

من علامات الايمان و التسليم، و الاخلاص و الوفاء للدين الجديد.

بينما كانت مخالفته علامة قوية من علامات النفاق و التردد كما يصرح القرآن الكريم بنفسه بذلك اذ يقول:

«وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ» «١».

و من المسلم أنه يمكن الوقوف على حكم اخرى لهذا الأمر (أى صرف القبلة من الشام الى الكعبة) إذا تتبعنا تاريخ الاسلام بشكل



أوسع، و طالعا أوضاع شبه الجزيرة العربية.

(١) ويمكن الإشارة الى بعض هذه الحكم مضافا الى ما ذكرناه:

(٢) أولا: أن الكعبة التي رفعت قواعدها على يدي بطل التوحيد و ناشر لوائه النبي العظيم «ابراهيم الخليل» (عليه السلام) كانت موضع احترام و تقديس من المجتمع العربي، فقد كان العرب يحبون الكعبة و يعظمونها غاية التعظيم على ما هم عليه من الشرك و الفساد، فكان اتخاذه قبله من شأنه كسب رضا العرب، و استمالة قلوبهم، و ترغيبهم في الاسلام تمهيدا لاعتناق دين التوحيد و نبذ الاوثان و الاصنام.

و أى هدف، و أية غاية ترى أسمى و أجل من أن يؤمن المشركون المعاندون المتخلفون عن ركب الحضارة و المدنية، و ينتشر الاسلام بسببهم في كل أنحاء العالم.

(٣) ثانيا: أن الابتعاد عن اليهود الذين لم يكن يؤمل في إذعانهم للاسلام، و ايمانهم برسالة (محمّد) ذلك اليوم كان يبدو أمرا ضروريا، لأنهم كانوا يقومون بأعمال ايدائية ضد الاسلام و المسلمين و يطلعون على رسول الله صلى الله عليه

(١) البقرة: ١٤٣. و يمكن بيان هذه العلة بصورة أخرى و هي إنما أمر بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة و بيت الله الحرام كانت العرب آلفه بحجها فأراد الله أن يمتحن بغير ما آلفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه. (راجع مجمع البيان: ج ١ ص ٢٢٢ و ٢٢٣).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠

و آله بين الفينة و الأخرى بأستله عويصة يشغلونه بها، يظهرون بها- حسب تصورهم- أنهم يعرفون أمورا كثيرة و أنهم علماء، و بذلك يضيّعون على رسول الله صلى الله عليه و آله الوقت، و يشغلونه عن مهامه الكبرى.

فكان تغيير القبلة واحدا من مظاهر الابتعاد عن اليهود و اجتنابهم، تماما مثل نسخ صوم يوم عاشوراء الذي تم لنفس هذا الغرض.

فقد كانت اليهود تصوم يوم عاشوراء قبل الاسلام، فأمر النبي صلى الله عليه و آله المسلمون بأن يصوموا هذا اليوم أيضا، ثم نسخ الأمر بصوم عاشوراء و فرض مكانه صوم شهر رمضان «١».

(١) و على كل حال فان الاسلام الذي يتفوق على جميع الأديان، يجب أن تتجلى فيه هذه الحقيقة بحيث يغدو أمر تكامله و تفوقه باديا للعيان، و اضحا للجميع.

و في هذه الحالة تصوّر بعض المسلمين أن ما أتوا به من صلاة و عبادة و هم متجهين إلى بيت المقدس كان باطلا إذ قالوا: كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الأولى، أو حال من مضى من أمواتنا و هم كانوا يصلون الى بيت المقدس؟!

فتزل الوحي الإلهي يقول:

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ» (٢).

و مع ملاحظة هذه الاعتبارات و بينما كان النبي صلى الله عليه و آله قد انتهى من الركعة الثانية من صلاة الظهر، نزل عليه جبرئيل، و أمره بأن يتوجه بالمصلين معه حذب المسجد الحرام.

(٢) و جاء في بعض الاخبار أن جبرئيل أخذ بيد النبي صلى الله عليه و آله و أداره نحو المسجد الحرام، فتبعه الرجال و النساء الذين كانوا يأتون به في

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٢٧٣.

(٢) البقرة: ١٤٣. و المراد من الايمان هنا هو العمل و هو من الموارد التي استعمل فيها لفظ الايمان و اريد به العمل.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١

المسجد «١».

فتحوّل الرجال مكان النساء و النساء مكان الرجال فكان أول صلاته الى بيت المقدس، و آخرها الى الكعبة. و منذ ذلك الحين جعلت الكعبة المعظمة- زاد الله من شرفها- قبلة مستقلة للمسلمين يتوجهون إليها في كثير من واجباتهم و شعائرهم الدينية «٢».

هذا و الغريب أن اليهود الذين كانوا قبل نزول الأمر بالتحوّل من بيت المقدس الى الكعبة المعظمة يفتخرون على المسلمين بأنهم يصلّون على قبلة اليهود، لما حوّل المسلمون إلى الكعبة المعظمة، و امروا بالصلاة إليها دون بيت المقدس أخذوا يعيبن على المسلمين التوجه إلى نقطة ما في الأرض فردّ الله عليهم بقوله:

«سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» «٣».

أى ان الله فوق الزمان و المكان، و التوجه إلى نقطة خاصة في حالة العبادة انما هو لمصالح اجتماعية خاصة فالصلاة الى الكعبة توجه الى الله كالصلاة الى بيت المقدس سواء بسواء.

(١)

### كرامة علمية لرسول الله صلى الله عليه وآله:

و ما ينبغي الإشارة إليه هنا هو: أن العرض الجغرافي للمدينة- طبقا لمحاسبات علماء الفلك القدامى- هو ٢٥ درجة، و طولها ٧٥ درجة و ٢٠ دقيقة، و لهذا كانت قبلة المدينة لا توافق محراب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله الباقي على حالته السابقة الى الآن في مسجده الشريف، و قد سبب هذا الاختلاف حيرة لدى بعض المتخصصين في هذا العلم، و ربما دفعهم إلى ارتكاب توجيهات و تبريرات لرفع هذا الاختلاف.

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٠١ عن من لا يحضره الفقيه.

(٢) كالصلاة و الذبح و دفن الموتى، و الدعاء و غير ذلك.

(٣) البقرة: ١٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢

(١) و لكن القائد المعروف بسردار الكابلي أثبت في الآونة الأخيرة- طبقا للمقاييس المعروفة اليوم- أن خط المدينة الجغرافي على عرض ٢٤ درجة و ٥٧ دقيقة و طول ٣٩ درجة و ٥٩ دقيقة «١».

و تكون نتيجة هذه المحاسبة هي أن قبلة المدينة تكون في نقطة الجنوب تماما و تنحرف عن نقطة الجنوب ب ٤٥ دقيقة فقط.

و هذا الاستخراج الفلكي للقبلة ينطبق على محراب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أفضل تطبيق، و يعدّ هذا من كرامات النبي الاكرم صلى الله عليه وآله حيث توجه في حالة الصلاة «٢» من بيت المقدس الى الكعبة بصورة دقيقة و من دون أى انحراف و لا- جزئى مغتفر و ذلك من دون أية محاسبة فلكية، و علمية.

و قد أخذ جبرئيل بيده و حوّل وجهه نحو الكعبة المعظمة كما أسلفنا «٣».

(١) تحفة الأجلّة في معرفة القبلة: ص ٧١ طبعه ١٣٥٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج ١ ص ١٧٨.

(٣) و قد نقل الحرّ العاملى في وسائل الشيعة: في أبواب القبلة ج ٣ ص ٢١٥ و ٢١٦ حادثة تحوّل النبي صلى الله عليه وآله في الصلاة

من بيت المقدس الى المسجد الحرام فراجع.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣

(١)

## ٢٩ معركة بدر

### إشارة

معركة «بدر» من معارك الاسلام الكبرى و من حروبه البارزة، و قد اكتسب الذين شاركوا في هذه المعركة منزلة خاصة بين المسلمين فيما بعد.

فالواقعة التي كان يشارك فيها فرد أو عدة أفراد من المجاهدين في «بدر» أو اذا كانوا يشهدون على أمر قال المسلمون: و وافقنا عليه البديون.

أجل إن الذين شاركوا في معركة بدر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله يدعون بالبديين، و لم يكن هذا إلا لأهميته تكلم الواقعة التاريخية.

و تتضح علة هذه الأهمية إذا نحن استعرضنا تفاصيل هذه الواقعة.

(٢) لقد قلنا في ما سبق أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله في منتصف جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة، أن قافلة قريش التجارية خرجت من مكة إلى الشام بقيادة «أبي سفيان بن حرب».

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله لملاحقتها إلى «ذات العشيرة» و توقف هناك إلى مطلع الشهر التالي، و لم يعثر على تلك القافلة، و قد كان وقت عودة القافلة معلوما تقريبا، فقد كانت قافلة قريش تعود من الشام إلى مكة في أوائل الخريف.

و من المعلوم أن أول خطوة على طريق الانتصار في مثل هذه المحالات هو

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤

تحصيل أكبر قدر من المعلومات حول العدو لأن قائد الجيش ما لم يعرف شيئا عن استعدادات العدو، و نقطة تمر كزه و تواجدده، و معنويات أفرادده، فانه ربما ينهزم و ينكسر في أول مواجهة.

(١) و لقد كان من أساليب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الرائعة في جميع الحروب و المعارك التي ستقرأ تفاصيلها هو جمع المعلومات حول مدى استعداد العدو، و مبلغ تهيوه و مكان تواجدده، و تمر كزه، و هذه مسألة تحظى و الى اليوم بأهمية خاصة في الحروب العالمية و المحلية، بل و ترصد لها ميزانيات كبرى، و تستخدم أجهزة عريضة في عالمنا الحاضر، كما هو معلوم للجميع، و كما أشرنا الى ذلك فيما سبق.

و قد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عينا له على قافلة قريش اسمه «عدى» - حسب رواية المجلسي «١» - أو «طلحة بن عبيد الله» و «سعيد بن زيد» حسب ما قال صاحب «حياة محمد» نقلا عن المصادر التاريخية «٢»، لإخباره عن مسير تلك القافلة، و عدد حراسها و رجالها و نوعية البضائع المحملة.

فلما عاد العين أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله:

١- بأن قافلة قريش قافلة كبرى شارك فيها كل أهل مكة، حتى أنه ما من قرشي أو قرشية بمكة له مثقال فصاعدا إلا بعث به في تلك القافلة.

٢- إن البضائع يحملها ألف بغير و أن قيمتها تبلغ خمسين ألف دينار.

٣- و أنه يقودها «أبو سفيان بن حرب» في أربعين رجلا.

(٢) و حيث إن أموال المسلمين المهاجرين إلى المدينة كانت قد صودرت في مكة على أيدي قريش من هنا كان الوقت مناسباً جداً لأن يأخذ المسلمون أموال قريش في تلك القافلة، و يحتفظوا بها ريثما تفرج قريش عن أموال المسلمين المهاجرين المصادرة بمكة، فاذا لجؤا و أصرّوا في مصادرة أموال المسلمين قسّم

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٢١٧.

(٢) المغازي: ج ١ ص ١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥.

المسلمون في المقابل أموال قريش المأخوذة فيما بينهم و تصرفوا فيها كغنائم حرب من هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله لهم: «هذا غير قريش (أى قافلتهم) فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها» (١).

من هنا استخلف رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة «عبد الله بن أم مكتوم» للصلاة بالناس، و القيام بالشؤون الدينية، و «أبا لبابة» للقيام بالشؤون السياسية.

ثم خرج من المدينة في ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلاً لمصادرة أموال قريش أو بالاحرى توقيفها و حبسها.

(١)

### النبي يتوجه الى منطقة ذفران «٢»:

لقد ترك رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة بعد أن أتاه خبر عن تحرك قافلة قريش، قاصداً وادى ذفران حيث طريق القافلة في يوم الاثنين، الثامن من شهر رمضان، و قد عقد رايتين سلّم إحداهما إلى مصعب بن عمير، و الاخرى (و تسمى العقاب) إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

و لقد كانت المجموعة التي خرج بها النبي صلى الله عليه وآله تتألف من اثنين و ثمانين من المهاجرين، و مائة و سبعين من الخزرج، و واحد و ستين من الأوس، و كان عندهم ثلاثة أفراس فقط.

(١) المغازي: ج ١ ص ٢٠.

(٢) وادى ذفران الذي كان يمرّ به قافلة قريش التجارية يقع على مرحلتين من بدر.

و قد ذكر ابن هشام في سيرته جميع المراحل التي طواها رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة إلى ذفران و منه إلى بدر الذي ارتحل إليه رسول الله بعد أن بلغه نبأ تحرك قافلة قريش.

و بدر كان موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوق كلّ عام يتبايعون فيه و يتفاخرون على غرار سوق عكاظ، و كان يقع على طريق مكة و المدينة و الشام. (راجع السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٣-٦١٨).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦.

(١) و لقد بلغ حبّ الشهادة عند الاشخاص في المجتمع الاسلامي يومئذ مبلغاً عجبياً حتى أنّ فتياناً دون الحلم اشتركوا في هذه المعركة، و ردّ النبي صلى الله عليه وآله بعضهم إلى المدينة لما استصغروهم (١).

إن كلام رسول الله صلى الله عليه وآله يفيد بانه صلى الله عليه وآله قد وعدهم بالرخاء و الانفراج في المعيشة و ذلك عن طريق السيطرة على أموال قريش، و أخذ بضائعها، و كان المسوّغ لهذا العمل هو ما سبق أن ذكرناه، و هو أن قريشاً كانت قد صادرت كل

أموال المهاجرين المسلمين في مكة، منقولها وغير منقولها، ومنعت من دخولهم مكة، و خروجهم منها. ومن الواضح أن يسمح العاقل لنفسه - أيا كان - بأن يعامل عدوه بمثل هذه المعاملة التي عامله بها العدو. (٢) وأساسا يجب أن نعلم أن سبب هجوم المسلمين على قافلة قريش هو أنهم قد ظلموا وقهروا، الأمر الذي يذكره القرآن الكريم أيضا، ولذلك يسمح للمسلمين بأن يقاتلوا عدوهم ويعترضوا تجارتهم إذ يقول:

«أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» (٢).

ولقد كان أبو سفيان قد عرف - عند توجهه بالقافلة إلى الشام - أن رسول الله صلى الله عليه وآله يترصد القافلة، ولهذا اتخذ كافة الاحتياطات عند قفوله ورجوعه من الشام، فكان يسأل القوافل عن رسول الله صلى الله عليه وآله و كان إذا رأى أحدا منهم سأله: هل أحسست أحدا؟! هل

(١) المغازي: ج ١ ص ٢١.

وروى أنه كان الرجل يساهم أباه في الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله ورغبة في الجهاد في سبيل الله والشهادة فكان ممن ساهم «سعد بن خيثمة» وأبوه في الخروج إلى بدر، فقال سعد لأبيه: انه لو كان غير الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا. فقال خيثمة: آثرني، وقر مع نسائك! فابى سعد.

فقال خيثمة: إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم، فاستهما (أى اقترعا) فخرج سهم سعد فقتل بيدر (المصدر).

(٢) الحج: ٣٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قد خرج مع أصحابه من المدينة، يلاحق قافلة قريش، وقد نزل في وادي ذفران. (١) ولما أحس أبو سفيان بذلك أحجم عن الاقتراب الى منطقة بدر ولم يربدا من أن يخبر قريشا بالخطر الذي يحرق بتجارتهم، وأموالهم، ويطلب مساعدتهم، فاستأجر رجلا يدعى «ضمضم بن عمرو الغفاري» وأمره بأن يجده بعيره (يقطع أنفه) ويحول رحله، ويشق قميصه من قبله ودبره ويصيح الغوث! الغوث، ويخبر قريشا أن محمدا تعرض لتجارتهم!!

فخرج ضمضم سريعا إلى مكة، ولما قدمها وقف ببطن الوادي يصيح بأعلى الصوت: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة «١»، أموالكم مع أبي سفيان قد تعرض لها محمدا في أصحابه، لا أرى ان تدركوها، الغوث الغوث «٢».

(٢) فأثار هذا المنظر المثير، واستغاثات ضمضم المتابعة أهل مكة، فتجهزوا سراعا، وتهيأوا للخروج، وأعد كل صناديد قريش ورجالها المقاتلون أنفسهم للتحرك نحو المدينة إلا أبو لهب الذي لم يشترك في هذا الخروج، و ارسل مكانه «العاصي بن هشام» لقاء أجر قدره أربعة آلاف درهم.

و أراد «أمية بن خلف» هو الآخر أن يتخلف لاسباب خاصة، فقد قيل له:

أن محمدا يقول: لأقتلن أمية بن خلف «٣».

فرأى أشرف قريش و سادات مكة أن تخلف رجل مثله يضرب قريش و يوهن من عزيمة الجيش، فقرروا إثارتة و تحريكه فأتاه عقبه بن أبي معيط و أبو جهل و هو جالس في المسجد بين ظهراني قومه، بمجمرة يحملانه فيها نار و عود يتبخر به حتى وضعها بين يديه ثم قال له:

«يا أمية استجمر فإنما أنت من النساء!»

(١) اللطيمة: الابل التي تحمل الاقمشة و العطور، و النداء يعنى: ادركوا اللطيمة ادركوها.

(٢) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٨١ المغازى: ج ١ ص ٣١، بحار الانوار: ج ١٩ ص ٢١٦.

(٣) المغازى: ج ١ ص ٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨.

فغضب أميئه، وهاجت به الحميه، فتنجهز من فوره، و خرج مع الناس «١».

و خلاصه القول أنه اوعبت قريش لما سمعت بتعرض قافلتها و أموالها للخطر من قبل النبى صلى الله عليه وآله و أصحابه، فكانوا بين رجلين إما خارج أو باعث مكانه رجلا، و ما بقى أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش، و أخرجوا معهم المغنيات يضرين بالدخوف و يهيجن الرجال للقتال.

(١)

### المشكلة التى كانت تواجهها قريش:

و لما اعلن عن موعد الرحيل تذكرت قريش بأن بينهم و بين قبيلة «بنى بكر» عداا قديما، فخافوا أن يوجهوا إليهم ضربه من الخلف، أو يحملوا على نساءهم و ذراريتهم فى مكة فى غياب منهم فكاد ذلك يشيهم عن الخروج.

و قد كان العداا بين قريش و بنى بكر يعود إلى دم سفك بينهم فى قصة ذكرها ابن هشام و غيره من كتاب السيرة «٢».

و لكن سراقه بن جعشم المدلجى- و كان من أشرف بنى كنانة و هم من بنى بكر- طمأنهم، و وعدهم بأن لا تأتيهم بنو بكر من خلفهم بشيء يكرهونه، و لما اطمأنوا خرجوا صوب المدينة سراعا.

(٢) و كان النبى صلى الله عليه وآله و أصحابه قد خرجوا من المدينة لاعتراض قافلة قريش التجارية، و هبطوا فى وادى ذفران، و بقوا هناك ينتظرون مرورها، و لكنه فجأة بلغه خبر جديد غير أفكار قادة الجيش الاسلامى، و فتح- فى الحقيقة- فصلا جديدا فى حياتهم. فقد أتاه الخبر عن مسير قريش باتجاه المدينة لحماية قافلتها التجارية، و أن جيشها قد وصل إلى مشارف المنطقة التى يتواجد فيها رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه، و أن طوائف متعددة قد ساهمت و شاركت فى تكوين هذا الجيش.

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٣٨، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٨٢، المغازى: ج ١ ص ٣٥ و ٣٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٠ و ٦١١، المغازى: ج ١ ص ٣٨ و ٣٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩.

(١) فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله و القائد الاعلى للمسلمين نفسه أمام خيارين:

إما أن يقاتل، و لكنّه لم يخرج هو أو أصحابه الذين مرّ ذكرهم إلا لمصادرة أموال قريش، فلم يكونوا متهيئين لمقاتلة الجيش المكي الكبير، لا من حيث العدد، و لا من حيث العدة.

و إما أن يرجع إلى المدينة من حيث أتى، و هذا يعنى أن ينهار كل ما كسبه من الهيبة و المهابة، بفضل المناورات العسكرية، و العروض النظامية السابقة.

و بخاصة إذا تقدم العدو نحو المدينة فى ظل هذا الانسحاب و اجتاحت مركز الإسلام «المدينة المنورة».

ف رأى النبى صلى الله عليه وآله أن لا ينسحب، بل يقاتل العدو بما عنده من العدة القليلة و العدد القليل و يقاوم حتى اللحظة الأخيرة و النفس الأخير.

(٢) و الجدير بالذكر أن أكثر الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا من شبان الأنصار و كان عدد المهاجرين لا يتجاوز

٨٢ شخصا.

و كانت بيعة العقبة التي بايع فيها الأنصار رسول الله صلى الله عليه وآله يبعه على الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله و حمايته لا القتال و الحرب.

اي انهم بايعوه صلى الله عليه وآله على أن يمنعونه في المدينة فلا يصل إليه أحد من أعدائه و هو بينهم. أمّا أن يخرجوا معه الى خارج المدينة لقتال العدو فلم يبايعوا النبي صلى الله عليه وآله على مثل ذلك فماذا يفعل القائد الأعلى للمسلمين.

إنه لم ير مناصا من استشارة الناس الذين معه، و معرفة رأيهم في ما يجب اتخاذه من طريقه حل لهذه المشكلة. (٣)

### النبي يعقد شوري عسكرية:

و هنا وقف رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الجماعة و قال: أشيروا سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠ على أيها الناس.

فقام أبو بكر و قال: يا رسول الله إنّها قريش، و خيلاؤها ما آمنت منذ كفرت، و لا ذلت منذ عزّت و لم نخرج على أهبه الحرب!! و هذا يعني أنه رأى من الصالح ان ينسحبوا الى المدينة، و لا يواجهوا قريشا. فقال له رسول الله: اجلس.

ثم قام عمر بن الخطاب، و كرّر نفس مقالة أبي بكر، فأمره النبي صلى الله عليه وآله بالجلوس أيضا. ثم قام «المقداد بن عمرو» و قال: يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك، و الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا، و إنا معكما مقاتلون. فو الذي بعثك بالحق لو سرت الى برك الغماد (و هو موضع بناحية اليمن) لجالدنا معك من دونه، حتى تبلغه، و لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا (أي النار المتقدة) و شوكة الهراس (و هو شجر كبير الشوك) لخضناه معك. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله خيرا و دعا له به. (١)

### إخفاء الحقائق و كتمانها:

إذا كان إخفاء الحقائق، و التعتيم عليها و سترها، و التعصب الباطل أمرا مشينا من كل من أَلْف و كتب، فإنّه و لا شك أقبح من المؤرّخ، المؤتمن على التاريخ و حقائقه.

فان على المؤرّخ أن يكون مرآة صادقة للأجيال القادمة لا يكدرها غبار التعصب، و غشاوة التحريف و التبديل و الكتمان للحقائق. و لقد ذكر ابن هشام «١» و المقرئ «٢» و الطبري «٣» ما وقع في الشورى

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٥.

(٢) إمتاع الاسماع: ص ٧٤.

(٣) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١

العسكرية التى عقدها رسول الله صلى الله عليه وآله و أدرج فيها ما قاله المقداد، و قاله سعد بن معاذ فى كتبهم على وجه التفصيل، و لكنهم أحجموا عن إدراج ما قاله أبو بكر و عمر و إنما قالوا: و قال فلان و أحسن، و قال فلان و احسن!!

(١) و هنا نسأل ذينك المؤرخين اذا كان ما قاله فلان و فلان حسنا أراضى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما ذا تركوا ذكره على نحو التفصيل كما فعلوا بالنسبة إلى كلام مقداد و سعد.

بلى؛ إنهما لم يقولوا- إلما ما ذكرناه قبل قليل، ليس غير. و إذا كان أولئك المؤلفون يكتمون الحقائق، فقد أظهرها الآخرون و سجلوا نص ما قاله الرجلان «١»، و لم يكن قولاً حسناً و لا كلاماً طيباً، بل كان كلامهما مشبهاً، ينم عن خوف، و وحشة، فهما صوراً قريشاً قوة لا- تقهر، و جيشاً لا- يدحر، غير آبهين بما تترك كلماتهم من الأثر السيئ فى نفوس المسلمين فى ذلك الطرف الدقيق، و اللحظة الخطيرة!!

و إنك أيها القارئ لتستطيع أن تعرف مدى انزعاج النبى صلى الله عليه وآله من مقالتهما، مما ذكره الطبرى نفسه فى الصفحة ذاتها، فان الشيخين كما تلاحظ، كانا أول من نطقا فى تلك الشورى، ثم تكلم بعدهما المقداد، و سعد بن معاذ.

(٢) فان الطبرى يروى عن ابن مسعود أنه قال: لقد شهدت من المقداد مشهداً لئن أكون أنا صاحبه أحب إليّ مما فى الارض من شىء كان رجلاً فارساً و كان

(١) المغازى: ج ١ ص ٤٨، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٦٠، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢١٧.

قال الواقدى: ثم قال عمر: يا رسول الله أنها و الله قريش و عزها، و الله ما ذلت منذ عزت، و الله ما آمنت منذ كفرت، و الله لا تسلم عزها أبداً، و لتقاتلنك فاتهب لذلك أهبتة، و أعدد لذلك عدته!!!

كما جاء فى صحيح مسلم: ج ٥ ص ١٧٠ باب غزوة بدر و مسند أحمد: ج ٣ ص ٢١٩ بطريقتين انه حين بلغ النبى صلى الله عليه وآله و آله اقبال ابى سفيان شاور أصحابه، فتكلم أبو بكر فاعرض عنه، ثم تكلم عمر فاعرض عنه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢

رسول الله صلى الله عليه وآله اذا غضب احمازت و جنتاه، فاتاه المقداد على تلك الحال «١» فقال: أبشر يا رسول الله فو الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: «اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، و لكن اذهب أنت و ربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون» «٢».

و لقد كان ذلك المجلس مجلس استشارة و تبادل للرأى و كان لكل أحد الحق فى أن يدلى برأيه، و يطرح نظره على القائد الأعلى، و لكن مجريات الاحداث أثبتت أن مقداد كان أقرب إلى الصواب، و أكثر توفيقاً فى اصابه الحق من ذينك الرجلين.

و قد أشار القرآن الكريم إلى تخوف بعض المسلمين من مواجهة العدو فى هذه الموقعة إذ قال سبحانه:

«كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ» «٣».

و قال تعالى:

«يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يُنظَرُونَ» «٤».

(١)

**قرار الشورى الحاسم أو رأى زعيم الأنصار:**



كانت الآراء التي طرحت آراء شخصية و فردية على العموم، و الحال أن الهدف الاساسى من عقد تلك الشورى كان هو الحصول على رأى الأنصار، فلما لم يدل الأنصار برأيهم لم يمكن لتلك الشورى أن تتخذ رأيا حاسما، و ثبت فى أمر. من هنا أعاد رسول الله صلى الله عليه وآله قوله: «أشيروا على أيها

(١) أى و هو غاضب من مقاله و تثبيط من تقدماه.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٠.

(٣) الانفال: ٥.

(٤) الانفال: ٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣

الناس» و هو يريد الأنصار.

فقام سعد بن معاذ الأنصارى و قال: و الله لكأنك يا رسول الله تريدنا؟

فقال النبى صلى الله عليه وآله: أجل.

(١) فقال سعد: بأبى أنت و أمى يا رسول الله صلى الله عليه وآله إنا قد آمنّا بك، و صدقناك و شهدنا أن ما جئت به حق من عند الله، و أعطيناك موثيقنا و عهدنا على السمع و الطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك، فو الذى بعثك بالحق، لو استعرضت بنا هذا البحر «١» فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد، و ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا. إنا لصبر فى الحرب، صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك فسر بنا على بركة الله، وصل من شئت، و اقطع من شئت و خذ من أموالنا ما شئت، و ما أخذت من أموالنا أحبّ إلينا مما تركت.

فسر رسول الله صلى الله عليه وآله بقول سعد و نشطه ذلك، و أزال سحابة اليأس من النفوس، و أشعل ضياء الأمل فى القلوب. و لهذا لم يفرغ ذلك الأنصارى البطل و القائد المؤمن الشجاع من مشورته الشجاعة إلّا و أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله أمره بالرحيل قائلا: «سيروا على بركة الله و ابشروا فإنّ الله قد وعدنى إحدى الطائفتين و لن يخلف الله وعده. و الله لكأننى الآن أنظر الى مصارع القوم».

و تحرك الجيش الاسلامى بقيادة النبى الاكرم صلى الله عليه وآله و نزل عند آبار «بدر» «٢».

(٢)

### تحصيل المعلومات حول العدو:

مع أنّ المبادئ العسكرية و التكتيكات الحربية فى الوقت الحاضر تختلف

(١) يقصد البحر الأحمر.

(٢) المغازى للواقدي: ج ١ ص ٤٨، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤

عما كانت عليه فى العصور الغابرة اختلافا كبيرا إلّا أنّ مسألة تحصيل المعلومات حول العدو و معرفة أسرارته العسكرية، و مدى استعداداته و مبلغ قواه التى يستخدمها، و درجة معنويات أفرادها لا تزال على أهميتها و قيمتها، لم تتغير من هذه، بل ازدادت أهميتها فى العصر الحاضر - كما أسلفنا -.

فهي تشكل الآن أيضا مفتاحا في الحروب، و منطلقا للانتصارات العسكرية.

(١) على أن هذه المسألة قد اتخذت اليوم صبغة التعليم و التمرين، فقد أصبح لها اليوم كتب و معاهد تتولى تعليم طرائق التجسس العسكري و اساليبه، كما و يعزى قادة المعسكر الغربي و الشرقي الكثير من نجاحاتهم إلى نجاحهم في توسعه دوائر التجسس و منظماته التي تستطيع اطلاع أصحابها على معلومات دقيقة و مفصلة عن خطط العدو و قواه، و اماكن تمركه و تواجده، و خطوط إمداده، و تموينه تمهيدا لإفشال تحركاته أو إجهاضها فورا.

من هنا استقر الجيش الاسلامي في منطقة ثلاث مبادئ التستر بشكل كامل، و منع عن أي عمل من شأنه انكشاف أسراره، كما أن فرقا مختلفة و متعددة كلفت بتحصيل و جمع المعلومات عن قريش و قافلته و جيشها.

(٢) فكانت المعلومات التي توفرت لدى القيادة الاسلامية هي كالتالي:

الف/ ان النبي نفسه ركب هو و رجل من قادة جيشه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش و عن محمد و أصحابه و ما بلغه عنهم فأخبرهم بأن محمد و أصحابه خرجوا يوم كذا و كذا، و انه إن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا و كذا للمكان الذي كان به رسول الله صلى الله عليه وآله و ان قريشا خرجوا يوم كذا و كذا، و انه ان كان الذي أخبره صدقه فهم اليوم بمكان كذا و كذا للمكان الذي فيه قريش.

و هكذا عرف رسول الله صلى الله عليه وآله نقطة تواجد قريش، و استقرار قواتهم.

(٣) باء/ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة «الزبير بن العوام» و «سعد

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥

بن أبي وقاص» بقيادة علي عليه السلام الى ماء بدر يلتمسون له الخبر، فأصابوا إبلا يستقى عليها الماء لقريش فيها غلامان أحدهما لبني الحجاج و الآخر لبني العاص فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألهما النبي عن قريش فقالا: هم و الله وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: كم القوم و ما عدتكم فقالا:

لا ندري، كثير. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كم ينحرون (من الابل) كل يوم؟ قالوا: يوما تسعا و يوما عشرة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: القوم فيما بين التسعمائة و الألف.

ثم سألهما: فمن فيهم من أشرف قريش؟

قالا: عتبة بن ربيعة، و أبو البختری بن هشام، و حكيم بن حزام و شيبه بن ربيعة و أبو جهل بن هشام و أمية بن خلف و .. و ..

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله على أصحابه و قال:

«هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها» (١).

(١) جيم/ كلف شخصان بالدخول الى قرية بدر و تقصيري الحقائق حول قافلة قريش فيها فمضيا حتى نزلا بدرا فأناخا ابلهما الى تل قريب من الماء، ثم تظاهرا بأنهما يريدان أن يستسقيا، و كان على الماء جاريتين تستسقيان و تقول إحداها للاخرى: إنما تأتي القافلة غدا أو بعد غد فأعمل لهم ثم أقضيك الذي لك.

فقال لها «مجدى بن عمرو الجهني»، و كان على مقربة منهما: صدقت ثم خلص بينهما.

فسرّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لما سمعا فعادا في سرية كاملة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و أخبراه بما سمعا (٢).

و الآن و بعد أن أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله عارفا بوقت ورود القافلة، و مكان تواجد قريش، معرفة دقيقة عمد إلى ترتيب المقدمات اللازمة.

(١) و (٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦

(١)

### كيف هرب أبو سفيان؟

لقد تعرّض أبو سفيان قائد قافلة قريش لدى توجهه بها إلى الشام للملاحقة من قبل مجموعة من المسلمين، ولهذا فانه كان يعلم جيدا بأنهم سوف يتعرضون له عند قفوله من الشام أيضا.

ولهذا عند ما وصل بقافلة قريش إلى المنطقة الخاضعة للمراقبة الإسلامية أراحها في منطقة بعيدة عن متناول أيدي المسلمين و دخل هو قرية «بدر» يتجسس، و يسأل عن أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله، فالتقى «مجدى بن عمرو» على ماء بدر فسأله: هل أحسست أحدا؟ (و يقصد هل رأيت أحدا من عيون محمد و رجاله؟).

فأجابه مجدى قائلا: ما رايت أحدا انكره، إلا أنى قد رأيت راكبين قد أناخا الى هذا التلّ ثم استقيا فى شنّ لهم، ثم انطلقا. فأتى أبو سفيان مناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففتته، فاذا فيه النوى فقال: هذه- والله- علائف يثرب. هذه عيون محمد و أصحابه، ما أرى القوم إلا قريبا.

فرجع إلى أصحابه سريعا و حرّك القافلة من فوره، و ابتعد عن بدر و أخذ بها جهة ساحل البحر الأحمر كما أنه كلف أحدا بإخبار قريش فورا، بأن قافلتهم أفلتت من يد محمد و أصحابه، و أن أموالهم نجت فليرجعوا و ليتركوا محمدا تكفيه العرب.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧

خارطة معركة بدر

دليل الخارطة:

١- القلعة ٢- مدينه بدر ٣- النخيل ٤- مسجد العريش ٥- بيوت بدر

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨

(١)

### علم المسلمين بإفلات قافلة قريش:

عرف المسلمون بإفلات قافلة قريش، و انتشر هذا النبا بينهم بسرعة، فاغتم من خرج مع المسلمين يريد الحصول على شيء من تلك الأموال، فقال الله تعالى تثبिता لهم و تسكينا لقلوبهم:

«وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَاهِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ. لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ» (١).

(٢)

### إختلاف قريش فى القتال:

عند ما وافى رسول أبى سفيان قريشا و هم بالجحفه، و أبلغهم رساله أبى سفيان و طلب منهم الرجوع إلى مكة حدث بين رجال قريش اختلاف عجيب.

وقال بنو زهرة والأخنس بن شريق وكانوا حلفاء على الرجوع قائلين: قد خلصت أموال سيد بنى زهرة: «مخرمة بن نوفل» وانما نفرنا لنمنعه و ماله، فلا حاجة بأن نخرج في غير منفعة.

و رجع طالب (ابن أبي طالب) إلى مكة و كان قد استكره على الخروج من مكة، و ذلك بعد مشاجرة بينه و بين رجل من قريش قال له:

«و الله لقد عرفنا يا بنى هاشم، و إن خرجتم معنا أن هواكم لمع محمّد» (٢).

(٣) و أما أبو جهل فقد أصرّ على مواصلة التقدّم نحو المدينة، و عدم الرجوع إلى مكة خلافا لطلب أبي سفيان، قائلا: و الله لا- نرجع حتى نرد بدرنا فنقيم عليه ثلاثا فننحر الجزر (الأباعر) و نطعم الطعام، و نسقى الخمر، و تعزف لنا القيان و المغنيات، و تسمع بنا العرب و بمسيرنا، و جمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها، فامضوا!!

(١) الانفال: ٧ و ٨.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٩

(١) فحملت كلمات أبي جهل المغرية قريشا على مواصلة التقدّم نحو المدينة، و نزلت في مكان مرتفع «١» خلف كتيب. و أمطرت السماء مطرا غزيرا فأصاب قريشا منه ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه، و منعهم من مزيد التقدّم. بينما لم يحدث المطر أى مشكلة في العدوّة الدنيا للمسلمين و لم يمنع من تحركهم بل كان بحيث لبد الأرض حتى ثبتت أقدامهم «٢».

و «بدر» منطقة واسعة يتكون جنوبها من مكان مرتفع (العدوة القصوى) و شمالها من مكان منخفض منحدر (العدوة الدنيا) و كانت في هذا الوادي الواسع بضع آبار و عيون ماء، فكان منزلا للقوافل ينزلون فيه و يستقون، و يستريحون ردحا من الزمن.

(٢) و هنا تقدم «الحباب بن منذر» و كان فارسا مجريا و عسكريا محنكا باقتراح الى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إذ قال: يا رسول الله أ رأيت هذا المنزل منزلا أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه و لا نتأخر عنه أم هو الرأي و الحرب و المكيدة؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: «بل هو الرأي و الحرب و المكيدة».

فقال: يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانفض بالناس حتى أدنى ماء من القوم، فنزله فغوّر (أى ندفن العين) ما وراء القلب، ثم بنى عليه حوضا فتملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب و لا يشربون.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لقد أشرت بالرأى.

فنهض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و من معه فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقلب (الآبار) فغوّرت، و بنى حوضا على القلب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية.

إن هذه الحادثة تكشف جيدا على اهتمام رسول الإسلام بالمشاورة،

(١) و هو ما يسمى بالعدوة القصوى.

(٢) و يقال كان المطر ينزل على قريش كأفواه القرب و على أصحاب رسول الله رذاذا بقدر ما لبد الأرض.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٠

و احترامه لآراء الآخرين و اتساع صدره لاقتراحاتهم، و الأخذ بما يفيد منها دون تكبر أو انزعاج «١».

(١)

## «العريش» أو غرفة القيادة:

## إشارة

وقيل إن سعد بن معاذ تقدم هو الآخر بمقترح عسكري رائع وهو بناء وإقامة برج لرسول الله يقود منه العمليات ويشرف على سيرها ويكون مأمنا له من كيد الأعداء فقال: يا رسول الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه، و نعد عندك ركائبك، ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا على عدونا، كان ذلك ما أحببنا، وان كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ودعا له بخير، ثم بنى له صلى الله عليه وآله عريش فوق مكان مرتفع مشرف على ساحة القتال والحرب، وكان سعد وجماعته من فتيان الأنصار يحرسونه في بعض حالات القتال!! «٢».

(٢)

## نظرة الى مسألة «العريش»:

ان مسألة بناء العريش لرسول الله، وحراسه سعد بن معاذ وجماعته من فتيان الأنصار له هو مما ذكره و رواه الطبري في تاريخه نقلا عن ابن اسحاق و تبعه الآخرون في ذلك، ولكن هذه القصة لا يمكن القبول بها لاسباب هي:

(٣) أولا: أن هذا العمل يفت في عضد الجنود، و يضعف من معنوياتهم القتالية لأن معناه أن القائد يفكر في وسيلة لنجاة نفسه دون أن يفكر في نجاة جنوده، و مثل هذه القيادة لا يمكنها ان تستحوذ على قلوب جنودها، و تجعلها مطيعة لأوامرها.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٠، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ١٤٤.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ١٤٥، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١

(١) ثانيا: أن هذه القصة تتنافى مع الاخبار القطعية التي بشر رسول الله صلى الله عليه وآله بها المسلمين في ضوء ما نزل عليه من آيات.

فهو صلى الله عليه وآله قبل أن يواجه المسلمون قريشا قال لأصحابه الذين خرجوا معه من المدينة و عدهم إحدى الطائفتين، أي إما الظفر بقافلة قريش التجارية قطعاً، أو الانتصار على الجيش المكي حتماً و يقينا إذ قال الله تعالى:

«وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَهِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ» «١».

و إنما اقدم على بناء العريش لرسول الله - بناء على رواية الطبري - في الوقت الذي كانت قافلة قريش قد أفلتت و هربت من أيدي المسلمين، و لم يبق إلا الجماعة المسلحة التي خرجت لحماية القافلة، و كان المسلمون يعلمون - طبقاً لذلك الوعد الإلهي القاطع - أنهم سينتصرون على تلك الجماعة الكافرة:

«و يقطع دابر الكافرين» فلم يكن المجال مجال تردد و شك.

و بهذا يكون حديث هزيمة المسلمين في هذه المواجهة و لزوم بناء عريش لحماية النبي و اعداد ابل سريعه السير عند العريش لينجو

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَيْهَا بِنَفْسِهِ حَدِيثًا بَاطِلًا لَا مَبْرَر لَه، وَ لَا مَسْوُغ.

(٢) يقول ابن سعد نقلاً عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت «سيهزم الجمع و يولون الدبر» قلت: و أى جمع يهزم و من يغلب؟ فلما كان يوم بدر نظرت الى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَثْبُ فِي الدَّرْعِ وَثْبًا وَ هُوَ يَقُولُ: «سِيهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يَوْلُونَ الدَّبْرَ» فَعَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى سِيهْزَمُهُمْ «٢».

و مع هذا هل يحتمل أن يدور في خلد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ حَوْلَ الْهَزِيمَةِ أَوْ يَحْدُثُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْفِرَارِ؟  
(٣) ثالثاً: أن النبي الذي يصف الامام علي عليه السلام موقفه و حالته عند اشتداد ضراوة القتال لا تنسجم أبداً و لا تلائم هذا التكتيك الذي لا يتسم

(١) الأنفال: ٧.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢

بالشجاعة و الثبات.

يقول علي عليه السلام:

«كُنَّا إِذَا أَحْمَرَّ الْبَأْسَ أَتَقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِّنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ» «١».

فهل يفكر مثل هذه الشخصية التي يصفها أول تلامذة مدرسته، و أقرب صحابته إليه بمثل هذا الوصف، في الفرار، أو اتخاذ الاحتياطات اللازمة لذلك.

نحن نعتقد أن بناء العريش لم يكن إلا من باب إعداد غرفة للعمليات و لمراقبة سير القتال من مكان مشرف على ساحة القتال، لأن القيادة ما لم تكن مشرفة على ساحة القتال لا يمكنها أن تتصرف بواقعية و اتقان، و لا يمكنها أن تقود الجنود و الحشود من منطلق الواقع القتالي و العسكري.

من هنا لم يكن الهدف من العريش ان صحَّ أصل القصة هو الإعداد و التحسب للفرار و ما شاكل ذلك.  
(١)

### تحرك قريش باتجاه بدر:

في صبيحة السابع عشر من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة، ارتحلت قريش من وراء الكثيب و انحدرت إلى وادي بدر، فلما رآها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

«اللَّهُمَّ هَذِهِ قَرِيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخِيْلَانِهَا، وَ فخرها تحادك و تكذب رسولك.

اللَّهُمَّ فَصْرِكِ الَّذِي وَعَدْتَنِي بِهِ، اللَّهُمَّ أَحْنِهِمْ «٢» الغداة».

(٢)

### قريش تتشاور في القتال:

استقرت قوى قريش في منطقة من أرض بدر استعداداً للمواجهة، و حيث

(١) نهج البلاغة لعبد: الكلمات القصار الكلمة ٢١٤، و يقول السيد الرضى رضى الله عنه: معنى ذلك أنه اذا عظم الخوف من العدو، و اشتد عضاض الحرب فرع المسلمون الى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه فينزل الله عليهم النصر به و يؤمنون ممّا كانوا يخافونه بمكانه.

(٢) أى اهلكهم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣

أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن عدد أفراد المسلمين و مبلغ استعداداتهم، لذلك كلفوا «عمير بن وهب الجمحى»- و كان فارساً ماهراً فى الاحصاء و التخمين- بأن يحزر (و يقدر بالحدس) عدد أصحاب محمّد.

فاستجال بفرسه حول عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رجع الى قريش و قال: ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون، و لكن أمهلونى حتى انظر أ للقوم كمين، أو مدد.

فضرب فى الوادى حتى أبعد و لكنه لم ير شيئاً.

فرجع الى قريش ثانية و هو يحمل لهم خبراً مرعباً إذ قال: ما وجدت شيئاً (أى كميناً او مدداً وراء المسلمين) و لكنى قد رأيت يا معشر قريش البلايا «١» تحمل المنايا، نواضح «٢» يثرب تحمل الموت الناقع «٣»، قوم ليس معهم منعة و لا ملجأ إلا سيوفهم.

و الله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم، فاذا اصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم!!!

(١) و روى الواقدى عبارات عمير بنحو آخر إذ قال: قال عمير: و الله ما رأيت جلدًا و لا عددًا و لا حلقة و لا كراعًا، و لكنى رأيت قوما لا يريدون أن يثوبوا الى أهليهم، قوما مستميتين ليست لهم منعة و لا ملجأ إلا سيوفهم، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف «٤» «٥».

و روى المجلسى ما قاله عمير بنحو ثالث إذ قال: قال عمير: ما لهم كمين و لا مدد، و لكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أ ما ترونهم خرساً لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعى ما لهم ملجأ إلا سيوفهم ما أراهم يولون حتى يقتلوا، و لا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم فارتثوا رأيكم «٦».

(١) و هى جمع بليء و هى الناقه او الدابة.

(٢) الابل يستقى عليها الماء.

(٣) الموت الثابت البالغ فى الافناء.

(٤) الحجف جمع الحجفة و هى الترس.

(٥) المغازى: ج ١ ص ٦٢.

(٦) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤

(١)

### اختلاف قادة قريش فى امر القتال:

أوجدت كلمات عمير الفارس الشجاع ضجة كبرى بين رجال قريش و ساداتها و زعمائها، و انتاب الجميع خوف بالغ و رعب شديد من المسلمين.

فمشى حكيم بن حزام الى عتبة بن ربيعة ليقتعه بالعدول عن مقاتلة المسلمين، فقال له: يا أبا الوليد إنك كبير قريش و سيدها، و

المطاع فيها، هل لك إلى أن لا تنزل تذكر فيها بخير إلى آخر الدهر، ترجع بالناس و تحمل أمر (دم) حليف عمرو بن الحضرمي، و ما أصاب محمّد من ماله ببطن نخلة «١» إنكم لا تطلبون من محمّد شيئاً غير هذا الدم و المال؟! (٢) فافتنع عتبة برأى حكيم، فجلس من فوره على جملة، و وقف يخطب في المشركين من قريش بنطق جميل و بليغ يقول: يا قوم أطيعوني و لا تقتاتلوا هذا الرجل و أصحابه (يعني رسول الله صلى الله عليه وآله)، يا معاشر قريش أطيعوني اليوم و اعصوني الدهر، إن محمّدا له آل (أى قرابة) و ذمة و هو ابن عمكم فخلّوه و العرب، إنكم و الله ما تصنعون بأن تلقوا محمّدا و أصحابه شيئاً، و الله لئن اصبتموه لا- يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه أو خاله أو رجلا من عشيرته، فارجعوا و خلّوا بين محمّد و سائر العرب، فان أصابوه فذاك الذي أردتم و ان كان غير ذلك ألفاكم و لم تعرضوا منه ما تريدون «٢».

(٣) و انطلق حكيم بن حزام إلى أبي جهل و أخبره برأى عتبة و مقالته، هذا و أبو جهل يهين درعه، فانزعج أبو جهل من مقالة عتبة و موقفه انزعاجا شديدا و ثارت ثائرتة حسدا على عتبة، و تعنتا عن الحق «٣»، و بعث من فوره رجلا إلى عامر بن الحضرمي أخى عمرو الذى قتل فى غزوة عبد الله بن جحش بنخلة

(١) إشارة إلى ما جرى فى سرية عبد الله بن جحش.

(٢) المغازى: ج ١ ص ٦٣، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٣، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٢٤.

(٣) قال صاحب المغازى: فحسده أبو جهل حين سمع خطبته و قال: ان يرجع الناس من خطبة عتبة يكن سيد الجماعة، و عتبة انطق الناس!!!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٥

و قال له: هذا حليفك (عتبة) يريد أن يرجع بالناس و قد رأيت تأرك بعينك، فقم و انشد خفرتك «١» و مقتل (أو دم) أخيك.

(١) فقام عامر و كشف عن رأسه، و أخذ يحثو التراب على رأسه، و صاح مستغيثا و امراه و امراه، تحريكا للناس و إثارة لمشاعرهم. فهاج الناس لمنظر عامر و ثارت مشاعرهم لندبته، و أجمعوا على الحرب، و تناسوا اقتراح عتبة، و نصيحتة البليغة الحكيمة لهم. و لكن عتبة هذا الذى كان يميل إلى اعتزال الجيش و ترك الحرب، هاجت مشاعره هو الآخر فقام من فوره و لبس لامة حربه و استعد لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه «٢».

و هكذا نجد كيف يتضاءل نور العقل عند هبوب رياح العاطفة الملتهبة، و المشاعر الثائرة الباطلة و تنطفئ شعله الفكر، و لا يعود يضىء لصاحبه درب المستقبل حتى أن الرجل الذى كان قبل قليل داعية السلام، و التعايش الاخوى يتحول تحت تأثير ذلك الهياج العاطفى، العابر، الاحمق إلى أول مبادر إلى القتال و سفك الدماء و ازهاق الارواح!!!

(٢)

## ما الذى حتم القتال؟

لما أبصر الاسود بن عبد الأسد المخزومى و كان رجلا شرسا سيئ الخلق - الحوض الذى بناه المسلمون عند البئر لشربهم قال: اعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لا هدمته أو لأموتنّ دونه!!

ثم خرج من بين صفوف المشركين و شد حتى دنا من الحوض فاستقبله حمزة، و لما التقيا ضربه بسيفه حمزة فاطار قدمه، و هو دون الحوض فوقع على الأرض تشخب رجله دما ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد ان يشرب منه أو ان

(١) اى اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم و عهدهم لك لأنه كان حليفا لهم.



(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٣، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٢٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٦

بير يمينه، فاتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض.

فتسببت هذه الحادثة فى أن يصبح القتال امرا مسلما و حتميا، لانه ليس ثمة شىء يقدر على تحريك المشاعر، و اثاره العواطف و دفع الناس للقتال كسفك الدم.

فالذين كان الغيظ و الحق على المسلمين يكاد يقتلهم، و كانوا يبحثون عن ذريعة يشعلون بها نيران الحرب و يفجرون فتيلها قد حصلوا الآن على ما يريدون «١».

(١)

### المبارزات الفردية أولا:

كان التقليد المتبع عند العرب فى الحروب أن يبدأ القتال بالمبارزات الفردية ثم تقع بعدها الحملات الجماعية.

فلما قتل الاسود المخزومى خرج ثلاثة فرسان من صناديد قريش المعروفين من صفوف الجيش المكي و دعوا الى المبارزة.

و هؤلاء الصناديد الثلاثة هم:

١- عتبة «٢».

٢- شيبه.

و هما ابنا ربيعة بن عبد شمس.

٣- الوليد بن عتبة بن ربيعة.

فأخذوا يجولون فى ميدان القتال و يدعون الى المبارزة، فخرج إليهم من المسلمين فتية من الأنصار ثلاثة و هم «عوف» و «معوذ» ابنا الحارث و «عبد الله بن رواحة».

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٧ و ١٤٨.

(٢) و عتبة هذا هو الذى اقترح الانسحاب و عدم القتال كما عرفت. و يروى انه لما خرج قال له حكيم بن حزام: أبا الوليد مهلا، مهلا تنهى عن شىء و تكون أوله!! (المغازى: ج ١ ص ٦٧).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٧

(١) و لما عرف عتبة أنهم من رجال المدينة قال: ما لنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يا محمد، أخرج إلينا أكفءنا من قومنا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«قم يا عبيدة بن الحارث و قم يا حمزة، و قم يا على».

فقاموا، و خرجوا للمبارزة، و لما دنوا منهم، سألهم عتبة عن أسمائهم فعرف أبطال الاسلام أنفسهم و ذكروا أسماءهم.

فقال رجال المشركين الثلاثة: نعم أكفء كرام.

(٢) و يرى البعض أنه بارز كل من هؤلاء الثلاثة من كان على سته من الكفار فبارز على عليه السلام الوليد (خال معاوية بن أبى

سفيان) و بارز حمزة (و هو أوسطهم) عتبة (جد معاوية لأمه) و بارز عبيدة (و هو أسن الثلاثة) شيبه و هو أسن الكفار الثلاثة.

غير أن ابن هشام يقول: بارز «حمزة» شيبه، و بارز «عبيدة» عتبة، و بارز «على» الوليد بن عتبة «١».

و هذا يعنى أن حمزة (الوسط فى السن) قاتل الاسن من الكفار.

(٣)

### فأى القولين هو الأصح؟

إن ملاحظة أمرين توضح الحقيقة فى هذا المجال:

الأول: إن المؤرخين كتبوا: أن عليا و حمزة قتلوا خصميهما فى الحال، ثم ساعدا عبيده على قتل خصمه «٢».

الثانى: إن الامام أمير المؤمنين عليه السلام كتب فى كتاب له الى معاوية:

«و عندى السيف الذى اعرضته بجدك و خالك و أخيك فى مقام

(١) راجع لمعرفة كلا الرأيين سنن البيهقى: ج ٣ ص ٢٧٦.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٨، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٥ قال: و كثر حمزة و على بأسيفهما على عتبة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٨

واحد» (١).

(١) فمن هذا الكتاب يتضح بجلاء أن الامام عليه السلام شارك- فى قتل جد معاوية (أى عتبة) هذا من جانب.

كما أننا نعلم من جانب آخر أن كلا من حمزة و عليا قد قتل خصمه فى اللحظة الاولى من المبارزة. فاذا كان خصم حمزة هو عتبة

(جد معاوية) لم يكن - حينئذ- أى معنى لقول الامام عليه السلام: «أنا قتلت جدك».

فلا مناص من أن نقول: إن الذى بارز حمزة هو شيبه، و أن الذى بارز عبيده هو عتبة ليصح حينئذ أن يقال أن عليا و حمزة، ذهبا- بعد

الفرار من قتل خصميهما- الى عتبة و كرا بأسيفهما عليه و قتلاه، ثم احتملا صاحبهما «عبيده» و أتيا به الى رسول الله صلى الله عليه و

آله «٢».

و بهذا ترجح النظرية الثانية، و القاضية بعدم التكافؤ بين أسنان كل من المتبارزين.

(٢)

### الهجوم العام:

إثر مقتل صنديد قريش الثلاثة فى المبارزة الفردية بدأ الهجوم العام.

فتزاحف الناس و دنا بعضهم من بعض، و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و آله أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم، و أن يكتفوا برمى

القوم بالنبال إذا اقتربوا منهم ليمنعوا من تقدم العدو.

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه و آله من برج القيادة (العريش) و عدل صفوف أصحابه و فى يده سهم يعدل القوم. فمر بسواد بن

غزيرة، و هو متقدم من الصف، فطعن فى بطنه بالسهم الذى معه و قال له: استويا سواد.

(١) نهج البلاغة قسم الكتب الرقم ٦٤ و اعرضته به جعلته يعضه.

(٢) ثم إن المقصود من أخ معاوية الذى أشار الامام على فى كلمته الى قتله هو حنظلة بن أبى سفيان بن حرب راجع السيرة النبوية: ج

١ ص ٧٠٨ و شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ١٨ ص ١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٩

(١) فقال: يا رسول الله أوجعتني و قد بعثك الله بالحق و العدل فأقذني (أى اقتص) لى من نفسك. فكشف رسول الله صلى الله عليه و آله عن بطنه و قال:

استفد (أى أنت اقتص) فاعتقه سواد و قبل بطنه صلى الله عليه و آله فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: ما حملك على هذا؟ قال: يا رسول الله حضر ما ترى (من القتال) فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك. فدعا له رسول الله صلى الله عليه و آله بخير «١».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله بعد أن عدل الصفوف رجع الى غرفة العمليات (العريش) فدخله و توجه إلى ربه بقلب مفعم بالإيمان يناشده ما وعده من النصر و قال فى مناجاته لربه فى تلك اللحظات:

«اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض أبدا» «٢».

و لقد سجلت المصادر التاريخية الاسلامية تفاصيل و جزئيات الهجوم العام، الى درجة ما، إلا أن من المسلم المقطوع به أن رسول الله صلى الله عليه و آله كان ينزل من العريش أحيانا و يحرضهم على القتال و المقاومة. فقد قال فى احدى هذه المرات:

«و الذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة».

(٢) و لقد كانت كلمات القائد الاعلى هذه تفعل فعلتها فى النفوس، فتثير الهمم، و توجد شوقا عجيبا الى الشهادة فى المقاتلين المسلمين، حتى أن أحدهم و يدعى «عمير بن الحمام» أخو بنى سلمة قال للنبي صلى الله عليه و آله و فى يده تمرات ياكلهن يا رسول الله: بخ بخ، أفما بينى و بين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٦

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٧، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٠

ثم قذف التمرات من يده و أخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل «١».

ثم إن النبي صلى الله عليه و آله أخذ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا ثم قال:

«شاهت الوجوه».

ثم نفحهم بها، و أمر أصحابه، فقال: شدوا «٢».

و لم يمض وقت طويل حتى ظهرت بوادر انتصار المسلمين على أعدائهم المشركين فقد انتاب المشركين خوف و رعب شديدا، و أخذوا يهزمون أمام زحف المسلمين.

فقد كان المسلمون يقاتلون عن ايمان، و اخلاص و يعلمون بأنهم ينالون السعادة قتلوا أو قتلوا، فلم يرهبوا شيئا، و ما كان يمنعهم شىء عن التقدم و الإقبال.

(١)

### رعاية الحقوق:

لقد كان لا بد من رعاية الحقوق بالنسبة الى طائفتين فى معسكر المشركين:

الاولى: اولئك الذين احسنوا إلى المسلمين فى مكة، و دافعوا عنهم كأبى البختري الذى كان ممن قام فى نقض الصحيفة الظالمة التى سبق الحديث عنها.

الثانية: أولئك الذين اكرهوا على الخروج من المشركين إلى بدر، و كانوا يرغبون في قرارة أنفسهم في الاسلام مثل معظم رجال بنى هاشم كالعباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله.

(٢)

### مصرع أمية بن خلف:

و لقد أسر «امية بن خلف» و ابنه على يد عبد الرحمن بن عوف و اذ كان بينه

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٢٨، البداية و النهاية: ج ٢ ص ٢٨٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨١

و بين أمية صداقة بمكة طلب أمية من عبد الرحمن أن يخرج من أرض المعركة لكي لا يقتل هو و ولده، او ليعدا من الأسرى. فرضى عبد الرحمن بذلك، و بينما هو يقودهما إذ أبصر بلال بهم و كان أمية هو الذى يعذب بلالا بمكة على ترك الاسلام، فيخرجه الى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد فيقول بلال: أحد، أحد.

(١) فلما رآه بلال فى الأسر و قد أقدم عبد الرحمن على حمايته و الذب عنه و هو يريد نجاته و ولده، صاح مستصرخا المسلمين: يا أنصار الله رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت إن نجا.

فأحاط المسلمون بامية و ولده من كل جانب و قطعوهما بسيوفهم حتى فرغوا منهما «١».

و قد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن قتل أبى البخترى الذى كان له دور مشرف فى نقض الحصار الاقتصادى الذى ضربته قريش على المسلمين فى مكة، و كان لا يؤذى رسول الله صلى الله عليه وآله فلقية رجل من المسلمين يدعى «المجذر» فأراد أسره و استبقاءه ريثما يأخذه الى رسول الله صلى الله عليه وآله ليرى فيه رأيه، و لكثته نازل المجذر، و أبى إلّا القتال، فاقتتلا فقتله المجذر. ثم ان المجذر أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: و الذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فأتيك به فأبى إلّا أن يقاتلنى فقاتلته فقتلته «٢».

(٢)

### خسائر بدر فى الأرواح و الاموال:

لقد قتل فى معركة «بدر» من المسلمين أربعة عشر رجلا، و قتل من المشركين سبعون و اسر سبعون من أبرزهم: النضر بن الحارث، و عقبه ابن أبى معيط، و أبو

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٣٢.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٢٩ و ٦٣٠ و راجع الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٢

غرة، و سهيل بن عمرو و العباس، و أبو العاص بن الربيع (صهر النبي) «١».

ثم دفن شهداء بدر في جانب من أرض المعركة، وقبورهم باقية إلى الآن.  
 ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يلقي بقتلى المشركين في البئر.  
 وبينما كان يسحب عتبة بن ربيعة إلى البئر نظر رسول الله صلى الله عليه وآله في وجه «أبي حذيفة» ابن عتبة فإذا هو كئيب، قد تغير لونه فقال صلى الله عليه وآله: يا أبا حذيفة لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء؟!  
 فقال: لا والله يا رسول الله، ما شككت في أبي ولا في مصرعه، ولكنني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام، فلما رأيت ما أصابه و ذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له، أحزنتني ذلك!!  
 فدعا له رسول الله صلى الله عليه وآله بخير «٢».

إن هذه القصة لتكشف عن مدى حب المسلمين لدينهم، و رغبتهم الصادقة في أن يهتدى إليه الناس كما تكشف أيضا عن أنهم كانوا يقدّمون المعيار الديني على المعيار العائلي إذا تعارضا.  
 (١)

### ما أنتم باسمع منهم:

لقد انتهت معركة بدر بانتصار عظيم في جانب المسلمين و هزيمة نكراء في جانب المشركين.  
 فقد غادر المشركون ساحة القتال هارين صوب مكة مخلفين وراءهم سبعين قتيلًا من صناديدهم و ساداتهم و فتیانهم الشجعان و سبعين أسيرا.  
 و لما أمر النبي بإلقاء قتلى المشركين في القليب «٣» وقف رسول الله صلى الله عليه وآله عند القليب و أخذ يخاطب القتلى واحدا واحدا و يقول:

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٧٠٦ و ٧٠٨، المغازي: ج ١ ص ١٣٨-١٧٣.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٤٠ و ٦٤١.

(٣) القليب: البئر.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٣

«يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، و يا شيبه بن ربيعة، و يا امية بن خلف، و يا أبا جهل (و هكذا عدد من كان منهم في القليب) هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا، فأنتي قد وجدت ما وعدني ربي حقا».  
 فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله أتنادى قوما موتى؟  
 فقال صلى الله عليه وآله:

«ما أنتم بأسمع لما أقول منهم و لكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني».

و كتب ابن هشام يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم هذه المقالة:

«يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنيكم كذبتموني و صدقتني الناس، و أخرجتموني و آواني الناس، و قاتلتموني و نصرني الناس، (ثم قال:) هل وجدتم ما وعدكم ربي حقا؟» «١».

(١)

### الشعر يخلد هذه القصة:

سيد المرسلين ج ٢ ٨٣ الشعر يخلد هذه القصة: ..... ص : ٨٣

تبر هذا الموضوع من القضايا الثابتة والمسلمة في التاريخ الاسلامي، فقد ذكره جميع المحدثين والمؤرخين من الشيعة والسنة، وقد ذكرنا طائفة من مصادره في الهامش.

وقد كان من دأب حسان بن ثابت شاعر عصر الرسالة ان ينشد أبياتا في كل واقعة من وقائع الاسلام البارزة وبذلك يقوى من عزيمة المسلمين ويشد من أزهم لأن الشعر يجلى البطولات ويكرم المواقف ويخلد الامجاد ويحافظ على المفاخر ويكسبها طابعا أبديا ولهذا يعد وسيلة جيدة لتقوية المعنويات، وإبطال مفعول الحرب الباردة والنفسية التي يقوم بها العدو. وقد طبع ديوان «حسان» لحسن الحظ، ويمكن لنا أن نقف على الكثير من ايام الإسلام وامجاده من خلال قصائده، و ابياته المدرجة فيه.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٣٩، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٧٩ و ١٨٠ وغيرهما.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٤

(١) وقد أنشد حسان قصيدة بائية رائعة حول وقعة بدر الكبرى يشير في بعض ابياتها الى هذه الحقيقة اعنى قصة القلب إذ يقول:

يناديهم رسول الله لما قد فناهم كباكب في القلب

ألم تجدوا كلامي كان حقا وأمر الله يأخذ بالقلوب؟

فما نطقوا ولو نطقوا لقالوا صدقت و كنت ذا رأى مصيب! على أنه لا توجد عبارة اشد صراحة من ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله في المقام حيث قال: «ما أنتم بأسمع منهم».

(٢) وليس ثمة بيان أكثر إيضاحا وأشد تقريرا لهذه الحقيقة من مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله لواحد واحد من أهل القلب، و مناداتهم بأسمائهم وتكليمهم كما لو كانوا على قيد الحياة.

فلا يحق لأى مسلم مؤمن بالرسالة والرسول أن يسارع الى إنكار هذه القضية التاريخية الاسلامية المسلمة، و يبادر قبل التحقيق و يقول: إن هذه القضية غير صحيحة لانها لا تنطبق على موازين عقلى المادى المحدود.

وقد نقلنا هنا نص هذا الحوار، لكي يرى المسلمون الناطقون باللغة العربية كيف أن حديث النبي صلى الله عليه وآله يصرح بهذه الحقيقة بحيث لا توجد فوقة عبارة فى الصراحة، و الدلالة على هذه الحقيقة.

و من أراد الوقوف على مصادر هذه القصة فعليه أن يراجع ما ذكرناه فى الهامش ادناه «١».

(١) إن تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله مع رءوس الشرك الموتى الذين القيت اجسادهم فى البئر من مسلمات التاريخ و الحديث، و قد اشار الى هذا من بين المحدثين و المؤرخين:

صحيح البخارى: ج ٥ فى معركة بدر ص ٧٦ و ٧٧-٨٦ و ٨٧، صحيح مسلم: ج ٨ كتاب الجنة باب مقعد الميت ص ١٦٣، سنن النسائى ج ٤ باب ارواح المؤمنين ص ٨٩ و ٩٠، مسند الامام أحمد: ج ٢ ص ١٣١، السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٣٩، المغازى: ج ١ غزوة بدر ص ١١٢، بحار الأنوار:

ج ١٩ ص ٣٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٥

(١)

**بعد معركة بدر:**

يعتقد كثير من المؤرخين المسلمين أن المبارزات الفردية و من بعدها القتال الجمعي في غزوة بدر استمر حتى زالت الشمس و انتهت المعركة بفرار المشركين و أسر جماعة منهم. ثم بعد أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه من دفن شهداء المسلمين صلى بالناس العصر في بدر ثم غادر ارض بدر قبل غروب الشمس من ذلك اليوم، هذا و قد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله اشخاصا بجمع الغنائم من أيدي الناس.

و هنا واجه رسول الله صلى الله عليه وآله و آلهم اختلاف بين أصحابه في كيفية تقسيم الغنائم، فقد كان كل فريق يرى نفسه أولى من غيره بها، نظرا لدوره في تلك المعركة.

فالذين كانوا يحرسون عريش رسول الله صلى الله عليه وآله و آلهم مخافة أن يكرّر عليه العدو كانوا يرون أن عملهم لا يدانيه في الأهمية أي عمل آخر، لأنهم كانوا يحرسون القائد، و يحافظون على مقر القيادة.

و بينما كان الذين جمعوا الغنائم يرون أنهم الأحق لأنهم جمعوها، فيما كان الذين قد قاتلوا العدو و لا حقوه و طاردوه يقولون: و الله لو لا نحن ما أصبتموه، إنا لنحن الذين شغلنا عنكم القوم حتى أصبتم ما أصبتم «١».

(٢) و لا ريب أن أسوأ ما يصيب أي جيش هو أن يدبّ الخلاف بين قطعاته و أفرادها، فينفرط عقده و تتلاشى وحدته.

من هنا بادر رسول الله صلى الله عليه وآله للقضاء على هذه الآمال و المطامع المادية و بغيه اسكات كل تلك الاصوات إلى إيكال جمع الغنائم و حملها، و المحافظة عليها إلى «عبد الله بن كعب المازني» و أمر جماعة من أصحابه أن يعينوه ريثما يفكر في طريقة تقسيمها. لقد كان قانون العدل و الإنصاف يقضى بأن

(١) المغازي: ج ١ ص ٩٨ و ٩٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٦

يشترك جميع أفراد ذلك الجيش في تلك الغنائم، لأنهم ساهموا بجمعهم في تلك المعركة، و كان لكل منهم دور و مسئولية فيها، فما كان لفريق أن يحرز نجاحا من دون أن يقوم الآخرون بأدوارهم.

من هنا قسّم رسول الله صلى الله عليه وآله الغنائم بينهم - في أثناء الطريق - على قدم المساواة، و فرز لذوي الشهداء أسهما منها.

(١) و لقد أثارَت طريقة النبي صلى الله عليه وآله في تقسيم الغنائم (و ذلك بقسمتها على جميع المشاركين معه في معركة بدر بالتساوي) سخط «سعد بن أبي وقاص» فقال: يا رسول الله أيعطى فارس القوم الذي يحميهم مثل ما يعطى الضعيف؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ثكلتك أمك، و هل تنصرون إلّا بضعفائكم» «١».

و هو صلى الله عليه وآله يقصد أن هذه الحرب لم تكن إلّا لأجل الدفاع عن الضعفاء، و رفع الحيف عنهم، و انه صلى الله عليه وآله لم يبعث إلّا لإزالة هذه الفوارق و الامتيازات الظالمة، و إلّا لاجل اقرار المساواة في الحقوق بين الناس.

(٢) هذا و رغم أن خمس الغنيمه هي بنص آية الخمس «٢» لله و لرسوله و لذى القربى و اليتامى و ابن السبيل من أهل بيته صلى الله عليه وآله و آلهم إلّا أنه صلى الله عليه وآله لم يخمس غنائم «بدر» بل وزّع الخمس على المشاركين في بدر أيضا.

على أنه يمكن أن تكون آية الخمس لم تنزل آنذاك بعد، أو أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتمتع باختيارات خاصة، فصرف النظر عن أخذ الخمس لنفسه و قرباه، كثيرا لأسهم المجاهدين، و ذلك و لا- ريب خطوة حكيمة جدا و خاصة في أول مواجهه عسكريه مع العدو «٣».

(١) المغازى: ج ١ ص ٩٩.

(٢) الانفال: ١.

(٣) وجاء فى بعض المصادر التاريخية ان النبى صلى الله عليه وآله ضرب من الغنائم أسهما لاشخاص لم يحضروا بدر و لم يشتركوا فى القتال مع رغبتهم فى ذلك و ذلك إما لامور أصابتهم عند الخروج

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٧

(١)

### قتل أسيرين فى أثناء الطريق:

و لما كان رسول الله صلى الله عليه وآله فى «الصفراء» (١) و هى أحد المنازل على طريق بدر- المدينة عرض عليه الاسرى فأمر بقتل النضر بن الحارث و كان من أعداء المسلمين الاللاء.

و أمر بأن يضرب عنق عقبه بن أبى معيط إذ كان بعرق الظبية.

و هنا ينطرح سؤال و هو: إن حكم الاسلام فى أسرى الحرب هو أنهم عبيد للمسلمين و المجاهدين، يباعون و يشترون باثمان مناسبة فلما ذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله فى شأن هذين الأسيرين بحكم آخر؟.

ثم إن النبى صلى الله عليه وآله الذى خاطب المسلمين فى «بدر» فى الأسرى الذين بأيديهم و أوصاهم بهم خيرا قائلاً: «استوصوا بالاسارى خيراً».

كيف اتخذ مثل هذا القرار فى حق بعضهم؟

(٢) يقول أبو عزيز، و كان صاحب لواء فى جيش قريش: كنت أسيراً فى أيدي رهط من الأنصار حين أقبلوا بى من بدر فكانوا إذا قدّموا غداءهم و عشاءهم خصّونى بالخبز، و أكلوا التمر و الخبز عندهم قليل و التمر زادهم، و ذلك لوصية رسول الله صلى الله عليه وآله و آله اياهم بنا، ما تقع فى يد رجل منهم كسرة خبز إلّا نفحنى بها فأستحى فاردّها على أحدهم فاردّها علىّ، و كانوا يحملوننا و يمشون!! (٢)

مع ملاحظة هذه الامور لا بدّ من الازعان بأن قتل هذين الأسيرين كان مما تقتضيه المصالح الاسلاميه العامه، لا أنه كان بدافع الانتقام، فقد كان ذانك الأسيران من رءوس الكفر، و من مخطّطى الخطط الجهنميه ضد الاسلام

إلى بدر او لقيامهم بمهمات، تتعلق بامور مراقبة العدو فى الطرق او للقيام بمهمات اداريه داخل المدينة.

(١) المغازى: ج ١ ص ٦.

(٢) السيرة النبويه: ج ١ ص ٦٤٥، المغازى: ج ١ ص ١١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٨٨

و المسلمين، و ضدّ الرسالة و الرسول، و كانا ممن يؤلّبون القبائل ضدّ رسول الاسلام، فلعله لو كان النبى صلى الله عليه وآله يفرج عنهم و يطلق سراحهم عادوا الى تدبير المؤمرات ضدّ الاسلام، و المسلمين، و عملا على تخطيط الخطط، و تأليب القبائل، فلم يكن بد من تصفيتهم و القضاء عليهم.

(١)

### بشائر النبى الى المدينة:



كَلَّفَ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله «عبد الله بن رواحة»، و «زيد بن حارثة» بأن يسبقاه الى المدينة، ليبشرا المسلمين بما حققه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأصحابه في بدر من الانتصار الكاسح والفتح المبين، و يخبرا أهلها بمصرع رءوس الكفر والشرك كعتبة و شيبه و أبي جهل و أبي البختری و أمية، و نبيه و منبه و .. و ..

فما قدم المبعوثان الى المدينة الا و المسلمون عائدون من دفن ابنة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله زوجة عثمان بن عفان فامتزجت الافراح بالاحزان، و اختلط السرور بانتصار النبي و أصحابه بالحزن على موت ابنة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله.

و قد أربع المشركون و اليهود و المنافقون بخبر انتصار المسلمين الساحق على قريش، و راحوا يحاولون تكذيبه، و تفتيده حتى إذا دخل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله المدينة و دخل بعده أسرى قريش أصبح الخبر قطيعا مسلما، فباءت محاولات المنافقين بالفشل.

(٢)

### المكثون يعرفون بمقتل أسيادهم:

كان «الحيسمان الخزاعي» أول من قدم مكة و اخبر الناس باحداث «بدر» الدامية و بمصرع طائفة كبيرة من سادة قريش على أيدي المسلمين.

يقول أبو رافع الذي كان غلاما للعباس بن عبد المطلب آنذاك ثم أصبح من أصحاب النبي و على فيما بعد: كنت غلاما للعباس، و كان الاسلام قد دخلنا

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٨٩

أهل البيت، فأسلم العباس و أسلمت أم الفضل و أسلمت، و كان العباس يهاب قومه و يكره خلافهم و كان يكتنم إسلامه، و كان ذا مال كثير متفرق في قومه، و كان أبو لهب قد تخلف عن بدر، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبتة الله و أخزاه، و وجدنا في أنفسنا قوة و عزه.

و قد كنت رجلا- ضعيفا و كنت أصنع السهام و النبال أنحتها في حجرة زمزم فو الله بينما أنا جالس فيها أنحت سهامى و عندى أم الفضل جالسة و قد سرتنا ما جاءنا من الخبر عن هزيمة قريش، إذ أقبل أبو لهب يجزّ رجله بشرّ حتى جلس عند طنّب «١» الحجرة فكان ظهره إلى ظهري، فبينما هو جالس إذ قال الناس:

هذا أبو سفيان فقال أبو لهب: هلّم إليّ فعندك لعمري الخبر.

فجلس إليه و الناس قيام عليه فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟

قال أبو سفيان: و الله ما هو إلّا أن لقينا القوم فمئناهم أكتافنا يقودوننا كيف شاءوا، و بأسروننا كيف شاءوا، و أيم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجلا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض، و الله ما تبقى شيئا و لا يقوم لها شيء.

يقول أبو رافع: فرفعت طنّب الحجرة، ثم قلت: تلك و الله الملائكة.

فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربة شديدة «٢».

(١)

### اشتراك العباس عم النبي في بدر:

يبقى أن نعرف أن مسألة اشتراك العباس عم النبي في غزوة بدر من مشكلات التاريخ و غوامضه، فهو من الذين اسرهم المسلمون في بدر فهو من جانب يشارك في الحرب، و من جانب آخر يحضر في بيعة العقبة، و يدعو أهل المدينة إلى حماية النبي صَلَّى الله عليه و

آله و نصرته.

(١) الطنب: الطرف.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٤٦ و ٦٤٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٠

فكيف يكون هذا؟

إن الحل يكمن في ما قاله أبو رافع غلام العباس نفسه: كان العباس قد أسلم و لكنه كان يهاب قومه و يكره خلافهم و يكتفم اسلامه، مثل أخيه أبي طالب لاقتضاء المصالح الاسلامية ذلك، و من هذا الطريق كان يساعد النبي صلى الله عليه وآله و يخبره بمخططات العدو و نواياه و تحركاته و استعداداته كما فعل ذلك في معركة «احد» أيضا «١». فقد كان أول من أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بتحريك قريش و خططهم و استعداداتهم.

و قد أفجع مقتل سبعين رجلا- من رجال مكة و فتیان قريش أكثر البيوت و العوائل في مكة، و سلبهم البهجة و الفرح، و النشاط و الحركة، و تحولت مكة برمتها الى ماتم كبير، و ناحت قريش على قتلاها «٢».

(١)

### المنع من النوح و البكاء في مكة:

غير أن أبا سفيان عمد- لا بقاء أهل مكة على حالة الحنق و الغضب- الى منع النوح و البكاء على القتلى و حث الناس باستمرار على الاستعداد للتأثر و الانتقام من محمّد و أصحابه فقال: يا معشر قريش لا تبكوا على قتلاكم، و لا تنح عليهم نائحة و لا يبكمهم شاعر، و اظهروا الجلد و العزاء فانكم إذا نحتم عليهم و بكيتموهم بالشعر أذهب ذلك غيظكم، فأكلكم ذلك عن عداوة محمّد و أصحابه .. و لعلكم تدركون تأركم.

و لكي يلهب أبو سفيان مشاعر الناس أكثر فأكثر أو يبقى على سخونها على الأقل، قال: و الدهن و النساء على حرام حتى أغزو محمّدا.

و كان «الأسود بن المطلب» اصيب له ثلاثة من ولده: زمعة و عقيل و الحارث بن زمعة، فكان يحب أن يبكي على قتلاه، و لكنه ما كان يستطيع

(١) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٢١٧.

(٢) المغازي: ج ١ ص ١٢٢. قال: لم تبق دار بمكة إلّا فيها نوح.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩١

ذلك لمنع أبي سفيان من النوح و البكاء على القتلى.

(١) فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل فقال لغلّامه- و قد ذهب بصره و عمى-: هل بكت قريش على قتلاها لعليّ أبكي على زمعة، فان جوفى قد احترق.

فذهب الغلام و رجع إليه فقال: إنما هي امرأة تبكي على بعيرها قد أضلّته، فأنشد الأسود بن المطلب حينها يقول:

أ تبكى أن يضل لها بعير و يمنعها من النوم السهود

فلا تبكى على بكر «١» و لكن على بدر تقاصرت الجدود

على بدر سراة بنى هصيص و مخزوم و رهط أبى الوليد  
و بكى ان بكيت على عقيل و بكى حارثا اسد الاسود «٢»  
(٢)

### القرار الأخير حول مصير الاسارى:

فى هذه المعركة بالذات أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله عن قرار تاريخى عظيم و رائع هو: أن من علم من الاسرى عشرة من صبيان الغلمان و الصبيان من أولاد الأنصار الكتابة و القراءة كان ذلك فداؤه و خلى عن سبيله من غير أن يؤخذ منه مال «٣». و ان من دفع فدية قدرها أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم خلى سبيله و ان من كان فقيرا لا مال له افرج عنه دون فداء. فأحدث هذا النبأ فى مكة لدى عوائل الاسرى حركة عجيبة و دفعهم الى التفكير فى تقديم الفداء الى المسلمين، و اطلاق اسراهم. فهتأ كل واحد منهم ما استطاع و قدم المدينة يفدى اسيره. و عند ما افرج عن سهيل بن عمرو لقاء فدية قال عمر بن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو (أى أسنانه

(١) البكر: الفتى من الابل.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٤٨.

(٣) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ١٩٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٢

الامامية) و يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا امثل به فيمثل الله بى و ان كنت نبيا» «١».

و تلك لفته انسانية أخرى من لفتات النبى العظيم الكثيرة فى المعارك.

(١) و قد كان فى الاسارى أبو العاص بن الربيع زوج ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله: زينب.

و كان أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا و أمانة و تجارة، و قد تزوج بزینب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله فى الجاهلية.

و لما جاء الاسلام آمنت خديجة برسول الله صلى الله عليه وآله و آمنت بناته، (و منهن زينب) كذلك و شهدن أن ما جاء به الحق،

و دنّ بدينه، و ثبت أبو العاص على شركه، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله لا يقدر على أن يفرق بينهما.

و قد اشترك أبو العاص هذا فى معركة بدر مع قريش، و أسر بأيدى المسلمين.

فلما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله فى فداء أبى العاص بن الربيع بمال و بعثت فيه

بقلادة لها كانت خديجة قد أهدتها إليها ليلة دخول أبى العاص بها (ليلة زفافها).

(٢) فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله تلك القلادة تذكّر زوجته الوفية خديجة عليها السلام و ما أسدته الى الاسلام من

خدمات و قدمته من تضحيات، و بكى بكاء شديدا.

فالتفت الى المسلمين و قال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، و تردوا عليها

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٤٩، و المغازى: ج ١ ص ١٠٧ يقول صاحب المغازى فى صفحة ١٠٥ من نفس الجزء: كان عمر (رض)

يحض على قتل الاسرى لا يرى أحدا فى يديه أسير إلا امر بقتله!!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٣

ما لها فافعلوا.

فقالوا: نعم يا رسول الله، نفديك بأنفسنا و أموالنا.

فأطلقوه، و ردوا عليها الذى لها و بذلك احترم رسول الله صلى الله عليه و آله حقوق المسلمين و ما يرجع إليهم من أموال بل أنها و الله أعظم مظهر من مظاهر الديمقراطية، (ان صح التعبير) فالنبي مع أن له ما له من الولاية على المسلمين يقترح عليهم الافراج عن زوج زينب و يترك الامر لاختيارهم.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله أخذ على أبى العاص الميثاق بأن يخلى سبيل زينب، و يبعثها الى المدينة. ففعل أبو العاص ما تعهد به، و بعث زينب الى المدينة.

ثم إن أبا العاص نفسه أسلم أيضا و قدم المدينة، و ردّ عليه رسول الله صلى الله عليه و آله زينب بالنكاح الاول أو بنكاح جديد «١»

### رسول الاسلام و مكافحة الامية:

كما أنه يتبين من قصة الاسرى الذين اطلق سراحهم لقاء تعليم أولاد المسلمين الكتابة و القراءة مدى اهتمام الاسلام بالثقافة و التثقيف، و الوعى و النوعية، فان معرفة القراءة و الكتابة بداية التثقيف و النوعية.

و لا بدّ أن نقول هنا أيضا أن اطلاق الاسارى العارفين بالقراءة و الكتابة لقاء تعليم صبيان المسلمين تعد أول عملية لمكافحة الامية التى اهتم بها العالم الحاضر.

ففى الوقت الذى كانت الكثير من الدول فى عصر الاسلام الاول تمنع من تثقيف أبنائها و رعاياها- كما مرّ عليك فى دراسة أوضاع الامبراطوريتين الفارسية و الرومية- أعلن رسول الاسلام ان من لم يكن معه فداء و هو يحسن الكتابة دفع إليه عشرة من غلمان المدينة (أى صبيانها) يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداءه .. و ما أعظمها من خطوة ثقافية و حضارية.

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٦٥١-٦٥٩، بحار الأنوار: ج ١٩ ص ٣٤٨ و ٣٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٤

(١)

### كلام لابن أبى الحديد فى المقام:

يقول العلامة ابن أبى الحديد: قرأت على (استاذى) النقيب أبى جعفر البصرى العلوى هذا الخبر، فصدّقه و قال: أ ترى أبا بكر و عمر لم يشهدا هذا المشهد؟ أما كان يقتضى التكريم و الاحسان أن يطيبا قلب فاطمة عليها السلام، و يستوهب لها من المسلمين (أى يستوهب فدكا من المسلمين و يرده عليها)؟

أ تقصر منزلتها عند رسول الله صلى الله عليه و آله من منزلة زينب أختها و هى سيده نساء العالمين!؟

هذا إذا لم يثبت لها حق لا بالنحلة و لا بالارث؟

فقلت له: فدك بموجب الخبر الذى رواه أبو بكر قد صار حقا من حقوق المسلمين، فلم يجز له أن يأخذه منهم.

فقال: و فداء أبى العاص قد صار حقا من حقوق المسلمين، و قد أخذه رسول الله صلى الله عليه و آله منهم.

فقلت: رسول الله صلى الله عليه و آله صاحب الشريعة، و الحكم حكمه، و ليس أبو بكر كذلك.

(٢) فقال: ما قلت هلاً أخذهُ أبو بكر من المسلمين قهراً فدفعه إلى فاطمة عليها السلام وإنما قلت: هلاً استنزل المسلمين عنه، واستوهبه منهم لها، كما استوهب رسول الله صلى الله عليه وآله فداء أبي العاص؟ أترأه لو قال: هذه بنت نبيكم صلى الله عليه وآله قد حضرت لطلب هذه النخلات فتطيبون عنها نفساً؟ كانوا منعوها ذلك؟!

فقلت له: قد قال قاضي القضاة أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد نحو ذلك.

قال: إنهما لم يأتيا بحسن في شرع التكريم، وإن كان ما أتياه حسناً في الدين!!

أى إن ما فعلاه وإن كان يوافق موازين الدين - حسب تصور القاضي - ولكنه لا يناسب شأن فاطمة وتكريمها لمقامها ولمكانها من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٥

و آله «١».

هذا وقد أمر الله نبيه الكريم بأن يعلن للأسرى بأن الباب مفتوح على وجوههم لينضموا الى صفوف المسلمين، فينعموا بالاسلام فيعيد الله عليهم أفضل مما أخذ منهم ويغفر لهم ذنوبهم، إذ يقول تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَٰعْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٢)

و بذلك فتح الاسلام باب الأمل أمام الاسارى، وكشف عن نزعة الانسانية، وأيضاً عن رغبته الصادقة في هداية البشرية، ونجاتها.

كما ضرب بذلك مثلاً في الحكمة وحسن السياسة لم يسبق له مثيل.

على انه هدّد الاسرى من ناحية اخرى إذا أساءوا، و عادوا بعد الخلاص من الاسر إلى التآمر ضد الإسلام.

إذ قال:

«وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (٣).

و بذلك جمع بين الحزم والحكمة، واللين والحكيم والشدة المعقولة.

### القرآن يتحدث عن بدر:

و لقد ذكّر القرآن الكريم المسلمين، ولا يزال يذكرهم بالانتصار الكبير الذي تحقق للمؤمنين في بدر بفضل ثبات المقاتلين و نصر

الله و تأييده الغيبي إذ قال:

«إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٣ ص ٣٣٤-٣٥٢ و لابن أبي الحديد كلام آخر يشبه هذا في اهدار من أسقط جنين زينب فراجع.

(٢) و (٣) الانفال: ٧٠ و ٧١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٦

هَلَكَ عَنْ بَيْنِهِ وَيَحْيَى مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيْنِهِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ. إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأُمُورِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ. وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيْتُمُ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا، وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ» (١).

و قال تعالى:

«قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئْتَيْنِ الثَّقَاتِ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» (٢).

و قال تعالى أيضا:

«إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ» (٣).

و قوله تعالى:

«إِذْ يُغَشِّبُكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفْرًا بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيُزَيِّدَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ. إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ» (٤).

و قال سبحانه أيضا:

«وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ. بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ، هَذَا يُمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ. وَ مَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ. لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ

(١) الانفال: ٤٢ و ٤٤.

(٢) آل عمران: ١٣.

(٣) الانفال: ٩.

(٤) الانفال: ١١-١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٧

كَفَرُوا أَوْ يَكْتَبُهُمْ فَيَنْفَلِبُوا خَائِبِينَ» (١).

و في هذه الآيات تصريحات واضحة بما كان عليه المسلمون في معركة بدر من حيث قلة العدة و العدد، و بأبرز الامدادات الغيبية الإلهية التي ساعدت المسلمين على الانتصار على أعدائهم المشركين، الذين كانوا يفوقونهم في العدة و العدد و السلاح و الرجال مع التأكيد على أن ذلك الانتصار العظيم جاء نتيجة ثبات المسلمين و استقامتهم، و صبرهم و إخلاصهم.

و أبرز تلك الامدادات الغيبية هي:

١- مع أن الاعداء كانوا متمركزين في العدو العليا و هي أعلى الوادي و المسلمين في أسفل الوادي، و كان ذلك من شأنه أن يعزز موقع الكفار لإمكان مراقبة المسلمين من مكان مرتفع كما كان من شأنه أن يجعل هجوم المسلمين على الكفار أمرا صعبا، و لكن كفة الحرب رجحت مع ذلك لصالح المسلمين.

٢- إنهم لو كانوا على ميعاد مع العدو، و مع العلم التفصيلي بحجم امكانياته البشرية و القتالية لامتنع عامة المسلمين عن مقابلة المشركين، و لكن شاء الله أن لا يعرف المسلمون شيئا مفصلا عن المشركين، مسبقا، بل يواجه المسلمون الأمر الواقع، فيتحقق ما أراد الله من الانتصار على قريش. و الى هذا اشار سبحانه بقوله:

«وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ».

٣- تقليل عدد المسلمين في أعين المشركين و تقليل عدد المشركين في أعين المسلمين في أول القتال لكي يستقل الاعداء قوة المسلمين، و لكي لا يهاب المسلمون الاعداء و يستعظموا عددهم، و إليه يشير تعالى بقوله:

﴿إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾.

٤- تكبير عدد المسلمين في أعين الكفار في أثناء القتال و إليه يشير تعالى بقوله:

(١) آل عمران: ١٢٣-١٢٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٨.

﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ﴾.

٥- الإمداد بالملائكة المردفين المسومين.

٦- النعاس الذي ألقاه الله على المسلمين فجدد نشاطهم، و ضاعف من قوتهم.

٧- نزول المطر عليهم و الذي طهرهم من الاقذار و مكنتهم من الاغتسال عما أصاب بعضهم من حدث، و ثبت الأرض الرملية تحت أقدامهم، و قد أشار سبحانه إلى كل ذلك في الآية ١١ من سورة الانفال.

٨- تثبيت قلوب المؤمنين بواسطة الملائكة.

٩- القاء الرعب في قلوب الكفار و الى هذين النوعين من الإمداد الغيبي أشار بقوله: «فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب».

كما و يشير القرآن الكريم في هذا السياق إلى دور الشيطان في هزيمة الكفار فهو الذي يغرى و هو الذي يخذل عند اللقاء يقول سبحانه:

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا- غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ «١».

كما أن القرآن يتحدث أيضا عن حالة المشركين عند ما أتوا إلى بدر لمواجهة المسلمين و ما كانت تنطوى عليه نفوسهم فيقول:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ «٢».

كما و يعزى هزيمتهم إلى سبب رئيسي و حقيقي و هو مشاققة الله و رسوله إذ يقول:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ «٣».

(١) الانفال: ٤٨.

(٢) الانفال: ٤٧.

(٣) الانفال: ١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٩٩.

و ينبغي الإشارة في ختام هذا العرض التفصيلي- نوعا ما- لوقعة بدر إلى تكتيكات النبي صلى الله عليه و آله الحربية، و إلى أساليبه الحكيمة في تقوية معنويات المسلمين و إلى جانب تنظيم صفوفهم، مما لا يسع المجال لذكره على وجه التفصيل الكامل.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٠.

(١)

٣٠ زواج سيده النساء فاطمة بنت رسول الله «١»

إن الرغبة الجنسية حالة تظهر عند البلوغ لدى كل انسان، وربما تنحرف بالشباب و تهوى به فى أحضان الفساد و السقوط الاخلاقى إذا لم تتوفر له أجواء التربية الصحيحة و لم تتح له الفرصة المناسبة، و المسير الصحيح لتنفيذ تلك الرغبة، و الاستجابة لها بصورة صحيحة. و ان خير وسيلة للحفاظ على العفة الفردية و الحياء العام، و تجنب الفرد و المجتمع مفسد و أخطار الانحراف الجنسى هو الزواج. فان الاسلام يحتّم على الرجل و المرأة- تأكيداً لحكم الفطرة و تمشياً مع ناموس الطبيعة البشرية- أن يتزوجا طبقاً لضوابط خاصية تضمن سلامة الزيجة و دوامها.

و قد جاء هذا التأكيد، و الحديث فى الكتاب العزيز، و السنة الشريفة بمختلف الصور، و تحت مختلف العناوين: فقد جاء فى الكتاب العزيز:

«وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ» (٢).

(١) كان زواج فاطمة بعد وقعة بدر، راجع بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٧٩ و ١١١.

(٢) النور: ٣٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠١

و قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى هذا الصدد:

«تزوجوا فأتى مكاتر بكم الامم غدا فى القيامة» (١).

و قال أيضا:

«من أحب أن يلقى الله طاهرا مطهرا فليلقه بزوجه» (٢).

(١)

### مشاكل الزواج فى العصر الحاضر:

على أن مشاكل الزواج فى عصرنا الحاضر لا تنحصر- و للاسف- فى مشكلة واحدة أو مشكلتين. فالرجال و النساء اليوم يقدمون على الزواج- غالبا- فى ظروف صعبة، و أوضاع رديئة، و تنتهى أكثر الزيجات بسبب تلك الظروف و الاوضاع و بسبب، ما يلبسها من مستلزمات قاسية و ثقيلة بالطلاق و الافتراق بعد سلسلة من الخلافات و المنازعات. فتلك هى صحف البلاد تحمل فى أبوابها الاجتماعية كل يوم عشرات الانباء و الأخبار عن الجرائم الزوجية و تعالج عشرات المشاكل فى مجال العائلة.

و لكن أكثر هذه المشاكل و المصائب تدور حول قضية واحدة، و هى أن الفتيان و الفتيات فى مجتمعاتنا الحاضرة ليسوا بصدد تشكيل عائلة تضمن سعادتهم الواقعية.

فالبعض يهتّم من الزواج أن يصل عن طريق إلى المناصب الراقية الحساسة.

و البعض الآخر يهتّم من الزواج الحصول على الثروة و المال.

(٢) و قلما يفكر المقدمون على الزواج، و تأسيس العائلة فى امور هامة و جوهرية كالعفة و الطهر، و إذا لوحظ هذا الجانب فإنما يلاحظ بصورة هامشية، لا أساسية.

و يدل على ذلك أن الشباب يتنافس غالبا على التزوج بفتيات من العوائل المعروفة ذات المكانة و الشهرة الاجتماعية و المالية، و الحال أنه يمكن أن تكون



(١) و (٢) وسائل الشيعة: ج ١٤ ص ٣ و ٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٢.

تلك الفتيات غير متصفات بالاخلاق النبيلة، ولا يكنّ من حيث الجانب المعنوي بالنوع الجيد، الجدير بالاهتمام، الصالح للاقتران به. فما أكثرهن الفتيات الفاضلات، الطيبات هنا وهناك في زوايا المجتمع اللائي لا يهتم بهن الشباب، لفقرهن، وقلّة ذات ايديهن. او لعدم شهرة عوائلهن.

على أن الأسوأ من ذلك كلّ ما اصبح يكلفه الزواج في عصرنا الحاضر من نفقات باهضة نتيجة تزايد التقاليد المبتدعة في مجال إقامة الاعراس و حفلات القران و الزواج، الأمر الذي أصبح يرهق كاهل الزوجين، و يتعب عائلتيهما، مثل مشكلة المهور الباهضة، و ما شابه ذلك مما هو في تصاعد مستمر في بلادنا، الأمر الذي دفع بالبعض الى ترك الزواج، و اشباع غرائزهم الجنسيّة بالوسائل غير المشروعة، و من ثم شيوع اللاباليّة، و الاباحية في المجتمعات.

(١)

### رسول الاسلام يكافح هذه المشاكل عملياً:

#### إشارة

تلك طائفة من المشاكل الاجتماعية التي كانت و لا تزال موجودة في كل مجتمع بنسب خاصة.

و لم تكن الفترة التي عاصرها رسول الاسلام بمسئنة من هذا الأمر فقد كانت هناك في المجتمع في عصر النبي صلى الله عليه وآله مشاكل مماثلة في الزواج.

فقد كان أشرف العرب لا يزوّجون بناتهم إلّا لمن كان من قبيلة ذات مال و شوكة، و مكانة و قوة، و يردّون كل خاطب لبناتهن يكون على غير هذه الصفة.

و قد كان الأشراف، يصرون- تبعاً لتلك العادة- على أن يتزوّجوا بابنة رسول الله صلى الله عليه وآله السيدة فاطمة لانهم كانوا يتصوّرون أن النبي لن يتشدد في هذا الأمر، بل يكفيه أنهم ذو ثروة و مكانة اجتماعية مرموقة.

و كانوا يتصوّرون أنهم يمتلكون كلّ ما يهّم الفتاة و أباهما من الامكانيات المادية، كيف لا و النبي صلى الله عليه وآله لم يتشدد في زواج ابنته الاولىين:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٣.

زينب و رقية.

و لكنهم غفلوا عن أن هذه الفتاة (أى فاطمة الزهراء سلام الله عليها) تختلف عن اختيها السابقين.

إنها- كما تدل عليه آية المباهلة- «١» ذات مقام رفيع، و شأن كبير.

(١) لقد أخطأ خطاب فاطمة عليها السلام في هذا التصور، و ما كانوا يعلمون أن زوج فاطمة و قرينها لا يمكن أن يكون إلّا كفؤها في التقوى و الفضل، و الايمان و الاخلاص، فاذا كانت فاطمة- بحكم آية التطهير- معصومة من الذنب و جب أن يكون زوجها هو الآخر معصوماً و الا لم يكن كفؤها المناسب.

و ليس المال و ليست الثروة ملاك هذا التكافؤ.

لقد قال الاسلام: «إذا خطب إليكم كفو فزوجوه».

و يفسر هذا التكافؤ بالمماثلة و التكافؤ في الايمان و التقوى، و الطهارة و العفاف، لا في المال و الثروة «٢».

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله مأمورا من جانب الله تعالى أن يقول لكل من خطب إليه «فاطمة» من اولئك الرجال: «أمرها بيد الله» و هو بهذه الاجابة يكشف القناع عن الحقيقة إلى درجة ما.

(٢) و لقد أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله أن زواج «فاطمة» ليس أمرا سهلا و بسيطا، و أنه ليس لمن كان من الرجال و ان بلغ من الثراء، و المكانة الاجتماعية أن يحظى بالزواج منها، فان زوج «فاطمة» ليس إلّا من يشابهها من حيث الأخلاق و الفضائل، و الصدق و الايمان، و الطهر، و الاخلاص، بل و يلي رسول الله صلى الله عليه و آله في السجيا الكريمة و الصفات الرفيعة،

(١) آل عمران: ٦١.

في قضية المباهلة اصطحب رسول الله صلى الله عليه و آله عليا و الحسن و الحسين و فاطمة دون غيرها من النساء و سيأتي مفصل هذه القصة.

(٢) راجع الوسائل: ج ١٤ ص ٥٠-٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٤

و الخلق العظيم.

و لا تجتمع هذه الصفات و المواصفات إلّا في «علي» عليه السلام لا سواه.

و للتأكد من هذه الحقيقة اقترح بعض الصحابة علي (علي) عليه السلام أن يخاطب الي النبي فاطمة صلوات الله عليهما «١».

و كان علي عليه السلام يريد ذلك في نفسه، و يرغب إليه من كل قلبه إلّا أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة ليقدم علي هذا الأمر.

(١) فاتي علي عليه السلام بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و لما رآه رسول الله قال: ما جاء بك يا أبا الحسن، حاجتك.

فمنع الخجل عليا من البوح بمطلبه و سكت، و أطرق برأسه الى الارض، حياء من النبي صلى الله عليه و آله.

فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله: لعلك جئت تخاطب فاطمة؟

فأجاب علي عليه السلام بكلمات ضمّنها رغبته في الزواج من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله.

و لقد كان هذا النمط من الخطبة علامة واضحة لما كان بين رسول الله صلى الله عليه و آله و بين علي عليه السلام، من الاخوة و

الصفاء، و لما تحلّى به الجانبان من اخلاص و ودّ. و ما أروعها من ظاهرة. حقا ان المبادئ و الانظمة التربوية لم تستطع أن تعلم الشباب

الذين يقدمون علي الخطبة الي أحد مثل هذه الحرية، المقرونة بالتقوى، و الايمان و الاخلاص.

(٢) لقد وافق رسول الله صلى الله عليه و آله علي طلب علي عليه السلام و قال:

«يا عليّ أنه لقد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها فرأيت الكراهة في وجهها، و لكن علي رسلك حتى أخرج إليك».

ثم دخل صلى الله عليه و آله علي فاطمة، فذكر لها الأمر، و أن عليا عليه السلام خطبها إليه قائلا:

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٩٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٥

«إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته، و فضله و اسلامه، و اني قد سألت ربي أن يزوّجك خير خلقه، و أحبهم إليه، و قد ذكر

من أمرك شيئا فما ترين؟».

فسكتت فاطمة سلام الله عليها، و لم ير رسول الله صلى الله عليه و آله في وجهها كراهة فقام و هو يقول:

«الله أكبر، سكوتها إقرارها» (١).

(١) ولكن علياً عليه السلام لم يكن يملك آنذاك إلا سيفاً، و درعا فقط.

فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يبيع درعه، ويهيئ بثمانه عدة الزواج و جهاز العروس، فباع على عليه السلام درعه، و أتى بثمانه الى النبي صلى الله عليه وآله و سكب المال بين يديه (٢).

فقبض صلى الله عليه وآله قبضة الدراهم، و دعا بلالا فأعطاه فقال:

«ابتع لفاطمة طيباً».

ثم أعطى صلى الله عليه وآله بقية تلك الدراهم إلى أبي بكر و عمار بن ياسر و أمرهما أن يتتاعا لفاطمة ما يصلحها من ثياب و أثاث البيت، و ما شاكل ذلك من احتياجات العروسين.

ففعلاً ذلك و اشترى ما أمرهما به رسول الله صلى الله عليه وآله فكان جهاز فاطمة كالتالي:

(٢)

### جهاز فاطمة:

١- قميص بسبعة دراهم.

٢- خمار «٣» بأربعة دراهم.

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) و في رواية عن علي عليه السلام: فسكبت الدراهم في حجره فلم يسألني كم هي و لا أنا أخبرته.

(٣) الخمار: مقنعة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٦

٣- قطيفة سوداء لا تكفي لتغطية كلّ البدن.

٤- سرير مزمل بشريط (أى مصنوع من جريد النخل و اليافه).

٥- فراشان من خيش «١» مصر، حشو أحد هماليف، و حشو الآخر من صوف الغنم.

٦- اربع مرافق «٢» اثنان من الصوف و اثنان من الليف.

٧- ستر.

٨- حصير هجرى.

٩- رحي لليد.

١٠- مخضب «٣» من نحاس.

١١- سقاء من آدم.

١٢- قعب للبن.

١٣- شن «٤» للماء.

١٤- مطهرة مزفتة «٥».

١٥- جرة خضراء.

١٦- كيزان خزف.

(١) فلما عرض المتاع على رسول الله صلى الله عليه وآله جعل يقلبه بيده ويقول:

«اللهم بارك لقوم جلّ آنتهم الخزف» «٦».

إن في مهر فاطمة امورا تدعو إلى التأمل حقا، أبرزها مقدار ذلك المهر.

فمهرها هو مهر السنّة و هو خمسمائة درهم «٧».

إن هذه الزيجة- في الحقيقة- خير درس للآخرين، للفتيان و الفتيات الذين يثنون من ثقل المهر و بهاضته و ربما يثنون من قيود الزواج و شروطه.

(١) الخيش: نسيج خشن من الكتان.

(٢) المرفقة: الوسادة.

(٣) المخضب: اناء للمسك و الطيب.

(٤) الشنّ: القربة.

(٥) مطلية بالزفت.

(٦) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٩٤، كشف الغمة: ج ١ ص ٣٥٩.

(٧) وسائل الشيعة: ج ٥ ص ١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٧.

(١) ان البيئه الزوجية يجب أن تكون- أساسا- بيئه دفاء و حنان، بيئه اخلاص مودة.

بيئه سلام و وفاق فهذا هو ما يسعد الحياه الزوجية و يوفر للزوجين عيشا هائنا محببا.

أما المهور الثقيله، و النفقات الباهضة و الجهاز المكلف فلا- تؤدي إلما إلى تعكير صفو الحياه الزوجية، و التقليل من بريق الرابطة العائليه، و بالتالى لا تضمن مستقبل الزواج و دوامه، و المحافظه عليه من الهزات.

إن أولياء الفتيات- فى عصرنا الحاضر يعمدون بغية دعم مكانه فتياتهم و تقوية مركزهن و ضمان مستقبلهن إلى فرض سلسله طويله و ثقيله من الشروط و القيود و منها المهر الباهض على العريس حتى لا يستطيع أن يقوم بطلاق زوجته تحت دوافع الهوى و الشهوه، أو كلما سولت له نفسه ذلك، على حين أن هذا الاجراء لا يضمن بقاء الرابطة الزوجية، و دوامها بل العلاج الحقيقى و الناجع هو اصلاح الوضع الاخلاقى للشباب، و رفع مستواهم المعنوى.

يجب أن تكون بيئتنا الثقافيه و الاجتماعيه من الطهر و النقاوه بحيث لا يوجد فى رحابها امثال هذه النوازع الشريره عند شبابنا، و الا لبلغ الأمر إلى نقطه تستعد فيه الفتاه الى بذل مهرها للنجاه بنفسها من البيت الزوجى.

(٢)

### مراسم الزواج تقام ببساطه:

ثم بعد أن عقد رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام على فاطمة عليها السلام فى رحاب مسجده على مرأى و مسمع من المسلمين و فى جو يسوده الفرح و الابتهاج و السرور قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلى عليه السلام هئى منزلا- حتى تحوّل فاطمه إليه، فأخذوا منزل أحد الصحابه بصوره مؤقته، و حوّلت فاطمه إلى على عليه السلام فى منزل ذلك الصحابى الجليل، فى زفاف

جميل مبارك و قد صنع على طعاما من لحم و تمر و سمن و اطعم المسلمون جميعا تقريبا، و ساد الناس فرح عظيم لم يشهد له نظير.  
عن ابن بابويه: أمر النبي صلى الله عليه وآله بنات عبد المطلب و نساء  
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٨

المهاجرين و الأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة سلام الله عليها و ان يفرحن، و يرجزن و يكبرن و يحمدن و لا يقولن ما لا يرضى  
الله.

قال جابر: فأركبها على ناقته- و في رواية على بغلته الشهباء- و أخذ سلمان زمامها و النبي و حمزة و عقیل و جعفر و أهل البيت  
يمشون خلفها مشهرين سيوفهم و نساء النبي صلى الله عليه وآله قدامها يرجزن، فانشأت أم سلمة تقول:

سرن بعون الله جاراتي و اشكرنه في كل حالات  
و اذكرن ما أنعم رب العلى من كشف مكروه و آفات  
فقد هداانا بعد كفر و قدانعشنا رب السماوات

و سرن مع خير نساء الورى تفدى بعمات و حالات ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما دخلوا الدار أنفذ إلى على عليه السلام ثم  
دعا فاطمة سلام الله عليها فأخذ يدها و قد علاها الاستحياء و تصيب منها العرق خجلا، بل و قد تعثرت من شدة خجلها فقال لها  
رسول الله: «أقالك الله العثرة» «١».

و وضعها في يده و قال:

«بارك الله في ابنة رسول الله يا على نعم الزوجة فاطمة، و يا فاطمة نعم الزوج على».

ثم أخذ بيده انا فيه ماء و صب منه على رأس فاطمة و بدنها و دعا لهما قائلا:

«اللهم اجمع شملهما، و ألف بين قلوبهما، و اجعلهما من ذريتهما من ورثة جنه النعيم و ارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، و اجعل في  
ذريتهما البركة، و اجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، و يأمرن بما يرضيك.

اللهم انهما أحب خلقك إلى، فاجبهما و اجعل عليهما منك حافظا، و أنى اعيدهما بك و ذريتهما من الشيطان الرجيم» «٢».

(١) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٩٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١١٤-١١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٠٩

(١) و بذلك أبدى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه في تلك الليلة صفاء و اخلاصا لم يعرف له نظير حتى في مجتمعاتنا  
الحاضرة رغم ما حققته من تكامل و رشد.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله عدد لفاطمة فضائل على كما ذكر لعلى فضائل فاطمة و انها «لو لم يخلق على لما كان لها كفؤ»  
«١». ثم ذكر لهما وظائفهما و واجباتهما العائلية فأوكل إلى فاطمة ما هو في داخل البيت من شئون و أوكل إلى على ما هو من شئون  
الخارج.

و لا بد أن نذكر هنا قصة هامة أداء لحق فاطمة، و بيانا لمقامها.

(٢) يقول أنس بن مالك: إن النبي صلى الله عليه وآله كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى الفجر فيقول:

«الصلاة يا أهل البيت، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا» «٢».

هذا و قد كانت هذه الزيجة أفضل زيجة في الاسلام و أكثرها بركة و خيرا، فقد عاش هذان القرينان الطاهران جنبا إلى جنب في وئام  
و وداد، في حياة زوجية طاهرة يسودها الاحترام المتقابل، و الاخلاص الكامل من بدايتها إلى نهايتها.

وقد أنجبا أفضل الاولاد والبنات أبرزهم: الامام الحسن و الامام الحسين عليهما السلام سبطا رسول الله صلى الله عليه وآله الاثيران لديه، والمقربان إليه، وزينب بنت علي التي رافقت أخاها في وقعة كربلاء الدامية و كان لها مواقف عظيمة و مشرفة في الرعاية للحق والعدل، و نصره الاسلام، و غيرهم من الاولاد ذكورا و اناثا.  
و قد بقى كلا الزوجين (علي و فاطمة) حتى آخر اللحظات عارفين بمكانة

(١) مسند احمد بن حنبل: ج ٢ ص ٢٥٩.

(٢) الدر المنثور: ج ٥ ص ١٩٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٠

الآخر، فكلاهما من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا، و كلاهما من القربى الذين أمر بمودتهم و لهذا لم يتزوج علي عليه السلام على الزهراء امرأة اخرى الا- بعد وفاتها، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بالنسبة إلى خديجة، و فاء لحقها، و احتراماً لمقامها.

لكن بعض الايادي دسّت- مع الأسف- في التاريخ أباطيل للتقليل من شأن هذين الزوجين الطاهرين، و الحط من مكانتهما، فنسبت إليهما التنازع، و التشاجر، أو نسبت إلى فاطمة شكاية علي عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وآله و أوردت في هذه المجال روايات مختلفة، لا أساس لها من الصحة، تفندها أخلاق علي و فاطمة و تقواهما و زهدهما، و تكذّبها ما جاء في شأنهما و جلالة قدرهما من الآيات القرآنية و الاحاديث النبوية.

و قد استند أعداء الاسلام التقليديين إلى امثال هذه الروايات لمسوخ صورة الاسلام الحنيف و تشويه سمعة رجاله العظام و نساءه الخالدات الطيبات.

فهذا هو المستشرق النصراني الحاقدا الاستاذ اميل درمنغم في كتابه الملىء بالباطيل: «حياة محمد» ترجمه الاستاذ محمد عادل زعير بعد ان يلصق برسول السلام تهما عجيبة و يصفه بالدويّ الحمس، يقع في علي و فاطمة عليهما السلام!!

فتارة يقول: إن فاطمة كانت عابسة دون رقيه جمالا، و دون زينب ذكاء، و إنها لم تكن ترغب في علي لانها كانت تعدّ عليا دميما محدودا مع عظيم شجاعته!! و ان عليا كان غير بهيّ الوجه .. و .. مع أنه كان تقيا شجاعا صادقا وفيما مخلصا صالحا مع توان و تردد!!  
و كان إذا عاد إلى منزله من العمل بشيء من القوت قال لزوجته فاطمة عابسا: كلي و اطعمي الاولاد!! و أن عليا كان يحرده بعد كل منافرة و يذهب لينام في المسجد و كان حموه يرتبه علي كتفه و يعظه و يوفق بينه و بين فاطمة إلى حين، و ممّا حدث أن رأى النبي ابنته في بيته ذات مرة و هي تبكي من لكم عليّ لها!!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١١

ثم يقول: إن محمدا- مع امتداحه قدم علي في الاسلام ارضاء لابنته- كان قليل الالتفات إليه و كان صهر النبي الامويان: عثمان الكريم و أبو العاصي أكثر مداراة للنبي من علي، و كان علي يألم من عدم عمل النبي علي سعادة ابنته و من عدّ النبي له غير قوام بجليل الأعمال فالنبي و ان كان يفوض إليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قيادة إليه!! «١»

إلى غير ذلك من الترهات و السخافات التي الصقها تارة إلى رسول الله الاكرم محمد صلى الله عليه وآله، و اخرى إلى حبيبه و ابن عمه و وصيه الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن أفضل اجابة علي هذه الافتعالات هو ما كتبه العلامة الاميني حيث يقول:

كلّ ما في الكتاب من تلكم الأقوال المختلفة، و النسب المفتعلة إن هي إلّا كلم الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، و تضادّ ما أصفقت عليه الامّة الإسلامية، و ما أخبر به نبيها الأقدس.

هل تناسب تقولاته في فاطمة مع قول أبيها صلى الله عليه وآله: فاطمة حوراء إنسيه كلما اشتقت إلى الجنة قبلتها؟! «٢»  
 أو قوله صلى الله عليه وآله: ابنتي فاطمة حوراء آدمية؟! «٣»  
 أو قوله صلى الله عليه وآله: فاطمة هي الزهرة؟! «٤»  
 أو قول أم أنس بن مالك؟! كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماما، إذا خرج من السحاب بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشد الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وشبهها، والله كما قال الشاعر:  
 بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثل أسحم «٥»

(١) هذه المقتطفات اخذت من كتاب حياة محمد: ص ١٩٧-١٩٩.

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي: ج ٥ ص ٨٦.

(٣) الصواعق: ص ٩٦، اسعاف الراغبين: ص ١٧٢ نقلا عن النسائي.

(٤) نزهة المجالس: ج ٢ ص ٢٢٢.

(٥) جثل الشعر: كثر والتف و اسود فهو جثل: سحم فهو اسحم: اسود.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٢ فكانت فيها نهار مشرقو كأنه ليل عليها مظلم «١» و لقبها الزهراء المتسالم عليه يكشف عن جليلة الحال. و هل يساعد تلك التحكمات في ذكاء فاطمة و خلقها قول أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها: كانت فاطمة تحدث في بطن أمها، و لما ولدت فوقعت حين وقعت على الأرض ساجدة رافعة اصبعها؟! «٢».

أو يلائمها قول عائشة: ما رأيت أحدا أشبه سمًا و دلا و هديا و حديثا برسول الله في قيامه و قعوده من فاطمة، و كانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها فقبلها و رحب بها، و أخذ بيدها و أجلسها في مجلسه؟! «٣»

و في لفظ البيهقي في السنن ج ٧ ص ١٠١: ما رأيت أحدا أشبه كلاما و حديثا من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله الحديث. و هل توافق مخاريفه في الامام على صلوات الله عليه، و عدم بهاء وجهه، و عد فاطمة له دميما و كونه عابسا مع ما جاء في جماله البهي: أنه كان حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر، و كأن عنقه إبريق فضة «٤» ضحوك السنن «٥» فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم؟! «٦».

و أين هي من قول أبي الأسود الدؤلي من أبيات له؟!:

إذا استقبلت وجه أبي تراب رأيت البدر حار الناظرينا «٧»

(١) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٦١.

(٢) سيرة الملا، ذخائر العقبي: ص ٤٥، نزهة المجالس: ج ٢ ص ٢٢٧.

(٣) اخرجه الحافظ ابن حبان كما في ذخائر العقبي ٤٠ م، و الحافظ الترمذى و حسنه، و الحافظ العراقي في التقريب كما في شرحه له و لابنه ج ١ ص ١٥٠، و ابن عبد ربه في العقد الفريد: ج ٢ ص ٣، و ابن طلحة في مطالب السؤل: ص ٧، اسعاف الراغبين: ص ١٧١.

(٤) كتاب صفين: ص ٢٦٢، الاستيعاب: ج ٢ ص ٤٦٩، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٥٥، نزهة المجالس: ج ٢ ص ٢٠٤.

(٥) تهذيب الاسماء و اللغات للامام النووي.

(٦) حلية الأولياء: ج ١ ص ٨٤، تاريخ ابن عساكر: ج ٧ ص ٣٥، المحاسن و المساوي: ج ١ ص ٣٢.

(٧) تذكرة السبط: ص ١٠٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٣.

نعم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله فالناس أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسدا و بغضا: إنه لدميم أو يخبرك ضميرك الحرّ في على ما سلقه الرجل به من (التواني و التردد)؟! و على ذلك المتقحم في الأحوال، و الضارب في الأوساط و الأعراض في المغازى و الحروب؛ و هو الذى كشف الكرب عن وجه رسول الله في كلّ نازله و كارسه منذ صدع بالدين الحنيف، إلى أن بات على فراشه و فداه بنفسه، إلى أن سكن مقرّه الأخير.

أليس علىّ هو ذلك المجاهد الوحيد الذى نزل فيه قوله تعالى: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».

و قوله تعالى: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» (١).

فمتى خلى علىّ عن مقارعة الرجال و الذبّ عن قدس صاحب الرسالة حتى يصحّ أن يعزى إليه توان أو تردد في أمر من الامور؟! غير ان القول الباطل لا حد له و لا أمد.

و هل يتصوّر في أمير المؤمنين تلك العشرة السيئة مع حليلته الطاهرة؟! و النبيّ يقول له: أشبهت خلقى و خلقى و أنت من شجرتى التى أنا منها «٢».

و كيف يراه النبيّ صلى الله عليه و آله أفضل أمته أعظمهم حلما، و أحسنهم خلقا، و يقول: علىّ خير أمتى أعلمهم علما و أفضلهم حلما؟! «٣».

و يقول لفاطمة: إنى زوّجتك أقدم أمتى سلما، و أكثرهم علما، و أعظمهم حلما؟! «٤».

(١) راجع الجزء الثالث من «الغدیر»: ص ٤٧، ٥٣ ط ثانى.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب: ج ١١ ص ١٧١.

(٣) الطبرى، الخطيب، الدولابى. كما فى كنز العمال: ج ٦ ص ١٥٣ و ٣٩٢ و ٣٩٨.

(٤) مسند احمد: ج ٥ ص ٢٦، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٩٤، ذخائر العقبى: ص ٧٨، مجمع الزوائد:

ج ٩ ص ١٠١، ١١٤ و صححه و وثق رجاله.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٤

و يقول لها: زوّجتك أقدمهم سلما، و أحسنهم خلقا؟! «١».

يقول هذه كلّها و عشرته تلك كانت بمرأى منه و مسمع، أفك الدجالون، كان علىّ عليه السلام كما أخبر به النبيّ الصادق الأمين.

و هل يقبل شعورك ما قذف به الرجل [فضّ الله فاه] علينا بلکم فاطمة بضعة المصطفى؟! و علىّ هو ذاك المقتص أثر الرسول و ملأ مسامعه قوله صلى الله عليه و آله و سلم لفاطمة: إن الله يغضب لغضبك، و يرضى لرضاك «٢».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم هو آخذ بيدها: من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهى بضعة منى، هى قلبى و روحى التى بين جنبتى، فمن آذاها فقد آذانى «٣».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: فاطمة بضعة منى، يرببنى ما رابها، و يؤذبنى ما آذاها «٤».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: فاطمة بضعة منى، فمن أغضبها فقد أغضبنى «٥».

و قوله صلى الله عليه و آله و سلم: فاطمة بضعة منى، يقبضنى ما يقبضها، و يبسطنى ما يبسطها «٦».

(١) أخرجه أبو الخير الحاكمى كما فى الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٨٢.



(٢) مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٥٤ و صححه، ذخائر العقبی: ص ٣٩، تذکره السبیط: ص ١٧٥ مقتل الخوارزمی: ج ١ ص ٥٢، کفاية الطالب: ص ٢١٩، شرح المواهب للزرقانی: ج ٣ ص ٢٠٢، كنوز الدقائق للمناوی: ص ٣٠، أخبار الدول للقرمانی هامش الكامل: ج ١ ص ١٨٥، كنز العمال: ج ٧ ص ١١١ عن الحاكم و ابن النجار، تهذيب التهذيب: ج ١٢ ص ٤٤٣، الاصابة: ج ٤ ص ٣٧٨، الصواعق: ص ١٠٥، الاسعاف: ص ١٧١ عن الطبرانی، ینابيع المودة: ص ١٧٣.

(٣) الفصول المهمة: ص ١٥٠، نزهة المجالس: ج ٢ ص ٢٢٨، نور الابصار: ص ٤٥.

(٤) صحاح البخاری و مسلم و الترمذی، مسند أحمد: ج ٤ ص ٣٢٨، الخصائص للنسائی: ص ٣٥، الاصابة: ج ٤ ص ٣٧٨.

(٥) صحيح البخاری، خصائص النسائی: ص ٣٥.

(٦) مسند أحمد: ج ٤ ص ٣٢٣ و ٣٢٢، الصواعق: ص ١١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٥

و هل يقصر امتداح النبى عليا بقدم إسلامه؟! حتى يتفلسف فى سرّه و يكون ذلك إرضاء لابنته، على أن امتداحه بذلك لو كان لتلك المزعمه لكان يقتصر صلى الله عليه وآله و سلم على قوله لفاطمة فى ذلك و كان يتأتى الغرض به، فلما ذا كان يأخذ صلى الله عليه وآله و سلم بيد عليّ فى الملاء الصحابى تارة و يقول: إن هذا أول من آمن بى، و هذا أول من يصفحنى يوم القيامة؟ و لما ذا كان يخاطب أصحابه اخرى بقوله: أولكم و اردا عليّ الحوض أولكم اسلاما عليّ بن أبى طالب!؟

و كيف خفى هذا السرّ المخلوق على الصحابة الحضور و التابعين لهم باحسان فطفقوا يمدحونه عليه السلام بهذه الاثارة كما يروى عن سلمان الفارسى، أنس بن مالك، زيد بن أرقم، عبد الله بن عباس، عبد الله بن حنبل، هاشم بن عتبة، مالك الاشرى، عبد الله بن هاشم، محمد بن أبى بكر، عمرو بن الحمق، أبو عمرة عدى بن حاتم، أبو رافع، بريدة، جندب بن زهير، أم الخير بنت الحريش.

و هل القول بقلة التفات النبى إلى عليّ يساعده القرآن الناطق بأنه نفس النبى الطاهر؟! او جعل مودته أجر رسالته!؟

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم فى حديث الطير المشوى الصحيح المروى فى الصحاح و المسانيد: اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك ليأكل معى!؟

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم لعائشة: إن عليا أحبّ الرجال إليّ، و أكرمهم عليّ، فاعرفى له حقّه و أكرمى مثواه!؟ «١»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: أحبّ الناس إليّ من الرجال عليّ!؟ «٢»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: عليّ خير من أتركه بعدى!؟ «٣»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: خير رجالكم عليّ بن أبى طالب، و خير

(١) أخرجه الحافظ الخجندى كما فى الرياض: ج ٢ ص ١٦١، و ذخائر العقبى: ص ٦٢.

(٢) و فى لفظ: أحب أهلى، من حديث اسامة.

(٣) مواقف الايجى: ج ٣ ص ٢٧٦، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٦

نساء كم فاطمة بنت محمّد!؟ «١»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: عليّ خير البشر فمن أبى فقد كفر «٢»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: من لم يقل عليّ خير الناس فقد كفر!؟ «٣»

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: فى حديث الراية المتفق عليه: لاعطينّ الراية غدا رجلا يحبّه الله و رسوله و يحبّ الله و رسوله؟

أو قوله صلى الله عليه وآله و سلم: عليّ منى بمنزلة الرأس (رأسى) من بدنى أو جسدى!؟ «٤»

أو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: عَلَيَّ مَنْى بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَبِّي؟ «٥».

أو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: عَلَيَّ أَحَبُّهُمْ إِلَيَّ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيَّ اللهُ «٦».

أو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: أَنَا مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْى. أو: أَنْتَ مِنْى وَأَنَا مِنْكَ؟ «٧»

أو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: عَلَيَّ مَنْى وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدى؟ «٨»

أو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِ الْبَعثِ بِسُورَةِ الْبَرَاءَةِ الْمَجْمَعِ عَلَى

- (١) تاريخ بغداد للخطيب: ج ٤ ص ٣٩٢.
- (٢) تاريخ الخطيب عن جابر، كنوز الحقائق هامش الجامع الصغير: ج ٢ ص ١٦، كنز العمال: ج ٦ ص ١٥٩
- (٣) تاريخ الخطيب البغدادي: ج ٣ ص ١٩٢ عن ابن مسعود، كنز العمال: ج ٦ ص ١٥٩.
- (٤) تاريخ الخطيب: ج ٧ ص ١٢، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٦٢، الصواعق: ص ٧٥ م- الجامع الصغير للسيوطي، شرح العزيزي: ج ٢ ص ٤١٧، فيض القدير: ج ٤ ص ٣٥٧، نور الأبصار:
- ص ٨٠، مصباح الظلام: ج ٢ ص ٥٦.
- (٥) الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٦٣، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٩١.
- (٦) تاريخ الخطيب: ج ١ ص ١٦٠.
- (٧) مسند أحمد: ج ٥ ص ٢٠٤، خصائص النسائي: ص ٣٦ و ٥١.
- (٨) مسند أحمد: ج ٥ ص ٣٥٦ وأخرجه جمع من الحفاظ باسناد صحيح
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٧
- صحته: لا يذهب بها إلّا رجل منى و أنا منه «١»
- أو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: لِحَمَكِ لِحَمِيٍّ وَدَمَكِ دَمِيٍّ وَ الْحَقِّ مَعَكَ؟ «٢»
- أو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَ لَهُ نَظِيرٌ فِي أُمَّتِهِ وَ عَلَيَّ نَظِيرِي؟ «٣»
- أو ما صحّحه الحاكم و أخرجه الطبراني عن أم سلمة قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ إِذَا أَغْضَبَ لَمْ يَجْتَرِئْ أَحَدٌ أَنْ يَكَلِّمَهُ غَيْرَ عَلِيٍّ؟ «٤»
- أو قول عائشة: وَ اللهُ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ مِنْ عَلِيٍّ وَ لَا فِي الْأَرْضِ امْرَأَةٌ كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ امْرَأَتِهِ؟ «٥»
- أو قول بريدة و أبيّ: أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ النِّسَاءِ فَاطِمَةُ وَ مِنَ الرِّجَالِ عَلِيٌّ؟ «٦»
- أو حديث جميع بن عمير قال: دَخَلْتُ مَعَ عَمَّتِي عَلِيٍّ عَائِشَةَ فَسَأَلْتُ أَيَّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَتْ: فَاطِمَةُ. فَقِيلَ: مِنَ الرِّجَالِ؟
- قَالَتْ:

زَوْجَهَا، إِنْ كَانَ مَا عَلِمْتَ صَوَامًا قَوَامًا؟ «٧»

وَ كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقْدَمُ الْغَيْرَ عَلَى عَلِيٍّ فِي الْاَلْتِفَاتِ إِلَيْهِ؟! وَ هُوَ أَوَّلُ رَجُلٍ اخْتَارَهُ اللهُ بَعْدَهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ لَمَّا اطَّلَعَ

- (١) خصائص النسائي: ج ٨.
- (٢) المحاسن و المساوى: ج ١ ص ٣١، كفاية الطالب: ص ١٣٥، مناقب الخوارزمي: ص ٧٦ و ٨٣ و ٨٧، فرائد السمطين: في الباب ٢ و ٢٧.
- (٣) الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٦٤.

(٤) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٣٠، الصواعق: ص ٧٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ١١٦.

(٥) مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٥٤ و صححه، العقد الفريد: ج ٢ ص ٢٧٥، خصائص النسائي:

ص ٢٩، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٦١.

(٦) خصائص النسائي: ص ٢٩، مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٥٥ صححه و هو و الذهبي، جامع الترمذي:

ج ٢ ص ٢٢٧.

(٧) جامع الترمذي: ج ٢ ص ٢٢٧ ط هند، مستدرك الحاكم: ج ٣ ص ١٥٧، و جمع آخر.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٨

عليهم كما أخبر به صلى الله عليه وآله و سلم لفاطمة بقوله: إن الله أطع على أهل الأرض فاختر منه أباك فبعثه نبيا، ثم أطع الثانية فاختر بعلك فأوحى إلي فأنكحته و اتخذته وصيا «١».

و بقوله صلى الله عليه وآله و سلم: إن الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوك و الآخر زوجك «٢».

و إني لا يسعني المجال لتحليل كلمة الرجل: و كان صهرا النبي الامويان.

إلخ: و حسبك في مداراة عثمان الكريم حديث أنس عن رسول الله لما شهد دفن رقية ابنته العزيرة و قعد على قبرها و دمعت عيناه

فقال: أيكم لم يقارف الليلة أهله؟! فقال أبو طلحة: أنا. فأمره أن ينزل في قبرها.

قال ابن بطال: أراد النبي صلى الله عليه وآله و سلم أن يحرم عثمان النزول في قبرها و قد كان أحق الناس بذلك لأنه كان بعلها و

فقد منها علقا لا عوض منه لأنه حين قال عليه السلام: أيكم لم يقارف الليلة أهله؟! سكت عثمان و لم يقل: أنا. لأنه قد قارف ليلة

ماتت بعض نسائه، و لم يشغله بهم بالمصيبة و انقطاع صهره من النبي صلى الله عليه وآله [و آله] و سلم عن المقارفة فحرم بذلك ما كان

حقا له و كان أولى به من أبي طلحة و غيره. و هذا بين في معنى الحديث و لعل النبي صلى الله عليه وآله [و آله] و سلم قد كان علم ذلك

بالوحي فلم يقل له شيئا لأنه فعل فعلا حلالا غير أن المصيبة لم تبلغ منه مبلغا يشغله حتى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير صريح

«٣».

و ما عساني أن أقول في أبي العاص الذي كان على شركه إلى عام الحديبية، و اسر مع المشركين مرتين، و فرق الإسلام بينه و بين

زوجته زينب بنت النبي صلى الله عليه وآله و سلم ست سنين، و هاجرت مسلمة و تركته لشركه، و لم ترد

(١) أخرجه الطبراني عن أبي ايوب الأنصاري كما في اكمال كثر العمال: ج ٦ ص ١٥٣، و أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ج ٩ ص

١٦٥ عن علي الهلالي.

(٢) المواقف للايجي: ص ٨

(٣) الروض الانف: ج ٢ ص ١٠٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١١٩

قط بعد إسلامه كلمة تعرب عن صلته مع النبي و مداراته له فضلا عن مقايسته بعلتي أبي ذرّيته و سيد عترته.

و قد أتهم الرجل نبي الإسلام بعد العمل على سعادة ابنته الطاهرة المطهرة بنص الكتاب العزيز، و يقذف عليا بالتألم من ذلك، و كان

صلى الله عليه وآله و سلم إذا أصبح أتى باب علي و فاطمة و هو يقول: يرحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

و يطهركم تطهيرا. و كان لم يزل يقول: فاطمة أحب الناس إلي.

و يقول: أحب الناس إلي من النساء فاطمة.

و يقول: أحب أهلي إلي فاطمة.

و كان عمر يقول لفاطمة: و الله ما رأيت أحدا أحب إلى رسول الله منك «١».

و ما أقبح الرجل فى تقوله على النبى صلى الله عليه وآله و سلم بعده لعلى غير قوام بجليل الأعمال. و قد وازره و ناصره و عاضده بتمام معنى الكلمة بكلّ حول و طول من بدء دعوته إلى آخر نفس لفظه، فصار بذلك له نفسا و أخا و وزيرا و وصيا و خليفة و وارثا و وليا بعده، و كان قائده الوحيد فى حروبه و مغازيه، و هو ذلك الملقب بقائد الغرّ المحجلين و حيا من الله العزيز فى ليلة أسرى بنبيه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى «٢».

و ممّا يعجب بل و يؤسف أن نجد العقاد كاتب النيل الكبير يذهب هذا المذهب، و ينحو هذا المنحى ذاته من سيده نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و أمّ الامامين الهمامين الحسن و الحسين عليهما السلام، فيسطر فى كتابه «فاطمة الزهراء و الفاطميون» «٣» شيئا من هذه العبارات و المقالات التافهة التى لا يليق بكاتب مثله عرف بالتحقيق و الفهم، ان يدرجها فى مؤلفه.

(١) مستدرک الحاکم: ج ٣ ص ١٥٠ و صححه.

(٢) مستدرک الحاکم: ج ٣ ص ١٣٨ و صححه، الرياض النضرة: ج ٢ ص ١٧٧، شمس الاخبار:

ص ٣٩، أسد الغابة: ج ١ ص ٦٩، مجمع الزوائد: ج ٩ ص ١٢١.

(٣) راجع ص ٣٢ و ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٠.

و لا يجاب على ما كتبه العقاد و من حذى حدوه إلا بما مرّ فى كلام العلامة و المحقق الخبير الامينى رحمه الله. ففيه كفاية لمن تحرّى الحقيقة عن أهل البيت عليهم السلام.

هذا و ينبغى ان نذكر القارئ الكريم بنفس ما كتبه العقاد فى كتابه و مما يعتبر شهادة دامغة تفند ما بدر منه من قول غير لائق فى شأن على و الزهراء، فهو يقول: فى كل دين صورة للانوثة الكاملة المقدسة يتخشع بتقديسها المؤمنون كأنما هى آية الله فيما خلق من ذكر و انثى.

فاذا تقدست فى المسيحية مريم العذراء فى الاسلام لا جرم تتقدس صورة فاطمة البتول.

ثم يقول: من الواضح البين ان الزهراء اخذت مكانها الرفيع بين اعلام النساء فى التاريخ لانها بنت نبى و زوجة امام و أم شهداء «١».

فاذا كانت هذه هى صورة الزهراء البتول، فكيف يصدّق العقل ما حاكته أيدى الدسّ فى تاريخ هاتين القمتين الطاهرتين من قمم الاسلام الشامخة؟!

(١) راجع: ص ٥١ و ٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢١.

(١)

### ٣١ جرائم «بنى قيناع»

#### إشارة

كانت معركة «بدر» بمثابة طوفان شديد ضدّ الوثنية فى قلب شبه الجزيرة العربية.

طوفان اقتلع بعض جذور الوثنية العربية، فقد قتل طائفة من صنديد قريش، و اسرت اخرى و هرب الباقون بمنتهى الذل و الصغار، و

انتشر خبر هزيمة جيش قريش المتغترس في جميع أنحاء و ربوع الجزيرة العربية.

و لكن ساد بعد هذا الطوفان المرعب، شىء من الهدوء و المقرون بالاضطراب و القلق. هدوء كان منشؤه التفكير في مستقبل شبه الجزيرة العام و ما تخبئه الايام القادمة لسكانها على أثر التحول الجديد.

(٢) و كانت مخاوف القبائل الوثنية، و يهود يثرب الاثرياء و يهود خيبر و وادى القرى تزداد يوما بعد يوم من تقدم الاسلام المطرد، و تعاضم شوكتهم، و اشتداد أمر حكومتهم الفتية، و كان جميع هؤلاء يجدون مستقبلهم مهددا بخطر جدى، بعد أن كانوا لا يتصورون أن يكسب رسول الله صلى الله عليه و آله المهاجر من مكة كل هذه النجاحات الباهرة، و أن يبلغ من القوة ذلك المبلغ، بحيث يقهر بقواه المحدودة قوة قريش الكبرى و يكسر شوكتها العريقة!!

(٣) و كان يهود بنى قينقاع الذين يقطنون داخل المدينة، و يمسكون بخيوط اقتصادها، أشد خوفا من غيرهم، و اكثر قلقا على مستقبل أمرهم، لأنهم كانوا يخالطون المسلمين مخالطة كاملة و كان وضعهم يختلف عن وضع يهود خيبر و وادى القرى الذين كانوا يعيشون خارج المدينة بعيدا عن مركز قوة المسلمين و منطقة حاكميتهم!!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٢

من هنا بدأ يهود بنى قينقاع قبل غيرهم من طوائف اليهود العائشة في تلك الديار بتدبير المؤامرات، و ممارسة الأعمال الإيذائية ضد المسلمين و القيام بالحرب الباردة (الإعلامية) ضدّهم، و ذلك بنشر الأكاذيب و بثّ المعلومات الكاذبة، و اطلاق الشعارات القبيحة، و انشاد القصائد التي من شأنها الاساءة الى المسلمين و تحقيرهم، و تخريب معنوياتهم.

و بهذا يكون اليهود قد بدءوا عمليا بنقض معاهدة التعايش السلمى التي ذكرناها سلفا، و التي عقدها رسول الله صلى الله عليه و آله معهم في إبان قدومه المدينة.

(١) و لم تكن هذه الحرب الباردة الشريرة لتبرر تصدى القوى الاسلامية لها بالحرب الساخنة، و استعمال السلاح، لأن ما يمكن حله بسلاح المنطق لا يجبذ أن يعالج بمنطق السلاح، و خاصة أن الرد الساخن و المسلح يؤدي إلى زعزعة الأمن و الاستقرار في المدينة، و الحال أن المحافظة على الوحدة السياسية، و استتباب الأمن و الاستقرار في المدينة كان مما يهّم النبي صلى الله عليه و آله جدا و هو يواجه أعداء أشداء من الخارج.

فلم يكن من مصلحة الاسلام و المسلمين تفجير الموقف في عاصمة الاسلام، يومئذ.

و لهذا- و بغية اتمام الحجّة على يهود بنى قينقاع- وقف رسول الله صلى الله عليه و آله ذات يوم في سوقهم بعد أن جمعهم فيه ثم قال لهم:

«يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النعمة، و أسلموا، فانكم قد عرفتم أنّي رسول الله (أو أنّي نبي مرسل) تجدون ذلك في كتابكم و عهد الله إليكم».

و هنا نزل قول الله تعالى:

«قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بُسِّسَ الْمُهَادُ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الَّتِي قَاتَلْتُمَا تَبَاتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَ اللَّهُ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٣

يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ» (١).

(١) و لكن اليهود المغرورين المتكبرين لم يشكروا نصيحة النبي هذه أو يسكتوا حسب، بل ردوا عليه بعناد و لجاج و صلافة قائلين: يا محمّد انك ترى انا قومك لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب، فاصبت منهم فرصة، إنا و الله و لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس (أو أنّا و الله أصحاب الحرب، و لئن قاتلنا لتعلمن أنك لم تقاتل مثلنا)!! «٢»

فلم تترك كلمات يهود «بنى قينقاع» الجوفاء، و تشدقهم الفارغ بقوتهم و قدرتهم على القتال و المواجهة أدنى اثر فى نفوس المسلمين.

و لكن النبى صلى الله عليه وآله قد أتم عليهم الحجة، فلم يعودوا معذورين حسب السياسة الاسلاميه، و قد أصبح ساعتئذ من اللازم الاحتكام إلى منطق السلاح بعد أن لم ينجح سلاح المنطق، و لم يقنع اليهود بضرورة تغيير مواقفهم، و التخلّى عن مؤامراتهم و خططهم الايذائية ضد النبى صلى الله عليه وآله و المسلمين.

أجل لا بد من استخدام القوة مع هؤلاء اليهود الصلفين المتعنتين و الّا ازدادوا صلافة، و كثرت اعتداءاتهم. و لهذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ينتظر الفرصة المناسبة لتأديب تلك الجماعة المتعنتة الوقحة. (٢)

### لهيب الحرب يبدأ من شرارة:

قد تجر بعض الحوادث الصغيرة إلى سلسلة من التحولات و الاحداث فى الاجتماعات الكبرى. يعنى أن تتسبب حادثة جزئية فى انفجار الحوادث الكبرى، فيصنفى كل من طرفى النزاع حسابه مع الطرف الآخر، انطلاقا من علل و اسباب اخرى، و ليست تلك الحادثة الجزئية.

(١) آل عمران: ١٢ و ١٣.

(٢) المغازى: ج ١ ص ١٧٥ و ١٧٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٤

فللمثال نشأت الحرب العالمية الاولى و هى إحدى اكبر الحوادث التاريخية فى حياة البشر من حادثة صغيرة تذرعت بها الدول الكبرى، و تلك الحادثة الصغيرة التى اشعلت فتيل الحرب العالمية الاولى هى اغتيال «الارشيدوق فرانسيز فريديناند» ولى عهد النمافى سرايفو.

فقد وقعت هذه الحادثة فى ٢٨ من شهر يونيو عام ١٩١٤ و بعد شهر و عدة أيام بدأت الحرب العالمية الاولى بهجوم الالمان على بلجيكا، و افرزت هذه الحرب المدمرة الشاملة عن مقتل عشرة ملايين و جرح عشرين مليونا من البشر «١».

(١) و لقد انزعج المسلمون من صلافة يهود بنى قينقاع، و ردهم الوقح على رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يخاطبهم بأدب ينصحهم، و كانوا يتوقعون أن يقوم اليهود بعمل عدائى ليشوروا ضدهم، و يؤدبهم.

و بيناهم على هذه الحال إذ تعرضت امرأة من العرب لاعتداء من اليهود فاشعل هذا الحادث الموقف. و إليك مفصل تلك الحادثة:

(٢) جاءت امرأة من العرب الى سوق بنى قينقاع فجلست عند صائغ تبيع حليًا لها أو تشتري، و كانت تبالغ فى ستر وجهها عن اليهود، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت فعمد رجل من يهود بنى قينقاع إليها و جلس من ورائها، و هى لا تشعر فعقد أسفل ثوبها إلى ظهرها، فلما قامت المرأة بدت عورتها، فضحكوا منها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين الى ذلك الرجل اليهودى فقتله، فاجتمعت بنو قينقاع، و شدوا على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم القليل المسلمين على اليهود، فغضب المسلمون غضبا شديدا.

(٣) و لقد كان من الطبيعى أن يثب الرجل المسلم على ذلك اليهودى الوقح الشرير الذى فعل بالمرأة العربية ذلك الصنع، فان قضية «الأعراض» قضية حياتية و حساسة فى أى مجتمع، فهى قضية شرف، و قد كان الأمر يحظى فى المجتمع

(١) الموسوعة العربية الميسرة: ص ٧٠٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٥

العربي خاصة بأهمية كبرى، وخاصة عند البدو الرحل منهم، فكم من دماء جرت لعدوان على عرض ديس أو تعرض للتحرش. من هنا أزعج وضع تلك المرأة الغريبة وحالتها المؤلم واضطرابها الرجل المسلم، وأشعل غيرته فوثب على اليهودي المعتدى وقتله. وكان من الطبيعي أيضا أن لا يمر هذا العمل دون رد من اليهود فيشب اليهود بأجمعهم على ذلك المسلم الغيور ويقتلوه، ويريقوا دمه بأجمعهم.

نحن هنا لا يهمننا أن نعرف أن قتل ذلك الرجل اليهودي لازدرائه بامرأة كان أمرا صحيحا منطقيا يتفق مع الموازين أم لا ينطبق. ولكنه ما من شك في أن وثوب مئات من الرجال واجتماعهم على قتل رجل مسلم واحد، وإراقه دمه، عمل بالغ الشناعة والقبح. من هنا تسبب انتشار هذا الخبر (اي مقتل رجل مسلم واحد على أيدي مجموعة كبيرة من الرجال بصورة مفاجئة) في إثارة المسلمين و نفاذ صبرهم، ودفعهم إلى العزم على حسم الموقف حسما كاملا و بالتالي هدم قلعة الفساد على رؤس أصحابها القتلة.

(١) فاحس «بنو قينقاع» بخطر الموقف، و أدركوا انه لم يعد من الصالح أن يبقوا في أسواقهم، و يواصلوا البيع و الشراء، و قد تلبد الجوّ بالغيوم الداكنة على أثر العمل الفضيح و الجناية الكبرى التي ارتكبوها.

من هنا تركوا أسواقهم بسرعة، و عادوا إلى قلاعهم المحصّنة، و تحصّنوا فيها، و كان ذلك منهم انسحابا خانعا بعد ذلك التشدق الصلف!!

و لقد أخطئوا هذه المرة أيضا إذ ظنوا انهم مانعتهم حصونهم، من انتقام الله.

و لو أنهم اعتذروا لخطئهم، و أظهروا الندامة لكانوا يجلبون رضا المسلمين، و يحصلون على عفو النبي صلى الله عليه وآله و هم يعرفون خلقه العظيم؛ و صفحة الكريم.

إلا أن تحصّنهم كان آية عنادهم، و اعلانهم الحرب، و نصبهم العدا الصريح للاسلام و النبي و المسلمين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٦

(١) فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بمحاصرتهم، و منع من دخول أي امداد إليهم، كما منع من اتصالهم بأي أحد خارج حصونهم.

فحصروهم في حصونهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب، و فقدوا القدرة على المقاومة، و رضوا بأن ينزلوا عند حكم النبي صلى الله عليه وآله فيهم!!

و أراد رسول الله صلى الله عليه وآله أن يؤدب تلك الجماعة التي كانت أول من نقض العهد و نبذ الميثاق تأديبا قاسيا، يكون عقابا لهم و عبرة لغيرهم.

و لكن «عبد الله بن أبي بن سلول» الذي كان من منافقي المدينة و يتظاهر بالاسلام، أصرّ على رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يحسن معاملتهم، و لا- يأخذهم بما فعلوا لحلف و مودة كانت بينه و بين يهود من السابق، فانصرف النبي صلى الله عليه وآله عن ما كان يريد من تأديبهم الشديد، و عقوبتهم على كره منه «١» و لكن أمر بأن يجلبوا من المدينة، و لا- يبقوا فيها شريطة أن يتركوا أسلحتهم، و أموالهم، و دروعهم.

(٢) فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و كلّف رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أحد المسلمين بقبض أموالهم و أسلحتهم، و كلّف «عبادة بن الصامت» باجلائهم من حصونهم فعجل عبادة في ترحيلهم و إجلائهم.

فخرجوا من المدينة و لحقوا بمنطقة تدعى «أذرعات» و هي بلد في اطراف الشام.



(١) هذا مع العلم ان القرآن الكريم ندد بمثل هذه الوساطة الذى قام بها ذلك الرجل المنافق رغم تخفيف النبى صلى الله عليه وآله معاقبة اليهود و رسم للمسلمين منهجا فى التعامل مع اليهود و النصارى إذ قال:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ، يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ، فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأُصْبِحُوا خَاسِرِينَ » (المائدة: ٥١-٥٣).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٧

و باجلاء «بنى قينقاع» عادت الوحدة السياسية الى المجتمع فى المدينة.

و كانت الوحدة السياسية هذه المرة مقرونة بالوحدة الدينية إذ كان المسلمون يشكلون الاغلبية الساحقة فى المدينة فلم يكن لغيرهم فيها شأن يذكر «١».

(١)

### تقارير جديدة تصل الى المدينة:

من المعلوم أن الاخبار تنتشر بين الناس بسرعة فى المناطق الصغيرة، على العادة. سيد المرسلين ج ٢ ١٢٧ تقارير جديدة تصل الى المدينة: ..... ص: ١٢٧

هنا فان انباء أكثر المؤامرات و التحركات المعادية للاسلام التى كانت تقع فى المناطق المختلفة من شبه الجزيرة كانت تصل بسرعة- و عبر المسافرين المحايدون أو الاصدقاء المترصدون- الى مركز القيادة الاسلامية فى المدينة.

هذا مضافا الى أن هذا النوع من المعلومات كان يحظى لدى رسول الاسلام باهمية كبرى، فيرصد لها من يأتى بها أولا بأول، و لهذا كانت اكثر التحركات و المؤامرات يقضى عليها فى مهدها بفضل الرد السريع و المناسب الذى كانت القيادة الاسلامية تقوم به فى ضوء المعلومات الواردة إليها، أو التى حصلت عليها.

فبمجرد أن تتضمن هذه المعلومات، إلى النبى صلى الله عليه وآله خيرا مفاده أن إحدى القبائل تعد قوة، و تستعد للهجوم على المدينة كان صلى الله عليه وآله يبادر الى بعث سرية أو يقود هو بنفسه مجموعة مناسبة لمحاصرة تلك القبيلة، و افشال مؤامرتها، و ابطال تدبيرها قبل أن تستطيع فعل شىء، و كان هذا هو اسلوب المباغثة الذى استطاع به رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقضى على كثير من التحركات المعادية فى مهدها.

و إليك مختصرا عن بعض تلك الغزوات التى وقعت فى السنة الثانية من الهجرة:

(١) المغازى: ج ١ ص ١٧٧، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٨ و ٢٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٨

(١)

### ١- غزوة قرقرة الكدر «١»:

كانت المنطقة التى تتمركز فيها قبيلة «بنى سلم» تدعى «الكدر».



وقد بلغ النبي صلى الله عليه وآله أن القبيلة المذكورة تهتت، و تعدد العدة للهجوم على مركز الاسلام و عاصمته (المدينة). فخرج رسول الله بنفسه من المدينة بعد أن استخلف عليها أحد أصحابه و أوكل إليه إدارة المدينة في غيابه، و كان الذي استخلفه هذه المرة «ابن أم مكتوم»، و خرج على رأس قوة عسكرية إلى مركز تلك القبيلة فلما سمعوا بمسير القوى الاسلامية إليهم تفرقوا، و عاد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة من غير قتال.

ثم بعث سرية بقيادة فارس من فرسانه يدعى «غالب بن عبد الله» إلى نفس تلك المنطقة، فوقع بينه و بينهم قتال محدود و عاد «غالب» إلى المدينة ظافرا بعد أن استشهد ثلاثة من رجاله.

(٢)

## ٢- غزوة السويق:

كان عرب الجاهلية إذا نذروا يندرون نذورا غريبة.

فقد نذر أبو سفيان بعد معركة بدر أن لا يقارب زوجته ما لم يثار «٢» من المسلمين لقتلى بدر فكان عليه أن يقوم بهجوم على المدينة، و يقاتل النبي و أصحابه ليفى بنذره!!

فخرج من مكة في مائتي راكب فجاء بنى النضير ليلا، يطلب مشورة من أحبار اليهود.

فلما كان في وقت السحر خرج فمر بالعريض فوجد رجلا من الانصار مع أجير له فقتل الأنصاري، و قتل أجيره، و حرقت بيتا و حرثا لهم بارشاد من كبير اليهود «سلام بن مشكم» و رأى أن يمينه قد حلت، ثم ذهب هاربا، و خاف

(١) قرقر الكدر: ناحية بين المعدن و بين المدينة، (الطبقات).

(٢) المغازي: ج ١ ص ١٨٢، الطبقات: ج ٢ ص ٣٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٢٩

ملاحقة المسلمين له.

فعرف به النبي صلى الله عليه وآله فندب أصحابه فخرجوا في أثره، و جعل أبو سفيان و أصحابه يتخفون فيلقون أكياس السويق (و هو القمح المقلى المطحون الملتوت بالسمن أو العسل)، و هي عامة زادهم، فجعل المسلمون يمرّون بها فيأخذونها.

فسميت تلك الغزوة بغزوة السويق لهذا الشأن.

(١)

## ٣- غزوة ذي أمر:

بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن قبيلة غطفان تجمع أفرادها، و تتأهب للعدوان على المدينة المنورة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله على رأس أربعمائة و خمسين رجلا.

فلما سمع العدو بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله إليهم خافوا خوفا شديدا فهربوا إلى رءوس الجبال، فرارا من النبي و المسلمين.

فخرج النبي صلى الله عليه وآله عليه و آله إليهم يبحث عنهم فلم يلاق أحدا منهم، و قد غيبوا سرحهم و ذراريهم في ذرى الجبال خوفا و فرقا.

(٢) فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله «ذا أمر» «١» و عسكر معسكره هناك، فأصابهم مطر كثير، فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله ناحية ليقضى حاجة، فأصابه ذلك المطر قبل ثوبه، و قد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله و آله و آله «ذى أمر» بينه و بين أصحابه،

ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف، و ألقاها على شجرة، ثم اضطجع تحتها، والأعراب ينظرون الى كل ما يفعل. فقالت الأعراب لدعثور و كان سيدها و أشجعها: قد أمكنك محمد، و قد انفرد من أصحابه، حيث إن غوث بأصحابه لم يغث حتى تقتله.

فاختار سيفاً من سيوفهم صارما ثم أقبل مشتتلا على السيف حتى قام على

(١) واد بطريق فيد إلى المدينة. وفاء الوفاء: ج ٢ ص ٢٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٠

رأس النبي صلى الله عليه وآله بالسيف مشهوراً، و رسول الله صلى الله عليه وآله مستلق على قفاه.

(١) فقال بنبرة خشنة مهددة: ما يمنعك مني اليوم؟ قال النبي صلى الله عليه وآله: الله.

فكان لهذه الكلمة أثر عجيب في نفس دعثور بحيث اربع، و وقع السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله و قام به على رأسه، فقال: و من يمنعك مني اليوم.

فقال: لا أحد.

ثم قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله، و الله لا أكثر عليك جمعا أبداً.

فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه ثم أدبر، ثم أقبل بوجهه على النبي صلى الله عليه وآله و قال: أما و الله لانت خير مني.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا أحق بذلك منك.

فأنتى قومه، و قص عليهم ما جرى له مع النبي، و أنه أسلم، و دعا قومه الى الاسلام.

(٢) أجل يكتب المؤرخون في هذا المقام أن الرجل أسلم من فوره، و يجب أن نعلم أنه لم يسلم خوفاً و فرقا و تحت بارقة السيف لأنه

بقي ثابتاً و مستمراً في اسلامه بعد ذلك و أخذ يدعو قومه كما أسلفنا و هذا يدل على أنه أسلم عن طواعية و رغبة. و ان اسلامه كان

لنتبه فطرته، و يقظة وجدانه، فإن فشله غير المتوقع، و نجاه رسول الله صلى الله عليه وآله التي تمت بطريقة خارقة للعادة جعلته ينتبه

الى عالم آخر، و عرف بأن لرسول الله صلى الله عليه وآله و آله ارتباطاً بعالم آخر، و أنه مؤيد بالتالي بقوة عليا، وراء هذا العالم المادي.

و لهذا السبب - و ليس لسواه - أسلم، و قبل رسول الله صلى الله عليه وآله و آله اسلامه، و بعد أن مشى خطوات رد إلى النبي سيفه الذي

أعاده إليه النبي قبل ذلك و اعتذر إليه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣١

و قال: أنت أولى بهذا السيف لأنك قائد هذه السرية المصلحة. (١)

(١)

### قريش تغير مسير تجارتها:

تعرضت سواحل البحر الاحمر للخطر من قبل عناصر الجيش الاسلامي و حلفائهم، و لم يعد من الممكن مواصلة التجارة و ارسال القوافل التجارية عبرها.

من هنا تشاورت قريش فيما بينها، و درست أوضاعها في ظل هذه المستجدات، و اتفقت على أنه لو تركت التجارة لهلكت رءوس أموالها و فنيت، و كان عليها أن تسلم للمسلمين.

و ان واصلت التجارة لم تحرز في هذا المجال نجاحاً ما دامت الطريق غير آمنة، و ما دام يمكن أن تتعرض أموالها للمصادرة على أيدي المسلمين كلما عشروا عليها.

فأقترح أحدهم التجارة إلى الشام عن طريق العراق فاستحسنوا رأيه جميعاً، وتهيأت القافلة للحركة في الخط الجديد و تولى أبو سفيان و صفوان بنفسيهما مهمة الاشراف على تلك القافلة و ادارتها، و استخدموا رجلا من بنى بكر يدعى «فراة ابن حيان» ليدلّهما على الطريق.

(٢) قال المقرئى فى امتاع الاسماع: سمع رجل من المدينة (و هو سليط بن النعمان) بخبر خروج صفوان بن أمية فى غيره و ما معهم من الاموال فخرج من ساعته و أخبر النبى صلى الله عليه و آله فأرسل زيد بن حارثة فى مائة راكب فاصابوا العير، و أفلت أعيان القوم، فقدموا بالعير فخمّسها رسول الله صلى الله عليه و آله فبلغ الخمس عشرين ألف درهم، و قسّم ما بقى على أهل السرية، و كان فىمن اسر فراة بن حيان فأسلم «٢».

(١) المناقب: ج ١ ص ١٦٤، المغازى: ج ١ ص ١٩٤-١٩٦.

(٢) الإمتاع الاسماع: ج ١ ص ١١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٢

(١)

## حوادث السنة الثالثة من الهجرة ٣٢ الدفاع عن الحرة

### إشارة

(٢)

### غزوة احد أو الدفاع عن الحرة عند جبل احد:

### إشارة

لم تكن السنة الهجرية الثالثة بأقل من السنة الثانية من حيث وقوع الحوادث و الوقائع الملفته للنظر فيها. فاذا وقعت فى السنة الثانية من الهجرة غزوة «بدر» فقد وقعت فى السنة الثالثة منها غزوة «احد» و هما من أعظم معارك الاسلام و غزواته.

على أن غزوة «احد» لم تكن الغزوة الوحيدة التى وقعت فى السنة الثالثة، بل وقعت أيضا غزوات اخرى «١» الى جنب طائفة من السرايا، التى اخترنا منها سرية واحدة و غزوتين فقط.

(٣)

### ١- سرية محمد بن مسلمة:

لقد وصل نبأ انتصار المسلمين فى معركة «بدر» عن طريق رجلين من المسلمين. و لم يكن الجيش الاسلامى الظافر قد وصل الى المدينة بعد، عند ما انزعج «كعب بن الاشرف»- الذى كانت أمه من يهود «بنى النضير» و كان شاعرا قويا، و خطيبا بارعا- من الفتح الذى أصابه النبى صلى الله عليه و آله و المسلمون فى «بدر» فقال: و الله لئن كان محمد أصاب أشراف العرب و ملوك الناس (و يعنى سادة قريش و صناديدهم الذين قتلوا فى بدر على أيدي المسلمين لبطن

(١) مثل غزوة بحران و غزوة حمراء الأسد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٣

الأرض خير من ظهرها!! و بدأ يث الأكاذيب و الشائعات في المدينة و مضى يشكك في انتصارات المسلمين في بدر.

(١) و قد كان يسىء الى رسول الله صلى الله عليه و آله في قصائده حتى قبل معركة «بدر» و يحرض الناس على المسلمين.

ثم إنه لما تيقن الخبر خرج حتى قدم مكة و جعل يحرض قريشا على رسول الله صلى الله عليه و آله، و قد أنشد في هذا المجال أشعارا يبكى فيها أصحاب القلب من قريش و قد ذكرتها المصادر التاريخية «١».

ثم رجع كعب هذا الى المدينة فشبب «٢» بنساء المسلمين حتى آذاهم!!

و لا شك أنه بهذه المواقف المعادية كان من أظهر مصاديق المفسد في الارض، الأمر الذى آل إلى أن يقرّر رسول الله صلى الله عليه و آله التخلّص منه، و كفاية المسلمين شره، و قد أوكل هذه المهمة الصعبة الى «محمد بن مسلمة».

و قد خطّط «ابن مسلمة» للتخلص من «كعب» خطّة رائعة، و أُلّف لتنفيذها فريقا كان من بينهم «أبو نائلة» الأخ الرضاعى لكعب بن الأشرف، ليتمكن من هذا الطريق التمويه على كعب و تنفيذ الخطّة المذكورة.

(٢) فخرج أبو نائلة إلى كعب و جلسا يتحادثان، و يتبادلان الشعر.

ثم إن أبا نائلة قال لكعب- بعد ان طلب منه أن يخرج كل من كان هناك من ذويه و أهله-: إنى قد جئتكم فى حاجة إليك اريد ذكرها لك فאתم عنى، و إنى كرهت ان يسمع القوم كلامنا، فيظنون! لقد كان قدوم هذا الرجل (يعنى رسول الله) علينا من البلاء، و حاربنا العرب، و رمتنا عن قوس واحدة، و قطعت السبل عنا حتى جهدت الانفس، و ضاع العيال، أخذنا بالصدقة و لا نجد ما نأكل.

فقال كعب: قد و الله كنت احدثك بهذا يا ابن سلامة إن الامر سيصير الى ما أقول.

(١) المغازى: ج ٢ ص ١٢١-١٢٢.

(٢) راجع السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٤

فقال أبو نائلة: إنّ معى رجالا من أصحابى على مثل رأىى، و قد أردت أن آتيك بهم فنبتاع منك طعاما، أو تمرا و تحسن فى ذلك إلينا، و نرهنك ما يكون لك فيه ثقة.

(١) فقال كعب: و ما ذا ترهنوننى يا أبا نائلة، أبناءكم و نساءكم؟؟!

فقال أبو نائلة: لقد أردت أن تفضحننا و تظهر أمرنا، و لكننا نرهنك من الحلقة (أى السلاح) ما ترضى به.

فرضى كعب بن الأشرف بذلك.

و إنما قال أبو نائلة هذا القول لابن الأشرف حتى لا يستغرب إذا رأى السلاح بيد الرجال الذين سيأتون معه.

ثم خرج أبو نائلة من عند ابن الأشرف على ميعاد، فاتى أصحابه، فأخبرهم بما دار بينه و بين كعب، فأجمعوا أمرهم على أن يأتوه إذا أمسى لميعاده، ثم أتوا الى رسول الله صلى الله عليه و آله عشاء و أخبروه، فمشى معهم حتى اتى البقيع، ثم وجّههم، ثم قال: «امضوا على بركة الله و عون الله لهم أعينهم».

(٢) فمضوا حتى أتوا ابن الأشرف، فلما انتهوا إلى حصنه هتف به أبو نائلة، و كان ابن الأشرف حديث عهد بعرس، فوثب من فراشه، فأخذت امرأته بناحية ملحفته و قالت: أين تذهب، إنك رجل محارب، و لا ينزل مثلك فى هذه الساعة؟؟ فقال ابن الأشرف: ميعاد، إنما هو أخى أبو نائلة.

ثم نزل إليهم فحيّاهم، ثم جلسوا فتحدثوا ساعة حتى اطمأن إليهم.

ثم قالوا له: يا ابن الاشرف: هل لك أن تتمشى الى شعب العجوز (و هو موضع قرب المدينة) فتحدث فيه بقية ليلتنا.

فخرجوا يتماشون حتى ابتعدوا عن حصنه، و بينما هم كذلك إذ أدخل أبو نائلة يده في رأس كعب ثم شم يده فقال: ويحك ما أطيب عطر ك هذا يا ابن الاشرف، ثم مشى ساعه، ثم كزر هذا العمل ثانية حتى اطمأن ثم مشى ساعه

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٥

ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه وقال: اضربوا عدو الله، فضربوه بسيوفهم، و طعنه أبو نائلة بخنجر في بطنه، و صاح صيحة ثم وقع على الارض و لم تنفعه استغاثاته.

ثم عاد هذا الفريق الفدائي إلى المدينة من فورهم و لما بلغوا «بقيع الغرقد» كبروا، و قد قام رسول الله صلى الله عليه وآله تلك الليلة يصلى، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله تكبيرهم بالبقيع كبر، و عرف أنهم قد قتلوه.

و بهذا أعلنوا عن نجاح عملياتهم الفدائية الجريئة التي أراحت رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه من شر ذلك المفسد الخطير الذى لم يفتأ عن إيذاء النبي صلى الله عليه وآله و تناول أعراض المسلمين فى أشعاره ... «١».

(١)

### اغتيال مفسد آخر:

و كان أبو رافع سلام بن أبى الحقيق اليهودى يظاهر كعب بن الاشرف على رسول الله صلى الله عليه وآله و يقوم بنفس الدور الخبيث الذى كان يقوم به ابن الاشرف من الايذاء و الازعاج للنبي صلى الله عليه وآله و المسلمين. فقام فريق فدائي آخر من المسلمين باغتياله على غرار اغتيال صاحبه فى عملية فدائية جسورة على نحو ما رواه ابن الأثير فى كتابه: الكامل فى التاريخ بصورة مفصلة «٢».

و قد كانت هاتان العمليتان و امور اخرى من أسباب اندلاع معركة «أحد».

و قد حان الأوان الآن أن نستعرض تفاصيل هذه الواقعة الكبرى!

(٢)

### قريش تكفل نفقات الحرب:

كانت بذور الرغبة فى الانتقام و الثأر من المسلمين قد بذرت فى مكة من زمان و قد ساعدت خطة المنع من البكاء و النياحة على القتل على اذكاء روح الانتقام هذه لدى قريش.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥١-٥٦، المغازى: ج ١ ص ١٨٤-١٩٠.

(٢) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ١٠١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٦

كما أن تعذر مرور قافلته التجارية عبر طريق مكة- المدينة- الشام، و اضطرارها الى سلوك طريق العراق للسفر الى الشام زاد هو الآخر من سخطها و انزعاجها.

و لقد أجمع مقتل «كعب بن الاشرف» من أوار هذا الحقد، و أوقد لهيبه فى النفوس.

من هنا اقترح «صفوان بن أمية» و «عكرمة بن أبي جهل» على أبي سفيان و من كانت له في قافلة قريش التجارية مشاركة، أن يدفع كل واحد منهم مبلغا من المال لتسديد نفقات الحرب قائلين: يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم، و قتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، فلعلنا ندرک منه ثأرنا بمن أصاب منا.

(١) و لقد لقي هذا الاقتراح قبولا من أبي سفيان و تقرّر الإعداد للحرب فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى فعل أبو سفيان ذلك.

و قد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموضوع كما ذكر كيف أن قريشا لم تحصد من هذا الإنفاق الا الخيبة و الخسران اذ قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصِدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسِيرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ» (١).

و حيث إن زعماء قريش كانوا يعرفون بقوة المسلمين و قد رأوا من كتب استقامتهم و ثباتهم في معركة «بدر» لهذا قرروا أن يتألف جيشهم هذه المرة من صناديد أكثر القبائل العربية و شجعانها البارزين و أبطالها المعروفين.

(٢) فكلمف «عمرو بن العاص» و عدة أشخاص آخرين بأن يؤلبوا العرب على رسول الله صلى الله عليه وآله و يجمعوا أبطالها و صناديدها، للمشاركة في الجيش الكثيف و المنظم الذي اعترمت قريش على تسييره لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله و المسلمين، و غزوهم و بأن يخبروهم بأن قريشا قد تكفّلت نفقات هذه المعركة.

و قد أثمرت نشاطات «عمرو» و رفاقه في هذا السبيل.

(١) الانفال: ٣٦، و راجع السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٠، مجمع البيان: ج ٢ ص ٥٤١، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٢١٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٧

فقد استطاعوا بعد محاولات واسعة أن يضموا إلى جيش قريش أبطالاً و صناديد من بنى كنانة و تهامة، فخرجت قريش و هم أربعة آلاف بمن انضم إلى صفوفهم من تلك القبائل (١).

(١) و قد كان هذا هو عدد الرجال الذين شاركوا في هذه المعركة، و لو أضفنا إليهم عدد النساء اللواتي شاركن فيها لتجاوز العدد ما ذكرناه.

على أنه لم يكن من عادة العرب أن يشركوا نساءهم في الغزو و يخرجوهن معهم إلى القتال، و لكن نساء مكة الوثنيات شاركن مع رجالهن في هذه المعركة على خلاف عادة العرب، و كان الهدف من أخذهن هو أن يحرضن الرجال على القتال و الصمود، و يمنعن المقاتلين من الفرار، و يذكرن بقتلى بدر، و يشعلن الحماس في النفوس بدق الدفوف، و إنشاد الأشعار المثيرة للهمم و الداعية إلى الثأر و لأن فرار الرجال كان يعنى أن تقع النسوة في الأسر، و هو ما كان ياباه العربي آنذاك. فتكون الغيرة و الحمية على العرض سببا للمقاومة و الصمود.

كما أنه اشترك في هذه المعركة طائفة من العبيد و الرقيق طمعا في العتق الذي و عدوا به إن نصرروا أسيادهم و قاتلوا بين أيديهم، و ذلك مثل «وحشى» و كان غلاما حبشيا لمطعم بن جبير يقذف بحربه له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له سيده: أخرج مع الناس فإن نلت محمدا أو عليا أو حمزة فأنت عتيق (٢).

و على أية حال استطاعت قريش أن تجهز بعد جهد كبير جيشا كبيرا قويا يتألف من سبعمائه دارع، و ثلاثة آلاف فارس، و مشاة كثيرين، و قد خرجوا بعده و سلاح كثير.

(٢)

**الاستخبارات ترفع تقريراً إلى النبي:**

فلما اجمعت قريش على المسير كتب العباس بن عبد المطلب «٣» كتاباً يضم

(١) اختلف علماء التفسير والتاريخ كعلي بن ابراهيم والشيخ الطبرسي في إعلام الوري، وابن هشام والواقدي في عدد المشركين والكفار في هذه المعركة، وما ذكرناه هو الاقرب الى الحقيقة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٩٦.

(٣) وكان العباس كما أسلفنا ممن أسلم وآمن برسول الله صلى الله عليه وآله في مكة ولكنه ظل يكتُم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٨

تقريراً مفصلاً عن نوايا واستعدادات قريش، وختمه واستأجر رجلاً من بني غفار واشترط عليه أن يقطع الطريق إلى المدينة في ثلاثة أيام ويوصل تلك الرسالة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقدم الغفاري المدينة فلم يجد رسول الله صلى الله عليه وآله وانما وجده في بستان خارجها فدفن إليه كتاب العباس المختوم، فقرأه رسول الله صلى الله عليه وآله واطلع على ما فيه، ولكنه كتم محتواها عن أصحابه «١».

روى العلامة المجلسي عن الامام ابي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

كان مما من الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وآله أنه كان لا يقرأ ولا يكتب، فلما توجه أبو سفيان الى «احد» كتب العباس إلى النبي صلى الله عليه وآله فجاءه الكتاب وهو في بعض حيطان المدينة فقرأه ولم يخبر أصحابه، وأمرهم أن يدخلوا المدينة فلما

دخلوا المدينة أخبرهم «٢».

(١)

**جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة:**

تحرك جيش قريش باتجاه المدينة، وبعد قطع مسافة معينة وصلت طلائعه إلى الالباء، وهي المنطقة التي دفنت فيها والد النبي صلى الله عليه وآله السيدة «آمنة بنت وهب» فقال فتية من قريش: تعالوا ننبش قبر أم محمد، فإن النساء عورة، فان يصب من نسائك أحد قلتهم هذه رمه أمك، فان كان بزاً بأمه كما يزعم فلعمري ليفادينكم برمته أمه، وان لم يظفر بأحد من نسائك فلعمري ليفدين رمه أمه بمال كثير إن كان بها بزاً.

ايمانه ليتمكن من البقاء بين قريش و رصد تحركاتهم و اخبار النبي صلى الله عليه وآله بنواياهم.

راجع السيرة الحلبية: ج ١٠ ص ١٩٨.

(١) المغازي: ج ١ ص ٢٠٣، ويرى بعض المؤرخين أن مبعوث العباس قدم بالرسالة المدينة وكان النبي ساعته في المسجد فأعطى النبي الرسالة إلى أبي بن كعب فقرأها عليه، وقد روى الواقدي هذا الوجه أيضاً (ج ١ ص ٢٠٤) ومع أن النبي لم يعهد منه أن قرأ رسالة فيكون الوجه الاول أقرب الى الحقيقة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١١١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٣٩

واستشار أبو سفيان أهل الرأي من قريش في ذلك فاستقبحوه وشجوه بشدة وقالوا:

لو فعلنا ذلك نبشت بنو بكر و خزاعة (و هم أعداء قريش) موتانا «١».

(١) و بعث النبي صلى الله عليه وآله ليلة الخميس الخامس من شهر شوال، السنة الثالثة من الهجرة، «أنسا» و «مونساً» ابني «فضالة» للتجسس على قريش خارج المدينة، و أخباره صلى الله عليه وآله بتحركاتهم، فأخبرا رسول الله صلى الله عليه وآله باقتراب جيش المشركين إلى المدينة، و انهم قد سرحوا إبلهم و خيولهم ترعى في مراعى المدينة.

كما أخبر «الحباب بن المنذر» هو الآخر باقتراب جيش المشركين إلى المدينة، و ان طلائع ذلك الجيش قد استقر على مقربة من جبل احد، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد بعث الحباب سرا و قال له: لا تخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى قلة. و بخبر الحباب تأكد ما أخبر به ابنا فضالة.

و حيث إن المسلمين كانوا يخافون على رسول الله صلى الله عليه وآله من العدو، أن يهاجموه ليلاً، لذلك باتت وجوه الأوس و الخزرج (الانصار) ليلة الجمعة و عليهم السلاح فى المسجد بباب النبي صلى الله عليه وآله يحرسونه، و حرس المدينة تلك الليلة حتى أصبحوا.

(٢)

### منطقة «احد»:

كان الوادى الطويل الكبير الذى يصل طريق الشام التجارية باليمن يسمى آنذاك ب «وادى القرى»، و كانت القبائل العربية من اليهود و غير اليهود تقطن فى كل منطقة تتوفر فيها ظروف المعيشة و مستلزمات الحياة، و لهذا نشأت على طول هذا الخط «قرى» بسبب وجود مناطق خصبة فيه و قد سورت بأسوار من الحجارة،

(١) المغازى: ج ١ ص ٢٠٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٠

و كانت يثرب مركز هذه القرى و امها و هى التى سميت فى ما بعد بمدينة الرسول، و من ثم «المدينة» تخفيفاً و اختصاراً. و كان على كل قادم من مكة إلى المدينة، أن يدخل من جنوب يثرب و حيث إن أرض هذه المنطقة ذات طبيعة صخرية لذلك يكون عبور الجيش من خلالها أمراً عسيراً و فى غاية الصعوبة.

(١) من هنا عمدت قريش - عند ما وصل جيشها الى مشارف المدينة - تحاشت هذه المنطقة، و دخلت من شمال المدينة، و استقرت فى وادى العقيق فى سفوح جبل «احد»، و قد كانت هذه المنطقة لعدم وجود نخيل فيها، و لسهولة أرضها، أفضل مكان للعمليات العسكرية، و خير ميدان للقتال و الحرب.

و قد كانت المدينة عرضة للخطر من هذه الناحية لأنه قلما كان المرء يرى فيها موانع طبيعية.

نزلت قوى المشركين عصر يوم الخميس فى الخامس من شوال من السنة الثالثة من الهجرة عند جبل «احد».

و بقى النبي ذلك اليوم و ليلته فى المدينة، و فى يوم الجمعة أقدم رسول الله صلى الله عليه وآله على عقد شورى عسكرية، و استشار قادة جيشه و أهل الخبرة و رأى من أصحابه فى كيفية مواجهة العدو، و التكتيك الذى يجب أن يتبعه المسلمون «١».

(٢)

### المشاوره فى كيفية الدفاع:



كان النبي صلى الله عليه وآله قد امر من جانب الله تعالى أن يشاور أصحابه في الامور العسكرية و ما يشابهها و يشركهم في قراراته و خططه التي يتخذها في المجالات المذكورة، ليعطى بذلك درسا كبيرا للمسلمين، و يوجد بين أصحابه و أتباعه روح الديمقراطية (الصحيحة) و تحرى الحق، و الموضوعية.

(١) لم تكن هذه هي المرة الأولى و الأخيرة التي شاور النبي فيها أصحابه و قد ذكرنا عدة موارد من هذا النوع من التشاور و الهدف منه في كتابنا: معالم الحكومة الاسلامية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤١

و لكن هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه يستفيد من هذه المشاورة؟ و ينتفع بأرائهم و نظرياتهم، و مقترحاتهم، أم لا؟.

لقد أجاب علماء العقيدة و رواد علم الكلام الاسلامي من مختلف الطوائف على هذا السؤال في مؤلفاتهم و دراساتهم، و للقارئ الكريم إذا أراد الوقوف على الجواب أن يراجع تلك المصنفات.

لكن الذي لا يمكن انكاره في المقام هو: أن هذه المشاورات سيرة حية تركها رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده، و لقد كانت هذه السيرة مؤثرة جدا بحيث استخدم الخلفاء و الأمراء من بعده من اسلوب التشاور و الشورى، و كانوا يستفيدون على هذا الاساس من آراء الامام على عليه السلام و نظرياته السامية في الامور العسكرية، و المشكلات الاجتماعية التي كانت تطرأ على حياة المسلمين.

(١)

### المشاورات العسكرية:

لما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله باقتراب قريش الى المدينة وقف في تلك الشورى التي كانت جمعا كبيرا من صناديد أصحابه، و قادة جيشه و جنوده و قال بصوت عال: «أشيروا عليّ» (١).

و هو يطلب بذلك من اولئك الجنود و القادة أن يدلوا بأرائهم في كيفية مواجهة العدو، و طريقة الدفاع عن حوزة الاسلام و صرح التوحيد المهددة من قبل قريش و المتحالفين معهم من أحزاب الشرك، و أتباع الوثنية.

فقام «عبد الله بن ابي بن سلول» و كان من منافقي المدينة، و طرح فكرة التحصن في داخل المدينة، و القتال فيها على غرار حرب الشوارع. و ذلك بأن لا يخرج المسلمون من المدينة بل يبقوا داخلها، و يستخدموا أبراجها و سطوحها لمقاتلة العدو و دفعه فترمي النساء العدو بالأحجار من السطوح، و يقاتل الرجال أفرادهم في الشوارع و الأزقة قائلا: يا رسول الله كنا نقاتل في الجاهلية فيها، و نجعل النساء

(١) راجع الخطبة ١٣٤ من نهج البلاغة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٢

و الذراري في هذه الصياصي و نجعل معهم الحجارة، و نشبك المدينة بالبنيان فتكون كالحصن من كل ناحية و ترمي المرأة و الصبي من فوق الصياصي و الآطام، و نقاتل بأسياقنا في السكك (أى الطرقات).

(١) يا رسول الله إن مدينتنا عذراء ما فضت علينا قط، و ما خرجنا إلى عدو قط إلّا أصاب منا. فانهم ان أقاموا أقاموا بشر محبس، و ان رجعوا رجعوا خائبين مغلوبين.

و كان هذا رأى الأكابر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من المهاجرين و الأنصار، إلّا أن الفتيان من المسلمين و بخاصة

من لم يشهد منهم بدرا و كانوا يشكلون الاغلبية شجبوا هذا الرأي بشدة، و رفضوه بقوة و طلبوا من رسول الله الخروج إلى العدو، و رغبوا في الشهادة، و أحبوا لقاء العدو.

و قالوا: إننا نخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أننا كرهنا الخروج إليهم جبا عن لقائهم فيكون هذا جراًء منهم علينا، و قد كنت يوم بدر في ثلاثمائة رجل فظفرك الله عليهم، و نحن اليوم بشر كثير، قد كنا نتمنى هذا اليوم و ندعوا الله به فقد ساقه الله إلينا في ساحتنا. و قال «حمزة» بطل الاسلام العظيم: لا أطمع اليوم طعاما حتى اجالدهم بسيفي خارجا من المدينة «(١)».

(٢)

### الاقتراع من أجل الشهادة!!:

و قام خيثمة أبو سعد بن خيثمة- و هو شيخ يقظ البصيرة- و قال: ان قريشا مكثت حولاً تجمع الجموع، و تستجلب العرب في بواديها، و من تبعها من أحابيشها، ثم جاءونا قد قادوا الخيل و امتطوا الابل، حتى نزلوا بساحتنا فيحصرونا في بيوتنا، و صياصينا، ثم يرجعون وافرین لم يكلموا، فيجزئهم ذلك علينا حتى يشنوا الغارات علينا، و يصيبوا أطرافنا، و يضعوا العيون و الارصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا،

(١) المغازى ج ١ ص ٢١١ و بحار الانوار ج ١٢٥ من المعلوم أن نظرية عبد الله بن أبي لم تخلو من الخطر، إذ لم يكن من البعيد ان يستفيد العدو بعد دخوله في المدينة من بيوت المنافقين. و أن يتعاون معهم يهود المدينة أيضا فتكون حينئذ الضربة القاضية للاسلام و المسلمین.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٣

و يجترئ علينا العرب حولنا، حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج إليهم، فنذبهم عن جوارنا، و عسى الله أن يظفرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الاخرى:

الشهادة.

لقد أخطأتني وقعة بدر، و قد كنت عليها حريصا، لقد بلغ من حرصى أن ساهمت «١» ابني على الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة، و قد كنت حريصا على الشهادة و قد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة و أنهارها، و هو يقول: الحق بنا ترافقتا في الجنة، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا.

و قد و الله يا رسول الله أصبحت مشتاقا الى مرافقته في الجنة، و قد كبرت سنى و رقى عظمى، و أحببت لقاء ربى فادع الله يا رسول الله أن يرزقنى الشهادة و مرافقة سعد فى الجنة!!! «٢».

(١) إن هذا الذى ذكرناه ليس سوى نموذج واحد من مواقف كثيرة تجدها أيها القارئ الكريم فى صفحات التاريخ الاسلامى المشرقة فهناك الكثير من هؤلاء الفدائين المخلصين الذين آلوا على أنفسهم أن يدافعوا عن حياض العقيدة و شرف الدين، و رزقوا الشهادة فى نهاية المطاف.

إن الايديولوجية التى لا تعتمد على اسس الايمان بالله و اليوم الآخر قلما تنتج جنديا فدائيا مخلصا مثل خيثمة، و من شاكله.

إن روح الفداء و التفانى و الايثار بالنفس و التضحية بالعالى و الرخيص، التى تدفع بالجندي إلى أن يطلب الشهادة فى سبيل إعلاء كلمة الحق، و إعزاز التوحيد باصرار و شوق لا توجد إلا فى مدرسة الأنبياء و المرسلين، و لا تحصل إلا فى ضوء تربيتهم.

و اما فى المجتمعات المادية كالمجتمعات الحاضرة التى تهتم أكبر اهتمام بتحسين أحوال العسكريين حيث إن الهدف من الحروب و المعارك لم يكن قط إلا الحصول على وضع معيشى أفضل، فإنه لا يهتم الجنود فيها إلا بالحفاظ على أرواحهم و حياتهم

(١) اى اجريت القرعة بينى و بين ولدى.

(٢) المغازى: ج ١ ص ٢١٢ و ٢١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٤

فذلك هو أكبر هدف لديهم، و من هنا تندر عندهم روح التفانى و التضحية.

و أما فى مدرسة الأنبياء فان المعارك و الحروب لا يهدف منها إلا ابتغاء رضا الله سبحانه، فلو انحصر ذلك فى الشهادة أقدم عليها الجندى المسلم من دون خوف أو وجل، و عرّض نفسه لجميع الاخطار من دون تلكؤ أو ابطاء.

(١)

### حصيلة الشورى:

لقد أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله برأى الاكثرية التى كانت ترجح الخروج من المدينة لمقاتلة العدو، و رجح هو صلى الله عليه وآله البقاء فى المدينة و قتال العدو داخلها، إذ لم يكن من الصالح - بعد ما اقترحه قادة جيشه البارزين مثل حمزة، و سعد بن عباد و نظرائهم، و أصروا عليه - أن يأخذ برأى عبد الله بن أبى بن سلول المنافق.

هذا مضافا الى أن حرب الشوارع و المدن غير المنظم فى داخل سكك المدينة و أزقتها الضيقة، و اشتراك النسوة فى الأمور الدفاعية، و الجلوس فى البيت، و السماح للعدو بأن يفعل ما يريد آية العجز، و الوهن، و هو أمر لا يليق بالمسلمين، و لا يتلاءم مع الانتصار العظيم الذى كسبه فى معركة «بدر»، و هزموا به عدوهم الغاشم القوي.

إن محاصرة المدينة و سيطرة العدو على مداخلها و طرقاتها، و سكوت جنود الاسلام على ذلك من شأن أن يقتل الروح القتالية، و الفروسيه فى أبناء الاسلام المجاهدين.

و يمكن أن يكون «عبد الله بن أبى بن سلول» قد أضمر فى نفسه تيه سيئه ضد رسول الله صلى الله عليه وآله و أنه بهذا الاقتراح (أى البقاء فى المدينة و عدم الخروج لمجابهة العدو، و مواجهته بشجاعة) كان يريد - فى الحقيقة - أن يوجه ضربه الى النبي صلى الله عليه وآله!!

(٢)

### النبي يلبس لامة الحرب:

بعد أن تعينت كيفية مواجهه العدو و الدفاع، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٥

و آله بيته و لبس لامته، و قد لبس الدرع فأظهرها و حزم وسطه بمنطقه من حمائل سيف من أدم و اعتم و تقلد السيف، و خرج من بيته.

فأثار هذا المشهد المسلمين و هزهم بشده و تصور بعضهم بأن إصرارهم على النبي صلى الله عليه وآله بالخروج من المدينة لم يكن فيه للنبي رضا، و خشوا أنهم قد استكروه على هذا الأمر، فندموا على ذلك، و قالوا معتذرين: يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك (أو: ما كان لنا أن نستكروهك و الأمر الى الله ثم إليك).

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما ينبغي لنبى إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل» (١).

(١)

### النبى يخرج من المدينة:

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى بالناس الجمعة و خرج على رأس ما يزيد على ألف مقاتل قاصدا احد، و ذلك بعد أن قال لهم:

«انظروا إلى ما أمرتكم به فاتبعوه امضوا على بركة الله فلکم النصر ما صبرتم» (٢).

و قد أجاز رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ لمن لم يبلغوا الحلم بأن يخرجوا معه كسمره و رافع و كان راميا جيدا، ورد اسامه بن زيد و عبد الله بن عمر بن الخطاب (٣).

ثم إن جماعة من اليهود كانوا متحالفين مع عبد الله بن ابى بن سلول قروا أن يشتركوا فى هذه المعركة و يخرجوا مع المسلمين، و لكن النبى صلى الله عليه وآله لم يسمح بذلك لأسباب خاصة.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٣، المغازى: ج ١ ص ٢١٤، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٨.

(٢) المغازى: ج ١ ص ٢١٤.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٦

(١) و سار النبى و أصحابه حتى اذا كانوا بمنطقة بين المدينة و احد تسمى «الشوط» انزل عنه «عبد الله بن أبى بن سلول» و عاد بثلاث الناس كلهم من الأوس المتحالفين معه إلى المدينة بحجة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ برأى الفتية و الشباب، و رفض اقتراحه و هو البقاء فى المدينة.

و من هنا لم يشترك فى هذه المعركة لا اليهود و لا حزب النفاق.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه كانوا يرغبون فى أن يسلكوا أقرب الطرق إلى معسكرهم من هنا اضطروا الى أن يَمروا عبر بستان لمنافق من منافقى المدينة يدعى «مربع بن قيطى» و كان ضريرا، فامتنع من ذلك، و اساء بالقول الى رسول الله صلى الله عليه وآله فابتدره أصحاب النبى ليقتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تقتلوه، فهذا الأعمى أعمى القلب، أعمى البصر» (١).

(٢)

### جنديان فدائيان:

استعرض رسول الله صلى الله عليه وآله جيشه فى منطقة تدعى بالشيخين (٢)، و كانت الوجوه المشتاقة إلى الجهاد تلمع كما تلمع أشعة السيوف، و تعكس إصرارا كبيرا على قتال الكفار، و مجاهدة المشركين.

و لقد كان جيش رسول الله صلى الله عليه وآله الذى خرج بهم لمجابهة قريش عند جبل احد يتألف من مقاتلين يتفاوتون فى الأعمار تفاوتا كبيرا.

ففيهم الشيخ الكبير الطاعن فى السن و فيهم الشاب الفدائى الذى لم يتجاوز الخامسة عشرة.

و لقد كان الدافع الذى يحرك الجميع الى ذلك هو تعشق الكمال الذى

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٥، المغازى: ج ٢ ص ٢١٨.

(٢) و لقد كان من عادة النبي صلى الله عليه وآله و اسلوبه فى جميع المعارك استعراض جيشه على الدوام، و عدّهم، و تسريح بعض العناصر الضعيفة احيانا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٧

ما كان ليتوفر إلّا فى ظلّ الدفاع عن صرح التوحيد المقدس، ليس إلّا.

(١) و لإثبات هذه الحقيقة نشير هنا الى قصة شيخ كبير السن، و شاب لم يمض من عرسه إلّا ليلة واحدة!!

(٢) ١- كان «عمرو بن الجموح» رجلا شيخا أخرج شديد العرج و قد اصيب فى رجله فى حادثه. و كان له بنون أربعة مثل الاسود، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وآله المشاهد، فلما كان يوم «احد» أراد ان يخرج مع النبي صلى الله عليه وآله و قد أبت نفسه أن تفوته الشهادة، و أن يجلس فى بيته و لا يشترك مع رسول الله فى تلك المعركة، و إن اشترك بنوه الأربعة فيها. فأراد أهله و بنوه حبسه و قالوا له: إن الله عزّ و جل قد عذرك، و لم يقتنع بمقاتلتهم، و أتى رسول الله صلى الله عليه وآله و قال: إن بنى يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه و الخروج معك فيه، فوالله إنى لأرجو أن أظأ بعرجتى هذه فى الجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله له:

«أما أنت فقد عذرك الله و لا جهاد عليك» (١).

ثم قال صلى الله عليه وآله لبيته و قومه:

«لا عليكم أن لا تمنعوه، لعلّ الله يرزقه الشهادة».

فخلّوا عنه، و خرج و هو يقول: اللهم ارزقنى الشهادة و لا تردنى الى أهلى.

و قد كان موقف هذا المجاهد الأعرج من مشاهد معركة «احد» العظيمة، و من قصصها الرائعة، فقد كان يحمل - و هو على ما هو عليه من العرج - على الاعداء و يقول: «أنا و الله مشتاق إلى الجنة» و ابنه يعدو فى أثره حتى قتلا جميعا (٢).

(١) لقول الله تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ» (الفتح: ١٧).

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٠ و ٩١، المغازى: ج ١ ص ٢٦٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٨

(١) ٢- «حظلة» و هو شاب لم يكن قد جاوز الرابعة و العشرين من عمره آنذاك. و هو ابن «أبى عامر» عدو رسول الله صلى الله عليه وآله و الذى كان ممن يكيّدون و آله و الذى كان مصداقا لقول الله تعالى «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ».

فقد اشترك والده أبو عامر الفاسق فى معركة «احد» إلى جانب قريش ضد رسول الله صلى الله عليه وآله و كان ممن يكيّدون للاسلام و ممن حرّض قريشا ضدّ النبي صلى الله عليه وآله و استمرّ فى معاداة الاسلام حتى النفس الأخير، و لم يأل جهدا فى هذا السبيل.

و قد كان أبو عامر هذا هو السبب الرئيسى وراء حادثه مسجد «ضرار» التى سيأتى تفصيلها فى حوادث السنة التاسعة من الهجرة.

غير أن علاقة الابوة و البنوة و ما يتبعها من احساس لم تصرف حظلة عن الاشتراك فى حرب ضد أبيه، ما دام أبوه على باطل و هو (أى حظلة) على الحق فيوم خرج النبي مع أصحابه الى «احد» لمواجهة قريش كان حظلة يريد البناء بزوجه ليلته، فقد تزوج بابنة «عبد الله بن ابى بن سلول» و كان عليه أن يقيم مراسم الزفاف و العرس فى الليلة التى خرج رسول الله صلى الله عليه وآله الى «احد»

في صبيحتها المنصرمة.

(٢) ولكنه عند ما سمع مؤذن الجهاد، ودوى نداؤه في اذنه بخير في ما يجب أن يفعله، فلم يجد مناصا من أن يستأذن من رسول الله صلى الله عليه وآله بان يتوقف في المدينة ليله واحده لاجراء مراسيم العرس و يقيم عند عروسته ثم يلتحق بالمعسكر الاسلامي صبيحة الغد من تلك الليلة.

وقد نزل في هذا الشأن- على رواية العلامة المجلسي- قوله تعالى:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْأَلُوا الْإِذْنَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوا فَأذن لهم سئمت منهم» (١).

(١) النور: ٦٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٤٩

فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله (١).

فبات حنظلة عند عروسته تلك الليلة و دخل بها، و لما أصبح خرج من فوره و توجه إلى «احد» و هو جنب.

(١) ولكنه حينما اراد أن يخرج من منزله بعث امرأته الى أربعة نفر من الأنصار، و اشهدت عليه أنه قد واقعها.

ف قيل لها: لم فعلت ذلك؟

قالت: رأيت هذه الليلة في نومي كأن السماء قد انفرجت فوقع فيها حنظلة، ثم انضمت فعلمت أنها الشهادة، فكرهت أن لا اشهد عليه.

و لما حضر حنظلة القتال نظر إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكر، فحمل عليه، فضرب عرقوب فرسه، فاكسعت الفرس و

سقط أبو سفيان إلى الأرض، و صاح: يا معشر قريش أنا أبو سفيان، و هذا حنظلة يريد قتلي، و عدا أبو سفيان، و جرى حنظلة في طلبه،

فعرض له رجل من المشركين قطعنه، فمشى الى ذلك المشرك قطعنه فضربه و قتله، و سقط حنظلة الى الأرض بين حمزة و عمرو بن

الجموح و عبد الله بن حزام و جماعة من الأنصار، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء و الارض بماء المزن في صحائف من ذهب» (٢).

فكان يسمى غسيل الملائكة أو حنظلة الغسيل.

و كانت الأوس تعد حنظلة من مفاخرها فكانت تقول: «و منا حنظلة غسيل الملائكة».

و كان أبو سفيان يقول: حنظلة بحنظلة و يقصد بالأول حنظلة غسيل الملائكة و بالثاني ابنه حنظلة الذي قتل يوم بدر (٣).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٥٧.

(٢) و (٣) اسد الغابة: ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٥٧ و غيرهما.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٠

(١) إنه حقا عجيب أمر هذين العروسين (الزوجين) فبينما كانا هما في أعلى درجات التفاني في سبيل الحق كان والداهما، من اعداء

رسول الله صلى الله عليه وآله و خصومه الالقاء.

فبعد الله بن أبي بن سلول (والد العروس) كان رأس المنافقين في المدينة، و كان أبو عامر الفاسق والد العريس الذي كان يسمى في

الجاهلية بالراهب معاديا أشد العدااء لرسول الله صلى الله عليه وآله و قد التحق بالمشركين في مكة، كما حرّض «هرقل» لضرب

الحكومة الاسلامية الفتية في المدينة، ثم اشترك في معركة احد ضد رسول الله صلى الله عليه وآله و قاتل المسلمين قتالا شديدا (١).

(٢)

**العسكران يصطفان:**

فى صبيحة اليوم السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة اصطفت قوى الاسلام أمام قوى الشرك المعتديّة، و كان جيش التوحيد قد جعل ظهره الى احد كمانع طبيعى يحفظ الجيش من الخلف. و قد كان فى جبل احد ثغرة كان من الممكن أن يتسلل منها العدو و يباغت المسلمين من الخلف، و يوجه إليهم ضربة قاضية.

و لهذا عمل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى وضع جماعة من الرماة عند تلك الثغرة، و أمر عليهم «عبد الله بن جبير» و قال: انضح الخيل عنّا بالنبل، و احموا لنا ظهورنا، لا- يأتونا من خلفنا، و الزموا مكانكم لا تبرحوا منه، إن كانت لنا أو علينا، فلا تفارقوا مكانكم».

و لقد أثبتت حوادث «احد» التى وقعت فى ما بعد أهمية هذه الثغرة عسكريا، فقد كانت هزيمة المسلمين بعد انتصارهم فى بداية المعركة نتيجة تجاهل الرماة لأمر النبى و اخلاء ذلك الموقع الإستراتيجى، الأمر الذى سمح للعدوّ بأن يباغت المسلمين فى حركة التفافية سريعة، و يحمل عليهم، و يوجه عليهم ضربة قوية!!

(١) أسد الغابة: ج ٢ ص ٥٩ و ٦٠، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٥٧ و غيرهما.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥١

(١) إن أمر النبى المؤكد و المشدّد للرماة بأن لا يخلوا أماكنهم فى الجبل حيث الثغرة المذكورة يكشف عن معرفته الكاملة بقواعد القتال و قوانين الحرب، و بما يصطلح عليه اليوم بالتكتيك العسكرى.

بيد أن نبوغ القائد العسكرى لا يكفى وحده لإحراز الانتصار إذا كان الجنود يعانون من عدم الانضباطية، و عدم التقيد بأوامر القائد. و لقد أشار القرآن الكريم إلى الترتيبات الميدانية التى قام بها رسول الله صلى الله عليه وآله عند استقرار جنود الإسلام فى أرض المعركة بأحد، و تعيينه لمكان كل قطعة من قطعات الجيش الإسلامى إذ قال: «و إذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال و الله سميع عليم» (١).

(٢)

**رفع معنويات الجنود و تقوية عزائمهم:**

لم يكن النبى صلى الله عليه وآله ليغفل فى المعارك و الحروب عن تقوية العنصر الروحى لدى الجنود، و ما يصطلح عليه الآن بالروح المعنوية، أو المعنويات العسكرية.

ففى هذه المرة أيضا لما اصطف سبعمائة مقاتل مسلم أمام ثلاثة آلاف من المقاتلين المشركين المدججين بالسلاح، خطب رسول الله صلى الله عليه وآله فى المسلمين خطبة رفع بها من معنويات المسلمين، و ذلك بعد ان نظم صفوفهم و سواها.

فلقد كتب «الواقدي» المؤرخ الإسلامى الكبير فى هذا الصدد ما يلى:

جعل رسول الله صلى الله عليه وآله الرماة خمسين رجلا على «عينين» عليهم «عبد الله بن جبير»، و جعل «احدا» خلف ظهره، و استقبل المدينة، ثم جعل صلى الله عليه وآله يمشى على رجله يسوى تلك الصفوف، و يبوئ أصحابه

(١) مجمع البيان: ج ٤ ص ٤٩٥، الكشاف: ج ١، ص ٣٤٦-٣٤٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٢

للقتال يقول تقدّم يا فلان، و تأخر يا فلان، حتى أنه ليرى منكب الرجل خارجاً فيؤخره، فهو يقوم بهم القداح.  
(١) ثم قام صلى الله عليه وآله فخطب الناس فقال:

«يا أيها الناس، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته، و التناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر و ذخر. لمن ذكر الذي عليه، ثم و طّن نفسه له على الصبر و اليقين و الجدّ و النشاط فإنّ جهاد العدوّ شديد، شديد كريحه، قليل من يصبر عليه، إلّا من عزم الله رشده، فإن الله مع من أطاعه، و إنّ الشيطان مع من عصاه، فافتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، و التمسوا بذلك ما وعدكم الله، و عليكم بالذي أمركم به، فأني حريص على رشدكم فإن الاختلاف و التنازع و التثبيط من أمر العجز و الضعف ممّا لا يحبّ الله، و لا يعطى عليه النصر و لا الظفر.

و إنّه قد نفث في روعى الروح الأمين إنّه لن تموت نفس حتّى تستوفى أقصى رزقها، و لا ينقص منه شيء و أن ابطأ عنها ... المؤمن من المؤمنين كالرأس من الجسد اذا اشتكى تداعى عليه سائر الجسد و السلام عليكم» (١).

(٢)

### العدو ينظّم صفوفه:

نظم أبو سفيان قائد المشركين صفوف جنوده و قسّمهم إلى ثلاثة أقسام:  
الرماء، و جعلهم في الوسط، و الميمنة و استعمل عليهم خالد بن الوليد، و الميسرة، و استعمل عليهم عكرمة بن أبي جهل. و قدّم جماعة فيهم حملة الألوية و الرايات.  
ثم قال لأصحاب الرايات و كانوا جميعاً من بنى عبد الدار: إنا إنما اتينا يوم بدر من اللواء، و إنّما يؤتى القوم من قبل لوائهم، فالزموا لواءكم و حافظوا عليه، أو خلوا بيننا و بينه فانا قوم مستميتون موتورون، نطلب ثارا حديث العهد.

(١) المغازي: ج ١ ص ٢٢١-٢٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٣

فشقّ هذا الكلام على «طلحة بن أبي طلحة» و كان شجاعاً، و هو أوّل من حمل راية لقريش، فاندفع من فوره الى ساحة القتال، و طلب المبارزة، متحدياً بذلك أبا سفيان.  
(١)

### الإثارة النفسية و إلهاب الحماس:

قبل أن يبدأ القتال أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله سيفاً بيده و قال:  
- و هو يثير بذلك همم جنوده-.

«من يأخذ هذا السيف بحقه؟ فقام إليه رجال، فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانة الأنصاري، فقال: و ما حقه يا رسول الله؟  
قال: «أن تشرب به العدو حتى ينحني».  
قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه.

فأعطاه إياه، و كان أبو دجانة رجلاً شجاعاً، يختال عند الحرب اذا كانت، و كان اذا أعلم، أعلم بعصاة له حمراء، فاعتصب بها علم أنه سيقاتل، فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وآله أخرج عصابته تلك فعصّب بها رأسه، و جعل يتبختر بين الصّفين.



فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «انها لمشيئة ييغضها الله إلّا فى هذا الوطن» (١).

(٢) حقا إن مثل هذه الاثارة النفسية، و هذا التحريك القوى للهمم أمر ضرورى لجيش يقاتل دفاعا عن الحق و القيم، و لا يدفعه إلى ذلك سوى العقيدة، و حب الكمال.

إنّ النبىّ صلى الله عليه وآله لم يهدف بعمله إثارة أبى دجانة وحده، بل كان صلى الله عليه وآله يهدف بذلك إثارة الآخرين، و إفهامهم بأن عليهم أن يبلغوا فى الشجاعة و البطولة، و الجرأة و الإقدام هذا المبلغ.

(٣) يقول «الزبير بن العوام» و هو كذلك رجل شجاع: وجدت فى نفسى حين

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٦ و ٦٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٤

سألت رسول الله صلى الله عليه وآله السيف فمنعني، و أعطاه أبا دجانة و قلت:

أنا ابن صفيّة عمته، و من قريش و قد قمت إليه فسألته إياه، فأعطاه إياه و تركنى! و الله لانظرنّ ما يصنع. فأتبعته فأخرج عصابة له حمراء، فعصّب بها رأسه، فقالت الانصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، و هكذا كانت تقول له اذا تعصّب بها.

فخرج و هو يقول:

أنا الذى عاهدنى خليلى و نحن بالسفح لى النخيل

ألا أقوم الدهر فى الكيول (١) «أضرب بسيف الله و الرسول فجعل لا يلقى أحدا إلّا قتله، و كان من المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلّا ذفّف عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا، فاختلغا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة، فاتقاه بدرقته، فعضت بسيفه، و ضربه أبو دجانة، فقتله، ثم رأيت قد حمل السيف على مفرق «هند بنت عتبة» ثم عدل السيف عنها، فقلت: الله و رسوله أعلم.

ثم إن أبا دجانة أوضح عمله هذا فقال: رأيت انسانا يخمش الناس خمشا شديدا فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول فاذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وآله أن أضرب به امرأة (٢).

(١)

## القتال يبدأ:

بدأ القتال بما فعله أبو عامر الفاسق الذى كان قد هرب من المدينة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وآله كما أسلفنا، و كان من الأوس، و قد فرّ معه خمسة عشر رجلا من الأوس بسبب معارضته للإسلام.

و قد تصوّر أبو عامر هذا أن الأوس إذا رأوا يوم احد تركوا نصره رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما التقى العسكران يومئذ نادى أبو عامر: يا معشر الأوس، أنا أبو عامر.

(١) الكيول: آخر الصفوف فى الحرب.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٨ و ٦٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٥

قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق. فلما سمع ردّ الأوس تركهم، و اعتزل الحرب بعد قليل (١).

(١) ثم إن هناك مواقف و توضيحات عظيمة قام بها رجال معدودون فى معركة احد معروفة بين المؤرخين، أبرزها، و أجدرها

بالاجلال تضحيات على عليه السلام و مواقفه الكبرى في ذلك اليوم.

فهو صاحب اللواء و الراية في هذه الموقعة الكبرى.

قال الشيخ المفيد في الارشاد: تلت بدرًا غزاةً احد و كانت راية رسول الله صلى الله عليه وآله بيد أمير المؤمنين عليه السلام فيها و مما يدل على ذلك ما رواه يحيى بن عماره قال: حدثني الحسن بن موسى بن رباح مولى الانصار قال حدثني أبو البختری القرشي، قال: كانت راية قريش و لواؤها جميعا بيد قصي ثم لم تزل الراية في يد ولد عبد المطلب يحملها منهم من حضر الحرب حتى بعث الله رسوله صلى الله عليه وآله فصارت راية قريش و غيرها الى النبي صلى الله عليه وآله، فأقرها في بني هاشم فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام في غزاة ودان و هي أول غزاة حمل فيها راية في الاسلام مع النبي ثم لم تزل معه في المشاهد ببدر و هي البطشة الكبرى في يوم احد و كان اللواء يومئذ في بني عبد الدار فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله مصعب بن عمير فاستشهد و وقع اللواء من يده فتشوفته القبائل فأخذته رسول الله صلى الله عليه وآله فدفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فجمع له يومئذ الراية و اللواء «٢».

و قد ورد عن ابن عباس ما يؤيد ذلك فقد روى أنه قال: لعلني أربع خصال ليس لأحد من العرب غيره (هو) أول عربي و عجمي صلى مع النبي صلى الله عليه وآله و هو الذي كان لواؤه معه في كل زحف ... «٣».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٧.

(٢) الارشاد: ص ٤٣، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٨٠.

(٣) ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر: ج ١ ص ١٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٦

كما عن قتادة: ان علي بن ابي طالب كان صاحب لواء رسول الله يوم بدر و في كل مشهد «١».

(١) ثم إنه كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدري (و كان يدعى كبش الكتيبة) فبرز و نادى: يا محمد تزعمون أنكم تجهزوننا بأسيا فكم الى النار، و تجهزكم بأسيانا الى الجنة، فمن شاء أن يلحق بجنته فليبرز إلي فبرز إليه علي (عليه السلام) و هو يقول: يا طلح إن كنتم كما تقول لكم خيول و لنا نصول فاثبت لننظر ايّنا المقتول و ايّنا أولى بما تقول فقد أتاك الأسد المسئول بصارم ليس به الفلول

ينصره القاهر و الرسول ثم تصاولا بعض الوقت قتل بعده طلحة بضربة علي (عليه السلام) القاضية.

فأخذ الراية اخوان آخران لطلحة فخرجا لقتال علي عليه السلام على التناوب فقتلا جميعا على يديه (عليه السلام).

هذا و يستفاد من كلام لعلني عليه السلام قاله في أيام الشورى التي انعقدت بعد موت الخليفة الثاني.

(٢) فقد قال الامام عليه السلام في مجلس ضم كبار الصحابة في تلك المناسبة:

«نشدتكم بالله هل فيكم أحد قتل من بني عبد الدار تسعة مبارزة كلهم يأخذ اللواء، ثم جاء صواب الحبشي مولاهم و هو يقول لا أقتل بسادتي إلا محمدا، قد ازبد شذقاء، و احمرت عيناه، فأتقيتموه، و حدثم عنه، و خرجت إليه، فلما أقبل كأنه قبة مبيتة فاختلفت أنا و هو ضربتين، فقطعته بنصفين و بقيت عجزه و فخذه قائمه على الأرض ينظر إليه المسلمون و يضحكون منه».

قالوا: اللهم لا «٢».

(١) ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر: ج ٩ ص ١٤٢.

(٢) الخصال: ص ٥٦٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٧

أجل ان قريشا كانت قد ادخرت لحمل الراية تسعة رجال من شجعان بنى الدار و قد قتلوا جميعا على يد الامام على عليه السلام على التوالى فبرز غلامهم و قتل هو أيضا «١».

(١)

### المقاتلون بدافع الشهوة!!

من الأبيات التي كانت تتغنى بها «هند بنت عتبة» زوجة أبى سفيان و من كان معها من النساء فى تحريض رجال قريش و حثهم على القتال و اراقه الدماء و المقاومة، و يضرين معها الدفوف و الطبول يتبين ان تلك الفئة لم تكن تقاتل من أجل القيم الرفيعة كالطهر و الحرية، و الخلق الانسانى بل كانت تقاتل بدافع الشهوة الجنسية و من أجل الوصول إلى المآرب الرخيصة. فقد كانت الأغاني و الأبيات التي ترددها تلك النساء اللاتي كنّ يضربن بالدفوف خلف الرجال على نحو خاص هي:

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق (٢) و لا شك أن الفئة التي تقاتل من أجل الشهوات، و يكون دافعها الى الحرب و القتال هو الجنس و اللذة، و بالتالى لا تهدف سوى الوصول إلى المآرب الرخيصة فان حالها تختلف اختلافا بينا و كبيرا عن حال الفئة التي تقاتل من أجل هدف مقدس كإقرار الحرية، و رفع مستوى الفكر، و تحرير البشرية من براثن الجهل و أسر الخضوع للاوثان. و لا شك أن لكل واحدة من تلك الدوافع آثارها المناسبة فى روح المقاتل و سلوكه. و لهذا لم يمض زمان طويل إلّا و وضعت قريش أسلحتها على الارض و ولّت هاربة من أرض المعركة بعد أن اصيبت باصابات قوية بفضل صمود و تضحيات رجال مؤمنين شجعان كعلّى و حمزة و أبى دجانة و الزبير و ... مخلفه وراءها غنائم

(١) و قد ذكر المجلسى قصة مصرع هؤلاء فى البحار: ج ٢٠ ص ٨١-٨٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٨

و أموالا كثيرة، و أحرز المسلمون بذلك انتصارا عظيما على عدوهم القوى فى تجهيزاته، الكثير فى افراده «١».

(١)

### الهزيمة بعد الانتصار:

قد يتساءل سائل: لما ذا انتصر المسلمون اولاً؟

لقد انتصروا لأنهم كانوا يقاتلون، و لا يحدوهم فى ذلك شىء حتى لحظة الانتصار إلّا الرغبة فى مرضاء الله، و نشر عقيدة التوحيد، و إزالة الموانع عن طريقها، فلم يكن لهم أى دافع مادى يشدهم إلى نفسه.

و قد يتساءل: و لما ذا انهزموا أخيراً؟

لقد انهزموا لأن أهداف أكثر المسلمين و نواياهم قد تغيرت بعد تحقيق الانتصار، فقد توجهت أنظارهم الى الغنائم التي تركها قريش فى أرض المعركة، و فروا منهزمين. لقد خولط اخلاص عدد كبير من المسلمين، و نسوا على أثره أوامر النبى صلى الله عليه وآله، و تعاليمه، فغفلوا عن ظروف الحرب.

و إليك فيما يأتي تفصيل الحادث:

(٢) لقد ذكرنا عند بيان الأوضاع الجغرافية لمنطقة احد أنه كان في «جبل احد» شعب (ثغرة) وقد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله خمسين رجلا من الرماة بمراقبة ذلك الشعب، و حماية ظهر الجيش الاسلامي، و أمر عليهم «عبد الله بن جبير»، و كان قد أمر قائدهم بأن ينضحوا الخيل و يدفعوها عن المسلمين بالنبل و يمنعوا عناصر العدو من التسلل من خلالها و لا يغادروا ذلك المكان انتصر المسلمون او انهزموا، غلبوا أو غلبوا.

و فعل الرماة ذلك فقد كانوا في أثناء المعركة يحمون ظهور المسلمين، و يرشقون خيل المشركين بالنبل فتولّى هاربة، حتى إذا ظفر النبي و أصحابه، و انكشف المشركون منهزمين، لا يلوون على شيء، و قد تركوا على أرض المعركة

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٨، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ١٩٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٥٩

غنائم و أموال- كثيرة، و قد تبعهم بعض رجال المسلمين ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وآله على بذل النفس في سبيل الله و مضوا يضعون السلاح فيهم حتى أجهضوهم عن العسكر أما أكثر المسلمين فقد وقعوا ينتهبون العسكر و يجمعون الغنائم تاركين ملاحقة العدو و قد اغمدوا السيوف، و نزلوا عن الخيول ظنا بأن الأمر قد انتهى.

(١) فلما رأى الرماة المسئولون عن مراقبة الشعب ذلك قالوا لأنفسهم: و لم نقيم هنا من غير شيء و قد هزم الله العدو فلنذهب و نغتم مع إخواننا.

فقال لهم أميرهم (عبد الله بن جبير): أ لم تعلموا أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لكم: احموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم، و إن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا، و إن رأيتمونا غنمنا فلا تشركونا احموا ظهورنا؟

و لكن أكثر الرماة خالفوا أمر قائدهم هذا و قالوا: لم يرد رسول الله هذا، و قد أذلّ الله المشركين و هزمهم.

و لهذا نزل أربعون رجلا- من الرماة من الجبل و دخلوا في عسكر المشركين ينتهبون مع غيرهم من المسلمين الاموال و قد تركوا موضعهم الإستراتيجي في الجبل، و لم يبق مع عبد الله بن جبير إلا عشرة رجال!!

(٢) و هنا استغل «خالد بن الوليد» الذي كان مقاتلا شجاعا، قلّة الرماة في ثغرة الجبل، و كان قد حاول مرارا أن يتسلل منها و لكنه كان يقابل في كل مرة نبال الرماة، فحمل بمن معه من الرجال على الرماة في حملة التفافية و بعد أن قاتل من بقى عند الثغرة و قتلهم بأجمعهم انحدر من الجبل و هاجم المسلمين الذين كانوا منشغلين بجمع الغنائم، و غافلين عما جرى فوق الجبل، و وقعوا في المسلمين ضربا بالسيوف و طعنا بالرماح، و رميا بالنبال، و رضخا بالحجارة، و هم يصيحون تقوية لجنود المشركين.

فتفرقت جموع المسلمين، و عادت فلول قريش تساعد خالد و جماعته، و أحاطوا جميعا بالمسلمين من الأمام و الخلف، و جعل المسلمون يقاتلون حتى قتل منهم سبعون رجلا.

إن هذه النكسة تعود إلى مخالفة الرماة لأوامر النبي صلى الله عليه وآله تحت تأثير المطامع المادية و تركهم ذلك المكان الإستراتيجي عسكريا و الذي اهتم به القائد الاعلى صلى الله عليه وآله، و أكد بشدة على المحافظة عليه، و دفع أيّ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٠

هجوم من قبل العدو عليه. و بذلك فتحوا الطريق- من حيث لا يشعرون- للعدو بحيث هاجمهم الخيل بقيادة خالد بن الوليد، فدخل إلى أرض المعركة من ظهر الجيش الاسلامي، و وجه الى المسلمين تلك الضربة النكراء!!

(١) و لقد ساعد خالد في هذا «عكرمة بن أبي جهل» الذي حمل هو الآخر بمن كان معه من الرجال على المسلمين، و ساد على صفوف المسلمين في هذه الحال الهرج و المرج، و عمت فوضى لا نظير لها ساحة المعركة، و لم ير المسلمون مناصا من أن يدافعوا

عن أنفسهم متفرقين، و لكن عقد القيادة لما قد انفرط بسبب هذه المباغته العسكرية لم يستطع المسلمون إحراز أى نجاح فى الدفاع، بل تحمّلوا- كما أسلفنا- خسائر كبرى فى الأرواح، و قتل عدد من المسلمين على أيدي اخوانهم من المسلمين خطأ و من دون قصد. و لقد صعّدت حملات خالد و عكرمة من معنويات المشركين، و نفخت فيهم روحا جديدة فعدت قواتهم الهاربة المنهزمة قبل قليل، و دخلت ساحة المعركة ثانية، و ساعدت جماعة منهم خالدًا و عكرمة و حاصروا المسلمين من كل ناحية و قتل جمع كبير من المسلمين بسبب ذلك!!

(٢)

### شائعة مقتل النبى:

و فى هذا الأثناء حمل «الليثى» «١» و كان من صناديد قريش و أبطالها على مصعب بن عمير حامل لواء الاسلام فى تلك المعركة و هو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه و آله و تبودلت بينهما طعنات و ضربات حتى قتل «مصعب» بضربه قاضية من الليثى، و كان المسلمون يومئذ ملثمون، ثم صاح: قتلت محمدا، أو قال ألا قد قتل محمد، ألا قد قتل محمد. فانتشر هذا الخبر فى جموع المسلمين كالنار فى الهشيم و علمت قريش بذلك فسروا بذلك سرورا عظيما، و ارتفعت الاصوات فى ساحة القتال تنادى: ألا قد

(١) هو عبد الله بن قمنه الليثى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦١

قتل محمدا، ألا قد قتل محمدا.

(١) و لقد زاد هذا الخبر الكاذب من جرأة العدو فتحرّكت جحافلُه و أفرادُه نحو المسلمين يسعى كل واحد منهم أن يقتطع من جسم رسول الله صلى الله عليه و آله عضوا، و بذلك ينال فخرا فى أوساط المشركين!! و بقدر ما ترك هذا الخبر الكاذب من أثر ايجابى فى نفوس المشركين، ترك أثرا سيئا جدا فى نفوس المسلمين، و أضعف معنوياتهم بشدة بحيث تخلى عدد كبير من المسلمين عن القتال، و لجئوا إلى الجبل فرارا بأنفسهم، و لم يثبت إلا عدد قليل لا يتجاوز أصابع اليد من الرجال.

(٢)

### هل يمكن أن ينكر أحد فرار البعض؟

لا- يمكن أبدا أن ينكر أحد فرار أصحاب النبى صلى الله عليه و آله إلّا من يعدّون بالأصابع فى تلك المعركة، و لا يمنع كونهم صحابة، أو كونهم أصبحوا فى ما بعد ذوى مكانة أو مناصب فى المجتمع الإسلامى فى ما بعد، من القبول بهذه الحقيقة التاريخية المرّة.

فهذا هو ابن هشام المؤرخ الاسلامى الكبير يكتب فى هذا الصدد قائلا:

انتهى أنس بن النضر عمّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب و طلحة بن عبيد الله فى رجال من المهاجرين و الأنصار، و قد ألقوا بأيديهم «١» فقال:

ما يجلسكم؟ (أى ما يقعدكم عن القتال و المقاومة).

قالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: فما ذا تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم عاد الى المشركين فقاتلهم حتى قتل.

أو قال: حسب رواية كثير من المؤرخين:- ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل، و ما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فقاتلوا على

(١) اي استسلموا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٢

ما قاتل عليه رسول الله، و موتوا على ما مات عليه ثم قال: اللهم انى اعتذر إليك مما يقوله هؤلاء، و أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه على الكفار فقاتل حتى قتل.

(١) و يروى ابن هشام عن أنس بن مالك (ابن أخ انس بن النضر) لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين جراحة فما عرفه إلا اخته عرفته بينانه «١».

و كتب الواقدي فى مغازيه يقول:

حدثني ابن أبي سبرة عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي جهم و اسم أبي جهم عبيد قال: كان خالد بن الوليد يحدث و هو بالشام يقول: الحمد لله الذى هدانى للإسلام، لقد رأيتنى و رأيت عمر بن الخطاب حين جالوا و انهزموا يوم احد و ما معه أحد و أنى لفى كتيبة خشنة فما عرفه منهم أحد غيرى فنكبت عنه و خشيت إن أغريت به من معى أن يصمدوا له فنظرت إليه موجها إلى الشعب «٢».

و قد بلغ الانهزام و الضعف النفسى ببعض الصحابة فى هذه المعركة بحيث أخذ يفكر فى التبرى من الاسلام لينجو بنفسه فقال: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان!! «٣».

(٢)

### القرآن يكشف عن بعض الحقائق:

إن الآيات القرآنية تمزق كل حجب الجهل و التعصب التى اسدلت على هذه المسألة، و تفيد بوضوح أن طائفة من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله اعتقدوا بأن ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله من الظفر، و النصر لا أساس له من الصحة، فان الله تعالى يقول فى هذا الصدد:

«وَ طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ» «٤».

و فى امكانك أيها القارئ الكريم أن تحصل على الحقائق المكتومة فى هذا

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٨٣ راجع تفسير المنار: ج ٤ ص ١٠٢.

(٢) المغازى: ج ١ ص ٢٣٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٧

(٤) آل عمران: ١٥٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٣

المجال بالتمعن فى آيات من سورة آل عمران «١».

فهذه الآيات تكشف بصورة كاملة عن عقيدة الشيعة حول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) فان الشيعة تعتقد بأنه لم يكن جميع صحابة النبي صلى الله عليه وآله أوفياء لعقيدة التوحيد، متفانين في سبيله، بل كان منهم الضعيف في إيمانه و المناق، و المتردد، و مع ذلك لم يكن المؤمنون الأتقياء و الصالحون الأبرار قلة أيضا. و من العجيب و المؤسف أن يسعى بعض الكتاب من أهل السنة اليوم إلى التغطية على كثير من المواقف و الاعمال المشينة التي بدرت من بعض الصحابة كالذي مرّ عليك في معركة احد، و يحاول تجاوزها بنوع من التبرير البعيد عن روح الحقيقة كمحاولة للمحافظة على شأن جميع الصحابة، و مكانتهم على حين أن هذه التبريرات الفجأة، و هذا التعصب اللامنطقي لا يمكنها أن تمنع من رؤية الحقيقة كما هي.

فأى كاتب يستطيع إنكار مفاد هذه الآية التي تصرح قائلة:

«إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ» (٢).

(٢) إن هذه الآية تقصد اولئك الذين رأهم أنس بن النضر، و من شابههم من الذين تركوا ساحه المعركة، و لجئوا إلى الجبل، و جلسوا يفكرون في نجاه أنفسهم!!

و الأوضح من الآية السابقة قول الله تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَمَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ» (٣).

إن الله تعالى يعاتب و يوبخ الذين تذرّعوا- لفرارهم من المعركة- بنيا مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله على يد العدو، و راحوا يفكرون في الحصول على أمان من أبى سفيان بواسطة عبد الله بن أبى اذ يقول:

«وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (٤).

(١) الآيات: ١٢١- ١٨٠.

(٢) آل عمران: ١٥٣.

(٣) و (٤) آل عمران: ١٥٥ و ١٤٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٤.

(١)

## التجارب المرة:

إن في أحداث معركة «احد» و وقائعها تجارب مرة و اخرى حلوة فهذه الحوادث و الوقائع تثبت بجلاء صمود و استقامه جماعه، و ضعف و هزيمة آخرين.

كما أنه يستفاد من ملاحظه الحوادث التاريخيه أنه لا يمكن اعتبار جميع المسلمين الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وآله أتقياء عدولا بحججه أنهم صحبوا النبي صلى الله عليه وآله، لأن الذين أخلوا مراكزهم على الجبل، يوم احد و عصوا أمر النبي صلى الله عليه وآله في تلك اللحظات الخطيره، و جزوا بفعالهم على المسلمين تلك المحنه الكبرى، كانوا أيضا ممن صحبوا النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) يقول المؤرخ الاسلامي الكبير الواقدي في هذا الصدد: «بايع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد ثمانيه على الموت: ثلاثه من المهاجرين على و طلحه و الزبير، و خمسه من الأنصار» فثبتوا و هرب الآخرون (١).

و كتب العلامة ابن أبي الحديد المعتزلي أيضا: حضرت عند محمد بن معد العلوي الموسوي الفقيه على رأي الشيعة الإمامية رحمه الله في داره بدرج الدواب ببغداد في سنة ٦٠٨ هجرية، و قارئ يقرأ عنده مغازي الواقدي، فقرأ: حدثنا الواقدي عن ابن أبي سبرة عن خالد بن رباح عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد عن محمد بن مسلمة قال: سمعت اذناي، و أبصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه و آله يقول يوم احد، و قد انكشف الناس الى الجبل و هو يدعوهم و هم لا يلوون عليه، سمعته يقول:

«إلّٰى يا فلان، إلّٰى يا فلان أنا رسول الله».

فما عزّج عليه واحد منهما، و مضيا!! فأشار ابن معد إلّٰى أى اسمع.

فقلت: و ما فى هذا؟ قال: هذه كناية عنهما. (أى اللذين تسنما مسند الخلافة

(١) المغازي: ج ٢ ص ٢٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٥

بعد النبى صلى الله عليه و آله)

فقلت: و يجوز أن لا يكون عنهما لعله عن غيرهما.

قال: ليس فى الصحابة من يحتشم من ذكره بالفرار، و ما شابهه من العيب، فيضطرّ القائل إلى الكناية إلّا هما.

قلت له: هذا ممنوع.

فقال: دعنا من جدلك و منعك، ثم حلف أنه ما عنى الواقدي غيرهما، و أنه لو كان غيرهما لذكرهما صريحا «١».

(١) كما أنّ العلامة ابن أبي الحديد ذكر فى شرحه لنهج البلاغة أيضا اتفاق الرواة كافه على أن عثمان لم يثبت فى تلك اللحظات

الحساسة يوم احد «٢».

و ستقرأ فى الصفحات القادمة ما قاله رسول الله صلى الله عليه و آله عن امرأة مجاهدة متفانية فى سبيل الرسالة الاسلامية تدعى «نسيبة

المازنية» دافعت عن رسول الله صلى الله عليه و آله يوم احد.

فقد لمّح رسول الله صلى الله عليه و آله فى كلامه عنها و عن موقفها العظيم يومذاك، إلى ما يقلل من شأن الذين فرّوا من المعركة.

نحن لا نريد هنا الاساءة إلى أى واحد من صحابة النبى صلى الله عليه و آله، بل غاية ما نتوخاه هو الكشف عن الحقيقة، و إماطة اللثام

عن الواقع، فبقدر ما نستنكر، و نقبح فرار من فرّ، نكبر صمود من صمد و ثبات من ثبت ممن سنأتى على ذكرهم فى الصفحات

القادمة، و هذا هو ما تمليه علينا روح التحليل الصادق أو تقتضيه أمانة النقل، و ما يسمى بالامانة التاريخية على الأقل.

(٢)

### خمسة يتحالفون على قتل النبى:

فى تلك اللحظات التى تشتت فيها جيش المسلمين، و انفرط عقده، و فى الوقت الذى تركزت فيه أن حملات المشركين من كل

ناحية على رسول الله صلى

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ج ١٥ ص ٢٣ و ٢٤.

(٢) المغازي: ج ١ ص ٢٧٨ و ٢٧٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٦

الله عليه و آله تعاهد خمسة أنفار من صناديد قريش المعروفين أن يضعوا نهاية لحياة النبى الاكرم صلى الله عليه و آله و يقضوا عليها



مهما كلّفهم من الثمن «١».

(١) و هؤلاء هم:

١- عبد الله بن شهاب الذي جرح جبهه النبي صلى الله عليه وآله.

٢- عتبة بن أبي وقاص الذي رمى رسول الله صلى الله عليه وآله بأربعة أحجار فكسر ربايته صلى الله عليه وآله، و جرح باطنها، من الجهة اليمنى.

٣- ابن قميئه الليثي الذي رمى و جنتي رسول الله صلى الله عليه وآله و جرحهما بحيث غاب حلق المغفر في وجنته صلى الله عليه وآله و آله فأخرجها أبو عبيدة الجراح بأسنانه فكسرت ثناياه العليا و السفلى.

٤- عبد الله بن حميد الذي قتل على يد بطل الإسلام أبي دجانة و هو يحمل على النبي صلى الله عليه وآله.

٥- ابى بن خلف و كان من الذين قتلوا بيد رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه.

فهو واجه رسول الله صلى الله عليه وآله عند ما وصل صلى الله عليه وآله إلى الشعب، و قد عرفه بعض أصحابه و أحاطوا به، فجعل يصيح بأعلى صوته:

يا محمّد لا- نجوت ان نجوت، و حمل على النبي صلى الله عليه وآله و لما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وآله الحربى من

«الحارث بن الصمة»، ثم انتفض انتفاضة شديدة و طعن «ابيا» بالحربة في عنقه، و هو على فرسه، فجعل ابى يخور كما يخور الثور!

(٢) و مع أن ما أصاب ابيا من جراحة كان يبدو بسيطا، إلا أنه تملكه رعب و خوف شديداً إذ لم ينفعه معهما تطمينات رفاقه، و لم يذهب عنه الروع بكلامهم، و كان يقول: و اللات و العزى لو كان الذى بى بأهل ذى المجاز «٢» لماتوا أجمعون.

(١) المغازى: ج ١ ص ٢٤٣.

(٢) كان ذو المجاز سوقا من أسواق العرب و هو عن يمين الموقف بعرفة قريبا من كبك (معجم ما استعجم على ما فى حواشى المغازى: ص ٥٠٨).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٧

أليس قال: (أى النبي يوم كان بمكة) أنا أقتلك إن شاء الله، قتلنى و الله محمّد!!

و قد فعلت الطعنة، و كذا خوفه فعلتهما فمات فى منطقته تدعى سرف (و هو موضع على ستة أميال من مكة) فيما كانت قريش قافلة من احد الى مكة «١».

(١) حقا إن هذا ينم عن منتهى الدناءة و الخسة فى خلق قريش و موقفها، فمع أنها كانت تعرف صدق رسول الله صلى الله عليه وآله و تعترف به، و تنكر أن يكون قد صدر منه كذب فى قول، أو خلف فى وعد، كانت تعاديه أشدّ العداء، و تمدّ نحوه يد العدوان، و تبغى مصرعه، و تسعى إلى اراقه دمه!!

كما أنه من جهة اخرى يدل على شجاعة رسول الاسلام صلى الله عليه وآله و آله و بطولته و مقدرته الروحية الكبرى، من ناحية اخرى، و ثباته فى عمله من ناحية ثالثة.

أجل لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله و آله يدافع عن رسالته السماوية، و عن حياض عقيدته التوحيدية العظمى، و يصمد لاعداء صمود الجبال الرواسخ مع أنه ربما دنا من الموت و كان منه قاب قوسين أو أدنى.

و مع أنه كان صلى الله عليه وآله يرى أن كل همّ المشركين و كل حملاتهم موجهة نحوه بشخصه، إلا أنه لم يشهد أحد منه أى قول أو فعل يشعر بتوجسه و اضطرابه، و لقد صرح المؤرخون بهذا الأمر فقد كتب المقريزى و نادى المشركون بشعارهم [يا للعزى، يا لهبل] فارجعوا فى المسلمين قتلا ذريعا، و نالوا من رسول الله صلى الله عليه وآله ما نالوا. و لم يزل صلى الله عليه وآله شبرا واحدا

بل وقف في وجه العدو، وأصحابه تثوب إليه مرة طائفةً و تتفرق عنه مرة، و هو يرمى عن قوسه أو بحجر حتى تحاجزوا «٢».

(٢) نعم غاية ما سمع من صلى الله عليه وآله هو ما قاله عند ما كان يمسح الدم

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٨٤، المغازي: ج ١ ص ٢٥١.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٣١، المغازي: ج ٢ ص ٢٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٨

عن وجهه المبارك اذ قال:

«كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم و هو يدعوهم إلى الله؟!» «١».

إن هذه العبارة الخالدة تكشف عن عمق رحمة النبي صلى الله عليه وآله و عاطفته حتى بالنسبة إلى اعدائه الألداء.

(١) بينما تكشف كلمة قالها على عليه السلام عن شجاعته صلى الله عليه وآله الفائقة إذ قال:

«كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن احد أقرب منا إلى العدو منه» «٢».

من هنا فان سلامة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله في الحروب تعود في أكثر أسبابها إلى حسن دفاعه عن دينه، و عن نفسه، و الى شجاعته في المعارك.

و لقد كانت ثمة علل و أسباب صانت هي الاخرى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله من أن يلحقها خطر أو ضرر، الا و هو تضحية و تفاني تلك القلة القليلة من أصحابه الأوفياء الذين بذلوا غاية جهدهم للحفاظ على حياة رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله و بذلك أبقوا على هذا المشعل الوقاد، و هذا السراج المنير.

لقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد قتالا شديدا، فرمى بالنبل حتى فنى نبله و انكسرت سيه قوسه، و انقطع وتره «٣».

(٢) على أن الذين دافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يتجاوز عددهم عدد أصابع اليد «٤»، و حتى هذه القلة القليلة المدافعة ثباتهم معه جميعا غير مقطوع به من منظار علم التاريخ، و من زاوية التحقيق التاريخي.

نعم ما هو متفق عليه بين المؤرخين، و أرباب السير هو ثبات أفراد قلائل نعمد هنا إلى ذكر أسمائهم و مواقفهم بشيء من التفصيل.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٠٢.

(٢) نهج البلاغة: فصل في غريب كلامه رقم ٩.

(٣) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٠٧.

(٤) شرح نهج البلاغة: ج ١٥ ص ٢٠ و ٢١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٦٩

(١)

### الدفاع الموفق أو النصر المجدد:

لو أننا أسميننا هذه المرحلة من تاريخ الاسلام بمرحلة النصر المجدد لما قلنا جزافا، فان المقصود من هذا الانتصار هو أن المسلمين استطاعوا- و خلافا لتوقعات العدو الحاقد- أن يصونوا رسول الله صلى الله عليه وآله من خطر الموت الذي كاد أن يكون محققا، و هذا هو انتصار مجدّد أصابه جند الاسلام.

أما إذا عزونا هذا الانتصار إلى جيش الاسلام برمته فان ذلك انما هو لأجل تعظيم مقام المجاهدين المسلمين، و إلّا فان ثقل هذا

الانتصار العظيم وقع على عاتق عدد محدود جدا من رجال الاسلام الذين صانوا حياة الرسول الاكرم عن طريق المخاطرة بحياتهم، و تعريضها للخطر الجدى.

و فى الحقيقة فإن بقاء الدولة الاسلامية، و بقاء جذوة هذا الدين المبارك مشتعلة إنما هو نتيجة تضحيات تلكم القلة القليلة المتفانية فى سبيل الله و رسوله.

و إليك فيما يلى استعراضا إجماليا لتضحيات اولئك الرجال المتفانين فى سبيل العقيدة و الدين:

(٢) ١- إن أول و أبرز الرجال الصامدين الثابتين على طريق الجهاد و التضحية فى هذه الواقعة هو شاب بطل لم يتجاوز ربيعه السادس و العشرين من عمره... هو الذى رافق رسول الله صلى الله عليه و آله من سنى صغره و بدايات حياته و حتى لحظة وفاة الرسول الاكرم صلى الله عليه و آله.

إن بطل الاسلام الاكبر و ان ذلك الفدائى الواقعى هو الامام «على بن أبى طالب» عليه السلام الذى تحفظ ذاكرة التاريخ الاسلامى عنه الكثير الكثير من مواقف التضحية و الفداء فى سبيل نشر الاسلام و الدفاع عن حوزة التوحيد، و ارساء دعائمه.

و فى الاساس ان هذا الانتصار المجدد- على غرار الانتصار الأول- إنما جاء نتيجة لبسالة و بطولته هذا المجاهد المتفانى فى سبيل الاسلام ذلك لأن السبب الجوهرى فى هزيمة قريش و فرارها فى بداية المعركة كان هو سقوط لوائها بعد

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٠

مقتل كل حملة اللواء على يد الامام على عليه السلام، و بالتالى نتيجة للرعب الذى القى فى قلوبهم لما رأوا من تساقط صنائدهم الواحد تلو الآخر، الأمر الذى سلبهم القدرة على المقاومة.

(١) إن الكتياب المصرين المعاصرين الذين تناولوا حوادث التاريخ الاسلامى بالتحليل و الدراسة، لم يعطوا عليا عليه السلام- و للأسف- حقه فى هذه الموقعة، أو على الأقل لم يذكروا ما اتفق عليه المؤرخون، و تطابقت فى اثباته التواريخ، بل جعلوا تضحيات الإمام على عليه السلام و مواقفه الشجاعة و العملاقة فى عداد مواقف الآخرين، و فى مستواها.

من هنا ينبغى أن نسلط بعض الضوء على تضحيات ذلك الفدائى الواقعى، و ذلك البطل الشجاع الذى شهدت له ساحات الوغى مواقف لا نظير لها فى العظمة، و السمو.

(٢) ١- يقول ابن الاثير فى تاريخه «١»: كان الذى قتل أصحاب اللواء على- قاله ابو رافع-، (قال) فلما قتلهم أبصر رسول الله صلى الله عليه و آله جماعة من المشركين فقال لعلى: احمل عليهم، فحمل عليهم ففرقهم، و قتل منهم، ثم أبصر جماعة اخرى فقال له: احمل عليهم، فحمل عليهم و قتل منهم، فقال جبرئيل: يا رسول الله هذه المواساة، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله إنه منى و أنا منه، فقال جبرئيل: و أنا منكما قال: فسمعوا صوتا:

«لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على» «٢».

(٣) و قد شرح ابن أبى الحديد هذه القضية بتفصيل أكثر اذ كتب فى شرحه لنهج البلاغة يقول: لما فرّ معظم أصحاب النبى صلى الله عليه و آله يوم احد كثرت عليه كتائب المشركين و قصدته كتيبة من بنى كنانة، ثم من بنى عبد مناة بن

(١) الكامل: ج ٢ ص ١٠٧.

(٢) و مثله فى تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ١٩٧، ميزان الاعتدال: ج ٣ ص ٣٢٤، لسان الميزان: ج ٤ ص ٤٠٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧١

كنانة فيها بنو سفيان بن عوف، و هم خالد بن ثعلب و أبو الشعثاء بن سفيان و أبو الحمراء بن سفيان و غراب بن سفيان، و انها لتقارب خمسين فارسا و هو (أى على عليه السلام) راجل، فما زال يضربها بالسيف تفرق عنه، ثم تجتمع عليه هكذا مرارا حتى قتل

بنى سفيان بن عوييف الأربعة و تمام العشرة منها ممن لا يعرف اسماءهم.

ثم نقل ما قاله جبرئيل، ثم كتب يقول: قلت و قد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين و هو من الاخبار المشهورة و قفت عليه في بعض نسخ مغازى محمد بن اسحاق و رايت بعضها خاليا عنها، و سألت شيخى عبد الوهاب بن سكينه عن هذا الخبر، فقال: خبر صحيح.

فقلت له: فما بال الصحاح (أى مثل صحيح البخارى و مسلم و ما شاكلهما) لم تشتمل عليه؟

قال: أو كل ما كان صحيحا تشتمل عليه كتب الصحاح؟ كم قد أهمل جامعوا الصحاح من الأخبار الصحيحة؟! «١».

(١) ٢- و لقد اشار الامام على عليه السلام نفسه فى كلام مفصل له مع رأس اليهود إلى هذا الموقف اذ قال:

«ذهب النبى صلى الله عليه وآله و عسكر بأصحابه فى سد احد و اقبل المشركون إلينا فحملوا علينا حملة رجل واحد و استشهد من المسلمين من استشهد، و كان ممن بقى من الهزيمة، و بقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله و مضى المهاجرون و الانصار الى منازلهم من المدينة كل يقول قتل النبى صلى الله عليه وآله و قتل أصحابه، ثم ضرب الله عزّ و جلّ وجه المشركين، و قد جرح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله نيفا و سبعين جراحه، منها هذه، و هذه».

ثم انه عليه السلام ألقى رداءه، و أمرّ يده على جراحاته، و قال:

«و كان منى فى ذلك ما على الله عزّ و جلّ ثوابه إن شاء الله» «٢».

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٤ ص ٢٥٠ و ٢٥١.

(٢) الخصال: ص ٣٦٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٢

(١) و قد بلغ على عليه السلام- حسب رواية علل الشرائع- من كثرة ضربه لطوائف المشركين الذين كانوا يحملون على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد، ان انكسر سيفه، فجاء الى النبى صلى الله عليه وآله و قال: يا رسول الله إن الرجل يقاتل بسلاحه و قد انكسر سيفى، فأعطاه عليه السلام سيفه ذا الفقار فما زال يدفع به عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال جبرئيل فى حقه و فى سيفه ما مرّ «١».

و قد اشار ابن هشام فى سيرته إلى العبارة التى نادى بها جبرئيل اذ قال:

و حدثنى بعض أهل العلم ان ابن أبى نجیح قال: نادى مناد يوم احد: لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على «٢».

(٢) كما عد ابن هشام فى سيرته «٣» القتلى من المشركين فى احد (٢٢) رجلا، و قد ذكر أسماءهم واحدا واحدا و ذكر قبائلهم، و غير ذلك من خصوصياتهم، و قد قتل منهم (١٢) رجلا بيد على عليه السلام، و قتل البقية بايدي المسلمين، و نحن نعرض هنا عن ذكر اسماء اولئك المقتولين رعاية للاختصار.

هذا و نحن نعترف بأننا لم نستطع بيان كل ما قام به على عليه السلام من خدمات كبرى فى هذه الصفحات القلائل على نحو ما جاء فى كتب الفريقين السنة و الشيعة و بخاصة فى موسوعة بحار الأنوار.

إن ما نستفيده من مطالعة الروايات و الأخبار الثابتة و المتعددة فى هذا المجال هو انه لم يثبت أحد فى معركة «احد» كما ثبت على عليه السلام «٤».

(٣) ٢- أبو دجانة، و هو البطل المسلم الثانى بعد الامام على عليه السلام فى الصمود، و التضحية، و البسالة و الفداء دفاعا عن حياة النبى الأكرم صلى الله عليه وآله.

فقد بلغ من حرصه على حياة النبى صلى الله عليه وآله و دفاعه عنه أن

(١) علل الشرائع: ص ٧، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٧١.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٠٠.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٢٧ و ١٢٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٨٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٣

جعل من نفسه ترسا يقى النبي صلى الله عليه وآله من سيوف الكفار و رماحهم، و سهامهم و أحجارهم، و قد وقعت سهام كثيرة في ظهره و لكنه ظل مترسا بجسمه دون النبي، و بذلك حافظ على حياته الشريفة «١».

(١) و قد جاء أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له يوم «احد» بعد ان فرّ و انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و حاصره الكفار من كل جانب يا أبا دجانة أ ما ترى قومك، قال: بلى، قال: «الحق بقومك و أنت في حل من بيعتي، أما عليّ فهو أنا و أنا هو».

فبكى أبو دجانة بكاء مرا و قال:

لا- و الله، لا- جعلت نفسي في حل من بيعتي إني بايعتك، فالي من أنصرف يا رسول الله الى زوجة تموت، أو ولد يموت، او دار تخرّب، او مال يفنى، أو أجل قد اقترب؟

فرّق له النبي صلى الله عليه وآله فلم يزل يقاتل حتى ائخنته الجراحة و هو في وجه و «عليّ» في وجه، فلما سقط احتمله على عليه السلام فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله فوضعه عنده فقال: يا رسول الله أوفيت ببيعتي؟ قال: سيد المرسلين ج ٢ ١٧٣ الدفاع الموفق أو النصر المجدد: ..... ص : ١٦٩ م «٢».

(٢) و قد ذكر في كتب التاريخ أشخاص آخرون كعاصم بن ثابت، و سهل بن حنيف، و طلحة بن عبيد الله، و غيرهم ممن يبلغ- حسب بعض الكتب- ٣٦ شخصا ادعى أنهم ثبتوا و لم يفروا، إلا أن ما هو مسلم به تاريخيا هو ثبات علي عليه السلام و أبي دجانة، و حمزة و امرأة تدعى أم عامر، و أما ثبات غير هؤلاء الأربعة فامر مظنون بل و مشكوك في بعضهم.

(٣) ٣- حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله صلى الله عليه وآله و كان من شجعان العرب و من المعروفين ببطولاته في الاسلام، و هو الذي أصرّ على أن

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٨٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٠٧ و ١٠٨ عن روضة الكافي: ص ٣١٨-٣٢٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٤

يخرج المسلمون من المدينة و يقاتلوا قريشا خارجها.

و لقد دأب حمزة على حماية رسول الله صلى الله عليه وآله من أذى المشركين و الوليين في اللحظات الخطيرة، و الظروف القاسية من بدء الدعوة المحمدية بمكة.

و قد ردّ على أبي جهل الذي كان قد أذى رسول الله صلى الله عليه وآله بشدة، و ضربه ضربه شج بها رأسه في جمع من قادة قريش و لم يجراً احد على مقابلته.

(١) لقد كان حمزة مسلما مجاهدا و بطلا فدائيا متفانيا في سبيل الاسلام، فهو الذي قتل «شيبه» و شيبه من كبار صناديد قريش و

ابطالها، في بدر كما قتل آخرين، و لم يهدف إلّا نصره الحق، و الفضيلة، و إقرار الحرية في حياة الشعوب و الامم. و لقد كانت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان تحقد عليه أشدّ الحقد، و قد عزمت على أن تنتقم من المسلمين لأبيها مهما كلف الثمن. فأمرت «وحشياً» و هو غلام حبشى لجبير بن مطعم الذى قتل هو الآخر عمه في بدر بأن يحقق غرضها، و أملها كيفما استطاع، و قالت له: لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزةً لأعطينك رضاك.

فقال وحشى لها: أمّا محمد فلا أقدر عليه، و أما على فوجدته رجلاً حذراً كثير الالتفات فلا أطعم فيه، و أما حمزة فاني أطعم فيه لأنه إذا غضب لم يبصر بين يديه.

(٢) يقول وحشى: و لما كان يوم احد كمنت لحمزة في أصل شجرة ليدنوا منى، و كان حمزة يومئذ قد أعلم بريشة نعامة في صدره، فوالله إنى لأنظر إليه يهدّ الناس بسيفه هدا ما يقوم له شىء، فهزرت حربتي - و كان ماهراً في رمى الحراب - حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه، ف وقعت في ثنته (و هى أسفل البطن) حتى خرجت من بين رجله، و ذهب لينوء نحوى، فغلب، و تركته و اياها حتى مات، ثم أتيت فأخذت حربتي ثم رجعت الى العسكر فقعدت فيه، و لم يكن لى بغيره حاجة، و انما قتلته لأعتق.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٥

(١) فلما قدمت الى مكة اعتقت ثم اقامت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وآله مكة هربت الى الطائف فمكثت بها. فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليسلموا تعيت على المذاهب، فقلت: ألحق بالشام أو اليمن، أو ببعض البلاد، فوالله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل: ويحك إنه و الله ما يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه، و تشهد شهادته.

فلما قال لى ذلك، خرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة، فلم يرعه إلّا بى قائماً على رأسه أتشهد بشهادة الحق، فلما رآنى قال: أو وحشى؟! قلت: نعم يا رسول الله.

قال: اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة، فحدثته بما جرى له معه، فلما فرغت من حديثى قال: ويحك! غيب عنى وجهك فلا أرينك. (٢) أجل هذه هى الروح النبوية الكبرى، و تلك هى سعة الصدر التى وهبها الله تعالى لنبىه صلى الله عليه وآله قائد الاسلام الأعلى، و معلم البشرية الاكبر، تراه عفى عن قاتل عمه، مع أنه كان فى مقدوره أن يعدمه بمائة حجة و حجة!!

يقول وحشى: فكنت أتكب رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كان لئلا يرانى، حتى قبضه الله صلى الله عليه وآله. فلما خرج المسلمون الى قتال مسيلمة الكذاب خرجت معهم، و أخذت حربتى التى قتلت بها حمزة، فلما التقى الناس رايت مسيلمة الكذاب قائماً فى يده السيف، و ما أعرفه، فتهيات له، و تهيتاً له رجل من الأنصار من الناحية الاخرى، كلانا يريد فهدرت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه، ف وقعت فيه، و شد عليه الأنصارى فضربه بالسيف.

هذا هو ما ادعاه وحشى، بيد أن هشام قال فى سيرته: بلغنى أن وحشياً لم يزل يحدّ فى الخمر حتى خلع من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليدع قاتل حمزة «١».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٧٢ و ٧٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٦

(١)

#### ٤ - أمّ عماره:

لا- ريب أن الجهاد الابتدائى مرفوع عن المرأة ساقط عنها فى نظر الاسلام، و لهذا عند ما أوفدت نساء المدينة امرأة الى رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِتَحَدَّثَ مَعَهُ حَوْلَ الْحَرَمَانِ مِنْ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْكُبْرَى، فَجَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَحْنُ نَقُومُ بِكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الرِّجَالُ فِي حَيَاتِهِمْ، لِيَجَاهِدُوا بِبَالِ فَارِغٍ، فَلَمْ حَرَمْنَا نَحْنُ مِنْ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ؟! فَأَجَابَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَائِلًا: «إِنَّ حَسْنَ التَّبَعْلِ يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ»، وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُشِيرُ إِلَى أَنْ لِهَذَا الْمَنْعِ أَسْبَابُهُ الطَّبِيعِيَّةُ وَالْوِظْفِيَّةُ فِي طَبِيعَةِ الْمَرْأَةِ وَخَلْقَتِهَا، وَلَيْسَ هُوَ بِالتَّالِيِ يَعْنِي حَرَامِنَهَا مِنْ شَيْءٍ فَانْ قِيَامُهَا عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ بِخِدْمَةِ زَوْجِهَا وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِهَا تَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ «١».

(٢) بَيِّنُ أَنْ بَعْضَ النِّسْوَةِ الْمُجَرَّبَاتِ رُبَّمَا كُنَّ يَخْرُجْنَ مِنَ الْمَدِينَةِ لِمُسَاعَدَةِ جُنُودِ الْإِسْلَامِ كَسَقَى الْعَطَاشَى، وَغَسَلَ ثِيَابَ الْمُقَاتِلِينَ، وَتَضْمِيدِ الْجُرْحَى. وَبِذَلِكَ كُنَّ يَقْدَمْنَ مِنْ خِدْمَةٍ مُؤَثَّرَةٍ فِي نَصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَدَعْمِهِمْ.

تَقُولُ أُمُّ عِمَارَةَ (نَسِيبَةُ الْمَازِنِيَّةُ): خَرَجْتُ أَوَّلَ النَّهَارِ إِلَى «أَحَدٍ» وَأَنَا أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ، وَمَعِيَ سِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، فَانْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ فِي الصَّحَابَةِ، وَالدَّوْلَةُ وَالرِّيْحُ لِلْمُسْلِمِينَ.

فَلَمَّا انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ انْحَزَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَجَعَلَتْ أَبَاشِرَ الْقِتَالِ وَأَذَبَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالسِّيفِ، وَأَرْمَى بِالْقَوْسِ حَتَّى خَلَصَتْ إِلَى الْجِرَاحِ.

(تَقُولُ رَاوِيَةٌ هَذَا الْكَلَامَ) فَرَأَيْتِ عَلَى عَاتِقِهَا جِرْحًا أَجُوفَ لَهُ غُورٌ، فَقُلْتُ:

يَا أُمَّ عِمَارَةَ مِنْ أَصَابِكَ بِهَذَا؟

(٣) قَالَتْ: أَقْبَلَ ابْنُ قَمِيئَةَ وَقَدْ وَلَّى النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، يَصِيحُ: دَلُونِي عَلَى

(١) اسد الغابة: ج ٥ ص ٣٩٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٧

مُحَمَّدٌ، لَا نَجُوتَ إِلَّا نَجَا. فَاعْتَرَضَ لَهُ مَصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ وَنَاسٌ مَعَهُ، فَكُنْتُ فِيهِمْ فَضْرَبْنِي هَذِهِ الضَّرْبَةَ، وَلَقَدْ ضَرَبْتَهُ عَلَى ذَاكَ ضَرْبَاتٍ، وَلَكِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ كَانَ عَلَيْهِ دَرْعَانِ. هَذَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَنْظُرُ إِلَيَّ، فَظَنَرْتُ إِلَى جِرْحِ عَاتِقِي، فَصَاحَ بِأَحَدِ أَوْلَادِي وَقَالَ: «أَمَّاكَ أَمَّاكَ اعْصَبْ جِرْحَهَا». فَعَاوَنَنِي عَلَيْهِ.

(١) ثُمَّ إِنَّهَا رَأَتْ أَنَّ ابْنَهَا جَرِحَ فَاقْبَلَتْ إِلَيْهِ وَمَعَهَا عَصَابٌ فِي حَقْوِيهَا قَدْ أَعَدَّتْهَا لِلْجِرَاحِ فَرَبَطَتْ جِرْحَهُ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَنْظُرُ، ثُمَّ قَالَتْ لَوْلَدِهَا: انْهَضْ يَا بَنِي فَضَارِبِ الْقَوْمِ.

فَأَعْجَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِاسْتِقَامَتِهَا وَثَبَاتِهَا وَإِيمَانِهَا وَقَالَ:

«وَمَنْ يَطْبِقُ مَا تَطْبِقِينَ يَا أُمَّ عِمَارَةَ؟!»

وَفِي الْأَثْنَاءِ أَقْبَلَ الرَّجُلَ الَّذِي ضَرَبَ وَلَدَهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَذَا ضَارِبُ ابْنِكَ فَاعْتَرَضْتُ لَهُ، وَحَمَلْتُ عَلَيْهِ كَالْأَسَدِ الْمَغْضُوبِ وَضَرَبْتُ سَاقَهُ فَبَرَكَ.

فَازْدَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِعْجَابًا بِشَجَاعَتِهَا وَتَبَسَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَقَالَ:

«اسْتَقَدْتُ يَا أُمَّ عِمَارَةَ الْحَمْدَ لِلَّهِ الَّذِي ظَفَّرَكَ وَأَقَرَّ عَيْنَكَ مِنْ عَدُوِّكَ».

(٢) وَعِنْدَ مَا نَادَى مَنَادَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ، بَعْدَ مَعْرَكَةِ أَحَدٍ، وَطَلَبَ مِنَ الْجُرْحَى أَنْ يَخْرُجُوا لِمَلاحِقِهِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ، شَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا وَقَدْ كَانَ بِهَا جِرَاحٌ عَدِيدَةٌ أَعْظَمُهَا الْجِرَاحُ الَّذِي عَلَى عَاتِقِهَا فَمَا اسْتَطَاعَتْ بِسَبَبِ نَزْفِ الدَّمِ، فَارَادَتْ أَنْ تَخْرُجَ مَعَ الْعَسْكَرِ مَنَعْتَهَا جِرَاحُهَا الْبَاهِضَةُ مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ غَزْوَةِ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ مَا وَصَلَ إِلَى بَيْتِهِ حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبِ الْمَازِنِيِّ يَسْأَلُ عَنْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهِ يَخْبِرُهُ بِسَلَامَتِهَا، فَسَرَّ النَّبِيُّ بِذَلِكَ.

(٣) وَلَقَدْ أَثَارَ مَوْقِفَ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الْبَطْلَةَ الثَّابِتَةَ عَلَى دَرَبِ الْإِيمَانِ سُرُورَ النَّبِيِّ وَاعْجَابَهُ فَقَالَ فِي حَقِّهَا مَشِيدًا بِمَوْقِفِهَا الْبَطْلِ وَمَعْرَضًا



بفرار من قز و هروب من هرب في معركة احد:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٨

«لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من فلان و فلان».

و كانت نسيبة قد طلبت من النبي صلى الله عليه وآله يوم احد بعد أن أشاد النبي صلى الله عليه وآله بصلابتها و مواقفها أن يدعو لها بمرافقتها في الجنة فقال النبي صلى الله عليه وآله داعيا لها و لأهل بيتها:

«بارك الله عليكم من أهل بيت رحمكم الله. اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة».

(١) و قال ابن أبي الحديد معلقا على عبارة رسول الله صلى الله عليه وآله: «لمقام نسيبة اليوم خير من مقام فلان و فلان» قلت: ليت الراوى لم يكن هذا الكناية، و كان يذكر من هما بأسمائهما حتى لا يرمى الظنون إلى امور مشتبهة، و من أمانة الحديث أن يذكر الحديث على وجهه و لا يكتم منه شيئا فما باله كتم اسم هذين الرجلين «١».

و لكننا نعتقد أن الرجلين هما من الشخصيات التي تسنمت مراكز القيادة العليا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله و قد أحجم الراوى عن التصريح بأسمائهما إما احتراما أو تقيّة و خوفا.

(٢)

### بقية واقعة «احد»:

لقد آلت تضحيات ثلثة قليلة و معدودة من رجال الاسلام المتفانين و بسالتهم الى الابقاء على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله و حفظها من الخطر القطعى الحتمى.

و من حسن الحظ أن أكثر أفراد العدو قد تصوروا يومئذ أن النبي صلى الله عليه وآله قد قتل، و مضوا يفتشون عن جسده بين القتلى، و دفعت الحملات التي كان يقوم بها أقلية من المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله قد ردت على

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ١٤ ص ٢٦٥-٢٦٧، المغازى: ج ١ ص ٢٦٩ و ٢٧٠، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٣٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٧٩

اعقابها بفضل ثبات على عليه السلام و أبى دجانه و أنفار آخرين (احتمالا) و قد رأى النبي صلى الله عليه وآله أن من الصالح فى تلك اللحظات أن لا ينتشر تكذيب شائعة مقتل النبي صلى الله عليه وآله لكى لا يصير العدو على البقاء فى أرض المعركة مع ما كان عليه المسلمون من التشتت و التفرق، و المحنة، و من هنا صعد هو و بعض أصحابه إلى الشعب فى جبل احد.

(١) و فى خلال ذلك سقط رسول الله صلى الله عليه وآله فى حفيرة فى الجبل حفرها أبو عمار الفاسق للمسلمين، فأخذ على عليه السلام بيد النبي صلى الله عليه وآله و أخرجه منها، و كان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وآله من المسلمين، «كعب بن مالك» و قد رأى عينيه صلى الله عليه وآله و آله تزهرا من تحت المغفر فنادى بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أن نصت.

و ذلك لأن انتشار خبر سلامة النبي صلى الله عليه وآله كان من شأنه أن يدفع المشركين - كما قلنا- الى مواصلة حملاتهم على المسلمين، بهدف استئصال شأفتهم و لهذا أمر النبي صلى الله عليه وآله و آله كعبا بالسكوت، فسكت كعب.

و أخيرا وصل رسول الله صلى الله عليه وآله الى فم الشعب، و لما عرف المسلمون بحياته صلى الله عليه وآله سروا بذلك و أخذوا يتجمعون عنده، و هم يظهرون الندامة من تركه بين الاعداء، و الفرار بأنفسهم الى الجبل، و أخرج أبو عبيدة الجراح حلقتى المغفر من وجه رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و جاء على عليه السلام بماء فى درقته فغسل رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و جاء على عليه



السلام بماء في درقته فغسل رسول الله صلى الله عليه وآله به الدم عن وجهه و صب منه على رأسه و قال:  
«اشتد غضب الله على من دمى وجه نبيه» (١).

(٢)

### العدو يحاول استغلال الفرصة:

في الوقت الذي واجه المسلمون فيه هزيمة كبرى انهارت بها الكثير من

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٨٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٠

المعنويات اغتتم العدو الفرصة للترويج عن معتقداته، فأطلق شعارات متعددة ضد عقيدة التوحيد، كان من شأنها أن تغرى البسطاء، و الضعفاء في الايمان و تؤثر فيهم، و تزلزل إيمانهم. فليست هناك حالة لبث العقائد و تسريبها إلى النفوس أفضل من حالة الانهزام و النكسة، و البلاء و المصيبة، ففي حالة كهذه يبلغ الضعف النفسى لدى المصاب و المنكوب حدًا يفقد معه العقل سيطرته على الانسان بحيث يفقد على أثر ذلك قدرة التمييز بين الحق و الباطل و في هذه الصورة تصبح مسألة بثّ الدعايات السيئة و زرعها في النفوس و استثمارها مسألة بسيطة، اذ يكون الانسان في هذه الحالة أكثر تقبلا و أيسر قبولاً.

من هنا عمد أبو سفيان و عكرمة فرفعوا أصناما كبيرة على الايدي بعد الحاق الهزيمة بالمسلمين، و أظهروا الفرح و السرور و أخذوا ينادون بأعلى أصواتهم - مستغلين هذه الفرصة - «اعل هبل، اعل هبل»!!

(١) و يعنون بذلك الشعار أن الانتصار الذي أحرزه المشركون إنما هو بفضل الصنم: هبل، و بالتالى بفضل الوثنية التي تدين بها أهل مكة. و لو كان ثمة إله سواه، و كانت عقيدة التوحيد على حق لانتصر المسلمون، و لما خلس إليهم من المحنة ما خلس فادرك رسول الله صلى الله عليه وآله عمق الخطر الذي يكمن في الاسلوب الذي أخذ العدو يمارسه في مثل هذه اللحظة الحساسة، و ما سيطرته ذلك من أثر سيئ في النفوس، و بخاصة الضعيفة منها. و لهذا تناسى كل أوجاعه و مصاعبه و أمر عليًا و المسلمين فوراً بأن يجيبوا منادى الشرك بشعار مضاد قوى، فقال:

قولوا:

«الله أعلى و اجلّ، الله اعلى و اجلّ».

أى انّ هذه الهزيمة ليست نابعة من عقيدة التوحيد، بل هي ناشئة من انحراف بعض الجنود عن أوامر القائد و تعليماته العسكرية الحكيمة.

و بيد أن أبو سفيان لم يكف عن اطلاق شعاراته، و المضى في الدعاية لمعتقده الباطل فقال: نحن لنا العزى و لا عزى لكم!!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨١

(١) فأمر النبي صلى الله عليه وآله بأن ينادى المسلمون بشعار مضاد لشعار أبي سفيان، مشابه له في الوزن و السجع فقال: قولوا:  
«الله مولانا و لا مولى لكم».

أى اذا كنتم تعتمدون على صنم مصنوع من الحجر و الخشب، فاننا نعلم على الله الخالق، القادر و العلى الاعلى.

فنادى منادى الشرك ثالثاً: يوم بيوم بدر. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بان يجيبه المسلمون.

«لا سواء قتالنا في الجنة، و قتالكم في النار».

فكان لشعارات المسلمين القوية الرادعة التي كان يرددها المئات، أثرها العجيب في نفس رأس الشرك أبي سفيان الذي بدأ هذه

الحملة النفسية و الحرب الباردة بغية تحطيم ايمان المسلمين، و رأى كيف ارتد كيده إلى نحره و لهذا انزعج بشدة و قال: ألا إن موعدكم بدر للعام القابل.

ثم انصرف إلى أصحابه، و غادروا جميعاً أرض المعركة راجعين إلى مكة «١».

و كان على المسلمين الآن- و فيهم مئات الجرحى و المصابين و سبعون قتيلًا- أن يصلوا الظهر و العصر فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه و آله جلوساً، و صلوا معه جلوساً، لما أصابهم من الضعف، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه و آله بدفن الشهداء، و مواراتهم الثرى عند جبل احد.

(٢)

### نهاية المعركة:

وضعت الحرب أوزارها، و تباعد الجانبان، و قد تحمّل المسلمون من الخسائر فى الارواح ثلاثة أضعاف ما تحمّله المشركون. و كان عليهم أن يبادروا إلى دفن الشهداء على النحو الذى أمرهم به الدين. و لكنهم فوجئوا بأمر فضيع، فقد اغتتمت نسوة من قريش و فى طبيعتهن هند

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٢

زوجة ابى سفيان فرصة انشغال المقاتلين المسلمين و ارتكبن بحق الشهداء الابرار، جناية فظيعة لم يعرف لها تاريخ البشرية مثيلاً، فهن لم يكتفين بالانتصار الظاهرى بل عمدن إلى التمثيل بشهداء المسلمين، تمثيلاً مروعا فخمشن وجوههم، و قطعن الأنوف، و جدعن الاذان، و سملن العيون، و قطعن أصابع الأيدي و الأرجل، و المذاكير، و صنعن منها القلائد و الاساور، نكايه بالمسلمين، و اطفاء للحقد الدفين، و بذلك الحقن بهنّ و بأوليائهنّ عارا لا ينسى.

(١) فان جميع الامم و الشعوب- متفقاً على أن الميت الذى لا يستطيع دفاعاً عن نفسه، و لا يتوقع منه ضرر يجب احترامه، و يحرم اهانتة و ان كان عدواً. و لكن هنداً زوجة أبى سفيان و من كان برفقتها من نساء المشركين مثلن بأجساد القتلى شر تمثيل، و صنعن مما قطعن منها الاساور و القلائد، و بقرت «هند» بالذات صدر حمزة بطل الاسلام الفدائى، و أخرجت كبده، و لاكتته بين أسنانها و لكنها لفظته و لم تستطع أكله.

و قد بلغ هذا العمل من القبح، و السوء أن تبرأ منه أبو سفيان و قال: «فى قتلاكم مثله لم أمر بها» «١».

و قد عرفت هند بسبب فعلتها الشنيعة هذه بأكله الاكباد، و دعى أبناؤها فى ما بعد بنى آكله الاكباد.

و لما أبصر رسول الله صلى الله عليه و آله حمزة بن عبد المطلب، ببطن الوادى و قد بقر بطنه عن كبده، و مثل به فجدع أنفه و اذناه، حزن حزناً شديداً و غاضه تمثيلهم به فقال:

«ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ إلى من هذا».

(٢) ثم إن المؤرّخين يتفقون على أن المسلمين تعاهدوا فى ذلك الموقف (و ربما نسب هذا إلى النبى نفسه) لئن أظفرهم الله بالمشركين يوماً أن يمثّلوا بهم مثله لم يمثّلها أحد من العرب أو يمثّلوا بدل الواحد ثلاثين.

(١) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٢٤٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٣

و لم يمض زمان حتى نزل جبرئيل بقوله تعالى:

«وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» (١).

(١) ولقد كشف الاسلام مرة اخرى و من خلال هذه الآية- التي تتضمن أصلا اسلاميا في مجال القضاء مسلما به- عن وجهه الانساني العاطفي، و أظهر للجميع بأن الدين الاسلامي ليس شريعة انتقام، و ثار، فهو يعلم أتباعه بأن لا يغفلوا في أشد اللحظات و الحالات النفسية هياجا و غضبا عن قانون العدالة، و الحق، و بهذا يكون الاسلام قد راعى مبادئ العدالة و الانصاف على الدوام، و صانها من الانهيار، و السقوط.

و لقد أصرت صفيّة أخت حمزة أن ترى جثمان أخيها، إلا أن النبي صلى الله عليه وآله أمر ابنها الزبير أن يحبسها و يصرفها عن ذلك لكي لا ترى ما بأخيها فلا تحتل الصدمة.

فقلت صفيّة: قد بلغني أن قد مثل بأخي و ذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لاحتسبن و لأصبرن إن شاء الله.

فأخبر الزبير رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بمقاتلتها فقال صلى الله عليه وآله: خَلَّ سبيلها، فأنته، فنظرت إليه فصلت عليه، و استرجعت، و استغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله فدفن (٢).

(٢) حقا أن قوة الإيمان أعظم القوى، فهي تحبس الانسان و تحفظه في أصعب الحالات، و تفيض على صاحبه حالة من السكينة و الوقار.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى على شهداء أحد الأبرار، و أمر بدفنهم واحدا واحدا أو اثنين اثنين، و أمر بأن يدفن «عمرو بن الجموح» و «عبد الله بن عمرو» في قبر واحد.

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٤.

قائلا:

«ادفنوا هذين المتحايين في قبر واحد» (١).

(١)

### آخر ما نطق به سعد بن الربيع:

كان سعد بن الربيع من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله الأوفياء، و كان رجلا مؤمنا مخلصا، عظيم الوفاء و الحب لرسول الله صلى الله عليه وآله، و قد أصيب في «أحد» اثنتا عشرة اصابة قاضية فسقط على الأرض.

فمرّ عليه رجل يدعى مالك بن الدخشم فقال له: أ ما علمت أن محمدا قد قتل؟ فقال سعد: اشهد أن محمدا قد بلغ رسالة ربه، فقاتل أنت عن دينك فان الله حي لا يموت (٢).

ثم إنه قد مرّ عليه رجل من الانصار و هو في هذه الحال و بعد أن وضعت الحرب أوزارها فقال لسعد: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني أن أنظر أ في الاحياء أنت أم في الأموات؟ فقال سعد: أنا في الأموات فابلق رسول الله صلى الله عليه وآله عني السلام، و قل له: إن سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جرى نبيا عن امته و أبلغ قومك عني السلام، و قل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خالص الي نبيكم صلى الله عليه وآله و منكم عين تطرف.

ثم لم يبرح ذلك الانصاري حتى قضى سعد بن الربيع نجه، فجاء الأنصاري الى رسول الله صلى الله عليه وآله و أخبره بما قال. فقال

رسول الله صلى الله عليه وآله:

«رحم الله سعدا نصرنا حيا و اوصى بنا ميتا» (٣).

(٢) إنَّ حَبَّ الانسان لنفسه، أو ما يصطلح عليه العلماء بحَبِّ الذات من الغرائز

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٨، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٣١.

(٢) و (٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٥، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٥

القوية المتأصلة في كيان الانسان بحيث لا يمكن لأى أحد أن يغفل عنها مهما كانت الظروف و هي بالتالى من القوة و الهيمنة على وجود الانسان بحيث يضخى في سبيلها بكل شىء.

ولكن قوة الايمان و حبَّ الانسان للعقيدة، و تعشقه للمعنويات أقوى و أشدَّ تأثيرا من ذلك، فهذا الجندى الشجاع لم يكن بين- حسب ما تفيده النصوص التاريخية- و بين الموت فى ذلك الوقت سوى لحظات، و مع ذلك نجده ينسى نفسه، و يفكر فى حياة رسول الله صلى الله عليه و آله الذى كان يعتبره أقوى سبب لبقاء الدين، و دوام الشريعة، و هذا هو الهدف المقدس الذى قاتل من أجله سعد البطل، و لهذا لا يحمل ذلك الرجل الأنصارى سوى رسالة واحدة إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله يحثهم فيها على السهر على حياة النبى صلى الله عليه و آله و العمل معه على تحقيق أهدافه، فى ارساء دعائم التوحيد.

(١)

### النبى يعود الى المدينة:

كانت الشمس تميل نحو المغرب و كانت تستعد للملئة أشعتها الذهبية من صفحة الكون، و كان السكون و الصمت يخيم على كل مكان من الأرض.

فى مثل هذه اللحظات كان على المسلمين المقاتلين أن يعودوا بجراحهم الى منازلهم فى المدينة ليستعيدوا قواهم، و يجددوا نشاطهم، و يضمّدوا جراحهم.

و لهذا صدرت أوامر من جانب النبى صلى الله عليه و آله بالتوجه نحو المدينة.

فلما كانوا بأصل الحرّة قال صلى الله عليه و آله: اصطفوا فثنى على الله، فاصطف الرجال صفيين خلفهم النساء ثم دعا فقال:

اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، و لا باسط لما قبضت، و لا مانع لما أعطيت و لا معطى لما منعت و لا هادى لمن اضللت و لا مضلّ لمن هديت، و لا مقرب باعدت و لا مباعد لما قربت.

اللهم انى أسألك من بركتك، و رحمتك و فضلك و عافيتك.

اللهم انى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول و لا يزول.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٦

اللهم انى أسألك الأمن يوم الخوف و الغنى يوم الفاقة عائذا بك.

اللهم من شرّ ما أنطيتنا و شرّ ما منعت منا.

اللهم توفنا مسلمين.

اللهم حبب إلينا الايمان، و زينّه فى قلوبنا، و كرّه إلينا الكفر و الفسوق و العصيان، و اجعلنا من الراشدين.

اللهم عذب كفرة أهل الكتاب الذين يكذبون رسولك و يصدّون عن سبيلك.

اللهم أنزل عليهم رجسك و عذابك إله الحق. آمين «١».

وقد كان هذا العمل خطوة مهمة جدا من الناحية النفسية فقد أمد هذا الدعاء نفوس المسلمين المصابين بطاقة روحية ضخمة مما كان من شأنه تخفيف وطأة الهزيمة و تقوية عزائم المسلمين، كما علمهم أن يلجئوا إلى الله تعالى في كل حال. فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله و معه أصحابه من الانصار و المهاجرين الذين شاركوا في تلك المعركة المدينة. و كانت أكثر بيوت المدينة قد تحوّلت الى مناجات و مآتم، يرتفع منها أصوات بكاء الامهات و الازواج و البنات اللاتي أصبن في رجاليهنّ و أولياتهنّ، و آبائهنّ.

(١) و لما مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله على منازل بنى عبد الاشهل و سمع ندبة النساء، و بكاءهنّ حزن و انحدرت دموعه على خديه و قال:

«لكنّ حمزة لا بواكى له» «٢».

فلما عرف سعد بن معاذ و اسيد بن حضير بذلك أمرا جماعه من نسائهم بأن يذهبن فيسكين على عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله. فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بكاءهنّ على حمزة خرج عليهنّ و هنّ على باب مسجده يبكين عليه فقال:

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٦٢ و ١٦٣.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٧.

«ارجعن يرحمك الله فقد آسيتنّ بأنفسكنّ».

وقيل لما سمع صلى الله عليه وآله بكاءهنّ قال:

«رحم الله الأنصار، فإنّ المواساة منهم ما علمت لقديمة .. مروهنّ فلينصرفن» «١».

(١)

### ذكريات مثيرة عن امرأة مؤمنة:

إن للنسوة المؤمنات صفحات مشرقة، و عجيبة في تاريخ الاسلام، لأننا قلما نجد لها نظيرا في عالم المرأة اليوم. و من تلك النسوة المؤمنات ذوات المواقف الرائعة و العجيبة في صدر الاسلام المرأة الدينارية، التي اصيب زوجها و أخوها و أبوها مع رسول الله صلى الله عليه وآله باحد.

فأنها لما نعوا لها مصرع رجالها قالت: فما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قالوا: خيرا يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟

فاشير لها إليه حتى إذا رآته قالت: كل مصيبة بعدك جليل (اي صغيرة) «٢».

ما أعظم تلك الاستقامة، و ما أعظم ذلك الايمان الذي يجعل من الانسان طودا راسخا ثابتا في وجه العواصف و الاعاصير.

(٢)

### نموذج آخر من النسوة المجاهدات:

لقد أشرنا في الصفحات الماضية بصورة إجمالية إلى قضية «عمرو بن الجموح» الذي آلى على نفسه أن يشارك في الجهاد مع ما كان به من العرج

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٩، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٦٣ و ١٦٤.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٨

الموجب لسقوط الجهاد كما عرفت.

فقد شارك هذا المسلم الصادق و المؤمن المجاهد في معركة احد، و مضى يقاتل في الصف الاول من المجاهدين، و شارك ابنه «خلّام بن عمرو بن الجموح» و أخو زوجته «عبد الله بن عمرو» «١» في هذا الجهاد المقدس، و استشهدوا جميعا في تلك المعركة أيضا.

(١) فخرجت «هند» زوجته و هي بنت عمرو بن حزام، عمه جابر بن عبد الله الأنصاري الى «احد» و حملت أجسادهم على بعير و توجهت بها نحو المدينة، بمنتهى الجلادة، و رباطه الجأشى.

و عند ما فشى في المدينة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قتل باحد خرجت النسوة، يتأكدن من هذا النبأ، فالتقت هند ببعض نساء النبي صلى الله عليه وآله - و هي عائدة من احد- فسألتهن عن النبي صلى الله عليه وآله فقالت: خيرا، أما رسول الله فصالح، و كل مصيبة بعده جليل، و اتخذ الله من المؤمنين شهداء، و قرأت قول الله تعالى: «وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا...!!»

(٢) فسألوا: من هؤلاء؟

قالت: أختي، و ابني خلّام، و زوجي عمرو بن الجموح!!

فقلن لها: فأين تذهين بهم؟

قالت: إلى المدينة اقبرهم بها .. ثم زجرت بعيرها تحته على السير قائلة:

حل .. حل في نبرة صامدة.

و مرة اخرى يظهر في هذه الصفحة الناصعة من تاريخ الاسلام نموذج حي آخر من مشاهد الثبات و الصمود، و الاستقامة، و تجاوز المصائب، و تحمّل الآلام و الشدائد في سبيل الهدف المقدس، و كل ذلك من فعل الايمان، و نتائجه.

إن المذاهب المادية لا و لن تستطيع تربية أمثال هذه النسوة و الرجال المتفانين في سبيل العقيدة، يمثل هذا التفانى العظيم.

(١) و هو عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام الأنصاري.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٨٩

على أن هؤلاء لم يقاتلوا من أجل المآرب المادية، و انما قاتلوا من أجل الهدف، و هو إعلاء كلمة الدين و اقامة صرح التوحيد، و محو الوثنية و الشرك.

(١) هذا و في بقية هذه القصة ما هو أعجب من اولها، و هو أمر، لا يمكن أن يدرك بالمقاييس المادية، و الأسس التي ينطلق منها أصحاب الاتجاه المادي في تحليل القضايا التاريخية. و انما يهضمها - فقط - من يؤمن بعالم آخر وراء العالم الماديّ الصرف، و يصدّق بتأثيره في هذا العالم، و بالتالي لا يقبل بها إلّا من يصدّق بقضية الإعجاز و المعجزة، و يدعن لها و يعترف بصحتها من غير تلكؤ و ابطاء.

و إليك هذه البقية:

لما زجرت هند بعيرها لتدخل به المدينة برك البعير في مكانه.

فقلت النسوة التي كنّ هناك: لعلّه برك لما عليه.

فقلت هند: ما ذاك به، لربما حمل ما يحمل البعيران، و لكنّي أراه لغير ذلك.

فزجرت ثانيه، فقام، فلما وجّهت به إلى المدينة برك، فوجهته راجعاً إلى احد فاسرع.

فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته بذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: فأنّ الجمل مأمور. هل قال (يعنى: عمرو

بن الجموح) شيئاً؟

(٢) قالت: إنّ عمراً لما وجه إلى احد استقبال القبلة، وقال: اللهم لا تردني إلى أهلى خزيًا، و ارزقني الشهادة!!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فلذلك الجمل لا يمضى. إنّ منكم يا معشر الأنصار من لو أقسم على الله لأبره، منهم عمرو بن

الجموح، يا هند ما زالت الملائكة مظلّة على أخيك من لدن قتل إلى الساعة ينظرون أين يدفن»، ثم مكث رسول الله صلى الله عليه وآله

آله حتى قبرهم، ثم قال: «يا هند قد تراقفوا في الجنّة جميعاً، عمرو بن الجموح، و ابنك خلاد، و أخوك عبد الله».

قالت هند: يا رسول الله فادع لى عسى أن يجعلنى معهم «١».

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٤٦-١٤٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٠

(١) ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله دخل بيته فلما أبصرت به بنته العزيزة «فاطمة» و رأت ما أصابه من الجراح ذرفت عيناها

بالدموع، فأعطى رسول الله سيفه لابنته (الزهراء) حتى تغسله.

و قال الاربلى المؤرخ الشيعى المعروف الذى كان يعيش فى القرن السابع الهجرى: كان على يجىء بالماء فى ترسه، و فاطمة تغسل

الدم و أخذ حصيرا فاحرقه وحشى به جرحه «١».

و فى الامتاع لما رأت فاطمة الدم لا يرقأ- و هى تغسله و على يصب الماء عليها بالمجّج- أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا

ثم الصقته بالجرح فاستمسك الدم و يقال: داوته بصوفة محترقة «٢».

(٢)

### لا بدّ من ملاحقة العدو:

لقد كانت الليلة التى استقرّ فيها المسلمون فى منازلهم بالمدينة بعد يوم احد ليلة جدّا خطيرة و حساسة.

فالمنافقون و اليهود و أتباع عبد الله بن أبى قد سرّوا لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه سرورا كبيرا، و أظهروا القول

السيئ، و قالوا: ما اصيب نبي هكذا قط.

و كان أنين الجرحى و المكولمين و بكاء الموتورين فى رجالهم و نياحهم يسمع من أكثر بيوت المدينة.

و الأخطر من كلّ هذا هو التحوّف من أن يقوم المنافقون و اليهود بعملية خيانية ضد الاسلام و المسلمين فى تلك الظروف.

أو أن يعرضوا وضع العاصمة الاسلامية الثابت، و الوحدة السياسية القائمة فى المدينة للخطر بايجاد الاختلاف و التشتت على الاقل.

إن ضرر الاختلافات الداخلىة أشد بكثير من حملات العدو الخارجى، و ان

(١) كشف الغمة: ج ١ ص ١٨٩.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩١

انهيار الوحدة و الانسجام فى الجبهة الداخلىة أخطر بكثير من تعرّض البلاد لهجوم من الخارج.

(١) من هنا كان يتعين على النبىّ صلى الله عليه وآله أن يهرب العدو الداخلى، و يفهمه بأن قوى التوحيد لم تفقد انسجامها و تماسكها و انّ أئمة خطوة أو نشاط معاد يهدّد أساس الاسلام للخطر سيسحق بشدة فى اللحظة الأولى.

و لهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأن يخرج فى نفس الليلة لملاحقة العدو (أى مشركى مكة).

فكلف النبىّ صلى الله عليه وآله رجلا بأن ينادى فى كل مناطق المدينة:

«ألا عصابة تشدّد لأمر الله تطلب عدوّها، فإنها أنكأ للعدوّ و أبعد للسمع.

ألا لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالامس».

أو قال: «يا معشر المهاجرين و الأنصار من كانت به جراحة فليخرج، و من لم يكن به جراحة فليقم».

و انما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله كما أسلفنا ليرهب العدو و ليبلغهم أنه خارج فى طلبهم فيظنوا به قوّة، و أن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم (١).

(٢) على أن لهذا التقييد، و لهذا النهى عن خروج غير الجرحى، أو من لم يشترك فى احد، عللا- أو حكما لا- تخفى على العارفين بالسياسة، و الرموز العسكرية.

و يمكن الاشارة الى بعضها:

(٣) أولا: انّ هذا التحديد، و بالتالى الاقتصار على من شارك فى معركة احد هو نوع من التعريض بمن امتنع من المشاركة فى تلك المعركة، و فى الحقيقة هو نوع من تجريدهم من صلاحية المشاركة فى الدفاع المقدّس.

(٤) ثانيا: انّ هذا التحديد هو نوع من عقاب المشاركين فى معركة احد، لأنّهم بتجاهلهم لتعاليم القيادة، و انصرافهم بسرعة الى المطامع المادية، و الغفلة عن ملاحقة العدو فى حينه تسببوا فى توجيه تلكم الضربة النكراء الى الاسلام،

(١) مجمع البيان للطبرسى: ج ٢ ص ٥٣٥-٥٤١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٢

و لذلك يجب عليهم انفسهم ملافاة تلك الخسارة، و ترميم ذلك العطب، لكيلا يعودوا الى مثل ذلك، و لا يتجاهلوا أوامر القيادة، و نحن نعلم أن الانضباطية و التقيد الكامل بالواوامر هو أهم عنصر فى نجاح الامور العسكرية (١).

بلغ نداء مؤذن النبىّ صلى الله عليه وآله مسامع شاب من بنى الاشهل كان قد شهد احدا مع رسول الله، فخرج هو و أخوه و هما جريحان مع رسول الله لطلب العدو، و قد قال أحدهما للآخر: أفتوتنا غزوة مع رسول الله.

و قد خرجا دون أن تكون لهما دابة يركبانها و كلاهما مصابان بجروح ثقيلة، فكان الأيسر منهما يحمل الآخر مسافة، فاذا تعب مشيا مسافة، ثم عاد الى حمله حتى انتهيا الى ما انتهى إليه المسلمون (٢).

(١)

### حمراء الأسد «٣»:

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه الى حمراء الاسد (و هى تبعد عن المدينة بثمانية أميال) و قد استخلف على المدينة «ابن أم مكتوم».

و هناك مرّ به «معبد بن أبى معبد الخزاعى» رئيس بنى خزاعة، و كانت خزاعة مسلمهم و مشركهم يومذاك ذات علاقات طيبة جدا



مع رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين و كانوا لا يخفون عن النبي شيئا.

فتقدم معبد رئيسهم وعزى رسول الله صلى الله عليه وآله بما أصابه، وهو يومئذ مشرك قائلا: يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك، ولوددنا أن الله عفاك فيهم.

ثم خرج معبد حتى لقي أبا سفيان ومن معه بمنطقه تدعى بالروحاء وقد

(١) كلا- هذين الوجهين يستقيمان إذا قلنا بان النبي خرج بكل من شارك في احد لا أنه اقتصر على الجرحى، كما تصرح به بعض النصوص التاريخية.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٦٨، السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٠١.

(٣) لقد عدّ البعض خروج رسول الله صلى الله عليه وآله الى حمراء الاسد لملاحقة العدو غزوة مستقلة، وذكرها البعض الآخر في ذيل معركة احد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٣

عزموا على الرجوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه للكره عليهم، واستئصالهم، والقضاء عليهم بالمره.

فلما رأى أبو سفيان معبدا (و كان معبد قد استهدف من خروجه الى أبي سفيان و جماعة المشركين القيام بخدمة لصالح النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه) قال: ما وراءك يا معبد، وما ذا عندك من الاخبار؟

(١) فقال معبد:- وهو يريد إرعاب قريش و صرفهم عن الرجوع الى المدينة- محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم ار مثله قط، يتحزقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، و ندموا على ما صنعوا، فيهم من الحق و شدة الغيظ عليكم شيء لم ار مثله قط!!

فقال أبو سفيان:- وقد أربع بشدة من هذا النبأ- ويحك ما ذا تقول؟

قال معبد: و الله ما أرى ان ترتحل حتى أرى نواصي الخيل.

قال أبو سفيان: فوالله لقد أجمعنا الكره عليهم لنستأصل بقيتهم!

قال معبد: فاني أنهاك عن ذلك.

وقد تركت كلمات معبد، و وصفه لقوة المسلمين و عزمهم الشديد على توجيه ضربه الى الكفار أثرها في نفس أبي سفيان الذي تملكه خوف شديد، دعاه إلى الانصراف عن الرجوع الى المدينة ثانية، و العزم على القبول الى مكة «١».

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه حتى عسكروا ليلا بحمراء الاسد، فامر بأن يوقد المسلمون النيران فأوقدوا خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد، و ذهب صوت معسكرهم و نيرانهم في كل وجه، و تصور العدو أن النبي جاءهم في جيش عظيم، فتشاوروا حول الرجوع الى المدينة فنهاهم صفوان عن ذلك، فانصرفوا «٢».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٠٢، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٦٩ و ١٧٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٤

(١)

هذا هو معنى قول النبي الاكرم صلى الله عليه وآله:

«المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين».

ولقد قاله رسول الله صلى الله عليه وآله عند ما أشير المسلمون أبو عزة الجمحي في طريق عودتهم من حمراء الاسد على نحو الصدفة، وأراد النبي ضرب عنقه فاستقال رسول الله صلى الله عليه وآله وطلب منه العفو وكان قد أسر ببدر قبل ذلك، ثم من عليه النبي وأطلق سراحه مشروطا عليه أن يكف عن المؤامرة ضد النبي والمشاركة في قتاله، ولكنه عاد الى مكة، وشارك في قتال النبي مرة اخرى في احد.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله، لما طلب العفو ثانية:

«والله لا تمسح عارضيك بمكة بعدها و تقول: خدعت محمدا مرتين، إن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين».

ثم أمر بضرب عنقه، وضرب عنقه «١».

(٢) وأخيرا انتهت معركة احد وقد قدم المسلمون فيها سبعين، أو اربعة و سبعين، أو واحدا و ثمانين شهيدا على روايات مختلفة، بينما لم يتجاوز عدد قتلى قريش اثنين و عشرين.

وقد نشأت هذه النكسة المرة بسبب تجاهل الرماة لتعليمات الرسول القائد على النحو الذي قرأت.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٠٤، نلفت نظر القارئ الكريم الى أننا قد ذكرنا في الهوامش مصادر أهم الحوادث في معركة احد و في إمكان القارئ الكريم لو أراد التوسع ان يراجع المصادر التالية التي اعتمد عليها المؤلف: و هي: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢ ص ٣٦-٤٩، المغازي: ج ١ ص ١٩٩-٣٤٠، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ١٤ ص ١٤-٢١٨ و ج ٥ ص ٦٠، و بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ١٤-١٤٦، و امتاع الاسماع: ج ١ ص ١١٣-١٦٦، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٠-١٦٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٥

وقد وقعت معركة احد يوم السبت السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة، هذا مضافا الى غزوة حمراء الاسد التي استمرت إلى يوم الجمعة من ذلك الاسبوع نفسه، فتكون قضايا و وقائع هذه الغزوة في الرابع عشر من شهر شوال من نفس تلك السنة.

### ميلاد الامام الحسن السبط:

(١) هذا و قد ولد في هذه السنة (اي السنة الثالثة من الهجرة) سبط رسول الله صلى الله عليه وآله الاكبر الامام الحسن بن علي عليه السلام في منتصف شهر رمضان من تلك السنة، و اجري له رسول الله صلى الله عليه وآله مراسيم ولادة خاصة ذكرها أصحاب الحديث و تجد تفصيلها في سيرة الائمة من أهل البيت النبوي الطاهرين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٦

(١)

### حوادث السنة الرابعة من الهجرة ٣٣

#### فاجعة فريق المبلغين «١»

إشارة

لقد ظهرت الآثار السياسية لنكسة المسلمين في معركة «أحد» بصورة واضحة بعد الحرب.

فمع أن المسلمين أظهروا مقاومة رائعة أمام العدو المنتصر ومنعوا من رجوعه الى المدينة و تحقيق أهدافه الخطيرة في استئصال المسلمين إلا أن التحريكات الداخلية والخارجية ضدّ الاسلام بهدف القضاء على هذا الدين، و رجاله قد تصاعد مدها في أعقاب حادثه «أحد».

و قد تجرّأ منافقو المدينة، و يهودها و المشركون المتواجدون في شتى النقاط البعيدة خارج المدينة على أثر ذلك، و بدءوا يحيكون المؤامرات ضدّ الاسلام و المسلمين و يجمعون الاسلحة و الرجال لشن الحروب و الغارات على المدينة.

(٢) و قد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله و بمهارة كبيرة إطفاء كلّ تلك التحريكات، كما و استطاع قمع تحرّكات القبائل القاطنة خارج المدينة التي كانت تنوى الهجوم على المدينة و ذلك بارسال السرايا و المجموعات القوية من المجاهدين. و في هذا الاثناء بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله نبا مفاده أن قبيلة بنى أسد تنوى الهجوم على المدينة و تسخيرها، و قتل المسلمين، و نهب أموالهم، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله من فوره جماعة من المقاتلين يبلغ عددهم (١٥٠)

(١) وقعت حادثه قتل المبلّغين في الشهر السادس.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٧

رجلا بقيادة «أبي سلمة» الى منطقة تجمع المتأمّرين.

ثم إنه صلى الله عليه وآله أوصاهم بأن يخفوا مقصدهم الأصلي، و يسلكوا طريقا آخر غير الطريق المتعارف، و يقيموا نهارا و يسيروا ليلا، ليعتموا على القوم.

و قد فعل «أبو سلمة» و جماعته ما أوصاهم به رسول الله صلى الله عليه وآله فكانوا يسرون الليل، و يكتمون النهار، حتى وردوا المنطقة فاحاطوا ببني أسد في عماءة الصبح، و قضاوا على المؤامرة في مهدها، و عادوا غانمين موفورين إلى المدينة، و قد وقعت هذه الحادثه في شهر المحرّم على رأس خمسة و ثلاثين شهرا من الهجرة «١».

(١)

### خطه ما كره للفتك بالمبلّغين:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم بافشال بارسال السرايا و المجموعات العسكرية جميع مؤامرات المتأمّرين ضدّ الاسلام، كما أنه كان يقوم الى جانب ذلك ببعث المجموعات التبليغيه الى القبائل، و الجماعات و بذلك يجلب قلوب المحايدين منهم نحو العقائد الاسلاميه.

و كان المبلّغون و الدعاة الذين كانوا من قراء القرآن الكريم، و من الملمين بالاحكام الاسلاميه و التعاليم النبويه يبدون استعدادا عجيبا للقيام بهذه المهمة الصعبة و لو كلّفت حياتهم فكانوا ينقلون تعاليم الاسلام إلى الناس في المناطق النائية، و الاماكن البعيدة بأوضح بيان و أوضح اسلوب.

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يبعثه للمجموعات العسكرية من جانب، و ارساله للفرق التبليغيه من جانب آخر يقوم- في الحقيقة- بوظيفتين هامتين من وظائف المنصب النبوي.

(١) المغازي: ج ١ ص ٣٤٠، و امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٧٠، و لا بدّ أنك أيها القارئ الكريم تتذكر أن السنة الثالثة للهجرة تنتهي عند انتهاء الشهر الرابع و الثلاثين، و تكون حوادث الشهر الخامس و الثلاثين متعلقة بالسنة الرابعة من الهجرة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٨

(١) فهو ببعثه للسرايا و المجموعات العسكرية كان يقصد في الحقيقة القضاء على محاولات التمرد، و الأمر التي كانت في مرحلة التحقق و التكوّن لكي يتسنى للمجموعات التبليغية في ظل الأمن و الحرية الدعوة إلى الاسلام، و القيام بوظيفتها الاساسية ألا و هي ارساء دعائم الحكومة الاسلامية في القلوب، و تنوير الافكار، و ايقاظ العقول.

و لكن بعض القبائل المتوحشة، و المنحطة أخلاقيا و فكريًا كانت تتحايل على المجموعات التبليغية التي كانت تمثل القوى المعنوية للاسلام، و التي لم يكن لها هدف سوى نشر التوحيد، و اقتلاع جذور الكفر و الوثنية، و كانوا يقتلونهم بصورة فضيحة و مفاجئة.

و فيما يلي نلفت نظر القارئ الكريم إلى قصة مجموعة من الدعاة و المبلّغين الذين لقوا هذا المصير و كان عددهم يبلغ ستة أشخاص حسب رواية ابن هشام «١»، أو عشرة أشخاص حسب رواية ابن سعد «٢».

(٢)

### الغدر بالدعاة إلى الإسلام و قتلهم:

لقد مشت جماعة من قبيلتي «عضل» و «القارة» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و قالوا- و هم يضمرون المكر- يا رسول الله صلى الله عليه وآله إن فينا إسلاما فاشيا فابعث معنا نفرا من أصحابنا يقرءوننا القرآن، و يفقهوننا في الاسلام.

فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله أن من واجبه الاستجابة لمطلب تلك الجماعة التي كانت تمثل قبائل كبرى، و كما رأى المسلمون أيضا أن من واجبهم أن يستفيدوا من هذه الفرصة مهما كلف الثمن.

من هنا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة بقيادة «مرثد بن أبي مرثد

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٦٩، و قال في امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٧٤ انهم سبعة اشخاص.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٥٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ١٩٩

الغنوي» مع تلك الجماعة إلى القبائل المذكورة.

(١) فخرج هؤلاء المبلّغون و وفد القبيلتين من المدينة متوجهين الى حيث تتواجد «عضل» و «قارة»، و لما كانوا بماء يسمى الرجيع تقطن عنده قبيلة تدعى «هذيل» كشف مندوبو القبيلتين عن نواياهم الشريرة، و استصرخوا هذيلًا و كمينًا من رجالهم، و كانوا مائة رام و بأيديهم السيوف فحاطوا بالدعاة يريدون أسرهم ثم قتلهم و ابادتهم!!

فلم ير المبلّغون بدا- و هم محاطون بتلك الجماعات المسلحة- من اللجوء الى سيوفهم و الدفاع عن أنفسهم.

و لكن العدو قال: ما نريد قتالكم، و ما نريد إلّا ان نصيب منكم من أهل مكة ثمنًا، و لكم عهد الله و ميثاقه لا نقتلكم!!

(٢) فظفر الدعاة بعضهم الى بعض، و قرر أكثرهم المقاومة و عدم الرضوخ لهذا العرض الغادر، و الخطة الماكرة، و قال أحدهم: إني نذرت أن لا أقبل جوار مشرك «١» ثم جعلوا يقاتلون القوم قتال الرجال الابطال، حتى قتلوا إلّا ثلاث هم: «زيد بن دثنة»، و «خبيب بن عدي»، و «عبد الله بن طارق البلوي» فقد أغمد هؤلاء سيوفهم و سلّموا، فأخذوا و تقفوا بأوتار قسيهم، و لكن «عبد الله» ندم على فعله، فنزع يده من رباطه ثم أخذ سيفه، و راح يقاتلهم حتى قتلوه رميا بالحجارة، و قد انحازوا عنه و هو يشدّ فيهم و يفرجون عنه، و دفن في مر الظهران.

ثم أخذوا الأسيرين الآخرين «خبيب» و «زيد» و قدموا بهما مكة فباعوهما لأهل مكة!!

فأمّا زيد بن الدثنة فقد اشتراه «صفوان بن أمية» و قتله ثأرا لابييه، و لقتله قصة عجيبة سطر فيها أروع آيات المقاومة و الوفاء و

الاخلاص.

(٣) فقد اشتراه «صفوان بن أمية» كما أسلفنا ليقتله بأبيه، وقد حبسه صفوان في الحديد، وكان يتهجّد بالليل و يصوم بالنهار، ولا يأكل شيئا مما اتى به من

(١) أو قالوا: والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا (السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٧٠).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٠

الذبايح، وهو في الاسر والحبس.

ثم إنه اخرج إلى «التنعيم» (١) ليصلب على مرأى حشد كبير من الناس.

فرفعوا له جذعا، فقال: دعوني أصلي ركعتين، فصلي ركعتين، ثم حملوه على الخشبة ثم جعلوا يقولون له: يا زيد ارجع عن دينك المحدث، و اتبع ديننا، و نرسلك فيقول: والله لا افارق ديني أبدا.

(١) فقال له أبو سفيان فرعون مكة و أشد المتأمرين على الاسلام و مدبر أغلب الحروب ضد رسول الله، و المسلمين: أنشدك بالله يا زيد أيسرك أن محمدا في أيدينا مكانك و أنت في بيتك؟. فقال زيد بشجاعته و وفاء عظيمين: ما يسرنى أن محمدا اشيك بشوكة و اني في بيتي، و جالس في أهلي!!!

و قد كان لهذه الكلمة أثر الصاعقة في نفس طاغية مكة أبي سفيان فقال:

ما رأينا أصحاب رجل قط أشد حبا من أصحاب محمد بمحمد!!

و لم تمض لحظات إلّا و صار «زيد» على خشبة الاعداء و طارت روحه الى خالقها، و مضى ذلك المسلم الوفي، و المؤمن الشجاع شهيد الثبات في طريق العقيدة، و الدفاع عن حياض الدين (٢).

(٢) و اما «خبيب» فقد حبس مدة من الزمان حتى قرّر ندوة مكة قتله، فخرجوا به الى التنعيم ليصلبوه و خرج معه النساء و الصبيان و العبيد و جماعة من أهل مكة، فقال لهم: إن رأيتم ان تدعوني حتى أركع ركعتين فافعلوا، فقالوا دونك فاركع.

فركع ركعتين أتمهما و أحسنهما ثم اقبل على القوم و قال: أما و الله لو لا- أن تظنوا أنني إنما طوّلت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة!!

ثم رفعوه على خشبة ثم وجهوه الى المدينة، و أوثقوه رباطا، ثم قالوا له: ارجع عن الاسلام، نخلّ سبيلك.

(١) التنعيم ابتداء الحرم و منها يحرم المعتمرون للعمرة المفردة.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٧٢، المغازي: ج ٢ ص ٣٦٢، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٧٤ و ١٧٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠١

قال: لا و الله ما أحبّ أنني رجعت عن الاسلام و أن لي ما في الأرض جميعا.

فقالوا: أما و اللات و العزى لئن لم تفعل لنقتلنك!

فقال: إن قتلي في الله لقليل، فلما أبى عليهم و قد جعلوا وجهه من حيث جاء (أي نحو المدينة)، قال: أما صرفكم وجهي عن القبلة، فان الله يقول:

«فَأَيُّمَّا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ» ثم قال: اللهم إني لا أرى إلّا وجه عدوّ، اللهم أنه ليس هاهنا أحد يبّلع رسولك السلام عني فبّله أنت عني السلام.

ثم دعا على القوم و قال: اللهم أحصهم عددا و اقتلهم بددا، و لا تغادر منهم أحدا.

ثم دعوا أبناء من أبناء من قتل بيدر فوجدوهم أربعين غلاما، فأعطوا كل غلام رمحا، ثم قالوا هذا الذى قتل آباءكم، فطعنوه برماحهم طعنا خفيفا فاضطرب على الخشبة فانقلب، فصار وجهه الى الكعبة، فقال: الحمد لله الذى جعل وجهى نحو قبلته التى رضى لنفسه و لنبيه و للمؤمنين!!

(١) فأثارت روحانيته الكبرى، وطمأنينته العظيمة غيظ أحد المشركين الحاضرين، و هو «عقبه بن الحارث» و تملكه غضب شديد من إخلاصه للاسلام فأخذ حربته و طعن بها خبيبا طعنة قاضية، قتلته، و هو يوحد الله و يشهد أن محمدا رسول الله.

و يروى ابن هشام أن خبيبا أنشد قبل مقتله أبياتا عظيمة نذكر هنا بعضها:

إلى الله أشكو غربتى ثم كربتى و ما أُرصد الأحزاب لى عند مصرعى

فذا العرش صبرنى على ما يراد بى فقد بضعوا لحمى و قد ياس مطمعى

و ذلك فى ذات الاله و أن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزّع

و قد خيرونى الكفر و الموت دونه و قد هملت عيناي من غير مجزع

و ما بى حذار الموت أنى لميت و لكن حذارى جحيم نار ملقّع

فو الله ما أرجو إذا متّ مسلما على أى جنب كان فى الله مصرعى

فلست بمبد للعدوّ تخشعوا لا جزعا إنى إلى الله مرجعى

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٢

و قد أحزنت هذه الحادثة الاليمه رسول الله صلى الله عليه وآله، و كذا جميع المسلمين.

(١) و أنشد فيهم «حسان بن ثابت» أبياتا ذكرها ابن هشام فى سيرته، كما أنه هجا هذيلا فى أبيات اخرى لارتكابهم هذه الجريمة النكراء «١».

و لقد خشى رسول الله صلى الله عليه وآله أن تتكرر مثل هذه الجريمة النكراء، و بذلك يواجه رجال التبليغ و الدعوة الذين كان يعدهم بصعوبة بالغه مصاعب فى سبيلهم، و يتعرضوا لخسائر لا تجبر، و عمليات غدر و اغتيال اخرى.

و قد بقى جثمان هذا المسلم المجاهد على الخشبة مدة من الزمن، يحرسه جماعة من المشركين حتى قام رجلان قويان شجاعان من المسلمين بانزاله من فوق الصليب ليلا، و من ثم دفنه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله «٢».

(٢)

### جريمة بئر معونة:

و فى شهر صفر من السنة الرابعة و قبل أن يصل نبا مصرع الدعوة المذكورين و استشهادهم على أيدي المشركين فى منطقة الرجيع الى النبى صلى الله عليه وآله، قدم أبو براء العامرى المدينة فدعاه رسول الله صلى الله عليه وآله الى الاسلام فلم يسلم و لكنّه قال للنبى صلى الله عليه وآله يا محمّد إنى ارى أمرى حسنا، فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل «نجد» فدعوهم إلى أمرى رجوت أن يستجيبيوا لك فان هم اتبعوك فما أعز أمرى.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنى اخشى عليهم أهل نجد.

قال أبو براء: لا تخف، أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس الى أمرى.

(٣) فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أربعين رجلا من خيار المسلمين من أصحابه ممن حفظوا القرآن و عرفوا احكام الاسلام، و

أمر عليهم «المنذر بن

(١) المغازي: ج ١ ص ٣٥٤-٣٦٢، السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٦٩.

(٢) سفينة البحار: ج ١ ص ٣٧٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٣.

عمرو»، فساروا حتى نزلوا ببئر معونة و هي بين أرض بنى عامر و حرّة بنى سليم و هم يحملون من رسول الله صلى الله عليه وآله كتابا إلى عامر بن الطفيل أحد زعماء «نجد»، و كلف أحد المسلمين بايصال ذلك الكتاب إلى عامر، فلما أتاه الكتاب لم ينظر فيه حتى عدا على الرجل (حامل الكتاب) فقتله، ثم استصرخ بنى عامر على المبلّغين، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، و قالوا: لن نقض عهد أبي براء، و قد عقد لهم عقدا و جوارا.

(١) فاستصرخ عليهم قبائل بنى سليم فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى نزلوا حيث نزل جماعة الدعاء، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم بعد أن أبدوا مقاومة كبرى، و بسالة عظيمة، و لم يكن يتوقع منهم غير ذلك.

فإن مبعوثي النبي صلى الله عليه وآله لم يكونوا مجرد رجال فكر و علم فقط، بل كانوا رجال حروب، و أبطال معارك، و لذا رفضوا الاستسلام للمعتدين، و اعتبروا ذلك عارا لا يليق بالمسلم الحرّ الأبي، فقاتلوهم حتى استشهدوا جميعا، إلّا كعب بن زيد، فانه جرح فعاد بجراحه الى المدينة، و أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما جرى لأصحابه على أيدي قبائل بنى سليم المشركة الغدرة. فحزن رسول الله و المسلمون جميعا لهاتين الحادثتين، المفجعتين اشدّ الحزن بل و لم يجد على قتلى مثل ما وجد عليهم، و بقى رسول الله يذكر شهداء بئر معونة ردحا من الزمان «١»

هذا و لقد كانت هاتان الحادثتان المؤسفتان المؤلمتان جميعا من نتائج النكسة التي أصابت المسلمين في «احد» و التي جرّت القبائل خارج المدينة على قتل رجال المسلمين و دعواتهم غدرا و مكارا.

(٢)

### كيد المستشرقين و جفاؤهم:

إن المستشرقين الذين دأبوا على نقد أسط سوء يتعرض له مشرك على أيدي

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٨٣-١٨٧ امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٧٠-١٧٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٤.

المسلمين فينالون من الاسلام و المسلمين أشدّ نيل، و يصرون على أن يؤكّدوا على أن الاسلام لم ينتشر إلّا بالسيف و القهر، التزموا صمتا عجيبا تجاه هاتين الحادثتين المؤلمتين المفجعتين، و لم ينبسوا في هذا المقام ببنت شفه أبدا، و كأن شيئا من هذا لم يقع، و كأن ما وقع لا يستأهل اهتماما و حديثا.

ترى أى نظام من أنظمة العالم القديم و الجديد يجيز أن يقتل الدعاء و المبشرون و رجال العلم و الفكر، و التعليم و الثقيف. إذا كان الاسلام قد تقدّم بالسيف - كما يدعى رجال الاستشراق - فلما ذا تخاطر جماعات التبليغ و الدعوة هذه بأنفسها و ترهق أرواحها في سبيل نشر الاسلام، و الدعوة السلمية الفكرية إليه.

إنّ هاتين الحادثتين تنطويان على نقاط حيوية، و عبر مفيدة جدا، فان قوة الايمان لدى تلك الجماعات، و عمق تفانيها، و تضحيتها، و بسالتها تستحق إعجاب المسلمين، و اكبارهم. كما و تعتبر من أفضل الدروس و ابلغها لهم.

(١)

**المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين:**

لقد أثارت حادثتا «الرجيع» و «بئر معونة» المفجعتان اللتان جرتا إلى مصرع مجموعة كبيرة من خيرة الدعاة و المبلّغين موجّه من الحزن والأسى في المسلمين و تركت أثرا مؤلما في أوساطهم.

و هنا يتساءل القارئ: لما ذا أقدم النبي صلى الله عليه وآله على إرسال المجموعة الثانية من المبلّغين الى «نجد» مع أنه حصل على تجربة مرّة؟! ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».

إن الإجابة على هذا السؤال تتضح من خلال مراجعة النصوص التاريخية لأن المجموعة الثانية قد بعثت في جوار من أبى براء (عامر بن مالك بن جعفر) و الذى كان رئيسا لقبيلة بنى عامر، و لم تفعل قبيلته ما خالف جوار رئيسهم و لم يشتركوا فى تلك الجريمة و قد بقى أبو براء نفسه فى المدينة تأكيدا لجواره، ريثما سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٥.

يرجع فريق التبليغ إلى المدينة.

(١) لقد كانت خطة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله خطة مدروسة و صحيحة لأن جماعة المبلّغين الثانية لم تقتل على يد قبيلة أبى براء، و مع أن ابن أخيه عامر بن الطفيل قد استصرخ قبيلة أبى براء التى كانت قبيلته أيضا، ضد جماعة المبلّغين إلا أن قبيلة أبى براء أبت أن تنفر معه، و لم يستجب لندائه أحد منهم بل قالوا:

لن يخفر جوار أبى براء. و لما أيس منهم استصرخ قبيلة اخرى لا تمت إلى قبيلة أبى براء بصله، فاقدمت تلك القبائل على محاصرة الدعاة الأربعين و مقاتلتهم.

ثم إن جماعة المبلّغين المذكورة كانت قد بعثت عند مغادرتها المدينة و توجهها الى منطقة أبى براء رجلين من رجالها هما: عمرو بن أمية و «حارث بن الصمة» «١» ليرعيا إبل الجماعة و يحافظا عليها، و بينما كان الرجلان يقومان بواجبهما اذ أغار عليهما «عامر بن الطفيل». فقتل حارث بن الصمة، و اطلق سراح عمرو بن أمية.

(٢) فعاد عامر الى المدينة، فى اثناء الطريق التقى رجلين من العامريين فراقبهما و أمهلهما حتى اذا ناما و ثب عليهما فقتلتهما، و هو يرى بأنه انتقم لزملائه من المسلمين من بنى عامر، و قد أخطأ فى تصوره هذا لأن بنى عامر لم تخفر جوار سيدها أبى براء و لم تنقض أمانه كما أسلفنا، و لم يشترك فى جريمة قتل الدعاة الأربعين.

فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و أخبره الخبر، حزن رسول الله صلى الله عليه وآله لذلك و قال لعمرو:

«بئس ما صنعت، قتلت رجلين كان لهما منى أمان و جوار، لا دفعن ديتهما».

و لكن الإجابة الأكثر وضوحا على هذا الاعتراض (او السؤال) هو ما يذكره ابن سعد صاحب الطبقات إذ يقول: و جاء رسول الله صلى الله عليه وآله و آله خبر أهل بئر معونة، و جاءه تلك الليلة أيضا مصاب خبيب بن عدى و مرثد بن أبى مرثد «٢».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٦٨ و صاحب السيرة يرى انه المنذر بن محمد.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٥٢ و ٥٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٦



## ٣٤ غزوة «بنى النضير»

## إشارة

لقد فرح منافقو المدينة و يهودها بانتكاسة المسلمين فى معركة «أحد» كما فرحوا أيضا بمصرع رجال التبليغ و الدعوة، فرحا بالغا و باتوا يتحنون الفرصة لإثارة القلاقل و الفتن فى المدينة لإفهام القبائل خارجها بأنه لا توجد أية وحدة سياسيّة و انسجام اجتماعى فى مركز الاسلام، و عاصمة الحكومة الاسلامية، و أن فى مقدور الأعداء الخارجيين أن يجهزوا على حكومة الاسلام الفتية، و يقضوا عليها بسهولة!!

و لكى يقف رسول الله صلى الله عليه و آله على نوايا و دخائل يهود بنى النضير مشى فى جماعة من أصحابه إلى حصنهم. على أن الهدف الظاهرى المعلن عنه كان هو الاستعانة بهم فى دية العامريين اللذين قتلوا خطأ على يد «عمرو بن أمية» كما أسلفنا، و ذلك بموجب الاتفاقية المعقودة بين رسول الله صلى الله عليه و آله و بين اليهود و كذا بنى عامر و غيرهم و القاضية بالتعاون معا فى تسديد الدية فى مثل هذه الموارد.

(٢) فلما وصل رسول الله صلى الله عليه و آله الى حيث يسكن بنو النضير، و كلمهم فى أن يعينوه فى تلك الدية، رحبوا به ظاهرا، و وعدوا بأن يلتبوا مطلبه، ثم إنهم خاطبوه قائلين: يا أبا القاسم نعينك على ما احببت. ثم دعوه إلى أن يدخل فى بيوتهم، و يقضى يومه فيها، قائلين: قد آن لك أن تزورنا، و أن تأتينا، اجلس حتى نطعمك، فلم يقبل رسول الله صلى الله عليه و آله بتلبية مطلبهم، بل سيد المرسلين، ج٢، ص: ٢٠٧.

جلس مستندا الى جدار بيت من بيوتهم و اخذ يكلمهم «١».

(١) ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله احسّ بشرّ من ذلك الترحيب الحارّ الذى قابلته به رجال بنى النضير، و الذى رافق حركات مشبوهة منهم!!

هذا مضافا إلى أنه صلى الله عليه و آله شاهدتهم و قد خلا بعضهم إلى بعض يتناجون و يتهامون الأمر الذى يدعو الى الشك، و يورث سوء الظن!!

و قد كان سوء الظن هذا فى محله، فقد قرر سادة يهود- لما أتاهم رسول الله صلى الله عليه و آله فى رهط قليل من أصحابه- أن يتخلصوا منه باغتياله و الغدر به على حين غفلة منه صلى الله عليه و آله، فانتدبوا أحدهم و هو «عمرو بن جحاش» لتنفيذ هذه الجريمة، و ذلك بأن يعلو على البيت الذى استند رسول الله صلى الله عليه و آله إلى جداره فيلقى عليه صخرة تقتله.

(٢) إلّا أنّ هذه المؤامرة انكشفت- و لحسن الحظ- قبل تنفيذها، إما من خلال حركات اولئك اليهود الخبثاء، المشبوهة، أو بخبر أتى رسول الله صلى الله عليه و آله من السماء، كما يروى ابن هشام و الواقدى فى مؤلفيهما.

فنهض رسول الله صلى الله عليه و آله سريعا، كأنه يريد حاجة، و توجه من توّه إلى المدينة دون أن يخبر أصحابه الذين أتوا معه، بقصده.

و بقى أصحابه هناك ينتظرون عودته من حاجته دون جدوى.

و ندمت يهود على ما صنعت، و اضطربت لذلك اضطرابا شديدا، و اصابتها حيرة شديدة فيما يجب أن تقوم به.

فمن جهة خشيت أن يكون رسول الله صلى الله عليه و آله قد علم بمؤامرتهم و تواطئهم، فيقدم على تأديبهم لنقضهم ميثاق التعايش السلمى، و لتواطئهم القبيح، و مكرهم السيئ.

(٣) و من ناحية اخرى أخذت تفكر فى أن تنتقم من أصحابه الموجودين هنا إن هو فاتهم، و لكنها خشيت أن يؤدى ذلك إلى مزيد من تأزم الموقف، و ان ينتقم

(١) يقول صاحب المغازي: إن النبي جاء بني النضير في ناديهم ج ١ ص ٣٦٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٨

رسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ منهم قطعاً و يقيناً.

و فيما هم في هذه الحالة من الاضطراب و التحير قرر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله العودة إلى المدينة بعد أن يسوا من رجعتهم إليهم من حاجته، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسأله عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: رأيتك داخلاً المدينة، فأقبلوا حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وآله و عرفوا بمؤامرة اليهود إذ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لهم لما قالوا: يا رسول الله قمت و لم نشعر: «همت اليهود بالغدر بي، فأخبرني الله بذلك فقامت» (١).

(١)

### بما ذا يجب أن تقابل هذه الجريمة؟

و الآن ما ذا يجب أن يقوم به رسول الله صلى الله عليه وآله تجاه هذه الزمرة الخائنة المتآمرة؟ تلك الزمرة التي تنعم بما وفرتها لهم الحكومة الإسلامية من أمن و حرية، و يحافظ جنود الاسلام على أنفسهم و أموالهم و أعراضهم، كما يفعلون الفعل ذاته بالنسبة إلى أنفسهم و أموالهم و أعراضهم على حد سواء.

تلك الزمرة التي كانت ترى كل آثار النبوة و دلائلها في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله و أعماله، و أقواله تماماً على نحو ما قرأت عنه في كتبها و أسفارها، و لكنها بدل أن ترد الجميل بالجميل و تقابل الاحسان بالاحسان، و بدل أن تحسن ضيافته و قد نزل عليهم ضيقاً تتآمر لقتله غيلةً و غدراً دون ما خجل و لا حياء!!

ما هو ترى ما تقتضيه العدالة في هذا الصعيد و في هذه الحال؟

و ما ذا يجب أن يفعل المرء حتى يمنع من تكرار مثل هذه الحوادث، و يستأصل جذور مثل هذه الجرائم؟

(٢) إن الطريق المنطقي هو ما اختاره رسول الله صلى الله عليه وآله و فعله.

فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين بالتهيؤ لحربهم، و السير إليهم،

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٥٧، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٧٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٠٩

ثم دعا محمد بن مسلمة و أمره بأن يذهب إلى بني النضير، و يبلغ سادتهم، من قبله رسالة.

فخرج محمد بن مسلمة الأنصاري الاوسي (١) الى بني النضير و قال لسادتهم:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلني إليكم يقول:

«قد نقضتم العهد الذي جعلت لكم بما همتم به من الغدر بي.

اخرجوا من بلادى فقد أجتلكم عشرا فمن رئي بعد ذلك ضربت عنقه».

(١) فأحدثت هذه الرسالة الشديدة اللهجة و الساخنة المضمون انكساراً عجيباً في يهود بني النضير، و أخذوا يتلاومون، و أخذ يحتمل

كل واحد منهم الآخر مسئولية هذه القضية.

فاقتراح عليهم أحد سادتهم أن يعتنقوا الاسلام، و يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله، و لكن عنادهم منعهم من القبول بهذا

الاقتراح. و عمتهم حالة يرثى لها من الحيرة، و الانقطاع، فقالوا لمبعوث النبي صلى الله عليه وآله: يا محمّد ما كنا نرى أن يأتي بهذا

رجل من الاوس.

و يقصدون أنه كان بيننا وبين الأوس حلف فما بالك تريد حربنا الآن.

فقال محمد بن مسلمة: تغيرت القلوب.

(٢) وقد كان هذا الاجراء متطابقا مع ما جاء في ميثاق التعايش الذى عقده رسول الله صلى الله عليه وآله مع يهود يثرب ابان دخوله المدينة، وقد وقع عليه عن اليهود بنى النضير حيبى بن أخطب، وقد نقلنا فى ما سبق النص الكامل لهذا الميثاق و ها نحن ندرج هنا قسما منه ليتضح ما ذكرناه.

جاء فى أحد بنود الميثاق (العهد):

«ألا يعينوا (أى بنو النضير و بنو قريظة و بنو قينقاع) على رسول الله صلى الله عليه وآله و لا على أحد من أصحابه بلسان و لا يد و لا سلاح و لا بكرع فى السرّ و العلانية لا بليل و لا بنهار و الله بذلك عليهم شهيد، فان فعلوا فرسول الله فى حل

(١) المغازى: ج ١ ص ٣٦٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٠

من سفك دمائهم، و سبى ذراريهم، و نساءهم، و أخذ أموالهم» (١).

(١)

### المستشرقون و دموع التماسيح:

لقد أبدى المستشرقون حزنهم و أسفهم لما جرى فى هذه القضية، و ذرفوا دموع تماسيح، و أبدوا دقة و شفقة أكثر مما تبديه والدة تجاه وليدها، على اليهود الخونة الناقضين العهد، الناكثين للايمان، و اعتبروا الاجراء الذى اتخذه النبى صلى الله عليه وآله بحقهم بعيدا عن روح الانصاف و سنن العدل!!

و الحق أن هذه الاعتراضات و الانتقادات لا تنبع من منطلق السعى لمعرفة الحقيقة، لأننا عند مراجعتنا لنص الميثاق الذى أدرجناه للقارئ الكريم نرى الحقيقة على غير ما يتصورون و يصورون فاننا نعرف أن الجزاء الذى جازى به رسول الله يهود بنى النضير هو فى الحقيقة أقل من الجزاء المنصوص عليه فى ذلك الميثاق بدرجات.

إن هناك اليوم مئات الجرائم و المظالم التى يرتكبها أسياذ هؤلاء المستشرقين فى الشرق و الغرب دون أن يعترض عليها أى واحد من هؤلاء المستشرقين الرحماء، أدعياء الدفاع عن حقوق الانسان!!!

أما عند ما يقوم رسول الاسلام بتنفيذ عقوبة- هى فى الحقيقة- اقل بكثير من ما هو منصوص عليه فى الميثاق بحق زمرة خائنة متآمرة ناقضة للعهد تتعالى أصوات حفته من الكتاب المدفوعين بأغراض معينة و دوافع خاصة بالاعتراض، و الانتقاد.

(٢)

### دور حزب النفاق أيضا:

كان خطر المنافقين- و كما أسلفنا- أكبر من خطر اليهود لأن المنافق يطعن من الخلف و تحت غطاء من الصداقة، و يتستر وراء قناع الصحبة و الزمالة.

(١) بحار الأنوار: ج ١٩ ص ١١١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١١

وقد كان رأس هذا الحزب هو «عبد الله بن أبي» و «مالك بن أبي» و .. و ..

ولما سمع هؤلاء المنافقون بما يلقاه بنو النضير من رسول الله صلى الله عليه وآله أرسلوا إليهم من يقول لهم: لا تخرجوا من دياركم و أموالكم، و أقيموا في حصونكم، فان معي ألفين من قومي و غيرهم من العرب، يدخلون معكم حصنكم فيموتون من آخرهم قبل أن يوصل إليكم و تمدكم قريظة فانه لن يخذلونكم، و يمدكم حلفاءكم من غطفان؟! و لقد جرأت هذه الوعود بنى النضير، فانصرفوا عن فكرة الرضوخ لمطلب النبي صلى الله عليه وآله فأغلقوا أبواب حصونهم، و أعدوا عدة الحرب، و عزموا على أن يقاوموا رسول الله صلى الله عليه وآله مهما كلف الثمن، و لا يسمحوا للمسلمين بأن يسيطروا على بساتينهم و ممتلكاتهم دون عوض.

(١) فنصحهم أحد كبرائهم و هو «سلام بن مشكم» و شكك في وعود عبد الله بن أبي، و اعتبرها وعودا جوفاء، و قال: ليس رأى ابن أبي بشيء، فهو و الله جلاؤنا من أرضنا، و ذهاب أموالنا، أو سباء ذرارينا مع قتل مقاتلينا.

إلا أن «حبي بن أخطب» أبي إله محاربة رسول الله صلى الله عليه وآله و حث الناس على المقاومة و الصمود، و أرسل الى رسول الله صلى الله عليه وآله:

إنا لا نبرح من دارنا و أموالنا فاصنع ما أنت صانع!!

(٢) فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله برسالة «عبد الله بن أبي» إلى بنى النضير، و وعوده لهم، فاستخلف ابن أم مكتوم على المدينة، و سار صلى الله عليه وآله في أصحابه مكبرا لمحاصرة بنى النضير فصلّى صلاة العصر بفضائهم و استقر في الطريق بين «بنى النضير» و بين «بنى قريظة» ليقطع بذلك سبيل الاتصال بين هذين الفريقين، و حاصر بنى النضير ست ليال - حسب رواية ابن هشام - «١» أو خمسة عشر يوما حسب روايات آخرين، و لكن اليهود تحصنوا منه في الحصون، و أظهروا المقاومة، و الإصرار على الامتناع، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٩١، و هذا من التكتيكات العسكرية التي كان النبي صلى الله عليه وآله يستعملها ليقطع خطوط الارتباط بين الجماعات المتعاونة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٢

بقطع النخيل المحيطة بتلك الحصون، و إلقاء النار لبيأس اليهود من البقاء في تلك المنطقة ما دامت بساتينهم أعدمتم، و افنيت.

(١) فتعالت نداءات اليهود تقول: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد، و تعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل و تحريقها؟! فردّ الله تعالى عليهم بقوله:

«مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْتِهِ أَوْ تَرَ كُتْمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَ لِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» (١).

هذا من جهة و من جهة اخرى خذلهم عبد الله بن أبي، فلم يأتوهم، كما اعترلتهم قريظة فلم تعنهم بسلاح و لا رجال.

وقد ذكر القرآن الكريم هذا الخذلان إذ قال تعالى:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ. لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ. لَا يِقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَ قُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» (٢).

وقد كشفت الآيات الحاضرة- إلى جانب ما ذكر- عن نفسية اليهود الجبانة، و التي انهارت أيضا بسبب معنويات المسلمين القوية حتى أنهم رغم اجتماعهم و عددهم الكبير يخافون من مواجهة المسلمين فلا يقاتلونهم إلا من وراء أسوار الحصون، و جدران القلاع القوية خائفين مذعورين، و مرعوبين، و هم الى جانب كل ذلك يعانون من اضطراب و قلق و تفرق كلمة في الواقع.

و أخيرا رضخ اليهود لمطلب رسول الله صلى الله عليه وآله و سأله أن يجليهم، و يكف عن دمائهم على أن يكون لهم ما حملت الابل من أموالهم إلا السلاح

(١) الحشر: ٥.

(٢) الحشر: ١١-١٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٣

و الدروع، فرضى رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك.

فاحتملوا من أموالهم أكبر قدر ممكن، حتى أن الرجل منهم يقلع باب بيته فيضعه على ظهر بعيره، ثم يخرب بيته بيديه!!  
فخرج جماعة منهم إلى خيبر، و سارت جماعة أخرى منهم الى الشام.

و قد خرجت تلك الزمرة الذليلة المسكينة و هم يضربون بالدخوف، و يزمرون بالمزامير، و قد البسوا نساءهم الثياب الراقية، و حلّى الذهب، مظهرين بذلك تجلدا ليغطوا على هزيمتهم، و يروا المسلمين أنهم غير منزعجين من مغادرتهم تلك الديار!!

(١)

### مزارع بنى النضير تقسم بين المهاجرين فقط:

إن ما يغنمه جنود الاسلام دون قتال و هو ما يسمى بالفىء يعود أمره الى رسول الله صلى الله عليه وآله خاصة يضعه حيث يشاء و يصرفه فيما يرى من مصالح الاسلام لقوله تعالى:

«ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل» (١).

و قد رأى النبي صلى الله عليه وآله أن من الصالح أن يقسم المزارع و الممتلكات التي غنمها من بنى النضير على المهاجرين دون الأنصار، لحرمانهم من ممتلكاتهم و ثروتهم في مكة بسبب الهجرة منها الى المدينة، و كانوا في الحقيقة ضيوفا على الأنصار طوال هذه المدة، و قد أريد «سعد بن معاذ» و «سعد بن عباد» هذا الرأي، و من هنا تقسم رسول الله صلى الله عليه وآله جميع تلك المزارع و الممتلكات على المهاجرين خاصة، و لم يصب أحد من الأنصار منها شيئا الا رجلا كانا محتاجين هما: «سهل بن حنيف»، و «أبو دجانه»، الانصاريين و حصل بذلك انفراج في أحوال المسلمين عامة، و أعطى «سعد بن معاذ» سيف

(١) الحشر: ٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٤

رجل من زعماء بنى النضير و كان سيفا معروفا.

يقول المقرئ:

فلما غنم رسول الله صلى الله عليه وآله و آلهم من بنى النضير بعث ثابت بن قيس بن شماس فدعا الانصار كلها- الاوس و الخزرج- فحمد لله و أثنى عليه، و ذكر الانصار و ما صنعوا بالمهاجرين و انزلهم اياهم في منازلهم، و آثرتهم على أنفسهم ثم قال صلى الله عليه وآله:

«ان أحببتكم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على من بنى النضير و كان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى فى مساكنكم و أموالكم، و ان أحببتهم أعطيتهم و خرجوا من دوركم»؟

فقال سعد بن عبادة و سعد بن معاذ: رضينا و سلمنا يا رسول الله.

فقسّم رسول الله ما أفاء الله عليه، على المهاجرين دون الانصار إلّا رجلين كانا محتاجين .. الخ «١».

و قد وقعت هذه الحادثة فى شهر ربيع الأول فى السنة الرابعة من الهجرة و نزلت سورة الحشر فى هذا الشأن، و التى جاء فى مطلعها قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ» «٢».

هذا و يعتقد أكثر المؤرخين المسلمين أنه لم يسفك فى هذه الحادثة، أى دم، و لكن المرحوم الشيخ المفيد يكتب فى ارشاده: انه وقع ليلة فتح حصون بنى النضير قتال محدود قتل فيه عشرة من اليهود و كان ذلك هو السبب فى فتح تلك الحصون «٣».

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٨٢ و ١٨٣.

(٢) الحشر: ٢.

(٣) الارشاد: ص ٤٧ و ٤٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٥

و قال المقرئى: و فقد على رضى الله عنه فى بعض الليالى فقال النبى صلى الله عليه وآله: انه فى بعض شأنكم، فعن قليل جاء برأس «عزوك» و قد كمن له حتى خرج فى نفر من اليهود يطلب غزاة من المسلمين و كان شجاعا راميا فشد عليه على رضى الله عنه، فقتله و فرّ اليهود «١».

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٨٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٦

(١)

### ٣٥ تحريم الخمر ذات الرفاع، بدر الصغرى

#### ١- تحريم الخمر:

#### إشارة

كانت الخمر، و على العموم جميع المسكرات و لا تزال من أشد الاوبئة الاجتماعية التى تهدد أمن و سلامة المجتمعات البشرية و تجر إليها أكبر الأخطار و يكفى فى خطورة هذا السم القاتل أنه يعادى أكبر ما يميّز البشر عن ما سواه من الاحياء، ذلكم هو العقل، فان الخمر هو العدو الأول لهذه الموهبة الالهية التى فى سلامتها ضمان سعادة الانسان.

إن الفارق بين الانسان و بين سائر الاحياء هو القوة العاقلة التى يمتلكها الانسان دون غيره، و تكون المسكرات من أعدى أعداء هذه القوة، من هنا كان المنع من تعاطى الخمر و المسكرات من أبرز البرامج التى جاء بها الأنبياء، و كانت الخمر محرمة فى جميع

## الشرائع السماوية (١).

(١) عام ١٣٣٩ هجرى زار الدكتور آرشه تونك رئيس منظمة مكافحة الخمرور ايران، و قد سرّ لما سمع أن الاسلام يحرم تعاطى المسكرات.

و قد كان يحبّ أن يلتقى بزعيم المذهب الشيعى يومئذ: (آية الله السيد البروجردى) ليتعرف على رأى الاسلام فى الخمرور و المسكرات، فاصطحبه أحد الدكاترة المعروفين فى طهران إلى منزل السيد البروجردى فى مدينة «قم»، و بعد الاستئذان تشرف بقاء السيد، و قد حضر العلامة الطباطبائى فى ذلك المجلس و كنت أنا و والدى حاضرين هناك كذلك.

فكان أول سؤال طرحه الدكتور هو: لما ذا حرم الاسلام المسكرات؟

فقال الامام البروجردى: يكفى أن أشير لك من بين العلل الكثيرة إلى علة واحدة و هى أن الخمره تحطم العقل الذى به يمتاز الانسان عن سائر الاحياء، و يتميز عليهم. كما اوضحناه اعلاه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٧

(١) و لقد كانت معاقرة الخمرور من الآفات التى كانت متفشية و متجذرة فى المجتمع العربى فى شبه الجزيرة العربيه بحيث كانت معالجتها تحتاج الى وقت طويل، و اسلوب مدروس، و لم تكن الظروف و الاحوال فى ذلك العهد لتسمح بأن يعلن رسول الاسلام عن تحريم الخمر دفعه واحده و من دون آية مقدمات، و مهورات لذلك، بل كان يتحتم عليه أن يعالج هذا الوباء الاجتماعى من خلال إعداد الناس لمرحلة التحريم النهائى و القطعى تماما كما يفعل الطبيب بالنسبة إلى المرضى الذين طال بهم المرض، و تجذر. من هنا حرّمت الخمر فى أربع مراحل تدريجية ضمن آيات أربع أظهرت الاستياء من الخمر لكن لا على نمط واحد، بل بدأت من مرحلة مخففة حتى انتهت إلى مرحلة الاعلان عن التحريم القطعى.

(٢) إنّ التمعن فى هذه الآيات تكشف لنا عن كفيّة الاسلوب النبوى فى التبليغ و الإرشاد، و الدعوة و الهداية، و ينبغى للخطباء، و الكتاب أن يتبعوا هذا الاسلوب المؤثر و المفيد فى معالجة الأدواء الاجتماعيه المزمنة، و يكافحها بهذا الشكل حتى يحصلوا على أفضل النتائج.

إن الشرط الاساسى لمكافحة ناجحة لأى خلق و سلوك فاسد هو إيقاظ المجتمع و إيقافه أولا على أضرار ذلك السلوك، و مفاصده، و تذكيره بآثاره السيئه ليحصل لدى المجتمع - بذلك - الاستعداد الروحى بل و الدافع الباطنى إلى خوض معركة أساسيه و جذريه ضد ذلك السلوك الفاسد، و الخلق الذميم، و يكون الناس هم الضمانه لا- نجاح هذه المهمه. و ذلك لأن رد المعتاد عن عادته كالمعجز كما فى الحديث الشريف «١».

كيف و العرب كانوا يعيشون الخمره حتى أن الرجل منهم ربما كان يوصى بأن يدفن الى جنب كرمه لتسقى عظامه بالخمر. يقول أحدهم:

(١) مفاتيح الغيب: ج ٢ ص ٢٦٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢١٨ اذا مت فادفنى الى جنب كرمه تروى عظامى بعد موتى عروقه «١» من هنا اعتبر القرآن الكريم اتخاذ الخمر من التمور و الاعناب- فى مجتمع كان تعاطى الخمر جزء اساسيا من حياته- مخالفا للرزق الحسن، و بذلك ايقظ العقول العافيه، إذ قال:

«وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَ رِزْقًا حَسَنًا» (٢).

(١) إنّ القرآن أعلن- فى المرحلة الاولى من مراحل النهى عن تعاطى الخمر- أن اتخاذ المسكر من الثمر و العنب لا يعد من الارتزاق



الحسن بل الارتزاق الحسن هو تناول التمر و العنب على حالتها الطبيعية.

إن هذه الآية: أعطت هزة ذكية للعقول و هيأت الطبائع المنحرفة لمرحلة أقوى في مسيرة تحريم الخمر حتى يتسنى لرسول الله صلى الله عليه وآله أن يشدد من نبرته، و يعلن عن طريق آية أخرى أن النفع المادى القليل، الذى تعود به الخمر و يأتى به القمار، ليس بشيء بالقياس الى أضرارهما الكبرى و أخطارهما العظيمة، و قد تم الكشف عن هذه الحقيقة فى قوله تعالى:

«يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا» (٣).

(٢) و لا ريب أن مجرد المقارنة بين النفع و الضرر، و كذا الوقوف على زيادة الضرر على النفع كاف لايجاد النفور و الاشمزاز لدى العقلاء، و الداعين من الخمر و ما شاكلها، و شابهها.

إلا أن جماهير الناس و عامتهم لن يقلعوا عن هذه العادة الشريرة المتجذرة ما لم يسمعوا نهيا صريحا و قاطعا عنها.

فها هو عبد الرحمن بن عوف رغم نزول هذه الآية قد استضاف جماعة من الصحابة و أحضر على المائدة خمرًا، فأكلوا، و شربوا الخمر، ثم قاموا الى الصلاة، فأخطأ أحدهم فى القراءة و هو سكران خطأ غير من مراد الله تعالى فى ما قرأ من

(١) أى ما يسكر.

(٢) النحل: ٦٧.

(٣) البقرة: ٢١٩.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٢١٩

الآية، فقد تلا سورة «الكافرون»، و بدل أن يقول: «لا أعبد ما تعبدون» قرأ:

«أعبد ما تعبدون». فاضطرت تلك الجماعة لهذا الأمر، و خشيت أن تكون ارتكبت بذلك أمرا عظيما!!

(١) و قد هيأ هذا الحادث الناس ليحرم تعاطى الخمر فى ظروف و حالات خاصة على الاقل.

من هنا جاء الاعلان عن حرمة تعاطى الخمر قبل الصلاة، و أعلن القرآن الكريم بصراحة أنه لا يجوز لمسلم أن يصلّى فى حالة السكر، و قد أعلن عن هذا التشريع الالهى فى قول الله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» (١).

و لقد بلغ من تأثير هذه الآية، و فاعليتها أن هجر جماعة من المسلمين تعاطى الخمر بالمرّة بحجة أن ما يضرّ بالصلاة يجب ان يطرد من حياة المسلم نهائيا.

و لكن البعض بقى يتعاطاها حتى أن رجلا من الأنصار دعا جماعة الى مائدة أحضر فيها الخمر- رغم نزول الآية الحاضرة- فلما شربوا و أسكروا حمل بعضهم على بعض، و جرح بعضهم بعضا فشكوا أمرهم إلى النبى صلى الله عليه وآله، و كان الخليفة الثانى لم يزل يشرب الخمر إلى ذلك معتقدا عدم كفاية الآية الحاضرة فى التحريم القطعى لها و لهذا رفع يديه إلى السماء و قال: اللهم بين لنا بيانا شافيا فى الخمر.

(٢) و لا يخفى أن هذه الحوادث و الوقائع المؤسفة قد هيأت الارضية بشكل رائع لتقبل مسألة تحريم الخمر تحريما كاملا و قاطعا، من هنا نزل قوله تعالى يعلن عن هذه الحرمة القطعية:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (٢).

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ٩٠.



سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٠

وقد دفع هذا البيان البليغ القاطع أن يقلع عن الخمر نهائيا من كان يشربها حتى تلك الساعة بحجة عدم وجود نهى صريح و قاطع عنها.

وقد جاء في كتب السنة و الشيعة أن الخليفة الثاني قال بعد سماع هذه الآية: انتهينا يا ربّ «١»!!  
(١)

### وقفه عند «البيان الشافي»:

قلنا إن الخليفة الثاني لم يقتنع بعد سماع الآيات الثلاث بحرمه الخمر، بل بقي ينتظر بيانا شافيا يكشف عن التحريم القطعي، حتى اقنعه الآية الرابعة بحرمه الخمر و المسكرات، و قد كان حكم الله تعالى في هذه الآية هو: أن الخمر «رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» و لكن المتغربين، و هواة المادية الغربية في عصرنا لم تقنعهم كل هذه الآيات بحرمه الخمر، حتى الآية الرابعة الصريحة في هذا الأمر، فيقولون لا بد أن يعلن عن هذا التحريم بلفظة:

حرام أو حرّم، و ألا لم يمكن القطع بحرمه الخمر!!

إن هذه الزمرة التابعة لأهوائها، الأسيرة لشهواتها الحرام، لا تريد في الحقيقة إلا أن تظل عاكفة على الخمر أبدا، و من هنا تطرح مثل المعاذير و تتوسل بمثل هذه الحجج الجوفاء.

على أن القرآن الكريم قد استعمل لفظ الحرام بشكل ما في شأن الخمر إذ قال: «و إثمهما أكبر من نفعهما» (٢).

وقد حرّم تعالى جميع أنواع الإثم في آية أخرى إذ قال:

«قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ» (٣).

و بعبارة أخرى: لقد بين الله تعالى في آية أخرى الموضوع، و هو أن الخمر (التي تسمى إثما أيضا) قد حرّمت.

(١) مستدرک الوسائل: ج ٤ ص ١٤٣، روح المعاني: ج ٧ ص ١٥.

(٢) البقرة: ٢١٩.

(٣) الاعراف: ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢١

فهل ينتظر هواة الغرب بعد هذا البيان الواضح و التحريم الصريح بيانا كافيا شافيا!؟

(١) و في الحقيقة نحن لا نحتاج إلى مثل هذا الاستدلال أبدا فالآيات الأربع المتقدمة التي وصفت الخمر بأنها «رجس» و أنها نظير «الميسر»، و أنها «عمل شيطاني»، مناقض للفلاح، و سبب «للعداوة» و «البغضاء»، قد أعلنت عن حرمتها بصورة واضحة لا إبهام فيها، و لا غموض، و هي بالتالي أقوى بيان لمن تدبّر و أنصف، و تجرّد عن الاهواء و الأغراض المريضة.

و هنا لا بد أن نذكر بنقطة هامة و هي أن النبي الاكرم صلى الله عليه و آله استطاع ان يطهر في هدى هذه الآيات الأربع، بيئته و مجتمعه من أدران هذه العادة الشريرة، و يقوم المؤمنون أنفسهم بتنفيذ هذا الحكم من دون قهر أو إجبار، بينما لم يستطع العالم الغربي رغم كل ما يملك من الإمكانيات المادية العريضة، و أجهزة الدعاية الواسعة أن يخطو خطوة ناجحة في هذا الطريق، فقد اخفقت كل خطته، أمام هذا السم القاتل، و الفشل الذي أصاب الولايات المتحدة في مكافحة المشروبات الروحية في أعوام ١٩٣٣ - ١٩٣٥ أمر معروف للجميع، و له قصة عجيبة يمكن أن يقف عليها القارئ الكريم في مصادرها «١».

## رواية مختلقة:

و من عجيب الأمر أن يروى بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى:

«ولا تقربوا الصلاة و انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون» رواية جاء فيها أن امام المتقين على بن أبى طالب عليه السلام كان ضمن جماعة شربوا الخمر ثم قاموا الى الصلاة فقرأ أمامهم غلطا: «اعبد ما تعبدون» فانزل الله تعالى هذه الآية: «لا تقربوا الصلاة و انتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون».

نقول إن من العجيب أن تنسب إلى الامام على عليه السلام مثل هذه

(١) راجع ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ص ٨٠ و غيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٢

النسبة و هو الطاهر المطهر بحكم آية التطهر «١» و هو الذى نشأ و ترعرع فى احضان سيد المرسلين صلى الله عليه و آله الذى كان يتجنب الخمر، حتى قبل نزول النهى الصريح عنها، هذا و على عليه السلام المعروف بحكمته و فهمه و علمه عارف بما للمسكر من تبعات خطيرة.

نعم من العجيب أن نصدق بأن عليا عليه السلام شرب الخمر، و هناك فى الجاهلية (و قبل الاسلام) من حرم الخمر على نفسه لكونه يذهب بالعقل، و يؤول بالمرء الى ما لا يحمد. سيد المرسلين ج ٢ ٢٢٢ رواية مختلقة: ..... ص : ٢٢١

فى السيرة الحلبية كان عبد الله بن جدعان من جملة من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية أى بعد ما كان مغرما بها و سبب ذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يده على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم اخبروه بذلك حين صحا فحلف أن لا يشربها أبدا.

و كان عثمان بن مظعون ممن حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية أيضا و قال:

لا أشرب شيئا يذهب عقلى، و يضحك بى من هو أدنى منى، و يحملنى على أن انكح كريمتى من لا اريد «٢».

و ورد عن الامام محمد الباقر عليه السلام قال: أوحى الله تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه و آله انى أشكر لجعفر بن أبى طالب عليه السلام أربع خصال.

فدعاه النبى صلى الله عليه و آله فأخبره فقال: لو لا أن الله تبارك و تعالى أخبرك ما أخبرتك:

ما شربت خمرا قط لانى لو شربتها زال عقلى.

و ما كذبت قط لان الكذب ينقص المروءة.

و ما زنيت قط لأنى خفت إذا عملت عمل بى.

(١) الاحزاب: ٣٣، راجع تفاسير الفريقين و مجاميعهم الحديثية.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ١٣٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٣

و ما عبت صنما قط لأنى علمت أنه لا يضر و لا ينفع.

فضرب النبى صلى الله عليه و آله على عاتقه و قال: «حق لله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة فى الجنة» «١».

نعم هذا هو موقف من هو أقل مرتبة و منزلة من الإمام على عليه السلام من الخمر، و لو فى العهد الجاهلى، و قبل تحريمها فى

الاسلام.

لكن يد الوضع و الدس أبت إلا أن تختلق رواية في المقام، فقد جاءت في جامع البيان للطبري روايتان نذكرهما سنداً و متناً ليقف القارئ على ما تعانين من مأخذ:

١- حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن علي أنه كان هو و عبد الرحمن و رجل آخر شربوا الخمر فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ: يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت: لا تقربوا الصلاة و انتم سكارى.

٢- حدثني المثنى قال حدثنا الحجاج بن المنهال قال حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً و شراباً فدعا نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله فأكلوا و شربوا حتى تملّوا فقدموا علياً يصلي بهم المغرب فقرأ: قل يا أيها الكافرون اعبدوا ما تعبدون و أنتم عابدون ما أعبد و أنا عابد ما عبدتم. لكم دينكم و لى دين. فأنزل الله تبارك و تعالى هذه الآية: «لا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ» (٢).

و الروايتان- مضافاً إلى ما يرد عليهما من الاشكال- تعانين من مؤاخذات متعددة أبرزها الاشكال في سندهما، فكلتا الروايتان تنتهيان إلى عطاء بن السائب، و هو مطعون في وثاقته و ديانته، و في حفظه و حديثه، و إليك ما قال عنه أئمة علم الرجال:

(١) الدرجات الرفيعة: ص ٧٠ نقلاً عن الامالى لابن بابويه.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: ج ٥ ص ٦١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٤

قال عنه الذهبي: عطاء بن السائب أحد علماء التابعين، تغير بأخره و ساء حفظه.

قال عنه أحمد: من سمع منه قديماً فهو صحيح، و من سمع منه حديثاً لم يكن بشيء.

و قال عنه يحيى بن معين: لا يحتج به.

و قال أحمد بن أبي خيثمة عن يحيى: حديثه ضعيف.

و قال عنه أبو حاتم: محلّه الصدق قبل أن يخلط.

و قال النسائي: ثقّه في حديثه القديم لكنه تغير.

و قال ابن عثية: قدم علينا عطاء بن السائب البصرة، فكنا نسأله، فكان يتوهم، فنقول له: من؟ فيقول: اشياخنا ميسرة، و زاذان، و فلان.

و قال الحميدي، حدثنا سفيان، قال: كنت سمعت من عطاء بن السائب قديماً، ثم قدم علينا قدمه فسمعتة يحدث ببعض ما كنت

سمعت، فخلط فيه، فاتقيته و اعتزلته.

و اضاف الذهبي: «و من مناكير عطاء ...» (١).

أجل هذا هو عطاء في منظار علماء الرجال، انه سيئ الحفظ، ضعيف مخلط له مناكير، يتوهم، تغير بأخره، و قد ظهرت آثار الوهم و

سوء الحفظ و التخليط هذا في روايته هاتين. فهو تارة يقول أن علياً عليه السلام كان مأموماً في هذه القصة (كما في الرواية الاولى) و

تارة يقول كان عليه السلام إماماً للجماعة.

و هذه الرواية من مناكيره، و أوهامه بلا ريب، إذ كيف يصح أن ينسب إلى رجل لازم رسول الله صلى الله عليه و آله الطيب الطاهر

منذ نعومة أظفاره، شرب الخمر، و الائتمام برجل دونه في الفضل، أو إمامته للجماعة و تخليطه في قراءة سورة عظيمة من سور القرآن

الكريم!؟

و لنستمع معاً إلى ما يقوله إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام عن

(١) ميزان الاعتدال: ج ٣ ص ٧٠-٧٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٥

فترة صباه في كنف رسول الله صلى الله عليه وآله فانه أفضل رد على هذه الرواية و نظائرها: قال عليه السلام:

«قد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، و المنزل الخصب، و وضعي في حجره و أنا ولد يضمنني الى صدره، و يكنفني في فراشه، و يمسنني جسده و يسمني عرفه، و كان يمضغ الشيء فيلقمنيه و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة في فعل، و لقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره، و لقد كنت اتبعه إتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، و يأمرني بالافتداء به» (١).

هذا و أغلب الظن ان الذين اختلقوا هذه الرواية لما وجدوا أمثال هذه القبائح في حياة بعض الصحابة أرادوا ان يساووا بين الامام على عليه السلام و غيره، فاختلقوا هذه الفرية الوقحة.

و مما يثير الاستغراب أن يقع بعض الكتاب و المفكرين المعاصرين في نفس ما وقع القدامى من الخطأ في هذا المجال، و يذكر هاتين الروايتين في تفسيره للقرآن الكريم، مع كل هذه المؤاخذات عليهما حتى في صورة النقل، كما فعل سيد قطب في تفسيره «في ظلال القرآن» (٢)، إذ ليس كل ما هو مذكور في كتب الاقدمين يصح نقله، و يجوز تكراره. و بخاصة من دون تعليق و تكذيب.

(١)

## غزوة ذات الرقاع:

### إشارة

قيل إنما سميت هذه الغزوة، و هذا الجهاد المقدس بالرقاع، لأن المسلمين مروا بأرض بقع سود، و بقع بيض كأنها مرقعة برقع مختلفة. و ربما قيل لأن الحجارة أو هنت أقدام المجاهدين فكانوا يلقون على أرجلهم

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٩٢.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: «لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٦

الخرق، و الرقاع فسميت هذه الغزوة بذات الرقاع (١).

و على كل حال فان هذه الغزوة لم تكن ابتدائية تماما مثل بقية الغزوات، بل كانت لإطفاء شرارة كانت على شرف الاشتعال، و الانفجار، و بالضبط جاءت لتقضى على تحركات و استعدادات عدائية كان يقوم بها بنو محارب و بنو ثعلبة و كلاهما من قبائل غطفان.

(١) و قد كان من دأب النبي و سياسته أن يبت أشخاصا أذكاء إلى المناطق المختلفة ليأتوا له بالأخبار عن كل ما يستجد على ساحة الجزيرة العربية، و في أوساط القبائل.

فأتاه الخبر ذات مرة أن القبيلتين المذكورتين تنويان جمع الاسلحة و الرجال لاجتياح المدينة و غزوها، فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله و آله على رأس مجموعة من رجاله و أصحابه حتى نزل نخلا بنجد قريبة من مكان العدو (٢).

فدفعت سوابق المسلمين الجهادية، و ما سطره في المعارك و المواقف من قصص المقاومة و الصمود و البسالة و الاستقامة، و ما حققه من انتصارات ساحقة حيرت سكان الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها.

لقد دفعت كل هذا العدو إلى الانسحاب، و اللجوء الى رءوس الجبال، و قد خافوا ألما يبرح رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يستأصلهم.

و قد صلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالمسلمين في هذه الغزوة صلاة الخوف، التي بين الله تعالى كيفيتها في سورة النساء الآية ١٠٢.

و أغلب الظن أن العدو كان في هذه الغزوة قويا في تجهيزاته و قواه، و ان الاوضاع العسكرية قد وصلت الى مرحلة خطيرة مما سبب الخوف، و لكن الانتصار كان في المآل من نصيب المسلمين.

(١) السيرة النبوية، الهوامش: ج ٢ ص ٢٠٤.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٨٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٧

(١)

### مواقف خالدة في هذه الغزوة:

#### إشارة

يروى المؤرخون و المفسرون المسلمون كابن هشام «١» و أمين الاسلام الطبرسي «٢» قصصا عجيبة، و حوادث مثيرة للاعجاب وقعت في هذه الغزوة تكشف عن عمق مروءة النبي صلى الله عليه وآله مع أعدائه، و قد نقلنا نظير هذا في غزوة ذي أمر، من هنا نحجم عن ذكر ذلك في هذه الدراسة رعاية للاختصار، و لكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى القصة التالية التي تكشف عن صمود المسلمين و اخلاصهم لدينهم.

(٢)

#### الحراس الصامدون:

مع أن جيش الاسلام قد عاد الى المدينة من هذه الغزوة من دون قتال و لكنه أصاب مع ذلك بعض الغنائم، و استراح في شعب في أثناء الطريق، و بات ليلته هناك، ثم كلف رسول الله صلى الله عليه وآله رجلين بحراسة الجيش ليلا يدعيان: «عباد» و «عمار»، فقسم الرجلان الليل بينهما، فنام أحدهما و سهر الآخر يحرس الجيش، و كان الذي سهر أول الليل هو «عباد».

ثم إن رجلا من العدو خرج في أثر المسلمين، و كان يقصد أن يريق دما أو يصيب شيئا و يعود الى محله.

و قام «عباد» يصلي، و أقبل ذلك الرجل يطلب غزاة فلما رأى «عباد» سواده من قريب قال ذلك الرجل في نفسه: نعلم الله أن هذا لطبيعة القوم، و حرسهم فوق له سهما و رماه به فأصاب عبادا و لكن عبادا نزع السهم و وضعه، و ثبت قائما يصلي فرماه العدو بسهم آخر، فأصابه فانتزعه و ثبت قائما فرماه بثالث فنزعه، فلما غلب عليه الدم ركع و سجد، ثم قال لصاحبه: اجلس فقد اصبت، فجلس عمار، فلما رأى الاعرابي أن عمارا قد قام علم أنهما قد علما

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٠٥-٢٠٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ١٠٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٨

به: فقال عمّار: أى أخى ما منعك أن توقظنى به فى أول سهمرمى به؟!

قال: كنت فى سورة أقرأها وهى سورة الكهف، فكرهت أن أقطعها حتى أفرغ منها، و لو لا أنى خشيت أن اضيغ ثغرا أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وآله ما انصرفت و لو أتى على نفسى «١».

و هكذا صمد هذا المسلم و استمر فى صلاته غير مبال بما اصابته من السهام.

(١)

### بدر الثانية:

### إشارة

لما أراد أبو سفيان أن ينصرف يوم «احد» نادى: موعدنا و موعدكم بدر الصفراء العام القابل نلتقى فيه فنقتل.

ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين بأن يتهيئوا للدفاع على أنفسهم و قد مر على وقعة «احد» عام واحد.

و كان أبو سفيان الذى كان يرأس قريش آنذاك يواجه فى ذلك الوقت مشاكل داخلية مختلفة فكره الخروج الى رسول الله فى الموعد الذى ضربه لمقاتلة المسلمين، و اتفق أن قدم مكة فى تلك الايام «نعيم بن مسعود» الذى كانت بينه و بين أبى سفيان علاقات صداقة خاصة، فجاءه أبو سفيان و قال له: إئتى وعدت محمّدا و أصحابه يوم «احد» أن نلتقى نحن و هو ببدر الصفراء على رأس الحول، و قد جاء ذلك، و لا يصلح أن نخرج إليه العام.

فقال نعيم: ما أقدمنى إلّا ما رأيت محمّدا و أصحابه يصنعون من إعداد السلاح و الكراع، و قد تجلبب إليه حلفاء الأوس، فتركت المدينة أمس و هى كالرمانة.

فزاد ذلك من مخاوف أبى سفيان، و ضاعف من كراهته للخروج الى رسول الله صلى الله عليه وآله. و تقرر بالتالى أن يعود نعيم إلى المدينة و يحذر المسلمين من الخروج للموعد، و يخذلهم.

(٢) و عاد «نعيم» إلى المدينة، و راح يرعب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٠٨، المغازى: ج ١ ص ٣٩٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٢٩

و آله و يخوفهم من الخروج إلى أبى سفيان إلّا أن كلامه لم يترك أى أثر فى نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج صلى الله عليه وآله فى ألف و خمسمائة مقاتل من أصحابه، و قد خرجوا ببضائع لهم، و تجارات حتى انتهوا الى «بدر» و قام السوق السنوى هناك فباعوا و اشتروا فى موسم بدر و ربحوا كثيرا ثم تفرّق الناس، و لكن النبى و أصحابه بقوا هناك ثمانية أيام ينتظرون أبى سفيان و جيشه.

و قد كان هذا الاجراء اجراء عسكريا حكيما و رائعا إذ أظهر قوة النبى و عزمته و قوة أصحابه و عزمهم، و لهذا كان له أثر قوى فى نفوس الاعداء.

فلما بلغت أنباء خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه إلى بدر، لم ير حكام مكة المشركون بداً من الخروج إلى بدر حفاظاً على ماء الوجه، فخرج أبو سفيان والمشركون بتجهيزات كافية إلى مَرَّ الظهران، ولكنهم عادوا من منتصف الطريق إلى مكة بحجة الغلاء والقحط، فاعترض صفوان بن أمية على أبي سفيان وقال: قد والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم، وقد اجترءوا علينا، وأوأنا قد أخلفناهم، وإنما خلفنا الضعف عنهم (١).

### ولادة السبط الأصغر لرسول الله:

(١) وفي الثالث من شهر شعبان من هذه السنة (الرابعة من الهجرة) ولد السبط الثاني لرسول الله صلى الله عليه وآله الامام الحسين بن علي «٢»، كما توفيت «فاطمة بنت أسد» والددة الإمام علي عليه السلام «٣». وفي هذا العام بالذات أمر رسول الله صلى الله عليه وآله زيد بن حارثة أن يتعلم السريانية من اليهود «٤».

(١) المغازي: ج ١ ص ٣٨٤ - ٣٩٠، وقد وقعت هذه الحادثة في الشهر الخامس والاربعين بعد الهجرة. وتسمى هذه الغزوة «بدر الموعد».

(٢) و (٣) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٦٧.

(٤) إمتاع الاسماع: ص ١٨٧، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٦٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٠

(١)

### حوادث السنة الخامسة من الهجرة «١»

#### ٣٦ من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة

#### إشارة

تعتبر معركة «الاحزاب»، وقصة بنى قريظة، و زواج رسول الله صلى الله عليه وآله بزینب بنت جحش من أروع الحوادث التاريخية التي وقعت في السنة الخامسة من الهجرة.

و أول هذه الحوادث - كما عليه المؤرخون المسلمون - هو زواج رسول الله صلى الله عليه وآله بالمرأة المذكورة.

وقد ذكر القرآن الكريم تفاصيل هذه القضية ضمن الآيات (٤، ٦، ٣٦، الى ٤٠) من سورة «الاحزاب»، ولا يبقى - حينئذ - مجال لأكاذيب المستشرقين و دسائسهم و مختلفاتهم الواهية.

و نحن هنا ندرس هذه القضية على ضوء أصح المصادر و الينابيع التاريخية الاسلامية التي لم تطلها أيدي العيب و التحريف، و المسخ، و التشويه، ألا و هو القرآن الكريم، ثم بعد ذلك نتحدث حول ما قاله المستشرقون و من لف لفهم،

(١) يرى مؤلف كتاب تاريخ الخميس أن هذه الحادثة وقعت في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة و لكن هذا الرأي يبدو غير صحيح من وجهة نظر المحاسبة الاجتماعية، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان منشغلاً بغزوة «الاحزاب»، و «بنى قريظة» من ٢٤ شهر شوال من السنة الخامسة الى ١٩ من شهر ذي الحجة من نفس السنة فيكون تحقق مثل هذا الزواج في مثل هذه الظروف أمراً

مستبعدا جدا، و اذا كان الزواج من زينب يعدّ من حوادث السنة الخامسة لزم ان يكون قد تحقق قبل الحادثتين المذكورتين، و لهذا عمدنا الى ذكر هذه الحادثة قبل تينيك الواقعتين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣١

و نحى منحاهم فى التعامل مع تاريخ السيرة النبوية.

(١)

### من هو زيد بن حارثة؟

كان زيد شابا سرقة قطاع الطرق من الأعراب و هو صغير من قافلة، و باعوه عبدا فى سوق عكاظ، و قد اشتراه حكيم بن حزام لعمة خديجة بنت خويلد، و قد أهده خديجة لرسول الله صلى الله عليه وآله و آله بعد زواجها منه.

و لقد دفعت سيرة النبي صلى الله عليه وآله و آله الحسنه، و أخلاقه الفاضله و سجايه النبيلة زيدا هذا فى أن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله حبا شديدا، حتى أنه عند ما جاء أبوه الى مكة يبحث عنه، و علم بوجوده عند النبي صلى الله عليه وآله مشى الى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و طلب منه أن يعتقه، و يعيده إليه، ليعيده بدوره الى أمه و يلحقه بأقربائه، فابى زيد إلا البقاء عند رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و فضل ذلك على المضى مع أبيه، و العوده الى وطنه، و عشيرته، و قد خيره رسول الله صلى الله عليه وآله فى المكث عنده أو الرحيل مع أبيه الى وطنه.

(٢) على أن ذلك الانجذاب و الحب كان متبادلا بين زيد و رسول الله صلى الله عليه وآله فكما أن زيدا كان يحب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و يحب أخلاقه و خصاله، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب زيدا كذلك لنباهته و أدبه حتى أنه أعتقه و تبناه، فكان الناس يدعونه زيد بن محمد بدل زيد بن حارثة، و لكى يتأكد ذلك وقف رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم و قال لقريش:

«يا من حضر اشهدوا أن زيدا هذا ابني» (١).

و قد بقى هذا الحب المتبادل بين زيد، و بين رسول الله صلى الله عليه وآله الى أن استشهد هذا المسلم الصادق و المؤمن المجاهد فى معركة مؤتة، فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لمصرعه كما حزن لولد من أولاده.

(١) اسد الغابة: ج ٢ ص ٢٣٥ و كذا الاستيعاب و الإصابة مادة: زيد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٢

(١)

### زيد يتزوج بابنة عمه النبي:

لقد كان من أهداف رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله هو أن يخفف من الفواصل بين طبقات المجتمع و فئاته، و يقارب بينها قدر الامكان، ليعيش البشر جميعا تحت لواء الانسانية و التقوى إخوة متحابين لا تبعد بعضهم عن بعض مقاييس الثروة و النسب، بل يكون الملاك فى التفاضل هو الأخلاق الفاضله و السجاي الانسانية.

من هنا كان يجب التعجيل فى ازالة التقاليد العربية البالية التى كانت تقضى بأن لا يتزوج بنات السادة و الاشراف بأبناء الطبقات الضعيفة و الفقيرة.



و أى وسيلة لضرب هذا التقليد القبيح الظالم و تحقيق المساواة الكاملة أفضل من أن يبدأ النبي صلى الله عليه وآله فى تحطيم هذا التقليد بأقربائه و ذويه ليقدم بذلك درسا عمليا للامة فى هذا المجال، فقام بتزويج عتيقه «زيد بن حارثة» من شريفة من بنى هاشم و هى ابنة عمته زينب بنت جحش حفيده عبد المطلب ليعلم الناس أنه يجب عليهم الاقلاع عن تلك التقاليد الجاهلية الظالمة بسرعة، و يعرفوا أن النبي صلى الله عليه وآله هو أول من نفذ فى حق ذويه ما كان يردده من قوله: «لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى» و «إن المؤمن كفؤ المؤمن».

(٢) و لأجل تحطيم ذلك التقليد الجاهلي الخاطي ذهب رسول الله بنفسه إلى منزل زينب، و خطبها لزيد، فلم تبد زينب و أخوها رغبة فى هذا الأمر فى الوهلة الأولى لأن الأفكار الجاهلية كانت لا تزال مترسبة فى قلوبهم، و من ناحية اخرى كان الرد على النبي صلى الله عليه وآله و آله أمرا صعبا و لهذا تذرعا بعبودية «زيد» السابقة و حاولا بذلك التخلص من مطلب النبي صلى الله عليه وآله.

فلم يلبثا أن نزل قوله تعالى يشجب رد زينب و أخيها لطلب النبي صلى الله عليه وآله:

«وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٣

مِنْ أَمْرِهِمْ، وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» (١).

فتلاها رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم فورا فدفع إيمان زينب و أخيها الصادق برسول الله صلى الله عليه وآله و أهدافه المقدسة إلى أن تبادر زينب إلى الاعلان عن رضاها و رضا أخيها بهذا الزواج، فتزوجت ابنة شريف قوم «زينب» بعتيق رسول الله صلى الله عليه وآله زيد و بذلك طبق رسول الله صلى الله عليه وآله و آله واحدا من أعظم مناهج الاسلام الحية، و آدابه الانسانية الرفيعة، و حطم عمليا واحدة من أفبح السنن الجاهلية، و أكثرها تخلفا و اجحافا.

(١)

### زيد يطلق زوجته:

إلا أن هذا الزواج لم يدم طويلا، فقد آل إلى الطلاق، و الافتراق و يعزى البعض ذلك إلى نفسيته «زينب» و سلوكها الحاد حيث كانت ربما تذكر لزيد دنو حسبه، و علو حسبها، و بذلك كانت تمر فى ذائقته طعم الحياة و تسبب انزعاجه.

و لكن يحتمل أن السبب وراء هذا الطلاق كان هو زيد نفسه، فان تاريخ حياته يشهد بأنه كان يعاني من روح العزلة، و عدم الالفة، فقد اتخذ أزواجا متعددة و طلقهن (إلا الاخيرة منهن حيث استشهد عنها و هى فى حبالته) فيكون هذه الطلاقات المتعددة دليلا على عدم القدرة على الانسجام مع زوجاته، لحالة نفسيته كان يعاني منها.

و يشهد بذلك أيضا خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله الحاد، له، فان النبي صلى الله عليه وآله لما عرف بأن زيدا يبغى طلاق زوجته زينب غضب و قال: «أمسك عليك زوجك و اتق الله» (٢).

و لو كان الذنب كله ذنب زوجته زينب لما كان يعد تطبيقها عملا مخالفا للتقوى.

(١) الاحزاب: ٣٦.

(٢) الاحزاب: ٣٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٤

و مهما يكن فقد طلق زيد زينبا و افترقا، ثم تزوج بها النبي صلى الله عليه وآله بعد ذلك.

(١)

## زواج النبي بمطلقة متبناه لإبطال سنة جاهلية أخرى:

### إشارة

و لكن قبل أن ندرس العلة الأساسية لهذا الزواج لا بد أن نلقى نظرة فاحصة إلى مسألة النسب الذي يعدّ مقوما مهما من مقومات المجتمع الصحيح.

و بعبارة أخرى و أكثر تحديدا لا بد أن ندرس الفرق الجوهرى بين الولد الحقيقى، و بين المتبنى.

و توضيحا لهذا الأمر نقول:

كان يوجد فى المجتمع العربى الجاهلى أبناء لا يعرف لهم آباء أو لهم آباء معروفون، و كان الرجل يعجبه أحد هؤلاء فيتبناه و يدعوه ابنه، و يلحقه بنسبه و تصير له حقوق النبوة و ملحقاتها.

و لما كان هذا شذوذا عن الأساس الطبيعى للأسرة أبطله الإسلام و ذلك لأن الولد الحقيقى ينتمى إلى أبيه بجذور تكوينية، فالوالد هو- فى الحقيقة- المنشأ المادى لوجود ابنه، و يرث الولد من والده و والدته الكثير من صفاتهما الجسمية و الروحية، و بذلك يكون امتدادا طبيعيا لوالديه.

(٢) و على أساس هذه الوحدة الطبيعية، و وحدة الدم يتوارث الآباء و الأبناء، و تترتب أحكام خاصة فى مجال الزواج و الطلاق، و التحليل و التحريم.

و بناء على هذا فان مثل هذا الموضوع الذى ينشأ من جذور تكوينية واقعية، لا يوجد أبدا باللفظ و اللسان.

و لهذا قال الله سبحانه فى الكتاب العزيز فى معرض الردّ على من يتصور المتبنى ولدا حقيقيا لمجرد ادعاء النبوة:

«وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ. ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَ مَوَالِيكُمْ وَ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَ لَكِنْ

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٢٣٥

مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً» (١).

فلا يكون الابن المتبنى و الولد الحقيقى فى صعيد الموضوع سيان أبدا، فكيف فى صعيد الاحكام كالتوارث، و الزواج و الطلاق و ما شابه ذلك.

فاذا ورث الولد الحقيقى من ابيه او بالعكس أو حرمت زوجته الولد الحقيقى على ابيه بعد طلاقها من زوجها لا يمكن أن نقول أن الابن المتبنى يشبهه و يشترك معه فى هذه الاحكام أبدا.

(١) و من المسلم به أن مثل هذا التشريك فى الحقوق و الشؤون مضافا إلى كونه لا يستند الى أساس معقول و صحيح هو نوع من العبث بعامل النسب، و هو العنصر المهم فى المجتمع السليم الصحيح.

و على هذا الأساس إذا كان التبنى بدافع العاطفة أمرا مستحسنا و مقبولا، إلّا أنه إذا كان بهدف إشراكه فى سلسلة من الأحكام الاجتماعية التى هى من شئون الولد الحقيقى و حقوقه يعدّ أمرا بعيدا و غريبا جدا عن المحاسبات العلمية، و الأساس الموضوعية.

و لقد كان المجتمع العربى- كما اسلفنا- يعدّ الابن بالتبنى كالولد الحقيقى دون فرق، و قد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله من جانب الله تعالى بأن يقضى على هذا التقليد الجاهلى و السنة الخاطئة باجراء عملى صارخ و ذلك بالتزوج بزينة مطلقة متبناه «زيد»، و يحى من حياة المجتمع العربى هذا التقليد القبيح بالعمل الذى يفوق القول، و وضع القانون، فى التأثير، و الفاعلية. و لم يكن لهذه الزيجة غير هذا السبب.

(٢) لقد كان هذا التقليد أمراً مقدساً في المجتمع العربي بشكل كبير جداً بحيث لم يكن أحد ليجراً على نقضه و مخالفته و التزوج بمطلقة دعيه «٢» لقبحه في نظر العرب لذلك دعا الله سبحانه نبيه الى القيام بهذا العمل الخطير، إذ قال:

(١) الأحزاب: ٤ و ٥، راجع تفسير الميزان: ج ١٦ ص ٢٩٠ و ٢٩١.

(٢) الدعوى هو الابن المتبنى و جمعه أدياء.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٦

«وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ اتَّقِ اللَّهَ وَ تَخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَ تَخْشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكُنِيَ لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» (١).

(١) إن هذا الزواج مضافاً إلى كونه استهدف منه تحطيم سنّة جاهليّة مقيته (سنه عدم الزواج بمطلقة المتبنى) و إعادة العلاقات العائليّة الى وضعها الصحيح يعتبر من أقوى مظاهر المساواة في الإسلام، لأن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله تزوج بمطلقة عتيقه و قد كان مثل هذا العمل مخالفاً لشؤون المجتمع يومذاك.

و لقد أثار هذا الاقدام الشجاع موجةً من الاعتراض و النقد من جانب المنافقين، و أصحاب العقول الضيقة، فقد طرحت هذه المسألة في الاوساط و النوادي و أخذوا يشنعون بها على رسول الله صلى الله عليه وآله و يقولون: لقد تزوج محمد بمطلقة دعيه. فأنزل الله تعالى في الرد على تلكم الافكار و الاقوال الباطلة قوله:

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» (٢).

(٢) على أن القرآن لم يكتف بهذا البيان بل امتدح نبيه الذي نفذ حكم الله بشجاعته كاملة بقوله:

«مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا. الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا» (٣).

و خلاصة المفاد لهاتين الآيتين هي أن رسول الله صلى الله عليه وآله كغيره من الأنبياء يبلغ رسالات الله و لا يخاف لوم اللائمين، و كيد المنافقين، و إرجاف المرجفين.

(١) الأحزاب: ٣٧.

(٢) الأحزاب: ٤٠.

(٣) الأحزاب: ٣٨ و ٣٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٧

هذه هي فلسفة تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله بزينب بنت جحش مطلقة دعيه و متبناه و عتيقه زيد بن حارثة في ضوء القرآن الكريم.

(١)

**المستشرقون و قضية تزوج النبي بزينب:**

**إشارة**

إن زواج رسول الله صلى الله عليه وآله بزینب مطلقه زيد بن حارثة - كما لاحظت - قضية بسيطة خالية عن أى إبهام أو غموض. ولكن جماعة من المستشرقين تذرّعوا بها لإغراء البسطاء و من شاكلهم غير الملمّين بالتاريخ الاسلامى و أرادوا بذلك إضعاف إيمان الذين لا يعرفون السيرة النبوية حق المعرفة، فأننا يجب أن ندرس ما قالوه فى هذا المجال، و نكشف للقارئ الكريم عن مواطن الدس و التحريف فيه.

و لا يخفى أن الاستعمار البغيض لم يكتف للسيطرة على بلادنا باستخدام القوة العسكرية، و السلاح الاقتصادى بل ربما دخلها متسترا بقناع العلم و التحقيق، فقد سعى - و لم يزل - لفرض أسوأ هيمنة فكرية شاملة و تبعية ثقافية مقبولة على شعوبنا وفق تخطيط دقيق و مدروس و هذا هو ما يسمّى بالاستعمار الفكرى، و الثقافى.

و فى الحقيقة فإن المستشرق هو طليعة ذلك الاستعمار، بل و جيشه المتفجع بقناع العلم و المعرفة الذى ينفذ إلى أعماق المجتمع، و يتسلل إلى اوساط المفكرين و المثقفين و ينفث سمومه القاتلة، و يحذر العقول، و يمهد النفوس للاستعمار السافر، و المكشوف. (٢) و يمكن أن لا يرتضى كثير من الكتّاب و عشاق القلم و الثقافة فى الغرب منطقنا هذا فيعمدوا الى رمينا بالتحجر، و العصبية و التخلف و يتصوروا باننا نقول ما نقوله بدافع العصبية القومية أو الدينية، و لكن كتابات المستشرقين و إخفاءهم المتعمد و الكثير للحقائق، و تحريفهم و دسهم المكشوف فى تاريخ الاسلام حينا و الخفى حينا آخر يشهد بوضوح أن دافعهم فى كثير مما كتبوا ليس حب العلم و تحزى المعرفة، فان أكثر ما كتبه ممزوج بطائفه من أفكارهم المعادية للاسلام، و لرسول

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٣٨

الله و المسلمين «١».

(١) و يشهد على هذه النزعة - بجلاء و وضوح - موقفهم من زواج رسول الله صلى الله عليه وآله بزینب بنت جحش و ما نسجوه من قضايا خيالية حول هذه القضية، التى وقعت بهدف إبطال سنة باطله، فأعطوها صبغة قصص الحب و أساطير الغرام على طريقة القصصين و الروائيين و ديدنهم، و عمدوا إلى حكاية تاريخية مختلقة و ضخموها و نفخوا فيها و نسبوه إلى أظهر إنسان عرفه العالم البشرى.

و على كل حال فان أساس هذه الاسطورة عبارات نقلها ابن الأثير «٢» و من قبله الطبرى «٣» و بعض المفسرين، و هى أنه: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يريد زيدا و على الباب ستر من شعر فرفعته الريح فرآها و هى حاسرة فأعجبته!!!

و لكن المستشرقين بدل أن يتحققوا من سند هذه الأقوال، لم يكتفوا بنص ما ذكره اولئك المؤرخون و المفسرون، بل الصقوا به الكثير الكثير حتى تحوّلت تلك الجمل العابرة إلى قصة تشبه أقاصيص ألف ليلة و ليلة.

(٢) إن من المؤكد أن الذين يعرفون سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله الطاهرة يدركون أن هذا التاريخ إنما هو فى أصله و فرعه من نسج الخيال، و صنع الأوهام، و انها تخالف ما فى صفحات التاريخ النبوى الوضاعة النقية مخالفة كاملة، الى درجة أن علماء معروفين كالفخر الرازى و الألوسى كذبوا هذه القصة بشكلها الذى ذكرها ابن الأثير و الطبرى بصراحة كاملة و قالوا: إن هذه الرواية رواية باطله زورها و اختلقها أعداء الاسلام، و راجت فى كتب المؤلفين المسلمين «٤».

فكيف يمكن القول بأن هذه القصة و بهذه الكيفية كانت مما يعتقد بصحته

(١) للتأكد الأكثر من هذا الأمر (راجع كتاب المستشرقون).

(٢) و (٣) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ١٢١، جامع البيان فى تفسير القرآن: ج ٢٢ ص ١٠.

(٤) مفاتيح الغيب: ج ٢٥ ص ٢١٢، روح المعانى: ج ٢٢ ص ٢٣ و ٢٤.

ابن الأثير، والطبري في حين أن هناك العشرات ممن نقلوا خلافها و برّأوا ساحه النبي العظيم صلى الله عليه وآله من هذه المساوي. وعلى أية حال فإننا نشير في الصفحات التالية لدلائل اختلاق هذا القسم من التاريخ، و نعتقد أن القضية في واقعها و حقيقتها واضحة جدا، و اغنى من ان ندافع عنها.

## و إليك أدلتنا:

(١) أولا- ان التاريخ المذكور يخالف المصدر الاسلامي الاصيل و هو (القرآن الكريم) لأن القرآن بشهادة الآية (٣٧) من سورة الأحزاب تصرّح بأنّ زواج رسول الله صلى الله عليه وآله من زينب كان لأجل إبطال سنة جاهلية باطلة و هي السنّة القاضية بأنه لا يحق لأحد أن يتزوج مطلقه دعيه، خاصة و أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله فعل ذلك بأمر الله سبحانه و ليس بدافع من الرغبة الشخصية، و الحب الشخصي، و لم يكذب ذلك أحد في صدر الاسلام.

فاذا كان ما قاله القرآن الكريم مخالفا للحقيقة لسارع اليهود و النصارى و المنافقون الى نقده و تفنيده، و لأحدثوا ضججه بسبب ذلك، في حين أنّ مثل هذا لم يؤثر من أعداء الاسلام الذين كانوا يتحينون الفرص للإيقاع برسول الله صلى الله عليه وآله، و تلوّث سمعته. (٢) ثانيا- أنّ «زينب بنت جحش» هي تلك المرأة التي اقترحت على رسول الله صلى الله عليه وآله الزواج بها قبل أن يتزوج بها «زيد» و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله أصرّ على ان تتزوج غلامه المعتق زيدا رغم رغبتها في الزواج من رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلو كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّ الزواج بها- و هو يعرفها طبعاً- لما وجد مانعا من ذلك عند ما طلبت منه الزواج بها، فلما ذا لم يتزوج بها؟ و لما رفض طلبها؟.

أجل، انه لم يتزوج بها و لم يجب مطلبها بل ألحّ عليها أن تتزوج بشخص آخر رغم أنه أحسّ برغبة شديدة لدى زينب في الزواج منه لا من غيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٠

(١) و بعد تكذيب هذا القسم المحرّف من التاريخ الاسلامي لا يبقى مجال لتعليقات و أوهام جنود الاستعمار و طلائع المغرضين. إننا نبزئ ساحه رسول الاسلام العظيم صلى الله عليه وآله من أمثال هذه الترهات و النسب الرخيصة و نرى أن ساحته المقدسة أجلّ من أن نقل كلمات هذا الفريق من الكتاب المغرضين الحاقدين في حقّ نبيّ بقى مكثفيا بزوجه تكبره بشمانية عشر عاما، الى أن بلغ سن الخمسين.

من هنا نعرض عن ذكر أقوالهم.

و لا بأس بأن نذكر هنا ما كتبه جماعة من المحققين المصريين الذين أشرفوا على طباعة «التاريخ الكامل» لابن الأثير تعليقا على ما أدرجه في هذا المجال:

هذه رواية باطلة زورها الملاحدة، و اختلقها أذهان أعداء الدين الاسلامي ليطعنوا في نبي الاسلام عليه و على آله الصلاة و السلام، و هل يعقل: انه لا يعرف ابنة عمته التي كان ولي زوجها إلى مولاه زيد؟ و انما دسائس الزنادقة، و مبشري المسيحية قد تغلغت في نفوس العلماء من حيث لا يعلمون، فافتكروا في رواية الخبر، فاتخذوه أساسا، و أعرضوا عن كتاب الله و عن قول الله تعالى من أنّ الله أعلمه بأنها صارت زوجه قبل أن استشاره زيد في طلاقها.

و العجيب أن ابن الأثير مع جلاله قدره ينقل هذه الرواية المزيفة التي هي طعن صريح في رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، و قد قلّد في روايته هذه ابن جرير قبله، و كلاهما وقع في هوة الضلالة من حيث لا يشعر، و لو عرضت كل رواية على كتاب الله تعالى لما

أقدم أحد على مثل هذا الإفك العظيم!!

إن زينب هي وهبت نفسها لرسول الله فزوجها من مولاها، ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «كى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا»، فاذن كان الزواج لأجل التشريع، و كان عمليا، لشدة نفرة أهل الجاهلية من هذا الزواج من النبى صلى الله عليه وآله، لانهم يعدون المتبنى ولدا صريحا أو فى مرتبه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤١

قال الفخر الرازى: وفيه إشارة إلى أن التزويج من النبى صلى الله عليه وآله لم يكن لقضاء شهوة النبى صلى الله عليه وآله بل لبيان الشريعة بفعله، انتهى.

و نحن نعتب عليه أيضا إذ جعله إشارة و لم يجعله صريحا و بما أن روح التقليد الأعمى قد اشتد بين المسلمين منذ زمن بعيد فالحكاية التى أوردها المؤلف نقلها كثير من المفسرين غير مفكرين بما فيها من طعن فى الدين لإفادتها أن الشريعة الإسلامية عبارة عن إتباع أهواء أو تنفيذ شهوات تنزهت عن ذلك كله، و يرحم الله السيد الألوسى حيث قال فى تفسيره: و حاصل العتاب: لم قلت «امسك عليك زوجك»، و قد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك و هو مطابق للتلاوة، لأن الله أعلم أنه مبدئى ما أخفاه عليه الصلاة و السلام و لم يظهر غير تزويجها منه فقال: «زوّجناكها» فلو كان الضمير محبتها و ارادة طلاقها، و نحو ذلك لأظهره جلا و علا، و للقصاص فى هذه القصة كلام لا ينبغي أن يجعل فى حيز القبول، انتهى.

ثم أورد الروايات المزيفة التى تشبه ما أورده المؤلف (أى ابن الأثير) محذرا الناس منها و من أمثالها التى لا تروج إلّا على الحمقى و المغفلين انتهى. راجع هامش الكامل فى التاريخ ج ٢ ص ١٢١. طبعة القاهرة ادارة الطباعة المنيرية عام ١٣٤٩ هـ.

(١)

### توضيح عبارتين:

هذا و استكمالا للبحث، و اتماما للفائدة ندرج نص الآية التى نزلت فى هذا المجال، و التى تسببت جملتان منها فى إثارة الشكوك لدى بعض الجاهلين بحقائق السيرة النبوية الزكية، و نعطي بعض التوضيحات اللازمة حولهما: و إليك نص الآية أولا:

«وَ إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَ اتَّقِ اللَّهَ».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٢

و فيما يلى الجملتان اللتان تحتاجان الى التوضيح:

«و تخفى فى نفسك ما الله مبديه».

(١) فما ذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخفى فى نفسه و قد أظهره الله و أبداه بعد كل تلك النصيحة التى نصح بها صلى الله عليه وآله و آله زيدا؟

ربما يتصور أحد أن الأمر الذى كان يخفيه رسول الله صلى الله عليه وآله هو رغبة النبى صلى الله عليه وآله فى تطبيق زيد زوجته زينب أى أنه و ان كان رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ينهى زيدا فى الظاهر عن تطبيق زينب، إلا أنه كان فى سره يرضى بذلك بل يرغب فيه ليتسنى له بعد ذلك أن يتزوجها هو.

و لا شك أن هذا الاحتمال غير صحيح مطلقا لأن النبى صلى الله عليه وآله إذا كان يظن مثل هذا الأمر، فلما ذا لم يبد الله سبحانه نيته هذه بآيات اخرى، فى حين أنه سبحانه وعد فى هذه الجملة بأن يظهر ما كان يخفيه رسول الله فى نفسه إذ قال تعالى: «مَا اللَّهُ

مُبْدِيهِ»!؟

(٢) و لهذا قال المفسرون: إن المقصود مما كان يخفيه هو الوحي الالهي الذي أنزله الله عليه، و توضيح ذلك هو: أن الله تعالى أوحى إليه بأن زيدا سيطلق زوجته رغم نصيحة النبي، و أنه صلى الله عليه و آله سيتزوج بها من بعده لإبطال سنه جاهلية مقية (و هي حرمة الزواج بمطلقة الدعى).

و من هنا كان رسول الله صلى الله عليه و آله حين نصيحته لزيد و نهيته عن تطليق زينب زوجته ملتفتا و منتبها إلى هذا الوحي الالهي أيضا، و لكنه أخفى هذا الوحي عن زيد و غيره، و لكن الله تعالى أخبر النبي في نفس تلك الجملة بأنه تعالى سيبدى للناس ما يخفيه رسول الله صلى الله عليه و آله في قلبه، و أن الامر لن يبقى خافيا على أحد بإخفائه صلى الله عليه و آله له.

و يشهد بهذا المعنى أن القرآن الكريم اظهر الامر في ذيل نفس هذه الآية إذ قال:

«فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٣

فِي أَزْوَاجٍ أَذْعِيَابِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» (١).

فمن هذا التعقيب يستفاد أن ما كان يخفيه رسول الله صلى الله عليه و آله هو الوحي الالهي، بأنه عليه أن يتزوج بزوجه دعيه بعد طلاقها لإبطال سنه جاهلية خاطئه.

(١) ٢- و اما الجملة الثانية التي هي بحاجة الى التوضيح فهي قوله تعالى: «وَ تَخَشَى النَّاسَ وَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ». غير أن هذا القسم

من الآية هي الجملة الثانية الأقل إيهاما و غموضا من الجملة السابقة بدرجات، لأن تجاهل سنه عريقه متجدرة في بيئه منحرفة (و هي

الزواج بمطلقة الدعى) يقتزن - بطبيعة الحال و حتما - بحرج نفسى يزول و يرتفع لدى الأنبياء بتوجههم إلى الأمر الالهي ..

و اذا كان النبي صلى الله عليه و آله يعانى من حرج نفسى شديد من هذه القضية فانما هو لأجل أنه صلى الله عليه و آله كان يتصور

أن جماعة العرب الذين لم يكن عهدهم بالإسلام طويلا، لم يمر على انقطاعهم عن عاداتهم و تقاليدهم الجاهلية سوى زمن قصير

سيقولون: إن النبي ارتكب عملا سيئا، و الحال أن الامر ليس كما يعتقدون.

قال العلامة الطباطبائي في هذا الصدد: قوله: «لكى لا- يكون على المؤمنين حرج في ازواج أذعياهم لئلا يقضوا منهن وطرا» تعليل

للتزويج و بيان مصلحه للحكم. و قوله: و «كان أمر الله مفعولا» مشير الى تحقق الوقوع و تأكيد للحكم.

و من ذلك يظهر أن الذى كان النبي صلى الله عليه و آله يخفيه فى نفسه هو ما فرض الله له أن يتزوجها لا هواها، و حبه الشديد لها و

هى بعد مزوجه كما ذكره جمع من المفسرين، و اعتذروا بأنها حالة جليته لا يكاد يسلم منها البشر فإن فيه أولا: منع أن يكون بحيث

يقوى عليه التربية الإلهية. و ثانيا: أنه لا معنى حينئذ للعتاب على كتمانها و إخفائه فى نفسه فلا مجوز فى الإسلام لذكر حلائل الناس

(١) الاحزاب: ٣٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٤

و التشبب بهن (١).

و لما كانت المسألة مسأله وضع قانون جديد لهذا مضى القرآن الكريم يؤكدها و يزيل عنصر الغرابة عنها فقال تعالى: «ما كان على

النبي من حرج فيما فرض الله له سئته الله فى الذين خلوا من قبل و كان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه و لا

يخشون أحدا إلا الله، و كفى بالله حسيبا. ما كان مُحَمَّدٌ أبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ

عَلِيمًا. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أُصِيلًا. هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

النُّورِ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا. تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا. وَ

دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا. وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا. وَ لَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعَا أَذَاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى



اللَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا» (٢).

ففي هذه الآيات إشارة إلى:

- ١- أن ما قام به النبي من التزوج بزینب كان بأمر الله، و كان على سبيل سنّ قانون و تشريع سنه و لكن بصورة عملية، و إن ذلك القانون علم الله ضرورتها و قدرها و زمانها و مكانها.
- ٢- أن زيدا ليس ابن محمّد صلّى الله عليه و آله انما هو متبناه و دعيه بل هو ابن والده حارثه واقعا و حقيقة و ليس ذلك إلّا تقرير و تأكيد للحقيقة التي سبقت الإشارة إليها في قوله تعالى: «وَمَا جَعَلْ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ».
- ٣- أن ما قام به رسول الله صلّى الله عليه و آله من التزوج بمطلقة متبناه هو جزء من تشريعه الذي يشّعه بأمر الله و إذنه تعالى لتسير عليه البشرية، وفق آخر رسالة السماء الى الأرض، لا أنه أمر واقع بدافع شخصي.

(١) تفسير الميزان: ج ١٦ ص ٣٤٣.

(٢) الاحزاب: ٣٨-٤٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٥

٤- إن الله هو الذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية و ما يصلحها و هو الذي فرض على النبي ما فرض ليحلّ للناس ازواج أديعتهم اذا ما قضاوا منهن وطرا و انتهت حاجتهم منهن و اطلقوا سراجهن. قضى الله هذا وفق علمه بكل شيء، و معرفته بالاصلح و الاوفق من النظم و الشرائع.

٥- إن ما سنّه الله للمسلمين و ما اختاره تعالى للامة الاسلامية في مجال العلاقات العائلية يريد بها الخير و الخروج من الظلمات إلى النور، فعليهم ان يذكروه و يشكروه أبدا و دائما، فانه سيكون لهم لو أطاعوه و سبّحوه و ذكروه شأن في الملاء الاعلى فهو يصلّى عليهم و ملائكته، و يذكرهم هناك بالخير، و انما يفعل كل هذا من منطلق الرحمة و العناية بهم.

٦- أن وظيفة النبي صلّى الله عليه و آله في المسلمين هي (الشهادة) عليهم، فليحسنوا العمل، و هي (التبشير) لهم بما ينتظر العاملين من رحمة و غفران، و (الانذار) للغافلين المسيئين بما ينتظرهم من عذاب و نكال، و (الدعوة الى الله) لا إلى دنيا أو مجد أو عزة قومية أو عصبية جاهلية، و ذلك باذن الله فما هو بمبتدع، و لا بقائل من عنده شيئا.

٧- ان على النبي صلّى الله عليه و آله أن يبشّر المؤمنين المطيعين لاوامر الله بأن لهم فضلا كبيرا، و لا يطيع الكافرين، و المنافقين، و إلّا يحفل أذاهم له و للمؤمنين، و ان يتوكل على الله وحده و هو بنصره كفيل، و هو يوحى بأن المنافقين أرجفوا بالنبي صلّى الله عليه و آله في هذه القضية، ارجافا عظيما.

و كل هذه الامور توحى بأن تغيير تلك السنة الجاهلية (عدم الزواج بمطلقة المتبني) كانت عملية صعبة فاحتاجت إلى كل هذا التعقيب، و بالتالي تثبيت الله للنفوس فيه، كي تتلقى ذلك الأمر بالرضى و القبول و التسليم، و هذا هو الحال عند سنّ القوانين المهمة و الخطيرة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٦

(١) ٣٧

غزوة الاحزاب «١» لقد قاد رسول الله صلّى الله عليه و آله في السنة الخامسة مجموعة من الغزوات، كما و بعث سلسلة من السرايا لافشال المؤامرات التي كانت في طور الانعقاد أو التكوين أو التي كانت محتملة من جانب العدو.

و إليك فيما يأتي بعض غزوات السنة الخامسة:

(٢) ١- غزوة دومة الجندل «٢»: بلغ رسول الله صلّى الله عليه و آله أن بدومة الجندل جمعا كثيرا و أنهم يظلمون من مرّ بهم من



المسافرين و التجار، و أنهم يريدون أن يدنوا من المدينة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل و يكمن النهار أخذ بعنصر الاستتار و السرية على عادته.

و لما دنا رسول الله صلى الله عليه وآله من دومة الجندل و عرف به تلك الجماعة تفرقوا من فورهم فلم يجد صلى الله عليه وآله بها أحدا، فأقام بها أياما و بثّ السرايا و الدوريات و فرّقها حتى غابوا عنه يوما ثم رجعوا إليه، و لم يصادفوا من

(١) ذكر ابن هشام في سيرته أن هذه الغزوة وقعت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، و حيث إن غزوة الأحزاب انتهت في الرابع و العشرين من شهر ذي القعدة، و طالت محاصرة المدينة شهرا واحدا لذلك يجب أن نقول إن هذه المعركة بدأت منذ الرابع و العشرين من شهر شوال تقريبا.

(٢) المغازي: ج ١ ص ٤٠٢، السيرة النبوية: ج ٣ ص ٢١٣ و دومة الجندل منطقة بين دمشق و المدينة (الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٤٤).  
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٧  
تلك الجماعة أحدا.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله عاد إلى المدينة في العشرين من شهر ربيع الثاني، من دون ان يقاتل «١».

(١)

## ٢- غزوة الخندق (الأحزاب):

### إشارة

أجلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آلهم يهود بنى النضير في السنة الرابعة من الهجرة كما قلنا بسبب نقضهم للميثاق، و سيطر على قسم من أموالهم و ممتلكاتهم، و اضطرت بنو النضير إلى أن تذهب إلى «خير» و تسكن هناك، أو تسير إلى الشام.  
و قد كان إجراء النبي صلى الله عليه وآله و آلهم هذا متطابقا مع ما جاء في الميثاق المعقود بينه و بين يهود يثرب.  
و قد دفع هذا الإجراء بسادة بنى النضير و زعمائهم إلى التآمر ضد الإسلام، فقدموا مكة، و حرضوا قريشا على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله و آلهم و إليك مفصل هذه الغزوة:

عبأ المشركون العرب، و اليهود قواهم في هذه المعركة ضد الإسلام.

(٢) فقد شكّلوا اتحادا نظاميا قويا و حاصروا المدينة مدة شهر واحد، و بما أن أحزابا مختلفة اشتركت في هذه المعركة سميت هذه المعركة بمعركة الأحزاب، و ربما سميت بمعركة «الخندق» لأن المسلمين احتفروا خندقا حول المدينة عظيما، دافعا عنها، و منعا للكفار عن اجتياحها.

و لقد كان زعماء بنى النضير و بنى وائل - كما أسلفنا- هم المحرّكون الأصليون لهذه الحرب، و المشعلون الرئيسيون لفتيلها.

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٩٣ و ١٩٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٤٨

فإنّ الضربة القوية التي تلقاها يهود بنى النضير من المسلمين، و التي اضطروا على أثرها إلى مغادرة المدينة، فسكن بعضهم خير، دفعهم إلى ان يخططوا بصورة جهنمية و دقيقة لاستئصال شأفة الإسلام، و القضاء عليه. و انها لخطة عجيبة حقا، فقد جعلوا المسلمين يواجهون طوائف متعددة و أحزاب مختلفة لم يعرف لها تاريخ العرب مثيلا!!

(١) كما أن في هذه الخطة كان اليهود هم أنفسهم الممولون الاساسيون لطوائف العرب العديدة، فقد أمدوهم بأموال كبيرة، و هيئتوا كل ما يحتاجون إليه من حاجات و معدات!!

و كانت الخطة كالتالي: قدم جماعة من سادة بنى النضير مثل «سلام بن أبى الحقيق» و «حبي بن أخطب» فى نفر من بنى النضير على قريش مكة، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله و قالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فلقد جئنا لخالقكم على عداوة محمد و قتاله.

و قال حبي بن أخطب: إن محمداً قد وتركم و وترنا و أجلانا من المدينة من ديارنا و أموالنا، و أجلا بنى عمنا بنى قينقاع فسيروا فى الأرض، و اجمعوا حلفاءكم و غيرهم حتى نسير إليهم، فقد بقى من قومي ييثرب سبعمائة مقاتل و هم بنو قريظة، و بينهم و بين محمد عهد و ميثاق و أنا أحملهم على نقض العهد بينهم و بين محمد و يكونون معنا عليهم، فتأتونه من فوق و هم من أسفل.

فأثرت كلمات اليهود و ما قاله «حبي بن أخطب» فى نفوس المشركين الحانقين على رسول الله، و اصحابه، و استحسنا خطتهم، و ابدوا استعدادهم للخروج إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و قتاله. و لكنهم قبل أن يوافقوا اليهود على ذلك الرأى سألوهم قائلين:

يا معشر اليهود انكم أهل الكتاب الأول، و العلم، أخبرونا عما اصبحتنا نحن فيه و محمد، ا فديتنا خير أم دين محمد؟

(٢) و يجب أن نرى الآن بما أجابت هذه الطائفة (التي كانت و لا تزال تعد نفسها حامل لواء التوحيد، الوحيد فى العالم) اولئك المشركين الجهلة الذين

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٢٤٩

وصفوا اليهود بالعلم و المعرفة، و طلبوا منهم حل مشكلتهم؟! «أجل لقد قال اليهود بوقاحة كبيرة: بل دينكم خير من دينه، و أنتم أولى بالحق، إنكم لتعظمون هذا البيت، و تقومون على السقاية، و تنحرون البدن، و تعبدون ما كان عليه آباؤكم، فانتم أولى بالحق منه!!!»

و لقد أضافت اليهود بهذه الاجابة الوقحة و صمء عار اخرى الى سجلهم الاسود، و زادوا تاريخهم المشؤوم سوادا، و سوء. و لقد كانت هذه الغلطة فضيحة، و قبيحة الى درجة أن الكتاب اليهود تأسفوا لوقوعها، فى ما بعد.

(١) فهذا هو الدكتور اسرائيل يكتب فى كتابه: (تاريخ اليهود فى بلاد العرب) حول هذا الموقف المشين جدا قائلاً: «كان من واجب هؤلاء الأ- يتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش، و الا يصرحوا امام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام أفضل من التوحيد الاسلامى و لو أدى بهم الأمر الى عدم اجابة مطالبهم كان من واجبهم أن يضحو بحياتهم و كل عزيز لديهم فى سبيل ان يخذلوا المشركين، هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الاصنام انما كانوا يحاربون أنفسهم و يناقضون تعاليم التوراة» (٢).

(٢) و فى الحقيقة أن هذا المنطق هو الذى يتوسل به الساسة الماديون اليوم لإنجاح مقاصدهم، و تحقيق مآربهم. فهم يعتقدون- بكل جد- أن عليهم- لتحقيق أهدافهم- التوسل بكل وسيلة ممكنة مشروعة كانت أو غير مشروعة، و هذا هو مقولة «الغاية تبرر الوسيلة» التى طرحها ميكافيلى، و بالتالى فان «الاخلاق» فى منظور هذه الجماعة هو ما يخدم مصالحهم و يحقق أغراضهم ليس إلأ.

إن القرآن الكريم يتحدث عن هذه الواقعة المرة فيقول:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَ

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢١٧.

(٢) حياة محمد: ص ٣٢٩.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٢٥٠

يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا» (١).

(١) ولقد ترك كلام أدعياء العلم والدين هؤلاء، أثرا عجيبا في نفوس المشركين و عبدة الاوثان، فأظهروا موافقتهم على خطة اليهود الجهنمية و هو تأليف جيش من قبائل متعددة لمقاتلة المسلمين و حدّدوا معهم موعدا للتوجه الى المدينة، لتحقيق ذلك الغرض المشؤوم.

فخرج ميثرو الفتنة و مشعلو الحرب (اليهود) من مكة بقلوب مملوءة سرورا، و غبطة، و ساروا الى نجد، ليتصلوا بقبيلة غطفان- و كانت من اعدى اعداء الاسلام- فاستجلبوا موافقة قبائل غطفان: بنى فزار، و بنى مرّة، و بنى اشجع، شريطة أن يعطونهم تمر خبير، لمدة سنة، بعد الانتصار على المسلمين، و لكن تحركات قريش في مجال ضمّ القبائل الى ذلك الجيش لم ينته الى هذا الحد فقد راسلت قريش حلفاءها من بنى سليم و راسلت غطفان حلفاءها من بنى اسد، و دعوهم إلى المشاركة في هذه الحرب، فاستجابت لهم تلك القبائل، و تحركت جميع هذه الفئات و الاحزاب في جيش كبير هائل قدمت عناصره من مختلف نقاط الجزيرة، نحو المدينة في يوم معين و هي تبغى اجتياح مركز الاسلام، و استئصال شأفته!! «٢».

(٢)

### استخبارات المسلمين ترفع تقريرا للقيادة:

منذ أن سكن رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة كان يبعث بجواسيسه و عيون النشطين الاذكياء الى مختلف مناطق الجزيرة، لتقصي الأخبار، و مراقبة الأوضاع، و إخبار النبي صلى الله عليه وآله بكل ما يحصلون عليه في هذا المجال أولا بأول. فقدم أحدهم على رسول الله صلى الله عليه وآله و أخبره بخروج تلك القوة

(١) النساء: ٥١ و ٥٢.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٤٤٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥١

الكبيرة و مسيرها إلى المدينة، و بهدفها، و تاريخ خروجها، و وصولها إلى مشارف يثرب.

فرعا رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه فورا و أخبرهم خبير عدوهم، و شاورهم في الامر، ليستفيدوا من تجارب «احد»، فاقترح جماعة منهم اسلوب التحصن، و القيام بالدفاع من داخل القلاع و الحصون، و لكن هذا العمل لم يكن كافيا لأن جيش العدو كان كثيفا و كبيرا جدا و كان من المحتمل بقوة أن تقوم عناصره الكثيرة، الكبيرة في عددها بهدم الحصون و القلاع، و القضاء على المسلمين، فلا بد اذن من اتخاذ وسيلة تمنع العدو من الاقتراب الى المدينة أصلا.

(١) فقال سلمان الفارسي الذي كان عارفا بفنون القتال عند الفرس معرفة كاملة: يا رسول الله إنا اذا كنا بأرض فارس، و تخوّفنا الخيل، خندقنا حولنا، فهل لك يا رسول الله أن تخندق؟ «١»

و في رواية اخرى أنه قال: يا رسول الله نحفر خندقا يكون بيننا و بينهم حجابا، فلا- يمكنهم أن يأتونا من كل وجه، فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس اذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة «٢»، (أي محدودة).

فاعجب رأى سلمان المسلمين جميعا، و كان لهذا التكتيك أثر جوهري و بارز جدا في حفظ الاسلام و صيانة المسلمين.

(٢) و من الجدير بالذكر أن النبي صلى الله عليه وآله خرج بنفسه يدرس المنطقة ميدانيا و لكي يحدّد المنطقة التي يمكن ان ينفذ من خلالها العدو فقرر ان يحفروا الخندق من ناحية «احد» الى «راتج» و كان سائر المدينة مشبك بالبنيان و النخيل لا يتمكن العدو منها، و علم الموضوع الذي يجب ان يحفر بخط خطه على

(١) المغازي: ج ٢ ص ٤٤٥، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٢.

الأرض.

ولكى يتم هذا الامر بنظام و سرعه جعل على كل عشرين خطوة، و ثلاثين خطوة جماعة من المهاجرين و الانصار يحفرونه، فحملت المساحى و المعاول، و بدأ رسول الله صلى الله عليه و آله نفسه و أخذ معولا فحفر فى موضع المهاجرين بنفسه، و على عليه السلام ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله صلى الله عليه و آله و عبي «١» و هو يقول:

«لا عيش إلا عيش الآخرة، اللهم اغفر للأنصار و المهاجرة».

(١) و قد كشف رسول الله صلى الله عليه و آله بعمله هذا عن جانب من نهج الاسلام و اسلوبه، و فى ذلك تنشيط الامه و تقوية لعزائمهم فى مجال القيادة و اخلاق القائد، و أفهم المجتمع الاسلامى أن على القائد الاسلامى، و على امام الامه أن يشارك الناس فى آلامهم كما يشاركونهم فى آمالهم و يسعى أبدا الى التخفيف عن كاهلهم بمشاركته العملية فى الأعمال، و لهذا لما نظر الناس إلى رسول الله صلى الله عليه و آله يحفر نشطوا و اجتهدوا فى الحفر، و نقلوا التراب، و لما كان اليوم الثانى بكرروا فى العمل، و كان ذلك النشاط العظيم عاملا فى أن يندفع يهود بنى قريظة أيضا إلى مساعدتهم فأعاروهم المساحى و الفؤوس و الأوعية الكبيرة لنقل التراب «٢».

و كان المسلمون يومئذ يعانون من نقص و ضيق شديدين فى المواد الغذائية، و مع ذلك كان أصحاب المكنة و الثراء من المسلمين يمدونهم بالطعام و غيره «٣».

و ربما عرضت للمسلمين و هم يحفرون فى الخندق صخرة عظيمة عجزوا عن كسرها و إزالتها، فأخبروا رسول الله صلى الله عليه و آله بذلك فأخذ معولا فكسرها و أزالها.

(١) و جاء فى تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٨٩ انه (ص) كان ينقل التراب حتى اغبر بطنه.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣١١.

(٣) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٣.

(١) أما طول الخندق فكان بالنظر الى عدد العاملين فى حفرها- و قد كان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف حسب المشهور، و كان كل عشرة يحفرون (٤٠) ذراعا- هو (١٢٠٠٠) ذراعا أى ما يقارب خمس كيلومترات و نصف الكيلومتر، و أما العرض فكان بحيث لا يقدر الفرسان الماهرون من عبوره بالقفز بأفراسهم، فيكون عرضه بطبيعة الحال ما يقارب خمسة أمتار و عمقه خمسة أمتار أيضا.

(٢)

### القول النبوي الخالدة فى شأن سلمان:

عند ما قسم رسول الله صلى الله عليه و آله المهاجرين و الانصار جماعات جماعات، و أوكل الى كل جماعة حفر موضع من الخندق، تنافس الناس يومئذ فى سلمان الفارسى و أراد كل أن يضمه الى صفه، فقال المهاجرون: سلمان منا و قالت الأنصار: سلمان منا و نحن أحق به!!

فبلغ رسول الله صلى الله عليه و آله قولهم فقال قولته الخالدة فى شأن سلمان يومذاك:

«سلمان منا أهل البيت» (١).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله بقي الى جانب الخندق ستة ليال بآيامها حتى فرغ المسلمون من عمل الخندق غير أن المنافقين تخاذلوا في هذه القضية و كانوا يتذرعون بأعداد مختلفة ليلمصوا من العمل في الخندق، وربما كانوا يذهبون إلى منازلهم من دون أن يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله.

أما المؤمنون الصادقون فكانوا يعملون باستمرار، و اذا ما احتاجوا إلى الذهاب إلى منازلهم أحياناً، أو جد لهم عذر استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله فأذن لهم ثم عادوا الى الخندق فور أن يرتفع عذرهم، و قد ذكر القرآن الكريم هذه القضية في سورة النور في الآيات ٦٢ و ٦٣ اذ يقول تعالى:

(١) المغازى: ج ٢ ص ٤٤٦، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٢٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٤

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِيُغْضَ شَأْنَهُمْ فَأَذَنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ لَوْ آذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».

(١)

### مقاتلوا العرب و اليهود يحاصرون المدينة:

و تابعت أرتال الجيش العربى على منطقة «احد» و على مقربة من الخندق الذى كان قد تم انجازه قبل ستة أيام و قد كان الكفار و من لف لفهم يتوقعون أن يلتقوا جنود الإسلام عند جبل «احد»، و لكنهم لم يلقوا أحدا منهم هناك فتقدموا نحو المدينة حتى وصلوا الى الخندق، فلما نظروا الى الخندق الذى كان أشبه بحصن منيع يحفظ المدينة من الخطر، فوجئوا به و قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك ان هذا من تدبير الفارسي الذى معه.

(٢)

### العدد الدقيق لقوات الطرفين:

كان جيش العرب لا يتجاوز فى عدده عشرة آلاف، و قد استقروا خلف الخندق و سيوفهم تلمع و هى تخطف بلمعائها الابصار! و كان عدد المشاركين فى هذه الجيش من قريش وحدها- على رواية المقريزى فى الامتاع- (٤ آلاف) مقاتل، معهم (٣٠٠) فرس و (١٥٠٠) بعير.

و قد التحق بهم بنو سليم- و هم من حلفاء قريش- فى (٧٠٠) رجل فى مر الظهران و كان من قبيلة بنى فزارة (١٠٠٠) مقاتل و من قبائل اخرى. مثل اشجع و بنى مرة كل واحد منهما (٤٠٠) مقاتل، و الباقي و هم ما يقارب (٣٥٠٠) مقاتل من بقية القبائل، و على هذا الاساس لم يكن المجموع ليتجاوز عشرة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٥

آلاف، و قد استقروا جميعا فى مكان آخر.

(١) و أميا عدد المسلمين فكان لا يتجاوز ثلاثة آلاف، و قد نزلوا في سفح جبل سلع و هو موضع مرتفع، مشرف على الخندق و خارجه، إشرافا كاملا بحيث يمكن معه مراقبة جميع تحركات العدو و نشاطاته منه.

و قد و كل النبي صلى الله عليه و آله جماعة من أصحابه بحفظ الممرات و نقاط العبور على الخندق و مراقبة تحركات العدو، و رصد عناصره. و بذلك كان المسلمون يملكون متراسا قويا طبيعيا، و غير طبيعي، اذ أن سائر المدينة كان مشبكا بالبنيان، و النخيل كما أسلفنا.

لقد حاصر الكفار «المدينة» ما يقرب من شهر واحد، و مكثوا خلف الخندق متحيرين، و لم يستطع أن يعبر منهم الخندق إلا أفراد معدودون، فمن كان يفكر في العبور رماه المسلمون بالحجارة، فولّى هاربا!!

و للمسلمين في هذه الفترة قصص جميلة و مواقف رائعة مع عناصر الجيش العربي المعتدى ذكرتها صحائف التاريخ الاسلامي في مواضعها «١».

(٢)

### خطر البرد، و تناقص الغذاء و العلف:

صادفت غزوة الخندق فصل الشتاء و كانت المدينة قد أصيبت في تلك السنة بقله الغيث، و لذلك كانت تعاني من نقص في الطعام. كما أن طعام المشركين لم يكن هو الآخر يكفي لمدة طويلة، و لم يكن أحد منهم يتصور أن عليه أن يمكث خلف الخندق مدة شهر واحد، بل كان المشركون- جميعا- يرون- بادئ الامر- أنهم سيقضون بهجوم واحد واسع، على جنود الاسلام، و يجتاحون المدينة، و يستأصلون المسلمين!!

و لقد أدرك مثيرو هذه الحرب العدوانية (اليهود) هذه المشكلة بعد أيام،

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٢٥-٢٢٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٦

فقد عرفوا بأن مضي الزمان سيقبل من مقدره سادة الجيش العربي و قاداته على مقاومة القر، و قلة العلف و تناقص الطعام، و من هنا فكروا في الاستعانة بيهود بنى قريظة داخل المدينة، ليشعلوا فتيل الحرب من داخل المدينة، و بذلك يمهدوا السبيل لجيش العرب لغزو المدينة، و اجتياحها من الخارج!!

(١)

### حيي بن أخطب يدخل حصن بنى قريظة:

كان بنو قريظة الطائفة اليهودية الوحيدة التي بقيت في المدينة تعايش المسلمين في سلام و أمن، و كانوا يحترمون الميثاق الذي عقده مع النبي صلى الله عليه و آله، احتراما كاملا.

فرأى «حيي بن أخطب» أن طريق الانتصار يتوقف على الاستعانة بمن في داخل المدينة لصالح المعتدين العرب و ذلك بأن يدعو يهود بنى قريظة الى نقض العهد الذي عاهدوا رسول الله صلى الله عليه و آله به. ليشعل بذلك حربا بين المسلمين و يهود بنى قريظة و يشغل المسلمين بفتنة داخلية، و بذلك يمهد لانتصار المشركين الذين يحاصرون المسلمين خلف الخندق.

و انطلاقا من هذه الفكرة أتى «حيي» الى حصن بنى قريظة و دق عليهم الباب و عرّف نفسه، فأمر رئيس بنى قريظة «كعب بن الاسد»

بان لا يفتحوا له الباب و لكنه أصر، و قال: ما يمنعك من فتح الباب إلا جشيشتك (أى خبزك) الذى فى الثنور تخاف أن اشاركك فيها فافتح فانك آمن من ذلك. فأثارت تلك الكلمات الجارحة حمية كعب فأمر بأن يفتحوا له باب الحصن، ففتحوا له، فدخل مثير الحرب المشؤوم «حبيى» و قال لكعب: يا كعب لقد جئتك بعزّ الدهر، هذه قريش فى قاداتها و ساداتها مع حلفائهم من كنانة، و هذه فزارة مع قاداتها و ساداتها، و هذه سليم و غيرهم، و لا يفلت محمّد و أصحابه من هذا الجمع أبدا و قد تعاقدوا و تعاهدوا ألا يرجعوا حتى يستأصلوا محمّدا و من معه، فانقضّ العهد بينك و بين محمّد، و لا تردّ رأى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٧

(١) فأجابه كعب قائلا: لقد جئتني - و الله - بذلّ الدهر، و بسحاب يبرق و يردد و ليس فيه شىء، و أنا فى بحر لجى لا أقدر على أن أرى دارى و مالى معى، و الصبيان و النساء، انى لم أر من محمّد إلا صدقا و وفاء فارجع عنى، فانه لا حاجة لى فيما جئتني به. و لكن حبيى بن أخطب لم يزل يراوض كعبا و يخاتله و يلخّ عليه كما يفعل صاحب الإبل الجامع الذى يستصعب عليه، حتى اقنعه بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و هيا لذلك، فقال: أنا أخشى أن لا يقتل محمّد و تنصرف قريش إلى بلادها، فما ذا نفعل حينذاك؟ فوعده حبيى أن يدخل معه حصنه ليصيبه ما أصابه ان لم يقتل محمّد صلى الله عليه و آله.

فقال كعب: دعنى اشاور رؤساء اليهود فدعا رؤساء اليهود و شيوخهم، و خبرهم الخبر، و حبيى حاضر، و قال لهم كعب: ما ترون؟ فقالوا: أنت سيدنا، و المطاع فينا، و صاحب عهدنا و عقدنا فان نقضت نقضنا معك و إن أقمت أقمتنا معك، و إن خرجت خرجنا معك.

(٢) فقال «الزبير بن باطا» و كان شيخا كبيرا مجزبا قد ذهب بصره: قد قرأت فى التوراة التى أنزلها الله فى سفرنا يبعث نبيا فى آخر الزمان، يكون مخرجه بمكة، و مهاجره فى هذه البحيرة ... يبلغ سلطانه منقطع الخفّ و الحافر فان كان هذا (أى محمّد) هو فلا يهولته هؤلاء و لا جمعهم، و لو ناوى على هذه الجبال الرواسى لغلبها.

فقال أخطب من فوره: ليس هذا ذاك، ذلك النبى من بنى إسرائيل، و هذا من العرب من ولد اسماعيل، و لا يكونوا بنو اسرائيل أتباعا لولد اسماعيل أبدا، لأنّ الله فضّلهم على الناس جميعا و جعل فيهم النبوة و الملك، و ليس مع محمّد آية، و إنّما جمعهم جمعا و سحرهم!!

و لم يزل يقنّع بهم، و يقنّبهم عن رأيهم، و يلخّ عليهم حتى أجابوه، و رضوا بأن ينقضوا العهد الذى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و آله.

فقال: أخرجوا الكتاب الذى بينكم و بين محمّد، فأخرجوه، فأخذه و مزقه،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٨

و قال: قد وقع الأمر، فتجهّزوا و تهيّأوا للقتال، و بذلك جعلهم أمام الامر الواقع الذى ظنوا أنه لا مفرّ منه!! «١»

(١)

### النبى يعرف بنقض بنى قريظة للعهد:

بلغ رسول الله صلى الله عليه و آله عن طريق جواسيسه الاذكياء نقض بنى قريظة للعهد، فى مثل ذلك الظرف الحساس، فغمه غما شديدا. فأمر من فوره «سعد بن معاذ» و «سعد بن عباد» - و كانا من خيرة رجاله الشجعان و من قادة جيشه الممتازين، كما أنهما كانا رئيسى الأوس و الخزرج - بأن يحصّيا له على معلومات دقيقة عن هذا الحادث، و أسبابه و ملابساته، و أنه اذا كان هناك خيانة و نقض للعهد فعلا أن يخبراه وحده فقط و لا يخبر أحدا به و يقول: عضل و القارة لكيلا لا يفت ذلك أعضاد المسلمين و لا يضعف من معنوياتهم، و أما إذا لم تكن هناك خيانة، فيكذّب الأمر بصراحة.



فذهب الرجلان، و اقتربا إلى حصن بنى قريظة، فأشرف عليهما كعب من داخل الحصن، فشم سعدا و شتم رسول الله صلى الله عليه وآله و بذلك أظهر نقضه للعهد و الميثاق فأجابه سعد- بالهام غيبي-: إنما أنت ثعلب فى جحر، لتولين قريش، و ليحاصر نك رسول الله صلى الله عليه وآله و ليتزلنك على الصغار و الذل و ليضربن عنقك. ثم رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقالا له: عضل و القارة. فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله قائلا برفيع صوته: «الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بالفتح» (٢).

و هذه العبارات تكشف عن مبلغ شجاعته رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) المغازى: ج ٢ ص ٤٥٦، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٢٢ و ٢٢٣.

(٢) المغازى: ج ٢ ص ٤٥٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٥٩

و عمق سياسته، فقد قالها لكى لا تضعف معنوية المسلمين، و لا يتملكهم الخوف إذا سمعوا بنقض بنى قريظة للعهد، و هم فى تلك الظروف الحرجة الشديدة أوحج ما يكونون إلى المعنويات العالیه، و الاحساس بروح النصر.

(١)

### تجاوزات بنى قريظة الاولية:

كانت الخطة المبدئية لبنى قريظة تقضى بأن يبدءوا عملهم الخياني بالاغارة على المدينة، و إرعاب النساء و الاطفال الموجودين فى البيوت و المنازل، و قد نفذت مراحل من هذه الخطة تدريجا!!

فقد أخذ بعض صناديد بنى قريظة يحومون حول بيوت المسلمين التى فيها اطفالهم و نساؤهم بصورة مشبوهة!!

(٢) تقول «صفية بنت عبد المطلب» عمه النبى صلى الله عليه وآله: كنت فى فارغ، حصن حسان بن ثابت و كان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء و الصبيان، فمر بنا رجل من يهود. فجعل يطيف بالحصن، و قد حاربت بنو قريظة، و قطعت ما بينها و بين رسول الله صلى الله عليه وآله، و ليس بيننا و بينهم أحد يدفع عنا، و رسول الله صلى الله عليه وآله و المسلمون فى نحور عدوهم، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت، فقلت لحسان: إن هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن، و إنى و الله ما آمنه أن يدل علينا من وراءه من يهود، و قد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وآله، و أصحابه، فانزل إليه فاقتله، قال: يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب و الله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، فلما قال لى ذلك احتجرت (١) (أى شددت وسطى) ثم أخذت عمودا، ثم نزلت من الحصن إليه فضربتة بالعمود حتى قتلتها، فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت: يا حسان انزل إليه فاسلبه فانه لم يمنعنى من سلبه، إلا أنه رجل فقال حسان: ما لى بسلبه

(١) و فى رواية: اعتجرت.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٠

حاجه يا ابنة عبد المطلب!! (١).

(١) و لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق عيونهم نقضوا ما بينه و بينهم من العهد و انهم طلبوا من قريش ألف رجل و من غطفان ألف رجل ليغيروا على المدينة عبر حصن اليهود، و كان ذلك فى ما كان المسلمون منشغلين بحراسة الخندق، فعظم بهذا الخبر البلاء و صار الخوف على الذرارى أشد من الخوف على أهل الخندق، بعث النبى صلى الله عليه وآله



مسلمة بن أسلم و زيد بن حارثة في خمسمائة رجل يحرسون المدينة و يظهرون التكبير تحفظا على الجوارى من بنى قريظة «٢».

(٢)

### الإيمان في مواجهة الكفر:

لقد خاض المشركون حروبا عديدة ضد رسول الله صلى الله عليه وآله قبل معركة الأحزاب، و لكن العدو في جميع تلك المعارك و الحروب كان من طائفة أو قبيلة واحدة، و لم يكن من عموم الجزيرة العربية، و من عموم القبائل، أى الاسلام لم يواجه في تلك الحروب و الوقائع عدوانا شاملا من سكان الجزيرة.

و حيث إن أعداء الاسلام رغم الجهود الكبيرة لم ينجحوا في القضاء على الحكومة الاسلامية الفتية، قرروا هذه المرة أن يستأصلوا الاسلام عن طريق اتحاد عسكري عريض، يضم كل قبائل الجزيرة العربية المشركه، و يرموا المسلمين بأخر سهم في جعبتهم، من هنا عمدوا الى تعبئة أكبر قدر من المقاتلين، و استصرخوا أكبر قدر من القبائل و تحركوا في جمع لم يعرف له تاريخ العرب و الجزيرة من نظير نحو المدينة لتحقيق ذلك الهدف المشؤوم. و لولا تدبير المسلمين للدفاع عن المدينة لحقق العدو الحاقدا أهدافه.

(٣) و لهذا جلب أعداء الاسلام معهم أكبر صناديد من صناديد العرب، و أشهر

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٢٨.

(٢) السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣١٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦١

بطل من أبطالهم و رأسه عليهم، و هو عمرو بن عبد ود العامري ليشدوا به أزرهم، و يحققوا بسببه ما كانوا يأملونه من الظفر. و على هذا الاساس كانت معركة الأحزاب مواجهة كاملة بين كل الكفر و كل الايمان، و خاصة عند ما تبارز بطل الاسلام و بطل الكفر و تواجهها في ساحة القتال.

(١) و لقد كان الخندق الذى احتفزه المسلمون سلفا من عوامل إخفاق المشركين، و كان العدو يحاول أن يعبر هذا الخندق فتطيف فرسانهم به ليل نهار و لكن دون جدوى، لانهم كانوا يواجهون في كل مرة سهام الحرس الذى و كلهم رسول الله صلى الله عليه وآله بحراسة الخندق، و رصد محاولات العدو لاجتيازه و افشالها فورا، و أيضا بفضل تدابير النبی القائد نفسه.

كان الشتاء و برده القارص في تلك السنة و تناقص الطعام، و العلف يهدد جيش المشركين، و أنعامهم، و خيولهم فاستقرض حبي بن أخطب من بنى قريظة عشرين بعيرا محملة شعيرا و تمرا و تبنا تقوية لقريش، و لكن دورية من المسلمين صادفتها في أثناء الطريق فصادرتها و أتوا بها الى النبی صلى الله عليه وآله فتوسع بها أهل الخندق «١».

(٢) و ذات يوم من أيام الانتظار وراء الخندق كتب أبو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وآله كتابا يقول فيه: إنى احلف بالللات و العزى لقد سرت إليك في جمعنا و إننا نريد ألا نعود إليك أبدا حتى نستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا، و جعلت مضايق و خنادق، فليت شعري من علمك هذا؟ فان نرجع عنكم فلکم منا يوم كيوم احد تبقر فيه النساء «٢».

(٣) فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله: «من محمد رسول الله إلى أبى سفيان بن حرب ... أما بعد فقديما غرّك بالله الغرور، أما ما ذكرت أنك سرت

(١) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٤٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٢

إلينا في جمعكم، وانك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا فذلك أمر الله يحول بينك وبينه، و يجعل لنا العاقبة و ليأتينّ عليك يوم تدافعي بالراح، و ليأتينّ عليك يوم أكسر فيه اللات و العزى و اساف، و نائلة، و هبل حتى اذكرك ذلك» (١).

(١) و لقد وقعت إجابة الرسول الـكرم صلى الله عليه و آله التي كانت تنبئ عن قوة إرادته و شدة عزمته، و تصميمه القاطع موقع السهم في قلب زعيم المشركين، و حيث إن قريش كانت تعتقد بصدق رسول الله صلى الله عليه و آله فأنها اصيبت بهذا الرد الحاسم في عزمها و نفستها، و لكنها مع ذلك لم تكف عن مواصلة عدوانها.

و ذات ليلة عزم «خالد بن الوليد» على أن يعبر بجماعته الخندق و لكنه اضطرّ الى التراجع عند ما واجه مقاومة شجاعة من مائتين من المسلمين بامر «اسيد بن حضير» و قد كلفهم رسول الله صلى الله عليه و آله بالقيام على شفير الخندق، و دفع المشركين و منعهم من العبور!!

ثم ان رسول الله صلى الله عليه و آله لم يكن ليغفل عن تقوية عزائم المقاتلين المسلمين و رفع معنوياتهم، و لهذا كان يهتئهم بخطبه الحماسية، و كلماته المشجعة، الحاثّة على الجهاد و الاستقامة و الدفاع عن حياض العقيدة و الايمان، و الذود عن صرح الحرية، و العدل.

فقد وقف ذات يوم خطيبا في اجتماع كبير من المسلمين و قال- بعد أن حمد الله و أثنى عليه-

«أيها الناس إذا لقيتم العدو فاصبروا و اعلّموا أنّ الجنّة تحت ظلال السيوف» (٢).

(٢)

### أبطال من العرب يعبرون الخندق:

لبس خمسة من شجعان المشركين هم: «عمرو بن عبد ود العامري»، «عكرمة

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٣٩ و ٢٤٠.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٣

بن أبي جهل»، «هيرة بن وهب»، «نوفل بن عبد الله»، و «ضرار بن الخطاب» لامة الحرب، و وقفوا أمام بنى كنانة في غرور عجيب، و قالوا: تهياؤا يا بنى كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم؟

ثم ضربوا خيولهم فعبرت بهم الخندق من مكان ضيق قد أغفله المسلمون، و لكنهم بادروا إلى محاصرة تلك الثغرة و منع غيرهم من العبور.

و كان الموضع الذي وقف فيه اولئك الشجعان الخمسة الذي عبروا الخندق للمبارزة يقع بين الخندق و جبل سلع حيث تمرّك جنود الاسلام (١).

ثم أخذوا يدعون المسلمين إلى البراز، في كبرياء و غرور كبيرين، و هم يقطعون ذلك الموضع جيئة و ذهابا بخيولهم!!

(١) بيد أنّ أشجع اولئك الخمسة و أجرأهم و أعرفهم بفنون القتال و هو: «عمرو بن عبد ود العامري» تقدم، و أخذ يرتجز داعيا المسلمين الى النزال و البراز قائلا:

و لقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز

و وقفت إذ جبن المشجع موقف البطل المناجز

إنّي كذلك لم أزل متسرّعا نحو الهزاهز  
 إن السماحة و الشجاعة في الفتى خير الغرائز فأحدثت نداءات عمرو الرهيبة حالة من الرعب، و الوجل الشديدين في معسكر  
 المسلمين، و سكت الجميع، و لم ينبسوا ببنت شفه رهبة و خوفا منه.  
 (٢) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:  
 «أيكم يبرز إلى عمرو أضمن له الجنة؟»  
 و قد قالها رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات، و في كلّ مرة يقوم عليّ عليه السّلام و يقول: انا له يا رسول الله، و القوم  
 ناكسوا رؤوسهم «٢» او كأنّ المسلمين يومئذ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو و شجاعته، كما يقول الواقدي «٣».

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٣٩، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٨.

(٢) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٨٦.

(٣) المغازي: ج ٢ ص ٤٧٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٤

(١) و لا بدّ أن تحلّ هذه المشكلة بيد علي عليه السلام فارس ميادين الحرب المقدم، و كان كذلك، فلما أبدى عليّ عليه السّلام  
 استعدادة الكامل لمقاتلة عمرو أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه و عممه بيده، و وجّهه صوب عمرو و قد دعا له قائلا: اللهم  
 أعنه عليه. و قال أيضا:  
 «اللهم إنك أخذت مني عبيدة بن الحارث يوم بدر، و حمزة بن عبد المطلب يوم احد، و هذا أخى علي بن أبي طالب ربّ لا تذرني  
 فردا و أنت خير الوارثين» «١».  
 فبرز عليّ عليه السلام إلى عمرو يهرول في مشيته، مبادرا إليه دون ابطاء، و هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله كلمته الخالدة في  
 تلك المواجهة:

«برز الإيمان كله إلى الشرك كلّ» «٢» و ارتجز عليه السّلام قائلا:

لا تعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز

ذويته و بصيره و الصدق منجى كل فائر

إنى لأرجو أن اقيم عليك نائحة الجنائر

من ضربته نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز (٢) و قد كان عليّ عليه السّلام مسربلا بالحديد لا يرى منه إلّا عيناه من تحت المغفر، فأراد  
 عمرو أن يعرف من برز إليه فقال: من أنت؟  
 قال: أنا عليّ بن أبي طالب.

فقال عمرو: إنّي أكره أن اريق دمك، و الله إن أباك كان لي صديقا و نديما، ما أمن ابن عمك حين بعثك إليّ أن اختطفك  
 برمحي هذا فأتركك شائلا بين السماء و الأرض لا حيّ و لا ميت.  
 فقال عليّ عليه السلام: لكنني ما أكره و الله أن أهريق دمك، و قد علم ابن

(١) كنز الفوائد: ص ١٣٧.

(٢) تاريخ الخميس: ج ١ ص ٤٨٦ و ٤٨٧، بحار الأنوار، ج ٢٠ ص ٢١٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٥

عمى أنك إن قتلتني دخلت الجنة، و أنت في النار، و إن قتلتك فانت في النار و أنا في الجنة.  
فضحك عمرو و قال مستهزئا: كلاتهما لك يا علي، تلك إذا قسمه ضيزى.  
(أى ناقصه جائره).

(١) يقول ابن أبي الحديد: كان شيخنا أبو الخير يقول اذا مررنا فى القراءه عليه بهذا الموضع: و الله ما أمر عمرو بن عبد ود عليا (عليه السلام) بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفا منه، فقد عرف قتلاه ببدر و احد، و علم أنه إن ناهصه قتله، فاستحيا أن يظهر الفشل فأظهر الإبقاء، و إنه لكاذب فيه «١».

ثم إن عليا عليه السلام ذكر عمرا بعهد قطعه على نفسه فقال له:

يا عمرو إنك كنت تقول فى الجاهلية: لا يدعونى أحد الى واحدة من ثلاث خصال إلا أجبته إلى واحدة منها و أنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبنى إلى واحدة.

قال عمرو: أجل، فهاتها يا علي.

قال: تشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمدا رسول الله، و تسلم لرب العالمين.

فقال عمرو: نَح عنى هذا.

قال علي عليه السلام: فالثانية أن ترجع إلى بلادك، فان يك محمدا صادقا فأنتم أعلى به عينا و ان يك غير ذلك كفتكم ذؤبان العرب أمره.

(٢) فقال عمرو فى غرور عجيب: اذا تتحدث نساء قريش بذلك، و ينشد الشعراء فى أشعارها انى جنت، و رجعت على عقبى فى الحرب، و خذلت قوما رأسونى عليه.

فقال له على عليه السلام: فالثالثة أن تنزل إلى فانك راكب و أنا راجل، حتى انابذك.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٩ ص ٢٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٦

فقال عمرو: هذه خصلة ما ظننت أن أحدا من العرب يسومنى عليها، ثم وثب عن فرسه، و لكى يرب عليا عليه السلام عرقب قوائم فرسه على عادة العرب فى الجاهلية «١».

(١)

### تداول البطلين:

و هنا بدأ تداول شديد بين البطلين، و ارتفعت بينهما عجاذه حجبت الرؤية، و انما كان الناس يسمعون فقط صوت اصطكاك السيوف و الدروع الحديدية و غيرها، و بعد فترة من التداول بين ذينك البطلين العملاقين ضرب «عمرو» «أمير المؤمنين عليا» عليه السلام بالسيف على رأسه، فاتقاه على عليه السلام بالدرفة فقطعها، و شجت الضربة رأسه ففاجأه علي عليه السلام بضربة قوية على ساقيه فقطعهما جميعا، ثم انكشفت العجاذه فنظر المسلمون فاذا علي عليه السلام على صدر عدو الله يريد أن يذبحه. و ارتفع صوت علي بالتكبير من بين العجاذه يعلن عن انتصاره، و مقتل عمرو.

فألقي هلاك فارس العرب الاكبر «عمرو بن عبد ود» رعبا عجيبا فى نفوس بقيه الابطال و الشجعان الذين عبروا معه الخندق، فهربوا راجعين الى معسكرهم، إلا «نوفل» الذى سقط فرسه فى الخندق، و هوى هو إلى الارض بشدة، فرماه حرس الخندق بالحجارة فقال: قتله أجمل من هذا، ينزل إلى بعضكم فأقاتله، فنزل إليه علي عليه السلام فضربه حتى قتله فى الخندق «٢».

فهيمن الخوف والرعب على كل أرجاء المعسكر العربي المشرك، و بهت أبو سفيان أكثر من غيره. ثم إنه كان يتصور أن المسلمين سيمثلون بجسد «نوفل» انتقاما لحمزة الذي

(١) المغازى: ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢٠ ص ٢٥٦، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٧

مثل به فى احد، فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من يشترى جثته بعشرة آلاف فقال النبى صلى الله عليه وآله. «هو لكم، لا ناكل ثمن الموتى» (١).

(١)

### قيمة هذه الضربة:

لقد قتل على عليه السلام - حسب الظاهر - رجلا شجاعا لا أكثر، بيد أنه بضربته لعمر و بقتله إياه أحياء - فى الحقيقة - كل من أربته نداءات عمرو المهذبة، من المسلمين، و القى رعبا كبيرا فى نفوس جيش قوامه (١٠ / ١٠٠٠) رجل تعاهدوا و تعاهدوا على محو الاسلام و استئصال الحكومة الاسلامية الفتية. و لو أن الانتصار كان يحالف عمرا لعرفنا حينئذ قيمة هذه التضحية الكبرى التى قام بها على عليه السلام.

و عند ما عاد على عليه السلام ظافرا منتصرا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ضربة على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين».

و قيل إنه قال:

«لو وزن اليوم عملك بعمل جميع امه محمد لرجح عملك على عملهم و ذاك أنه لم يبق بيت من المشركين إلا و قد دخله ذل بقتل عمرو، و لم يبق بيت من المسلمين إلا و قد دخله عز بقتل عمرو» (٢). و بذلك كشف عن أهمية الضربة التى أوقعها على عليه السلام بعمر و فى تلك الواقعة.

### لما ذا التنكر لهذا الموقف؟

و يحق لنا هنا أن نستغرب تنكر بعض المؤرخين أو تجاهلهم لهذا الموقف

(١) بحار الأنوار، ج ٢٠ ص ٢٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢١٦، مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ٣٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٨

العظيم الذى أدى إلى هزيمة المشركين، و الاحزاب فى معركة الخندق هزيمة نكراء، كل واحد بشكل من الاشكال و صورة من الصور:

فهذا ابن هشام رغم اسبابه فى بعض الامور التاريخية مما لا قيمة له بعد أن يذكر مقتل «عمرو» على يد بطل الاسلام الخالد على عليه السلام من دون أن يذكر ما قاله النبى صلى الله عليه وآله عند مطالبه عمرو بالمنزل و المبارز، ذكر أبياتا قالها على عليه فى المقام ثم

يشكك في نسبتها إليه عليه السلام (١).

وهكذا ابن الاثير رغم اهتمامه بالدقائق التاريخية و وصفه لكتابه بالكامل نجده يحاول التقليل من أهمية هذا الموقف بصورة اخرى و هو أن عليا خرج ضمن مجموعة لمقاتلة عمرو و ليس وحده.

و لكن المعلقين على الطبعة المنيرية للكامل و التي أشرف عليها فضيلة الاستاذ عبد الوهاب النجار لم يرق لهم هذا الصنيع، و أبت عليهم ضمائرهم الحرّة أن يتركوا الرواية على حالها فقالوا في الهامش: و روى السهيلي عن ابن اسحاق أن عمرا دعا المسلمين للمبارزة و عرض رسول الله صلى الله عليه و آله الأمر ثلاث مرات و لا- يقوم إلّا على كرم الله وجهه، و في الثالثة قال له: انه عمرو قال: و ان كان عمرا، فنزل إليه، و قتله و كبر فكبر المسلمون فرحا بقتله (٢).

و هذا ابن تيمية يحاول التنقيص من هذه الفضيلة و لكن بالضرب على وتر آخر حيث قال ان قول النبي صلى الله عليه و آله في شأن علي عليه السلام لما قتل عمرا: «قتل علي لعمر بن ود أفضل من عبادة الثقلين» من الاحاديث الموضوعه التي لم ترد في شيء من الكتب التي يعتمد عليها بسند ضعيف، و كيف يكون قاتل كافر أفضل من عبادة الثقلين ... ثم قال: بل ان عمرو بن ود لم يعرف له ذكر إلّا في هذه الغزوة.

فهو يحاول التقليل من شأن عمرو، و الايحاء بأنه لم يكن شيئا، فلا يكون

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٦٩

لقتله أهمية.

و لكن صاحب السيرة الحلبي الذي ينقل كل هذه العبارات عن ابن تيمية يرد عليه قائلا: و يرد قوله: «ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكر إلّا في هذه الغزوة» قول الأصل: و كان عمرو بن عبد و قد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد يوم احد فلما كان يوم الخندق خرج معلما (أى جعل له علامة) ليعرف مكانه و يرى.

و يرده أيضا ما تقدم من أنه نذر أن لا يمس رأسه دهنا حتى يقتل محمدا صلى الله عليه و آله.

و استدلاله: و كيف يكون إلى آخره، فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصره للدين و خذلان الكافرين (١).

و ما قاله صاحب السيرة الحلبي عن مشاركة عمرو في معركة بدر يوافق ما جاء في الكامل لابن الاثير الجزء ٢ الصفحة ١٢٤ و يوافق أيضا ما جاء في السيرة النبوية الجزء ٢ الصفحة ٢٢٥.

(١)

### مروءة علي عليه السلام و شهامته:

و لقد أحجم علي عليه السلام عن سلب «عمرو بن عبد و» درعه، و كان درعا غالية الثمن ليس للعرب، و قد فعل ذلك مروءة، و ترفعا، فاعترض عليه بعض، حتى أن عمر بن الخطاب قال له: هلا استلبته درعه فانه ليس في العرب درع مثلها؟ (٢).

و لما عرفت اخت عمرو بمقتله سألت عن قتله، فاخبروها بأن عليا عليه السلام هو الذي قتله فقالت لم يعد موته إلّا على يد كفؤ كريم، لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتل الابطال، و بارز الاقران، و كانت منيته على يد كفؤ

(١) السيرة الحلبي: ج ٢ ص ٣٢٠.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٢٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٠

كريم من قومه ما سمعت بأفخر من هذا يا بنى عامر.

ثم انشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكى عليه آخر الأبد

لكن قاتل عمرو لا يعاب به من كان يدعى قديماً بيضة البلد «١» وقد ذكر عليّ عليه السلام صنيعة هذا في أبيات أنشأها يوم الخندق إذ قال:

أ عليّ تقتحم الفوارس هكذا؟ عنيّ و عنها خبثوا أصحابي

أرديت عمرا إذ طغى بمهند صافى الحديد مجرب قصاب

فصدت حين تركته متجدلاً كالجدع بين دكادك و روابي

و عفتت عن أثوابه و لو أتنى كنت المقطر بزنى أثوابي «٢» و الآن حان أن نرى إلى أيّ مصير آل أمر معسكر المشركين بعد مقتل فارس العرب و شجاعها البارز.

(١)

### جيش العرب يتفرق في موقفه:

لم يكن دافع جيش العرب و من عاونهم و مالأهم من اليهود الى محاربة الاسلام واحدا، فاليهود كانوا يخشون من اتساع رقعة الحكومة الاسلامية الفتية، المتزائد، و اما دافع قريش فكان هو العداة القديم للاسلام و المسلمين. و أما قبائل «غطفان» و «فزارة» و غيرها من القبائل فلم يحركها إلا الطمع في محاصيل «خير» التي وعدهم بها اليهود.

فعلى هذا الاساس لم يكن محرّك «الأحزاب» المشاركة في جيش الشرك أمرا واحدا، فقد كان محرّك الطوائف الأخيرة أمرا ماديا، و لو أنّ هذا الهدف تحقّق عن طريق المسلمين لعادت هذه القبائل إلى أوطانها مسرورة راضية، و خاصية أن البرد، و قلّة الطعام، و العلف، و طول مدّة المحاصرة قد أوجدت في

(١) مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ٣٣.

(٢) المستدرک على الصحيحين: ج ٣ ص ٣٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧١

نفوسهم كلالا و مللا، من جهة، و عرضت أنعامهم لخطر الهلاك و الفناء من ناحية اخرى.

(١) من هنا كلّف رسول الله صلّى الله عليه و آله جماعة بأن يتصلوا بهذه القبائل (الأخيرة) و يذكروا لهم بأن المسلمين مستعدّون لإعطائهم ثلث تمر المدينة إن هم تركوا قريشا و عادوا إلى ديارهم، فأعدّوا عهدا و جاءوا به إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله ليمضيه، و لكنه شاور فيه سعد بن معاذ، و سعد بن عبادة قبل أن يمضيه، فقالا: يا رسول الله إن كان أمرا من السماء فامض له، و ان كان أمرا لم تؤمر فيه فان الرأي عندنا هو السيف، فإنهم ما طمعوا بهذا ممّا قطّ في الجاهلية أن يأخذوا تمره، الا بشرى أو قرى، فحين أتانا الله تعالى بك، و أكرمنا بك، و هदानا بك نعطي الدية؟ لا نعطيهم أبدا إلا السيف؟

(٢) فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله مبينا علّة إقدامه على مثل هذا الصلح:

«إنى رأيت العرب رمتكم عن قوس واحدة، فقلت ارضيهم و لا- أقاتلهم، الآن قد عرفت ما عندكم فكونوا على ما أنتم عليه، فان الله

تعالى لن يخذل نبيّه، و لن يسلمه حتى ينجز له ما وعده» (١).

فمحي سعد بن معاذ ما في الصحيفة باذن رسول الله صلى الله عليه وآله و قال: ليجهدوا علينا (٢).

و بهذا كشف رسول الله صلى الله عليه وآله عن صفحة اخرى من سياسته الحكيمه، فقد كان إقدامه على ثنى القبائل المتحالفه مع قريش في جيش الاحزاب باعطاء بعض التنازلات الماديّه (لا المعنويّه) و تحييدها خطوه سياسيه و عسكريه صحيحة، و رائعه، و كان مشورته مع أصحابه من الانصار (خاصه) عملا حكيما أيضا لانه استشار بذلك هممهم، و شد من عزائمهم، فوعدوا

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٢٣، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٥٢.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٣٦ و جاء فيه انه (ص) استشار سعد بن معاذ و سعد بن عباده خفيه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٢

بالصمود و المقاومة في ذلك الطرف العصيب و عدم تقديم ايه تنازلات و لهذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله عن ما اراد أولا، فكان مجموع هذه الخطوات عملا حكيما جدا، يكشف عن حنكه سياسيه عظيمه، و درايه عسكريه عميقه.

(١)

### العوامل التي فرقت كلمة «الاحزاب»:

هناك عوامل عديدة تسببت في تفرق الجيش العربي الذي زحف إلى المدينة لاجتياحها، و انقسام الاحزاب على أنفسهم، و إليك أبرزها:

(٢) ١- إن أول عامل من تلك العوامل هو تكلم مبعوثي رسول الله صلى الله عليه وآله مع سادة غطفان و فزاره، لأن هذه المعاهده و إن لم توقع إلما أنها لم تنقض، فتسبب ذلك في أن يختلفوا مع قريش في الرأي، أي اجتياح المدينة و بشكل من الاشكال و ان لا يقدموا على أي إجراء عسكري مع غيرهم انتظارا للتوقيع على تلك المعاهده، و لهذا كلما طلبت القيادة القرشيه منهم الهجوم الشامل اعتذروا ببعض الاعذار تملصا من ذلك الطلب.

(٣) ٢- مصرع «عمرو بن عبد ود» فارس العرب الأ-كبر الذي كان الأغلب في ذلك الجيش يعلقون عليه آمالهم في الانتصار على المسلمين. فلما قتل تملك الجميع رعب غريب و انهارت آمالهم، و بخاصه عند ما هرب زملاؤه الشجعان من وجه علي عليه السلام خوفا، و رهبة.

(٤) ٣- ما لعبه «نعيم بن مسعود» الذي أسلم حديثا، من دور في إلقاء روح الشك و الفرقة بين يهود بنى قريظة و جيش «الاحزاب»، فقد قام بهذا الدور بشكل رائع، تماما كما يفعله الجواسيس المنظمون في عصرنا الحاضر، بل كان ما فعله أفضل و أكبر تأثيرا و عطاء. فقد أتى «نعيم» هذا رسول الله صلى الله عليه وآله و قال يا رسول الله؛ قد أسلمت، و إن قومي لم يعلموا باسلامي، فمرني بما شئت.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٣

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله «إنما أنت فينا رجل واحد، فخذلنا ما استطعت (أي ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضا). فان الحرب خدعة».

(١) فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة، و كان لهم نديما في الجاهليّه، فقال: يا بنى قريظة قد عرفتم ودي، و خاصه ما بيني و بينكم. قالوا: صدقت، لست عندنا بمتمهم.

فقال: إن قريشا و غطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم و أبناءكم و نساؤكم، لا تقدرن على أن تحولوا منه إلى غيره، و ان قريشا و غطفان قد جاءوا لحرب محمّد و أصحابه، و قد ظاهرتموهم عليه، و بلدهم و أموالهم و نساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فان رأوا



نهزة أصابوها، و إن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، و خلّوا بينكم و بين محمّد، و لا طاقة لكم به. إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم، على أن تقاتلوا معهم محمّدا حتى تنجزوه. فقالوا: لقد أشرت بالرأى.

(٢) ثم خرج حتى أتى قريشا، فقال لأبى سفيان بن حرب و من معه من رجال قريش: قد عرفتم ودى لكم، و فراقى لمحمّد، و انه قد بلغنى أمر قد رأيت علىّ حقا أن أبلغكموه، نصحا لكم فاكتموا عنى. فقالوا: نفع.

قال: اعلّموا أن معشر اليهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمّد، و قد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين، من قريش و غطفان رجلا. من أشرفهم فنعطيك فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من يبقى منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا.

(٣) ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أصلى و عشيرتى، و أحب الناس إليّ، و لا أراكم تتهمونى، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، قال

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٤

فاكتموا عنى، قالوا: نفعل فما أمرك، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش و حدّتهم ما حدّتهم.

و هكذا أذى «نعيم» وظيفته بأحسن صورة ثم دخل سرا فى جيش المسلمين، و اشاع بين المسلمين أن بنى قريظة تنوى أخذ رجال من المشركين لتسليمهم الى النبى و المسلمين.

و قد كان يقصد من اشاعه هذا النبأ أن يبلغ مسامع رؤساء العرب و قادتهم.

(١)

### مبعوثو قريش يمشون إلى بنى قريظة:

و لما كانت ليلة السبت قرّر أبو سفيان ان يحسم الموقف بشكل من الأشكال فأرسل إلى بنى قريظة جماعة من سادة قريش و غطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف و الحافر، فاعدوا للقتال حتى نناجز محمّدا، و نفرغ ممّا بيننا و بينه.

فأرسل بنو قريظة إليهم: إن اليوم يوم السبت، و هو يوم لا نعمل فيه شيئا، و قد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يخف عليكم، و لسنا مع ذلك بالذى نقاتل معكم محمّدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمّدا، فاننا نخشى إن ضرستكم الحرب، و اشتدّ عليكم القتال أن تسرعوا إلى بلادكم و تتركونا، و الرجل فى بلدنا و لا طاقة لنا بذلك منه.

فلما رجعت الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش و غطفان: و الله إن الذى حدّثكم نعيم بن مسعود لحق.

فأرسلوا إلى بنى قريظة من يقول لهم: إنا و الله لا ندفع إليكم رجلا واحدا، فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقاتل بنو قريظة - حين انتهت الرسل إليهم بهذا: إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلّا أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهبوها، و ان كان

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٥

غير ذلك أسرعوا إلى بلادهم و خلّوا بيننا و بين محمّد. فى بلدنا «١».

و هكذا انسحبت بنو قريظة من الأحزاب و أوقع الله التخادل بينهم، و تفرّقوا، و تمزق شملهم، و كان ذلك من عوامل فشل الأحزاب، و تقهقرهم و رجوعهم خائبين.

(١)

**آخر العوامل لهزيمة الكفار:**

لقد انضمت العوامل المذكورة إلى عامل آخر يمكن تسميته - في الحقيقة - بالامداد الغيبي ففرقت جماعة الاحزاب، وشتت جماعتهم وذلك العامل هو أن الله تعالى بعث عليهم فجأة الريح والعاصفة، واشتد البرد، وكان اشتداد الريح كبيراً بحيث أكفأ قدورهم، واقتلع خيامهم ومضاربهم، وأطفأ أضواءهم، وأوجد حريقاً في الصحراء.

وهنا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله حذيفة أن يعبر الخندق، ويأتيه بخبر عن أحوال المشركين ومن مالأهم من الاحزاب. يقول حذيفة: فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل ما تفعل بهم لا تقتر لهم قدراً، ولا ناراً ولا بناءً، فسمعت أبا سفيان يقول، وقد قام في جماعة من قريش: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا إني مرتحل. ثم قام إلى جملة - وهو معقول - فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق مقاله إلا وهو قائم من شدة الدهش والخوف!!

ولم يسفر الصبح إلا وأسرت قريش وغطفان عاندين إلى بلادهم يجزون أذيال الخيبة، ولم يبق منهم أحد هناك.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٩ - ٣٣١، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٤٢ و ٢٤٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٦

وهكذا انتهت معركة الاحزاب في الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة (١).

**القرآن الكريم ومعركة الاحزاب**

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أبرز النقاط في معركة الاحزاب (الخندق) ضمن سبع عشرة آية وها نحن ندرجها برمتها ونشير باختصار إلى ما تضمنته من حقائق:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا. إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا. وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا. وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلُّونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا. قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا. أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا يَحْسَبُونَ سِيدَ الْمُرْسَلِينَ ج ٢ ص ٢٧٦ القرآن الكريم ومعركة الاحزاب ..... ص : ٢٧٦

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٤٤، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٣٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٧

الْأَحْزَابِ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتُلُونُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا. وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا. «١».

ويمكن تقسيم هذه الآيات الى ثلاثة أقسام:

القسم الاول و هي الآيات التي ترسم الوضع العام للمسلمين عند ما أتتهم عساكر الاحزاب.

القسم الثاني و هي الآيات التي تتعرض لذكر موقف المنافقين و ضعاف الايمان.

القسم الثالث و هي الآيات التي تتعرض لذكر موقف المؤمنين الصادقين.

و إليك بيانا لمفاد هذه الآيات على وجه الاختصار.

١- تبدأ هذه المجموعة من الآيات بتذكير المؤمنين- في الآية الاولى- بنعمة الله عليهم أن ردّ عنهم الجيش الذي قصد استئصالهم لو لا- عناية الله و مدده العظيم، و في هذا إشعار قوى بأن الله هو الذي يحمي القائمين على دعوته و منهجه من عدوان الكافرين و المتأمرين.

٢- ثم تشرح الآية الثانية الحالة العسكرية الخطيرة التي كان يواجهها المسلمون، فهم محاصرون من قبل الاعداء و المتواطئين معهم من كل جهة محاصرة

(١) الأحزاب: ٩-٢٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٧٨

ألقت الرعب في قلوب الكثيرين من أهل المدينة فزاغت الابصار هولاً، و بلغ القلوب الحناجر خوفاً، و ظنّ البعض أن ما أعطاهم الله و رسوله من الوعد بالتأييد و النصر لم يكن صحيحاً.

٣- ثم تحدثت الآية الثالثة عن الابتلاء و الاختبار الذي أفرزه هذا الوضع الخطير، فقد ابتلى المسلمون في هذه الواقعة، و تملكهم خوف شديد.

٤- و لكن المنافقين، و الذين في قلوبهم مرض كانوا أشد هولاً و خوفاً حتى أن ذلك الكرب و الهول أخرج خبيثه نفوسهم، فشككوا في وعود الله الصادقة، و قالوا: ما وعدنا الله إلا غروراً، فهو خدعنا إذ وعدنا بالغلبة على أعدائنا.

٥- و لم يكتف المنافقون باشاعة هذه التشكيكات بين المسلمين بل دعوا أهل المدينة إلى الانسحاب من الميدان إلى داخل المدينة، و بالتالي حرّضوهم على ترك الصفوف. و احتجوا لذلك بالخوف على النساء و الصبيان من كيد الاعداء قائلين: «بيوتنا عورة» و هم لا يريدون إلا الفرار جبناً و خوفاً.

٦- ثم تكشف الآية السادسة و السابعة عن حقيقة ما في نفوس اولئك المنافقين، فهم لا- يريدون الانسحاب إلى داخل المدينة للمحافظة على الذراري و الصبيان، انما هو نقض العهد، و خلف الوعد و فقدان الايمان القلبي فهم اذا دخل عليهم العدو المدينة و طلبوا منهم الرجوع عن الاسلام لرجعوا إلى الكفر دون تأخير. و لكن الله سيسألهم عن العهد الذي أعطوه من قبل بأن يثبتوا امام العدو، و كان عهد الله مسئولاً.

٧- ثم إن الله تعالى يوبخهم- في الآية في الآيات اللاحقة- على موقفهم المتخاذل هذا، و يقول لهم: بأن الفرار و الانسحاب لن ينجيهم من الموت ان كان مقدراً عليهم، و حتى لو عاشوا أياماً فلن يعيشوها في خير و أمان.

كما و يقول لهم: بأن الله لا يخفى عليه ما يقومون به من تخذيل و عرقلة لمسيرة الاسلام الصاعدة، و لا تخفى عليه سبحانه مواقفهم في أوقات المحنة، من كف الايدي عن مساعدة المؤمنين، أو سلقهم بألستهم و تحميلهم عوامل المحنة و الشدة، سيد المرسلين، ج٢، ص: ٢٧٩ حتى بعد الانتصار.

و هنا يبدو و يبرز دور المنافقين، و تظهر حالاتهم العجيبة في الحرب و السلم. فهم يخافون خوفا شديدا، و هم يظنون بالله ظن السوء و هم يشيعون الخوف و روح الهزيمة في الناس و هم ينسحبون و يدعون إلى الانسحاب من الصفوف و هم مستعدون في كل وقت للارتداد و الرجوع عن الاسلام الى الكفر، و هم بالتالي اشحة بخلاء، في نفوسهم كزازة على المسلمين كزازة بالجهد و كزازة بالمال و كزازة بالعواطف و المشاعر على السواء.

٨- إنهم لكونهم لم تخالط قلوبهم بشاشة الايمان و لم يهتدوا بنوره يفقدون الشجاعة و القوة حتى بعد ذهاب عوامل الخوف و الهول. فهم ما يزالون يرتعشون، و يتخاذلون، و يأبون أن يصدقوا أن الاحزاب قد ذهبت و ولت مهزومة. و يودون لو أن الاحزاب دخلت المدينة أن لا يكونوا فيها مبالغه في النجاء من الأهوال!!

٩- و لكن في مقابلة هذا الفريق المتخاذل الجبان يرسم القرآن الكريم في الآيات ٢١ إلى ٢٥ صورة المؤمنين الصادقين و في مقدمتهم رسول الله صلى الله عليه و آله القدوة الحسنة لجميع المسلمين في جميع الحالات و الظروف.

فان هذه الجماعة المؤمنة الصادقة لما رأت الاحزاب قالت: هذا ما وعدنا الله و رسوله، هذا الهول لا بد أن يجيء فيه النصر فهو وعد الله الصادق المحقق.

فصمدوا و صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فجزاهم الله بصدقهم إذ ردّ الذين كفروا بغيظهم، لم ينالوا خيرا و كفى الله المؤمنين القتال، و كان الله قويا عزيزا خلافا لما ظنه المنافقون، و توهموه.

و قد كانت هذه الواقعة في منظور القرآن الكريم امتحانا عظيما، و اختبارا دقيقا للنفوس و القلوب و هو امتحان لا بد منه حتى يتميز الصادق عن المنافق، و الموفون بعهدهم و الناقضون له.

كما أن هذه الواقعة و ما جاء حولها من الآيات كشفت عن أن وعود الله سيد المرسلين، ج٢، ص: ٢٨٠

صادقة و محققة اذا توفرت شرائطها، و مقدماتها، و منها استخدام الوسائل الطبيعية المناسبة، و الاتكال على الله و استمداد العون منه. و في هذه الآيات إشارة إلى دور ما يسمى الآن بالطابور الخامس و إلى خطورة الشائعات السيئة في المجتمع، و بخاصة في ظروف الحرب.

كما أن فيها إشارة إلى كيفية مواجهة هذه الشائعات و التعامل مع فعاليات هذا الفريق الخطر. و لقد لا- حظنا خلال ما مضى من السيرة كيف أن رسول الله صلى الله عليه و آله كان يبطل بتكتيكاته العسكرية مفعول تلك النشاطات التخريبية و المضرة.

فقد كان يعتمد اسلوب الدعاء، و الذكر، و التشجيع، و التكبير، و ارسال الدوريات العسكرية و العمل المباشر و المشاركة الفعلية في عمليات الدفاع و الحراسة و ما شاكل ذلك ممّا ذكرناه و ممّا لم تسع هذه الدراسة لذكره.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٢٨١

حوادث السنة الخامسة من الهجرة (١)

## إشارة

أقدم رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة الأولى من هجرته الى المدينة، على تنظيم و عقد ميثاق تعايش بين سكان المدينة و ما حولها، بغية إنهاء جميع أشكال الاختلاف، و التنازع، و الصراع الداخلي.

و قد تعهد الأوسيون و الخزرجيون، عامة و اليهود من تينك القبيلتين أن يدافعوا عن المدينة و ما حولها، و قد مرّ النص الكامل لهذا الميثاق على القارئ الكريم فيما سبق «١».

هذا من ناحية.

(٢) و من ناحية اخرى عقد رسول الله صلى الله عليه وآله بينه و بين يهود المدينة ميثاقا آخر ينص على أن مختلف الطوائف اليهودية تتعهد بأن لا تلحق أى ضرر و أذى برسول الله و أصحابه، و لا تمدّ أعداءهم بالخيل و السلاح، و أنها لو فعلت شيئا من ذلك يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله الحق فى أن يقتلهم، و يسبى نساءهم و أبناءهم.

إلا أن جميع الطوائف اليهودية الثلاث نقضت الميثاق المذكور بشتى العناوين و الصور، و تجاهلت بنوده، و مواده!

فقد قتل «بنو قينقاع» مسلما، و خطّطت «بنو النضير» لاغتيال رسول الله

(١) راجع صفحة ٢١ من هذا الجزء.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٢

صلى الله عليه وآله، و أجبرهم على الجلاء من المدينة و أخرجهم من البيئة الاسلامية.

و تعاونت «بنو قريظة» مع جيش المشركين لضرب المسلمين، و طعنهم من الخلف، و الآن يجب أن نرى كيف يوبخ رسول الله بنى قريظة على نقضهم للميثاق.

## قوات الاسلام تحاصر بنى قريظة:

(١) لم يكن الصبح قد أسفر بعد عند ما غادرت آخر مجموعة من جنود «الأحزاب» أرض المدينة قافلة إلى بلادها مرعوبة فرعة للغاية.

كما أن آثار التعب و الارهاق لم تكن قد فارقت بعد ملامح المسلمين، و مع ذلك فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وآله بأن يعالج قضيه «بنى قريظة» بصورة نهائية، فأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله و صلى النبي صلى الله عليه وآله بالمسلمين صلاة الظهر، ثم نادى منادى النبي صلى الله عليه وآله فى الناس:

من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا بنى قريظة!

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله قدّم «علي بن أبى طالب» برايته «١»، و خرج معه جنود الإسلام الشجعان، فحاصروا حصون «بنى قريظة»، فأخبرهم ديرانهم بنشاط المسلمين، فبادروا إلى اغلاق أبواب الحصون، و التحصن فى داخلها، و نشبت الحرب بين بنى قريظة و المسلمين من اللحظات الأولى فقد أخذ اليهود يشتمون رسول الله صلى الله عليه وآله و قالوا فيه مقالة قبيحة فرجع على عليه السلام بالمسلمين فالتقى رسول الله صلى الله عليه وآله فى الطريق و قد كره أن يسمع النبي صلى الله عليه وآله و أذاهم و شتمهم و حاول أن يثنى رسول الله صلى الله عليه وآله من الاقتراب إلى حصن بنى قريظة قائلا: لا عليك أن تدنو

(١) زاد المعاد: ج ٢ ص ٧٣، و امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٤٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٣

من هؤلاء الاخباث.

فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بسبب ذلك قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وآله من حصونهم قال لهم:

«هل أخزاكم الله و أنزل عليكم نعمته؟»

وقد كانت ردة فعل رسول الله صلى الله عليه وآله غير متوقعة لليهود، و من هنا قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولا .. و هم يريدون بذلك إطفاء مشاعره الملتهبة ضدّهم «١».

فأثارت كلمتهم هذه عاطفة رسول الله صلى الله عليه وآله بحيث رجع من غير اختيار، و سقط رداؤه من كتفه. (١)

### اليهود يتشاورون حول الموقف:

تشاور يهود بنو قريظة و هم معتصمون بحصونهم في الموقف، و قد شارك فيه «حبي بن أخطب» مثير معركة الأحزاب، فانه لم يذهب إلى خيبر بعد أن وضعت الحرب - في معركة الأحزاب - أوزارها و ولى العرب المشركون بل دخل في حصون بنى قريظة.

هذا و قد طرح زعيم بنى قريظة ثلاثة اقتراحات و طلب من الجميع أن يتفقوا على واحدة منها لمعالجة الموقف:

(٢) ١- أن يؤمنوا برسول الله، و يصدّقونه لأنه قد تبين لهم أنه نبي مرسل، و أنه الذي يجدونه في كتابهم، و بذلك يأمنون على دمائهم و أموالهم و نسائهم و أبنائهم.

(٣) ٢- أن يقتلوا أبناءهم و نساءهم ثم يخرجوا إلى محمّد و أصحابه يقاتلونهم، فإذا هلكوا، هلكوا و لم يتركوا وراءهم نسلا يخشى عليه، و إن انتصروا تزوجوا

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٣٤، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٤٥ و ٢٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٤

من جديد، و وجدوا أبناء.

(١) ٣- ان الليلة هي ليلة السبت، و انه عسى أن يكون محمّد و أصحابه قد منوهم فيها، لعلمهم بأن اليهود لا يقاتلون في السبت، فليزولوا من الحصون لعلمهم يصيبون من محمّد و أصحابه على حين غفلة.

و لكن المشاورين رفضوا جميع هذه الطروحات و قالوا: لا- نفارق حكم التوراة أبدا، و لا نستبدل به غيره، و قالوا: ان نقتل أبناءنا و نساءنا فما خير العيش بعدهم، و قالوا: لا نقاتل ليلة ليلة السبت، محمّد و أصحابه نفسنا سبتنا علينا، و نحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلّا من قد علمت، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ «١».

إن هذا الحوار يساعدنا على فهم نفسية تلك الجماعة (و نعى اليهود)، و خصالهم و أخلاقهم الفاسدة.

فإن رفض الاقتراح يكشف عن أنهم كانوا جماعة معاندة، لجوجة، لأنهم إذا كانوا حقا يعرفون صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله - كما قال زعيمهم - لم يكن لوقوفهم سبب الا العناد و العتوّ، و اللجاج.

(٢) و اما الاقتراح الثاني و ما دار حوله من كلام فيشهد - بجلاء - على أن تلك الطائفة كانت جماعة قاسية، لا تعرف للرحمة و الحنان معنى، لان قتل الاطفال و النساء الابرياء لا يمكن من دون قسوة شديدة.

هذا مضافا إلى أن المشاورين آنذاك رفضوا هذا المقترح لا بدافع الرحمة و الشفقة على الأطفال و النساء، بل لأن الحياة لا تعود لذيدة بعد فقدهم هذا هو ما قالوه. و لم يقل أى واحد منهم: و ما ذا جنى الاطفال و النساء حتى نقتلهم و نذبهم، و لو أن رسول الله

صلى الله عليه وآله - تمكن منهم - لم يقتلهم، فكيف نعد نحن (الآباء الرحماء) إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة بحقهم. فنفسك دماءهم

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٣٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٥

من غير جرم ولا جناية؟

(١) و أما الاقتراح الثالث فيكشف عن أنهم لم يكونوا يعرفون جيدا مدى علم رسول الاسلام صلى الله عليه وآله بفنون القتال، و الدفاع و كانوا يتصورون أن القائد الأعلى للاسلام لا يراعى قواعد الحذر و الاحتياط ليله السبت و يومه، و خاصة في مواجهة أعداء خونه، أخوان غدر و مكر، أمثال اليهود الناقضين للعهد، الناكثين للمواثيق.

ان دراسة و تقييم معركة «الاحزاب» تثبت ندره وجود الاذكياء و الفطنين بين هذه الجماعة، و الّا لكانوا يتمكنون من حفظ كياناتهم حتى من الناحية السياسية في تلك الظروف من دون أن ينحازوا إلى أي واحد من طرفي الصراع (الاسلام و الشرك).

أي أنه كان من الممكن أن يتخذوا جانب الحياد الكامل، و يقوا متفرجين لما يدور بين محمّد، و جيش المشركين، و بهذا يقوا محافظين على كياناتهم و وجودهم، انتصر من انتصر و غلب من غلب.

(٢) و لكنهم خدعوا بتسويات «حبي بن أخطب» و وسوساته و انحازوا الى جيش العرب المشركين فتورطوا في مثل تلك الورطة، و هي أن يتخلوا- في النهاية- عن مساعدة قريش بعد شهر كامل من التعاون معهم، و الرضوخ لخطه «نعيم بن مسعود»، و إخبار قريش بأنهم لن يتعاونوا معهم ضد رسول الاسلام ما لم تسلّم قريش بعض شخصياتها إليهم، لغرض الاحتفاظ بهم في حصونهم كوثيقة!!

لقد غاب عن تلك الزمرة المعاندة اللجوجّه أنهم قد تعاونوا ضد رسول الاسلام في بداية الأمر، فاذا قطعوا علاقاتهم مع قريش، و ترك جيش المشركين ساحة المعركة إذا أحسّ بالعجز عن تحقيق أي انتصار، و عاد الى بلاده، فان بنى قريظة بأجمعهم سيكونون حينئذ في قبضة المسلمين.

(٣) فلو كانوا يملكون شيئاً من الرؤية السياسية الصحيحة لكان عليهم أن يعلنوا لرسول الله صلى الله عليه وآله - فور قطع العلاقات مع قريش - عن ندامتهم على

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٦

نقض الميثاق الذي عقده من قبل مع النبي صلى الله عليه وآله و يعتذروا إليه ممّا بدر منهم لينجوا من الخطر- في صورة انتصار المسلمين على الكفار- و لكن الشقاء أصابهم عند ما قطعوا العلاقات مع جيش قريش، و لم يلتحقوا بالمسلمين، و لم يعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

على أنه لم يكن في مقدور النبي صلى الله عليه وآله أن يترك بنى قريظة- بعد هزيمة جيش العرب- على حالهم، و يغض النظر عن موقفهم إذ لم يكن من المستبعد، أن يفكر العرب في مناسبة أخرى في تسيير جيش ضخم و منظم آخر لاجتياح المدينة، و يتمكنوا مع مساعدة بنى قريظة من استئصال الاسلام.

فكان يهود بنى قريظة يعتبرون- في الحقيقة- العدو الداخلي الذي يهدّد كيان الاسلام من الداخل، و على هذا كان من الواجب معالجة الامر مع بنى قريظة، و حلّ هذه المسألة الخطيرة بالنسبة الى المسلمين من الاساس.

(١)



لقد طلب يهود بنى قريظة بعد محاصرة النبي صلى الله عليه وآله لهم، أن يبعث إليهم «أبا لبابة» الأوسى ليتشاوروا معه فى الموقف، و قد كان أبو لبابة حليفا لليهود قبل دخول الاسلام إلى المدينة، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم، فلما رأوه قام إليه الرجال و جهش إليه النساء و الصبيان ييكون فى وجهه و قالوا: يا أبا لبابة أ ترى أن نزل على حكم محمد؟ قال: نعم- و أشار بيده إلى حلقة- يريد أنهم سوف يقتلهم و لن يحقن دماءهم، لو سلموا.

لقد كان أبو لبابة يعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لن يوافق على بقاء هذه الزمرة الشريرة الخائنة الخطرة على دين التوحيد، إلا أن أبا لبابة قد خان بفعله هذا المسلمين، و مصالح الاسلام العليا، و أفضى سراً كان عليه أن يكتمه قبل وقوعه، و لهذا ندم على فعله ندما شديداً، فخرج من حصن بنى قريظة و هو سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٧

يرتجف و يقول: إني خنت الله و رسوله صلى الله عليه وآله، و انطلق على وجهه، و لم يأت رسول الله صلى الله عليه وآله و المسلمون و هم ينتظرون رجوعه إليهم- و ربط نفسه فى المسجد بعمود من أعمدته، و قال لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله على ما صنعت!!

(١) و يقول المفسرون: فنزل فى خيانة أبى لبابة قول الله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (١).

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله خبر أبى لبابة، و كان قد استبطأه قال:

أما أنه لو جاءنى لاستغفرت له، فأما إذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.

و بقى أبو لبابة مرتباً بالاسطوانة، و كانت ابنته أو زوجته تأتيه فى مواعيد الصلاة، و تحل رباطه، فيصلى ثم تعيد الرباط.

فلما كان السحر من اليوم السابع نزلت توبه أبى لبابة بواسطة ملك الوحي - على رسول الله و هو فى بيت أم سلمة، و الآية التى نزلت فى توبته هى قوله تعالى:

«وَأَخْرَجُوا بِدُنُوبِهِمْ خُلُوطًا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (٢).

(٢) فلما نظرت أم سلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و هو مستبشر يضحك قال صلى الله عليه وآله لها:

«لقد تيب على أبى لبابة إن شئت فبشريه».

فقامت إليه و هو مرتب بالجدع فى المسجد و قالت له: يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك.

فلما عرف الناس بذلك أرادوا أن يطلقوه فقال: لا و الله حتى يكون رسول الله

(١) الأنفال: ٢٧.

(٢) التوبة: ١٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٨

صلى الله عليه وآله هو الذى يطلقنى.

فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه (١).

(١) و لا شك إن زلته أبى لبابة كانت بسبب عواطفه تجاه يهود بنى قريظة، فقد سلبه بكاء رجالهم و نساءهم، و صبيانهم و استغاثتهم العاطفية القدرة على ضبط النفس، فكشف سراً من أسرار المسلمين كان عليه أن يكتمه، و لكن قوة الايمان بالله و الخشية من عذابه أكبر و أعلى من كل شىء الى درجة أنها دفعت بابى لبابة إلى أن يندم على فعله ذلك الندم العجيب، و يعمد- لجبران تلك الخيانة- الى ما فعل من الانابة، و الاستغفار، الأمر الذى تكون نتيجته أن لا تراود مثل هذه الفكرة نفسه مرة اخرى قط.



(٢)

**إلى أي مدى ذهب الطابور الخامس في مشاغبه؟**

خرج «شأس بن قيس» اليهودي من الحصن ليتحادث مع رسول الله صلى الله عليه وآله نيابة عن بني قريظة، فطلب من رسول الله صلى الله عليه وآله ان يسمح لليهود بني قريظة بأن يحملوا معهم أموالهم و يخرجوا من المدينة كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله مع بني النضير، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: «لا، إلا أن تنزلوا على حكمي». فقال شأس: لك الاموال و السلاح و تحقن دماءنا، فابى النبي صلى الله عليه وآله و رفض هذا الاقتراح أيضا. و هنا يطرح السؤال التالي نفسه و هو: لما ذا رفض رسول الاسلام صلى الله عليه وآله مقترحات مندوب بني قريظة؟! إن السبب واضح، فانه لم يكن من المستبعد أن تقدم هذه الزمرة- بعد

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٣٧ و ٢٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٨٩

خروجها من قبضة المسلمين- على تحريك العرب المشركين الوثنيين ضد الاسلام و المسلمين على نحو ما فعلت بنو النضير، و تعرض المجتمع الاسلامي و الدولة الاسلامية الفتية لأخطار كبرى جدا، و تسبب في سفك دماء كثيرة. (١) و لهذا لم يوافق رسول الله صلى الله عليه وآله على اقتراحات مندوب بني قريظة، و عاد شأس إلى الحصن، و اخبر قومه بمقالة رسول الله عليه وآله، و رفضه لمقترحاته.

فقرر بنو قريظة التسليم للمسلمين من دون أى قيد أو شرط.

أو الرضا بما يحكم به سعد بن معاذ الأوسى- و كان حليفا لهم- فى حقهم.

و لهذا عمدوا الى فتح باب الحصن، و دخل على عليه السلام على رأس كتيبة خاصة من المسلمين الحصن و جرّدوا بني قريظة من السلاح، و حبسوهم فى منازل «بنى النجار» ليتقرر مصيرهم فيما بعد.

(٢) و حيث إن يهود بنى قينقاع قد اسروا على أيدي جنود الاسلام، ثم عفى عنهم بوساطة من الخزرج و بخاصة «عبد الله بن ابي»، و انصرف النبي صلى الله عليه وآله عن إهراق دمهم فيما مضى، لذا ضغط الاوسيون المتحالفون مع بني قريظة على رسول الله صلى الله عليه وآله و أصروا عليه اصرارا شديدا بأن يعفو عن بني قريظة الذين كانوا متحالفين مع الأوس من قبل أن يقدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة، و ذلك منافسة للخزرج، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله قاوم هذا الطلب، و قال لهم:

«ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم»؟

قالوا: بلى.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله فذاك إلى «سعد بن معاذ» فهو يحكم فيهم.

(٣) و الطريف أن اليهود قد قبلوا هم أيضا بما يحكم به سعد بن معاذ فقد بعث بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وآله- كما

يروى ابن هشام «١» و الشيخ

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٠

المفيد «١»-: يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ.

(١) و كان سعد آنذاك يتداوى فى خيمة لامرأة تدعى «رفيدة» من سهم أصابه فى معركة الخندق، و كانت رفيده تداوى الجرحى فى سبيل الله، و كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعود سعدا بين الحين و الآخر، فلما حكّمه فى بنى قريظة أتاه فتيان الأوس، و حملوه على حمار و قد وطئوا له بوساده من آدم و كان رجلا جسيما جميلا، ثم أقبلوا معه الى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما طلع سعد على رسول الله و الناس حوله صلى الله عليه وآله جلوس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قوموا إلى سيدكم».

فقام الناس على أرجلهم صفيين احتراماً لسعد، و حيّاه كل واحد منهم، حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، و قد طلب منه رجال قومه مرارا أن يحسن الحكم فى حلفائهم: يهود بنى قريظة، و يخلصهم من خطر الموت و القتل قائلين: يا سعد أجمل إلى مواليك فأحسن فيهم فان رسول الله صلى الله عليه وآله قد حكّمك فيهم لتحسن فيهم. و لكن سعدا حكم فى ذلك المجلس - رغم كل ذلك اللاحاح، و الضغط - بأن يقتل رجال اليهود، و تقسم أموالهم، و تسبى ذراريهم و نساؤهم «٢».

(٢)

### تقييم ما استند إليه سعد فى حكمه:

ليس من شك فى أنه اذا غلبت عواطف القاضى و أحاسيسه على عقله، تعرض جهاز القضاء للفوضى و الاختلال، و انتهى الى تمزق المجتمع و سقوطه،

(١) الارشاد: ص ٥٠ و أيضا راجع زاد المعاد: ج ٢ ص ٧٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٤٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٤٠، المغازى: ج ٢ ص ٥١٠، زاد المعاد: ج ٢ ص ٧٣ و ٧٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩١

و انهيار كل شىء، لارتباط كل شىء بالعدالة و ارتباط العدالة بالقضاء و المؤسسة القضائية.

إن العواطف تشبه الى حد بعيد الشهية الكاذبة التى تزين فى نظر صاحبها كل مضر مهلك فى حين إذا غلبت هذه العواطف و المشاعر العقل سحقت مصالح الفرد و المجتمع، أو أضرت به أشدّ و أبلغ إضرار.

(١) إن عواطف سعد و أحاسيسه و مشاعره، و منظر صبيان و نساء بنى قريظة المحزن، و أوضاع رجالهم التى كانت تثير الاشفاق و هم فى الحبس، و ملاحظة رأى العام فى قبيلة الأوسيين الذين كانوا يلحون على سعد أن يحسن الحكم و الرأى فى بنى قريظة، كل هذه الاعتبارات كان من شأنها أن تجعل القاضى فريسة العاطفة، فيصدر حكمه على أساس من تقديم مصالح أقلية خائنة مشاغبة على مصالح الاكثريه (أى عامه المسلمين) و يبرى بنى قريظة الجناة الخونة، أو يخفف عن عقوبتهم أكبر قدر ممكن، على الأقل، أو يسلم لإحدى المقترحات السابقة.

إلا أن منطق العقل، و حرية القاضى و استقلاله فى الحكم و القضاء و مراعاة المصالح العامة كل ذلك قاد سعدا إلى ناحية اخرى، فحكم بأن يقتل رجال تلك الزمرة المتآمرة الخائنة، و تصادر أموالهم، و تسبى نساؤهم و أطفالهم.

(٢) و قد استند هذا الحاكم فى حكمه هذا إلى الامور التالية:

(٣) ١- أن يهود بنى قريظة قد تعهدوا للنبي صلى الله عليه وآله قبل مده بأنهم لو تأمروا ضد الإسلام، و المسلمين، و ناصرُوا أعداء التوحيد، و اثاروا الفتن و القلاقل، و ألجوا على المسلمين كان للمسلمين الحق فى قتلهم و مصادرة أموالهم و سبى نساؤهم «١».

و قد رأى بأنه لو حكم بمعاقبة اليهود حسب هذا الميثاق لم يصدر حكما مخالفا

(١) ولقد مرّ عليك نص هذا الميثاق الذي وقع عليه كعب بن الاسد رئيس بنى قريظة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٢

للعادلة، و لم يرتكب ظلما.

(١) ٢- إن هذه الزمرة الناقضة للميثاق أخلت بأمن المدينة في ظل حراب القوى المشتركة، فترة من الزمن، و هاجمت منازل المسلمين، و لو لا مراقبة النبي صلى الله عليه وآله للاوضاع و حراسه من عيّنهم من جنود الاسلام للحفاظ على أمن المدينة، لفعلت تلك الزمرة الأفاعيل و لارتكبت أسوأ الفضائح و الفجائع، و لو أتيح لهم أن يسيطروا على المدينة لقتلوا رجال المسلمين و صادروا أموالهم، و سبوا نساءهم و أطفالهم.

و من هنا رأى سعد بن معاذ في نفسه بأنه لو قضى فيهم بمثل هذا القضاء لما خالف الحق و أطفالهم.

(٢) ٣- من المحتمل جدا أن سعد بن معاذ رئيس الأوس الحلفاء ليهود بنى قريظة، و الذين كانت بينهم علاقات ودّ و محبة كان مطلعاً على قوانين اليهود، الجزائية في هذا المجال، فإن التوراة تنص بما يلي: «حين تقرب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح. فان اجابتك إلى الصلح و فتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير، و يستعبد لك. و ان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. و اذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحدّ السيف، و اما النساء و الأطفال و البهائم و كل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك» (١).

و لعلّ سعدا فكر في نفسه بأن القاضى المرضي و المقبول لدى الجانبين لو عاقب المعتدين حسب شريعتهم ما فعل إلّا ما يقتضيه العدل و الانصاف.

(٣) ٤- و الذى نتصوره هو أن أكبر أسباب هذا الحكم هو أن «سعد بن معاذ» رأى بام عينيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله عفا عن بنى قينقاع المعتدين بناء على طلب من الخزرجيين، و اكتفى - من عقابهم - باخراجهم من المدينة، و اجلائهم

(١) التوراة: سفر التثنية الفصل العشرون ١٠-١٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٣

عنها و لكن تلك الزمرة التى شملها عفو النبي لم تكن تغادر أراضي الاسلام حتى بدأت بالمشاغبة و المؤامرة الدينئة ضدّ الاسلام، فذهب كعب بن الأشرف الى مكة، و أخذ يتباكى - دجلا و خداعا - على قتلى بدر، و يذرف عليهم دموع التماسيح، و لم يفتأ عن تأليب قريش ضد رسول الاسلام و أصحابه حتى عزمت قريش على تسيير جيشها نحو المدينة، و كانت واقعة «احد» التى استشهد فيها اثنان و سبعون من خيرة أبناء الاسلام، و رجاله.

(١) و هكذا فعلت بنو النضير المتآمرون الخونة، الذين عفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و اكتفى من عقابهم بمجرد اجلائهم عن المدينة، و لكنهم قابلوا هذا الموقف الانساني، بتأليب القبائل العربية المشتركة ضدّ الاسلام، و المسلمين، و كوّنوا اتحادا نظاميا بينها، و ألفوا منها جيشا قويا ساروا به الى عاصمة الاسلام (المدينة)، فكانت وقعة (الاحزاب) التى لو لا حنكة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، و خطه حفر الخندق لقضى على الاسلام بسببها منذ الايام الاولى، و لما بقى من ذلك الدين خبر و لا أثر و لقتل آلاف الناس.

(٢) لقد لاحظ سعد بن معاذ كل هذه الاعتبارات، فلم تسمح له التجارة الماضية بأن يستسلم لعواطفه، و يضخى بمصالح الآلاف فى سبيل الحفاظ على مصالح أقلية لأنه كان من المسلم به أن هذا الفريق سيقوم فى المستقبل بايجاد تحالف عسكري أوسع، و سيثير و يؤلب قوى العرب ضد الاسلام، و يعرض مركز الاسلام، و محوره الاساسى للخطر من خلال تدبير مؤامرات اخرى.

و على هذه الأساس رأى بأن وجود هذه الزمرة يضمر المجتمع الاسلامى مائة بالمائة و أيقن بأن هذه الزمرة لو أتيح لها أن تخرج من

قبضة المسلمين لما فتأت لحظة عن المؤامرة و لواجه المسلمون بسببها أخطارا كبرى.

(٣) و من المحقق أنه اذا لم تكن في المقام هذه الجهات و الاعتبارات لكان إرضاء الرغبة العامة في الابقاء على بنى قريظة أو التخفيف في عقابهم أمرا في غاية الأهمية بالنسبة إلى سعد بن معاذ، فان رئيس أى قوم، أو جماعة أخرج ما يكون سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٤

إلى تأييد قومه و جماعته و كسب رضاهم و دعمهم، و لا ريب أن عدم الاستجابة لمطلبهم، و تجاهل توصياتهم يوجه أكبر ضربة لسيد القوم و رئيسهم، و لكن سعدا (رئيس الأوس) أدرك أن جميع هذه التوصيات و الوساطات تخالف مصالح الآلاف من المسلمين، من هنا أثر عدم الحياد عن حكم العقل، و المنطق، على رضا قومه عنه.

هذا و إن الذى يشهد بدقة نظر سعد، و صواب رأيه، و صحة تشخيصه و تقديره للأمر أنه عند ما اتى بحبي بن أخطب ليضرب عنقه فوقعت عينه على رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما لمت نفسى فى عداوتك، و لكنه من يخذل الله يخذل. أى لو لا خذلان الله لليهود لاستمروا فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وآله و تدبير المؤامرات ضده.

ثم أقبل على الناس فقال: يا أيها الناس لا بأس بأمر الله، ملحمه كتبها الله على بنى إسرائيل.

(١) ثم إنه قتل فى هذه الواقعة من النساء امرأة واحدة لأنها ألفت برحى من فوق الحصن فقتلت به أحد المسلمين، فقتلت قصاصا.

و كان بين المحكوم عليهم بالقتل رجل اسمه «الزبير بن باطا» شفع له رجل من المسلمين يدعى ثابت بن قيس، فلم يقتل، و اخلى سبيل زوجته و أولاده، و اعيدت إليه أمواله، و أسلم أربعة من بنى قريظة، و قسّمت غنائم العدو بين المسلمين بعد إخراج الخمس منها، و اخرج ما يرتبط بالامور الادارية الاسلامية العامة.

و قد اعطى للفارس سهمان، و للراجل سهم واحد، و سلم رسول الله صلى الله عليه وآله أموال «الخمس» إلى زيد بن حارثة ليذهب بها إلى نجد و يشتري بها العتاد، و السلاح، و الخيل، و غيرها من أدوات الحرب «١».

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢٥٠، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٤١، زاد المعاد: ج ٢ ص ٧٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٥

(١) و هكذا انتهت مشكلة بنى قريظة فى التاسع عشر من شهر ذى الحجة من السنة الخامسة للهجرة، و قد نزلت فى شأن هذه الواقعة الآيات ٢٦- ٢٧ من سورة الاحزاب اذ يقول سبحانه:

«وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَ دِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا».

و قد استشهد «سعد بن معاذ» الذى سبق أن جرح فى معركة الخندق بعد حادثه بنى قريظة هذه «١»

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٥٠- ٢٥٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٦

(١)

## حوادث السنة السادسة من الهجرة

### ٣٩ أعداء الاسلام تحت المراقبة المشددة «١»

## إشارة

لم تنقض السنة الهجرية الخامسة إلّا وقد انتهت فتنة «الأحزاب» و «بنى قريظة»، وقضى عليهما بالكامل، وأصبحت المدينة و ضواحيها برمتها فى قبضة المسلمين و تحت سيطرتهم، و ازدادت قواعد الحكومة الإسلامية الفتية رسوخا و ثباتا، و ساد هدوء نسبي فى المنطقة التى تخضع للحكومة الإسلامية، غير أن هذا الهدوء كان هدوء مؤقتا، و كان على قائد المسلمين الأعلى أن يراقب أحوال العدو و أوضاعه، و تحركاته ليقضى فى المهد على كل مؤامرة ضدّ الإسلام بما أوتى من قوى و إمكانيات.

(٢) و لقد سمح الهدوء الذى ساد المنطقة للنبي صلى الله عليه وآله بأن يجمع بعض مشعلى فتنة «الأحزاب» الذين هربوا من قبضة المسلمين بعد رحيل «الأحزاب».

فلقد قتل «حبي بن أخطب» الذى كان من مشعلى معركة الأحزاب، فى غزوة بنى قريظة، و لكن رفيقه «سلام بن أبى الحقيق» كان لا يزال يعيش فى خير، و لا شكّ فى أن هذا العنصر الخطر لم يكن ليفتأ لحظة واحدة عن إثارة و تأليب «الأحزاب» مرّة أخرى ضدّ الإسلام، و خاصة أن العرب الوثنيين كانوا

(١) يستفاد من السيرة النبوية: ج ٣ ص ٢٩١ ط ١٣٥٥ أن خطة اغتيال «سلام» كانت قبل نهاية السنة الهجرية الخامسة، و لكن بالنظر إلى أن قضية بنى قريظة حدثت فى التاسع عشر من شهر ذى الحجة يستبعد هذا الرأى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٧

مستعدين لشن حرب على الإسلام، و كان من المحتمل إذا نوفرت هناك جهة تتكفل نفقات الحرب، أن تتكرر قضية الأحزاب مرّة أخرى.

(١) على أساس هذه المحاسبات كلّف رسول الله صلى الله عليه وآله «١» مجموعة من شجعان الخزرج و فوارسهم بأن يصفّوا هذا العنصر الخطر، الجرىء و الحاقد، بشرط أن لا يتعرّضوا لأحد من أبنائه و زوجاته.

فخرجوا حتى قدموا خيبر، فدخلوا خيبر ليلا و لم يدعوا بابا فى الدار الا أغلقوه على أهله حتى لا يحس بهم أحد إذا صاح و استغاث بأحد، ثم تسللوا إلى غرفته و كانت فى الطابق الاعلى، فطرقوا باب حجرته، فخرجت إليهم امرأته و قالت:

من أنتم؟ قالوا: ناس من العرب نلتمس الميرة، ففتحت الباب و سمحت لهم بالدخول عليه من دون التحقق من أمرهم، فدخلوا فى غرفته و ابتدروه و هو على فراشه بأسيافهم بعد أن أغلقوا باب الغرفة على أنفسهم، و قضا على ذلك المفسد الشرير الذى طالما أزعج المسلمين بفتنه و مؤامراته، ثم خرجوا، و انحدروا من الدرج و اختبئوا فى ممرّ مائى من خارج الحصن الى داخله، فصاحت زوجته، و استغاثت بالجيران، فأوقد اليهود النيران، و اشتدوا فى طلب تلك الجماعة الفدائية المسلمة، و لكن من دون جدوى، و عند ما يسوا من القبض عليهم رجعوا الى صاحبهم المقتول، و قد بلغ من جرأة المسلمين أن بعثوا أحدهم ليدخل بين اليهود فى خيبر و يأتى لهم بخبر ابن أبى الحقيق، لأنهم كانوا يظنون بأنه لا يزال على قيد الحياة.

(٢) فدخل ذلك الرجل بين اليهود فوجدهم و امرأته حول ابن أبى الحقيق، و فى يدها المصباح تنظر فى وجهه، و تحدثهم، و تقصّ عليهم ما جرى، ثم أقبلت عليه

(١) إن السبب أو الحكمة فى تكليف رسول الله صلى الله عليه وآله هذه المهمة هو أن الاوس قاموا بعملية مشابهة فى حق «كعب بن الأشرف» اليهودى الخطر فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله إقامة توازن فى كسب المفاخر بين تينك القبيلتين و لذلك أوكل مهمة تصفية هذا اليهودى المفسد إلى رجال الخزرج.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٨

تنظر في وجهه ثم قالت: فاذ (أى مات) و إله يهود.

فعاد إلى رفاقه و أخبرهم بنجاح عمليتهم و هلاك عدو الله: «سلام بن أبى الحقيق» على أيديهم، فخرجوا في تلك الليلة من مخبأهم و عادوا إلى المدينة و أخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله بما جرى «١».

(١)

### أهل الرأي من قريش يهاجرون إلى الحبشة:

توجه جماعة من أهل الرأي في قريش الذين أخافهم تقدم الاسلام، و انتشاره المطرد بشدة، إلى البلاط الحبشى ليقطنوا و يقيموا في الحبشة فقد قالوا: الرأي أن نلحق بالنجاشى فنكون عنده، فان ظهر «محمد» على قومنا كنا عند النجاشى، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدى محمد و إن ظهر قومنا فنحن من عرفوا فلن يأتينا منهم إلّا خير.

و خرجت هذه الجماعة و فيهم «عمرو بن العاص» بهدايا كثيرة من الحجاز قاصدة أرض الحبشة، و بلاط النجاشى بالذات.

(٢) و صادف دخولهم على «النجاشى» و روى «عمرو بن امية الضمرى» مبعوث رسول الله صلى الله عليه وآله و حامل كتابه إلى النجاشى يوصيه فيه بجعفر بن أبى طالب، و المهاجرين الآخرين من رفاقه.

فقال «عمرو بن العاص»: لو دخلت على «النجاشى» بالهدايا و سألته عمرو بن امية فاعطانيه، فضربت عنقه.

فدخل «عمرو بن العاصى» على «النجاشى»، و سجد له - على النحو الذى كان متبعاً - فسأله النجاشى عن حاله، ثم قال: هل أهديت إلى من بلادك شيئاً؟

قال ابن العاص: نعم أيها الملك، قد أهديت إليك ادما كثيراً، ثم قال: أيها

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٧٤ و ٢٧٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٢٩٩

الملك انى قد رأيت رجلا - خرج من عندك (و يقصد مبعوث رسول الله) و هو رسول عدو لنا، فاعطنيه لأقتله، فإنه قد أصاب من أشرفنا و خيارنا.

(١) فغضب النجاشى لمقالة ابن العاص غضبا شديدا فصفعه صفعة كادت أن تكسر أنفه، ثم قال: أ تسألنى أن اعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتي موسى لتقتله. ويحك يا عمرو أ طعنى و اتبعه فانه و الله لعلى الحق، و ليظهر على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون و جنوده، ثم قال: أ فتبايعنى له على الاسلام؟

يقول عمرو بن العاص: فقلت نعم، فبسط يده فبايعته على الاسلام، ثم خرجت إلى أصحابى، و قد حال رأيى عما كان عليه، و كتمت أصحابى إسلامى «١».

(٢)

### الوقاية من تكرار التجارب المرة:

تركت حادثه «الرجيع» المرة التى قتل فيها جماعة من قبائل «عضل» و «القارة» من بنى لحيان ثلثه من دعاة الاسلام غدرا و من دون رحمة، بل و سلمت رجلين منهم بقوا على قيد الحياة إلى قريش فصلبتهما قريش صبرا انتقاما من رسول الله و المسلمين.

لقد تركت هذه الفاجعة المأساوية المؤلمة ألما شديدا في نفوس المسلمين، و أحدثت جرحا عميقا في ضمائرهم و أدت إلى توقف حركة الارشاد و التبليغ و الدعوة.

و لكن في الظروف المستجدة التي استطاع الاسلام أن يزيل - بعد الأحزاب و بنى قريظة - كل العراقيل و العقبات عن سبيل المسلمين رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أن من الضروري تأديب بنى لحيان لتعتبر بقية القبائل، فلا يؤذوا بعد ذلك فرق الدعوة و بعثات التبليغ الاسلامي.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٧٦ و ٢٧٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٠

(١) فاستخلف مكانه لإدارة شئون المدينة «ابن أم مكتوم» في الشهر الخامس من السنة الهجرية السادسة و لم يظهر لأحد ما يقصده، بل خرج يظهر أنه يريد الشام ليصيب «بنى لحيان» على غفلة منهم، فلما وصل الى طريق مكة عزج حتى نزل بمنطقته تدعى غراب و هي منازل بنى لحيان، و قد كان بنو لحيان قد عرفوا بمسير النبي إليهم فحذروه، و تمنعوا في رءوس الجبال.

و كان غزو المسلمين هذا، و جبن العدو قد تركا أثرا نفسيا قويا، فأحدث رعبا في قلوب أعداء الإسلام.

و استكمالا لهذا الهدف العسكري الهام عمده رسول الله صلى الله عليه وآله إلى القيام بسلسلة من المناورات العسكرية، و استعراض القوة القتالية في جنوده ليرهب أعداء الله القريب منهم و البعيد و لتسمع بهم قريش خاصة فيذعرهم، فنزل في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان على مقربة من مكة و قد قال من قبل:

«لو هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة».

ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم (و هو موضع بناحية الحجاز بين مكة و المدينة و هو واد أمام عسفان بثمانية أميال). ثم عاد مع أصحابه إلى المدينة «١».

هذا و كان جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول حين رجوعه من هذه الغزوة:

«... أعود بالله من وعثاء السفر و كآبة المنقلب و سوء المنظر في الأهل و المال» «٢».

(٢) غزوة ذي قرد:

لم يقم رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة بعد عودته من الغزوة

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٧٩ و ٢٨٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٥٤، المغازي: ج ٢ ص ٥٣٥، إمتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٥٩ و ٢٦٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠١

السابقة إنما ليالى قلائل حتى أغار «عينه من حصن الفزاري» بمساعدة بنى غطفان، على إبل لرسول الله صلى الله عليه وآله كانت ترعى في منطقته تدعى الغابة (و هي موضع قرب المدينة من ناحية الشام) كانت مرعى أهل المدينة، و كان فيها آنذاك رجل من بنى غفار، و امرأة مسلمة له، فقتلوا الرجل، و أخذوا معهم المرأة و الإبل.

(١) و كان أول من أخبر الناس بذلك رجل يدعى سلمة بن عمرو بن الأكوخ الأسلمي و كان قد غدا يريد الغابة متوشحا سيفه و قوسه و نبه، يريد الصيد، حتى إذا علا «ثنية الوداع» نظر إلى بعض خيول المغيرين، فصعد على تلمة سلع و صرخ مستغيثا و مستنجدا: وا صباحاه،

ثم خرج يشتم في آثار القوم (المغيرين) فجعل يردهم بالنبل، و لكن المعتدين لاذوا بالفرار.



و كان رسول الله صلى الله عليه وآله أول من سمع صراخ ابن الاكوع واستغاثاته، فصرخ صلى الله عليه وآله هو مستغيثا: الفزع، الفزع. فأسرع جماعة من الفرسان برسول الله صلى الله عليه وآله، فلما اجتمعوا عنده أمر عليهم «سعد بن زيد الاشهلبي» وقال له: «اخرج في طلب القوم، حتى الحقك في الناس».

فخرج الفرسان المسلمون في طلب القوم، و خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من ورائهم، حتى أدركوا القوم في ذى قرد، فوقع بين المسلمين، و بين المغيرين قتال قليل قتل فيه من المسلمين رجلا، و من المعتدين ثلاثة، و استنقذت المرأة، و بعض الابل المسروقة، و لكن العدو لجأ إلى غطفان، فأقام رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المنطقة يوما و ليلة، تخويفا للعدو، و لم ير من الصالح ملاحقة العدو رغم إصرار بعض المسلمين على ملاحقتهم، و استنقاذ بقية السرح (الابل).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٢

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وآله قافلا حتى قدم المدينة «١» و كانت هذه الغزوة في الثالث من ربيع الاوّل من السنة السادسة من الهجرة «٢».

(١)

### النذر غير المشروع

و اقبلت المرأة الغفارية المسلمة التي استنقذت من أيدي المغيرين على ناقه من ابل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله و أخبرته بما جرى ثم قالت: يا رسول الله إني قد نذرت إن نجاني الله على هذه الناقة، أن أنحرها فأكل كبدها و سنامها.

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله و قال:

«بئس ما جزيتهما أن حملك الله عليها و نجاك ثم تنحرينها، انه لا نذر في معصية، و لا فيما لا تملكين إنما هي ناقه من إبلى فارجعي إلى أهلِكَ على بركة الله» «٣».

و بذلك بين رسول الله صلى الله عليه وآله حكمة في مجال النذر، و هو أن النذر لا يصح في مال الغير، فلا نذر إلا في ملك. و القصة إلى جانب ذلك تكشف عن الخلق العظيم الذي كان يتحلى به قائد الاسلام الأعلى رسول الله صلى الله عليه وآله، و لطفه بأصحابه و اتباعه، حيث جابه المرأة المذكورة برفق و لطف، و بصّرها بما لها و ما عليها في منتهى التواضع و الشفقة.

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٥٥، المغازي: ج ٢ ص ٥٣٧ و ٥٤٩.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٦٠ و ٢٦١.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨١-٢٨٩، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٣٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٦٣ قال صاحب الامتاع: و كانت الناقة هي القصواء، و القصواء اسم ناقه رسول الله صلى الله عليه وآله.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٣

حوادث السنة السادسة من الهجرة (١)

### ٢٠ تمرّد بني المصطلق



لقد بلغت قوة المسلمين العسكرية في السنة الهجرية السادسة حداً ملفتاً للنظر، بحيث تمكن جماعة خاصة منهم أن يترددوا على المناطق القريبة من مكة بمنتهى الحرية، و من دون خوف، بيد أن هذه القوة العسكرية لم تكن كافية للسيطرة على المناطق التي كان يتواجد فيها القبائل المشركه، و مصادرة أموالهم و ممتلكاتهم.

و اذا كان المشركون لا ينتزعون المسلمين حريتهم، و كانوا يسمحون لأن تجرى النشاطات التبليغية من دون منع أو معارضة لما كان رسول الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقدم على شراء الاسلحة، و بعث السرايا، و المجموعات العسكرية، و لكن حيث ان نشاطات المسلمين التبليغية، و مجموعات الارشاد و الدعوة كانت تتعرض باستمرار للمضايقة، و الاذى، بل و الاغتيال من قبل العدو، لذلك كان رسول الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مضطراً بحكم العقل و الفطرة أن يقوى من قدرات الاسلام الدفاعية.

(٢) لقد كانت العلة و الأسباب الواقعية لأكثر الحروب التي وقعت إلى السنة الهجرية السادسة بل حتى آخر لحظة من حياة رسول الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تتلخص في إحدى الامور التالية:

(٣) ١- الرد على اعتداءات المشركين الغادرة، مثل معركة «بدر» و «احد» و

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٣٠٤

«الخدق».

(١) ٢- تأديب و عقاب الظالمين الذين قتلوا رجالاً أبرياء من المسلمين، أو قتلوا جماعات الدعوة و التبليغ في البراري و القفار النائية، أو عرّضوا كيان الاسلام للخطر بنقضهم عهودهم، و تتمثل هذه الحروب في الغزوات الثلاثة ضدّ الطوائف اليهودية الثلاث (بنى قينقاع، بنى النضير، بنى قريظة) و بنى لحيان.

(٢) ٣- افشال و احباط المؤامرات، أو محاولات التمرد التي كانت على شرف الانعقاد في القبائل التي كانت تنوى بجمع الرجال و الاسلحة غزو المدينة، و اكتساح عاصمته الاسلام، و استئصال المسلمين، و كانت أكثر الحروب الصغيرة و المناوشات العابرة ناشئة من هذا العامل الأخير.

(٣)

### غزوة بنى المصطلق:

كان بنو المصطلق من قبائل «خزاعة» المتحالفه مع قريش.

و قد بلغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن الحارث بن أبي ضرار زعيمها يعدّ العدة، و يجمع الرجال المقاتلين لمحاصرة المدينة و غزوها، فقرّر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بأن يقضى على هذه المؤامرة في مهدها كما كان يفعل دائماً.

و لهذا أرسل أحد أصحابه و هو: «بريدة» إلى أرض بنى المصطلق ليأتى بأخبارهم، فذهب بريدة، و دخل فيهم و تحادث- في هيئة متكره- مع رئيسهم و عرف بنيته، ثم عاد إلى المدينة و اخبر رسول الاسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بما رآه و سمعه، و أن بنى المصطلق عازمون على المسير إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لمحاصرة المدينة.

فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في جمع من أصحابه حتى لقيهم عند ماء يدعى «المريسيح»، و نشبت الحرب بينهم و بين المسلمين، و لكن صمود المسلمين و بسالتهم التي كانت قد أرعبت قلوب قبائل العرب تسبب في أن

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٣٠٥

لا يطول القتال بين المسلمين و بين «بنى المصطلق» فتفرق جيش العدو بأن قتل منهم عشرة رجال، كما و قتل رجل مسلم خطأ، فأصاب المسلمون غنائم كثيرة و سبوا جماعة كبيرة من نساء بنى المصطلق «١».

(١) هذا و ان النقاط و الدروس المفيدة في هذه الواقعة تتمثل في السياسة الحكيمة التي مارسها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في

حوادث هذه الغزوة، مما سنذكر بعضها عما قريب.

وقد شبَّ في هذه المنطقه ولأول مره خلاف بين المهاجرين والأنصار، كاد أن يأتي بنتائج مروعة أبسطها أن توجه ضربه قويه إلى الاتحاد الحاصل بين المسلمين نتيجة هوى البعض وهو سهم لو لا تدبير النبي صلى الله عليه وآله وحكمته، الرشيدة التي أنهت كل شيء، وابتقت على روح التأخي بين المسلمين.

وتعود جذور هذه الحادثة إلى تراحم رجلين من المسلمين على البئر بعد ان وضعت الحرب أوزارها.

فقد ازدحم «جهجاه بن مسعود» وهو من المهاجرين و «سنان بن وبر الجهني» وهو من الأنصار على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني - مستغيثا بقيلته على عادة الجاهليين -: يا معشر الأنصار، و صرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، و كاد أن يتقاتل المسلمون من الفريقين فيما بينهم في هذه الحادثة، و في هذا المكان البعيد عن عاصمة الاسلام و مركزه، و يتعرض بذلك كيانهم للسقوط و الانهيار، لأنهم تواعدوا على القتال كل فريق انتصارا الصريحه.

فلما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك قال:

«دعوا فإنها منتنة» (٢).

أى أن هذا النوع من الاستغاثة و لمثل هذا الدافع ما هو إلا من دعوى

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢٦٠، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٩٥ و ١٩٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٢٩٠ (الهامش).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٦

الجاهلية، و قد جعل الله المؤمنين إخوة و حزبا واحدا، فانما ينبغى أن تكون الدعوة للمسلمين، و إلا كانت جاهلية، لا قيمة لها في الإسلام (١).

و بذلك قضى النبي الحكيم على الفتنة فى مهدها، و جنب المسلمين أخطارها.

(١)

### مناقق حاول إشعال الموقف:

أجل لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الاستنكار الشديد أن يطفى نار الاختلاف و التنازع فكيف الفريقان (القبيلتان) عن استئناف التنازع و التقاتل.

إلا أن «عبد الله بن ابي» رئيس حزب المنافقين بالمدينة، و الذى كان يكنّ حقا كبيرا على الإسلام و قد شارك فى تلك الغزوة طمعا فى الغنيمه، أظهر - فى هذه الحادثة - حقه، و ضغينته على الإسلام، و قال لرهط من أهل المدينة كانوا عنده آنذاك: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، و قاسمتموهم أموالكم أما و الله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم، لقد نافرونا (أى المهاجرين) و كاثرونا فى بلادنا، و الله ما أعدنا و جلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك، أما و الله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (و يقصد بالأذل المهاجرين)!!!

(٢) فتركت كلمات «ابن ابي» أمام تلك الجماعة التي كانت لا تزال تعاني من بقايا عصبية جاهلية، أثرها فى نفوسهم، و كادت توجه ضربة قاضية إلى صرح الوحدة الاسلامية، و الاخوة الايمانية التي كانت تشد المسلمين - أنصارا و مهاجرين - بعضهم ببعض كالبنيان المرصوص.

و من حسن الحظ أن فتى غيوراً من فتيان المسلمين هو زيد بن الارقم

(١) راجع هوامش السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٩٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٧

لما سمع بهذه الكلمات المثيرة للشغب والفتنة رد على «ابن ابي» بكلمات قوية شجاعه اذ قال: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمد في عز من الرحمن، ومودة من المسلمين، والله لا احبك بعد هذا أبدا.

(١) ثم نهض و مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره الخبر، فرده رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات حفظا للظاهر، قائلا: لعلك و همت يا غلام، لعلك غضبت عليه، لعله سفه عليك.

ولكن زيدا كان يؤكده على صحه ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وآله من مقالة المنافق الخبيث «عبد الله بن ابي»، و تحريكه للناس ضد رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهنا طلب عمر بن الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقتل «ابن ابي» قائلا: مر به عبادة بن بشر فليقتله «١».

ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله أجاب عمر بقوله:

«فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه، لا» «٢».

(٢) ولقد مشى «عبد الله بن ابي» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حين بلغه أن «زيد بن الارقم» قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ما سمع منه، فحلف

(١) تثبت دراسة حياة الخليفة الثاني أنه لم يبد في أية معركة من معارك الاسلام قوة و بسالة، بل كان في صف المتقاعدين دائما. و لكن كلما أسر المسلمون أحدا كان هو اول من يقترح على رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله و نذكر للمثال ما يلي:  
أ- هذا المورد الذي طلب فيه من رسول الله أن يقتل ابن ابي.

ب- طلبه من النبي بأن يقتل حاطب بن ابي بلتعة الذي تجسس لصالح المشركين من أهل مكة في فتح مكة.

ج- طلبه من رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بقتل ابي سفيان الذي جاء به العباس عم النبي صلى الله عليه وآله إلى خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله قبيل فتح مكة، و غير ذلك من الموارد التي سبقت أو التي تأتي.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٨

بالله: ما قلت ما قال، و قال بعض من حضر من أهل الرأي من أصحابه دفاعا عن ابن ابي: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد اوهم في حديثه و لم يحفظ ما قال الرجل.

(١) ولكن الامر لم ينته إلى هذا، فقد كان هذا نوعا من الهدوء المؤقت تماما كالهدوء الذي يسبق العاصفة، الذي لا يمكن الاطمئنان إليه.

فقد كان يتوجب على قائد المسلمين الأعلى أن يقوم فوراً بما يؤدي إلى أن ينسى الطرفان هذه القصة نهائياً، و لهذا أمر بالرحيل في ساعة من النهار لم يكن صلى الله عليه وآله يرتحل فيها عادة.

فجاءه «اسيد بن حضير»، و قال: يا رسول الله لقد رحلت في ساعة منكراً ما كنت تروح في مثلها؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الاعز منها الاذل؟»

فقال اسيد: فأنت و الله يا رسول الله تخرجه إن شئت، هو و الله الذليل، و أنت العزيز، ارفق به يا رسول الله، فو الله لقد جاء الله بك و

ان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، و أنه ليرى أنك قد استلبته ملكا.

(٢) ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالرحيل فارتحل الناس، و سار بهم النبي صلى الله عليه وآله يومهم ذاك حتى أمسى، و ليلتهم تلك حتى أصبح، من دون أن يسمح لهم بالنزول و الاستراحة، إلّا للصلاة، و سار بهم فى اليوم هكذا حتى آذتهم الشمس و سلبوا القدرة على مواصلة السير فأذن لهم بالاستراحة، فنزل الناس، و لم يلبثوا ان وجدوا مسّ الارض فوقوا نياما من شدة التعب، و قد نسوا كل شىء من تلك الذكريات المرّة، و كان هذا هو ما يريده النبي صلى الله عليه وآله، فقد سار بهم ليل نهار من دون توقف ليشغلهم عن الحديث الذى كان من

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٠٩

«عبد الله بن ابي» المنافق المفتن (١)

(١)

### صراع بين الايمان و العاطفة:

كان عبد الله ابن «عبد الله بن ابي» من فتيان الإسلام الشجعان، و من فرسانه البواسل، و كان- كما تقتضيه تعاليم الإسلام- يبر بأبيه المنافق أكثر من غيره، و لكنه عند ما عرف بما تفوّه به أبوه فى شأن رسول الله صلى الله عليه وآله و ظن أن رسول الله صلى الله عليه وآله سيقتل أباه جاء الى النبي صلى الله عليه وآله و قال: يا رسول الله انه قد بلغنى أنك تريد قتل «عبد الله بن ابي»، فيما بلغك عنه فإن كنت لا بدّ فاعلا فمرنى به فانا أحمل إليك رأسه، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده منى، و إنى أخشى أن تامر به غيرى، فيقتله فلا- تدعنى نفسى انظر إلى قاتل عبد الله بن ابي يمشى فى الناس فاقتله، فأقتل (رجلا) مؤمنا بكافر فأدخل النار!!

(٢) إن حديث هذا الفتى يعكس- فى الحقيقة- أعظم تجليات الإيمان و آثاره فى النفس، و الروح الانسانية.

لما ذا لم يطلب من النبي صلى الله عليه وآله أن يعفو عن أبيه؟! لأنّته كان يعلم أن ما يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله إنما هو بأمر الله تعالى، و لكن ابن عبد الله كان يرى نفسه فى صراع روحى حاد.

فمن جانب كانت تدعوه عواطف النبوة و الابوة و الأخلاق العريية أن ينتقم ممّن يقتل أباه، و يسفك بالتالى دم مسلم.

و من جانب آخر توجب عوامل اخرى مثل ضرورة استتباب الأمن و الطمأنينة فى البيئة الاسلامية أن يقتل رأس المنافقين «ابن ابي»، انه صورة من صور الصراع بين مقتضى الايمان، و مقتضى العاطفة.

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢٦١ و ٢٦٢، مجمع البيان: ج ١٠ ص ٢٩٢-٢٩٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٠

(١) و لقد اختار عبد الله بن عبد الله بن ابي طريقا ثالثا فى هذا الصراع، يضمن مصالح الإسلام من جهة، و يحافظ على مشاعره من أن تجرح على أيدي الآخرين من جهة اخرى، و ذلك بأن يكون هو الذى ينفذ حكم الاعدام فى أبيه المنافق المشاغب.

و هذا العمل و ان كان شاقا مؤلما إلّا أن قوة الايمان بالله و التسليم لأمره سبحانه كانت تفيض عليه قدرا كبيرا من الطمأنينة و السكون. و لكن النبي الرحيم صلى الله عليه وآله قال ردا على سؤال و اقتراح عبد الله بن عبد الله بن ابي:

«بل نترفق به و نحسن صحبته ما بقى معنا!!!»

(٢) و هذا الكلام الذى يكشف عن سمو أخلاق النبي صلى الله عليه وآله و مبلغ رحمته، أدهش المسلمين جميعا فتوجهوا باللوم و العتاب الحاد إلى المنافق «عبد الله بن ابي»، و لحقه بسبب ذلك ذل شديد بين الناس ما وراءه ذل، و هوان ما وراءه هوان، و احتقره

الناس حتى انه لم يعد أحد يعبأ به، و يقيم له وزنا.

لقد علم رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين في هذه الحوادث دروسا مفيدة جدا، و أظهر جانبنا من سياسة الاسلام الحكيمية، و الرشيدة.

فقد تحطم «عبد الله بن أبي» رئيس المنافقين بعد هذه الحادثه، و لم يعد له أى دور، بل عاش بقيه حياته مهانا محتقرا بين الناس بعد أن رأى الناس إيذاه المستمر لرسول الله، و عفو النبي صلى الله عليه وآله عنه، و اغضاه عن مساوئه.

و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمر بن الخطاب ذات يوم حين بلغه احتقار الناس لابن ابي ذلك الاحتقار، و سقوط محله في القلوب:

«كيف ترى يا عمر، أما و الله لو قتلته يوم قلت لى: اقلته، لارعدت له انف، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته».

فقال عمر: قد و الله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أعظم بركه

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١١

من أمرى «١».

(١)

## الزواج المبارك:

كانت «جويرية» بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بنى المصطلق من جملة السبايا التي وقعت في أيدي المسلمين في غزوة بنى المصطلق، فأقبل أبوها الحارث بفداء ابنته إلى المدينة فلما كان في وادي العقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها لفداء ابنته فرغب في بيعين منها فغيبها في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي صلى الله عليه وآله و قال: يا محمد أصبتم ابنتي و هذا فداؤها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله.

«فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا و كذا؟!»

(٢) فلما سمع الحارث بهذا الخبر الغيبي على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله آمن هو و والده به، و أسلم اناس آخرون من قومه كانوا معه، و أرسل إلى البعيرين فجاء بهما، فدفع الإبل إلى رسول الله و دفعت إليه ابنته «جويرية» فأسلمت هي أيضا.

ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبيها، فزوجها إياها، و أصدقها أربعمئة درهم.

فلما بلغ الناس أن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوج جويرية بنت الحارث و كان بأيديهم بعض الاسرى من بنى المصطلق قالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وآله فأطلقوا ما كان بأيديهم من اولئك الاسرى و كانوا مائة عائلة، فما علم امرأة اعظم بركه على قومها منها، فقد اعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٩٢ و ٢٩٣ و في السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٢٩١: لأرعدت له أنوف، و تعنى هذه القولة النبوية الشريفة: ان النبي لو كان يأخذ باقتراح عمر بقتل عبد الله بن أبي لدافع عنه اناس حمية و عصبية، و لكنه اليوم و بعد أن خذله الناس أنفسهم لو أمر النبي اولئك المدافعين بقتله. لقتلوه دون إبطاء.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٢

المصطلق.

و هكذا اطلق جميع أسرى بنى المصطلق الذين كانوا بأيدي المسلمين رجالا و نساء بفضل ذلك الزواج المبارك، أو قل بفضل هذه السياسة الاجتماعية الحكيمية، و عادوا الى قبيلتهم «١».

(١)

**الفاسق يقتضح:**

كان إسلام بنى المصطلق اسلاما نابعا من قناعة و رغبة لأنهم لم يجدوا من المسلمين خلال مدّة الأسر إلّا حسن المعاملة و الإحسان و العفو حتى أنه تم اطلاق جميع الأسرى ببعض الذرائع و عادوا إلى قبيلتهم و أهلهم.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله أرسل إليهم «وليد بن عقبة بن أبى معيط» لجباية زكاتهم، فلما سمعوا بقدمه خرجوا إليه راكبين ليكرموه و ليؤدوا إليه ما عليهم من الزكاة، فلما سمع بهم هابهم، فرجع إلى رسول الله مسرعا فأخبره بأن القوم همّوا بقتله، و أنهم منعوه ما قبلهم من صدقتهم، فطلب المسلمون غزوهم، و فى الاثناء قدم وفد من بنى المصطلق على رسول الله صلى الله عليه و آله و قالوا:

يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا فخرجنا إليه لنكرمه، و نؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة فأسرع راجعا فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه و آله أنا خرجنا إليه لنقتله و و الله ما جئنا لذلك. فنزلت فى هذا الشأن الآية السادسة من سورة الحجرات تؤيد مقالة بنى المصطلق و تصف الوليد بالفسق، اذ يقول تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بَنِيًّا فَبَيِّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ» (٢).

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٩٥، امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٩٦ و ٢٩٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٣

(١)

**٢١ قصة الإفك****إشارة**

بقى رئيس حزب النفاق عبد الله بن ابى يواصل تجارته بالجوارى، و الإمام و يضعهن تحت تصرف الرجال للزنا بهن، ليجنى من هذا الطريق أرباحا طائلة.

حتى بعد دخول الاسلام فى المدينة.

فعند ما نزلت آيات تحريم الزنا كان ذلك الفاسق يمارس حرفته القذرة، حتى أن إمامه ضقن بهذا العمل الفاجر ذرعا، فشكين إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و قالت إحداهن: إن سيدي يكرهنى على البغاء.

فنزله قوله تعالى فى شجب هذا العمل الدنى: «وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنِ ارْتَدْنَ تَخَوُّنَ لِتُبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (١) «٢».

و لقد أراد رجل يعيب بعفاف النساء كهذا، أن يسىء إلى امرأة ذات مكانة و شخصيه فى المجتمع الاسلامى (٣)، و يتهمها بالزنا نكايه بالمؤمنين، و المؤمنات، و بغيا و حسدا.

(١) النور: ٣٣.

(٢) مجمع البيان: ج ٤ ص ١٤١، الدر المنثور: ج ٥ ص ٤٦.

(٣) اخترنا هذا التعبير لورود نوعين من شأن النزول فى المقام بحيث لم يتأكد للمؤلف من هى المقصوده هنا، و ستقرأ فى الصفحات

القادمة أدلة عدم ثبوت من عينه البعض.

إن ما يستفاد من الآيات و الروايات المرتبطة بهذه القصة تفيد إجمالاً أن امرأة ذات مكانة في المجتمع الاسلامي آنذاك تعرضت لانتهاك المنافقين لها، و أما من هي تلك المرأة على وجه التعيين فذلك ما لا يمكن البت فيه، على وجه القطع و اليقين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٤

(١) حقا إن معاداة النفاق للايمان من أشد أنواع المعاداة، فان العدو المشرك و الكافر يعمد دائما إلى إشفاء غيظه و اطفاء غضبه و حنقه باستخدام عدائه في جميع الموارد و الاوقات.

و لكن المنافق الذي يتظاهر بالايمان، و يتستر بالاسلام حيث انه لا يمكنه التظاهر بعدائه، فان عداءه الباطني يتراكم و يتصاعد حتى يصل أحيانا إلى حد الانفجار، لهذا ينطلق المنافق في كيل التهم من دون حساب أو ميزان تماما كما يفعل المجانين.

و نرى مثل هذه الحالة في عبد الله بن ابي.

و لقد ظهرت ذلّة «عبد الله بن ابي» رئيس حزب النفاق في واقعة بنى المصطلق، و قد منعه ابنه من دخول المدينة، و لم يسمح له بدخولها إلا بوساطة من النبي صلى الله عليه وآله، و هكذا آل مصير رجل كان يحلم بالملوكية و السلطان الى أن يمنعه أخص أقربائه عن الدخول إلى مسقط رأسه، فيما كان يطلب هو من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يكف عنه ولده.

(٢) إن من الطبيعي أن يعمد رجل مثل هذا إلى فعل كل ما يشفى غليله و يذهب غيظه، و من ذلك ترويج الشائعات الكاذبة انتقاما من المجتمع الاسلامي.

فعند ما يعجز العدو عن المواجهة المباشرة يعمد إلى حبك الشائعات، و ترويجها و اشاعتها ليستطيع من خلال ذلك، توجيه ضربة نفسية إلى المجتمع، و كذا بلبلة الرأي العام، و إشغاله بالتوافه و صرفه عن القضايا المهمة و المصيرية.

إن سلاح الشائعات من الأسلحة المدمرة التي يمكن أن تستخدم في تشويه سمعة الأفراد الصالحين، و ابعاد الناس عنهم.

(٣)

### المنافقون يهتمون شخصا نقي الجيب:

#### إشارة

يستفاد من الآيات النازلة في قضية «الإفك» أن المنافقين اتهموا شخصا

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٥

بريئا كان يتمتع في المجتمع الاسلامي آنذاك بتهمة الزنا، تحقيقا لمآربهم الدنيئة، و اضرازا بالمجتمع الاسلامي، و قد ردّهم القرآن و شجب عملهم بشدة قل نظيرها، و أبطل خطتهم.

فمن هو- ترى- ذلك البريء؟ ان في ذلك خلافا بين المفسرين، فالأكثر على أنها «عائشة» زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، و يرى الآخرون أنها «مارية» القبطية أم إبراهيم و زوجة رسول الله أيضا لقد ذكروا أسبابا مختلفة لنزول هذه الآيات لا تخلو من عن إشكال. و ها نحن ندرس القول الذي يذهب إلى أن المراد في هذه الآيات هو: «عائشة» و توضيح ما يصحح و ما لا يصح في هذا المجال:

(١)



## دراسة القول الأول:

يرى المحدثون و المفسرون من أهل السنه أن نزول آيات «الإفك» يرتبط بعائشه، و يذكر في هذا المجال روايه مفصّله لا يتلاءم بعضها مع عصمه رسول الله صلى الله عليه وآله و من هنا لا يمكن القبول بهذا القول على اطلاقه.

و ها نحن نذكر ما يتلاءم من هذه القصة مع عصمه النبي صلى الله عليه وآله ثم نستعرض آيات الإفك، ثم نشير إلى القسم الذي يخالف عصمته صلى الله عليه وآله في هذا القول.

إن اسناد هذه الروايه تنتهي برمتها إلى «عائشه» «١» نفسها، فهي تقول:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع عادة فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وآله فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل

(١) راجع الدر المنثور: ج ٥ ص ٢٤-٣٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٦

الناس و خرجت لبعض حاجتي، و في عنقي عقد لي، فيه جزع ظفار، (أى خرز يمني) (١) فلما فرغت انسل من عنقي و لا أدري فلما رجعت إلى الرحل ذهبت التمسه في عنقي فلم أجده، و قد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدته، و جاء القوم خلا- في الذين كانوا يرحلون لي البعير، و قد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج، و هم يظنون أني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدّوه على البعير و لم يشكّوا أني فيه، ثم اخذوا رأس البعير، فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر و ما فيه من داع و لا مجيب، قد انطلق الناس.

فتلففت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، و عرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي. فو الله إنني لمضطجعه (٢) اذ مرّ بي صفوان السلمى (و هو من فرسان الاسلام) و قد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادى، فأقبل حتى وقف و قد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال:

إنا لله و إنا إليه راجعون ظعينة رسول الله صلى الله عليه وآله، و أنا متلففه في ثيابي. قال: ما خلفك يرحمك الله. فما كلمته، ثم قرّب البعير فقال: اركبي، و استأخر عني فركبت، و أخذ برأس البعير، فانطلق سريعا يطلب الناس، فو الله ما أدركنا الناس، و ما افتقدت حتى أصبحت، و نزل الناس فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا؛ و ارتعج العسكر (أى شكوا في) و و الله ما اعلم بشيء من ذلك. حتى نزلت آيات «الإفك» تبرئني ممّا اتهمني به المنافقون.

هذا القسم من شأن النزول الذي لخصناه لك من قصه مفصّله يمكن تطبيقها مع آيات «الإفك»، و ليس فيه ما ينافي عصمه رسول الله صلى الله عليه وآله.

و إليك الآيات التي نزلت في هذا المجال:

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٧

عَظِيمٌ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ. لَوْ جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا



بِالشَّهَادَةِ فَأَوْلَيْكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ وَ لَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَ تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَ تَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ. وَ لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ «١».

(١)

### أبرز النقاط في آيات «الإفك»:

يستفاد من القرائن أن هذه التهمة كانت نابعة أساسا من المنافقين أى أنه من كيدهم، وإليك هذه القرائن:

(٢) ١- يقال: إن المراد من قوله سبحانه: «وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ» هو «عبد الله بن ابي» رئيس المنافقين، و كبيرهم.

(٣) ٢- لقد عبر تعالى في الآية الحادية عشرة عن الذين اتهموا المرأة بلفظ:

«عصبة» و هذه العبارة تستعمل في الجماعة المنظمة، التي يربطها هدف واحد و تحذوها غاية واحدة و تفيد أنهم كانوا متعاونين و متعاضدين في المؤامرة و لم يكن مثل هذه الجماعة بين المسلمين إلا المنافقون.

(٤) ٣- ان «عبد الله بن ابي» بسبب منعه من الدخول إلى المدينة، بقى عند مدخل المدينة، فلما شاهد عائشة و هى راكبة بعير صفوان استغل الفرصة للايقاع برسول الله صلى الله عليه وآله و آله اشفاء لغيظه، فبادر إلى استعمال سلاح التهمة و البهتان، و قال إن زوجة النبي صلى الله عليه وآله باتت مع اجنبى فى تلك الليلة و و الله ما نجا منهما من الإثم أحد.

(١) النور: ١١-١٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٨

(١) ٤- إنه تعالى يقول فى نفس الآية (أى الحادية عشرة): «لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ».

و الآن يجب أن نرى كيف لا يكون اتّهام مؤمن طاهر الجيب شرا للمؤمنين بل يكون خيرا لهم؟

إن سبب ذلك هو أن هذه القصة كشفت القناع عن نوايا المنافقين و مقاصدهم الشريرة و افترضوا برمتهم، هذا مضافا إلى أن المسلمين أخذوا من هذه القضية دروسا مفيدة، مذكورة فى محلها.

(٢)

### الزوائد فى هذه القصة:

#### إشارة

هذا القدر من القصة يمكن تطبيقه مع القرآن الكريم، و لا يتنافى مع عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و لكن البخارى روى بين ثنايا هذه القصة امورا- نقلها عنه الآخرون فى الاغلب- تعانى من إشكالين أساسيين هما:

(٣)

### ١- منافاتها لمقام النبوة و العصمة صلى الله عليه وآله:

فقد روى البخارى عن عائشة نفسها قولها:

لما قدمنا المدينة لم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة (أى مرضت) و لا يبلغنى من ذلك شىء و قد انتهى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وآله و إلى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا و لا كثيرا إلّا أنى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وآله بعض لطفه بى، و كنت إذا اشتكيت رحمى و لطف بى، فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك، فأنكرت ذلك منه، كان إذا دخل على و عندى امى تمرضى قال: كيف تيكم، لا يزيد على ذلك. حتى اذا نهت من وجعى بلغنى ما قاله المنافقون فى، فمرضت مرة اخرى فقلت يا رسول الله لو أذنت لى فانتقلت إلى امى فمرضتنى، فقال: لا- عليك، فانتقلت إلى امى، فقلت لأمى: يغفر الله لك تحدّث الناس بما تحدّثوا به، و لا تذكرين لى من ذلك شيئا، فقالت: أى بيته هونى

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣١٩

عليك الشأن فو الله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل لها ضرائر إلّا كثرن، و كثر الناس عليها. (١)

(١) ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله شاور «سامه بن زيد» فى الامر، فأثنى على خيرا و قاله، ثم قال: يا رسول الله أهلك و لا نعلم منهم إلّا خيرا، و هذا الكذب و الباطل!!

و شاور عليا فقال: يا رسول الله إن النساء لكثير، و أنك لقادر على أن تستخلف، و سل الجارية، فإنها ستصدقك (إى جارية عائشة) فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بريرة لیسألها، فقالت: و الله ما أعلم إلّا خيرا، و ما كنت اعيب على عائشة شيئا.

إن هذا القسم من الرواية يتنافى بقوة مع عصمة النبي صلى الله عليه وآله لانه يكشف عن أن النبي وقع فريسة بأيدى الشائعات الكاذبة إلى درجة أنه غير سلوكه مع عائشة، و شاور أصحابه فيها!!

إن مثل هذا الموقف مع شخص برىء لا يوجد على تهمته أى دليل ليس فقط يتنافى مع مقام العصمة النبوية، بل يتنافى حتى مع مقام مؤمن عادى لأنه من المؤمنين ليس من الجائر أبدا أن تغير الشائعات سلوكك مسلم عادى تجاه شخص منهم، و حتى لو تركت تلك الشائعات تأثيرا فى نفس المسلم، فليس من الجائر أن تحدث مثل ذلك التغيير و الانقلاب فى نظرتك و سلوكك.

(٢) إن القرآن الكريم يوبخ فى الآية ١٢ و ١٤ من سورة النور اولئك الذين وقعوا فريسة الشائعات و ظنوا الظن السوء إذ يقول تعالى: «لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ»!؟

(١) صحيح البخارى: ج ٦ تفسير سورة النور ص ١٠٢ و ١٠٣ و كذا الجزء ٥ ص ١١٨ السيرة النبوية:

ج ٢ ص ٢٩٩

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٠

«وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»!؟ (١).

فاذا صح هذا القسم من الرواية المذكورة فى شأن النزول لزم أن نقول: ان هذا العتاب الشديد و هذا التوبيخ الصارخ كان يعم رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا، و الحال أن مقام النبوة الذى يلزم العصمة لا يسمح لنا بأن نقول بأن هذا الخطاب و التوبيخ موجّهين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

من هنا لا مناص من رفض كل هذه الرواية المذكورة فى شأن النزول الذى يتنافى مع عصمة رسول الله صلى الله عليه وآله أو القبول بالقسم الذى لا يتنافى منها مع عصمة النبي صلى الله عليه وآله و رفض ما يتنافى معها.

(١)

و يروى البخارى فى صحيحه فى ذيل شأن النزول عن عائشة نفسها: بعد أن سأل رسول الله صلى الله عليه وآله بريرة عن أمرى، فقالت فى خيرا و سعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر فحمد الله و أثنى عليه و قال: «من يعذرني ممن يؤذيني فى أهلى (أى من يؤدبه) و يقولون لرجل، و الله ما علمت على ذلك الرجل إلّا خيرا، و ما كان يدخل بيتا من بيوتى إلّا معى و يقولون عليه غير الحق».

فقام «سعد بن معاذ» و قال: أنا اعذرک منه يا رسول الله إن يك من الأوس آتک برأسه، و إن يك من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرک نمضى لک.

فثقل هذا الكلام على «سعد بن عباد» و غضب منه، فقام و قال:

كذبت لعمر الله، لا تقتله و لا تقدر على قتله «٢».

(١) أى لما ذا- عند ما سمعتم بهذا الافتراء- لم تظنوا بأنفسكم خيرا و قلتم: هذا إفك، و لما ذا- عند ما سمعتم بهذا الكلام- لم تقولوا هذا بهتان لا يجوز ان نتكلم به.

(٢) كان «سعد بن معاذ» رئيس الأوس و «سعد بن عباد» رئيس الخزرج، و كانت بين هاتين-

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢١

(١) فقام اسيد بن حضير- و هو ابن عم سعد بن معاذ- و قال: كذبت و الله لنقتلنه و أنفك راغم. فانك منافق تجادل عن المنافقين، و الله لو نعلم ما يهوى رسول الله من ذلك فى رهطى الأذنين ما رام رسول الله صلى الله عليه وآله مكانه حتى آتيك برأسه، و لكنى لا أدرى ما يهوى رسول الله.

ثم تغالطوا، و قام آل الخزرج من جانب، و آل الأوس من جانب آخر، و كادوا أن يشتبكوا و رسول الله صلى الله عليه وآله على المنبر، فأشار رسول الله إلى الحيين جميعا أن اسكتوا، و نزل عن المنبر فهدأهم و خفضهم حتى انصرفوا ...

هذا القسم من القصة المذكورة فى رواية البخارى غير صحيح، و لا يتلاءم مع التاريخ الثابت الصحيح لأن «سعد بن معاذ» كان قد مات بعد إصدار حكمه فى بنى قريظة متأثرا بجرح أصابه فى معركة «الاحزاب»، و قد وقعت حادثة «الإفك» بعد واقعة بنى قريظة، و قد صرح البخارى نفسه بهذا فى صحيحه (ج ٥ ص ١١٣) فى باب «معركة الاحزاب و بنى قريظة»، فكيف يمكن و الحال هذه أن يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله و يجادل سعد بن عباد فى قصة الإفك التى وقعت بعد واقعة بنى قريظة بعدة شهور؟! «١»

(٢) لقد ذهب المؤرخون الى أن معركة الخندق ثم واقعة بنى قريظة وقعتا فى شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، فتكون النتيجة ان قضية بنى قريظة انتهت فى التاسع عشر من شهر ذى الحجة، و قد توفى سعد بن معاذ فى أعقاب هذه الحادثة مباشرة لما انفجر به جرحه «٢» فى حين وقعت غزوة بنى المصطلق فى شهر شوال

القبيلتين منافسة قديمة، و كان «عبد الله بن أبى» خزرجيا، فاعتبر «سعد بن عباد» كلام «سعد بن معاذ» تعريضا بالخزرج و حطا من شأنهم.

(١) نفس المصدر السابق، و الجدير بالذكر أن ابن هشام لم يذكر فى سيرته «سعد بن معاذ»، و لكنه روى جدال اسيد مع سعد بن عباد راجع السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٠٠، و هكذا فعل ابن الاثير فى الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ١٣٤، و لكن المغازى ذكر القصة كاملة، و اتى باسم سعد بن معاذ راجع: ج ٢ ص ٤٣١.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٢

من السنة السادسة «١».

أجل إن ما هو مهم في المقام هو أن نعرف أن حزب النفاق حاول أن يزلزل النفوس، و يبلبلها ببهت امرأة صالحة ذات مكانة في المجتمع الاسلامي يومذاك.

وقد فسر قوله: «الذي تولى كبره» أي الذي تحمل القسط الاكبر من هذه العملية الخبيثة بعبد الله بن ابي، فهو الذي قاد هذه العملية الرخيصة و الخطرة كما صرحت بذلك عائشة نفسها أيضا.

(١)

### الرواية الاخرى في سبب النزول:

و تقول هذه الرواية أن الآيات الحاضرة نزلت في «مارية القبطية» زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله و والدته إبراهيم. فان هذه الرواية تقول: لما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله حزن عليه حزنا شديدا، فقالت عائشة: ما الذي يحزنك عليه؟ ما هو إلا ابن جريح، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليا صلوات الله عليه و أمره بقتله، فذهب على صلوات الله عليه و معه السيف، و كان جريح القبطي في حائط (أي بستان)، فضرب «علي» باب البستان، فأقبل جريح له ليفتح الباب، فلما رأى عليا صلوات الله عليه، عرف في وجهه الغضب، فأدبر راجعا و لم يفتح باب البستان، فوثب على عليه السلام على الحائط و نزل إلى البستان، و أتبعه، و ولى جريح مدبرا، فلما خشى أن يرهقه (أي يدركه) صعده في نخلة و صعده «علي» في أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة، فبدت عورته، فاذا ليس له ما للرجال و لا له ما للنساء، فانصرف علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٢٩٧، و لعلة فطن ابن هشام لهذه الناحية فترك ذكر سعد بن معاذ، بينما غفل عنها البخاري في صحيحه، راجع شروح البخاري منها: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: ج ٨ ص ٤٧١ و ٤٧٢ للوقوف على اضطراب الشراح في معالجه هذا التناقض.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٣

فقال له: يا رسول الله إذا بعثتني في الأمر أكون كالمسمار المحمى في الوبر أم أتثبت؟ قال: لا بل تثبت.

قال: و الذي بعثك بالحق ما له ما للرجال و ما له ما للنساء.

فقال: الحمد لله الذي صرف عنا سوء أهل البيت.

و هذه الرواية التي نقلها «المحدث البحراني» في «تفسير البرهان» ج ٢ ص ١٢٦-١٢٧ و «الحويزي» في تفسير «نور الثقلين» ج ٣ ص ٥٨١-٥٨٢ ضعيفة و غير مستقيمة من حيث المفاد، و هو ضعف ظاهر لا يحتاج الى البيان و لذلك.

و من هنا لا يمكن القبول بها في شأن نزول هذه الآيات.

فالمهم هو وقوع أصل هذه الحادثة، كان من كان المتهم في هذه الحادثة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٤

(١)

## إشارة

كانت السنة الهجرية السادسة بكل حوادثها المرءة والحلوة تقترب من نهايتها عند ما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام أنه دخل البيت (الكعبة) و حلق رأسه، و أخذ مفتاح البيت، و عَرَفَ مع المعرفين، فقَصَّ صلى الله عليه وآله هذه الرؤيا على أصحابه و تفاعل به خيرا «١».

و لم يلبث أن أمر أصحابه بالتهيؤ للعمرة، و دعا القبائل المجاورة التي كانت لا تزال على شركها و كفرها الى مرافقة المسلمين في هذه السفرة، و لهذا شاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية أن المسلمين سيتجهون في شهر ذي القعدة صوب مكة يريدون العمرة. و لقد كانت هذه السفرة الروحانية تنطوي- مضافا إلى العطاء الروحاني و المعنوي- على مصالح اجتماعية و أهداف سياسية، فقد عززت مكانة المسلمين في شبه الجزيرة العربية، و تسببت في انتشار دين التوحيد في أوساط المجتمع العربي آنذاك، و ذلك:

(٢) أولا: لأن القبائل العربية المشركة كانت تتصور أن النبي الا-كرم صلى الله عليه وآله يخالف كل عقائد العرب، و تقاليدهم الشعبية، و الدينية حتى فريضة الحج، و العمرة التي كانت تعد من ذكريات الاسلاف و مواريتهم.

(١) مجمع البيان: ج ٩ ص ١٢٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٥

من هنا كانوا يخافون رسول الله صلى الله عليه وآله و يتوجسون خيفة من دينه، و عقيدته، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله استطاع في هذه المناسبة- باشتراكه، و اشتراك أصحابه في مراسيم العمرة أن يخفف هذا الخوف لدى القبائل المشركة إلى حد كبير، و أن يوضح بعمله أن رسول الإسلام لا يعارض زيارة بيت الله الحرام، و الفريضة المذكورة التي تعد من طقوسهم الدينية، و تقاليدهم المذهبية، بل يعتبرها فريضة مقدسة، فهو مثل والد العرب الاكبر «إسماعيل بن إبراهيم الخليل» عليهما السلام يعمل على المحافظة على هذه التقاليد الدينية، و بهذا استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله أن يستقطب قلوب من كان يتوهم أن رساله «محمد» و دعوته، و دينه يعارض جميع شئونهم و تقاليدهم و أعرافهم الدينية، و الشعبية، و يخالفها مخالفة مطلقة، و يقلل من خوفهم، و استيحاشهم.

(١) ثانيا: إذا استطاع المسلمون أن يحرزوا في هذا السبيل نجاحا، و يؤدوا مناسك العمرة في المسجد الحرام بحرية، أمام أعين الآلاف من المشركين، فان عملهم هذا بنفسه سيكون تبليغا ناجحا للإسلام، لأن أخبار المسلمين ستنتشر بواسطة المشركين الذين قدموا مكة من جميع المناطق لاداء مناسك العمرة، فسيحملون أبناء ما رأوه و شاهدوه من أفعال المسلمين الرشيدة، و أخلاقهم الفاضلة، إلى أوطانهم لدى عودتهم من مكة إلى بلادهم، و بهذا ينتشر نداء الإسلام في تلك المناطق التي لم يستطع رسول الله صلى الله عليه وآله ان يبعث إليها الدعاة و المبلغين حتى ذلك الحين، و يترك هذا الأمر أثره المطلوب.

(٢) ثالثا: إن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكّر الناس في المدينة بحرمه الأشهر الحرم و قال صلى الله عليه وآله: و أمر المسلمين بأن لا يحملوا معهم من الاسلحة شيئا إلا السيف الذي يحمله كل مسافر معه.

و لقد جلب هذا الامر عواطف كثير من الغرباء عن الإسلام نحو هذا الدين، و غير من نظرتهم السلبية تجاه دعوة الإسلام، لأنهم شاهدوا بام أعينهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله يحرم القتال في هذه الاشهر، و يدافع بنفسه عن

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٦

هذه السنة الدينية القديمة و يدعو إلى رعايتها خلافا لكل الدعايات التي كانت تبثها قريش عن أن الاسلام لا يحترم هذه الأشهر، و يجيز الاقتتال و سفك الدماء فيها.

(١) لقد فكر القائل الاسلامي مع نفسه بانه لو أصاب المسلمون في هذا السبيل أي نجاح، فانهم يكونون قد حققوا أملا قديما من

آمالهم التي طالما تشوقوا إلى تحقيقها.

كما أنه سوف يستطيع المهاجرون الذي طال بعدهم عن وطنهم، وأهلهم، أن يزوروا ذويهم وأقربائهم. هذا إذا سمحت قريش لهم بدخول مكة.

و أما إذا منعتهم قريش عن الدخول في الحرم فإن مكانة قريش ستعرض - حينئذ - لخطر السقوط في العالم العربي، و سيلومهم العرب على ذلك، لأن جميع ممثلي القبائل العربية المحايدة سترى كيف عاملت قريش جماعة مسالمة أرادت دخول مكة لأداء مراسم العمرة، و زيارة الكعبة المعظمة، و لا تحمل معها أى سلاح إلا ما يحمله المسافر في سفره عادة، في حين يرتبط المسجد الحرام بالعرب كافة، و انما تقوم قريش بمجرّد سدانتها، و ادارة شؤونه.

(٢) و هنا تتجلى حقانية المسلمين بشكل واضح، و يتضح عدوان قريش و ينكشف للجميع بطلان مواقفها، فلا تستطيع قريش بعد ذلك أن تواصل تأليبها للقبائل العربية ضد الإسلام، و عقد تحالفات عسكرية و اتحاد نظامي مع قواها المحاربة المسلمين لأنها قد منعت الزوّار المسلمين أمام أعين الآلاف من الحجيج و الزائرين من حقهم المشروع.

لقد لا حظ رسول الله صلى الله عليه وآله كل هذه الجوانب و غيرها فامر المسلمين بالتوجه نحو مكة، و أحرم الف و اربعمائه «١» أو الف و ستمائة «٢» أو الف و ثمانمائة «٣» في «ذى الحليفة» و قد سبعتين بدنه (بعيرا) و بهذا أعلن عن هدفه من تلك الرحلة.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٠٩.

(٢) مجمع البيان: ج ٢ ص ٢٨٨.

(٣) روضة الكافي: ص ٣٢٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٧

و لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله عينا له ليخبره عن قريش إذا وجدهم في أثناء الطريق.

(١) و لما كان رسول الله بعسفان (و هي منطقة بين الجحفة و مكة) أتاه رجل خزاعي كان يتقصى الاخبار لرسول الله صلى الله عليه وآله و قال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فاعهدوا الله أن لا تدخلها أبدا و هذا «خالد بن الوليد» في خيلهم (و كانوا مائتين) قد قدموها الى كراع الغميم. (و هي موضع بين مكة و المدينة أمام عسفان بثمانية أميال).

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله بعزم قريش على منعه و منع اصحابه من العمرة قال:

«يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب ما ذا عليهم لو خلّوا بيني و بين سائر العرب، فان هم أصابوني كان الذي أرادوا، و إن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، و إن لم يفعلوا قاتلوا و بهم قوة، فما تظنّ قريش، فوالله لا أزال اجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله به، أو تنفرد هذه السالفة «١» (أى أقتل أو أموت).

(٢) ثم طلب رسول الله صلى الله عليه وآله من يدلّه على طريق آخر غير الطريق الذي هم بها لكي يتجنب مواجهة طليعة قريش بقيادة «خالد بن الوليد».

فتعهد رجل من بنى أسلم بذلك فسلك برسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه طريقا وعرا كثيرة الحجارة بين شعاب حتى انتهوا إلى منطقة سهلة تدعى بالحديبية، فبركت هناك ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال صلى الله عليه وآله: «ما هذا لها عادة، و لكن حبسها حابس الفيل بمكة» «٢».

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس أن ينزلوا في ذلك المكان فنزلوا.

(١) السالفة: صفحة العتق، و كنى بهذه الجملة عن الموت لأنها لا تنفرد عمّا يليها إلا بالموت.

(٢) بحار الانوار: ج ٢٠ ص ٣٢٩ وغيره. وقد أشار بهذا الكلام إلى واقعة الفيل.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٨

(١) ولما علمت طليعة قريش بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله، لحقت به، حتى اقتربت منه و حاصرت موكبه و رجاله فكان على النبي صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يواصل سيره باتجاه مكة أن يخترق صفوف رجال قريش، فيسفك دماءهم، و يعبر على أجسادهم، و حينئذ كان الجميع يرى أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يهدف العمرة و الزيارة بل يريد الحرب و القتال، فكان مثل هذا العمل يسىء إلى سمعة النبي صلى الله عليه وآله و يضر بهدفه السلمى.

ثم إن قتل هؤلاء نفر من طليعة قريش لا يزيل جميع الموانع من طريقه، لأن قريشا كانت تبعث بإمدادات مستمرة، و لم يكن لينته إلى هذا الحد.

هذا مضافا إلى أن المسلمين ما كانوا يحملون معهم حينذاك - إلا ما يحمله المسافر العادى من السلاح، و مع هذه الحال لم يكن القتال أمرا صحيحا، و حكيمًا بل كان يجب ان تحل المشكلة عن طريق التفاوض.

(٢) و لهذا عند ما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك المنطقة قال:

«لا تدعونى قريش اليوم إلى خطئة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها» (١).

و لقد بلغ كلام رسول الله صلى الله عليه وآله هذا مسامع الناس، و كان من الطبيعى أن يسمع به العدو أيضا، و لهذا بعثوا برجال من شخصياتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليتعرفوا على هدفه الاصلى من هذا السفر.

(٣)

### مندوبو قريش عند النبي صلى الله عليه وآله:

بعثت قريش بعدة مندوبين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليتعرفوا على مقصده و هدفه في هذا السفر. و كان أول أولئك المبعوثين هو: «بديل بن ورقاء الخزاعى» الذى أتى

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢٧٠-٢٧٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٢٩

رسول الله صلى الله عليه وآله في رجال من خزاعة فكلّموه نيابة عن قريش و سألوه: ما الذى جاء به؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إننا لم نجىء لقتال أحد، و لكننا جئنا معتمرين».

فرجعوا إلى قريش و أخبروهم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يات لقتال و إنما جاء معتمرا زائرا لبيت الله، و لكن قريشا لم يصدقوهم و قالوا: و إن كان جاء و لا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا، و لا تحدّث بذلك عنّا العرب.

(١) ثم بعثوا «مكرز بن حفص» فسمع من النبي صلى الله عليه وآله ما سمعه سابقه، فعاد و صدّق ما أخبر بديل قريشا به، و لكن قريشا لم تصدق مكرزا أيضا كما لم تصدق سابقه.

فبعثت في المرة الثالثة الحليس بن علقمة (١) و كبير رماة العرب، لحسم الموقف، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله مقبلا قال:

«إن هذا من قوم يتألّهون (أى يعظمون أمر الله) فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه».

(٢) فلما رأى الحليس، الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده، و قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، رجع إلى قريش، و لم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إعظاما لما رأى، فقال لهم: يا معشر قريش و الله ما على هذا حالناكم، و لا على هذا



الذى عقدناكم، أ يصدّ عن بيت الله من جاء معظماً له و قد ساق الهدى معكوفاً إلى محلّه؟!، و الذى نفس الحليس بيده لتخلّ بين محمّد و ما جاء له، أو لأنقرن بالأحاييش نفره رجل واحد، و هكذا امتنع الحليس من مواجهة رسول الله بالقوة و استخدام العنف معه لصدّه، و قد لاحظ بأم عينيه ان النبي صلى الله عليه و آله و المسلمين لا يريدون إلّا العمرة و الزيارة لا القتال

(١) لقد جاء الحليس إلى النبي بعد عروه الثقفى حسب رواية الطبرى فى تاريخه: ج ٢ ص ٢٧٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٠

و الحرب، بل عاد يهدد قريشا اذا هى أرادت صدّه عن ذلك.

فشق هذا الكلام و هذا التهديد على قريش و خافوا من مخالفته، فقالوا: مه، كفّ عنا يا حليس حتّى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

(١) ثمّ بعثوا أخيراً «عروه بن مسعود الثقفى» و كان رجلاً- لبيبا تظمئن قريش إلى درايته و حكمته و خيره و كان لا- يحبّ أن يمثّل قريشا فى هذه المفاوضات لما رآه من معاملتهم مع الممثلين السابقين، و لكن قريشا تعهدت له بان تقبل بما تقول، و أعلنت له عن ثقته الكاملة به، و بما سيخبر به، و بأنه غير متهم عندهم.

فخرج من عندهم حتى أتى رسول الله صلى الله عليه و آله فجلس بين يديه ثم قال: يا محمّد جمعت أو شاب الناس (أى أخلاطهم) ثم جئت بهم إلى أهلك و قبيلتك، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل، قد لبسوا جلود النمر، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً، و أيم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً، (أو قال: أن يفزوا عنك و يدعوك).

(٢) و عند ما بلغ ابن مسعود فى كلامه إلى هذا قال له أبو بكر و كان جالسا خلف رسول الله صلى الله عليه و آله: أ نحن ننكشف عنه، و ندعه؟

لقد كان «عروه» كأى دبلوماسى ماكر، يحاول إضعاف معنويات أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله بكلامه، و روغانه.

و أخيراً انتهت المباحثات دون جدوى. و هنا جعل «عروه» يتناول لحيه رسول الله صلى الله عليه و آله ازدراء به صلى الله عليه و آله، و المغيرة بن شعبه- و كان واقفا على رأس رسول الله صلى الله عليه و آله- يقرع يده إذا تناول لحيه النبي صلى الله عليه و آله و يقول اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه و آله قبل أن لا تصل إليك.

فسأل عروه: يا محمّد من هذا؟ فقال النبي صلى الله عليه و آله: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبه (و يبدو أن جميع من كان حول النبي آنذاك أو بعضهم كانوا مقنعين رعايه للظروف الأمنية).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣١

(١) فغضب عروه و قال: «أى غدر، و هل غسلت سوءتك إلّا بالأمس» و كان المغيرة قد قتل قبل إسلامه ثلاثه عشر رجلاً من بنى مالك من ثقيف فودى عروه المقتولين و أصلح الأمر.

فقطع رسول الله صلى الله عليه و آله الكلام على عروه و قال له مثل ما قال لبديل و رفيقيه، و أنه لم يات يريد حرباً، بل جاء يريد العمرة، و لاجل أن يرى عروه مكاتته بين أصحابه و أتباعه، قام صلى الله عليه و آله و توضعاً أمامه، فرأى عروه بام عينيه كيف أنه لا يتوضأ إلّا و تسابق أصحابه على التقاط القطرات المتناثرة من وضوئه، فرجع إلى قريش و قال لهم: يا معشر قريش إئى قد جئت كسرى فى ملكه، و قيصر فى ملكه، و النجاشى فى ملكه، و إئى و الله ما رأيت ملكاً فى قوم قطّ مثل محمّد فى أصحابه، و لقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء قطّ فروا رأيكم «١».

(٢)

**رسول الله يبعث مندوباً الى قريش:**



لم تثمر الاتصالات التي جرت بين مبعوثي قريش، وبين رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان من الطبيعي أن يتصور رسول الله صلى الله عليه وآله أن مبعوثي قريش لم يستطيعوا نقل هدفه إلى قريش، وإسماعهم الحقيقة، وأن اتهامهم لهم بالجبن والكذب منعهم من قبول ما قد أخبروا به، ولهذا قرّر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث هو مندوبا عنه إلى رؤوس الشرك ليوضح لهم هدف رسول الاسلام من هذا السفر، وأنه ليس إلا زيارة بيت الله وأداء مناسك العمرة لا غير.

(٣) فاختر رجلا- لبيبا حازما من بنى خزاعة يدعى «خراش بن امية» فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على بعير يقال له «الثعلب». ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له من

(١) المغازي: ج ٢ ص ٥٩٨، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٨٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٢

الزيارة والعمرة، فدخل مكة، وبلغ سادة قريش رسالة النبي صلى الله عليه وآله ولكن قريشا- خلافا لكل الأعراف الدولية والاجتماعية قديما وحديثا. والقاضية بحصانة السفراء وضرورة احترام كل مما يمت إليهم بصله من ممتلكاتهم عمدت الى جعل رسول الله صلى الله عليه وآله الذي امتطاه سفير النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة ففقروه عدوانا، وكادوا أن يقتلوا سفير النبي صلى الله عليه وآله نفسه، ولكن وساطة جماعة من قادة العرب ادت إلى أن تخلى قريش سبيله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله.

إن هذا العمل الدنيء أثبت- بوضوح- أن قريشا لم تكن تريد السلام بل كانت دائما في صدد اشغال قتيل الحرب.

(١) و لم تلبث قريش أن كلّفت خمسين رجلا من فتيانها بالطواف بعسكر رسول الله صلى الله عليه وآله بغية أخذ شيء من أمواله، أو أسر بعض أصحابه لو أتيح لهم ذلك، اربابا للمسلمين وتخويفا لهم. ولكن هذه الخطة فشلت فشلا ذريعا، فان هؤلاء لم يصيبوا شيئا بل أسرهم المسلمون جميعا وأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله فعفا عنهم، و خلى سبيلهم مع أنهم كانوا قد رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله بالحجارة والنبل.

وبهذا ثبت رسول الاسلام صلى الله عليه وآله مرة اخرى أنه يحب السلام ويسعى إليه، وانه جاء معتمرا لا معتديا ولا محاربا «١».

(٢)

### النبي يبعث سفيرا آخر الى قريش:

رغم كل هذه الامور ورغم كل التصلب والتعصب الذي أبدته القيادة القرشية المشركه ضد الاسلام والمسلمين و ضد محاولات رسول الله صلى الله عليه وآله السلمية لم ييأس رسول الله صلى الله عليه وآله من تحقيق السلام

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٧٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٣

فقد كان يريد- واقعا- أن يعالج المشكله من طريق المفاوضات، و من طريق تغيير التصورات التي كان يحملها اشراف قريش و ساداتها المتعنتين المتصلبين عن رسول الله و دعوته.

(١) و من هنا كان يجب هذه المرة أن يختار صلى الله عليه وآله رجلا لم تخض يده في دماء قريش، و لهذا لم يصلح «علي بن أبي طالب» و لا- «الزبير» و لا- غير هم من فرسان الاسلام و شجاعانه الذين جالدوا صنديد قريش في ميادين القتال و أردوا فريقا منهم صرعى، لمثل هذه السفارة، و هذه المهمة.

ولهذا تقرر - بعد التأمل. انتداب «عمر بن الخطاب» لهذه المهمة، أى الذهاب الى مكة، والتحدث الى سادة قريش، ورؤسائها، لأنه لم يكن قد أراق من المشركين حتى ذلك اليوم ولا قطرة دم، ولكن «عمر» اعتذر عن تحمل هذه المسئولية، والقيام بهذه المهمة المحفوفة بالمخاطر قائلا: يا رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إنى أخاف قريشا على نفسى، وليس بمكة من بنى عدى (وهم عشيرته) من يمنعنى، ولكنى ادلك على رجل أعزّ بها منى، «عثمان بن عفان». (لكونه أمويا بينه وبين أبى سفيان زعيم قريش قرابة) «١».

فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله «عثمان بن عفان» فبعثه إلى «أبى سفيان» وأشرف قريش، ليخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمة.

(٢) فخرج عثمان الى مكة، فلقه «أبان بن سعيد بن العاص» حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله، فانطلق «عثمان» حتى أتى أبى سفيان وأشرف قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف،

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣١٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٤

فامتنع عثمان عن الطواف احتراماً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم إن قريشا احتبست عثمان عندها، ولعلهم فعلوا ذلك ريثما يتوصلوا إلى حلّ ثم يطلقوه ليبلغ الى رسول الله صلى الله عليه وآله رأيهم.

(١)

### بيعة الرضوان:

إلا أن إبطاء مبعوث النبى صلى الله عليه وآله عن العودة من مكة أوجد قلقا شديدا في نفوس المسلمين، خاصة وأنه شاع أن عثمان قد قتل، فثارت نائرة المسلمين، واستعدوا للانتقام من قريش وعمد النبى صلى الله عليه وآله أيضا إلى مخاطبتهم قائلا:

«لا تبرح حتى نناجز القوم».

وذلك تقوية لارادة المسلمين، وتحريكا لمشاعرهم الطاهرة.

وفي هذه اللحظات الخطيرة، وفي ما كان الخطر على الابواب، وبينما لم يكن المسلمون متهيئين للقتال قرر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله أن يجدد بيعته مع المسلمين.

فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله تحت شجرة، وأخذ أصحابه يبائعونه على الاستقامة والثبات والوفاء واحدا واحدا، ويحلفون له أن لا يتخلوا عنه أبدا، وأن يدافعوا عن حياض الإسلام حتى النفس الأخير، وقد سميت هذه البيعة ببيعة «الرضوان» التي جاء ذكرها في قوله تعالى:

«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا» «١».

(٢) فاتضح موقف المسلمين بعد هذه البيعة، فإما أن تسمح لهم قريش بدخول مكة لزيارة بيت الله المعظم، وإما أن تتصلب في موقفها الراض فيكون بينهم

(١) الفتح: ١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٥

القتال و الحرب «١». سيد المرسلين ج ٢ ٣٣٥ بيعة الرضوان: ..... ص : ٣٣٤

بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الحال اذ طلع عليهم «عثمان بن عفان»، و كان ذلك بنفسه طليعة سلام كان يريد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأخبر عثمان رسول الله صلى الله عليه وآله أن الذي يمنع قريشا من السماح لرسول الله صلى الله عليه وآله بدخول مكة هو اليمين التي الزموا بها انفسهم أن لا يدعوه يدخل مكة هذا العام و انهم سيبعثون إليه من يتفاوض معه بهذا الشأن.

(١)

### سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله:

بعثت قريش - في المرة الخامسة - «سهيل بن عمرو» الى رسول الله صلى الله عليه وآله و قد كلفته بانهاء المشكله ضمن شروط خاصه سنقرؤها في ما يأتي.

فأقبل «سهيل بن عمرو» على رسول الله صلى الله عليه وآله و لما رآه النبي صلى الله عليه وآله قال: قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهى «سهيل» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله تكلم في المسألة كما يتكلم أي دبلوماسي بارع، فقال و هو يحاول إثارة عواطف النبي صلى الله عليه وآله و أحاسيسه:

يا أبا القاسم إن مكة حرمنا و عزنا، و قد تسامعت العرب بك إنك قد غزوتنا و متى ما تدخل علينا مكة عنوة تطمع فينا فنتخطف، و إنا لنذكرك الحرم، فان مكة بيضتك التي تفلقت عن رأسك.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «فما تريد»؟

(١) و لقد كان لهذه البيعة في نفسها أثرا سياسيا مهما في نفس العدو، يقول الواقدي: فلما رأت عيون قريش سرعة الناس إلى البيعة و تسميرهم إلى الحرب اشتد رعبهم و خوفهم و أسرعوا إلى القضية (ج ٢ ص ٦٠٤). و راجع امتاع الاسماع: ج ١ ص ٢٩١ أيضا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٦

قال: اريد أن أكتب بيني و بينك هدنة على أن اخليها لك في قابل «١» فتدخلها، و لا تدخلها بخوف و لا فزع، و لا سلاح إلا سلاح الراكب، السيف في القراب.

فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله بعقد مثل هذا الصلح.

(١) و هكذا أدت مفاوضات «سهيل» مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عقد صلح شامل و واسع بين قريش و بين المسلمين. و لقد تشدد «سهيل» في شروط هذا الصلح كثيرا، حتى كاد أن ينتهي هذا التشدد إلى قطع المفاوضات أحيانا، و لكن حيث إن الطرفين كانا يرغبان في الصلح و المودعة، لهذا كانا يستأنفان التفاوض و التفاوض مرة أخرى، بعد كل أزمة تطرأ على المباحثات.

و أخيرا انتهت مفاوضات الجانبين - رغم كل ما أبداه مندوب قريش من التصلب - إلى عقد وثيقة مودعة و هدنة نظمت في نسختين و وقع عليها الجانبان.

(٢) و يروى كافة المؤرخين و أرباب السير أن رسول الله صلى الله عليه وآله استدعى عليا (عليه السلام)، و امره أن يكتب تلك

الوثيقة قائلا له: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فكتب «علي» ذلك فقال سهيل: لا أعرف هذا، و لكن أكتب: باسمك اللهم!!

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: اكتب: باسمك اللهم و امح ما كتبت.

ففعل «علي» ذلك.

ثم قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أكتب هذا ما صالح عليه رسول الله سهيل بن عمرو». فقال سهيل، لو أجبته في الكتاب إلى هذا لأقررت لك بالنبوة فامح هذا الاسم و اكتب: محمد بن عبد الله (أو قال: لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك).

(١) أى افرغ لك مكة فى العام القادم لتدخلها.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٧

و لكن أكتب اسمك و اسم ابيك).

(١) و لم يرض بعض من حضر من المسلمين فى هذه النقطة بأن يرضخ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لمطالب «سهيل» الى هذه الدرجة، و لكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الذى كان يلاحظ مصالح عليا غفل عنها ذلك البعض كما سنذكرها فيما بعد رضى بمطلب «سهيل»، و قال لعليّ (عليه السلام): امحها يا عليّ.

فقال عليّ (عليه السلام) بأدب بالغ: يا رسول الله إن يدى لا تنطق لمحو اسمك من النبوة.

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: فضع يدى عليها، فمحي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بيده كلمة: رسول الله نزولا عند رغبة «سهيل» مفاوض قريش «١».

ان التسامح الذى أبداه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فى تنظيم وثيقة الصلح هذه لا يعرف له نظير فى تاريخ العالم كله، لأنه اظهر بجلاء أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يقع فريسة بيد الالهواء و الاغراض الشخصية و العواطف و الاحاسيس العابرة، و كان يعلم أن الحقائق لا تبدل و لا تتغير بالكتابة و المحو، من هنا تسامح مع مفاوض قريش «سهيل» الذى تصلب فى مطالبه غير المشروعة كثيرا، حفاظا على أصل الصلح. و حرصا على السلام.

(٢)

### التاريخ يعيد نفسه:

و لقد ابتلى على (عليه السلام) تلميذ النبى الأول بمثل هذه التجربة المرة بعد

(١) الارشاد: ص ٦٠، اعلام الورى: ١٠٦، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٦٨ و قد اخطأ الطبرى فى هذا المقام اذ قال: فى احدى رواياته لهذه الحادثة: قال لعليّ عليه السلام: امح «رسول الله»، قال:

لا و الله لا أمحاك أبدا فأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و ليس يحسن يكتب فكتب مكان «رسول الله»: محمد.

و هكذا نسب الكتابة إلى شخص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و نحن نعلم انه أمى لا يحسن الكتابة، و قد حققنا هذه المسألة فى المجلد الثالث من موسوعة مفاهيم القرآن ٣١٩-٣٧٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٨

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فيوم امتنع على عليه السلام عن محو كلمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن اسم النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال له النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

يا عليّ إنك أبيت أن تمحو اسمى من النبوة فوالذى بعثنى بالحق نبيا لتجيئ أبناءهم إلى مثلها و أنت مضيض مضطهد «١»

(١) و لقد بقيت هذه القضية فى ذاكرة عليّ عليه السلام، حتى إذا كان يوم «صفين» و خدع أصحاب الامام عليّ عليه السلام بالاسلوب

الماكر الذى اتبعه جيش الشام الذى قاتل عليا (عليه السلام) بقيادة معاوية بن أبى سفيان و مساعدة عمرو بن العاص، و أجبروا الامام عليه السلام على عقد الصلح مع معاوية فشكّل الجانبان لجنة لتنظيم وثيقة ذلك الصلح، كلف «عبيد الله بن رافع» كاتب الامام من جانب الامام علي عليه السلام بأن يكتب وثيقة الصلح، فكتب:

«هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي» قال عمرو بن العاص ممثل معاوية فى تلك المفاوضات: لو علمنا أنك أمير المؤمنين لم ننازحك!!

و هكذا طالب عمرو بن العاص بحذف عبارة أمير المؤمنين.

و طال الكلام و التشاجر فى هذا الموضوع، و لم يكن الامام على يريد ان يعطى حجة للبسطاء من أصحابه، و لهذا لم يرضخ لهذا المطلب، و لكنه بعد إلحاح من أحد قادة جيشه سمح بأن يمحق لقب «أمير المؤمنين» من اسمه ثم قال:

«الله اكبر سنة بسنة».

و هو بذلك يشير إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وآله له يوم الحديبية «٢».

(١) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ١٣٨، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٥٣.

(٢) الكامل فى التاريخ: ج ٣ ص ١٦٢، راجع المصدر لتقف على القصة بكاملها و لتقف على ما دار بين الامام و ابن العاص.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٣٩

(١)

### نص صلح الحديبية:

و أخيرا عقدت اتفاقية صلح و هدنة بين رسول الله صلى الله عليه وآله و قريش تضمنت المواد و الشروط التالية:

(٢) ١- تعهد المسلمون، و قريش بترك الحرب عشر سنين يأمن فيهن الناس، و يكف بعضهم عن بعض.

(٣) ٢- من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم، و من جاء قريشا ممن مع محمّد لم يردّوه عليه.

(٤) ٣- من أحب أن يدخل فى عقد محمّد و عهده (أى يتحالف معه) دخل فيه و من أحب أن يدخل فى عقد قريش و عهدهم دخل فيه.

(٥) ٤- أن محمدا يرجع بأصحابه إلى المدينة عامه هذا و لا يدخل مكة، و انما يدخل مكة فى العام القابل فى أصحابه فيقيم فيها ثلاثة أيام، لا يدخل فيها بسلاح إلا سلاح المسافر، السيوف فى القرب (١).

(٦) ٥- أن لا يستكره أحد على ترك دينه و يعبد المسلمون الله بمكة علانية و بحرية، و ان يكون الاسلام ظاهرا بمكة و ان لا يؤذى أحد و لا يعير (٢).

(٧) ٦- لا إسلال (سرقة) و لا إغلال (خيانة) بل يحترم الطرفان أموال الطرف الآخر، فلا يخونه و لا يسرق منه (٣).

(٨) ٧- أن لا تعين قريش على محمّد و أصحابه أحدا بنفس و لا سلاح (٤).

هذا هو نص وثيقة «صلح الحديبية»، و قد جمعنا بنوده من المصادر المتنوعة

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٥٢.

(٣) مجمع البيان: ج ٩ ص ١١٧ أو: «من قدم مكة من أصحاب محمّد حاجا أو معتمرا أو يتغى من فضل الله فهو آمن على دمه و ماله،

و من قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه و ماله».

(٤) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٠

التي أشرنا الي بعضها في الهامش، و قد كتبت هذه الوثيقة في نسختين، ثم وقع عليها جماعة من شخصيات قريش، و المسلمين و شهدوا عليها و اعطيت نسخة الى «سهيل بن عمرو» ممثل قريش، و تركت نسخة عند رسول الله صلى الله عليه و آله.

(١)

### نشيد الحرية:

لقد كان كل عاقل لبيب يحسن تقدير الامور يسمع نشيد الحرية من ثنايا هذا الصلح التاريخي، و مع أن كل بنود هذه المعاهدة جديرة بالاهتمام و الاكبار، إلا أن النقطة التي تستحق الاهتمام و التقدير أكثر من سواها هي المادة الثانية في هذا الصلح، و هي المادة التي أزعجت بعض الصحابة يوم انعقاد تلك المعاهدة.

فقد انزعج صحابة النبي صلى الله عليه و آله من هذا التمييز الصارخ، و قالوا حول قرار القيادة الحكيم المتمثلة في قائد محنك كرسول الله صلى الله عليه و آله ما كان ينبغي أن لا يقولوه، في حين تعتبر هذه المادة من أعظم بنود الوثيقة إذ تعكس نظرة رسول الاسلام، و تفكيره حول كيفية تبليغ الاسلام، و إشاعته و نشره، فانه يظهر منها- و بجلاء- مدى احترام رسول الاسلام لمبدأ الحرية.

(٢) و لقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله في معرض الاجابة على من اعترض من صحابته على البند القاضى بتسليم كل مسلم فز من قريش إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و المسلمين إلى قريش، دون العكس قائلا:

«من جاءهم مّنّا فأبعده الله و من جاءنا منهم رددناه إليهم فلو علم الله الاسلام من قلبه جعل له مخرجا».

و أراد رسول الله صلى الله عليه و آله أن الذي يهرب من جماعة المسلمين و يلجأ إلى المشركين فلا قيمة لإيمانه و إسلامه، إذ أن ذلك يدل على أنه لم يؤمن بهذه الدين حق الإيمان فلا داعى لأن يعاد إلى رسول الله صلى الله عليه و آله إذ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤١

لا اكراه في الدين و أما من هرب من المشركين الى المسلمين فلو علم الله منه الصدق لنجاه حتما.

(١) و لقد كانت نظرية النبي صلى الله عليه و آله و رأيه متطابقا كل التطابق مع موازين العقل و المنطق السليم، و قد تجلت صوابيته و حقايقته مع مضي الزمن في ما بعد، لانه لم يمض زمن طويل إلا و قريش- و بعد سلسلة من الحوادث المؤسفة- طلبت بنفسها إلغاء هذه المادة كما سيأتى بيانه في ما بعد.

إن هذه المادة تعد ردا قاطعا على تقولات و تخريجات المستشرقين المغرضين الذين يصرون على القول بأن الاسلام انتشر بالسيف. إنهم حيث لا يتحملون رؤية هذا الامتياز العظيم الذي كسبه الاسلام الحنيف، حيث انتشر في مدة قصيرة جدا في شتى نقاط العالم و بقاعه، حتى كاد أن يعم المعمورة كلها، و لهذا اضطروا إلى إعزاء انتشار الاسلام الى عامل استخدام القوة، و قالوا: ان الاسلام انتشر بالقوة، ليشوهوا بذلك ملامح الاسلام، و يخفوا الحقيقة خلف غطاء من الارجيف، في حين أن هذا الميثاق الذي عقد في الجزيرة العربية أمام اعين المئات من المسلمين و غير المسلمين يعكس بجلاء روح الاسلام و حقيقة تعاليمه السامية، و مع هذا يكون من مجانية الواقع القول بأن الاسلام انتشر بقوة السيف. لا بالدعوة الحرة، و التبليغ و الارشاد.

هذا و لقد تحالفت قبيلة خزاعة- مع المسلمين في ضوء المادة الثالثة من الميثاق، بينما تحالفت قبيلة بنى كنانة- و كانوا أعداء تقليديين لخزاعة مع قريش.

(٢)

**آخر الجهود للحفاظ على عملية الصلح:**

كانت مقدمات الميثاق المذكور، و بنوده توحى بصورة جليئة و كاملة بأن أكثرها قد فرضت فرضا على المسلمين، فلو أن رسول الاسلام صلى الله عليه وآله قبل بامحاء كلمة «رسول الله» من اسمه، و بدأ الميثاق بعبارة «باسمك اللهم» على عادة الجاهليين بدل البسملة الكاملة فان غايته من ذلك كانت هي الحفاظ على

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٢

الصلح، و اقرار الأمن في الجزيرة العربية.

و لو ان رسول الله صلى الله عليه وآله رضى بأن يسلم المسلمين الهاريين من قبضة المشركين الى جماعة المسلمين، و يعيدهم الى القيادة الوثنية في مكة فان بعض ذلك كان بسبب تصلب سهيل ممثل قريش و تعنته، و لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان يرضخ لهذا الشرط (استجابته لرغبة الرأي العام الاسلامى الذى كان مخالفا لمثل هذا الشرط و معارضا لاعادة المسلمين الهاريين من مكة إلى قريش، و حفاظا على حقوق اولئك الأشخاص الهاريين) لتعطلت عملية السلام، و لما تحقق الصلح، و لفاتت المسلمين هذه النعمة الكبرى التى انطوت على آثار عظيمة فى المستقبل كما أثبتت الوقائع فى ما بعد.

من هنا قاوم رسول الله صلى الله عليه وآله كل الضغوط من جهة، و تحمل عملية فرض هذا الشرط من جهة اخرى، ليصل الى المقصد الأعلى و الهدف الاكبر الذى تتضاءل تجاهه هذه المتاعب.

و لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله يراعى الرأي العام و يلاحظ حقوق هذه الجماعة، لكان «سهيل» يتسبب - بسبب تصلبه الارعن - فى اشتعال نائرة الحرب.

**و القصة التالية تشهد بما نقول:**

(١) حينما انتهت مفاوضات السلام، و بينما كان الامام على (عليه السلام) يكتب وثيقة المودعة و الصلح دخل أبو جندل بن سهيل فى مجلس النبي صلى الله عليه وآله و هو يرسف فى الحديد.

فتعجب الجميع من حضوره هناك، اذ كان محبوسا فى سجن أبيه سهيل (المفاوض) مدة طويلة.

و لم يكن لابي جندل من ذنب إلا أنه اختار التوحيد عقيدة، و الاسلام دينا، و رفض الوثنية و الشرك و كان يحب رسول الله صلى الله عليه وآله حبا شديدا فحبسه أبوه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٣

(١) و كان أبو جندل قد بلغه أمر المفاوضات هذه، فهرب من محبسه و انفلت الى رسول الله صلى الله عليه وآله سالكا إليه طرقا و عرة فى الشعاب، و الوديان.

فلما رأى «سهيل» ابنه أبا جندل و قد هرب من سجنه، و لجأ إلى النبي صلى الله عليه وآله قام إليه فضرب وجهه، و اخذ بتلابيه ثم قال: يا محمد لقد تمت القضية بينى و بينك قبل أن يأتىك هذا، و هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده.

و لا- شك أن كلام «سهيل» كان باطلا و لا- مبرر لطلبه، لأن الميثاق لم تتم كتابته على الورق، و لم يوقع عليه الطرفان، و لم ينته- بالتالى- من مراحلته النهائية و الأخيرة بعد، فكيف يمكن الاستناد إليه، و لهذا أجابه رسول الله صلى الله عليه وآله قائلا:

«إنا لم نرض (نقض) بالكتاب بعد» (١)

(٢) فقال سهيل: إذا و الله لا اصالحك على شىء أبدا، حتى ترده إليّ، و لم يزل يصرّ على كلامه و رفضه هذا حتى أنزعج اثنان ممن



رافقه من شخصيات قريش هما مكرز و حويطب من تصلب سهيل و تشدده.

ثم قاما و أخذوا أبا جندل من أبيه و أدخلاه خيمة و قالوا: نحن نجيره.

و لقد فعلا- ذلك حتى ينهيا ذلك التنازع، و الجدل، و لكن إصرار سهيل على موقفه، أبطل تدبيرهما إذ قال: يا محمّد لقد لجت القضية بيني و بينك قبل ان ياتيكَ هذا «٢».

فاضطرّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله إلى أن يقوم بآخر سعي في طريق الحفاظ على الهدنة و الصلح الذي كان له أثر عظيم في انتشار الاسلام، و لهذا رضى برّد أبي جندل إلى والده، لإعادته إلى مكة، ثم قال لذلك المسلم الاسير تطيبا لخاطره:

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٣٤.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢١ لجت: وجبت و تمت.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٤

(١) «يا أبا جندل، اصبر و احتسب، فان الله جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا و مخرجا، إنا قد عقدنا بيننا و بين القوم صلحا، و أعطيناهم على ذلك، و أعطونا عهد الله، و إنا لا نغدر بهم».

و انتهت جلسة المفاوضات، و تمّ التوقيع على نسختي الميثاق، و عاد سهيل و رفاقه إلى مكة، و معهم «أبو جندل» ابن سهيل في جوار مكرز و حويطب، و نحر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله ما كان معه من الهدى «١» في نفس ذلك المكان و حلق فنحر جماعة من المسلمين و حلقوا «٢».

(٢)

### تقييم عاجل لصلح الحديبية:

بعد أن فرغ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله من عقد صلح الحديبية بينه و بين رءوس الشرك، و بعد أن توقف في أرض الحديبية مدة ١٩ يوما عاد هو و أصحابه إلى المدينة، و عاد المشركون إلى مكة.

هذا و قد نشبت مشاجرات و مشادات كلامية حين تنظيم ذلك الميثاق و كتابته، بين أصحاب النبي صَلَّى الله عليه و آله، فمنهم من كان يعتبر ذلك الصلح في صالح الاسلام، و قليل منهم كان يعدّه مضرا بمصلحة الاسلام و المسلمين.

و لقد انقضى الآن أكثر من أربعة عشر قرنا على عقد ذلك الصلح التاريخي العظيم فلندرس معا تلك المعاهدة بموضوعية و تجرد، و نستعرض طرفا من تلك الاعتراضات و المجادلات لنقف على معطيات تلك العملية، و نتائجها.

ان الذي نراه هو: ان هذا الصلح كان في صالح الاسلام مائة بالمائة، و انه هو الذي جعل أمر انتصار الاسلام قطعيا،

(١) أي الابل التي ساقها معه.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٨١، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٥٣، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣١٨. امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٩٤ و ٣٩٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٥

لا شك فيه، و إليك أدلة هذا الرأي:

(١) ١- إن حملات قريش المتتابة على المسلمين، و التحريكات الداخلية و الخارجية التي أشرنا إليها في حوادث «احد» و «الاحزاب» على نحو الاختصار، لم تترك للنبي صَلَّى الله عليه و آله فرصة لنشر الاسلام بين القبائل، و في المناطق المختلفة خارج شبه الجزيرة العربية.



من هنا كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَصْرِفُ أَكْثَرَ أَوْقَاتِهِ الثَّمِينَةَ فِي الدِّفَاعِ وَالْعَمَلِ عَلَى إِفْشَالِ الْمُؤَامِرَاتِ الْخَطِرَةَ الَّتِي كَانَ الْعَدُوُّ الدَّاخِلِيَّ وَالْخَارِجِيَّ يَحِيكُهَا بِاسْتِمْرَارٍ.

وَلَكِنِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَّغَ بِالْهَدْوِ بَعْدَ عَقْدِ صِلْحِ الْحَدِيبِيَّةِ مَعَ قُرَيْشٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ، فَتَهَيَّأَتِ الْأَرْضِيَّةُ لِانْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَنَاطِقِ الْآخَرَى.

وَقَدْ ظَهَرَ أَثَرُ هَذَا الْهَدْوِ وَالِاسْتِقْرَارِ بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ عَقْدِ تِلْكَ الْمَعَاهِدَةِ، فَقَدْ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْحَدِيبِيَّةِ أَلْفٌ وَارْبَعْمِائَةٌ وَلَكِنَّهُ عِنْدَ مَا تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ لِفَتْحِهَا بَعْدَ عَامَيْنِ خَرَجَ مَعَهُ عَشْرَةُ آلَافٍ، وَكَانَ هَذَا التَّفَاوُتُ مِنْ نَتَائِجِ صِلْحِ الْحَدِيبِيَّةِ مَبَاشَرَةً، لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ كَانُوا يَخْشَوْنَ قُرَيْشًا فَلَا يَلْتَحِقُونَ بِالْمُسْلِمِينَ لِذَلِكَ السَّبَبِ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ اعْتَرَفَتْ قُرَيْشٌ بِالْكِيَانِ الْإِسْلَامِيِّ بِصُورَةٍ رَسْمِيَّةٍ، وَاعْتَدَتْ لِلْقَبَائِلِ الْحَرِيَّةِ الْكَامِلَةِ لِلانْضِمَامِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ زَالِ الْخَوْفِ الْمَذْكُورِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْقَبَائِلِ، فَاسْتَطَاعَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا تِلْكَ الْفُرْصَةَ وَيَقُومُوا بِنَشَاطِ تَبْلِيغِيٍّ وَدَعْوَةٍ وَاسِعَةٍ إِلَى الْإِسْلَامِ.

(٢) ٢- إن النتيجة الثانية التي حصل عليها المسلمون من هذه المعاهدة هي زوال الستار الحديدي الذي كان قد ضربه المشركون بين الناس وبين الإسلام، فقد سمح ذلك الصلح بالسفر إلى المدينة فكان الناس في سفرهم إلى المدينة يحتكون بالمسلمين و يلتقون بهم، فيتعرفون على تعاليم الإسلام السامية.

وَلَقَدْ أَثَارَ نَظْمُ الْمُسْلِمِينَ، وَاخْتِلَاصُهُمْ، وَطَاعَةُ الْمُؤْمِنِينَ الْكَامِلَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِعْجَابَ الْمُشْرِكِينَ كَمَا أَثَارَتْ نَظَافَةُ الْمُسْلِمِينَ، فِي أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ خَاصَّةً، وَصُفُوفِهِمُ الْمُتَلَحِّمَةَ أَثْنَاءَ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَخَطْبِ رَسُولِ اللَّهِ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٦

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الرَّائِعَةَ، وَاللَّذِيذَةَ، وَآيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْبَلِيغَةَ، وَالسَّهْلَةَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ رَغْبَةً قَوِيَّةً فِي نَفُوسِ الْكُفَّارِ إِلَى الْإِسْلَامِ.

(١) هَذَا مِضَافًا إِلَى أَنَّ الْمُسْلِمِينَ اسْتَطَاعُوا بَعْدَ عَقْدِ ذَلِكَ الْمِيثَاقِ السَّفَرِ إِلَى مَكَّةَ وَشَتَّى نِقَاطِ الْجَزِيرَةِ بِحُجُجٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالِاتِّصَالَ بِذَوِيهِمْ وَأَقَارِبِهِمْ، وَالتَّحَدُّثِ مَعَهُمْ فِي أَمْرِ الْإِسْلَامِ وَتَعَالِيمِهِ الْمَقْدَسَةِ الْمُحِبَّةِ، وَقَوَائِنِهِ وَآدَابِهِ الرَّائِعَةَ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ. وَقَدْ تَسَبَّبَتْ كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ فِي أَنْ يَلْتَحِقَ كَثِيرٌ مِنْ رِءُوسِ الشَّرْكَ وَالْكَفْرِ كَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَعَمْرُو بْنِ الْعَاصِ بِالْمُسْلِمِينَ، وَيَعْتَنِقُوا ذَلِكَ الدِّينَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَأَنْ تَسَاعِدَ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ بِحَقَائِقِ الْإِسْلَامِ، وَالْإِطْلَاقُ عَلَى مَزَايَاهِ وَفَضَائِلِهِ عَلَى تَسْهِيلِ عَمَلِيَّةِ فَتْحِ مَكَّةَ، وَانْهِيَارِ صِرْحِ الْوَثْنِيَّةِ فِيهَا مِنْ دُونِ أَيَّةِ مَقَاوِمَةٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، بِحَيْثُ سَيَطِرُ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهَا بِسَهُولَةٍ وَأَقْبَلَتْ أَفْوَاجُ النَّاسِ تَدْخُلُ فِي دِينِ اللَّهِ رَاغِبَةً كَمَا اسْتَعْرَفَ تَفَاصِيلَ ذَلِكَ فِي حَوَادِثِ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ.

إِنَّ هَذَا الْإِنْتِصَارَ الْعَظِيمَ كَانَ نَتِيجَةَ الْإِتِّصَالَاتِ الَّتِي اجْرَاهَا الْمُسْلِمُونَ مَعَ ذَوِيهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ فِي مَكَّةَ خَلَالَ تَرَدُّدِهِمُ الْمُتَكَرِّرَ بَعْدَ زَوَالِ الْخَوْفِ وَالْحَصُولِ عَلَى الْحَرِيَّةِ فِي الدَّعْوَةِ بِفَضْلِ صِلْحِ الْحَدِيبِيَّةِ.

(٢) ٣- إن الاتصال برؤوس الشرك أثناء عقد اتفاقية السلام مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْحَدِيبِيَّةِ، سَاعَدَ عَلَى إِزَالَةِ كَثِيرٍ مِنَ الْعَقْدِ النَّفْسِيَّةِ الَّتِي كَانُوا يَعْانونُ مِنْهَا تَجَاهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، لِأَنَّ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ الرَّفِيعَةَ، وَحِلْمَهُ وَصَبْرَهُ أَمَامَ تَعَنُّتِ قَادَةِ الْمُشْرِكِينَ وَتَصْلِبِهِمْ وَعَتُوهُمْ، وَسَعِيهِ الْحَثِيثِ وَحِرْصِهِ الصَّادِقِ عَلَى تَحْقِيقِ السَّلَامِ، أَثْبَتَ لَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعْدَنُ عَظِيمٍ مِنْ مَعَادِنِ الْخَلْقِ الْإِنْسَانِيِّ الْكَرِيمِ.

فَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ أُصِيبَ عَلَى أَيْدِي قُرَيْشٍ بِخَسَائِرٍ فَادِحَةٍ، وَنَالَ مِنْهُمْ أَذَى كَثِيرٌ، إِلَّا أَنَّ فُؤَادَهُ كَانَ طَافِحًا بِمَشَاعِرِ اللَّطْفِ، وَالْحُبِّ وَالْحَنَانِ عَلَى النَّاسِ.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٧

(١) لَقَدْ رَأَتْ قُرَيْشٌ بِأَمْعَانِهَا كَيْفَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَالَفَ فِي عَقْدِ مِيثَاقِ الصِّلْحِ آرَاءَ جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، الْمَعَارِضَةَ لِبَعْضِ

بنود الاتفاقية رغبة منه في تحقيق السلام، وكيف آثر الحفاظ على حرمة المسجد الحرام على هواه، و رغبته الشخصية. إن هذا النوع من السلوك أبطل مفعول جميع الدعايات السيئة التي كانت تروج ضد رسول الله صلى الله عليه وآله و مواقفه و خلقه، و أفكاره و اثبتت للجميع أنه حقا رجل سلام، و داعية خير للبشرية، و أنه حتى لو سيطر على مقاليد الجزيرة العربية، لما عامل أعداءه إلا بالحسنى و اللطف، لأنه لم يكن مشكوكا فيه بأنه لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخوض حربا ضد قريش في ذلك اليوم لغلبها و هزمها شر هزيمة كما يصرح بذلك القرآن الكريم أيضا اذ يقول:

«وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا» (١).

(٢) و مع ذلك أبدى رسول الله صلى الله عليه وآله تسامحا كبيرا، و أعلن عن عطفه، و حنانه للمجتمع العربي، و بذلك أبطل كل الدعايات التي كانت تروج ضده، و ضد دعوته العظيمة المباركة.

من هنا نهتدى إلى مغزى ما قاله الامام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن أهمية هذا الصلح حيث قال:

«و ما كان قضية أعظم بركة منها» (٢).

إن الحوادث اللاحقة أثبتت أن اعتراض عدد ضئيل من صحابة النبي صلى الله عليه وآله و في مقدمتهم عمر بن الخطاب على هذا الصلح كان باطلا و لا مبرر له.

و قد أدرج أرباب السير و التاريخ جميع هذه الاعتراضات، كما تنقل رد النبي صلى الله عليه وآله عليها، و يمكن للوقوف عليها مراجعة السيرة النبوية

(١) الفتح: ٢٢.

(٢) الكافي: ج ٨ ص ٣٢٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٨

لابن هشام، و امتاع الاسماع و غيرهما ان قيمة هذه المعاهدة تتجلى من ان النبي صلى الله عليه وآله لم يصل الى المدينة حتى نزلت سورة الفتح التي وعدت المسلمين و بشرتهم بالانتصار و يمكن اعتبار هذا العمل مقدمة لفتح مكة كما يقول تعالى: «إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا» (١).

(١)

### قريش نصر على إلغاء أحد بنود المعاهدة:

لم يمض زمان طويل حتى أجبرت الحوادث المرة قريشا على أن تبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من يطلب منه إلغاء المادة الثانية من معاهدة صلح الحديبية، و هي المادة التي أغضبت بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله و أثارت سخطهم، و قبل بها رسول الله تحت إصرار من «سهيل» ممثل قريش في مفاوضات الحديبية.

تلك المادة التي تقول: على الحكومة الاسلامية أن تعيد كل مسلم هارب من مكة إلى حكومة مكة، و لكن لا يجب على قريش أن تعيد كل هارب من المسلمين إلى مكة، إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

و قد أثارت هذه المادة- المجحفة في الظاهر- سخط البعض و اعتراضهم، و لكن النبي صلى الله عليه وآله قال لابي جندل في وقته:

«إن الله جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا و مخرجا».

(٢) ثم إن مسلما آخر يدعى «أبو بصير» كان قد حبسه المشركون ردحا طويلا- من الزمن استطاع أن يفتر من محبسه و يصل الى المدينة، و قد وصلها سعيا على قدميه، فكتب شخصيتان من شخصيات قريش هما: «أزهر» و «الأخنس» كتابا إلى رسول الله صلى الله

عليه وآله يطلبان منه إعادة أبي بصير إلى قريش

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٦٣ نقلا عن اعلام الوري، و زاد المعاد في هدى خير العباد: ج ٢ ص ١٢٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٤٩

و يذكر انه بالمعاهدة و أرسلاه مع رجل من بنى عامر يرافقه غلامه، فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله «أبا بصير» إلى الرجلين عملا بالمعاهدة قائلا:

«يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت (أى من العهد) و لا تصلح لنا فى ديننا الغدر و إن الله جاعل لك و لمن معك من المسلمين فرجا و مخرجا» (١).

(١) فقال أبو بصير: يا رسول الله تردنى إلى المشركين؟!

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله ثانية:

«انطلق يا أبا بصير، فان الله سيجعل لك مخرجا».

ثم دفعه إلى العامرى و صاحبه فخرج معهما باتجاه مكة.

فلما كانوا بذى الحليفة (و هى قرية تبعد عن المدينة بستة أميال يحج منها بعض أهل المدينة) صلى أبو بصير ركعتين صلاة المسافر ثم مال إلى أصل جدار فاتكأ عليه، و وضع زاده الذى كان يحمله و جعل يتغذى و قال لصاحبيه فى لهجة الصديق: ادنوا فكلوا؟ فأكلا معه ثم آنسهم ثم قال للعامرى: ناولنى سيفك انظر إليه إن شئت أ صارم هو أم لا؟ فناوله العامرى سيفه و كان أقرب إلى السيف من أبى بصير، فجزد أبو بصير السيف و قتل به العامرى فى اللحظة، فهرب الغلام يعدو نحو المدينة خوفا، و سبق أبا بصير الى المدينة، و أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما جرى لسيد العامرى، فبينما رسول الله صلى الله عليه وآله جالس فى أصحابه و الغلام عنده يقص عليه ما جرى إذ طلع أبو بصير، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فى المسجد و قال: وقت ذمتك، و أدى الله عنك، و قد أسلمتني بيد العدو، و قد امتنعت بدينى من أن افتن.

ثم إن أبا بصير بعد أن قال هذا الكلام خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وآله و غادر المدينة، و نزل ناحية على ساحل البحر، على طريق قافلة قريش

(١) المغازى: ج ٢ ص ٦٢٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٠

إلى الشام، تسمى «العيص».

(١) و عرف المسلمون الذين حبسوا بمكة بهذا التطور، ففرّ منهم سبعون رجلا، و انضموا إلى أبى بصير و كانوا ممن نالهم على يد قريش أشد العذاب و العنت، فلا حياة و لا حرية لهم.

من هنا قرروا أن يتعرضوا لقافلة قريش التجارية و يغيروا عليها، أو يقتلوا كل من وقعت يدهم عليه من قريش.

و قد لعبت هذه الجماعة دورها بصورة رائعة جدا بحيث أفلقت بال قريش، و سلبت منها الرقاد إلى درجة أنهم كتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يطلبون منه إلغاء هذه المادة (أى المادة الثانية). بموافقة الطرفين و قد أعلنوا موافقتهم على إلغائها، و إعادة أبى بصير و جماعته إلى المدينة و الكف عن التعرض لتجارة قريش.

فوافق رسول الله صلى الله عليه وآله على إلغاء تلك المادة، و طلب من المسلمين فى منطقة «العيص» القدوم الى المدينة.

و بهذا توفرت فرصة طيبة لجميع المسلمين، كما عرفت قريش أنها لا تستطيع سجن المؤمن، و حبسه فى القيد، و ان تقيده و حبسه

أخطر بكثير من إطلاق سراحه، لأنه سيفرّ ذات يوم و هو يحمل روح الانتقام على سجانه.

(٢)

### النساء المسلمات لا يسلمن إلى قريش:

بعد أن تم الاتفاق و التوقيع على معاهدة صلح الحديبية هاجرت «أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط» في تلك المدة، فخرج أخواها «عمار» و «الوليد» ابنا عقبة حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وآله يسألانه أن يردّ اختهما عليهما بالعهد الذي بينه و بين قريش في الحديبية، فلم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله و قال لهما: «إن الله نقض العهد في النساء» (١).

(١) المغازي: ج ٢ ص ٦٣١، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥١

و قد نزل قوله تعالى يوضح حكم هذا الامر:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا» (١).

كانت هذه قصّة «الحديبية»، و قد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله في ظلّ الهدوء و الأمن اللذين تحققا بسبب معاهدة الحديبية أن يرسل قادة العالم و زعماءه، و أن يبلغ نبا دعوته إلى مسامع شعوبهم، و ستقف على مفصل هذا القسم من تاريخ الاسلام المشرق في الفصل القادم.

(١) الممتحنة: ١٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٢

(١)

### حوادث السنة السابعة من الهجرة

#### ٤٣ النبي يعلن عن رسالته العالمية

#### إشارة

لقد أراحت معاهدة الحديبية بال رسول الاسلام صلى الله عليه وآله من ناحية الجنوب (أى مكة)، و قد آمن برسول الله صلى الله عليه وآله و لبيى دعوته في ظل الهدوء و الأمن و الاستقرار الحاصل بسبب هذا الصلح جماعة من زعماء العرب. و رجالها البارزين. و اغتمت رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الفرصة ففتح على ملوك العالم و زعماء القبائل، و رجال الدين المسيحي يومذاك باب المراسلة، فكاتبهم و وجه إليهم رسائل كثيرة عبر رسله و سفرائه، و قد عرض فيها عليهم رسالته و دعوته التي كانت يومذاك لا تخرج عن صورة العقيدة البسيطة و كان في مقدورها أن تضم تحت لواء التوحيد، و في اطار التعاليم الاخلاقية و الانسانية كل البشرية. و قد كانت هذه هي الخطوة الاولى التي خطاها رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ١٩ عاما من الصراع مع قريش العاتية.

(٢) ولو أن الأعداء الداخليين لم يشغلوه بالصراعات والحروب لاستطاع رسول الإسلام أن يقوم بتوجيه دعوته إلى شعوب العالم آنذاك قبل هذا الوقت، ولكن الحملات الظالمة والمضايقات الشديدة التي قام بها العرب الوثنيون الجهلة طوال ما يقرب من عقدين من عمر الرسالة أجبرت رسول الإسلام صلى الله عليه وآله على أن يصرف قسماً عظيماً من أوقاته الغالية في ترتيب شئون الدفاع عن حياض الإسلام وكيان المسلمين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٣

(١) إن الرسائل التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأمراء والسلاطين، وإلى رؤساء القبائل، والشخصيات الدينية والسياسية البارزة داخل الجزيرة العربية وخارجها لدعوتهم إلى الإسلام تكشف عن طريقته في الدعوة والتبليغ، والارشاد والهداية. وبين أيدينا الآن نصوص ١٨٥ «١» رسالة وكتاب من مكاتيب رسول الله صلى الله عليه وآله ورسائله التي دعا فيها من أرسلها إليهم، إلى الإسلام، أو كتبه التي تشكل معاهداته ومواثيقه صلى الله عليه وآله التي أعطاها أو عقدها مع الأطراف المختلفة وقد جمعها، وضبطها أرباب السير وكتاب التاريخ وهي تكشف برمتها عن أسلوب الإسلام في الدعوة والتبليغ يعتمد على المنطق والبرهان، لا على السيف والقهر وعلى الاقتناع لا الاكراه.

فيوم اطمأن بال رسول الله صلى الله عليه وآله و آمن جانب قريش و حلفائها، ووجه نداءه الالهى إلى سامع البشرية في العالم و ذلك عن طريق ارسال الرسائل، أو بعث المبلغين و الدعاء إلى شتى أنحاء العالم.

(٢) إن نصوص هذه الرسائل، والاشارات الموجودة في خلالها، ونصائحه التي كان يوجهها صلى الله عليه وآله إلى الناس، و التسامح الذى كان يبديه من نفسه خلال عقد الاتفاقيات و إبرام المعاهدات مع الاجانب، تشكل برمتها شواهد قاطعة، و دامغة ضد نظرية المستشرقين الذين أرادوا مسخ وجه الاسلام

(١) لقد اجتهد علماء الاسلام في جمع و احصاء رسائل النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و كتبه قدر المستطاع، و إن أكمل المصادر الحاضرة من حيث الاستقصاء وسعة التتبع كتابان يتسمان بأهمية كبرى في هذا المجال و هما:  
أ- الوثائق السياسية تأليف البرفيسور محمّد حميد الله حيدر آبادى، الاستاذ بجامعة باريس.  
ب- مكاتيب الرسول تأليف العلامة المحقق المحترم الشيخ على الاحمدى.  
و الكتاب الأخير يمتاز بتحقيقات و تحليلات أدبية، و تاريخيه و سياسية إسلامية في غاية الأهمية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٤

المشرق، بكييل الاتهامات الباطلة له، و الزعم بأن تقدم الاسلام و انتشاره كان بفعل القهر، و بقوة السيف، و تحت عامل الفرض و الاجبار و اننا لنأمل أن نوفق ذات يوم لدراسة و تقييم تلك الرسائل و الكتب و استجلاء هذه النقاط المذكورة و استخراج خطوط السياسة النبوية و معالم الدعوة المحمدية. من ثانيا تلكم الرسائل و الكتب التاريخية الخالدة لنستطيع من خلال هذا العمل بيان اسلوب الاسلام في نشر دينه في شتى نقاط العالم.

(١)

**الرسالة المحمدية كانت عالمية: «١»**

إشارة

ينظر بعض الجهلة إلى مسألة عالمية الرسالة المحمدية بنظر الشك والترديد، وهم يتبعون في مثل هذه النظرة الجاهلة ما يروجه بعض الكتاب العملاء، و في مقدمه هؤلاء المغرضين مستشرق معاد للإسلام هو «السير ويليم موير» الذي يقول: إن موضوع عالمية الرسالة المحمدية قد ظهر و تبلور في ما بعد، و أن محمداً اقتصر في دعوته من بدء رسالته إلى لحظة وفاته على العرب، و لم يكن «محمداً» يعرف أى مكان غير الجزيرة العربية.

و لقد أتبع هذا المستشرق نهج أسلافه الإنجليز، و حاول التعقيم على الحقيقة في مقابلة الآيات الكثيرة التي تشهد - بجلاء - بأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يدعو البشر عامة إلى التوحيد و الاعتقاد برسالته و قال: إن محمداً كان يقتصر في دعوته على العرب خاصة.

(٢) و نحن هنا ندرج بعض الآيات التي تشهد بأن رسالة الاسلام، و أن الدعوة المحمدية كانت منذ بداية ظهورها دعوة عالمية، و يمكن مراجعة كتب التفسير و العقائد للوقوف على المزيد من التوضيح في هذا المجال.

(١) هاهنا مسألتان يجب التمييز بينهما:

أ- عالمية الرسالة المحمدية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٥

### آيات تدل على عالمية الرسالة المحمدية:

١- «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» (١).

٢- «وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» (٢).

٣- «لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا» (٣).

٤- هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ» (٤).

(١) و الآن نسأل هذا الكاتب الإنجليزي: كيف تقول- مع هذه الدعوة العالمية- أن موضوع عالمية الرسالة الاسلامية قد ظهر و تبلور في ما بعد.

فهل مع وجود هذه الآيات و نظائرها و مع وجود سفراء رسول الله و مبعوثيه الى المناطق النائية، و البلاد البعيدة، و إلى نصوص الرسائل التي بقيت مسجلة في صفحات التاريخ عن رسول الإسلام صلى الله عليه وآله و خاصة ما بقي منها محفوظا بعينه الى الآن في المتاحف العالمية الكبرى يبقى مجال لأن يشك أحد في عالمية رسالته.

(٢) و العجيب أن الكاتب المذكور يكتب بكل وقاحة قائلا: ان محمداً لم يكن

ب- خاتمية الرسالة المحمدية.

و في الاولى تعالج مسألة عالمية رسالة النبي محمداً، و عدم عالميتها و انه صلى الله عليه وآله هل كان مبعوثا لخصوص سكان الجزيرة العربية أم لعموم البشر، و للناس كافة، في حين أن المحور في المسألة الثانية هو أنه صلى الله عليه وآله هل هو آخر نبي أو لا على انه يمكن ان يقول البعض ان دينه كان عالميا إلا أن نبوته لم تكن خاتمة النبوات بل سيأتي بعده نبي آخر و شريعة اخرى.

من هنا لا بد من البحث- في النبوة الخاصة- حول كلتي المسألتين بصورة مستقلة، و قد بحثنا المسألتين في الجزء الثالث من مفاهيم القرآن بصورة موسعة.

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) القلم: ٥٢.

(٣) يس: ٧٠.

(٤) التوبة: ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٦

يعرف غير الحجاز، في حين أن رسول الله صلى الله عليه وآله سافر يوم كان في ربيع السداس عشر مع عمه أبى طالب الى الشام كما سافر الى الشام فى تجاره خديجه فى سنّ الخامسة والعشرين، مع قافلة قريش التجارئة.

حقا ان من العجيب العجاب أننا كلّمنا قرأنا فى التاريخ أن شابا يونانيا (هو الاسكندر المقدونى) كان يريد أن يسيطر على العالم، أو نسمع أن نابليون بونابرت كان يفكر فى أن يكون امبراطور العالم الوحيد لم يبعثنا كل ذلك على الاستغراب والدهشة ولكن كلما يسمع فريق من المستشرقين بأن قائد المسلمين الأعلى وجه دعوة الاسلام- و بأمر الله- الى زعماء عصره العالميين الذين كان بينهم وبين قومه علاقات تجارئة عريقة انكروا ذلك و بوقاحة، و اعتبروه أمرا محالا.

(١)

## رسل الاسلام الى المناطق النائية:

### إشارة

طرح رسول الاسلام قضية دعوة الملوك و الامراء الى الاسلام على شورى كبيرة من أصحابه كغيرها من المسائل المهمة فقال: «أيها الناس ان الله قد بعثنى رحمة و كافة فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم».

فقال أصحابه: و كيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال:

«دعاهم الى الذى دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى و سلم و اما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه و ثاقل».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله اختار ستة أشخاص من خيرة أصحابه و كتب معهم كتبا إلى الملوك تضمنت دعوته العالمية، و بعثهم إلى مختلف نقاط الأرض.

و هكذا توجه سفراء الهداية و رسل الدعوة المحمّدية فى يوم واحد إلى إيران، و الروم، و الحبشة، و مصر و اليمامة، و البحرين، و الحيرة، (الاردن) و سوف نقرأ معا

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٧

مفصل ما احتوته رسائله صلى الله عليه وآله «١».

(١) و عند ما فرغ من كتابة الرسائل المذكورة قال بعض ذوى الاطلاع و العلم بأحوال بلاطات الملوك آنذاك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله يا رسول الله:

إن الملوك لا يقرءون كتابا إلّا مختوما، فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يومئذ خاتما من فضة، فضّه منه، نقشه ثلاثة أسطر: محمّد رسول الله، فى الاعلى لفظة الجلالة و تليه كلمة رسول ثم يليه اسمه الشريف، و ختم به الكتب.

و لم يكتف بهذا بل ختم تلك الرسائل بالشمع أو الطين إمعانا فى السرية، و الحفاظ عليها من التزوير «٢».

(٢)



**أوضاع العالم أيام إبلاغ الرسالة العالمية:**

كانت الامبراطوريتان (الرومية و الفارسية) تقسمان آنذاك قيادة العالم، و كانت الحروب قائمة بين ذينك المعسكرين على قدم و ساق، و منذ زمن بعيد.

فلقد بدأ الصراع على النفوذ بين إيران و الروم منذ عهد الهخامنشيين، و استمر حتى عصر الساسانيين ملوك إيران. فكان الشرق تحت النفوذ الايراني، كما كانت العراق و اليمن و شىء من آسيا الصغرى تعدد من توابع الامبراطورية الإيرانية و مستعمراتها.

و أما الامبراطورية الرومية فقد كانت منقسمة يومذاك إلى معسكرين شرقى و غربى لأن «ثودوز الكبير» امبراطور الروم قسم بلاده فى سنة (٣٩٥) ميلادية بين ولديه، و من هنا ظهرت الروم الشرقية و الروم الغربية. (٣) و قد انقضت الروم الغربية على أيدي متوحشى و برابرة شمال اوربا، و لكن

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٠٦، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٤، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤١-٢٤٢، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٢.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٠ و ٢٤١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٨

الروم الشرقية التى كان مركزها يومذاك «القسطنطينية» و كانت تسيطر على الشام و مصر، فكانت تسيطر أبان ظهور الاسلام على قدر كبير من مقاليد السياسة العالمية إلى أن فتحت القسطنطينية عام (١٤٥٣) على يد السلطان محمد الثاني «محمد الفاتح»، و بذلك غربت شمس دولة الروم الشرقية، و اضمحلت نهائيا.

(١) و قد كانت أرض الحجاز محاصرة بين هذين القطبين و محاطة بهاتين القوتين العظيمتين، و لكن حيث أن أراضي الحجاز لم تكن أراض خصبة، و كان أهلها فى الأغلب من الرخيل المتفرقين فى البرارى و القفار، لذلك لم تبد كلتا الامبراطوريتين رغبتهما فى الاستيلاء على تلك الأراضى، فقد كانت النخوة و الظلم، و الحروب التى اتسمت بها طبيعته و حياة تينك الدولتين تمنعهما من الاطلاع على أى تغيير اجتماعى أو تحول سياسى يقع فى هذه المنطقة من العالم.

فهم لم يكونوا يتصورون قط أن يتمكن شعب- كان بعيدا عن روح الحضارة و المدنية- من وضع نهاية لامبراطوريتهم، بفضل ما أتوا من ايمان، و إنارة النقاط التى كانت ترزح فى ظلام جور السلطات الرومية و ظلمها بنور الإسلام المشرق، و لو كانوا يعرفون شيئا عن هذه النهضة المشرقة و هذا الانفجار المعنوى العظيم فى بدء حدوثه لقضوا عليه فى أول الأمر، و لم يتركوه يمتد إلى ملكهم، و يقبل كل شىء رأسا على عقب.

(٢)

**رسول النبى صلى الله عليه وآله فى أرض الروم:****إشارة**

كان قيصر الروم قد عاهد الله إذا غلب الفرس أن يسير الى بيت المقدس من عاصمته: «القسطنطينية» مشيا على القدم للزيارة، شكرا لله، و قد وفى بنذره هذا بعد انتصاره على إيران، و سار مشيا على القدم إلى بيت المقدس.



فكلف «دحية الكلبي» بإيصال كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قيصر، وكان دحية قد سافر مرارا إلى الشام، وكان عارفاً بمناطقها وعاداتها معرفة كاملة، وكان إلى ذلك جميل الصورة حسن السيرة، ولهذا كان جديراً بتحمل هذه  
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٥٩  
المسئولية الخطيرة لائقاً لها.

(١) وقد توجه إلى «القسطنطينية» رأساً بعد أن كلفه رسول الله صلى الله عليه وآله بإيصال كتابه إلى قيصر، ولكنه ما أن وصل إلى بصرى (من مدن الشام) إلّا وبلغه أن قيصر قد فارقها قاصداً بيت المقدس ولهذا بادر إلى الاتصال بحاكم بصرى «١»: «الحارث بن أبي شمر» وأخبره بالمهمة الخطيرة التي جاء من أجلها.

يقول مؤلف الطبقات الكبرى: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر يدعو إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بصرى ليدفعه إلى قيصر، (ولعل النبي صلى الله عليه وآله كان يعرف بمغادرة قيصر لعاصمته ملكه أو لعل ذلك الأمر كان مراعاةً لامكانيات دحية المحدودة، وكون السفر إلى قسطنطينية كان يتطلب جهداً كبيراً أو لا يخلو من محاذير).

فدفعه عظيم بصرى إليه وهو يومئذ بحمص، وذلك بان استدعى عدى بن حاتم ووجهه مع سفير النبي صلى الله عليه وآله ليوصل كتابه إلى قيصر، فذهب به إليه، ولما أراد الدخول على قيصر قال قومه لدحية: إذا رأيت الملك فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك حتى يأذن لك.

فقال دحية: لا أفعل هذا أبداً، ولا أسجد لغير الله! (أى اننى قد جئت لتخطيم هذه السنن الجاهلية المقيته فكيف أخضع لها، انما جئتكم من قبل نبي لا يبلغ ملككم بأن عهد عبادة البشر قد انقضى وانتهى وأنه لا يحق السجود إلّا لله وحده، فكيف يمكننى ذلك وأنا أحمل هذه الرسالة التوحيدية إليكم؟! «٢»).

(٢) ولقد أعجب قوم قيصر بمنطق دحية القوى، وموقفه الصلب، فقال له رجل منهم: أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك، ولا تسجد له، ضع صحيفتك تجاه

(١) كانت بصرى مركز محافظة حوران التي كانت تعدّ من مستعمرات قيصر. وكان الحارث بن أبي شمر - وبصورة عامة - جميع ملوك بني غسان، من ولاية قيصر على تلك المناطق.

(٢) الطبقات الكبرى، ج ١ ص ٢٥٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٠

المنبر فان أحداً لا يحركها حتى يأخذها هو، ثم يدعو صاحبها فشكر دحية الرجل، وأخذ بنصيحته، وفعل ما أشار به.

فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية فاذا فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى.

أمّا بعد فأتى أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتتك الله اجرک مرتين.

فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين «١» ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلّا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون محمد رسول الله».

(١)

**قيصر يحقق حول النبي:**

احتمل حاكم الروم اللبيب أن يكون كاتب هذه الرسالة هو: «احمد الموعود» الذي بشرت به الانجيل و التوراة، و لهذا قرّر أن يحقق حول شخصيته، و يتعرف على خصوصيات حياته، الدقيقة.  
فبعث أحدا إلى الشام فوراً ليأتى له بقريب لمحمد، أو من يعرف شيئاً عنه.  
حتى يسأله عن شخصية رسول الاسلام صلى الله عليه و آله فاتفق أن كان أبو سفيان بن حرب يومذاك بالشام للتجارة في ركب من قريش، فأخذهم

(١) بين العلماء في تفسير هذه اللفظة خلاف، فيقول ابن الاثير: قيل هم الخدم و الخول و قال بعض: هم الاكارون (أى الفلاحون) لأن اكثر الناس يومذاك كانوا من الفلاحين، و هم اطوع الناس للحاكم.  
و يؤيد هذا الرأي الاخير أنه جاء في بعض النسخ (الكامل: ج ٢ ص ١٤٥) كلمة الأكارين بدل الاريسيين و الاكار هو المزارع، و احتمال البعض أن يكون الاريسيون طائفة كانت تعيش في الروم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦١

صاحب شرطة «قيصر» إلى بيت المقدس، فادخلهم على «قيصر» في مجلسه و حوله عظماء الروم.  
فقال قيصر: أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسبا.

فقال قيصر: أدنوه مني، و قرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه:  
قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فان كذّبتى فكذّبوه.

(١) ثم طرح قيصر على أبي سفيان الاسئلة التالية:

١- كيف نسب محمد فيكم؟

هو فينا ذو نسب.

٢- فهل قال هذا القول منكم أحد قبله؟

لا.

٣- فهل كان في آباءه من ملكك؟

لا.

٤- فأشرف الناس أتبعوه أم ضعفاؤهم؟

بل ضعفاؤهم.

٥- أ يزيدون أم ينقصون؟

بل يزيدون.

٦- فهل يرتدّ منهم أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

لا.

٧- فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟

لا.

٨- فهل يغدر؟

لا.

٩- فهل قاتلتموه؟

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٢

نعم.

١٠- فكيف كان قتالكم إياه؟

الحرب بيننا وبينه سجال، ينال منا، و ننال منه.

١١- فما ذا يأمركم؟

اعبدوا الله وحده، و لا تشركوا به شيئا، و اتركوا ما يقول آباؤكم، و يأمرنا بالصلاة و الصدقة و العفاف و الصلوة، و يأمرنا بالوفاء بالعهد و أداء الأمانة.

(١) فقال قيصر للترجمان قل لأبي سفيان و من معه: إن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين فهذه صفة نبي، و قد كنت أعلم أنه خارج لم اكن أظنه منكم، فلو أتى أعلم أنى أخلص إليه لتجشمت لقاها، و لو كنت عنده لغسلت قدميه!! فاعترض ابن أخي قيصر على كتاب رسول الله و قال لعمه: قد ابتداء بنفسه و سمالك صاحب الروم.

فقال قيصر: و الله انك لضعيف الرأي. أت ترى أرمى بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر، و هو أحق أن يبدأ بنفسه، و لقد صدق أنا صاحب الروم، و الله مالكي، مالكة.

(٢) قال أبو سفيان: فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الاصوات عنده، و كثر اللغط، فأمر بنا فاخرجنا قال: قلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة، أنه ليخافه ملك بني الأصفر.

و روى أيضا أن أبا سفيان قال: لما سألت قيصر عن رسول الله جعلت ازهد له شأنه، و اصغر له أمره و اقول له: أيها الملك، ما يهملك من أمره، إن شأنه دون ما يبلغك، و جعل قيصر لا يلتفت إلى ذلك، ثم قال: أنبئني عما أسألك من شأنه «١».

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٤-٣٨٦، تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٩٠ و ٢٩١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٣

(١)

### أثر رسالة النبي إلى قيصر:

لم يكتف قيصر بالمعلومات التي حصلها من أبي سفيان حول رسول الاسلام صلى الله عليه وآله بل كتب إلى أحد علماء الروم و أساقفتهم يسألهم عن هذا الأمر.

فأجابه ذلك الاسقف: هذا النبي الذي كنا ننتظره، بشرنا به عيسى بن مريم.

فعمد قيصر إلى خطة ليجس بها نبض قومه، و يختبرهم و يعرف ما اذا كانوا يرضون باسلامه أولا، فجمع عظماءهم في صومعة له بحمص فقال: يا معشر الروم هل لكم في الفلاح و الرشده، و ان يثبت لكم ملككم و تتبعون ما قال عيسى بن مريم.

فقال الروم: و ما ذاك أيها الملك؟

قال: تتبعون هذا النبي العربي.

فثاروا في وجهه، و رفعوا الصليب، فلما رأى منهم ذلك يئس من اسلامهم و خافهم على نفسه و ملكه، فسكنهم ثم قال: إنما قلت لكم ما قلت اختيركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، فقد رأيت منكم الذي احب. فسكنوا و رضوا عنه.

ثم أمر باكرام دحية، و كتب جوابا على رسالة النبي صلى الله عليه وآله و أرسله مع دحية و ارسل بهدية الى النبي صلى الله عليه و

آله. (١).

(٢)

**سفير النبي في البلاط الإيراني:****إشارة**

يوم توجه سفير رسول الله صلى الله عليه و آله بكتابه إلى البلاط الإيراني

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٥٩-٢٦٠، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٥-٢٤٦، الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٤٤، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٧٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٤

كان الملك الذي يحكم هذه الأرض الواسعة هو «خسروا برويز» ثاني ملك بعد انوشيروان، الذي جلس على العرش الملكي الإيراني مدة ٣٢ عاما قبل الهجرة النبوية المباركة.

وقد واجهت حكومته هذا الملك خلال مدة سلطانه أنواعا عديدة من الحوادث المرة و الحلوة، و كانت مكانة ايران في عهده تعاني من الاضطراب، و عدم الاستقرار بشكل ملحوظ.

(١) و قد امتد النفوذ الإيراني ذات يوم حتى شمل آسيا الصغرى، و امتد الى مشارف القسطنطينية، و أتى بصليب عيسى الذي كان أقدس شيء عند النصارى إلى طيسفون (المدائن)، فطلب سلطان الروم الصلح و بعث سفيرا من قبله الى البلاط الإيراني لعقد معاهدة الصلح.

بيد أن سوء تدبير الملوكة في تلك الدولة العظمى، و انغماسهم في اللذة و المجون أكثر من المتعارف تسبب في أن تصبح ايران على حافة السقوط و الانهيار في أواخر العهد الساساني، فقد خرجت المستعمرات من تحت النفوذ الإيراني الواحدة تلو الاخرى، و اجتاحت العدو الرومي الاراضي الايرانية إلى الاعماق، و وصل الأمر بخسروبرويز امبراطور ايران الى أن يهرب من وجه الروم الغزاة، و قد أثار هذا الهروب الخانع و هذه الهزيمة المنكرة سخط الشعب يومذاك، فقتل بيد ابنه «شيرويه».

(٢) و يعزى محللوا التاريخ القديم تخلف إيران و ضياع قوتها إلى غرور قادتها و حكامها و ميلهم الى البذخ و الترف، و بلهنية العيش و رغد الحياة، و الزينة و اللذة. و لو كان ذلك الملك يتلقى رسالة السلام التي عرضها الاسلام بالصورة اللائقة لبقيت عظمة إيران على حالها في ظل هذا السلام دون أن يصيبها ما أصابها.

و لو أن رسالة رسول الاسلام لم تترك أثرا حسنا في نفس «خسروا برويز» يومذاك فان ذلك لم يكن لتقصير أو عيب في تلك الرسالة أو في سلوك حاملها

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٥

الى البلاط الايراني، بل كان لنفسية ذلك الحاكم المغرور، المنحرفة، و أنانيته الطاغية، التي لم تسمح له بالتفكير بعض اللحظات في كتاب رسول الاسلام صلى الله عليه و آله كما فعل «قيصر»، أو غيره. بل لم يمهل المترجم حتى ينتهي من قراءة كتاب رسول الله صلى الله عليه و آله، إنما صاح به في تلك الاثناء، و أخذ منه رسالة النبي صلى الله عليه و آله و مزقها بوقاحة بالغة، و اسلوب بالغ في الجفاف، و سوء الادب.

و إليك تفصيل الحادث:

(١) في مطلع السنة الهجرية السابعة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله أحد فرسانه الشجعان وهو «عبد الله بن حذافة السهمي»، إلى إيران وكتب معه كتاب إلى «خسروا پرويز» ملك إيران يومذاك يدعوه فيه إلى الإسلام وأمره أن يدفع الكتاب إلى كسرى نفسه وإليك نص هذه الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس.

سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله، فإنني أنا رسول الله كافة لا نذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم، فإن أبيت فعليكم اثم المجوس».

(٢) فلما دخل سفير النبي صلى الله عليه وآله على «خسروا پرويز» أمر بأن يؤخذ منه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله ولكن عبد الله بن حذافة قال: لا حتى أدفعه إليك كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم دنا وسلم الكتاب فدعى كسرى بترجمه ليقرا الكتاب، فلما قرأه، فاذا فيه: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس أغضبه حين بدأ رسول الله بنفسه، وصاح، وأخذ الكتاب فمزقه قبل أن يعلم ما فيه وقال: يكتب إلي بهذا.

ثم أمر باخراج حامل الكتاب من قصره، فاخرج عبد الله بن حذافة السلمى، ولما رأى ذلك قعد على راحلته و سار حتى وصل إلى النبي صلى الله

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٦

عليه وآله، فاخبره الخبر، فغضب النبي صلى الله عليه وآله من موقف كسرى فدعا عليه قائلا: اللهم مزق ملكه «١».

(١)

### نظرية اليعقوبى:

ويختلف ابن واضح الاخبارى المعروف باليعقوبى فى تاريخه - مع عامة المؤرخين - : قرأ كتاب النبي صلى الله عليه وآله ثم كتب كتابا إليه جعله بين سرتى حرير وجعل فيهما مسكا، فلما دفعه الرسول إلى النبي فتحه فاخذ قبضة من المسك فشتمه، وناوله أصحابه، وقال: لا حاجة لنا فى هذا الحرير، ليس من لباسنا، وقال: لتدخلن فى أمرى أو لا تتيك بنفسى و من معى، وأمر الله اسرع من ذلك.

«٢»

ولكن هذا رأى ينفرد به اليعقوبى ولا يوافق عليه أحد من أرباب السير إلا احمد بن حنبل الذى يقول: أهدى كسرى لرسول الله صلى الله عليه وآله فقبل منه «٣».

(٢)

### أوامر «خسرو» إلى واليه على اليمن:

تقع أرض اليمن الخصبة فى جنوب مكة، وكان ملوكها وحكامها ولاء منسويين من قبل البلاط الايرانى بأجمعهم، وكان الذى يحكم اليمن يوم مراسلة النبي لقادة العالم و ملوكه رجل يدعى «بازان» فكتب طاغية إيران المغرور «خسرو» بعد أن مزق رسالة النبي إلى عامله باليمن (بازان):

بلغنى أن فى أرضك رجلا يتتبا فاستتبه، فان تاب و ألا فابعث به إلى.

فبعث «بازان» رجلين من فرسانه يدعى أحدهما: «فيروز» و الآخر «خرخسره» و كتب معهما كتابا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يأمره فيه أن

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٠.

(٢) تاريخ اليعقوبى: ج ١ ص ٦٦.

(٣) مسند احمد بن حنبل: ج ١ ص ٩٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٧

ينصرف معهما إلى كسرى أو أن يجبراه على الرجوع إلى دين آبائه و ان أبى قتلوه و أرسلوا برأسه إلى الملك حسب رواية ابن حجر فى الإصابة.

(١) إن رسالة كسرى إلى «بازان» يكشف عن جهل هذا الحاكم، و عدم معرفته بما كان يجرى فى بلاده و مستعمراته، فقد بلغ من جهله أنه لم يكن يعلم أن هذا الرجل الذى يدعى النبوة «١» قد مضى على ادعائه النبوة أكثر من ١٩ عاما.

ثم إن الذى ادعى النبوة فى منطقة نائية، و انتشر دينه، و أصبح من القوة و الشوكة بحيث يجرأ على مراسلة الامبراطور، و دعوته إلى دينه لا يمكن أخذه و احضاره إلى اليمن بواسطة رجلين. و أن الأمر - بالتالى - لن يتم بمثل هذه السهولة، و البساطة، التى تصورها. و على كل حال لما قدم مبعوثا «بازان» المدينة و دخلا على رسول الله صلى الله عليه و آله قداما رسالة «بازان» إليه صلى الله عليه و آله و قالوا: لقد بعثنا «بازان» إليك لتتلق معنا، فان فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك بكتاب ينفعك، و يكف عنك به، و إن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك و مهلك قومك و مخرب بلادك.

(٢) و كانا قد دخلا على رسول الله صلى الله عليه و آله و قد حلقا لحاهما و أطلقا شواربهما، فاستمع رسول الله صلى الله عليه و آله إلى كلامهما، و قبل أن يجيب على مطلبهما دعاهما إلى الاسلام، و قد كره النظر إليهما لما كانا عليه من الهيئة فقال لهما: من أمركما بهذا؟! قالوا: أمرنا بهذا ربنا (يعنيان كسرى) فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«لكنّ ربّي أمرني بإعفاء لحيّتي و قصّ شاربي» (٢).

فأرعبتهما هيبه رسول الله صلى الله عليه و آله و جلال محضره، بحيث أخذوا

(١) حسب تعبير كسرى.

(٢) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ١٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٨

يرتجفان عند ما عرض رسول الله الاسلام عليهما.

ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه و آله:

«ارجعا حتّى تأتياي غدا».

(١) و فى هذه الاثناء أتى رسول الله صلى الله عليه و آله الخبر من السماء أن الله عزّ و جلّ قد سلط على كسرى ابنه شيرويه، فقتله فى شهر كذا و كذا و كذا لكذا، و كذا من الليل.

فلما حضر الرجلان (مبعوثا بازان) عند رسول الله صلى الله عليه و آله من غد قال لهما رسول الله صلى الله عليه و آله:

«إنّ ربّي قد قتل ربّكما ليلة كذا و كذا من شهر كذا و كذا. بعد ما مضى من الليل كذا و كذا سلط عليه شيرويه فقتله» (١)

و كانت الليلة التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه و آله هى ليلة الثلاثاء العاشر من شهر جمادى الاولى سنة سبع من الهجرة.

فاستغرب الرجلان لخبر رسول الله صلى الله عليه و آله و قال: هل تدرى ما تقول؟ إنا قد نعمنا منك ما هو أيسر من هذا. فنكتب بها عنك و نخبر الملك (أى بازان).

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:

«نعم أخبراه ذلك عنى و قولاً له: إن دينى و سلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، و ينتهى إلى منتهى الخفّ و الحافر، و قولاً له: إن أسلمت اعطيتك ما تحت يديك، و ملكتك على قومك».

(٢) ثم أعطى رسول الله صلى الله عليه و آله لخرخرة منطقة (أى حراماً) فيها ذهب و فضة كان أهداها له بعض الملوك، فخرجا من عنده حتى قدما على باذان باليمن و اخبراه الخبر.

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٠، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٨٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٦٩

فقال باذان: و الله ما هذا بكلام ملك و إنى لأرى الرجل نبيا كما يقول، و لنظر ما قد قال، فلئن كان ما قد قال حقا فانه لا ريب نبى مرسل، و إن لم يكن فسرى فيه رأينا.

فلم يلبث أن قدم عليه كتاب شيرويه: أما بعد فانى قد قتلت كسرى و لم اقتله إلا غضبا لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، فاذا جاءك كتابى هذا فخذ لى الطاعة ممن قبلك، و انظر الرجل الذى كان كسرى كتب إليك فيه فلا تهجه حتى يأتىك أمرى فيه.

و قد تسبب كتاب «شيرويه» هذا فى أن يعتنق «باذان» الاسلام هو و جميع رجال دولته و كانوا من الفرس، و كتب إلى رسول الاسلام صلى الله عليه و آله يخبره بإسلامه و اسلام أعضاء حكومته «١».

(١)

### سفير النبى فى أرض مصر:

#### إشارة

تعتبر «مصر» مهد الحضارات و المدنيات العريقة، و مركز سلطان الفراعنة، و موضع سيادة الاقباط.

و يوم أشرقت شمس الاسلام على أرض الحجاز كانت «مصر» قد فقدت استقلالها، و قوتها، و كان المقوقس قد فوض إليه حكم «مصر» من قبل قيصر الروم لقاء ١٩ مليون دينار يدفعها الى قيصر.

و كان «حاطب بن أبى بلتعة»- و كان فارسا بارعا و له قصة فى تاريخ الاسلام سيأتى ذكرها فى حوادث السنة الثامنة- احد الستة الذين كلّفوا بابلاغ كتب رسول الله صلى الله عليه و آله إلى الملوك و الرؤساء يومذاك و قد أمره رسول الله صلى الله عليه و آله بايصال كتابه إلى المقوقس حاكم «مصر».

و إليك نص كتاب رسول الله صلى الله عليه و آله إلى المقوقس:

(١) بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٠

(١) «بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الاسلام، أسلم تسلم، و أسلم يؤتتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيت فإنما عليك إثم القبط «و يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم أن لا نعبد إلا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» «١».

فخرج «حاطب» بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قدم «مصر»، وأراد الدخول على حاكمها، «المقوقس» علم بأنه يسكن في أحد قصوره الشامخة على ضفاف النهر، في الإسكندرية، فركب زورقا، نقله إلى قصر «المقوقس».

(٢) فلما وصل «حاطب» إلى قصر «المقوقس» أكرمه وأخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقرأه، وفكر في مضمونه بعض الوقت، ثم قال لسفير النبي صلى الله عليه وآله: ما منعه إن كان نبيا أن يدعو على من خالفه (أى من قومه) وأخرجه من بلده إلى غيرها أن يسلط عليهم.

فقال حاطب و كان حكيما فهيما: أ لست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله؟

فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله إليه؟

فأعجب المقوقس - الذى لم يكن يتوقع أن يجابه بهذا المنطق القوى المفحم - برد حاطب وقال له: أحسنت، أنت حكيم جاء من عند حكيم «٢».

(٣) فتجراً حاطب لما رأى هذا الموقف الخاضع من ملك مصر وقال: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى (يعنى فرعون) فأخذه الله نكال الآخرة

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٩، الدر المنثور: ج ١ ص ٤٠، أعيان الشيعة: ج ١ ص ٢٤٤.

(٢) اسد الغابة: ج ١ ص ٣٦٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧١

و الاونى، فانتقم به، ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك، و لا يعتبر غيرك بك، ان هذا النبى صلى الله عليه وآله دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش، و أعداهم له اليهود، و أقربهم منه النصارى و لعمري ما بشاره موسى بعيسى عليهما الصلاة و السلام إلاً كبشاره عيسى بمحمد صلى الله عليه وآله و ما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلاً كدعائك أهل التوراة إلى الانجيل، و كل نبى أدرك قوما فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فانت ممن أدرك هذا النبى، و لسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام و لكننا نأمرك به. و هو يقصد بكلامه الأخير أن الاسلام هو الصورة الاكمل لدين المسيح.

(١) انتهى الحوار بين حاطب سفير النبي صلى الله عليه وآله و آله و المقوقس حاكم مصر إلاً أن المقوقس لم يعطه جوابا قاطعا فى ذلك المجلس، فكان على حاطب أن يلبث فى مصر مدة حتى يتلقى جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله «١».

ثم طلب المقوقس حاطبا ذات يوم و انفرده به فى قصره، و سأله عن ما جاء به رسول الله و إلى م يدعو؟ فقال له حاطب: إلى أن نعبد الله وحده، و يأمر بالصلاة، خمس صلوات فى اليوم و الليلة و يأمر بصيام رمضان، و حج البيت، و الوفاء بالعهد، و ينهى عن أكل الميتة و الدم .. و ... و ...

فقال له المقوقس: صفه لى.

قال حاطب: فوصفت فأوجزت.

فقال المقوقس: مصدقا ما ذكره حاطب من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وآله: هذه صفته، و كنت أعلم أن نبيا قد بقى، و كنت اظن أن مخرجه بالشام و هناك كانت تخرج الأنبياء من قبله، فأراه قد خرج فى أرض العرب، فى أرض جهد و بؤس، و القبط لا تطاوعنى فى أتباعه، و سيظهر على البلاد، و ينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه، حتى يظهروا على ما هاهنا.

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٢



ثم طلب المقوقس من حاطب أن يكتبكم أمر هذا الحوار الذى دار بينه وبين حاطب عن قومه قائلا: و أنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا واحدا، ولا أحب أن يعلم بمحادثتى (أو بمحاورتى) إياك (١).  
ثم إنه أكرم حاطبا مدة إقامته بمصر إكراما بالغا، وأحسن قراه، و ضيافته (٢).  
(١)

### المقوقس يكتب كتابا الى النبى:

ثم إن حاكم «مصر» المقوقس دعا كاتبه العربى، و أمره أن يكتب كتابا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله هذا نصه:  
بسم الله الرحمن الرحيم. لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليك، أما بعد فقد قرأت كتابك، و فهمت ما ذكرت فيه، و ما تدعو إليه، و قد علمت أن نبيًا قد بقى، و قد كنت أظن أنه يخرج بالشام و قد أكرمت رسولك، و بعثت إليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم، و بثياب، و أهديت إليك بغلة لتركبها و السلام عليك (٣).  
إن الاحترام الذى أبداه «المقوقس» فى رسالته المذكورة، و تقديم اسم النبى صلى الله عليه وآله على اسمه و كذا هداياه التى بعثها إلى رسول الاسلام صلى الله عليه وآله و تكريم سفير النبى صلى الله عليه وآله كلها تحكى عن أن المقوقس قبل دعوة النبى صلى الله عليه وآله فى سوره و لكن حبه فى البقاء فى السلطه منعه من التظاهر بايمانه و إسلامه، و من الانقياد العملى و العلنى للإسلام.  
خرج «حاطب» بصحبه جماعة من الحرس المحافظين و هو يحمل الهدايا التى بعثها المقوقس من عند المقوقس و لما وصل الى الشام أذن للمحافظين بالانصراف ثم واصل هو سفره ضمن قافلة إلى المدينة، و لما قدم المدينة على رسول الله صلى

(١) سيرة زينى دحلان: ج ٣ ص ٧١.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٣

الله عليه وآله سلم إليه كتاب المقوقس و هداياه قال رسول الله صلى الله عليه وآله.  
«ضنّ بملكه، و لا بقاء لملكه» (١).

(١)

### المغيرة بن شعبه فى البلاط المصرى:

توجه المغيرة بن شعبه الذى كان معروفا بحكمه و عقله و دهائه، و الذى اصبح فى ما بعد من رجال السياسة العرب و دهاتها المعروفين.

توجه فى جمع من قبيلة ثقيف إلى البلاط المصرى، فسألهم كبير المصريين (المقوقس):

كيف خلصتم إلى، و بينى و بينكم محمد و أصحابه.

فقال: لصقنا بالبحر.

قال: فكيف صنعتم فيما دعاكم إليه؟

قالوا: ما تبعه منا رجل واحد.

قال: فكيف صنع قومه؟

قالوا: تبعه أحداثهم، و قد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة.

قال: فالى ما ذا يدعو؟

قالوا: إلى أن نعبد الله وحده، و نخلع ما كان يعبد آباؤنا، و يدعو إلى الصلاة، و الزكاة، و يأمر بصله الرحم، و وفاء العهد، و تحريم الزنا، و الربا، و الخمر.

(٢) فقطاعهم المقوقس قائلا: هذا نبى مرسل إلى الناس كافة، و لو أصاب القبط، و الروم لا تبعوه، و قد أمرهم بذلك عيسى، و هذا الذى تصفون منه نعت الأنبياء من قبله، و ستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد، و يظهر دينه إلى منتهى الخفّ و الحافر.

(١) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٠ و غيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٤

(١) فاستاء رجال ثقيف من هذا الكلام و قالوا بكل صلافة و وقاحة: لو دخل الناس كلهم مع ما دخلنا معه.

فهزّ المقوقس رأسه ساخرا بهم و قال: أنتم فى اللعب «١». بيد ان هذه الرواية لا توافق بقية المصادر التاريخية لان النبى صلى الله عليه و آله كاتب ملوك العالم و قاداته فى السنة السابعة من الهجرة، على حين كان المغيرة فى معركة الخندق قد آمن، و كان فى الحديدية فى صفوف المسلمين، حتى أنه كان بينه و بين مندوب قريش المفاوض عروة بن مسعود الثقفى مشاجرة مر ذكرها عند استعراض قصة الصلح.

و على فرض صحة هذه الرواية لا بد من القول بأن المغيرة لم يكن فى وفد ثقيف.

(٢) و فى الختام ينبغى أن نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن الواقدى نقل نص رسالة النبى إلى عظيم القبط بصورة اخرى.

و لكن أسلوب الرسالة و عباراتها تدل على أن هذه الصورة لا أساس لها من الصحة، لانها تتضمن تهديدا من رسول الله صلى الله عليه و آله لعظيم القبط بالحرب و الغزو اذ جاء فيه: «و أمرنى (أى الله) بالإعذار و الانذار، و مقاتلة الكفار حتى يدينوا بدينى» «٢». و ممّا لا شك فيه أن هذا غير صحيح لأن امكانيات المسلمين فى ذلك اليوم لم تكن لتسمح لهم بمقاتلة المكيين فكيف يغزو «مصر» و هى منطقة نائية جدا.

هذا مضافا إلى أن صدور مثل هذا الكلام عن النبى فى أول دعوة له إلى الاسلام لا يتلاءم و نفسه و خلق ذلك الرجل العظيم الذى كان يقدر الظروف آنذاك أفضل من غيره.

(١) السيرة الدحلانية: ج ٣ ص ٧٠.

(٢) فتوح الشام: ج ٢ ص ٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٥

(١)

**سفير النبى صلى الله عليه وآله فى أرض الذكريات «الحبشة»:**

**إشارة**

تقع «الحبشة» فى آخر إفريقيا الشرقية و تبلغ مساحتها ١٨٠٠ كيلومترا مربعا، و عاصمتها اليوم: أديس أبابا.

و لقد تعرّف الشرقيون على هذه الأرض قبل ظهور الاسلام بقرن، و ذلك على أثر هجوم الجيش الايرانى الذى تمّ فى عهد حكومة

الملك الفارسي «انوشيروان»، وبلغ هذا التعرّف و التردد ذروته في هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة (الهجرة الأولى و الهجرة الثانية).

و يوم قرر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يبعث سته من خيرة رجاله الشجعان إلى نقاط مختلفة، و نائية من العالم لإبلاغ نداء رسالته العالمية كلف:

«عمرو بن امية الضميرى» بأن يأخذ كتابه إلى الحبشة، و يسلمه إلى النجاشي ملكها العادل الطيب.

على أن الكتاب الذي ستقرأ نصّه قريبا ليس هو الكتاب الوحيد الذي بعثه رسول الاسلام صلى الله عليه وآله إلى النجاشي، بل سبق أن كتب صلى الله عليه وآله إليه قبل هذا يوصيه بالمهاجرين المسلمين، و يطلب منه فيه أن يطف بهم، و يراهم، و لا يزال نصّ هذين الكتابين موجودا في المصادر التاريخية الاسلامية (١).

(٢) و ربما حصل اشتباه بين هذين الكتابين (الرسالة التي بعثها النبي لإبلاغ دعوته العالمية، و الرسالة التي أوصى فيها النجاشي بالمهاجرين) فخلط بعض المؤرخين بين عبارتهما.

و يوم قدم سفير النبي بكتاب الدعوة إلى الاسلام، الحبشة على النجاشي كان بعض المهاجرين المسلمين لا يزالون في أرض الحبشة، يعيشون في كنف

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٩٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٦

النجاشي و حمايته، بينما عاد بعضهم من قبل إلى المدينة، و هم يحملون أجمل الذكريات و الخواطر عن عدل حاكمها الطيب «النجاشي»، و لطفه، و حسن وفادته.

(١) من هنا كانت أرض الحبشة في نظر المسلمين تعتبر أرض الذكريات الجميلة و الخواطر الحلوة، و كانوا يمدحون حاكمها و يصفونهم بالعدل و الاستقامة. و لو اننا لا حظنا في كتاب النبي صلى الله عليه وآله إليه نوعا من اللطف، و اللين في القول فان ذلك مردّه إلى معرفه رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه النجاشي و خلقه و حسن موقفه.

فانك لا تجد لتهديدات رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله في كتبه و رسائله الاخرى إلى الملوك و الزعماء، بالعقاب الالهى إن رفضوا القبول بدعوته، و حملهم مسئولية شعوبهم في عبارات صريحة و قاطعة، أى أثر في هذا الكتاب.

(٢) فقد كتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى النجاشي ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة.

سلام عليك، أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، و أشهد أن عيسى بن مريم روح الله و كلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى، حملته من روحه، و نفخه، كما خلق آدم بيده، و إنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له و الموالاة على طاعته، و أن تتبعنى و توقن بالذى جاءنى، فإنى رسول الله صلى الله عليه وآله، و إنى أدعوك و جنودك و قد بلغت و نصحت فاقبلوا نصيحتى و السلام على من اتبع الهدى» (١).

لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله كتابه بالتسليم على حاكم الحبشة و أرسل إليه بتحياته الشخصية، و لكنه لم يفعل هذا في كتاب غيره، فلم يرسل بتحياته الشخصية إلى «كسرى» و «قيصر» و «المقوقس» حكام إيران و الروم

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٨، إعلام الورى: ص ٤٥ و ٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٧

و مصر، بل بدأ كتبه إليهم بالسلام العام حيث قال: «السلام على من اتبع الهدى».

(١) ولكنه صلى الله عليه وآله سلم في كتابه هذا، على النجاشي نفسه، وقال: «السلام عليك»، وبهذا خصه دون غيره من الزعماء والملوك باحترام و تكريم خاصين.  
و لقد أشار صلى الله عليه وآله في هذا الكتاب الى جملة من صفات الله البارزة التي تدل جميعها على تنزهه سبحانه، وعظمته و جلاله.

ثم أشار إلى مسألة ألوهية المسيح (التي هي من ولائد التفكير الكنسي المنحط) و ردّ على ذلك باستدلال قوى خاصّ مستلهم من القرآن الكريم. حيث قايس ولادة المسيح عليه السلام بخلقة آدم، و أثبت ان ولادة شخص من دون أب لو كان دليلاً على ألوهيته، أو كونه ابناً لله، لصح ذلك في حق آدم، الذي خلق من غير أب و لا أم، و لكن لا يرى أحد فيه مثل هذا الرأي.  
ثم ختم صلى الله عليه وآله كتابه هذا باخراج دعوته في لباس النصح و الموعة، و تجنباً من إظهار نفسه بمظهر الأمر.  
(٢)

### محاورة سفير النبي و حاكم الحبشة:

لما مثل سفير النبي صلى الله عليه وآله أمام النجاشي قال للنجاشي:

يا أصحابي إنّ عليّ القول، و عليك الاستماع، إنّك كأنك في الرقة علينا منا، و كأننا في الثقة بك منك لأننا لم نظن بك خيراً قط إلّا لنناه، و لم نحفظك على شرّ قط إلّا أمناه، و قد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، و الانجيل بيننا و بينك شاهد لا يردّ، و قاض لا يجور، و في ذلك موقع الخير، و اصابة الفضل، و إلّا فأنت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى بن مريم، و قد فرّق رسله إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، و أمنك على ما خافهم عليه لخير سالف، و أجر ينتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب، و إنّ

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٨

بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، و انه ليس الخبر كالعيان، و لكن أعوانى من الحبشة قليل، فانظرنى حتى أكثر الأعوان، و أئين القلوب و لو استطيع أن آتية لأتيته «١».

(١)

### رسالة النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله:

ثم كتب كتاباً إلى النبي صلى الله عليه وآله و آله هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم؛ إلى محمّد رسول الله من النجاشي، سلام عليك يا نبي الله و رحمة الله و بركاته، الذي لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام.

أما بعد، فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فو ربّ السماء و الأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروفا «٢» إنه كما قلت و قد عرفنا ما بعثت به إلينا، و قد قربنا ابن عمك و أصحابك، و أشهد أنّك رسول الله صلى الله عليه وآله و قد بايعتك و بايعت ابن عمك و أسلمت على يديه لله رب العالمين، و قد بعثت إليك يا نبي الله فان شئت أن آتيك لفعلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله فأنتي أشهد أنّ ما تقول حق و السلام عليك و رحمة الله و بركاته» «٣»

ثم إن النجاشي بعث بهدايا خاصّة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ذلك كتابين آخرين أيضاً، و كان في كلّ مرة يحترم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله و يقبله و يضعه على عينيه.

**تقييم سريع لمراسلة النبي صلى الله عليه وآله قادة العالم:**

ربما تصوّر بعض العارفين بأحوال الساسة في ذلك اليوم أن دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله لحكام و شعوب العالم يومذاك كان أمرا خارج المألوف و عملا

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٨، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٥٩.

(٢) الثفروق: الاقماغ التي تلزق بالبسر.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٩٤، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٣٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٧٩

غير متعارف، و لكنّ مضى الزمان أثبت أنّ ذلك العمل كان من وظائف النبي و مهامه الاساسية.

(١) أولا: ان إرسال سته سفراء في يوم واحد إلى أنحاء العالم، محمّلين برسائل قويّة مبرهنه أخلق كل باب للشكّ في وجه المخالفين في المستقبل، فلا- مجال لأن يشك أحد هذا اليوم و هو يرى هذا العمل العظيم في عالميّة الرسالة المحمّدية، فمضافا إلى الآيات الواردة في هذا الصعيد يعدّ إرسال السفراء بنفسه دليلا قاطعا و كبيرا على عالميّة الرسالة الاسلاميّة.

(٢) ثانيا: لقد تأثر جميع الزعماء و الملوك و القادة الذين راسلهم النبي صلى الله عليه وآله ما عدا «خسروا برويز» ملك إيران الذي كان طاغية مستبدا متكبّرا، برسائل النبي صلى الله عليه وآله و دعوته، و أكرموا سفراءه.

كما أن قضيه ظهور النبي العربي قد أصبح حديث الاوساط و المحافل الدينيه بسبب هذا العمل.

لقد أيقظت هذه الرسائل و الكتب بمحتوياتها و مضامينها القويّة المبرهنه العقول الغافيه، و هزّت الغافلين بشدّة، و أثارت مشاعر الشعوب العالميّة المتحضرة، و دفعتهم إلى البحث و التحقيق حول من بشر به التوراه و الانجيل، كما تسبب في أن يجرى العلماء و الاساقفة و القساوسة غير المغرضين باتصالات بمن ينتسب إلى هذا الدين، و يقيموا ارتباطا مع هذه العقيدة بشكل و آخر.

و من هنا و لأجل هذا تسابقت أفواج و فرق كبيرة من رجال الدين من الشرائع الدينيه المختلفه التي كانت سائدة آنذاك في الايام الاخيره لحياة رسول الإسلام صلى الله عليه وآله و بعدها إلى القديوم على المدينة لدراسة أوضاع الدين الجديد، و التعرف على ماهيته و منطقته.

و لقد شرحنا في الفصول الماضيه و بشكل مفصل نوع و مدى التأثير الذي تركته رسائل النبي و سفراؤه في نفوس حكام الرّوم و مصر و الحبشه، و ها نحن نواصل بيان بقيه التأثيرات التي تركتها مراسلة النبي صلى الله عليه وآله لحاكم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٠

الحبشه العادل، و ملكها البار: اصحمة النجاشي.

(١) فقد عمد النجاشي بعد تقديم الهدايا إلى سفير النبي صلى الله عليه وآله، إلى ارسال ثلاثين رجلا من القساوسة و الاساقفة الاحباش إلى أرض المدينة للتحقيق في أمر الإسلام، و نبوه محمّد صلى الله عليه وآله و ليروا من كتب حياته الزاهده البسيطة، و لا يتصوروا أنه يعيش كما كان يعيش الملوك و الجبابرة في ذلك العصر.

و لما قدم مبعوثو النجاشي المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله سألوه عن نظريته حول السيد المسيح عليه السلام فيبين رسول الله صلى الله عليه وآله عقيدته حول ذلك النبي العظيم بقراءة الآية التاليه:

«إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتِكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ: «إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ» (١).  
وقد كان لهذه الآيات أثر عجيب في نفوس اولئك القساوسة و الأساقفة حتى أنهم بكوا عند سماعها من دون اختيار.

(٢) و بعد التحقيق الدقيق في دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله عاد هذا الفريق من علماء الدين المسيحي إلى الحبشة، وأخبروا النجاشي بما سمعوه و شاهدوه، فبكى هو أيضا لما سمع من اولئك الرجال (٢).

وقد نقل ابن الاثير في «الكامل» و «اسد الغابة» قصة هذا الوفد بصورة اخرى إذ كتب بعد ذكر ما مر من رسالة النجاشي باضافة قوله:  
«و بعثت

(١) المائدة: ١١٠.

(٢) اعلام الوری: ص ٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨١

إليك بابني أرمي بن الاصحم» فخرج ابن النجاشي في ستين نفسا من الحبشة (قاصدين المدينة) في سفينة في البحر، فلما توسطوا البحر غرقوا كلهم.

و لكن وصول الرسالة التي اشار إليها ابن الاثير إلى الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله شاهد على أنه لم تحدث مثل هذه الحادثة لمبعوثي النجاشي (١).

(١)

### كتاب رسول الله الى أمير الغساسنة (بالشام):

الغساسنة فرع من قبيلة «الازد» القحطانيين الذين سكنوا «اليمن» مدة طويلة، و كانت أراضيهم تسقى من سد مأرب، فلما انهدم ذلك السد اضطروا إلى الرحيل عن «اليمن» و نزلوا بالشام. فسيطروا على جزء من أراضيها و حكموا فيها، و انتهى بهم الامر الى تشكيل دولة الغساسنة. التي كانت تحكم تلك الديار تحت نفوذ قياصرة الروم و سيادتهم، فلما جاء الإسلام أزال نظامهم، و انتهت حكومتهم، بعد أن حكم منهم، اثنان و ثلاثون ملكا في مناطق «الجولان»، و «اليرموك»، و «دمشق» (٢).

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله «شجاع بن وهب» و هو أحد السفراء الستة الذين بعثهم صلى الله عليه وآله لابلاغ الرسالة الاسلامية إلى العالم - إلى أرض الغساسنة، و قد حمله كتابا إلى ملكها يومذاك «الحارث بن أبي شمر الغساني»، فخرج شجاع بكتاب النبي إلى الشام لتسليمه الى ملك الغساسنة فانهى إليه و هو بغوطة دمشق و هو مشغول باعداد المقدمات لاستقبال «قيصر» الذي كان في طريقه إلى زيارة بيت المقدس و فاء للندر الذي نذره للاتصار على ايران كما مر.

(٢) و لهذا لم يستطع «شجاع» من الوصول إلى الأمير الغساني إلّا بعد انتظار دام

(١) اسد الغابة: ج ١ ص ٦٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٤٥.

(٢) راجع معجم البلدان، و مروج الذهب و غيرهما.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٢

ثلاثة أيام، فاستغل «شجاع» هذه الفرصة وصادق فيها حاجب الأمير الغساني فكان يحدثه عن صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وأخلاقه وما يدعو إليه من العقيدة الطاهرة، فأثرت كلمات «شجاع» تأثيرا عجيبا في نفس ذلك الحاجب الذي كان روميا حتى أنه رقّ وغلبه البكاء وقال: إنّي قرأت الإنجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه، وأنا أومن به وصدقته، وأخاف من «الحارث» أن يقتلني إذا عرف باسلامي و كان يكرم سفير النبي صلى الله عليه وآله ويحسن ضيافته طوال تلك المدة، ويقول إن الحارث يخاف قيصر أيضا. (١) ثم لما خرج «الحارث» ذات يوم وجلس على عرشه أذن لسفير النبي صلى الله عليه وآله بالدخول عليه، فلما مثل بين يديه دفع إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأه و كان نصّه كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمّد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن به وصدق، وإنّي أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك».

فانزعج الحارث ممّا قرأ في آخر الكتاب ورمى به جانبا، وقال: من ينتزع مني ملكي؟ أنا سائر إليه، ولو كان باليمن جنته، على بالناس.

وبهذا أمر بإعداد العسكر حالا ليستعرض قوته العسكرية أمام سفير النبي إرعابا وتخويفا له. ولجل أن يظهر نفسه بمظهر المدافع عن ملك قيصر بادر إلى كتابه رسالة إلى «قيصر» يخبره فيها بما عزم عليه من غزو رسول الله صلى الله عليه وآله!!

(٢) واتفق أن وصلت رسالة الأمير الغساني إلى «قيصر» في الوقت الذي كان فيه «دحية الكلبي» سفير النبي إلى الروم في مجلس قيصر، و كان «قيصر» يحاوره، ويسأله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن صفته ودينه، فانزعج «قيصر» من مبادرة الحاكم الغساني العجولة وكتب إليه يمنعه عن السير إلى رسول الاسلام طالبا منه أن يلتقى به في مدينة «ايليا».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٣

فغيّر موقف «قيصر» الايجابي هذا موقف عميله: الحاكم الغساني السلبي تبعا للمثل القائل «الناس على دين ملوكهم» فبادر من فوره إلى إكرام سفير النبي صلى الله عليه وآله ومنحه هدايا ثمينة، ووجهه نحو المدينة معززا مكرّما وقال له: «اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وآله مني السلام».

ولكن النبي صلى الله عليه وآله لم يرض بهذا الموقف الدبلوماسي الذي لم يكن ينم عن واقع صادق فقال: باد ملكه. أي سيزول ملكه عما قريب. فمات «الحارث» في السنة الهجرية الثامنة أي بعد عام واحد من هذه القضية «١».

(١)

### سادس السفراء في أرض اليمن:

سادس سفراء النبي هو المبعوث إلى أرض اليمامة (وهي من نجد)، وهو سليط بن عمرو. فقد خرج سليط هذا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى «هودة بن علي» الحنفي ملك اليمامة يدعو إلى الإسلام ولما قدم عليه سلّم الكتاب إليه وفيه.

«بسم الله الرحمن الرحيم. من محمّد رسول الله إلى هودة بن علي. سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخفّ والحافر (أي يعمّ الشرق والغرب) فأسلم تسلّم واجعل لك ما تحت يديك».

(٢) وحيث أن ملك اليمامة (هودة) كان نصرانيا لذلك بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وآله سليطا وكان ممن عاش مدة من الزمن في أرض الحبشة عند ما هاجر إليها فريق من المسلمين فرارا من اضطهاد وفتنة قريش لهم، وعرف بتقاليد النصراني ومنطقهم، وكانت تعاليم الاسلام، وكذا اختلاطه بمختلف الفئات في رحلاته وأسفاره قد صنعت منه رجلا شجاعا قويا وذكيا وقد استطاع بما



اوتى

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٥٥ و ٢٥٦، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦١

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٤

من قوة المنطق، و الشجاعة أن يقنع بكلامه و حديثه ملك اليمامة عند ما قال له: يا هوذة أنه سوّدتك «١» أعظم حائلة (أى بالية) و ارواح فى النار، و انما السيد من متّع بالإيمان ثم زوّد بالتقوى. ان قوما سعد برأيك فلا يشقون به، و إنى آمرك بخير مأمور به، و أنهاك عن شىء منهى عنه.

آمرك بعبادة الله، و أنهاك عن عبادة الشيطان، فان فى عبادة الله الجنة، و فى عبادة الشيطان النار، فان قبلت نلت ما رجوت و آمنت ما خفت، و ان ابيت فيننا و بينك كشف الغطاء و هو المّطلع.

(١) كانت ملامح ملك اليمامة المتغيرة المتأثرة توحى بحسن تأثير كلمات سليلت سفير النبى فى نفس ذلك الملك، و لهذا طلب من سليلت أن يمهلها مدة حتى يفكر فى أمر النبى و دعوته، و كان من الملوك العقلاء.

و صادف أن قدم اليمامة عليه فى ذلك اليوم اسقف كبير من كبار أساقفة الروم، فتحدث معه «هوذة» فى قضيه النبى، و دعوته، و إليك ما دار بينهما من الحوار.

قال هوذة للاسقف: جاءنى كتاب من النبى يدعونى إلى الإسلام فلم اجبه.

فقال الاسقف: لم لا تجيبه.

قال هوذة: ضننت بدينى و أنا أملك قومى، و لئن اتبعته لا أملك.

قال: بلى و الله لئن اتبعته ليملكنك، و ان الخير لك فى اتباعه، و أنه للنبى العربى الذى بشر بن عيسى بن مريم عليه السلام. و انه لمكتوب عندنا فى الانجيل:

محمّد رسول الله.

(٢) فتركت نصيحة الاسقف و كلماته أثرا عميقا و قويا فى نفس ملك اليمامة «هوذة» فاستدعى سفير النبى صلى الله عليه وآله و كتب إلى النبى صلى الله

(١) يقصد أنه سوده كسرى و هو فى النار.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٥

عليه و آله كتابا هذا نصه: «ما أحسن ما تدعو إليه و أجمله، و أنا شاعر قومى و خطيبهم و العرب تهاب مكانى فاجعل إلى بعض الأمر اتبعك (أى أنه كان يطلب أن يجعله النبى خليفة له من بعده).

و لم يكتف «هوذة» بهذا بل بعث وفدا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بزعامه «مجاعه بن مرارة» ليبلغ إلى النبى صلى الله عليه وآله رسالته و يقول له صلى الله عليه وآله: ان جعل الأمر له من بعده أسلم و سار إليه و نصره، و إلّا قصد حربته.

فلما قدم الرسول على رسول الله صلى الله عليه وآله و أخبره بما جرى و قرأ الكتاب على النبى صلى الله عليه وآله قال: «لا و لا كرامة، لو سألتنى سيابة من الارض ما فعلت اللهم اكفنيه» «١». سيد المرسلين ج ٢ ٣٨٥ سادس السفراء فى أرض اليمن: ..... ص: ٣٨٣

(١)

رسائل اخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله:



هذا وان الرسائل و الكتب التي بعثها رسول الله لغير من ذكرناه من القادة و الزعماء و الشخصيات الدينية و السياسية اكثر من ما أدرجناه هنا، و قد استطاع العلماء المحققون أن يجمعوا و يثبتوا في كتب خاصة صورة ٢٩ رسالة من رسائل الدعوة الى الاسلام التي بعثها رسول الله صلى الله عليه و آله تركنا إدراجها هنا رعاية للاختصار (٢).

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٥٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٤٦، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٦٢ و سيابة من الأرض أى قطعة من الأرض.

(٢) راجع مكاتيب الرسول للعلامة الاحمدى، و غيره من المؤلفات في هذا المجال.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٦

(١)

#### ٤٤ قلعة خيبر أو بؤرة الخطر [غزوة خيبر]

#### إشاره

يوم طلع نجم الاسلام فى أرض المدينة حقدت اليهود على رسول الله، و المسلمين اكثر من قريش، و عملت بمختلف الطرق و الحيل من اجل القضاء على الاسلام و الإيقاع برسول الله صلى الله عليه و آله و أصحابه. و لقد ابتلى يهود المدينة و ما حولها بمصير سيئ نتيجة أعمالهم و تصرفاتهم السيئة، فقتل فريق منهم، و اجلى آخرون مثل قبيلة بنى قينقاع و بنى النضير من أرض المدينة فسكنوا «خيبر» و «وادي القرى» أو نزلوا باذرع الشام. و كانت خيبر منطقة واسعة و خصبة تقع على بعد اثنين و ثلاثين فرسخا من المدينة كان قد سكنها اليهود قبل بعثه النبي صلى الله عليه و آله و بنوا فيها سبع قلاع و حصون قوية لتحصنهم و تحفظهم. و حيث إن التربة و المناخ فى تلك المنطقة كانت قد جعلت من تلك المنطقة مكانا جيدا و صالحا للزراعة جدا، لذلك كان سكانها اليهود قد حصلوا على مهارة كبرى فى امور الزراعة و جمع الثروات، و تهيئة وسائل الدفاع و القتال، و إعداد السلاح و القوة. و كان عدد نفوسها يقارب عشرين الف نسمة بينهم عدد كبير من المقاتلين الشجعان (١).

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٦، تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٧

(١) إن أكبر ذنب اقترفه يهود «خيبر» هو أنهم شجعوا جميع القبائل العربية على محاربة الحكومة الاسلامية و القضاء عليها، و استطاع جيش الاحزاب المشرك بمساعدة يهود «خيبر» أن يتحركوا فى يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة و استئصال المسلمين فى أكبر تحالف عسكري و اتحاد نظامي من نوعه فى ذلك العصر كما سبق و أن عرفت فى قصة «معركة الأَحزاب» و لكن هذا الجيش المعتدى الظالم تفرق بفعل تدابير رسول الاسلام الحكيمه و أصحابه بعد شهر من الانتظار خلف الخندق، و تفهقر و عادت أحزابه و من جملتهم يهود خيبر متشتتة متفرقة إلى أوطانها تجرّ أذيال الخيبة و الخسران، و استعادت عاصمته الإسلام استقرارها و أمنها.

(٢) إن خيانه، و خباثة و لؤم يهود خيبر حملت رسول الله صلى الله عليه و آله على أن يقضى على بؤرة المؤامرة و مركز الفساد و الخطر هذا، و أن يجرد سكانها جميعا من السلاح، لأنه كان يخشى أن يعود هذا الشعب المعاند الخبيث - ببذل الأموال الطائلة- إلى

تأليب العرب الوثنيين مرة أخرى ضد المسلمين و يعيدوا قصة الأحزاب مرة أخرى. و خاصة أن تعصب اليهود لدينهم و معتقدتهم كان أشد من تعصب قريش للوثنية، و لهذا التعصب كان يسلم ألف مشرك وثني و لا يدع يهودى واحد دينه، و معتقده!!  
(٣) ثم إن عاملاً آخر حمل رسول الله صلى الله عليه وآله على تحطيم قدرة الخبيريين و شوكتهم، و انتزاع السلاح منهم و رصد تحريكاتهم بواسطة فرسانه و رجاله، أنه راسل الملوك و السلاطين، و دعاهم جميعاً و بشكل قوى الى الاسلام، فلم يكن من المستبعد أن يستغل «كسرى» و «قيصر» يهود خبير فيتعاونوا جميعاً للقضاء على الاسلام و النهضة الاسلامية في مهدها، أو تحرك اليهود ذينك الملكين ضد الاسلام كما حرّكت من قبل المشركين ضد هذا الدين، و تسببت في وقوع مشاكل.

خاصة أن الشعب اليهودى كان ضليعا في الحروب التى دارت بين الروم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٨

و الفرس فى تلك العصور، و كان اليهود يتعاونون مع أحد الطرفين.

من هنا رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ان من الحكمة بل و من الضرورة بمكان أن يطفى شرارة الخطر هذه إلى الأبد.

(١) و كانت هذه الفرصة أفضل الفرص لهذا العمل، لأن بال النبى كان قد فرغ من ناحية الجنوب (أى قريش) بعد صلح الحديبية، و كان يعلم أنه لو أقدم على عمل ضد اليهود لم تمتد يد من جانب قريش لمساعدتهم، و لكى يمنع من وصول أية مساعدات و امدادات لهم من ناحية قبائل الشمال مثل «غطفان» الذين كانوا أصدقاء ليهود خبير و المتعاونين معهم فى معركة «الأحزاب» نفذ رسول الله صلى الله عليه وآله خطة سيأتى تفصيلها مستقبلاً.

لهذه الاسباب و العوامل و الاعتبارات أمر رسول الله صلى الله عليه وآله المسلمين بالتهيؤ لغزو خبير آخر مركز من مراكز اليهود فى الجزيرة العربية. و قال:

«لا تخرجوا معى إلّا راغبين فى الجهاد أما الغنيمه فلا».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله استخلف على المدينة «نميله بن عبد الله الليثى»، و دفع رايه بيضاء الى «علي بن أبى طالب» عليه السلام و أمر بالتوجه إلى خبير، و لكى تسرع الابل فى سيرها اذن لعامر بن الاكوع أن يحدو بالابل لان الابل تستحث بالحاء، فأخذ يرتجز قائلاً:

و الله لو لا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إنّا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أينا

فأنزلن سكينه علينا و ثبت الأقدام إن لاقينا (٢) و قد عكست هذه الأبيات الجميلة جانباً من هدف هذه الغزوة، فهى تفيد أن اليهود ظلمونا، و أشعلوا نيران الفتنة و قد خرجنا لطفائها، و تحملنا فى سبيل ذلك عناء هذا السفر.

و لقد سرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بمضامين هذه الابيات فدعا لابن الاكوع، و قال: «يرحمك الله» و قد استشهد ابن الاكوع هذا فى هذه الغزوة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٨٩

(١) هذا و قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يراعى مبدأ الاستتار فى جميع تحركاته العسكرية، فقد كان يحب أن لا يعرف العدو بمسيره و مقصده حتى يفاجئ العدو و يباغته، و يحاصره قبل أن يستطيع فعل شىء، هذا مضافاً إلى ناحية أخرى و هى أن يظن حلفاء العدو الذى يقصده بأنه يقصدهم و يسير إليهم، فيغلقوا على أنفسهم أبواب منازلهم و لا ينضم بعضهم الى بعض.

و ربما تصوّر البعض فى هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقصد منطقة الشمال (شمال المدينة) لتأديب قبائل غطفان و فزارة الذين تعاونوا مع اليهود فى معركة الاحزاب، لما وجدوه متوجها نحو الشمال.

(٢) و لكنه عند ما وصل إلى منطقة «الرجيع» عرج بجيشه صوب «خبير» و بهذا قطع الطريق على أية إمدادات عسكرية من ناحية

الشمال إلى خيبر، بقطع خط الارتباط بين قبائل غطفان و فزارة و يهود خيبر، فمع ان حصار خيبر طال مدة شهر واحد تقريبا لم تستطع القبائل المذكورة ان تمتد حلفاءها اليهود بأى شىء «١».

و لقد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله الى خيبر ما يقرب من ألف و ستمائة مقاتل، بينهم مائتا فارس «٢».

و عند ما أشرف رسول الله صلى الله عليه وآله على خيبر قرأ الدعاء التالى الذى يكشف عن نيته الحسنه:

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٠.

(٢) الامالى للطوسى: ص ١٦٤، يذهب ابن هشام فى سيرته: ج ٢ ص ٣٢٨ إلى ان خروج النبى صلى الله عليه وآله إلى خيبر كان فى المحرم، و بينما ذهب ابن سعد فى الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٧٧ إلى انه كان فى جمادى الثانية من السنة السابعة، و حيث ان ارسال الرسل الى الملوك و الامراء تم فى شهر محرم من هذه السنة ذاتها لذلك يكون الرأى الثانى أقرب إلى الصحة، و خاصة أن مهاجرى حبشة التحقوا برسول الله صلى الله عليه وآله فى خيبر بعد وصول رساله النبى صلى الله عليه وآله إلى النجاشى بوساطة «عمر و بن أمية» لان ذهاب رسول النبى صلى الله عليه وآله إلى الحبشة و عودته مع المهاجرين الى المدينة ثم خيبر بحاجه إلى زمان، و حيث ان توجه الرسل و السفراء كان فى شهر محرم لذلك يجب ان يكون قتال الخيبريين فى الاشهر التالیه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٠

اللهم ربّ السماوات و ما اظللن

و ربّ الارضين و ما اقللن

و ربّ الشياطين و ما اضللن

و ربّ الرياح و ما أذرین

فإننا نسألك خير هذه القرية و خير أهلها، و خير ما فيها و نعوذ بك من شرها و شر أهلها و شر ما فيها».

(١) إن هذا الدعاء و ما رافقها من حالة التضرع، و ذلك أمام أعين ألف و ستمائة من الجنود الشجعان الذين كان كل واحد منهم شعله متقدة من الشوق الى القتال فى سبيل الله يكشف عن أن النبى صلى الله عليه وآله لم يكن يهدف من مسيره إلى هذه الأرض الاستعمار أو الانتقام بل جاء من أجل ان يقضى على بؤرة الخطر التى كان من المحتمل أن يتحول فى كل لحظة إلى قاعدة انطلاق للمشركين الوثنيين، حتى لا تهدد النهضة الاسلاميه من هذه الناحية فيما بعد.

و سترى أنت أيها القارئ الكريم كيف أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد فتح القلاع و الحصون اليهوديه، و انتزاع السلاح من سكانها المتآمرين المشاغبين فوض إليهم اراضيهم، و اكتفى منهم بأخذ الجزية فى مقابل المحافظة على أموالهم و أنفسهم، و بعد أن ربطهم بمعاهدة قوية ملزمة.

(٢)

### احتلال النقاط و الطرق الحساسة ليلا:

كان لكل حصن من حصون خيبر السبعة اسم خاص يعرف به فهى عبارة عن: «ناعم» و «القموص» و «الكتيبة» و «النطاة»، و «شق» و «سطح»، و «سلالم»، و ربما سُمى بعض هذه الحصون باسم زعيم الحصن و سيده، مثل حصن مرحب.

كما أنه كانوا قد بنوا عند كل حصن من تلك الحصون برجاً للمراقبة، و لرصد كل التحركات خارج الحصن، و لأجل أن ينقل الحراس و المراقبون المستقرون فى هذه الأبراج الأخبار إلى داخل الحصن.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩١

وقد كانت تلك البروج والحصون قد شيدت بحيث يسيطر سكانها على خارج الحصن سيطرة كاملة و كانوا يستطيعون - عن طريق المجانيق «١» وغيرها من آلات الرمي - إبعاد أى عدو، و افشال أية محاولة للاقترب الى الحصن، و ذلك برميهِ بالاحجار و ما شابهها. (١) و قد كان بين سكان هذه الحصون البالغ عددهم عشرين ألفاً، ألفان من الفرسان الشجعان و الصناديد الابطال الذين توفرت لهم كل ما يحتاجون إليه من الطعام و الشراب، و الذين اعدت لهم فى المخازن كل ما يحتاجون إليه من الاسلحة و العتاد. و كانت هذه الحصون من الإحكام و القوة بحيث كان من المستحيل إحداث أية ثغرة فى حيطانها أيضاً، و من أراد الاقتراب إليها رمى بالاحجار فجرح بها أو قتل، فكانت تعدّ هذه الحصون - فى الحقيقة - متاريس قوية لمقاتلى اليهود. لقد واجه المسلمون فى هذه الغزوة مثل هذا العدو المسلح، المتمنع بمثل هذه المتاريس القوية، فكان لا بدّ لفتح هذه القلاع من استخدام تكتيك عسكرى دقيق.

و لهذا فان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه فى هذا السبيل هو احتلال كل النقاط و الطرق الحساسة ليلاً. و قد تم هذا العمل بسريته و سرعته بالغه جدا بحيث لم يعرف به حتى مراقبو الابراج اليقظون أيضاً. (٢) و لما كان صبيحة تلك الليلة خرج عمّال خبير غادين إلى مزارعهم و بساتينهم و هم يحملون مساحيهم و مكاتيلهم و اذا بهم يفاجئون بجنود الاسلام الابطال و قد احتلوا بقوة الايمان جميع النقاط الحساسة و سدّوا جميع الطرق عليهم بحيث لو قدّموا شبرا لقبض عليهم، فأفزعهم ذلك و خافوا خوفا شديدا، فأدبروا

(١) و هى أجهزة حديدية بدائية تقذف الحجر او الحديد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٢

هرابا و هم يقولون: محمّد و الجيش معه. و بادروا فوراً إلى إغلاق أبواب الحصون و إحكامها، و عقدوا شورى عسكرية فى داخل حصنهم المركزى.

(١) و عند ما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله مساحى اليهود و مكاتيلهم و غيرها من أدوات الهدم قال متفائلاً:

«الله أكبر خربت خيبر أنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين».

و كانت نتيجة الشورى العسكرية اليهودية فى هذه الغزوة هى أن يجعلوا الأطفال و النساء فى أحد الحصون، و يجعلوا الذخيرة من الطعام فى حصن آخر، و يستقر المقاتلون الشجعان على الأبراج و يدافعوا عن كل قلعه و حصن بالاحجار، و يخرج الابطال الصناديد من كل حصن و يقاتلوا المسلمين خارجه.

كانت هذه هى خطة اليهود لمواجهة جنود الاسلام، و قد أصروا على تنفيذها حتى آخر لحظة من القتال و لهذا استطاعوا أن يقاوموا فى وجه الجيش الاسلامى مدة شهر واحد تقريباً بحيث كانت محاولة فتح كل حصن من تلك الحصون تستغرق عشرة أيام دون نتيجة.

(٢)

### متاريس اليهود تنهاى:

كانت هناك نقطة لا تحظى بأهمية تذكر من الناحية العسكرية و كان مقاتلو اليهود يسيطرون عليها سيطرة كاملة، و لم يكن فيها أى مانع من استهداف مخيم المسلمين و رميها من جانب العدو.

و لهذا جاء أحد المقاتلين المسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وآله و هو «محمّد بن مسلمة» و قال له:

يا رسول الله صلى الله عليك، إنك نزلت منزلتك هذا فان كان عن أمر (الهى) امرت به فلا نتكلم فيه، و ان كان الرأى تكلمنا؟ يا

رسول الله دنوت من الحصن، و إن أهل النظاة مرتفعون علينا و هو أسرع لانحطاط نبلهم فتحول يا رسول الله الى موضع برىء من النخل و البناء حتى لا ينالنا نبلهم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٣

(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و هو يراعى واحدا من مبادئ الاسلام العظيمة (الشورى) و احترام الآخرين: «بل هو الرأى، انظر لنا منزلا بعيدا من حصونهم، بريئا من الوباء نأمن فيه بياتهم»، فطاف محمّد حتّى انتهى إلى الرجيع (و هو واد بقرب خير) ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وآله ليلا فقال: وجدت لك منزلا، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فحولت خيمة القيادة عند المساء إلى ذلك المكان الاكثر أمانا من بيات اليهود و غدرهم فكان النبي يغدو كل يوم فيقاتل أهل النظاة يومه إلى الليل ثم إذا أمسى رجع الى الرجيع حيث غرفة القيادة، و كان يناوب بين أصحابه فى حراسه الليل فى مقامه بالرجيع سبعة أيام «١».

على أنه لا يمكن البتّ فى تفاصيل واقعه خبير و لكن المستفاد من المصادر التاريخية هو أن جنود الاسلام حاصروا القلاع و الحصون حصنا تلو حصن، و حاولوا قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقية الحصون تم فتحه، ثم محاصرة حصن آخر.

(٢) و لقد تم فتح هذه الحصون ببطء لأنها كانت مرتبطة ببعضها بارتباط سرى، أو كان المقاتلون يدافعون عنها دفاعا مستميتا، و لكن الحصون التى كان الرعب و الخوف يسيطر على مقاتليها و حراسها، أو التى ينقطع ارتباطها بالخارج بصورة كاملة كان يتم السيطرة عليها بسهولة، و تسفك فيها دماء أقل، و يتقدم العمل فيها بسرعة اكبر.

(٣) و ان أول حصن فتح على أيدي المسلمين بعد شىء كبير من الجهد- كما يذهب إليه جمع من المؤرخين- هو حصن «ناعم». و لقد استشهد فى فتح هذا الحصن أحد المقاتلين المسلمين البارزين، يدعى «محمود بن مسلمة» الانصارى، و جرح خمسون رجلا من مقاتلى الإسلام، فقد استشهد الفارس المذكور بعد أن رماه اليهود بصخرة كبيرة من فوق الحصن فقتل من فوره، و قيل إنه توفى بعد ثلاثة أيام- حسب رواية ابن الاثير فى اسد الغابة «٢» و نقل الجرحى الخمسون إلى

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٩.

(٢) اسد الغابة: ج ٤ ص ٣٣٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٤

منطقة اخرى من المعسكر خصصت لغرض التضميد «١»، كما انه سمح لبعض نساء بنى غفار بأن يأتين الى «خير» لمساعدة المسلمين و تضميد الجرحى و تقديم غير ذلك من الخدمات التى يلقى بهن فى المعسكر، و قد أظهرت تلك النسوة من أنفسهن تفانيا، و تضحية عجيبة «٢».

(١) و لقد رأت الشورى العسكرية الاسلامية أن يعمد المقاتلون المسلمون- بعد فتح حصن «ناعم» إلى فتح حصن «القموص» الذى كان يرأسه أبناء «أبى الحقيق»، و لقد فتح هذا الحصن بفضل تفانى جنود الاسلام، و أسرت منه «صفية بنت حيبى بن أخطب» التى صارت فيما بعد من زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله.

و لقد قوى هذان الانتصاران العظيمان معنوية الجنود المسلمين و ألقى رعبا شديدا فى نفوس اليهود و لكن المسلمين وقعوا فى مخمصة شديدة بسبب قلة المواد الغذائية بحيث اضطروا إلى أن يأكلوا من بعض الانعام المكروهة اللحم، و قد كان هناك بين حصون اليهود حصن مملوء طعاما إلا أن المسلمين لم يظفروا به حتى ذلك الحين.

(٢)

فى مثل هذه الحالة التى كان قد استولى فيها جوع شديد على المسلمين، اضطروا معه إلى تناول لحوم ما كره أكله من الأنعام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله راع أجير لليهود يرعى لهم غنمهم، و رسول الله محاصر لبعض حصون خيبر فقال: يا رسول الله اعرض على الاسلام، فعرضه عليه، فأسلم، و كان رسول الله لا يحقر أحدا أن يدعو إلى الاسلام و يعرضه عليه- فلما أسلم قال: يا رسول الله انى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم و هى أمانة عندى فكيف أصنع بها؟ فقال له رسول الله

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٤٠.

(٢) السيرة النبوية: ج ٣ ص ٣٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٥

صلى الله عليه وآله أمام عيون المئات من جنوده الجياع:

«أخرجها من العسكر ثم صح بها و ارمها بحصيات فإنّ الله عزّ و جلّ سيؤدّي عنك أمانتك».

ف فعل الراعى ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله و خرجت الغنم إلى صاحبها حتى دخلت الحصن كأنّ سائقا يسوقها، و قد قاتل ذلك اليهودى إلى جانب المسلمين حتى استشهد (١).

(١) أجل لم يكتب رسول الله صلى الله عليه وآله لقب «الامين» من قومه فى فترة شبابه فقط بل كان أمينا فى جميع الحالات و الظروف و هو القاتل:

«ما من شىء كان فى الجاهلية إلّا هو تحت قدمى إلا الامانة فانها مؤداة إلى البر و الفاجر» (٢)، و قد بقى تردد القطعان حرا طوال مدة الحصار و لم يفكر و لا واحد من المسلمين بأخذ غنم منها لأنهم تعلموا الأمانة و التقوى و الصدق و الورع من معلّمهم الاكبر «محمّد» الصادق الأمين صلى الله عليه وآله.

نعم غلب الجوع الشديد على العسكر ذات يوم حتى كادوا أن يهلكوا فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بأن تؤخذ شاتان من غنم اليهود اضطرازا، و اطلق البقية لتدخل الحصن بامان (٣)، و لو لا ذلك الاضطراب الذى يباح معه المحذور بقدره لما سمح رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، و لما رأى جوع أصحابه و تضوّرهم من شدّة السغب دعا قائلا:

«اللهم انك قد عرفت حالهم و ان ليست بهم قوة، و ان ليس بيدى شىء اعطهم إياه فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء، و أكثرها طعاما» (٤).

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٤٤ و ٣٤٥. امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣١٢-٣١٣.

(٢) مجمع البيان: عند تفسير قول الله تعالى: «و من أهل الكتاب من إن تأمنه...».

(٣) السيرة النبوية: ج ١ ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٤) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٢٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٦

و لم يكن يأذن لاحد من المسلمين بأن يأخذ شيئا من اموال الناس ابدا.

(١) فى ضوء كل هذا تتضح دسائس جماعة من المستشرقين فى تاريخنا المعاصر فهم يصرون على القول بأن غزوات الاسلام و معاركه كانت للإغارة و جمع الغنائم و مصادرة الأموال و السيطرة عليها و ان جنوده لم يكونوا يتقيدون خلال تلك المعارك بمبادئ العدالة و الامانة، و ذلك كيد منهم للاسلام، و محاولة بغية للحط من قيمة الاهداف الاسلامية العليا، و تشويهها.

و لكن النموذج المذكور هنا، و أمثاله ممّا يعدّ بالعشرات فى صفحات التاريخ الاسلامى تشهد بكذبهم، فإن النبى صلى الله عليه وآله

لم يأذن و هو فى أشد الظروف و أصعبها و جنوده الاوفياء قد غلبهم الجوع و دنوا من الهلاك، بأن يخون راع فى أغنام كان يراها ليهودى، بل أمره بردها إلى صاحبه و هو فى قتال مع اليهود على حين كان يمكنه مصادرتها جملة واحدة.

(٢)

### فتح الحصون الواحد تلو الآخر:

بعد فتح القلاع المذكورة حمل جنود الإسلام على حصن الوطيح، و سلالم، و لكنهم واجهوا مقاومة عنيفة من اليهود الذين كانوا يدافعون عنها خارجها، من هنا لم يستطع جنود الاسلام الأبطال رغم كل التضحيات التى ذكرها كاتب السيرة المعروف ابن هشام فى موضع خاص من سيرته- ان يحرزوا انتصارا بل ظلوا يجالدون مقاتلى اليهود أكثر من عشرة أيام، و لكنهم كانوا يعودون فى كل يوم إلى مقرهم من دون نتيجة.

و ذات يوم بعث رسول الله صلى الله عليه و آله أبا بكر و اعطاه رايته البيضاء على رأس جماعة من المقاتلين المسلمين لفتح بعض حصون خيبر، و لكنه رجع و لم يكن فتح و كل من الامير و الجنود يلقى باللوم على الآخر، و يتهمه بالجبن و الفرار.

(٣) فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله فى يوم آخر «عمر بن الخطاب» على

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٧

رأس جماعة اخرى فكان كرفيقه إذ رجع و لم يحقق فتحا، بل عاد- حسب ما يروى الطبرى- «١» فزعا مرعوبا و هو يصف شجاعة مرحب و قوته البالغة، فأغضب هذا العمل رسول الله صلى الله عليه و آله و فرسان الاسلام الابطال و قادة الجيش الاسلامى، فجمع رسول الله صناديد جيشه و قال:

«لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحب الله و رسوله يفتح على يديه ليس بفزار» أو: «كرار غير فرار» حسب نقل الطبرى و الحلبي «٢».

(١) و قد أثارت هذه الجملة الخالدة الحاكية عن فضيلة و شجاعته و تفوق ذلك الفارس الذى قدر أن يكون الفتح على يديه و تميزه المعنوى على غيره موجة من الفرح الممزوج بالاضطراب بين أفراد الجيش و قادته الشجعان.

فقد بات كل واحد منهم يتمنى أن يكون هو صاحب هذا النوط الخالد و العظيم، و ان تصيب القرعة اسمه.

و لما بلغ عليا عليه السلام مقالة النبى صلى الله عليه و آله هذه و هو فى خيمته قال:

«اللهم لا معطى لما منعت و لا مانع لما أعطيت» «٣».

(٢) غطى ظلام الليل كل مكان، و ذهب جنود الاسلام إلى أماكن نومهم، و بينما بقى الحراس يتحارسون طوال الليل، و يرصدون أوضاع العدو الغادر

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٣٠٠.

(٢) مجمع البيان: ج ٩ ص ١٢٠، السيرة الحلبيّة: ج ٢ ص ٣٧، السيرة النبوية: ج ٣ ص ٣٣٤ أمتاع الاسماع: ج ١ ص ٣١٤ و لقد انزعج المؤرخ الاسلامى المعروف ابن أبى الحديد من فرار هاتين الشخصيتين فقال فى ضمن قصيدة له:

و ما أنس لا أنس اللذين تقدّما و فرّهما و الفرّ قد علما حوب

و للراية العظمى و قد ذهبها بهاملابس ذلّ فوقها و جلايب

يشلّهما من آل موسى شمر دلّ طويل نجاد السيف أجيد يعبوب (الغدير: ج ٧ ص ٢٠١ اقتباسا من القصائد العلويات).

(٣) السيرة الحلبيّة: ج ٢ ص ٣٥.



سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٨

و تحركاته.

وعند الصباح ومع طلوع الشمس التي شقت بأشعتها رداء الظلام، وأضاءت السهل والجبل، تجتمع قادة الجيش الاسلامي و صناديده و أبطاله و غيرهم من الرجال و فيهم الاميران المنهزمين بالأمس حول رسول الله صلى الله عليه وآله و هم يريدون بشوق بالغ أن يعرفوا من سيعطيه الراية اليوم، و قد تناول لها أبو بكر و عمر «١».

(١) و لم يطل هذا الانتظار، فقد كسر رسول الله صلى الله عليه وآله جدار الصمت هذا عند ما قال: «اين على»!

فقبل يا رسول الله به رمد، و هو راقد بناحية.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اتنوني بعلي» «٢»

إن هذه العبارة تكشف عن أن ما أصاب عليا عليه السلام من الرمد كان من الشدة بحيث سلبه القدرة على المشي، و عاقه عن الحركة. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله يده الشريفة على عيني علي عليه السلام و دعا له بخير، فعوفى من ساعته، و استعادت عيناه عليه السلام سلامتها افضل مما كانت بحيث لم يرمد عليه السلام حتى آخر حياته بفضل تلك المسحة النبوية المباركة.

(٢) ثم دفع رسول الله صلى الله عليه وآله اللواء إلى علي عليه السلام و دعا له بالنصر كما أنه أمره بأن يبعث إلى اليهود قبل قتالهم من يدعو رؤساء الحصون الى الاسلام، فإن أبوا اعتناق الاسلام أخبرهم بوظائفهم في ظل الحكومة الاسلامية و أن عليهم أن يسلموا أسلحتهم إلى الحكومة الاسلامية، و يعيشوا بحرية و أمان

(١) هذه هي عبارة الطبري: ج ٢ ص ٣٠٠، كنز العمال: ج ٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨ و ٢٩، تاريخ الخميس: ج ٢ ص ٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٣٩٩

تحت ظل هذه الحكومة شريطة أن يدفعوا الجزية «١».

و اذا رفضوا ذاك و هذا قاتلهم، ثم قال لعلي الذي أوكل إليه قيادة تلك المجموعة:

«لئن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا من أن يكون لك حمر النعم» «٢».

أجل إن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله يفكر في هداية الناس حتى في أشد لحظات الحرب، و هذا يفيد بأن جميع حروب رسول الله صلى الله عليه وآله كانت لهداية الناس لا غير.

(١)

### الانتصار الكبير في خيبر:

عند ما كلف علي (عليه السلام) من جانب النبي صلى الله عليه وآله بفتح قلعتي سلاط و الوطيح (و هما الحصنان اللذان عجز عن فتحهما الأميران السابقان و وجها بفرارهما ضربة لا تجبر إلى شرف الجيش الاسلامي)، ارتدى درعا قويا و حمل معه سيفه الخاص ذا الفقار و راح يهرول بشجاعة منقطع النظير نحو القلعتين المذكورتين، و الجند خلفه، حتى ركز الراية التي أعطاها له رسول الله صلى الله عليه وآله على الأرض تحت الحصن.

و لما رأى اليهود انه دنا من الحصن خرج إليه كبار صناديدهم.

و كان أول من خرج إليه أخو مرحب و يدعى «الحارث» فتقدم إلى علي و صوته يدوي في ساحة القتال بحيث تأخر من كان خلف



علّي من شدة الفزع (٣).

و لكن لم يمض زمان حتى سقط الحارث على الارض جثته هامدة بضربة قاضية من على عليه السلام.

(١) صحيح مسلم: ج ٥ ص ١٩٥، صحيح البخارى: ج ٥ ص ١٨.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٣٧.

(٣) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣١٤ قال: فانكشف المسلمون و ثبت على.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٠

(١) فغضب مرحب بطل خبير المعروف لمقتل أخيه الحارث و خرج من الحصن و هو غارق فى السلاح، فقد لبس درعا يمانيا، و وضع

على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة، و تقدم الى على عليه السلام كالفحل الصؤول يرتجز و يقول:

قد علمت خبير أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

إن غلب الدهر فانى أغلب و القرن عندى بالدما مخضب «١» فأجابه على عليه السلام مرتجزا و قد أظهر للعدو شخصيته العسكرية فى

رجزه:

أنا الذى سمّنتى اّمى حيدرّة ضرغام آجام و ليث قسورة

عبل الذراعين غليظ القيصره كليث غابات كرية المنظرة (٢) و بعد أن انتهى الطرفان من إنشاد رجزهما تبادلوا الضربات بالسيوف و

الرماح، فألقت قعقعة السيوف و صوت الرماح رعبا عجيبا فى قلوب المشاهدين، و فجأه هبط سيف بطل الاسلام القاطع على المفرق

من رأس «مرحب» بطل اليهود قدّت خوذته نصفين و نزلت على رأسه و شقته نصفين الى أسنانه!!

و لقد كانت هذه الضربة من القوة بحيث افرعت أكثر من خرج مع «مرحب» من أبطال اليهود و صناديدهم ففروا من فورهم، و لجئوا

إلى الحصن، و بقى جماعة فقاتلوا عليا منازل فقاتلهم حتى قتلهم جميعا، ثم لاحق الفارين منهم حتى باب الحصن، فضربه عند الحصن

رجل من اليهود فطاح ترسه من يده فتناول عليه السلام بابا كان على الحصن و انتزعه من مكانه، فترس به عن نفسه فلم يزل ذلك

الباب فى يده و هو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم القاه من يده حين فرغ، و قد حاول ثمانية من أبطال الاسلام و منهم أبو رافع

مولى رسول الله صلى الله عليه و آله أن يقلبوا ذلك الباب أو يحركوه من مكانه فلم يقدروا على ذلك «٢».

(١) يروى ابن هشام فى سيرته أشعار مرحب بصورة اخرى: ج ٢ ص ٣٣٢.

(٢) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٩٤، سيرة ابن هشام: ج ٢ ص ٣٤٩، تاريخ الخميس: ج ٢ ص ٤٧ - ٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠١

و هكذا فتحت القلعة التى عجز عن فتحها المسلمون عشرة أيام، فى مدة قصيرة على يد بطل الاسلام الأول «على بن أبى طالب» عليه

السلام.

(١) و يقول اليعقوبى فى تاريخه: ان الباب الذى قلعه على عليه السلام كان من الصخر و كان طوله أربعة أذرع و عرضه ذراعين «١».

و يقول الشيخ المفيد فى ارشاده بسند خاص عن امير المؤمنين قصة قلعه ذلك الباب:

«لما عالجت باب خبير جعلته مجننا لى فقاتلتهم به، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقا ثم رميت به فى خندقهم، و لما

قال له رجل: لقد حملت منه ثقلا قال عليه السلام:

«ما كان إلا مثل جنتى التى فى يدي فى غير ذلك المقام» «٢».

و قد نقل المؤرخون قضايا عجيبة حول قلع باب خبير هذا و خصوصياته و مواصفاته، و عن بطولات على عليه السلام فى فتح هذا

الحصن، وجميعها لا تتمشى ولا تتيسر مع القدرة البشرية المتعارفة، ولا يمكن أن تصدر منها. و يقول على عليه السلام نفسه في هذا الصدد ما يرفع كل شك وإبهام قد يعترض المرء في هذا المجال: «ما قلعتها بقوة بشرية ولكن قلعتها بقوة إلهية ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية» (٣). (٢)

### تحريف الحقائق:

لو أننا أردنا أن نلتزم بحدود الحق والانصاف لوجب أن نقول ان «ابن هشام» في سيرته و «الطبرى» في تاريخه ذكرا قصة مبارزة على عليه السلام فى يوم

(١) تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٤٦.

(٢) الارشاد: ص ٦٢-٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٤٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٢.

خير بصورة مفصلة، ونقلوا تفاصيلها بصورة دقيقة، ولكنهما ذكرا فى نهايه بحثهما التاريخى قصة خياليه لا أساس لها وهى وان مرحبا قتل على يدى «محمد بن مسلمة» وقالوا: ويرى البعض أن مرحبا اليهودى قتله محمد بن مسلمة انتقاما لأخيه الذى قتل عند فتح حصن «ناعم» على أيدي اليهود، فقد كلفه رسول الله صلى الله عليه وآله بقتال مرحب فبرز إليه، فقتله. إن هذا الاحتمال من الوهن والبطالان بحيث لا- يقاوم التاريخ الاسلامى المسلم والمتواتر، (١) هذا مضافا إلى أن هذه الاسطورة التاريخية تعانى من اشكالات، ومؤخذات نذكرها للقارئ الكريم:

(٢) ١- ان محمد بن مسلمة لم يكن بذلك الرجل الشجاع، والبطل الصنديد الذى تؤهله شجاعته لأن يكون فاتح خير وقاتل بطلها الاكبر، فإن التاريخ لا يذكر عنه نموذجا بارزا من بطولته وشجاعته، إنما كلف فى السنة الثالثة من جانب النبى صلى الله عليه وآله فقط بأن يغتال «كعب بن الاشرف» الذى حرك المشركين والهم ضد الاسلام والمسلمين بعد معركة بدر الكبرى، وقد بقى ثلاثة أيام لبليالها لا يطعم شيئا خوفا، فأنكر عليه رسول الله صلى الله عليه وآله خوفه وآله خوفه وسأله عن سبب ذلك فقال: يا رسول الله قلت لك قولاً لا أدري هل أفين به أم لا؟

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك أرسل معه أربعة رجال آخرين ليعينوه فى هذه المهمة، ويتخلصوا من «كعب» الذى كان يريد إعادة القتال بين المسلمين والمشركين.

فخرجوا إليه فى منتصف الليل وقتلوا عدو الله كعبا وفق خطة خاصة ولكن «محمد بن مسلمة» جرح أحد رفاقه من شدة الخوف والوحشة التى أصابته، ولا شك أن صاحب مثل هذه النفسية لا يمكنه أن يبارز صناديد «خير» المعروفين و ينازلهم.

(٣) ٢- ان فاتح «خير» لم يقاتل مرحبا و يقتله وحده، بل قاتل بعد مصرع مرحب من كانوا قد جاءوا معه إلى ساحة القتال من شجعان اليهود فلاحق

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٣.

الفازين، و نازل الذين بقوا ولم يفروا.

و إليك أسماء من بقوا فى ساحة القتال و قاتلوا عليا عليه السلام بعد قتله مرحبا:

١- داود بن قابوس.

٢- ربيع ابن أبي الحقيق.

٣- أبو البائت.

٤- مرة بن مروان.

٥- ياسر الخبيري.

٦- ضحيج الخبيري.

و كل هؤلاء كانوا من صناديد اليهود و ابطالهم، و كانوا يقاتلون خارج حصن خيبر و يمنعون من أيه محاولة لفتح قلاع اليهود في هذه الواقعة.

إن هؤلاء الستة قتلوا على يد على بن أبي طالب عليه السلام و هم يرتجزون في ساحة القتال و يطلبون المبارز و المناجز «١».

فمن يكون و الحال هذه فاتح «خيبر» و قاتل مرحب؟

إذا كان «محمد بن مسلمة» فانه لا يمكن أن يعود بعد قتل مرحب إلى معسكر المسلمين و يتجاهل اولئك الأبطال خلف مرحب بل لا بد أن يقاتلهم، في حين اتفقت كل السير و التواريخ على أن هؤلاء قتلوا جميعا على يد على بن أبي طالب عليه السلام.

(١) ٣- ان هذه الاسطورة التاريخية تنافى مع الحديث المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله فانه صلى الله عليه وآله قال في حق على عليه السلام:

«يفتح الله على يديه» مع العلم بأن المانع الاكبر من فتح خيبر كان هو مرحب الذي أجبرت شجاعته الأميرين السابقين على الفرار، فاذا كان قاتل مرحب هو

(١) ناسخ التواريخ: ج ٢ ص ٢٨٢-٢٨٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٤

«محمد بن مسلمة» لزم أن يقول رسول الله صلى الله عليه وآله جملة هذه في حق «محمد بن مسلمة» لا في حق «على» عليه السلام الذي أعطاه الراية بعد أن قال تلك الجملة: «يفتح الله على يديه».

(١) يقول الحلبي كاتب السيرة المعروف: قيل: القاتل له (اي لمرحب) على كرم الله وجهه و به جزم مسلم رحمه الله في صحيحه. قال بعضهم: و الاخبار متواترة به و قال ابن الاثير: الصحيح الذي عليه أهل السير و الحديث أن عليا قاتله كرم الله وجهه «١».

و لقد وقع الطبرى في تاريخه، و ابن هشام في سيرته في شيء من الاضطراب و الفوضى و كتب قصة هزيمة و رجوع الرجلين اللذين كلفا قبل على عليه السلام بفتح قلاع اليهود بصورة لا تتفق مع مفهوم الجملة التي قالها رسول الله صلى الله عليه وآله في حق على عليه السلام.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقه: «و ليس بفزار» «٢» يعنى أن الذى سوف يعطيه الراية لا يفر أبدا، و مفهوم هذه الجملة هو أن عليا عليه السلام لا يفرّ و لا يجبن أمام العدو كما فر القائدان السابقان، و هذا يعنى أن القائدين السابقين فرّا أمام العدو، و أخليا الساحة، في حين أن الكاتبين المذكورين لا يذكران مسألة فرار القائدين المذكورين، و إنما يكتبان رجوعهما كما لو أنهما قد أذيا وظيفتهما القتالية و العسكرية على الوجه الكامل، و لكنهما لم يوفقا للفتح «٣».

(٢)

### ثلاث نقاط مشرقه في حياة على عليه السلام:

و نختم هذا البحث بذكر ثلاث فضائل لفاتح خيبر ذكرها أحد خصومه لها ارتباط بموقفه عليه السلام في خيبر:

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٨، و راجع زاد المعاد: ج ٢ ص ١٣٤ و ١٣٥.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٦٥٣.

(٣) السيرة النبوية: ج ٣ ص ٣٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٥

أمر معاوية سعد بن أبي وقاص يوما فقال: ما منعك ان تسبّ أبا التراب؟

فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهنّ له رسول الله صلى الله عليه وآله فلن أسبّه لأن تكون لى واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم.

ثم أخذ سعد فى عدّ تلك المناقب فقال:

(١) ١- سمعت رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم يقول له خلفه فى بعض مغازيه فقال له على: يا رسول الله خلفتني مع النساء و الصبيان؟

فقال له رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم.

«أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدى» (١).

(٢) ٢- و سمعته يقول يوم خيبر:

لا أعطين الراية رجلا يحبّ الله و رسوله و يحبه الله و رسوله. قال فتناولنا لها فقال: ادعوا لى عليا. فاتى به أرمم فبصق فى عينه، و دفع الراية إليه، ففتح الله عليه (٢).

(٣) ٣- و لما نزلت هذه الآية «فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و أنفسنا و أنفسكم ثم نبتهل...» دعا رسول الله صلى الله عليه [و آله] و سلّم عليا و فاطمة و حسينا فقال:

«اللهم هؤلاء أهل بيتى» (٣) (٤).

(٤)

## عوامل الانتصار:

### إشارة

فتحت حصون «خيبر»، و استسلم اليهود للمسلمين بشروط خاصة، و لكن يجب أن نرى ما هى العوامل التى ادت إلى هذا الانتصار، فهذا هو فى الحقيقة

(١) و هى إشارة إلى واقعة تبوك.

(٢) و هى إشارة إلى واقعة خيبر.

(٣) و هى إشارة إلى قصة مباحلة النبي نصارى نجران.

(٤) صحيح مسلم: ج ٧ ص ١٢٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٦

النقاط الهامة فى هذا القسم.

إن انتصار المسلمين الساحق في هذه الغزوة يعود إلى عوامل يمكن الإشارة إليها على نحو الاجمال ثم شرحها بالتفصيل في ما بعد.

- ١- التخطيط العسكري و التكتيك الحربى الدقيق.
  - ٢- تحصيل المعلومات و معرفة أسرار العدو الداخلية.
  - ٣- تفانى الامام على بن أبى طالب، و بطولته النادرة. و هنا نحن ندرس هذه الامور الثلاثة على وجه التفصيل:
- (١)

### ١- التخطيط و التكتيك العسكرى الدقيق:

لقد هبط الجيش الاسلامى فى منطقة قطع بها المسلمون ارتباط اليهود باصدقائهم القدامى (قبائل غطفان). و قد كان بين قبائل غطفان فرسان كثيرون، و لو استطاعوا أن يعينوا اليهود فى هذه الموقعة لما أمكن فتح حصون خيبر. فان «غطفان» لما سمعت بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خيبر خرجوا ليظاهروا اليهود عليه، و لكنهم ما أن سمعوا الشائعة التى مفادها أن أصحاب محمّد قد قصدوهم من طريق آخر ظنوا انهم سيهاجمون أموالهم و أهلهم فرجعوا من منتصف الطريق على أعقابهم، و أقاموا فى أهلهم و أموالهم و خلّوا بين رسول الله صلى الله عليه وآله و بين «خيبر». يقول المؤرخون: إن هذه الشائعة كانت نتيجة نداء غيبي سمعه رجال غطفان فظنوا أن المسلمين داهموا أهلهم «١» و لكنه ليس من المستبعد أن تكون هذه الشائعة من فعل المسلمين المتستترين من قبائل غطفان، و الذين امرؤا بأن يتظاهروا بالكفر، و يبقوا فى قبائلهم حتى يعينوا إخوانهم المسلمين فى اللحظات

(١) المغازى: ج ٢ ص ٦٥١-٦٥٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٧.

المناسبة.

فخططوا لهذه الموقعة بمهارة كبيرة و كانوا فى ذلك ناجحين جدا الى درجة أنه تسبب فى أن تعدل إمدادات غطفان العسكرية لليهود من مواصلة مسيرها إلى «خيبر»، و العودة إلى أهلهم و ترك اليهود و شأنهم. و قد سبق لهذا نظير فى معركة «الاحزاب» يوم امتنعت قبائل غطفان عن نصره اليهود بسبب شائعة بثها بينهم رجل من المسلمين من بنى غطفان يدعى «نعيم بن مسعود»، و تفرّق على أثره جماعة الاحزاب، و انفرط عقدهم.

(١)

### ٢- تحصيل المعلومات حول العدو:

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله كما أسلفنا مرارا يولى تحصيل المعلومات و معرفة أسرار العدو، أهمية كبيرة. و لهذا بعث قبل محاصرة «خيبر» طليعة من المسلمين و أمر عليهم «عبد بن بشر» و وجههم إلى «خيبر»، فالتقوا بيهودى قرب حصون «خيبر»، و بعد التحقيق معه تبين أنه عين لليهود يتجسس لهم الاخبار فأخذوه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله عن أوضاع اليهود فى حصون «خيبر».

فقال: أفتؤمننى يا أبا القاسم على أن اصدقك؟ فأمنه عباد.

فقال اليهودى: القوم مرعوبون منكم خائفون و جلون لما قد صنعتم بمن كان يشرب.

ثم قال: خرجت من حصن «النطاة» من عند قوم ليس لهم نظام تركتهم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة الى «الشق» و قد رعبوا منك حتى أن أفندتهم لتخفق، فاذا دخلت الحصن غدا و أنت تدخله، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن شاء الله، قال اليهودى إن شاء الله أوقفك على حصن اليهود الذى فيه منجنيق مملكة و دبابتان و سلاح من دروع و بيض و سيوف، فانصب المنجنيق على حصن الشق و تدخل الرجال تحت الدبابتين فيحفرون الحصن فتفتحه من

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٨

يومك «١».

إن النبى صلى الله عليه وآله و إن لم يستخدم هذه الادوات التخريبية إلا أن المعلومات التى وقف عليها من ذلك اليهودى الأسير كانت مهمة لأنها أوضحت نقطة الحملة غدا، و عرف النبى صلى الله عليه وآله أن التغلب على حصن «النطاة» لا يحتاج الى قوة كبيرة، و أنه لا بد من رعايه المزيد من الحيطه و الحذر عند فتح حصن «الشق».

(١) نموذج آخر: عند فتح إحدى القلاع أتى يهودى إلى النبى صلى الله عليه وآله بعد ثلاثة أيام مضت على محاصرتها و قال- و لعله لتخليص نفسه-: إنك لو اقامت شهرا ما بالوا، لهم جدول تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربون بها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمنعون منك، فان قطعت مشربهم عليهم ضجهم.

و فى رواية أن النبى صلى الله عليه وآله لم يوافق على قطع الماء عن العدو «٢».

و فى اخرى؛ قطع عليهم مشاربهم موقتا فلم يطبقوا المقام على العطش «٣».

(٢)

### ٣- تفانى امير المؤمنين:

و لقد ذكرنا تغانى على بن أبى طالب، و بطولته فى هذه الموقعة بصورة مجمله، و ها نحن نقل عبارة قالها هو عليه السلام عن هذه المسألة:

وردنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله خبير على رجال من اليهود و فرسانها من قريش و غيرها، فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل و الرجال و السلاح، و هم فى أمتع دار و أكثر عدد، كل ينادى و يدعو و يبادر إلى القتال، فلم يبرز إليهم من أصحابى أحد إلا قتله حتى احمرت الحدق، و دعيت إلى النزال، و أهمت كل امرئ نفسه، و التفت بعض أصحابى إلى بعض و كل يقول: يا أبا الحسن انهض.

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٥.

(٢) ناسخ التواريخ: ج ٢ ص ٢٩٩. المصدر السابق ص ٤٠.

(٣) الخصال: ص ٣٦٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٠٩

فأنهضنى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دارهم فلم يبرز إلى أحد منهم إلا قتله، و لا يثبت لى فارس إلا طحته، ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسددا عليهم فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدى أقتل من يظهر فيها من رجالها، و أسبى من أجد من نساها حتى افتتحتها وحدى و لم يكن لى فيها معاون إلا الله وحده «١».

(١)

**الرحمة في ساحة القتال:**

عند ما افتتح حصن «القموص» سببت «صفية بنت حبي بن أخطب» وامرأة أخرى، فمر بهما «بلال» على القتلى فصاحت صفية صياحا شديدا جزعة مما رأت، فكره رسول الله صلى الله عليه وآله ما صنع بلال وقال صلى الله عليه وآله: «أذهب منك الرحمة؟ تمر بجارية حديثه السنن على القتلى؟».

فقال بلال: يا رسول الله ما ظننت أنك تكره ذلك، وأحبت أن ترى مصارع أهلها «٢».

ولم يكتف رسول الله صلى الله عليه وآله به هذا القدر من تطيب خاطر «صفية» بل احترامها، وعين لها مكانا خاصا للاستراحة في المعسكر، واختارها زوجة لنفسه، وبهذا الطريق أزال آثار ذلك الصنيع السيئ الذي قام به بلال.

لقد تركت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله وتعامله الانساني الرفيع مع «صفية» أثرا حسنا في نفسها، فقد صارت في ما بعد من أزواج النبي صلى الله عليه وآله الوفيات المخلصات، وقد حزن عند وفاته، وبكت له أكثر من بقية أزواجه «٣».

(١) الخصال: ص ٣٦٩ باب السبعة.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٦٧٣، تاريخ الطبري: ج ٣ ص ٣٠٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٣٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٠

(١)

**مصرع كنانة بن الربيع:**

منذ أن أجلي «بنو النضير» عن المدينة وسكنوا «خيبر» أحدثوا صندوقا لجمع الأموال لإدارة شئونهم العامة، ولسد نفقات الحروب، ولإعطاء دية كل من كان يقتل من بني النضير.

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن هذا الكنز وهذه الأموال قد أودعت عند «كنانة بن الربيع» زوج «صفية»، فلما افتتح صلى الله عليه وآله عليه وآله خيبر طلب الربيع وسأله عن كنز اليهود، فأنكر ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحبسه، ثم عرف بعد التحقيق من اليهود، بمكان ذلك الكنز، وقد كان بخربة، إذ قال له يهودي إنني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة أيام الحرب فأمر رسول الله بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض ذلك الكنز، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله «كنانة» عما بقي فأبى أن يؤديه أو يخبر بموضعه، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه قصاصا لأخيه الذي قتل في وقع خيبر «محمود بن مسلمة» والذي قتله اليهود بالقاء رحي من حجر من فوق حصونهم على رأسه، وإنما قتل رسول الله صلى الله عليه وآله كنانة بضرب عنقه، لتواطئه ضد الإسلام، وكتمانه مثل هذا الأمر، وتأديبا لغيره من اليهود حتى يتورعوا عن حبك المؤامرات ضد رسول الإسلام و ضد أصحابه، و ضد الحكومة الإسلامية، وكان «كنانة» آخر من قتل من يهود خيبر «١».

(٢)

**تقسيم غنائم الحرب:**

بعد افتتاح حصون «خيبر»، و تجريد العدو من كل أسلحته، و جمع الغنائم أمر

(١) السيرة النبوية: ج ٣ ص ٣٣٧، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١١

رسول الله صلى الله عليه وآله بأن تجمع الغنائم كلها في مكان واحد، ثم أمر صلى الله عليه وآله رجلا بأن ينادى في الناس:

«أدوا الخيط و المخيط، فانّ الغلول عار و شنار و نار يوم القيامة» (١).

(١) و لقد شدّد قادة الاسلام و ائمة الحقيقين على أهميّة الامانة تشديدا بالغا حتى أنهم اعتبروا ردّ الامانة - مهما صغرت و دقت - من علامات الايمان، و الخيانة و عدم ردّها من علائم النفاق.

من هنا عند ما عثر رسول الله صلى الله عليه وآله في رحل مسلم من المقاتلين شيئا من أموال الغنيمة لم يردّها إلى بيت المال لم يصلّ على جنازة ذلك الرجل عند ما استشهد، و إليك تفصيل هذه الحادثة.

لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه من خيبر و مع رسول الله صلى الله عليه وآله غلام له، يقوم له بشئونه، و فيما كان ذلك يضع رحل النبي صلى الله عليه وآله إذ أتاه سهم لا يعلم راميه فأصابه فقتله، فقال المسلمون:

هنيئا له الجنة.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«و الذي نفس محمد بيده إن شملته (٢) الآن لتحترق عليه في النار، كان قد غلّها من فيء المسلمين يوم خيبر!!»

(٢) فسمع رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله هذا الكلام فأتاه و قال:

يا رسول الله، أصبت شركين نعلين لي فقال صلى الله عليه وآله «يقدّ لك مثلهما في النار» (٣).

و هذه القصة تفضح أيضا دسائس بعض المستشرقين، لأنهم كانوا يصفون حروب الاسلام و معاركه العادلة بأنها كانت من أجل الاغارة على أموال الناس

(١) وسائل الشيعة: ج باب جهاد النفس الحديث ٤، المغازي: ج ٢ ص ٦٨١.

(٢) الشملة كساء غليظ يلتحف به.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٩، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٢

و مصادرتها كما يفعل قطاع الطرق، متجاهلين عمدا و كيدا الأهداف الإنسانية و الالهية العليا لهذه المعارك و الغزوات، و الحال أن مثل هذه الانضباطية و النظم و الورع ممّا لا يمكن تصوره في قوم همهم الاغارة و النهب و السلب.

إن قائد شعب أو قوم هذا هو همهم و هذه هي همتهم لا يمكن أبدا أن يعتبر ردّ الامانة من واجبات الدين و من علائم الايمان، كما لا يمكنه أن يربى أتباعه و أصحابه بمثل هذا التربية الرفيعة، بحيث يجعله يجتنب عن سرقة صغيرة جدا مثل غلّ شركي نعلين لا قيمة لهما تذكر.

(١)

### قافلة من أرض الذكريات:

قبل أن يتوجّه رسول الله صلى الله عليه وآله بالمسلمين الى «خيبر» بعث «عمرو بن أمية» إلى البلاط الحبشي لغرض إيصال رسالته



إلى ملك الحبشة النجاشي، و ليطلب منه أن يهيء المقدمات اللازمة لترحيل المسلمين المهاجرين من الحبشة الى المدينة. فهتياً النجاشي سفينتين لأولئك المهاجرين بعد أن جهزهم بجهاز حسن و امر لهم بكسوة، فسارت بهم حتى وصلت إلى السواحل القريبة من المدينة.

و لما علم المسلمون بمسير رسول الله صلى الله عليه وآله إلى «خير» توجهوا من فورهم الى «خير» فقدموا مع «جعفر بن أبي طالب» على رسول الله صلى الله عليه وآله يوم «خير» بعد أن افتتحت جميع حصون اليهود و قلاعهم.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جعفر مشى في استقباله (١٢) خطوة ثم قبل ما بين عينيه و التزمه و قال: «ما أدري بأيهما أنا اسرّ بفتح خير أم بقدم جعفر؟».

و في رواية اخرى قال صلى الله عليه وآله:

«لا أدري بأيهما أنا أشدّ فرحاً بقدمك يا جعفر أم بفتح الله على أخيك خير».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لجعفر:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٣

«يا جعفر ألا امنحك؟ ألا اعطيك ألا أحبك؟».

فظن الناس أنه يعطيه ذهباً أو فضة، فتشوّف الناس لذلك. فقال له:

أنى اعطيك شيئاً إن أنت صنعته في كل يوم كان خيراً لك من الدنيا و ما فيها».

ثم علمه صلى الله عليه وآله الصلاة المعروفة بصلاة جعفر الطيار «١».

(١)

### حجم الخسائر و عدد القتلى:

لم يتجاوز عدد قتلى المسلمين في هذه الغزوة ٢٠ شخصاً و لكن قتل من اليهود أكثر من هذا بكثير، و قد سجل التاريخ أسماء ٩٣ رجلاً منهم «٢».

(٢)

### العفو بعد الانتصار:

المؤمنون بالله و اصحاب المروءات من البشر يعاملون العدو المنهزم المقهور عند الغلبة عليه و الظفر به باللطف و الحب، و يعفون عنه و يتناسون روح الانتقام، أجل إنهم يشملون العدو منذ استسلامه بعطفهم و حنانهم و تلك هي حقيقة اثبتتها وقائع التاريخ الحية.

و كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وآله عند ما تغلب على يهود خيبر فقد عاملهم بعد الانتصار معاملة حسنة، و شملهم بعفوه، و لطفه رغم كل ما ارتكبه في حق رسول الله صلى الله عليه وآله من ظلم و جناية و تأليب للعرب الوثنيين ضد الاسلام، و اشعال

حروب كادت أن تودي بالحكومة الاسلامية و تستأصل المسلمين، و تقضى على جهود رسول الإسلام.

فقد قبل بطلب اليهود بأن يسكنهم في خيبر كما كانوا، و أن يترك أراضيهم

(١) فروع الكافي: ج ١ ص ١٢٩ و ١٣٠، الخصال: ج ٢ ص ٨٢ و ٨٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٤

و بساينهم بأيديهم، على أن يكون له نصف محاصيلها سنويا.

بل إن النبي صلى الله عليه وآله - كما يروى ابن هشام - هو الذى اقترح هذا الأمر على اليهود، و ترك لهم حرية التصرف فى مزارعهم و أراضيهم ليغرسوا أو يزرعوا ما يريدون من الشجر «١».

(١) لقد كان فى مقدور النبي صلى الله عليه وآله، كأى فاتح آخر، أن يريق دمهم جميعا، أو أن يجلبهم برمتهم من أراضيهم، أو يجبرهم على اعتناق الاسلام، و لكنّه - خلافا لتصور زمرة مغرضه من المستشرقين، و طلائع الاستعمار الثقافى الذين يتصورون و يزعمون بأن الاسلام دين القهر و القوة، و ان المسلمين أجبروا الامم و الأقوام المغلوبة على ترك عقائدها، و اعتناق الاسلام لم يفعل مثل هذا العمل قط، بل تركهم أحرارا فى ممارسة شعائرهم، و البقاء على ما كانوا يعتقدونه من اصول دينهم و فروعه.

(٢) و لم يحارب رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه يهود «خير» إلا لأن «خير» قد تحوّلت إلى بؤرة خطيرة للمؤامرة، و الكيد بالاسلام و المسلمين، فقد كانوا يمدّون المشركين بكل ما يريدون للقضاء على الحكومة الاسلامية الحديثة التأسيس، و لهذا اضطر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مقاتلتهم، و تجريدهم من أسلحتهم، حتى يعيشوا تحت ظل الحكومة الاسلامية بمنتهى الحرية، و يشتغلوا بمشاغلهم فى الزراعة، و يقيموا شعائرهم الدينية من دون أن يجدوا فرصة للمشاغبة و التآمر ضدّ رسالة التوحيد الكبرى، اذ كانوا يسببون مشاكل كبيرة للمسلمين - فى غير هذه الصورة - و يمنعون من تقدّم الاسلام و انتشاره.

(٣) و أما الجزية «٢» فقد كان لقاء دفاع الحكومة الاسلامية عنهم، و حمايتهم من الأعداء، و توفير الأمن لهم، إذ كان حماية أموالهم و أنفسهم من وظائف المسلمين.

ثم ان المحاسبة الدقيقة تقودنا إلى أن ما كان يدفعه المسلمون إلى الحكومة

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٧.

(٢) الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٥

الإسلامية من الضرائب الاسلامية كان أكثر بكثير ممّا كان يدفعه اليهود. و النصارى إلى الحكومة الاسلامية بعنوان الجزية.

فقد كان يتوجب على كلّ مسلم أن يدفع الى الحكومة الاسلامية الخمس و الزكاة و ربما توجب عليه ان يدفع شيئا من أصل ماله لسدّ نفقات و احتياجات الحكومة الاسلامية بينما كان اليهود و النصارى الذين كانوا يعيشون فى ظلّ الحكومة الاسلامية فى أمن و أمان و يتمتعون بجميع الامتيازات و الحقوق الاجتماعية الفردية يدفعون إلى الحكومة الاسلامية الجزية بدل ما كان يدفعه المسلمون، فالجزية شىء و الأتاوة شىء آخر، على خلاف ما يروجه بعض الكتاب المغرضين.

(١) و لقد كان عامل الجباية الذى كان يزور خبير بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لتقدير حجم المحاصيل فيها، ثم تصنيفها رجلا عادلا و رعا إلى درجة أن اليهود أنفسهم أعجبوا بعدله، و اعترفوا بانصافه، و هو «عبد الله بن رواحة» الذى استشهد فيما بعد، فى موقعة «مؤتة».

فقد كان «ابن رواحة» يخمن نصيب المسلمين من محاصيل خبير، و ربما تصوّر اليهود أنه أخطأ فى التخمين و الخرص، و خمن أكثر ممّا هو الحق فقالوا له:

تعديت علينا!

فكان عبد الله يقول: إن شئتم فلکم و إن شئتم فلنا.

فتقول اليهود- معجبة بهذا الانصاف العظيم و العدل الكبير الذى كان يتحلى به مخرّص الحكومة الاسلامية:- بهذا قامت السماوات و الارض «١».

و لقد حصل المسلمون أثناء جمع غنائم «خيبر» على قطعة من التوراة، فطلبت اليهود من النبي صلى الله عليه وآله أن يعيدها إليهم، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله مسئول بيت المال باعادتها إليهم «٢».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٥٤.

(٢) المغازى: ج ٢ ص ٦٨٠، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٦.

و هذا يكشف عن احترام رسول الله صلى الله عليه وآله للشرائع الاخرى.

(١)

### سلوك اليهود المتعجرف:

فى قبال كل هذه الألفاف لم تكف اليهود عن خيانتها و كيدها، بل ظلت تخطط- فى الخفاء- للايقاع برسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه، و الحاق الاذى بهم.

و لنقف فيما يأتى على نموذجين من هذا الأمر:

(٢) ١- لما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله قزرت جماعة من اليهود فى الخفاء أن تقضى على رسول الله صلى الله عليه وآله بدس سم إليه. فأهدت له «زينب بنت الحارث» زوجة «سلام بن مشكم اليهودى» شاة مشوية و قد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقبل لها الذراع، فاكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وآله تناول الذراع، فلاك منها مضغة فلم يسغها، و معه «بشر بن البراء بن معرور» قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله فآما بشر فقد ابتلعها، و أما رسول الله صلى الله عليه وآله فقد لفظها و عرف بأنها مسمومة، و مات بشر من أكلته التى أكل ثم دعا زينا، و قال لها: سممت الذراع؟ فاعترفت. فقال لها: ما حملك على ذلك، قالت: قتلت أبى و عمى و زوجى، و نلت من قومى ما نلت فقلت: إن كان ملكا استرحت منه، و ان كان نبيا فسيخبر. فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وآله، و لم يلاحق من تواطؤوا معها «١».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٧ و ٣٣٨ و المغازى: ج ٢ ص ٦٧٧ و ٦٧٨. و امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٢٣. هذا و المعروف أن النبى صلى الله عليه وآله قال فى: مرضه الذى مات فيه: إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت بخير، فإن النبى، و ان كان لفظ-

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٧.

(١) لا شك لو أن مثل هذه الحادثة حدثت لغير رسول الله صلى الله عليه وآله من القادة و الزعماء لصبغوا الارض بدماء من ظنوا أنه قصد قتلهم، أو ملأوا السجون بهم و حبسوهم، أعواما مديدة او اخضعوهم لاشد انواع التعذيب الجسدى و النفسى كما يحدثنا بذلك التاريخ القديم و الحديث.

إن هذه المؤامرة الدنيئة التى قامت بها امرأة من اليهود جعلت الكثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يسيئون الظن بصفية اليهودية التى أصبحت فى عداد ازواج النبى صلى الله عليه وآله.

فقد باتوا يتصوّرون أنها ربما أقدمت في ليلة من الليالي على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولهذا عند ما أعرس رسول الله صلى الله عليه وآله بها بخيبر أو في أثناء الطريق بات «أبو أيوب الانصاري» يحرس قبيلة رسول الله صلى الله عليه وآله التي دخل بها بصفيّة ليلة عرسه بها، وبقى يطوف بالقبّة حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رأى أبا أيوب قال: مالك يا أبا أيوب؟

قال: يا رسول الله خفت عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباهما وزوجها وقومها وكانت حديثه عهد بكفر، فخفتها عليك. فشكره رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعا له بخير «١».

(٢) ٢- والنموذج الثاني من جفاء اليهود، وكيدهم حتى بعد عفو النبي عنهم، ولطفه بهم أن «عبد الله بن سهيل» الذي كلف من جانب النبي صلى الله عليه وآله في إحدى السنين بخرص محاصيل خيبر وتقديرها وحمل نصيب المسلمين منها إلى المدينة قتله جماعة مجهولة من اليهود أثناء قيامه بواجبه في خيبر وقد كسروا

المضغة إلا ان بقايا السم اختلط بزرقه الشريف، وأثر في جسمه المبارك حتى أودى بحياته المقدسة بعد حين.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٣٩ و ٣٤٠، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٨

عنقه وألقوه في بئر، فقدم جماعة من زعماء اليهود المدينة ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبروه بهذه العملية الغادرة المجهول فاعلمها، وتقدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا «عبد الرحمن» أخو عبد الله بن سهل وابنا عمه وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا وكان صاحب الدم فلما تكلم قبل ابني عمه قال رسول الله: الكبر الكبر (أى قدّموا الأكبر للكلام إرشادا إلى الأدب في تقديم الأسنّ وهو خلق يدعو إليه الإسلام).

فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وآله قتل صاحبهم وطلبوا القصاص فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أ تسمون قاتلكم، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلمه إليكم».

(١) وحمل هذا التعليم النبوي أولياء الدم على أن يجعلوا التقوى والورع نصب أعينهم ولم يستسلموا لثورة العاطفة فقالوا: يا رسول الله ما كنا لنحلف على ما لا نعلم.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أ فيحلفون (أى يحلف اليهود) بالله خمسين يمينا ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلا، ثم بيرءون من دمه؟».

قالوا يا رسول الله ما كنا لنقبل أيمان اليهود، ما فيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم.

فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يهود خيبر كتابا فيه: انه قد وجد قتيل بين أياتكم فدوه (أى أعطوا ديتة).

فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه، ولا يعلمون له قاتلا.

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أن المشكلة قد وصلت إلى طريق مسدودة وداه بنفسه من عنده مائة ناقة «١».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٥٤-٣٥٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤١٩

وهكذا اثبت النبي صلى الله عليه وآله لليهود مرة أخرى بأنه ليس داعية حرب ولا طالب قتال و سفك دماء، ولو كان كغيره من الزعماء و السياسيين لاتخذ من قصة مقتل عبد الله ذريعة للقضاء على حياة تلك الزمرة المعتدية، المشاغبة المخلة بالأمن «١» إن النبي صلى الله عليه وآله كما يصرّح بذلك القرآن الكريم و يصفه: نبى الرحمة، فهو لا يحتكم الى السيف ما لم يبلغ الامر مداه.

(١)

**حيلة مجازة:**

كان في خيبر تاجر يدعى الحجاج بن علاط السلمى له تجارة مع أهل مكة، و كان ممن حضر يوم خيبر. و شاهد لطف النبي و رحمته فأسلم طائعا راغبا.

و لما فرغ المسلمون من أمر «خيبر» أتى رسول الله صلى الله عليه وآله و قال:  
يا رسول الله إن لى بمكة مالا متفرقا فى تجار مكة فاذن لى يا رسول الله صلى الله عليه وآله أن احتال لأخذها، فاذن له رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك ليستنقذ أمواله من المشركين و غيرهم فى مكة.  
فقدم مكة، فرآه رجال قريش اجتمعوا حوله و أخذوا يسألونه عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يكونوا علموا بإسلامه فأجابهم قائلا: لقد هزم محمد بخيبر هزيمة لم تسمعوا بمثلا قط، و قتل أصحابه قتل لم تسمعوا بمثله قط، و اسر محمد اسرا، و قالت اليهود: لا نقتله حتى نبعث إلى أهل مكة فيقتلوه بين

(١) لم تنحصر تعديت اليهود و تجاوزاتهم على ما ذكرناه فلطالما خططوا و دبّروا الحيل للاحاق الأذى و الضرر بالمسلمين، و من جملة ذلك حادث عبد الله بن عمر الذى ذهب إلى خيبر فى عهد الخليفة الثانى لعقد اتفاقية مع أهلها فاعتدوا عليه بالضرب فلما عرف بذلك عمر رأى أن يجلبهم من خيبر لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان» فقال لصحابة النبي صلى الله عليه وآله من كان له حق عند اليهود فليأخذه ثم أجلاهم من خيبر جزاء كيدهم و تأمرهم المستمر. (المصدر).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٠

أظهرهم انتقاما لمن أصاب من رجالهم.

(١) ففرح سادة قريش لهذا الخبر الكاذب فرحا شديدا، ثم قال الحجاج لهم.

أعينونى على جمع مالى بمكة و على غرمائى فإنى أريد أن اقدم خيبر فأصيب من محمد و أصحابه قبل أن يسبقنى التجار الى ما هنا لك فجمعوا له ماله كاسرع ما يكون.

فلما سمع «العباس بن عبد المطلب» هذا الخبر جاء الى الحجاج و قال يا حجاج ما هذا الخبر الذى جئت به، فأشار الحجاج إلى العباس بأنه سيخبره بحقيقته الأمر، ثم التقى العباس خفية و أخبره بأنه ماكر أهل مكة، و أن النبي ظفر بيهود خيبر، و طلب من العباس أن يكتم ذلك حتى يغادر مكة، و ينجو بنفسه و ماله.

فلما فرغ من جميع ماله كله غادر مكة بسرعة فائقة. (٢) فلما مضى على ذلك ثلاثة أيام و اطمأن العباس من نجاه الحجاج لبس حلة جميلة، و تعطر و أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى الكعبة فتعجبت قريش لذلك، و ظنت أنه فعل ذلك تجلدا، فقالت للعباس: يا أبا الفضل هذا و الله التجلد لحز المصيبة، قال: كلا، و الله الذى حلفتكم به، لقد افتتح «محمد» خيبر، و ترك عروسا على بنت ملكهم، و أحرز أموالهم و ما فيها، و أصبحت له و لأصحابه.

فقالوا: من جاءك بالخبر.

فقال: الذى جاءكم بما جاءكم (و يعنى الحجاج الذى احتال عليهم). و لقد دخل عليكم مسلما، فأخذ ماله، و انطلق ليلحق بمحمد و أصحابه، فيكون معه.

فغضبت قريش لهذه المكيدة و انزعجت انزعاجا شديدا، و لكن بعد فوات الأوان، و لم يلبثوا أن جاءهم خبر انتصارات المسلمين الساحقة على اعدائهم «١».

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٤، زاد المعاد: ج ٢ ص ١٤٠، و السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٤٥ و ٣٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢١

(١)

## ٤٥ قصة فدك

### إشارة

كانت «فدك» منطقة خصبة، كثيرة الخير، قرب خيبر، و هي تبعد عن المدينة بما يقرب من (١٤٠) كيلومترا، و كانت تعتبر بعد حصون خيبر النقطة الهامة التي يعتمد عليها يهود الحجاز «١».

و قد ملأت القيادة الاسلامية- بعد أن هزم اليهود في خيبر و وادي القرى و تيماء الفراغ الذي حصل في شمال المدينة- بالقوة العسكرية الاسلامية.

و لأجل أن تنهى الوجود السياسى اليهودى في هذه المنطقة التي كانت بمثابة منبع خطر، و بؤرة شغب ضدّ الاسلام، بعثت القيادة الاسلامية سفيرا الى سادة فدك و زعمائها، لمعرفة موقفهم فأثر «يوشع بن نون» الذي كان يرأس سكان تلك المنطقة، الصلح و السلام على الحرب و القتال، و تعهد بأن يسلم كل سنة نصف محاصيل فدك الى رسول الله صلى الله عليه و آله «٢».

و أن يعيش هو و قومه من الآن تحت راية الحكومة الاسلامية، و لا- يشاغب و لا- يتآمر ضدّ المسلمين، على أن تتعهد الحكومة الاسلامية- في مقابل هذا المبلغ- بتوفير الأمن في المنطقة.

(١) راجع كتاب «مراصد الاطلاع» ج ٣ ص ١٠٢٠ ماده فدك.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٥٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٣١، فتوح البلدان: ص ٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٢

### حكم الاراضى المفتوحة بلا قتال:

(١) و من الجدير بالذكر هنا أن الاراضى التي يسيطر عليها المسلمون بالحرب و القتال تعود ملكيتها الى عامة المسلمين و يكون إدارتها بيد القائد الأعلى للامة.

أما الاراضى التي لم يوجف عليها بخيل و لا- ركاب و لم يسيطر عليها المسلمون بالقتال فتكون لرسول الله صلى الله عليه و آله و الامام من بعده خالصه، فهو يتصرف فيها كما يشاء و يرى، فله أن يهبها، و له أن يؤجرها، و من جملة ماله أن يفعل فيها هو أن يهبها لأقربائه فيسدوا بها حاجتهم، و يديروا بها معيشتهم «١».

و على هذا الاساس و هب رسول الله صلى الله عليه و آله فدكا لابنته الطاهرة فاطمة الزهراء، و قد أريد من إيهاب هذه الارض لها- كما تشهد بذلك القرائن- أمران:

(٢) ١- أن قيادة الامه كانت بعد رسول الله صلى الله عليه و آله كما صرح النبي بذلك مرارا، ل: «على بن أبى طالب»، و مثل هذه المسئولية الثقيلة تحتاج و لا شك الى ميزانية كبيرة، فكان لعلى عليه السلام أن يصرف من أموال فدك و عائداتها اذا صارت تحت تصرفه اكبر قدر ممكن ليحفظ به ذلك المنصب، و يستطيع القيام بمتطلباته.

و كأن جهاز الخلافة- بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أدرك هذه الحقيقة، و لهذا عمد منذ الايام الاولى لوفاء رسول الله صلى الله عليه وآله الى انتزاع فدك من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) ٢- لقد كان من الواجب أن تعيش ذرية النبي صلى الله عليه وآله التي كان يتمثل مصداقها الكامل في وحيدة رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء،

(١) و قد طرحت هذه المسألة في الآية ٦ و ٧ من سورة الحشر و عولجت في الكتب الفقهية في باب الجهاد تحت عنوان «الفيء» و «الأنفال».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٣

و ابنها الحسن و الحسين عليهما السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله بصورة تليق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله و شرفه، و مكانته السامية.

و لهذا الهدف و هب رسول الله صلى الله عليه وآله فدكا لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام.

(١) يقول المفسرون و المحدثون الشيعة و بعض علماء السنة انه لما نزل قوله تعالى:

«وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ» (١).

دعا رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة و فوض إليها فدكا (٢)، و قد روى هذا الأمر ابو سعيد الخدرى و هو من كبار صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله.

و يعترف جميع المفسرين، سنة و شيعة، بان هذه الآية نزلت في حق أقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله، و ابنته الزهراء اظهر و أقوى مصاديق «ذى القربى»، حتى انه كان على بن الحسين السجاد فى الشام بعد واقعة كربلاء، و سأله بعض الشاميين عن نسبه، فتلا عليه السلام الآية المذكورة للتعريف بنفسه، و حيث إن مفاد الآية و المراد بها كان معلوما عند المسلمين كافة قال الشامى متعجبا: و انكم للقرباء الذى أمر الله أن يؤتى حقه (٣).

(٢) و خلاصة القول ان ثمة اتفاقا بين علماء السنة و الشيعة فى أن هذه الآية قد نزلت فى شأن الزهراء و ابنها، نعم هناك خلاف فى ان رسول الله صلى الله عليه وآله و هب ساعة نزول هذه الآية فدكا لابنته فاطمة، أم لا، و لقد اتفق علماء الشيعة على الشق الأول، و ذهبوا إلى ان النبي صلى الله عليه وآله و هب فدكا عند نزول الآية لفاطمة و وافقهم على ذلك جمع من علماء السنة.

و قد أراد المأمون العباسى (لسبب ما) إعادة فدك إلى بنى الزهراء فكتب

(١) الاسراء: ٢٦.

(٢) مجمع البيان: ج ٣ ص ٤١١، شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٢٦٨، الدر المنثور: ج ٤ ص ١٧٧.

(٣) الدر المنثور: ج ٤ ص ١٧٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٤

الى المحدث المعروف «عبد الله بن موسى» و طلب منه أن يرشده فى هذا الامر، فكتب إليه عبد الله بن موسى الحديث المذكور الذى يوضح شأن نزول هذه الآية، فاعاد المأمون فدكا الى أبناء الزهراء، و ذريتها (١) فكتب الخليفة العباسى إلى واليه على المدينة يومذاك بأن رسول الله صلى الله عليه وآله و هب فدكا لابنته فاطمة الزهراء، و هذا أمر مسلم، و لا خلاف فيه بين ابناء الزهراء.

(١) و قد جلس المأمون ذات يوم على كرسى خاص للاستماع إلى مظالم الناس و شكواياتهم، فكانت أول ما أعطى له، رسالة وصف صاحبها نفسه فيها بأنه يدافع عن الزهراء، فقرأ المأمون الرسالة و بكى مدته، ثم قال: من هو المحامى عن الزهراء؟ فقام شيخ كبير، و



قال: أنا هو ذا، فانقلب مجلس المأمون من مجلس القضاء الى مجلس حوار و مناظرة بين المأمون و بين ذلك الشيخ، و أخيرا وجد المأمون نفسه مغلوبا محجوجا فأمر رئيس ديوانه بان يكتب كتاب ردّ فدك إلى ابناء الزهراء، فكتب ذلك الكتاب، و وشحه المأمون بتوقيعه، و في هذه المناسبة قام دعبل الذي حضر ذلك المجلس و أنشأ شعرا هذا مطلعته:

أصبح وجه الزمان قد ضحكابردّ مأمون هاشم فدكا «٢» (٢) و ليس الشيعة بحاجة- في اثبات ان فدكا كان ملكا طلقا و خالصا للزهراء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله إلى الدلائل المذكورة، لأن الصديق الاكبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد صرح بمالكيته بفدك في إحدى رسائله الى واليه على البصرة عثمان بن حنيف اذ قال:

«بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلمت السماء فشحت عليها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس قوم آخرين و نعم الحكم الله» «٣».

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٤١١ عند تفسير قوله تعالى: «وَأَتِ دَا الْقُرْبَى حَقَّهُ الْإِسْرَاءِ: ٢٧ فتوح البلدان ص ٤٦

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢١٧.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٥

(١)

### قصة فدك بعد رسول الله صلى الله عليه وآله:

لقد حرمت ابنة رسول الله صلى الله عليه و آله العزيزة فاطمة من ملكها الخالص (فدك) بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و آله لأغراض سياسية خاصة، و أخرجوا عمالها من تلك الارض، فعمدت إلى إثبات حقها و استرداد ملكها من جهاز الخلافة عن طريق القانون.

ففي الدرجة الأولى كانت قرية فدك في يدها، و اليد دليل الملك، و لكن جهاز الخلافة طلب منها مع ذلك دليلا على كون فدك ملكها، خلافا لكل الموازين القضائية الاسلامية.

إذ لا يطلب من أي واحد له يد على شيء (أي يكون ذلك الشيء تحت تصرفه) أن يقيم دليلا على ملكيته لذلك الشيء، و لكن الخلافة لم تعر ليد الزهراء على «فدك» أهمية، بل طالبتها بان تأتي بشاهد على ملكيته.

و لهذا اضطرت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى ان تأتي للشهادة على ذلك بشخصية ذات مكانة هامة كعلي عليه السلام و امرأه تدعى أم أيمن التي شهد لها رسول الله صلى الله عليه و آله بأنها من نساء الجنة «١».

(٢) و بعثت رسول الله صلى الله عليه و آله «رباح» حسب رواية البلاذري «٢»، و لكن جهاز الخلافة لم يعر اهتماما لشهادة هؤلاء الشهود، و حرم ابنة رسول الله صلى الله عليه و آله من ملكها الذي وهبه اياها والدها رسول الله صلى الله عليه و آله.

و لقد كانت «الزهراء» و «علي» و ابناهما الحسن و الحسين عليهم السلام مطهرين من كل رجس كما صرح بذلك قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» «٣».

(١) الاصابة: ج ٤ ص ٤٣٢.

(٢) فتوح البلدان: ص ٤٤.

(٣) الاحزاب: ٣٣، راجع كتاب: آية التطهير في احاديث الفريقين: ج ١ و ٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٦



و لو أن هذه الآيئة شملت نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لكانت فاطمة الزهراء من أوضح مصاديقها قطعاً و يقيناً، و لكن الخلافة تجاهلت- مع الأسف- حتى هذا الدليل، و اعتبر الخليفة ادعاءها ادعاء غير مشروع.

(١) و فى المقابل يرى علماء الشيعة أن الخليفة الاول أذعن فى نهاية الأمر لصحة رأى الزهراء و صحة ادعائها و شرعيتها، و كتب كتاباً يصرح بأن فدكا ملك خالص للزهراء و أعطاهها ذلك الكتاب، و لكن رفيق الخليفة و صاحبه لما صادف الزهراء فى اثناء الطريق و عرف بأنها حصلت على اعتراف صريح من الخليفة بملكيتها لفدك أخذ منها ذلك الكتاب و اتى به الى الخليفة الاول و قال معترضاً على شهادة على عليه السلام و أم أيمن لها: ان علياً يجزى إلى نفسه و أم أيمن امرأة. ثم عمد إلى الكتاب فمحاها و خرقة «١».

هذا و يروى الحلبي فى سيرته هذه الحادثة بصورة اخرى اذ يكتب قائلاً: ان ابا بكر كتب لفاطمة بفدك و دخل عليه عمر فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب كتبه لفاطمة بميراثها من أبيها، فقال: ممّا ذا تنفق على المسلمين و قد حاربتك العرب كما ترى، ثم اخذ عمر الكتاب فشقّه «٢».

(٢) ما قاله أحد متكلمي الشيعة، و هو ان أبى الحديد يقول: قلت لمتكلم من متكلمي الامامية يعرف بعلى بن تقي من بلدة النيل: و هل كانت فدك إلّا نخلاً يسيراً و عقاراً ليس بذلك الخطير! فقال لى: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلاً جداً، و كان فيها من النخل نحو ما بالكوفة الآن من النخل، و ما قصد ابو بكر و عمر بمنع فاطمة عنها إلا- ألّا يتقوى على بحاصلها و غلتها على المنازعة فى الخلافة، و لهذا اتبعوا ذلك بمنع فاطمة و على و سائر بنى هاشم و بنى المطلب حقهم فى الخمس، فإنّ الفقير الذى لا مال له تضعف همته، و يتصاغر عند نفسه، و يكون مشغولاً بالاحتراف و الاكتساب عن طلب الملك و الرئاسة «٣».

(١) شرح ابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٣٧٤.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٩١.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج ١٦ ص ٢٣٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٧

(١) و يكتب هذا الكاتب فى موضع آخر من كتابه أيضاً: سألت على بن الفارقيّ مدرّس المدرسة الغريبة ببغداد، فقلت له: أ كانت فاطمة صادقة؟ قال:

نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك و هى عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه و حرمة و قلّه دعابته، قال: لو أعطاهها اليوم فدك بمجرد دعواها لجأت إليه غداً، و ادّعت لزوجها الخلافة، و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الاعتذار و الموافقة بشيء، لانه يكون قد اسجل على نفسه على أنها صادقة فيما تدعى كائنا ما كان من غير حاجة إلى بينة و لا شهود. و هذا كلام صحيح، و ان كان أخرجه مخرج الدعابة و الهزل «١».

لقد بدأ منع بنى الزهراء من فدك فى عهد الخليفة الأول، و بعد ان قضى على عليه السلام و تسلّم معاوية زمام الامر، و زرع فدكا بين ثلاثة هم: (مروان بن الحكم و عمرو بن عثمان، و ابنه يزيد).

(٢) و لما ولى الأمر «مروان» سيطر على فدك بصورة كاملة، و وهبها لابنه عبد العزيز، و اعطاها عبد العزيز لولده «عمر بن عبد العزيز» «٢».

و حيث انه كان حاكماً معتدلاً السيرة بين خلفاء بنى أمية لهذا فان أول بدعة أزاحها كان هو اعادة فدك إلى بنى فاطمة، ثم انتزعها الخلفاء الذين توالوا بعده من ايدى بنى هاشم، و كانت بأيديهم حتى يوم انقرضت فيه حكومة الامويين.

(٣) و قد اضطرب أمر فدك اضطراباً عجيباً ايام الخلافة العباسية، فلما ولى أبو العباس السفاح ردها على عبد الله بن الحسن بن

الحسن، ثم قبضها ابو جعفر من بنى حسن، ثم ردها محمّد المهدي ابنه، على ولد فاطمة عليها السلام، ثم قبضها موسى الهادي بن المهدي و هارون أخوه، لاسباب سياسيه خاصة، حتى وصل الدور إلى المأمون فردها على الفاطميين اصحابها الشرعيين ضمن تشريفات

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٨٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج ١٦ ص ٢٧٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٨

خاصة و بصورة رسمية.

ثم اضطرب امر فدك من بعده أيضا فربما سلبت من أصحابها وربما ردّت إليهم. وهكذا تراوحت بين السلب و الرد. و لقد استغلّت فدك في عهد الامويين و العباسيين في أغراض سياسية بحثه قبل أن تستغلّ في أغراض اقتصادية.

فلقد كان الخلفاء في صدر الاسلام يحتاجون إلى عائدات فدك الماليّة، مضافا إلى انهم انتزعوها من يد عليّ لغرض سياسي و لكن في العصور المتأخرة عن ذلك كثرت ثروة الخلفاء و زادت زيادة هائلة بحيث لم يكونوا بحاجة إلى عائدات فدك، و لهذا فان عمر بن عبد العزيز لما أعاد فدكا إلى بنى فاطمة احتج عليه بنو أمية و اعترضوا قائلين: هجنت فعل الشيخين، و إن أبيت إلّا هذا فامسك الأصل و أقسم الغلّة «١».

(١)

### فدك في محكمة التاريخ:

إن دراسة و تقييم ملفّ «فدك» تثبت بوضوح أن منع ابنه رسول الله صلى الله عليه و آله من حقها المشروع كان عملا سياسيا بحثا، أي إنه ما كان يستند إلى أي مبرر شرعي مطلقا، و ان المسألة كانت أوضح من أن تخفى على خليفة العصر. و قد أوضحت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام هذه الحقيقة في خطابها الساخن البليغ اذ قالت: هذا كتاب الله حكما عدلا و ناطقا فصلا يقول: و يرثني و يرث من آل يعقوب «٢» و ورث سليمان داود «٣» و بين عزّ و جلّ في ما وزّع من الأقساط و شرع من الفرائض و الميراث «٤».

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ١٦ ص ٢٧٨.

(٢) مريم: ٦.

(٣) النمل: ١٦.

(٤) الاحتجاج للطبرسي: ج ١ ص ١٤٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٢٩

إن البحث حول دلالة الآيتين على وراثته أبناء النبي صلى الله عليه و آله عنه، و الحديث الذي رواه الخليفة وحده يوجب اطالة الكلام، و في امكان من يحبّ التوسع ان يراجع كتب التفسير المفصلة.

(١)

### السيطرة على وادي القرى:

ان النبي صلى الله عليه وآله لم يضع نهاية لنشاط القوى المضادة للإسلام في هذه المنطقة (خيبر) فقط بل رأى ان يتوجه الى وادي القرى التي كان يشكل مركزا آخر من مراكز اليهود. فحاصر بنفسه حصونهم عدة أيام، حتى فتحها، ثم عقد بعد الفتح معاهدة مع أهلها على غرار معاهدة «خيبر».

و بهذا طهرت أرض الحجاز من فتنة اليهود الاوغاد، و قد جردوا من اسلحتهم و وضعوا تحت حماية المسلمين و مراقبتهم الدقيقة «١».

(١) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ١٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٠

(١)

## ٤٦ عمرة القضاء «١»

### إشارة

كان يحق للمسلمين بعد التوقيع على معاهدة صلح الحديبية أن يدخلوا بعد عام واحد من تاريخ يوم التوقيع مكة، ثم يغادروها بعد ثلاثة أيام يقيمون فيها شعائر العمرة و كان عليهم بموجب الاتفاق أن لا يحملوا معهم إلا سلاح الراكب: السيف في القرب، ليس غير. و الآن مضى عام واحد على يوم التوقيع على المعاهدة المذكورة، و آن الاوان ليستفيد المسلمون من هذه المادة في تلك الاتفاقية، و ان يتوجه المسلمون المهاجرون الذين مضى عليهم سبعة أعوام ابتعدوا فيها عن بيوتهم و وطنهم و مسقط رءوسهم، و رجحوا الحياة في الغربية، و تحمل متاعها على العيش في الوطن للمحافظة على عقيدة التوحيد.

يتوجه مثل هؤلاء مرة اخرى إلى زيارة بيت الله الحرام و لقاء الاحباب و الأقرباء و تفقد المنازل و البيوت التي ولدوا فيها و ترعرعوا في رحابها.

(١) العمرة أعمال خاصة و مناسك معينة يمكن للمرء الاتيان بها طوال اشهر السنة على العكس من أعمال الحج التي يجب أداؤها فقط في شهر ذي الحجة و قد توجه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكة في يوم الاثنين السادس من شهر ذي القعدة من السنة الهجرية السابعة. و سميت هذه العمرة عمرة القضاء لانها كانت بدلا عن العمرة التي منع النبي و المسلمون عنها في عام الحديبية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣١

(١) و لهذا عند ما أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله بان يستعد من حرم من العمرة في العام الماضي للعمرة، دب شوق عجيب في نفوس المسلمين، و اغرورقت دموع الفرح في عيونهم، فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله ألفا شخص بدل ألف و ثلاثمائة و هم عدد الذين خرجوا معه في السنة الماضية.

و كان بين الخارجين مع رسول الله صلى الله عليه وآله جمع كبير من شخصيات المهاجرين و الأنصار البارزة الذين كانوا يلزمون رسول الله صلى الله عليه وآله طول سيره ملازمة الظل لصاحب الظل.

و ساق رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه العمرة ستين بدنة و قد قلدها «١»، و أحرم من مسجد المدينة و اتبعه الآخرون، و خرج ألفان و هم يلثون مرتدين أثواب الاحرام يقصدون مكة.

و لقد كان هذا الموكب العظيم من الجلال و المغزى المعنوي بحيث لفت نظر الكثير من المشركين إلى حقيقة الاسلام و معنويته الرائعة.

(٢) و لو قلنا: ان هذا السفر كان- فى حقيقته- سفرا تبليغيا، و ان المشتركين فيه كانوا- فى حقيقة الامر- طلائع التبليغ و الدعوة لما قلنا جزافا، فان آثار هذا السفر المعنوى ظهرت للتوفيق انبهر بمنظر سلوكهم و عبادتهم و نظامهم الد أعداء الاسلام أمثال «خالد بن الوليد» بطل معركة أحد و عمرو بن العاص داهية العرب فرغبوا فى الاسلام، و أسلموا بعد قليل.

و حيث ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكن آمنا من غدر قريش فقد كان يحتمل أن يباغتوه و يباغتوا أصحابه فى أرض مكة، و يسفكوا دماء جماعة

(١) البدنة الناقة تنحر بمكة و الجمع بدن و تقليد البدنة أن يجعل فى عنقها نعلا فيعلم أنها هدى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٢

منهم و هم لا يحملون معهم إلا سلاح الراكب اذ لم يكن مسموحا للمسلمين - حسب المعاهدة- أن يأخذوا معهم سلاحا غير ذلك.

(١) من هنا عمد رسول الله صلى الله عليه وآله و آله تحسبا لأى طارئ إلى تكليف مائتى رجل من المسلمين بالتسلح الكامل، و أمر عليهم «محمد بن مسلمة» و حملهم على مائة فرس سريع، و أمرهم بالتوجه صوب مكة أمام القافلة الكبرى، و الاستقرار فى منطقة «مرا لظهران» قرب الحرم، ينتظرون ورود رسول الله صلى الله عليه وآله و من معه.

فعرف عيون قريش الذين كانوا يراقبون تحركات رسول الله صلى الله عليه وآله بقضية الفرسان المسلحين المائتين، و استقرارهم فى وادى «مرا لظهران»، و أخبروا سادة قريش بالأمر.

(٢) فبعثت قريش «مكرز بن حفص» الى رسول الله صلى الله عليه وآله ليكلموه فى هذا الإجراء فاتى مكرز الى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلمه اعتراض قريش و انه تعهد- قبل ذلك- أن لا يدخل مكة إلا بسلاح المسافر.

فأجاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

«لا ندخلها إلا كذلك و لكن يكون هؤلاء قريبين منا».

و قد أفهم رسول الله صلى الله عليه وآله مكرزا بهذه العبارة بأن قريش لو استغلت عدم حمل النبى و أصحابه للسلاح الثقيل فباغتهم أدركتهم هذه القوة الاحتياطية المسلحة القوية المستقرة على مقربة من الحرم، و مدوهم بالسلاح و العتاد.

فعاد «مكرز» و اخبر قريشا بما سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله فادركت قريش حكمة رسول الاسلام و بعد نظره، و حسن تقديره للامور،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٣

فتحت أبواب مكة فى وجه المسلمين، و خرج رءوس المشركين و أهلهم و من تبعهم الى رءوس الجبال، و خلوا مكة، و قالوا: لا نظركم إلى محمد و لا إلى أصحابه، و لكنهم كانوا يراقبون المشهد من بعيد!! «١»

(١)

### النبى يدخل مكة:

دخل رسول الله صلى الله عليه وآله و هو على راحلته القصواء و أصحابه متوشحو السيوف محدقون به يلبون و هم ألفان، فدوى صوتهم الموحد بالتلبية فى أرجاء مكة، و كانت نعمة هذه التلبية الكبرى من الجلال و الجمال بحيث بهرت كل سكان مكة، و سحرت قلوبهم و عطفها نحو المسلمين، و فى نفس الوقت أربع اتحاد المسلمين، و نظامهم، و التفاهم حول النبى قلوب المشركين، و لم يقطع رسول الله صلى الله عليه وآله و آله تلبيته حتى استلم الركن.

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله الى البيت و هو على راحلته و ابن رواحة أخذ بزمامها و قد صف له المسلمون حين دنا من

الركن حتى انتهى إليه، استلم الركن بمحجنه مضطجعا بثوبه على راحلته انشد عبد الله بن رواحة يقول:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ إِنِّي شَهِدْتُ أَنَّهُ رَسُولُهُ  
حَقًّا وَكُلَّ الْخَيْرِ فِي سَبِيلِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ  
كَمَا ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ  
وَيَذْهَلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ «٢»

(٢) و طاف رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بالبيت المعظم على راحلته، و هنا أمر

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٣٧ و ٣٣٨.

(٢) زاد المعاد: ج ٢ ص ١٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٤

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلهِ ابْنِ رَوَاحَةَ اِنْ يَرَدُّ هَذَا الدَّعَاءُ بِلِحْنٍ وَ نَعْمٍ خَاصًّا؛ وَ اِنْ يَتَّبِعُهُ الْمُسْلِمُونَ:

«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَ نَصَرَ عَبْدُهُ وَ اعَزَّ جُنْدُهُ، وَ هَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ».

(١) كانت مكة بجميع مشاعرها في ذلك اليوم تحت تصرف المسلمين، المسجد، الكعبة، الصفا، المروة، وغيرها. و قد كانت هذه الشعارات التوحيدية الساخنة في مكان كان طوال سنين مديدة مركزا للوثنية، و الشرك توجه ضربات روحية قوية إلى نفسيه سادة المشركين، و أتباعهم، مما كان يوحى بغلبة «محمد» صَلَّى الله عليه وآله على كل أرجاء الجزيرة العربية حتما و يقينا. و لما قضى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله نكسه دخل البيت فلم يزل فيه حتى حان الظهر، فصعد بلال الذي طالما عذب في هذا البلد بسبب اسلامه فوق ظهر الكعبة بأمر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، و اذن لصلاة الظهر. و لقد كان لهذا المنظر مردود عجيب في نفوس المشركين فبالا واقف في نقطة طالما عدت فيها الشهادة بالتوحيد و برسالة محمد، ذنبا لا يغتفر، و جريمة لا ينجو صاحبها من العذاب، يردد و يردد معه المسلمون ما يردد من فصول الأذان فصلا فصلا في خشوع و روحانية بالغة.

(٢) لقد أزعج أذان بلال المشركين و اعداء التوحيد، حتى قال «صفوان بن أمية»: الحمد لله الذين أذهب أبي قبل أن يرى هذا، و قال خالد بن اسيد:

الحمد لله الذي أمات أبي و لم يشهد هذا اليوم، و لم يسمع هذا العبد الحبشي يقول ما يقول.

و اما «سهيل بن عمرو» فانه لما سمع تكبير بلال غطى وجهه بمنديل.

إنهم لم ينزعجوا من صوت «بلال» بل أخرجتهم مضامين فصول الأذان التي كانت ضد ما يحملونه من المعتقدات الباطلة الموروثة، و جعلتهم يعانون بسبب

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٥

ذلك من عذاب روحى شديد.

(١) ثم ان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله حين أراد السعي بين الصفا و المروة سمع بأن قريشا تحدثت بينها أن محمدا و أصحابه في عسرة و جهد و شدة، و ان الذين هاجروا معه الى المدينة مرضى، و أنهم صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه و إلى أصحابه، فهرول رسول الله صَلَّى الله عليه وآله هرولة في المكان المعلم الآن في المسعى، و تبعه المسلمين و قد قال لهم قبل ذلك.

«رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة» «١».

و ذلك ليبتل ما اشاعته قريش حول المسلمين المهاجرين من الضعف و الهزال بسبب ظروف المهجر. و هذا إن دل على شيء فانما

يدل على امرين:

أولاً: جواز القيام بالأعمال السياسية في موسم الحج.

ثانياً: ان النبي صلى الله عليه وآله كان حذراً جداً فكان يبطل كل خطط العدو أولاً بأول.

يقول صاحب زاد المعاد: أمر النبي بذلك ليرى المشركون جلدتهم وقوتهم، و كان يكايدهم (أى يبطل كيدهم) بكل ما استطاع «٢».

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن فرغ من السعى نحر البدن، ثم قصر من شعره، ثم خرج من إحرامه، و تبعه المسلمون في كل ما فعل.

ثم أمر صلى الله عليه وآله مائتين من أصحابه بعد أن طافوا بالبيت و انتهوا من مناسك العمرة ان يذهبوا إلى أصحابه بمزّ الظهران فيقيموا على السلاح فيأتى الآخرون فيقضوا مناسكهم، ففعلوا.

(٢) انتهت أعمال العمرة و نسكها، و ذهب المهاجرون إلى منازلهم التي هجروها قبل سبعة أعوام، ليجددوا اللقاء بذويهم و أقربائهم بعد طول فراق، و استضافوا

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٣٠٩ و راجع نظيره في زاد المعاد: ج ٢ ص ١٥٢.

(٢) زاد المعاد: ج ٢ ص ١٥٢. و لنا مقال مفصل في هذا المجال تحت عنوان الحج عبادة و سياسة نشر في مجلة الشهيد فراجع.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٦

جماعة من الأنصار في بيوتهم و فاء لجميلهم و تقديرًا لخدماتهم حين قدموا عليهم المدينة بعد الهجرة، فأسكنوهم و اكرمهم في منازلهم و خدمهم سنينا عديدة.

(١)

### النبي يغادر مكة:

تركت أحوال المسلمين و أوضاع الاسلام و جلال الموكب النبوى و عظمته أثرا بليغا و عجيبا في نفوس سكان مكة المشركين، فقد تعرفوا على نفسية المسلمين النبيلة الطيبة في هذه الزيارة اكثر من أى وقت مضى و كاد ذلك أن «يفعل» فعلته، و يحدث انقلابا روحيا في تلك البيئة.

و لما رأى زعماء المشركين أن توقف النبي و أصحابه في مكة سيؤثر في عقائد أهل مكة و يضعف تمسكهم بوثنيتهم، و يوجد علاقات المحبة بينهم و بين المسلمين، لهذا بعثوا أحدهم و هو حويطب الى رسول الله صلى الله عليه وآله - بعد انقضاء المدّة المقررة للاقامة في مكة في المعاهدة- ليطلب منه مغادرة مكة قائلاً:

انه قد انقضى اجلك فاخرج عنا.

فانزعج بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله من مقالة مبعوث قريش هذا، و لكن النبي لم يكن بالذى يخالف ما تعهد به، و لهذا أمر بأن ينادى في المسلمين بالرحيل فترك هو و المسلمون مكة فوراً.

(٢) و لقد تأثرت «ميمونة» اخت أم الفضل زوجة العباس، بما شهدت من مشاعر المسلمين و روحانيتهم فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله عن طريق عمّها العباس أنها ترغب في الزواج برسول الله صلى الله عليه وآله، فوافق رسول الله صلى الله عليه وآله «١» و تزوجها، و بهذا قوى علاقاته مع قريش.

ان رغبة فتاة في الزواج بمن يكبرها بسنين عديدة لدليل واضح على مدى التأثير الروحى و المعنوى الذى تركه النبي و المسلمون في النفوس حتى أن النبي

(١) حياة محمد: ص ٤٠١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٧

صلى الله عليه وآله لما طلب من مبعوث قريش بأن يمهله بعض الوقت ليعرس بين أظهرهم، و يصنع لهم طعاما يحضروه، أبوا امهاله خوفا من تعاضم تأثيره في النفوس، وقالوا له: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا «١».

(١) فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخرج المسلمون من مكة في منتصف النهار و لم يبق بمكة إلى وقت الظهر، و خلف ابا رافع ليحمل إليه زوجته «ميمونة» حين يمسي، فأقام أبو رافع حتى أمسى، فخرج بميمونة و من معها فلقوا عناء من سفهاء المشركين، و لاموا «ميمونة» على فعلها، و لكن كلامهم لم يؤثر قط في نفسها، فقد رغبت في الزواج برسول الله صلى الله عليه وآله بدافع الرغبة في خلقه و سمو أخلاقه.

و هكذا تحققت رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله الصادقة التي رآها قبل سنة واحدة بأنه دخل البيت، و حلق راسه، و نزلت بعد هذه الوقائع الآية ٢٧ من سورة الفتح تتحدث عن تحقق هذا الوعد حيث أخبرت ضمنا عن فتح قريب، - هو فتح مكة - الذي تحقق في السنة الثامنة من الهجرة اذ يقول سبحانه:

«لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا» (٢).

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٧٢، تاريخ الخميس: ج ٢ ص ٦٢-٦٥. سيد المرسلين ج ٢ ٤٣٧ النبي يغادر مكة: ..... ص : ٤٣٦

(٢) الفتح: ٢٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٨

(١)

## احداث السنة الثامنة من الهجرة

### ٤٧ معركة مؤتة

#### إشارة

انقضت السنة الهجرية السابعة، و استطاع المسلمون بفضل معاهدة صلح الحديبية ان يزوروا معا بيت الله المعظم و يعتمروا في أمان، و يرددوا في مركز حكومة الوثنيين شعارات قوية لصالح عقيدتهم التوحيدية إلى درجة أنهم استطاعوا ان يستميلوا نحو الاسلام قلوب جماعة من سراة قريش و زعماء المشركين امثال «خالد بن الوليد»، «و عمرو بن العاص» «١» و «عثمان بن طلحة»، فلم يلبثوا أن جاءوا طائعين راغبين الى المدينة، و اعتنقوا الاسلام و قطعوا علاقاتهم بحكومة مكة الوثنية المشركه التي لم يبق منها إلا جسم من دون روح، و هيكل من دون حياة «٢».

(٢) و ذكر بعض المؤرخين اسلام خالد او ابن العاص في السنة الخامسة من الهجرة.

و لكن هذا غير صحيح قطعاً لأن «خالد» كان يقود في الحديبية مائتين من فرسان قريش، و نحن نعلم أن اسلام هذين الرجلين تم في وقت واحد.

كان ثمت أمن نسبي يسود اكثر مناطق الحجاز في أوائل السنة الثامنة، و كان نداء الاسلام قد وصل إلى اكثر النقاط و لم يبق من نفوذ



اليهود شىء، و لم

(١) لقد ذكر الواقدي في مغازيه: ج ٢ ص ٧٤٣ و ٧٤٥ علة اسلام عمرو بصورة اخرى.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٤ ص ٢٥٢ - ٢٦١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٣٩

تعد قريش تهديد المسلمين من ناحية الجنوب، و لهذا فكر رسول الله صلى الله عليه وآله في أن يركز دعوته على سكان المناطق الحدودية للشام، و يستميل الى الاسلام قلوب اولئك الاقوام التي كانت في تلك الايام تعاني من ظلم السلطات الرومية.

(١) و لهذا الغرض وجه «حارث بن عمير الانزدي» مع كتاب إلى «الحارث بن أبي شمر الغساني» ملك «بصرى» الذى كان حاكم الشامات المطلق يومذاك، و كان يحكم من جانب قيصر.

فلما نزل مبعوث النبي «مؤتة» عرف به شرحبيل و كان حاكم المناطق الحدودية، فقبض عليه، و حقق معه، فاعترف له بانه يحمل كتابا من جانب رسول الاسلام إلى حاكم الشامات المطلق (الحارث الغساني)، فأمر بان يوثق و قدمه و ضرب عنقه صبورا مخالفا بذلك كل الأعراف العالمية القاضية باحترام السفراء و حصانتهم.

فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك و غضب لمقتل رسوله بشدة و ندب الناس فأخبرهم بمقتل سفيره و من قتله، و دعا المقاتلين المسلمين الى الخروج للاقتصاص من قاتل «الحارث».

(٢)

### حادثة أفجع من السابقة:

و اتفق أن وقعت في نفس الايام حادثة اخرى افجع من الأولى، أكدت عزم رسول الله صلى الله عليه وآله على تأديب سكان المناطق الحدودية الشامية الذين سلبوا دعاء الاسلام حرية العمل و الدعوة، و قتلوا دون رحمة، و عذرا سفير النبي، و جماعة الدعوة و التبليغ و إليك مفصل الحادثة الثانية:

بعث رسول الله صلى الله عليه وآله في شهر ربيع الاول سنة ثمان من الهجرة على رأس خمسة عشر رجلا إلى منطقة «ذات أطلاق» من ارض الشام، خلف وادى القرى لدعوة الناس الى الاسلام، فخرجوا حتى انتهوا إلى تلك

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٠

المنطقة فدعوا أهلها إلى الاسلام فلم يستجيبوا لهم، و رشقوهم بالنبل فلما رأى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ذلك قاتلوهم اشد القتال، حتى قتلوا مؤثرين عز الشهادة على ذل الأسر، و افلت منهم رجل جريح من القتلى، فلما جن الليل تحامل حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فاخبره الخبر فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) فتسبب العدوان على دعاء الاسلام و قتلهم في ان يصدر رسول الله صلى الله عليه وآله أمرا بالخروج إلى الجهاد في شهر جمادى، و وجه جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل لتأديب المتمردين، و مزاحمى دعاء الاسلام.

فتجمع ثلاثة آلاف بعد الاذان بالجهاد في معسكر خارج المدينة يدعى «الجرف» فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه الى ذلك المعسكر، و خطب في المقاتلين خطابا، هذا نصه:

«اغزوا بسم الله ادعوهم الى الاسلام فإن فعلوا فاقبل منهم و اكفف عنهم و آلا فقاتلوا عدو الله و عدوكم بالشام، و ستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين الناس، فلا تعرضوا لهم، و ستجدون آخرين للشيطان فى رءوسهم مفاحص فاقلعوها بالسيوف، و لا تقتلن امرأة و لا صغيرا مرضعا و لا كبيرا فانيا، لا تغرقن نخلا و لا تقطعن شجرا، و لا تهدموا بيتا» (١).



(٢) ثم قال: جعفر بن أبي طالب أمير الناس، فان قتل فزيد بن حارثة، فان اصيب زيد فعبد الله بن رواحة فإن اصيب عبد الله بن رواحة فليرضى المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم.

ثم امر رسول الله صلى الله عليه وآله المقاتلين بالتحرك نحو الهدف، و خرج فشيعهم مع جماعة من اصحابه حتى «ثنية الوداع» و هناك ودّعهم و كان المسلمون المشيعون يقولون: دفع الله عنكم وردكم سالمين غانمين، صالحين.

(١) المغازي: ج ٢ ص ٧٥٧ و ٧٥٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤١

و لكن ابن رواحة أجابهم قائلا:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة و ضربته ذات فرغ تقذف الزبدا

أو طعنه بيدي حرّان مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء و الكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثي يا أرشد الله من غاز و قد رشدا «١».

(١) و أنت أيها القارئ الكريم يمكنك أن تعرف من خلال هذه الايات عمق ايمان هذا الفارس القائد و حبه للشهادة في سبيل الله.

ثم ان الناس رأوا عبد الله بن رواحة لما ودع من ودع بكى، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما و الله ما بى حب الدنيا، و لا صبابه بكم و لكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ آية من كتاب الله عزّ و جلّ يذكر فيها النار:

«وَإِنْ مِنْكُمْ إِيَّاهُ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا» «٢».

فلست أدري كيف لى بالصدور بعد الورود «٣».

(٢)

### خلاف حول من هو الامير الاول؟

لقد كتب بعض المؤرخين: أن الامير الاول كان هو زيد بن حارثة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بالتبني، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبد الله بن رواحة، و لكن محققى الشيعة يرون عكس هذا فهم يعتبرون جعفر بن أبي طالب قائد الجيش و زيدا و عبد الله معاوين أو خليفين له على الترتيب فيجب ان نرى أى الرأى يوافق الحقيقة.

لتحصيل الحقيقة فى هذا المجال هناك طريقان:

(٣) ١- ان زيد بن حارثة لم يكن يعادل من ناحية التقوى و العلم و المكانة

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٦٠، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٢٨.

(٢) مريم: ٧١.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٧٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٢

الاجتماعية جعفر بن أبي طالب (جعفر الطيار).

يقول ابن الاثير عنه: جعفر بن أبي طالب كان اشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقا و خلقا، أسلم بعد إسلام أخيه على بقليل. روى أن أبا طالب رأى النبي صلى الله عليه وآله و سلم و عليا رضى الله عنه يصليان و على عن يمينه، فقال لجعفر: صل جناح ابن

عمك و صل عن يساره «١».

(١) و جعفر رأس المهاجرين إلى الحبشة الذين هاجروا إليها حفاظا على دينهم و عقيدتهم من الفتنة و هو الذي استمال قلب النجاشي بما تكلم به عنده من الحجة و قرأ عليه آيات من القرآن عن المسيح عليه السلام و أمه مريم، و اثبت كذب مبعوثي قريش لاستعادتهم إلى ارض الحجاز، و هو الذي وفق لأن يخطب و دّ النجاشي و يكسب حمايته للمهاجرين الملاحقين إلى درجة أنه طرد مندوبي قريش «٢».

ان جعفرا هو الشخصية البارزة التي لما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر و قد عاد من الحبشة مشى إليه (١٢) خطوة و عانقه و ضمه و قبل ما بين عينيه و بكى من فرط الشوق إليه و قال في حقه:  
«بايهما اسرّ بقدم جعفر أم بفتح خيبر».

(٢) إنه هو ذلك الرجل العظيم الذي كان يذكر عليّ عليه السلام، بعد استشهاد شجاعته و بسالته، فعند ما سمع عليّ عليه السلام بمبايعة عمرو بن العاص لمعاوية، و تقرّر أن يوكل معاوية حكومة مصر إلى عمرو إذا غلبا عليا، غضب عليّ عليه السلام من هذا الامر و تذكر شجاعته عمّه حمزة و أخيه جعفر و قال:  
لو أنّ عندي يا ابن حرب جعفرا و حمزة القرم الهمام الازهرا

(١) اسد الغابة: ج ١ ص ٢٨٧.

(٢) اسد الغابة: ترجمه جعفر بن أبي طالب، و غيره من المصادر في هذا المجال.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٣ رأت قريش نجم ليل ظهرا «١». فهل مع هذه المواصفات و الجهات التي نقلنا قسما منها هنا فقط يجيز العقل أن يفوض رسول الله صلى الله عليه وآله قيادة القوات إلى زيد و يجعل جعفر معاونه او خليفته الاول.

(١) ٢- ان الأشعار التي انشدها شعراء الاسلام الافذاذ في رثاء هؤلاء القادة بعد استشهادهم حاكية عن ان القائد الاعلى في هذه المعركة الكبرى (مؤتة) كان «جعفر» و كان أمر المعاونة و الخلافة يرتبط بالرجلين الآخرين، فهذا «حسان» شاعر عصر الرسالة انشد شعرا بعد أن بلغه استشهاد اولئك القادة بصورته المفجعة قال فيه:

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

و زيد و عبد الله حين تتابعوا جميعا و أسباب المنية تخطر «٢» فكلمة تتابعوا تشهد بجلاء علي أن مقتل هؤلاء القادة الذين ذكرهم تم على النحو الذي جاء ذكرهم، يعني أن جعفرا كان اول الشهداء ثم تلاه في قيادة الجيش الاسلامي ثم الشهادة زيد، ثم ابن رواحة.

(٢) و ان اوضح الادلة على ذلك قصيدة «كعب بن مالك» في رثاء شهداء مؤتة، التي يصرح فيها بان جعفر كان هو القائد الأول، و قد كان صاحب هذه الأبيات ممن شاهد تفويض أمر القيادة العليا للجيش من جانب رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جعفر. يقول كعب في قصيدته:

إذ يهتدون بجعفر و لوائه قدام أولهم فنعم الأول «٣» إن هذه القصائد الرثائية التي انشئت في أعقاب استشهاد اولئك القادة، و سلمت من يد التحريف اقوى شاهد على ان ما كتبه مؤرخو السنة حول هذا

(١) وقعة صفين: ص ٤٩.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨٤.

(٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٤

المطلب يخالف الحقيقة، و أن الرواة اختلفوا هذا الترتيب لدوافع و أغراض سياسية لا مجال لذكرها، و بيانها هنا، و قد تبهم في ذلك

كتاب السيرة وادرجوه في كتبهم من دون تمحيص و تحقيق.

و العجب أن ابن هشام الذى نقل كل هذه الابيات و القصائد قال: ان جعفر كان المعاون الأول لزيد بن حارثة، و ليس القائد الأعلى للجيش، و هو كما ترى تناقض مكشوف «١».

(١)

### جيشا الروم و الاسلام يتواجهان:

كانت «الروم» قد اصيبت يومذاك- نتيجة الحروب العديدة و الطويلة مع منافستها ايران- بالفوضى، و الهرج و المرج الشديدين. فمع ان قادة الروم كانوا سكارى من نشوة الانتصار على ايران إلا أنهم قد بلغهم شىء كثير عن شجاعة المسلمين و بسالتهم النابعة من إيمانهم و التى كسبوا عن طريقها أمجادا عظيمة، و كانوا يراقبون على الدوام تحرك جنود الاسلام و نشاطاتهم العسكرية. و لهذا لما بلغ هرقل قيصر الروم بموعد توجه جنود الاسلام الى ناحية الشام لتاديب عميله شرحبيل الغسانى، أرسل جيشا عظيما و قويا لمواجهة جنود الاسلام البالغ عددهم ثلاثة آلاف. و قد أعد «شرحبيل» حاكم ارض الشام وحده مائة ألف فارس من مختلف القبائل القاطنة فى الاراضى الشاميه و وجهه الى حدود الشام لإيقاف تقدم الجيش الاسلامى، و قد أعد قيصر قبل ذلك مائة ألف جندى رومى فنزل فى منطقة تدعى «مآب» من مدن البلقاء، و استقر هناك كقوة احتياطية تتدخل عند اللزوم «٢».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨٠.

(٢) المغازى: ج ٢ ص ٧٦٠، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٧٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٥

(١) و لقد كان جميع هذا القدر الهائل من الجنود و المقاتلين لمواجهة جيش يقل عددا بكثير عن هذا القدر نابعا من الانباء التى بلغت قادة الروم و الشام عن فتوحات المسلمين و انتصاراتهم الساحقة، و عن الوقوف على شجاعتهم و بسالتهم التى ذاع صيتها، و إلا فان عشر هذا العدد، (أى عشرون ألف) يكفى لمواجهة ثلاثة آلاف مقاتل مهما كانت شجاعة هؤلاء.

كما أنه لدى المقارنة بين العسكريين كان الجيش الاسلامى أضعف من جيش الروم بكثير، سواء من ناحية العتاد، أو من ناحية المعرفة بفنون القتال و تكتيكاته العسكرية، لان القادة العسكريين الروم كانوا قد كسبوا خبرة حربية واسعة نتيجة المشاركة فى الحروب العديدة و الطويلة التى دارت بين الروم و بين ايران، و عرفوا بالتالى مفاتيح الانتصار، بينما كانت معلومات الجيش الاسلامى الناشئ معلومات بدائية و بسيطة فى هذا المجال.

هذا مضافا إلى عدم وجود التكافؤ بين الجيش الاسلامى و الجيش الرومانى فى نوعية المعدات الحربية و الاجهزة القتالية و وسائل النقل و ما شابه ذلك.

و فوق هذا و ذلك فان القوة الاسلامية كانت تحارب فى أرض غريبة عليها، و تقوم بدور المهاجم، بينما كان الرومان يقاتلون فى بلادهم دفاعا و هم يتمتعون بجميع مستلزمات القتال و متطلبات الحرب.

و فى مثل هذه الحالة يجب ان تكون القوة المهاجمة قوية جدا، بحيث يمكنها ملاقاته سلبيا الظروف غير المساعدة.

و مع هذا فإننا سنرى عما قريب كيف أن قادة الجيش الاسلامى قاوموا و آثروا الصمود و القتال على الهروب و الفرار مع انهم كانوا يرون الموت على بعد أقدم معدودة منهم، و بهذا أضافوا إلى أمجادهم أمجادا اخرى، و سطروا اسطرا اخرى فى سجل بطولاتهم.

(٢) منذ أن ورد المسلمون المناطق الحدودية للشام عرفوا باستعدادات العدو العريضة، و حجم قدراته العسكرية الواسع فشكّلوا من

فورهم شورى عسكرية

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٦

فقال البعض: نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وآله فنخبره الخبر، فإما يردنا وإما يزيدنا رجالا. وكاد هذا الرأي ان يلقى قبولا من المشاورين الآخرين لو لا أن «عبد الله بن رواحة» الذي طلب ساعة خروجه من المدينة من الله ان يرزقه الشهادة كما اسلفنا، شجعهم على الصمود وقال: «والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد، ولا بكثرة سلاح، ولا بكثرة خيول، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، انطلقوا، والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلا فرسان، و يوم احد فرس واحد، وإنما هي إحدى الحسنين، إما ظهور عليهم، فذلك ما وعدنا الله و وعدنا نبينا، وليس لوعده خلف، وإما الشهادة فلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان».

(١) فقوت هذه الخطبة الحماسية الصادقة معنويات المقاتلين المسلمين و بثت فيهم روح البسالة و المقاومة.

ثم تواجه الجيشان في منطقة تدعى «مشارف» و لكن جنود الاسلام تأخروا و انسحبوا قليلا لبعض العلل، و نزلوا في مؤتة. فقسم جعفر بن أبي طالب قائد الجيش، جنود الاسلام إلى اقسام: مختلفة، و أمر على كل قسم اميرا، ثم بدأت المبارزة الفردية على نحو ما كان متعارفا في حروب العرب، فكان على جعفر ان ياخذ اللواء بيده و يوجه صفوف المقاتلين المسلمين، و يقاتل في نفس الوقت. ثم اننا نكتشف مدى الشجاعة الروحية و ثبات الارادة لتحقيق الهدف من خلال الرجز الذي أنشده «جعفر» خلال القتال فقد أخذ يرتجز و يقول:

يا حَبْذا الجنَّة و اقترابها طيبه و باردا شرابها

و الروم روم قد دنا عذابها كافره بعيدة أنسابها

علِّي إذ لاقيتها ضرابها (١)

(٢) و لقد قاتل قائد الجيش الاعلى (جعفر) قتالا عظيما، فلما حاصره الأعداء في ساحة القتال و أيقن بالشهادة وثب الى الارض ثم عقر فرسه في الحال لكي

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٧٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٧

لا ينتفع به العدو و اخذ يقاتل، و هو أخذ باللواء بيمينه، فقطعت يمينه فاخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى لا يسقط لواء رسول الله صلى الله عليه وآله على الأرض حتى قتل و قد وجد به ثمانون جراحة او تزيد!! (١).

فلما قتل «جعفر» أخذ الراية «زيد بن حارثة» معاونه الاول فقاتل ببسالة عظيمة حتى قتل برماح القوم.

فاخذ الراية «عبد الله بن رواحة» معاونه الثاني، ثم تقدم بها و هو على فرسه، فجعل يقاتل و يرتجز، فاحس بالجوع أثناء القتال، و ألح عليه، فاتاه رجل بعرق من لحم ليزيل به جوعه و يشد به صلبه، فلم يأكل منه شيئا حتى سمع صوت هجوم العدو، فالقى الطعام من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل.

(١)

### حيرة المقاتلين المسلمين بعد مقتل القادة:

و هنا بدأت حيرة المقاتلين المسلمين، فقد قتل القادة الأعلى للجيش و معاونه و على الترتيب الذي ذكر.

و لكن النبي صلى الله عليه وآله كان قد تحسب لهذه الحالة، و ترك أمر اختيار القائد في مثل هذا الوضع إلى الجنود انفسهم، فأخذ الراية «ثابت بن أقرم» و قال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح على «خالد بن

الوليد» الذي كان حديث عهد بالاسلام آنذاك.

و لقد كانت الساعة التي انيط فيها القيادة الى خالد ساعة خطيرة و حساسة جدا، حيث قد تغلب الخوف و الرعب على المسلمين كافة. فعمد القائد الجديد إلى استخدام تكتيك عسكري لم يعرف له مثيل، فقد

(١) المغازي: ج ٢ ص ٧٤١. و قد اثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما في الجنة و سمي في ما بعد بجعفر الطيار، راجع السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٧٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٨

امر بالعسكر إذا جنّ الليل أن يحدث بعض التغييرات في صفوفه من دون ضجيج فتنقل الميسرة الى اليمين، و الميسرة الى الميسرة، و تتأخر المقدمة الى مكان القلب، و يتقدم القلب الى موضع المقدمة. ففعل المسلمون ذلك، و استمرت هذه التغييرات حتى طلوع الفجر.

(١) كما أنه امر جماعة من المسلمين المقاتلين أن يخرجوا من الجيش ليلا و يذهبوا إلى مكان بعيد فاذا اسفر الصبح التحقوا بالمسلمين سريعا و هم يكبرون حتى يظن العدو وصول امدادات عسكرية بشرية جديدة الى المقاتلين المسلمين و قد تسبب هذا التكتيك بنفسه في أن يحجم الجيش الكافر عن مهاجمة المسلمين و استئصالهم، بعد ان قتل خيرة قادتهم.

فلما كان الصبح و رأى العدو وجوها جديدة، كما رأوا إمداد المسلمين بمجموعة عسكرية جديدة قالوا: قد جاءهم مدد. فرعبوا و انهزموا فقاتلهم المسلمون، و قتلوا منهم مقتل عظيم، و قتل في هذا الاثناء أحد الجنود المسلمين.

ثم ساد الموقف صمت رهيب، فاستفاد من هذا الصمت و الأمن الذي كان يخيم على الجيش فرجعوا من حيث اتوا.

إن اكبر انتصار للمسلمين هو ان قوة قليلة محدودة واجهت جيشا عظيما منظما ثلاثة أيام، و بالتالي نجوا بأنفسهم، و كان تدبير الامر الجديد تدبيرا حكيما خلص المسلمين من موت محتم، فعادوا سالمين إلى المدينة، و كان هذا ممّا يشكرون عليه، و يستحقون الثناء و الثناء «١».

(٢)

### الجنود يعودون الى المدينة:

و قبل ان يقدم جنود الاسلام من «مؤتة» المدينة كانت قد وصلت إلى المسلمين أنباء انسحابهم و انباء سيئه عن وضع الجيش، من هنا ذهب المسلمون الى

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨١ و ٣٨٨ و ٣٨٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٤٩

منطقة الجرف لاستقبالهم.

و مع ان عمل القائد الجديد كان تكتيكا حكيما إلا ان مثل هذا الصنيع حيث انه كان يتنافى مع ما حققه المسلمون من أمجاد مشرقة و تنافى مشاعرهم و بسالتهم الذاتية و الاصيله لذلك استقبلوهم بشعارات نائية و انتقادات جارحة و القوا بالتراب و الحجارة في وجوه المقاتلين العائدين، و قالوا: يا فرار، فررتم في سبيل الله؟

و قد كانت ردة فعل بعض المسلمين قويّة جدا الى درجة انه اضطر بعض الشخصيات التي شاركت في تلك المعركة إلى ان يقعد في بيته، و لا يظهر في الملاء، فكان الناس - إذا خرجوا - يشيرون إليهم بالاصابع و يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟ «١».

و لقد كانت ردة فعل المسلمين تجاه عملية انسحاب جنود الاسلام الزكية، كاشفة عن روح الشهامة و الجهاد التي أوجدها الايمان بالله و الايمان بيوم القيامة في نفوسهم بحيث صاروا يعدون القتل و الشهادة في سبيل الله، أفضل من الانسحاب و التأخر.

(١)

### اسطورة بدل التاريخ الصحيح:

حيث إن الامام على بن ابي طالب عليه السلام قد اشتهر بين المسلمين بأسد الله، لذلك أراد البعض أن ينحتوا تجاه هذا القائد قائدا آخر، و يمنحونه لقب سيف الله، و لم يكن ذلك إلا خالد بن الوليد من هنا قالوا ان رسول الله صلى الله عليه و آله لقب خالد بن الوليد بعد رجوعه من معركة «مؤتة» بسيف الله «٢»

و لو أن رسول الله صلى الله عليه و آله منح مثل هذا اللقب لخالد في مناسبة

(١) المغازي: ج ٢ ص ٧٦٥.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨٢، السيرة الحلبية: ج ٢ ص ٧٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٠.

اخرى لما كان للبحث و النقاش مجال.

(١) و لكن الاوضاع بعد معركة «مؤتة» ما كانت توجب بل و لا تسمح بأن يعطيه رسول الله صلى الله عليه و آله مثل هذا اللقب، فهل من يرأس فريقا يسميه المسلمون الفزار، و يحثون في وجوههم التراب يحسن أن يعطى في مثل هذه المناسبة لقب سيف الله؟ أجل؛ لو أن خالد كان مظهرا لسيف الله في غزوات و معارك اخرى امكن القبول بذلك، أما في هذه العرقة فلم يكن مظهرا لسيف الله، و لم يصدر منه بعد تقليده إمارة الجيش إلا تكتيك نظامي حكيم، و لما وصف هو و من معه بالفراريون، خاصة ان ابن سعد يكتب قائلا: فاصطاح الناس على خالد بن الوليد، فأخذ اللواء، و انكشف الناس فكانت الهزيمة فتبعهم المشركون فقتل من قتل من المسلمين «١».

إن مختلفي هذه الاسطورة أضافوا لتأكيد مطلبهم هذه الجملة أيضا: قال خالد: لقد اندق يومئذ (أي يوم مؤتة) في يدي سبعة أسياف فما ثبت بيدي إلا صفيحة يمانية «٢».

ان مختلفي هذه الكذبة غفل تماما عن أن خالد و جنوده لو كانوا ابدوا في هذه المعركة مثل هذه البسالة و لو انجزوا في هذه الحرب مثل هذا العمل العظيم فلما ذا سَمَّاهم أهل المدينة بالفزار؟ او لما ذا حثوا التراب في وجوههم؟ و لما وقع الناس في خالد بعينه «٣»، إذ كان من اللازم في هذه الصورة أن يزرعوا طريقهم بالورود، و يقربوا بين أيديهم القرابين ابتهاجا بعودتهم الظاهرة و اعجابا بعملهم الجبار!!

(٢)

### النبي يبكي بشدة لمقتل جعفر:

لقد بكى رسول الله صلى الله عليه و آله في مقتل ابن عمه «جعفر» بشدة

(١) الطبقات: ج ٢ ص ١٢٩، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٤٩.

(٢) اسد الغابة: ج ٢ ص ٩٤.

(٣) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٦٨ وغيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥١

و لكي تعرف زوجته اسماء بنت عميس بمصرع زوجها دخل عليها، فقال لاسماء:

ايتيني بنى جعفر.

فجاءت بهم إليه فضمهم و شمهم، ثم ذرفت عيناه ثم بكى، فعرفت أسماء بمصرع زوجها فصاحت و بكت ثم خرج رسول الله صلى

الله عليه و آله إلى اهله و قال:

«لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم».

و كان كلما تذكر جعفرا و زيد بن حارثة بكى «١».

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٥٤، المغازي: ج ٢ ص ٧٦٦ و السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٦٨، و امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٥١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٢

(١)

## ٤٨ غزوة ذات السلاسل

### إشارة

منذ أن هاجر رسول الله صلى الله عليه و آله إلى المدينة، و أصبحت «المدينة» مركز الإسلام و قاعدته، و موضع تمرکز المسلمين و عاصمتهم، ظل رسول الله صلى الله عليه و آله يراقب أوضاع أعداء الاسلام، و يرصد تحركاتهم، و مؤامراتهم، و كان يولى مسألة تحصيل المعلومات المفصلة عن المتآمرين من المشركين و غيرهم اهتماما كبيرا، و يعتمد دائما إلى اختيار أفضل العناصر لإرسالهم - بمختلف الحجج - إلى نواحي مكة، و بثهم في القبائل المشركة المختلفة لتجسس أخبارهم، و التعرف على نواياهم، و تدبيرهم. و لقد استطاع النبي صلى الله عليه و آله بفضل الاطلاع المبكر و الدقيق على المؤامرات التي كانت تحاك ضده أن يفشل الكثير من خططهم.

فقد كان صلى الله عليه و آله يباغت العدو، و يحاصره قبل أن يتحرك من مكانه، عن طريق المجموعات العسكرية التي كان يقودها بنفسه، أو التي كان يؤمر عليها أحد أركان جيشه و يوجهها صوب مكان تجمع العدو، فيفترقون جمعهم، و يشتتون شملهم، و يقضون على المؤامرة في مهدها، و بهذا كان الكيان الاسلامي في أمن من خطر الأعداء، و كان هذا العمل و هذا التدبير يجنب الطرفين المزيد من إراقة الدماء، و إزهاق الأرواح.

(٢) إن الاطلاع المبكر على أسرار العدو العسكرية، و معرفة حجم طاقاته، و مبلغ استعدادته، و اكتشاف خطته، و تكتيكاته يعد من

العوامل الجوهرية، و المؤثرة في

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٣

الظفر و الانتصار.

فللدول الكبرى اليوم أجهزة طويلة و عريضة، و تشكيلات واسعة، و معقدة لإعداد و تخريج الجواسيس البارعين، و إرسالهم إلى النقاط و المراكز المطلوب اكتشاف أسرارها، و التعرف على أوضاعها و خصوصياتها، و ترصد هذه الدول ميزانيات ضخمة لهذا الغرض «١».



و كان رسول الله صلى الله عليه وآله أول من ابتكر في تاريخ الاسلام هذا العمل في صورته المنظمة، و تبعه في ذلك الخلفاء الذين جاءوا من بعده، و بخاصة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الذي كان يستعين بجواسيس و عيون كثيرين في مجالات مختلفة، عسكرية، و إدارية.

فكان عليه السلام إذا نصب واليا على بلد، جعل عليه عينا يراقب أعماله و تصرفاته، و يخبر الإمام بها أولا بأول، فكان الإمام يكتب إلى ذلك الوالي، و يوبّخه على تصرفاته و انحرافات إن بلغه شيء من ذلك «٢».

(١) و لقد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة الثانية ثمانية رجال من المهاجرين، بالتوجه تحت إمرة «عبد الله بن جحش» إلى موضع معين، و النزول فيه، للتعرف على نشاطات قريش، و مؤامراتهم.

و قد كان عدم مفاجأة قريش للنبي صلى الله عليه وآله في معركة «احد» و خروجه المبكر من المدينة بقواه، و جنوده، و النزول في منطقة مناسبة عسكريا خارجها، و حفره المبكر أيضا للخندق المعروف في شمال المدينة، و الذي منع العدو (جيش الأحزاب) من اقتحام المدينة المنورة، كل ذلك كان نابعا من معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله المسبقة و الدقيقة بأسرار العدو، و نواياه،

(١) راجع: كتاب: المخبرات و العالم و غيره.

(٢) راجع: نهج البلاغة قسم الرسائل و الكتب، رقم ٣٣ و ٤٥ و كتاب الغارات.

هذا و قد بحثنا موضوع الاستخبارات و التجسس في النظام الاسلامي بصورة مسهبة في كتابنا: معالم الحكومة الاسلامية، فراجع.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٤

و حجم قواته، و بالأرض، و ذلك عن طريق عيون و جواسيسه الاذكياء اللبقين، اليقظين الذين كانوا يرصدون - بدقة و باستمرار - أوضاع العدو، و تحركاته، و ينقلون معلوماتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و بذلك كانوا يقومون بواجبهم الديني في مجال الحفاظ على عقيدة التوحيد، و صيانتها من خطر السقوط.

(١) إن هذا التدبير الذكي، و الطريقة الحكيمة التي ابتكرها و أخذ بها رسول الله صلى الله عليه وآله تعتبر أكبر درس للمسلمين اليوم، و دائما.

و لهذا يتوجب على قادة المسلمين المخلصين أن يعرفوا بكل ما يحاك - في بلاد الاسلام او في غيرها من بلاد العالم - من مؤامرات ضد المسلمين، و ما يدبر من خطط لتقويض دعائم الاسلام، و يبادروا إلى إطفاء شرارات الفتن في مهدها، و قبل اشتعالها، و أن يسلكوا نفس المسلك الذي سلكه رسول الاسلام صلى الله عليه وآله ليحصلوا على ذات النتيجة، و لا شك أن مثل هذا العمل لا يتيسر من دون أجهزة مناسبة، و من دون تشكيلات خاصة.

و لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة «ذات السلاسل» الذي هو موضوع بحثنا الآن، أن يطفى نار الفتنة عن طريق استخدام المعلومات الدقيقة التي حصل عليها عن العدو.

و لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله أغلق على نفسه هذا الباب لتحمل خسائر لا تجبر، و لتعرضت الكثير من جهوده المباركة في سبيل نشر الدعوة الاسلامية لخطر الفشل و الإخفاق.

### تفاصيل هذه الغزوة:

(٢) لقد أبلغ العيون و عناصر المخبرات الاسلامية رسول الله صلى الله عليه وآله بأن آفا من الناس قد تحالفوا و تعاقدوا في ما بينهم في منطقة تدعى ب: «وادي اليابس» على التوجه إلى المدينة المنورة للقضاء على الاسلام بكل ما لديهم من قوة، فإما أن يقتلوا في هذا السبيل، أو يقتلوا «محمدا» أو فارسه البطل الفاتح



سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٥

«على بن أبي طالب»!!

(١) ويقول على بن إبراهيم في تفسيره: «نزل جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله وأخبره بقصتهم، وما تعاقدوا عليه و تواتقوا»  
«١».

غير أن شيخ الشيعة و محققهم الكبير المرحوم «الشيخ المفيد» (المتوفى عام ٤١٣ هـ) يقول: بأن أعرابيا جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله و أخبره باجتماع قوم من العرب بوادي الرمل «٢» للتآمر عليه، و على الاسلام، (و اضاف) بأنهم يعملون على أن يبيتوه بالمدينة  
«٣».

ف رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يطلع المسلمين على هذا الأمر، فأمر مؤذنه بان ينادى: الصلاة جامعة و هي جملة كان يراد منها اجتماع الناس للصلاة و استماع أمر مهم و ذى بال.

فعلا مؤذن النبي صلى الله عليه وآله مكانا مرتفعا و نادى: الصلاة جامعة، فسارع المسلمون إلى الاجتماع في مسجد النبي صلى الله عليه وآله و آله ثم رقى النبي صلى الله عليه وآله المنبر و قال في ما قال:

«أيها الناس، إن هذا عدو الله و عدوكم قد عمل على أن يبيتكم فمن لهم؟».

(٢) فانتدب جماعة أنفسهم لهذا الأمر، و أمر عليهم النبي صلى الله عليه وآله و آله أبا بكر، فتوجه أبو بكر بتلك المجموعة إلى قبيلة «بنى سليم»، و لما سار بهم مسافة واجه أرضا خشنة و كانت قبيلة «بنى سليم» تسكن في شعب واسع، فلما أراد المقاتلون المسلمون ان ينحدروا إلى الشعب عارضهم بنو سليم و قاوموهم، فلم ير قائد المجموعة بدا من الانسحاب بمجموعته و الرجوع بهم من حيث أتى!!

(١) تفسير على بن ابراهيم: ج ٢ ص ٣٣٤ سورة العاديات.

(٢) يحتمل أن يكون وادي الرمل هو وادي اليا بس نفسه. و ذلك للمناسبة بين الوصفين.

(٣) الارشاد: ص ٨٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٦

(١) يقول على بن إبراهيم في تفسيره: قالوا (أى بنى سليم لابي بكر): ما أفدمك علينا؟

قال: أمرنى رسول الله صلى الله عليه وآله أن أعرض عليكم الاسلام فان تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون لكم ما لهم، و عليكم ما عليهم، و إلا فالحرب بيننا و بينكم.

فهدده زعماء تلك القبيلة- و هم يباهون بكثرة رجالهم و مقاتليهم- بقتله و قتل من معه، فارعب لتهديدهم و عاد بجماعته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله رغم أن أفراده كانوا يصرون على مقاتلة بنى سليم تنفيذا لأوامر النبي صلى الله عليه وآله!!  
و لقد أزعجت عودة الجيش الاسلامى بهذه الصورة المهينة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، فأمر عمر بن الخطاب أن يتولى قيادة تلك المجموعة و يتوجه بها إلى «وادي اليا بس»، ففعل عمر ذلك.

(٢) و لكن العدو كان قد ازداد- هذا المرة- يقظة و تحسبا فكمّن عناصره عند فم الوادى، و اختبئوا وراء الاحجار و الاشجار بحيث يرون المسلمين، و لا يراهم من المسلمين أحد.

و لهذا خرجوا على المسلمين بغته عند ما حلّ الجيش الاسلامى بذلك الوادى، و قابلوهم ببسالة و شجاعه، فأمر قائد المجموعة الاسلامية أفراده بالانسحاب، و عاد بهم إلى المدينة مهزوما مدعورا كسابقه، فلقى من رسول الله صلى الله عليه وآله ما لقيه صاحبه من قبل من الاستياء، و الكراهية.

(٣) و هنا قال عمرو بن العاص و كان من دهاة العرب و ساسته الماكرين، و قد كان يومئذ قريب عهد بالاسلام: ابعثنى يا رسول الله

إليهم، فإن الحرب خدعة، فلعلّي أخدعهم!

فانفذه رسول الله صلى الله عليه وآله مع جماعة ووضاه فلما صار إلى الوادي خرج إليه بنو سليم فهزموه، وقتلوا من أصحابه جماعة!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٧

(١)

### الامام علي ينتدب لقيادة العملية:

#### إشارة

هذه الهزائم المتلاحقة أزعجت المسلمين وأحزنتهم بشدة فعمد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى تنظيم مجموعة جديدة و اختار لقيادتها «علي بن أبي طالب»، وأعطاه راية.

و طلب علي عليه السلام من زوجته «فاطمة» بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أن تأتي له بالعصابة التي كان يشدها على جبينه في اللحظات الصعبة، فتعصب بها، فحزنت «فاطمة» لمنظر زوجها وهو يتوجه بمثل هذه الصورة إلى «وادي الياض» للقيام بأمر خطير، و بكت إشفاقا عليه، فسلاها رسول الله صلى الله عليه وآله و هدأها، و مسح الدموع عن عينيها «١».

ثم أنه صلى الله عليه وآله شيع عليا حتى بلغ معه مسجد الأحزاب، و علي ركب على فرس أبلق، و قد لبس بردين يمانيين، و حمل رمحا هنديا بيده.

ثم توجه علي عليه السلام بأفراده نحو الهدف، إلا أنه سلك طريقا غير الطريق المعروفة ليعمى على العدو، حتى أن الذين خرجوا معه تصوروا أنه يقصد العراق، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في علي عليه السلام حينما وجهه لهذه المهمة: «أرسلته كرارا غير فرار».

إن تخصيص «علي» عليه السلام بهذه الجملة يكشف عن أن القادة الذين سبقوه في هذه الحادثة لم ينسحبوا فقط، بل كان انسحابهم مقرونا بالهزيمة القبيحة.

(٢)

### عوامل انتصار الامام علي في هذه الموقعة:

هذا و يمكن أن نلخص عوامل انتصار الامام علي عليه السلام في هذه الموقعة

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٨١، الارشاد: ص ٨٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٨

في ثلاثة امور اساسية هي:

(١) ١- أنه عليه السلام أخفى مسيره و وجهته على العدو، فلم يشعر العدو بوجهته و مقصده، لأنه غير مسيره حتى لا يعرف العدو به بواسطة الأعراب من سكان البادية.

(٢) ٢- أنه عليه السلام اتبع مبدءا هاما من مبادئ العمل العسكري، و استخدم تكتيكا مهما من التكتيكات الحربية و هو: مبدأ الكتمان

والتستّر، فقد كان عليه السّلام يسير بأفراده ليلاً، و يكمن نهاراً، يستريح خلاله.

و هكذا حتى دنا من ارض العدو، و قبل أن يصل فم الوادى أمر جنوده بالنزول و الاستراحة لاستعادة نشاطهم من جهة، و لكي لا يحسّ العدو بمجيئهم من جهة اخرى.

و لهذا السبب الأخير نفسه أمر عليه السّلام جنوده بان يكّموا أفواه خيولهم حتى لا يشعر العدو بوجودهم بصهيلها.

و عند الفجر صلّى «علّى» عليه السّلام بجنوده صلاة الصبح، ثم صعد بهم الجبل حتى وصل إلى القمّة، ثم انحدر بهم - بسرعه فائقة - إلى الوادى حيث يسكن «بنو سليم» فحاطوا بهم و هم نيام، فلم يستيقظوا إلّما و قد حاصرهم المسلمون، فاسروا منهم فريقاً، و فزّ آخرون.

(٣) ٣- شجاعة «علّى» عليه السّلام و بسالته النادرة فهو الذى قتل الشجعان الاربعة المعروفين فى تلك الموقعة فارعب العدو إرعاباً شديداً فقد معه القدرة على المقاومة فى وجه علّى عليه السّلام ففرّ تاركا وراءه شيئاً كثيراً من الغنائم «١».

و لقد عاد بطل الاسلام الظافر إلى المدينة بفتح لا سابق له، فخرج رسول الله صلّى الله عليه و آله فى جماعة من أصحابه لاستقباله، و استقبال من معه من جنود الاسلام.

(١) تفسير فرات الكوفى: ص ٢٢٢-٢٢٦، مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٥٩

و ما أن وقعت عينا القائد الفاتح على رسول الله صلّى الله عليه و آله حتى ترجل من فرسه فوراً، فقال له رسول الله صلّى الله عليه و آله و هو يرتب على كتفه:

«اركب فانّ الله و رسوله عنك راضيان».

(١) و فى هذه اللحظة بالذات اغرورقت عينا «علّى» عليه السّلام بالدموع استبشاراً فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله فى شأن «علّى» عليه السّلام قولته المعروفة:

«يا علّى لو لا أنّى اشفق أن تقول فيك طوائف من امتى ما قالت النصرارى فى المسيح لقلت فيك اليوم مقالا لا تمرّ بملا من الناس إلّأ أخذوا التراب من تحت قدميك» «١».

و لقد بلغت تضحية «علّى» عليه السّلام و بسالته، و شجاعته فى هذه الواقعة من الأهمية بحيث نزلت فيها سورة كاملة هى سورة العاديات التى يقول سبحانه فيها:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَنْزَنَّ بِهِ نَقْعًا فَوْسَطْنَ بِهِ جَمْعًا.

إن القسم بخيول الغزاة المغيرين صباحاً، و المشعلين بحوافرها شرارات الفتح و الانتصار.

إنّ هذا القسم الحماسى الجميل لهو تكريم رائع لبطولات جنود الاسلام فى هذه العملية الظافرة، و اكبار بروحهم القتالية العالية.

(٢)

## اعتراض و جواب

هذا و لقد اعترض بعض الملحدّين ذات مرّة على هذا النوع من الأيمان

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٠

و الأقسام فى القرآن الكريم و قال ساخرًا: و ما ذا يعنى القسم بالخيل الضابحة، العادية، و الشرارات المنقدهة من حوافرها؟! و لقد غاب عن هذا الملحد أن القسم بخيل الغزاة المجاهدين أو القسم بالشرارات المنقدهة من حوافرها بسبب احتكاكها بالصخور فى أرض المعركة إنما إشعار بأهمية الجهاد ضد الظالمين أعداء البشرية.

(١) إن مثل هؤلاء الجنود البواسل ليسوا وحدهم الذين يحظون- فى نظر الاسلام- بمنزلة رفيعة و مكانة عالية، بل خيولهم التى تحملهم فى هذا الجهاد المقدس، و كذا الشرارات التى تنقح من حوافرها تحظى بالقداسة و الأهمية أيضا.

و أية قيمة- ترى- أعلى من محاربة الظالمين الجائرين، و انقاذ البشرية من براثن ظلمهم و جورهم، و من حيفهم و عسفهم؟! إن مثل هؤلاء و ما يمكنهم من أهدافهم من الأدوات، و الوسائل مقدسون جميعا، لأنهم يحرون- بجهادهم- الانسان من قيود الطغاة، الظالمين، و يمهدون لحاكمية الله فى الأرض، و اى هدف أعلى و اعظم قدسية من هذا الهدف؟

و لقد دعا القرآن الكريم المؤمنين- من خلال تقديس خيول المجاهدين و ضبحهم و عدوهم و شرارات حوافرهم- إلى العناية بالجهاد دائما، و إلى تجميع قواهم، و الاستعداد لكسر القيود التى ترزح على أيدي البشرية و أرجلها و عقولها، و الى تحطيم القلاع التى ضربها الطغاة على الشعوب المغلوب على أمرها.

أجل؛ إن فرق التحرير و الجهاد الاسلامية لا- تستحق وحدها التقديس و الاكبار بل تستحق خيولها و مراكبها، و شرارات حوافرها التقديس كذلك.

و لقد استبدلت تلك الخيول هذا اليوم بالدبابات و الطائرات فهى مقدسة أيضا، كما كانت خيول الغزاة و المجاهدين فى عصر الرسالة، كما و أن أزيد محرقاتها، هو الآخر يحظى بالتقديس كما كانت أنفاس الخيول تحظى بالتقديس فى عصر الرسالة لأنها تحقق ذات الهدف، و نفس الغاية المقدسة و هى: تحرير الانسان من براثن الظلم و الطغيان.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦١

(١) هذا هو ملخص غزوة «ذات السلاسل» التى سجلها و ضبطها مفسرو الشيعة، و مؤرخوهم، و رووها بإسناد صحيحة. غير أن مؤرخى أهل السنة كالطبرى «١» روى هذه الواقعة بنحو آخر يختلف عما ذكرناه هنا، اختلافا شاسعا. و لا يبعد أن يكون «ذات السلاسل» اسما لغزوتين نقل كل واحد من الفريقين: «السنة و الشيعة» واحدة منها، و اعرض عن ذكر الاخرى لأسباب خاصة.

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٣١٥، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٩٠ و ١٩١، و المغازى: ج ٢ ص ٧٦٩-٧٧٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٢

(١)

## ٤٩ فتح مكة

### إشارة

قصة «فتح مكة» من قضايا التاريخ الاسلامى الجديرة بالمطالعة و التأمل، لما تنطوى عليه هذه الحادثة من دروس و عبر، و لكونها تعكس- بصدق و جلاء- أهداف رسول الاسلام صلى الله عليه وآله المقدسة، كما تكشف عن أخلاقه العالية، و سيرته الحسنة، و اسلوبه الانسانى مع الصديق، و العدو.

ففى هذا الفصل من التاريخ يتجلى ما كان يتحلى به خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله من صدق ووفاء، كما يتبين صدق أصحابه، و فؤادهم، واحترامهم لكل ما تعهدوا، والتزموا به للخصم فى معاهدة «صلح الحديبية»، بينما يتضح من جانب آخر نفاق المشركين من قريش، وخيانتهم فى تنفيذ بنود اتفاقية الصلح، وبالتالي نقضهم للعهد وبالتالي عدم احترامهم لأى شىء من الالتزامات!!

(٢) إن دراسة هذا الفصل تثبت لنا حنكة النبى، وحسن تدبيره، وسياسته الحكيمه فى فتح أصعب وأخر قلعه من قلاع العدو الكافر، المتصلب فى شركه، وكفره، والتمتدادى فى عناده وتعديه، وكأن هذا الرجل الالهى قد أمضى شطرا من حياته فى إحدى المعاهد العسكريه العليا، فهو يخطط افضل من أى قائد محنك قدير، للفتح، ويكون تخطيطه من الدقه والمتانه، والعمق والحكمه، بحيث يصيب المسلمين فتحا عظيما بأقل قدر من المتاعب والمشاكل.

وبالتالى يتجلى فى هذا القسم من التاريخ الاسلامى الوجه الانسانى الرحيم الذى كان يتسم به رسول الله صلى الله عليه وآله الذى كان يحرص على دماء

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٤٦٣

أعداء الرساله الالدهاء، وأموالهم، ويسعى إلى حفظها وصيانتها، كما لو كانوا أصدقاء لا أعداء. فهو يعفو بمرءه كبيره، وبعد مدى واسع، ورؤيه مستقبلية عميقه عن قريش، ويغفر لهم جرائمهم وأذاهم ويصدر عفوا عاميا لم يعرف له تاريخ الفاتحين نظيرا فى أسبابه، وعمله، وفى ظروفه وملاساته.

وإليك تفاصيل هذه الحادئه الكبرى من بدايتها إلى نهايتها.

### تفاصيل فتح مكه:

(١) لقد قرأنا فى ما مضى أن رسول الله صلى الله عليه وآله عقد فى السنه السادسه معاهدة صلح مع قريش، نصت الماده الثالثه منها على: أن لكل من قريش والمسلمين أن يتحالفوا مع من شاءوا من القبائل، فتحالفت «خزاعه» مع المسلمين، وتعهد رسول الله صلى الله عليه وآله لخزاعه فى هذا التحالف بان يدافع عن أرضهم وأموالهم وأنفسهم كلما تعرضوا للخطر، وطلبوا ذلك.

وتحالفت قبيله «بنى كنانه»- وكانوا من أعداء خزاعه التقليديين- مع قريش.

ولقد تم كل هذا فى ضوء عقد معاهدة صلح مدتها عشر سنوات تعهد فيها الطرفان بالحفاظ على الأمن الاجتماعى، والسلام الشامل فى كافه أرجاء الجزيرة العربيه.

ولقد تعهد الطرفان- فى هذه المعاهده- بأن لا يقوم أى واحد منهما بعمليات عسكريه وتحركات عدائيه، لا ضد الآخر، ولا ضد حليف الطرف الآخر، كما لا يحرك حليفه ضد حليف الطرف الآخر.

ولقد انقضت سنتان من تاريخ التوقيع على هذه المعاهده، وعاش الجانبان فى هذه الفتره فى سلام ورفاه، وأمن واستقرار إلى درجه أن المسلمين استطاعوا- بعد مضي سنه واحده من التوقيع على تلك المعاهده، أن يزوروا- بكامل

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٤٦٤

حريتهم- بيت الله الحرام، فى مكه المكرمه، ويؤدوا مناسك العمرة أمام عيون الآلاف من أعدائهم الوثنيين وهى العمرة التى سميت بعدئذ بعمرة القضاء كما عرفت.

(١) ولقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله فى شهر جمادى الاولى من السنه الثامنه للهجره كتيبه قوامها ثلاثه آلاف مقاتل بقيادة ثلاثه فرسان من أركان جيشه، إلى تخوم الشام وحدودها، لمعاقبه وتأديب المتمردين والجناء من ولائه الروم وعمالههم فيها، بالضبط أولئك الذين قتلوا دعاء الاسلام- الذين ابتعثهم صلى الله عليه وآله للدعوة والتبليغ- من دون ذنب أو جرم.

والجيش الاسلامى وإن استطاع أن ينجو بنفسه من هذه المعركه، ويخرج منها بسلام، من دون أن تكلفه تلك المواجهه خسائر

كبرى في الأرواح سوى ثلاثة هم قادة الجيش - على ما مر في قصة غزوة مؤتة - إلا أنه ما عاد بانتصار باهر كان يأمله جنود الاسلام المجاهدون، بل كانت العملية في هذه المعركة اشبه ما تكون بعملية الكفر والفِر.

وقد أوجب انتشار هذا النبأ جرأة سادة قريش و سراتها، فقد تصوروا أن المسلمين تضاءلت فيهم (أو انعدمت) روح الفروسيه و الاقدام، و روح الشجاعه و البساله.

(٢) من هنا قررت قريش أن تخلّ بالأمن و الهدوء اللذين استتببا بعد اتفاقيه الحديبيه، فبادرت - أولاً - إلى توزيع الاسلحه على قبيله «بنى بكر» من كنانة، و إلى تحريضهم على أن يبتتوا «خزاعه» المتحالفين مع المسلمين، فيغيروا عليهم ليلا و يقتلوا فريقا، و يأسروا آخرين!!

بل لم تكتف قريش بهذا، إنما اشترك جماعة من رجالها في هذا العمل الغادر بصورة مباشرة، و بذلك نقضوا عهدهم الذي أعطوه في الحديبيه، و أحلوا عمليا بالأمن و السلام، و أحلوا الفوضى و القتال، مكان الاستقرار و الهدوء اللذين سادا الجزيرة خلال عامين في أعقاب عقد معاهدة الحديبيه!

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٥

(١) أجل، لقد حملت «بنو بكر» و من ساعدتهم من رجال قريش بتحريك من زعامه مكه على «خزاعه» ليلا، و كان بعضهم نياما، و البعض الآخر يتهدد و يعبد الله ليلا، فقتلوا من خزاعه جماعة، و أسروا آخرين، و غادر - منهم - فريق منازلهم تحت جنح الظلام، و لجئوا إلى مكه التي كانت للعرب يومئذ منطقة أمن لا يجيزون الاعتداء فيها على لاجئ إليها، و دخل الذين لجئوا إلى الحرم دار «بديل بن ورقاء» (١) و شكوا إليه ما حلّ بهم على ايدي رجال قريش، و حلفائهم من بنى كنانة ليلا، من قتل و أسر و تشريد!!

(٢) كما وعد المظلومون من خزاعه إبلاغ مظلمتهم إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فارسلوا رئيسهم: «عمرو بن سالم» فقدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه و آله فوقف عليه و هو صلى الله عليه و آله جالس في المسجد بين ظهرايى الناس، و أخبره بما لحق بحلفائه من خزاعه على أيدي بنى بكر من كنانة بتحريك و تحريض من قريش، و أنشد أبياتا يستغيث فيها برسول الله صلى الله عليه و آله اذ قال:

يا ربّ إنى ناشد محمّدا حلف أئبنا و أئبه الا تلتدا

فانصر هداك الله نصرنا أعتداو ادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا إن سيم خسفا وجهه ترّبدا

فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا إن قريشا اخلفوك الموعدا

و نقضوا ميثاقك المؤكداو جعلوا لى فى كداء رصدا

هم بيتونا بالوتير هجّداو قتلونا ركعا و سجّدا و قد كان «ابن سالم» يعيد البيت الأخير و يكرّره إثارة لمشاعر المسلمين، و يكرّر عبارة: قتلنا و قد أسلمنا.

(١) كان بديل من شخصيات «خزاعه» من ذوى السن و الشرف فيهم، و كان يعيش فى مكه، و كان له من العمر آنذاك ٩٧ عاما (أمالى الطوسى: ص ٢٣٩).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٦

(١) فانزعج رسول الله صلى الله عليه و آله من قريش لغدرها و نقضها للعهد، و وعد «خزاعه» بالنصرة، و قال:

«نصرت يا عمرو بن سالم».

و قد أفاض هذا الوعد القاطع و القوى حالة من الطمأنينه على قلب مبعوث خزاعه: «عمرو بن سالم» اذ قد تيّقن أن رسول الله صلى الله

عليه وآله سينتقم لخزاعة ممن غدروا بها وبيتوها، وفتكوا بأبنائها، وبخاصة من قريش التي حرّضت بنى بكر على خزاعة، و اشعلت شرارة هذه الفتنة، و بالتالى كانت السبب الحقيقى وراء هذه الجريمة النكراء، و لكن ابن سالم ما كان يظن أن هذه المسألة ستنتهى بفتح مكة، و تقويض دعائم الحكومة الوثنية الجاهلية، و القضاء عليها إلى الأبد!!

و لم يلبث أن قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله «بديل بن ورقاء» فى جماعة من «خزاعة»، و أخبروه بما فعلته قريش و بنو بكر من قتل فتیان خزاعة، ثم عادوا قافلین إلى مكة.

(٢)

### قريش تتوجس خيفة من ردّ النبى:

ندمت قريش بشدة على ما صنعت من تأليب بنى بكر على خزاعة و مساعدتهم العمليّة فى العدوان على الأخيرة، و أدركت للتوّ، بأنّ هذا الذى صنعتته هو نقض للمدّة و العهد الذى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وآله، و أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لن يدع هذه الجريمة النكراء تمرّدون ردّ قاطع و حاسم، و لهذا بادرت إلى إيفاد زعيمها «أبى سفيان بن حرب بن أمية» إلى المدينة المنورة لتطيب خاطر النبى صلى الله عليه وآله، و تسكين غضبه و تأكيد احترام قريش لمعاهدة الصلح.

فتوجّه أبو سفيان إلى المدينة، و التقى فى «عسفان» بديل بن ورقاء الخزاعيّ و هو عائد من المدينة، فسأله: هل كان فى المدينة؟ و هل أخبر محمّدا بما أصاب

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٧

خزاعة؟

فقال بديل: لا، و لكنى سرت فى بلاد كعب و خزاعة فى قتيل كان بينهم، فأصلحت بينهم. قال هذا، و واصل سيره باتجاه مكة.

(١) و لكن أبى سفيان عمد -لمعرفة ما إذا كان بديل عائدا من المدينة أولا- إلى أبعاد لإبل «بديل» و جماعته، ففتّها فوجد فيها نوى من تمر المدينة فيقن بأن القوم كانوا فى المدينة و أنهم جاءوا محمّدا، و أخبروه بما جرى.

قدم أبو سفيان المدينة فدخل على ابنته «أم حبيبة» زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما أراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله طوته أم حبيبة عنه، فقال: يا بتيّة ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش، أم رغبت به عنى؟! قالت: بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وآله و أنت رجل مشرك نجس، و لم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله.

و فى امتاع الاسماع أن ابا سفيان لما دخل على ابنته أم حبيبة ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله فطوته دونه و قالت: أنت امرؤ نجس مشرك!

فقال: يا بتيّة! لقد أصابك بعدى شرّ.

قالت: هدانى الله للاسلام، و أنت يا أبتي سيد قريش و كبيرها، كيف يسقط عنك دخولك فى الاسلام و أنت تعبد حجرا لا يسمع و لا يبصر!!

قال: يا عجباه! و هذا منك أيضا! أترك ما كان يعبد آبائى، و أتبع دين محمّد!؟

(٢) أجل هذا هو منطق ابنه رجل حاك مؤامرات عديدة و قاد جيوشا ضد الاسلام طيلة عشرين عاما تقريبا، و كانت تربطه بام حبيبة رابطة الابوة و البنوة الوثيقة، و لكن حيث إن تلك المرأة ترعرعت فى مهد الاسلام، و نشأت فى مدرسته

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٨



التوحيد حصل لها مشاعر دينية قوية جدا حتى أنها رجحت المشاعر الدينية على المشاعر العاطفية الشخصية مقاومة في هذا السبيل رغباتها الذاتية، و ميولها الشخصية.

(١) لقد أزعج أبو سفيان من سلوك ابنته التي كان يتصور أنها ملجئوها و ملاذها الوحيد في المدينة، فخرج من منزلها فوراً، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فكلمه حول تجديد العهد، و استمراره، فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله كناية عن عدم اعتناؤه به.

فذهب إلى بعض أصحابه صلى الله عليه وآله و آله يطلب منهم ان يشفعوا له عند رسول الله صلى الله عليه وآله و أن يقنعوه بتجديد ميثاق الصلح، و لكن دون جدوى.

و أخيراً دخل علي «علي بن أبي طالب» و عنده فاطمة الزهراء عليها السلام و الحسن و الحسين و هما آنذاك غلامان يدبان بين أيديهما فقال: يا علي، أنك أمس القوم في رحما، و إنى جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع لي إلى رسول الله. فقال علي عليه السلام: ويحك يا أبا سفيان، و الله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وآله علي أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه. فالتفت إلى فاطمة- و هو يحاول إثارتها عاطفياً- فقال: يا ابنه محمد هل لك أن تأمرى بتيك هذا فيجبر بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

(٢) و لما كانت فاطمة (عليها السلام) تعرف بنوايا أبي سفيان الشريرة لذلك قالت: ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله إنهما صبيان و ليس مثلهما يجير (١).

فقال أبو سفيان: يا أبا الحسن إنى أرى الامور قد اشتدت علي، فانصحنى.

فقال علي عليه السلام: ما أجد لك شيئا أمثل من أن تقوم فتجبر بين

(١) امتاع الأسماع: ج ١ ص ٣٥٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٦٩

الناس (أى تعطى الأمان للمسلمين) ثم الحق بأرضك.

(١) فقال أبو سفيان: أ و ترى ذلك مغنيا عني شيئا؟ قال: لا و الله، ما أظنه، و لكنى لا أجد لك غير هذا.

فقام أبو سفيان في المسجد، و كان يثق بصدق علي في نصيحته، فقال: أيها الناس؛ إنى قد أجزت بين الناس.

ثم ركب بعيره، و أنطلق راجعا إلى مكة، و أخبر سادة قريش بما صنع، و ذكر نصيحة «علي» إياه، فقال: إن عليا نصحنى أن اجير الناس، فناديت بالجوار.

فقالوا: فهل أجاز ذلك محمد؟

قال: لا.

قالوا: ويلك و الله ما زاد الرجل (و يقصدون عليا) على أن لعب بك، فما يغنى عنك ما قلت، لأن النبي لم يجز أمانه، و ما لا يجيزه الطرفان لا قيمة له في ميزان العهود.

ثم إن سادة قريش عقدوا مجلسا من فورهم للتشاور في ما يظفئ غضب المسلمين، و يثنى رسول الله صلى الله عليه وآله عن عزمه (١).

(٢)



إن تاريخ رسول الاسلام صلى الله عليه وآله يكشف عن انه صلى الله عليه وآله كان يسعى دائما الى أن يقنع العدو بالحق، و يجعله يستسلم لمنطق الدين، و لم يكن يهدف قط الانتقام من العدو و أبادته.

ففى الكثير من الغزوات و المعارك التى شارك فيها صلى الله عليه وآله بنفسه أو سرايا التى بعثها كان الهدف الأساسى هو القضاء على مؤامرة العدو، و إفشالها، و تشتيت شمله، و تفريق اجتماعه قبل ان يقوم بعمل يضر بالاسلام

(١) الغازى: ج ٢ ص ٧٨٠-٧٩٤، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٨٩-٣٩٧، بحار الأنوار: ج ٢١، ص ١٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٠

و المسلمين، فقد كان النبى صلى الله عليه وآله يعرف جيدا أنه لو ازيلت الموانع و رفعت عن طريق الدعوة الاسلامية لترك منطق الدين الحنيف أثره فى المجتمع الحرّ، و كان يعلم بأن الذين يعقدون الاجتماعات، و يقيمون التحالفات النظامية ليحولوا دون تقدم الاسلام، و انتشاره، لو جرّدوا من أسلحتهم، و انهيت حالة الحرب بينهم و بين الاسلام، و تركوا فكرة التغلب على الاسلام عن طريق القوة العسكرية، و سمعوا منطق الاسلام فى جوّ بعيد عن صخب القتال، لانجذبوا إلى عقيدة التوحيد بدافع الفطرة و هدايتها، و لاستجابوا لنداء الضمير، و صاروا من أنصار الاسلام، و مؤيديه المخلصين الأوفياء.

(١) و لهذا السبب كانت الجماعات و الاقوام التى يتغلب عليهم جنود الاسلام، ثم يتسنى لهم مناخ التفكير الحرّ فى العقيدة و التعاليم الاسلامية السامية فى جوّ بعيد عن الضوضاء و الصخب، تنجذب إلى الاسلام، و ترغب فيه، و تعتنق بل تشمّر عن ساعد الجدّ لنشر العقيدة الاسلامية التوحيدية.

و قد تجلّت هذه الحقيقة فى موضوعنا الراهن و هو فتح مكة بصورة أكمل و أقوى، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدرك جيدا لو أنه فتحت مكة، و جرّد العدو من السلاح و وفرت أجواء حرة آمنة بعيدة عن الكبت و الاضطهاد فانه لم يلبث أن يصبح هذا الفريق المعادى و المناهض للاسلام بشدة، من أنصار هذا الدين، و من المجاهدين الصادقين، الساعين فى نشره. و لهذا يجب التغلب على هذا العدو، و كسر شوكته، و لكن يجب عدم إفناؤه و إبادة، بل ينبغى تجنب إراقة الدماء، و ازهاق الارواح ما أمكن.

(٢) و لأجل الوصول إلى هذه الغاية المقدسة (الغلبة على العدو من دون إراقة الدماء) استخدم رسول الله صلى الله عليه وآله اسلوب مباغتة العدو.

فقبل أن يفكر العدو فى الدفاع عن نفسه، و يجمع قواه، و يستعدّ للمواجهة، كان النبى صلى الله عليه وآله يحاصر العدو فى أرضه، و يجرّده من سلاحه، و يجهض محاولته، و مؤامراته.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧١

(١) على أن مبدأ «مباغتة العدو» إنما يمكن الاستفادة منه إذا بقيت جميع الاسرار العسكرية للجانب المباغت طى الكتمان، و تمت الترتيبات اللازمة فى سرية كاملة، بحيث لم يعرف بها العدو، بل لا يعرف العدو أساسا هل ينوى النبى صلى الله عليه وآله الهجوم عليه، أو لا، و على فرض أنه ينوى ذلك لا يخبر أحدا شيئا عن موعد تحرك الجيش الاسلامى، و وجهته، إذ فى غير هذه الصورة لا يمكن الاستفادة من مبدأ «مباغتة العدو».

و لقد أعلن رسول الله صلى الله عليه وآله عن التعبئة العامة لفتح مكة، و تحطيم أقوى قلعة من قلاع الوثنية و ازاله حكومة قريش الظالمة التى كانت تمثّل أقوى مانع فى طريق تقدم الدعوة الاسلامية، و انتشارها و توسعها، و قد طلب من الله سبحانه فى دعائه أن يعمى على عيون قريش و جواسيسهم فلا يعرفوا بشيء عن حركة المسلمين و مقصدهم اذ قال:

«اللهم خذ العيون و الأخبار من قريش حتى نباغتها فى بلادها».

أو قال:

«اللهم خذ على قريش أبصارهم، فلا يروني إلّا بغتة، ولا يسمعون بي إلّا فجأة» (١).

(٢) فاجتمع في مطلع شهر رمضان ناس كثيرون من مختلف المناطق خارج المدينة، وداخلها.

و يذكر المؤرخون جدولاً تفصيلاً بالطوائف والقبائل التي شاركت في هذا الفتح العظيم، وإليك ما ذكره:

المهاجرون: سبعمائة مع ثلاثمائة من الخيل و ثلاثمائة ألوية.

الأنصار: أربعة آلاف مع سبعمائة من الخيل، و ألوية كثيرة.

قبيلة مزينة: ألف مع مائة فرس، و مائة درع، و لواءان.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٩٧، المغازي: ج ٢ ص ٧٩٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٢

قبيلة جهينة: ثمانمائة مع خمسين فرسا، و أربعة ألوية.

قبيلة بني كعب: خمسمائة مع ثلاثة ألوية.

و كان بقية الجيش من قبائل غفار، و اشجع، و بني سليم (١).

(١) و يقول ابن هشام: كان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبع مائة، و يقول بعضهم: ألف، و من

بني غفار أربع مائة، و من أسلم أربع مائة، و من مزينة ألف و ثلاثة مائة نفر، و سائرهم من قريش، و الأنصار و حلفاءهم و طوائف

العرب من تميم، و قيس و أسد (٢).

و لتحقيق مبدأ المباغته و الكتمان وضعت جميع الطرق المؤدية إلى مكة تحت المراقبة الشديدة من قبل عناصر الحكومة الإسلامية،

كما روقب بشدة تردد المارة و المسافرين بواسطة الحرس (٣).

و بينما كان جيش الاسلام يتهايا للتحرك باتجاه مكة، نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله و أخبره بأن أحد البسطاء من

المسلمين أقدم على إرسال كتاب إلى قريش، يخبرهم فيه بتوجه النبي و أصحابه إلى مكة، و أنه أعطى ذلك الكتاب إلى امرأة تدعى

«ساره»- و كانت مغنية من مغنيات مكة- لتوصله إلى مكة لقاء مال تقبضه.

(٢) و لقد كانت «ساره»- كما أسلفنا- مغنية بمكة، تغنى لأهل مكة، و ربما شاركت في مجالس العزاء في قريش أيضا، و قد تعطل

عملها بعد معركة «بدر»، و مقتل جماعة من رجال قريش، و دخول الحزن في كل بيوت مكة، فلم تعد تستطيع أن تغنى و تطرب، من

ناحية، و من ناحية اخرى كان أبو سفيان قد أمر الناس بأن لا ييكوا، و لا يقيموا المآتم و المناحات على قتلى بدر حتى لا يذهب

(١) المغازي: ج ٢ ص ٨٠٠، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٦٤.

(٢) السيرة النبوية: ج ٤ ص ٦٣.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٣٠. و امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٦١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٣

غيضهم على «محمد» صلى الله عليه وآله و أصحابه الذين قتلوا رجالا من قريش في بدر.

(١) من هنا تركت «ساره» مكة بعد عامين و قدمت المدينة، و عند ما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بمجيئها إلى المدينة سألتها:

هل أسلمت؟ فقالت:

لا، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: و لما أتيت إلى المدينة؟ فقالت: إنى مولاتكم، و قد أصابني جهد، و أتيتكم أتعرض

لمعروفكم «١».

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فكسيت و حملت و جهّزت.

و مع أن هذه المرأة قد شملها الاسلام بلطفه و رحمته و لكنها خانت النبي و المسلمين عند ما تطوّعت للقيام بعملية جاسوسية ضد الاسلام و المسلمين بأخذ كتاب «حاطب بن بلتع» و اخفائه في شعر رأسها لتبلغه الى قريش لقاء عشرة دراهم، مفضية بذلك سراً للمسلمين، تضيع - على أثره - جهود النبي صلى الله عليه وآله و تفشل خطته!!

(٢) و لما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا الأمر إثر خبر من السماء بعث ثلاث رجال من فرسانه الاشواس هم على و المقداد و الزبير، ليدركوا المرأة الخائنة، على طريق مكة و يأخذوا منها ذلك الكتاب الذي يحذر قريشا ممّا أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله عليه.

فخرج الرجال الثلاثة في طلبها مجدين حتى أدركوها في منطقة تدعى «روضه الخاخ» «٢» فاستنزلوها، و فتشوا عن الكتاب في رحلها فلم يجدوا شيئاً، فسألوها عنه فانكرت فقال لها على عليه السلام.  
«إني أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وآله و لا كذبتنا، و لتخرجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنّك» «٣».

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٣٦، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٦٢ و ٣٦٣.

(٢) و قال ابن هشام: فادركوها بالخليقة (ج ٢ ص ٣٩٩).

(٣) السيرة النبوية: ج ٤ ص ٤١، و ذكر مؤلف الامتاع شخصين فقط هما الامام على و الزبير (ج ١ ص ٣٦٢).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٤

(١) و لما رأت تلك المرأة هذا الجّد من على عليه السلام و كانت تعرف أن علياً لا يتركها حتى ينفذ أمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله قالت: أعرض، فأعرض عليّ، فحلّت صفائر شعرها فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله. فانزعج رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله لفعل «حاطب» و كان من المسلمين السابقين، فدعا من فوره و قال له عاتبا و مستفهما: يا حاطب ما حملك على هذا؟

فحلف حاطب بالله و برسوله أنه لم يقصد شراً، و قال: يا رسول الله، أما و الله إنى لمؤمن بالله و رسوله، ما غيرت و لا بدّلت، و لكنّى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل و لا عشيرة، و كان لى بين أظهرهم ولد و أهل فصانعتهم عليه!!

(٢) و يستفاد من اعتذار حاطب هذا أن أسياذ قريش كانوا يضغظون على من تخلف فى مكة من أقارب المهاجرين و عوائلهم، و يؤذونهم، و لا يتركون أذاهم إلّا إذا حصلوا منهم على أسرار المسلمين بالمدينة.

و هذا الاعتذار و ان كان غير وجيه، لأن ذلك لا يبرر إفشاء أسرار المسلمين لأعدائهم الحاقدين، غير أن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله أصفح عنه، و خلى سبيله لمصالح معينة منها: سابقة «حاطب» فى الإسلام.

إلّا أن «عمر بن الخطاب» طلب من رسول الله صلى الله عليه وآله عليه و آله أن يضرب عنقه، فقال له النبي صلى الله عليه وآله عليه و آله:

«و ما يدريك يا عمر لعلّ الله أطلع يوم بدر على أصحاب بدر فقال: أعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» «١».

و لكى لا يتكرر مثل هذا العمل الخطر و الاثيم أنزل الله سبحانه قرآنا بهذا الشأن فى عدة آيات اذ يقول:

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٦٣ و غيره.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عِدُوِّي وَعِدْوَكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ

يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسَبِّحُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُؤَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ. إِنْ يَتَّقُواكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْئَلُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ. لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعِدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه لَأَسْبَغُغُفْرَانَ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنَكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ. عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١).

### النبي يتحرك باتجاه مكة:

(١) أخذًا بمبدأ «المباغتة» كتم رسول الله صلى الله عليه وآله موعده الحركة، ووجهتها، فلم يكن أحد يعرف أين يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وجه التحديد (٢).

(١) الممتحنة: ١-٦، راجع السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٩٩، مجمع البيان: ج ٩ ص ٢٦٩ و ٢٧٠.

(٢) المغازي: ج ٢ ص ٨٠٢، الامتاع: ج ١ ص ٣٦٢ قال: وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذي يريد، فظان يظن أنه يريد الشام و ظان يظن ثقيفا و ظان يظن هوازن.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٦

وفي اليوم العاشر من شهر رمضان من السنة الثامنة أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله أوامره بالخروج، وكان قد أصدر أوامره للمسلمين كافة من قبل بالاستعداد والتهيؤ للخروج.

(١) ثم إنه استخلف على المدينة رجلا من بنى غفار يدعى «أبا رهم» ثم استعرض جيشه خارج المدينة على عادته.

ثم لما كان صلى الله عليه وآله بمكان يدعى «الكديد» طلب شيئا من الماء امام المسلمين، و افطر به في تلك الساعة من النهار، و امر الجند بان يفطروا اقتداء به هم أيضا.

فافطر اكثر المسلمين، و أمسك البعض و لم يفطر ظنا بأن الجهاد في حالة الصوم أفضل، و اكبر أجرا، و لم يعرف هؤلاء السذج غير المفطرين، بان النبي صلى الله عليه وآله الذي أمر بالافطار في شهر رمضان في تلك الحال، هو نفسه الذي أمر بالصوم أيضا فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قائل حق و دليل سعادة فانه- في كلتا الحالتين- يريد سعادة الناس، و ينشد خيرهم، فلا معنى إذن لأن يطاع في أمره، و لا يطاع في نهيه.

و هذا غضب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لامتناع ثلثة من المسلمين عن الإفطار كما أمر و قال عنهم: «ولئلك العصاة»!! (١).

و أمرهم بأن يفطروا قائلا: «إنكم مصبحوا عدوكم، و الفطر أقوى لكم».

(٢) إن مثل هذا التقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و تجاهل أمره ما هو في الحقيقة إلا نوع من الانحراف عن الحق، و هو يكشف عن ضعف في ايمان الجماعة العاصية، المتمردة عن أمر النبي صلى الله عليه وآله.

ولهذا نزل فيه قرآن يلومهم، و يوبخهم على عصيانهم إذ قال سبحانه:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (٢).

(١) وسائل الشيعة: ج ٧ ص ١٢٤، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٩٠، المغازي: ج ٢ ص ٨٠٢.  
(٢) الحجرات: ١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٧

(١) هذا وقد كان «العباس بن عبد المطلب» من المسلمين الذين بقوا في مكة بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله ليتجسس له الأخبار، ويطلعه على نوايا قريش، وخططهم أولا بأول.

وقد تظاهر العباس - بعد فتح خيبر - بإسلامه، ولكنه بقي محافظا على علاقته بسادة قريش وزعمائها، فقرر أخيرا أن يكون آخر من يهاجر من بيوت المسلمين، فغادر مكة متوجها إلى المدينة، وصادف خروجه مسير رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مكة، فالتقى ببعض الطريق رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد كان بقاء العباس بن عبد المطلب في مكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله مفيدا للجانبين: (قريش والمسلمين) فلو لم يكن العباس، ونشاطاته السياسيّة، الذكيّة، لما تيسر فتح مكة من دون مقاومة قريش، ومن دون إراقة دماء وإزهاق نفوس. من هنا لا- يبعد أن يكون خروج العباس من مكة في تلك اللحظات والظروف الخطيرة قد كان هو الآخر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لكي يستطيع القيام بدوره الإصلاحى، الذى سنأتى على ذكره قريبا.  
(٢)

### العفو عند المقدرة:

لقد كانت سوابق رسول الله صلى الله عليه وآله المشرفة، و اخلاقه الحميدة، و صدقه و أمانته، طوال حياته من الامور الواضحة المعلومة عند أقربائه، و أبناء عشيرته.

فقد كان الجميع يعلم بأن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يرتكب طيلة حياته الشريفة إثما، و لم يفكر فى ذنب، و لم ينو الاعتداء على أحد، و لم يقل بلسانه سوءا و لا قبيحا، و لا خان فى امانته، و لا افشى سرا و لا تخلف عن فضيلة.

ولهذا استجاب لدعوته- فى الايام الاولى من دعوته العامة- الاكثرية الساحقة من قبيلته (بنى هاشم)، و التفوا حوله، و تحمّلوا الدفاع عنه، و دعم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٨

مواقفه.

(١) و لقد اشار أحد المستشرقين المنصفين إلى هذه الحقيقة، و اعتبرها دليلا على طهارة رسول الله صلى الله عليه وآله و صدقه و نزاهته، فهو يقول: مهما كان المرء متكثما متسترا على أعماله و أفكاره فانه لا- يستطيع بحال أن يخفى تفاصيل حياته عن ذويه و أقربائه، و لو كان لمحمد حالات نفسية أو أفعال سيئة لما خفيت على أقربائه، و لما كانوا ينقادون إليه بمثل هذه السرعة «١».

نعم يستثنى من بنى هاشم عدة أشخاص أحجموا عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله و الاستجابة لدعوته، و يمكن الإشارة- فى هذا المجال- بعد أبى لهب المعروف بل و المصرح بعداوته فى القرآن- إلى «أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب» و «عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة» اللذين خاصما رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و عارضا دعوته بشدة، و لم يكتفيا بعدم الايمان برسالته، بل منعا من انتشار الحق، و آذيا رسول الله صلى الله عليه وآله و آله اشد الأذى و ألبا عليه اكثر من أى شخص آخر.

(٢) و لقد كان أبو سفيان هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله و أخاه من الرضاة، و كان يألف رسول الله صلى الله عليه وآله

آله قبل البعثة، ولكنه اختلف مع النبي بعد ابتعائه بالرسالة، وبنى على مخالفته و معاداته «٢».

و أما عبد الله بن أبي امية فهو أخو أم سلمة ابنة عاتكة عمه رسول الله صلى الله عليه وآله و ابنة عبد المطلب.

و لقد حدى انتشار الاسلام فى كل أنحاء الجزيرة العربية بهذين الرجلين إلى أن يخرجوا من مكة و يلتحقا بالمسلمين.

(٣) فقد خرجا قبيل الفتح من مكة، فلحقا رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه فى أثناء الطريق - و على وجه التحديد فى نقطة تدعى بثنية العقاب،

(١) الأبطال: لكارليل الانجليزى.

(٢) المغازى: ج ٢ ص ٨٠٦ و ٨٠٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٧٩

و النبي قاصد مكة، فاستأذنا رسول الله صلى الله عليه وآله ليدخلا عليه، و أصرا على ذلك، فابى النبي صلى الله عليه وآله أن يأذن لهما.

(١) و قد وسيطاً أم سلمة، و طلبا منها بلهجة عاطفية أن تشفع لهما عند رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يرضى عنهما، فكلمته فيهما، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله أبى و قال:

«لا حاجة لى بهما، أما ابن عمى فهتك عرضى و أما ابن عمتى و صهرى فهو الذى قال بمكة ما قال» «١».

و لما كان «على» عليه السلام أعرف الناس بنفسية رسول الله صلى الله عليه وآله و أخلاقه، و بطريقة استعطافه، فقد كلمه أبو سفيان فى الأمر، فعلمه على بن أبى طالب عليه السلام أن يأتى رسول الله صلى الله عليه وآله من قبل وجهه فيقول:

«قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ» «٢».

فان رسول الله صلى الله عليه وآله سيجيبه بما قاله يوسف لاختوته اذ قال لهم:

«قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ» «٣».

لأنه صلى الله عليه وآله لا يرضى بأن يتفوق عليه أحد فى حسن القول.

(٢) ففعل أبو سفيان هذا ما أشار عليه الامام على عليه السلام و دخل من الطريق الذى بينه له، فعفا عنه رسول الله كما فعل يوسف باخوته، فانشد أبو سفيان قصيدة أراد بها أن يكفر عما سبق منه، قال فيها:

(١) فهو ممن اقترح على رسول الله صلى الله عليه وآله بمكة امورا غير معقولة، و قد جاء ذكر هذه المقترحات فى الآيات: ٩٠-٩٣ من سورة الاسراء راجع مجمع البيان: ج ٦ ص ٤٣٩ و اسد الغابة: ج ٥ ص ٢١٣ و ٢١٤.

(٢) يوسف: ٩١.

(٣) يوسف: ٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٠ لعمر ك إنى يوم أحمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد

فكالمدلج الحيران أظلم ليله فهذا أوانى حين اهدى فأهدى «١» «١» و يكتب «ابن هشام» فى سيرته قائلا: قال أبو سفيان و معه ابنه، لما أعرض رسول الله صلى الله عليه وآله عنه و أبى أن يأذن له: و الله ليقبلنى، أو لأخذت بيد ابنى هذا فلاذهبى فى الارض حتى أهلك عطشا و جوعا و أنت أحلم الناس مع رحمتى بك» «٢».

و قد سبق أن قالت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله قد كلمته فى أبى سفيان: بأبى أنت و امى يا رسول الله ألم تقل: أن الاسلام يجب ما كان قبله؟ فرق رسول الله صلى الله عليه وآله لهما، و أذن لهما، فدخلوا، و قبل اسلامهما «٣».

(٢)

**تكتيك رائع لجيش الاسلام:**

تقع «مَرَّ الظهران» على بعد عدة كيلومترات من مكة المكرمة، وقد قاد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله جيشه العظيم (وقوامه عشرة آلاف) حتى مشارف مكة بمهارة بالغة.

ومع أن عيون قريش وجواسيسها كانت تتجسس الأخبار وكان هناك من يعمل لصالح قريش، ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يعرفوا شيئاً عن نوايا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وهدفه.

ولما وصل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إلى مشارف مكة عمد -لإرعاب أهل مكة حتى يتركوا مقاومة المسلمين عند دخول مكة وفتحها، ويتسنى لهم تحطيم صرح الوثنية من دون إراقة الدماء- إلى إصدار أمر لجنوده باشعال النيران

(١) الاصابة: ج ٤ ص ٩٠، و اسد الغابة: ج ٥ ص ٢١٣ و ٢١٤.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٠٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١١٤ و ١١٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨١

فوق الجبال و التلال، و للمزيد من تخويف سكان مكة و الإظهار بمظهر القوة أمر بأن يشعل كل واحد من الجنود النار وحده، في شريط طويل على الأرض.

(١) كانت قريش و حلفاؤها يغطون في نوم عميق آنذاك من جهة، بينما كانت النيران من جهة اخرى قد غطت كل المرتفعات المشرفة على مكة فلم تستيقظ إلا على منظر أروع قلوبهم، و لفت أنظارهم.

و في هذا الاثناء كان بعض سادة قريش ك: «أبي سفيان بن حرب» و «حكيم بن حزام» و غيرهما قد خرجا من مكة يتجسسون الأخبار.

ففكر «العباس بن عبد المطلب» الذي لازم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من منطقة الجحفة، فكر في نفسه بأنه إذا ما اتفق أن واجه جنود الاسلام مقاومة من قريش عند دخول مكة لادى ذلك إلى ان يقتل جمع كبير من قريش، و لهذا فان من الأفضل أن يقوم بدور عملي لصالح الطرفين، و يقنع قريشا بالتسليم، و عدم المقاومة.

(٢) فركب بغلة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله البيضاء و توجه صوب مكة ليخبر قريشا بمحاصرة مكة من قبل جنود الاسلام، و يخبرهم بكثرة عددهم، و بمبلغ شجاعتهم و إصرارهم على تحقيق أهداف النبي صَلَّى الله عليه وآله و يقنعهم بأنه لا- مناص من التسليم للأمر الواقع.

فبينما هو كذلك إذ سمع صوت أبي سفيان و بديل بن ورقاء يتحدثان في جوف الليل فيقول أبو سفيان: ما رأيت كالليلة نيرانا قط و لا عسكريا، فيقول بديل: هذه و الله خزاعة حمشتها الحرب.

فيقول أبو سفيان: خزاعة أذلّ و أقلّ من ان تكون هذه نيرانها و عسكريها.

فصاح العباس بأبي سفيان و قال: يا أبا حنظلة.

فقال أبو سفيان: يا لبيك، أبو الفضل ما لك؟

فقال العباس: هذا رسول الله في عشرة آلاف من المسلمين.

فارتعد أبو سفيان لما سمعه من العباس حول عظمة القوة الاسلامية، فقال و هو



سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٢

يرتجف، و تصطك أسنانه من الفزع: فما الحيلة فداك أبى و أمى؟

(١) فقال العباس: اركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وآله فاستأمنه لك.

فركب أبو سفيان خلف العباس، و رجع أصحابه (حكيم و بديل) إلى مكة.

و لقد كان مسعى العباس - كما ترى - فى مصلحة الاسلام كله، فقد أربع شيطان قريش، و زعيمها و عقلها المدبر أبو سفيان، و كان موفقا فى هذه الخطوة جدا بحيث لم يعد يفكر أبو سفيان إلا فى التسليم، و إلقاء السلاح و الكف عن المقاومة، بل و منعه العباس من العودة إلى مكة، فى نفس الليلة (ليلة فتح مكة) و أخذه معه إلى معسكر المسلمين بغية تقيده، و منعه من العودة مكة، إذ كان من المحتمل جدا أن يقع فريسة أفكار المتطرفين فى الزعامة المكية فيدبرون معا خطة لمواجهة جيوش الاسلام، فيقع - حينئذ - ما لا يحمد عقباه، من سفك الدماء، و ذهاب الأنفس و الارواح.

(٢)

### العباس يصطحب أبو سفيان إلى خيمة النبى:

دخل العباس - و هو على بغلة بيضاء و قد اردف خلفه أبو سفيان - فى معسكر المسلمين، و هو يقصد خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال نيران المسلمين التى أمر النبى صلى الله عليه وآله بإشعالها، و كان كلما مر بنار من نيرانهم قالوا: عم رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يمنعون من مروره، حتى اذا لقيا عمر بن الخطاب فى الاثناء و رأى عمر أبو سفيان خلف العباس على عجز البغلة هم بقتله فى المكان، و لكن عم النبى صلى الله عليه وآله و آله أجاز أبو سفيان فى الحال، و منع بذلك عمر من إلحاق الأذى به، و هو فى جواره.

و أخيرا وصل العباس برفقة أبى سفيان الى خيمة رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فترجلا، فاستأذن العباس رسول الله صلى الله عليه وآله و آله للدخول مع أبى سفيان عليه فاذن لهما، ف وقعت مشادة كلامية شديدة بين العباس و عمر بين

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٣

يدى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله حول أبى سفيان و كان عمر يقول: أبو سفيان عدو الله فلا بد أن يقتل، و لكن العباس كان يقول: يا رسول الله إننى قد أجزته، فقطع رسول الله صلى الله عليه وآله و آله دابر هذه المناقشة عند ما قال: «اذهب يا عباس إلى رحلك، فاذا أصبحت فاتنى به».

فذهب العباس بأبى سفيان إلى رحله، فبات عنده ليلته كما أمر، فلما أصبح غدى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١)

### أبو سفيان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله:

لما مثل أبو سفيان عند الصباح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فى خيمته قال له النبى صلى الله عليه وآله:

«ويحك يا أبو سفيان؛ ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟».

فقال أبو سفيان: بأبى أنت و أمى ما أحلمك، و أكرمك، و أوصلك و الله لقد ظننت أن لو كان مع الله آله غيره، لقد أغنى عنى شيئا بعد.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:



«ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟»

قال: بأبي أنت و أمي ما أحلمك، و أكرمك، و أوصلك، أما و الله فإنّ في النفس منها حتى الآن شيئاً!!

فغضب العباس من شك أبي سفيان، و لجأته و عناده فقال له: ويحك، أسلم و اشهد أن لا إله إلا الله، و أن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك.

فشهد أبو سفيان شهادة الحق، فاسلم و دخل في عداد المسلمين.

(٢) أن إسلام أبي سفيان الذي حصل في جؤ من الرعب و التهديد و إن لم يكن بالإسلام الذي كان يريد رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و يطلبه دينه الحنيف، و لكنّ مصالح معيّنّة كانت توجب أن يدخل أبو سفيان في عداد المسلمين كيفما كان ليرتفع بذلك أكبر سدّ، و ينزاح أكبر مانع من طريق الدعوة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٤

الإسلامية، لأنّ رجالاً مثل «أبي سفيان» و «أبي جهل» و «عكرمة» و «صفوان بن أمية» و غيرهم، كانوا قد أوجدوا جؤاً من الرعب و الخوف في مكة استمرّ أعواماً عديدة، فلم يكن يجرأ أحد من المكيين في مثل هذا الجؤ المشحون بالخوف أن يفكر في الإسلام، أو يظهر رغبته في اعتناقه، و الانضواء تحت لوائه.

(١) فإذا لم يكن إسلام أبي سفيان الظاهريّ و السطحيّ مفيداً من حيث الواقع، و لكنه كان مفيداً جداً لرسول الله صلى الله عليه و آله، و للذين كانوا تحت سيطرة أبي سفيان و نفوذ زعامته من جماهير مكة، و بالتالي لمن كانت له علاقات قريبي معه.

و مع ذلك لم يسمح رسول الله صلى الله عليه و آله بإخلاء سبيل أبي سفيان لأنه لم يكن آمناً- و حتى مع إظهاره الإسلام- من جانبه قبل أن يتم فتح مكة، و لهذا أمر صلى الله عليه و آله عمّه العباس بأن يحبسه بمضيق الوادي عند ممّر الجنود ليصير عظمة القوات الإسلامية، و كثافتها قائلاً:

«يا عباس احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل (أي انفه) حتى تمرّ به جنود الله فيراها».

ثم إن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه و آله: يا رسول الله إنّ أبا سفيان هذا رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً.

(٢) و استجاب رسول الله صلى الله عليه و آله لهذا الطلب، و مع أن أبا سفيان كان قد عادى رسول الله صلى الله عليه و آله و آله و ضده طيلة عشرين عاماً، و أثار في وجه دعوته الحروب و الفتن الكثيرة، و وجه بذلك ضربات كثيرة إلى الإسلام و المسلمين، فمنحه- رغم ذلك و لمصالح خاصة- مقاماً، و قال كلمته التاريخية في حقه ... تلك الكلمة التي تكشف عن عظمة أخلاق رسول الإسلام صلى الله عليه و آله و سمو روحه، و عمق حكمته إذ قال:

«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٥

و من أغلق بابه فهو آمن.

و من دخل المسجد فهو آمن.

و من طرح السلاح فهو آمن» (١).

(١)

**مكة تستسلم من دون إراقة دماء:**

تقدّم جيش التوحيد العظيم نحو مكة، حتى أصبح على مقربة منها.

و قد كان رسول الله صلى الله عليه و آله عازماً على أن يفتح مكة من دون إراقة دماء، و إزهاق أرواح، و أن يسلم العدو من دون أية

شروط.

و كان من العوامل التي ساعدت على تحقيق هذه الغاية- مضافا إلى عامل التكتّم والتستّر و مبدأ المباغتة- أنّ العباس عمّ النبيّ صلّى الله عليه وآله توجه إلى مكة كداعية صلح و وسيط سلام بين قريش و النبيّ صلّى الله عليه وآله فكان أن أتى بأبي سفيان إلى معسكر الاسلام كما أسلفنا، و بذلك توصل إلى تحييد أبي سفيان، و لم يكن في مقدور سادة قريش أن يتخذوا قرارا حاسما من دون أبي سفيان.

(٢) و عند ما خضع أبو سفيان أمام عظمة رسول الاسلام الفريضة و أظهر الاسلام، رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يستفيد منه لإرعاب المشركين أكثر قدر ممكن، فأمر العباس بأن يجسه عند مضيق الجبل ليرى بام عينيه حشود المجاهدين من المسلمين- كما أسلفنا- في وضح النهار مع كامل عدّتهم و اسلحتهم، و نظامهم و قوتهم، فيخبر قريشا بذلك، فيزيدهم خوفا و رهبة، فينصرفوا عن فكرة مقاومة الجيش الاسلامي عند دخوله إلى مكة.

و فعل العباس ما أمره الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله فحبس أبا سفيان

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٠٠ و ٤٠٤، مجمع البيان: ج ١٠ ص ٥٥٤-٥٥٦، المغازي: ج ٢ ص ٨١٦-٨١٨، شرح نهج البلاغة الحديدي: ج ١٧ ص ٢٦٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٦

حيث أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله.

(١) فمّرت القبائل مع راياتها أمام أبي سفيان، و كانت بعض قطعات الجيش الاسلامي على النحو التالي:

(٢) ١- كتيبة قوامها ألف مقاتل من بنى سليم بقيادة خالد بن الوليد، و فيها لواءان، أحدهما مع «عباس بن مرداس»، و الآخر مع «المقداد».

(٣) ٢- فوجان قوامهما خمسمائة مقاتل بقيادة «الزبير بن العوام» الذي كان يحمل معه لواء أسودا، و كان أكثر أفراد هذا الفوج من المهاجرين.

(٤) ٣- فوج قوامه ثلاثمائة مقاتل من بنى غفار بقيادة «أبي ذر الغفاري» و كان لواءه معه.

(٥) ٤- فوج قوامه اربعمائة مقاتل من بنى سليم بقيادة «يزيد بن الخصيب» و معه لواءه.

(٦) ٥- فوجان قوامهما خمسمائة مقاتل من بنى كعب بقيادة «بشر بن سفيان» و رأيته معه.

(٧) ٦- كتيبة قوامها ألف مقاتل من بنى مزينة، فيها ثلاثة ألوية، لواء مع النعمان بن مقرن، و لواء مع بلال بن الحارث، و لواء مع عبد الله بن عمر.

(٨) ٧- كتيبة قوامها ثمانمائة مقاتل من جهينة، فيها أربعة ألوية، لواء مع «معبد بن خالد» و «سويد بن صخره» و «رافع بن مكيث» و «عبد الله بن بدر».

(٩) ٨- فوجان قوامهما مائتا مقاتل من بنى كنانة، و بنى ليث و ضمرة، بقيادة «أبي واقد الليثي»، و كان لواءهما معه.

(١٠) ٩- فوج قوامه ثلاثمائة، مقاتل من بنى أشجع، و فيها لواءان أحدهما بيد «معقل بن سنان» و الآخر مع «نعيم بن مسعود» «١».

(١) لقد سجّل المؤرخ الاسلامي الشهير «الواقدي» عدد أفراد هذه القطعات في تاريخه «المغازي»:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٧

(١) و عند ما كانت هذه القبائل و القطعات تمرّ، سأل أبو سفيان العباس عن اسمها، و خصوصياتها، فكان العباس يوضح له كل ذلك.

والذى كان يزيد هذا الجيش المنظم جلالا و عظمة أن قادة هذه الافواج و الكتائب كانوا اذا مروا على العباس و أبى سفيان كثيرا ثلاثا بأعلى أصواتهم و بشكل منظم، و كبر من ورائهم جنودهم بصوت واحد و منظم أيضا كأكبر شعار اسلامى. و لقد كان لهذه التكبيرات الهادرة التى كانت تدوى فى وديان مكة، و ترددها الجبال و الوديان، أكبر الاثر فى نفوس الاصدقاء و الاعداء، فكانت تزيد بهيبتها و جلالها من محبة الاصدقاء للنظام الاسلامى العظيم، بينما ترهب أعداء الله، و تغرقهم فى خوف و رعب شديد.

هذا و كان أبو سفيان ينتظر بفارغ الصبر عبور الكتيبة التى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله و لهذا كان يسأل العباس كلما مرّت قطعة من قطعات الجيش الاسلامى: أ فيها محمّد؟ أو ما مضى بعد محمّد؟!

(٢) فيقول العباس: لم يمض بعد، لو رأيت الكتيبة التى فيها محمّد صلى الله عليه وآله رأيت الحديد و الخيل و الرجال و ما ليس لأحد به طاقة.

و بينما هما كذلك إذ طلعت كتيبة عظيمة قوامها خمسة آلاف مقاتل، فيها ألفا دارع فقط، فيها الرايات و الأولوية الكثيرة، فيها المهاجرون و الانصار، مع كل بطن و قبيلة من قبائل الأنصار راية و لواء، و كانت تسمى كتيبة رسول الله صلى الله عليه وآله الخضراء لأن أفرادها كانوا فى الحديد لا يرى منهم إلا الحدق، و قد ركبو الخيول العربية الاصيله، و الحمر من الإبل، و رسول الله صلى الله عليه وآله فى وسطها راكب على ناقته القصوى، و قد أحدق به كبار الشخصيات من

— ج ٣ ص ٨٠٠ و ٨٠١ و ص ٨١٩ بشكل دقيق، و قد نقلها عنه ابن أبى الحديد فى ج ١٧ ص ٢٧٠ و ٢٧١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٨

المهاجرين و الانصار، و النبى صلى الله عليه وآله يحدّثهم.

فارعبت عظمة هذه الكتيبة أبا سفيان، بشده، حتى أنه قال للعباس من دون اختيار: ما لأحد بهؤلاء قبل و لا طاقة يا أبا الفضل! و الله يا ابا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما.

فقال له العباس - بنبرة موبخة -: ويحك يا أبا سفيان ليس بملك إنّه النبوة.

فليس هذه العظمة و الجلال من أثر الملك المادى الدينوى إنما هو فعل الرسالة الالهية، إنه جلال النبوة، و انه بالتالى من فضل الله عزّ و جلّ الذى أدخل الاسلام فى قلوب هذه الجماهير المؤمنة، و هذه الجموع المجاهدة فى سبيل الله.

(١)

### أبو سفيان يرجع إلى مكة:

إلى هنا قام العباس بدوره على أفضل صورة، فقد أربع أبو سفيان من قوة الاسلام العسكرية الكبرى، و لهذا رأى النبى صلى الله عليه وآله و آله أن يخلى سبيله ليذهب إلى مكة قبل دخول جنود الاسلام فيها، فيخبر أهلها بعظمة و قوة الجيش الاسلامى القادم إليهم، و يحذّرهم من مغبة المقاومة و المواجهة، و يدلهم على طريق الخلاص و النجاة، و هو التسليم للأمر الواقع، و القاء السلاح، و الاستسلام من دون قتال و مقاومة، و من دون قيد و شرط، لأن بمجرد تخويف أهل مكة من دون إرشادهم إلى طريق الخلاص ما كان ليتحقق هدف النبى الاكرم صلى الله عليه وآله، و هو الفتح من دون دماء.

(٢) فدخل أبو سفيان مكة، و قد بات الناس ليلتهم فى رعب شديد، و ترقّب رهيب حتى أصبحوا، و لم يكن بإمكانه أن يقرّروا شيئا من دونه، فلما رأوه قادما أحاطوا به، فاخذ يشير الى ناحية المدينة، و قد اصفرّ وجهه، و انهارت قواه و صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، أو قال:

هذا محمّد في عشرة آلاف فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٨٩

على أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكتف بهذا بل أضاف إلى الأماكن الثلاثة التي أعلنها للجوء الناس إليها حتى يأمنوا من القتل، موضعاً آخر، حيث عقد لابي رويحة «عبد الله بن عبد الرحمن الخنعمي» لواء وأمره أن ينادى: «من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن» (١).

(١) وقد تسبّب أبو سفيان بنديته في إضعاف المعنويات عند أهل مكة بشده حتى أنهم انصرفوا عن فكرة المقاومة، لو كانت، و أثمرت جهود العباس ومسايعه في الليلة الفاتئة، وأصبح فتح مكة من دون مقاومة في نظر أهل الرأي وعند من ينظر الى واقع الامور، أمراً مسلماً وقطعياً.

ففرح الناس، وتفزقوا، ولجأ بعضهم إلى دورهم، والبعض الآخر إلى المسجد، وأسدى أعدى أعداء الرسالة ونعى أبا سفيان، ونتيجة لتدبير رسول الله الحكيم، أكبر خدمه لجنود الاسلام، حيث مهّد لهم- بما أوجده في نفوس المكيين وقلوبهم من هزيمة نفسية- طريق الفتح العظيم بسلام، ومن دون مشاكل تذكر، اللهم إلا «هند» زوجة أبي سفيان التي كانت تحرض الناس على المقاومة، و راحت تشتم زوجها وتسهه باقذع الشتائم والسباب، وتتهمه بالجبن والذل.

بيد أن الأمر كان قد قدر، ولم تعد تنفع أية محاولة معاكسة، ولم تكن تلك الكلمات والأعمال المعارضة سوى هباء في شبك! (٢) ونظير هذا الذي فعلته هند، ما فعله وقام به بعض الزعماء المتطرفين مثل «صفوان بن أمية» و «عكرمة بن أبي جهل» و «سهيل بن عمرو» ممثل قريش في صلح الحديبية، الذين تحالفوا فيما بينهم على أن يعملوا على منع قوات الاسلام من دخول مكة، وانخدع بهم فريق من البسطاء والمغفلين، فشهروا السلاح في وجه أول قطعة من قطعات الجيش الاسلامي، وسدّوا بذلك الطريق عليها في محاولة

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٣٧٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٠.

يائسه لتحقيق ما ربهم.

(١)

### القوات الاسلامية تدخل مكة:

وقبل ان تدخل قوات الاسلام مكة كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد دعا جميع قادة و امراء جيشه وقال لهم بانه يريد ان يفتح مكة من دون إراقة أئيه دماء، ولهذا امرهم ان لا يقاتلوا إلّا من قاتلهم، إلّا أنه أمر بقتل عشرة و ان وجدوا تحت أستار الكعبة وهم: «عكرمة بن أبي جهل» و «هبار بن الاسود» و «عبد الله بن أبي سرح» و «مقيس بن حبابه الكندي» و «الحويرث بن نقيذ» و «عبد الله بن حنظل» و «صفوان بن أمية» و «وحشى بن حرب» قاتل حمزة.

و «عبد الله بن الزبيرى» و «حارث بن طلاله» و اربع نسوة و كان كل واحد من هؤلاء قد قتل أحدا او ارتكب جناية أو شارك في مؤامرة او حرب ضدّ الاسلام و المسلمين (١).

وقد بلغ الأمراء والقادة هذا الأمر إلى جنودهم كافة، ومع أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعرف مسبّقا بمعنويات المكيين المنهارة، وعدم قدرتهم على المقاومة، إلا أنه- مع ذلك- لم يترك جانب الاحتياط والحذر الذي يفرضه العمل العسكري، عند دخول مكة، حيث رسم لدخولها خطة دقيقة.

(٢) فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله بجيشه كله إلى «ذى طوى» (وهو موضع مرتفع كانت ترى منه بيوت مكة و منازلها) و هو فى كتيبة قوامها خمسة آلاف، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله منازل مكة اغرورقت عيناه بدموع الشوق و الحنين، فانحنى تواضعا لله تعالى و شكرا، حتى رأى ما رأى من فتح الله، و كثرة المسلمين حتى مسّت لحيته الشريفة واسطة الرجل أو يقرب منه.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٠، تاريخ الخميس: ج ٢ ص ٩٠-٩٤ و قد ذكر صاحب تاريخ الخميس تفاصيل ما ارتكبه هذه الجماعة المهدورة دماؤها و ما آل إليه أمرهم بعد فتح مكة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩١

(١) و مراعاة لجانب الحذر و الاحتياط فزق صلى الله عليه وآله جنوده فأمر البعض بأن يدخلوا مكة من أسفلها، و أمر البعض بأن يدخلوها من أعلاها، و لم يكتف بهذا بل أمر وحدات من الجيش بان تدخل من جميع المداخل و الطرق المؤدية إلى داخل مكة. فدخلت جميع وحدات الجيش الاسلامى و قطعاته و كتائبه و فرقه مكة من دون قتال و من دون ان تلقى من أهلها مقاومة، فقد كانت جميع الأبواب مفتحة فى وجوههم ألا المدخل الذى دخل منه «خالد بن الوليد» بفرقه، فقد عمد جماعة من المكيبين بتحريض من «عكرمة» و «صفوان» و «سهيل» على شهر أسلحتهم فى وجوه المسلمين، و رموا بالنبل لمنعهم من دخول مكة، و وقع قتال بين الجانبين، و لكن محرّضى هذه الجماعة اختفوا بعد شىء من القتال و المقاومة، و فر الآخرون بعد أن قتل منهم المسلمون اثنى عشر أو ثلاثة عشر شخصا «١».

(٢) و مرة اخرى قام أبو سفيان و من حيث لا يشعر بعمل آخر لصالح الاسلام فى هذه الحادثة، فانه كان لا يزال مرعوبا ممّا رأى من كثرة الحشود العسكرية الاسلامية و قوتها و كان يعلم ان المقاومة لا تجدى نفعاً و لا تجرّ على أهل مكة إلا الضرر، و لهذا نادى بأعلى صوته - حقنا للدماء -: يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن، و من وضع السلاح فهو آمن ... فلا يدفع محمداً شىء، فضعوا اسلحتكم، و ادخلوا فى بيوتكم، و اغلقوا عليكم أبوابكم او ادخلوا المسجد، تسلموا.

(٣) فكان لنداء أبى سفيان هذا أثره فى نفوس الناس فجعلوا يقتحمون الدور، و يغلقون عليهم، و يطرحون السلاح فى الطرقات حتى يأخذها المسلمون، بينما لجأ بعضهم إلى المسجد.

و لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله على «ثنية أذاخر» نظر إلى لمعان

(١) السيرة النبوية: ج ١ ص ٤٠٨، و حسب المغازى: ج ٢ ص ٨٢٥-٨٢٦ قتل ثمان و عشرون رجلا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٢

السيوف و هى تصعد و تهبط فقال: «ما هذه البارقة؟ ألم أنه عن القتال؟»

فقيل: يا رسول الله، خالد بن الوليد قوتل، و لو لم يقاتل ما قاتل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «قضى الله خيرا».

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل مكة من ناحية أذاخر، و هى أعلى نقطة فى مكة فى موكب عظيم جليل، فضرب له قبة من آدم بالحجون (عند قبر عمّه العظيم أبى طالب) ليستريح فيها، و قد أصروا عليه صلى الله عليه وآله بأن ينزل فى بعض بيوت مكة فأبى صلى الله عليه وآله «١».

(١)

### كسر الاصنام و غسل الكعبة:

لقد استسلمت مكة التى كانت مركزا رئيسيا للشرك و الوثنية طوال أعوام عديدة و مديدة، أمام قوات التوحيد الظافرة، و سيطر جنود

الاسلام على جميع نقاط تلك المدينة المقدسة.

و لقد استراح رسول الله صلى الله عليه وآله في الخيمة التي ضربوها له في الحجون بعض الوقت.

ثم انه صلى الله عليه وآله بعد أن اطمأن و اغتسل ركب راحلته «القصواء» و توجه الى المسجد الحرام لزيارة بيت الله المعظم و الطواف به، بينما كان يحمل معه السلاح، و المغفر على رأسه، و تحيط به هالة من العظمة و الجلال، و يحدق به المهاجرون و الانصار، و قد صف له الناس من المسلمين و المشركين، بعض يغمره الفرخ و السرور، و آخرون يكادون ينفجرون من الغيظ.

(٢) و لما انتهى صلى الله عليه وآله إلى الكعبة فرآها و معه المسلمون تقدم على راحلته، و لم يترجل منها لأسباب خاصة فاستلم الركن بمحجنه بدل استلامه بيده، و كبر فكبر المسلمون لتكبيره، و رجعوا التكبير حتى ارتجت مكة لتكبيرهم

(١) الامتاع: ج ١ ص ٣٨٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٣

و دوى صوتهم في الجبال و الوهاد، و سمعه المشركون الذين كانوا قد تفرقوا فوق الجبال ينظرون إلى ذلك المشهد و قد بلغ من هياج المسلمين، و هم يطوفون بالبيت من شدة سرورهم جدا كاد أن يمنع رسول الله صلى الله عليه وآله من الطواف بالبيت بفكر هادئ فإشار إليهم صلى الله عليه وآله أن اسكتوا، فسكت الجميع بأمره، و ساد الصمت كل أرجاء المسجد الحرام، فطاف رسول الله صلى الله عليه وآله بالبيت على راحلته، و قد أخذ بزمامها «محمد بن مسلمة» و فيما احتبست الاصوات في الصدور، و اتجهت الأبصار إليه صلى الله عليه وآله فوقع عيناه الشريفتان- في الشوط الأول من طوافه- على الاصنام الكبرى «هبل» و «اساف» و «نائلة» منصوبة فوق الكعبة، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله كلما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده و يقول: «جاء الحق و زهق الباطل إن الباطل كان زهوقا» فيقع الصنم لوجهه.

(١) و أمر صلى الله عليه وآله بهبل أكبر أصنام المشركين فحطم و كسر في مرأى من المشركين، و لقد كان هذا الصنم الكبير يهيمن على عقول الجاهليين في الجزيرة العربية، و يسيطر على أفكارهم أعواما عديدة.

و لما كسر المسلمون ذلك الصنم قال الزبير لأبي سفيان و كان ينظر إلى ذلك المشهد: يا أبا سفيان لقد كسر هبل، أما إنك قد كنت منه يوم «احد» في غرور، حين تزعم أنه قد أنعم.

فقال أبو سفيان: دع هذا عنك يا ابن العوام فقد أرى لو كان مع إله محمد غيره لكان غير ما كان.

(٢) و لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله من طوافه بالبيت انصرف فجلس ناحية من المسجد، و الناس حوله، ثم أرسل بلالا إلى «عثمان بن طلحة» يأتيه بفتح الكعبة، و كان عثمان يومذاك سادن الكعبة، و قد كانت السدانة تتوارث جيلا بعد جيل.

فجاء بلال إلى عثمان فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله يأمرك أن

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٤

تأتي بفتح الكعبة، فاستجاب عثمان، إلّا أن أمه منعتة عن ذلك، و كان المفتاح يومئذ عندها و قالت له: اعيدك بالله أن تكون الذي تذهب مأثرة قومه على يديه.

(١) فقال لها عثمان: فوالله لتدفعته إليّ، أو ليأتيك غيري فيأخذ منك، فسلمته إياه. سيد المرسلين ج ٢ ٤٩٤ كسر الاصنام و غسل

الكعبة: ..... ص : ٤٩٢

تح رسول الله صلى الله عليه وآله به باب الكعبة و دخل البيت، و دخل من بعده صلى الله عليه وآله اسامة بن زيد و بلال و عثمان و سادتها، ثم أمر النبي باغلاق باب الكعبة، و وقف خالد بن الوليد على الباب يذب الناس عن الباب.

و كانت جدران الكعبة من الداخل مغطاة بصور الأنبياء و الملائكة و غيرهم، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بمحوها جميعا، و غسلها

بماء زمزم.

(٢)

### على عليه السلام على كتف النبي:

يقول المحذثون و المؤرّخون: لقد كسرت بعض الأصنام الموضوعه في الكعبه على يد «علي بن أبي طالب» و ذلك عند ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «اجلس».

فجلس إلى جنب الكعبه ثم صعد رسول الله صلى الله عليه وآله على منكبي ثم قال: انهض بي إلى الصنم ... فحاول أن ينهض فلم يطق.

فلما رأى النبي ضعفه تحته، قال:

«اجلس».

فجلس علي عليه السلام ثم نزل النبي صلى الله عليه وآله عنه، ثم جلس صلى الله عليه وآله ثم قال:

«يا علي اصعد على منكبي».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٥

(١) فصعد علي عليه السلام على منكبه، ثم نهض به فالقى صنم قريش الاكبر، و كان من نحاس، ثم ألقى بقيه الاصنام إلى الارض و حطمها.

و قد أنشد شاعر الحله الشهير بابن العرنديس، و هو من شعراء القرن التاسع الهجري قصيده ذكرها فيها هذه الفضيله بقوله:

و صعود غارب أحمد فضل له دون القرايه و الصحابه أفضلًا «١» ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بان يفتح باب الكعبه فوقف على الباب، و أخذ بعضادتي الباب فاشرف على الناس بطلعته المنيره و محياه الجميل و قال:

«الحمد لله الذي صدق وعده و نصر عبده و هزم الأحزاب وحده».

(٢) و لقد كان الله سبحانه قد وعد نبيه الكريم في آيه من آيات الكتاب العزيز بأن يعيده الى مسقط راسه اذ قال: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ربّي اعلم من جاء بالهدى و من هو في ضلال مبين» «٢».

و قد أخبر النبي صلى الله عليه وآله بحمده هذا عن تحقّق وعد الله له، و برهن مره اخرى على صدقه، و صحه دعواه.

و في ما كان الصمت يخيم على أرجاء المسجد الحرام، و في ما كانت الانفاس محتبسه في الصدور، و تجول في رءوس الحاضرين و انفسهم أفكار مختلفه، و خواطر شتى، و يتذكر أهل مكه المشركون ما ألحقوه برسول الله صلى الله عليه وآله و اتباعه من الأذى و العذاب الشديد، فتذهب بهم تصوراتهم مذاهب شتى!!

(٣) إن الذي سبق لهم أن اشعلوا حروبا كثيره ضد رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و قتلوا خيره شبابه و أصحابه، بل و تمادوا في غيهم و عدوانهم حتى أنهم تأمروا

(١) مسند احمد بن حنبل: ج ١ ص ٨٤ باسناد صحيح، السيره الحلبيه: ج ٣ ص ٨٦. تاريخ الخميس:

ج ٢ ص ٨٦ و ٨٧، مستدرک الحاكم: ج ٢ ص ٣٦٧، و راجع بقيه المصادر في موسوعه الغدير: ج ٧ ص ١٠-١٣.

(٢) القصص: ٨٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٦



لاغتياله بالهجوم عليه في منزله ليلا، و تقطيعه بالسيوف إربا إربا، ها هم الآن يرون أنفسهم أسرى في قبضته، و هو صَلَّى الله عليه وآله قادر على أن ينتقم منهم كيفما شاء!!

(١) إن من الطبيعي أن يتحدث أهل مكة في أنفسهم و هم يتذكرون معاداتهم الشديدة و الطويلة لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله و جرائمهم الكبرى بحقه، و بحق دعوته و يقول بعضهم: أنه سيقتلنا حتما، أو يقتل فريقا منا، و يحبس آخرين، و يسبي ذريتنا و نساءنا، جزاء ما فعلنا.

و بينما كانوا- في تلك اللحظات- فريسة هذه الافكار و التصورات الشيطانية، كسر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله جدار الصمت الرهيب الذي يخيم على أرجاء المسجد الحرام و قال سائلا:  
«ما ذا تقولون ... و ما ذا تظنون؟!».

فقال أهل مكة: و قد تملكتهم حيرة شديدة، و خوف عظيم و هم قد عرفوا رحمة النبي و رأفته، و لطفه لطفه، و خلقه العظيم: نقول خيرا، و نظن خيرا، أخ كريم، و ابن أخ كريم، و قد قدرت.

فقال رسول الله و نبي الرحمة صَلَّى الله عليه وآله، و قد سمع هذه العبارات العاطفية:

فاني أقول لكم كما قال أخى يوسف «قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم و هو أرحم الراحمين» (١).

(٢) و كان أهل مكة قد اطمأنوا إلى عفو النبي و صفحه قبل ذلك نوعا ما عند ما رأوا رد فعله الشديد على أحد قادة جيشه عند ما أخذ ينادى حين دخول مجموعته العسكرية مكة من احدى مداخلها:

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمه

(١) المغازى: ج ٢ ص ٨٣٥، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٧ و ١٣٢ و الآية المذكورة هي ٩٢ من يوسف.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٧

فغضب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لهذا الشعار و قال ردا عليه:

«اليوم يوم المرحمة» (١) «(١) كما أنه أمر- لغرض تأديب من أطلق هذا الشعار- بأخذ اللواء منه، و أعطاه إلى شخص آخر، و قيل إنه صَلَّى الله عليه وآله عزله عن قيادة المجموعة، و أمر ابنه مكانه، و كان هذا الأمير هو سعد بن عبادة رئيس الخزرج.

و قد دفع هذا النوع من اللطف و الموقف الايجابي الذى لاحظته أهل مكة المشركون أن يأمل الناس المغلوبون فى العفو العام إلى درجة كبيرة، خاصة أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قد آمن من دخل المسجد الحرام أو بيت أبي سفيان، أو ألقى السلاح، أو أغلق على نفسه باب منزله.

كل هذه الامور كانت قد فتحت على أهل مكة بصيصا من الأمل فى العفو الشامل.

(٢)

### النبي يعلن عن العفو العام:

ثم إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أعلن عن العفو العام عن جميع أهل مكة بقوله:

«ألا لبئس جيران النبي كنتم، لقد كذبتم، و طردتم، و أخرجتم، و آذيتهم، ثم ما رضيتم حتى جئتموني فى بلادى تقاتلوننى اذهبوا فانتم الطلقاء» (٢).

(٣)



**بلال يرفع الأذان على سطح الكعبة:**

ثم حان وقت صلاة الظهر، فعلا مؤذن الاسلام «بلال» الحبشى سطح الكعبة المعظمة، و رفع فى الحاضرين و بصوت عال نداء التوحيد و الرسالة

(١) المغازى: ج ٢ ص ٨٢١ و ٨٢٢.  
 (٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٦، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٢.  
 سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٨  
 (الأذان)، فكان كل واحد من المشركين يقول كلاما، غضبا و حنقا على بلال.  
 فمنهم من قال: الحمد لله الذى أكرم أبى فلم يسمع هذا اليوم!!  
 و قال أبو سفيان أما أنا فلا أقول شيئا، لو قلت شيئا لآخبرته هذه الحصبة!! «١».  
 (١) إن هذا العجوز الخرف المعاند الذى لم يشرق فى قلبه نور الإسلام حتى آخر لحظة من حياته، خلط بين مسألة الاطلاع على الغيب، و تلقى الحقائق عن طريق الوحي، و بين مسألة التجسس الذى يعتمده جبابرة العالم و طغاته.  
 إن مسألة اطلاع رسول الله صلى الله عليه و آله على قضايا الغيب أمر يحصل بطرق غير عادية و لا متعارفة، فى حين تحصل معرفة جبابرة العالم بمجريات الامور فى بلادهم عن طريق استخدام عناصر بشرية، أو من يسمون برجال المخبرات و الأمن.  
 و على كل حال فان رسول الله صلى الله عليه و آله صلى بالمسلمين صلاة الظهر ثم دعا «عثمان بن طلحة» و رد إليه مفتاح الكعبة، و قال له:

«هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم برو و وفاء» «٢».

و روى أنه صلى الله عليه و آله قال:

«خذوها يا بنى أبى طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم أحد إلا ظالم» «٣».

(٢) و لم يكن غير هذا بمتوقع من رسول الله صلى الله عليه و آله.

فإن النبى الذى بعثه الله سبحانه إلى الناس ليدعوهم إلى أداء الامانة- فيما يدعوهم إليه- و ليبلغهم قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» من المسلم أن يكون أول من يلتزم بهذا التعليم الالهى، فيعيد مثل تلك الامانة الكبرى إلى صاحبها.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٣.

(٢) و (٣) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٢، المغازى: ج ٢ ص ٨٣٨ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢ ص ١٣٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٤٩٩

إنه لم يكن بالذى يهضم حقوق الناس و يدوسها، فى ظل ما أوتى من قوة، و يقول للناس بكل صراحة: «خذوها يا بنى أبى طلحة، تالدة خالدة لا ينزعها أحد منكم إلا ظالم».

ثم ان رسول الله صلى الله عليه و آله ألغى جميع مناصب الكعبة التى كانت فى الجاهلية إلا ما كان نافعا للناس كالسدانة و الحجابة (و هى القيام بشئون أستار الكعبة) و سقاية الحجيج «١».

(١)

**النبى يتحدث إلى أقاربه:**

ولكى يعرف أقرباء النبي صلى الله عليه وآله أن وشيجه القريبى التى تربطهم برسول الله صلى الله عليه وآله لا ترفع عن كاهلهم أية مسئولية من المسئوليات، بل تزيد من مسئوليتهم ألقى فيهم خطابا خاصا بين فيه أن رابطة القربى مع النبي صلى الله عليه وآله لا تبرر لأحد من أقربائه بأن يتجاهل قوانين الحكومة الإسلامية، ويتخذ من انتسابه إلى زعيم هذه الحكومة ذريعة وغطاء لارتكاب ما لا يحل للآخرين كما هو الحال فى أنظمة الحكم البشرية.

ولقد شجب رسول الله صلى الله عليه وآله فى خطابه هذا الذى خطبه فى اجتماع ضم رجال بنى هاشم و بنى عبد المطلب، كل تمييز، و تفضيل غير صحيح، و دعا إلى لزوم العدل و مراعاة المساواة، بين جميع الطبقات اذ قال:

(٢) «يا بنى هاشم، يا بنى عبد المطلب إني رسول الله إليكم، و إني شفيق عليكم، لا تقولوا: إن محمدا منا، فوالله ما أولياى منكم و لا من غيركم إلا المتقون فلا أعرفكم تأتونى يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم و يأتى الناس يحملون الآخرة. ألا و إني قد أعذرت فيما بينى و بينكم، و فيما بين الله عزّ و جلّ و بينكم و إن

(١) بحار الأنوار: ج ٢١، ص ١٣٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٠

لى عملى و لكم عملكم» (١).

(١)

### خطاب النبي التاريخى فى المسجد الحرام:

#### إشارة

كان الاجتماع الذى شهده المسجد الحرام يوم فتح مكة اجتماعا عظيما جدا. المسلمون و المشركون، و الصديق و العدو حضروا بأجمعهم فى ذلك الاجتماع، و كانت تجلج هالة من عظمة الاسلام و عظمة نبيه الكريم صلى الله عليه وآله رحاب ذلك المكان المبارك، و كان الصمت و الهدوء، و حالة من الانتظار و الترقب، تخيم على اجواء مكة.

لقد آن الأوان- الآن- لأن يكشف رسول الله صلى الله عليه وآله للناس عن الملامح الحقيقية لدعوته المباركة و يوقف ذلك الحشد الهائل المتعطش على معالم رسالته العظمى، و مبادئ دينه الحنيف، و بالتالى أن يكمل حديثه الذى بدأه قبل عشرين عاما و لكّنه لم يوفق لإتمامه بسبب مضايقات المشركين، و معارضتهم، و بسبب ما أوجدوه من عقبات و عراقيل فى طريقه.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله ابن تلك المنطقة، و تلك البيئه، و لهذا كان عارفا- تمام المعرفة- بأمراض المجتمع العربى، و أدوائه، و علاج تلك الأدواء و دوائها.

(٢) لقد كان يعرف صلى الله عليه وآله علل انحطاط المجتمع المكيّ و اسباب تخلفه عن ركب الحضارة و المدنية، و عن اللحاق بقافلة التكامل البشرى الصاعد.

من هنا رأى أن يضع يده على مواضع الداء فى ذلك المجتمع المريض، و أن يعالج امراض البيئه العربيه بشكل كامل، و كأى طبيب حاذق، و حكيم ماهر.

و نحن هنا ندرج أبرز المقاطع فى الخطاب التاريخى الذى ألقاه سيد المرسلين

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١١١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠١

صلى الله عليه وآله على الحشود الكبيرة المتجمعة في ذلك اليوم عند بيت الله المعظم.

تلك المقاطع التي يعالج كل واحد منها مرضا اجتماعيا خاصا من أمراض المجتمع في ذلك العصر و حتى في عصرنا الحاضر.

(١)

### ١- التفاخر بالنسب:

كان التفاخر بالنسب و القبيلة و العشيرة من الامراض المستحكمة المتجذرة في البيئته العربية الجاهلية، و كان من اكبر أمجاد المرء أن

ينتسب إلى قبيلة معروفة، و يتفرع نسبه عن عشيرة بارزة كقريش مثلا:

و لقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطابه المذكور لإبطال هذه السنّة الجاهلية المقيته.

«أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية و تفاخرها بأبائها.

ألا إنكم من آدم، و آدم من طين.

ألا إن خير عباد الله عبد اتقاه».

لقد عمد رسول الله صلى الله عليه وآله في خطابه- لإفهام العالم البشرى بأن ملاك الشخصية و التفوق انما هو (التقوى) و الورع

فقط- إلى تصنيف الناس الى صنفين لا ثالث لهما، و اعطى الفضيلة و المنزلة لأهل التقوى و الورع خاصة.

و بهذا التصنيف الواقعي في ملاكاته أبطل جميع المعايير الخيالية و الملاكات و المقاييس المصطنعة إذ قال:

«إنما الناس رجلان:

مؤمن تقى كريم على الله.

و فاجر شقى هين على الله».

(٢)

### ٢- التفاضل بالقومية العربية:

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعلم جيدا أن هذه الجماعة من

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٢

البشر تعتبر (العربية) و الانتساب الى العرق العربي من المفخر الكبرى، و كانت النخوة العربية قد ترسخت في قلوب تلك الجماعة و

عروقتها كداء دفين و مرض مزمن، فقال في خطابه لمعالجة هذا الداء الخبيث و تحطيم هذا الصرح الموهوم:

«إن العربية ليست بأب والد، و لكنه لسان ناطق، فمن قصر عمله لم يبلغ به حسبه».

و هل نجد كلاما أعمق مغزى، و أوضح مرادا، و أقوى وقعا في النفوس من هذا الكلام؟!!

(١)

**٣- لجميع أبناء البشر لا بعض دون بعض:**

لقد قال داعية الحرية الحقيقية، ورائد حقوق الانسان الواقعي بهدف تقوية ودعم مبدأ المساواة بين الافراد و الجماعات البشرية: «إنّ الناس من آدم الى يومنا هذا مثل اسنان المشط، لا فضل للعربي على العجمي، ولا للأحمر على الأسود إلّا بالتقوى». وقد ألغى رسول الانسانية الاعظم بهذا البيان الصريح كل انواع التمييز الظالمة، و كل ألوان التشدد مع الآخرين، و فعل و بين في ذلك العصر ما لم يفعله و لم يبينه ميثاق حقوق الانسان مع كل هذه الضجة الاعلامية التي نشهدها في عالمنا الحاضر.

(٢)

**٤- الحروب الطويلة و الاحقاد القديمة:**

لقد نشأت الاقوام العربية- نتيجة اشتغالها المستمر بالحروب الداخلية المتلاحقة و الطويلة- على الحقد و الضغينة. فقد كانت نيران الحروب مشتعلة في المجتمعات العربية على قدم و ساق و من دون انقطاع. و لقد واجه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد سيطرته الكاملة على الجزيرة سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٣ العربية هذه المشكلة.

فقد كان يتوجب عليه- بغية إقرار الأمن و الهدوء و الحفاظ عليهما في البيئة الاسلامية- أن يبادر الى وضع نهاية لهذه المعضلة، و أن يعالج هذا الداء المزمن فلم يجد دواء لهذا الداء إلّا أن يطلب من الناس كافة أن يتنازلوا عما لهم من دماء في أعناق الآخرين سفكت في العهد الجاهلي، و أن تعتبر جميع ملفات العهد القديم باطلة، و منتهية، ليتمكن عن هذا الطريق الحيلولة دون إراقة الدماء التي تعرض المجتمع الاسلامي الناشئ للخطر، و حتى ينتزع من أذهانهم و نفوسهم فكرة الاغارة و القتل العشوائي الذي كان يتم بحجة القصاص في حين كان من الممكن ان يتم بشكل القصاص الحقيقي العادل، فقال صلى الله عليه وآله للوصول إلى مثل هذه الغاية السامية.

«الإن كل مال و مأثرة و دم في الجاهلية تحت قدمي هاتين».

(١)

**٥- الاخوة الاسلامية:**

و لقد ارتبط قسم من خطاب رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الحشد العظيم بمسألة اتحاد المسلمين و وحدة كلمتهم، و حق المسلم على اخيه المسلم. و قد كان مقصوده صلى الله عليه وآله من بيان هذه الحقوق المتبادلة بين المسلمين التي تعتبر من مميزات الدين الاسلامي الحنيف، هو أن يرغب غير المسلمين في الاسلام إذا هم سمعوا و رأوا مثل هذه الحقوق، و مثل هذه العلاقات المتينة بين المسلمين. فقد قال في هذا الصعيد:

«المسلم أخو المسلم، و المسلمون إخوة و هم يد واحدة على من سواهم، نتكافؤ دماؤهم، ليسعى بدمتهم أذناهم» (١).

(١) لقد نقلنا هذه المختارات من: روضة الكافي: ص ٢٤٦، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٢، المغازي: ج ٢ ص ٨٣٦، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٠٥، شرح ابن أبي الحديد: ج ١٧، ص ٢٨١. سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٤ (١)

### معاقبة المجرمين:

### إشارة

ليس من شك في أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مظهراً كاملاً للانسانية والرحمة و مثلاً أعلى في العفو والصفح، فهو رغم مشاعر بعض المتطرفين الملتهبة، أصدر عفوه العام عن أهل مكة كافة.

بيد أنه كان هناك بين المكيين عدة أشخاص تجاوزوا الحد في معاداتهم للنبي و معارضتهم للرسول، و ارتكبوا في هذا السبيل جرائم لا تتغفر، فلم يكن من الصالح - مع كل ما تسببوه من فجاج و فضائح - أن يعيشوا بين المسلمين في أمان و راحة، إذ كان من الممكن أن يسيئوا استخدام العفو النبوي فيعودوا إلى مشاغبهم، و تأمرهم ضد الاسلام مرة أخرى و يتسببوا في ظهور مشاكل أمنية جديدة لا يعرف مداها، و تبعاتها.

و قد قتل بعض هؤلاء المجرمين على أيدي المسلمين في الطرقات، و لجأ اثنان منهم إلى بيت «أم هانئ» بنت أبي طالب اخت الامام على عليه السلام، فلاحقهما «علي» و هو غارق في الحديد لا يعرف، فدخل بيت أم هانئ يطلبهما «١» فواجهت أم هانئ فارساً لا يعرف فقالت: أنا امرأة مسلمة و قد أجرت هذين، و جوار المسلمة محترم. و في اكثر المصادر أنها قالت: يا عبد الله أنا أم هانئ ابنة عم رسول الله صلى الله عليه وآله و اخت علي بن أبي طالب، انصرف عن داري.

(٢) و هنا عمد الامام على عليه السلام إلى الكشف عن هويته لتعرفه، فنزع المغفر عن رأسه، و اسفر عن وجهه. فما أن وقعت عيناً أم هانئ على أخيها «علي» بعد فراق طال سنينا عديدة

(١) يقول ابن هشام إن الرجلين هما: «الحارث بن هشام» و «زهير بن أبي أمية بن المغيرة (السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١١). سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٥

و مديدة إلا و انحدرت منهما دموع الشوق و الفرحة، و اعتنقت أحاها، ثم توجهتا معاً الى رسول الله صلى الله عليه وآله ليعطى رأيه في أمانها، و جوارها فامضى رسول الله صلى الله عليه وآله جوار تلك المرأة المسلمة، و أمانها قائلاً: «قد أجرنا من أجرت و أمنا من أمنت فلا يقتلها» «١».

و قد كان عبد الله بن أبي سرح الذي أسلم ثم ارتد عن الاسلام احد العشرة الذين أمر النبي بقتلهم، و لكنه نجا من القتل بشفاعته عثمان له.

(١)

### قصة عكرمة و صفوان:

ولقد فرّ «عكرمة بن أبي جهل» أحد كبار مثيري الحروب و مشعلى الفتن ضد الاسلام و المسلمين، إلى اليمن، إلا أنه نجا من القتل هو الآخر بشفاعته زوجته، فى قصة مفصلة.

و أما «صفوان بن أمية» فانه مضافا إلى جرائمه الفادحة، كان قد قتل مسلما انتقاما لأبيه «أمية بن خلف» الذى قتل على أيدي المسلمين فى بدر، و ذلك عند ما صلبه أمام حشد كبير من أهل مكة فى وضح النهار، و لهذا أهدر رسول الله صلى الله عليه وآله دمه، فعزم ان يخرج من الحجاز عن طريق البحر فرارا من القتل، و بخاصة عند ما علم بأنه من جملة العشرة الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتلهم و أهدر دمهم.

(٢) فطلب «عمير بن وهب» من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعفو عنه، فقبل رسول الله صلى الله عليه وآله شفاعته، و أعطاه عمامته ليدخل بها مكة كعلامة أمان من رسول الله صلى الله عليه وآله، و يصطحب معه إلى مكة «صفوان بن أمية»، فذهب عمير إلى جدّه، و أخبر صفوان بذلك، و قدم به مكة

(١) الارشاد: ص ٧٢ إعلام الورى بأعلام الورى: ص ١١٠، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١١، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٤٤ و ١٤٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٦

على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما وقعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله على كبير المجرمين بل اكبرهم يومئذ قال له ردّا عليه لما سأله قائلا: أن عمير يزعم أنك قد أمنتني؟

«صدقت، انزل أبا وهب».

ثم دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله الى الاسلام فقال: اجعلنى بالخيار شهرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت بالخيار فيه أربعة أشهر» (١).

و بهذا أمهله رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أربعة أشهر كفرصة يفكر فيها فى الاسلام، و دعوة النبى.

(١) إن دراسة اجمالية و سريعة لهذا الموقف تكشف القناع عن حقيقة مسلمة فى الاسلام و فى تاريخه العظيم يحاول المستشرقون المغرضون إنكارها و إخفاءها، و هو أن رءوس الشرك كانوا أحرارا فى اختيار العقيدة الاسلامية و اعتناقها.

فهم اختاروها و اعتنقوها بمحض إرادتهم من دون إكراه أو إجبار، و لا إرعاب أو تخويف، بل كانت القيادة الاسلامية تسعى دائما إلى أن يتم اعتناق عقيدة التوحيد عن طريق التدبر و التفكير الصحيح، لاعن طريق الارعاب و التخويف.

هذا هو أبرز حوادث فتح مكة و اكثرها عبرة، و بقى أن نتعرض لذكر حادثتين جديرتين بالاطلاع و التأمل استكمالا لهذه الدراسة. و تانك الحادثتان هما:

(٢)

### ١- مبايعة النبى نساء مكة:

بعد بيعة «العقبه» كانت هذه هى المرة الاولى التى اخذ رسول الله صلى

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤١٨ المغازى: ج ٢ ص ٨٥٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٧

الله عليه و آله البيعة من النساء بشكل ظاهرى و رسمى، و لقد بايعنه على الامور التالية:

- ١- أن لا يشركن بالله شيئاً.
- ٢- ولا يسرقن.
- ٣- ولا يزنين.
- ٤- ولا يقتلن أولادهن.
- ٥- ولا يأتين بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن.
- ٦- ولا يعصين النبي في معروف.

(١) ولقد تمت هذه البيعة بالكيفية التالية وهي: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقده من ماء ثم ألقى في الماء شيئاً من الطيب والعطر ثم ادخل يده فيه و تلا الآية «١» التي وردت فيه الامور المذكورة ثم نهض من مكانه وقال صلى الله عليه وآله للنساء: «من أرادت أن تباع فلتدخل يدها في القدح فاني لا اصافح النساء» (٢).

و كانت العلة في أخذ مثل هذه البيعة- الخاصة في موادها و بنودها- من نساء مكة هي وجود عدد كبير من النسوة الفاسدات بينهن، فلو أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقدم على أخذ مثل هذه البيعة منهن لكان من المحتمل أن تستأنف تلك النسوة الفاسدات عملهن القبيح حتى في السر.

(٢) و كانت «هند» زوجة أبي سفيان بن حرب، و أم معاوية ذات السوابق السوداء و الفاضحة من بين تلك النسوة. و قد كانت هذه المرأة لفضاضة في طبعها و خشونة، في سلوكها، تهيمن على عقلية زوجها أبي سفيان، و لطالما فرضت عليه آراءها، حتى أنها يوم قرر أبو سفيان الاستسلام للأمر الواقع، و رغب أهل مكة في السلام حرّضت الناس على القتال

(١) الممتحنة: ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٨.

و سفك الدماء و مواجهة جنود الاسلام.

(١) إن تحريضات هذه المرأة بالذات هي التي أشعلت نيران الحرب في «احد»، تلك النيران التي كلفت، رسول الله صلى الله عليه وآله و آله سبعين شهيدا كان أبرزهم «حمزة» الذي بقرت تلك المرأة الفاسدة الفاجرة الحاقدة و بمنتهى القسوة و الفضاضة بطنه، و شقت صدره، و استخرجت كبده، و قطعته بأسنانها نصفين.

لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وآله بد من أخذ هذا النوع من البيعة من هذه المرأة و أمثالها في مرأى و مسمع من الناس. و قد تلا رسول الله صلى الله عليه وآله ما نزل من قوله تعالى من شروط البيعة عليهن، فلما بلغ إلى قوله: «و لا يسرقن» نهضت هند- و كانت آنذاك متقببة متنكرة- و قالت: إنّ أبا سفيان رجل ممسك و الله إنى كنت لأصبت من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة و ما كنت أدري أ كان ذلك حلالاً أم لا؟

(٢) فنهض أبو سفيان و قال: ما أصبت من مالى فيما مضى و فيما غبر فهو لك حلال.

فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله من خلال هذا الحوار بين هند و أبي سفيان أن المتكلمة هي «هند» بنت عتبة فقال صلى الله عليه وآله و آله لها سائلاً: «و انك لهند بنت عتبة»؟!

قالت: نعم، فاعف عما سلف عفا الله عنك!

و لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قوله تعالى: «و لا يزنين» نهضت هند مرة اخرى و ذكرت و هي تبرئ نفسها من هذه الوصمة، و ذكرت جملة كشفت عن خبيثة نفسها من دون شعور.

فلقد قالت: يا رسول الله أو تزنى الحرّة؟!!

لقد كان هذا الدفاع يعدّ - من منظار علم النفس - نوعاً من كشف القناع عما فى السريرة و الافصاح عما فى الضمير. و حيث إن هندا كانت تعرف أنها كانت فيما مضى تفعل مثل هذا، و كانت واثقة من ان الناس عند سماع هذه سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٠٩

العبارة سيلتفتون بانظارهم إليها لذلك لهذا سارعت فوراً - و يهدف صرف الأنظار عن نفسها - إلى القول: و هل تزنى إلّا الأمة دون الحرّة.

و من الصدف انه كان من الرجال فى ذلك المجلس بعض من سبقت له معها علاقات غير مشروعّة فى العهد الجاهلى فتعجب من إنكارها، فضحك حتى استغرق فى الضحك، و تسبّب دفاع هند عن نفسها فى المزيد من افتضاحها «(١)».

(١)

### هدم بيوت الاصنام بمكة و ما حولها:

كانت فى مكة و ضواحيها بيوت عديدة و كثيرة للاصنام التى كانت تقدّسها، و تحترمها القبائل المختلفة القاطنة فى تلك المناطق، و حتى يقضى رسول الله صلى الله عليه و آله على جذور الوثنية فى أرض مكة قام بارسال فرق عسكرية متعددة إلى تلك المناطق لهدم تلك المعابد، و البيوت، و إزالة الاصنام و الاوثان.

كما أنه صلى الله عليه و آله أعلن فى مكة نفسها أن من كان فى بيته صنم فليكسره، و فى هذا السياق أرسل «عمرو بن العاص» لتحطيم صنم «سواع» و سعد بن زيد لهدم صنم «منات».

و توجه «خالد بن الوليد» على رأس فرقة عسكرية الى «تهامة» لدعوة قبيلة «جذيمة بن عامر» إلى الاسلام، و هدم صنم «عزى»، و قد نهاه رسول الله صلى الله عليه و آله حين كلفه بهذه المهمة عن القتال و إراقة الدماء و بعث معه «عبد الرحمن بن عوف» ليعينه على ذلك.

و كانت قبيلة بنى جذيمة قد قتلت عمّ خالد بن الوليد «٢» و والد عبد الرحمن لدى رجوعهما من اليمن فى ايام الجاهلية و صادرت أموالهما، و لهذا كان «خالد»

(١) مجمع البيان: ج ٥ ص ٢٧٦.

(٢) هو الفاكه بن المغيرة بين عبد الله بن عمر بن مخزوم راجع للوقوف على اصل هذه الواقعة السيرة النبوية: ج ٤ ص ٧٤ و تاريخ اليعقوبى: ج ٢ ص ٦١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٠

يحقد عليهم.

(١) فلما التقى «خالد» بنى جذيمة فى أرضهم، و جدّهم قد أخذوا السلاح، و تهَيَّأوا لقتاله فأمنهم و قال لهم: ضعوا السلاح فان الناس قد أسلموا.

فرأى زعماء القوم ان يضع الناس السلاح، و يسلموا لجنود الاسلام، و لكن رجلاً من القوم أدرك بفتنته سوء نية خالد، فقال لزعماء القبيلة: و الله لا أضع سلاحى أبداً، فما بعد وضع السلاح إلا الإِسار، و ما بعد الإِسار ألا ضرب الاعناق!

و لكن بنى جذيمة رفضت قوله، و أخذت برأى أسيادها فوضعت السلاح، و آمن الناس، فأمر خالد جنوده فوراً بان يكتفوا رجال القبيلة، و باتوا فى وثاق.



فلما كان في السحر أمر بأن يقتل فريق منهم، وأطلق سراح آخرين.

(٢) وعند ما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله نبأ هذه الجريمة النكراء غضب صلى الله عليه وآله على خالد غضبا شديدا، ودعا عليا من فوره، وأعطاه مبلغا كبيرا من المال وأمره بالتوجه الى بنى جذيمه، وان يدفع دية من قتل أو جرح خالد من رجالهم، و ثمن كل ما خسروه أو فقدوه من أموالهم بدقه و عناية كاملتين.

فودى على عليه السلام لهم كل ما أصاب خالد، حتى أنه ليدى مبلغه الكلب (و هي الاناء الذى يلغ فيه الكلب) حتى اذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وداه بقيت معه بقيه من المال، فدعا رؤساء تلك القبيلة المنكوبه وقال لهم: هل بقى لكم من دم أو مال لم يود لكم؟

فقالوا: لا.

فقال عليه السلام: فانى اعطيكم هذه البقيه من المال احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وآله مما يعلم ولا تعلمون. ففعل ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره الخبر فقال صلى الله عليه وآله:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١١

«أصبت و احسنت».

(١) ثم قام رسول الله صلى الله عليه وآله واستقبل القبلة قائما شاهرا يديه حتى انه ليرى مما تحت إبطيه وقال:

«اللهم إنى أبرأ مما صنع خالد بن الوليد».

قالها ثلاث مرات «١».

لقد تلافى على عليه السلام جميع الخسائر المادية و الروحية التى لحقت ببنى جذيمه، و قد أعطى شيئا من ذلك المال لمن ارتاع، و فزع من صنع خالد و جنوده، و طيب خواطرهم و قال: و هذه لروعة القلوب.

و عند ما عرف رسول الله صلى الله عليه وآله بصنيع على عليه وآله بصنيع على عليه السلام و إجراءاته العادلة و الانسانية مع بنى جذيمه المنكوبين قال فى حقه:

«و الله ما يسرنى يا على أن لى بما صنعت حمر النعم «٢» ... أرضيتنى رضى الله عنك ... يا على أنت هادى أمتى، ألا إن السعيد كل السعيد من أحبك و أخذ بطريقتك، ألا إن الشقى كل الشقى من خالفك و رغب عن طريقتك إلى يوم القيامة ...» «٣».

(٢)

### جرائم اخرى لخالد:

لم تقتصر جرائم خالد التى ارتكبها طيلة حياته الاسلاميه فى ظاهرها على ما ذكر بل لقد ارتكب جريمة اخرى فى أيام حكومه «أبى بكر» اكبر و افضح مما مرت، و إليك خلاصه هذه الواقعة:

لقد ارتدت بعض القبائل - بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، أو

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٢٠، الكامل لابن الاثير: ج ١ ص ١٧٣ و ١٧٤ امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٠٠.

(٢) الخصال: ص ٥٦٢.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص ٣١٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٢

بالاحرى و فى الحقيقة رفضت الاعتراف بخلافه أبى بكر، و امتنعت عن أداء الزكاة إليه، فبعث أبو بكر فرقا عسكريه مختلفه لقمع

تلك الجماعات المتمردة.

(١) وبعث خالد بن الوليد على رأس فرقة عسكرية الى قبيلة «مالك بن نويرة» لمقاتلتها بحجة الارتداد، وكان «مالك» وجميع أفراد قبيلته على استعداد للقتال، وكانوا يقولون: نحن مسلمون، فلا معنى لمقاتلتنا. فمكر بهم خالد على نحو مكره بنى جذيمة في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمنهم، وطلب منهم إلقاء أسلحتهم، فلما وضعوا أسلحتهم، أمر بحبسهم، ثم قتلهم وقتل زعيمهم المسلم الصالح «مالك بن نويرة» واعتدى على زوجته في نفس الليلة «١». فهل يصح أن يوصف هذا الرجل - على هذه السوابق السوداء، ومع هذا الملف المخزي - بسيف الله، وأن يعد من امراء الاسلام المجاهدين الصالحين؟! «٢».

(١) الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ١٤٩، أسد الغابة: ج ٤ ص ٢٩٥ تاريخ ابن عساكر: ج ٥ ص ١٠٥، ١١٢ تاريخ ابن كثير: ج ٦ ص ٣٢١، تاريخ الخميس: ج ١ ص ٢٣٣.

(٢) لقد ورد ذكر هذه الحادثة في كتب التاريخ في حوادث السنة الأولى من حكومة «أبي بكر» بصورة مفصلة وقد ذكرناها ملخصة. وللوقوف على تحليل هذه القضية المؤسفة راجع كتاب النص والاجتهاد ص ٦١-٧٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٣

(١)

## ٥٠ معركة حنين

### إشارة

كانت طريقة رسول الله صلى الله عليه وآله عند فتح أيّة منطقة من المناطق هي أن يقوم بنفسه بإدارة شؤونها السياسية والدينية ما دام هو فيها، فإذا أراد أن يغادرها عين أفرادا صالحين للقيام بتلك الأمور، وشغل تلك المناصب لأن الناس في تلك المناطق كانوا قد اعتادوا على النظام المباد، ولم يكن لهم معرفة بالنظام الجديد، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الاسلام دين متكامل، ونظام سياسى، اجتماعى، أخلاقى، ومعنوى يستمد قوانينه من منبع الوحي الطاهر، ويحتاج إيقاف الناس على تلكم القوانين والتعاليم، وتطبيقها العملى إلى أفراد صالحين متمرسين ومدربين على التثقيف والتطبيق الصحيحين، ليتمكنهم إيقاف الناس في تلك المناطق على مبادئ الاسلام و اصوله الصحيحة، وتنفيذ البرنامج السماوى الاسلامى في حياتهم على النحو الصحيح.

(٢) وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله هذا عند فتح مكة، فانه صلى الله عليه وآله بعد أن قرر مغادرة مكة والمسير إلى قبيلتي «هوازن» و «ثقيف» عين «معاذ بن جبل» ليعلم الناس القرآن، وأحكام الاسلام، و «عتاب بن أسيد» الذى كان رجلا مؤهلا، لإدارة الامور، والصلاة بالناس جماعة، ثم غادر رسول الله صلى الله عليه وآله مكة بأصحابه بعد أن مكث فيها خمسة عشر يوما متوجها إلى أرض هوازن «١».

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٣٧، والمغازى: ج ٣ ص ٨٨٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٤

(١)

## جيش قليل النظير:

كان الجيش الذى ساربه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هوازن يبلغ (١٢) ألفا من الجنود المسلحين: عشرة آلاف هم الذين صحبوه من المدينة، و شاركوا فى فتح مكة، و ألفان من رجال و شباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح، و قد أوكل النبى صلى الله عليه وآله قيادةهم إلى أبى سفيان «١».

و لقد كان مثل هذا الجيش العظيم و الجمع الكبير قليل النظير، و نادر المثل فى تلك العصور، و قد صارت هذه الكثرة ذاتها سببا فى هزيمته فى مبدأ الأمر، فقد أعجب أفراد هذا الجيش بكثرتهم - على خلاف ما مضى - فتجاهلوا التكتيكات النظامية الدقيقة، و غفلوا عن خطط العدو و نواياه فكان ذلك داعيا إلى هزيمتهم!! فقد قال أبو بكر لما رأى كثرة المسلمين: لو لقينا بنى شيان ما بالينا، لن نغلب اليوم من قلة «٢».

و لكنه لم يكن يعرف أن الانتصار ليس هو بكثرة الافراد و ضخامة الجيش، بل ان هذا العامل غير مهم بالقياس إلى بقية العوامل.

و لقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة اذ قال تعالى:

«لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ» «٣».

(٢)

### تحصيل المعلومات العسكرية:

بعد فتح مكة دبت حركة خاصة فى قبائل هوازن و ثقيف، و جرت اتصالات مكثفة بينها، و كان حلقة الاتصال، و المدبر الحقيقى لهذه التحركات شاب عرف

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٣٩، المغازى: ج ٣ ص ٨٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٥٠، المغازى: ج ٣ ص ٨٨٩.

(٣) التوبة: ٢٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٥

بالفروسيه و الشجاعه يدعى «مالك بن عوف النصرى».

(١) و قد تقرّر بعد سلسله من الاتصالات و المداولات بين زعماء هوازن و ثقيف أن تبادل القبيلتان المذكورتان الى توجيه ضربه قويه الى جيش الاسلام عبر خدعه عسكريه، قبل أن يغزوها جنود الاسلام فى عقر دورها.

فقد اختارت لقيادة هذه المهمه شابا متهورا فى العقد الثالث من عمره هو مالك بن عوف النصرى الذى أشرنا إليه عما قريب، و اشترك فى هذه الغزوه جميع قبائل هوازن و ثقيف بصورة موحده.

فكان من تدبير هذا القائد أن اقترح على جيشه أن يجعلوا النساء و الاطفال و الاموال وراء ظهورهم و عند ما سألوه عن علته ذلك الاجراء قال: اردت من جعل كل رجل أهله و ماله و ولده و نساءه خلفه حتى يقاتل عنهم «١».

فقبل المشتركون فى تلك العمليه بأمر قائدهم هذا بالاجماع، و جعلوا أموالهم و أهليهم خلفهم.

(٢) و قد خالف شيخ مجرب حنكته الحروب منهم يدعى «دريد بن الصمه» هذه الخطة عند ما سمع رغاء البعير، و ثغاء الشاء، و خوار البقر، و بكاء الصغير، و جادل فيها مالكا، و اعتبرها خطة فاشله من الناحية العسكريه و قال للناس:

يا قوم إن هذا فاضحكم فى عورتكم، و ممكن منكم عدوكم، و هل يرد المنهزم شىء؟

و لكن مالكا لم يعر كلام هذا الشيخ و نصيحته اهتماما و قال:- و هو يتهمه بالجهل بفنون القتال الحديثة:- أنك قد كبرت، و كبر علمك، و حدث بعدك من هو أبصر بالحرب منك.  
و لقد اثبت المستقبل صحة ما قاله ذلك الشيخ المحنك فان إشراك النساء و الاطفال و الانعام فى الحرب، و إخراجهم إلى ساحة القتال أحدث لمقاتلى

(١) المغازى: ج ٣ ص ٨٩٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٦.

ثقيف و هوازن مشاكل كثيرة، فيما بعد.

(١) ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما سمع بتحركات هاتين القبيلتين بعث «عبد الله بن حدرد الأسلمى»، و أمره أن يدخل فى هوازن و ثقيف فيقيم فيهم حتى يعرف بنواياهم و خططهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق الرجل إليهم ثم عاد الى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بأخبارهم.

و كان «مالك بن عوف» قائد هوازن و ثقيف قد بعث بدوره ثلاثة جواسيس ليتجسسوا له على المسلمين، و يأتيه بأخبارهم، فعادوا بأجمعهم فرعين مما شاهدوه من قوة المسلمين و كثرتهم.

فقرر قائد العدو أن يجبر ضعف جنوده و قلتهم باستخدام الخدع العسكرية، و التوسل بأسلوب المباغته ليفرق - بهجوم مفاجئ - صفوف المسلمين، و يهدم نظامهم و انسجامهم، و يصيبهم بالهرج و المرج، و الفوضى و الحيرة ليختل باختلال الجيش أمر القيادة، فلا تتمكن من ضبط الامور، و تحقيق انتصار على المسلمين.

(٢) و لتحقيق هذا الهدف هبط «مالك بن عوف» بجيشه فى واد ينحدر الى منطقة «حنين»، و أمر بأن يختفى الجنود و المقاتلون خلف الصخور و الاحجار، و فى شغاف الجبال، و كل ما ارتفع من ذلك الوادى و نشز، حتى إذا انحدر جنود الاسلام فى هذا الوادى فى غفلة من هذا التدبير خرج رجال هوازن و ثقيف من مكائهم، و كمائهم، و رموا المسلمين الغافلين عن خطه العدو، بالحجارة و النبل، ثم يخرج إليهم فريق فى أسفل الوادى و يضربونهم بالسيوف!!

(٣)

### تجهيزات المسلمين:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله عارفا بقوة العدو و عناده فدعى «صفوان بن أمية» قبل مغادرة مكة، و استعار منه مائة درع بأدائها كاملة عارية مضمونة، و لبس رسول الله صلى الله عليه وآله نفسه درعين كما لبس المغفر و البيضة، و ركب بغلته البيضاء و سار خلف جيشه و سار حتى دنوا جميعا من

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٧.

الوادى فاستراحوا ليلتهم عند فم الوادى، و مع غلس الصبح انحدرت كتيبة «بنى سليم» بقيادة «خالد بن الوليد» فى وادى «حنين»، و بينما دخل اكثر جنود الاسلام ذلك الوادى حمل عليهم رجال هوازن من كمائهم فى مضيق الوادى و شعابه حمله رجل واحد، و أخذوا يرشقونهم بالاحجار و النبال، فالقت أصوات الاحجار و النبال فرعا شديدا فى قلوب المسلمين الذين مطروا بالسهام و النبال و الاحجار من جانب، بينما احتوشهم فريق آخر من هوازن بسيوفهم و وقعوا فيهم ضربا و قتلا.

(١) أجل لقد فعلت مكيدة هوازن فعلتها فى قلوب المسلمين، فقد أوحشتها، و أصابت المسلمين بالفوضى، و خلخت صفوفهم فلاذوا بالفرار من دون اختيار، و قد أخلوا هم بنظامهم أكثر من ما فعله العدو بهم.

ففرح المنافقون في جيش رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الحادث، و سرورا به سرورا عظيما حتى قال أبو سفيان شامتا: لا ينتهي هزيمتهم دون البحر، وقال آخر: الا- بطل السحر اليوم، وقال ثالث: لا يجتبرها محمّد وأصحابه، وعزم رابع على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الوضع المضطرب وإطفاء شعله رسالته المقدسة «١».

(٢)

### استقامه النبي و من ثبت من أصحابه:

لقد ازعج فرار المسلمين الذي كان نابعا- في الدرجة الاولى من الفرع و الفوضى التي أصابتهم، رسول الله صلى الله عليه وآله، و أدرك صلى الله عليه وآله أنه لو تأخر لحظة واحدة عن فعل ما يجب أن يفعله لتغيّر وجه التاريخ و لتبدّل مسار البشرية، و لحطم جيش الشرك جيش التوحيد.

(١) المغازي: ج ٣ ص ٩٠٩-٩١٠، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٤٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤١١ و ٤١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٨

من هنا صاح بأعلى صوته و هو على بغلته:

«يا أنصار الله و انصار رسوله أنا عبد الله و رسوله».

(١) قال هذا و اندفع ببغلته الى ساحة القتال في المكان الذي جعله «مالك» و جنوده مسرحا لمهاجمة المسلمين و مباغتتهم و قتالهم، و مشى معه من لازمه في تلك اللحظات و ثبتوا معه كعلى بن أبي طالب عليه السلام و العباس بن عبد المطلب، و الفضل بن العباس، و أبي سفيان بن الحارث الذي لم يغفلوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله منذ بدء القتال لحظة واحدة، و امر رسول الله صلى الله عليه وآله و آلهم العباس الذي كان صاحب صوت عظيم أن ينادى في المسلمين الذين كانوا يواصلون فرارهم، و لا يلوون على شيء:

«يا معشر الانصار، يا معشر السمرة» «١».

و يقصد من السمرة الشجرة التي كانت عندها بيعه الرضوان، فكان هذا النداء تذكيرا بتلك البيعة التي تعهدوا فيها لرسول الله صلى الله عليه وآله بان ينصروه حتى الموت.

(٢) فبلغت صرخات العباس مسامع المسلمين فثارت حميتهم، و أخذوا يثوبون الى رسول الله صلى الله عليه وآله و هم يقولون: لبيك لبيك.

لقد أوجبت نداءات العباس المتلاحقة التي كانت تخبر و تنبئ في الحقيقة عن سلامة رسول الله صلى الله عليه وآله أن تعود الجماعات الهاربة من ساحة القتال الى رسول الله صلى الله عليه وآله و هي نادمة على فرارها ندما شديدا، و نظّموا صفوفهم أمام العدو من جديد أفضل ممّا مضى، ثم حملوا حملة رجل واحد على العدو الغادر بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله لغسل ما لحق بهم من عار الفرار، و استطاعوا في أقصر مدة من الوقت ان يجبروا العدو على الانسحاب و الفرار و الرسول القائد صلى الله عليه وآله يقول تشجيعا لهم، و تقوية لمعنوياتهم:

(١) و لقد ذكر المغازي في ج ٣ ص ٩٠٢ جانبا من بطولات على عليه السلام و تضحياته في هذه الموقعة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥١٩

«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب».

(١) و قد تسبّب استخدام هذا التدبير العسكري الحكيم في إرعاب رجال هوازن و من ساعدتهم من ثقيف المقاتلين، بشدة بحيث

انهزموا أمام هجوم المسلمين هذا هزيمة قبيحة و منكرة، تاركين وراءهم اموالهم و نساءهم و صبيانهم الذين أتوهم الى ساحة المعركة، و جعلوهم خلف ظهورهم بناء على أوامر قائدهم مالك- كما أسلفنا، و فروا بعد أن قتل منهم جماعة إلى منطقة أوطاس و نخلة، و قلاع الطائف.

(٢)

### غنائم الحرب:

لقد بلغت خسائر المسلمين من الارواح في هذه المعركة ثمانية أشخاص في مقابل أسر ستة آلاف نفر من العدو. كما و أن المسلمين غنموا في هذه الواقعة أربعة و عشرين ألف بعير، و أربعين ألف رأس غنم، و أربعة آلاف اوقية «١» من الفضة. ثم إن رسول الله صلى الله عليه و آله أمر بأن يؤخذ الاسرى و الغنائم الى منطقة تدعى الجعرانة (و هي ماء بين الطائف و مكة) و كلف أشخاصا معينين بحراستها و حفظها و جعل الاسرى في بيوت خاصة، كما أمر بأن تحفظ الغنائم من دون أن يتصرف فيها أحد في ذلك المكان، ريثما يرى فيها رأيه، بعد ان يلاحق فلول العدو الذي فرّ الى أوطاس و نخلة و الطائف «٢».

### لقطنان من الخلق النبوي العظيم:

و ينبغي ان نشير هنا إلى قصتين تدلان على سمو الاخلاق النبوية، و عمق

(١) الرطل ٢٥٦٤ غرام و الاوقية ١/١٢ من الرطل فعلى هذا تكون الاوقية ٢١٣ غراما، و أربعة آلاف اوقية تساوي ٨٥٢ كيلو غراما.  
(٢) كتب ابن هشام في سيرته أن عدد القتلى في هذه المعركة كان أربعة أشخاص، و لكن معركة واسعة مثل هذه يتوقع أن يكون قتلها اكثر من هذا العدد.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٥٢٠

الرحمة الاسلامية:

١- بعد أن أعاد النبي المسلمين الهاربين إلى ساحة المعركة فكروا على هوازن و هزموم هزيمة قبيحة، قالت أم سليم بنت ملحان للنبي صلى الله عليه و آله: يا رسول الله! ما رأيت هؤلاء الذي أسلموا و فروا عنك و خذلوك!! لا تعف عنهم اذا أمكنك الله منهم، تقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين!

فقال صلى الله عليه و آله: يا أم سليم! قد كفى الله، عافية الله أوسع «١».

و هكذا نجد رسول الله صلى الله عليه و آله يعفو عن أصحابه الهاربين الذين خذلوهم في تلك الموقعة.

٢- حنق المسلمون على المشركين في وقعة حنين فقتلوهم حتى اخذوا في قتل الذرية، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله قال: ما بال أقوام ذهب بهم القتل حتى بلغ الذرية! ألا تقتل الذرية.

فقال اسيد بن الحضير: يا رسول الله أليس إنما هم أولاد المشركين!

فقال: أو ليس خياركم أولاد المشركين؟! كل نسمة تولد على الفطرة حتى يعرب عنها لسانها، و أبواها يهودانها أو ينصرانها «٢».

(١) و (٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٠٩.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٥٢١

(١)

## ٥١ غزوة الطائف

## إشارة

«الطائف» من مصايف الحجاز و من المناطق الخصبة، الكثيرة الزرع فيها، و تقع الطائف فى الجنوب الشرقى من مكه على بعد (١٢) فرسخا منها، و قد كانت و لا تزال بسبب مناخها اللطيف، و بسايتها المثمرة، و نخيلها الكثيرة مقصدا بل مركزا و موطنا لطلاب اللذة و الراحة من أهل الحجاز.

و قد كانت قبيلة ثقيف التى كانت تعدّ من القبائل العربية القوية الكثيرة العدد تسكن فى هذا البلد.

و كانت أعراب ثقيف من الذين شاركوا فى معركة «حنين» ضدّ الاسلام و المسلمين، ثم لجئوا بعد الهزيمة المنكرة التى لحقت بهم على أيدي جنود الاسلام الظافرين إلى بلدهم الذى كان لهم آنذاك فيه حصن قوى و منيع.

و لتكميل الانتصار الاسلامى أمر الرسول القائد صلى الله عليه و آله بملاحقة الهارين المنهزمين فى معركة حنين.

(٢) من هنا كلّف صلى الله عليه و آله أبا عامر الأشعري و أبا موسى الأشعري و فريقا من جنود الاسلام بملاحقة من لجأ منهم إلى «أوطاس» فقتل القائد الأول فى هذه الواقعة، و استطاع الثانى أن يحرز انتصارا كبيرا على العدو و يفرق جمعه «١». و أما النبى صلى الله عليه و آله نفسه فقد توجه بالبقية من جيشه الى

(١) المغازى: ج ٣ ص ٩١٥ و ٩١٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٢.

الطائف «١»، و مرّ فى طريقه على حصن مالك بن عوف النصرى مثير فتنة «حنين» و رأس المؤامرة، فهدمه و سوّاه بالأرض.

على أن تهديم حصن «مالك» لم يكن بدافع انتقامى بل كان لأجل ان لا يترك وراءه نقطة اعتماد و ملجأ للعدوّ.

(١) تحركت أعمدة الجيش الاسلامى الواحدة تلو الاخرى، و استقرت حول مدينة الطائف.

كان حصن الطائف حصنا منيعا، مرتفع الجدران، قوى البنيان، فيه أبراج للمراقبة مسيطرة على خارج الحصن سيطرة كاملة.

و منذ أن استقرّ الجيش الاسلامى خارج الطائف بدأ حصاره لها، غير أنّ الحصار لم يتكامل بعد حتى عمد العدو إلى رمى المسلمين للحيلولة دون تقدّمهم نحو المواقع المرسومة لها، فقتل بهذا جماعة من المسلمين فى بداية هذه الواقعة.

فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله الجيش بالانسحاب و التراجع التكتيكي الى نقطة بعيدة عند مرمى العدو، و التمرکز فيها ريثما تصدر الاوامر الجديدة.

و هنا اقترح «سلمان الفارسى» الذى سبق له أن اقترح حفر الخندق فى معركة الاحزاب، و كان ذا خبرة بفنون القتال، اقترح على رسول الله صلى الله عليه و آله بأن يرمى الحصن بالمنجنيق «٢»، و كان هذا الجهاز الذى كان يستخدم فى حروب تلك العصر يؤدى نفس دور الدبابة فى الحروب الراهنة.

فقام امراء الجيش الاسلامى بنصب المنجنيق بارشاد و توجيه من سلمان، و أخذوا يرمون الحصن المذكور و أبراجها الشاهقة بالحجارة طوال عشرين يوما متواليه.

و لكن العدو لم يسكت تجاه هذه العمليات القوية التى بدأها المسلمون،

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٦٣.

(٢) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤١٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٣.

فزاد من رميه و استمر في ذلك، فوَقعت بين المسلمين بعض الاصابات نتيجة ذلك «١».

(١) و الآن يجب أن نرى كيف حصل المسلمون على جهاز المنجنيق، هذا؟

يرى البعض أن سلمانا هو الذى صنع هذا الجهاز و علم المسلمين كيفية استخدامه في هذه الغزوة «٢».

و يرى آخرون ان المسلمين حصلوا على هذا الجهاز و غنموه من اليهود في خيبر عند فتح قلاعهم و حصونهم و اصطحبوه معهم إلى الطائف و استخدموه في غزوها.

و لا يبعد أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي قد ادخل بعض التحسينات على ذلك الذى جلبه المسلمون من خيبر، و علم المسلمين كيفية نصبه و استخدامه في القتال، فانه يستفاد من التاريخ أن المنجنيق لم يكن منحصرا في المنجنيق الذى حصل عليه من يهود خيبر، لأن النبي صلى الله عليه و آله بعث الطفيل بن عمرو الدوسى لتحطيم أصنام لقبيلة «دوس» في وقت متزامن مع خروجه الى معركة حنين ثم الطائف فعاد الطفل فاتحا مع من خرجوا تحت إمرته من جنود الاسلام الاربعمائه، و كانوا برمتهم من أبناء قبيلته، فقد قدم الطائف على رسول الله صلى الله عليه و آله مع عدد واحد من جهاز المنجنيق و عربتين حرييتين خاصتين، و قد استخدمت هذه الآليات في غزوة الطائف.

(٢)

### شدخ جدار الحصن بالمنجنيق:

كان لا بدّ لاختراع العدو و دفعه إلى الاستسلام من القيام بحملات واسعة و من مختلف الاطراف و النواحي، و لهذا تقرر أن يقوم جنود الاسلام، مضافا إلى

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٥٨.

(٢) السيرة النبوية: ج ٤ ص ١٢٦، و ابن هشام يرى أن رسول الله صلى الله عليه و آله هو اول من أستخدم المنجنيق في الجزيرة العربية.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٤.

رمى الحصن بالمنجنيق، إيجاد ثغرة في الجدار واجه مشكلة كبرى، لأن السهام و الاحجار، و النيران كانت تنصبّ على رءوس المقاتلين المسلمين كالمطر، و لم يكن في مقدور أحد منهم الاقتراب و الدنو من جدار الحصن، فكان أفضل وسيلة لتحقيق هذا الهدف هو استخدام الدبابة التى كانت في جيوش العالم الكبرى في تلك العصور في صورتها البدائية.

و كانت الدبابة آنذاك تصنع من الخشب و تغطى بجلود البقر، و يدخل تحتها جماعة من الجنود الاقوياء ثم تتحرك نحو الحصن حتى تدنو إليه، و يقوم الجنود بعملية إيجاد ثغرة او نقب في جدار الحصن، فاستخدم نفر من جنود الاسلام الشجعان الاشداء هذا الجهاز بالطريقة المذكورة، بيد أن العدو قد حال دون هذا العمل إذ ألقى على الدبابة سلك الحديد المحمأة بالنار فاخرّب سقفها، و اضطرّ أفرادها الى الخروج منها، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلت منهم رجلا واحدا و لم ينتج هذه التكتيك القتالى، و لم يتحقق أى نجاح في هذا المجال، فانصرف المسلمون عن استخدامه «١».

(١)



**ضغوط اقتصادية و نفسية:**

إن تحقيق الانتصار لا ينحصر في مجرد استخدام الطرق و التكتيكات العسكرية، بل للقائد الحكيم أن يستخدم- لضعاف قوة العدو و كسر صموده- الضربات و الضغوط الاقتصادية و يجبره على الاستسلام. و قد تكون الضربة النفسية و الاقتصادية اقوى مفعولا بدرجات أى إن أثرها تفوق بمراتب عديدة أثر الضربة العسكرية، و الإضرار البدنى الذى يلحق بجنود العدو و أفراده. و لقد كانت أرض الطائف أرض زراعة، و نخيل و أعناب، و كانت معروفة

(١) المغازى: ج ٣ ص ٩٢٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٥.

فى الحجاز بخصبها، و كثرة محاصيلها و خيراتها، لأن أهلها كانوا يجهدون كثيرا فى تنمية نخيلهم و أعنابهم و رعايتها، و يولون الحفاظ عليها اهتماما كبيرا، و يعطون هذا الأمر القسط الاكبر من جهودهم.

(١) فأعلن رسول الله صلى الله عليه و آله لتهديد المتمردىن اللاجئين إلى الحصن، و المعتصمين به، بأنه سيعمد إلى قطع أعناب ثقيف، و إفناء مزارعها إذا واصل المعتصمون بالحصن مقاومتهم و لم يسلموا للمسلمين.

فلم يكثر العدو بهذا التهديد لأنه لم يك يتصور أن رسول الله صلى الله عليه و آله- و هو النبى الذى عرف برحمته و رافته- يستخدم مثل هذه الطريقة.

و فجاءت و جدت «ثقيف» أن رسول الله صلى الله عليه و آله أصدر أوامره بقطع الأعناب، و اتلاف المزارع و تحريقها، فوقع المسلمون فيها يقطعون و يحرقون.

فعبت «ثقيف» لذلك و ضجت، و استغاثت برسول الله صلى الله عليه و آله و أقسمت عليه بالرحم و القرابة أن يكف عن ذلك، فتركها رسول الله صلى الله عليه و آله احتراماً لوشيجة القربى التى كانت بينه و بين «ثقيف».

(٢) ان المعتصمين بحصن الطائف و ان كانوا من مثيرى معركة حنين و الطائف، و تانك الغزواتان اللتان كلفتا رسول الله صلى الله عليه و آله الكثير من الخسائر و المتاعب غير أنه صلى الله عليه و آله قبل مع ذلك التماس العدو و طلبه هذا، فابدى و للمرة الاخرى وجه الاسلام الرحيم و كشف عن إنسانيته فى التعامل مع العدو اللدود فى ميدان القتال، و أمر أصحابه بالكف عن قطع الاعناب و تحريقها.

ثم إن مع ما نعرفه و نعهده من أخلاق رسول الله صلى الله عليه و آله و أساليبه الانسانية فى مجال التعامل مع العدو، يمكننا أن ندرك بسرعة أن الامر بقطع الاعناب و تحريق المزارع كان مجرد تهديد و محاولة ضغط على العدو بحيث إذا لم تنجح هذه الطريقة معه لكف عنها رسول الله صلى الله عليه و آله حتما.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٦.

(١)

**آخر محاولة لفتح حصن الطائف:**

كانت قبيلة «ثقيف» جماعة ثرية، و ذات مال كثير، و عبيد و إماء كثيرين، و لكى يحصل رسول الله صلى الله عليه و آله على معلومات

دقيقة عن الاوضاع فى داخل الحصن، و يعرف بالتالى حجم امكانات العدو و مدى استعداداته من جهة، و يوجد الاختلاف فى صفوفه من جهة اخرى أمر أن يعلن عن القرار التالى: و ينادى: أى عبد نزل من الحصن و خرج إلينا فهو حرّ. و نفعت هذه الطريقة إلى حدّ ما، فقد خرج من الحصن بطريقة ماهرة حوالى بضعة عشر رجلا من عبيد ثقيف و رقيقهم، و التحقوا بصفوف المسلمين فعرف رسول الله صلى الله عليه و آله من خلال التحقيق معهم أنّ المعتصمين بالحصن لا ينوون الاستسلام، و أنهم مستعدون للمقاومة حتى لو طال الحصار عاما واحدا، فإنهم قد أعدوا لمثل هذا الحصار الطويل الطعام الكافى، و لن يقعوا فى أزمة بسبب طول الحصار.

(٢)

### جيش الاسلام يعود الى المدينة:

استخدم رسول الله صلى الله عليه و آله فى هذه الغزوة جميع الاساليب و التكتيكات العسكرية المادية و النفسية ضدّ العدو، و قد اثبتت التجربة أن فتح الحصن يحتاج إلى مزيد من الصبر و العمل على حين لم تكن ظروف الجيش الاسلامى و امكاناته - يومذاك - لتسمح بذلك القدر من الصبر و الترقب، و الانتظار و التوقف، اكثر ممّا توقف و مكث فى تلك المنطقة و ذلك:

(٣) أولا: لأنه قتل فى اثناء هذه المحاصرة (١٣) مسلما سبعة منهم من قريش، و أربعة من الانصار، و رجل واحد من قبيلة اخرى.

هذا مضافا إلى من استشهد من المسلمين فى وادى «حنين» إثر هجوم العدو الغادر، و انفراط صفوف الجيش الاسلامى، و الذين لم يذكر التاريخ مع

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٧

الأسف أسماءهم، و خصوصياتهم، و لهذا كان قد دبّ نوع من التعب فى نفوس جنود الإسلام لم يكن من الصالح تجاهله.

(١) و ثانيا: أن شهر شوال قد انتهى، و بدأ شهر ذى القعدة الذى كان معدودا عند العرب من الأشهر الحرم و قد أيد الإسلام فيما بعد هذه السنّة، و أكد حرمة الأشهر الحرم.

من هنا كان من الضرورى - حفاظا على هذه السنّة - «١» إنهاء الحصار فى أقرب وقت لكى لا تتهم عرب ثقيف رسول الله صلى الله عليه و آله بمخالفة السنّة الصالحة و خرقها.

أضف إلى ذلك دنوّ حلول موسم الحج، مع العلم بأن إدارة ذلك الموسم و مناسكه كانت فى ذلك العام للمسلمين، بعد أن كانت - قبل ذلك - تدار بواسطة المشركين و برعاتهم.

(٢) و لا شك أن موسم الحج الذى كان سببا لحصول اجتماع بشرى عظيم من سكان الجزيرة العربية كان يوفّر اكبر و افضل فرصة لتبليغ الاسلام، و بيان حقيقة التوحيد، و كان على النبى صلى الله عليه و آله ان يستغل هذه الفرصة العظيمة التى اتاحت له لأول مرة، فى مجال الدعوة، و يستفيد منها اكثر قدر ممكن و يولى اهتمامه لقضايا اخرى اكثر أهميّة و خطورة من فتح حصن واقع فى منطقة نائية.

مع أخذ هذه الظروف بنظر الاعتبار ترك الرسول القائد صلى الله عليه و آله حصار الطائف و عاد بجيشه إلى الجعرانة التى جعلها محلا لحفظ أسرى حنين و غنائمها.

(١) و يدلّ على هذا الأمر أن رسول الله صلى الله عليه و آله ترك مكة متوجها إلى الطائف فى الخامس من شهر شوال و استغرقت مدة الحصار عشرين يوما، و صرفت بقيّة الايام (و هى خمسة) فى المسير إلى حنين، و فى المعركة.

و قولنا بأن الحصار طال عشرين يوما يستند إلى رواية نقلها ابن هشام، إلّا أن ابن سعد ذكر مدة الحصار أربعين يوما (الطبقات الكبرى

ج ٢ ص ١٥٨).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٨

(١)

**حوادث ما بعد الحرب:****إشارة**

انتهت حوادث معركة «حنين» و «الطائف» و عاد رسول الله صلى الله عليه وآله من دون تحقيق نتيجة قطعية إلى «الجعرانه» لتقسيم غنائم معركة «حنين».

و الغنائم التي حصل عليها المسلمون في معركة «حنين» كانت من اكبر الغنائم التي غنموها طوال المعارك الاسلامية كلها، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله يوم قدم «الجعرانه» كان هناك ستة آلاف أسير و (٢٤) ألف من الإبل و اكثر من (٤٠) ألف رأس غنم و (٨٥٢) كيلو غرام من الفضة يحافظ عليها في مركز الغنائم «١» و كان من الممكن أن تسد القيادة من هذه الغنائم قسما كبيرا من ميزانية الجيش الاسلامي.

لقد مكث رسول الله صلى الله عليه وآله في «الجعرانه» ثلاثة عشر يوما، و في هذه المدة قسّم تلك الغنائم بطريقة خاصة ملفته للنظر و جديرة بالتأمل و الدراسة.

(٢) فقد خلّى سبيل بعض الأسرى، و تركهم لذوبهم، و خطّط لاختضاع (او بالاحرى إسلام) مالك بن عوف النصرى مشير معركة حنين و الطائف الهارب، كما أظهر تقديره و شكره لمواقف الاشخاص في هاتين الغزوتين و خدماتهم، و جذب بسياسته الحكيمه افئدة أعداء الاسلام، و رغبها في عقيدة التوحيد الشريفه، و أنهى نقاشا حدث بينه و بين جماعة الأنصار حول طريقة تقسيم الغنائم بخطبة جميلة.

و إليك تفصيل الكلام في المواضيع المذكورة:

(٣) ١- لقد دأب رسول الاسلام صلى الله عليه وآله على احترام حقوق الأفراد، و تمشين جهودهم مهما ضوّلت و دقت، و على أن لا يبخس أحدا عمله، فإذا أحسن

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٥٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٢٩

إليه أحد قابل إحسانه بما يزيد عليه أضعافا مضاعفة. و كان ذلك من أبرز صفاته و أخلاقه صلى الله عليه وآله.

فقد رضع رسول الله صلى الله عليه وآله و آلّه و ترعرع في قبيلة بنى سعد التي هي من قبائل هوازن، و قد ارضعته امرأة من هذه القبيلة تدعى «حليمة السعدية»، و قد بقي في تلك القبيلة خمسة أعوام.

(١) و قد شاركت قبيلة بنى سعد في معركة حنين ضد الاسلام فسيبت بعض نسائهم و أطفالهم على أيدي المسلمين، كما وقعت بعض أموالهم بأيديهم أيضا، و قد ندمت على فعلها ندما شديدا.

و قد كانوا يعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله نشأ و ترعرع فيهم، و رضع بلبن نسائهم هذا من ناحية، و من ناحية اخرى كانوا يعرفون أن رسول الله صلى الله عليه وآله ملء قلبه الرحمة و المروءة و معرفة الجميل، فاذا سنح لهم أن يذكروه بذلك لأطلق أسراهم

حتما.

فقدم أربعة عشر رجلا من رؤسائهم الذين كانوا قد أسلموا جميعا «الجعرانة» على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد أمروا على أنفسهم شخصيتين من رجالهم أحدهما هو «زهير بن سرد» والآخر عم للنبي صلى الله عليه وآله من الرضاعة، فقالوا: يا رسول الله إنما في هذه الأسرى من يكفلك من عماتك وخالاتك، وحواضنك، وقد حضناك في حجورنا وارضعناك بثدينا، ولقد رايتك مرضعا فما رأيت مرضعا خيرا منك، ورايتك فطيما فما رأيت فطيما خيرا منك، ورايتك شابا فما رأيت شابا خيرا منك، وقد تكاملت فيك خلال الخير، ونحن مع ذلك أهلك وعشيرتك فامنن علينا من الله عليك.

وقال زهير بن سرد: يا رسول الله إنما في هذه الحضائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كنّ يكفلنك، ولو أننا ملحنا للحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائده علينا وأنت خير المكفولين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٠

(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لهم:

«إن أحسن الحديث أصدقه، وعندى من ترون من المسلمين، فابنائكم ونسائكم أحب إليكم أم أموالكم؟»

قالوا: يا رسول الله خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا وما كنا نعدل بالأحساب شيئا، فرد علينا أبناءنا ونساءنا.

فقال صلى الله عليه وآله:

«أما ما لى وبنى عبد المطلب فهو لكم وأسأل لكم الناس وإذا صلّيت الظهر بالناس فقولوا: إنا لنستشفع برسول الله الى المسلمين، وبالمسلمين الى رسول الله فانى سأقول: لكم ما كان لى وبنى عبد المطلب فهو لكم وسأطلب لكم الى الناس».

فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر بالناس قاموا فتكلموا بالذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا: إنا نستشفع برسول الله الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله.

(٢) فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أما ما كان لى وبنى عبد المطلب فهو لكم.

وبهذا وهب رسول الله صلى الله عليه وآله لهم نصيبه من الاسرى.

فقال المهاجرون: أما ما كان لنا فهو لرسول الله.

وقال الانصار: ما كان لنا فهو لرسول الله.

وهكذا وهب الانصار والمهاجرون نصيبهم من الاسرى تبعا لرسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتأخر عن ذلك إلا قليلون مثل «الاقرع بن حابس» و«عبينه بن حصن» فقد امتنعا عن أن يهبنا نصيبهما، ويطلق سراح ما عندهم من السبايا، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين وقد استأنيت بهم، فخيرتهم بين النساء والأبناء، والأموال، فلم يعدلوا بالأبناء والنساء، فمن كانت عنده منهنّ شيء فطابت نفسه أن يرده فليرسل،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣١

ومن أبى منكم وتمسك بحقه فليرد عليهم، فله بكل انسان ست فرائض (أى سوف أعطيه بدل الواحد ستا) من أول ما يفىء الله به علينا «١».

(١) فكان لعمل النبي صلى الله عليه وآله هذا أثر عظيم فى نفوس المسلمين حيث خلّوا سبيل جميع من كان فى أيديهم من الاسرى والسبايا إلا امرأة عجوز امتنع «عبينه» من ردها إلى ذوبها.

وهكذا أثمر عمل صالح غرست شتيلته - قبل ستين عاما - فى أرض قبيلة بنى سعد على يدى حلیمة السعدية، فاتت أكلها بعد مدة طويلة، واطلق بفضل ذلك العمل الصالح سراح جميع الاسرى والسبايا من هوازن «٢».

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله دعا اخته من الرضاعة «الشيما» «٣» وبسط لها رداءه ثم قال: اجلسى عليه، ورحب بها، ودمعت

عيناه، و سألتها عن أمه و ابيه من الرضاعة، فآخبرته بموتهما في الزمان، ثم قال صلى الله عليه وآله لها:

«إن أحببت فأقيمى عندنا محبة مكرمة و إن أحببت أن امتنعك و ترجعى الى قومك فعلت».

فقلت: بل تمتعنى و تردنى إلى قومى، فمتعتها رسول الله صلى الله عليه وآله و ردها الى قومها، بعد أن أسلمت طوعا و رغبة، و أعطاه رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أعبد و جارية (٤).

و قد قوى رسول الله صلى الله عليه وآله باخلائه سبيل جميع أسرى هوازن و سباياها من رغبة هوازن فى الاسلام، فاسلموا من قلوبهم، و هكذا فقدت

(١) المغازى: ج ٣ ص ٩٤٩-٩٥٣.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٥٣ و ١٥٤، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٩٠، و الحادثة التاريخية هذه جسدت مضمون قول الله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧).

(٣) هى الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى.

(٤) البداية و النهاية: ج ٢ ص ٣٦٣ و ٣٦٤، الامتاع: ج ١ ص ٤١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٢

«الطائف» آخر حليف من حلفائها.

(١)

## ٢- اسلام مالك بن عوف:

فى هذا الأثناء اغتتم رسول الله صلى الله عليه وآله الفرصة ليعالج مشكلته مع «مالك بن عوف النصرى» مشير حرب حنين، عن طريق وفد بنى سعد و ذلك بترغيبه فى الاسلام، و عزله عن حليفه: «ثقيف».

و لهذا سألهم عن مالك ما فعل؟ فقالوا يا رسول الله هو بالطائف مع ثقيف.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أخبروا مالكا أنه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله و ماله و أعطيته مائة من الابل».

فبلغ وفد هوازن مالكا كلام رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و أمانه المشروط، فقرر مالك الذى كان يرى بأم عينيه تعاظم أمر الاسلام، و اشتداد أزره كما رأى رحمة النبى و لطفه، أن يخرج من الطائف، و يلتحق بالمسلمين، و لكنه كان يخشى أن تعرف «ثقيف» بنيته فتحبسه فى الحصن، و لهذا عمد الى خطة خاصة للفرار، فقد أمر باعداد راحلته فهيتت له، و أمر بفرس له فأتى به إلى الطائف، فركب فرسه و ركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس فركبها، فلحق برسول الله صلى الله عليه وآله فادركه بالجعرانة أو بمكة، فرد عليه النبى صلى الله عليه وآله أهله و ماله، و أعطاه مائة من الابل كما وعد من قبل، و اسلم فحسن إسلامه، ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله على من أسلم من قومه و قبائل «ثماله» و «سلمه» و «فهم».

(٢) و قد انشد «مالك بن عوف» أبياتا عند ما أسلم يصف فيها خلائق رسول الله صلى الله عليه وآله الكريمة، و يمدحه أجمل مديح اذ يقول:

ما إن رأيت و لا سمعت بمثله فى الناس كلهم بمثل محمد

أوفى و أعطى للجزيل إذ اجتدى و متى تشأ يخبرك عما فى غد

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٣ و إذا الكتيبة عرّدت أنيابها بالسهمي و ضرب كل مهند فكأنه ليث على أشباله وسط الهباءة خادر في مرصد و صار يقاتل بتلك القبائل ثقيفا لا يخرج لهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم لما حصل عليه من مكانة و عزة في الاسلام، و بعد أن أدرك قبح موقف «ثقيف» «١».

(١)

### ٣- تقسيم الغنائم:

كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يلحون عليه أن يسرع في تقسيم غنائم الحرب، و لكي يدلّل النبي الكريم صلى الله عليه وآله و آله على حياده الكامل في تقسيم الغنائم قام إلى بعير فأخذ وبرة من سنامه فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها ثم قال: «أيها الناس و الله مالي في فيئكم و لا هذه الوبرة إلا الخمس، و الخمس مردود عليكم، فادّوا الخياط و المخيط فإن الغلول (أى الخيانة في بيت المال) يكون على أهله عارا، و نارا، و شنارا يوم القيامة».

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله قسم أموال بيت المال بين المسلمين، و اما الخمس الذي هو حقه الخاص به فقد وزّعه بين أشرف قريش الحديثى العهد بالاسلام يتألفهم، و يتألف بهم قومهم، فأعطى من هذا المال ل: أبى سفيان بن حرب، و ابنه معاوية، و حكيم بن حزام، و الحارث بن الحارث، و الحارث بن هشام، و سهيل بن عمرو، و حويطب بن عبد العزى، و العلاء بن جارية و صفوان بن أمية، و غيرهم ممن كانوا يعادونه الى الأمس القريب من رءوس الشرك و رموز الكفر، لكل واحد منهم مائة بعير «٢».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٩١ و عرّدت أى عوّجت.

(٢) راجع المحجّر: ص ٤٧٣، المغازى: ج ٣ ص ٩٤٤-٩٤٨، السيرة النبوية: ج ٣ ص ٤٩٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٤

(١) و قد كان لهذا العطاء السخّي أثره الطيب و البالغ في نفوس تلك الجماعة التي شملها رسول الله صلى الله عليه وآله و آله برحمته، و لطفه، و عنايته، و كرمه، و اشتدت رغبتهم في الاسلام.

و هذا الفريق هم من يصطلح عليهم في الفقه الاسلامي بالمؤلفه قلوبهم، و هم يشكّلون إحدى مصارف الزكاة بنص القرآن الكريم. و يقول ابن سعد في الطبقات الكبرى بعد ان ذكر قصة هذا التقسيم الخاص للغنائم: و أعطى ذلك كله من الخمس و هو أثبت الاقاويل عندنا «١».

و لقد شق هذا النوع من الاسلوب في تقسيم الغنائم و هذا النمط من البذل الذي مارسه رسول الله صلى الله عليه وآله، شقّ على بعض المسلمين، و بخاصة الانصار و قد جهلوا بالمصالح التي كان يراعيها، و الأهداف العليا التي كان يتوخاها رسول الله صلى الله عليه وآله و آله من هذا النوع من البذل و العطاء (و هو تخصيص حديثى العهد بالاسلام باكثر الغنائم).

لقد كانوا يتصورون ان التعصب القبلي هو الذي دفع بالرسول القائد صلى الله عليه وآله إلى أن يقسم خمس الغنيمة بين أبناء قبيلته حتى أن احدهم (و هو ذو الخويصرة التميمي) قال لرسول الله صلى الله عليه وآله بكل وقاحة: يا محمّد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم، لم أرك عدلت!!

(٢) فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله من كلامه هذا و قال:

«ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟!»

فطلب عمر بن الخطاب من رسول الله صلى الله عليه وآله أن يأذن له بقتله، فلم يأذن له النبي و قال صلى الله عليه وآله:

«دعه فإنه سيكون له شيعه يتعمقون في الدين (أى يتتبعون أقصاه) حتى

(١) الطبقات الكبرى: ج ٣ ص ١٥٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٥

يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرميئه» (١).

(١) وقد كان هذا الرجل - كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله زعيم فرقه الخوارج فى عهد حكومه الإمام على عليه السّلام، فهو الذى قاد تلك الفرقة الخطرة، غير أن النبى صلى الله عليه وآله لم يقدم على عقوبته على ما بدر منه فيما بعد لأن القصاص أو العقاب قبل الجنايه يخالف قواعد الإسلام.

و لقد رفع «سعد بن عباد» شكوى الأنصار حول كيفية تقسيم الخمس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال النبى صلى الله عليه وآله و آله لسعد: اجمع من كان هاهنا من الأنصار فى هذه الحظيره.

(٢) فجمع سعد الانصار فى تلك الخطيره، فلما اجتمعوا دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و عليه جلال النبوه، و هيبه الرساله، فحمد الله و اثنى عليه بالذى هو أهله ثم قال:

«يا معشر الأنصار ما مقالته بلغتنى عنكم و جدتموها فى أنفسكم؟ ألم آتكم ضلّالا فهداكم الله و عالته فاغناكم الله، و أعداء فألف الله بين قلوبكم؟»

قالوا: بلى الله و رسوله أمنّ و افضل!

قال:

ألا تجيبونى يا معشر الانصار؟

قالوا: و ما ذا نجيبك يا رسول الله و لرسول الله المنّ و الفضل؟

قال:

«أما و الله لو شئتم قتلتم فصدقتم أتيتنا مكذّبا فصدّقناك و مخذولا فنصرناك

(١) السيره النبويه: ج ٢ ص ٤٩٦، السيره الحلبيه: ج ٣ ص ١٢٢، و فى المغازى: ج ٣ ص ٩٤٨ أن النبى صلى الله عليه وآله قال فيه: «دعه إن له أصحابا يحقّر أحدكم صلّاته مع صلّاتهم، و صيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميئه ... يخرجون على فرقه من المسلمين». و راجع امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٢٥ و جاء فى السيره الحلبيه انه أصل الخوارج.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٦

و طريدا فأويناك و عائلا فأسيناك! «١» و جدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى شىء من الدّنيا تألفت به قوما ليسلموا و وكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء و البعير، و ترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟

و الذى نفس محمّد بيده لو لا الهجره لكنت امرأ من الأنصار، و لو سلك الناس شعبا و سلكت الأنصار شعبا لسلك شعب الأنصار».

(١) ثم ترخّم على الأنصار و على أبنائهم و على أبناء أبنائهم فقال:

«اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار».

و قد كانت كلمات النبى صلى الله عليه وآله هذه من القوة و العاطفيّه بحيث أثارت مشاعر الأنصار، فبكوا بعد سماعها بكاء شديدا حتى اخضلت لحاهم و ابتلت بالدموع و قالوا: رضينا يا رسول الله حظّا و قسما!!!



ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وتفردوا «٢».

ان هذه القصة تكشف عن عمق حكمة النبي صلى الله عليه وآله وعن حنكته السياسيّة البالغة، وكيف أنه كان يعالج المشاكل بأساليب مناسبة و بروح الصدق و اللطف.

(٢)

### رسول الله يعتمر:

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج من الجعرانة معتمرا، بعد ان قسم الغنائم، فلما فرغ من عمرته انصرف راجعا الى المدينة، فقدم المدينة في اواخر شهر ذي القعدة، أو أوائل شهر ذي الحجة.

(١) إن هذا يفيد ان النبي صلى الله عليه وآله ما كان ينسى فضل أحد عليه و ان كان هو صلى الله عليه وآله صاحب الفضل الاكبر على الناس اجمعين.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٤٩٨ و ٤٩٩، المغازي: ج ٣ ص ٩٥٧ و ٩٥٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٧

(١)

### ٥٢ لامية كعب بن زهير المعروفة «بانت سعاد...»

#### إشارة

فرغ رسول الله صلى الله عليه وآله في منتصف شهر ذي القعدة، من السنة الثامنة للهجرة من قسمة غنائم حنين في الجعرانة، و كان موسم الحج على الأبواب، و كانت هذه السنة هي السنة الاولى التي كان يتوجب على الحجيج العرب، مسلمين و مشركين، أن يقوموا بمناسك الحج تحت رعاية الحكومة الإسلامية.

و كان اشتراك رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الشعائر يزيد الحج عظمة و جلالا، و كان من الممكن - و بفضل قيادته الحكيمه- أن تتم في ذلك الحشد الهائل و الاجتماع العظيم دعوة صحيحة و قوية و واسعة إلى الاسلام، بينما كانت ثمة مسئوليات في المدينة تنتظر عودة رسول الله صلى الله عليه وآله، و قد مضى على مفارقتة المدينة ما يقرب من ثلاثة أشهر، و كانت الأعمال التي يجب أن يقوم بها هو بنفسه قد تعطلت طوال هذه المدة.

(٢) و بعد دراسة هذه المسألة من جوانبها المختلفة رأى الرسول القائد صلى الله عليه وآله أن يكتفى بعمره، يغادر بعدها مكة ليصل الى المدينة في أقرب وقت ممكن.

و لكنه صلى الله عليه وآله رأى أنه لا بد أن يعين شخصا صالحا لادارة الامور السياسية و الدينية في المنطقة الحديثة العهد بالفتح الاسلامي (نعني مكة) حتى لا تحدث في غيابه أزمة فيها، و حتى تجرى الامور على النسق الصحيح و المطلوب.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٨

(١) من هنا استخلف النبي صلى الله عليه وآله «عتاب بن اسيد» على مكة، و كان عتاب شابا ليبيا يتسم بالصبر و الجلد، و كان له من العمر اذ ذاك عشرون سنة، و قد قرّر له النبي راتباً قدره درهم واحد كل يوم.



و بهذا العمل (أى تعيين شاب حديث العهد بالاسلام و الايمان فى مقتبل العمر، و لكن كفؤ لتسيير الامور فى مكة، و تفضيله على كثير من الشيوخ و كبار السن) حطّم رسول الله صلى الله عليه وآله سداً خيالياً، و مفهوم ما باطلاً فى مجال التوظيف و التأجير. فان جماعة من الناس لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله «عتاباً» على أهل مكة قالوا: إن محمداً لا يزال يستخفّ بناحتى ولى علينا غلاماً حدث السنّ ابن ثمانية عشر سنة، و نحن مشايخ ذو و الاسنان فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله فى كتاب كتبه لعتاب:

«لا يحتجّ محتجّ منكم فى مخالفته بصغر سنّه، فليس الاكبر هو الأفضل بل الأفضل هو الاكبر و هو الاكبر فى موالاتنا و موالة أوليائنا و معاداة أعدائنا فلذلك جعلناه الأمير عليكم و الرئيس عليكم فمن أطاعه فمرحبا به و من خالفه فلا يبعد الله غيره» (١).  
 (٢) و بهذا أثبت صلى الله عليه وآله عملياً أن حيازة المناصب الاجتماعية إنما تدور فقط حول معيار الأهلية و الجدارة، و الكفاءة، و أنّ صغر السنّ لا يمنع من ذلك اذا كان صاحبه يتمتع بكفاءة عالية.  
 ثم ان «عتاباً» قام فخطب فى الناس فقال: أيها الناس أجاج الله كبس من جاع على درهم، فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وآله درهما كل يوم، فليست بى حاجة إلى أحد (٢).

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٢٢ و ١٢٣. امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٣٢ و ٤٣٣.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٠٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٣٩

(١) و أحسن رسول الله صلى الله عليه وآله الاختيار أيضاً عند ما عيّن «معاذ بن جبل» ليعلم الناس القرآن و يفقههم فى الدين، فقد كان معاذ ممن عرف بالفقه، و المعرفة باحكام القرآن بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أن رسول الله صلى الله عليه وآله و آله لما بعثه للقضاء، الى اليمن سأله صلى الله عليه وآله: بم تقضى إن عرض قضاء فقال: أفضى بما فى كتاب الله.

قال: فان لم يكن فى كتاب الله؟

قال: أفضى بما قضى به الرسول.

قال: فإن لم يكن فيما قضى به الرسول؟

قال: أجتهد رأياً و لا آلو.

فضرب النبي صلى الله عليه وآله صدره، و قال:

«الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله» (١).

(٢)

### قصة كعب بن زهير بن أبى سلمى:

كان «زهير بن أبى سلمى» من شعراء العرب البارعين فى العهد الجاهلى، فهو صاحب إحدى المعلقات السبع التى بقيت منصوبة فى الكعبة المعظمة حتى قبيل نزول القرآن الكريم، و كانت تفتخر بها العرب، و تبدأ معلقته تلك بقوله:

أمن أم أوفى دمنه لم تكلم بحومانة الدراج فالمتلم و قد توفى «زهير» قبل عصر الرسالة، و خلف ولدين هما: «بجير»، و «كعب» و كان الأول ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وآله و نصره، و أحبه، بينما عادى الثانى (كعب) رسول الله صلى الله عليه وآله بشدة، و حيث أنه كان ذا قريحة شعرية موروثة قوية، لهذا كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وآله فى قصائده

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٤٧ و ٣٤٨، و يكتب الجزرى فى اسد الغابة: (ج ٣ ص ٣٥٨) كان عتاب رجلا خيرا صالحا فاضلا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٠

و أشعاره و يؤلب الناس ضد الإسلام.

(١) و لما قدم رسول الله صلى الله عليه و آله المدينة فى الرابع و العشرين من شهر ذى القعدة كان «بجير» قد شارك مع النبى صلى الله عليه و آله فى فتح مكة، و حصار الطائف، و قد شاهد عن كعب كيف هدّد النبى صلى الله عليه و آله بالقتل بعض الشعراء الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه و آله و يؤلبون الناس ضد الإسلام، و أهدر دماءهم.

فكتب بهذا إلى أخيه (كعب) و نصحه فى آخر كتابه قائلا: إن كانت لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه و آله فانه لا يقتل أحدا جاءه تابيا.

فاطمآن كعب بكلام أخيه، و توجه من فوره إلى المدينة فدخل المسجد و رسول الله صلى الله عليه و آله يتهايا لصلاة الصبح، فصلّى مع رسول الله صلى الله عليه و آله لأول مرّة ثم جلس إليه، و وضع يده فى يده، و كان رسول الله صلى الله عليه و آله لا يعرفه، فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تابيا مسلما فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟

قال رسول الله صلى الله عليه و آله: نعم.

قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير «١».

(٢) ثم أخرج كعب قصيدته اللامية العصماء التى مدح فيها رسول الله صلى الله عليه و آله و التى كان قد أنشأها من قبل، و انشدها بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله فى المسجد ليتلافى بها ما سبق أن بدر منه من هجاء و طعن فى سيد المرسلين صلى الله عليه و آله و آله «٢».

(١) روى أنه وثب على كعب- فى تلك الحال- رجل من الانصار فقال: يا رسول الله دعنى و عدوّ الله أن أضرب عنقه، فقال النبى صلى الله عليه و آله: دعه عنك فانه قد جاء تابيا نازعا (عما كان عليه) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٠١.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤١

(١) و هذه القصيدة الرائعة هى من أفضل قصائد كعب و قد اعتنى المسلمون بحفظها و نشرها منذ أن أنشدها الشاعر المذكور بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله فى المسجد، و قد شرحها علماء الإسلام كثيرا، و عدد ابيات هذه اللامية (أى التى تنتهى قوافيها باللام المضمومة) ٥٨ بيتا و مطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يغد مكبول لقد بدأ كعب قصيدته هذه- على عادة شعراء العهد الجاهلى (الذين كانوا يبدءون قصائدهم بمخاطبة محبوبتهم او مخاطبة الاطال)- بذكر سعاد زوجته و ابنة عمه، و لقد خصّ بها بالذكر لطول غيبته عنها، لهروبه من النبى صلى الله عليه و آله فيقول: فارقتنى سعاد فراقا بعيدا فقلبي اليوم أسقمه الحب، و أضناه، فهو ذليل لغيبته لم يخلص من الأسر و القيد.

(٢) ثم يمضى فى هذه النمط من الكلام حتى يصل إلى أن يعتذر من صنيعه السيئ فقال:

تبئت أن رسول الله أوعدنى و العفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذى أعطاك نافله القرآن فيها مواعظ و تفصيل

لا تأخذنى بأقوال الوشاة و لم اذنب و لو كثرت فى الأقاويل إلى أن قال:

إن الرسول لنور يستضاء به مهتد من سيوف الله مسلول «١» «٢»

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٠١-٥١٤.

(٢) يقال: إن كعباً عند ما فرغ من إنشاء قصيدته كساه النبي صلى الله عليه وآله بردةً كانت عليه، فلما كان زمن معاوية أرسل إلى كعب أن بعنا بردة رسول الله، فقال: ما كنت لاثوثر بثوب رسول الله أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم وهي البردة التي كان يلبسها الخلفاء الأمويون والعباسيون (راجع الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٧٦). وجاء في ناسخ التواريخ الجزء الثالث من المجلد الثاني أن كعباً لما قال «إن النبي لسيف يستضاء به» قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إن النبي لنور».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٢

(١)

### حزن قارن فرحاً:

في أواخر السنة الثامنة للهجرة فقد رسول الله صلى الله عليه وآله كبرى بناته: «زينب»، وقد تزوجت زينب قبل البعثة بابن خالتها أبي العاص، و آمنت بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله بعد البعثة من دون تأخير، ولكن زوجها ظل على شركه، و شارك في «بدر» ضد الإسلام والمسلمين، و أسر في تلك المعركة فخلّى رسول الله سبيله، شريطة أن يبعث بابنته «زينب» إلى المدينة. و فعل ابن العاص ذلك فجهّز زوجته «زينب» و بعثها برفقة أخيه إلى المدينة، غير أن سادة قريش عرفوا بذلك، فكلفوا من يعيدها إلى مكة، فلحق بها الرجل في أثناء الطريق، فضرب هودجها برمحه ففزعت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله و اسقطت حملها من شدّة الفزع، و لكنها لم تنصرف عن الذهاب إلى المدينة، فقد واصلت سيرها حتى قدمت المدينة و هي عليله، و قضت بقيه عمرها مريضة حتى توفيت في أواخر السنة الثامنة من الهجرة.

و لكنّ هذا الحزن قارنه فرح و سرور فقد رزق رسول الله صلى الله عليه وآله في أواخر نفس ذلك العام ولداً اسماه «إبراهيم» من زوجته «مارية القبطية» (و هي الجارية التي أهداها المقوقس حاكم مصر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله). و الجدير بالذكر أنه عند ما بشرت سلمى (المولدة) رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، أعطاه هدية ثمينه، و عقّ له في اليوم السابع من ولادته، و حلق شعره، و تصدّق بوزن شعره، فضه في سبيل الله «١».

(١) تاريخ الخميس: ج ٢ ص ١٣١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٣

(١)

### حوادث السنة التاسعة من الهجرة

٥٣ علي بن أبي طالب في أرض طي (٢) إسلام عدي بن حاتم:

#### إشارة

انقضت السنة الهجرية الثامنة بكل حوادثها المرّة والحلوة، فقد سقطت أكبر قاعدة من قاعدة الوثنية والشرك في أيدي المسلمين، و عاد رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ظافراً منتصراً على أعداء الإسلام انتصاراً كاملاً، و قد هيمنت ظلال القوة العسكرية

الإسلامية على أكثر أنحاء الجزيرة العربية و نقاطها.

كما أخذت القبائل العربية المتمردة التي لم تكن تتصور إلى ذلك اليوم أن يتحقق مثل هذه الانتصارات لدين التوحيد، أخذت تفكر شيئاً فشيئاً في التقرب إلى المسلمين و قبول معتقداتهم، و اعتناق دينهم.

من هنا كانت وفود القبائل العربية المختلفة، و أحياناً مجموعة من أفراد قبيلة ما بقيادة رئيسها تقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله و تعلن عن إسلامها، و قبولها للرسالة المحمدية.

و قد ازداد قدوم وفود القبائل هذه على عاصمة الإسلام (المدينة المنورة) في هذا العام حتى سُمي بعام الوفود «١».

(١) لقد سجّل المؤرخ المعروف محمد بن سعد - في كتابه - خصوصيات و أسماء هذه الوفود و تفاصيل القسم الأكبر من تفاصيل ما دار بينها و بين النبي صلى الله عليه وآله و ما خصّهم به رسول

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٤

(١) و عند ما قدم وفد من قبيلة «طى» و فيهم سيدهم «زيد الخيل» على رسول الله صلى الله عليه وآله و تحادث مع النبي صلى الله عليه وآله أعجب رسول الله صلى الله عليه وآله بعقل زيد و حكمته و وقاره فقال عنه:

«ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلّا رأيته دون ما يقال فيه إلّا زيد الخيل، فانه لم يبلغ كل ما كان فيه».

ثم سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله زيد الخير «١».

إن دراسة قصة الوفود، و الإمعان و التدبر في ما دار بينهم و بين رسول الإسلام يفيد بوضوح و جلاء ان الإسلام انتشر في شبه الجزيرة العربية عن طريق الدعوة و التبليغ.

(٢) على أن طواغيت ذلك العصر أمثال أبي سفيان و أبي جهل كانوا يحاولون الحيلولة دون انتشار هذا الدين، فكانت لأجل ذلك حروب النبي صلى الله عليه وآله فمضافاً إلى أن أكثرها كان لإفشال تلك المؤامرات، كان الهدف منها

الإسلام من الطف لا يسع المجال لذكره هنا، و قد ذكر أسماء ثلاثة و سبعين وفداً من تلك الوفود التي وفدت على رسول الله صلى الله عليه وآله طوال السنة التاسعة من الهجرة أو ما قبلها بقليل (الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٩١ - ٣٥٩).

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٧٧. هذا و ينبغي الإشارة هنا و بالمناسبة إلى أنه كان من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله أن يغيّر الأسماء القبيحة التي اعتاد الجاهليّون على تسميتها بأبنائهم بها إيثاراً للاسم الحسن و لأن الاسم يورث الاحساس بالشخصية لدى صاحبه على العكس من الاسم القبيح، و قد ثبت هذا نفسياً، بل ربما غيّر الأسماء التي قد يشعر معها الإنسان بالعظمة، و الفخر و الزهو منعا من أن تحدث لأصحابها مثل ذلك. فعن الامام جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عليهما السلام: إن رسول الله كان يغيّر الأسماء القبيحة في الرجال و البلدان (قرب الاسناد ص ٤٥) و لهذا غيّر أسماء كثيرة لرجال و نساء فغيّر اسم ابنه لعمر كانت يقال لها عاصية فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وآله جميلة (صحيح مسلم: ج ٦ ص ١٧٣) و غيّر اسم غافل بن البكير فسمّاه عاقلاً، و قد روى أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن أوّل ما ينحل احدكم ولده الاسم الحسن» (بحار الأنوار: ج ٢٣ ص ١٢٢). سيد المرسلين ج ٢ ص ٥٣٥٤٥ على بن أبي طالب في أرض طى (٢) إسلام عدى بن حاتم: ..... ص: ٥٤٣

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٥

هو قمع أولئك الطواغيت الذين كانوا يصدّون عن سبيل الله و يمنعون من دخول مجموعات الدعوة و التبليغ الإسلامية إلى مناطق الحجاز و نجد و غيرها.

(١) إن من البديهي أن لا يتيسر انتشار أيّ دين، و تطبيق أيّ برنامج إصلاحى من دون تحطيم الطواغيت، و إزالة الأشواك من طريقه.

و من هنا نرى أن جميع الأنبياء و الرسل، و ليس رسول الله فقط كانوا يجتهدون قبل أى شىء فى تحطيم الطواغيت و إزالة السدود و الموانع، من طريق الدعوة.

و يتحدث القرآن الكريم فى سورة خاصة عن قدوم هذه الوفود على رسول الله صلى الله عليه وآله و ما حققه الإسلام من فتح و انتصار ساحق اذ يقول:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصِيرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ. وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا. فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا» (١).

(٢) و بالرغم من هذا الإقبال المتزايد على الإسلام لدى القبائل و قدوم الوفود المتلاحق على رسول الله صلى الله عليه وآله فقد قام فى السنة التاسعة من الهجرة ببعث عدة سرايا، و وقعت غزوة واحدة، و كانت السرايا هذه لأجل إفشال المؤامرات التى كانت تحاك ضد الإسلام و المسلمين، و كانت فى الأغلب لهدم الأصنام الكبيرة التى كانت لا تزال القبائل العربية المشركة تقدها و تعبدها، و من جملة هذه السرايا سرية على بن أبى طالب عليه السلام التى وَّجَّهت إلى أرض «طى» بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله و من بين ما وقع فى السنة التاسعة يمكن الإشارة إلى غزوة «تبوك».

ففى هذه الغزوة غادر رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة متوجها إلى أرض تبوك، و لكنه لم يلق فيها أحدا، فعاد من غير قتال، إلا أنه مهَّد الطريق لفتح البلاد الحدودية لمن يأتى فى المستقبل.

(١) النصر: ١-٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٦

(١)

### هدم بيوت الأصنام:

لقد كانت الوظيفة الأساسية الأولى من وظائف النبى صلى الله عليه وآله هى: نشر عقيدة التوحيد، و اجتثاث جذور كل نوع من أنواع الشرك، و قد كان صلى الله عليه وآله يسلك- لتحقيق هذه الغاية، و لارشاد الضالين و الوثنيين- طريق المنطق و الاستدلال، قبل أى شىء فكان يلفت أنظارهم بالأدلة الواضحة و البراهين الساطعة إلى بطلان الشرك و الوثنية، فاذا لم يجد معهم المنطق المبرهن، و الارشاد المستدل، و لجوا فى كفرهم و شركهم سمح لنفسه بأن يتوسل بالقوة، و يداوى أولئك المرضى روحا و فكرا و الذين يمتنعون عن استعمال الدواء و بمحض اختيارهم، بالمعالجة الجبرية.

فإنه إذا شاع داء الكوليرا فى بلد من البلدان مثلا، و امتنع فريق من الناس عن قبول تلقيحهم بالمصل اللازم لمكافحة ذلك المرض، فإن المسئول فى ذلك البلد يرى لنفسه الحق فى أن يجبر تلك الجماعة الضيقة التفكير التى تعرّض سلامة نفسها و سلامة غيرها للخطر من حيث لا تشعر على الرضوخ لعملية التلقيح المذكورة.

(٢) لقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله فى ضوء تعاليم الوحي أن الوثنية أشبه شىء بجرثومة «الكوليرا» تهدم فضائل الانسان، و شرفه، و تقضى على مكارم الاخلاق، و تحط من مكانة الانسان الرفيعة، و تجعله كائنا حقيرا أمام الطين و الحجر و الموجودات المنحطة.

و على هذا الاساس امر من جانب الله تعالى بأن يجتث جذور الشرك من كيان ذلك المجتمع الموبوء، و يزيل كل مظاهر الوثنية، و كل أنواعها و أشكالها، و اذا ما قاومت جماعة هذا العمل، و عارضت هذا الاجراء حطم مقاومته بالقوة العسكرية، و القبض الحديدية. إن التفوق العسكرى أعطى لرسول الله صلى الله عليه وآله فرصة بعث

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٧

الفرق العسكرية لتحطيم و هدم كل بيوت الأصنام، و أن لا يبقوا فى منطقة الحجاز صنما إلّا هدموه.  
(١)

### على فى أرض طى:

و لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف من قبل، أن فى قبيلة طى صنما كبيرا يقُدس إلى الآن و من هنا بعث صلى الله عليه وآله و آله بطل جيشه الشجاع على بن أبى طالب عليه السلام على رأس مائة و خمسين فارس إلى أرض طى، و أمره بأن يحطم صنم طى، و يهدم بيته.

و قد أدرك قائد هذه السرية أن القبيلة المذكورة ستقاوم جنود الاسلام، و أن الأمر لن يتم من دون قتال، و لهذا حمل بأفراده على موضع ذلك الصنم، عند الفجر و الناس نيام، فاستطاع أن يأسر جماعة من تلك القبيلة ممن قاوم، و ان يعود بهم و بالغنائم الى المدينة و قد فر «عدى بن حاتم الطائى» الذى انضم فيما بعد الى صفوف المسلمين، المجاهدين فى سبيل الله، و كان يرأس تلك القبيلة، حين سمع بتوجه على عليه السلام نحوها.

(٢) و لنستمع إلى عدى الطائى نفسه و هو يقص علينا قصة هروبه.

يقول عدى: ما من رجل كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وآله حين سمع به، متى.

أمّا أنا فكنت امرأ شريفا، و كنت نصرانيا، و كنت اسير فى قومي بالمربع (أى آخذ الربيع من الغنائم لأنى سيدهم) فكنت فى نفسى على دين، و كنت ملكا فى قومي لما كان يصنع بى. فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وآله كرهته، فقلت لغلام كان لى عربى، و كان راعيا لابلى: لا أبأ لك أعدد لى من إبلى أجمالا ذللا سمانا، فاحتبسها قريبا منى، فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فأذنى؛ ففعل؛ ثم أنه أتانى ذات غداة، فقال: يا عدى ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمّد، فأصنعه الآن، فانى قد رأيت رايات، فسألت

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٨

عنها، فقالوا: هذه جيوش محمّد. قال: فقلت: فقرب إلى أجمالى فقربها، فاحتملت بأهلى و ولدى، ثم قلت: ألحق بأهل دينى من النصرارى بالشام فسلكت الجوشية «١» و قد تركت أختى فى قومي.

(١) ثم تغزو خيل رسول الله صلى الله عليه وآله و آله قومي فتصيب (اختى) ابنه حاتم فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فى سبايا من طى، و قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله و آله هربى الى الشام.

فجعلت ابنه حاتم فى حظيرة باب المسجد كانت السبايا يحبسن فيه، فمرّ بها رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فقامت إليه اختى و كانت امرأة جزلة، فقالت:

يا رسول الله هللك الوالد، و غاب الوافد، فامنن علىّ منّ الله عليك.

قال: و من وافدك؟

فقالت: عدى بن حاتم.

قال: الفارّ من الله و رسوله؟

(٢) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و تركنى حتى إذا كان من الغد مرّ بى، فقلت له مثل ذلك، و قال لى مثل ما قال بالأمس، حتى إذا كان من الغد مرّ بى و قد يئست منه، فأشار إلىّ رجل من خلفه أن قومي فكلميه، فقامت إليه، و قالت: يا رسول الله هللك الوالد، و غاب الوافد، فامنن علىّ منّ الله عليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله:

«قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيى». تقول اختى: فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه فقيل: على بن أبى طالب رضوان الله عليه. (٣) ثم إن اختى أقامت حتى قدم ركب من بلوى او قضاة قالت: و أنما اريد أن

(١) الجوشية: جبل للضبب قرب ضريه. من أرض نجد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٤٩

أتى أخى بالشام. قالت: فجئت رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت:

يا رسول الله قد قدم رهط من قومي لى فيهم ثقة و بلاغ.

قالت: فكسانى رسول الله صلى الله عليه وآله و حملنى، و اعطانى نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام.

(١) قال عدى: فو الله إنى لقاعد فى أهلى إذ نظرت إلى ظعينة (و هى المرأة فى هودجها) تصوب إلى تؤمنا قال: فقلت ابنة حاتم، قال:

فإذا هى هى، فلما وقفت على أخذت فى اللوم تقول: القاطع الظالم، احتملت أهلك و ولدك، و تركت بقتية والدك عورتك.

فقلت: أى أختيه، لا- تقولى إلبا خيرا، فو الله ما لى من عذر، لقد صنعت ما ذكرت، ثم نزلت فاقامت عندى فقلت لها، و كانت امرأة

حازمة: ما ذا ترين فى أمر هذا الرجل؟

قالت: أرى و الله أن تلحق به سريعا، فان يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله، و ان يكن ملكا فلن تذلى فى عز اليمن، و أنت أنت. فقلت:

و الله إن هذا رأى.

(٢) قال عدى: فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فدخلت عليه، و هو فى مسجده، فسلمت عليه، فقال:

من الرجل؟ فقلت: عدى بن حاتم، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فأنطلق بى إلى بيته، فو الله إنه لعامد بى إليه، إذ لقيته امرأة

ضعيفة كبيرة فاستوقفتها، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها. فقلت فى نفسى: و الله ما هذا بملك.

ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وآله حتى إذا دخل بى بيته تناول و سادة من آدم محشوة ليفا فقذفها إلى، فقال: اجلس على

هذه، فقلت: بل أنت فاجلس عليها فقال: بل أنت، فجلست عليها، و جلس رسول الله صلى الله عليه وآله بالأرض (و هو عظيم

الحجاز) فقلت فى نفسى: و الله ما هذا بأمر ملك ثم قال: إيه يا عدى بن حاتم، ألم تك ركوسيا (و هو دين بين دين النصارى

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٠

و الصابئين؟)

قلت: بلى.

قال: أولم تكن تسير فى قومك بالمرباع؟

قلت: بلى.

قال: فان ذلك لم يحل لك فى دينك.

(١) قلت: أجل و الله، و عرفت أنه نبى مرسل، يعلم ما يجهل، ثم قال: لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من

حاجتهم، فو الله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، و لعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم

و قلله عددهم، فو الله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف، و لعلك إنما يمنعك

من دخول فيه أنك ترى أن الملك و السلطان فى غيرهم و أيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت

عليهم.

قال عدى: فاسلمت.



و كان عدى يقول: قد مضت اثنتان و بقيت الثالثة و الله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، و قد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، و أيم الله لتكونن الثالثة، ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه «١».

(٢) و لقد نقل العلامة الطبرسي في تفسير قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ» «٢» اللقاء الذى تم بين عدى و رسول الله صلى الله عليه و آله و يقول: قال عدى انتهيت إلى رسول الله و هو يقرأ من سورة البراءة هذه الآية (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ ...) حتى فرغ منها،

(١) المغازى: ج ٢ ص ٩٨٨ و ٩٨٩، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٧٨-٥٨١، الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة الامامية: ص ٣٥٢-٣٥٤، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٤٥.

(٢) التوبة: ٣١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥١

فقلت له: انا لسنا نعبدهم، فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، و يحلون ما حرم الله فتستحلونه، فقلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم «١».

(١) مجمع البيان: ج ٣ ص ٢٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٢.

(١)

## ٥٤ غزوة تبوك

### إشارة

كانت القلعة القويّة، الرفيعة الجدران المقامة عند عين ماء على الشريط الحدودى السورى فى طريق «حجر» و «الشام» تسمى تبوكا. و كانت سورية آنذاك من مستعمرات إمبراطورية الروم الشرقية، التى كان عاصمتها القسطنطينية.

و كان جميع سكان المناطق الحدودية للشام نصارى على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السلام و كان أكثر زعمائها ولاء منصوبين من قبل حاكم الشام الذى كان يمثل هو بدوره إمبراطور الروم، و يمثل أوامره.

و لقد كان لانتشار الاسلام السريع فى شبه الجزيرة العربية و فتوحات المسلمين المشرقة فى الحجاز صداه فى خارج الحجاز ينعكس بالوسائل الموجودة فى ذلك اليوم، و كان ذلك يربح الأعداء، و يدفعهم إلى التفكير فى حيلة.

(٢) و لقد دفع سقوط حكومة «مكة» الوثنية، و اعتناق زعماء الحجاز الكبار للدين الاسلامى، و بطولات جنود الاسلام الباهرة و بسالتهم و تفانيهم الفريد فى طريق عقيدتهم، بامبراطور الروم إلى أن يحشد جموعا كبيرة، و يتهيأ لمهاجمة المسلمين و غزوهم بغتة، لأنه كان يرى تزلزل سلطانه مع انتشار الاسلام المطرد، و كانت مخاوفه تزداد يوما بعد يوم و هو يرى تعاظم القوة الاسلامية العسكرية، و انتشار نفوذه السياسى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٣.

(١) كانت الروم- آنذاك- المنافسة الوحيدة، و القوية لإيران، و كانت تملك أعظم قوة عسكرية، و كانت مغترة أشد الغرور بنفسها، لما أصابته من فتوحات و انتصارات فى معاركها الكبرى مع إيران، و ما ألحقته من هزائم نكراء بإيران فى تلك العصور.



وقد كان جيش الروم يتألف من أربعين ألف فارس و راجل، و كان مجهّزا بأحدث أسلحة و تجهيزات ذلك العصر، و قد استقرّ هذا الجيش على الشريط الحدودي لأرض الشام، و التحقت به قبائل عديدة تسكن الحدود مثل قبيلة «لخم» «عاملة» «غسان» «جذام»، و تقدمت طلائع ذلك الجيش حتى منطقة «البلقاء».

(٢) و لقد بلغ نبأ استقرار فريق من جنود الروم على الشريط الحدودي للشام إلى مسامع النبي صلى الله عليه وآله عن طريق القوافل التجارية التي تعمل على طريق الحجاز- الشام فلم ير رسول الله صلى الله عليه وآله بدّا من أن يرّد على هؤلاء المعتدين، بجيش عظيم، و يحافظ بذلك على الدين الذي قام بفضل الدماء الزكية التي اريقت من أصحابه، و بفضل تضحياته هو صلى الله عليه وآله و هو الآن على أبواب أن يعمّ العالم نوره و هداه، من ضربات العدو المفاجئة.

و لقد بلغ هذا الخبر المقلق أهل المدينة، و أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، و الناس في زمان عسرة، و شدة من الحرّ، و جذب من البلاد، و قد طابت الثمار، و الناس يحبّون المقام في ثمارهم و ظلالهم، و يكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه.

و لكن الدوافع المعنوية، و روح الحفاظ على الأهداف المقدّسة، و الجهاد في سبيل الله مقدّم- عند عباد الله المؤمنين الصالحين- على كل تلك الامور.

(٣)

### تعبئة المقاتلين و تهيئة نفقات الحرب:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف على نحو الاجمال مدى و حجم سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٤

استعدادات العدو، و طاقاته، و قدرته على القتال.

من هنا كان مطمئنا إلى أن الانتصار في هذه المعركة بحاجة- مضافا إلى الخلفية المعنوية القوية و هي الايمان بالله و القتال ابتغاء لمرضاة- الى قوة عسكرية كبيرة جدا و لهذا بعث رجالا إلى مكة، و نواحي المدينة يدعون المسلمين إلى المشاركة في الجهاد في سبيل الله، و يحثّون أهل الغنى و الثروة، على تهيئة نفقات الجهاد في سبيل الله من الزكاة.

و أخيرا أعلن ثلاثون ألفا من المسلمين استعدادهم للمشاركة في هذه الغزوة و اجتمعوا في معسكر عند «ثنية الوداع» و تهيأ قدر كبير من نفقات القتال عن طريق الزكاة، و كان الجيش الاسلامي يتألف من عشرة آلاف فارس، و عشرين الف راجل.

و قد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن تتخذ كل قبيلة راية لنفسها.

(١)

### المتخلفون عن القتال:

كانت غزوة «تبوك» خير محكّ لمعرفة المجاهدين الصادقين و تمييزهم عن غير الصادقين من أدياء الإيمان و المنافقين لأن التعبئة العامة لهذه الغزوة اعلنت في وقت كان الناس يستعدّون فيه للحصاد من جهة، و كان الحرّ على أشده من ناحية اخرى، فكشف تخلف البعض- بالأعذار و الحجج المختلفة- القناع عن وجههم الحقيقي و نزلت آيات في ذمهم جميعها في سورة البراءة.

لقد تخلف البعض عن المشاركة في هذه الغزوة للأسباب و العلل التالية:

(٢) ١- عند ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله و آله للجدّ بن قيس،- و كان من الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المرموقة:-

«أبا وهب هل لك العام تخرج معنا؟»

فقال: يا رسول الله أو تأذن لي، و لا تفتني «١» فوالله لقد عرف قومي ما أحد

(١) أى أخشى الافتتان بنات الروم فلا تفتني بهن يا رسول الله.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٥

اشدّ عجباً بالنساء منى، و انى لأخشى إن رأيت بنات بنى الأصفر (الروم) لا أصبر عليهن.

فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن سمع منه ذلك العذر الصياني، و قد نزل فيه قول الله تعالى:

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أئذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» «١».

(١) ٢- المنافقون: إن جماعة ممن تظاهروا بالإسلام والإيمان و هم منه خلوا، أخذوا يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وآله

فى غزوة تبوك، و ربما تحججوا بشدة الحرّ فقالوا: يغزو محمّد بنى الأصفر مع جهد الحال و الحرّ، و البلد البعيد، إلى ما قبل له به،

يحسب محمّد أن قتال بنى الأصفر اللعاب، فنزل فيهم قول الله تعالى:

«وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَ لِيُبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» «٢».

و قد كان بعض المنافقين يخوفون المسلمين من المشاركة فى هذه الغزوة، و كانوا يقولون فى هذا الصدد: تحسبون قتال بنى الأصفر

كقتال غيرهم، و الله لكأننا بكم غدا مقرّنين فى الجبال؟! «٣».

(٢)

### اكتشاف شبكة جاسوسية فى المدينة:

كان رسول الله صلى الله عليه وآله كما أسلفنا يولى مسألة تحصيل المعلومات عن العدو و تحركاته اهتماما كبيرا، و كان أكثر

انتصاراته تعود إلى حسن استخدامه لهذه الوسيلة و بالتالى لمعرفته الدقيقة بتحركات العدو و نشاطاته، و على

(١) التوبة: ٤٩.

(٢) التوبة: ٨١ و ٨٢.

(٣) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٥٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٦

هذا الاساس كان يقضى على الكثير من المؤامرات فى مهدها.

(١) و لقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت «سويلم» اليهودى، و يخططون لتثيبت المسلمين

عن رسول الله صلى الله عليه وآله فى هذه الغزوة، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله «طلحة بن عبيد الله» فى نفر من أصحابه

لإرهاب اولئك المتآمرين حتى يكفّوا عن التآمر، و أمره بأن يحرق عليهم بيت «سويلم». ففعل طلحة ذلك إذ اقتحم البيت بغتة، و هم

يخططون، و يدبرون مؤامرة، و احرق البيت، ففرّوا وسط أسنة اللهب، و أعمدة الدخان، و افلتوا، و انكسرت رجل أحدهم حين الفرار.

و قد كان هذا الاجراء مفيدا فى ردع المنافقين المشاغبيين عن العودة إلى مثلها حتى قال أحد رءوسهم و هو «الضحّاك بن خليفة»:

كادت و بيت الله نار محمّد يشيط بها الضحّاك و ابن أبيرق

و ظلت و قد طبقت كبس سويلم أنوء على رجلى كسيرا و مرفقى

سلام عليكم لا أعود لمثلها أخاف و من تشمل به النار يحرق «١» (٢) ٣- البكاءون: لقد أتى رجال من المسلمين رسول الله صلى الله

عليه وآله كانوا يرغبون في الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هذه الغزوة، وطلبوا منه ما يحملهم عليه من دأبه فقد كانوا أهل حاجة فقراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا أجد ما أحملكم عليه».

فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً، ألا يجدوا ما ينفقون.

فاذا كان بين أصحاب النبي صلى الله عليه وآله رجال نافقوا، و تركوا الخروج مع رسول الله متعللين بالأعداء السخيفة، فقد كان إلى جانب ذلك أيضاً من كان يبكي بكاء مرّاً لعدم تمكنه من المشاركة في الجهاد المقدس حتى عرفوا

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥١٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٧.

في التاريخ الاسلامي بالكائين، و نزل فيهم قرآن اذ يقول تعالى:

«وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ» (١).

(١) ٤- المتخلفون: و لقد أبطأ بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله عن الخروج، و تخلفوا لا عن شك و ارتياب، أو رغبة عن الجهاد في سبيل الله، و قد كانوا أهل صدق لا يتهمون في إسلامهم، إنما تخلفوا حتى يلتحقوا بركب النبي صلى الله عليه وآله بعد أن يفرغوا من الحصاد و القطاف و هم (المخلفون) الثلاثة حسب تعبير القرآن الكريم الذين فاتتهم غزوة تبوك، فوبخهم الله تعالى و عاقبهم على تخلفهم ليكون في ذلك عبرة لمن سواهم كما ستعرف تفصيلاً ذلك عمّا قريب.

(٢) ٥- المجاهدون الصادقون: الذين لبوا نداء رسول الله صلى الله عليه وآله و تهيأوا من فورهم للخروج معه في شوق بالغ، و رغبة عظيمة في الجهاد.

(٣)

### عدم مشاركة «علي» في غزوة تبوك:

لقد كان من أبرز فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام أنه شارك في جميع المعارك، و لازم رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع غزواته،- و كان هو حامل لوائه في تلك المعارك و الغزوات- ما عدا تبوك حيث بقي في المدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يشارك في هذا الجهاد المقدس لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يدرك جيداً أن بعض المنافقين و المتربصين، و المتحينين الفرص من رجال قريش سيستغلون فرصة غيبة النبي القائد عن المدينة (مركز الدولة الاسلامية) فيثيرون فيها فتنة، و يجهزون على الحكومة الاسلامية الفتية بانقلاب أو ما شابه ذلك، و أن مثل هذه الفرصة انما تسنح لهم إذا قصد رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) التوبة: ٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٨.

الله عليه وآله مكاناً نائياً، و انقطع ارتباطه بعاصمة الاسلام (المدينة)!!

(١) و لقد كانت «تبوك» أبعد نقطة خرج إليها رسول الله صلى الله عليه وآله في جميع غزواته، فكان يحدس- بقوة- أن تقوم القوى المضادة للإسلام بقلب الأوضاع في غيابه، و يجمعوا من يروا رأيهم و يذهب مذهبهم من شتى أنحاء الحجاز، و يتحدوا لضرب الدولة الاسلامية و القضاء عليها من الداخل.

ولهذا- رغم أنه استخلف «محمد بن مسلمة» على المدينة- قال للامام «علي بن أبي طالب»:

«أنت خليفتي في أهل بيتي و دار هجرتي و قومي.

يا علي إن المدينة لا تصلح إلا بي و بك».

(٢) و لقد أزعج بقاء علي عليه السلام في المدينة، المنافقين الذين كانوا يترصدون بالاسلام الدوائر، و يتحينون الفرصة، و يفكرون في انقلاب في غيبة النبي صلى الله عليه و آله لأنهم كانوا يعرفون أنهم لن يعودوا يستطيعون مع وجود علي عليه السلام في المدينة، و مراقبته الدقيقة لتحركاتهم و نشاطاتهم فعل أي شيء ممّا كانوا ينوون القيام به، و لهذا أرجفوا به، و بثوا شائعات خبيثة حوله، بغية إجباره على مغادرة المدينة فقالوا: ما خلف رسول الله صلى الله عليه و آله علينا إلا استثقالا له، و تخففا منه، أو: أن رسول الله صلى الله عليه و آله دعاه إلى الخروج لتبوك، و لكن عليا امتنع من الخروج بحجة الحر الشديد، و بعد الطريق و إثارة للدعة و الراحة و الرفاهية!!

(٣) و لإبطال هذه الشائعة الخبيثة، و تكذيب هذا الكلام، أخذ علي عليه السلام سلاحه، و خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه و آله و هو نازل بالجرف (و هو موضع على ثلاثة أميال من المدينة) فقال:

«يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني أنك استثقتني و تخففت مني».

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله حينئذ كلمته التاريخية الخالدة التي تعتبر

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٥٩

من أبرز الأدلة و أقواها و أوضحها على إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام و خلافته بعد رسول الله صلى الله عليه و آله بلا فصل:

«كذبوا، و لكنني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي و أهلكت أ فلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» (١).

فرجع علي عليه السلام الى المدينة المنورة، و مضى رسول الله صلى الله عليه و آله على سفره (٢).

(١)

### جيش الاسلام يتحرك نحو تبوك:

لقد دأب رسول الله صلى الله عليه و آله إذ خرج لتأديب قوم يكيدون بالاسلام، و يمنعون من تقدمه و انتشاره أو يقصدون الهجوم على المدينة و اجتياحها، أو إيجاد فتن فيها، على أن لا يبوح بمقصده و وجهته لجنوده و امراء جيشه، و أن يسير بالجيش في طريق آخر غير الوجه الذي ينويه باطنا، حتى لا يعرف به العدو فيهيأ لمواجهة، و بذلك يتسنى له صلى الله عليه و آله أن يباغت العدو، و يحقق الانتصار الساحق عليه (٣).

غير أن رسول الله صلى الله عليه و آله عدل عن هذه السيرة في قضية غزو الروميين الذين اجتمعوا في حدود الشام و هم يتأهبون للهجوم على عاصمة الاسلام.

فقد بين للناس- منذ أعلن التعبئة العامة- الوجهة التي يقصدها، و كان السر في ذلك هو أن يعرف المجاهدون أهمية هذا السفر و صعوبته، و أن يحملوا الزاد الكافي و العدة اللازمة.

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٤٩ و ٤٥٠.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٠، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٠٧ و ٢٠٨، و للوقوف على دلالة هذا الحديث على امامة امير المؤمنين عليه السلام راجع كتب العقائد و الكلام.

(٣) المغازي: ج ٣ ص ٩٩٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٠

(١) هذا مضافا إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مضطرا - لتقوية الجيش الاسلامي - إلى أن يستعين بقبائل «تميم» و «غطفان» و «طى» التي كانت تسكن في مناطق بعيدة عن المدينة.

وقد عمد رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا الغرض إلى مراسلة زعماء تلك القبائل، و ساداتها كما كتب إلى «عتاب بن اسيد» أمير مكة الشاب دعا فيه رجال تلك القبائل، و فتیان مكة إلى المشاركة في هذا الجهاد المقدس «١».

و مثل هذا النوع من الدعوة الصريحة العامة لا ينسجم مع الكتمان و السريّة، لأنه كان لا بد أن يخبر صلى الله عليه وآله رؤساء القبائل في هذا الموضوع، و يذكر لهم أهميته، ليحملوا معهم الزاد و العدة اللازمة الكافية.

(٢)

### النبي صلى الله عليه وآله يستعرض جيشه:

و لما حان موعد تحرك الجيش استعرض رسول الله صلى الله عليه وآله جيشه في معسكر المدينة العظيم، المؤلف من المؤمنين الفدائيين الغيارى على الإسلام، و الذين فضلوا المشقة و الموت في سبيل الهدف على الاستراحة في الظلال، و التجارة، و كسب المال و اكتناز الثروة، و خرجوا يستقبلون الموت في سبيل الدين بقلوب تفيض إيمانا و يقينا.

لقد كان هذا المشهد جميلا و رائعا جدا، و كان له أثر قوى في نفس المتفرجين.

و في هذه المناسبة ألقى رسول الله صلى الله عليه وآله خطبة مهمة، لتقوية معنويات المجاهدين، قد شرح فيها هدفه من هذه التعبئة العامة الواسعة.

فبعد أن حمد الله و أثنى عليه بما هو أهله قال:

«أيها الناس! أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله و أوثق العرى كلمه

(١) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٤٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦١

التقوى و خير الملل مله إبراهيم عليه السلام و خير السنن سنن محمد و أشرف الحديث ذكر الله و أحسن القصص هذا القرآن و خير الامور عواقبها و شر الامور محدثاتها و أحسن الهدى هدى الأنبياء و أشرف القتل قتل الشهداء».

إلى آخر الخطبة التي وردت بكاملها في المصادر التاريخية و التي ادرج فيها مجموعة كبرى و هامة من التعاليم الاسلامية الهامة فرغب الناس في الجهاد لما سمعوا هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله «١» ثم أصدر رسول الله أوامره للجنود بالتوجه الى ثغور الشام من الطريق الذي عينه رسول الله صلى الله عليه وآله.

(١)

### قصة مالك بن قيس:

رجع مالك بن قيس «ابو خيثمة» بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وآله أياما إلى أهله في يوم حار، فوجد المدينة فارغة، و عرف بمسير جنود الإسلام ثم دخل في عريش له، فوجد امرأتين له قد رشتا الماء في العريش، و بردتا له ماء، و هيأتا له طعاما، فلما دخل قام

على باب العريش، فنظر إلى امرأته، و ما صنعتا له، و فكّر في ما فيه رسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه من الحال، و قد انطلقوا إلى جهاد العدو في شدة الحرّ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله في الشمس و الريح و الحرّ، و أبو خيثمة في ظل بارد، و طعام مهياً، و امرأة حسناء في ماله مقيم؟ ما هذا بالنصف.

ثم قال: لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وآله و أصحابه المجاهدين فهينا لى زادا، ففعلنا ثم قدم بعيره فارتحل، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أدركه حين نزل تبوك، و قد لقي في أثناء الطريق أبا خيثمة «عمير بن وهيب الجمحي» و هو يطلب رسول الله صلى الله عليه وآله «٢».

(١) المغازي: ج ٢ ص ١٠١٦ بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢١٠-٢١٢.

(٢) السيرة النبوية: ج ١ ص ٥٢٠ و قد ذكر الواقدي هذه القصة باختلاف يسير و نسبها الى عبد الله بن خيثمة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٢

(١) لقد كان هذا الرجل ممن لم يوفق- في بداية الامر- لمرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنه التحق بركبه المقدس و نال السعادة العظمى بحسن اختياره الذي يستحق الاكبار و التقدير، و لم يكن مثل اولئك الذين طلبتهم السعادة و لكنهم رفضوها، و ابتعدوا عنها، و آثروا البقاء في ضلالهم و شقائهم.

فهذا «عبد الله بن ابي» رئيس المنافقين و كبيرهم الذي عزم على أن يشارك مع رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الغزوة أقام خيمته في معسكر المسلمين، و لكنه لخبث سريره، و عدائه الشديد للاسلام و نبيّه الكريم صلى الله عليه وآله بدّل رأيه ساعة رحيل الجيش الاسلامي، و عاد الى المدينة مع أصحابه ليقوم بالشغب، و حيث إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان على علم بنفاقه، و خبث سريره و كان يدرك جيدا أن مشاركة هذا العنصر المنافق و جماعته في ذلك الجهاد لن تعود على المسلمين بفائدة، لذلك لم يهتم صلى الله عليه وآله بانفصاله عن الجيش الاسلامي و رجوعه الى المدينة.

(٢)

### مصاعب الطريق:

لقد واجه جيش الاسلام في أثناء الطريق متاعب و مشاق كثيرة، و لهذا سمى هذا الجيش بجيش «العسرة» و لكن ايمانهم العميق بالله، و حبه الشديد للهدف المقدس سهّل لهم تلك المصاعب، و هوّن عليهم تلك المشاق، التي استقبلوها بصدور رحبة. و عند ما وصل جيش الاسلام إلى أرض ثمود غطى رسول الله صلى الله عليه وآله وجهه بثوبه، و استحثّ راحلته و مرّ على بيوتهم، و أطلالهم بسرعة و قال لأصحابه:

«لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا و أنتم باكون خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم».

و هو بذلك يحث أصحابه على التدبر في أحوال من مضى من الاقوام

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٣

و الشعوب، و التفكر في مصائرهم و ما آلوا عليه بسبب عتوّهم و عنادهم، و تمزدهم على الحق، فان ضلال الموت التي كانت تخيم على تلك الربوع، و الأطلال الصامتة خير عبرة للاجيال و الاقوام الاخرى.

(١) ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وآله الناس عن أن يشربوا من مائها شيئا، و أن لا يتوضؤوا به للصلاة، و أن لا يحاس به حيس، و لا يطبخ به طعام، و أن العجين الذي عجن به، أو الحيس الذي فعل به يعلف الإبل، و أن الطبيخ الذي طبخ به يلقي، و لا يأكلوا منه

شيئا «١».

ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وآله ثم ان الناس ارتحلوا من تلك المنطقة حتى إذا مضى من الليل بعضه وصلوا إلى البئر التي كان يشرب منها ناقة صالح النبي عليه السلام، فنزلوا عليها بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢)

### تعليمات احتياطية:

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعرف بالرياح الشديدة والسامة والعواصف القوية التي كانت تهب في تلك الأرض بين الحين والآخر، و تبلغ من الشدة والقوة بحيث ربما تحمل البعير بصاحبه، و تلقيه في واد آخر.

ولهذا أصدر صلى الله عليه وآله إلى أصحابه تعليمات احتياطية مشددة فأمرهم بأن يعقلوا آبالهم ولا يخرج أحد منهم في تلك الليلة وحده، بل يخرج من خبائه مع صاحبه.

وقد اثبتت التجارب والاحداث فيما بعد أن التعليمات الاحتياطية النبوية المذكورة كانت مفيدة جدا، لأن شخصين من بنى ساعده من الذين كانوا في ركب رسول الله صلى الله عليه وآله تجاهلا هذه التعليمات فخرجا منفردين من

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢١ و ٥٢٢، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٣٤ و ١٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٤

خبائهما ليلا، فاختنق أحدهما لشدة الرياح، بينما احتملت الريح الرجل الآخر، و ضربت به الجبل، و لما علم رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك انزعج بشدة و قال:

«ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلّا و معه صاحبه» «١».

(١) هذا و قد استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله على حرس العسكر «عباد بن بشر» فكان يطوف في أصحابه على العسكر.

ثم اصبح الناس و لا ماء معهم، و حصل لهم بسبب العطش ما كاد يقطع رقابهم، حتى حمل ذلك بعضهم على نحر إبلهم ليشقوا اكراشها، و يشربوا ماءها، بينما صبر آخرون، و انتظروا حصول الماء على ظمأ شديد، و قلوب ملتتهه عطشا.

و لقد أعان الله تعالى الذي كان قد وعد نبيه الكريم بالنصر أصحابه المسلمين الأوفياء، مرة اخرى إذ أرسل سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس، و احتملوا ما يحتاجون إليه.

(٢)

### علم رسول الله بالمغيبات:

لا شك في أن في مقدور رسول الله صلى الله عليه وآله أن يطلع على الغيب ممّا يخفى على الناس، و يخبر به كما يصرح القرآن الكريم بذلك، إلّا أن هذا العلم لا ريب محدود، و يحتاج إلى تعليم الله سبحانه. يقول تعالى:

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ» «٢».

من هنا يمكن أن تخفى على رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الاحايين، أبسط الامور، كأن يفقد مفتاحا، أو يضيع مالا و لا يعرف بمكانه و مصيره، بينما يقدر صلى الله عليه وآله أن يعلم بأخفى الامور الغيبية و اشدها غموضا فيشير حيرة



(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٣٤، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٢.

(٢) الجن: ٢٦ و ٢٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٥.

الناس ودهشتهم و عجبهم.

و السبب في كل ذلك هو ما ذكرناه، فان مشيئة الله سبحانه لو تعلقت بأن يعلم نيته بشيء من عالم الغيب و يخبر به علم و أخبر، و إلاً كان صلى الله عليه و آله كغيره من أفراد البشر العاديين.

و في ضوء هذا البيان لا بد أن ننظر الى القصة التالية:

(١) لما كان رسول الله صلى الله عليه و آله ببعض الطريق إلى تبوك ضلّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، فقام أحد المنافقين، و

قال: أليس محمّد يزعم أنه نبي، و يخبركم عن خبر السماء، و هو لا يدري أين ناقته؟

فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و هو يكشف النقاب ببيانه الرائع:

«إن رجلاً قال: هذا محمّد يخبركم أنه نبيّ و يزعم أنه يخبركم بأمر السماء، و هو لا يدري أين ناقته؟ و إني و الله ما أعلم إلا ما علمني

الله، و قد دلّني الله عليها و هي في هذا الوادي في شعب كذا و كذا و قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها».

فذهب بعض الصحابة من فورهم، و جاءوا بها «١».

(٢)

### إخباره بمغيب آخر:

لقد تخلف أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه و آله إذ أبطأ به بعيره، فانتظره المسلمون ريثما يقوم بعيره، و لكن دون جدوى فترك

أبو ذر البعير، و أخذ متاعه فحملة على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه و آله ماشياً، و نزل رسول الله صلى الله عليه و آله في بعض منازلهم

و نزل المسلمون ليستريحوا فيه بعض الوقت، و فجأة لاح من بعيد رجل، فلما نظر إليه ناظر من المسلمين قال:

يا رسول الله هو و الله أبو ذر، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله:

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٥٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٦.

«رحم الله أبا ذر يمشى وحده و يموت وحده و يبعث وحده» «١».

(١) و قد كشف المستقبل عن صحته هذه النبوءة، فقد توفي أبو ذر في صحراء «الربذة»، و عنده ابنته بعيدا عن الناس في حالة مأساوية

«٢».

لقد تحققت نبوءة رسول الله صلى الله عليه و آله في معركة تبوك بعد ثلاثة و عشرين عاما، فقد نفى هذا الصحابي المجاهد الصادق

إلى الشام ثم الى الربذة لا لشيء إلا لأنه جهر بالحق، و طالب بالعدل، و فقد قواه و طاقاته البدنية شيئاً فشيئاً حتى غدى طريح الفراش،

في تلك المنطقة الوعرة.

و فيما كان يمضى الدقائق الاخيرة من حياته الحافلة بالاحداث و التطورات، و امرأته جالسة عنده ترمق محياه المشرق المتعب و قد

عرق جبينه، و هي تمسح بيدها العرق و تبكي قال لها: ما يبكيك؟

فقال: أبكي أنه لا يد لي بتغييرك (أى ليس لي من يعينني على دفنك، أو ليس عندي ثوب يسعك كفنا)!

فارتسمت على شفتي أبي ذر ابتسامة مرّة و قال: لا تبكي عليّ، فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله ذات يوم و أنا عنده في نفر



يقول: ليموتنّ رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين (ثم قال: فكلّ من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة و قرية، فلم يبق منهم غيري، وقد أصبحت بالفلاة أموت فراقبي الطريق، فانك سوف ترين ما أقول لك فاني والله ما كذبت و لا كذبت.

قال هذا و فاضت روحه المباركة «٣».

(٢) و لقد صدق أبو ذر، فقد كانت ثمة قافلة من المسلمين تضم شخصيات

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٥.

(٢) المغازي: ج ٣ ص ١٠٠٠ و ١٠٠١.

(٣) اسد الغابة: ج ١ ص ٣٠٢، الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٢٣، حلية الاولياء: ج ١ ص ٣٠٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٧.

كبرى مثل «عبد الله بن مسعود» و «حجر بن عدي» و «مالك الاشر» تتقدم نحو تلك المنطقة.

رأى «عبد الله» من بعيد مشهدا عجيبا ... مشهد جسد بلا روح على قارعة الطريق، و عند ذلك الجسد امرأة و صبى و هما يكيان.

فعطف «عبد الله» زمام راحلته نحو ذينك الشخصين و تبعه من معه في القافلة أيضا، و ما أن وقعت عينا عبد الله على ذلك الجسد

حتى عرف صاحبه، فهذا هو رفيقه و أخوه في الاسلام أبو ذر!!

فاغرورقت عيناه بالدموع، و وقف عند جثمان أبي ذر، و تذكر نبوءة رسول الاسلام صلى الله عليه و آله في غزوة تبوك و قال: رحم

الله أبا ذر يمشى وحده، و يموت وحده، و يبعث وحده».

(١) ثم صلى ابن مسعود على أبي ذر، ثم وراه الثرى، و بعد أن فرغ من دفنه، وقف مالك الاشر عند قبره و قال:

اللهم إن هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه و آله عبدك في العابدين، و جاهد فيك المشركين، لم يغير و لم يبدل لكنّه رأى

غريبا منكرا فغيره بلسانه و قلبه، حتى جفى و نفى و حرم و احتقر ثم مات وحيدا غريبا «١».

و قد اشار السبكي في ابيات له إلى هذا كما في السيرة الحلبية:

و عاش أبو ذر كما قلت وحده و مات وحيدا في بلاد بعيدة

(١) ذكر المؤرخون قصة وفاة أبي ذر و دفنه بصور مختلفة، فيستفاد من بعض المصادر التاريخية أن أبا ذر كان على قيد الحياة عند ما

قدمت القافلة المذكورة و تحدث مع رجالها، و لكن بعض المصادر الاخرى تنص على أنه مات قبل قدوم تلك القافلة الى تلك

المنطقة كما أنه صرح البعض أن زوجة أبي ذر و ابنه حملا- جثمانه إلى قارعة الطرق بينما قال آخرون أن زوجته و ابنه جلسا على

قارعة الطريق و دلّ القافلة على محل جثمانه الطاهر، راجع للوقوف على ذلك الطبقات الكبرى:

ج ٤ ص ٣٤-٢٣٢، و الدرجات الرفيعة: ص ٥٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٨.

(١)

### جيش الإسلام في أرض تبوك:

حلّ جيش التوحيد في مطلع شهر شعبان سنة تسع من الهجرة في أرض تبوك، و لكن دون أن يرى أثرا عن جيش الروم، و كأنّ جنود

الروم لمّا علموا بكثرة جنود الاسلام، و بشهامتهم و تضحيتهم النادرة التي شهدوا نموذجا منها عن كتب في معركة «مؤتة» رأوا من

الصالح ان ينسحبوا إلى داخل بلادهم ولا يواجهوا المسلمين، و يثبتوا بذلك عملياً نبأ اجتماعهم ضد المسلمين، و يتظاهروا بأنه لم تراودهم فكرة الهجوم على المسلمين قط، و أن هذا النبأ لم يكن إلّا شائعة لا أكثر، فيثبتوا من هذا الطريق حيادهم بالنسبة للحوادث و الوقائع التي تحدث في الجزيرة العربية «١».

(٢) في هذه اللحظة جمع رسول الاسلام صلى الله عليه وآله قاده جيشه الكبار، و تبعاً للاصل الاسلامي «و شاورهم في الأمر» تحدث معهم حول التقدم في أرض العدو أو الرجوع إلى المدينة و شاورهم في ذلك.

فكانت نتيجة التشاور هي أن على الجيش الاسلامي الذي تحمّل مشاق كثيرة في هذه السفره، أن يعود إلى المدينة، ليستعيد نشاطه، و قواه، هذا مضافاً إلى أن المسلمين حققوا هدفهم السامي من هذه السفره و هو تفريق جيش الروم و تبديد اجتماعهم بعد اللقاء الرعب الشديد في قلوبهم، و قد يبقى هذا الرعب في قلوب الروميين إلى مدة مديدة بحيث يصرفهم عن فكرة تسيير جيش للهجوم على المسلمين، و هذا القدر من النتيجة التي من شأنها أن تضمن أمن الحجاز من ناحية الشمال ردحا من الزمن تكفي للمسلمين فعلاً حتى يقضى الله ما يقضى في المستقبل.

(١) يكتب الواقدي في المغازي: ج ٣ ص ١٠١٤ و ١٠١٥ أقام رسول الله بتبوك عشرين ليلةً و هكذا يقول: إن النبي بعد أن صلى الفجر ذات يوم جمع الناس، فخطب فيهم خطبةً بليغةً ضمّنها مواعظ و تعاليم عظيمةً كثيرةً ثم ادرج نص الخطبة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٦٩

(١) و لقد اضاف كبار المشيرين - حفاظاً على مكانة الرسول القائد، و إشعاراً بان رأيهم هذا قابل للأخذ و الرد - قائلين: إن كنت امرت بالسير فسر «١».

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لو امرت به ما استشرتكم فيه».

و هكذا احترم رسول الله صلى الله عليه وآله آراء مشاوريه و رضى بالعودة إلى المدينة «٢».

و حيث كان هناك حكام و ولاء يعيشون في المناطق الحدودية السورية و الحجازية لهم نفوذ كبير في قبائلهم و مناطقهم، و كانوا جميعاً نصارى، و لهذا كان من المحتمل بقوة أن يستغل الروم قواهم ضد الاسلام، و يحملوا بمساعدتهم على الحجاز.

(٢) و لهذا كان يتعين أن يعقد معهم رسول الله صلى الله عليه وآله معاهدة عدم اعتداء، ليؤمن جانبهم و يحصل على أمن أوسع، فأجرى صلى الله عليه وآله اتصالات مباشرة مع اولئك الحكام و الولاة الذين كانوا يعيشون على الشريط الحدودي على مقربة من تبوك و عقد معهم معاهدات عدم تعرض و اعتداء بشروط خاصة كما أرسل مجموعات إلى النقاط النائية عن تبوك ليحقق بذلك مزيداً من الأمن للمسلمين.

لقد اتصل رسول الله صلى الله عليه وآله شخصياً بزعماء «أيلة» و «أذرح» و «الجرباء»، و تمّ عقد معاهدة عدم تعرض و اعتداء بين الجانبين. و «أيلة» مدينة ساحلية تقع على ساحل البحر الأحمر، و لا تبعد عن الشام كثيراً، و كان زعيم تلك المنطقة هو «يوحنا بن روبة»، فهو يوم اتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله و آله و عليه صليب من ذهب على عادة النصارى، قدّم لرسول الله صلى الله عليه وآله

(١) المغازي: ج ٣ ص ١٠١٩.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٤٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٠

و آله فرسا أبيضاً، و أعلن عن طاعته لرسول الله صلى الله عليه وآله، فاحترمه النبي و اكرمه، و صالحه، و كساه برداً يميناً.

(١) وقد قبل «يوحنا» هذا أن يبقى على نصرانيته شريطة أن يدفع للنبي جزية قدرها ثلاثمائة دينار سنويا و على أن يحسن إلى من يمر على أيلة من المسلمين و كتب له رسول الله صلى الله عليه وآله كتاب أمان وقعه الطرفان، وإليك نص الكتاب المذكور: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمنة من الله و محمد النبي رسول الله ليوحنا بن رؤبة و أهل أيلة لسفنهم و سياراتهم فى البرّ و البحر، لهم ذمة الله و ذمة محمد رسول الله و لمن كان معهم من أهل الشام و أهل اليمن و أهل البحر، و من أحدث حدثا، فانه لا يحول ماله دون نفسه، و أنه طيبه لمن أخذه من الناس و انه لا يحلّ أن يمنعوا ماء يردونه و لا طريقا يريدونه من برّ و بحر. هذا الكتاب يكشف عن قاعدة مهمّة فى السياسة الاسلاميّة و هى أن أىّ شعب أراد أن يسالم المسلمين و فز الاسلام له كل أمن و سلام» (١).

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله صالح بقيه الحكام الحدوديين مثل سادة أقوام «أذرح» و «جرباء» التى كانت تتمتع باهمية استراتيجية، و بذلك ضمن أمن المنطقة الاسلاميّة من ناحية الشمال. (٢)

### بعث خالد إلى دومة الجندل:

على طريق تبوك كانت تقع منطقة عامرة خضراء ذات أشجار و زروع و مياه جارية تضم حصنا منيعا، و تبعد عن الشام بما يقرب من خمسين فرسخا، تسمى «دومة الجندل» (٢) و كان يحكمها يومذاك رجل مسيحي يدعى «اكيدر بن

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٦، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٤١، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١٦٠.

(٢) يقول الواقدي فى المغازى: ج ٣ ص ١٠٢٥ تقع دومة الجندل على عشرة اميال من المدينة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧١

عبد الملك».

(١) و حيث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يخشى هجوما آخر من الروم، و الاستعانة بحاكم دومة المسيحي و بهذا يعرضون أمن الحجاز للخطر، لذلك رأى صلى الله عليه وآله أن يستفيد من قوته الحاضرة أكبر قدر ممكن فبعث مجموعة من المقاتلين بقيادة خالد بن الوليد الى المنطقة المذكورة لتطويعها و تطويع حاكمها.

فتوجه خالد مع فرسانه الى دومة الجندل حتى اقتربوا إلى حصنها، و كمنوا قريبا منه.

و فى تلك الليلة خرج «اكيدر» و أخوه «حسان» من الحصن و معه نفر من اهل بيته للصيد فلما ابتعدوا عن الحصن حاصرهم خيل خالد و أسروا «اكيدرا» بعد قليل من القتال و المواجهه، و قتل أخوه «حسان» و لجأ البقية إلى الحصن، و اعتصموا به، فصالح خالد «اكيدرا» على أن يطلب له و لقومه الأمان من رسول الله صلى الله عليه وآله لقاء أن يفتح أبواب الحصن فى وجوه المسلمين و يلقى أهلها الاسلحة.

(٢) فأمر اكيدر الذى كان يثق بصدق المسلمين و احترامهم لوعودهم و عهودهم، أمر قومه أن يفتحوا أبواب الحصن و يسلموا للمسلمين، و يلقوا اسلحتهم و يتركوا القتال، و كانت الاسلحة تبلغ أربعمائه درع، و أربعمائه رمح و خمسمائة سيف ثم توجه خالد باكيدر و قومه و ما حصل عليه من الغنائم الى رسول الله صلى الله عليه وآله فخلبت منظر الديباج المخوص بالذهب عيون جماعه من طلاب الدنيا.

فاخذوا يتلمسونه بأيديهم و يتعجبون منه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و هو لا يكترث بتلك الثياب:

«فو الذى بنفسى لمناديل الجنة أحسن من هذا».

لقد حضر «اكيدر» عند رسول الله صلى الله عليه وآله و امتنع عن قبول الاسلام إلا أنه رضى بأن يعطى الجزية للمسلمين، و صالحه النبي صلى الله

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٥٧٢

عليه وآله على ذلك و كتب له كتابا، ثم أهدى له صلى الله عليه وآله هدية و استعمل على حرسه «عباد بن بشر» ليوصله الى دومة الجندل سالما «١».

(١)

### تقييم إجمالى لغزوة تبوك:

إن النبي الاكرم صلى الله عليه وآله و إن لم يلق فى هذا السفر الشاق كيدا و لم يواجه العدو، و لم يقاتل إلا أن هذه السفر عادت عليه بسلسلة من الفوائد المعنوية و الروحية هي:

(٢) أولا: صعود مكانة و سمعة الجيش الاسلامي، فقد زاد من عظمتة و قوته فى قلوب سكان الحجاز، و حكام المناطق الحدودية السورية، و عرف الصديق و العدو أن المقدره العسكرية الاسلاميه بلغت من القوة و العظمة بحيث أصبح فى مقدورها أن تواجه اكبر القوى العالميه و تقارعها، و تلقى الرعب و الخوف فى قلوبها.

إن انتشار هذا الموضوع بين القبائل العربيه التى عجت جيلتها بروح التمرد و الطغيان أوجب أن تتخلى عن فكرة الطغيان و المعارضه، و التآمر ضد الاسلام ردحا من الزمن، و أن لا تفكر فى هذه الامور.

و لهذا السبب أخذت وفود القبائل التى لم تخضع للاسلام حتى ذلك اليوم تفد تباعا على رسول الاسلام صلى الله عليه وآله بعد رجوعه من تبوك الى المدينة، و تظهر لرسول الله صلى الله عليه وآله طاعتها و خضوعها حتى سمي ذلك العام بعام الوفود لضخامة عدد تلك الوفود و البعثات التى قدمت المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) ثانيا: ضمن المسلمون عن طريق عقد المعاهدات المختلفه المتعدده مع حكام المناطق الحدودية الحجازيه و السوريه أمن هذه المنطقه، و اطمأنوا بسببها إلى أنهم سوف لن يتعاونوا مع جيش الروم، و لن يدخلوا مع تلك الدوله فى مؤامرة ضد

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٦٦، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٤٦.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٥٧٣

الاسلام و المسلمين.

(١) ثالثا: مهّد رسول الله صلى الله عليه وآله بهذا السفر الشاق الطريق لفتح الشام، فقد عرف قادة جيشه طرق هذه المنطقه و مشاكلها، و علمهم كيفية تجيش الجيوش الكبرى فى وجه القوى العظمى فى ذلك العصر، من هنا كانت الشام و سوريه هي أول منطقه فتحها المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) رابعا: تميّز المؤمن عن المنافق فى هذه التعبئه العامه و حصلت عمليه تصفيه و فرز كبيره و عميقه فى جماعة المسلمين.

(٣)

### المنافقون يخططون لاغتيال النبي:

أقام رسول الله صلى الله عليه وآله مدة بضع عشرة يوما فى تبوك «١» و بعد أن بعث خالد إلى «دومة الجندل» توجه بالمسلمين الى

المدينة. ولدى العودة تأمر (١٢) منافقا ثمانية منهم من قريش و الباقي من أهل المدينة لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله في أثناء الطريق وقبل أن يصل إلى المدينة، وذلك بتنفير ناقه النبي صلى الله عليه وآله في عقبه بين المدينة والشام ليطرحوه في واد كان هناك. وعند ما وصل الجيش الاسلامي إلى بداية تلك المنطقة (العقبه) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنه أوسع لكم».

(٤) فأخذ الناس بطن الوادي، ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ طريق العقبة فيما يسوق «حذيفة بن اليمان» ناقه النبي، و يقودها «عمار بن ياسر» فينما هم يسيرون إذ التفت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى خلفه، فرأى في ضوء

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٢٧ و ذهب ابن سعد في الطبقات انه مكث بتبوك عشرين يوما (ج ٢ ص ١٦٨).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٤

ليله مقمرة فرسانا متلثمين لحقوا به من ورائه لينفروا به ناقته، وهم يتخافتون، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله، و صاح بهم و أمر حذيفة أن يضرب وجوه رواحلهم. قائلا: اضرب وجوه رواحلهم.

(١) فأرعبهم رسول الله صلى الله عليه وآله بصياحه بهم إرعا با شديدا، و عرفوا بان رسول الله صلى الله عليه وآله علم بمكرهم و مؤامرتهم، فاسرعوا تاركين العقبة حتى خالطوا الناس.

يقول حذيفة: فعرفتهم برواحلهم و ذكرتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله و قلت: يا رسول الله ألا تبعث إليهم لتقتلهم؟ فاجابه رسول الله صلى الله عليه وآله في لحن ملؤه الحنان و العاطفة:

«إن الله أمرني أن اعرض عنهم، و اكره أن يقول الناس أنه دعا اناسا من قومه و أصحابه إلى دينه فاستجابوا له فقاتل بهم حتى ظهر على عدوّه ثم أقبل عليهم فقتلهم و لكن دعهم يا حذيفة فإن الله لهم بالمرصاد» (١).

و قد أنزل الله سبحانه إثر هذه الحادثة الآية ٦٥ من سورة التوبة التي قال تعالى فيها: «و لئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض و نلعب» (٢).

(٢)

### النية تقوم مقام العمل:

ليس ثمة مشهد أعظم جلالا من مشهد جيش فاتح يعود إلى أحضان الوطن، كما ليس هناك أمر ألدّ و أهنأ عند الجندي المجاهد من الغلبة على العدو، التي تحفظ أمجاده، و تضمن بقاء كيانه، و سلامته، و قد تجلّى هذان الأمران عند عودة الجيش الاسلامي المنتصر إلى المدينة.

لقد دخل الجيش الاسلامي الفاتح المدينة بجلال عظيم بعد أن طوى المسافة

(١) المغازي: ج ٣ ص ١٠٤٢-١٠٤٥، مجمع البيان: ج ٣ ص ٤٦ بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٤٧، الدرجات الرفيعة: ص ٢٩٨ و ٢٩٩ و

امتاع الاسماع: ج ١ ص ٤٧٧.

(٢) راجع مجمع البيان: ج ٣ ص ٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٥

بين «تبوك» و «المدينة»، و كانت تغمر جنود الاسلام فرحة كبيرة، و تظهر على كلماتهم و أعمالهم أمارات الاعتزاز لما أحرزوه من غلبة على العدو، و من أداء لحق الجندي، و كان السبب واضحا لأنهم أربعوا دولة قوية سبق لها أن هزمت الامبراطورية الايرانية، فهم

أخافوا الروم التي انسحبت من تبوك قبل وصول المسلمين إليها، وهم طوّعوا حكام و زعماء المدن و المناطق الحدودية السورية و الحجازية، و أخضعوهم للدولة الاسلامية.

(١) لا شك أن الغلبة على العدو فخر عظيم أصاب هذا الجيش، و كان طبيعياً أن يفتخر أفراد هذا الجيش و يتباهوا على الذين تخلفوا في المدينة من دون عذر، و لكن حيث أن مثل هذا النمط من التفكير و هذه العودة الظاهرة كان من الممكن أن يوجد غرورا لدى البعض فيسيثوا إلى بعض الذين تخلفوا في المدينة الذين بقوا فيها لعذر و قلوبهم مع جنود الاسلام، و يشاركونهم بافئدتهم في أفراحهم، و أتراحهم لهذا التفت رسول الله صلى الله عليه و آله و هم على مشارف المدينة و قد توقّفوا خارج المدينة بعض الوقت: «إنّ بالمدينة لأقواما ما سرتهم سيرا و لا قطعتم واديا إلّا كانوا معكم».

قالوا يا رسول الله: و هم بالمدينة؟

قال: «نعم، حبسهم العذر» (١).

أجل أنهم كانوا يتشوّقون إلى الجهاد هذا الواجب الاسلامي الكبير، و لكن العذر منعهم من الاشتراك فيه.

(٢) إن النبي الاكرم بهذه العبارة المقتضبة اشار- في الحقيقة- إلى واحد من البرامج الاسلامية التربوية، و ذكر بأن النية الطيبة و الفكر الصالح يقوم مقام العمل الصالح الطيب، و أن الذين يحرمون من القيام بالأعمال الصالحة لافتقادهم القدرة عليها أو فقدان الامكانيات يمكنهم أن يشاركوا الآخرين في

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٦٣، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٦.

ثواب العمل الصالح اذا نوا ذلك، و اشتاقوا إليه قلبيا.

إذا كان الاسلام يهتم باصلاح الظاهر، فانه يهتم أكثر باصلاح القلب و الفكر، باصلاح الباطن و السريرة، لأن اصلاح العقيدة و طريقة التفكير هو منبع جميع الاصلاحات، و أعمالنا كلها وليدة أفكارنا و نوايانا.

إذا خفف النبي الاكرم بقوله هذا من غلواء المجاهدين و غرورهم، و حفظ مكانة المعذورين من المخلفين فلا يلحق بهم هوان إلّا أنه قرّر في نفس الوقت أن يوبّخ المتخلفين من دون عذر و يلقنهم درسا لن ينسوه، و للنموذج نقل هنا قصة ثلاثة من المتخلفين.

(١)

### أخذ المتخلفين بالعقاب النفسى:

يوم اعلن في المدينة عن التعبئة العامة تخلف ثلاثة من المسلمين في المدينة هم: «هلال بن أمية»، و «كعب بن مالك» و «مرارة بن الربيع» فقد حضر هؤلاء عند رسول الله صلى الله عليه و آله لدى خروجه إلى تبوك و اعتذروا إليه بمعاذير عن الاشتراك في الجهاد، فاعتذر أحدهم، بأن الوقت هو وقت إدراك الثمر، و أنهم سيلتحقون بجيش الاسلام إذا فرغوا من الحصاد و القطف.

إن هؤلاء و امثالهم ممن يريدون الدين و الدينار، و تهتمهم مصالحهم المادية الشخصية و الاستقلال السياسى معا يعانون من نظرة ضيقة و قصيرة تعادل اللذائذ المادية العابرة بالحياة الانسانية الشريفة، التي تتحقق تحت لواء الاستقلال الفكرى و السياسى و الثقافى، بل ربما رجّحوا الاولى على الثانية.

و لهذا كان على النبي صلى الله عليه و آله- بعد العودة- أن يؤدّب مثل هذه العناصر حتى لا تسرى عدوى هذه الحالة المرضية إلى الآخرين.

(٢) إنهم لم يتخلفوا عن هذا الجهاد فحسب، بل لم يعملوا بالعهد الذى أعطوه لرسول الله صلى الله عليه و آله أيضا، فإنهم انشغلوا

بالتجارة، و جمع المال حتى فوجئوا بعودة رسول الله صلى الله عليه وآله المظفرة إلى المدينة فبادروا عند

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٧

ذلك لملاقاة ما بدر منهم من تخلف إلى الحضور عند رسول الله صلى الله عليه وآله للتسليم عليه و تقديم التهاني إليه كما فعل الآخرون.

إلا أن رسول الله صلى الله عليه وآله أعرض بوجهه عنهم و لم يكثر بهم، و عند ما تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله بالكلام في ذلك الاجتماع العظيم وسط موجة من الفرح و الابتهاج كان أول ما قاله هو:

«لا تكلمنَّ أحدا من هؤلاء الثلاثة».

(١) و مع أن عدد المتخلفين كان يقارب التسعين شخصا، إلا أن أكثرهم حيث كانوا من المنافقين، و لم يكن يتوقع منهم أن يشاركوا المسلمين في جهاد العدو لهذا تركز ثقل هذه القطيعة على هؤلاء المسلمين الثلاثة الذين كان بعضهم سبق منه أن اشترك في غزوة بدر مثل «مرارة» و «هلال»، و كانت لهم شخصية و مكانة بين المسلمين!!

و لقد تركت سياسة رسول الله صلى الله عليه وآله الحكيمه التي كانت جزء لا ينفك من دينه أثرا عجيبا، فقد تعطلت التجارة و الأخذ و العطاء مع المتخلفين، و كسدت بضائعهم، و لم يشترها أحد، و قطع أقرب أقرباء المخلفين روابطهم و علاقتهم مع المخلفين المذكورين أتباعا لأوامر النبي صلى الله عليه وآله، و تركوا حتى الحديث العابر معهم.

ففعلت مقاطعة الناس للمخلفين فعلتها، و ضغطت عليهم نفسيا بشدة حتى ضاقت عليهم الأرض على رحابتها في نظرهم كما يقول القرآن الكريم.

«حَتَّى إِذَا ضَاقَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَّتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ» «١».

(٢) و لكن هؤلاء الثلاثة المقرون بفراسه كامله أدركوا أن العيش في البيئه الاسلاميه لا- يمكن إلا- بالالتحاق الحقيقي بصفوف المسلمين، و أنه لا دوام لحياه الأقلية الصغيرة أمام الاكثريه القاطعه، و بخاصه اذا كانت الأقلية تتألف من

(١) التوبة: ١١٨، و تذكر التفاسير كيفيه توبتهم و إنابتهم على وجه التفصيل فليراجعها من يريده.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٨

جماعه مشاغبه و مغرضه.

هذه المحاسبات من جانب، و الانجذاب الفطري من جانب آخر دفعت بهؤلاء المخلفين إلى العوده إلى حظيره الايمان الواقعي، و أن يظهرها ندمهم على فعلهم القبيح بالتوبه الى الله، و الانابه إليه، و قبل الله تعالى توبتهم، و أخبر نبيّه الكريم بعفوه عنهم فبادر النبي صلى الله عليه وآله من فوره إلى الاعلان عن عفوه و رفع المقاطعه عنهم «١».

(١)

### قصة مسجد الضرار:

كانت «المدينة» و «نجران» تعتبران بالنسبه إلى أهل الكتاب منطقتين واسعتين و مركزيتين في شبه الجزيرة العربيه، فقد كانوا يتمركزون في هاتين المنطقتين اكثر من أي مكان آخر، و لهذا اعتنق فريق من عرب الأوس و الخزرج الدين المسيحي و اليهودي.

و يبدو أن «ابا عامر» والد «حنظله غسيل الملائكه» المستشهد في غزوة احد، كان قد رغب في الدين المسيحي في العهد الجاهلي، فانسلك في صفوف الرهبان، فلما ظهر نجم الاسلام من افق المدينة بعد هجرة النبي إليها، و احتوى الدين الجديد الأديان الاخرى انزعج «أبو عامر» من هذه الظاهره بشده، فشرع بصدق في التعاون مع منافق الأوس و الخزرج. و قد عرف رسول الله صلى الله عليه وآله



آله بخططهم التخريبية، و أراد اعتقاله، فخرج «أبو عامر» من المدينة الى مكة، و من مكة الى الطائف، و هرب من الطائف بعد سقوطها إلى الشام، و اخذ يقود من هناك شبكة تجسسية لحزب المنافقين.

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ١٦٥، بحار الأنوار: ج ١٠ ص ١١٩ و هذا النوع من المحاربة التي سلكها النبي مع المخلفين علم المسلمين درسا كبيرا و مفيدا في مقابل الاقليات الصغيرة، و هو لا يحتاج إلّا إلى الاخلاص و الاتحاد و العزم هذا و يذكر الواقدي في المغازي: (ج ٣ ص ١٠٤٩-١٠٥٦) قصة هؤلاء المخلفين بصورة اكثر تفصيلا ممّا ذكرناه هذا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٧٩

(١) و قد كتب الى المنافقين في المدينة في إحدى رسائلهم ان استعدّوا و ابنوا مسجدا في قباء في مقابل مسجد المسلمين و صلّوا فيه في أوقات الصلاة ليتمكنكم - تحت غطاء أداء الفرائض - التحدث حول الامور المتعلقة بالاسلام و المسلمين، و كيفية تنفيذ المؤامرات الحزبية ضدهم.

لقد كان «ابو عامر» على غرار أعداء الاسلام في العصر الحاضر يرى أن أفضل وسيلة لهدم و استئصال الدين في بلد يسوده الدين هو الاستفادة من نفس سلاح الدين، و من المعلوم أنه يمكن توجيه الضربة إلى الدين باسم الدين أكثر من أى عامل أو وسيلة اخرى. لقد كان «ابو عامر» يعلم أن النبي صلى الله عليه و آله لا يسمح لحزب المنافقين بإقامة مركز لهم مطلقا إلّا إذا كان لذلك صبغة دينية، و كان تحت عنوان مسجد.

(٢) عند ما كان رسول الله صلى الله عليه و آله يتجهّز إلى «تبوك» أتاه جماعة من المنافقين و طلبوا منه ان يسمح لهم ببناء مسجد في محلّتهم بقباء بحجة أن ذوى العلة و الحاجة لا يمكنهم أن يقطعوا المسافة بين قباء و مسجد النبي للصلاة معه صلى الله عليه و آله في الليلة المطيرة و الليلة الشاتية، فأوكل النبي صلى الله عليه و آله أمر النظر في طلبهم الى ما بعد العودة من تبوك «١». غير أن حزب النفاق بادروا الى اختيار نقطة من الأرض في قباء، و اسرعوا في اقامه مركز لهم تحت غطاء المسجد و لما عاد النبي صلى الله عليه و آله من تبوك حضروا عنده و طلبوا منه أن يصلى فيه ركعتين ليسبغوا بذلك الشرعية على مركزهم، و في هذا الاثناء نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه و آله و أخبره بحقيقته هذا الأمر، و سمّاه في آيات نزل بها على النبي بمسجد الضرار، و وصفه بأنه مركز بنى لايجاد الفرقة بين المسلمين، و التأمير عليهم إذ يقول تعالى:

(١) المغازي: ج ٣ ص ١٠٤٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٠

«وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَ كُفْرًا وَ تَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ إِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَ لِيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ» «١».

(١) فأمر النبي صلى الله عليه و آله فوراً بإحراق ذلك المسجد و تسويته بالأرض فحرق و هدم و سوى بالأرض و تحوّل مكانه إلى مزبلة فيما بعد «٢».

إن تحريق و هدم مسجد الضرار كانت ضربة قاضية لحزب النفاق فمنذئذ تلاشت و شائج و روابط ذلك الحزب الخبيث، و هلك حاميه الوحيد عبد الله بن أبي بعد شهرين من غزوة تبوك.

و لقد كانت غزوة تبوك آخر الغزوات الاسلامية التي شارك فيها رسول الله صلى الله عليه و آله إذ لم يشارك صلى الله عليه و آله بعدها في أى قتال.



(١) التوبة: ١٠٧ و ١٠٨.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٣٠، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٢٥٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨١

(١)

**٥٥ وفد ثقيف في المدينة****إشارة**

انتهت غزوة تبوك بكل مشاكلها، ومتاعبها الكثيرة و عاد جنود الاسلام المجاهدون الى المدينة بابدان متعبة من وعناء السفر، و بعد الطريق، و لم يلق جنود الاسلام كيدا و لم تحصل بينهم و بين الجيش الرومي اية مواجهة كما و لم يواجهوا عدوا طوال ذلك الطريق، و لم يغنموا غنيمة. من هنا اعتبر بعض السذج من المسلمين تسيير هذا الجيش الضخم عملا لغوا و عبثا، و ذلك لأنهم لم يعرفوا بالآثار و النتائج غير المرئية لهذه الحركة العسكرية الواسعة، و لم يمض وقت كبير إلّا و اتضح نتائجها، فقد أسلمت على أثر هذه المناورة العسكرية العظمى أشد القبائل عدا و عنادا للاسلام، و خضعت لسلطان المسلمين، بإفاد مندوبيها و وفودها إلى المدينة، و إظهار الطاعة و الاسلام عن طريقها، كما أنها عمدت الى فتح أبواب حصونها الحصينة في وجه المسلمين ليحطموا أصنامها و أوثانها، و ينصبوا على حطامها ألوية التوحيد.

(٢) ان الجماعات السطحية التفكير القصيرة النظر تهتم - عادة - بالنتائج المرئية الحاضرة، فمثلا إذا واجه جنود الاسلام خلال الرحلة عدوا، و قاتلوه و قضاوا عليه، و غنموا غنائم من أمواله قالت هذه الجماعة: لقد حققت هذه العملية العسكرية نتائج باهرة!! و لكن أصحاب الرؤية العميقة و النظرة البعيدة يحللون الامور على غير هذا النمط، فهم يمتدحون أى عمل يخدم الهدف و النتيجة النهائية و يعتبرونه نجاحا باهرا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٢

(١) و من حسن الاتفاق أن غزوة تبوك خدمت هدف النبي صلى الله عليه وآله و هو اجتذاب الاقوام العربية الى الاسلام - خدمة كبرى -، لأنه قد شاع في جميع انحاء الجزيرة العربية أن الروميين (الذين غلبوا الايرانيين الذين طالما سادوا نصف المعمورة في ذلك الوقت و حكموا حتى اليمن و ما حولها في آخر حروبهم، و استعادوا منهم صليبيهم و اعادوه إلى بيت المقدس) اربعوا بالقوة الاسلامية الكبرى، و انصرفوا عن مقابلة جنود الاسلام.

لقد دفع هذا النبأ أشد القبائل عنادا، و التي كانت حتى يوم أمس غير مستعدة للتعايش مع الاسلام و الخضوع له، دفعها إلى أن تغير من مواقفها المتعنتة المتصلبة، و تفكر في التعاون و التعايش مع المسلمين، و لكي تسلم من عدوان القوى الكبرى في ذلك اليوم (إيران و الروم) انضوت تحت لواء الاسلام، و اعلنت عن انتمائها إليه. و إليك فيما يلي نموذج من هذه التطورات التي حدثت في مواقف تلك القبائل العربية المعادية للاسلام.

(٢)

**وقوع الفرقة و الاختلاف في قبيلة ثقيف:**

كانت قبيلة ثقيف معروفة بطغيانها و عنادها العجيب بين القبائل العربية، و لقد قاوموا حصار الجيش الاسلامي لهم مدة شهر واحد

معتصمين بحصونهم في الطائف و لم يسلموا «١».

هذا و كان «عروة بن مسعود الثقفي» و هو أحد سادة ثقيف قد علم بانتصار المسلمين الكبير في أرض تبوك، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يدخل المدينة، و أسلم على يديه و استأذنه في أن يذهب إلى الطائف، ليدعو قبيلته إلى دين التوحيد فحذره رسول الله صلى الله عليه وآله من مخاطر هذا العمل لأنه صلى الله عليه وآله كان يعرف أن فيهم نخوة الامتناع الذي كان

(١) المغازي: ج ٢ ص ٩٢٢-٩٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٣

منهم.

و قال له: انهم قاتلوك.

فقال عروة: يا رسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم، (أو من أبصارهم)، و كان فيهم كذلك محبباً مطاعاً.

و لقد كان قوم عروة و سائر قادة ثقيف لم يدركوا بعد ما أدركه عروة من عظمة الاسلام، و كان فيهم نخوة و كبر يمنعانهم من الخضوع للحق.

و لهذا قررت أن ترشق بالنبال و السهام أول داعية أتاها ليدعوها إلى الاسلام ... و هكذا رشقوا بالنبال «عروة» في الوقت الذي كان يدعوهم إلى الاسلام، فقال و هو يلفظ أنفاسه الأخيرة: كرامه أكرمني الله بها، و شهادة ساقها الله إليّ «١».

(١)

### وفد ثقيف:

ندم رجال ثقيف- بعد مقتل عروة- على فعلهم هذا بشدة و عرفوا بأن الحياة لم تعد ممكنة و ميسرة لهم في قلب الحجاز الذي رفعت على جميع مناطقه ألوية التوحيد و خاصة بعد أن أصبحت جميع المراعى و الطرق التجارية تحت رحمة المسلمين، ففرّروا في ندوة مشاورة عقدت لدراسة مشكلاتهم أن يعثوا مندوباً من قبلهم إلى المدينة ليتفاوض مع رسول الله صلى الله عليه وآله و يعلن له عن استعداد قومه لاعتناق دين التوحيد ضمن شروط معينة، و اتفقوا على إيفاد «عبدياليل» إلى المدينة و إبلاغ رسالتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و لكن عبد ياليل رفض القيام بهذه المهمة و قال: لست فاعلاً ذلك حتى ترسلوا معي رجالاً، لأنه كان لا يثق بثبات رأيهم، و كان يخشى أن يصنعوا به ما صنعوا بعروة بن مسعود. فاتفقوا ان يعثوا معه خمسة رجال من ثقيف ليقوموا جميعاً بالقدوم

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٣٧ و ٥٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٤

على رسول الله صلى الله عليه وآله و التفويض معه.

(١) توجه هذا الوفد السداسي إلى المدينة، و نزلوا بعد طي مسافة خارج المدينة عند قناة فألفوا عندها المغيرة بن شعبة الثقفي يرعى خيولاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلما رأى المغيرة زعماء قبيلته و عرف هدفهم و ثب يشتد الى المدينة ليبشر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بعد أن ترك الخيول عند الثقفيين، و ليخبره بقرار قبيلة ثقيف التي طال عنادها، فلقه أبو بكر قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فآخبره المغيرة عن ركب ثقيف، فرجاه أبو بكر أن يسمح له بتبشير النبي صلى الله عليه وآله قبل أن يحدثه المغيرة بالأمر ففعل المغيرة فدخل أبو

بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بقدمهم عليه و أنهم جاءوا ليعتقوا الاسلام بشروط، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله باكرامهم، و ضرب لهم قبة في ناحية مسجده، و كلف خالد بن سعيد بالقيام بشئون ضيافتهم. ثم حضر وفد ثقيف عند رسول الله صلى الله عليه وآله و مع أن المغيرة كان قد علمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وآله فانهم حيّوه بتحية الجاهلية تكبرا منهم و غرورا ثم أخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله برأى ثقيف و أضافوا أنهم مستعدون لاعتناق الاسلام ضمن شروط خاصة، سوف يعرضونها عليه في جلسة تالية. و استمرت مفاوضات وفد ثقيف مع رسول الله صلى الله عليه وآله عدة أيام، و كان «خالد بن سعيد» هو الذي يمشى بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه المفاوضات.

(٢)

### شروط وفد ثقيف:

قبل رسول الله صلى الله عليه وآله كثيرا من شروط ثقيف حتى انه ضمن لاهل الطائف - ضمن ذلك العهد- أمن منطقة الطائف و ما يرتبط بالطائفيين من سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٥

أراض، و لكن بعض شروطهم كانت غير صحيحة، و وقحة الى درجة أن النبي صلى الله عليه وآله غضب بسببها، و لا- بأس بأن نتعرض لذكر بعض هذه الشروط:

قال وفد ثقيف: ان قبيلة ثقيف مستعدة لان تعتنق الاسلام شريطة أن يترك بيت أصنامهم على حاله، و أن يعبدوا «اللات» و هو صنم القبيلة الاكبر مدة ثلاث سنين فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله. فلما رأوا غضب النبي و اباءه أخذوا يتنازلون عن المدة التي ذكروها سنة سنة و هو يأبى عليهم حتى سألوا شهرا واحدا، فأبى عليهم أن يدعها و لا يوما.

(١) و لقد كان مثل هذا الطلب من النبي صلى الله عليه وآله الذي كان نشر التوحيد، و هدم بيوت الاصنام، و تحطيم الاوثان يشكل هدفه الاساسى كان طلبا مخجلا جدا، و لقد كان مثل هذا الطلب يكشف عن أنهم كانوا يريدون إسلاما لا يضر بمصالحهم المادية و ميولهم الباطنية، أما إذا كان غير هذا فلن يقبلوه و لن يرضوا به.

ولهذا عند ما عرف وفد ثقيف بقبح مطلبهم هذا بادروا إلى التعلل و الاعتذار بأنهم إنما أرادوا بذلك إرضاء نساءهم و ذراريتهم و سفهاء قبيلتهم، حيث إنهم يكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام، فاذا أبى رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم ذلك فليبعث معهم شخصا من غير قبيلتهم ليهدمها، فوافق النبي صلى الله عليه وآله على هذا الشرط، لأن النبي صلى الله عليه وآله كان يريد محو و ازالة جميع المعبودات الباطلة عن الحياة البشرية سواء أتم هذا على أيدي الطائفيين أم على أيدي غيرهم.

(٢) و الشرط الآخر هو أن يعفيهم رسول الله صلى الله عليه وآله من الصلاة. فلقد كانوا يتصوّرون أن رسول الله صلى الله عليه وآله يمكنه التصرف في الأحكام الإلهية كما يفعل قادة أهل الكتاب، حسب زعمهم، حيث كانوا يكلفون جماعة بهذه الاحكام، بينما يعفون جماعة اخرى منها، و ذلك غفلة منهم عن سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٦

أنه صلى الله عليه وآله يتبع الوحي الالهي، و لا يمكنه التغيير فيه قيد شعرة.

(١) إن هذا الشرط كان يكشف عن انه لم يكن قد ترسّخت في أفئدتهم روح التسليم المطلق بعد، و أن اعتناقهم للاسلام كان نتيجة ظروف ساقتهم إلى اسلام ظاهريّ سطحيّ، و إلّا فلا- داعى و لا- مبرر للايمان ببعض ما جاء في الاسلام دون بعض، فيقبلوا شيئا و

يرفضوا شيئاً آخر.

إن الإسلام، والايمان بالله إن هو إلما نوع من التسليم الباطنى الروحى، والخضوع القلبى الذى يقبل المرء فى ظلّه جميع التعاليم و الدساتير الإلهية عن طواعية و رغبة، و فى مثل هذه الحالة لا غير لا تجد فكرة التبعض فى التعاليم الإلهية طريقاً إلى روح إنسان و مخيلته.

ولأجل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله فى جوابهم:

«لا خير فى دين لا صلاة فيه» (١).

إن المسلم الذى لا يسجد و لا يركع لله تعالى فى اليوم و الليلة و لأمرة واحدة، و لا يذكر ربّه لا يكون مسلماً بالمعنى الصحيح. (٢) هذا و عند ما اتفق الطرفان على شروطهما نظمت معاهدة تشمل المواد و الشروط المتفق عليها، و وقع عليها رسول الله صلى الله عليه وآله و آلّه، و حينئذ أذن رسول الله صلى الله عليه وآله و آلّه لوفد ثقيف بالعودة إلى قومهم، و اختار منهم أحدثهم سناً و هو «عثمان بن أبى العاص» الذى كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام، و تعلم القرآن خلال وجوده بالمدينة فأمره عليهم، و جعله نائبا دينياً، و سياسياً عنه فى قبيلة ثقيف و أوصاه - فيما أوصاه - بأن يصلى بالناس جماعة مراعياً أضعفهم قائلاً له: «يا عثمان تجاوز (٢) فى الصلاة و أقدر الناس بأضعفهم فإنّ فيهم الكبير

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣١٧.

(٢) تجاوز: أى خفف الصلاة و أسرع بها.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٧.

و الصغير و الضعيف و ذا الحاجة».

(١) ثم كلف رسول الله صلى الله عليه وآله و آلّه «أبا سفيان بن حرب»، و «المغيرة بن شعبة» بالتوجه الى الطائف مع وفد ثقيف لهدم الاصنام فيها، أجل إن أبا سفيان الذى كان و حتى يوم أمس من حفظة الأصنام و هو الذى أراق فى سبيلها أنهاراً من الدماء، يمشى الآن إلى الطائف و هو يحمل فأسه و معوله لتحطيم الأصنام فيها، و يحولها الى تلى من الحطب، و يبيع ما يتعلق بها من ذهب و فضة و حلّى ليقضى بأموالها ديون «عروة» و «الأسود» حسب اوامر رسول الله صلى الله عليه وآله «١».

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٣٧-٥٤٣، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢١٦-٢١٨، و لقد وردت قصة وفد ثقيف فى كتاب «اسد الغابة»: ج ١ ص ٢١٦ و ج ٣ ص ٤٠٦ أيضاً.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٨.

حوادث السنة التاسعة من الهجرة (١)

## ٥٦ إعلان البراءة من المشركين فى منى

### إشارة

فى أواخر السنة التاسعة من الهجرة نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله و آلّه بعدة آيات من سورة التوبة (سورة البراءة)، و كلف رسول الله صلى الله عليه وآله و آلّه بأن يعث بها رجلاً إلى مكة ليتلوها مع عهد ذى أربعة بنود فى موسم الحج. و لقد رفع الأمان فى هذه الآيات عن المشركين، و الغيت جميع العهود (إلا العهود و المواثيق التى التزم بها أصحابها و لم ينقضوها)، و

ابلى إلى رءوس الشرك و أتباعهم أن عليهم أن يوضحوا مواقفهم من الحكومة الإسلامية التي تقوم على أساس التوحيد- و ذلك خلال أربعة أشهر، و إذا لم يتركوا الشرك و الوثنية خلال هذه الأشهر الأربعة نزعنا منهم الحصانة، و رفع عنهم الأمان.

(٢) عند ما ينتهي المستشرقون إلى هذه القصة و هذا الفصل من التاريخ الإسلامي يصوبون رماح حملاتهم إلى الإسلام و يعتبرون هذا الموقف الحاسم و الحكيم مخالفا لمبدأ الحرية الاعتقادية، و لكنهم إذا طالعوا صفحات التاريخ الإسلامي من دون أى تعصب و انحياز، و درسوا الدوافع الحقيقية وراء هذا الاجراء، و التي ذكرت في هذه السورة، و فى النصوص التاريخية لسلموا من كثير من هذه الاخطاء، و لصدّقوا و اعترفوا بأن هذا العمل لا ينافى حرية العقيدة التي يحترمها عقلاء العالم، أبداً و إليك فيما يأتى الدوافع وراء صدور هذا العهد (البراءة).

(٣) ١- كان التقليد السائد عند العرب فى العهد الجاهلى هو أن على زائر

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٨٩

الكعبة ان يعطى الثوب الذى يدخل به الى مكة المكرمة للفقير و يطوف بثوب آخر، و اذا لم يكن له ثوب آخر، فان عليه أن يستعير ثوبا و يطوف به حتى لا يضطر إلى الطواف عريانا، و إن لم يمكنه ان يستعير ثوبا طاف بالبيت المعظم عاريا، بادي السوء. و قد دخلت امرأة ذات جمال كبير، ذات يوم المسجد الحرام، و حيث أنها لم تك تملك ثوبا آخر، لذلك اضطرت تبعا لذلك التقليد الجاهلى الخرافى أن تطوف عارية بالبيت المعظم، و من الواضح أن مثل الطواف الفاضح أى الطواف بالجسد العارى فى أقدس بقعة من بقاع العالم على مرأى من جموع الطائفين بالبيت ينطوى على نتائج سيئة بالغة السوء.

(١) ٢- لقد نزلت الآيات الاولى من سورة التوبة بعد أن انقضت عشرون سنة على بعثه النبى الكريم صلى الله عليه وآله، و فى هذه المدة كان منطق الاسلام القوى حول المنع من الوثنية و الشرك قد بلغ الى مسامح المشركين فى شبه الجزيرة العربية فاذا كانت جماعة قليلة منهم لا يزالون يصرون على الشرك و الوثنية لم يكن ذلك إلا عن عصبية و عناد.

من هنا كان الوقت قد جان لأن يستخدم رسول الله صلى الله عليه وآله آخر علاج لإصلاح ذلك المجتمع المنحرف، و أن يستعين بمنطق القوة لضرب كل مظاهر الوثنية، و أن يعتبرها نوعا من العدوان على الحقوق الالهية و الإنسانية، و بهذه الطريقة يقضى على منبع و منشأ مئات العادات السيئة فى المجتمع.

(٢) و لكن المستشرقين الذين اعتبروا هذا العمل مخالفا لمبدأ حرية الاعتقاد الذى هو أساس الدين الإسلامى و قاعدة المدنية الراهنة، قد غفلوا عن هذه النقطة لأن مبدأ حرية العقيدة محترم ما دام لا يضرّ بسلامة الفرد و المجتمع، إذ فى غير هذه الصورة يجب مخالفتها حتما بحكم العقل و سيره جميع المفكرين.

فإذا كان فى أوروبا اليوم مثلا جماعة من الشباب المنحرفين ينادون بحرية العرى انطلاقا من افكار منحرفة فاسدة و قاموا- على أساس أن إخفاء بعض

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٠

الأقسام من الجسد يثير الفضول و يوجب تحريك الغريزة و يسبب فساد الاخلاق- بتشكيل نوادى العرى السرية، فهل يسمح الفكر الانسانى الرشيد بأن يسمح لمثل هذه الجماعة بأن تفعل ما تريد تحت قناع حرية العقيدة، و يقول: إن الاعتقاد أمر محترم، أو أن العقل يقضى بان نحارب مثل هذه الفكرة الحمقاء حفاظا على سعادة تلك الجماعة نفسها، و سعادة المجتمع و هذا الموقف مما لا يتخذه الاسلام فحسب بل هو موقف جميع العقلاء فى العالم من جميع الاتجاهات و الحركات الهدامة التي تهدد مصالح المجتمع بالخطر، فهم يحاربونها بلا هوادة، و هذه الحرب هى فى الحقيقة هى محاربة المعتقدات الحمقاء لدى الجماعات المنحطة.

إن الوثنية ليست سوى حفنة من الأوهام و الخرافات التي تستتبع مئات العادات الدنيئة، و قد بذل رسول الاسلام جهودا كبرى و كافية فى سبيل هدايتهم، و بعد أن انقضى اكثر من عشرين عاما من دعوته كان الوقت قد حان لاستئصال جذور الفساد باستخدام القوة

العسكرية كآخر وسيلة.

(١) ٣- و من جانب آخر فان الحج هو أكبر العبادات و الشعائر الاسلامية و لم تكن الصراعات و المواجهات التي وقعت بين الاسلام و رعوس الشرك لتسمح حتى يوم نزول هذه السورة بأن يعلم الرسول الكريم المسلمين مناسك الحج على الوجه الصحيح و بعيدا عن أى نوع من أنواع الشوائب و الزوائد.

من هنا كان يتوجب أن يقوم النبي الكريم بنفسه بالمشاركة في هذا المؤتمر الاسلامي العظيم، و يعلم المسلمين هذه العبادة الكبرى بصورة عملية، و لكن النبي صلى الله عليه وآله انما كان يمكنه المشاركة في هذه المراسم و المناسك اذا خلت منطقة الحرم الإلهي و نواحيها من كافة المشركين الذين أعطوا مقام العبودية و العبادة للأصنام الخشبية، و الحجرية، و يطهرها من كل معالم الشرك و الوثنية، و يصبح الحرم الإلهي خالصا للموحدين و العباد الواقعيين.

(٢) ٤- إن جهاد النبي لم يك له أى ارتباط بحرية العقيدة، فالعقيدة ليست شيئا يمكن أن يفرض على أحد، و يوجد او يمحي بالقهر. إن روح الانسان و نفسه

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩١

هو مركز الاعتقاد و مقره، و ظرفه و مكانه، و هو لا يخضع لأى قهر أو تسخير، و إن ظهور العقائد في منطقة الضمير يتوقف على سلسلة من المقدمات و الأوليات التي توجب حصول العقيدة، و ظهور العقيدة و حصولها من دون تلك المقدمات أمر محال. و على هذا الأساس فإن مسألة الاعتقاد لا تخضع للقهر، و لا تقبل الفرض، بل كان نضال النبي ينحصر في النضال ضد مظاهر هذه العقيدة و هي عبادة الاوثان.

من هنا هدم كل بيوت الاصنام، و حطم الأوثان بينما ترك الانقلاب في العقائد و الضمائر لعامل الزمن الذي كان مروره يستتبع - لا محالة - مثل هذا التطور و التحول و الانقلاب.

(١) ان العوامل الاربعة المذكورة دفعت برسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن يستدعى أبا بكر ثم يعلمه الآيات الاولى من سورة التوبة و يأمره بأن يذهب برفقة اربعين رجلا من المسلمين «١» الى مكة، و يتلو هذه الآيات التي تتضمن البراءة من المشركين في يوم الأضحى على مسامح الناس.

فتهيا أبو بكر للقيام باداء هذه المهمة، و توجه نحو مكة، إلما أنه لم يلبث أن نزل أمين الوحي على رسول الله صلى الله عليه وآله برسالة من الله سبحانه و هي:

«إنه لا يؤدى عنك إلّا أنت أو رجل منك».

(٢) و لهذا استدعى رسول الله صلى الله عليه وآله عليا و أخيره بالخبر ثم قال له:

اركب ناقتي العضاء و الحق أبا بكر فخذ براءة من يده، و امض بها الى مكة و انبذ بها عهد المشركين إليهم، أى اقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى انحاء الجزيرة العربية براءة بما فيها النقاط الاربعة التالية:

(١) و قد ذكر الواقدي انهم كانوا ثلاثمائة (المغازي: ج ٣ ص ١٠٧٧).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٢

١- أن لا يدخل المسجد مشرك.

٢- أن لا يطوف بالبيت عريان.

٣- أن لا يحج بعد العام مشرك.

٤- أن من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله عهد فهو له إلى مدته، أى إنّه محترم ميثاقه و ماله و نفسه إلى يوم انقضاء العهد،

و من لم يكن له عهد و مدة من المشركين فإلى أربعة أشهر فإن أخذناه بعد أربعة أشهر قتلناه، و ذلك بدءاً من هذا اليوم (العاشر من شهر ذى الحجة).

أى إن على هذا الفريق من المشركين أن يحددوا موقفهم من الحكومة الإسلامية، فإما أن ينضوا إلى صفوف الموحدين، و ينبذوا وراء ظهورهم كل مظاهر الشرك و يحطموها، و إما أن يستعدوا للقتال مع المسلمين «١».

(١) فخرج على عليه السلام على ناقه رسول الله صلى الله عليه و آله العضاء مع جماعة منهم «جابر بن عبد الله» الأنصارى حتى ادرك أبا بكر فى الجحفة فأبلغه أمر النبي صلى الله عليه و آله فدفع أبو بكر آيات البراءة إلى على عليه السلام.

و يروى محدثو الشيعة و جماعة من محدثي السنة أن الامام على بن أبى طالب قال لأبى بكر: أمرنى رسول الله صلى الله عليه و آله أن اختيرك بين أن تسير معى أو ترجع إليه فرجع إليه أبو بكر العوده إلى المدينة على المسير مع على عليه السلام إلى مكة...:

بل أرجع إليه، و عاد إلى النبي صلى الله عليه و آله، فلما دخل عليه قال: يا رسول الله إنك أهلتنى لأمر طالت الاعناق إلى فيه، فلما توجهت له رددتنى عنه، ما لى أنزل فى قرآن؟!:

فقال له النبي صلى الله عليه و آله: لا- و لكن الأمين جبرئيل هبط إلى عن الله عز و جل بأنه لا يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك، و على منى، و لا يؤدى عنى إلا على «٢».

(١) فروع الكافى: ج ١ ص ٣٢٦.

(٢) الارشاد: ص ٣٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٣

(١) إلا أن بعض روايات أهل السنة تفيد أن أبا بكر أنيط إليه اماره الحجيج فى ذلك العام، بينما كلف على عليه السلام وحده بمهمة قراءة آيات البراءة و النقاط الأربعة المذكورة على الناس يوم الحج الأكبر بمنى «١».

دخل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام مكة و فى اليوم العاشر من شهر ذى الحجة، صعد على جمرة العقبة و قرأ على الناس الآيات الثلاث عشرة من صدر سورة التوبة (البراءة) و أذان رسول الله المتضمن للنقاط الأربعة، رافعا صوته به، بحيث يسمعه جميع من حضر، و ذلك بمنتهى الشجاعة و الجرأة، و أخبر المشركين الذين لا عهد و لا مدة لهم مع النبي صلى الله عليه و آله بأن لهم أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر ابتداء من يوم قراءة ذلك الاعلان، فاذا انقضت هذه المدة قتلوا اذا وجدوا على الشرك، فعليهم أن يبادروا خلال هذا الأجل المضروب إلى تطهير بيئتهم من كل أنواع الوثنية و إلا سلبت عنهم الحصانة، و رفع عنهم الأمان.

لقد كان أثر هذه الآيات و هذا الأذان النبوى هو أنه لم يمض على قراءة آيات البراءة أشهر إلا و أقبل المشركون على اعتناق عقيدة التوحيد أفواجا أفواجا، و هكذا استأصلت جذور الوثنية فى شبه الجزيرة العربية فى أواسط السنة العاشرة من الهجرة.

(٢)

### تعصب بغيبض فى تحليل هذا الحدث:

لا-ريب أن عزل أبى بكر عن مقام إبلاغ آيات البراءة، و تنصيب على بن أبى طالب مكانه لأداء تلك المهمة بأمر الله تعالى يعد من أبرز فضائل على و مناقبه المسلمة التى لا تقبل الإنكار و الشك، و لكن جماعة من الكتاب المتعصبين وقعوا فى الخطأ و الانحراف مع ذلك عند تحليل و دراسة هذه الحادثة.

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٤٦ و راجع للوقوف على المصادر العديدة لهذه القضية الغدير: ج ٦ ص ٣٣٨ - ٣٥٠.



سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٤

فهذا «الآلوسی البغدادی» يكتب في تفسيره عند دراسة و تحليل هذه الحادثة: النكتة في نصب الامير كرم الله تعالى وجهه مبلغا نقض العهد في ذلك المحفل ان الصّيديق رضی الله تعالى عنه لما كان مظهرها لصفة الرحمة و الجمال كما يرشد إليه ما تقدم في حديث الاسراء و لما كان على كرم الله وجهه و الذي هو أسد الله و مظهر جلاله فوض إليه نقض عهد الكافرين الذي هو من آثار الجلال و صفات القهر «١».

(١) إن هذا التفسير النابع من منبع التعصب لا ينسجم مع كلام رسول الله صلى الله عليه وآله لأنه قال عند الإجابة على أبي بكر: «إن هذه الآي لا يؤديها إلا أنا أو رجل مني» أي لا يصلح لأدائها غير هذين الرجلين و ليس في هذا الكلام أي اشارة إلى الرأفة و الشجاعة. هذا مضافا إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله المظهر الكامل للرحمة و الرأفة و بناء على ما قاله الآلوسی يجب أن لا يكلف حتى رسول الله صلى الله عليه وآله بابلاغ هذه الآيات، على حين أن الوحي قال: هذه الآيات لا يؤديها إلا أنت أو رجل منك». (٢) و لقد برّر جماعة اخرى هذا المطلب بنحو آخر فقالوا: لقد كان التقليد المتبع عند العرب في نقض العهود مهما كانت هو ان يقدم نفس الموقع على العهد أو أحد أنسبائه على نبذ العهد و نقضه، اذ في غير هذه الصورة كان المتعارف عندهم أن يبقى العهد على حاله، و حيث إن على بن أبي طالب كان من اقرباء النبي لهذا كلف بإبلاغ هذه الآيات التي تضمنت نبذ العهد. (٣) و لكن هذا التفسير و التوجيه غير مقنع، لأنه كان ثمة بين اقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله من هو أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مثل عمه العباس، فلما ذا لم يكلف بابلاغ آيات البراءة، و نبذ العهد الى المشركين.

(١) روح المعاني: ج ١٠ ص ٤٥ تفسير سورة التوبة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٥

ثم لما ذا لم يتبع النبي صلى الله عليه وآله هذه العادة من أول الأمر و هو العارف بتقاليد مجتمعه؟

إذا أردنا أن نقضى في هذه القضية التاريخية بالقضاء المحايد المنصف و جب أن نقول: إن علّة هذا العزل، و النصب لم يكن لا دافع الرغبة في المقام، و الطموح الى السلطة، و لا وشيجة القربى مع على عليه السلام بل كان الغرض من هذا التغيير هو الكشف عمليا عن أهلية أمير المؤمنين على عليه السلام و صلاحيته للقيام بالمهام المتعلقة بالحكومة الاسلامية، و ليعلم الناس أنه عدیل النبي صلى الله عليه وآله في الجوانب الروحية، و في مجال الأهلية، و الصلاحية.

(١) و انه اذا ما غابت شمس الرسالة بعد حين و جب أن تسلّم مقاليد الحكم، و ازمة التصرف في المسائل و الامور المتعلقة بشئون الخلافة الى على عليه السلام إذ لا يصلح لهذا العمل الخطير سواه، و انه يجب أن لا يقع المسلمون بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله في الإشكال و التشتت، و الاختلاف و الحيرة في هذا الأمر، لأنهم قد رأوا بام عينهم كيف نصب «على» من جانب النبي بأمر الله تعالى لنبد العهود مع المشركين، الذي هو من صلاحيات و اختيارات، الحاكم الاسلامي و شئونه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٦

(١)

## حوادث السنة العاشرة من الهجرة

٥٧ في رثاء الولد العزيز

إشارة



«يا إبراهيم إنا لن نغنى عنك من الله شيئاً إنا بك لمحزونون تبكى العين و يحزن القلب و لا نقول ما يسخط الرب، و لو لا أنه وعد صادق و موعود جامع فإن الآخر منا يتبع الأول لوجدنا عليك يا إبراهيم وجدا شديدا ما وجدناه» (١).  
 هذه العبارات قالها رسول الله صلى الله عليه وآله في رثاء ولده العزيز «إبراهيم» في اللحظات التي كان يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة في حجر أبيه الرحيم، و بينما كان الوالد العظيم واضعا شفتيه على خد ابنه، و يودعه بروح ملؤها المشاعر و العواطف، من جانب، و راضية بالتقدير الإلهي.

إن حبّ الأولاد و الأبناء من أرفع و أظهر تجليات الروح الانسانية، كما انه خير دليل على سلامة الروح و لطافتها.  
 لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول دائما: «اكرموا أولادكم» (٢) و ذهب إلى أبعد من ذلك إلى درجة أنه اعتبر مودة الأبناء و العطف عليهم من مكارم أخلاقه و محاسن سجايه (٣).  
 (٢) ففي السنين و الأعوام الماضية واجه النبي الاكرم صلى الله عليه وآله مصيبة

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣١١ بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ١٠٤ ص ٩٥ عن مكارم الاخلاق.

(٣) المحجة البيضاء: ج ٣ ص ٣٦٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٧

افتقاد ثلاثة من أولاده هم: «القاسم و الطاهر، و الطيب» (١) و ثلاث من بناته و هن: «زينب» و «رقية» و «أم كلثوم» و لقد حزن لفقدهم حزنا شديدا و كانت «فاطمة» هي البنت الوحيدة التي بقيت له من زوجته الكريمة خديجة.

(١) لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة السادسة من الهجرة سفراء إلى البلاد المختلفة خارج الجزيرة العربية و كان من جملة الكتب التي أرسلها إلى الامراء و الملوك هي رسالته إلى حاكم مصر يدعوه فيها إلى الاسلام، و إلى عقيدة التوحيد، و هذا الحاكم و إن لم يلبّ نداء النبي في الظاهر، و لم يقبل دعوته إلّا أنه اجاب على كتاب النبي باجابة حسنة مضافا إلى أنه أرسل إليه صلى الله عليه وآله هدايا منها جارية تدعى «مارية».

و لقد نالت هذه الجارية فيما بعد شرف تزوج النبي الكريم بها و ولدت له ابنا سماه «إبراهيم» أحبه رسول الله صلى الله عليه وآله حبا شديدا.

و لقد خففت ولادة إبراهيم الكثير من الاحزان التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعاني منها بسبب افتقاده لأولاده الستة، و اشعلت في نفس النبي صلى الله عليه وآله بصيصا من الأمل، و لكن هذا البصيص من الأمل سرعان ما غاب بعد ثمانية عشر شهرا، و انطفأ.

(٢) لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من بيته ذات يوم لعمل، و عند ما عرف بتدهور خطير في صحة ولده الحبيب الوحيد «إبراهيم» عاد من فوره الى منزله، و اخذ ابنه من حضن أمه، و فيما كانت تعلقو ملامحه علامات الغم و الاضطراب نطق بهذه العبارات.  
 إن حزن النبي صلى الله عليه وآله عليه و آله و بكاءه في موت ابنه «إبراهيم» دليل حي على عاطفته الانسانية التي استمرت حتى بعد وفاة ذلك الولد الحبيب، و إن إظهار تلك العواطف و الإعراب عن الحزن و الأسى كان يكشف عن روح

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٦٦، و لكن بعض علماء الشيعة قالوا: أولاده الذكور من خديجة اثنان فقط راجع ج ٢٢ ص ١٥١ من بحار الأنوار.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٨

رسول الله صلى الله عليه وآله العاطفية التي كانت تبرز من دون اختيار فيما دلّ تجنب رسول الله صلى الله عليه وآله التكلم بما يسخط الله في هذه المصيبة المؤلمة على إيمانه ورضاه بالتقدير الالهى الذى لا مفرّ لأحد منه.

(١)

### اعتراض غير وجيه:

استغرب عبد الرحمن بن عوف الأنصارى من بكاء النبى على ولده «إبراهيم»، فاعتراض على رسول الله صلى الله عليه وآله: أو لم تكن نهيت عن البكاء، و أنت تبكى؟

إن هذا المعترض لم يكن جاهلاً بمبادئ الاسلام وقواعده الرفيعة فحسب، بل كان غافلاً. حتى عن العواطف والمشاعر الانسانية الخاصة التي أودعتها يد الخالق فى ضميره أيضا.

إن جميع الغرائز الانسانية خلقت فى الكيان البشرى لأهداف خاصة و يجب ان يتجلى كل واحد منها فى وقته المناسب و موقعه اللازم، فالشخص الذى لا يحزن لفقد أحبائه و أعزائه و لا يغتم لفراقهم، و لا تدمع عيناه لذلك، و بالتالى إذا لم يظهر من نفسه أية ردة فعل عند فراقهم لم يكن سوى قطعة من الصخر، و لا يستحق اسم الانسانية.

(٢) و لكن ثمة نقطة مهمة و جديرة بالانتباه، و هى أن هذا الاعتراض و ان كان اعتراضا غير موجّه، إلّا أنه يكشف عن وجود حرية كاملة، و ديمقراطية حقيقية فى المجتمع الإسلامى الحديث التأسيس إلى درجة أن شخصا عاديا من الناس تجرأ على أن ينتقد عمل قائده بمطلق الحرية و من دون خوف أو وجل، و سمع الجواب.

و من هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم:

«لا، إنّما هذا رحمة، و من لا يرحم لا يرحم» (١).

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٥١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٥٩٩

او قال:

«لا، و لكن نهيت عن خمس وجوه و شقّ جيوب و رنة شيطان» (١).

و لقد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أمير المؤمنين على بن أبى طالب «٢» بتجهيز «إبراهيم» و غسله و كفنه و تحنيطه، ثم إن النبى صلى الله عليه وآله شيعه مع جماعه من أصحابه، و مضى حتى انتهى به إلى قبره فى البقيع.

ثم إن النبى صلى الله عليه وآله رأى فى قبر «إبراهيم» خلا فسوّاه بيده ثم قال:

«إذا عمل أحدكم عملا فليتنن» (٣).

(١)

### مكافحة الخرافات:

عند ما مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله انكسفت الشمس فتصوّر البعض ممن جهل سنن الطبيعة و قوانين العالم الطبيعى أن الشمس انكسفت لموت إبراهيم.

و لا- شك أن مثل هذا التصور الباطل و ان كان قضية خيالية و وهما سخيفا إلّا أنه كان من شأنه أن ينفع النبى، و يعزّز مكانته فى

المجتمع الذى طالما آمن بالخرافة و عشقها.

و لو أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قائدا عاديا و ماديا لكان من الجائز أن يؤيد صحة هذا التصور ليكتسب من وراء ذلك عظمة و قوة.

و لكن النبى صلى الله عليه وآله على عكس هذه التوقع رقى المنبر، و أطلع الناس على حقيقة الأمر و قال:

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣١٠ و ٣١١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٥٦، و روى فى السيرة الحلبية ان رسول الله صلى الله عليه وآله كلف الفضل بن العباس (ابن عم النبى) بتجهيز إبراهيم.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٥٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٠.

«أيها الناس إن الشمس و القمر آيتان من آيات الله تجريان بأمره مطيعان له فلا ينكسفان لموت أحد و لا لحياته» (١).

(١) إن النبى الكريم صلى الله عليه وآله على عكس ما يفعله النفعيون الوصوليون الذين لا- يكتفون بتفسير الحقائق و تجييرها لمصالحهم، و استخدامهم لمآربهم، بل طالما يحاولون استغلال جهل الناس و نزعهم إلى الخرافات لصالحهم.

إن رسول الاسلام على عكس هذه الجماعة لم يكتف بالحقيقة، و لم يستفد من جهل الناس و غفلتهم لصالح نفسه.

و لو أن النبى صلى الله عليه وآله كان يسبغ فى ذلك اليوم لباس الصحة على مثل هذه الفكرة الباطلة و هذا التصور الخيالى لم يمكنه أن يطرح نفسه قائدا خالدا للبشرية و رسولا- مختارا من جانب خالق الطبيعة، و المؤسس الحقيقى لقوانين العالم المادى، فى العالم الراهن الذى كشف فيه القناع عن اسرار الطبيعة، و اتضحت فيه قوانين العالم المادى و نواميسه، و علل الكسوف و الخسوف و غيرهما من تفاعلات الطبيعة.

(٢) إن دعوة النبى الا-كرم لم تكن مختصة بجماعة العرب كما أنها لا- تخضع لحدود زمانية أو مكانية، فلو أنه كان نبى الاقوام و الاجيال الغابرة، فهو كذلك نبى عصر الفضاء، و قائد عصر اكتشاف أسرار الطبيعة و رموزها.

إن احاديث هذا النبى العظيم، و كلماته من القوة، و المتانة و من الصحة، و الاتصاف بالواقعية بحيث لم يتطرق إليها أى إشكال حتى مع التطورات العلمية الاخيرة التى قلبت كثيرا من معارف البشر القديمة رأسا على عقب.

(١) المحاسن: ص ٣١٣، السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣١٠ و ٣١١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠١.

(١)

## ٥٨ وفد نجران فى المدينة

### إشارة

تقع «نجران» بقراها السبعين التابعة لها، فى نقطة من نقاط الحجاز و اليمن الحدودية، و كانت هذه المنطقة فى مطلع ظهور الاسلام المنطقة الوحيدة التى غادر أهلها الوثنية لأسباب معينة و اعتنقوا المسيحية (١) من بين مناطق الحجاز.

و قد كتب رسول الاسلام كتابا إلى اسقف نجران (٢) «أبو حارثة» يدعو أهلها فيه الى الاسلام يوم كتب كتابا إلى ملوك العالم و

رؤسائه.

و إليك مضمون هذا الكتاب:

«بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمّد رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران إن أسلمتم فإنّي أحمد إليكم الله إله إبراهيم وإسحاق «٣» ويعقوب أمّياً بعد فإنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتتم فالجزية، فإن أبيتتم فقد آذنتكم بحرب والسلام».

(٢) و أضافت بعض المصادر التاريخية الشيعية أن النبي الا-كرم صلى الله عليه وآله كتب في ذلك الكتاب الآية المرتبطة بأهل الكتاب «٤» و التي تدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار.

(١) ذكر الياقوت الحموي في معجم البلدان: ج ٥ ص ٢٦٦-٢٧٧ علل اعتناقهم للمسيحية.

(٢) الاسقف مغرب كلمه يونانية هي ايسكوب و تعنى الرقيب و المناظر و هو اليوم منصب اعلى من منصب القسيس.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٢٨٥.

(٤) المراد من تلك الآية هو قوله تعالى: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا» (آل عمران: ٦٤. الاقبال: ص ٤٩٤).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٢.

قدم سفير رسول الله صلى الله عليه وآله نجران و سلم كتابه المبارك الى أسقف نجران، فقرأ ذلك الكتاب بعناية و دقة متناهية، ثم شكّل جماعة للمشاورة و تداول الأمر و اتخاذ القرار مكوّنة من الشخصيات البارزة الدينية و غير الدينية، و كان أحد أعضاء هذه المجموعة «شربيل» الذي عرف بعقله و نبهه، و تدبيره و حكمته، فقال في معرض الاجابة على استشاره الاسقف اياه: قد علمت ما وعد الله ابراهيم في ذرية اسماعيل من النبوة، فما يؤمنك أن يكون هذا الرجل، ليس لي في النبوة رأى، لو كان أمر من امور الدنيا أشرت عليك فيه و جهدت لك.

(١) فقرر المتشاورون ان يبعثوا وفدا إلى المدينة للتباحث مع رسول الله صلى الله عليه وآله، و دراسة دلائل نبوته، فاختر لهذه المهمة ستون شخصا من أعلم أهل نجران و أعقلهم، و كان على رأسهم ثلاثة اشخاص من اساقفتهم هم:

١- «أبو حارثة بن علقمة» اسقف نجران الأعظم و الممثل الرسمي للكنائس الرومية في الحجاز.

٢- «عبد المسيح» رئيس وفد نجران المعروف بعقله و دهائه، و تدبيره.

٣- «الأيهم» و كان من ذوى السن و من الشخصيات المحترمة عند أهل نجران «١»

قدم هذا الوفد المسيحي المدينة و دخلوا المسجد على رسول الله صلى الله عليه وآله و هم يلبسون أزياءهم الكنسية و يرتدون الديباج و الحرير، و يلبسون خواتيم الذهب و يحملون الصلبان في اعناقهم، فأزعج منظرهم هذا و خاصة في المسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فاشعروا بانزعاج النبي و لكنهم لم يعرفوا سبب ذلك، فسألوا «عثمان بن عفان» و «عبد الرحمن بن عوف» و كانت بينهم صداقة قديمة، فقال الرجلان لعلى بن أبى طالب: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟

قال: أرى أن يضعوا حللهم هذه و خواتيمهم ثم يعودون إليه.

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢١١ و ٢١٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٣.

(١) ففعلوا ذلك ثم دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله فسلموا عليه فرد عليهم السلام، و احترامهم، و قبل بعض هداياهم التي

أهدوها إليه صلى الله عليه وآله، ثم إن الوفد- قبل ان يبدءوا مفاوضاتهم مع النبي صلى الله عليه وآله قالوا: إن وقت صلاتهم قدحان و استأذنوه في أدائها، فاراد الناس منعهم و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله اذن لهم و قال للمسلمين: دعوهم فاستقبلوا المشرق، فصلوا صلاتهم «١».

و بذلك اعطى النبي صلى الله عليه وآله درساً في التسامح الديني يدفع افتئات اعداء الاسلام على هذا الدين.  
(٢)

### مفاوضات وفد نجران مع النبي:

لقد نقل طائفة من كتاب السيرة، و المحدثين الاسلاميين نص الحوار الذي دار بين وفد نجران المسيحي و رسول الله صلى الله عليه وآله و لكن المرحوم السيد ابن طوس نقل نص هذا الحوار و قضية المباهلة بنحو أدق و اكثر تفصيلاً مما ذكره الآخرون من المحدثين و المؤرخين.

فقد ذكر جميع خصوصيات المباهلة من البداية الى النهاية نقلاً عن كتاب المباهلة لمحمد بن المطلب الشيباني «٢». و كتاب عمل ذي الحجة للحسن بن اسماعيل «٣»، غير أن نقل جميع تفاصيل هذه الواقعة التاريخية الكبرى التي قصير حتى في الاشارة إليها اشارة عابرة بعض أصحاب السير أمر خارج عن نطاق هذا الكتاب، و لهذا فاننا نكتفي بنقل جانب من هذا الحوار الذي نقله رواه الحلبي في

(١) السيرة الحلبيّة: ج ٣ ص ٢١٢.

(٢) هو محمّد بن عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن البهلول بن همام بن المطلب المولود عام ٢٩٧ هـ و المتوفى عام ٣٨٧ هـ.

(٣) من اراد الوقوف على خصوصيات هذه الواقعة التاريخية فليراجع كتاب الاقبال للمرحوم السيد ابن طوس ص ٤٩٦-٥١٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٤.

سيرته «١». سيد المرسلين ج ٢ ص ٦٠٤ مفاوضات وفد نجران مع النبي: ..... ص : ٦٠٣

(١) عرض رسول الله صلى الله عليه وآله على وفد نجران و تلا عليهم القرآن، فامتنعوا و قالوا: قد كنّا مسلمين قبلك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: كذبتكم، يمنعكم من الإسلام ثلاث:

عبادتكم الصليب، و أكلكم لحم الخنزير، و زعمكم أنّ لله ولداً.

فقالوا: المسيح هو الله لأنه أحيى الموتى، و أخبر عن الغيوب، و أبرأ من الأدواء كلها، و خلق من الطين طيراً.

فقال النبي صلى الله عليه وآله هو عبد الله و آله هو عبد الله و كلمته ألقاها الى مريم.

فقال أحدهم: المسيح ابن الله لأنه لا أب له.

فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى:

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ «٢».

(٢) فقال وفد نجران: إنا لا نزداد منك في أمر صاحبنا إلّا تبايناً، و هذا الأمر الذي لا نقره لك، فهلّم فلنلاعنك أينما أولى بالحق فنجعل

لعنة الله على الكاذبين «٣».

فانزل الله عزّ و جلّ آية المباهلة على رسول الله صلى الله عليه وآله:

«فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ

لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» «٤».

فدعاهم إلى المباهلة، فقبلوا، و اتفق الطرفان على ان يقوموا بالمباهلة في اليوم اللاحق.

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٣٩.

(٢) آل عمران: ٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٢٠، ولكن آية المباهلة، و كما يستفاد من السيرة الحلبية تفيد ان النبي هو الذى اقترح المباهلة ابتداء كما تفيد عبارة «تعالوا ندع ابناؤنا...».

(٤) آل عمران: ٦١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٥.

(١)

### خروج النبي للمباهلة:

تعتبر قصة مباحلة رسول الله صلى الله عليه وآله مع وفد نجران من حوادث التاريخ الإسلامى المثيرة والجميلة، و هى و إن قصر بعض المفسرين و المؤرخين فى رواية تفاصيلها، و تحليلها، إلّا أنّ ثلّة كبيرة، من العلماء كالمخشى فى الكشاف «١» و الإمام الفخر الرازى فى تفسيره «٢» و ابن الاثير فى الكامل «٣» أعطوا حق الكلام فى هذا المجال و ها نحن ننقل هنا نص ما كتبه الزمخشري فى هذا المجال:

حان وقت المباحلة ... و كان النبي صلى الله عليه وآله و وفد نجران قد اتفقا على أن يجريا المباحلة خارج المدينة، فى الصحراء ... فاختار رسول الله صلى الله عليه وآله من المسلمين و من عشيرته و أهله أربعة أشخاص فقط و قد اشترك هؤلاء فى هذه المباحلة دون غيرهم، و هؤلاء الاربعة لم يكونوا سوى على بن أبى طالب عليه السلام و فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله و الحسن و الحسين لأنه لم يكن بين المسلمين من هو أظهر من هؤلاء نفوسا، و لا أقوى و أعمق إيمانا.

(٢) طوى رسول الله صلى الله عليه وآله المسافة بين منزله، و بين المنطقه التى تقرر التباهل فيها فى هيئة خاصة مثيرة، فقد غدا محتضنا الحسين «٤» آخذا بيد الحسن و فاطمة تمشى خلفه و على خلفها، و هو يقول: إذا دعوت فأمتوا.

كان زعماء وفد نجران و رؤساؤهم قد قال بعضهم لبعض - قبل أن يغدو

(١) ج ١ ص ٣٨٢ و ٣٨٣.

(٢) مفاتيح الغيب: ج ٢ ص ٤٧١ و ٤٧٢.

(٣) ج ٢ ص ١١٢.

(٤) جاء فى بعض الروايات أن النبي غدا آخذا بيد الحسن و الحسين تتبعه فاطمة و بين يديه على (بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٣٨).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٦.

رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المباحلة: انظروا محمدا فى غد، فإن غدا بولده و أهله فاحذروا مباحلته، و إن غدا بأصحابه فباهلوه فانه ليس على شىء. و هم يقصدون أن النبي إذا جاء إلى ساحة المباحلة محفوفاً بابهة مادية، و قوة ظاهرية، تحف به قادة جيشه و جنوده فذلك دليل على عدم صدقه، و إذا أتى بولده و أبنائه بعيدا عن أية مظاهر مادية و توجه إلى الله بهم و تضرع الى جنابه كما يفعل الأنبياء دل ذلك على صدقه لأن ذلك أكد فى الدلالة على ثقته بحاله و استيقانه بصدقه، حيث استجراً على تعريض أعزته، و أفلاذ كبده، و أحب الناس إليه لذلك، و لم يقتصر على تعريض نفسه له، و على ثقته بكذب خصمه.

(١) و فيما كان رجال الوفد يتحدثون فى هذه الامور اذ طلع رسول الله صلى الله عليه وآله و آله و الاغصان الاربعة من شجرته المباركة





سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٨

يضمن النبي صلى الله عليه وآله أمن نجران في ذلك الكتاب، فكتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأمر النبي كتابا هذا نصه:  
(١) «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران وحاشيتها، إذ كان له عليهم حكمة في كل ثمرة و صفراء و بيضاء و سوداء و رقيق فأفضل عليهم و ترك ذلك لهم: ألفى حلة من حلال الأوقاف في كل رجب ألف حلة، و في كل صفر ألف حلة، كل حلة أوقية، و ما زادت حلال الخراج أو نقصت عن الأوقاف فبالحساب، و ما نقصوا من درع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بالحساب، و عليهم في كل حرب كانت باليمن ثلاثون درعا، و ثلاثون فرسا، و ثلاثون بعيرا عارية مضمونة لهم بذلك، و علي أهل نجران مائة رسل (و استضافتهم) شهرا فدونه، و لهم بذلك جوار الله و ذمة محمد النبي رسول الله علي أنفسهم و ملتهم و ارضهم و اموالهم و بيعهم و رهبانيتهم علي أن لا يعشروا و لا يأكلوا الربا و لا يتعاملوا به فمن أكل الربا منهم بعد ذلك فذمتي منه بريئة» (١).

(٢)

### أكبر فضيلة:

تعتبر واقعة المباهلة و ما نزل فيها من القرآن أكبر فضيلة تدعم موقف الشيعة علي مر التاريخ. لأن ألقاب الآيات النازلة في المباهلة و مفرداتها تكشف عن مكانة و مقام من باهل بهم رسول الله صلى الله عليه وآله و الذين يتخذهم الشيعة قادة لهم. فهذه الآية اعتبرت الحسن و الحسين ابنا لرسول الله صلى الله عليه وآله و فاطمة الزهراء المرأة الوحيدة التي تربط برسول الله صلى الله عليه وآله و يصدق عليها عنوان «نسانا». و قد عبر عن علي عليه السلام بانفسنا فكان علي عليه السلام تلك الشخصية العظيمة بحكم هذه الآية بمنزلة نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، ترى أية فضيلة أعظم و أسمى من أن ترتفع مكانة المرء من

(١) فتوح البلدان: ص ٧٦، امتاع الاسماع: ص ٥٠٢ و اعلام الوري: ص ٧٨ و ٧٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٠٩

الناحية المعنوية ارتفاعا و تسمو سموا عظيما حتى أنه يوصف صاحبها بأنه بمنزلة نفس النبي (١).

أ ليست هذه الآية شاهد صدق علي فضيلة أمير المؤمنين علي عليه السلام علي جميع المسلمين.

لقد ذكر الفخر الرازي الذي عرف الجميع اسلوبه في الابحاث الكلامية و مواقفه من القضايا المرتبطة بالإمامة، ذكر استدلال الشيعة بهذه الآية ثم أورد علي هذا الاستدلال اعتراضا قليل الأهمية مما لا يخفى جوابه علي أرباب العلم و أهل المعرفة. هذا و يستفاد من الأحاديث الواردة عن أئمة أهل البيت أن المباهلة لا تختص بالنبي الاكرم بل يجوز أن يتباهل كل مسلم في القضايا الدينية مع من يخالفه و يجادله فيها، و قد جاءت طريقة المباهلة و الدعاء المخصوص بها في كتب الحديث، و للوقوف علي هذا الامر يراجع كتاب «نور الثقلين» (٢).

(١) و قد استند رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هذه الآية في قوله: «علي مني كنفسى».

(٢) نور الثقلين: ج ١ ص ٢٩١ و ٢٩٢، و راجع أيضا الكافي ج ٢ كتاب الدعاء باب المباهلة، و قد اشار العلامة الطباطبائي في احدي رسائله إلى هذه الموضوع أيضا، و يعتبره من معاجز الاسلام الخالدة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٠

(١)



## ٥٩ تاريخ المباهلة عاما و شهرا و يوما

## إشارة

إن حادثه المباهلة من قضايا التاريخ الاسلامى المعروفة المتواترة التى جاء ذكرها فى كتب التفسير، و التاريخ و الحديث بصورة مبسوطه و مفضلة لمناسبة و اخرى، و تلخص هذه القصة فيما يلى:

لقد كتب رسول الله صلى الله عليه وآله - يوم راسل ملوك العالم و امرءه يدعوهم الى الاسلام - كتب كتابا الى اسقف نجران «ابو حارثة» دعا فيه أهل نجران إلى الاسلام و لما تسلّم أبو حارثة كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله و آله شاور جماعة من اصحابه، فاشاروا عليه بأن يبعثوا وفدا يمثلون أهل نجران إلى المدينة، ليتفاوضوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله عن كتب.

و فعلا قدم الوفد المذكور المدينة، و التقى رسول الله صلى الله عليه وآله و بعد مداوالات و مفاوضات كثيرة اقترح النبى الاكرم صلى الله عليه وآله على ذلك الوفد المباهلة بأمر الله سبحانه، بأن يخرج الجميع (الطرفان) إلى الصحراء، و يدعو كل واحد من الجانبين على الآخر فرضوا باقتراح رسول الله صلى الله عليه وآله، و لكنهم أحجموا عن المباهلة لما شاهدوا ما عليه رسول الله صلى الله عليه وآله من حالة معنوية، و روحانية عظيمة، حيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله اصطحب معه إلى المباهلة أربعة انفار من أفضل أحبته و أعزته، و تقرّر أن ينضوى نصارى نجران تحت مظلة الحكومة الاسلامية و هم على دينهم شريطة أن يدفعوا جزية (و هى مبلغ ضئيل).

سيد المرسلين ، ج ٢، ص: ٦١١

هذه هى خلاصة قضية المباهلة التى لا يستطيع انكارها و إخفاءها أى مفسّر أو مؤرخ على النحو الذى ذكر، و الآن يجب أن نرى متى و فى أى يوم و شهر و عام وقعت هذه الحادثة الاسلامية الكبرى.

(١)

## عام المباهلة حسب المشهور:

يقول مؤلف كتاب مكاتيب الرسول فى هذا الصدد: لا خلاف عند المؤرخين ان كتاب الصلح كتب سنة عشرة من الهجرة، فيكون سنة المباهلة نفس هذه السنة أيضا، لان كتاب الصلح هذا انما كتب عند ما أحجم الوفد النجرانى النصرانى من مباهلة النبى صلى الله عليه وآله.

و قد ادرج نص كتاب الصلح هذا فى مصادر عديدة نذكر بعضها فى الهامش «١».

(٢)

## الشهر و اليوم الذى وقعت فيه المباهلة:

إن المشهور بين العلماء هو أن المباهلة وقعت فى اليوم الخامس و العشرين من شهر ذى الحجة، و ذهب المرحوم الشيخ الطوسى إلى أنها وقعت فى اليوم الرابع و العشرين من ذلك الشهر، و روى فى كتابه دعاء خاصا فى هذه المناسبة «٢».

و اما المرحوم السيد ابن طاوس فقد نقل حول يوم المباهلة أقوالا ثلاثة، و ذكر بأن أصح تلك الأقوال و الروايات هو القائل بان يوم المباهلة هو الرابع و العشرون من شهر ذى الحجة، و قد ذهب البعض إلى أنه اليوم الواحد و العشرون بينما ذهب آخرون إلى أنه اليوم السابع و العشرون «٣».

(١) تاريخ يعقوبى: ج ٢ ص ٦٥، الدر المنثور: ج ٢ ص ٣٨.

(٢) مصباح المتعجب: ص ٧٠٤.

(٣) الإقبال: ص ٧٤٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٢

(١) ثم انه رحمه الله روى فى آخر كتابه «١» قصة المباهلة بصورة مفصلة لم ترد فى أى كتاب أو مؤلف آخر، و نوه بأن محتويات هذا الباب اقتبست من الكتابين التاليين:

١- كتاب المباهلة تأليف أبى المفضل محمد بن عبد المطلب الشيبانى «٢».

٢- كتاب عمل ذى الحجة تصنيف الحسن بن اسماعيل بن أشناس «٣».

إلى هنا اتضح أن يوم المباهلة على المشهور هو اليوم الرابع والعشرون أو الواحد العشرون أو الخامس والعشرون أو السابع والعشرون من شهر ذى الحجة.

و أما رأينا حول التاريخ الدقيق لهذه الواقعة من حيث العام والسنة.

إن خلاصة القول هى أن هذه الأقوال والآراء حول عام و يوم المباهلة لا- توافق النقول التاريخية الأخرى التى يتسم بعضها بطابع القطعية إلى حد بعيد، و إليك ادلتنا على ذلك فيما يلى:

(٢)

### رأينا حول عام المباهلة:

(٣) ١- لقد جاء فى ختام الكتاب الذى بعثه النبى صلى الله عليه وآله الى اسقف نجران عبارة: «و إن أبيتتم فالجزية»، و قد جاءت لفظه الجزية فى القرآن الكريم

(١) الإقبال: ص ٧٤٣.

(٢) لم ينقل المرحوم السيد نسبه بصورة صحيحة، فقد ذكر النجاشى نسبه على النحو التالى: محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن بهلول بن الهمام بن المطلب و على هذا الاساس يكون جده المطلب و ليس عبد المطلب كما انه يكون المطلب جده الخامس. و ينبغى الإشارة هنا إلى أن لمحمد بن عبد الله- حسب ما يرى النجاشى- فترتين من الحياة، كان فى إحداهما موثوقا به، و فى الأخرى غير موثوق به و هذا يقول: اجتنب الرواية عنه أأ عند ما يروى الثقات عنه أيام استقامته و صلاحه (راجع فهرست النجاشى ص ٢٨١-٢٨٢).

(٣) جاء ذكره فى اسناد الصحيفة السجادية و هو من مشايخ الطائفة الامامية و قد توفى عام ٤٦٠ هـ و قد نقل احاديث المباهلة (راجع الدرعية ج ١٥ ص ٣٤٤).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٣

فى سورة التوبة و الظاهر أن رسول الله صلى الله عليه وآله استخدم هذه الجملة و اللفظة فى الكتاب المذكور اتباعا للآية المذكورة، و قد نزلت سورة التوبة قبيل غزوة تبوك بقليل، و قد وقعت هذه الغزوة بعد شهر رجب من السنة التاسعة.

و بناء على هذا يبعد أن يكون رسول الله قد كتب لأهل نجران كتابا، بعثوا بجوابه إليه صلى الله عليه وآله بعد عام و نصف العام على يد وفد هم.

إن هذه الواقعة التاريخية تحكى عن أن هذه الحادثة قد وقعت في السنة العاشرة من الهجرة.

(١) ٢- اتفق كتاب السيرة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث علياً عليه السلام إلى اليمن للقضاء و تعليم الاحكام الدينية، و قد مكث على عليه السلام هناك ردحا من الزمان لأداء مهامه المخولة إليه، و عند ما علم بتوجه النبي صلى الله عليه وآله إلى مكة للحج، خرج هو أيضا إلى مكة على رأس جماعة من أهل اليمن، فلقى النبي بمكة، و قدّم إليه الف حلة من البز كان قد أخذها من أهل نجران من باب الجزية التي فرضت و كتبت عليهم في معاهدة الصلح «١».

إن هذه القضية التاريخية تفيد ان واقعة المباهلة و كتابة العهد لا ترتبط بالسنة العاشرة من الهجرة، و ذلك لأن أهل نجران تعهدوا في وثيقة الصلح أن يدفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله في كل سنة ألفى حلة (مخيطّة و غير مخيطّة)، الف حلة منها في شهر رجب، و الف حلة اخرى في شهر صفر «٢».

(٢) فاذا سلّمنا بأن وثيقة الصلح كتبت في شهر ذى الحجة و جب أن نقول ان المقصود منه هو شهر ذى الحجة من الاعوام السابقة على السنة العاشرة.

لأنه كيف يمكن أن نقول بأن كتابة وثيقة الصلح، و تنفيذها بواسطة الامام

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٠٢ و ٦٠٣، الارشاد: ص ٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٣٤٨، و الارشاد: ص ٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٤

على عليه السلام قد تمّ معا في السنة العاشرة.

و إذا ارتضينا القول المشهور حول اليوم و العام الذي كتبت فيهما وثيقة الصلح، امكن في هذه الصورة أن يكون عقد الصلح قد تمّ في السنة العاشرة، و لكن يجب أن نرجع تاريخ كتابته إلى ما قبل شهر رجب لأن الفرض هو أن الامام عليا عليه السلام قد استلم أول قسط من الجزية المقررة في شهر رجب في السنة العاشرة.

(١) و الخلاصة أنه مع ملاحظة هذه القضية التاريخية (و هي أن الامام عليا استلم القسط الاول من الجزية من أهل نجران في شهر رجب و سلمه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في مكة في شهر ذى الحجة) و جب أن نختار احد القولين التاليين:

الف: إذا سلّمنا بان يوم و شهر تنظيم وثيقة الصلح هو شهر ذى الحجة و جب ان نقول إن المقصود منه هو أشهر ما قبل السنة العاشرة.  
باء: إذا ترددنا في يوم و شهر كتابة الصلح على نحو التردد في تحديد عامه، أمكن في هذه الصورة ان نقول بان يوم المباهلة و كذا يوم تنظيم وثيقة الصلح يرتبطان باشهر ما قبل شهر رجب من السنة العاشرة للهجرة.

(٢)

### زمن المباهلة يوما و شهرا:

إلى هنا اتضح انه من غير الممكن ان يكون عام المباهلة هو السنة العاشرة من الهجرة حتما، إلّا في صورة واحدة و هي أن نغير رأينا في اليوم و الشهر اللذين تمت فيهما كتابة وثيقة الصلح.

و قد حان الحين الآن لأن نحدّد تاريخ المباهلة من حيث اليوم و الشهر في ضوء الاحداث و الوقائع التاريخية، فنقول: إن الشهر و اليوم اللذين وقعت فيهما قضية المباهلة هما- حسب ما هو مشهور بين العلماء كما أسلفنا- شهر ذى الحجة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٥

و اليوم الرابع و العشرون أو الخامس و العشرون، و على قول: الحادى و العشرون، أو السابع و العشرون من ذلك الشهر.

(١) والآن يجب أن نرى هل تنطبق هذه الأقوال على غيرها من الحوادث التاريخية القطعية أم لا؟ إن الدراسة التالية تثبت لنا أن قضية المباهلة من غير الممكن أن تكون قد وقعت في شهر ذي الحجة من السنة العاشرة مطلقاً، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قد توجه إلى مكة المكرمة لتعليم مناسك الحج في السنة العاشرة من الهجرة، وفي اليوم الثامن عشر من هذا الشهر (وهو يوم الغدير) نصب في منطقة غدير خم التي تبعد عن الجحفة «١» بميلين «٢»، علياً خليفته على المسلمين من بعده. ولم تكن حادثة الغدير بالحادث التي تنتهي ذيولها في يوم واحد ليتابع النبي سفره إلى المدينة فوراً لأن النبي - بشهادة التاريخ - أمر بعد نصب علي عليه السلام للخلافة أن يجلس على في خيمته، وأن يدخل عليه المسلمون الحاضرون ثلاثة ثلاثة، ويهتفون بالخلافة والإمرة وقد استمر هذا العمل حتى الليلة التاسعة عشرة من شهر ذي الحجة، وقد هنأت «امهات المؤمنين» علياً عليه السلام في نهاية

(١) «الجحفة» على وزن طعمه تقع على بعد ثلاثة منازل من مكة وسبعة منازل من المدينة وتبعد عن البحر الأحمر بستة أميال تقريباً وتبعد من رايغ التي تقع الآن على الطريق بين مكة والمدينة راجع كتاب التحرير للنووي والتهذيب له أيضاً، هذا ويقول الياقوت الحموي في مرصد الاطلاع ص ١٠٩: ان الجحفة تقع على بعد أربعة أميال من مكة وهي ميقات أهل مصر والشام، وتبعد عن البحر بستة أميال، وعن غدير خم بميلين. وهي الآن تبعد عن مكة - حسب المقاييس الحديثة - بمائتين وعشرين كيلومتراً ويقول المسعودي في كتابه «التنبيه والاشراف» ص ٢٢١-٢٢٢ أيضاً:

أن غدير خم يقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجحفة، وولد على رضى الله عنه وشيعته يعظمون هذا اليوم.

(٢) الميل عبارة عن ثلاثة آلاف ذراع، والفرسخ عبارة عن تسعة آلاف ذراع وقيل: ان الميل عبارة عن أربعة آلاف ذراع، والفرسخ عبارة عن اثني عشر الف ذراع، وعلى أية حال فان الميل ثلث الفرسخ، وثلاثة اميال تعادل فرسخاً كاملاً (راجع القاموس مادة: ميل). سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٦ مراسيم التهئة «١».

(١) من هنا لا- يمكن القول بان رسول الله صلى الله عليه وآله غادر ارض غدير خم في اليوم التاسع عشر، خاصة ان تلك المنطقة كانت المحل الذي تشعب فيه طرق المدنيين والمصريين والعراقيين، وبناء على هذا لا بد أن الجماعات المختلفة الاوطان التي كانت تريد التوجه إلى اوطانها قد ودعت رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا شك أن عملية التوديع هذه قد أوجبت مكث رسول الله صلى الله عليه وآله في أرض الغدير مدة أطول.

وحتى لو فرضنا- افتراضاً- أن رسول الله صلى الله عليه وآله توجه نحو المدينة في اليوم التاسع عشر، فهل يمكن ان نقول- في ضوء المحاسبات التي نملكها من التاريخ حول مقدار طي هذه المسافة- أن رسول الله صلى الله عليه وآله قدم المدينة في اليوم الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين، واخذ بمقدمات قضية المباهلة ثم كتب وثيقة الصلح بينه وبين أهل نجران؟، كلا حتماً، لأن المسافة بين مكة والجحفة كما ذكرنا في الهامش المتقدم هي ثلث المسافة بين مكة والمدينة.

(٢) ويجب أن نرى الآن كم كان يستغرق من الزمن مجموع سفر القوافل - آنذاك - من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة؟ لا توجد هنا أية وثيقة توضح ذلك إلا حديث سفر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله نفسه الذي وضعه التاريخ تحت تصرفنا فان التاريخ يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قطع هذه المسافة عند هجرته من مكة إلى المدينة في مدة تسعة أيام «٢».

(١) جاء تفصيل مراسم التهئة في موسوعة الغدير: الجزء ١ ص ٢٤٥-٢٥٧.

(٢) غادر رسول الله صلى الله عليه وآله مكة مهاجراً إلى المدينة في الليلة الرابعة من شهر ربيع، ووصل إلى محلّة «قبا» حوالى الظهر في اليوم الثاني عشر من نفس ذلك الشهر، وتدلّ القرائن على أن رسول الله صلى الله عليه وآله قطع هذه المسافة بسرعة بسبب

ملاحقة قريش له (السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٩٩، الطبقات الكبرى: ج ١ ص ١٣٥).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٧

كما أن رسول الله صلى الله عليه وآله قطع هذه المسافة في مدة أحد عشر يوماً «١».

(١) و سبب التفاوت بين هاتين الرحلتين هو أن النبي صلى الله عليه وآله قطع المسافة المذكورة في الرحلة الأولى برفقة شخصين، بينما قطع تلك المسافة في الرحلة الثانية بصحبة جيش قوامه عشرة آلاف رجل، و من الطبيعي أن تتم الحركة في الصورة الثانية بصورة أكثر بطؤاً.

و لنفترض أن رسول الله صلى الله عليه وآله غادر أرض «غدیر خم» في اليوم التاسع عشر، فاننا إذا اتخذنا تسعة أيام مقياساً لتقييمنا و جب أن نقول أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا بد أنه قطع المسافة بين الجحفة و المدينة في ستة أيام لأن المسافة بينهما هي ثلثا مجموع المسافة بين مكة و المدينة، و بالتالي دخل المدينة في اليوم الرابع و العشرين.

و اذا اعتبرنا الثاني (أى احد عشر يوماً) انه هو المقياس و جب أن يقطع تلك المسافة (أى بين الجحفة و المدينة) في سبعة أيام و نصف اليوم، فيكون - حسب القاعدة - قد قدم المدينة في اليوم السادس و العشرين حوالى الظهر منه.

فهل يمكن القول - في ضوء هذه المحاسبة - بأن قضية المباهلة وقعت في اليوم الرابع و العشرين أو الخامس و العشرين او السابع و العشرين.

(٢) إن بطلان هذا القول، و خلوه عن الصحة يتضح أكثر اذا عرفنا بأن وفد نجران قبلوا بالتباهل بعد سلسلة من المفاوضات و المداولات، و قد انصرفوا عن التباهل في المال و وقّعوا على وثيقة صلح بينهم و بين النبي صلى الله عليه وآله، تحت شروط خاصة. فإن أعضاء الوفد المذكور دخلوا المدينة و هم يرتدون ثياباً راقية من الديداج و الحرير، و فى أيديهم خواتيم من ذهب، و على صدورهم صلبان من ذهب، و توجه

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٨

فور قدومهم - و على هذه الهيئة - إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله و لكن النبي واجههم بالكره بسبب الهيئة التي دخلوا بها عليه. (١) فانتهى هذا اللقاء من دون عمل شىء و تفرق أعضاء الوفد، و هم فى حيرة من موقف النبي صلى الله عليه وآله فالتقى الوفد علياً عليه السلام و سأله عن سبب استياء النبي و اعراضه عنهم، فأخبرهم الامام على عليه السلام بأن عليهم أن ينزعوا تلك الثياب و الحلّى عنهم، و يدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله بثياب عادية حتى يرتاح إليهم النبي و يستقبلهم بوجه منبسط.

فعاد أعضاء الوفد و دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله و آله ثانية و لكن بثياب عادية خالية عن الزينة و الحلّى، فاستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ببشاشة خاصة، و رحّب بهم ترحيباً كبيراً، ثم سألوا النبي صلى الله عليه وآله أن يؤدوا صلاتهم فى المسجد، فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، ثم دخلوا مع النبي صلى الله عليه وآله فى مناظرات و مناقشات مفصّلة، و بعد مناظرات مفصّلة ذكرها أكثر المفسرين و المؤرخين و منهم ابن هشام فى سيرته «١» اتفقوا على أن يحسموا الأمر بالمباهلة، و حدّد يوم المباهلة. و لما كان ذلك خرج رسول الله صلى الله عليه وآله و آله فى ذلك اليوم مع ابنته الزهراء و صهره عليّ بن أبى طالب، و سبطيه الحسن و الحسين، إلى الصحراء للمباهلة مع وفد نجران.

(٢) و لكن وفد نجران بعد أن رأوا النبي و من معه و ما هم عليهم من البساطة و الجلال انصرفوا عن الدخول فى المباهلة و رضخوا طائعين لدفع جزية سنوية الى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فهل هذه الوقائع التي استغرقت - كما يقول بعض المؤرخين - اربعة مجالس يمكن أن تكون قد تمت فى يوم واحد؟

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٥٧٥، مجمع البيان: ج ١ ص ٤١٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦١٩

(١) إن المحاسبات تقضى و تفيد بأن مراسيم المباهلة، و كتابه وثيقة الصلح من غير الممكن أن تكون قد وقعت فى اليوم الواحد و العشرين أو الرابع و العشرين، أو الخامس و العشرين أو السابع و العشرين من شهر ذى الحجة من السنة العاشرة للهجرة. هذا مضافا إلى أن «نجران» مدينة حدودية بين الحجاز و اليمن، و لا بد أن تردّد القبائل كان من شأنه ان ينقل الى مسامع النجرانيين أنباء وجود رسول الله صلى الله عليه و آله فى مكة لاداء مناسك الحج، و لهذا فان من المستبعد ان يكون وفد نصارى نجران قد اقدم على التوجه إلى المدينة للحضور عند رسول الله صلى الله عليه و آله قبل التأكد الكامل من عودته إلى المدينة و الاستقرار الكامل فيها.

(٢)

### هل كانت قضية المباهلة فى السنة التاسعة؟

هنا يمكن أن يقال بأن قضية المباهلة وقعت فى شهر ذى الحجة من السنة التاسعة، و قد ذهب إلى هذا رأى بعض المؤرخين أيضا «١».

و لكن المحاسبات التاريخية تثبت أيضا بطلان هذا رأى، و ذلك لأن الامام عليا الذى كان من الشاهدين لقضية المباهلة، كما أنه هو الذى كتب وثيقة الصلح بيده الشريفه كان قد كلّف فى التاسع من شهر ذى الحجة من هذه السنة (التاسعة) من قبل النبى صلى الله عليه و آله بمهمة إبلاغ آيات البراءة- على

(١) جاء ذكر هذا عند تفسير سورة التوبة. نقل صاحب الغدير: فى ج ٦ ص ٣١٨-٣٢١ هذا رأى من اثنين و سبعين شخصا من علماء السنة، و كأن قضية المباهلة بين النبى و وفد نجران وقعت فى آخر هذه الستة (التاسعة)، لأنه ورد أن هذا الأمر قد تم فى شهر ذى الحجة بعد فتح مكة، و لا بد ان المراد بذى الحجة ليس هو ذو الحجة من عام حجة الوداع و هى السنة العاشرة التى وقعت فيها قضية الغدير فاذن هو ذو الحجة من السنة السابقة على عام الغدير و استغرقت اربعة مجالس (بتلخيص).

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٠

المشركين فى يوم الحج الاكبر بمنى، و فى الحقيقة كانت السنة الثانية التى كانت قد انيطت اماره الحج و ادارة امر الحجيج إلى المسلمين، و كان قد اختير أمير المؤمنين أميرا على الحج فيها.

(١) و نحن نعلم أن مناسك الحج تنتهى فى اليوم الثانى عشر من شهر ذى الحجة، و لا شك أن شخصية بارزة و مسئولة كالامام على عليه السلام الذى كان يرأس الحج فى ذلك العام من غير الممكن أن يكون قد غادر مكة فى اليوم الثالث عشر و يتوجه الى المدينة و هو الذى كانت له أقرباء و انساب كثيرين فى مكة، هذا مضافا إلى أن حركة الحجيج لم تكن فى تلك العصور حركة انفرادية حتى يستطيع كل واحد منهم أن يقطع الفيافى القفراء و الصحارى القاحلة الموحشة بمفرده فكان على من يريدون الحج ان يتوجهوا بصورة جماعية الى مكة أو يغادروها إلى بلادهم.

و لهذا فان عليا عليه السلام مهما اسرع و جدّ فى السير قافلا الى المدينة، و قطع المسافة بين مكة و المدينة بسرعة فائقة فانه من غير الممكن أن يكون قدم المدينة قبل اليوم الرابع و العشرين، و لهذا كيف يمكن أن يقوم بارشاد وفد نجران و دلالتهم على ما يجب ان يفعلوه حتى يستقبلهم النبى ببشاشة و يرحّب بهم، و يشهد المباهلة مع المتباهلين.

(٢) إن الشواهد والادلة التاريخية تشهد بان النظرية المشهورة حول زمن المباهلة (يوما و شهرا و عاما) لا تحظى بالاعتبار الكافي، ولا بدّ لمعرفة زمن هذه الحادثة التي هي من مسلمات القرآن و التفسير و الحديث- من مزيد التحقيق، و مزيد الدراسة، و التقصي. و هنا يبقى سؤال لا بدّ من الإجابة عليه و هو: كيف اختار المشهورون من العلماء مثل هذه النظرية حول يوم المباهلة و شهرها و عامها. (٣) و الجواب هو: أن المرحوم الشيخ الطوسي اختار هذا القول استنادا الى رواية مسندة نقلها في كتابه و لكن في سند الحديث المذكور رجالا غير ثقات في نظر سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢١ علماء الرجال، نظراء:

١- محمّد بن أحمد بن مخزوم استاذ التلعكبري في الحديث فهو ممن لم يوثق «١».

٢- الحسن بن علي العدويّ و قد ضعّفه العلامة «٢».

٣- محمّد بن صدقة العنبري و قد وصفه الشيخ الطوسي بالغلو «٣».

و قد ذكر المرحوم السيد ابن طاوس في كتاب «الاقبال» امورا تتعلق بالمباهلة نقلا عن كتاب أبي المفضل و قد ذكرنا في الهامش (ص ٢٠٧٣) أن ابا المفضل له فترتان في حياته، فهو موثق في حال و غير موثق في حال آخر، و لا يدرى في أي حال من الحالين كتب أبو المفضل قضايا المباهلة، و اخذها عنه العلماء.

كما ان السيد استند في كتابه المذكور (ص ٧٤٣) على حديث مرفوع (و هو ما فيه نقص في رجال سنده)، و ذكر في ضوئه ان يوم المباهلة هو اليوم الرابع و العشرون على حين لا تقوم مثل هذه الرواية باثبات المدعى.

(١) و ان حاول المامقاني في تنقيح المقال توثيقه لكونه استاذ حديث.

(٢) تنقيح المقال: ج ١ ص ٢٩٤.

(٣) رجال الشيخ الطوسي: ص ٣٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٢

## ١٦٠- تقييم البراءة من المشركين ٢- وفود القبائل في المدينة

### إشارة

(١) تركت البراءة القوية التي أعلنها امير المؤمنين على عليه السلام في موسم الحج في السنة التاسعة بمنى بامر رسول الله صلى الله عليه وآله و التي أعلن فيها بصراحة و بصورة رسمية ان الله و رسوله بريئان من المشركين و الوثنيين، و أن على المشركين أن يضعوا حدّا لشركهم خلال أربعة أشهر فإما أن يسلموا و يكفّوا عن عبادة الاصنام و يهجروها، و إما أن يستعدوا لمواجهة شاملة. لقد ترك إعلان هذه البراءة الصريحة أثرها العميق و السريع، فقد ارتبكت القبائل العربية القاطنة في شتى أنحاء الجزيرة العربية التي كانت بسبب عنادها و لجأحتها ترفض الخضوع لمنطق القرآن و الاستجابة لنداء التوحيد و تصر على المضي في عاداتها الشنيعة، و العكوف على الاوهام و الخرافات و عبادة الاصنام و الأوثان.

(٢) لقد ارتكبت هذه القبائل، على اثر تلك البراءة الصريحة القوية، فعمدت إلى إيفاد وفود و مندوبين من جانبها إلى المدينة عاصمة الإسلام، و قد دار بين كل واحد من هذه الوفود و بين رسول الله صلى الله عليه وآله حوار خاص.

و قد ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى «١» مواصفات و خصوصيات اثنين



(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٩١ - ٣٣٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٣

و سبعين وفدا من تلك الوفود.

إن توافد هذه البعثات و الوفود العجيب و خاصة في أعقاب إعلان البراءة يكشف عن أن مشركى العرب فقدوا في السنة العاشرة من الهجرة كل حصين يمنعهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله، و ألا لكانوا يلجئون إليه، و يتظاهرون على رسول الله صلى الله عليه وآله و آله.

و لم تنته المدة المضروبة (اربعة أشهر) بعد إلاً و دخلت كل مناطق الحجاز و كل أقوامها تحت راية التوحيد، و لم يبق في الحجاز بيت تعبد فيه للاصنام و الاوثان ظاهرا حتى أن فريقا من سكان اليمن و البحرين و اليمامة اتبهاوا الى الاسلام فاقبلوا عليه و اعتنقوه. (١)

### محاولة اغتيال النبي:

عرفت قادة بنى عامر من بين القبائل العربية- يومئذ- بالشر و الطغيان، و قد اعترم ثلاثة اشخاص منهم هم: «عامر» و «أربد» و «جبار» على أن يدخلوا المدينة راس وفد من بنى عامر، و يتظاهروا بالتفاوض مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يغدروا به في المجلس و يغتالوه.

و كانت الخطة تقضى: بأن يتحدث «عامر» الى رسول الله صلى الله عليه وآله و يفاوضه، و فيما هو يفعل ذلك يبادر «أربد» الى ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله بسيفه.

و لم يخبر بقية اعضاء الوفد بنوايا هؤلاء الثلاثة و خطتهم، و لهذا أعلنوا لرسول الله صلى الله عليه وآله عن رغبتهم الصادقة في الاسلام، و وفائهم لشخص النبي صلى الله عليه وآله، و لكن «عامرا» احجم عن أى نوع من انواع سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٤

التظاهر بالإسلام في ذلك المجلس و كان يصرّ على رسول الله صلى الله عليه وآله أن يخلو به في مكان آخر ليتحدث معه على انفراد تمهيدا لتنفيذ الخطة المشؤومة و هو ينظر الى أربد و ينتظر منه ما كان أمره به و اتفقا عليه، و لكنه لا يزداد نظرا إلى «أربد» إلاً و يزداد «أربد» حيرة و دهشة هذا و رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعامر كلما قال: خالنى: لا و الله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له.

(١) فلما أيس «عامر» من «أربد»، و كأنّ «أربد» كلما عزم أن يجرد سيفه و يهجم على رسول الله صلى الله عليه وآله هاب النبي، و منعتة عظمتة و مهابتة، فانصرف عن نيته، قال عامر و هو يترك مجلس النبي صلى الله عليه وآله: أما و الله لأملأنها عليك خيلا و رجالا و هو بذلك يكشف عن عناده و عتوه.

فقابله رسول الله بحلم كبير، و لم يرد على كلامه و تهديده و انما اكتفى بأن دعا عليه و على صاحبه بعد أن غادر مجلس النبي صلى الله عليه وآله.

و لقد استجاب الله لدعاء نبيه سريعا فقد خرج هو و صاحبه راجعين إلى بلادهم حتى اذا كانوا في اثناء الطريق بعث الله الطاعون في عنق «عامر» فقتله ذلك المرض الوبىء في بيت امرأة من بنى سلول في صورة فضيحة، و حالة سيئة.

و أما «أربد» فارسل الله عليه و على جملة صاعقة و هو في الصحراء فحرقتهما، و قد تسببت هاتان الحادثتان الفضيعتان اللتان أصابتا عدوين لدودين من أعداء النبي صلى الله عليه وآله في أن يزداد تعلق بنى عامر برسول الله صلى الله عليه وآله و يتضاعف حبهم له



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

(٢)

### أمير المؤمنين في ربوع اليمن:

لقد مكّن اقبال اهل الحجاز على الاسلام، و أمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٦٢٥

جانب القبائل العربية، مكّن النبي من العمل على مد شعاع الاسلام إلى البلاد المتاخمة للحجاز.

فكان أول ما فعل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في هذا الصعيد هو بعث أحد أصحابه العلماء و هو «معاذ بن جبل» الى اليمن ليبلغ إلى اهلها نداء التوحيد و يشرح لهم معالم الاسلام و تعاليمه المقدسة، و قد أوصاه بوصايا كثيرة و مفصلة منها قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. «يَسِّرْ وَلَا تَعْسِرْ وَلَا تَشْرُ وَلَا تَنْفَرْ وَ إِنَّكَ سَتَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ يَسْأَلُونَكَ مَا مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: فَقُلْ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ».

(١) و يبدو أن معاذاً رغم انه كان ملماً بالكتاب العزيز و السنة النبوية و تعاليمها و احكامها، إلا انه لما سأله امرأه عن حق الزوج على الزوجة لم يملك لها جواباً مقنعاً، و لهذا رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أن يوجه الى اليمن تلميذه المتميز «علي بن أبي طالب» عليه السّلام حتى يتمكن في ضوء دعوته الدائبة، و احاديثه المبرهنه، و ما يمتلك من شجاعه أدبيه نادرة، و قوة عقليه متميزة من نشر الإسلام العظيم في تلك الربوع.

هذا مضافاً إلى أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان قد بعث «خالد بن الوليد» «١» الى اليمن من قبل ليزيل المشكلات التي كانت تعرقل تقدّم الاسلام في تلك الديار و لكنه لم يوفّق في مدة بقائه لعمل شيء في هذا المجال «٢».

(٢) فاستدعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ علياً عليه وآله علياً عليه السّلام و أخبره بأنه يريد أن يذهب الى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام، و ليخمس ركازهم، و يعلمهم

(١) صحيح البخارى: ج ٥ ص ١٦٣.

(٢) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٢٦٤.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٦٢٦

الاحكام، و يبين لهم الحلال و الحرام، و إلى أهل نجران ليجمع صدقاتهم و يقدم عليه بجزيتهم، فقال على عليه السّلام بتواضع بالغ:

«يا رسول الله تبعثنى و أنا شاب أقضى بينهم و لا أدري ما القضاء» أى ما فعلته قبل هذا.

فضرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بيده في صدر عليّ عليه السّلام و قال:

«اللهم اهد قلبه و ثبت لسانه».

(١) ثم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«يا على لا تقاتلنّ أحدا حتى تدعوه و أيم الله لئن يهدى الله على يديك رجلاً خيراً لك ممّا طلعت عليه الشمس و غربت و لك و لاؤه يا على».

ثم أوصاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بوصايا أربع هامة إذ قال:

يا على أوصيك:

١- بالدعاء فإن معه الإجابة.

٢- و بالشكر فأنّ معه المزيد.

٣- و إيتاك أن تخفر عهدا أو تعين عليه.

٤- و أنهاك عن المكر، فانه لا يحق المكر السيئ إلا بأهله، و أنهاك عن البغى، فانه من بغى عليه لينصره الله».

(٢) و لقد بقى على عليه السّلام يقوم بالقضاء طيلة أيام اقامته فى اليمن بصورة عجيبة محيرة، و قد دونت اكثر اقصيته فى كتب التاريخ و الحديث.

هذا و يروى «البراء بن عازب» و كان من الذين صحبوا عليا عليه السّلام فى سفره هذا الى اليمن انه لما انتهى على عليه السّلام و من معه إلى أوائل أهل اليمن، و بلغ القوم الخبر، فخرجوا إليه صفّ على عليه السّلام الذين كانوا

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٧

قد استقروا هناك من قبل بقيادة خالد بن الوليد، ثم صلّى بهم صلاة الفجر، ثم دعا قبيلة همدان كلّها، و كانت اكبر القبائل اليمنية، ليقرا عليهم كتاب رسول الله صلّى الله عليه و آله، فحمد الله، و اثنى عليه، ثم قرأ على القوم كتاب رسول الله صلّى الله عليه و آله فاسلمت همدان كلها فى يوم واحد متأثرة بجلال المشهد، و حلاوة البيان، و عظمة المنطق النبوى، فكتب امير المؤمنين عليه السّلام بذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فلما قرأ كتابه استبشر و ابتهج و خرّ ساجدا شكرا لله تعالى ثم رفع رأسه و جلس و قال:

«السلام على أهل همدان. السلام على أهل همدان».

ثم تتابع - على أثر اسلام همدان - أهل اليمن على الاسلام «١».

(١) الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٣٠٥، بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣٦٠-٣٦٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٨

(١)

## ٦١ حجة الوداع

### إشارة

تعتبر مراسيم الحج و مناسكه من أعظم العبادات الاسلامية الجماعية التى يؤديها المسلمون، جلالا و ابهة، و ذلك لأن أداء مراسيم الحج و مناسكه فى كل سنة مرة واحدة يمثّل بالنسبة للامة الإسلامية أكبر مظاهر الاتحاد، و الوحدة و دليلا كاملا على الترفع على المناصب و الدرجات و تكون نموذجا بارزا للمساواة بين جميع أبناء البشر، و سبيلا إلى تقوية أواصر الاخوة المتينة بين المسلمين، فاذا كان المسلمون لا ينتفعون بهذه المائدة الكبرى التى منحها ربهم لهم، و اذا كانوا لا يستفيدون من هذا المؤتمر الاسلامى السنوى العظيم (الذى يمكنه بحق أن يجيب و يعالج الكثير من مشكلاتنا الاجتماعية، و يكون نقطة تحول عميق فى حياتنا) استفادة كاملة لا ثقة، فإن ذلك ليس - و بدون ريب او شك - ناشئا من قصور فى القانون الاسلامى، بل هو دليل على قصور قادة المسلمين و تقصير حكاهم الذين لا يولون هذه المراسم و هذا الموسم العظيم اهتماما مناسبا، و لا يفكرون فى استغلاله على الوجه المطلوب.

(٢) فمنذ أن فرغ إبراهيم الخليل عليه السّلام من اقامته صرح الكعبة المعظمة و دعا الموحدين إلى زيارتها، و الحج إليها لم تزل هذه البنية الشريفة كعبة القلوب، و مطاف الشعوب و الاقوام و الجماعات الموحدة التى تأتى إليها كل عام من شتى نقاط العالم، و من مختلف انحاء الجزيرة العربية، و يؤدون عندها المناسك التى علمها إياهم النبى العظيم إبراهيم الخليل عليه و على نبينا السّلام.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٢٩

(١) ولكن تقادم العهد، وانقطاع شعب الحجاز عن قيادة الأنبياء، و أنانية قريش، و سيادة الوثنية على عقول العرب أوجب أن تتعرض مراسم الحج و مناسكه- من حيث الزمان و المكان- لعملية تحريف و تغيير، و ان تفقد صبغتها الحقيقية و وجهها الواقعي. لهذه الجهات امر رسول الله صلى الله عليه وآله في السنة العاشرة من الهجرة، و من قبل الله سبحانه ان يشارك في مراسم الحج شخصيا، و يقوم بتعليم مناسك الحج للناس، و يوقفهم على واجباتهم في هذه العبادة الكبرى عمليا، كما يقوم بإزالة كل ما علق بها من زوائد طيلة السنوات الغابرة، و يعين حدود «عرفات» و «منى» و يوم الإفاضة منها و لهذا فإن السفر كان سفرا ذا طابع تعليمي، قبل أن يكون ذا طابع سياسي و اجتماعي.

(٢) أمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الشهر الحادي من العام العاشر للهجرة (أى شهر ذى القعدة) بأن ينادى في المدينة و بين القبائل بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يقصد مكة للحج هذا العام، فحدث هذا الاعلان شوقا و ابتهاجا عظيمين في نفوس جمع كبير من المسلمين، فتهيأ عدد هائل منهم لمرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله و ضربت مضارب و خيم كثيرة خارج المدينة المنورة بانتظار حركة النبي صلى الله عليه وآله و توجهه الى مكة (١).

و في اليوم السادس و العشرين من شهر ذى القعدة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة متوجها الى مكة و قد استخلف مكانه في المدينة أبا دجانه الانصاري، و قد ساق معه ما يزيد عن ستين بدنة. و عند ما بلغ الموكب النبوي العظيم إلى «ذى الحليفة» (و هي نقطة فيها مسجد الشجرة أيضا) أحرم بلبس قطعتين عاديتين من القماش الأبيض من مسجد الشجرة، و دخل الحرم، و لبى عند الاحرام قائلا:

(١) السيرة الحلبية: ج ٣ ص ٣٨٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٠

«لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد و النعمة لك و الملك لبيك لا شريك لك لبيك».

و هو بذلك يلبي نداء إبراهيم، كما أنه صلى الله عليه وآله كان يكرّر هذه التلبية كلما شاهد راكبا، أو علا مرتفعا من الأرض، أو هبط واديا.

و لما شارف مكة قطع التلبية المذكورة.

(١) و في اليوم الرابع من شهر ذى الحجة، دخل صلى الله عليه وآله مكة المكرمة و توجه نحو المسجد الحرام رأسا، ثم دخله من باب بنى شيبه و هو يحمد الله و يثنى عليه و يصلى على إبراهيم عليه السلام.

ثم بدأ من الحجر الأسود فاستلمه «١» أولا، ثم طاف سبعة أشواط حول الكعبة المعظمة، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم و عند ما فرغ من صلاته سعى بين الصفا و المروة «٢» ثم التفت إلى حجاج بيت الله الحرام و قال: «من لم يسق منكم هديا فليحلّ و ليجعلها عمرة (أى فليقتصر أى يأخذ من شعره و ظفره فيحلّ له ما حرم عليه بالاحرام) و من ساق منكم هديا فليقم على إحرامه».

(٢) و قد كره البعض هذا و اعتذروا بانه يعزّ عليهم (أولا- يلدّ لهم) أن يخرجوا من الاحرام فيحلّ لهم ما يحرم على المحرم فلبسوا الثياب و يقربوا النساء و يتدهنوا و رسول الله صلى الله عليه وآله على إحرامه أشعث أغبر.

(١) المراد من الاستلام هو مسح الحجر الاسود باليدين قبل الشروع بالطواف و فلسفة هذا العمل هي أن هذا الحجر كان يقف عليه إبراهيم لدى بناء جدران الكعبة و اقامتها و رفعها، و استلامه نوع من تجديد الميثاق مع الخليل عليه السلام و العمل على نصره عقيدة التوحيد على نحو ما فعل إبراهيم.

و لقد اعتمر رسول الله صلى الله عليه وآله في الفترة المدنية مرتين، إحداهما في السنة السابعة و الأخرى في السنة الثامنة بعد فتح مكة، و كانت هذه ثالث عمرة يقوم بها رسول الله صلى الله عليه وآله مع الحج (الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٧٤).  
(٢) الصفا و المروة جبلان على مقربة من المسجد الحرام و السعى هو المشى بينهما ابتداء من الصفا و انتهاء بالمروة.  
سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣١

و ربما قالوا: لا يصح هذا، كيف تقطر رءوسنا من الغسل «١» و نحن زوار بيت الله؟

(١) فالتفت النبي صلى الله عليه وآله الى عمر و كان ممن بقى على احرامه و قال له: ما لى أراك يا عمر محرما؟ أسقت هديا؟ قال عمر: لم أسق.

فقال النبي: فلم لا تحلّ و قد أمرت من لم يسق بالإحلال؟

قال عمر: و الله يا رسول الله لا أحللت و أنت محرّم.

فغضب النبي لموقف الناس المتلكى هذا و قال:

«لو كنت استقبلت من أمرى ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم».

و هو صلى الله عليه وآله يعنى: أننى لو كنت أعلم بالمستقبل و لو عرفت بموقف الناس المتردد و خلافهم هذا من قبل لما سقت الهدى، و لفعلت ما فعلتموه من عدم سوق الهدى، و لكن ما ذا عسأى أن أفعل الآن و قد سقت الهدى، و لا يمكننى الإحلال من الإحرام، فيجب على أن أبقى على إحرامى «حتى يبلغ الهدى محلّه» أى أنحر هديى بمنى كما أمر الله سبحانه، و أما أنتم فمن لم يسق الهدى منكم فإنّ عليه أن يحلّ إحرامه، و احسبوها عمرة، ثم أحرموا للحج مرة أخرى «٢».  
(٢)

### الامام على يعود من اليمن:

لما علم على عليه السلام بتوجه رسول الله صلى الله عليه وآله الى مكة

(١) هذه العبارة كناية عن مقارنة الأزواج و غسل الجنائز لان مقاربتهم هي أحد محرمات الحرام و ترتفع هذه الحرمة بالتقصير و هو أخذ شيء من شعر الرأس أو اللحية أو تقليم الظفر.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٣١٩، و هذه القصة توقفنا على تعنت فريق من الصحابة و تمردهم على تعليمات النبي و أوامره الأكيدة و هم يعلمون أنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى و ثمة شواهد و موارد أخرى كثيرة على الموضوع، و قد جمعها المغفور له العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملى فى كتاب اسماه «النص و الاجتهاد».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٢

للمشاركة فى مراسم الحج خرج هو و جنوده و قد ساق معه (٣٤) هديا للمشاركة فى الحج، و اصطحب حلالا من بزّ اليمن و حريرها قد أخذها من اهل نجران و هى الجزية التى تقرّر دفعها الى النبي صلى الله عليه وآله.

(١) و لقد تعجل على عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و استخلف على جنده الذين خرجوا معه إلى الحج رجلا من أصحابه لقيادتهم حتى مكة، فالتحق برسول الله و لقيه على مشارف مكة فسر رسول الله صلى الله عليه وآله به، و بما أحرزه من نجاحات فى مهمته التى بعثه بها إلى أرض اليمن، و قد أخبر بها النبي صلى الله عليه وآله على وجه التفصيل.

فلما فرغ من بيان اخبار سفره قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: انطلق فطف بالبيت، و حلّ كما حلّ أصحابك. فقال على: يا رسول الله إنى اهلت كما أهلت.

فسأله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ إِهْلَالِهِ سَاعَةَ أَحْرَمٍ لِلْحَجِّ فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قُلْتُ حِينَ أَحْرَمْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَهْلٌ بِمَا أَهْلٌ بِهِ نَبِيِّكَ وَعَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

قال النبي وقد أخبره بأنه يشاركه في الحكم ما دام أهلٌ بهذه الكيفية: فهل معك هدى؟

قال علي: نعم وهو يشير إلى الهدى الذي ساقه معه من اليمن.

فاشركه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْحُكْمِ، وَتَبَّتْ عَلَى إِحْرَامِهِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى فَرَّغَا عَنِ الْحَجِّ وَنَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْهَدْيَ عَنِ نَفْسِهِ، كَمَا نَحَرَ عَلَى هَدْيِهِ أَيْضًا «١».

(٢) ثم إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَمَرَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنْ يَرْجِعَ إِلَى جُنُودِهِ الَّذِينَ فَارَقَهُمْ، وَيَصْطَحِبَهُمْ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا رَجَعَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِمْ

(١) الارشاد: ص ٩٢، ان هذا يدل على أن النية الاجمالية كافية ولا يلزم وقوف الناوي على تفاصيل العمل وجزئياته.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٣

وَجَدَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي اسْتَخْلَفَهُ عَلَى أَوْلِيَّتِكَ الْجُنُودِ قَدْ عَمِدَ فَكَسَا كُلَّ رَجُلٍ مِنَ الْقَوْمِ حِلَّةً مِنَ الْبِرِّ الَّذِي كَانَ قَدْ أَخَذَهُ عَلَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ لِيَسْلَمَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَانزَعَجَ مِنْ هَذَا التَّصَرُّفِ غَيْرِ الْمَشْرُوعِ وَقَالَ لَهُ: وَيْلَكَ مَا هَذَا؟

قال: كسوت القوم ليتجملوا به اذا قدموا في الناس بمكة فقال علي عليه السلام: ويلك! أنزع قبل أن تنتهي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فانتزع ذلك الرجل الحلل من الجنود، وردّها إلى مكانها مع الأشياء الأخرى من جزية أهل نجران.

فانزع جماعة من أولئك الجنود ممن يزعجهم العدل والنظام دائما ويريدون أن تسير الأمور وفق أهوائهم ومشترياتهم وان خالفت سنن الحق ومبادئ العدالة، وأبدوا شكواهم من ما صنع بهم من استرداد الحلل والثياب.

ولما قدموا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَكَّةَ اشتكوا عليا عليه السلام فقام رسول الله خطيبا في الناس وقال:

«أيها الناس، لا تشكوا عليا، فوالله إنه لأخشن في ذات الله (أو في سبيل الله) من أن يشكى» «١».

(١)

### مراسم الحج تبدأ:

انتهت أعمال العمرة، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يكره أن ينزل ويمكث في دار أحد في المدة التي بين العمرة والحج ولهذا أمر بأن تضرب له خيمة خارج مكة.

لقد حلّ اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، فخرج زوّار بيت الله الحرام في ذلك اليوم من مكة إلى أرض عرفات ليقفوا في اليوم التاسع وهو يوم عرفه من ظهر ذلك اليوم وحتى الغروب منه.

(١) السيرة النبوية: ح ٤ ص ٦٠٣ وفي البحار: ج ٢١ ص ٣٨٥: أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُنَادِيًا أَنْ يَنَادِيَ فِي النَّاسِ: «ارْفَعُوا

أَلْسِنَتِكُمْ عَنِّي فَإِنَّهُ خَشَنَ فِي ذَاتِ اللَّهِ غَيْرَ مَدَاهِنَ فِي دِينِهِ».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٤

وَقَدْ قَصَدَ النَّبِيُّ عَرَفَاتَ أَيْضًا فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ (الَّذِي يَدْعَى يَوْمَ التَّرْوِيَةِ أَيْضًا) مِنْ طَرِيقِ مَنَى، وَتَوَقَّفَ فِي «مَنَى»

إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنَ الْيَوْمِ التَّاسِعِ ثُمَّ رَكِبَ بَعِيرَهُ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ عَرَفَاتَ، وَنَزَلَ فِي خِيْمَةٍ كَانَتْ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ فِي مَكَانٍ يَدْعَى «نَمْرَةَ».

وقد ألقى في ذلك الاجتماع الهائل خطابا تاريخيا هاما وهو على ناقته.

(١)

**خطاب النبي التاريخي في حجة الوداع:**

... في ذلك اليوم الذي كانت عرفات تشهد فيه اجتماعا عظيما وحشدا بشريا هائلا، لم يشهد مثله شعب الحجاز من قبل حتى ذلك اليوم، كان نداء التوحيد وشعار الاسلام يدوي في ربوع تلك المنطقة التي كانت فيما مضى من الزمان موطن المشركين ومسكن الوثنيين ولكنها قد تحولت الآن إلى قاعدة الموحدين، وملتقى عباد الله المؤمنين.

في هذه المنطقة بالذات (أى أرض عرفات) نزل رسول الله صلى الله عليه وآله وصلى الظهر والعصر وهو يؤم مائة الف، ثم خطب فيهم خطابه التاريخي وهو راكب على راحلته، وكان أحد اصحابه- وكان رفيع الصوت قويه- يكرر كلماته صلى الله عليه وآله ليسمعه آخر من في ذلك الحشد.

لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك الخطاب هكذا:

«أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه فاني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا.

أيها الناس إن دماءكم و أموالكم «١» عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم».

و تأكيداً لحرمة أموال المسلمين و دمائهم قال صلى الله عليه وآله لربيعة بن أمية:

(١) في الخصال: ج ٢ ص ٤٨٧ أيضا: و أعراضكم.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٥

(١) «قل يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: هلّا تدرّون أيّ شهر هذا؟

فاجابوا: الشهر الحرام الذي يحرم فيه القتال و اراقة الدماء. فقال النبي صلى الله عليه وآله لربيعة:

«قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا».

ثم قال صلى الله عليه وآله لربيعة:

«قل: يا أيها الناس إن رسول الله يقول هل تدرّون أيّ بلد هذا؟»

فاجابوا جميعا: البلد الحرام، الذي يحرم فيه القتال و العدوان. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لربيعة:

«قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا».

(٢) ثم قال صلى الله عليه وآله لربيعة:

«قل لهم: هل تدرّون أيّ يوم هذا؟».

فأجابوا بأجمعهم: يوم الحج الاكبر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لربيعة:

«قل لهم: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا.

أيها الناس: إن كل دم كان في الجاهلية موضوع، و إن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث (و كان من أقرباء النبي)».

و هكذا ألغى رسول الله صلى الله عليه وآله عادة الثارات الجاهلية المشؤومة و بدأ بأقربائه.

ثم قال صلى الله عليه وآله:

«إنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم و قد بلغت فمن كانت

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٦

عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها.

(١) أيها الناس إنّ كل ربا موضوع و لكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون و إنّ ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله. أيها الناس إنّ الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، و لكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به ممّا تحقرون من أعمالكم (أو رضى منكم بمحقّرات الأعمال)، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس إنّ النسيء «١» زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً و يحرمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله فيحلّوا ما حرّم الله و يحرموا ما أحلّ الله و إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض و إنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاثة متواليه (ذو القعدة و ذو الحجة و شهر المحرم و رجب).

(٢) أيها الناس إنّ لكم على نسائكم حقاً و لهنّ عليكم حقاً:

لكم عليهم أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه (أى لا تضيفن فى بيوتكم من تكرهونه).

و عليهن أن لا يأتين بفاحشة مبيّنة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع، و تضربوهنّ ضرباً غير مبرّح، فإن انتهين فلهنّ رزقهنّ و كسوتهنّ بالمعروف و استوصوا بالنساء خيراً فإنّهنّ عندكم عوان لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، و إنكم إنما أخذتموهنّ بأمانة الله و استحلتنّ فروجهنّ بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولى فانى قد بلغت و قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبداً أمراً بيّنا كتاب الله و سنه نبيّه «٢»

(٣) أيها الناس اسمعوا قولى و اعقلوه تعلّم أنّ كل مسلم أخ للمسلم و إنّ

(١) شرحنا النسيء فى ص ٨٣ من هذا الكتاب فراجع.

(٢) لقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وآله الامه فى هذه الخطبة التاريخية بالكتاب و السنة،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٧

المسلمين إخوة فلا يحلّ لامرئ من أخيه إلّا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمنّ أنفسكم ألا فليبلغ شاهدكم غائبكم لا نبى بعدى و لا أمة بعدكم «١».

«ألا كل شىء من أمر الجاهليّة تحت قدمى موضوع» «٢».

و هنا قطع النبى صلى الله عليه وآله خطابه، و رفع سبّابته نحو السماء (كعلامة على الشهادة) و هو ينكتها الى الناس و قال:

«اللهم اشهد

اللهم اشهد

اللهم اشهد» «٣»

(١) و لقد مكث رسول الله صلى الله عليه وآله فى عرفات حتى غروب اليوم التاسع، و عند ما اختفى قرص الشمس عن الافق، و اظلم الفضاء بعض الشىء ركب ناقته، و افاض إلى المزدلفة و امضى فيها شطراً من الليل و لم يزل واقفاً من الفجر إلى طلوع الشمس فى المشعر، ثم توجه فى اليوم العاشر إلى «منى» و أدّى مناسكها من رمى الجمار و الذبح و التقصير ثم توجه نحو مكة لأداء بقية مناسك الحج.

و لكنه أوصى فى خطبة الغدير و فى اخريات حياته بالكتاب و العترة، و حيث ان هذين الحديثين وردا فى واقعتين فلا تنافى بينهما، لانه يصح ان يجعل النبى صلى الله عليه وآله السنة عدلاً للكتاب فى واقعة، و يوصى بالعترة و الخلفاء من أهل بيته فى موضع آخر و يؤكد على اتباعهم الذى هو أخذ بالسنة أيضاً.



وقد تصور بعض اعلام السنة كالشيخ محمود شلتوت في تفسيره ان النبي صلى الله عليه وآله تحدث بمثل هذا الكلام في واقعة واحدة فقط، ولهذا جعل لفظ «عتره» في الهامش نسخة بدل في حين لا نحتاج الى مثل هذا التصحيح ابدا لانه لا تعارض بين النقلين أساسا ليعالج بهذه الطريقة.

(١) الخصال: ص ٤٨٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ٤٠٥.

(٣) امتاع الاسماع: ج ١ ص ٥٢٣ و الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٨٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٨

(١) وهكذا علم رسول الله صلى الله عليه وآله الناس مناسك الحج بصورة عملية، و حدّد أو أكد على مشاعره بصورة دقيقة. و يطلق على هذه الحجّة التاريخية في كتب التاريخ و الحديث «حجّة الوداع» تارة، و «حجّة البلاغ» اخرى، و «حجّة الإسلام» ثالثة، و إنما يطلق كل عنوان من هذه العناوين على هذه الحجّة لمناسبة لا تخفى على القارئ البصير «١».

هذا و نلفت نظر القراء الكرام في خاتمة هذا الفصل إلى أن المشهور بين المحدثين هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله ألقى هذا الخطاب التاريخي الخالد في يوم عرفه و لكن يذهب بعض المؤرّخين إلى أن هذه الخطبة القيت في اليوم العاشر من شهر ذي الحجّة، و يرى آخرون أن النبي صلى الله عليه وآله خطب خطبا عديدة في هذه الحجّة مستغلا كل فرصة سانحة لبلاغ مبادئ رسالته الإلهية. هذا و قد وقعت في أثناء هذه الرحلة المقدسة قضايا و وقائع لطيفة و جديرة بالدرس و التأمل و التملّي، و قد تركنا ذكرها هنا رعاية للاختصار «٢».

(١) راجع امتاع الاسماع: ج ١ ص ٥١٠ هذا و لعلّ الوجه في تسمية هذه الحجّة بالوداع لانها آخر حجّة للنبي صلى الله عليه وآله و بالبلاغ هو نزول قوله تعالى «يا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» في أعقابها و بالتمام و الكمال هو نزول قوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي».

(٢) راجع بحار الأنوار: ج ١ ص ٣٧٨-٤١٣، امتاع الاسماع: ج ١ ص ٥١٠-٥٣٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٣٩

(١)

## ٦٢ إكمال الدين الإسلامي بتعيين الخليفة

### إشارة

الخلافة حسب عقيدة علماء الشيعة الإمامية منصب إلهي يعطى من قبل الله تعالى لأفضل أفراد الامّة، و أصلحهم، و أعلمهم، و الفرق الواضح بين الامام و النبي هو: أن النبي مؤسس قواعد الشريعة، و هو الذي يوحى إليه، و ينزل عليه الكتاب من السماء، و الامام و ان كان لا يتمتع بأى واحد من هذه الشؤون إلّا أنه مضافا إلى شئون الحكومة و القيادة هو المبيّن لما جاء به رسول الله من الدين ممّا لم يوفق- بسبب الظروف المعاكسة او عدم الفرص المناسبة- لبيانه أو اظهاره، و ترك مهمة بيانه على عاتق اوصيائه و خلفائه.

(٢) و على هذا الاساس فان الخليفة- من وجهة نظر عقيدة الشيعة الإمامية ليس مجرد حاكم زمني للمسلمين و ليس المطبق لقوانين الشريعة المقدسة و الحافظ للحقوق الاجتماعية، و الحارس لثغور المسلمين و حدود بلادهم المدافع عنها، فحسب بل هو علاوة على كل ذلك الموضح لما خفي من معالم الدين، و المكمل المبيّن لذلك الجانب من أحكام الشريعة و قوانينها الذي لم يبيّن من قبل



مؤسس الشريعة لبعض الاسباب.

أما الخلافة في عقيدة أهل السنة فهي منصب عاديّ و ليس الهدف منها إلّا حفظ الكيان الظاهريّ و الشؤون المادية للامة الإسلامية، و لخليفة لا ينصب إلّا باختيار الناس و انتخابهم أحدا لشغل منصب الحكم و القضاء و إدارة الامور السياسية و الاقتصادية و ما شابهها، و ذكر تفصيل ما بينه صاحب الشريعة من

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٠

الأحكام على نحو الاجمال.

(١) و أما بيان ما لم يوفق النبي لبيانه لأسباب خاصة فهو يرتبط بعلماء الإسلام و فقهاء المسلمين فهم يعالجون ما يستجد للناس من مشكلات فقهية و دينية من هذا النوع عن طريق الاجتهاد، و الرأي.

و على أساس هذا الاختلاف في الموقف من قضية الخلافة و حقيقتها و النظرة إليها انشطرت الامة الاسلامية إلى طائفتين و اتجاهاين لا يزالان باقيا إلى هذا اليوم.

و بناء على النظرية الاولى يكون الامام مشاركا للنبي في بعض شئونه، فيشترط في الإمام أيضا ما يشترط في النبي. و إليك الشروط المعبرة في النبي، التي تشترط في الإمام أيضا:

(٢) ١- يجب أن يكون النبي معصوما، يعني أن لا- يحوم حول الإثم و المعصية طول حياته أبدا، و لا- يزلّ أو يخطأ في بيان أحكام الدين و حقائقه، و عند الاجابة على أسئلة الناس و استفساراتهم الدينية، و يشترط في الامام ذلك أيضا، و الدليل في الموردين واحد.

(٣) ٢- يجب أن يكون النبي أعلم الناس بالشريعة، و يجب أن لا يخفى عليه شيء من مسائل الشريعة مطلقا، و هكذا يجب أن يكون الامام اعلم الناس باحكام الدين و مسائله لكونه مكملا أو مينا لما لم يبين من مسائل الشريعة في زمن النبي.

(٤) ٣- إن النبوة منصب تعييني و ليس منصبا انتخابيا، بمعنى أن النبي لا يكون نبيا إلّا اذا عينه الله و ابتعثه، و نصب في مقام النبوة من جانبه سبحانه، لأنه تعالى دون سواه يميّز المعصوم عن غير المعصوم، و هو سبحانه دون غيره يعلم من بلغ درجة العصمة عن الخطأ و المعصية في ظل العناية الربانية الغيبية الخاصة، بحيث يعرف كل تفاصيل الدين و جزئياته.

إن هذه الشروط الثلاثة كما هي معتبرة في النبي، كذلك هي معتبرة و مشترطة في خليفة و القائم مقامه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤١

(١) و لكن بناء على النظرية الثانية لا يشترط أي شيء من هذه الشروط المعبرة في النبي، في الخليفة فلا تجب العصمة، و لا العدالة، و لا- يجب العلم و الاحاطة بالشريعة و لا يشترط فيه التعيين من جانب الله، و الارتباط بعالم الغيب، بل يكفي في استحقاق الخلافة أن يكون الشخص قادرا في ظلّ ذكائه، و مشورة المسلمين على حفظ الكيان الاسلامي، و قادرا على إقرار الأمن في البلاد بتطبيق قوانين الشريعة الجزائية، كما و يتمكن من توسيع رقعة الأرض الاسلامية في ظل الدعوة الى الجهاد.

و علينا الآن ان نعالج هذه المسألة (أي هل الخلافة و الامامة منصب تنصيصي أو انتخابي و هل على النبي ان يعين نفسه من خلفه، أو يوكل الامر الى الامة لتختار من تريد). و ندرسها في ضوء المحاسبات الاجتماعية ليلمس القارئ بوضوح أن الأحوال و الظروف الاجتماعية كانت توجب أن يقوم النبي صلى الله عليه وآله بتعيين خليفته في حياته و يحلّ بذلك مشكلة الخلافة من بعده، و لا يوكل الأمر إلى الأمة.

و إليك توضيح هذا القسم و بيانه:

(٢)

**اقتضاء المحاسبات الاجتماعية في مسألة الخلافة:**

## إشارة

لا شك في أن الدين الاسلامي دين عالمي، و شريعته خاتمة، و قد كانت قيادة الامة الاسلامية من شئون النبي الاكرم صلى الله عليه و آله ما دام على قيد الحياة، و كان عليه أن يوكل مقام القيادة من بعده إلى أفضل أفراد الامة و اكملهم. إن في هذه المسألة و هي هل أن منصب القيادة بعد النبي صلى الله عليه و آله هل هو منصب تنصيصي تعيني أو انه منصب انتخابي اتجاهين:

فالشيعه يرون أن مقام القيادة منصب تنصيصي و لا بد أن يتعين خليفة النبي من جانب الله سبحانه.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٢

(١) بينما يرى أهل السنة أن هذا المنصب منصب انتخابي جمهوري، أي أن على الامة أن تقوم بعد النبي باختيار فرد من أفرادها لإدارة البلاد.

إن لكل من الاتجاهين المذكورين دلائل ذكرها أصحابهما في الكتب العقائدية، إلا أن ما يمكن طرحه هنا هو تقييم و دراسة المسألة في ضوء دراسة و تقييم الظروف السائدة في عصر الرسالة فإن هذه الدراسة كفيلاً باثبات صحة هذا الاتجاه أو ذلك.

إن تقييم الأوضاع السياسية خارج المنطقة الاسلامية و خارجها في عصر الرسالة يقضى بأن خليفة النبي كان لا بد أن يعين من جانب الله تعالى و لا يترك الأمر من دون مثل هذا التعيين الالهي، فإن المجتمع الاسلامي كان مهتداً على الدوام من جانب الخطر الثلاثي (الروم- إيران- المنافقون) بشن الهجوم الكاسح، و إلقاء بذور الفساد و الاختلاف بين المسلمين.

كما أن مصالح الامة كانت توجب أن يوحد صفوف المسلمين في مواجهة الخطر الخارجي و ذلك بتعيين قائد سياسي من بعده، و بذلك يسد الطريق على نفوذ العدو في جسم الامة الاسلامية و السيطرة عليها، و على مقدراتها. و إليك بيان و توضيح هذه المطلب:

(٢) لقد كانت الامبراطورية الرومية احد اضلاع المثلث الخطر الذي يحيط بالكيان الاسلامي و يهدده من الخارج و الداخل.

و كانت هذه القوة الرهيبة تتمركز في شمال الجزيرة العربية، و كانت تشغل بال النبي القائد على الدوام حتى إن التفكير في امر الروم لم يغادر ذهنه و فكره حتى لحظة الوفاة، و الالتحاق بالرفيق الأعلى.

و كانت اولى مواجهة عسكرية بين المسلمين، و الجيش المسيحي الرومي وقعت في السنة الهجرية الثامنة في أرض فلسطين و قد آلت هذه المواجهة إلى مقتل القادة العسكريين البارزين الثلاثة و هم: «جعفر الطيار»، و «زيد بن حارثة» و «عبد الله بن رواحة».

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٣

(١) و لقد تسبب انسحاب الجيش الاسلامي بعد مقتل القادة المذكورة إلى تزايد جرأة الجيش القيصري المسيحي فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرض عاصمة الاسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

من هنا خرج رسول الله صلى الله عليه و آله في السنة العاشرة للهجرة على رأس جيش كبير جدا إلى حدود الشام ليقود بنفسه أية مواجهة عسكرية، و قد استطاع الجيش في هذه الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد هيئته الغابرة و تجدد حياته السياسية.

غير أن هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول الله صلى الله عليه و آله فأعدّ قبيل مرضه جيشا كبيرا من المسلمين و أمر عليهم «اسامة بن زيد» و كلفهم بالتوجه إلى حدود الشام، و الحضور في تلك الجبهة.

(٢) أما الضلع الثاني من المثلث الخطير الذي كان يهدد الكيان الاسلامي فكان الامبراطورية الايرانية (الفارسية) و قد بلغ من غضب هذه الامبراطورية على رسول الله صلى الله عليه و آله و معاداتها لدعوته أن أقدم امبراطور ايران «خسرو ابرويز» على تمزيق رسالة النبي، و توجيه الاهانة الى سفيره باخراجه من بلاطه و الكتابة إلى واليه و عميله باليمن بان يوجه إلى المدينة من يقبض على رسول

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَوْ يَقْتُلُهُ إِنْ أَمْتَنَعَ!!

و «خسرو» هذا و إن قتل في زمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنْ أَمْتَنَعَ، أَوْ يَقْتُلُهُ إِنْ أَمْتَنَعَ!!

الامبراطورية الإيرانية ردحا طويلا- من الزمان- لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، و كان غرور اولئك الملوك و تجبرهم، و كبرياؤهم لا يسمح بتحمّل منافسة القوة الجديدة (القوة الاسلامية) لهم.

(٣) و الخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذي كان يعمل بين صفوف المسلمين في صورة الطابور الخامس، على تقويض دعائم الكيان الاسلامي من الداخل إلى درجة أنهم قصدوا اغتيال رسول الله، في طريق العودة من تبوك إلى سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٤ المدينة.

فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه: ان الحركة الاسلامية سينتهي أمرها بموت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَرَحِيلِهِ وَبِذَلِكَ يَسْتَرِيحُ الْجَمِيعُ (١).

(١) و لقد قام أبو سفيان بن حرب بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمَكِيدَةٍ مَشْتُومَةٍ لِتُوجِيهِ ضَرْبَهُ إِلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ مِنَ الدَّخْلِ، وَ ذَلِكَ عِنْدَ مَا أَتَى عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَبَايَعَهُ فِي مَقَابَلَةِ مَنْ عَيْنَهُ رِجَالُ السَّقِيْفَةِ، لِيَسْتَطِيعَ بِذَلِكَ تَشْطِيرَ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْوَاحِدَةَ إِلَى شَطْرَيْنِ مُتَحَارِبَيْنِ مُتَقَاتِلَيْنِ فَيَتِمَكَّنُ مِنَ التَّصِيدِ فِي الْمَاءِ الْعَكْرِ.

و لكن الامام عليا عليه السلام أدرك بذكائه البالغ نوايا أبي سفيان الخبيثة، فرفض مطلبه و قال له كاشفا عن دوافعه و نواياه الشريرة: «و الله ما أردت بهذه إلا الفتنة و انك و الله طالما بغيت للإسلام شرا ... لا حاجة لنا في نصيحتك!!» (٢).

(٢) و لقد بلغ دور المنافقين التخريبي من الشدة بحيث تعرّض القرآن لذكورهم في سور عديدة هي سورة آل عمران، و النساء، و المائدة، و الانفال، و التوبة، و العنكبوت، و الاحزاب، و محمد، و الفتح، و المجادلة، و الحديد، و المنافقين، و الحشر.

فهل مع وجود مثل هؤلاء الاعداء الخطرين و الاقوياء الذين كانوا يتربصون بالاسلام الدوائر، و يتحينون الفرص للقضاء عليه يصح أن يترك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ امته الحديثة العهد بالاسلام، الجديدة التأسيس من دون ان يعين لهم قائدا دينيا سياسيا.

إن المحاسبات الاجتماعية تقول: انه كان يتوجب ان يمنع رسول الاسلام

(١) الطور: ٣٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٢٢٢، العقد الفريد: ج ٢ ص ٢٤٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٥

بتعيين قائد للامة، من ظهور أي اختلاف و انشقاق فيها من بعده، و ان يضمن استمرار و بقاء الوحدة الاسلامية بايجاد حصن قوى و سياج دفاعي متين حول تلك الامة.

(١) إن تحصين الامة، و صيانتها من الحوادث المشؤومة، و الحيلولة دون حدوث ظاهرة مطالبه كل فريق الزعامة لنفسها دون غيرها، و بالتالي التنازع على مسألة الخلافة و الزعامة لم يكن ليتحقق إلا بتعيين قائد للامة، و عدم ترك الامور للقدر.

إن المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحة نظرية «التنصيب على القائد بعد رسول الله»، و لعل لهذا الجهة، و لجهات اخرى طرح رسول الاسلام مسألة الخلافة في الايام الاولى من ميلاد الرسالة الاسلامية و ظل يواصل طرحها و التذكير بها طول حياته حتى الساعات الأخيرة منها حيث عين خليفته و نص عليه بالنص القاطع الواضح الصريح في بدء دعوته، و في نهايتها أيضا.

و إليك بيان كلا هذين المقامين:

(٢)

**١- النبوة و الامامة توأمان:**

بغض النظر من الأدلة العقلية على صحة المحاسبة الاجتماعية التي تثبت حقانية الرأي الأول بصورة قطعية هناك أخبار و روايات وردت في المصادر المعتمدة تثبت صحة الموقف و الرأي الذي ذهب إليه علماء الشيعة، و تصدقه، فقد نص النبي صلى الله عليه وآله على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مرارا و تكرارا، و اخرج موضوع الامامة من مجال الانتخاب الشعبي، و الرأي العام. فهو لم يعين (و لم ينص على) خليفته و وصيه من بعده في اخريات حياته فحسب، بل بادر إلى التعريف بخليفته و وصيه في بدء الدعوة يوم لم ينصو تحت راية رسالته بعد سوى بضع عشرات من الاشخاص، و ذلك يوم أمر من جانب الله العلي القدير أن ينذر عشيرته الاقربين من العذاب الالهى الاليم، و أن يدعوهم

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٦

إلى عقيدة التوحيد قبل ان يصدر رسالته للجميع و يبدأ دعوته العامة للناس كافة.

(١) فجمع أربعين رجلا من زعماء بنى هاشم و بنى المطلب ثم وقف فيهم خطيبا فقال:

«أيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيى و خليفتى فيكم».

فاحجم القوم، و قام على عليه السلام، و اعلن مؤازرته و تأييده له، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وآله برقبته و التفت الى الحاضرين و قال:

«إن هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم» (١).

و قد عرف هذا الحديث عند المفسرين و المحدثين ب: «حديث يوم الدار، و «حديث بدء الدعوة».

على أن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يكتف بالنص على خليفته في بدء رسالته، إنما صرح في مناسبات شتى، فى السفر و الحضر، بخلافه على عليه السلام من بعده و لكن لا يبلغ شىء من ذلك فى الاهمية و الظهور و الصراحة و الحسم ما بلغه حديث الغدير.

(٢)

**٢- قصة الغدير:****إشارة**

لما انتهت مراسم الحج، و تعلم المسلمون مناسكه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قرّر رسول الله صلى الله عليه وآله الرحيل عن مكة، و العودة الى المدينة، فأصدر أمرا بذلك.

و لما بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقة «رايغ» (٢) التي تبعد عن

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٢١٦، الكامل فى التاريخ: ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ و قد مر مفصله فى هذه الدراسة فراجع.

(٢) رايغ تقع الآن على الطريق بين مكة و المدينة.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٧

«الجحفة» (١) بثلاثة أميال نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله بمنطقته تدعى «غدیر خم» وخطبه بالآية التالية: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس» (٢).

(١) إن لسان الآية و ظاهرها يكشف عن أن الله تعالى ألقى على عاتق النبي صلى الله عليه وآله مسئولية القيام بمهمة خطيرة، و أى أمر أكثر خطورة من أن ينصب عليا عليه السلام لمقام الخلافة من بعده على مرأى و مسمع من مائة ألف شاهد.

من هنا أصدر رسول الله صلى الله عليه وآله أمره بالتوقف، فتوقفت طلائع ذلك الموكب العظيم، و التحق بهم من تأخر. لقد كان الوقت وقت الظهيرة، و كان الجو حارا الى درجة كبيرة جدا، و كان الشخص يضع قسما من عباءته فوق رأسه و القسم الآخر منها تحت قدميه، و صنع للنبي صلى الله عليه وآله مظلة و كانت عبارة عن عباءة القيت على أغصان شجرة، (سمره) و صلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالحاضرين الظهر جماعة، و فيما كان الناس قد احاطوا به صعد صلى الله عليه وآله على منبر اعد من أحجاج الإبل و أقتابها، و خطب فى الناس رافعا صوته و هو يقول:

(٢) «الحمد لله و نستعينه و نؤمن به و نتوكل عليه و نعوذ به من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا، الذى لا هادى لمن ضلّ و لا مضلّ لمن هدى و أشهد ان لا إله إلا هو و أن محمدا عبده و رسوله.

أما بعد، أيها الناس قد نبأنى اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف الذى قبله، و إنى أوشك أن ادعى فأجيب و أنى مسئول و انتم مسئولون فما ذا انتم قائلون؟

(١) من مواقيت الاحرام و تنشعب منها طرق المدنيين و المصريين و العراقيين.

(٢) المائدة: ٦٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٨

قالوا: نشهد أنك قد بلغت و نصحت و جهدت فجزاك الله خيرا (١) قال صلى الله عليه وآله:

«ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله و أن جنته حق و أن الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور؟»

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال صلى الله عليه وآله:

«اللهم اشهد».

ثم قال صلى الله عليه وآله:

«إننى تارك فىكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا».

فنادى مناد: بأبى أنت و أمى يا رسول الله، و ما الثقلان؟

فقال صلى الله عليه وآله:

«كتاب الله سبب طرف بيد الله و طرف بأيديكم فتمسكوا به و الآخر عترتى و إن اللطيف الخبير نبأنى أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فلا تقدموهما فتهلكوا و لا تقصروا عنهما فتهلكوا».

(٢) و هنا أخذ بيد «على» عليه السلام و رفعها حتى رؤى بياض آباطهما و عرفه الناس اجمعون ثم قال:

«أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: الله و رسوله أعلم.

فقال صلى الله عليه وآله:

«إن الله مولاي و أنا مولى المؤمنين و أنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلى مولاه «١»، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه و انصر من نصره، و اخذل من خذله و احب من احبه و ابغض من ابغضه و ادر الحق معه حيث دار» «٢».

(١) لقد كرر النبي صلى الله عليه و آله هذه العبارة ثلاث مرات دفعا لأى التباس أو اشتباه.

(٢) راجع للوقوف الكامل على مصادر هذا الحديث المتواتر موسوعه الغدير للعلامة الامينى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٤٩

(١)

### واقعة الغدير خالده الى الأبد:

لقد تعلقت المشيئة الربانية بأن تبقى واقعة الغدير التاريخية فى جميع القرون و العصور كتاريخ حتى يجتذب القلوب و الافئدة، و يكتب عنه الكتاب الاسلاميون فى كل عصر و زمان و يتحدثون حوله فى مؤلفاتهم المتنوعة فى مجال التفسير و التاريخ و الحديث و العقائد، كما يتحدث حوله الخطباء فى مجالس الوعظ و من فوق صهوات المنابر، و يعتبرونها من فضائل الإمام «على» الذى لا يتطرق إليها أى شك أو ريب.

و لم يقتصر هذا على الكتاب و الخطباء بل استلهم الشعراء من هذه الواقعة الكبرى التى فجرت بالتفكير حول هذه الحادثة، و بالاخلاص لصاحب الولاية ينايع التعبير فى وجودهم فأنشئوا أروع القصائد، و جادت قرائحهم بأنواع مختلفة من القصيد الجميل، و خلفوا لمن بعدهم و بلغات مختلفة آثارا أدبية و لائيه خالده.

(٢) و لهذا قلما نجد حادثة تاريخية حظيت فى العالم البشرى عامة و فى التاريخ الاسلامى و الامة الاسلاميه خاصة بمثل ما حظيت به واقعة الغدير، و قلما استقطبت اهتمام الفئات المختلفة من المحدثين و المفسرين و الكلاميين و الفلاسفة، و الشعراء و الأدباء، و الكتاب و الخطباء، و ارباب السير و المؤرخين كما استقطبت هذه الحادثة، و قلما اعتنوا بشىء مثلها اعتنوا بها.

إن من أسباب خلود هذه الواقعة الكبرى و دوام هذا الحديث هو: نزول آيتين من آيات القرآن الكريم فيها «١»، فما دام القرآن الكريم باقيا مستمرا يتلى آناء الليل و أطراف النهار تبقى هذه الحادثة فى الاذهان و النفوس و لا تمحو خاطرتها من العقول و القلوب.

(١) المائدة: ٦٧ و ٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٠

(١) و حيث أن المجتمع الاسلامى فى العصور الغابرة و كذا الطائفة الشيعية كانوا يعتبرون هذا اليوم عيدا كبيرا من الأعياد الدينية، و كانوا يقيمون فيها ما يقيمونه من المراسيم فى الاعياد الاسلاميه لهذا فان هذه الحادثة التاريخية (حادثة الغدير) قد اتخذت طابع الابدية و الخلود الذى لا تمحى معه خاطرتها من الأذهان و الخواطر.

هذا و يستفاد من مراجعه التاريخ بوضوح أن اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة الحرام كان معروفا بين المسلمين بيوم عيد الغدير و كانت هذه التسمية تخطى بشهرة كبيرة إلى درجة أن ابن خلكان يقول حول «المستعلى بن المستنصر»: فبويح فى يوم غدير خمّ و هو الثامن عشر من شهر ذى الحجة سنة ٤٨٧ «١».

(٢) و قال فى ترجمه المستنصر بالله العبيدى: و توفى ليلة الخميس لا- ثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة سنة سبع و ثمانين و اربعمائة، قلت: و هذه هى ليلة عيد الغدير اعنى ليلة الثامن عشر من شهر ذى الحجة و هو غدير خم «٢».

و قد عدّه ابو ريحان البيرونى فى كتابه «الآثار الباقية» ممّا استعمله أهل الاسلام من الأعياد «٣».

و ليس ابن خلكان و ابو ریحان البيروني، هما الوحيدان اللذان صرّحا بكون هذا اليوم هو عيد من الاعياد، بل هذا الثعلبي قد اعتبر هو الآخر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين «٤».

إن عهد هذا العيد الاسلامي و جذوره ترجع إلى نفس يوم «الغدير» لأن النبي صلى الله عليه وآله أمر المهاجرين و الانصار بل أمر زوجاته و نساءه في ذلك

(١) وفيات الأعيان: ج ١ ص ٦٠.

(٢) وفيات الأعيان: ج ١ ص ٦٠.

(٣) ترجمة الآثار الباقية: ص ٣٩٥ الغدير: ج ١ ص ٢٦٧.

(٤) ثمار القلوب: ص ٥١١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥١

اليوم بالدخول على «عليّ» عليه السلام و تهنته بهذه الفضيلة الكبرى.

يقول زيد بن ارقم: كان أول من صافق النبي صلى الله عليه وآله و عليا:

أبو بكر و عمر و عثمان و طلحة و الزبير و باقي المهاجرين و الانصار و باقي الناس «١».

(١)

### الدلائل الاخرى على أبدية الغدير:

و يكفى في أهمية هذا الحدث التاريخي أنّ هذه الواقعة التاريخية رواها مائة و عشرة صحابيّ، على أنّ هذه العبارة لا تعنى أنّ رواية هذه الواقعة اقتصرّت على هؤلاء المائة و العشرة من ذلك الحشد الهائل بل يعنى أنّ هؤلاء جاء ذكرهم في كتب أهل السنة و مصنفاتهم.

صحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ألقى خطابه المذكور الذي تضمّن نصب عليّ عليه السلام للخلافة في مائة الف او يزيدون من الناس و لكن كثيرا منهم كانوا قد أتوا من مناطق نائية من الحجاز و لهذا لم يرو عنهم هذا الحديث، كما ان كثيرا من الذين حضروا ذلك المشهد التاريخي العظيم رووا و نقلوا للآخرين هذا الحديث و لكن التاريخ لم يوفق لذكر أسمائهم، أو إذا تمّ ذلك لكن لم يصل إلينا.

(٢) ثم إنّ روى هذا الحديث في القرن الثاني الاسلامي و هو عصر التابعين تسعة و ثمانون تابعيا.

و قد بلغ عدد من روى حديث «الغدير» في القرون اللاحقة في كتابه من علماء أهل السنة و فضلائهم ثلاثمائة و ستون شخصا، و صحّحه جمع كبير منهم و اعترفوا بتواتره.

ففي القرن الثالث رواه اثنان و تسعون عالما.

و في القرن الرابع رواه أربعة و اربعون.

(١) راجع مصدره في الغدير: ج ١ ص ٢٧٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٢

و في القرن الخامس رواه أربعة و عشرون.

و في القرن السادس رواه عشرون.



و في القرن السابع رواه واحد و عشرون.

و في القرن الثامن رواه ثمانية عشر.

و في القرن التاسع رواه ستة عشر.

و في القرن العاشر رواه أربعة عشر.

و في القرن الحادى عشر رواه اثنا عشر.

و في القرن الثانى عشر رواه ثلاثة عشر.

و في القرن الثالث عشر رواه اثنا عشر.

و في القرن الرابع عشر رواه عشرون عالما.

(١) و لم يكتب البعض بنقل و رواية هذا الحديث فى كتبهم و مؤلفاتهم بل ألفوا حوله رسائل أو كتباً مستقلة.

و قد ألف المؤرخ الاسلامى الكبير «الطبرى» كتابا فى هذا المجال أسماه «الولاية فى طرق حديث الغدير» روى فيه هذا الحديث عن النبى بخمس و سبعين سندا.

و لقد روى «ابن عقدة» فى رسالته «الولاية» هذا الحديث بمائة و خمسين حديثا.

و روى أبو بكر محمد بن عمر البغدادى المعروف بالجمعانى هذا الحديث بخمس و عشرين سندا.

كما روى من علماء الحديث هذه الواقعة نظراء:

أحمد بن حنبل الشيبانى ب ٤٠ سندا

ابن حجر العسقلانى ب ٢٥ سندا

الجزرى الشافعى ب ٨٠ سندا

أبو سعيد السجستانى ب ١٢٠ سندا

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٣

الأمير محمد اليمنى ب ٤٠

النسائى ب ٢٥٠ سندا

أبو العلاء الهمدانى ب ١٠٠ سندا

أبو العرفان الحبان ب ٣٠ سندا

(١) و بلغ عدد من ألف رسالة خاصة أو كتابا مستقلا حول هذه الواقعة و خصوصياتها و تفاصيلها ٢٦ شخصا و لعل هناك غيرهم ممن ألف كتابا أو رسالة مستقلة حول هذه الحدث التاريخى الهام لم يذكر التاريخ أسماءهم، أو ضاعت مؤلفاتهم مع التطورات التى طرأت على الامة الإسلامية و ضيقت الكثير من تراثها الفكرى خلال عمليات الاغارة و النهب أو الهدم و الإحراق (و لقد اقتبسنا كل هذه الاحصاءات من كتاب الغدير الجزء الاول).

و لقد كتب علماء الشيعة كتابا قيمة حول هذه الواقعة أجمعها و اشملها كتاب «الغدير» بقلم العلامة الجليل و الكاتب الاسلامى القدير المرحوم آية الله الشيخ الأمينى رحمه الله، و الذى يقع فى أحد عشر مجلدا فى ما يقرب من ستة آلاف صفحة، و قد استفدنا كثيرا من تلك الموسوعة فى تنظيم الفصل الحاضر.

(٢) ثم ان النبى صلى الله عليه و آله لم يلبث ان نزل عليه قوله تعالى بعد نصبه عليا لامرأة المسلمين فى تلك الواقعة:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا» «١».

فكبر النبى صلى الله عليه و آله بصوت عال ثم أضاف قائلا:



«الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتى، وولاية على بن أبى طالب من بعدى».

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك المنبر المصنوع من حدائج

(١) المائدة: ١ و ٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٤

الابل وأمر أمير المؤمنين علياً عليه السلام أن يجلس فى خيمه وأمر أطباق الناس وكل من حضر المشهد من امته ومنهم الشيخان ومشيوخه قریش ووجوه الأنصار كما أمر أمهات المؤمنين بالدخول على أمير المؤمنين عليه السلام وتهنئته على تنصيبه لمنصب الامامة والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ف فعل الناس ذلك وانكبوا على «على» عليه السلام بايديهم وكان أول من صافق وهنأ علياً أبو بكر وعمر واصفين إياه بالولاية. (١) وهنا قام «حسان بن ثابت الأنصارى» شاعر الاسلام واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله فى أن ينشد شعراً بهذه المناسبة، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله قائلاً: قل على بركة الله.

ف قام حسان وقال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخم وأسمع بالنبي منادياً  
وقد جاءه جبريل عن أمر ربه بأنك معصوم فلا تك وانيا  
و بلغهم ما انزل الله ربهم إليك ولا تخشى هناك الأعاديا  
ف قام به إذ ذاك رافع كفه بكف على معلن الصوت عالياً  
ف قال فمن مولاكم ولينكم فقالوا ولم يبدوا هناك تعامياً  
إلهك مولانا وأنت ولينا ولن تجدن فينا لك اليوم عاصياً  
ف قال له: قم يا على فإننى رضيتك من بعدى إماماً و هادياً  
ف من كنت مولاة فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق موالياً  
هناك دعا اللهم وال وليه و كن للذى عادى علياً معادياً

فيا رب انصر ناصريه لنصرهم امام هدى كالبدر يجلو الدياجيا (٢) ولقد كان هذا الحديث على مدى التاريخ الاسلامى اكبر دليل على أفضلية على عليه السلام على جميع صحابه النبى صلى الله عليه وآله كافة، حتى أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام احتج به مراراً فقد احتج به فى مجلس الشورى الذى عقد لتعيين الخليفة عقب وفاة الخليفة الثانى، وفى أيام خلافة عثمان وفى أيام

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٥

خلافته عليه السلام أيضاً، كما أن شخصيات كثيرة من وجوه المسلمين احتجوا به على منكرى حق على وأفضليته وكان ذلك دأبهم دائماً وأبداً.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٦

حوادث السنة العاشرة من الهجرة

٦٣ (١) ١- المتنبئون كذبا «١» [أدعياء النبوة] ٢- التفكير فى أمر الروم

بعد الانتهاء من مراسم تعيين الخليفة في «غدیر خم» انفصلت جموع الحجيج المشاركة في مراسم «حجة الوداع» من الوافدين من الشام ومصر، عن النبي صلى الله عليه وآله في أرض الجحفة والذين شاركوا في هذه المراسم من «حضر موت» و«اليمين» انفصلوا عنه في هذه النقطة أو في نقطة سابقة وقلوا راجعين إلى أوطانهم.

ولكن العشرة آلاف الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله عادوا مع النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة، ووصلوها قبل أن تأتي السنة العاشرة من الهجرة على نهايتها.

(٢) كان رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون فرحين جدا لانتشار الإسلام في شتى نقاط الجزيرة العربية، ولانتهاء عهد الحاكمية الوثنية والشرك في كل مناطق الحجاز، وبالتالي لزوال جميع الموانع والعراقيل التي كانت تحول دون نفوذ الإسلام، وانصواء الناس تحت لوائه المبارك.

لم يكن شهر ذى الحجة من السنة العاشرة قد انتهت بعد يوم قدم نفران من «اليمامة» المدينة، و سلما كتابا من «مسيلم» الذي عرف فيما بعد ب «مسيلم»

(١) كانت مراسلة مسيلم للنبي صلى الله عليه وآله في نهايات السنة الهجرية العاشرة وكذا ادعاء الاسود العنسى للنبو، وقد دمجنا ذكرهما في حوادث الفصل الثالث والستين تقريبا لفصول هذا الكتاب.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٧

الكذاب» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

ففتح أحد كتاب النبي صلى الله عليه وآله الرسالة وقرأها عليه فكان مضمونها ان شخصا باليمامة يدعى «مسيلم» يدعى النبو و يشرك نفسه مع رسول الإسلام في أمر الرسالة، ويريد من خلال كتابه أن يبلغ النبي صلى الله عليه وآله بذلك، ويعرفه بنبوته. (١) وقد اثبتت كتب السير والتواريخ الاسلامية نص الكتاب المذكور.

ويوحى اسلوب الرسالة المذكورة بأن صاحبها اراد تقليد الاسلوب القرآني في البيان والتعبير ولكن محاولته باءت بالفشل فلم يستطع تقليده، و اتى بعبارات خاوية خالية من روح، يفوقها الكلام العادي في القوة بدرجات. فلقد كتب «مسيلم» في كتابه هذا: (١).

أما بعد، فاني قد اشركت في الأمر معك، و ان لنا نصف الأرض، و لقريش نصف الارض، و لكن قريشا قوما يعتدون. و لما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله على مضمون الرسالة، التفت إلى من حملها إليه و قال: «أما و الله لو لا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم لأنكم أسلمتم من قبل و قبلتم برسالتى فلم اتبعتم هذا الاحمق و تركتم دينكما».

(٢) ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله أملى على كاتبه كتابا إلى مسيلم قصير المحتوى، مفحم المفاد. و إليك نص رسالة النبي صلى الله عليه وآله:

«بسم الله الرحمن الرحيم.

من محمد رسول الله إلى مسيلم الكذاب السلام على من اتبع الهدى.

أما بعد فإن الارض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين» (٢).

(١) و من شدة جهله أنه لم يبدأ كتابه باسم الله، بل و لم يفعل ما فعله حتى المشركون في العهد الجاهلي.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٠٠ و ٦٠١ و تكفى مقارنته بين نص الكتابين في معرفة حقيقة الشخصين.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٨

(١)

**لمحة عابرة عن هوية مسيلمه:**

كان مسيلمه من الأشخاص الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة في السنة العاشرة من الهجرة وأسلم في من اسلم، ولكنه بعد أن عاد إلى موطنه ادعى النبوة، وأجابه طائفة من السذج والبسطاء، وربما من المتعصبين من قومه. ولم يكن نجاح دعوته الباطلة في «اليمامة» دليلاً على شخصيته الواقعية، بل التف حوله فريق ممن تبعه تعصبا وحمية مع أنهم علموا بكذبه، وزيف دعوته إذ كانوا يقولون: «كذاب ربيعه أحب إلينا من صادق مضر» وقد قال هذه العبارة أحد أتباعه لما سأل مسيلمه ذات مرة: من يأتيك؟ قال: رحمان، قال: أفي نور أو في ظلمة؟ فقال: في ظلمة، فقال أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق ولكن كذاب ربيعه أحب إلينا من صادق مضر «١».

إن من المسلم أن الرجل قد ادعى النبوة، وتبعه على ذلك فريق من قومه، ولكنه لم يثبت قط أنه تصدى لمعارضة القرآن، وما اثر عنه- في النصوص التاريخية- من عبارات وجملة في معارضة القرآن لا يمكن أن تكون من كلام رجل فصيح كمسيلمه لأن عباراته العادية واحاديثه الأخرى في غاية البلاغة والإتقان، فكيف تصدر منه هذه العبارات الضعيفة.

(٢) ولهذا يمكن القول بأن ما نقل عنه- على غرار ما نقل عن معاصره «الاسود بن كعب العنسي» الذي ادعى النبوة معه في اليمن- إنما هي أمور نسبت إليه، والصقت به الصاقاً لاسباب خاصة لان عظمة القرآن و بلاغته الفائقة في حد لا يجراً معها أحد على التفكير في معارضة القرآن ومقابلته، و يعلم كل عربي بحكم فطرته الالهية أن هذا الاسلوب الجذاب وأن عظمة المعاني القرآنية و سموها تجعل القرآن الكريم فوق حدود الطاقة البشرية، فكيف يحاول أحد معارضته ومقابلته.

(١) تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٥٠٨ و يقصد بالاول مسيلمه و بالثاني رسول الله صلى الله عليه وآله.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٥٩

(١) ثم ان مواجهة المرتدين من العرب كان أول ما قام به الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و لهذا حوصرت منطقة «مسيلمه» من قبل جنود الاسلام، و ضيق عليه الحصار شيئاً فشيئاً، حتى اذا اتضحت هزيمة ذلك الكذاب، قال له بعض أتباعه السذج: أين ما كنت تعدنا (من النصر الالهي) فقال مسيلمه: أما الدين فلا، قاتلوا عن أحسابكم.

و لكن الدفاع عن الاحساب و الكرامة لم يجد مسيلمه و لا أتباعه شيئاً، فقد قتل هو و فريق منهم في بستان على أيدي المسلمين، و انتهت بذلك خرافة نبوته المدعاة «١».

إن هذه العبارة القصيرة تكشف عن انه كان رجلاً- فصيحاً و ناطقاً بليغاً، كما انها تفيد انه لم يكن صاحب تلك العبارات الباردة الخاوية التي نسبت إليه- في التاريخ و السيرة- في معارضة القرآن الكريم.

(٢)

**التفكير في أمر الروم:**

مع أن ظهور مثل هؤلاء المتنبئين الكذبة في شتى مناطق الحجاز كان خطراً على وحدة أهلها الدينية، فان التفكير في أمر الروم الذين كانت الشامات و فلسطين من مستعمراتهم آنذاك- كان يستأثر باهتمام رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر من غيره لأنه كان يعلم بأن القادة اللاتنيين في اليمامة و اليمن قادرين على مواجهة المتنبئين، و لهذا قضى على «الاسود العنسي» و هو رجل آخر ادعى النبوة

كذبا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك بعد يوم من وفاة النبي صلى الله عليه وآله والى اليمن. لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله متيقنا واثقا من أن الدولة الرومية التي تلاحظ اتساع رقعة النفوذ الاسلامي الصاعد، والتي رأت كيف أن رسول

(١) تاريخ الطبرى: ج ٢ ص ٥١٤-٥١٦. سيد المرسلين ج ٢ ٦٦٠ التفكير في أمر الروم: ..... ص: ٦٥٩

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٠

الاسلام استطاع أن يقتلع جذور اليهودية من الحجاز، و فرض الجزية على فريق النصارى يدفعونها للحكومة الاسلامية، غاضبة لذلك اشد الغضب.

(١) لقد كان النبي صلى الله عليه وآله منذ أمد بعيد يعتبر خطر الروم خطرا جديا لا يمكن التغاضي عنه و احتقاره، و لهذا السبب نفسه وجه في السنة الثامنة من الهجرة جيشا كبيرا قوامه ثلاثة آلاف بقيادة «جعفر بن أبى طالب» و «زيد بن حارثة» و «عبد الله بن رواحة» إلى تخوم الشام حيث يسيطر الروم، و قد استشهد في هذه المعركة القادة الثلاثة، و قفل الجيش الاسلامي راجعا إلى المدينة من دون انتصارات بتدبير من خالد بن الوليد.

و في السنة التاسعة عند ما بلغه نبأ استعداد الروم لمهاجمة الحجاز و هو آنذاك في المدينة خرج صلى الله عليه وآله بشخصه على رأس جيشه قوامه ثلاثون ألفا إلى تبوك، و عاد من دون مواجهة إلى المدينة.

(٢) و لهذا كان هذا الخطر جديا في نظر النبي صلى الله عليه وآله.

و من هنا فانه صلى الله عليه وآله لما عاد من «حجة الوداع» إلى المدينة هتيا جيشا من المهاجرين و الانصار اشرك فيه اشخاصا معروفين بارزين مثل أبى بكر و عمر و أبى عبيدة و سعد بن الوقاص و. و. و أمر بأن يشارك فيه كل من هاجر إلى المدينة خاصة «١». ثم ان رسول الله صلى الله عليه وآله لتحريك مشاعر المجاهدين عقد بيده «٢» لواء لأسامة بن زيد الذى أمره على ذلك الجيش. و قال له:

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٤٢، النص و الاجتهاد: ص ١٢.

(٢) يذهب كتاب السنة إلى أن النبي عقد اللواء المذكور فى ٢٦ صفر، و حيث أن وفاة النبي صلى الله عليه وآله حسب روايتهم كانت فى ١٢ ربيع الاول لهذا فان من الممكن ان تقع الحوادث التى سيأتى ذكرها مستقبلا تدريجا فى مدة ١٦ يوما، و لكن حيث أن الشيعة يرون تبعا لما رواه عترته النبي أن وفاة النبي صلى الله عليه وآله كانت فى ٢٨ صفر لهذا يجب أن يكون عقد اللواء قد تم قبل ٢٦ صفر بمدد يمكن وقوع كل هذه الحوادث الكثيرة فى هذه المدد.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦١

«سر الى موضع قتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، فاغز صباحا و سن الغارة على أهل ابني» «١».

فاعطى «اسامة» اللواء الى «بريدة» و عسكر بالجرف «٢» ليلتحق به جنود الاسلام أفواجا أفواجا، و ليتحرك الجميع فى وقت واحد.

(١) لقد اختار رسول الله صلى الله عليه وآله لقيادة هذا الجيش شابا فى مقتبل العمر، و أمره على طائفة كبيرة من شيوخ الانصار و المهاجرين، و لقد أراد صلى الله عليه وآله من فعله هذا أمرين:

أولا: أن يجبر- من خلال ذلك- ما لحق من المصيبة باسمه بسبب مقتل والده «زيد بن حارثة» الذى استشهد فى معركة مؤتة مع الروم، و ليرفع من شخصيته.

ثانيا: أراد أن يؤكد قانونه فى مجال التوصيف و توزيع المناصب و المسؤوليات و يجعل ذلك على اساس الكفاءة و الشخصية القيادية

ان المناصب و المسؤوليات الاجتماعية لا تحتاج إلى غير الكفاءات و المؤهلات و لا ترتبط بحال بالعمرو السن. لقد فعل النبي ذلك حتى يهتى الشباب الذين يتمتعون بالمؤهلات الكافية لتسلم المسؤوليات الاجتماعية الثقيلة و يحلموا أن المناصب و المهام - فى النظام الاسلامى - ترتبط ارتباطا مباشرا بالكفاءة و المؤهلات القيادية، لا العمر و السن.

(٢) ثم ان الاسلام الواقعى هو الانضباطية الشديدة و الانقياد الكامل تجاه التعاليم الالهية السامية، و المسلم الحقيقى هو من ينقاد لتعاليم الله تعالى و اوامره تعاليمه و يقبل بها من كل قلبه كجندى فى ساحة القتال، سواء أ كانت له فيها نفع أم لا، و سواء أ كانت تضرب به أم لا، و سواء أ كانت مطابقة لأهوائه و مطامحه أم لا.

(١) «ابن» من مناطق اللقاء و تقع فى الأراضى السورية و قرب مؤتة بين «عسقلان» و «الرملة».

(٢) منطقة واسعة على بعد ثلاثة أميال مدينة من جانب الشام.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٢

(١) و لقد بين الامام على عليه السلام حقيقة الاسلام فى عبارة موجزة و لكن بليغة و معبرة اذ قال: «الاسلام هو التسليم» (١).

إن الذين يؤمنون ببعض تعاليم الاسلام دون بعض، كلما واجهوا ما لا يوافق اهواءهم الباطنية منها اعترضوا عليه و حاولوا التملص من المشاركة فى تنفيذها بشتى المعاذير و الحجج.

لا شك أن هذا الفريق يفتقر إلى روح الانضباطية، و التسليم الواقعى و الانقياد الكامل الذى يمثل روح الاسلام و أساسه.

لقد كان تأمير قائد شاب يدعى «اسامة بن زيد» الذى لم يكن يتجاوز يومذاك - العشرين عاما «٢» شاهد صدق على ما نقول، لأن تأميره على ليفى من الصحابة يكبرون عنه فى العمر أضعافا شق على البعض، لأنهم اعترضوا على الاجراء، و طعنوا فى اسامة، و اطلقوا عبارات تكشف جميعها عن افتقارهم لروح الانقياد و الطاعة و التسليم الذى يجب أن يتحلى بها الجندى المسلم تجاه قائد الاسلام الأعلى (النبي)، و اوامره و تعييناته.

و لقد كان محور كلامهم هو أن النبي أمر شابا صغير السن على شيوخ من الصحابة (٣).

(٢) و لكنهم غفلوا عن المصالح و الأهداف التى توخاها رسول الله صلى الله عليه وآله من هذا الاجراء، و كانوا يقدررون كل عمل بعقولهم الضيقة المحدودة، و يقيسونه بمقاييسهم الشخصية.

فرغم أنهم لمسوا من قريب كيف أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحرص على تعبئة هذا الجيش و بعثه، و لكن عناصر مشبوته أخرت حركة الجيش المذكور

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٢٥.

(٢) ذهب البعض مثل السيرة الحلبية إلى انه كان فى السابعة عشرة من عمره و ذهب آخرون إلى انه كان فى الثامنة عشرة من عمره. المهم انهم اتفقوا على انه لم يتجاوز العشرين سنة.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٩٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٣

من معسكر «الجرف» و توجهه إلى النقطة المطلوبة، و كانت تسعى لعرقلة هذه المهمة.

(١) و بعد يوم من عقد رسول الله صلى الله عليه وآله اللواء لاسامة تمرض صلى الله عليه وآله بشدة و أصابه صداع شديد تركه طريح الفراش و استمر هذا المرض عدة أيام حتى قضى صلوات الله عليه.

و قد علم رسول الله صلى الله عليه وآله فى مرضه أن هناك من تخلف عن جيش اسامة و أن هناك من يعرقل توجهه نحو المنطقة

التي عيّنهما، و أن هناك بالتالي من يطعن في اسامة فغضب صلى الله عليه وآله لذلك غضبا شديداً، و خرج و هو يلتحف قطيفةً، و قد عصّب جبهته بعصابةً إلى مسجده ليتحدث إلى المسلمين من قريب، و يحذّرهم من مغتبه هذا التخلف، فصعد المنبر على ما هو عليه من حمى شديدة و بعد أن حمد الله و اثنى عليه قال:

«أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم في تأميري اسامة، و لئن طعنتم في إمارتي اسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله و أيم الله كان للإماره خليقا و إن ابنه من بعده لخليق للإماره، و إن كان لمن أحب الناس إليّ و أنّهما لمخيلان لكل خير، و استوصوا به خيرا فانه من خياركم».

(٢) ثم نزل صلى الله عليه وآله و دخل بيته و اشتدت به الحمى، فجعل يقول لمن يعود من أصحابه: «أنفذوا بعث اسامة» (١).

و لقد بلغ من إصرار رسول الله صلى الله عليه وآله على بعث جيش اسامة انه كان يقول و هو في فراش المرض: «جهزوا جيش اسامة، لعن الله من تخلف عنه» (٢).

و قد تسببت هذه التاكيدات في أن يحضر جماعة من المهاجرين و الأنصار

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٩٠.

(٢) الملل و النحل: ج ١ المقدمة الرابعة ص ٢٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٤

عند رسول الله صلى الله عليه وآله للتوديع و الخروج عن المدينة تلقائيا و الالتحاق بجيش اسامة في معسكره بالجرف.

(١) و فيما كان اسامة يتهيأ للتوجه بجيشه إلى حيث أمر الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بلغ بعض الصحابة الحاضرين في الجيش انباء عن تدهور صحة النبي صلى الله عليه وآله فتسببت في عدولهم عن الحركة حتى كان يوم الاثنين، فحضر اسامة عند رسول الله صلى الله عليه وآله و آله ليودّعه فأرى آثار التحسن بادية على ملامح النبي صلى الله عليه وآله.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله حاثا اياه على المبادرة و المسارعة في الخروج:

«اغد على بركة الله» (١).

(٢) فعاد اسامة إلى المعسكر و أمر بالتحرك فورا، و لكن الجيش لم يكن قد غادر «الجرف» بعد، حتى جاء نبا من المدينة بأن رسول الله صلى الله عليه وآله يحتضر، فعمد من كانوا يبحثون عن حجة للتخلف عن جيش اسامة، و الذين حاولوا خلال ستة عشر يوما أن يعرفوا توجهه بشتى المعاذير و الحجج إلى التوسل هذه المرة بقضية احتضار النبي صلى الله عليه وآله و عادوا إلى المدينة فورا، و عاد الجيش برمته هو الآخر إلى المدينة متجاهلين - جميعا - أوامر النبي صلى الله عليه وآله بالخروج.

و لم يتحقق أحد آمال النبي الاكرم صلى الله عليه وآله في أيام حياته بسبب اللانضباطية التي ابداهها فريق من شيوخ القوم و اعيان الجيش.

(٣)

### الاعذار غير المقبولة:

إن خطأ كبيرا كهذا ارتكبه بعض من تسلّم أمور الخلافة بعد رسول الله

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ١٩٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٥

صلى الله عليه وآله وسموا أنفسهم خلفاء النبي لا يمكن أن يبرر أبدا.

و لقد أراد بعض علماء السنة أن يبرروا هذا التخلف بطرق و وجوه مختلفة إلا أنهم عجزوا- رغم ذلك- أن يخرجوا عذرا مقبولا و دليلا مرضيا لأولئك المتخلفين عن جيش اسامه.

و للاطلاع على ما نحت لذلك من أعدار سقيمة راجع «المراجعات» (١).

و «النص و الاجتهاد» (٢).

(١)

### الاستغفار لأهل البقيع:

كتب فريق من اصحاب السيرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في الليلة التي توفى في صبيحتها مع أبي مويهبة خادمه إلى البقيع مع ما كان عليه من شدة الحمى و الوجع ليستغفر لأهل البقيع (٣).

و لكن المؤرخين الشيعة يرون أن النبي صلى الله عليه وآله يوم أحس بالوجع اخذ بيد «علي» عليه السلام و خرج معه إلى البقيع و خرج خلفه جماعة فقال لمن خرج معه:

«إني امرت أن استغفر لأهل البقيع».

و عند ما جاء البقيع سلم على أهل القبور هناك و قال:

«السلام عليكم أهل القبور ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا يتبع آخرها أولها».

(٢) ثم استغفر و دعا لأهل البقيع طويلا- ثم النفث إلى علي عليه السلام و قال: يا علي إني خيّر بين خزائن الدنيا و الخلود فيها أو الجنة فاخترت لقاء ربّي و الجنة. إن جبرئيل كان يعرض علي القرآن كلّ سنة مرة و قد عرضه عليّ العام مرتين و لا

(١) المراجعة ٩٠ و ٩١.

(٢) ص ١٥-١٦.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٠٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٦

أراه إلا لحضور أجلي» (١).

(١) ان الذين ينظرون إلى الكون من المنظار المادى البحث و يحصرون كل الوجود في إطار المادة و آثارها، فالوجود عندهم يساوق

المادة قد يترددون في قبول هذا الأمر، و يقولون: كيف يمكن مخاطبة الأرواح؟ و كيف يمكن الاتصال بهم؟

كيف يمكن أن يعرف المرء بموته و أجله؟

و لكن الذين كسروا جدار المادية هذا و اعتقدوا بوجود الروح المجردة عن البدن المادى العنصرى لا ينكرون مسألة الارتباط و الاتصال بالارواح (٢)، و يعتبرونه امرا ممكنا و واقعا.

ثم ان النبي الذى يتحلى بالعصمة في مجال ارتباطه بعالم الوحي و العوالم المجردة من المادة، يمكنه- على وجه القطع و اليقين- أن يخبر عن حلول أجله بأمر الله و اذنه و إخباره إياه.



(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٦٦ و ٤٧٢، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٠٤.

(٢) طبعا نحن لا نعترف بكل ما يدعيه ادعاء الاتصال بالارواح فان لذلك طريقه الصحيح، و أسلوبه المشروع.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٧

(١)

## حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة

### ٦٤ الكتاب الذي لم يكتب

#### إشارة

تعدّ الايام الاخيرة من حياة رسول الاسلام صَلَّى الله عليه وآله من اكثر حقول التاريخ الاسلامي أهمية و حساسية و دقة.

لقد مرّ الاسلام و المسلمون في تلك الايام بساعات مؤلمة، و حرجة.

إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة لاوامر النبي صَلَّى الله عليه وآله و تخلفهم عن جيش اسامه كل ذلك كان يكشف عن نشاطات سرية تنبئ عن عزمهم المؤكّد على الاستيلاء على زمام الحكومة و الإمارة و القيادة السياسية في المجتمع الاسلامي بعد رحيل النبي صَلَّى الله عليه وآله و إزاحة الخليفة الذي نصبه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في الغدير للإمارة عن مسند الحكم.

(٢) و لقد كان النبي صَلَّى الله عليه وآله و آلهم عارفا بنواياهم على نحو الاجمال و لهذا كان يصرّ على خروج جميع أعيان الصحابة في جيش اسامه و مغادرة المدينة فورا لمقاتلة الروم، لكي يعطل بذلك خطتهم.

و لكن دهاء السياسة اعتذروا عن الخروج مع اسامه بحجج و معاذير معينة، لكي يستطيعوا من تنفيذ خططهم بل و عرقلوا مسير الجيش المذكور حتى توفي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله.

فعادوا إلى المدينة- بعد توقّف دام ١٦ يوما- على أثر تدهور صحة النبي و احتضاره، فلم يتحقق ما كان يريد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من تفرغ المدينة منهم، فلا يكون أحد منهم فيها يوم وفاته ليستطيع خليفته المنصوب للامارة

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٨

يوم غدیر خم (نعني الامام عليا) من تسلّم زمام الحكم دون منازع و مزاحم من المعارضين السياسيين.

(١) إنهم لم يكتفوا فقط بالعودة إلى المدينة بل حاولوا أن يحولوا دون أي عمل من شأنه أن يؤدي إلى دعم و تثبيت منصب الامام علي و خلافته لرسول الله بلا- فصل، فحاولوا منع النبي صَلَّى الله عليه وآله و صرفه عن البحث في هذه المسألة بشتى الوسائل، و السبل.

فعمد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله الذي عرف بنشاط بعض زوجاته من بنات بعض اولئك الصحابة، المشين، عمد إلى الخروج إلى المسجد مع ما كان عليه من الحمى و الوجع، و وقف إلى جانب المنبر و قال للناس بصوت عال سمع خارج المسجد:

«أيها الناس سعرت النار، و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، و إنني و الله ما تمسّكون عليّ بشيء، اني لم احلّ إلّا ما أحلّ الله، و لم احزّم إلّا ما حزّم الله» «١».

إنّ هذه العبارة تكشف عن القلق الشديد الذي كان يحمله النبي صَلَّى الله عليه وآله على مستقبل الاسلام بعد وفاته، فما هو المقصود- ترى- من النار التي سعرت؟

أليس هي فتنة الاختلاف و الافتراق التي كانت تنتظر المسلمين، و التي اشتعلت بعد وفاة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و تعالي لهيبها، و لا يزال ذلك اللهب مشتعلًا، و تلك النار مستعرة!؟



**ايتونى بقلم و قرطاس:**

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرف بما يجرى من نشاطات خارج

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٥٤، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢١٥ و ٢١٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٦٩

منزله للسيطرة على مقاليد الحكم، و لهذا قرر بغرض الحيلولة دون انحراف مسألة الخلافة من محوره الأصلي و الحيلولة دون ظهور الاختلاف و الافتراق- أن يدعم مكانة عليّ و يعزز امارته و خلافته و خلافة أهل بيته، و ذلك بأن يثبت الأمر في وثيقة حيّة و خالدة تضمن بقاء الخلافة في خطها الصحيح.

(١) من هنا يوم جاء بعض الصحابة لعيادته اطرق برأسه إلى الارض ساعة ثم قال بعد شيء من التفكير و قد التفت إليهم:

«ايتونى بدواة و صحيفة اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده».

فبادر عمر و قال: ان رسول الله قد غلبه الوجع، حسبنا كتاب الله «١».

فناقش الحاضرون رأى الخليفة، فخالفه قوم و قالوا: هاتوا بالدواة و الصحيفة ليكتب النبي ما يريد، و ناصر آخرون عمر و حالوا دون الاتيان بما طلبه النبي، و وقع تنازع بينهم و كثر اللغط فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله بشدة لتنازعهم و لما وجه إليه من كلمة مهينة، و قال:

«قوموا عنى لا ينبغي عندى التنازع»

قال ابن عباس بعد نقل هذه الواقعة المؤلمة المؤسفة: «الرزية كل الرزية ما حال بيننا و بين كتاب رسول الله» «٢».

(٢) إن هذه الواقعة التاريخية قد نقلها فريق كبير من محدثي الشيعة و السنة و مؤرخيهم و تعتبر روايتها- حسب قواعد فنّ الدراية و الحديث- من الروايات المعتمدة الصحيحة غاية ما في الأمران اغلب محدثي أهل السنة نقلوا كلام «عمر» بالمعنى لا باللفظ، و لم يورد نص الكلمات الجارحة النابية التي نطق بها في ذلك

(١) الملل و النحل: ج ١ المقدمة الرابعة ص ٢٢. طبعاً لم يكن الهدف من «اكتب» أن يكتب النبي بيده ذلك الكتاب فالنبي لم يكتب شيئاً في حياته أبداً كما هو مبحوث في ابحاث أمية النبي بل المقصود هو الإملاء على كاتب.

(٢) صحيح البخارى كتاب العلم: ج ١ ص ٢٢ و ج ٢ ص ١٤، صحيح مسلم: ج ٢ ص ١٤ مسند أحمد: ج ١ ص ٣٢٥، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٤٤، الملل و النحل: ج ١ ص ٢٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٠

المجلس المقدس.

(١) و لا- يخفى أن الإحجام عن نقل نص عبارته ليس لأجل أن العبارات التي تفوه بها تعدّ إهانة لمقام النبوة، بل ان هذا التصرف لأجل الحفاظ على مقام الخليفة و مكانته حتى لا يسيء الآخرون النظرة إليه اذا عرفوا بما قاله في حق رسول الله صلى الله عليه وآله. من هنا عند ما بلغ أبو بكر الجوهري مؤلف كتاب «السقيفة» في كتابه إلى هذا الموضوع من القضية قال عند نقل كلام عمر هكذا: و قال عمر كلمة معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله «١».

و لكن بعضاً آخر عند ما يريد نقل ما قاله الخليفة لا يصرح باسمه حفظاً لمقامه فيقول: فقالوا: هجر رسول الله «٢».

إن من المسلم ان مثل هذه العبارة الجارحة النابية لو صدرت عن أى شخصية مهما كان مقامها لعدت ذنبا لا يغتفر لأن النبي صلى الله عليه وآله بنص القرآن مصون من أى نوع من انواع الخطأ والاشتباه والهديان فهو لا ينطق إلّا بالوحي.

(٢) إن اختلاف الصحابة لدى رسول الله الطاهر المعصوم صلى الله عليه وآله وفي محضره كان عملا سيئا، ومشينا إلى درجة أن احدى أزواجه صلى الله عليه وآله اعترضت على هذه المخالفة وقالت من وراء حجاب: ألا تسمعون النبي صلى الله عليه وآله يعهد إليكم؟ اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله بحاجته.

فقال عمر: اسكتن فانكن صويحبات يوسف. اذا مرض عصرتن اعينكن.

و اذا صحّ أخذتن بعنقه «٣».

(١) شرح نهج البلاغة الحديدي: ج ٢ ص ٢٠.

(٢) صحيح مسلم: ج ١ ص ١٤، مسند أحمد: ج ١ ص ٣٥٥.

(٣) كنز العمال: ج ٣ ص ١٣٨، الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٤٤. وفي الطبقات: ان النبي قال (في الرد على عمر) هن خير منكم سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧١

(١) ان بعض المتعصبين وان التمسوا لمخالفة الخليفة لطلب النبي اعذارا «١» في الظاهر إلّا أنهم خطئوا كلامه الذي قال فيه «حسبنا كتاب الله»، واعتبروه كلاما غير صحيح، وصرّحوا جميعا بأن الركن الاساسي للاسلام هو السنة النبوية، ولا يمكن أن يغنى كتاب الله الامة الاسلامية عن احاديث رسول الاسلام صلى الله عليه وآله واقواله.

ولكن الاعمج من كل ذلك أن الدكتور «هيكل» مؤلف كتاب «حياة محمد» «٢» ضمن دفاعه عن الخليفة كتب يقول: ما فتى ابن عباس بعدها يرى أنهم أضاعوا شيئا كثيرا بأن لم يسارعوا إلى كتابته ما أراد النبي إملأه. أمّا عمر فضلّ ورأيه أن قال الله في كتابه الكريم: «ما فرطنا في الكتاب من شيء» «٣».

(٢) فلو أنه لاحظ ما قبل هذه الجملة القرآنية وما بعدها لما فسرهما بمثل هذا التفسير، ولما أيد الخليفة في مقابل نصّ النبي المعصوم المطاع، لأن المقصود من الكتاب في الآية هو الكتاب التكويني، و صفحات الوجود، فان لكل نوع من الانواع في عالم الوجود صفحة من كتاب الصنع، وتشكل كل الصفحات غير المعدودة كتاب الخليفة والوجود وإليك نص الآية:

«وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» «٤».

وحيث أن ما قبل الجملة التي استدلت بها يرتبط بخلق الدواب والطيور، ويرتبط ما بعدها بموضوع الحشر في يوم القيامة يمكن القول بصورة قاطعة بان المراد من الكتاب في الجملة المستدل بها والذي لم يفرط فيه من شيء هو الكتاب التكويني، و صفحة الخلق.

(١) رد العلامة المجاهد السيد شرف الدين في كتاب المراجعات المراجعة ٨٦ جميع هذه الاعذار بصورة رائعة.

(٢) حياة محمد: ص ٥٠١.

(٣) الانعام: ٣٨.

(٤) الانعام: ٣٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٢

(١) ثم اننا لو قبلنا بأن المقصود من الكتاب هو القرآن الكريم فان من المسلم أن فهم هذا الكتاب - و بحكم تصريحه - يحتاج إلى بيان النبي و هدايته كما يقول:

«و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم» «١».

تأمل في هذه الآية فانها لا تقول «لتقرأ» بل تقول بصراحة: «لتبين».

وعلى هذا الاساس اذا كان كتاب الله كافيا لم نحتاج إلى توضيح النبي و بيانه احتياجا شديدا «٢».

ولو كان حقا أن الامة الاسلامية لا تحتاج إلى النبي فلما كان حبر الامة و عالمها الكبير ابن عباس يقول: يوم الخميس و ما ادراك ما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خده كأنها نظام اللؤلؤ و قال: قال رسول الله ايتوني بالكتف و الدواة أو اللوح و الدواة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ...

فقالوا ... «٣».

فمع هذا الحزن الذي كان يبديه ابن عباس، مضافا إلى الاصرار الذي أظهره رسول الله كيف يمكن القول بان القرآن يغني الامة الاسلامية من هذه الوصية (أو الكتاب) الذي كان النبي يريد كتابته.

و الآن إذا كان النبي لم يوفق لكتابة الكتاب و املاته فهل يمكن ان نحسد - في ضوء القرائن القطعية - ما ذا كان ينوي النبي كتابته في هذه الرسالة؟

(٢)

### ما ذا كان الهدف من الكتاب؟

إن الطريقة الجديدة و القويمه في تفسير القرآن الكريم التي اصبحت اليوم موضع عناية المحققين و العلماء في هذا العصر هو رفع إبهام الآية و اجمالها في موضوع معين بواسطة آية اخرى تتحدث عن ذلك الموضوع ذاته و لكنها أوضح من الاولى

(١) النحل: ٤٤.

(٢) ان بيان مدى حاجة القرآن إلى بيان النبي خارج عن نطاق هذه الرسالة، فاطلبه في محله.

(٣) مسند احمد: ج ١ ص ٣٥٥. صحيح البخارى: كتاب الجزية ج ٤ ص ٦٥ و ٦٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٣

دلالة و مفادا، و بعبارة اخرى الاستعانة في تفسير آية بآية اخرى.

إن هذه الطريقة لا تختص بتفسير آيات القرآن بل تنسحب على الأحاديث و الروايات الاسلامية أيضا اذ يمكن رفع الاجمال عن حديث بحديث مشابه، لأن القادة الكبار يتحدثون في موضوع مهم و خطير بصورة مؤكدة و مكررة لا تتشابه و لا تتحد في دلالتها، فقد تكون دلالتها على الآية واضحة و قد يكون بيان المقصود فيها بالاشارة و الكناية حسب مقتضيات.

(١) قلنا ان النبي صلى الله عليه و آله طلب من اصحابه و هو في فراش المرض دواة و صحيفة ليملى عليهم شيئا لا يضلون بعده أبدا ثم تسبب التنازع الذي حدث بين الحاضرين في ان ينصرف من كتابته ما اراد.

يمكن أن يسأل سائل: ما ذا كان يريد رسول الله صلى الله عليه و آله كتابته في ذلك الكتاب.

إن الاجابة على هذا السؤال واضحة لأنه مع أخذ الأصل الذي ذكرناه في مطلع البحث بنظر الاعتبار يجب القول بأن هدف النبي لم يكن ألا تعزيز الوصية و دعم خلافة الامام أمير المؤمنين على عليه السلام و امرته و التأكيد على لزوم اتباع اهل بيته الذي صرح به النبي صلى الله عليه و آله في الغدير و غيره.

(٢) و هذا المطلب يستفاد من حديث الثقلين المتفق عليه بين محدثي السنة و الشيعة، لأن النبي صلى الله عليه و آله قال في شأن الكتاب الذي نوى كتابته:

انه يبتغي كتابته شيء لا يضلون بعده ابدا. و قد جاءت هذه العبارة بعينها في حديث الثقلين اذ يقول رسول الله صلى الله عليه و آله

معتبراً عدم الضلال بعده معلولاً لاتباع الكتاب و العترة اذ قال:

«إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله و عترتي أهل بيتي» (١).

(١) صحيح الترمذی: ج ٥ ص ٣٢٨ ح ٣٨٧٤ جامع الاصول: ج ١ ص ١٨٧ راجع المراجعات: المراجعة ٨.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٤

(١) ألا يمكن بعد ملاحظة هذين الحديثين و التشابه الموجود بينهما الحدس - بصورة قطعية - بان ما كان يهدفه رسول الله صلى الله عليه وآله من طلب الدواة و الصحيفة هو مفاد كتابة حديث الثقلين، أو ما هو أعلى مما يفيد حديث الثقلين و هو تعزيز و دعم ولاية الامام على عليه السلام و خليفته مباشرة و بلا فصل و هو الذي عينه للإمارة و الخلافة في الثامن عشر من شهر ذي الحجة عند مفترق طرق الحجاج المدنيين و العراقيين و المصريين و الحجازيين و أعلن عن ذلك بصورة شفاهية.

هذا مضافاً إلى أن مخالفة من شكّل شورى الخلافة في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله و رشح رفيقه القديم للخلافة بصورة خاصة بعد رحيل رسول الله إلى ربه، و حصل هو بدوره على اجرتة عند موت الأول بصورة نقدية و عينه للخلافة خلافاً لجميع القواعد و الاصول، خير شاهد على أن القرائن التي كانت في مجلس النبي و كلامه كانت تكشف عن أن النبي صلى الله عليه وآله كان يريد أن يملأ على كاتبه امراً يتعلق بخلافة المسلمين و الامارة و القيادة التي اثبتها لعلي و أهل بيته الطاهرين في احاديثه و خطبه.

و لهذا خالف القوم الحضور هذا المطلب بشدة و حالوا دون الاتيان بالقلم و القرطاس بوقاحة، و خالفوا كتابة شىء، و إلا فلما ذا أصروا في مخالفتهم ...

و ارتكبوا ما ارتكبوا.

(٢)

### لما ذا لم يصّر النبي في كتابة الكتاب؟

كان في إمكان رسول الله صلى الله عليه وآله و آلِهِ رغم معاكسات جماعة من أصحابه أن يطلب كاتبه و يكتب الكتاب الذي كان يريد، فلما ذا لم يتصرف هكذا، و لم يستغل مكانته القوية بل امتنع عن ذلك؟

إن الاجابة على هذا السؤال واضحة: فلو أن النبي كان يصّر على كتابة الكتاب لأصروا في الاساءة الى النبي الذي قالوا عنه انه غلبه الوجع أو هجر،

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٥

و لعمد أنصارهم إلى اشاعة و بثّ هذا الأمر الرخيص، و صنعوا لاثباته الافاعيل فكانت تتسع رقعة الاساءة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه الحالة و تستمرّ، فتفقد الرسالة أثرها المنشود.

من هنا عند ما قال البعض للنبي - ملافاة لما لحق به من الأذى - أبعد الذي قلت؟ فقال:

«أبعد الذي قلت؟ لا و لكن اوصيكم بأهل بيتي خيراً» (١).

(١)

إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة وإن صرفت النبي عن الكتابة إلا أنه بلغ مقصوده من طريق آخر، فهو - بشهادة التاريخ - بينما كان يعاني المرض، والوجع الشديد، خرج إلى المسجد وهو متوكئ على «علي بن أبي طالب» و«ميمونة» مولاته فجلس على المسجد ثم قال:

«يا أيها الناس إنى تارك فيكم الثقلين».

وسكت، فقام رجل فقال: يا رسول الله ما هذان الثقلان؟ فغضب حتى احمر وجهه ثم سكن، قال:

«ما ذكرتهما إلا وأنا أريد أن أخبركم بهما ولكن ربوت فلم استطع، سبب طرفه بيد الله، وطرف بايديكم، تعلمون فيه كذى، ألا وهو القرآن، والثقل الأصغر أهل بيتي».

ثم قال:

«وأيم الله إنى لأقول لكم هذا ورجال في اصلاّب أهل الشرك أرجى عندي من كثير منكم».

ثم قال:

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ ص ٤٦٩ نقلا عن الارشاد و اعلام الورى.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٦

«والله لا يحبهم عبد إلا أعطاه الله نورا يوم القيامة حتى يرد على الحوض، ولا يبغضهم عبد إلا احتجب الله عنه يوم القيامة» (١).

(١) هذا وقد روى ابن حجر العسقلاني تدارك ما فات بصورة أخرى، ولا تنافى بين الصورتين، إذ يمكن وقوع كليهما.

انه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه وقد امتلأت بهم الحجرة وهو فى مرضه الذى قبض فيه:

«أيها الناس يوشك أن أقبض قبضا سريعا، فينطلق بى، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم ألا إنى مخلف فيكم كتاب الله ربي عز وجل وعترتى أهل بيتي».

ثم أخذ بيد على عليه السلام فقال:

«هذا على مع القرآن والقرآن مع على، خليفتان نصيران، لا يفترقان حتى يردا على الحوض فاسألهما ما ذا خلقت فيهما» (٢).

(٢) فمع أن رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر حديث الثقلين (٣) قبل مرضه فى مواضع متعددة وبألفاظ مختلفة، ولفت نظر الناس إلى أهميّة هذين الثقلين، ولكنه لفت الأنظار مرة أخرى وهو فى فراش المرض أمام جمع اصحابه الذين حالوا دون كتابة ما اراد إلى عدم افتراق القرآن والعترة يمكن الحدس بأن الهدف من التكرار هو تدارك ما فات من كتابة الكتاب الذى لم يوفق لكتابته.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٢ نقلا عن مجالس المفيد.

(٢) الصواعق المحرقة: الباب ٩ من الفصل الثانى ص ٥٧ وكشف الغمة: ص ٤٣.

(٣) حديث الثقلين من الروايات المتفق عليها بين الشيعة والسنة وقد نقل عن الصحابة باكثر من ٦٠ طريقا يقول ابن حجر العسقلاني فى الصواعق ص ١٣٦: وقد خصص المرحوم مير حامد حسين الهندي قسما من موسوعته «العبارات» بذكر اسناده حديث الثقلين و دلالاته. وقد طبعت فى ستة أجزاء مؤخرا.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٧

(١)

دأب رسول الله صلى الله عليه وآله في مجال بيت المال أن يوزع أمواله في أقرب فرصة سانحة بين الفقراء والمحتاجين. وعند ما كان في فراش المرض تذكر أن هناك دنانير عند إحدى زوجاته فطلبها فوراً، فاحضرتها عنده فآخذها صلى الله عليه وآله بيده وقال:

«ما ظنّ محمّد بالله لو لقي الله و هذه عنده؟ انفيها».

ثم أمر علياً عليه السلام فتصدّق بها «١».

(٢)

### غضب النبي من الدواء الذي سقى:

لما كانت أسماء بنت عميس و هي من قريبات «ميمونة» زوجة النبي صلى الله عليه وآله، و التي اقامت ايام الهجرة زمناً في الحبشة تعلّمت من أهلها صنع عقار مركب من النباتات و الاعشاب المختلفة، فلما اشتكى و اغمى عليه تصورت ان الذي دهاه هو داء: «ذات الجنب»، و كانوا في الحبشة يداوون هذا المرض بذلك العقار، فعمدت إلى معالجته بذلك الدواء، بصّب شيء منه في فم النبي صلى الله عليه وآله و لما أفاق و عرف بما صنعوا غضب و قال:

«ما كان الله ليسلّط عليّ ذات الجنب» «٢».

(٣)

### وداع النبي مع أهله:

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في أيام مرضه إلى مسجده مراراً يصلى بالناس، و يذكرهم أموراً. و ذات يوم من أيام مرضه اخرج الى مسجده معصوب الرأس متكئاً على

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٣٨ و ٢٣٩.

(٢) الطبقات: ج ٢ ص ٢٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٨

«علي» عليه السلام يميني يديه و على الفضل باليد الاخرى فصعد المنبر فحمد الله و اثنى عليه ثم قال:

«أما أيها الناس فان قد حان مني خفوق بين اظهركم فمن كانت له عندي عدة فليأتني أعطه اياها، و من كان له عليّ دين فليخبرني به».

(١) فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله ان لي عندك عدة، اني تزوجت فوعدتني ان تعطيني ثلاثة أواقى.

فقال صلى الله عليه وآله انحلهها يا فضل ثم نزل و عاد إلى بيته.

فلما كان يوم الجمعة- ثلاثة ايام قبل وفاته- صعد المنبر فخطب و قال فيما قال:

«أى رجل كانت له قبل محمّد مظلمة إلّا قام فالقصاص في دار الدنيا أحبّ إليّ من القصاص في دار الآخرة على رءوس الملائكة و

الاشهاد».

فقام إليه رجل يقال له سواده بن قيس فقال: انك لما اقبلت من الطائف استقبلتك و أنت على ناقتك العضباء و بيدك القضيب

الممشوق فرفعت القضيب و أنت تريد الراحلة فاصاب بطني.

فقال صلى الله عليه وآله لبلال: قم الى منزل فاطمة فائتني بالقضيب الممشوق.

ان طلب النبي صلى الله عليه وآله هذا بان يقتصر منه من له ذلك لم يكن مجرد مجاملة اخلاقية بل كان صلى الله عليه وآله يريد ان ينبه الناس إلى أهمية مثل هذه الحقوق جدا «١» و لما أتى بالقضيب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال صلى الله عليه وآله: اين الشيخ؟ قال سواده: ها انا ذا يا رسول الله بابي أنت و أمي فقال صلى الله عليه وآله:

(١) هذا مضافا إلى ان ضرب بطن سواده بالقضيب من قبل النبي لم يكن عمدا و لهذا لم يكن له الحق إلما في اخذ الديه دون القصاص، مع ذلك أراد النبي أن يلبى طلبه لما قال اريد ان اقتص.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٧٩

«فاقتص منى حتى ترضى».

فقال سواده: فاكشف لى عن بطنك.

ثم انه وسط دهشة الصحابة و حزنهم و غمهم و بكائهم تقدم سواده إلى النبي و قال: أ تأذن لى ان اضع فمى على بطنك؟ فاذن له، فقال اعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله، و قبل بطن النبي و صدره الشريف. فدعا له رسول الله و قال: اللهم اعف عن سواده بن قيس كما عفى عن نبيك محمد «١».

(١) مناقب آل أبى طالب: ج ١ ص ٢٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٠

(١)

## ٦٥ اللحظات الأخيرة

### إشارة

كان القلق و الاضطراب يلف المدينة المنورة بأسرها فصحابة النبي يحيطون ببيت رسول الله صلى الله عليه وآله بعيون باكية و قلوب حزينة ليطلعوا على صحته، و كانت تخرج من منزله بين الحين و الآخر أخبار عن اشتداد مرضه، و تفاقم وجعه، لتقضى على كل أمل بتحسّن حالته، و تجعل الناس على يقين بانه لم يبق من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله إلا سويغات قلائل، و انه سرعان ما تنطفئ الشعلة المقدسة، التى أنارت العالم بضئائها.

كان فريق من الصحابة يودّون أن يزوروا نبيهم و قائدهم من قريب و لكن تدهور صحته ما كان يسمح لذلك، فلم يكن من الممكن ان يتردد على غرفته إلا أهل بيته خاصة.

(٢) و لقد كانت ابنته الكريمة و وديعته الوحيدة فاطمة الزهراء عليها السلام جالسة عند فراش ابيها، تنظر إلى وجهه المشرق كانت ترى كيف ان عرق الموت يتحدر على جبينه و خده مثل حبات اللؤلؤ، فراحت تردد أبياتا من الشعر و قلبها يعتصره الحزن، و يملأ عيونها دموع الاسى و الحزن و يكاد يخنقها الغصه:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل و فى هذه اللحظات بالذات فتح رسول الله صلى الله عليه وآله عينيه و قال لابنته الزهراء بصوت خافت:

يا بتيه هذا قول عمك أبى طالب لا تقوليه و لكن قولى:

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨١

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» (١).

(١)

### النبي يتحدث مع ابنته الزهراء:

لقد كشفت التجربة عن ان عواطف الشخصيات الكبرى تجاه ابنائهم تتضاءل اثر تراكم النشاطات و تزايد الاهتمامات و الهموم، لأن الاهداف الكبرى، و الاهتمامات العالمية تشغل بالهم و فكرهم إلى درجة لا تترك لهم مجالاً لمشاعرهم العاطفية بالظهور و التجلي، بيد أنه يستثنى الشخصيات الروحانية و المعنوية الكبرى من هذه القاعدة فهم مع ما يشغل بالهم من الاهداف الكبرى، و الاهتمامات العالية، و الشواغل اليومية الكثيرة يمتلكون روحاً كبرى و نفسية طيبة سامية فلا يمنعهم عمل عن آخر، و لا يشغلهم شغل عن آخر، فلا مكان للضمور العاطفي عندهم، و لا مكان للجمود الاحساسى فى حياتهم الاجتماعية و العائلية.

إن محبة النبي صلى الله عليه وآله لابنته الوحيدة فاطمة كانت من ابرز التجليات العاطفية الانسانية فى شخصية النبي الاكرم صلى الله عليه وآله، و لهذا لم يعهد أن يسافر رسول الله من دون أن يودع ابنته، كما لم يعهد أن يرجع المدينة من دون ان يزور ابنته قبل أى أحد، كما كان يحترمها عند زوجاته احتراماً لاثقاً بها و يقول لاتباعه:

«فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبني» (٢).

(٢) كما أن رؤية فاطمة كانت تذكرةً باشد نساء العالمين طهرا و وفاء، و عطفاً و لطفاً، (خديجة) التى تحملت فى سبيل أهداف زوجها المقدس متاعب كبيرة،

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) صحيح البخارى: ج ٥ ص ٢١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٢

و بذلت ثروتها كلها فى سبيل تلك الاهداف باخلاص و رغبة.

كانت فاطمة الزهراء عليها السلام تلازم فراش والدها النبي صلى الله عليه وآله طوال ايام مرضه، و لا تفارقه لحظة واحدة، و فجأة أشار النبي إلى ابنته يطلب منها ان تقرب رأسها إلى فمه ليحادثها، فانحنت فاطمة حتى صار رأسها قريباً من فمه الشريف ثم راح النبي صلى الله عليه وآله يحادثها بصوت ضئيل و لم يعرف من كان هناك ما ذا قاله رسول الله صلى الله عليه وآله لابنته الطاهرة فى تلك النجوى.

و انما شاهدوا الزهراء تبكى بشدة لما انتهى والدها من حديثه و سالت دموعها بغزارة، و لكنهم شاهدوا ان النبي اشار إليها مرة اخرى و حدثها بشيء فسرت فاطمة و تهللت اسارير وجهها، و تبسمت مستبشرة.

(١) فاثارت هاتان الحالتان المتضادتان المتزامتان الحضور و بعثتهم على التعجب و الدهشة، فلما سألوها عن سر ذلك الحزن، و هذه الفرحة، و طلبوا منها ان تذكر لهم علّة هاتين الحالتين المتضادتين قالت:

«ما كنت لافشى سرّه».

ثم بعد أن قضى رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم كشفت الزهراء عليها السلام عن الحقيقة بناء على اصرار عائشة و قالت: اخبرنى رسول الله صلى الله عليه وآله انه قد حضر اجله و انه يقبض فى وجعه هذا، فبكيت، ثم اخبرنى أنى أول اهله لحوقاً به فضحكت (١).

(٢)



**مسواك النبي قبيل وفاته:**

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستاك كل ليلة قبل النوم كما كان يستاك بعد ان يستيقظ من نومه و كان مسواك النبي من شجرة الأراك التي تنفع

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٤٧، الكامل، ج ٢ ص ٢١٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٣

جدا في تقوية اللثة، و إزالة الاوساخ و بقايا الطعام عن الاسنان.

و ذات يوم دخل اخو عائشة عبد الرحمن على رسول الله صلى الله عليه وآله ليعوده و بيده سواك اخضر فنظر النبي إليه - و هو في يده - نظرا عرف أنه يريد فقال عبد الرحمن: يا رسول الله تريد أن أعطيك هذا السواك. فقال نعم، فقدمه إلى النبي فواخذه صلى الله عليه وآله و استاك به أحسن استياك، و نظف اسنانه به بدقه و عناية بالغه «١».

(١)

**وصايا النبي صلى الله عليه وآله قبيل رحيله:**

كان رسول الله صلى الله عليه وآله خلال فترة مرضه و وجعه يولى إعطاء التعاليم و التذكير بما فيه هداية الناس اهتماما بالغاً، فقد كان يوصى بالصلاة و رعاية الرقيق في الايام الاخيرة من حياته الشريفة و يقول:

«الصلاة الصلاة و ما ملكت أيمانكم، ألبسوا ظهورهم و أشبعوا بطونهم و ألينوا لهم القول» «٢».

و قد سأل كعب الاحبار عمر بن الخطاب بعد وفاة رسول الله و في ايام خلافة الأخير ما كان آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر: سل عليا.

فسأل عليا عليه السلام:

فقال امير المؤمنين عليه السلام:

«أسندته إلى صدرى فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة.

فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء و به امروا و عليه يعثون» «٣».

و قد فتح النبي صلى الله عليه وآله عينيه في آخر لحظة من حياته الشريفة و قال:

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٣٤، السيرة النبوية: ج ٢ ص ٦٥٤.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٥٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٦٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٤

«أدعوا لى أخى».

(١) فعرف الجميع بأنه يريد عليا عليه السلام فدعوا له عليا فقال:

«ادن منى».

فدنا منه عليّ عليه السلام فاستند إليه فلم يزل مستندا إليه يكلمه «١».

فلم يلبث أن بدت عليه صلى الله عليه وآله علامات الاحتضار.

سأل رجل ابن عباس: هل توفى رسول الله في حجر أحد قال: توفى وهو لمستند إلى صدر علي.

فقال السائل: قلت: فان عائشة قالت: توفى رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحري و نحري.

فكذبها ابن عباس وقال: أتعقل؟ والله لتوفى رسول الله صلى الله عليه وآله و أنه لمستند إلى صدر عليّ وهو الذي غسّله، و أخى

الفضل بن عباس «٢».

(٢) و قد صرح أمير المؤمنين على عليه السلام في إحدى خطبه حيث قال:

«و لقد قبض رسول الله و إنّ رأسه لعلى صدري ... و لقد وليت غسله و الملائكة أعوانى» «٣».

و ينقل بعض المحدثين أن آخر جملة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر لحظة من حياته الشريفة هي جملة: «لا، إلى الرفيق

الأعلى»، و كأن ملك الموت خيره عند قبض روحه الشريفة في أن يصح من مرضه و يبقى أو يلبى دعوة ربّه، و يلتحق بالرفيق الأعلى،

فعبّر بجملته هذه عن رغبته في اللحاق بربه، ليعيش مع الذين أشار إليهم قوله سبحانه:

«فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالشّٰهَدَاءِ

(١) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٦٣.

(٢) المصدر: ج ٢ ص ٢٦٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٥

وَالصّٰلِحِينَ وَحَسَنَ أَوْلِيَٰكَ رَفِيقًا» «١».

قال النبي صلى الله عليه وآله هذا و لفظ أنفاسه الشريفة «٢».

(١)

## يوم الوفاء:

في منتصف يوم الاثنين الثامن و العشرين من شهر صفر «٣» طارت روح النبي الاكرم المقدسة إلى بارئها، و الى جنان الخلد، فسجى

ببرد يمانى، و وضع في حجرته بعض الوقت، و ارتفعت صرخات العيال، و علا بكاء الاقارب فعرف من كان في خارج المنزل أن النبي

صلى الله عليه وآله قد قضى، فلم يلبث أن انتشر نبأ وفاته في كل أنحاء المدينة التي تحولت بسرعة إلى مناحة كبرى، و ماتم عظيم.

فصاح الخليفة الثاني خارج البيت و لأسباب خاصّة أنّ النبي لم يمت انما عرج بروحه كما عرج بروح موسى، و انه لا يموت رسول الله

صلى الله عليه وآله! و أصرّ على هذا الموقف و هدّد كل من يخالف ذلك، و كاد أن يوافق عليه فريق من الناس لو لا- أن أحد

الصحابة تلا عليه قول الله سبحانه:

«وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ».

حتى فرغ من الآية، فسحب عمر موقفه، مستغربا من وجود مثل هذه الآية قائلا: هذا في كتاب الله؟ «٤»

(٢) ثم قام أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب عليه السلام بتغسيل جسد النبي الطاهر و كفنه لأن النبي صلى الله عليه وآله كان قد قال:

«يغسلنى أقرب

(١) النساء: ٦٩.

(٢) إعلام الوری: ص ٨٣.

(٣) و هو ما اتفق عليه محدثو الشيعة و مؤرخوهم، و نقل في السيرة النبوية ج ٢ ص ٦٥٨ بصورة: قيل.

(٤) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٢٦٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٦

الناس إلى» و لم يكن ذلك سوى على عليه السلام.

و لما فرغ «على» من تغسيل النبي صلى الله عليه وآله كشف الازرار عن وجهه صلى الله عليه وآله و قال و الدموع تنهمر من عينيه الشريفتين:

«بأبي أنت و أمي طبت حيا و طبت ميتا، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممن سواك من النبوة و الانباء. و لو لا أنك أمرت بالصبر، و نهيت عن الجزع لأنفذنا عليك ماء الشؤون و لكان الداء مماطلا، و الكمد محالفا و قلا لك، و لكته ما لا يملك رده و لا يستطاع دفعه! بأبي أنت و أمي اذكرنا عند ربك، و اجعلنا من بالك؟» (١).

(١) ثم ان الامام أمير المؤمنين «على بن أبي طالب» عليه السلام كان أول من صلى على جثمان رسول الله صلى الله عليه وآله ثم صلى عليه المسلمون جماعة جماعة، ثم تقرر دفنه صلى الله عليه وآله في حجرته المباركة.

فقام أبو عبيدة الجراح و زيد بن سهل بحفر قبر له صلى الله عليه وآله و إعداده ثم دفن صلى الله عليه وآله في تلك الحفرة على يد أمير المؤمنين على عليه السلام يساعده في ذلك الفضل و العباس.

و هكذا غربت شمس أعظم شخصية غيرت مسار التاريخ البشري بتضحياته الكبرى و جهوده المضنية، و اعظم رسول الهی فتح امام الانسانية صفحات جديدة و مشرقة من الحضارة و المدنية.

(٢) و لكن ظهرت على الساحة برحيله مشكلات عديدة كان لها أثر في استمرار رسالته، و مواصلة أهدافه التي من أهمها مسألة الخلافة و موضوع القيادة في المجتمع الاسلامي و قد بدت بعض بوادر الاختلاف في الاوساط الاسلامية حتى قبل رحيله. غير أن هذا القسم و إن كان قسما مهما و خطيرا من تاريخ الاسلام، فهو

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٣٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٧

خارج عن اطار بحثنا هذا (و هو دراسة و تحليل الشخصية المحمدية و حياة النبي الرسالية و السياسية و العسكرية).

من هنا فاننا نختم حديثنا هذا بالشكر لله تعالى على هذه النعمة الكبرى، و الحمد لله رب العالمين (١).

قم المقدسة - الحوزة العلمية

جعفر السبحاني

شعبان المعظم ١٣٩٠ هـ

(١) ثم تدوين هذه المحاضرات و توثيقها و تحقيقها في شهر شعبان المعظم عام ١٤٠٩ هجرية في مدينة قم و الحمد لله رب العالمين.

جعفر الهادي

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٨٩

## إشارة

- ١- فهرس الآيات القرآنية
  - ٢- فهرس الاحاديث الشريفة
  - ٣- فهرس الأشعار
  - ٤- فهرس الأعلام
  - ٥- فهرس القبائل و الامم
  - ٦- فهرس الكنى و الألقاب
  - ٧- فهرس الوقائع و الايام
  - ٨- فهرس الاماكن و البلدان
  - ٩- فهرس المذاهب و الأديان و نظم الحكم
  - ١٠- فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا
  - ١١- فهرس المصادر
  - ١٢- فهرس المواضيع
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٦٩١

## (١) فهرس الآيات القرآنية

- البقرة- ٢ الآية/ رقمها/ الصفحة فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ / ١١٥ / ٢٠١
- سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ / ١٤٢ / ٥١
- وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا / ١٤٣ / ٤٩
- وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ / ١٤٣ / ٥٠
- قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ / ١٤٤ / ٤٨
- وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ / ٢٠٧ / ١١٣
- يَسْتُلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ / ٢١٧ / ٤٠
- يَسْتُلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ / ٢١٩ / ٢١٨
- وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا / ٢١٩ / ٢٢٠
- آل عمران- ٣ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ .. / ١٢ / ١٢٢
- قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّاتِيَاتِ .. / ١٣ / ٩٦
- إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ .. / ٥٩ / ٦٠٤
- فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ .. / ٦١ / ٦٠٤
- فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ .. / ٦١ / ٤٠٥
- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ / ٦٤ / ٦٠١
- وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ / ١٢١ / ١٥١

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٩٢

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ .. ١٢٣ - ١٢٧ / ٩٠  
 وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ / ١٤٤ / ١٦٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ / ٥١ / ٢٤٩  
 إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ / ٥٨ / ٤٩٨  
 فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ / ٦٩ / ٤٨٤  
 الْمَائِدَةَ - ٥ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .. ١ - ٣ / ٤٥٣  
 فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا / ٢٤ / ٦٢  
 مَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَ مِمَّا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا / ٣٢ / ١٢٧  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى / ٥١ - ٥٣ / ١٢٦  
 يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ / ٦٧ / ٤٦٧  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ ... / ٩٠ / ٢١٩  
 إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ / ١١٠ / ٣٨٠  
 الْأَنْعَامَ - ٦ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ .. / ٣٨ / ٤٧٧  
 الْأَعْرَافَ - ٧ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا / ٣٣ / ٢٣٠  
 فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا / ٤٤ / ٧٨٣

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٦٩٣

الأنفال - ٨ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ / ٥ / ٦٢  
 يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ ... / ٦ / ٦٢  
 إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبُّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ / ٩ / ٩٦  
 فَجَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا / ١٢ / ٩٨  
 إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ ... / ١١ - ١٢ / ٩٦  
 ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ / ١٣ / ٩٨  
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ / ٢٧ / ٢٨٧  
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُضِدُّوا / ٣٦ / ١٣٦  
 إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا / ٤٢ - ٤٣ / ٩٥  
 وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاحْتِلْفَتُمْ فِي الْمِيعَادِ / ٤٢ / ٩٧  
 وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّمَيُّتِمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا / ٤٤ / ٩٧

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ / ٤٧ / ٩٨  
وَإِذْ زَيْنَ لَهْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَالَهُمْ / ٤٨ / ٩٨  
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْرَى / ٧٠ / ٩٥  
وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ / ٧١ / ٩٥  
وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ / ٨٧ / ٦٨  
التوبة- ٩ أ جعلتكم سقاية الحاج و عمارة المسجد الحرام / ١٩ / ١١٣  
وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا / ١٠٧ - ١٠٨ / ٥٨٠  
لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ / ٢٥ / ٥١٤  
اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا / ٣١ / ٥٥٠  
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى / ٣٣ / ٣٥٥  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي / ٤٩ / ٥٥٥  
سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٦٩٤  
وَلَيْتَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ / ٦٥ / ٥٧٤  
وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ / ٨١ - ٨٢ / ٥٥٥  
وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّأْتُمْ لِتَحْمِلَهُمْ / ٩٢ / ٥٥٧  
تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ / ٩٢ / ٥٥٦  
وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا .. / ١٠٢ / ٢٨٧  
حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ / ١١٨ / ٥٧٧  
يوسف- ١٢ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا / ٩١ / ٤٧٩  
قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ / ٩٢ / ٤٧٩ و ٤٩٦  
النحل- ١٦ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ / ٤٤ / ٦٧٢  
وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا / ٦٧ / ٢١٨  
مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ / ٩٨ / ٥٣١  
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ / ١٢٦ / ١٨٣  
الإسراء- ١٧ وَ آتَ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ ... / ٢٦ / ٤٢٣  
مريم- ١٩ يَرِثُنِي وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ / ٦ / ٤٢٨  
وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا / ٧١ / ٤٢٨  
الحج- ٢٢ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا / ٣٩ / ٥٦  
النور- ٢٤ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ / ١١ / ٣١٦ و ٣١٨  
لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ / ١٢ - ١٤ / ٢١٩  
وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ / ٣٢ / ١٠٠  
سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٦٩٥  
وَ لَا تُكْرَهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ / ٣٣ / ٣١٣

- إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ / ٦٢ / ١٤٨ و ٢٥٤  
النمل - ٢٧ و وَرَثَ سُلَيْمَانَ دَاوُدَ / ١٦ / ٤٢٨  
القصص - ٢٨ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ / ٨٥ / ٤٩٥  
العنكبوت - ٢٩ و إِنَّ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي / ٨ / ١٧  
الروم - ٣٠ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ / ٣١ / ١٤٨  
الأحزاب - ٣٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ ... / ٩ - ٢٥ / ٢٧٦  
بِئُوتِنَا عَوْرَةً ... / ١٣ / ٢٨٧  
وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ... / ٢٦ - ٢٧ / ٢٩٥  
إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ / ٣٣ / ٤٢٥ و ٦٠٧  
وَ مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ ... / ٣٦ - ٣٧ / ٢٣٢  
وَ تُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ / ٣٧ / ٢٤٣  
فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا / ٣٧ / ٢٤٣  
مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ... / ٣٨ - ٣٩ / ٢٣٦ و ٢٤٤  
مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ / ٤٠ / ٢٣٦  
سبأ - ٣٤ و مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ / ٢٨ / ٣٥٥  
يس - ٣٦ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ / ٧٠ / ٣٥٥  
سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٦٩٦  
الفتح - ٤٨ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا / ١ / ٣٤٨  
لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ / ١٧ / ١٤٧  
لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ / ١٨ / ٣٣٤  
وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَذْبَارَ / ٢٢ / ٣٤٧  
لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا / ٢٧ / ٤٣٧  
الحجرات - ٤٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ / ١ / ٤٧٦  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ / ٦ / ٣١٢  
الحشر - ٥٩ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ / ٢ / ٢١٤  
مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً / ٥ / ٢١٢  
مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى / ٧ / ٢١٣  
أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ / ١١ - ١٤ / ٢١٢  
المتنحنه - ٦٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي / ٦ - ٩ / ٤٧٥  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ / ١٠ / ٣٥١  
أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ / ١٢ / ٥٠٧  
القلم - ٦٨ و مَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ / ٥٢ / ٣٥٥  
العاديات - ١٠٠ و الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا / ١ - ٢ / ٤٥٩

النصر - ١١٠ إذا جاء نصرُ اللهِ وَ الْفَتْحُ ... / ١ - ٣ / ٥٤٥

سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٦٩٧

## (٢) فهرس الأحاديث الشريفة

نصّ الحديث / القائل / الصفحة

أبا وهب هل لك العام تخرج معنا / (النبي) / ٥٥٤

أ تسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه / (النبي) / ٤١٨

أحب الناس الى من الرجال عليّ / (النبي) / ١٢٠

أخبروا مالكا انه إن اتانى مسلما / (النبي) / ٥٣٢

اخرجوا من بلادى فقد أجلتكم عشرا / (النبي) / ٢٠٩

أخرجها من العسكر ثم صح و ارمها / (النبي) / ٣٩٥

ادعوا لى أخى / (النبي) / ٦٨٤

ادفنوا هذين المتحابين فى قبر واحد / (النبي) / ١٨٤

إذا خطب إليكم كفو فزوجوه / (النبي) / ١٠٣

اذهب يا عباس الى رحلك / (النبي) / ٤٨٣

اذهبت منك الرحمة / (النبي) / ٤٠٩

ارجعا حتى تأتياى غدا / (النبي) / ٣٦٨

ارجعن يرحمك الله / (النبي) / ١٨٧

أرسلته كرارا غير فرار / (النبي) / ٤٥٧

اركب فان الله و رسوله عنك راضيان / (النبي) / ٤٥٩

استفدت يا أمّ عمارة / (النبي) / ١٧٧

استوصوا بالاسارى خيرا / (النبي) / ٨٧

سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٦٩٨

أسندته الى صدرى فوضع رأسه على منكبى / (على) / ٦٨٣

السلام على أهل همدان / (على) / ٦٢٧

السلام عليكم يا أهل القبور / (على) / ٦٦٥

اشتد غضب الله فى دم وجه نبيه / (على) / ١٧٩

اكرموا اولادكم / (النبي) / ٥٩٦

الصلاة الصلاة و ما ملكت ايمانكم / (النبي) / ٦٨٣

الصلاة يا أهل البيت / (النبي) / ١٠٩

اطلبوا العلم و لو بالصين / (النبي) / ١٣٢

اغزوا باسم الله و ادعوهم الى الاسلام / (النبي) / ٤٤٠

اغد على بركة الله / (النبي) / ٦٦٤



- الحمد لله الذى صدق وعده / (النبى) / ٤٩٥
- الحمد لله الذى وفق رسول الله / (النبى) / ٥٣٩
- الحمد لله و نستعينه و نؤمن به / (النبى) / ٦٤٧
- ألا إن كل مال و مأثرة و دم فى الجاهلية / (النبى) / ٥٠٣
- ألا ترضون يا معشر الاوس / (النبى) / ٢٨٩
- الله أعلى و أجل / (النبى) / ١٨٠
- الله أكبر ابشروا يا معشر المسلمين / (النبى) / ٢٥٨
- الله أكبر خربت خيبر / (النبى) / ٣٩٢
- الله مولانا و لا مولى لكم / (النبى) / ١٨١
- أ لستم تشهدون أن لا إله إلا الله / (النبى) / ٦٤٨
- أ لم أنهكم ان يخرج منكم أحد / (النبى) / ٥٦٤
- اللهم ائتنى بأحب خلقك إليك / (النبى) / ١١٥
- اللهم اجمع شملهما و ألف بين قلوبهما / (النبى) / ١٠٨
- اللهم ارحم الانصار و ابناء الانصار / (النبى) / ٥٣٦
- اللهم إن تهلك هذه العصابة / (النبى) / ٧٩
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٦٩٩
- اللهم انزل عليهم رجسك / (النبى) / ١٨٦
- اللهم إنك اخذت منى عبيده / (النبى) / ٢٦٤
- اللهم إنك قد عرفت حالهم / (النبى) / ٣٦٥
- اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد / (النبى) / ٥٠٨
- اللهم أنى أسألك الأمن يوم الخوف / (النبى) / ١٨٦
- اللهم أنى أسألك كله / (النبى) / ١٨٥
- اللهم اهد قلبه و ثبت لسانه / (النبى) / ٦٢٦
- اللهم بارك لقوم جل آنتهم الخرف / (النبى) / ١٠٦
- اللهم خذ على قريش أبصارهم / (النبى) / ٤٧١
- اللهم خذ العيون و الاخبار عن قريش / (النبى) / ٤٧١
- اللهم رب السماوات و ما اظللن / (النبى) / ٣٩٠
- اللهم هؤلاء اهل بيتى / (النبى) / ٤٠٥
- اللهم هذه قريش قد أقبلت / (النبى) / ٧٢
- اللهم وال من والاه / (النبى) / ٦٤٨
- إلى يا فلان إلى يا فلان أنا رسول الله / (النبى) / ١٤٦
- اليوم يوم المرحمة / (النبى) / ٤٩٧
- أما أنت فقد عذرك الله / (النبى) / ١٤٧

- أما أيها الناس فانه قد حان حقوق منى / (النبي) / ٦٧٨
- أما بعد أيها الناس ما مقالة بلغتنى / (النبي) / ٦٦٣
- أما و الذى نفسى بيده لقد تدلى العذاب / (النبي) / ٦٠٧
- أما ما لى و بنى عبد المطلب فهو لكم / (النبي) / ٥٣٠
- أما و الله لو شتم لقتم فصدقتم / (النبي) / ٥٣٥
- أمك أمك اعصب جرحها / (النبي) / ١٧٧
- أحب أهلى إلی فاطمة / (النبي) / ١١٩
- ان أحببت فاقمى عندنا محببة / (النبي) / ٥٣١
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٠
- أنا أحق بذلك منك / (النبي) / ١٣٠
- أنا النبى لا أكذب ... / (النبي) / ٥١٩
- إننا لم نجئ لقتال أحد و لكننا جئنا معتمرين / (النبي) / ٣٢٩
- أنا لم نرض / (النبي) / ٣٤٣
- أنت بالخيار فيه اربعة عشر / (النبي) / ٥٠٦
- أنت خليفتى فى أهل بيتى / (النبي) / ٥٥٨
- انطلق فطف بالبيت / (النبي) / ٦٣٢
- انظروا الى ما امرتكم به / (النبي) / ١٤٥
- ان بالمدينة لا قواما / (النبي) / ٥٧٥
- إن حسن التبعل يعدل ذلك كله / (النبي) / ١٧٦
- إن ربي قد قتل ربكما ليلة كذا و كذا / (النبي) / ٣٦٨
- إن رجلا قال هذا محمد يخبركم أنه نبى / (النبي) / ٥٦٥
- إن رسول الله كان يغير الأسماء القبيحة ... / (الصادق) / ٥٤٤
- إنكم ستلقون ربكم فيسألكم / (النبي) / ٦٣٥
- إن الله اختار من أهل الارض رجلين / (النبي) / ١١٨
- إن الله امرنى ان اعرض عنهم / (النبي) / ٥٧٤
- إنما أنت فينا رجل فخذل عنا / (النبي) / ٢٧٣
- إنه لا يؤدى عنك إلا أنت أو رجل منك / (النبي) / ٥٩١
- ها مشية يبغضها الله إلا ... / (النبي) / ١٥٣
- إن هذا أخى و وصيى و خليفتى فيكم / (النبي) / ٦٤٦
- إنى امرت ان استغفر لأهل البقيع / (النبي) / ٦٦٥
- إنى تارك فيكم الثقلين . / (النبي) / ٦٧٣ ، ٦٤٨
- إنى رأيت العرب رمتكم / (النبي) / ٢٧١
- أو ما بلغك ما قال صاحبكم / (النبي) / ٣٠٨
- ٦٩٧ : ص : ٦٩٧

أوحى الله تعالى الى رسول الله إن أشكر لجعفر / (الباقر) / ٢٢٢

سيد المرسلين ، ج٢، ص: ٧٠١

اولئك العصاة / (النبي) / ٤٧٦

ايتونى بقلم و قرطاس / (النبي) / ٦٦٨

ايتونى بدواة و صحيفة / (النبي) / ٦٦٩

أى رجل الحصين بن سلام فيكم / (النبي) / ٢٩

أى عبد نزل من الحصن و خرج إلينا فهو حر / (النبي) / ٥٢٦

أيكم يبرز الى عمرو و أضمن له الجنة / (النبي) / ٢٦٣

أين على؟ ايتونى بعلى / (النبي) / ٣٩٨

أيها الناس اسمعوا قولى / (النبي) / ٦٣٤

أيها الناس أما بعد فإن أصدق الحديث / (النبي) / ٥٦٠

أيها الناس إن الشمس و القمر آيتان / (النبي) / ٦٠٠

أيها الناس إن كل ربا موضوع / (النبي) / ٦٣٦

أيها الناس سعرت النار و اقبلت الفتن / (النبي) / ٦٦٨

أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة / (النبي) / ٥٠١

أيها الناس إن الله قد بعثنى رحمة / (النبي) / ٣٥٦

أيها الناس ان هذا عدو الله و عدوكم / (النبي) / ٤٥٥

أيها الناس لا تشكوا عليا / (النبي) / ٦٣٣

أيها الناس و الله ما لى فى فيثكم / (النبي) / ٥٣٣

أيها الناس يوشك أن اقبض / (النبي) / ٦٧٦

بئس ما جزيتها / (النبي) / ٣٠٢

بارك الله فى ابنه رسول الله ... / (النبي) / ١٠٨

بارك الله عليكم من أهل بيت / (النبي) / ١٧٨

برز الايمان كله الى الشرك كله / (النبي) / ٢٦٤

بسم إله ابراهيم و اسحاق و يعقوب / (النبي) / ٦٠١

بل نترفق به و نحسن صحبته / (النبي) / ٣١٠

بل هو الرأى أنظر لنا منزلا بعيدا / (النبي) / ٣٩٣

سيد المرسلين ، ج٢، ص: ٧٠٢

تآخوا فى الله / (النبي) / ١٩

تزوجوا فانى مكاثركم بالامم / (النبي) / ١٠١

جهزوا جيش اسامة / (النبي) / ٦٦٢

خذها يا ابن ابى طلحة تالدة / (النبي) / ٤٩٩

خير رجالكم على بن ابى طالب / (النبي) / ١١٥

- خير نسائكم فاطمة بنت محمد / (النبي) / ١١٥
- رأيت الملائكة تغسل حنظلة / (النبي) / ١٤٩
- دعه عنك فانه جاء تائبا / (النبي) / ٥٤٠
- دعوها فانها منتنة / (النبي) / ٣٠٥
- رحم الله ابا ذر يمشى وحده / (النبي) / ٥٦٦
- رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة / (النبي) / ٤٣٥
- رحم الله سعدا نصرنا حيا ... / (النبي) / ١٨٤
- سلمان منا أهل البيت / (النبي) / ٢٥٣
- ضربه على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين / (النبي) / ٢٦٧
- على أحبهم الى و أحبهم الى الله / (النبي) / ١١٦
- على خير البشر فمن ابى فقد كفر / (النبي) / ١١٦
- على خير من اتركه بعدى / (النبي) / ١١٥
- على منى بمنزلة الرأس من بدنى / (النبي) / ١١٦
- على منى بمنزلة من ربي / (النبي) / ١١٦
- على منى و أنا منه و هو ولى كل مؤمن / (النبي) / ١١٦
- غيب عنى وجهك فلا ارينك / (النبي) / ١٧٥
- فاطمة بضعة منى فمن اغضبها فقد اغضبني / (النبي) / ٦٨٢
- فاين البعيران اللذين غيبتهما بالعقيق / (النبي) / ٣١١
- فان الله سيجعل لك مخرجا / (النبي) / ٣٤٩
- فاقتص منى حتى ترضى / (النبي) / ٦٧٩
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٣
- فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل / (النبي) / ٣٠٧
- فلذلك الجمل لا يمضى / (النبي) / ١٨٩
- فلم لا تحل و قد أمرت من لم يسبق / (النبي) / ٦٣١
- فو الذى بنفسى لمناديل الجنة أحسن / (النبي) / ٥٧١
- قد اجرنا من أجرت و آمننا من أمنت / (النبي) / ٥٠٥
- قد استعملتك على هؤلاء النفر / (النبي) / ٣٠٨
- قد علمتم موضعى من رسول الله / (على) / ٢٢٥
- قد فعلت فلا تعجلنى بخروج / (النبي) / ٥٤٨
- قوموا الى سيدكم / (النبي) / ٢٩٠
- قوموا عنى لا ينبغى عندى التنازع / (النبي) / ٦٦٨
- كنا اذا أحمر البأس اتقينا برسول الله / (على) / ٧٢ و ١٦٨
- كذبتهم ، يمنعكم من الاسلام ثلاث / (النبي) / ٦٠٤

- كذبوا، و لكننى خلفتك لما تركت / (النبي) / ٥٥٩
- كيف ترى يا عمر، اما و الله لو قتلته / (النبي) / ٣١٠
- لا امثل به فيمثل الله بى و ان كنت نبيا / (النبي) / ٩٢
- لا اجد ما احملكم عليه // ٥٥٦
- لا إنما رحمه // ٥٩٦
- لئن يهدى الله بك رجلا واحدا // ٣٩٩
- لا تخرجوا معى الا راغبين فى الجهاد / (النبي) / ٣٨٨
- لا تدعونى قريش اليوم الى خطه .. / (النبي) / ٣٢٨
- لا تغفلوا آل جعفر / (النبي) / ٤٥١
- لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب .. / (النبي) / ١٤٦
- لا تكلمن أحدا من هؤلاء / (النبي) / ٥٧٧
- لا حاجة لى بهما، اما ابن عمى / (النبي) / ٤٧٩
- لا خير فى دين لا صلاة فيه / (النبي) / ٥٨٦
- سيد المرسلين ، ج٢، ص: ٧٠٤
- لا سواء قتلتنا فى الجنة و قتلاكم فى النار / (النبي) / ١٨١
- لا عطين الراية غدا / (النبي) / ٣٩٧
- لا عليكم ان لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة / (النبي) / ١٤٧
- لا عيش إلا عيش الآخرة / (النبي) / ٢٥٢
- لكن حمزة لا بواكى له / (النبي) / ١٨٦
- لكن ربي أمرنى باعفاء لحيتى و قص شاربى / (النبي) / ٣٦٧
- لكننى ما اكره و الله ان اهريق دمك / (على) / ٢٦٤
- لا نبرح حتى نتاجر القوم // ٣٣٤
- لا ندخلها إلا كذلك // ٤٣٢
- لا و لكن نهيت عن خمس وجوه / (النبي) / ٥٩٩
- لا يحتج محتج منك فى مخالفته / (النبي) / ٥٣٨
- لا يذهب بها إلا رجل منى و انا منه / (النبي) / ١١٧
- لحمك لحمى و دمك دمى و الحق معك / (النبي) / ١١٧
- لقد تيب على ابى لبابة / (النبي) / ٢٨٧
- لو امرت به ما استشرتكم فيه / (النبي) / ٥٦٩
- لو كنت استقبلت من امرى ما استديرت / (النبي) / ٦٣١
- ما انتم باسمع لما اقول منهم / (النبي) / ٨٣
- ما أجد لك شيئا أمثل من ان تقوم / (النبي) / ٤٦٨
- ما ذا تقولون و ما ذا تظنون / (النبي) / ٤٩٦

- ما ذكر لى رجل بفضل من العرب / (النبي) / ٥٤٤
- ما ظن محمد بالله لو لقي الله و هذه عنه / (النبي) / ٦٧٧
- ما لى أراك يا عمر محرما / (النبي) / ٦٣٠
- ما كان الله ليسلط على ذات الجنب / (النبي) / ٦٧٧
- ما لهم و لعمار يدعوهم الى الجنة و يدعوهم الى النار / (النبي) / ١٣
- ما من نبى إلا و له نظير فى امته / (النبي) / ١١٧
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٥
- ما وقفت موقفا قط اغيظ إلى / (النبي) / ١٨٢
- ما ينبغي لنبى اذا لبس لامته أن / (النبي) / ١٤٥
- المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين / (النبي) / ١٩٤
- من أحب ان يلقى الله طاهرا مطهرا / (النبي) / ١٠١
- من ارادت ان تباع فلتدخل يدها / (النبي) / ٥٠٧
- من جاءهم منا فابعده الله / (النبي) / ٣٤٠
- من دخل دار ابى سفيان فهو آمن / (النبي) / ٤٨٤
- من دخل تحت لواء أبى رويحه فهو آمن / (النبي) / ٤٨٩
- من شاء منكم ان يأخذ بطن الوادى / (النبي) / ٥٧٣
- من لم يقل على خير الناس فقد كفر / (النبي) / ١١٦
- من يأخذ هذا السيف بحقه / (النبي) / ١٥٣
- من محمد رسول الله الى كسرى / (النبي) / ٣٦٥
- من محمد بن عبد الله الى المقوقس / (النبي) / ٣٧٠
- من محمد بن عبد الله الى ملك الحبشة / (النبي) / ٣٧٦
- من محمد رسول الله الى الحارث بن ابى شمر / (النبي) / ٣٨٢
- من محمد رسول الله الى هوزة بن على / (النبي) / ٣٨٢
- من محمد رسول الله الى مسيلم الكذاب / (النبي) / ٦٥٧
- نشدتكم بالله هل فيكم احد قتل / (على) / ١٥٦
- نصرت يا عمرو بن سالم / (النبي) / ٤٦٦
- هاك مفتاحك يا عثمان / (النبي) / ٤٩٨
- هذا ما صالح عليه رسول الله / (النبي) / ٣٣٦
- هذا ما كتب النبى محمد رسول الله لنجران / (النبي) / ٦٠٨
- هل أخزاكم الله و انزل عليكم نقمته / (النبي) / ٢٨٣
- همت اليهود ... / (النبي) / ٢٠٨
- هو لكم لا تأكل ثمن الموتى / (النبي) / ٢٦٧
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٦

- و انك لهند بنت عتبة / (النبي) / ٥٠٨
- و أيم الله انى لأقول لكم هذا / (النبي) / ٦٧٥
- وردنا مع رسول الله خير / (على) / ٤٠٨
- و عندى السيف الذى اعضضته / (على) / ٧٧
- و كان منى فى ذلك ما على الله عز و جل ثوابه / (على) / ١٧١
- و الله لا يحبهم عبد إلا أعطاه الله / (النبي) / ٦٧٦
- و الله و ما اردت بهذه إلا الفتنة / (على) / ٦٤٤
- و الله ما أنا أمرت بذلك و لكن الله أمر بسد ابوابكم / (النبي) / ٢٠
- و الله ما يسرنى يا على أن لى / (النبي) / ٥١١
- و الذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم / (النبي) / ٧٩
- و الذى نفس محمد بيده ان شملته / (النبي) / ٤١١
- و ما يدريك يا عمر لعل الله اطلع على اهل بدر / (النبي) / ٤٧٤
- و من اغلق بابه فهو آمن / (النبي) / ٤٨٥
- و من يطيق ما تطيقين يا أمّ عمارة / (النبي) / ١٧٧
- ويح ابن سمية ... انما تقتلك الفئة الباغية / (النبي) / ١٣
- ويحك اذا لم يكن العدل عندى / (النبي) / ٥٣٤
- ويحك اسلم و اشهد ان لا إله إلا الله / (النبي) / ٤٨٢
- ويحك يا ابا سفيان أ لم يأن لك / (النبي) / ٤٨٢
- يا أهل القلب بئس عشيرة النبي / (النبي) / ٨٣
- يا أنصار الله و انصار رسوله / (النبي) / ٥١٨
- يا أيها الناس أوصيكم بما اوصانى الله / (النبي) / ١٥٢
- يا أيها الناس إنى تارك فيكم الثقلين / (النبي) / ٦٧٥
- يا على اصعد على منكبى / (النبي) / ٤٩٤
- يا على أنك أبيت أن تمحو اسمى / (النبي) / ٣٣٨
- يا على لا تقاتلن أحدا حتى تدعوه الى الاسلام / (النبي) / ٦٢٦
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٠٧
- يا على لو لا أنى أشفق أن تقول طوائف / (النبي) / ٤٥٩
- يا عمرو انك كنت تقول فى الجاهلية / (على) / ٢٦٥
- يا من حضر أشهد هذا ان زيدا ابنى / (النبي) / ٢٣١
- يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم / (النبي) / ٥٣٥
- يا معشر المسلمين الله الله أ بدعوى الجاهلية / (النبي) / ٣١
- يا معشر يهود احذروا من الله / (النبي) / ١٢٢
- يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب / (النبي) / ٣٢٧

يسر ولا تعسر و بشر و لا تنفر / (النبي) / ٦٢٥

يفتح الله على يديه / (النبي) / ٤٠٣

سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٨

### (٣) فهرس الأشعار

أ تبكى أن يضلّ لها بعير ٩١

إذ يهتدون بجعفر و لو أنّه ٤٤٣

إذا استقبلت وجه أبي تراب ١١٢

إذا متّ فادفني الى جنب كرمه ٢١٨

أصبح وجه الزمان قد ضحكا ٤٢٤

أعلى تقتحم الفوارس هكذا ٢٧٠

اليوم يوم الملحمة ٤٩٦

الى الله أشكو غربتي ثم كربتي ٢٠١

امن أم أوفى دمنه تكلم ٥٣٩

أنا الذي سمّنتى أمى حيدر ٤٠٠

أنا الذي عاهدنى خليلي ١٥٤

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ٥٤١

بيضاء تسحب من قيام شعرها ١٠٥

حسدوا الفتا اذا لم ينالوا فضله ١٠٧

خلّوا بنى الكفار عن سبيله ٤٣٣

سرن بعون الله جاراتي ١٠٨

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا ٤٤٣

قد علمت خبير أنى مرحب ٤٠٠

سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٠٩

كادت و بيت الله نار محمد ٥٥٦

لئن قعدنا و النبي يعمل ١٢

لا تعجلن فقد أتاك مجيب ٢٦٤

لا يستوى من يعمر المساجد ١٣

لعمرك أنى يوم أحمل رايه ٤٨٠

لكنى أسأل الرحمن مغفرة ٤٤١

لو أن عندى يا ابن حرب جعفرا ٤٤٢

لو كان قاتل عمر و غير قاتله ٢٧٠

ما أن رأيت و لا سمعت بمثله ٥٣٢



نحن بنات طارق ١٥٧

و ابيض يستسقى الغمام بوجهه ٦٨٠

و صعود غارب أحمد فضل له ٤٩٥

و عاش أبو ذرّ كما قلت وحده ٥٦٧

و ما أنس لا أنس اللذين تقدما ٣٩٧

و لقد بححت من النداء ٢٦٣

و الله لو لا الله ما اهتدينا ٣٧٧

يا حَبْذا الجنة و اقترابها ٤٤٦

يا رب انى ناشد محمدا ٤٦٥

يا طلع إن كنتم كما نقول ١٥٦

يناديهم رسول الله لما ٨٤

يناديهم يوم الغدير نبيهم ٦٥٤

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧١٠

#### (٤) فهرس الأعلام

أ- أربد (العامري) ٦٢٣

أزهر ٣٤٨.

آذرم ٥٦٩، ٥٧٠.

آرشه تونك (الدكتور) ٢١٦.

ابان بن سعيد بن العاص ٣٣٣.

ابراهيم بن رسول الله (ص) ٥٤٢، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩.

ابراهيم الخليل (النبي) ٤٩، ٣١٥، ٣٢٢، ٣٢٥، ٥٦١، ٥٩٩، ٦٠٢، ٦٢٨، ٦٣٠.

ابن أبي أحمد ١٦٤.

ابن أبي الحديد ٩٤، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٨، ١٩٤، ٢٦٥، ٣٩٧، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٨٧.

ابن أبي الحقيق ٢٩٧.

ابن ابى سيرة ١٦٢، ١٦٤.

ابن الأثير ٣٧، ٤٧، ١٣٥، ١٧٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٢١، ٣٦٠، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤٤٢، ٥١١، ٦٠٥.

ابن اسحاق ٧، ١٣، ٣٤، ٣٦، ٧٠، ٢٦٨.

ابن أم مكتوم ١٢٨، ١٩٢، ٢١١، ٣٠٠.

ابن بابويه ١٠٧.

ابن تيمية (الحراني) ٢٦٨، ٢٦٩.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧١١

ابن جرير ٢٤٠.

ابن حجر العسقلاني ٣٢٢، ٣٦٧، ٤٥٢، ٤٧٦.

ابن حذيفة ٧٦.

ابن الجوزي ٢٠.

ابن خلكان ٦٥.

ابن رواحة ٤١٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٠.

ابن سعد (صاحب الطبقات) ٧١، ١٨٩، ٢٠٥، ٣٨٩، ٤٣٨، ٤٩٨.

ابن سلامة ٤٥٠، ٥٢٧، ٥٣٤، ٥٧٣، ٦٢٢.

ابن سهيل ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤.

ابن شماس ٢١٤.

ابن طلحة ١١٢.

ابن عباس ١٥٥، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٨٤، ٤٨٦.

ابن عبد ربه ١١٢.

ابن العرندس ٤٩٥.

ابن عقدة ٤٥٢.

ابن العوام ٤٩٣.

ابن كثير الشامي ١٦، ١٧، ٢٠، ٥١٢.

ابن قميئة الليثي ١٦٦، ١٧٦.

ابن مزاحم ١٤.

ابن مسعود ٦١، ١١٦.

ابن مسلمة (محمد) ٤٣، ١٣٣، ١٦٤، ٢٠٩، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١٠، ٤٣٢، ٤٩٣، ٥٥٨.

ابن هشام ٧، ١٣، ١٩، ٣٤، ٤٥، ٤٧، ٥٨، ٦٠، ٨٣، ١٣٠، ١٦١، ١٦٢، ١٧٢، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١١، ٢٢٧، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٨٩، ٢٩٣،

٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٤٨، ٣٨٩، ٣٩٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٢

٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤، ٤١٤، ٤٤٤، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٨٠، ٥٠٤، ٥١٩، ٥٢٣، ٥٢٣، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥١٨.

ابن واضح الاخباري ٣٦٦.

أبي بن خلف ١٦٥.

أحمد بن حنبل ١٥، ١٦، ١٧، ٨٤، ١٠٩، ١١٣، ٣٦٦، ٤٩٥، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧٢.

أحمد بن ابي خيثمة ٢٢٤.

الاخنس بن شريق ٣٤٨.

اريد ٦٢٣، ٦٢٤.

أرمي بن الاصحم ٣٨١.

اساف (صنم) ٤٩٣.

اسامة بن زيد ١١٥، ١٤٥، ٣١٩، ٤٩٤، ٤٤٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٧.

- اسرافيل (الدكتور) ٢٤٩.
- اسكندر المقدوني ٣٥٦.
- اسماعيل (النبي) ٦٠٢.
- الاسود الثقفي ٥٨٧.
- الاسود بن عبد الاسد المخزومي ٧٥، ٧٦.
- الاسود بن كعب ٦٥٦، ٦٥٨، ٦٥٩.
- الاسود بن المطلب ٩٠، ٩١.
- اسيد بن حضير ١٢، ١٨٦، ٢٦٢، ٣٠٨، ٣٢١، ٥٢٠.
- الاقرع بن حابس ٥٣٠.
- أكيدر بن عبد الله ٥٧٠، ٥٧١.
- أمية بن خلف ٣٧، ٥٧، ٥٨، ٨١، ٨٣، ٨٩.
- أمية بن المغيرة ٤٧٨.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٣
- أنس بن مالك ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١٦١، ١٦٢.
- انس بن النضر ١٦١، ١٦٢، ١٦٣.
- أنو شيروان ٢٦٤، ٣٧٥.
- (ب) - باذان ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩.
- بجير بن زهير ٥٣٩، ٥٤٠.
- بديل بن ورقاء ٣٢٨، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨١، ٤٨٢.
- بريدة ١١٥، ١١٦، ٣٠٤، ٦٦١.
- البراء بن عازب ٦٢٦.
- بشير بن البراء بن معرور ٤١٦.
- بشير بن سفيان ٤٨٦.
- بلال بن الحارث ٤٨٦.
- بلال الحبشي ٨١، ١٠٤، ١٠٩، ٤٣٤، ٤٩٣، ٤٩٧، ٦٧٨.
- (ت) تنودوز الكبير ٣٥٧.
- (ث) ثابت بن أرقم ٤٤٧.
- ثابت بن قيس ٢١٤، ٢٩٤.
- ثمالة الثقفي ٥٣٢.
- (ج) جابر بن عبد الله الانصاري ١٨٨، ٣٠٠، ٥٩٢.
- جبار (العامري) ٦٢٣، ٦٢٤.
- جبرائيل (الملك) ٢٠، ٥٢، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٨٣، ٤٥٥، ٤٧٢، ٥٩٢، ٥٩٧، ٦٤٧، ٦٦٥.
- جد بن قيس ٥٥٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٤

جديمة بن عامر ٩٠٥.

جعفر بن أبي طالب ١٠٨، ٢٢٢، ٢٩٨، ٤١٢، ٤١٣، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٤٢، ٤٤٠، ٤٤١.

جعفر الصادق (الامام) ١٢٦، ١٣٨، ٣٤٧، ٥٤٤.

جميع بن عمير ١١٧.

جندب بن زهير ١١٥.

جهجاه بن مسعود ٣٠٥.

(ح) الحارث بن ابي شمر الغساني ٣٥٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٥٢٩.

الحارث بن أبي ضرار ٣٠٤.

الحارث بن الحارث ٥٣٣.

الحارث بن زمعة ٩٠، ٩١.

الحارث بن عمير الازدي ٤٣٩.

الحارث بن الصمّة ١٦٥، ٢٠٥.

الحارث بن طلال ٤٩٠.

الحارث بن هلال ٥٠٤، ٥٢٣.

الحارث (اخو مرحب) ٣٩٩.

حاطب بن بلتعة ٣٠٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٤٧٣، ٤٧٤.

الحافظ بن حنان ١١٢.

الحياب بن منذر ٦٩، ١٣٩.

الحجاج بن علاط السلمى ٤١٩، ٤٢٠.

الحجاج بن يوسف الثقفي ١٧.

حجر بن عدي ٥٦٧.

حرب بن أمية ٤٦٦.

حذيفة بن اليمان ٥٧٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٥

الحسن بن اسماعيل ٦٠٣، ٦١٣.

الحسن بن علي (الامام) ١٠٣، ١٠٩، ١١٩، ٢٢٣، ٢٢٥، ٤٦٨، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٨.

الحسن بن علي العلوي ٦٢١.

الحسن بن موسى ١٥٥.

حسان بن ثابت ١٠، ٨٣، ٨٤، ٢٠٢، ٢٥٩، ٤٤٣، ٥٧١، ٦٥٤.

الحسمان الخزاعي ٨٨.

الحسين بن علي (الامام) ١٠٣، ١٠٩، ١١٩، ٢٢٩، ٢٢٣، ٤٢٥، ٤٦٨، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٨.

الحكيم بن حزام ٧٤، ٧٦، ٢٣١، ٤٨١، ٤٨٢، ٥٣٣.

- الحكيم بن كيسان ٣٩.
- الحلس بن علقمة ٣٢٩، ٣٣٠.
- حمزة بن عبد المطلب ٢٤، ٣٣، ٣٦، ٤٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ١٠٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٧، ١٨٢، ١٨٦، ٢٦٤، ٤٤٢، ٤٩٠، ٥٠٨.
- حنظلة بن ابي سفيان ٧٨، ١٤٨، ١٤٩.
- حنظلة (غسيل الملائكة) ٥٧٨.
- حويرث بن نقيذ ٤٩٠.
- حيى بن اخطب ٢٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٨٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٩٤.
- (خ) خالد بن اسيد ٤٣٤.
- خالد بن ثعلب ١٧١.
- خالد بن رياح ١٦٤.
- خالد بن سعيد ٥٨٤.
- خالد بن الوليد ١٥٢، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٦٢، ٣٤٦، ٤٣١.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٦
- ٤٣٩، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٨٦، ٤٩١، ٤٩٤، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٧، ٥٧١، ٦٢٦، ٦٦٠.
- حبيب بن عدى ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٥.
- خراش بن أمية ٣٣١.
- خزيمة بن ثابت ١٤.
- خرخسره ٣٦٦، ٣٦٨.
- خسرو پرويز ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٧٩، ٦٤٣.
- خلاء بن عمرو بن الجموح ١٨٨.
- خيثمة ٥٦، ١٤٢.
- (د) داود بن قابوس ٤٠٣.
- دحية الكلبي ٢٥٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٢، ٣٨٢.
- دعبل ٤٢٤.
- دعثور ١٢٩.
- دريد بن الصمة ٥١٥.
- (ذ) ذو الخويصرة التميمي ٥٣٤.
- ذو الفقار ١٧٢، ٣٩٩.
- ذو الكلاع الحميري ١٤، ١٥.
- (ر) رافع بن مكيث ٤٨٦.
- ربيع بن ابي الحقيق ٤٠٢.
- ربيعه بن الحارث (ابن) ٦٣٥.
- ربيعه بن عبد شمس ٧٦.

- رفيده ٢٩٠.
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧١٧
- (ز) زاذان ٢٢٤.
- الزبير بن باطا ٢٥٧، ٢٩٤، ٣٣٣.
- الزبير بن العوام ٦٤، ١٥٧، ١٦٤، ١٨٣، ٤٧٣، ٤٨٦، ٤٩٣، ٦٥١.
- زهير بن أبي سلمى ٥٣٩.
- زهير بن أبي أمية ٦٠.
- زهير بن صرد ٥٢٩.
- زيد بن أرقم ١١٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٦٥١.
- زيد بن حارثة ٣٧، ٩٠، ١٣١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٩٤، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٠٧، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥١، ٤٤٢، ٤٦٠، ٦٦١.
- زيد بن الخيل ٥٤٤.
- زيد بن دثنة ١٩٩، ٢٠٠.
- زيد بن سهيل ٢٠٠.
- (س) السائب ٣٦.
- سراقه بن جعشم ٥٨.
- سعد بن أبي وقاص ٣٦، ٤٤، ٦٤، ٨٦، ٤٠٥، ٦٦٠.
- سعد بن معاذ ٣٦، ٦١، ٦٣، ٧٠، ١٨٦، ٢١٣، ٢٥٨، ٢٧١، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢.
- سعد بن عباد ٣٦، ١٤٤، ٢١٣، ٢١٤، ٢٥٨، ٢٧١، ٣٢٠، ٣٢١، ٤٩٧، ٥٣٥.
- سعيد بن خيثمة ٥٦، ١٤٣، ٥٦١.
- سعيد بن زيد ٥٤.
- سعيد بن الربيع ١٨٤، ١٨٥.
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧١٨
- سعيد بن زيد الأشهلي ٣٠١، ٥٠٩.
- سفيان الثوري ٢٢٣، ٢٢٤.
- سلمان الفارسي ١٠٨، ١١٥، ٢٥١، ٢٥٣، ٥٢٢، ٥٢٣.
- سلام بن ابي الحقيق ٢٤٨، ٢٩٦، ٢٩٨.
- سلام بن مشكم ١٢٨، ٢١١، ٤١٦.
- سلمة بن عمرو بن الاكوع ٣٠١.
- سليمان بن سحيم ٤٥.
- سليط بن عمرو ٣٨٣.
- سليط بن النعمان ١٣١.
- سمرة ٦٤٧.

سنان ٣٠٥.

سواد بن غزیه ٧٨، ٧٩.

سواده بن قیس ٦٧٨، ٦٧٩.

سواع (صنم) ٥٠٩.

سويد بن صخره ٤٨٦.

سهيل بن حنيف ١٧٣، ٣١٣.

سهيل بن عمرو ٨٣، ٩١، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٠، ٣٤٨، ٤٣٤، ٤٩١.

سيد قطب ٢٢٥.

(ش) شاس بن قيس ٣٠، ٢٨٨.

شجاع بن وهب ٣٨١.

شرحيل ٦٠٢.

شيبه بن ربيعه ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٨٣، ٩٠، ١٧٤.

شيويه ٣٦٤، ٣٦٨، ٣٦٩.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧١٩.

(ص) صفوان بن أمية ٣٨، ١٣١، ١٣٦، ١٩٢، ١٩٩، ٢٢٩، ٣١٧، ٤٣٤، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٥، ٥١٦، ٥٣٣.

(ض) الضحاک بن خليفه ٥٥٦.

ضرار بن الخطاب ٢٦٣.

ضمضم بن عمرو الغفاری ٥٧.

(ط) طالب ٦٨.

الطاهر ٥٩٧.

طلحه بن أبي طلحه ٥٣، ١٥٦، ١٦٤.

طلحه بن عبد الله ٥٤، ١٦١، ١٧٣، ٥٥٦.

طفيل بن عمرو الدوسي ٥٢٣.

الطيب ٥٩٧.

(ع) العاص بن هشام ٥٧، ٨٧.

عاصم بن ثابت ١٧٣.

عامر بن الحضرمي ٧٤، ٧٥.

عامر بن الطفيل ٢٠٣، ٢٠٥.

عامر بن مالك بن جعفر ٢٠٤.

عباد بن بشير ٢٢٧، ٤٠٧، ٥٧٢.

عبادة بن الصامت ١٧، ١٢٦.

عباس بن عبد المطلب ٤٨، ٨٠، ٨٢، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١٣٧، ١٣٨، ٣٠٧، ٤٣٦، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٥١٨، ٦٨٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٠.

- عباس بن مرداس ٤٨٦، ٤٨٨.
- عبد الجبار بن احمد ٩٤.
- عبد الحسين شرف الدين (السيد) ٦٣٢.
- عبد الرحمن بن عوف ٨٠، ٨١، ٢١٨، ٢٢٣، ٤١٨، ٥٠٩، ٥٨٩، ٦٠٢، ٦٨٣.
- عبد الله بن أبي سلول ١٢٦، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٦٢، ١٦٣، ٢١١، ٢١٢، ٢٨٩، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣١٧، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٧٠، ٤٧٨، ٤٩٠، ٥٦٢.
- عبد الله بن ابي رافع ١٣٥، ٣٣٨.
- عبد الله بن أمّ كلثوم ٥٥.
- عبد الله بن بدر ٤٨٦.
- عبد الله بن جحش ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٧٤، ٤٥٣.
- عبد الله بن جدعان ٢٢٢.
- عبد الله بن حارثة ٦٤٢.
- عبد الله حبيب ٢٢٣.
- عبد الله بن حجل ١١٥.
- عبد الله بن حدرد الاسلمى ٥١٦.
- عبد الله بن حذافة السهمى ٣٦٥.
- عبد الله بن حزام ١٤٩.
- عبد الله بن حسن ٤٢٧.
- عبد الله بن حميد ١٦٥.
- عبد الله بن حنظلة ١٤٩، ٤٨١.
- عبد الله بن الخزرج ٣٠٩.
- عبد الله بن خبير ١٥٠، ١٥١، ١٥٨، ١٥٩.
- عبد الله بن رواحة ٧٦، ٩٠، ٤١٥، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤٦، ٤٤٧.
- عبد الله بن الزبيرى ٤٩٠.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢١
- عبد الله بن سلام ٢٨، ٢٩.
- عبد الله بن سهيل ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩.
- عبد الله بن شهاب ١٦٥.
- عبد الله بن طارق ١٩٩.
- عبد الله بن العباس ١١٥.
- عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ٤٨٩.
- عبد الله بن عمر بن الخطاب ١٤٥، ٤١٩، ٤٨٦.
- عبد الله بن عمرو ١٨٣، ١٨٨.



- عبد الله بن عمرو بن حزام ١٧، ١٨٩.
- عبد الله بن عمرو بن العاص ١٧.
- عبد الله بن عمرو بن مخزوم ٥٠٩.
- عبد الله بن قمئة الليثي ٢٢.
- عبد الله بن كعب المازني ٨٥، ١٧٧.
- عبد الله بن مسعود ٥٦٧.
- عبد الله بن موسى ٤٢٤.
- عبد الله بن هاشم ١١٥.
- عبد العزيز ٤٢٧.
- عبد المطلب ١٠٧، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٣٢، ٢٦٤، ٣٠٨، ٣١٤، ٤٧٨، ٥٨٠، ٦١٢.
- عبد ياليل ٥٨٣.
- عبيد الله بن أبي رافع ٦.
- عبيدة بن الحارث ٣٤، ٣٦، ٧٧.
- عبيد الله بن بهلول ٦١٢.
- عتاب بن اسيد ٥١٣، ٥٣٨، ٥٦٠.
- عتبة بن ابي الوقاص ١٦٥.
- عتبة بن ربيعة ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٥٠٨.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٢
- عثمان بن حنيف ٤٢٤.
- عثمان بن أبي العاص ٥٨٦.
- عثمان بن طلحة ٤٣٨، ٤٩٢، ٤٩٨.
- عثمان بن عبد الله ٣٩.
- عثمان بن عفان ١٢، ١٣، ٨٨، ١٦٥، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٥٠٥، ٦٠٢.
- عثمان بن مظعون ٦٥١.
- عدي بن حاتم ١١٥، ٣٥٩، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٠.
- عروة بن الزبير بن العوام ٦، ١٣٥.
- عروة بن مسعود الثقفي ٣٣٠، ٣٣١، ٣٧٤، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٧.
- عطاء بن السائب ٢٢٣، ٢٢٤.
- عقبة بن أبي معيط ٥٧، ٨١.
- عقبة بن الحارث ٢٠١.
- عقيل ٩٠، ١٠٨.
- عكرمة بن أبي جهل ١٣٦، ١٥٢، ١٦٠، ١٨٠، ٢٦٢، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٥.
- العلاء بن جارية ٥٣٣.



عيسى بن مريم (النبي) ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٤، ٥٥١.

العيص ٣٥٠.

عينه بن حصن الفزاري ٣٠١، ٥٣٠.

- غ - غالب بن عبد الله ١٢٨.

غافل بن البكير ٥٤٤.

- ف - الفاكه بن المغيرة ٥٠٩.

فرانسيز فريديناند (الارشيدوق) ١٢٤.

الفخر الرازي ٢٣٨، ٢٤١، ٦٠٥، ٦٠٩.

فرعون ٢٠٠، ٢٩٩، ٣٦٩، ٣٧٠.

فيروز ٣٦٦.

الفضل بن العباس ٢٤٠، ٥١٨، ٥٩٩، ٦٨٤، ٦٨٦.

فهم ٥٣٢.

- ق - القصواء (الناقة) ٤٩٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٥.

القاسم بن رسول الله ٥٩٧.

قيصر ٢٣١، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٩، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٦، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٧، ٤٤٤.

- ك - كارليل (توماس) الانجليزي ٤٧٨.

كرز بن جابر ٣٧.

كسرى ٣٣١، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٨٧.

كعب بن الاسد ٢٧، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٩١، ٤٦٧.

كعب بن الاشرف ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ٢٩٣، ٢٩٧، ٤٠٢.

كعب بن زهير ١٠، ٥٣٩، ٥٤٠.

كعب بن زيد ٢٠٣.

كعب بن مالك ١٧٨، ٤٤٢، ٥٧٦.

كنان بن الربيع ٤١٠.

- م - المأمون ٤٢٤، ٤٢٧.

مالك بن ابي ٢١١.

مالك الاشر ١١٥، ٥٦٧.

مالك بن الدخشم ١٨٤.

مالك بن عوف ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٧٥، ٥١٥، ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٣٢.

مالك بن قيس ٥٦١.

مالك بن نويره ٥١٢.

محمد بن اسحاق ٦، ١٧١.

- محمد بن ابي بكر ١١٥.
- محمد بن احمد المخزومي ٦٢١.
- محمد بن بشاره ٢٢٢.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٦.
- محمد بن جرير ١٣٠.
- محمد بن عبد الله ٦٠٣، ٦١٢.
- محمد بن عمر البغدادي ٦٥٢.
- محمد بن سعيد ٧١، ٥٤٣.
- محمد بن مسلمة ١٣٣.
- محمد بن المطلب الشيباني ٦٠٣، ٦١٢.
- محمد بن صدقة العنبري ٦١٢.
- محمد بن علي الباقر (الامام) ٢٢٢.
- محمد بن معد العلوي ١٦٤، ١٧٧.
- محمد الثاني (السلطان) ٣٥٨.
- محمد حسين هيكل ٦٧١.
- محمد حميد الله (البروفيسور) ٣٥٣.
- محمد عادل (الاستاذ) ١١٠.
- محمد عثمان كريم ١١١، ١١٨.
- محمد الفاتح ٣٥٨.
- محمد اليمنى (الامير) ٦٥٣.
- محمد المهدي (العباسي) ٤٢٧.
- محمود شلتوت (الشيخ) ٦٣٧.
- محمود بن سلمة ٣٩٣، ٤١٠.
- مجاعه بن مراره ٣٨٥.
- مجلده بن عمرو ٣٤، ٤٤، ٦٦.
- مخرمه بن نوفل ٦٨.
- المخيري ٢٧، ٢٩.
- مربع بن قيض ١٤٦.
- مرحب ٤٠٠، ٤٠١.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٧.
- مراره بن الربيع ٥٧٦، ٥٧٧.
- مرتد بن ابي مرتد ١١٤، ٢٠٥.
- مره بن مروان ٤٠٢.

- مروان بن الحكم ٤٢٧.
- المستعلى بن المستنصر ٦٥٠.
- مسلمة بن اسلم ٢٦٠.
- مسيلم الكذاب ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٩.
- مصعب بن عمير ٥٥، ١٥٥، ١٦٠.
- مطعم بن جبير ١٣٧.
- مقداد بن عمرو ٦٠، ٦١، ٦٢، ٤٧٣، ٤٨٦.
- معاذ بن جبل ٥١٣، ٥٣٩، ٦٢٥.
- معاوية بن ابى سفيان ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٥١، ٧٧، ٧٨، ٣٣٨، ٤٢٤، ٥٠٧، ٥٣٢، ٥٤١.
- مقيس بن صبابه الكندى ٤٩٠.
- معبد بن أبى معبد الخزاعى ١٩٢، ١٩٣.
- معبد بن خالد ٤٨٦.
- معقل بن سنان ٤٨٦.
- المغيرة بن شعبه ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٧٣، ٣٧٤، ٥٨٤، ٥٨٧.
- المقوقس ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٦، ٥٤٢.
- مكرز بن حفص ٣٢٩، ٤٣٢.
- مناه (صنم) ٥٠٩.
- منذر بن عمرو ٢٠٢.
- منذر بن محمد ٢٠٥.
- ميسرة ٢٢٤.
- موسى (النبي) ٢٠، ٦٠، ٦٢، ٢٩٩، ٣٧١، ٣٧٨.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٨
- موسى الهادى بن المهدي ٤٢٧.
- ن - نائلة (صنم) ٤٩٣.
- ناپليون بوناپرت ٣٥٦.
- النضر بن الحارث ٨١، ٨٧.
- النعمان بن المقرن ٤٨٦.
- النعمان بن المنذر ٥٢٩.
- نعيم بن مسعود ٢٢٨، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٥، ٤٠٧، ٤٨٦.
- نميلة بن عبد الله الليثى ٣٨٨.
- نوفل بن عبد الله ٢٦٣، ٢٦٦.
- ه - هارون ٤٢٧.

- هاشم بن عتبة ١١٥.
- هبار بن الاسود ٤٩٠.
- هبل (صنم) ١٦٧، ١٨٠، ٤٩٣.
- هرقل ١٥١.
- هبيرة بن وهب ٢٤٣.
- هلال بن أمية ٥٧٦، ٥٧٧.
- هوذة بن علي ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥.
- و- واقد بن عبد الله ٣٩.
- وحشى بن حرب ١٣٧، ١٧٤، ١٧٥، ٤٩٠.
- الوليد بن عقبة بن ابي معيط ٣١٢.
- الوليد بن عتبة ٧٦، ٧٧.
- ويليم مويير (السير) ٣٥٤.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٢٩
- ياسر ١٥.
- يحيى بن عماره ١٥٥.
- يحيى بن معين ٢٢٤.
- يزيد بن الخصب ٤٨٦.
- يزيد ١٧، ٤٢٧.
- يوحنا بن روبة ٥٦٩.
- يوشع بن نون ٤٢١.
- النساء:.
- آمنة بنت وهب ١٣٨.
- أسماء بنت عميس ٤٥١، ٦٧٧.
- جميلة (بنت عمر) ٥٤٤.
- جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار ٣١١.
- حليمة السعدية ٥٢٩، ٥٣١.
- خديجة بنت خويلد ٣، ٩٢، ٩٣، ١١٠، ٢٣١، ٣٥٦، ٥٩٧، ٦٨١.
- رقية بنت رسول الله ١٠٣، ١١٠، ١١٨، ٥٩٧.
- زينب بنت جحش ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢.
- زينب بنت رسول الله ٩٢، ٩٤، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ٥٤٢، ٥٩٧..
- سلمى ٥٤٢.
- شيماء بنت الحارث ٥٣١.
- صفية بنت حيي بن أخطب (زوجة النبي) ٣٩٤، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٧.



سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٣٢

بنو حسن ٤٢٧.

بنو خزاعة ١٩٣، ٣٣١، ٣٤١، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٨١.

بنو الزهراء ٤٢٧.

بنو زهرة ٦٨.

بنو ساعدة ٢٢، ٢٤، ٥٦٣، ٦٧٤.

بنو سعد ٥٢٩، ٥٣٢.

بنو سلمة ٧٣.

بنو الشطيبة ٢٤.

بنو سليم ١٢٨، ٢٥٠، ٢٥٤، ٣٠٣، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٨، ٤٧٢، ٤٨٥، ٥١٧.

بنو شيان ٥١٤.

بنو ضمرة ٣٦، ٤١.

بنو عامر ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٧٠، ٣٤٩، ٦٢٣.

بنو العاص ٥٩.

بنو عبد الأشهل ١٨٦، ١٩٢.

بنو عبد الدار ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧.

بنو عبد المطلب ٤٩٩، ٦٤٦.

بنو عبد مناة ١٧٠.

بنو عدى ٣٣٣.

بنو عمرو بن عوف ٢٢.

بنو عوف ٢٢، ٢٤، ٨٠.

بنو غسان ٣٥٩، ٥٥٣.

بنو غطفان ١٢٩، ٢١١، ٢٢٦، ٢٥٠، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٨، ٣٠١، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٠٧، ٥٦٠.

بنو غفار ١٣٨، ٣٠١، ٣٩٤، ٤٧٢، ٤٧٦، ٤٨٦.

بنو فزارة ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣٨٩.

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٣٣

بنو قريظة ٢١، ٢٦، ٢٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢٣٠، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٢، ٢٤٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٨٦،

٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٢١.

بنو قينقاع ٢١، ٢٦، ٢٧، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ٢٠٩، ٢٤٨، ٢٨١، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٤، ٣٨٦.

بنو كنانة ٥٨، ١٣٧، ١٧٠، ٢٦٣، ٣٤١، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٨٦.

بنو كعب ٤٧٢.

بنو لحيان ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤.

بنو ليث ٤٨٦.



بنو مالك ٣٢١.

بنو مدلج ٣٧، ٤١.

بنو المصطلق ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤.

بنو مرة ٢٥٠، ٢٥٤.

بنو النبيت ٢٢.

بنو النجار ٢٢، ٢٤، ٣٨٩.

بنو النضير ٢١، ٢٦، ٢٧، ١٢٨، ١٣٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٣، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣٨٦، ٤١٠.

بنو مزينة ٤٨٦.

الخزرج (قبيلة) ٩، ١٨، ٢١، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٢، ٥٥، ١٣٩، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٩، ٢٩٢، ٣٠٢، ٣٢١، ٣٨٧، ٣٨٩، ٤٩٧، ٥٧٨.

بنو وائل ٢٤٧.

جرباء (قبيلة) ٥٦٩، ٥٧٠.

تميم (قبيلة) ٤٧٢، ٥٦٠.

ثقيف (قبيلة) ١١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٤

٥٢٦، ٥٢٧، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٨٢، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٧.

جهينة (قبيلة) ٤٧٢.

جذام (قبيلة) ٥٥٣.

خزاعة (قبيلة) ١٣٩، ٣٠٤، ٣٢٧، ٣٢٩، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٦٧.

دوس (قبيلة) ٥٢٣.

ربيعه (كذاب) ٦٥٨.

سلمه (قبيلة) ٥٣٢.

سويلم (قبيلة) ٥٥٦.

طى (قبيلة) ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٦٠.

لخم (قبيلة) ٥٥٣.

فهم (قبيلة) ٥٣٢.

قريش (قبيلة) ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣١، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٥

٤٨٥، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٥، ٥٠١، ٥١٤، ٥٢٦، ٥٤٢، ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٥٧.

قيس (قبيلة) ٤٧٢.

بنو هاشم ٤٨، ٨٠، ١٥٥، ٢٣٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩٩، ٤٤٦.

هوازن (قبيلة) ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٢.

ولد اسماعيل ٢٥٧، ٣٢٥.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٦

## (٦) الكنى والألقاب

«الكنى» الرجال:

أبو الاسود الدؤلى ١١٢.

أبو أيوب الأنصارى ١١٨، ٤١٧.

أبو البائت ٤٠٣.

أبو البحترى ٨٨، ١٥٥.

أبو البراء العامرى ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥.

أبو بكر بن أبى قحافة ٦٠، ٦١، ٩٤، ١٠٤، ٣٣٠، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٥٥، ٤٥٦، ٥١١، ٥١٢، ٥٢٤، ٥٦٣، ٥٨٤، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٤.

٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٦٠.

أبو بكر الجوهري ٤٧٠.

أبو بكر بن حزم ٥٥، ١٣٤.

أبو بصير ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠.

أبو تراب ٤٠٥.

أبو جعفر البصرى ٩٤.

أبو جعفر المنصور ٤٢٧.

أبو جندل ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٨.

أبو جهل ٣٣، ٣٤، ٤٨، ٤٩، ٨٣، ٨٨، ١٣٦، ١٧٣، ١٧٤، ٢٦٣، ٤٨٤، ٥٤٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٧

ابو جهم العبيدى ١٦٢.

ابو حاتم ٢٢٤.

ابو حارثة ٤٠١، ٤٠٢، ٤١٠، ٤٨٠.

ابو الحسن ٩٤، ١٠٤، ٤٠٨.

ابو الخير الحاكمى ١١٤.

ابو العقيق ٣٩٤.

ابو حمراء بن سفيان ١٧١.

ابو الخير ٢٦٥.

أبو دجانة الانصارى ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٩، ٢١٣.

ابو ذر الغفارى ٤٨٦، ٥٦٥، ٥٦٧.

ابو رافع ٨٩، ٩٠، ١١٥، ١٣٥، ١٧٠، ٤٣٧.

ابو ريحئة ٤٨٩.

ابو سعيد بن خيشمة ١٤٨.

ابو سعيد السجستاني ٦٥٢.

ابو سفيان بن الحارث ٤٧٨، ٥١٨.

ابو سفيان ١٥، ٣٦، ٥٣، ٥٧، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٣،

١٦٤، ١٧٤، ١٨٠، ١٨١، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٠٧، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٩،

٤٧٢، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٨، ٥١٤، ٥١٧، ٥١٨، ٥٣٣،

٥٤٤، ٥٨٧، ٦٤٤.

ابو سلمة ٣٧، ١٩٧.

ابو الشعثاء بن سفيان ١٧١.

ابو طالب ٩٠، ٣٣٣، ٣٥٦، ٤٤٢، ٤٨٥، ٤٩٢، ٥٠٤.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٨

ابو طلحة ١١٨.

ابو العاص ٨٢، ٩٣، ٩٤، ١٠٩، ١١٨، ٥٤٢.

ابو عامر ١٤٨، ١٥٤، ٢٥٠، ٥٧٨، ٥٧٩.

ابو العباس السفاح ٤٢٨.

ابو عبيدة الجراح ١٦٥، ١٦٩، ٦٨٦.

ابو العرفان الحبان ٦٥٣.

ابو عزيز ٨٧.

ابو عزة الجمحي ٨٢، ١٩٤.

ابو عمرة ١١٥.

ابو العلاء الهمداني ٦٥٢.

ابو الفضل ٤٨١، ٤٨٨، ٦١٢.

ابو لبابة ٥٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨.

ابو لهب ٥٧، ٨٩، ٤٧٨.

ابو المفضل ٦٢١.

ابو موسى الاشعري ٥٢١.

ابو نائلة ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥.

ابو واقد الليثي ٤٨٦.

ابو الوليد ٧٤، ٧٦.

النساء:

ابنة حاتم الطائي ٥٤٩.

أم أنس (بن مالك) ١١١.

أم أيمن ٤٢٥، ٤٢٦.

أم حبيبة ٤٦٧.

أم سلمة ١٠٨، ١١٧، ٢٨٧، ٢٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٣٩

أم سليم بن ملحان ٥٢٠.

أم عامر ١٧٣.

أم الفضل ٨٩، ٤٣٦.

أم كلثوم بنت رسول الله ٥٩٧.

أم كلثوم بنت عقبة ٣٥٠.

أم هاني ٥٠٤.

«الألقاب» الألو سي ٢٣٨، ٢٤١، ٥٩٤.

ابن طاوس (السيد) ٦٠٣، ٦٠٦، ٦١١، ٦٢١.

الافندي صاحب كشف الظنون ٦.

الاميني ١١١، ١٢٠، ٦٤٨، ٦٥٣.

البحراني (المحدث) ٣٢٣.

البخاري ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢.

البخري ٨٠، ٨١.

البروجردى (السيد) ٢١٦.

الترمذي (الحافظ) ١١٢.

التلعكبري ٦٢١.

الثعالبي ٦٥٠.

الجزري الشافعي ٦٥٢.

الحلبي ٣٩٧، ٤٢٦، ٦٠٣.

الحموي (الياقوت) ٦٠١.

الحميدي ٢٢٤.

الخجندی (الحافظ) ١٠٩.

الدولابي ١٠٧.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٠

الدينارية (المرأة) ١٨٧.

- الرضي (السيد) ٧٢.  
 الزمخشري ٦٠٥، ٦٠٧.  
 السيوطي ٦.  
 شرف الدين ٦٧١.  
 الطباطبائي (العلامة) ٢١٦، ٢٤٣، ٦٠٩.  
 الطبري ٥٢، ٦٠، ٦١، ٧١، ٢٣٩، ٣٣٧، ٤٠٤، ٦٥٢.  
 الطوسي (الشيخ) ٧، ١٣٧، ٦١١، ٦٢٠، ٦٢١.  
 كعب الاحبار ٦٨٣.  
 القندوزي ١٩.  
 العامري ٣٤٩.  
 العاملي (الحرّ) ٥٢، ١٣٨.  
 العراقي (الحافظ) ١١٢.  
 العقاد (عباس محمود) ١١٨.  
 المامقاني ٦٢١.  
 المجلسي (العلامة) ٥٤، ٧٣، ١٤٨، ١٥٧.  
 المسعودي ٦١٥.  
 المطهري (الاستاذ) ٧.  
 المفيد (الشيخ) ١٥٥، ٢١٤، ٢٩٠، ٤٠١، ٤٥٥.  
 المقرئ ٦٠، ١٣١، ١٦٧، ٢١٤، ٢١٥، ٢٥٤.  
 النجاشي ٢٣١، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٠، ٤١٢، ٤٤٢.  
 ٦١٢.  
 النسائي ٦٥٣.  
 الهيثمي ١١٨.  
 سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤١  
 الواقدي (صاحب السيرة المتوفى ١٥١) ٧، ٦١، ٦٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٥١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ٢٠٧، ٢٦٣، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٧٤، ٤٣٨، ٥٦١.  
 الواقدي (صاحب الطبقات المتوفى ٢٣٠) ٧.  
 سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٢

### (٧) فهرس الوقائع و الايام

- الاحزاب (معركة) ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٥٢٢.  
 بيعة العقبة ٤٥، ٥٩، ٥٠٦، ٥٠٧.  
 بنو المصطلق (غزوة) ٣١٥، ٣٢١.

تبوك (غزوة) ٤٠٤، ٤٤٥، ٤٤٤، ٤٤٣، ٤٤٢، ٤٤١، ٤٤٠، ٤٣٩، ٤٣٨، ٤٣٧، ٤٣٦، ٤٣٥، ٤٣٤، ٤٣٣، ٤٣٢، ٤٣١، ٤٣٠، ٤٢٩، ٤٢٨، ٤٢٧، ٤٢٦، ٤٢٥، ٤٢٤، ٤٢٣، ٤٢٢، ٤٢١، ٤٢٠، ٤١٩، ٤١٨، ٤١٧، ٤١٦، ٤١٥، ٤١٤، ٤١٣، ٤١٢، ٤١١، ٤١٠، ٤٠٩، ٤٠٨، ٤٠٧، ٤٠٦، ٤٠٥، ٤٠٤، ٤٠٣، ٤٠٢، ٤٠١، ٤٠٠، ٣٩٩، ٣٩٨، ٣٩٧، ٣٩٦، ٣٩٥، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٩١، ٣٩٠، ٣٨٩، ٣٨٨، ٣٨٧، ٣٨٦، ٣٨٥، ٣٨٤، ٣٨٣، ٣٨٢، ٣٨١، ٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧٨، ٣٧٧، ٣٧٦، ٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧٢، ٣٧١، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٧، ٣٦٦، ٣٦٥، ٣٦٤، ٣٦٣، ٣٦٢، ٣٦١، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣٥٨، ٣٥٧، ٣٥٦، ٣٥٥، ٣٥٤، ٣٥٣، ٣٥٢، ٣٥١، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤٨، ٣٤٧، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٤٢، ٣٤١، ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٦، ٣٣٥، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٣٠، ٣٢٩، ٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٥، ٣٢٤، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢١، ٣٢٠، ٣١٩، ٣١٨، ٣١٧، ٣١٦، ٣١٥، ٣١٤، ٣١٣، ٣١٢، ٣١١، ٣١٠، ٣٠٩، ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٥، ٣٠٤، ٣٠٣، ٣٠٢، ٣٠١، ٣٠٠، ٢٩٩، ٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٦، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٩٣، ٢٩٢، ٢٩١، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٨، ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٧١، ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦١، ٢٦٠، ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٤١، ٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٧، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣، ١٩٢، ١٩١، ١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣، ١٦٢، ١٦١، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٢، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٣١، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١١٥، ١١٤، ١١٣، ١١٢، ١١١، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣، ٨٢، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١، ٠.

## (٨) فهرس الأماكن و البلدان

آسيا الصغرى ٣٥٧، ٣٦٤.  
 احد ٩٠، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٢٨، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٤٥، ٣٩٣، ٥٠٨، ٥٧٨.  
 آديس آبابا ٣٧٥.  
 الاردن ٢٦٥.  
 الاسكندرية ٣٦٠.  
 أبني ٦٦١.  
 أوروبا ٣٥٧.  
 أوطاس ٥٢١.  
 إيران ١٣٢، ٢١٦، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨١، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠.

بصرى ٣٥٩.

البصرة ٤١٤.

بغداد ١١٣، ١١٦، ١٦٤، ٤٢٧.

البيع ١٣٤، ١٣٥.

بكين (عاصمة الصين) ٣.

بلجيكا ١١٨.

البلقاء ٥٥٣.

بيت الله الحرام ٤١، ٤٩، ٣٢٩، ٣٣٩، ٤٣٠، ٤٣٨، ٤٦٤، ٤٩٢، ٥٨٩، ٦٣١، ٦٣٣.

بيت المقدس ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٣٤٧، ٣٥٤، ٣٦١، ٣٨١، ٥٨٢.

تبوك ٥٥٢، ٦٤٣، ٦٦٠.

تهامة ٥٠٩.

ثنية أذاخر ٤٩١.

ثنية المرة ١٧.

ثنية الوداع ٣٠١، ٤٤٠، ٥٥٤.

الجزيرة العربية ٤، ١٨، ٢١، ٤١، ٤٨، ٤٩، ١٢١، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٥٠، ٣٢٤، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤.

٣٨٧، ٣٨٨، ٤٣٤، ٤٦٣، ٤٧٨، ٤٩٣، ٥٠٣، ٥٢٣، ٥٢٧، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٥٢، ٥٥٩، ٥٦٨، ٥٧٨، ٥٨٢، ٥٨٩، ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٧، ٦٢٢، ٦٢٨.

٦٤٢، ٦٥٦.

الجحفة ٣٢٧، ٦١٧، ٦٤٧، ٦٥٦.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٥

الجرف ٤٤٠، ٥٥٨، ٦٦٣، ٦٦٤.

الجعرانة ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٦، ٥٣٧.

الجنديل ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣.

الجولان ٣٨١.

الحبشة ١٣٧، ١٤٤، ١٥٦، ١٧٤، ٢٩٨، ٣٥٦، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٨، ٤١٢، ٤٤٢، ٦٧٧.

الحجاز ٤٢، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٩، ٤٣٨، ٤٤٢، ٥٠٥، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٨، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٢.

٥٧٥، ٦٠١، ٦٠٢، ٦١٩، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٩، ٦٣٤، ٦٥١، ٦٥٦، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٧٤.

حجر ٥٥٢.

الحجر الاسود ٦٢٠.

الحديبية ١١٨، ٣٢٧، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٤، ٣٨٨، ٤٣٠، ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٨٣، ٤٨٩.

حضر موت ٦٥٦.

حراء (غار) ٣.

حنين ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٢.

الحيرة ٣٥٦.

- خيبر ٣٥، ٣٩٣، ٤٠١.
- دار الندوة ٣٤٥.
- دمشق ١٥٥، ١٥٦، ٣٨١.
- ذو الحليفة ٣٢٦، ٦٢٩.
- ذو طوى ٤٩٠.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٦.
- الربذة ٥٦٦.
- الرملة ٦٦١.
- رايع ٦٤٦.
- الرجيع ٣٨٩، ٣٩٣.
- روضه الخاخ ٤٧٣.
- زمزم (بئر) ٨٣، ٤٩٤.
- سطح (قلعة) ٣٩٠.
- سقيفة بنى ساعدة ٦٧٤.
- سورية ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٥، ٦٦١.
- الشام ١٤، ١٥، ١٦، ٣٧، ٤١، ٤٧، ٥٠، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٦٧، ٦٨، ١٢٠، ١٢٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٦٢، ١٦٥، ١٧٥، ٢١٣، ٢٤٧، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٥٠، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٨٦، ٤٢٣، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٦٤، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٧، ٤٧٨، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨.
- الشفق (حصن) ٣٩٠، ٤٠٧، ٤٠٨.
- الصفاء (جبل) ٤٣٤، ٤٣٥، ٦٣٠.
- الصفراء ٨٧.
- صفيين ١٤، ٣٣٨.
- الصين ١٢٦.
- الطائف ٣٨، ٤١، ٤٤، ١٧٥، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٣٢، ٥٤٠، ٥٧٨، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٧، ٥٧٨.
- طهران ٧.
- طيسفون ٣٦٤.
- الظهران ٤٣٢، ٤٨٠.
- العراق ١٥، ١٢٥، ١٣٦، ٣٥٧، ٦١٦، ٦٧٤.
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٧.
- عرفات ٦٢٩، ٦٣٦.
- عسفان ٣٠٠.
- عسقلان ٦١٦.
- العقبه ٥٧٣.



عكاظ (سوق) ٢٣١.

فدك ٩٤، ٢٤٦، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨.

فرنسا ١٢٦.

فلسطين ٦٤٢، ٦٥٩.

القادسية ٥٥٠.

القاهرة ٢٤١.

قبا ٥٧٩، ٦١٦.

قسطنطينية ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٤، ٥٥٣.

قم ١٣١، ٢١٦.

القموص (حصن) ٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠٩.

الكديد ٤٢٦.

كربلاء ٤٢٣.

الكعبة المعظمة ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٢٠١، ٣٢٤، ٤٣٤، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٣٩، ٥٨٩، ٦٣٠.

الكوفة ٤٢٦.

لبنان ٧.

لندن ٧.

المدائن ٣٦٤.

المدينة ٥، ٦، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧.

٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١، ٧٧، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٤٨

٩٣، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠.

١٥١، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣.

٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١، ٢١٣، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٧٩.

٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٢٧.

٣٣٩، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٨، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٤.

٤٣١، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩.

٥١٤، ٥٢٢، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩.

٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨١، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٩، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠.

٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣.

المروة (جبل) ٤٣٤، ٤٣٥، ٦٣٠.

المسجد الاقصى ١١٣.

المسجد الحرام ٤٧، ٤٨، ٥٠، ١١٩، ٣٢٥، ٣٢٦، ٤٣٤، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٦٢٨.

مسجد الأحزاب ٤٥٧ ..



٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤.

الساسانيون ٣٥٧، ٣٦٤.

السنة (أهل) ١٧٢، ٤٢٣، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢.

الصابئون ٥٥٠.

العباسيون ٤٢٧، ٤٢٨، ٥٤١.

الغساسنة ٣٨٢، ٣٨٣.

الفاطميون ١١٨، ٣٣٨، ٤٢٧.

الفرس ٩٣، ٣٥٧، ٣٥٨، ٥٧٥، ٤٤٣.

القيصرة (الروم) ٤٤٣.

المستشرقون ٤٢، ٤٣، ٤٦، ١١٠، ١٤٧، ١٦٠، ٢٠٣، ٢٣٠، ٢٣٨، ٣٤١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٩٦، ٤١١، ٤١٤، ٤٧٨، ٥٠٦، ٥٨٨، ٥٨٩.

النصارى (المسيحيون) ٤، ٢٨، ١٢٠، ٢٣٩، ٢٤٠، ٣٠٤، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٧١، ٣٨٠، ٤٠٥، ٤١٥، ٤٤٢، ٤٤٧، ٤٥٢، ٤٥٩، ٥٧١، ٥٧٨، ٤٠٢.

٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤١٠، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٤٢، ٤٤٣.

سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٥٢

اليهود ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٩، ٤٣، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠.

١٣٢، ١٣٥، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠.

## (١٠) فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمنا

١- مميزات النهضة الالهية و خصائصها ٣

٢- دور المساجد في الاسلام ٩

٣- خطأ المستشرقون في تفسير المناورات العسكرية ٤٢

٤- كرامة علمية لرسول الله في مسألة القبلة ٥١

٥- اهمية الزواج في الاسلام و مشاكل الزواج المعاصرة و علاجها ١٠٠

٦- المستشرقون و الاساءة الى النبي (ص) في قصة زينب ٢٣٧

٧- عالمية الرسالة المحمدية ٣٥٤

٨- فدك و حكم الاراضي المفتوحة بلاقتال ٤٢٢

٩- نوعية علم رسول الله (ص) بالمغيبات ٥٦٤

١٠- مكافحة الاسلام للخرافة ٥٩٩

١١- الخلافة من منظار السنة، و الشيعة ٦٣٩

١٢- الارتباط بالارواح في ضوء مكالمة أهل البقيع ٦٦٥

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٥٤

### (١١) فهرس المصادر

- ١- الآثار الباقية/ للبيروني
  - ٢- الأبطال/ لتوماس كارلايل
  - ٣- ابو طالب مؤمن قريش/ للخنيزي
  - ٤- الإتحاف/ للشبراوي
  - ٥- الاحتجاج/ للطبرسي
  - ٦- إحياء العلوم/ للغزالي
  - ٧- أخبار أصفهان/ لابي نعيم الاصفهاني
  - ٨- الاخبار الطوال/ للدينوري
  - ٩- الارشاد/ للمفيد
  - ١٠- إرشاد الساري/ للقسطلاني
  - ١١- از پرويز تا جنكيز/ لتقى زاده
  - ١٢- الاستغاثة/ لأبي القاسم الكوفي
  - ١٣- الاستيعاب/ لابن عبد البر
  - ١٤- اسد الغابة/ لابن الاثير الجزري
  - ١٥- الاسفار الاربعة/ لصدر الدين الشيرازي
  - ١٦- اسلام و جاهليت (بالفارسية)/ للنوري
  - ١٧- الاشارات و التنبهات/ لابن سينا
  - ١٨- الإصابة في تمييز الصحابة/ لابن حجر
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٥٥

- ١٩- أصالة روح (بالفارسية)/ لصاحب الدراسة سيد المرسلين ج ٢ ٧٥٥ (١١) فهرس المصادر ..... ص : ٧٥٤
- الاصنام/ للكلبى
- ٢١- اعلام النساء/ لكحالة
- ٢٢- إعلام الوري بأعلام الوري/ للطبرسي
- ٢٣- أعيان الشيعة/ للسيد محسن العاملي
- ٢٤- الأغاني/ للراغب الاصفهاني
- ٢٥- الاقبال/ لابن طاوس
- ٢٦- الامالى/ للطوسي
- ٢٧- الامالى/ للصدوق
- ٢٨- الامامة و السياسة/ لابن قتيبة
- ٢٩- إمتاع الاسماع/ للمقريزي

- ٣٠- الاحوال / لابن سلام
- ٣١- الانجيل /
- ٣٢- أنيس الاعلام / لفخر الاسلام
- ٣٣- اوائل المقالات / للمفيد
- ٣٤- ايران در عهد ساسانيان (بالفارسية) / ارتو كريستن سن
- (ب) ٣٥- بحار الانوار / للمجلسي
- ٣٦- البداية و النهاية / لابن كثير
- ٣٧- برهان رساله (بالفارسية) / صاحب الدراسة
- ٣٨- بلوغ الادب في معرفة احوال العرب / للآلوسي
- (ت) ٣٩- التاج الجامع للاصول / لناصر
- ٤٠- تاريخ اجتماعي ايران (بالفارسية) / لجماعة من المؤلفين
- ٤١- تاريخ الامم و الملوك / للطبري
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٥٦
- ٤٢- تاريخ بغداد / للبغدادي
- ٤٣- تاريخ تمدن ايران در عهد ساسانيان (بالفارسية) / لذبيح الله صفا
- ٤٤- تاريخ الخلفاء / للسيوطي
- ٤٥- تاريخ الخميس / للديار بكرى
- ٤٦- تاريخ سنى ملوك الارض و الأنبياء / لحمزة الاصفهاني
- ٤٧- تاريخ العرب / لفيلب
- ٤٨- تاريخ علوم و ادبيات در ايران (بالفارسية) / لصفا
- ٤٩- تاريخ القرآن / للزنجاني
- ٥٠- تاريخ يعقوبى / لليعقوبى
- ٥١- تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام / للصدر
- ٥٢- تحرير الاحكام / للعلامة الحلي
- ٥٣- التحرير / للنووى
- ٥٤- تحف العقول / لابن شعبة الحراني
- ٥٥- تحفة الأجله في معرفة القبلة / للكابلي
- ٥٦- تذكرة الخواص / لسبط ابن الجوزي
- ٥٧- التراتيب الدراية / للكتاني
- ٥٨- الترغيب و التهيب / للمنذرى
- ٥٩- تفسير ابو الفتوح الرازى /
- ٦٠- تفسير البرهان / للبحراني
- ٦١- تفسير التبيان / للطوسى

- ٦٢- تفسير روح المعاني / للآلوسي
- ٦٣- تفسير صحيح آيات مشكلة (بالفارسية) / صاحب الدراسة
- ٦٤- تفسير الدر المنثور / للسيوطي
- ٦٥- تفسير الطبري / للطبري
- ٦٦- تفسير مفاتيح الغيب / للفخر الرازي  
سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٥٧
- ٦٧- تفسير الكشاف / للزمخشري
- ٦٨- تفسير العياشي / للعياشي
- ٦٩- تفسير فرات الكوفي / لفرات الكوفي
- ٧٠- تفسير في ظلال القرآن / لسيد قطب
- ٧١- تفسير القرطبي / للقرطبي
- ٧٢- تفسير القمي / للقمي
- ٧٣- تفسير مجمع البيان / للطبرسي
- ٧٤- تفسير المنار / لعبده - رشيد رضا
- ٧٥- تفسير الميزان / للطباطبائي
- ٧٦- تفسير نور الثقلين / للحويزي
- ٧٧- التقريب / للحافظ العراقي
- ٧٨- تقييد العلم / للبغدادي
- ٧٩- التنبيه و الاشراف / للمسعودي
- ٨٠- تنقيح المقال / للمامقاني
- ٨١- التوراة /
- ٨٢- تهذيب الاصول / لصاحب الدراسة
- ٨٣- تهذيب الاسماء و اللغات / للنووي
- ٨٤- تهذيب التهذيب / للعسقلاني
- ٨٥- ثمار القلوب / للثعالبي
- ٨٦- جغرافياي كشورهاي اسلامي (بالفارسية) / الفقيهي
- ٨٧- جمهرة خطب العرب / لصفوة
- ٨٨- جهان بيني اسلامي (بالفارسية) / للشهيد المطهري  
سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٥٨
- ٨٩- حجة الذاهب الى ايمان ابي طالب / لفخار بن معد
- ٩٠- حلية الاولياء / لابي نعيم الاصفهاني
- ٩١- حياة محمد / لهيكل
- ٩٢- الخرائج و الجرائح / للراوندي

- ٩٣- الخصائص / للنسائي
- ٩٤- الخصال / للصدوق
- (د) ٩٥- دائرة المعارف / وجدى
- ٩٦- در مكتب وحى / لصاحب الدراسة
- ٩٧- الدرجات الرفيعة / للسيد على خان المدني
- ٩٨- الذريعة الى تصانيف الشيعة / لأغا بزرك الطهرانى
- ٩٩- ديوان أبى طالب /
- (ذ) ١٠٠- ذخائر العقبى / للطبرى
- (ر) ١٠١- بزرك رسالت (بالفارسية) / لصاحب الدراسة
- ١٠٢- رجال الشيخ الطوسى /
- ١٠٣- الروض الانف / للسهيلى
- ١٠٤- روضة الكافى / للكلىنى
- ١٠٥- روضة المتقين / للمجلسى
- ١٠٦- الرياض النضرة / لمحبت الدين الطبرى
- (ز) ١٠٧- زاد المعاد / لابن القيم
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٥٩
- (س) ١٠٨- سفينة البحار / للقمى
- ١٠٩- السقيفة (كتاب) / لابي بكر الجوهري
- ١١٠- سنن البيهقى / للبيهقى
- ١١١- سيرة الملائى / لعمر بن محمد
- ١١٢- السيرة النبوية / لابن هشام
- ١١٣- السيرة النبوية / لدحلان
- ١١٤- السيرة الحلبية / للحلبى
- (ش) ١١٥- شرح نهج البلاغة / لابن أبى الحديد
- (ص) ١١٦- صحيح البخارى / للبخارى
- ١١٧- صحيح الترمذى / للترمذى
- ١١٨- صحيح مسلم / لمسلم
- ١١٩- الصحيفة السجادية / للامام السجاد (ع)
- ١٢٠- الصواعق المحرقة / للهيثمى
- (ط) ١٢١- الطبقات الكبرى / لابن سعد
- (ع) ١٢٢- عبقات الانوار / لمير حامد
- ١٢٣- عدة الاصول / للطوسى
- ١٢٤- العقد الفريد / لابن عبد ربه

- ١٢٥- علل الشرائع / للصدوق
- ١٢٦- عمدة الطالب / لابن المهنا
- ١٢٧- عيون اخبار الرضا / للصدوق
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٦٠
- ١٢٨- عيون الاثر / لابن سيد الناس
- ١٢٩- عيون المجالس /
- (غ) ١٣٠- الغارات / للثقفى
- ١٣١- الغدير / للامينى
- (ف) ١٣٢- فتوح البلدان / للبلاذرى
- ١٣٣- فتوح الشام / للواقدى
- ١٣٤- فرائد السمطين / للجوينى
- ١٣٥- الفصول المهمة / لابن الصباغ
- ١٣٦- الفهرست / للنجاشى
- ١٣٧- الفهرست / لابن النديم
- (ق) ١٣٨- القاموس المحيط / للفيروز آبادى
- ١٣٩- قرب الاسناد / للحميرى
- ١٤٠- قره العيون المبصرة / للحنفى
- (ك) ١٤١- الكامل فى التاريخ / لابن الاثير
- ١٤٢- الكافى اصولا و فروعا / للكلينى
- ١٤٣- كشف الظنون / لخليفة
- ١٤٤- كشف الغمة / للاربلى
- ١٤٥- كشف المراد / للعلامة الحلى
- ١٤٦- كشف اليقين / للعلامة الحلى
- ١٤٧- كفاية الطالب / للكنجى
- سيد المرسلين ، ج ٢ ، ص : ٧٦١
- ١٤٩- كنز الفوائد / للكراجكى
- ١٥٠- كنوز الحقائق / للمناوى
- ١٥١- كنوز الدقائق / للمناوى
- (ل) ١٥٢- اللئالى المصنوعة / للسيوطى
- ١٥٣- لسان الميزان / لابن حجر
- ١٥٤- اللوامع الالهية / للفاضل المقداد
- (م) ١٥٥- ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين / للندوى
- ١٥٦- المباهلة (كتاب) / لابي المفضل الشيبانى



- ١٥٧- المبدأ و المعاد / للملا صدرا  
 ١٥٨- المحجة البيضاء / للفيض  
 ١٥٩- مجالس ابن الشيخ / للطوسي  
 ١٦٠- المجالس / للمفيد  
 ١٦١- المحاسن و المساوي / للبيهقي  
 ١٦٢- المحبّر / لمحمد بن حبيب  
 ١٦٣- مروج الذهب / للمسعودي  
 ١٦٤- المراجعات / لشرف الدين  
 ١٦٥- المسند / لابن حنبل  
 ١٦٦- المستدرک على الصحيحين / للحاكم النيسابوري  
 ١٦٧- مصباح الظلام / للدماطي  
 ١٦٨- مصباح المتعجد / للطوسي  
 ١٦٩- معالم العترة / للجنابذي  
 ١٧٠- معجم البلدان / للحموي  
 ١٧١- المفصل في تاريخ العرب / للدكتور جواد على  
 سيد المرسلين ، ج٢، ص: ٧٦٢  
 ١٧٢- مقتل الخوارزمي / للخوارزمي  
 ١٧٣- المغازي / للواقدي  
 ١٧٤- مفاهيم القرآن / لصاحب الدراسة  
 ١٧٥- مقاتل الطالبين / لابي الفرج الاصفهاني  
 ١٧٦- مقدمة ابن خلدون /  
 ١٧٧- مكاتيب الرسول / للأحمدي  
 ١٧٨- مكارم الاخلاق / للطبرسي  
 ١٧٩- الملل و النحل / للشهرستاني  
 ١٨٠- من لا يحضره الفقيه / للصدوق  
 ١٨١- مناقب آل أبي طالب / لابن شهر آشوب  
 ١٨١- المناقب / للخوارزمي  
 ١٨٢- مناهل العرفان / للزرقاني  
 ١٨٣- المنتقى / لابن تيمية  
 ١٨٤- منهاج السنة / لابن تيمية  
 ١٨٥- المواهب اللدنية / للقسطلاني  
 ١٨٦- المواقف / للايجي  
 ١٨٧- الموسوعة العربية الميسرة / لجماعة من المؤلفين

- ١٨٨- ميزان الاعتدال / للذهبي  
 (ن) ١٨٩- ناسخ التواريخ / لسپهر  
 ١٩٠- نزهة المجالس / للصفورى  
 ١٩١- النص و الاجتهاد/ للسيد شرف الدين  
 ١٩٢- النهاية/ لابن الاثير  
 ١٩٣- نهج البلاغة/ للشريف الرضى  
 ١٩٤- نور الابصار/ للشبلنجي  
 سيد المرسلين ، ج٢، ص: ٧٦٣  
 (و) ١٩٥- الوثائق السياسية/ للبروفيسور حميد الله  
 ١٩٦- وسائل الشيعة/ للحر العاملى  
 ١٩٧- فاء الوفاء/ للسهمودى  
 ١٩٨- وفيات الأعيان/ لابن خلكان  
 ١٩٩- وقعة صفين/ لابن مزاحم  
 ٢٠٠- الولاية فى طرق حديث الغدير/ للطبرى  
 (ه) ٢٠١- الهدى الى دين المصطفى/ للبلاغى  
 (ى) ٢٠٢- ينابيع المودة/ للقندوزى  
 سيد المرسلين ، ج٢، ص: ٧٦٤

## (١٢) فهرس المواضيع

- ٢٦- أول عمل ايجابى للنبي فى المدينة وقائع السنة الاولى من الهجرة ٩- ٣٢ عقد ميثاق تعايش بين المسلمين و غيرهم ٩  
 مع عمار بن ياسر فى بناء المسجد النبوى ١٢  
 ضر أراف من والده ١٦  
 التآخى أو أعظم معطيات الايمان ١٨  
 منقبتان عظيمتان ١٩  
 منقبة اخرى لعلى ٢٠  
 معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين و يهود يثرب ٢١  
 أعظم معاهدة تاريخية ٢٢  
 ممارسات اليهود الاجهاضية ٢٧  
 خطة اخرى للقضاء على الحكومة الاسلامية ٢٩  
 ٢٧- مناورات عسكرية و استعراضات حربية وقائع السنة الثانية من الهجرة ٣٣- ٤٦ تهديد خطوط قريش التجارية ٣٤  
 النبي (ص) يلاحق قريشا بنفسه ٣٦  
 ما ذا كان الهدف من المناورات العسكرية ٤١  
 سيد المرسلين ، ج٢، ص: ٧٦٥

نظرية المستشرقين حول هذه المناورات ٤٢

٢٨- تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة ٤٧-٥٢ كرامة علمية لرسول الله (ص) ٥١

٢٩- معركة بدر ٥٣-٩٩ النبي (ص) يتوجه الى ذفران ٥٥

المشكلة التي كانت تواجهها قريش ٥٨

النبي (ص) يعقد شورى عسكرية ٥٩

اخفاء الحقائق و كتمانها ٥٩

قرار الشورى الحاسم أو رأى زعيم الأنصار ٦٢

تحصيل المعلومات حول العدو ٦٢

كيف هرب ابو سفيان ٦٥

معرفة المسلمين بافلات قافلة قريش ٦٨

اختلاف قريش فى القتال ٦٨

العريش او غرفة القيادة ٧٠

نظرة الى مسألة العريش ٧٠

تحرك قريش باتجاه بدر ٧٢

قريش تتشاور فى القتال ٧٢

اختلاف قادة قريش فى القتال ٧٤

ما الذى حتم القتال؟ ٧٥

المبارزات الفردية أولا ٧٦

أى القولين هو الأصح حول المبارزين؟ ٧٧

الهجوم العام ٧٨

سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٦٦

رعاية الحقوق ٨٠

مصرع أمية بن خلف ٨٠

خسائر بدر فى الأرواح و الاموال ٨١

ما انتم باسمع منهم ٨٢

الشعر يخلد هذه القصة ٨٣

بعد معركة بدر ٨٥

قتل أسيرين فى اثناء الطريق ٨٧

المكيون يعرفون بمقتل أسيادهم ٨٨

بشائر النبي الى المدينة ٨٨

اشتراك العباس عم النبي (ص) فى بدر ٨٩

المنع من النوح و البكاء فى مكة ٩٠

القرار الأخير حول مصير الأسارى ٩١

- رسول الاسلام و مكافحة الأميّة ٩٣
- كلام لابن ابي الحديد فى المقام ٩٤
- القرآن يتحدث عن بدر ٩٥
- ٣٠- زواج سيده النساء ١٠٠- ١٢٠ مشاكل الزواج فى العصر الحاضر ١٠١
- رسول الاسلام يكافح هذه المشاكل عمليا ١٠٢
- جهاز فاطمة ١٠٥
- مراسم الزواج تقام ببساطة ١٠٧
- ٣١- جرائم بنى قينقاع (اليهود) ١٢١- ١٣١ لهيب الحرب ينطلق من شرارة ١٢٣
- تقارير جديدة تصل الى المدينة ١٢٧
- سيد المرسلين ، ج٢، ص: ٧٦٧
- غزوات فى هذه السنة ١٢٧
- ١- غزوة قرقر الكدر ١٢٨
- ٢- غزوة السوق ١٢٨
- ٣- غزوة ذى أمر ١٢٩
- قريش تغير مسير تجارتها ١٣١
- ٣٢- الدفاع عن الحريّة (أو معركة احد) حوادث السنة الثالثة من الهجرة ١٣٢- ١٩٥ سريه محمد بن مسلمه لاغتيال كعب بن الأشرف
- ١٣٢
- اغتيال مفسد آخر ١٣٥
- قريش تتكفل نفقات الحرب ١٣٥
- الاستخبارات ترفع تقريراً الى النبي (ص) ١٣٧
- جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة ١٣٨
- منطقة احد ١٣٩
- المشاورات فى كيفية الدفاع ١٤٠
- الاقتراع من أجل الشهادة ١٤٢
- حصيلة الشورى ١٤٤
- النبي (ص) يخرج من المدينة ١٤٥
- جنديان فدايان ١٤٦
- العسكران يصطفان ١٥٠
- رفع معنويات الجنود و تقوية عزائمهم ١٥١
- العدو ينظم صفوفه ١٥٢
- الإثارة النفسية و إلهاب الحماس ١٥٣
- القتال يبدأ ١٥٤
- المقاتلون بدافع الشهوات ١٥٧

- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٦٨
- الهزيمة بعد الانتصار ١٥٨
- شائعة حول مقتل النبي (ص) ١٦٠
- هل يمكن ان ينكر أحد فرار البعض ١٦١
- القرآن يكشف عن بعض الحقائق ١٦٢
- التجارب المرة ١٦٤
- خمسة يتحالفون على قتل النبي (ص) ١٦٥
- الدفاع الموفق أو النصر المجدد ١٦٩
- حمزة بن عبد المطلب ١٧٣
- العدو يحاول استغلال الفرصة ١٧٩
- نهاية المعركة ١٨١
- آخر ما نطق به سعد بن الربيع ١٨٤
- النبي يعود الى المدينة ١٨٥
- ذكريات مثيرة عن امرأة مؤمنة ١٨٧
- نموذج آخر من النسوة المجاهدات ١٨٧
- لا بد من ملاحقة العدو ١٩٠
- حمراء الأسد ١٩٢
- لا يخدع المؤمن مرتين ١٩٤
- ميلاد الامام الحسن السبط ١٩٥
- حوادث السنة الرابعة من الهجرة ٣٣- فاجعة فريق المبلّغين ١٩٦- ٢٠٥ خطة ماكرة للفتك بالمبلّغين ١٩٧
- الغدر بالدعاة الى الاسلام وقتلهم ١٩٨
- دور حزب النفاق أيضا ٢٠١
- جريمة بئر معونة ٢٠٢
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٦٩
- كيد المستشرقين ٢٠٣
- المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين ٢٠٤
- ٣٤- غزوة بنى النضير ٢٠٦- ٢١٥ بما ذا يجب ان تقابل هذه الجريمة ٢٠٨
- المستشرقون و دموع التماسيح ٢١٠
- مزارع بنى النضير تقسم بين المهاجرين فقط ٢١٣
- ٣٥- تحريم الخمر غزوة ذات الرقاع، غزوة بدر الصغرى ٢١٦- ٢٢٩ ١- تحريم الخمر ٢١٦
- وقفه عند «البيان الشافى» فى الخمر ٢٢٠
- رواية مختلفة ٢٢١
- ٢- غزوة ذات الرقاع ٢٢٥

- مواقف خالدة في هذه الغزوة ٢٢٧
- الحراس الصامدون ٢٢٧
- ٣- غزوة بدر الصغرى ٢٢٨
- ولادة الحسين السبط الاصغر لرسول الله (ص) ٢٢٩
- ٣٦- من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة حوادث السنة الخامسة من الهجرة ٢٣٠- ٢٤٥ زواج النبي (ص) بمطلقة دعيه زيد ٢٣٠
- من هو زيد بن حارثة ٢٣١
- زيد يتزوج بنت عمه النبي (زينب بنت جحش) ٢٣٢
- زيد يطلق زوجته زينب ٢٣٣
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧٠
- زواج النبي بمطلقة متبناه لإبطال سنة جاهلية ٣٣٤
- المستشرقون وقضية تزوج النبي بزینب ٢٣٧
- توضیح الحقیقه و ردّ الشبهه ٢٣٩
- ٣٧- غزوة الأحزاب بعض غزوات السنة الخامسة ٢٤٦- ٢٨٠ ١- غزوة دومة الجندل ٢٤٦
- ٢- غزوة الخندق (الأحزاب) ٢٤٧
- استخبارات القيادة ترفع تقريراً للقيادة ٢٥٠
- القول النبوي الخالدة في شأن سلمان ٢٥٣
- مقاتلو العرب و اليهود يحاصرون المدينة ٢٥٤
- العدد الدقيق لقوات الطرفين ٢٥٤
- خطر البرد و تناقص الغذاء، و العلف ٢٥٥
- النبي (ص) يعرف بنقض بنى قريظة للعهد ٢٥٨
- تجاوزات بنى قريظة الأولى ٢٥٩
- الايمان في مواجهة الكفر ٢٦٠
- أبطال من العرب يعبرون الخندق ٢٦٢
- تصاؤل البطلين ٢٦٦
- ضربة علي (ع) لعمرو و قيمة هذه الضربة ٢٦٧
- لما ذا التنكر لهذا الموقف؟ ٢٦٧
- مروءة علي (ع) و شهامته ٢٦٩
- جيش العرب يتفرق في موقفه ٢٧٠
- العوامل التي فرقت كلمة الاحزاب ٢٧٢
- مبعوثون من قريش يمشون الى بنى قريظة ٢٧٤
- آخر العوامل وراء هزيمة الكفار ٢٧٥
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧١
- القرآن الكريم و معركة الاحزاب ٢٧٦

٣٨- سقوط آخر اوكار الفساد و المؤامرة ٢٨١- ٢٩٥ قوات الاسلام تحاصر بنى قريظة ٢٨٢

اليهود يتشاورون حول الموقف ٢٨٣

خيانه أبي لبابة ٢٨٦

الى أى مدى ذهب الطابور الخامس فى مشاغته؟ ٢٨٨

حكم سعد فى بنى قريظة و تقييم ما استند إليه ٢٩٠

٣٩- أعداء الاسلام تحت المراقبة المشددة حوادث السنه السادسة من الهجرة ٢٩٦- ٣٠٢ أهل الرأى من قريش يهاجرون الى الحبشه

٢٩٨

الوقايه من تكرار التجارب المره ٢٩٩

النذر غير المشروع ٣٠٢

٤٠- تمرّد بنى المصطلق ٣٠٣- ٣١٢ غزوه بنى المصطلق ٣٠٤

منافق حاول إشعال الموقف ٣٠٦

صراع بين الأيمان و العاطفه ٣٠٩

٤١- قصه الإفك ٣١٣- ٣٢٣ الفاسق يفتضح ٣١٣

المنافقون يتهمون شخصا نقى الجيب ٣١٤

أبرز النقاط فى آيات الإفك ٣١٧

الزوائد فى هذه القصه ٣١٨

سيد المرسلين ، ج٢، ص: ٧٧٢

منافاتها لمقام النبوه و العصمه ٣١٨

سعد بن معاذ توفى قبل حادثه الإفك ٣٢٠

٤٢- رحله سياسيه ديتيه ٣٢٤- ٣٥١ مندوبا قريش عند النبى ٣٢٨

رسول الله (ص) يبعث مندوبا الى قريش ٣٣١

النبى (ص) يبعث سفيرا آخر الى قريش ٣٣٢

سهيل بن عمرو يفاوض رسول الله (ص) ٣٣٥

التاريخ يعيد نفسه ٣٣٧

نصّ صلح «الحديبيه» ٣٣٩

نشيد الحرية ٣٤٠

آخر الجهود للحفاظ على عمليه الصلح ٣٤١

و القضيه التاليه تشهد بما نقول ٣٤٢

تقييم عاجل لصلح الحديبيه ٣٤٤

قريش تصرّ على إلغاء أحد بنود المعاهده ٣٤٨

النساء المسلمات لا يسلمن الى قريش ٣٥٠

٤٣- النبى يعلن عن رسالته العالميه حوادث السنه السابعه من الهجرة ٣٥٢- ٣٨٥ الرساله المحمديه كانت عالميه ٣٥٤

آيات تدلّ على عالميه الرساله المحمديه ٣٥٥

- رسل الإسلام الى المناطق النائية ٣٥٦
- أوضاع العالم إبان ابلاغ الرسالة الاسلامية العالمية ٣٥٧
- رسول النبي في أرض الروم ٣٥٨
- سيد المرسلين ، ج ٢، ص: ٧٧٣
- قيصر يحقق حول النبي (ص) ٣٦٠
- أثر رسالة النبي (ص) الى قيصر ٣٦٣
- سفير النبي (ص) في البلاط الايراني ٣٦٣
- أوامر خسرو برويز الى واليه على اليمن ٣٦٦
- سفير النبي (ص) في أرض مصر ٣٦٩
- المقوقس يكتب كتابا الى النبي (ص) ٣٧٢
- سفير النبي (ص) في أرض الذكريات «الحبشة» ٣٧٥
- محاورة سفير النبي و حاكم الحبشة ٣٧٧
- تقييم سريع لمراسلة النبي (ص) قادة العالم ٣٧٨
- كتاب رسول الله (ص) الى امير الغساسنة بالشام ٣٨١
- سادس السفراء في أرض اليمن ٣٨٣
- رسائل اخرى لرسول الله (ص) ٣٨٥
- ٤٤- قلعة خيبر أو بؤرة الخطر ٣٨٦- ٤٢٠ احتلال الطرق و النقاط الحساسة ليلا ٣٩٠
- متاريس اليهود تنهاوى ٣٩٢
- التقوى في ظروف المخمصة الشديدة ٣٩٤
- فتح الحصون الواحد تلو الآخر ٣٩٦
- الانتصار الكبير في خيبر ٣٩٩
- تحريف الحقائق ٤٠١
- ثلاث نقاط مشرقة في حياة الامام على (ع) ٤٠٤
- عوامل الانتصار ٤٠٥
- ١- التخطيط العسكري الدقيق ٤٠٦
- ٢- تحصيل المعلومات حول العدو ٤٠٧
- ٣- تفاني الامام على (ع) ٤٠٨
- سيد المرسلين ، ج ٢، ص: ٧٧٤
- الرحمة في ساحة القتال ٤٠٩
- مصرع كنانة بن الربيع ٤١٠
- تقسيم غنائم الحرب ٤١٠
- قافلة من أرض الذكريات (الحبشة) ٤١٢
- حجم الخسائر و عدد القتلى ٤١٣



- العفو بعد الانتصار ٤١٣
- سلوك اليهود المتعجرف ٤١٦
- حيلة مجازة ٤١٩
- ٤٥- قصة فدك ٤٢١-٤٢٩ حكم الأراضي المفتوحة بلا قتال ٤٢٢
- قصة فدك بعد رسول الله (ص) ٤٢٥
- فدك في محكمة التاريخ ٤٢٨
- السيطرة على وادي القرى ٤٢٩
- ٤٦- عمرة القضاء ٤٣٠-٤٣٧ النبي (ص) يدخل مكة ٤٣٣
- النبي (ص) يغادر مكة ٤٣٦
- ٤٧- معركة مؤتة السنة الثامنة من الهجرة ٤٣٨-٤٥١ حادثه أفجع من سابقتها ٤٣٩
- خلاف حول من هو الامير الأول ٤٤١
- جيشا الروم و المسلمين يتواجهان ٤٤٤
- حيرة المقاتلين المسلمين بعد مقتل القادة ٤٤٧
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧٥
- الجنود المسلمون يعودون الى المدينة ٤٤٨
- اسطورة بدل التاريخ الصحيح ٤٤٩
- النبي (ص) يبكي بشدة لمقتل جعفر ٤٥٠
- ٤٨- غزوة ذات السلاسل ٤٥٢-٤٦١ تفاصيل هذه الغزوة ٤٥٤
- الامام على (ع) ينتدب لقيادة العملية ٤٥٧
- عوامل انتصار الامام على (ع) في هذه الموقعة ٤٥٧
- اعتراض و جواب ٤٥٩
- ٤٩- فتح مكة ٤٦٢-٥١٢ تفاصيل فتح مكة ٤٦٣
- قريش تتوجس خيفة من رد النبي ٤٦٦
- جاسوس يكتشف ٤٦٩
- النبي (ص) يتحرك باتجاه مكة ٤٧٥
- العفو عند المقدرة ٤٧٧
- تكتيك رائع للجيش الاسلامي ٤٨٠
- العباس يصطحب ابا سفيان الى خيمة النبي (ص) ٤٨٢
- ابو سفيان بين يدي رسول الله (ص) ٤٨٣
- مكة تستسلم من دون إراقة دماء ٤٨٥
- ابو سفيان يرجع الى مكة ٤٨٨
- القوات الاسلامية تدخل مكة ٤٩٠
- كسر الأصنام و غسل الكعبة ٤٩٢

- على عليه السلام على كتف النبي (ص) ٤٩٤
- النبي (ص) يعلن عن العفو العام ٤٩٧
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٧٦
- بلال يرفع الأذان على سطح الكعبة ٤٩٧
- النبي (ص) يتحدث الى أقاربه ٤٩٩
- خطاب النبي التاريخي في المسجد الحرام ٥٠٠
- التفاخر بالنسب ٥٠١
- التفاضل بالقومية ٥٠١
- لجميع أبناء البشر لا لبعض دون بعض ٥٠٢
- الحروب الطويلة و الاحقاد القديمة ٥٠٢
- الاخوة الاسلامية ٥٠٣
- معاقة المجرمين ٥٠٤
- قصة عكرمة و صفوان ٥٠٥
- مبايعة نساء مكة مع النبي (ص) ٥٠٦
- هدم بيوت الأصنام بمكة و ما حولها ٥٠٩
- جرائم اخرى لخالد ٥١١
- ٥٠- معركة حنين ٥١٣- ٥٢٠ جيش قليل النظير ٥١٤
- تحصيل المعلومات العسكرية ٥١٤
- تجهيزات المسلمين ٥١٦
- استقامة النبي و من ثبت من أصحابه ٥١٧
- لقطتان من الخلق النبوي العظيم ٥١٩
- ٥١- غزوة الطائف ٥٢١- ٥٣٦ شذخ جدار الحصن بالمنجنيق ٥٢٣
- ضغوط اقتصادية و نفسية ٥٢٤
- آخر محاولة لفتح حصن الطائف ٥٢٤
- سيد المرسلين، ج ٢، ص: ٧٧٧
- الجيش الاسلامي يعود الى المدينة ٥٢٦
- حوادث ما بعد الحرب ٥٢٨
- اسلام مالك بن عوف ٥٣٢
- تقسيم الغنائم ٥٣٣
- رسول الله يعتمر ٥٣٦
- ٥٢- لامية كعب بن زهير المعروفة ٥٣٧- ٥٤٢ حزن قارن فرحا ٥٤٢
- ٥٣- علي بن أبي طالب في أرض طي حوادث السنة التاسعة من الهجرة ٥٤٣- ٥٥١ اسلام عدى بن حاتم الطائي ٥٤٣
- هدم بيوت الأصنام ٥٤٦

- عَلَى فِي أَرْض طَيِّ ٥٤٧
- ٥٤- غزوة تبوك ٥٥٢- ٥٨٠ تعبئة المقاتلين و تهيئة نفقات الحرب ٥٥٣
- المتخلفون عن القتال ٥٥٤
- اكتشاف شبكة جاسوسية في المدينة ٥٥٥
- عدم مشاركة على (ع) في غزوة تبوك ٥٥٧
- الجيش الاسلامي يتحرك نحو تبوك ٥٥٩
- النبي (ص) يستعرض جيشه ٥٦٠
- قصة مالك بن قيس ٥٦١
- متاعب الطريق ٥٦٢
- تعليمات احتياطية ٥٦٣
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧٨
- علم رسول الله (ص) بمغيبات و اخباره بها ٥٦٤
- الجيش الاسلامي في أرض تبوك ٥٦٨
- بعث خالد الى دومة الجندل ٥٧٠
- تقييم إجمالي لغزوة تبوك ٥٧٢
- المنافقون يخططون لاغتيال النبي ٥٧٣
- النية تقوم مقام العمل ٥٧٤
- اخذ المتخلفين بالعقاب النفسى ٥٧٦
- قصة مسجد «ضرار» ٥٧٨
- ٥٥- وفد ثقيف في المدينة ٥٨١- ٥٨٧ وقوع الفرقة و الاختلاف في قبيلة ثقيف ٥٨٢
- شروط وفد ثقيف ٥٨٤
- ٥٦- إعلان البراءة من المشركين في منى ٥٨٨- ٥٩٥ تعصب بغيض في تحليل هذا الحدث ٥٩٣
- ٥٧- في رثاء الولد العزيز حوادث السنة العاشرة من الهجرة ٥٩٦- ٦٠٠ اعتراض غير وجيه ٥٩٨
- مكافحة الخرافات ٥٩٩
- ٥٨- وفد نجران في المدينة ٦٠١- ٦٠٩ مفاوضات بين وفد نجران و بين النبي (ص) ٦٠٣
- خروج النبي (ص) للمباهلة ٦٠٥
- انصراف وفد نجران عن المباهلة ٦٠٧
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٧٩
- صورة العهد النبوي لوفد نجران ٦٠٧
- أكبر فضيلة ٦٠٨
- ٥٩- تأريخ المباهلة عاما و شهرا و يوما ٦١٠- ٦٢١ عام المباهلة حسب المشهور ٦١١
- الشهر و اليوم الذى وقعت فيه المباهلة ٦١١
- رأينا حول عام المباهلة ٦١٢

- زمن المباهلة يوما وشهرا ٦١٤
- هل كانت قضية المباهلة فى السنة التاسعة؟ ٦١٩
- ٦٠- تقييم البراءة من المشركين وفود القبائل فى المدينة ٦٢٢-٦٢٧ محاولة اغتيال النبى (ص) ٦٢٣
- أمير المؤمنين على (ع) فى ربوع اليمن ٦٢٤
- ٦١- حجة الوداع ٦٢٨-٦٣٨ الامام على (ع) يعود من اليمن ٦٣١
- مراسم الحج تبدأ ٦٣٣
- خطاب النبى التاريخى فى حجة الوداع ٦٣٤
- ٦٢- إكمال الدين الاسلامى بتعيين الخليفة ٦٣٩-٦٥٥ اقتضاء المحاسبات الاجتماعية فى مسألة الخلافة ٦٤١
- الوقائع التاريخية تؤيد المحاسبات ٦٤٥
- النبوة و الامامة توأمان ٦٤٥
- قصة الغدير ٦٤٦
- سيد المرسلين، ج٢، ص: ٧٨٠
- واقعة الغدير خالدة الى الأبد ٦٤٩
- الدلائل الاخرى على ابدية الغدير ٦٥١
- ٦٣- المتنبئون كذبا التفكير فى أمر الروم ٦٥٦-٦٦٦ لمحمة عن مسيلمة الكذاب ٦٥٨
- التفكير فى أمر الروم ٦٥٩
- الأعذار غير المقبولة ٦٦٤
- الاستغفار لأهل البقيع ٦٦٥
- ٦٤- الكتاب الذى لم يكتب حوادث السنة الحادية عشرة من الهجرة ٦٦٧-٦٧٩ ايتونى بقلم و قرطاس ٦٦٨
- ما ذا كان الهدف من الكتاب؟ ٦٧٢
- لما ذا لم يصّر النبى (ص) على كتابة الكتاب؟ ٦٧٤
- ملافاة الأمر و تداركه ٦٧٥
- تقسيم الدنانير ٦٧٧ سيد المرسلين ج ٢ ٧٨٠ (١٢) فهرس المواضيع ..... ص : ٧٦٤
- ب النبى (ص) من الدواء الذى سقى ٦٧٧
- وداع النبى (ص) مع أهله ٦٧٧
- ٦٥- اللحظات الأخيرة ٦٨٠-٦٨٧ النبى (ص) يتحدث مع ابنته الزهراء (ع) ٦٨١
- وصايا النبى (ص) قبيل رحيله ٦٨٣
- يوم الوفاة ٦٨٥
- الفهارس ٦٨٩

### تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

بسم الله الرحمن الرحيم  
جاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَابِرَ كَلَامِنَا لَأَتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرُّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحه صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيئ مصباحها، بل تتبج بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية و علمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيّة، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبة، نشره شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية و مكتبية، قابلة للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" [www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com) و عدّة مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبعية و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربي (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" و "مفتق" و فاني / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الالكتروني: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الانترنتي: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، و غير ربحيته، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكّن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

